

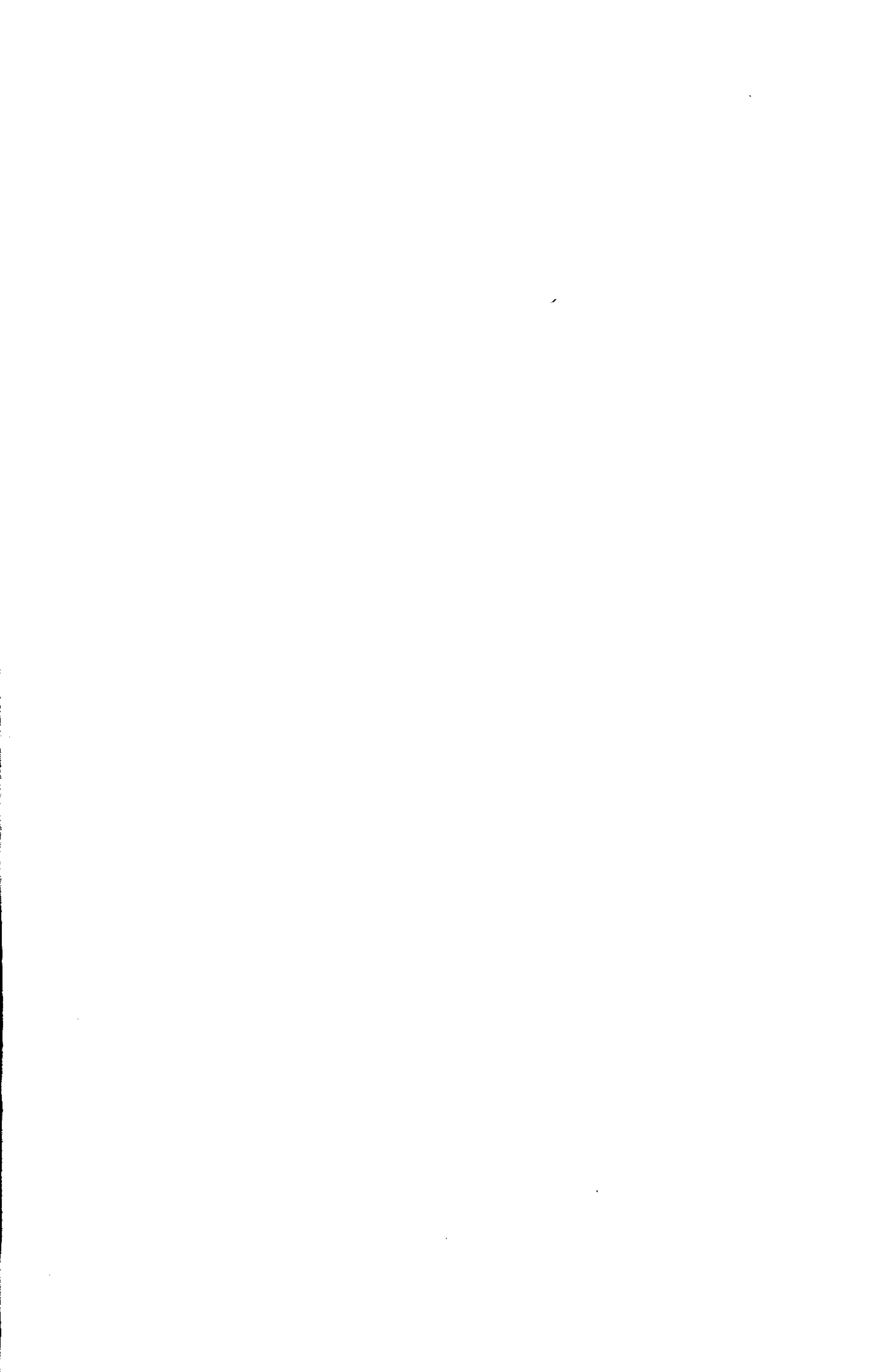
السيدجمال الدين الحسيني ـ الشيخ محمدعبده

العروة الوثقى

اعدادو تقديم :

سيدهادى خسروشاهى

بسم الله الرحمن الرحيم



السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني
الشيخ محمد عبده



إعداد وتقديم
السيد هادي خسروشاهي

الآثار الكاملة

(١)



المجمع العالمي للتقريب
بين المذاهب الاسلامية ـ طهران



مركز البحوث الاسلاميه ـ قم

العروة الوثقیٰ

السيد جمال الدين الحسيني (الافغانی)

الشيخ محمد عبده

اعداد و تقديم: سيدهادی خسروشاهی

(طبعة مزيدة بالفهارس)

الطبعة الثانية: ١٤٢١ هـ ـ العدد ـ ٢٠٠٠ نسخة

العنوان: ايران ـ طهران: مجمع جهانی تقريب مذاهب اسلامی. بزرگراه رسالت، مقابل ضلع شمالی مصلی مجتمع امام خمينی(ره) ساختمان شماره ١٢. تلفن: ٨١٥٣٢٦٣ ـ فاكس: ٨٨٤٨٩٧٤

الفهرست :

باب النتف والأخبار

جمال الدين الحسيني

حياته ونضاله

سيّد هادي خسرو شاهي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

حين تغفو بعض الأمم لفترة من تاريخها يعبث بمصيرها أبالسة جهنم وزبانية سقر ولا تستفيق حتىٰ يمنّ الله عليها برجال يعرفون الحق ويتّبعون سواء السبيل حاملين في أعناقهم رسالة تدعو الىٰ الاصلاح والتوحيد للنهوض بهذه الأُمة من جديد، محاولين تخليصها من تسلّط العتاة وتحكّمهم وتجبّر المستكبرين واستعلائهم معيدين لهذه الشعوب تصورها الصحيح للعقيدة عبر صراع شديد وطويل مع الفئات الباغية، كي تستوي كلمة الحق وتعلو بعد ان تنهار المالك والعروش التي قامت خلال هذه المدة من الزمن .

وكلما بعث الله مبشّراً ونذيراً قام له مناوئون وكلما جاء رجل صالح هبّت لمحاربته زبانية من عبدة الطاغوت حتى اذا اكتملت الصورة بدا الصراع بين الخير والشر واضحاً مجسداً برجل بسيط مؤمن قد هداه الله الصراط المستقيم وبين مؤسسات وأجهزة وسلطات وعروش لايهمها سوىٰ عَرَض الدنيا ولا تحسب للآخرة أي حساب.

ولقد جاء التاريخ بأمثلة كثيرة وأنبت رجالاً كثيرين وشهد صراعات مريرة لا تنتهي بين الخير والشر. لا تنتهي لأنَ الحملة المسعورة التي يشنها الفجّار تبقى مستمرة حتىٰ بعد موت الصالحين،ويبقى همّ المستكبرين تحطيم الصورة المثلىٰ للقدوة

الصالحة كي لا يكون له أدنىٰ تأثير علىٰ الأجيال التالية بعد موته لذلك تعمد الفئة الباغية دائماً علىٰ تفتيت الأرضية الصلبة التي خلّفتها الدعوة لله وذلك من خلال التشكيك بصاحبها من جهة والافتراء والتزوير في أعماله وأقواله من جهة أُخرىٰ.

من هؤلاء واحد تعرّضَ في حياته لما تعرّض ويتعرّض بعد موته وفي الخمس سنوات الأخيرة من أيامنا الىٰ حملة افتراء منظّمة، تحاول النيل من تاريخه الجهادي وتراثه الفكري ومنهجه الاسلامي بالاستناد الىٰ معلومات ملفّقة ووثائق مزوّرة من جهة، وبالتشكيك في سلوكه السياسي وعلاقاته المتنوعة من جهة اخرىٰ.

لقد امتدت يد الاثم مرة اخرىٰ الىٰ العالم المناضل السيد جمال الدين الافغاني فحاولت ان تنسب الىٰ اسمه وأصله ومكان ولادته تشويهات ما أنزل الله بها من سلطان الىٰ درجة اصدار كتاب عنه تحت عنوان «ايراني غامض في مصر» !!.

ونحن في هذه المقدمة لا يهمنا علىٰ الاطلاق ان يكون الأفغاني من مواليد ايران أو افغانستان، لأن الحكم علىٰ الرجل يأتي من خلال جهاده الطويل وفكره السليم ودعوته المستمرة لتحقيق وحدة المسلمين.

ولكن يهمنا ان نعلن وبصراحة اسلامية بأنّ هذه الاقلام المحسوبة علىٰ الاسلام والمعنة في نبش تاريخ اعلام الثورة الاسلامية ـ وخاصة جمال الدين ـ لاتريد الا ضرب الصحوة الاسلامية ـ قبل تبديلها بالثورة الاسلامية ـ وفي كل مكان، ولكن كيف وبأي وسيلة ؟

فالهجوم علىٰ شخصية السيد جمال الدين الحسيني وجهاده، تحت ستار «الدراسة الاكاديمية» ! ثم تعريب ونشر أكاذيب الكاتبتين: الاميركية «نيكي كدي» والايرانية «هما ناطق» لا يأتي إلاّ لأجل تشويه سمعة السيد بين الشباب الثوري المسلم، فهم لايبغون إلا ان يقولوا لشباب مصر، جيل الشهيد سيد قطب وخالد الاسلامبولي، بأنّ الخط الجهادي ـ الاستشهادي ـ الذي تسيرون عليه ضد نظام الحكم ليس بأصيل بل انه يمتد الىٰ جذور «ماسونية» !!

وليقولوا للمسلمين في الباكستان والهند وافريقيا الشمالية، بأن اطروحة السيد، في الكفاح ضد المستعمر لا تمثل طموحاتكم في تحقيق العدالة الاجتماعية.

ويقولوا للمسلمين العرب والافغان بأن السيد كان شيعياً ايرانياً غامضاً ! وعلىٰ من يريد انتهاج درب جمال الدين أن يفهم انه يرتبط بحركة اسلامية غير سنّية!

ويقولوا للايرانيين، بأنّ السيد كان افغانياً سنيّاً ! فما بالكم بالاهتمام به وبافكاره ...؟! ولكن الاسئلة المتتالية، قد تبقى في ذهن الشباب، وفي كل مكان : اذا كان السيد ماسونياً فلماذا كانت تطرده الطواغيت ومن كل بلد ؟ واذا كان طائفياً فكيف كان مع الشيعة في ايران والعراق، ومع السنّة في افغانستان والهند ومصر و...؟ واذا كان ايرانياً طائفياً ! غامضاً، فلماذا كان يفكّر في وحدة المسلمين، واذا كان افغانياً سنيّاً فكيف يحرّض علماء الشيعة في ايران والعراق للقيام بالثورة ضد الطواغيت والاستعمار ؟ واذا...

والشباب، شباب الثورة الاسلامية يجيبون علىٰ هذه الاسئلة وغيرها بأنفسهم، رغم ما يكتبه «كتّاب السلاطين» :

فالسيد الحسيني لم يكن ايرانياً ولا افغانياً ولا مصرياً ولا عراقياً ولا... ولا... بل كان عالماً مجاهداً، اسد آبادياً وكابولياً واسلامبولياً ـ كما جاء في تواقيعه المتعددة ـ لأنه وقف ضد الطغاة في كل مكان وطالب باقامة الحكم الاسلامي والوحدة الاسلامية ودعا لنصرة المسلمين في افغانستان والهند ومصر والسودان.. وكان مصرياً وسودانياً أيضاً حيث واجه الاحتلال البريطاني لمصر والسودان (راجع مقالاته في العروة الوثقىٰ)، وقبل وبعد هذا كله فهو كان حسينياً كربلائياً، لأنه رفع راية الرفض ورفرف علم الحرية وقد تسلّمها منَ جده الشهيد الامام الحسين (ع) وبذلك كان السيد الحسيني اسلامياً يدافع عن كل العالم الاسلامي، ولأجل هذا فهو حيٌّ في ضمائر الشباب في كل من مصر والعراق وايران وافغانستان والهند وباكستان وتونس والمغرب... وفلسطين وفي كل خلية تنبض بالرفض لكل أنواع

التبعية والاستعمار.

أجل، ايها الاخوة !، سوف يبقى جمال الدين الحسيني الرمز الثائر بين الشباب، رغم الأقلام الفاسدة التي تريد اغتيال فكره وجهاده ـ بعد اغتياله جسدياً بواسطة عملاء الطاغوت ـ لتنتزعه من قلوب الشباب الثائر لأنه كان يرجو المسلمين بأن : «يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين» ولأنه كان يعلّم دائماً : «فلابد اذن من بعث القرآن وبعث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها على وجهها الثابت، من حيث يأخذ بهم الىٰ مافيه سعادتهم دنيا وآخرة..».

... يريدون اغتياله نهائياً، لأنه قال: «خير لون لراية الاستقلال دماء المجاهدين الأبطال» وهذا ما يخشاه الطواغيت ! وتريد الاقلام المرتزقة نفيه علىٰ الاطلاق والىٰ الأبد !..

.. واذا كان السيد الحسيني قد توفي دون تحقيق حلم الوحدة بين المسلمين، واقامة الحكم الاسلامي في البلاد، فإنّ الفكرة بقيت حيّة عند الضمائر الحيّة وكان لها الصدىٰ في قلوب الامة، حتىٰ نجحت الثورة الاسلامية الكبرىٰ في ايران، بقيادة الامام الخميني، وكانت الضربة القاضية القاسية لعروش كل الطواغيت والسلاطين وعَبَدَتهم، من الكتّاب والوعّاظ الذين كانوا ـ ولا يزالون ! ـ يعيشون في عالم الاضغاث والاحلام !...

* * *

واليوم وبعد مرور الذكرى المئوية لصدور جريدة «العروة الوثقىٰ» وهي المجلة الاسلامية العالمية الأولىٰ التي أصدرها الافغاني بالتعاون مع تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده، وكرد علىٰ حملات التشويه والافتراء، نعيد طباعة المجموعة الكاملة (١٨ عدداً) مع نبذة صغيرة عن حياة العالم المناضل وأفكاره، وذلك كهدية للعالم الاسلامي ودفاعاً عن الحق والعدل وخدمة للتاريخ.

العدد السادس عشر | السنة الاولى

مدير السياسة
جمال الدين الحسيني الافغاني
Directeur Politique
DJEMAL-ED-DIN EL-AFGHANI

ترسل الجريدة بلا مقابل الى جميع الجهات الشرقية مجانا

المحرر الاول
الشيخ محمد عبده
Rédacteur en Chef
CHEIKH MOHAMED ABDO

من شاء ان يبعث الينا بتحارير او رسائل في اي موضوع كان رغبة نشرها في الجريدة او الكتب الى امر مهم فليرسلها الى ادارة الجريدة بهذا العنوان
6, rue Martel, à Paris






جريدة سياسية ادبية
تصدر يوم الخميس

يوم الخميس في ١٦ رمضان سنة ١٣٠١ | ١٠ يوليه سنة ١٨٨٤

باريس في ١٠ يوليه

[illegible]

حياة الأفغاني ونضاله

في حياته كان مالئاً للدنيا وشاغلاً للناس، وبعدما يقرب من قرن علىٰ وفاته لم يزل بتوقّده وتوهجه مالئاً للدنيا وشاغلاً للناس. في حياته كان صديقاً للعامة، للفقراء، وكان قريباً من الحكّام والوجهاء والقادة، وبعد قرن علىٰ وفاته، لم يزل في صف الناس ـ عامة الناس ـ وان اختلف حوله القوم ومن يمثّلهم.

عاش حياته القصيرة محلّقاً كنسر شرقي، يطوف بالبلاد والحواضر، وطموحه يكاد يحيط بكل البلاد والحواضر، حمل هموم الأمة وكأنها عائلته الصغيرة، وعمل لمشروع نهضتها وصعودها في كل دقيقة من عمره وكأن ما يعمل له كان قاب قوسين أو أدنىٰ، ومات كأبطال الأساطير بعد ان اثقلته أحزان الاحباط والفشل والوحدة.

كان حراً شريفاً أبيّاً. ومما يثير الحزن انه مات متألماً وحيداً ولم يكن يدري ان مشروعه ما كان ينتهي بل كانت تلك بدايته فقط... أو لعلّه كان يدري.

ان الرجل الذي يدين له كل الاسلاميين اليوم من «ارخبيل الملايو» الىٰ «وادي الذهب» بأنه حامل بذرة البداية وحاضنها وناثرها في كل البلاد، انه السيد جمال الدين الأفغاني ـ الأسد آبادي.

■ الصقر المحلّق :

كان مولده في أسد آباد حوالي ١٨٣٨ م، وفي السنين الأولىٰ من عمره كان يجلس في النجف للدراسة وبعد خمس سنوات يعود الىٰ بلدته وفي نيته الذهاب للهند لإكمال دراسة العلوم والمعارف التي لم يستطع دراستها في العراق وقد سأله والده البقاء والاكتفاء بما تعلّم ولكن طموحه العظيم كان يدفع به الى قدره، قال : «انني كصقر محلّق، يرى فضاء هذا العالم الفسيح ضيّقاً لطيرانه ! وانني أتعجب منكم اذ تريدون ان تحبسوني في هذا القفص الضيّق الصغير».

كان القرن التاسع عشر قد بدأ في قطع سنوات نصفه الثاني حين بدأ جمال الدين رحلته الطويلة المرهقة، وكانت أوروبا قد سارت شوطاً هائلاً في مشروعها التصنيعي الداخلي ومشروعها الاستعماري الخارجي، لقد زحف الغرب الاستعماري على العالم فاحتل معظم اجزاء افريقيا والهند وشمال افريقيا الاسلامي ـ ما عدا ليبيا ـ وكان يطمح الىٰ ان يدمّر ما تبقىٰ من الوطن الاسلامي بتدمير الدولة العثمانية. وبالتالي بسط هيمنته علىٰ كل العالم القديم. وفي كلكتا حيث قضىٰ الافغاني حوالي العام في العلم والدراسة كان واقع الرحلة يحيط به من كل الجهات. وقد مضى من الهند الى جدة حاجّاً وهو في حوالي التاسعة عشرة من عمره ومنها الىٰ النجف وكربلاء ثم الىٰ بلدته اسد اباد والىٰ طهران ثم خراسان ومنها قرر التوجّه الىٰ افغانستان حيث استقر في كابول وبدأ حياته العامة هناك ـ كما يقول محمد عماره ـ ألف أول كتبه حول تاريخ افغانستان وقد كتبه بالعربية وسماّه (تتمة البيان في تاريخ الافغان).

كانت افغانستان في ذلك الوقت ميداناً للدسائس الانكليزية، حيث كان الاستعمار البريطاني يأمل السيطرة عليها باذكاء الصراع بين امرائها وشحن أحدهم ضد الآخر، وقد دخل الافغاني الىٰ حمىٰ الصراع الذي كان طرفاه حينها الامير دوست محمد خان، وثيق الصلة بالاستعمار البريطاني، والامير محمد أعظم

خان الذي كان معادياً للانكليز، وقد انحاز الافغاني لجانب المعادي للانكليز وكان ذلك أول موقف سياسي له وأول خيار واع لازمه حتىٰ نهاية حياته.

استمرت حياة الافغاني في افغانستان حتىٰ ١٨٦٨ م، اثناءها تولىٰ منصب الوزير الأول ـ كما يقال ! ـ في حكومة الامير محمد أعظم خان وخاض حرب ١٨٦٢ م ضد دوست محمد خان وجماعته، وقد انتقل التأييد الانكليزي بعد وفاته، الىٰ شير علي خان الذي استطاع اخيراً ايقاع الهزيمة في معسكر محمد أعظم وكان ذلك مقدمة الشدّة علىٰ الافغاني الذي عزل من كل مناصبه وعاش محاصراً مراقباً في كابول الىٰ ان وافقت الحكومة علىٰ طلبه بمغادرة البلاد مشترطة عدم ذهابه الىٰ ايران حتىٰ لا يلتحق بمحمد أعظم الذي كان يعيش منفياً فيها.

ولم يكن امامه من طريق إلا الهند حيث كان الانكليز يحتلون البلاد ويحتفظون له بملف عدائه ومحاربته لنفوذهم في كابول. ورغم استقبال العلماء والوجهاء وقادة الرأي من المسلمين الهنود له ورغبتهم في لقائه والالتفاف حوله وهو الذي سبقته اخباره اليهم إلا ان حكومة الهند البريطانية لم تكن مطلقاً على استعداد لتحمّل بقائه، وبعد أشهر فقط من وصوله الى الهند كان الانكليز يركبونه احدىٰ سفنهم المسافرة الى مصر سراً حتىٰ لا يثار الناس.

وفي العام ١٨٦٩ م وصل السيد جمال الدين الافغاني الى القاهرة، وكانت تموج يومها بالأحداث والتيارات، مابين اوروبا الزاحفة ببريق مدنيتها وصعودها المادي والاستانة حيث الانتماء التاريخي السياسي وحلم بقاء الاسلام والمسلمين، وما بين امة تريد حقوقها في الحرية الحقيقية والعدالة وقصر الخديوي المتردد بين الخوف على السلطة وأحلام الامبراطورية التي غذتها جغرافيا مصر ومركزها العظيم.

وفي القاهرة التفّ حوله الناس، من طلاب الأزهر الىٰ كبار رجال الدولة والسياسة ولكن مشروعه كان يتبلور في ذهنه والصقر المحلّق الساكن، روحه يدفعه

الىٰ موقع آخر، كان جمال الدين الافغاني قد بدأ يدرك آفاق أزمة الامة وتخلّفها وتكالب دول الغرب عليها ووجد ان الأمل في الاصلاح، ان كان مايزال هناك وقت لذلك ! لابد ان يبدأ من المركز من الاستانة.

وهكذا بعد أربعين يوماً فقط من الاقامة في القاهرة كان السيد جمال الدين يحمل كتبه التي رافقته الى كل محطات رحلته ويبحر الىٰ الآستانة عاصمة الدولة العثمانية، ولم يكن السلطان عبد الحميد قد تولّىٰ الحكم بعد.

وقد استقبلته الآستانة في البداية استقبالاً حاراً وعيّن هناك عضواً في «المجلس الاعلىٰ للمعارف» وبدأ نشاطه الواسع، ثقافياً بشكل أساسي وسياسياً بشكل ثانوي، وكان في محاضراته وندواته وأحاديثه يركّز علىٰ تحرير الاسلام من التواكل والفكر من الخرافة ويدعو الىٰ عقلانية الفكر الاسلامي وبرهانيته. ولكن الأمور لم تجرِ مجرىً حسناً، فقد بدأ الوهج الذي أحاط به يثير الحسد والغيرة في عاصمة كانت تعيش آخر مراحلها وقد تحوّلت من عاصة للقوة والفتح الىٰ مركز للتآمر والدسائس والاطماع من كل جهة.

وكانت محاضرته التي ألقاها في دار الفنون «مثل كلية للتكنولوجيا في وقتنا الحاضر» والتي تحدّث فيها عن «الصناعات» موضحاً أفكاره حول النهضة، كانت تلك المحاضرة بداية لعاصفة كبيرة كانت نذرها تتجمع حوله منذ زمن، وقد تطورت الأمور الىٰ ان انقسمت الآستانة الىٰ.معسكرين، أحدهما مع الأفغاني والثاني مع شيخ الاسلام الذي كان يمثّل السلطة الرسمية الدينيةِ في الدولة التي تسيطر عليها المتصوفة والفكر الصوفي منذ زمن بعيد. ومع اشتداد الهجوم عليه طلب منه السلطان مغادرة الآستانة لفترة مؤقتة ريثما يهدأ الضجيج المثار حوله، فغادرها ليصل القاهرة مرة اخرىٰ في آذار (مارس) ١٨٧١ م.

■ مؤازرة محمد عبده :

يقول الشيخ محمد عبده صديق جمال الدين ورفيقه وتلميذه لفترة طويلة من الزمن واصفاً مصر في تلك الفترة ووصول الافغاني اليها : «ان اهالي مصر قبل سنة ١٢٩٣ هـ ـ ١٨٧٧ م كانوا يرون شؤونهم العامة بل والخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلىٰ، ومن يستنيبه عنه في تدبير أمورهم يتصرّف فيها حسب ارادته .. ولا يرىٰ أحدٌ منهم لنفسه رأياً يحقّ له ان يبديه في ادارة بلاده.. أو ارادة يتقدّم بها الىٰ عمل من الاعمال يرى فيه صلاحاً لأمته، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم محكومون مصرفون فيما تكلّفهم الحكومة به وتضربهم عليه وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الامم الاخرىٰ سواء أكانت اسلامية أو اوروبية، ومع كثرة من ذهب منهم الىٰ اوروبا وتعلم فيها من عهد محمد علي الىٰ ذلك التاريخ الذي ذكرناه ١٨٧٧م لم يشعر الأهالي بشيء من ثمرات تلك الاسفار ولا فوائد تلك المعارف التي اكتسبها، ومع ان اسماعيل باشا أبدع «مجلس الشورى» في مصر سنة ١٢٨٣ هـ ـ ١٨٦٦ م وكان من حقه ان يعلم الاهالي ان لهم شأناً في مصالح بلادهم وان لهم رأياً يرجع اليه فيها، لم يحسّ أحدٌ منهم ولا من أعضاء المجلس أنفسهم بأن لهم ذلك الحق الذي يقتضيه تشكيل هذه الهيئة الشورية..

.. هل كان يمكن لأحد ان يعمل على خلاف ما يؤمر به ! هل كان يمكن لشخص ان يميل بفكره عن الطريق التي رسمت له، أو الوجهة التي يتوجّه اليها الحاكم! لو حدثه الفكر السليم بأن هناك وجهة خير من ذلك ؟ هل كان يمكنه ان ينطق بما حدّثه به فكره؟ كلا فانه كان، بجانب كل لفظ نفي عن الوطن، أو ازهاق للروح، أو تجريد من المال.

.. وبينما الناس علىٰ هذا، لا كاتب ينبههم ولا خطيب يعظهم، اذ عرض أمر

قلما يلتفت اليه، وان كان مما جرت به السنّة الالهية في كل زمان.

جاء الى هذه الديار في سنة ١٢٨٦ هـ رجل غريب بصير في الدين، عارف بأحوال الامم واسع الاطّلاع، جمّ المعارف جريء القلب، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الافغاني، اشتغل بالتدريس لبعض العلوم العقلية.. وكان طلبة العلم يتنقلون بما يكتبونه من تلك المعارف الى بلادهم ايام البطالة، والزائرون يذهبون بما ينالونه الىٰ احيائهم، فاستيقظت مشاعر، وانتبهت عقول، وخف حجاب الغفلة».

■ أخصب السنوات :

في مصر أمضىٰ جمال الدين أخصب سنوات حياته وأكثرها انتاجاً واثراً، فقد اهتم بالاسلام علماً وتراثاً وكشف امام من التفوا حوله واستمعوا له قيمة ان يبعث تراث الامة في عصرنا المزدهر من جديد، وقيمة ان تتمثل الامة تاريخها وتراثها لتنهض في مواجهة الاستعمار الغربي، وقد أدرك ان حالة الهبوط والانحطاط قد أصابت كل ادوات الحضارة بما فيها اللغة واسلوب الخطاب. ومن حول الافغاني نشأت لغة جديدة وبلاغة جديدة، وفي فترة قصيرة أخذ أصدقاء وتلاميذ جمال الدين يصدرون الصحف والمجلات التي أثّرت تأثيراً كبيراً في الحياة الفكرية والسياسية في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد بدأ العمل باصدار صحيفة «مصر» التي ترأس تحريرها أديب إسحاق ثم «التجارة» باسم إسحاق وسليم النقاش معاً، و «امرأة الشرق» التي أصدرها تلميذه ابراهيم اللقاني.

وكان الافغاني يدرك ان حسم قضية مصر لن يكون في نهاية الامر الا باستنهاض شعب مصر، وفي كل ندواته ومحاضراته كان يوجّه حديثه مباشرة

للمصريين، كل المصريين، لأن يقفوا من أجل حقوقهم ضد طبقة المترفين من الشراكسة وباقي المماليك وان يعوا اطماع المستعمر الاوروبي التي كان يراها تهدد كل مستقبل مصر. وبعد زمن قليل كان الافغاني يؤسس أول وأهم أحزاب مصر الحديثة، «الحزب الوطني» الذي ضم معظم وجوه الرأي والفكر وأحرار السياسة والجيش في مصر. وقد كان هذا الحزب هو الأب الشرعي لثورة عرابي عام ١٨٨١ م.

ولكن قنصلي الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا أدركا بعد زمن قصير أي عاصفة تلك التي تتجمع تحت عباءة السيد جمال الدين، وبدأت حملة من الدسّ والتحريض لدى الخديوي توفيق الذي لم يكن بحاجة الىٰ كثير من التحريض. فالرجل ـ الافغاني ـ كان خطراً علىٰ مصالح الاستعمار الاوروبي بالدرجة نفسها التي كان يشكّل فيها خطراً علىٰ أدوات الاستعمار، ولم تكن تجربته في افغانستان ببعيدة عن أذهان كل الأطراف.

وفي ليل حار من ليالي القاهرة في ٢٤ آب (اغسطس) ١٨٧٩ م اقتيد الافغاني وحيداً من امام منزله الى مركز الشرطة، ومع أول شعاع للفجر أخذ الىٰ قطار السويس، وفي ميناء المدينة أُركب أول سفينة مغادرة بر مصر. في القاهرة كان الخديوي ورجاله يغطون فعلتهم بسيل من الاتهامات والطعن في ظهر الرجل الذي كان قبلها بأيام قليلة فقط نجم مصر في الفكر والسياسة. كان ما حدث في ذلك الصيف القاهري الحار انقلاباً حقيقياً قامت به السفارات الاجنبية والقصر على قيادة الشعب المصري الجماهيرية لاجهاض حركته المتوقعة، ولكن الانقلاب لم يكن كاملاً، فبعد عامين فقط كان تلاميذ الافغاني يتصدّون لتوفيق ويضيئون تاريخ مصر الحديثة في ثورة عرابي.

وصلت سفينة الافغاني الى بومباي التي قضى فيها حوالي العامين عاملاً بجهد لا يوصف من أجل توثيق علاقاته بكل القوى والفعاليات السياسية في البلاد، وعندما بدأت الحركة العرابية في مصر ضيق عليه الانگليز الحصار خوفاً من ان تؤدي اتصالاته الى تصعيد في الحركة، وقد نقل من بومباي الى كلكتا وعندما وصلته اخبار فشل العرابيين في مصر واحتلال الانگليز لأرض الكنانة بدأ مشروع الافغاني الكبير في النضوج، والذي تمثل فيما بعد بتشكيل اسلامي عالمي تحت اسم «العروة الوثقى» ضم الكثير من قادة ورجال الامة الاسلامية في العالم.

■ الهجرة الى باريس:

اختار الافغاني في تلك الفترة باريس مركزاً لنشاطاته السياسية بسبب عوائق وقفت في وجه نشاطه السياسي في غيرها. اذ كانت مصر البلد الاسلامي الوحيد الذي يحظى بحرية الصحافة وتتركز فيه النشاطات الثقافية والسياسية، فقد احتلها الانگليز ابان الثورة العرابية العام ١٨٨٢ م واعتقلوا المفكرين والثوار وسجنوا منهم بعضاً ونفوا البعض الآخر واغلقوا الجرائد والصحف وحجروا على الحريات العامة.

واما الهند فقد كانت مستعمرة بريطانية منذ العام ١٨٥٧ م وغير ملائمة لأي حركة موقظة. وفي طهران لم يستطع الشاه ان يحتمل آراء جمال الدين الثورية. واما اسطنبول وبالرغم من وجود اصدقاء ومريدين للافغاني كانت هنالك تيارات وشخصيات عديدة لم تسمح له بحرية العمل.

كما أن البلدان الأُخرى فقد سقطت اما القسم الآخر فقد سقط تحت الحكم الاستبدادي، ولم يبق للافغاني خيار الا ان يسافر الى اوروبا لكي يستأنف من

هناك نشاطه وكان طبيعياً ان يختار الافغاني باريس، وليس لندن حيث كان كفاحه السياسي الرئيسي موجهاً ضد الانكليز واستبدادهم وجرائمهم في البلدان الاسلامية.

وصل الافغاني الى باريس بعد عام من فشل ثورة عرابي في مصر، والتحق به تلميذه وصديقه محمد عبده، الذي كان منفياً في بيروت. وفي غرفة صغيرة على سطوح احدىٰ عمارات شارع «مارتل» اصدر الافغاني مع صديقه عبده الاعداد الاولىٰ من الجريدة التي تركت بصماتها على كل ذلك الجيل والتي أخذت اسم الجمعية السرية (العروة الوثقىٰ) التي سبق للافغاني ان أسسها واختار اعضاءها من صفوة المفكرين الملتزمين من مختلف البلدان الاسلامية ومن اصدقائه ومريديه.

وقد أخذ اسم الجمعية من الآية القرآنية الكريمة : (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها**) ويدلّ اسم الجمعية علىٰ أهدافها الوحدوية الاسلامية، وعلىٰ تمسكها بالدين ونضالها ضد الطواغيت. وكان اهتمام الجمعية موجهاً للدفاع عن حقوق الشعوب المسلمة وبصورة خاصة عن المصريين بعد ان احتل الانكليز بلدهم. يقول الافغاني، «ان الحالة السيئة التي أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموماً. ان مصر تعتبر عندهم من الاراضي المقدسة ولها في قلوبهم منزلة لايحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الاسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين فان كان هذا الباب أميناً كانت خواطر المسلمين مطمئنة علىٰ تلك البقاع». وحاولت الجمعية كذلك ان تتصل ببعض السياسيين الاوروبيين لحفظ حقوق المسلمين «ان الجمعية قد عقدت الروابط الأكيدة مع الذين يتململون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من أهل اوروبا». واما سرية الجمعية فقد كانت أمر فرضته عليها الظروف السياسية في الشرق حينذاك.

العروة الوثقىٰ

فجر الصحافة الاسلامية

وحصل ان اتفق أعضاء جمعية العروة الوثق علىٰ اصدار جريدة عربية كما تشير المقالة الافتتاحية للجريدة : «واختاروا ان يكون لهم في هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم وهو اللسان العربي وان تكون في مدينة حرّة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بثّ آرائهم وتوصيل أصواتهم الىٰ الأقطار القاصية تـنبيهاً للغافل وتذكيراً للذاهل».

وقد كُتب علىٰ غلافها : (بسم اللّه الرحمن الرحيم. العروة الوثقىٰ لا انفصام لها).

مدير السياسة جمال الدين الحسيني الافغاني.

المحرر الأول : الشيخ محمد عبده.

ترسل الجريدة الىٰ جميع الجهات الشرقية.

من شاء ان يبعث الينا بتحارير أو رسائل في أي موضوع كان، رغبة نشره في الجريدة أو التنبيه علىٰ أمر مهم فليرسلْها الىٰ ادارة الجريدة بهذا العنوان : .6RuemartelaParis

■ مساهمات القادة السياسيين :

وتشير بعض المصادر الىٰ مساهمة سعد زغلول باشا (١٨٥٧ ـ ١٩٢٧) في العمل. كما انه توجد في بعض الوثائق الأُخرىٰ اشارة الىٰ مساهمة ابراهيم المويلحي (١٨٤٦ ـ ١٩٠٦). ومن المعروف ان الافغاني ترك حقيبة من الوثائق والأوراق عند صديقه الحاج محمد حسن أمين الضرب في احدىٰ رحلتيه الىٰ طهران. وقد نشرت جامعة طهران قسماً من هذه الوثائق قبل سنوات. وتوجد ما بين الوثائق مقالة بقلم الكاتب المصري ابراهيم المويلحي، حوالي العام ١٨٨٦ م حيث يشير فيها المويلحي الىٰ وصوله الىٰ الأربعين من العمر، ويتحدّث في مقاله الىٰ خلافه مع رياض باشا الذي أجبره علىٰ ترك مصر والاقامة في اوروبا. وفي العام ١٨٨٣ م كان يعيش في ايطاليا وهناك سمع خبر قدوم الافغاني الىٰ باريس . وكانت بينهما صداقة وطيدة في مصر. ويقول : «بعد ان سمعت ان الافغاني قد جاء الىٰ باريس من الهند كتبت اليه واتفقنا ان ننشر جريدة العروة الوثقىٰ».

والظاهر ان المويلحي كغيره من أصدقاء ومريدي الأفغاني كان عضواً في جمعية العروة الوثقىٰ، ولم تكن له مساهمة مباشرة مستمرة في المجلة. ولم تكن هيئة تحرير المجلة تضم إلا الأفغاني وعبده ومترجم، كما يشير الىٰ هذا محمد رشيد رضا في «تاريخ الاستاذ الامام» بقوله : «لم يكن محرر سواه إلا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الاوروبية ويلقيها الىٰ الشيخ ليصححها وينفخ فيها روح البشر».

■ توزيع الجريدة مجاناً :

كانت الجريدة ترسل الىٰ البلدان الاسلامية مجاناً، وقد كتب في الصفحة الأُولىٰ من كل عدد : «ترسل الجريدة الىٰ جميع الجهات الشرقية مجاناً. وقد عينت أُجرة البريد خمسة فرنكات في السنة لمن تسمح بها نفسه». وكذلك ذكر محرر

الجريدة في مقالته الافتتاحية في العدد الأول : «(ان المجلة) ترسل الىٰ الذين نعرف اسماءهم مجاناً بدون مقابل ليتداولها الأمير والحقير والغني والفقير ومن لم يصل الينا اسمه فما عليه إلا ان يكتب الىٰ ادارة الجريدة بالاسم المعروف به ومحل اقامته علىٰ النهج الذي يريده».

وكان المصدر المالي للمجلة يأتي من جمعية العروة الوثقىٰ. وقد تساءل بعض الباحثين عن احتمال ان يكون السلطان العثماني قد أرسل مساعدات للمجلة، لأن المويلحي يقول في ترجمته الذاتية «وأنشأ الأفغاني الجريدة في باريس ودافع عن حقوق الدين ودعا المسلمين للوحدة بأسم أمير المؤمنين (أي: الخليفة العثماني) وأبغض هذا الخديوي». والظاهر انه لم تكن هناك مساعدة مباشرة من الاستانة رغم ان السياسة الوحدوية الاسلامية للمجلة تصب لصالح السلطان. ومما يؤيد ذلك كثرة المشاكل المالية التي واجهت المجلة بعد ثمانية أشهر وأدّت الىٰ توقف نشرها.

■ مكانة «العروة» :

صدر العدد الأول من العروة الوثقىٰ في يوم الخميس ١٣ آذار (مارس) العام ١٨٨٤ م (١٥ جمادي الأولىٰ ١٣٠١ ها) واستمرت حوالي ثمانية أشهر حتىٰ توقفت بعد صدور العدد الثامن عشر والأخير منها في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٨٨٤.

برغم اعدادها القليلة وفترة حياتها القصيرة فقد احتلت العروة الوثقىٰ في تاريخ الحركة والصحافة الاسلامية الحديثة مكانة مرموقة لم تصل اليها أي جريدة حتىٰ الآن. فقد كانت الصحيفة الاسلامية الوحيدة التي حققت لنفسها عالمية الانتشار اذ كانت توزع في مختلف انحاء العالم من مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وايران والىٰ افغانستان والهند. وبفضل انتشارها الواسع استطاعت العروة

الوثقىٰ ان تبلغ رسالتها الايقاظية الىٰ مختلف الشعوب المسلمة في أقاصي العالم وأدانيه. وكانت في عصرها أعظم صحيفة اسلامية وعربية وأعمق تأثيراً حيث تجاوز مدىٰ تأثيرها زمن نشرها القصير بل وقرنها كلّه. ولدرجة تأثير العروة الوثقىٰ علىٰ العقول يكفيك ان َنشير الىٰ قصة محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) منشيء مجلة «المنار» والتحوّل الذي أحدثته العروة الوثقىٰ في نفسه بحيث غيّرت مسيرة حياته. كان محمد رشيد رضا في مطلع شبابه متزهداً متصوفاً وفي العام ١٨٩٣ م وعمره ٢٨ سنة رأىٰ في محفوظات والده بعض نسخ «العروة الوثقىٰ». ويصور هو نفسه ذلك الانقلاب الروحي الذي اعتلج في داخله بقوله : «فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي الهزّة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طور الىٰ طور ومن حال الىٰ حال. وكان الأثر الأعظم لتلك المقالات الاصلاحية الاسلامية ويليه تأثير المقالات السياسية في المسألة المصرية». ويقول رشيد رضا «ان الاسلام ليس روحانياً اخروياً فقط بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي من مقاصده هداية الانسان الىٰ السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل».

أُنشئت العروة الوثقىٰ لهدف ايقاظ الشعوب الشرقية عموماً والمسلمين خصوصاً والدفاع عن حقوقهم والتنبيه الىٰ خطط المستعمرين وتدخلاتهم في البلاد الاسلامية والدعوة الىٰ المقاومة. وتشير المقالة الافتتاحية للعروة الىٰ سياسة الجريدة قائلة : «ستأتي في خدمة الشرقيين علىٰ ما في الامكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت.. وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التي شغلت أوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد.. وان الظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين واسلافهم وهي ما تمسك به أعزّ دولة أوروبية وأمنعها.. وتنبه علىٰ ان

التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية. وتهتم بدفع ما يرمى به الشرقيون عموماً والمسلمون خصوصاً من التهم الباطلة التي يوجهها اليهم من لا خبرة له بحالهم ولا وقوف علىٰ حقائق أمورهم وابطال زعم الزاعمين ان المسلمين لا يتقدمون الىٰ المدنية ماداموا علىٰ أصولهم التي فاز بها آباؤهم الأولون.. وتراعي في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة في أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها».

انطلاقاً من هذه الأهداف، تناولت الجريدة خلال أعدادها موضوعات عدّة كان من أهمها:

١ ـ المقاومة ضد الاستعمار الأوروبي وخاصة البريطاني: تحكي الجريدة عن جرائم الاستعمار في الهند ومصر وتثير المسلمين ضده وتدعوهم الىٰ المقاومة والجهاد «ان السعي لاعلاء كلمة الحق وبسط الملك وعموم السيادة واجب المسلمين. فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف إلا وهي داعية اليه جاهرة بمطالبة المسلمين بالجدّ فيه حاظرة عليهم ان يتوانوا في اداء المفروض منه» «يا ايها المصريون هذه دياركم وأموالكم وأعراضكم وعقائد دينكم وأخلاقكم وشريعتكم قبض العدو علىٰ زمام التصرف فيها غيلة واختلاساً..». والىٰ جانب ذلك كان هناك انتقادات عديدة للسياسيين ورجال الدين المصريين كالشيخ الميرغني الذين نادوا بوجوب طاعة الانگليز وبترك المقاومة، كما تنتقد الجريدة السياسيين العملاء وغير الوطنيين كتوفيق باشا ونوبار باشا. ويتحدّث الأفغاني عن حركة المهدي في السودان وجهاده ضد الانگليز ويؤيد مواقف المهدي وصموده ضد الاستعمار ويهاجم بلا تردد السياسة البريطانية والحاكم الانگليزي للسودان غوردون ويدعو الدولة العثمانية ألاّ تشارك بجيش مع الانگليز ضد المهدي، ومن المعروف ان بريطانيا عجزت عن أن تنال من ثورة الافغاني وهجومه الرهيب علىٰ الاستعمار والمستعمرين رغم نفوذها فلجأت الىٰ سلاح المال والملك وأرسلت الىٰ

الأفغاني تدعوه لزيارة لندن لتسأله رأيه في حركة المهدي ولتحصل منه علىٰ فتوىٰ شرعية تناهضه بها ثم عرضت عليه عرش السودان قائلة : «انها تعلم مقدرته، وتقدّر رأيه حق قدره، ولأنها تريد ان تسلك مع الحكومات الاسلامية مسلك المودة والولاء!» وكان مما قاله له اللورد سالسبوري حسب الوقائع الرسمية : «لذلك تصورنا ان نرسلك الىٰ السودان بصفة سلطان عليه فتستأصل جذور فتنة المهدي وتمهّد لإصلاحات بريطانية فيه».

ورفض الأفغاني ان يقع في الفخ البريطاني وسخر من العقلية الانگليزية قائلاً : «ان السودان ليس ملكاً لبريطانيا حتىٰ تتصرف في عرشه». ويذكر الأفغاني في عدد آخر رضى السلطان العثماني عن حركة المهدي.

٢ ـ الوحدة الاسلامية : وكانت من أهم المسائل التي اهتمت بها العروة الوثق. وقد دعت العلماء والشعوب الىٰ الوحدة وترك التعصبات الطائفية. «من الواجب على العلماء بحق الوراثة التي شرفوا بها ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية». «ان أقوىٰ رابطة تربط بين المسلمين هي الرابطة الدينية.. وما توجهت عناية الأفرنج الىٰ بثّ الأفكار السابقة (أي : الأفكار الاباحية والالحادية) بين أرباب الديانة الاسلامية إلا لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزّقوها إرباً وشُعَباً». «الميل للوحدة والتطلّع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين».

ويدعو الأفغاني المصريين الى الوحدة ضد عدوهم المستعمر ويدعو العثمانيين الى مساندة مسلمي الهند. كما انه يدعو الايرانيين والأفغانيين ان يتّحدوا ضد الانگليز. ان الوحدة الاسلامية عند الافغاني لم تكن قضية سياسية مرحلية فحسب، بل اعتبرها جزءاً من الأصول الاساسية التي يدعو اليها الاسلام وهي أمر ضروري سياسياً ودينياً وحضارياً : «هل آن الأوان ليصبح العالم الاسلامي من أدرنة الىٰ بشاور دولة إسلاميّة متصلة الأرض متحدة العقيدة يجمع أهلها القرآن..

أليس لكل واحد منهم ان ينظر الىٰ أخيه بما حكم الله من قوله: (انّما المؤمنون أخوة). فيقفون بالوحدة سداً يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب. لا التمس بقولي هذا ان يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً. فان هذا ربما كان عسيراً ولكن أرجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين.. ولكل ذي ملك علىٰ ملكه يسعىٰ بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته وبقاءه ببقائه».

٣ ـ أسباب تخلّف المسلمين : ناقشت العروة الوثقىٰ أسباب تخلف المسلمين وتحدثت عن بعضها، كتفرّق المسلمين وتشتّت قواهم وعقيدة بعضهم بالجبر وجهل الحكام وعدم المعرفة بحقائق الاسلام والتمسك بالأوهام وإهمال العلم. وانتقدت نظر الشرقيين الىٰ الغربيين : «ان نظر الشرقيين الىٰ الأوروبيين بغير الحقيقة جعلهم وهما وهم بهذا الظن يستسلمون لأعدائهم كرهاً ويجارونهم في أهوائهم نفاقاً». كذلك انتقدت بعض الأدباء المسلمين وشعرائهم لأنهم «يحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية.. ورجاؤنا فيهم ان يسلكوا مسالك أدباء الأمم المتقدمة. وان يأخذوا في منشآتهم وأشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخامدة ويحرّكون القلوب الجامدة ويحيون مكارم الشيم ويوردون الامة مورد سابقيها من الأمم».

وكما اعتقد الأفغاني وأصحابه ان الله جعل «بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها سنّة ثابتة لا تختلف باختلاف الامم ولا تتبدل بتبدل الأجيال والفضائل مثل الاستقامة في الرأي والصدق في القول والعدل والحمية علىٰ الحق والقيام بنصره والتعاون علىٰ حمايته..».

■ وتوقفت أخيراً :

ظهرت جريدة العروة الوثقىٰ في فترة حسّاسة كان الاستعمار فيها في ذروة كبريائه ومده، ونظراً الىٰ تأثيرها العميق الواسع علىٰ عقول المسلمين ومواقفها الاسلامية الصارمة ضد الاستعمار البريطاني فقد حاول الانكليز منذ البداية دفع

هذا الخطر الكبير. وحتىٰ قبل اصدارها بعد ان تبلورت فكرة نشر الجريدة أدرك الاستعمار عظمة الخطر. يحكي محرّر العروة الوثقىٰ: «عزمنا علىٰ انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محرري الجرائد الفرنسية فكتبوا عنها قبل صدورها غير متبينين لمشربها ولا كاشفين عن حقيقة مسيرها. فلما وقف علىٰ الخبر محرّرو الجرائد الانكليزية المهمة أخذتهم الحدّة واحتدمت فيهم نار الحمية وانذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة في سياسة الانكليز ونفوذها في البلاد الشرقية ولجوا في اغرائها وألحوا عليها ان تعدّ كل وسيلة لمنع الجريدة من الدخول الىٰ البلاد الهندية والبلاد المصرية بل تطرفوا فنصحوها ان تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها. كل هذا كان منهم قبل صدور أول عدد من جريدتنا».

■ عقوبة شراء الجريدة:

وبعد ان انتشرت الجريدة واكتشف الاستعمار مدىٰ تأثيرها، بدأ يخلق مشاكل عدّة. إلا انه لم يستطع منع طبعها في باريس وحاول ان يجد طرقاً اخرىٰ، وذلك بتعقّب قرائها واضطهادهم وكذلك منع دخولها البلاد. فأصدرت الحكومة الهندية البريطانية قانوناً يعاقب بموجبه من يحوز عدداً من العروة الوثقىٰ بالحبس لمدة سنتين وبغرامة مقدارها ١٠٠ جنيه. وكذلك ألزم الانكليز مجلس الوزراء المصري بإصدار قرار يمنع العروة الوثقىٰ من دخولها في البلاد المصرية كما ان حيازة الجريدة حسبت جريمة «وكل من توجد عنده العروة الوثقىٰ يغرّم مبلغاً من ٥ جنيهات الىٰ ٢٥ جنيهاً». وهذه العقوبات التي فرضها الانكليز علىٰ قرّاء العروة الوثقىٰ أوجدت خوفاً في قلوب المصريين حيث امتنع كثير منهم من استلام اعداد الجريدة كما يشير اليه محررها: «اننا نأسف غاية الأسف مما بلغنا من بعض المصريين من انهم يمتنعون عن استلام ما يُرسل بأسمائهم من أعداد هذه الجريدة خوفاً ورهبة مع أنهم أحقّ الناس بالاقدام علىٰ أمور عظام في هذه الأوقات. فإنّ الآمال في

خلاصهم قوية والوسائل اليه قريبة فكيف يصل ببعضهم الخوف إلىٰ الامتناع عن استلام جريدة هم أولىٰ بها من غيرهم إذ أهمّ ما فيها الدفاع عنهم».

ونجح الانكليز في معركتهم ضد العروة الوثقىٰ وبعد ان مُنعت من الدخول الىٰ الهند ومصر، لم تستطع الجريدة أن تصل الىٰ قرائها المشتاقين وتبلّغ رسالتها. وفرضت هذه الظروف عليها التوقّف. فتوقفت نهائياً بعد صدور العدد الثامن عشر في ١٦ / ١٠ / ١٨٨٤م / ٢٦ ذي الحجة ١٣٠١ هـ

ولكن المناضلين الأفغاني وعبده قالا : «لايعجزنا بثّ أفكارنا في البلاد الشرقية سواء كان بهذه الجريدة أو بأيّة وسيلة أُخرىٰ اذا دعا الحال فإنّ انصار الحقّ كثيرون».

يقول الأديب والعالم اللبناني الشيخ حسين الجسر (١٨٤٥ ـ ١٩٠٩) عن تأثير العروَة الوثقىٰ : «إنه ما كان أحد ليشك في أنّ جريدة العروة الوثقىٰ ستحدث انقلاباً عظيماً في العالم الاسلامي لو طال عليها الزمان..» وكان الزعيم العراقي سليمان الگيلاني يقول كلما شاهد عدداً من أعدادها : «يوشك ان تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة قبل ان يجيء العدد الذي بعد هذا!».

أفكار الأفغاني تعمّ الأُمّة

في ١٨٨٦ غادر جمال الدين باريس الىٰ ايران ومنها الىٰ روسيا ثم ايران ثم لندن لحوالي العام.

وفي سنة ١٣٦٠ هـ / ١٨٩٢ م عاد ثانية الىٰ اسطنبول، فوجد حظوة كبرىٰ لدى السلطان عبد الحميد الذي كان قد تولّىٰ الحكم في سنة ١٨٧٦ م، وكان قلقاً مهموماً وهو يدرك خطر أوروبا علىٰ السلطنة التي صمدت وحمت حدود الوطن لأكثر من ثلاثة قرون وقد جاء الزمن الذي طغت فيه سلبيات تكوينها علىٰ ايجابياته فيما أوروبا في أوج قوّتها وصعودها وانظارها تكاد تلتهم الدولة العثمانية بما فيها. كان عبد الحميد يدرك ان انقاذه وانقاذ البلاد لن يأتي إلا اذا استطاع ان يعيد توحيد الامة والبلاد حوله، توحيداً حقيقياً نهضوياً أكثر منه توحيداً سياسياً. وكان عبد الحميد يعرف تاريخ الأفغاني ونضالاته واتصالاته الوثيقة بكل اجزاء الوطن الاسلامي من أقصىٰ الشرق الىٰ أقصىٰ الغرب، وهكذا بدأت العلاقة القصيرة المضطربة بينهما.

الأفغاني من جهته كان مناضلاً واقعياً يدرك ما في الدولة العثمانية من سلبيات وعوامل تدهور، وكان يعرف أثر الارث التاريخي لالتفاف الأُمّة حول سلطانها، وحتىٰ قبل ان تبدأ علاقته المباشرة بعبد الحميد، كان واضحاً في «العروة الوثقىٰ» وهو

يبدي تأييده للسلطان ويدعو للالتفاف حوله في الوقت الذي كان يوجّه فيه الانتقاد لسلبيات الحكم وانحرافاته.

وفي الآستانة بعد قليل من وصوله بدأت الأمور تتكشف أمامه، كان عبد الله النديم الصحفي والأديب والثائر المصري قد سبقه منفيّاً من مصر الىٰ الاستانة وكان واحداً من تلامذته في القاهرة، أوضح له منذ البداية ان الأمور لن تكون بالسهولة التي يتصوّرها وان حاشية السلطان لاتحمل من الاخلاص لا اسماً ولا جوهراً وان مشاريعه لإعادة تشكيل النظام السياسي للدولة وآراءه في عقلنة الفكر وطموحه في توحيد الامة لن تجد اذناً صاغية، وان وجدت فلن تجد ارادة فاعلة.

كان عبد الحميد «طيب القلب كثير الأخطاء» وكان يحمل علىٰ ظهره كل الخوف وسلبيات تراث التآمر في عاصمة دولته في الوقت الذي كان فيه مؤمناً واعياً للأخطار التي تهدد الدولة. كان يستمع لجمال الدين من جانب ومن الجانب الآخر يجد العشرات من الداسين عليه وعلىٰ رأسهم أبو الهدى الصيادي الشيخ الصوفي السياسي، الذي كان شيخ طريقة وقريباً من السلطان ومن أكبر أقطاب التآمر في عاصمة الدولة العثمانية.

وشيئاً فشيئاً ورغم الجهد الهائل الذي بذله الأفغاني في الآستانة وعبر اتصالاته في الهند وايران ومصر لتوحيد بلاد المسلمين، إلا ان آماله في انجاز شيء حقيقي بدأت في التلاشي، لم يكن حماسه ولا ايمانه ولا طاقته هي التي نفدت، ولكن تهاوي المرحلة كان أكبر من عزمه وايمانه.

وفي العام ١١١٥ هـ / ١٨٩٧ م مات الأفغاني عن ٥٩ عاماً بعد ان كان النسر المحلّق داخله قد ذوىٰ منهكاً تعباً. وقد أُثير الكثير من الجدل حول وفاته، وقال البعض انّه مات مسموماً ولكن ذلك لم يعد ذا أهمية كبيرة الآن، فكيفية موته كانت مسألة صغيرة.. صغيرة أمام قانون موته الذي أوضح الىٰ أي درجة والىٰ أي حدّ كان من الصعب ان يوقف الانهيار.

■ تراثه الفكري :

لم يترك الأفغاني الكثير من التراث المكتوب وتكاد مصادره المعروفة اليوم تقتصر علىٰ كتابه الأول : «تتمة البيان في تاريخ الأفغان» وكتابه الثاني : «الرد علىٰ الدهريين» ومذكراته التي أملاهَا علىٰ تلميذه محمد المخزومي والتي طبعت بعنوان «تأمّلات الأفغاني» ثم مقالاته في العروة الوثقىٰ. ولكن ماسجّله الآخرون ممّن كانوا قريبين منه كان كافياً لنتعرف علىٰ طبيعة تفكيره، وكان من أهم هؤلاء ماكتبه رشيد رضا مؤرخاً لمحمد عبده وناقلاً عنه معرفته للأفغاني في كتابه «تاريخ الاستاذ الامام» ولكن الدراسات والأبحاث حول الأفغاني لم تتوقف حتىٰ يومنا هذا وتكاد لا توجد وثيقة حول حياته باقية ولم يتم كشفها.

وفي الردّ علىٰ الدهريين صوّب الأفغاني نقداً قاسياً ضد اتباع الفلسفة الطبيعية الانتقائية التي أخذ بها أحمد خان في الهند وكان قد التقاه فيها سنة ١٨٨٩، ولكن انتقاده كان أوسع من أحمد خان فقد هاجم أيضاً ديمقريطس وداروين وأنكر عليهم انكارهم لوجود الله تصريحاً أو تلميحاً.

وقد عمد الىٰ التدليل علىٰ الدور العظيم الذي لعبه الدين في المدنية والرقي الانساني. وقال الأفغاني ان الدين علّم الانسان وأعطاه طبيعته الروحية التي جعلته أشرف المخلوقات، مما أوصله الىٰ الترفّع عن الانقياد لميوله البهيمية والىٰ العيش بسلام مع أقرانه، وقال إن الأمة الاسلامية قامت أصلاً علىٰ أُسس دينية وخُلقية راسخة إلاّ أنّ قيام الدهرية (الفلسفة الطبيعية) في مصر وبلاد الفرس في القرن العاشر تحت ستار الاسماعيلية لم تلبث أن قوّضت أُسس العقيدة، وزرعت بذور الشك في نفوس المسلمين. وأكّد علىٰ «أنّ فقدان الشكيمة الخلقية لدى المسلمين كان أهم الأسباب وراء الضعف الذي دبّ في نفوسهم فاستطاعت جماعة قزم الأفرنج ان تكتسح بلادهم وان يقيموا فيها».

وقد وجّه الأفغاني كذلك مآخذ حاسمة الىٰ اتجاهات الفلسفة الأوروبية في عصره ابتداء من العدمية الىٰ الاجتماعية والاشتراكية. وقال أنّ هؤلاء «بحجة مساعدة الفقراء والضعفاء أرادوا الغاء الامتيازات الانسانية كافة وإباحة كل الممتلكات».

■ حوار مع المستشرقين:

وفي الردّ علىٰ المستشرق الفرنسي ارنست رينان عالج الأفغاني النقطتين الرئيسيتين في محاضرة رينان العنصرية: الأولىٰ: ان الديانة الاسلامية كانت ـ بما لها من نشأة خاصة ـ تناهض العلم. والثانية: ان العرب امّة غير صالحة بطبيعتها لعلوم ماوراء الطبيعة، ولا للفلسفة.

قال الأفغاني في مقالته التي نشرتها صحيفة «ديبا» الفرنسية في ١٩ ايار (مايو) سنة ١٨٨٣ م: «فاما عن النقطة الأولىٰ فان المرء ليتساءل بعد ان يقرأ المحاضرة عن آخرها، أَصَدَرَ هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها، أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم، أم أنّ أخلاق الشعوب التي اعتنقت الاسلام، وعاداتها وملكاتها الطبيعية هي جميعاً مصدر ذلك؟ لا ريب ان قصر الوقت المخصّص للمسيو رينان قد حال دون جلائه هذه النقطة.. فرؤساء الكنيسة الكاثوليكية المبجلون لم يلقوا اسلحتهم بعد، كما أعلم، وهم عاكفون علىٰ محاربة ما يسمونه بالتدليس والضلال (يعني العلم والفلسفة).

وقال عن النقطة الثانية: «صحيح أن العرب أخذوا عن اليونان فلسفتهم كما أخذوا عن الفرس ما اشتهروا به بيد ان هذه العلوم التي أخذوها بحق الفتح قد رقوها ووسّعوا نطاقها، ووضّحوها ونسّقوها تنسيقاً منطقياً، وبلغوا بها مرتبة من الكمال تدلّ علىٰ سلامة الذوق، وتنطوي علىٰ التثبيت والدقة النادرين، وقد كان الفرنسيون والانكليز والألمان لا يبعدون عن رومه وبيزنطة بُعد العرب عنها، وكان

من السهل عليهم ان يستغلوا كنوز علوم تلك المدنيتين ولكنهم لم يفعلوا، حتىٰ جاء اليوم الذي ظهر فيه منار المدنية العربية علىٰ قمة جبال البرانس يرسل ضوءه وبهاءه علىٰ الغرب فأحسن الأوروبيون اذ ذاك استقبال ارسطو بعد ان تـقمّص الصـورة العربية، ولم يكونوا يفكرون فيه وهو في ثوبه اليوناني علىٰ مقربة منهم».

■ العراك بين الشرق والغرب :

وفي حياة الأفغاني تصاعدت الاطـماع الاستعمارية الأوروبـية في الشرق الاسلامي، حيث أطلق علىٰ الدولة العثمانية لقب «الرجل المريض» وأصبح مصطلح «المسألة الشرقية» اشارة الىٰ التداول الدائر في العواصم الاستعمارية حول خططها واتفاقاتها ومشاريعها للهيمنة علىٰ المنطقة، ولكن الأفغاني كان يفهم المسألة الشرقية فهماً آخر، كتب يقول : «مختصر المسألة الشرقية، هي العراك بين الغـربي والشرقي، وقد لبس كل منهما لصاحبه درعاً من الدين..

إنّ فتح القسطنطينية، تلك العاصمة العصماء، من قِبل السلطان محمد الفاتح هي التي ولّدت الحقد في الملوك المسيحيين ضد المسلمين، وأخذت من ذلك الوقت تجمع كيدها وتحصر همها، لمناصبة الدولة العثمانية، وتـعمل عـلىٰ اذلالهـا وضـعضعتها، واخراجها من فتوحاتها الأوروبية بكل وسيلة، وفي كل سانحة وفرصة.

والأكثر في الحروب والتغلب، والانتصار فيها، انما يكون بالقوة والعلم، ولو انّ الدولة العثمانية راعت من يوم تأسست، أو من يوم ما استقلت بـه سـنة ٦٩٩، وراقبت حركات العالم الغربي، وجرت معه حيثما جرىٰ في مضمار المدنية والحضارة، وقرنت الىٰ فتوحاتها المادية، القوة العلمية، علىٰ نحو ما فعلت اليابان أقله، لما كان ثمة مسألة شرقية، أو لما ظهر ذلك التباين الذي لايثبت معه الحكم طويلاً، وهو تحكّم الجهل بالعلم، أو حكومات جهل تحكم حكومات علم، ولا يتسنىٰ اليوم للسـيف المجرّد ان يحكم بأمّة يدافع عنها مدافع العلم».

■ الاسلام والاستعمار :

وقال : «التزم الاتراك، والسلاطين العظام منهم جانب الدين، وكان علىٰ منصة المشيخة الاسلامية علماء أعلام، وفقهاء، وأجلاّء عاملون بحقيقة الاسلام وأحكامه، فعدلوا في الرعية، وامنوا من دخل في ذمّتهم، وسهّلوا لهم الصعاب، وحافظوا علىٰ جامعتهم من دين ولسان وعادة، فرضخ المستعمرون (بالفتح) من الطوائف النصرانية لقوة العثمانيين وعدلهم وعلمهم بالنسبة لجهل غيرهم في تلك الأعصر.

فظل النصارى في طاعة العثمانيين، وظلوا في كل المعاني رعية لهم مادامت تلك المؤهلات والصفات في الفريقين، القوة والعلم في الحاكم، والضعف والجهل في المحكوم. حتىٰ اذا انعكس الأمر وبان الجهل مصدر الضعف في الامة الحاكمة، وظهر العلم مصدر القوة في الأمم المحكومة، نهضت للتخلّص من ربقة الاستعباد لمن دونهم في العلم، واستبسلت في الرجوع لحكم ذاتها بذاتها. وقد سهّل عليهم كل صعب في هذا السبيل، اقرار الدولة لهم علىٰ جامعاتهم الكبرىٰ، من دين ولسان وتاريخ، تلك النعمة التي كانت وتكون علىٰ الدولة أكبر نقمة، ولا مناص لها من تحمّل أعباء ذلك، وهي سنّة الوجود».

وكان جمال الدين كبير الاهتمام بالتدهور والضعف العام الذي أصاب الدولة العثمانية وبلاد المسلمين وقد أشار الىٰ سببين رئيسيين أدّيا الىٰ ذلك الضعف : أولهما: «لو ان الدولة قبلت من يوم استقلالها، وعملت بالفكرة من عهد السلطان محمد الفاتح، أو السلطان سليم، بأن يتّخذ اللسان العربي وهو لسان الدين، لساناً رسمياً، وتسعىٰ بكل قوّتها وجهدها لتعريب الاتراك لكانت في أمنع قوّة وآمن حصن من الانتقاص والخروج عن سلطانهم، ولكنها فعلت العكس، اذ فكّرت بتتريك العرب، وما أسفهها سياسة وأسقمه من رأي، لأن تديّن الأتراك بالدين الاسلامي، علىٰ

جهل باللسان العربي، جعل لهم في القلوب منزلة .. فما قولك لو تعرّبت.. وزال داعي النفور والانقسام (بالتركي والعربي)..

■ **الحريات والشورىٰ :**

علىٰ أن دفاعه عن الحريات والشورىٰ ومشاركة جماهير الناس في الحكم وادارة البلاد، كانت السمة التي طغت علىٰ كل أفكار ودعوة الأفغاني في كل البلاد التي طافها أو أقام بها. يروي الأفغاني في خاطراته حواراً دار بينه وبين خديوي مصر اذ قال الخديوي : «إنّني أحبّ كل خير للمصريين ويسرّني أن أرىٰ بلادي وابناءها في أعلىٰ درجات الرقي والفَلاح، ولكن أكثر الشعب خامل جاهل.. ان دروسكم وأقوالكم المهيّجة ستؤدي بالشعب والبلاد في التهلكة».

فردّ الأفغاني بأدب : «ليسمح لي سمو أمير البلاد أن أقول بحرية واخلاص ان الشعب المصري كسائر شعوب العالم لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفراده. ولكن هذا لا يمنع من وجود العالم والعاقل أيضاً فبالمنظار الذي تنظرون به الىٰ الشعب المصري.. ينظر به لسموّكم !.. واذا قبلتم نصحي وأسرعتم لإشراك الأمّة في حكم البلاد فتأمرون بإجراء انتخاب نوّاب عن الأمّة تسنّ القوانين.. فان ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم».

وقد سأله شاه ايران غاضباً : «أيصحّ أن أكون يا حضرة السيد وأنا ملك ملوك الفرس كأحد أفراد الفلاحين؟».

فردّ الأفغاني : «اعلم ياحضرة الشاه ان تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستوري أعظم وأثبت مما هي الآن. لاشك ياعظمة الشاه انك رأيت وقرأت عن أمّة استطاعت ان تعيش بدون أن يكون علىٰ رأسها ملك، ولكن هل رأيت ملكاً عاش بدون أمّة ورعية».

وفي كل لقاءاته بالسلطان عبد الحميد، كان جمال الدين يحثّه علىٰ فتح

الأبواب من حوله وتوثيق علاقته المباشرة بالناس ويوضّح له الصلة الوثيقة بين الشورىٰ والقرآن وحكمة تنظيم أمور البلاد علىٰ أساس دستوري ثابت.

«لا ريب لو تيسر ذلك لكان اعادة عصر الرشيد للمسلمين ميسوراً وجمع شتات الممالك الاسلامية تحت لواء سلطان عادل همام، مثل الفاتح أو السلطان سليمان، أو السلطان سليم، غير عسير..».

وشرح السبب الثاني الذي كان يراه لا يقل في تأثيره عن الأول بأن جعلت القسطنطينية عاصمة للدولة، وهي أرض فُتحت حديثاً وليست في مركز الدولة و «لأن المستعمرة مهما عظم موقعها وطاب هواؤها، لا يصح ان تُتّخذ قاعدة أو عاصمة للملك، لأسباب أهمها : ان المستعمرة كالثوب العارية، قابل للاسترداد، والممالك لا تسقط ولا تتبعثر اجزاؤها إلا من ضعف السلطان في عواصمها، ومنها، بعد المستعمرة، علىٰ الغالب عن مجموع القوّة واحاطتها بأعداء الملك وأعوانه..».

■ الرؤية السياسية :

ومع ادراكه لفوات الأوان في اصلاح ما سبق من أخطاء، إلا انه كان يملك رؤية لتغيير واقع الحال، وكانت رؤيته تعتمد علىٰ فهمه التاريخي الواقعي والاجتماعي لبلاد المسلمين، وقد ذكر في تأملاته التي أملاها علىٰ المخزومي انه اقترح علىٰ السلطان عبد الحميد مباشرة، ان يعيد التشكيل الاداري للدولة العثمانية من ولايات الىٰ خديويات، بحيث يصبح العراق وشمال الشام خديوية، والمثلث الضام لدمشق وبيروت حتىٰ القدس خديوية، والحجاز خديوية اخرىٰ.. الخ. بحيث تتمتع هذه المناطق بما يشبه الادارة الذاتية كما كانت الأمور في مصر قبل الاحتلال البريطاني. وكان الأفغاني يرى ان هذا الوضع سينعش الأوضاع في أجزاء الدولة ويجعلها أكثر قدرة علىٰ التحرك والنهوض وان ذلك في النهاية قد يدفع بايران وأفغانستان الىٰ اللحاق بالاتحادية الاسلامية الناهضة.

ولكن عبد الحميد ـ كما يذكر الأفغاني ـ رفض الفكرة وأبدىٰ عدم قناعته بها.

لايمكننا ـ علىٰ الاطلاق ـ ان نقول، ان الأفغاني عاش حياة، وترك رؤية، صائبتين بلا أخطاء، فقد كان مثله مثل كل عظام التاريخ، أخذ قيمته من أن عموم مسيرته ورؤيته كانت صحيحة الىٰ حد كبير، وأنه حاول حتىٰ الرمق الأخير ان يحقّق ما آمن به.

لقد فهم الأفغاني جوهر الغرب الاستعماري فقاتل ضده بصلابة، في الهند ومصر واسطنبول وايران ومع الحركة المهدية في السودان وأدرك أهمية وحدة الامة من جديد فحمل راية الوحدة في كل قطر حلّ به وأمام كل حاكم التقاه.

وأدرك سرّ التخلف والتهاوي في العالم الاسلامي ولذا فقد كان نقدياً متقدّماً وحضارياً مبدعاً. كان بلا شك مدافعاً صلباً عن الحرية وعن دور الشعوب في ادارة شؤونها.

■ استاذ الرواد :

ويستطيع الباحث اليوم ان ينظر الىٰ القرن الأخير من تاريخ امتنا فيجد ان جيلاً بأكمله من روّاد النهضة الاسلامية الحديثة من محمد عبده الىٰ عبد العزيز جاويش وعبدالله النديم ومصطفى كامل كانوا جميعاً من تلاميذه، وان الثورة العرابية في مصر وثورة الدستور في ايران كان أثراً من آثاره، بل اننا نستطيع القول ان النهضة الاسلامية المعاصرة، من ايران الىٰ أفغانستان الىٰ مصر، تنتمي جميعها الىٰ الأفغاني انتماءً شرعياً.

وفي أوراقه التي وجدت بعد وفاته بسنين عديدة، كشفت بعض القصائد الشعرية التي كتبها جمال الدين ولم يهتم بنشرها في حياته وفي احداها يقول :

«طغاة ايران يحرقون

مني الجسد والروح

سأحزم امتعتي وأرحل
صوب أرض تركيا
أرحل مرهقاً حزيناً وشقيّا،
طالباً العدل
في محكمة السلطان
فان لم يخفف السلطان
عن قلبي المثقل
فسوف أرحل
طالباً العدل
في محكمة الله».

وقد مات السيد جمال الدين وحيداً في اسطنبول مع نهاية القرن التاسع عشر، تعيساً بائساً وكأنه ينظر الىٰ النهاية الآتية. كانت صرخاته أكبر من ان يستجيب لها عصره ومعاصروه.. فذهب، وبعده بسنوات قليلة كانت الدولة العثمانية كلّها تنهار وتذهب، وتنتهي بنهايتها مرحلة تاريخية بأكملها وليحتدم الصراع داخل الامة بين عشرات المتناقضات وهي تتجهز للمرحلة المقبلة.

الافتراء لتحقيق الاحتواء

هكذا كان السيد الأفغاني : رجل الثورة الاسلامية، في كل مكان يزرعها وفي كل قلب، له من كل حادثة عبرة، ومن كل وقت منطلق، وفي كل ساحة صراع مرير ضد عتاة الأرض وطواغيت البشر، وكل من تجلىٰ فيهم الكبر والاعتداء.

لقد ركّز السيد الشهيد علىٰ محور المشكلة التي كانت الأُمة تعانيها وتئن من آثارها وما كان هذا المحور إلا تشكيلاً من عنصرين وربما كان أحدهما عاملاً في خلق الآخر:

هذان العنصران هما التحريف في التصوّر، والميوعة في الاحساس وفي هاتين النقطتين كمن سر الداء العضال لهذه الأُمّة مما أورثها ضعفاً هائلاً في الثقة بالنفس، وتمييعاً فظيعاً في المواقف، وهزيمة نفسية أمام الغزو المعادي.

ومن هنا انطلق رحمه الله ليعيد للأُمة تصوّرها الصحيح عن العقيدة، وعن تلاحم العقيدة مع العمل، ويحرك فيها الاحساس الثوري المتفاعل مع العقيدة والمنطلق علىٰ أساسها.

وتكفي نظرة سريعة علىٰ أقواله وأفعاله وكتاباته وخططه لنحكم بالتالي علىٰ الرجل بأنه كان مسخّراً حياته للقضاء علىٰ محور الداء في هذه الأُمة، واقفاً نفسه لتطويق آثار الداء عاملاً علىٰ التوعية المطلوبة بهذه الآثار.

وفي هذا السبيل نسي السيد كل انتساب قومي أو عرقي أو نَسَبي أو أرضي ليحقق امتداده العالمي، وثار علىٰ التقاليد البالية التي منعت رجل العلم الديني من الخوض في غمار السياسة لينغمس كلياً في عالمها باعتبارها أحد الميادين الرئيسية التي يجب أن يجاهد فيها العلماء.

وراح يعلنها بالتالي دعوة كريمة، وصرخة مدوّية تدعو الىٰ الاصلاح والوحدة، وهما مفهومان يتلاحمان في شخصيته وسيرته ودعوته العالمية..

فاذا انضم لكل هذا الوعي الاخلاص فان من الطبيعي ان يتبعه التفاني والتضحية ونسيان الراحة، وكل ما يمتّ اليها وحينئذ يأتي النصر الالهي المؤزر لعباده الصالحين.

وهكذا كان الأمر، وسرت النيران لتعصف بالعروش في ايران وتركيا ومصر وهكذا تساقطت العروش الكرتونية التي حملت في أمخاخها العمالة والاستكبار، ومشت دعوة جمال الدين في الأفئدة الحرة لتصوغ مصلحين من أمثال محمد عبده هذا الرجل العظيم الذي خلد استاذه في كتاباته وأعماله معاً.

* * *

ومضىٰ الزعيم المسلم الىٰ ربّه بعد أن غرس الروح الثورية في مجمل الحياة الاسلامية لتتفرّع بعد ذلك بما يحقق أهدافه السامية.

وظن الاستعمار انه مات وماتت معه أفكاره، وربما ظن انه يستطيع أن يسخّر شخصيته لتغطية بعض عملياته هو، وراح يزرع عملاءه هنا وهناك آمناً.

إلا انه فوجئ بعد مدة بالعملاق الاسلامي يتحرّك فيهزّ الأرض تحت أقدام العملاء بل وينطلق من أرض كان يعتبرها جزيرة الأمان، من ايران الثورة فاذا بأكبر قلعة استعمارية تهتز، وأعتىٰ متكبر يسقط بكل حقارة في قمامة التاريخ.

وقد لاحظ ان هذه الثورة المباركة تحمل ملامح واضحة تتشابه مع ملامح شخصية الأفغاني ولكن بشكل أروع وأجلىٰ وأبعد تأثيراً.

إنها ثورة دينية يقودها رجل العلم الديني وتشعلها الجماهير المسلمة معلنة لزوم عودة التصوّر الصحيح الىٰ العالم الاسلامي كلّه، وضرورة بعث الحماس الاسلامي في كل قطاعاته وذلك لاستعادة الأمجاد الاسلامية الكبرىٰ.

وتستجيب الجماهير الاسلامية في كل مكان لهذه الانطلاقة وتتفاعل معها مما أفقده رشده وصوابه.

إلا أنّه بعدان استعاد صوابه راح يخطط لضرب الثورة في الصميم ومذ فشلت مخططاته لضرب الثورة راح يضرب تأثيرها ويحاول الفصل بينها وبين جماهيرها بشتىٰ الأساليب التشويهية.

وكان ضرب الأفغاني الثائر جزءاً من الخطة لتحقيق الأهداف الاستعمارية وذلك علىٰ يد العملاء الصليبيين والرجعيين والمغفلين المتعصبين.

وعدنا نسمع عن الرجل كل التهم تكال كيلاً حتىٰ ولو كانت في اطار ما يسمىٰ بالتحقيقات العلمية الموضوعية فاذا بالأفغاني البطل المتفاني يتحوّل الىٰ بابي، رافضي، بهائي، ماسوني، رجعي، قومي، مهادن للعملاء، يحب الشهرة، والمغامرة. بل راحت تتهم الشيخ محمد عبده بأنه كان يعلم الكثير عن استاذه إلا انّه أخفاه تقية !!

وهكذا نسيت كل مواقفه الرائعة في ايقاظ الشعوب والامة الاسلامية وأعرض هؤلاء عن الشهادات والأوسمة الحقيقية التي حملتها هذه الشخصية الرائعة، وعن الآثار العلمية والسياسية والحماسية التي تركها نوراً يضيء الدرب للأجيال، وعن الزهد الذي طبع مجمل حياته.

كل هذه الحقائق التي لا ريب فيها نسيت في سبيل تحقيق تلك المآرب الرخيصة.

■ قصة الحملة المسعورة :

اما كيف بدأت الحملة لتشويه صورة الأفغاني وكيف جرىٰ الاعداد لها فهو ما كشفته مصادرنا من خلال وثيقة مدوّنة نشرتها مجلة «الشهيد» الاسلامية نوردها مع بعض التصرف :

(إنه قرار المخابرات الاميركية.. الذي تنفّذه الأنظمة الرجعية بأموال شعوبهم المنهوبة التي يشترون بها الصحفيين والمزوّرين. والهدف (اسقاط شخصية السيد المجاهد جمال الدين الحسيني)، المعروف بالأفغاني.. وبالتالي اسقاط اعتبار الحركة الاسلامية المتصاعدة التي يعتبر السيد المجاهد أحد رموزها وملهميها..

ورغم اعتقادنا ان السيد المجاهد في قلوب الناس بجهاده وتاريخه الرائع.. إلا اننا نخوض في بعض تفاصيل هذه الحملة لكي تنكشف لنا وبصورة أوضح حقيقة دور الأنظمة الرجعية الحاقدة علىٰ الاسلام وقادته الرساليين.. وهذه احدىٰ جرائم هذه الأنظمة الرجعية التي لا تقل بشاعة عن جرائمهم الأخرىٰ، ضد شعوبهم المظلومة.

بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، وتنامي الوعي الاسلامي واتساع الصحوة الاسلامية في العالم، أخذت أقلام خبيثة ورخيصة، تصبّ كل جهودها في اطار كيل التهم والافتراءات علىٰ ماضي الشخصية الاسلامية الفذّة، الشهيد السيد جمال الدين الأفغاني.

وطبعاً تأتي هذه الاتهامات علىٰ صفحات مجلة أو كتاب يسبح بحمد طاغوت أو دكتاتور ملحد !...

فمجلتا (التضامن) و (المجلة) الناطقتان بالعربية، تتوليان هذه الحملة المزجاة ضد شخصية المفكر الاسلامي الشهيد جمال الدين الحسيني، فقد فوّضت أقلام عملاء الملوك والسلاطين كي تبثّ في سيرة السيد الحسيني..

وكاتب البحث أو المجلة كان أكثر خبثاً في اختيار عنوان البحث.. اذ ابتدأ في

عنونة البحث بعبارة «ايراني غامض في مصر» أو «المجلة تفتتح ملف الأفغاني» وهذه العبارة يشيع استخدامها في أزقة المحاكم وعلىٰ الملفات القضائية، فهو يحاول ان ينتقل بالقارئ المسلم عموماً الىٰ صلب بحثه، ولكنه يريد ان يوقفه علىٰ باب البحث المكتوب فوقها «المجلة تفتتح ملف الأفغاني» و «ايراني غامض» ليشعره لا أقل انه مدعو للدخول الىٰ قاعة محكمة رجل غامض! والمتهم فيها هو سيرة وأفكار السيد جمال الدين الحسيني.

اذن فالباحث منذ البداية لا نستطيع ان نتعهد فيه الصدق والامانة والنية الخالصة في نقل مشاهد عن حياة السيد الحسيني، وحتىٰ في ردّه علىٰ بعض مقتطفات من الكتب والبحوث التي كان يستعرضها، لم يقصد القربة الىٰ الله والدفاع عن السيد الجليل، بل لأن الوقائع الموجودة تخالف ما جاء في تلك الكتب والبحوث فهو لا يريد ان يقبل بها علىٰ علّاتها كي لا يضع نفسه موضع الاتهام بأنه ينساق مع ما ذهب اليه أعداء السيد الحسيني في كتاباتهم..

والبحث الذي قدمته المجلتان علىٰ حلقات وتبعه بعد ذلك عدد من التعليقات والتعقيبات.. في الحقيقة لا نستطيع أبداً ان نعتبره بحثاً، فهو عبارة عن اعادة الحياة الىٰ وثائق وكتب نشرت في العام ١٩٦٣ وما تلاه..

فالمجلتان أرادتا ان تعبثا بسيرة السيد الحسيني، انما عبر تسليط الأضواء علىٰ كتاب نشرته جامعة طهران العام ١٩٦٣، وعبر استعراض مجمل ما كتب عن السيد الحسيني، وكل هذه الكتابات كما تقول المجلتان كتبت بعد ظهور الكتاب الآنف الذكر الموسوم بـ«مجموعة أسناد ومدارك جاب نشده درباره سيد جمال الدين مشهور به أفغاني» وترجمته بالعربية «مجموعة وثائق غير منشورة تتعلّق بالسيد جمال الدين المشهور بالأفغاني».

والكتاب من عنوانه يطرح نفسه علىٰ انه مجموعة وثائق تخصّ السيد الحسيني.. اما الحقيقة، فان الوثائق ما هي الا افتراءات.

فعملية الطعن بسيرة السيد الحسيني حين صدر الكتاب كانت عملية مقصودة يمكن تبيانها من خلال النقاط التالية :

١ ـ تاريخ صدور الكتاب في العام ١٩٦٣، يكفي لأن يوضح حقيقة كذب الوثائق، فعام ١٩٦٣ شهد غلياناً اسلامياً داخل ايران أعقبه انتفاضة اسلامية عارمة قادتها الحوزة العلمية في قم بقيادة الامام الخميني، وكانت نتائج الانتفاضة التي سميت بانتفاضة ١٥ خرداد (حزيران ـ يونيو) تقديم خمسة عشر ألف شهيد وعشرات الآلاف من الجرحىٰ والمعتقلين، اما افرازاتها فانها ثبّتت الخط الاسلامي في قاموس نهضة الشعب الايراني المسلم، ضد حكم الشاه..

وكانت الانتفاضة الاسلامية هذه امتداداً لثورة الدستور وثورة التنباك الذي كان السيد الحسيني واحداً من قياداتها البارزين..

ولما كانت ثورة التنباك وثورة الدستور تغذي الشعب الايراني روح الثورة والنهوض خصوصاً بعد أحداث انتفاضة ١٥ خرداد (حزيران ـ يونيو)، ولما كان السيد جمال الدين الحسيني في مقدمة تلك الثورات وبالتالي فهو أحد ملهمي الانتفاضة الحالية وجذورها.. عمدت حكومة الشاه محمد رضا الىٰ اصدار الكتاب المذكوركي ترمي بذلك عدة أهداف بحجر.. فتشويه سمعة السيد الحسيني يعني الحاق التشويه بسمعة ثورتي التنباك والدستور، ويكون الهدف الآخر الأكثر مراداً هو تشويه قيادة الامام الخميني وانتفاضة ١٥ خرداد (حزيران ـ يونيو) التي هي قيادة السيد الحسيني وثورتا التنباك والدستور.

٢ ـ ان كل الكتابات التي كتبها كتّاب ايرانيون ومستشرقون، جاءت بعد اصدار حكومة الشاه لهذا الكتاب أو (الوثائق!)، بالاضافة الىٰ كل هذه الكتابات استندت الىٰ الكتاب المعني..

فهنا يأتي الشك، اين كانت الوثائق أولاً قبل العام ١٩٦٣ ؟ ولماذا الآن اين كانت كتابات المستشرقين والكتّاب الايرانيين الآخرين؟ ولماذا بعد ١٩٦٣ ؟! لماذا

الاستناد الىٰ كتاب «مجموعة وثائق غير منشورة» فقط من دون الاستعانة بكتب وبحوث اخرىٰ لكتّاب آخرين أو حتىٰ كتابات ومقالات السيد الحسيني ذاته ؟!

اذن.. فالعملية كانت مدبّرة ومستهدفة وإلا ليس من محض الصدفة ان تصدر كل الكتب المستندة الىٰ الكتاب المعني بعد عام ١٩٦٣، وكل كاتب من هؤلاء يأخذ أي وثيقة ليجعلها رأسمال للطعن بالسيد الجليل حتىٰ من دون تحكيم العقل أو لغة الكتاب والبحث، في وقت هناك بحوث وكتب صادرة قبل ١٩٦٣ لا تأتي بما أتىٰ به ذلك الكتاب !

المجلتان جاءتا لتنضما في صفوف أمثال هؤلاء الكتّاب مستفيدتين من الكتاب المذكور لتسيء الىٰ سمعة السيد الحسيني ولتزيد في اثبات ما هو منفي !، وانتقتا من الوثائق في حياة السيد الحسيني الذاتية فكيف بحياته السياسية ؟!، وحتىٰ من دون مراعاة لشعور المسلمين الذين يمجّون مثل هذه الافتراءات البعيدة عن الواقع.. ولكنها الحملة المسعورة ضد السيد الجليل التي يغيب عندها الضمير الحي !!

حينما تقرأ دراسة المجلتين أو قل استنساخ ما جاء في كتاب جامعة طهران وكتاب نيكي كدي الاميركية، ترىٰ انهما تحاولان ان تقولا للمسلمين ان السيد جمال الدين الحسيني لم يكن إلا العوبة بيد السلاطين والملوك.. ولم يكن يملك من أمره وارداته شيئاً..

في الواقع ان السيد الحسيني كانت له عدة علاقات مع هؤلاء السلاطين، ولكن علاقته كانت في نطاق اسداء النصح لهؤلاء السلاطين.. وحينما يصدر منهم الانحراف يقف بوجههم ليقوّم ذلك الانحراف، وعندما لا يذعن السلطان لذلك يأخذ السيد الحسيني بفضحه، وبعض هذه العلاقات كان السيد الحسيني يرتجي من ورائه خدمة الاسلام كطلبه من المسلمين مؤازرة سلطان الآستانة في تركيا ضد المؤامرات الانگليزية، اذ ما دام الخطر قادماً من الخارج وعلىٰ يد قوات صليبية ترمي من احتلالها للدول الاسلامية ضرب الاسلام فان الموقف يتطلب كما كان

يرىٰ السيد الحسيني ان لا يترك المسلمون نصرة سلطان الآستانة لئلا تقع الأُمة الاسلامية أسيرة الاستعمار والصليبية.

ولم يكن عمل السيد هذا بمنقصة انما كان الاسلام في خطر، وهذا الموقف يذكّرنا بموقف المرجعية الاسلامية في العراق عندما طلبت من المسلمين ان ينضموا ضمن صفوف القوات المسلحة العثمانية ضد قوات الغزو الاستعماري البريطاني، فالخطر علىٰ الاسلام كان داهماً..

أما عمله السياسي الجاد ضد الاستعمار البريطاني في مصر فإنّ المجلتين تحاولان ان تسدلا ستاراً كثيفاً عليه من خلال نقل مقتطفات من كتاب من تأليف كاتبة ايرانية وكاتبة اميركية، استندتا علىٰ كتاب ما سمي بالوثائق وبحث لكاتب مصري حاقد علىٰ الاسلام والمسلمين فكيف بالسيد الحسيني ؟!

فالكاتبتان تقولان : «يخطئ المرء إذا أراد أن ينسب إلىٰ جمال الدين مذهباً، وأنّ فيه عقيدة متجانسة..» ورغم هذا التحامل الشديد علىٰ السيد الجليل والتقليل من شأنه، بحيث اتهمتاه بالعلمانية والتعامل مع الانجليز وصلته بحركة البابية المنافية لعقائد المسلمين، فان كاتب البحث في «المجلة» مثلاً يأتي ويثمّن جهودهما فيكتب: «ومع ان المؤلفة لم تطّلع علىٰ كتابات الأفغاني في الصحف المصرية، واكتفت بما كُتب عنه بالعربية، ومع انها أيضاً أوجزت الفصل الخاص بآرائه وفكره، واعتمدت علىٰ كتاباته الفارسية والفرنسية أساساً، فكتابها يقدّم دراسة موضوعية حتىٰ لو اختلفنا معها كثيراً» !!.. وأيّة موضوعية هذه اذا كانت مراجع كتابها وثائق مبتورة حيكت في أروقة وكالة المخابرات ؟!

ولكي يزيد كاتب «المجلة» في طعن السيد الحسيني ينقل عن ذلك الكاتب الصليبي الأميركي الجنسية قوله في الحسيني : «وأهم من كل هذا أنه بنىٰ لنفسه وبنيت له في مصر اسطورة حتىٰ غدا الناس في مصر يقدّسونه دون أن يقرأوا له ويضعونه فوق مستوىٰ النقد..» ولكن الشمس لا يضيرها أبداً سحابة كثيفة، فالعين

لايمكن لها ان تنكر وجودها.. والسيد الحسيني الشمس التي تحاول بعض الكتابات العائمة ان تغيّبها.. إلا أن الشمس أقدر علىٰ إذابة هذه السحابات الداكنة ..

لقد أعار السيد الحسيني لله وللشعب المصري المسلم نفسه ووقته وجمجمته، اذ لم يرتح له بال وهو يحس باقدام الاستعمار البريطاني توغل في صدره، فانطلق يحرّض الشعب المصري المسلم علىٰ الثورة والانتفاضة ضد الاستعمار البريطاني فراح ينادي في أهل مصر.. «فيا أيها المصريون هذه دياركم وأموالكم وأعراضكم وعقائد دينكم وأخلاقكم وشريعتكم قبض العدو علىٰ زمام التصرف فيها غيلة واختلاساً، زحف العدو اليكم تحت راية المحبة، ثم قلب لكم ظهر المجن، وتناول بيده الظالمة شؤونكم العامة، من عسكرية ومالية وادارة وقضاء، ولم يُبقِ لكم شيئاً إلا الحرمان من خدمة أوطانكم، وأنتم أحقّ بها وطالما دافعتم عنها في الأيام السابقة..».

وفي المقال الافتتاحي، لأول عدد من جريدة (العروة الوثقىٰ)، يصوّر جمال الدين حادث الاحتلال البريطاني لمصر علىٰ انه كارثة علىٰ العالم الاسلامي، وقد أهاب المسلمين ـ بباعث من دينهم ـ ان يتكاتفوا لدفع بلاء هذا الاحتلال..

يقول :

«.. ان الخطر الذي ألمَّ بمصر نفرت له أحشاء المسلمين، وانكلمت به قلوبهم، ولا تزال الامة تستفزّهم ما دام الجرح نقارا، وما هذا بغريب علىٰ المسلمين، فان رابطتهم الملية أقوىٰ من رابطة الجنس واللغة، ومادام القرآن يتلىٰ بينهم، وفي آياته مالا يذهب علىٰ افهام قارئه فلن يستطيع الدهر ان يذلّهم..».

وما يُضحك أن تتّهم المجلة السيد الحسيني باستلام أموال من الحكومة الفرنسية، فاذا كان السيد غايته المال، لما احتاج لأن يجهد نفسه ويدخل في طرق وعرة وشائكة من أجل خدمة المسلمين، ولما احتاج إلىٰ ان يعرّض نفسه للهجرة أو الإهانة من قِبل أزلام الأنظمة الحاكمة كما حدث له في ايران عندما هاجمه خمسمائة

من المسلحين وأخذوه جرّاً علىٰ الرغم من مرضه الشديد، حتىٰ قال جمال الدين الحسيني في ذلك :

«كيف يهان هذا الهوان وهو الرفيع النسب، العزيز الحسب، العظيم الجاه، العالي المنزلة في دينه وشرفه وعقله، ورغبته في الخير ؟ كيف يرجوه الشاه ان يأتي بلده ويعده ان ينفذ اصلاحه، ويعلي كلمته، ثم يعامله معاملة العبد يطرد، والذليل يصفع، والحقير يهان ؟».

ولكي تقول الهجمة الشرسة التي يقودها العملاء عبر مجلة «المجلة» و «التضامن» وغيرهما، ضد السيد الحسيني بأنه ماسوني، فان كاتب البحث لكي لا يربط الحديث به يذهب الىٰ أحد الكتّاب الموجودين الذي أخذ عن كتاب (مجموعة وثائق..) فيقتبس منه العبارة التالية :

«وفي مصر أيضاً جرّته ـ الحسيني ـ تطورات الاحداث وتغلغل الأجانب في آخر عصر إسماعيل الىٰ النزول في معمعتها فنشط في المحافل الماسونية..».

قبل كل شيء لابد ان نعرف ماذا تعني الماسونية ؟

الماسونية ترتكز علىٰ ثلاثة ركائز كما يزعم أصحابها، والركائز هي حرية، مساواة، اخاء، ولكن في الواقع هي بعيدة عن ذلك و «الجمعيات الماسونية، أو التنظيم الماسوني، هو من أدقّ وأعقد الأساليب الخفية المستترة في استقطاب حركة المجتمعات وتوجيهها».

وقد عرف عن التنظيمات الماسونية انها ضد الاسلام الحنيف، وضد كل شيء يتّصف بالخير، وما شعاراتهم إلا لِذرّ الرماد في العيونَ، وهي يافطة يرفعونها لاغواء من يروم الخير والسعادة البشرية، وأيضاً يافطة لتشويش الرؤية والبصيرة علىٰ الآخرين، والتنظيمات الماسونية عدوّة الانسانية وتحرّكها الدوائر الصهيونية

الامبريالية لتحكيم سيطرة الاستكبار العالمي علىٰ المستضعفين والمحرومين.

نعم ان السيد تعرّف علىٰ الماسونية حينما كانت دوائر النظام الملكي والاستكبار العالمي والدوائر الصهيونية تتلبس لباس الخير والاصلاح، وعندما لمس من أول وهلة انها معادية لمَصالح الشعب المصري المسلم، أخذ يعرّيها ويوضّح للشعب المصري المسلم حقيقتها الهدّامة المناصرة للنظام الحاكم، فيذكر السيد الحسيني بهذا الخصوص ما يلي :

«أول ماشوّقني للعمل في (بناية الأمراء) عنوان كبير خطير : حرية. مساواة. اخاء، وان غرضها (منفعة الانسان / سعي وراء دك صروح الظلم / تشييد معالم العدل المطلق) ولكن كنت انتظر ان أسمع وأرىٰ في مصر كل غريبة وعجيبة، ولكن ما كنت لأتخيّل ان الجبن يمكنه ان يدخل من بين اسطوانتي المحافل الماسونية !، اذا لم تتدخل الماسونية في سياسة الكون، وفيها كل بناء حرّ، واذا كانت آلات البناء التي بيدها لا تستعمل لهدم القديم وتشييد معالم حرية صحيحة واخاء ومساواة، واذا كانت لا تدك صروح الظلم والعتو والجور، فلا حملت يد الاحرار مطرقة، ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة».

هذه العبارات الصادقة التي توضّح حقيقة السيد جمال الحسيني وموقفه الحازم من المحافل الماسونية تتغافىٰ عنها الأقلام المحمومة، وما همها، سوىٰ قذف السيد بأباطيل محبوكة.

* * *

وأخيراً حينما نتساءل عمّن روّج لهذه التّرهات فاننا سنجد في طليعتهم عميلاً صليبياً هو «لويس عوض» بطل الغارة علىٰ التراث الاسلامي الاصيل وحامل كل

ما يمثّل النفوذ الثقافي الغربي الىٰ الجسم العربي[١].

ولكي تكتمل المسرحية فقد أوعزت الرجعية العزبية بنقد كتابات «عوض» هذا طبعاً مع كيل المديح له ورد كل الاعتراضات الاخرىٰ عليه، ونقده أحياناً، وبالتالي ارجاع الجميع الىٰ ما أُسمي بالوثائق التي شجّع نظام الشاه علىٰ نشرها من قبل جامعة طهران في السنة نفسها التي ثار فيها الشعب ضد نظامه أي العام ١٩٦٣ م (ثورة ١٥ خرداد) ليجعلها المرجع الوحيد لدراسة حياة هذه الشخصية العظيمة.

إلا ان كل المحاولات باءت بالفشل، ولم تنطل الحيلة على المفكرين الواعين وبقي الأفغاني بطلاً عظيماً تفتخر به الامة وتعتزّ، بعد أن قدّم لها أروع الأمثال في الايمان والوعي والجهاد والتضحية والاخلاص.

■ مؤامرة خطيرة.. تتطلب يقظة كبيرة :

هل البتّ في تتبع حياة السيد جمال الدين الحسيني وفي هذا الوقت بالذات عملية خالصة لاتحوم حولها الشبهات؟!

---

١ ـ لمعرفة حقيقة الرجل راجع الصورة التالية عن نص استقالته من حزب الوفد حيث يصرّح بأنّ «الله ليس مصدر السلطات» !.

نص الاستقالة

السيد الاستاذ فؤاد سراج الدين

رئيس حزب الوفد الجديد

تحية طيبة وبعد ، فاتشرف بابلاغكم انى انضممت الى « الوفد الجديد » منذ تأسيسه فى ١٩٧٨ اعتقادا منى بأن الوفد الجديد قائم على اسس الديمقراطية العلمانية التى قام عليها الوفد القديم منذ ١٩١٩ .

هذه الاسس ، فى اختصار شديد ودون لف او دوران ، هى ان « الامة مصدر السلطات » ، لا ان الله مصدر السلطات ، وبالتالى فان شئون البشر تنظمها دساتير وقوانين وضعية من صنع البشر بالحق الطبيعى بحسب تطور المجتمعات ، لا دساتير وقوانين الهية واجبة النفاذ فى كل زمان ومكان بالحق الالهى ، ولا يجوز تعديلها باغلبية ثلثى الاعضاء او باغلبية النصف زائد واحد .

ولقد فوجئت فى الفترة الاخيرة بتصريحات على مستوى القمة فى قيادة حزب الوفد الجديد تعلن رفض الحزب للعلمانية التى ازمن بها اساسا للعقد الاجتماعى ، بما اقتنعنى بأن « الوفد الجديد » الذى تشرفت بالانضمام اليه فى ١٩٧٨ يختلف اختلافا جوهريا عن الوفد الذى اسسه سعد زغلول وقاده مصطفى النحاس فى فترة ما بين الثورتين .

وبناء عليه فقد قررت مع الاسف الشديد الاستقالة من عضوية حزب « الوفد الجديد » ، متمنيا ان تثبت الايام خطأ مخاوفى وتقديراتى ، وان يتمكن الحزب تحت قيادتكم الرشيدة من المشاركة فى بناء الوطنية المصرية والديمقراطية المصرية فى ظل سياسته الجديدة .

وتفضلوا بقبول وافر احترامى وتمنياتى

(د . لويس عوض)

اننا لسنا فقط نشّك بذلك، بل لنا قناعتنا، وبالأرقام والوقائع كما بيّنا بأن هناك مؤامرة خطيرة تستهدف اغتيال سيرة السيّد الحسيني الجهادية، وابدالها بسيرة ملؤها التشنجات والتناقضات والانتهاكات الصارمة للاسلام.. وان المسألة ليست متعلّقة بكاتب أو بمجلة أو صحيفة، انها مسألة نظام قائم يحاول استخدام تلك الأقلام لمصلحته الشخصية ألا وهو نظام آل سعود الحاكم في الجزيرة العربية، وليس هذا النظام وحده مشتركاً في هذه الجريمة، بل هو علىٰ رأس أنظمة الاسلام الاميركي المتحكمة بمصائر المسلمين في الخليج ومصر والمغرب وتونس والعراق وافغانستان وتركيا.

وهي مؤامرة تقف خلفها الدوائر الغربية والشرقية والصهيونية تستهدف :

(١) اظهار السيد جمال الدين الحسيني علىٰ أنه رجل مغامر لم ينو الاسلام في عمله، وانه للظهور وحب الشهرة !!

(٢) تشويه قداسة الثورة الاسلامية في ايران والتي تدين للسيد جمال الدين الحسيني بأفكاره وأعماله الاسلامية الكبيرة.

(٣) إبعاد الحركات الاسلامية العاملة في الساحة الاسلامية الشاسعة عن السيد الحسيني وعن الثورة الاسلامية في ايران، لقطع العلاقات الروحية والسياسية التي تدين بها الحركات لقيادة الامام الخميني.

(٤) إبعاد الشعوب الاسلامية عن الاحتكاك بالحركات الاسلامية والانتظام في صفوفها..

(٥) الطعن بالحركة الاسلامية المصرية وبالخصوص تلك التي رفعت سلاح القوة لمواجهة النظام، ويجيء الطعن نتيجة لهتك حرمة السيد جمال الدين الحسيني التي تتخذه الحركة الاسلامية العاملة في مصر قدوتها علىٰ طريق الجهاد الاسلامي.. وهذه النقطة لها أهميتها، ذلك ان التحرك الاسلامي داخل مصر نحو اقامة نظام اسلامي هو ما يقلق الدوائر الصهيونية التي تخشىٰ ان تقع «اسرائيل» في مواجهة مع

نظام اسلامي.

وقد لا يتصور أحدنا ان ربط عملية تشويه سيرة السيد الحسيني بالكيان الصهيوني، يمكن ان يكون بهذه السهولة، ولكن عليك ان تصدق اذا علمت ان «اسرائيل» تفكّر بقصف المفاعل النووي الباكستاني داخل باكستان بعد تصاعد الصحوة الاسلامية في الباكستان..

فاماتة أفكار السيد الحسيني داخل نفوس ابناء الحركة الاسلامية المصرية ـ كما تعتقد الدوائر الاستكبارية ـ من الممكن ان يقضي علىٰ روح التحرّك في الفرد المصري المسلم!

(٦) ضرب الوحدة الاسلامية وبالذات الوحدة الاسلامية بين الحركات الاسلامية العاملة، بين المجاهد المصري والعراقي والايراني، التونسي والمغربي، الأفغاني والايراني، الايراني والمصري، الخليجي والتركي وهكذا..

والوحدة الاسلامية بين الشيعي والسني وبالخصوص علىٰ نطاق الحركات الاسلامية، الوحدة الاسلامية التي مثّلها السيد الحسيني بعمله في صفوف علماء جامع الأزهر والحوزات العلمية الشيعية.. الوحدة الاسلامية التي تمثلت في تعاضد السيد جمال الدين الحسيني والشيخ محمد عبده.

إنّ المؤامرة التي تدبرها الأنظمة الرجعية أكبر من ان نتصور، وهي بكِبَر الثورة الاسلامية التي أخذت تزلزل الأرض من تحت أقدام الطواغيت في عالمنا الاسلامي.. وعلىٰ الاعلام الاسلامي ان ينتبه الىٰ هذه المؤامرة الخطيرة ويفضحها.. ويطرح حقيقة السيد جمال الدين الحسيني.. حقيقته التي تبقىٰ مناراً للعاملين في سبيل الله والمستضعفين.. قال تعالىٰ:

(يُريدون أنْ يُطفِئُوا نُورَ اللهِ بأَفواهِهِم، وَيأْبىٰ اللهُ إلاّ أَنْ يُتمّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكافِرونَ)[1].

* * *

---

١ ـ التوبة: ٣٢.

وإنّنا كما أشرنا أولاً، وفاءً لذكرىٰ الرجل الكبير واحتفالاً بالذكرىٰ المئوية لاصدار مجلة (العروة الوثقىٰ) من باريس ـ نقدّم المجموعة الكاملة لهذه المجلة للقرّاء في العالم الاسلامي والعربي، سائلين المولىٰ العلي القدير ان يبعث في جماهيرنا الاسلامية روحاً ثورية وتحسساً للأهداف الكبرىٰ وشوقاً صنّاعاً للغد الأمثل.

والله الموفق.

سيد هادي خسرو شاهى.

محرم ١٤٠٦ هاكتوبر ١٩٨٥ / روما ـ ايطاليا .



الطبعة الأولى
روما ـ ايطاليا
١٩٨٥م
مركز الثقافة الاسلامية في اوروبا
روما ـ ايطاليا
Via Nomentana, 363 — 00162 Roma
Italia

العُروَة الوُثقىٰ

للسيد جمال الدين الأفغاني

و

الشيخ محمد عبده

الطبعة الثانية



بسم الله الرحمٰن الرحيم

لماذا صدرت الجريدة[1]

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

هذا ماتمدّه العناية الالهية من قول الحق، متعلقاً بأحوال الشرق، وعلىٰ الله المتّكل في نجاح العمل.

خفيت مذاهب الطامعين أزماناً ثم ظهرت، بدأت علىٰ طريق ربما لا تنكرها الأنفس ثم التوت، أوغل الأقوياء من الأُمم في سيرهم بالضعفاء حتىٰ تجاوزوا بيداء الفكر، وسحروا ألبابهم[2] حتىٰ أذهلوهم عن[3] أنفسهم وخرجوا بهم عن محيط النظام، وبلغوا بهم من الضيم حدّاً لا تحمله النفوس البشرية.

ذهب أقوام الىٰ ما يسوّله الوهم، ويغري به شيطان الخيال، فظنوا إنّ القوّة الآلية وإنْ قلّ عمالها يدوم لها السلطان علىٰ الكثرة العددية وإن اتّفقت آحادها بل زعموا أنه يمكن استهلاك الجم الغفير، في النزر اليسير، وهو زعم يأباه القياس بل

---

١ ـ صدر العدد الأول منها في ٥ جمادى الأول سنة ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ م وبلغ ما نشر منها ثمانية عشر عدداً وصدر العدد الأخير منها في ذي الحجة سنة ١٣٠١ هـ وانتهت بسبب محاربة الانجليز لها.

٢ ـ في الأصل : لبابهم.

٣ ـ في الأصل : على .

يبطله البرهان، فإنّ تقلبات الحوادث في الأزمان البعيدة والقريبة ناطقة بأنّه إن ساغ أن عشيرة قليلة العدد فنيت في سواد أمّة عظيمة ونسيت تلك العشيرة اسمها ونسبتها فلم يجز في زمن من الأزمان امحاء أمّة أو ملّة كبيرة بقوة أمة تماثلها في العدد أو تكون منها علىٰ نسبة متقاربة، وان بلغَت القوة أقصىٰ ما يمثّله الخيال.

والذي يحكم به العقل الصريح ويشهد به سير الاجتماع الانساني من يوم علم تاريخه الىٰ اليوم أن الأمم الكبيرة اذا عراها ضعف لافتراق في الكلمة، أو غفلة عن عاقبة لاتحمد، أو ركون إلىٰ راحة لا تدوم، أو افتتان بنعيم يزول، ثم صالت عليها قوة أجنبية، أيقظتها ونبهتها بعض التنبيه فاذا توالت عليها وخزات الحوادث، وأقلقتها آلامها هرعت الىٰ استبقاء الموجود ورد المفقود، ولم تجد بداً من طلب النجاة من أي سبيل وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية وهي ماتكون بالتئام أفرادها ؛ والتحام آحادها، وان الإلهام الإلهي والاحساس الفطري والتعليم الشرعي ترشدها الىٰ أن لا حاجة لها الىٰ ما وراء هذا الاتحاد وهو أيسر شيء عليها.

إن النفوس الانسانية وإن بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت اذا كثر عديدها تحت جامعة معروفة لاتحتمل الضيم إلا الىٰ حدّ يدخل تحت الطاقة ويسعه الإمكان فاذا تجاوز الاستطاعة كرّت النفوس الىٰ قواها، واستأسد ذئبها، وتنمر ثعلبها، والتمست خلاصها ولن تعدم عند الطلب رشاداً.

ربما تخطئ مرة فتكون عليها الدائرة، لكن مايصيبها من زلّة الخطأ يلهمها تدارك مافرط والاحتراس من الوقوع في مثله فتصيب أخرىٰ فيكون لها الظفر والغلبة، وان الحركة التي تنبعث لدفع ما لا يطاق اذا قام بتدبيرها قيّم عليها، ومدبر لسيرها، لايكفي في توقيف سريانها، أو محو آثارها، قهر ذاك القيم واهلاك ذاك المدبر، فان العلة مادامت موجودة لاتزال آثارها تصدر عنها، فان ذهب قيّم خلفه آخر أوسع منه خبرة وأنفذ بصيرة ؛ نعم ممكن تخفيف الأثر أو إزالته بإزالة علّته ورفع أسبابه.

جرت عادة الامم أنْ تأنف من الخضوع لمن يباينها في الأخلاق والعادات والمشارب، وان لم يكلفها بزائد عمّا كانت تدين به لمن هو علىٰ شاكلتها، فكيف بها اذا حملها مالا طاقة لها به. لا ريب إنها تستنكره، وان كانت تستكبره، وكلما انكرته بعدت عن الميل اليه، وكلما ابتعدت منه بجهة كونه غريباً تقرب بعضها من بعض فعند ذلك تستصغره فتلفظه كما تلفظ النواة وما كان ذلك بغريب.

ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تُنسي الأمم ما بينها من الاختلاف في الجنسية والمشرب، فترىٰ الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر ألزم من التحزّب للجنس والمذهب وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية الىٰ الاتفاق أشدّ من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة.

أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسسنا بحركة فكرية في أغلب انحاء المشرق في هذه الأيام. كلٌ يطلب خلاصاً ويبتغي نجاة وينتحل لذلك من الوسائل والأسباب ما يصل اليه فكره علىٰ درجته من الجودة والافن وان العقلاء في كثير من اصقاعه يتفكرون في جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل.

بلا، كان هذا أمراً ينتظره المستبصر وان عمى عنه الطامع وليس في الإمكان اقناع الطامعين بالبرهان ولكن ما يأتي به الزمان من عاداته في أبنائه بل مايجري به القضاء الإلٰهي من سنة الله في خلقه سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون.

بلغ الإجحاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته، وأدرك المتغلب منهم نكايته، خصوصاً في المسلمين منهم ؛ فمنهم ملوك انزلوا عن عروشهم جوراً وذووا حقوق في الأمرة حرموا حقوقهم ظلماً، وأعزاء باتوا أذلاء وأجلاّء أصبحوا حقراء وأغنياء أمسوا فقراء وأصحاء أضحوا سقاماً وأُسود تحوّلت أنعاماً، ولم تبق طبقة من الطبقات إلا وقد مسّها الضرر من أفراط الطامعين في أطماعهم خصوصاً من جرّاء هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الأراضي المصرية من نحو خمس سنوات بأيدي ذوي المطامع فيها. جملوا الىٰ البلاد مالا تعرفه فدهشت عقولها

وشدّوا عليها بما لا تألفه فحارت ألبابها وألزموها ما ليس في قدرتها فـاستعصت عليه قواها وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسـيلة لنيل المطمع فكانت الحركة العرابية العشواء فاتخذوها ذريعة لمـا كـانوا له طـالبين فاندفع بهم سيل المصاعب، بل طوفان المصائب، علىٰ تلك البلاد وظنوا بلوغ الأرب ولكن أخطأ الظن وهمّوا بما لم ينالوا.

لم تكد تخمد تلك الحركة في بادئ النظر حتىٰ خلفتها حركة اخرىٰ وفُتِح باب كان مسدوداً وقام قائم بدعوة لها المكانة الأولىٰ في نفوس المسلمين بل هي بـقية آمالهم ولا ندري الآن ماذا تستعقبه هذه الحركة الجديدة وربما يوجد من يدري ان مسببيها في حيرة من تلافيها، نعم أنّهم غرسوا غرساً إلا أنهم سيجنون أو هم الآن يجنون منه حنظلاً ويطعمون منه زقوماً. لاجرم هذه هي العواقب التي لا محيص عنها لمن يغالي في طمعه ويغلغل في حرصه ولو أنهم تركوا الأمر من ذاك الوقت لأربابه وفوّضوا تدارك كل حادث للخبراء به والقادرين عليه العارفين بطرق مدافعته أو اقتناء فائدته لحفظوا بذلك مصالحهم ونالوا ما كانوا يشتهون من المـنافع الوافـرة بدون أن تزل لهم قدم أو ينكس لهم علم.

غير أنهم ركبوا الشطط وغرّهم ما وجدوا من تفرّق الكلمة وتشتت الأهواء وهو أنفذ عواملهم واقتلها وما علموا أنه وان كان زريع الفتك إلا انه سريع العطب وما أسرع ان يتحوّل عند اشتداد الخطوب الىٰ عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين فان بلاء الجور اذا حل بشطر من الامة وعوفي منه باقيها كانت سلامة البعض تعزية للمصابين وحجاب غفلة للسالمين يحول بينهم وبين الاحساس بما أصاب إخوانهم أما اذا عمّ الضرر فلا محالة يحيط بهم الضجر ويعزّ عليهم الصبر فيندفعون الىٰ مافيه خيرهم ولا خير فيه لغيرهم.

ان الحالة السيئة التي أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احـتمالها عـلىٰ نفوس المسلمين عموماً. إنّ مصر تعتبر عندهم من الأراضي المقدسة ولها في قلوبهم

منزلة لايحلها سواها نظراً لموقعها من الممالك الاسلامية ولأنها باب الحرمين الشريفين فان كان هذا الباب أميناً كانت خواطر المسلمين مطمئنة علىٰ تلك البقاع وإلا اضطربت أفكارهم وكانوا في ريب من سلامة ركن عظيم من أركان الديانة الاسلامية، ان الخطر الذي ألمّ بمصر نغرت له أحشاء المسلمين وتكلمت به قلوبهم ولا تزال آلامه تستفزهم مادام الجرح نغاراً. وماهذا بغريب على المسلمين فإنّ رابطتهم المليّة أقوىٰ من روابط الجنسية واللغة مادام القرآن يتلىٰ بينهم وفي آياته مالا يذهب علىٰ افهام قارئيه فلن يستطيع الدهر أن يذلّهم، ان الفجيعة بمصر حرّكت أشجاناً كانت كامنة وجددت أحزاناً لم تكن في الحسبان وسرى الألم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في مداركهم وهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ولا نأمل ان يصير التنفس زفيراً بل نفيراً عاماً بل يكون صاخة تمزّق مسامع من أصمه الطمع.

إنّ أولىٰ المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس لا كتائب له في فتوحاته إلا المداهاة ولا فيالق يسوقها للاستملاك سوى المحاباة ولا أسنّة يحفظ بها ما تمتد اليه يده إلا المراضاة يظهر بصور مختلفة الألوان متقاربة الأشكال كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ممالكهم ومثبّت مراكز الأمراء ومسكن الفتن ومخلّص الحكومات من غوائل العصيان وواقي مصالح المغلوبين فكان أول مايجب عليه ملاحظته في سيره هذا أنْ لا يأتي من أعماله بما لايهتك هذا الستر الرقيق الذي يكفي لتمزيقه رجع البصر وكر النظر وان يتحاشىٰ العنف مع أمّة يشهد تاريخها بأنها إذا حنقت خنقت وليس له ان يغترّ بعدم مكنتهم وهو يعلم ان الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط ولا يعدم المتحدون قوياً شديد البأس يساعدهم بما يلزمهم لترويج سياسته وان المغيظ لايبالي في الايقاع بمناوئه أسلم أو عطب فهو يضر ليضر، إن مسه الضر.

إلا ان غشية التهم ذهبت بعقول المنهومين ووقرت اسماعهم عن حسيس

الهمسات المتراسلة من الهند الى مكة ومن مكة الىٰ مصر والكرير[1] الممتد من مصر الىٰ مكة ومن مكة الىٰ الهند وكلها تتلاقىٰ بين تراقي المغرورين بقوتهم المسترسلون في جفوتهم.

إنّ الرزايا الاخيرة التي حلّت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فأيقظ أفكار العقلاء وحوّلت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم مع ملاحظة العلل التي أدّت بهم الىٰ ما هم فيه فتقاربوا في النظر وتواصلوا في طلب الحق وعمدوا الىٰ معالجة الحق وعلل الضعف راجين ان يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ومؤملين ان تمهّد لهم الحوادث سبيلاً حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف وان في الحاضر منها لنهزة تغتنم واليها بسطوا أكفهم ولا يخالونها تفوتهم ولئن فاتت فكم في الغيب من مثلها والىٰ الله عاقبة الأمور.

تألفت عصبات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار خصوصاً البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه ويوحدون كلمة الحق في كل صقع لا ينون في السعي ولا يقصرون في الجهد ولو أفضىٰ بهم ذلك الىٰ أقصىٰ ما يشفق منه حي علىٰ حياته.

ولما كانت بدايتهم تستدعي مساعدة من يضارعهم في مثل حالهم رأوا ان يعقدوا الروابط الأكيدة مع الذين يتململون من مصابهم ويحبون العدالة العامة ويحامون عنها من أهالي أوروبا وكتبوا على أنفسهم النظر في أمر السلطة العامة الاسلامية وفروض القائم بها وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ومناط اليقين وفيها موسم الحجيج العام في كل عام يجتمع اليه الشرقي والغربي ويتآخىٰ في مواقفها الطاهرة الجليل والحقير والغني والفقير كانت أفضل مدينة تتوارد اليها أفكارهم ثم تنبث الىٰ سائر الجهات والله يهدي من يشاء الىٰ سواء السبيل.

---

١ ـ الكرير : صوت في الصدر كصوت المختنق.

ولما كان نيل الغاية علىٰ وجه أبعد من الخطر وأقرب الىٰ الظفر يستدعي ان يكون للداعي في كل قلب سليم نفثة حق ودعوة صدق طلبوا عدّة طرق لنشر أفكارهم بين من خفي عنه شأنهم من اخوانهم واختاروا ان يكون لهم في هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم وهو اللسان العربي وان تكون في مدينة حرّة كمدينة باريس(١) ليتمكنوا بواسطتها من بثّ آرائهم وتوصيل أصواتهم الىٰ الأقطار القاصية تنبيهاً للغافل وتذكيراً للذاهل، فرغبوا الىٰ السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني أن ينشئ تلك الجريدة بحيث تتبع مشربهم وتذهب مذهبهم فلبّىٰ رغبتهم بل نادىٰ حقاً واجباً عليه لدينه ووطنه وكلّف الشيخ محمد عبده ان يكون رئيس تحريرها فكان ما حمل الأول علىٰ الإجابة، حمل الثاني علىٰ الإمتثال، وعلىٰ الله الاتكال في جميع الأحوال.

---

١ ـ يقصد باريس عام ١٨٨٤ !!.

الجريدة ومنهجها

سيأتي في خدمة الشرقيين علىٰ مافي الامكان من بيان الواجبات التي كـان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ما هو آت.

ويستتبع ذلك البحث في أصول الأسباب ومناشئ العلل التي قصرت بهم الىٰ جانب التفريط والبواعث التي دفعت بهم الىٰ مهامه حـيرة عـميت فـيها السـبل واشتبهت بها المضارب وتاه فيها الخريت [1] وضل المرشد حتىٰ لايدري السالكون من أين تفجعهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة والمدهشات القاتلة.

وتكشف الغطاء ما استطاعت عن الشبه التي شغلت أوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وتزيح الوساوس التي أخذت بعقول المنعمين حتىٰ أورثـتهم اليأس من مداواة علاّتهم وشفاء ادائهم وظنوا ان زمان التـدارك قـد فـات وان العناية بلغت حدّها.

وتحـاول اشراب الأفـهام ان لا حـاجة في الوصـول الىٰ نـقطة الخـلاص المرغوبة الىٰ قطع دائرة عظيمة تصورها يوجب فـتور الهـمم وانحـطاط العـزائم وان تخيّل تلك الدائرة الواسعة انما عرض من الادبار عـلىٰ المـطلوب وهـو تحت

---

١ ـ الخريت : الدليل الحاذق بطرق الأرض.

الجنح ويكفي في الوصول اليه عطفة نظر وقطع بعض خطوات قصيرة.

وان الظهور في مظهر القوة لدفع الكوارث انما يلزم له التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم وهي ما تمسكت بـه أعـزّ دولة أوروبـية وأمنعها ولا ضرورة في ايجاد المنعة الىٰ اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التي جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الاخرىٰ ولا ملجئ للشرقي في بدايته ان يقف موقف الأوروبي في نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك وفيما مضىٰ أصدق شاهد علىٰ ان من طلبه فقد أوقر نفسه وأمته وقراً أعجزها وأعوزها.

وتنبه بأن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فان فقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلا وسيلة القوى لابتلاع الضعيف، وتجعل إهاب الوداد المرقش بألوان الملاطفة المدبج بأشكال المجاملة شفافاً ينم عـمّا وراءه وتنقب عن المسالك الدقيقة التي يسري بها الطامعون في دياجر الغفلات.

ويهتم بدفع ما يرمي به الشرقيون عموماً والمسلمون خصوصاً مـن التهـم الباطلة التي يوجهها اليهم من لاخبرة له بحالهم ولا وقوف علىٰ حقائق أمـورهم وإبطال زعم الزاعمين ان المسلمين لا يتقدمون الىٰ المدنية ما داموا علىٰ أصولهم التي فاز بها آباؤهم الأولون ولا تهن في تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون في شؤونهم مع اختيار الصادق وانتقاء الثابت.

وتراعى في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الأُلفة في أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التي لا تـميل الىٰ الحـيف والاجحاف بحقوق الشرقيين.

ومع كل هذا فهذه الجريدة تتبع سير الداعين اليها والحاملين عليها لا تظهر اذا أدلجوا ولا تنجد إذا غوروا وتذهب مذاهب الرشد وتصيب بحول الله مواقعه عند من سبق في أذلى علم الله هدايته والله يهدي من يشاءِ الىٰ صراط مستقيم.

وترسل الىٰ الذين نعرف اسماؤهم مجاناً بدون مقابل ليتداولها الأمير والحقير والغني والفقير ومن لم يصل الينا اسمه فما عليه إلا أن يكتب الىٰ ادارة الجريدة بالاسم المعروف به ومحل إقامته علىٰ النهج الذي يريده والله الموفق.

الجنسية والدّيانة الاسلامية

ان استقراء حال الأفراد من كل امة واستطلاع اهوائها يـثبت لجـليّ النـظر ودقيقه وجوب تعصب للجنس ونعرة عليه عند الأغلب منهم وان المتعصب لجنسه منهم ليتيه بمفاخر بنيه ويغضب لما يمسّهم حتىٰ يقتل دون دفعه بدون تنبيه منه لطلب السبب ولا بحث في علة هذا الوجدان حتىٰ ظنّ كثيرون مـن طـلاب الحـقيقة ان التعصب للجنس من الوجدانيات الطبيعية إلا انه يبعد ظنهم ما نراه في حال طفل ولد في أمّة من الأمم ثم نقل قبل التمييز الىٰ أرض أمّة أُخرىٰ وربى فيها الىٰ ان عقل ولم يذكر له مولده فانّا لانرىٰ في طبعه ميلاً اليه بل يكون خالي الذهن مـن قـبله ويكون مع سائر الأقطار سواء بل ربما كان آلف لمرباه وأميل اليه والطبيعي لا يتغيّر.

ولهذا لا نذهب الىٰ أنه طبيعي ولكن قد يكون من الملكات العارضة عـلىٰ الأنفس ترسمها علىٰ ألواحها الضرورات فان الانسان في أي أرض له حاجات جمّة وفي أفراده ميل الىٰ الاختصاص والاستئثار بالمنفعة اذا لم يصبغوا بتربية زكية، وسعة المطمع اذا صحبها اقتدار تدعو بطبعها الىٰ العدوان فلهذا صار بعض الناس عرضة لاعتداء بعض آخر فاضطروا بعد منازلة الشرور احقاباً طـوالاً الىٰ الاعـتصاب بلحمة النسب علىٰ درجات متفاوتة حتىٰ وصـلوا الىٰ الاجـناس فـتوزعوا أمـماً كالهندي والانجليزي والروسي والتركماني ونحو ذلك ليكون كل قبيل مـنهم بـقوة

أفراده المتلاحمة قادراً علىٰ صيانة منافعه وحفظ حقوقه من تعدي القبيل الآخر ثم يجاوزوا في ذلك حدّ الضرورة كما هي عادة الانسان في أطواره فذهبوا الىٰ حدّ أن يأنف كل قبيل من سلطة الآخر عليه علماً بأنه لابدّ أن يكون جائراً اذا حكم ولئن عدل فان قبول حكمه ذلاً تحسّ به النفس وينفعل له القلب.

فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو الضرورة في الزوال كما تبعها في الحدوث بلا ريب وتبطل الضرورة بالاعتماد علىٰ حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل لعظمته القدرة وتخضع لسلطته النفوس بالطمع وتكون بالنسبة اليه متساوية الأقدام وهو مبدأ الكل وقهّار السمٰوات والأرض ثم يكون القائم من قِبله بتنفيذ أحكامه مساهماً للكافة في الاستكانة والرضوخ لأحكام أحكم الحاكمين. فاذا أذعنت الأنفس بوجود الحاكم الأعلىٰ وأيقنت بمشاركة القيم علىٰ أحكامه لعامتهم في التطامن لما أمر به. اطمأنت في حفظ الحق ودفع الشرّ الىٰ صاحب هذه السلطة المقدسة واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها فمحىٰ أثرها من النفوس والحكم لله العلي الكبير.

هذا هو السرّ في اعراض المسلمين علىٰ اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم أي نوع من أنواع العصبيات ماعدا عصبتهم الاسلامية فان المتديّن بالدين الاسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه ويلتفت عن الروابط الخاصة الىٰ العلاقة العامة وهي علاقة المعتقد.

لأن الدين الاسلامي لم تكن اصوله قاصرة علىٰ دعوة الخلق الىٰ الحق وملاحظة أحوال النفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الأدنىٰ الىٰ عالم أعلىٰ بل هي كما كانت كافلة لهذا جاءت وافية بوضع حدود المعاملات بين العباد وبيان الحقوق كليها وجزئيها وتحديد السلطة الوازعة التي تقوم بتنفيذ المشروعات واقامة الحدود وتعيين شروطها حتىٰ لايكون القابض علىٰ زمامها لا من أشد الناس خضوعاً لها ولن ينالها بوراثه ولا امتياز في جنس أو قبيلة أو قوّة

بدنية وثروة مالية وانما تنالها بالوقوف عند أحكام الشريعة والقدرة علىٰ تنفيذها ورضاء الامة. فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدّسة الالهية التي لا تميز بين جنس وجنس واجتماع آراء لأمّة، وليس للوازع أدنىٰ امتياز عنهم إلا بكونه أحرصهم علىٰ حفظ الشريعة والدفاع عنها.

وكل فخار تكسبه الانساب وكل امتياز تفيده الاحساب لم يجعل له الشارع اثراً في وقاية الحقوق وحماية الأرواح والأموال والأعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي ممقوتة على لسان الشارع والمعتمد عليها مذموم والمتعصب لها ملوم فقد قال صلىٰ الله عليه وسلم (ليس منّا من دعا الىٰ عصبية وليس منّا من قاتل علىٰ عصبية وليس منّا من مات علىٰ عصبية) والأحاديث النبوية والآيات المنزلة متضافرة علىٰ هذا ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكافة في التقوىٰ ـ اتباع الشريعة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ومن ثم قام بأمر المسلمين في كثير من الأزمان علىٰ اختلاف الاجيال من لا شرف له في جنسه ولا امتياز له في قبيله ولا ورث المُلك عن آبائه ولا طلبه بشيء من حسبه ونسبه وما رفعه الىٰ منصة الحكم إلا خضوعه للشرع وعنايته بالمحافظة عليه.

وان بسطة ملك الوازعين في ا لمسلمين كان يسديها اليهم علىٰ حسب امتثالهم للأحكام الالهية واهتدائهم بهديها وتجردهم عن الاعتلاء الشخصي وكلما أراد الوازع ان يختصّ نفسه بما يفوق به غيره في أبهته ورفاهة معيشته وان يستأثر علىٰ المحكومين بحظ زائد رجعت الأجناس الىٰ تعصبها ووقع الاختلاف وانقبضت سلطة ذاك الوازع.

هذا ما أرشدنا اليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم الىٰ الآن لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبات الاجناس وانما ينظرون الىٰ جامعة الدين لهذا ترى العربي لا ينفر من سلطة التركي، والفارسي يقبل سيادة العربي، والهندي يذعن لرياسة الأفغاني ولا اشمئزاز عند أحد منهم ولا انقباض، وان المسلم في تبدّل

حكوماته لا يأنف ولا يستنكر ما يعرض عليه من أشكالها وانتقالها من قبيل الىٰ قبيل مادام صاحب الحكم حافظاً لشأن الشريعة ذاهباً مذاهبها، نعم اذا نبأ في سيره عنها وجار في حكمه عمّا نصّت عليه وطلب الاثرة بما ليس من حقه انصدعت منه القلوب، وانحرفت عن محبته الأنفس وأصبح وان كان وطنياً فيهم أشنع حالاً من الأجنبي عنهم.

ان المسلمين اختصوا من بين سائر أرباب الأديان بالتأثّر والأسف عندما يسمعون بانفصال بقعة اسلامية عن حكم اسلامي بدون التفات الىٰ جنسها وقبيلها.

ولو ان حاكماً صغيراً بين قوم مسلمين من أي جنس كان تبع الأوامر الالهية وثابر على رعايتها وأخذ الدهماء بحدودها وضرب بسهمه مع المحكومين في الخضوع لها وتجافى عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة لأمكنه ان يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان وان ينال الغاية من رفعة الشأن في الأقطار المعمورة بأرباب هذا الدين ولا يتجشّم في ذلك أتعاباً ولا يحتاج الىٰ بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهرة الدول العظيمة ولا مداخلة أعوان التمدن وأنصار الحرية... ويستغني عن كل هذا بالسير علىٰ نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الىٰ الاصول الأولىٰ في الديانة الاسلامية القويمة ومن سيره هذا تنبعث القوة وتتجدد لوازم المنعة أكرر عليك القول بأن السبب هو الدين الاسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الأديان الىٰ الآخرة فقط ولكن مع ذلك أتىٰ بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة وهو المعبّر عنه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين وجاء بالمساواة في أحكامه بين الأجناس المتباينة والأمم المختلفة.

أبيضت عين الدهر وامتقع لون الزمان حتىٰ أصاب أن بعضاً من المسلمين علىٰ حكم الندرة يعزّ عليهم الصبر ويضيق منهم الصدر لجور حكامهم وخروجهم في معاملتهم عن أصول العدالة الشرعية فيلجأون للدخول تحت سلطة أجنبية علىٰ أن الندم يأخذ بأرواحهم عند أول خطوة يخطونها في هذا الطريق فمثلهم كمثل من

يريد الفتك بنفسه حتى اذا أحسّ بالألم رجع واسترجع: وان بعض ما يطرأ على الممالك الاسلامية من الانقسام والتفريق انما يكون منشأوه قصور الوازعين وحيدانهم عن الاصول القويمة التي بنيت عليها الديانة الاسلامية وانحرافهم عن مناهج اسلافهم الأقدمين فان مَنابذة الأصول الثابتة والنكوب عن المناهج المألوفة أشدّ مايكون ضررهما بالسلطة العليا فاذا رجع الوازعون في الاسلام الىٰ قواعد شرعهم وساروا سيرة الأولين السابقين لم يمض قليل من الزمان إلا وقد آتاهم الله بسطة في الملك وألحقهم في العزّة بالراشدين أئمة الدين وفّقنا الله للسداد، وهدانا طريق الرشاد.

ماضي الأمة وحاضرها وعلاج عللها[1]

(سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)

أرأيت أمّة من الأمم لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم انشق عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الأركان شديد البنيان عليها سياج من شدّة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مديريها عقد المشاكل نمت فيها أفنان العزة بعدما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان علىٰ البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها علىٰ الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها علىٰ ما كان من ذلك لسابقيها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الأمم بأن لا سعادة إلا في انتهاج منهجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبّر وهو لها بدن عامل.

وبعد هذا كلّه وهىٰ بناؤها وانتثر منظومها وتفرّقت فيها الأهواء وانشقّت العصى وتبدّد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان منعقداً وانفصمت عرىٰ التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عمّا يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية

---

١ ـ أكثر عناوين المقالات مأخوذ عن تاريخ الامام (رحمه الله) ـ طبعة مجلة (المنار) الاسلامية.

وهو في غيبة عن أن ضروريات حاجاته لاتنال إلا علىٰ أيدي الملتحمين معه بلحمة الأمة وانه أحوج الىٰ شدّ عضدهم من تقوية ساعده والىٰ توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سبات يخيله الناظر اليه صحوا، وذبول يظنه المغرور زهواً وأخذ القنوط بآمال أولئك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة التهم والرضا بكل حال ولئن تنبّه خاطر للحق في خيال أحدهم أو استفزّه داع من قلبه الىٰ ما يكسب ملّته شرفاً أو يعيد اليها مجداً عده هوساً وهذياناً أُصيب به من ضعف في المزاج أو خلل في البنية أو حسب أنّه لو أجاب داعي الذمة لعاد عليه بالوبال وأورده موارد الهلكة أو لصار من أقرب الأسباب لزوال نعمته ونكد معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجُبن وأغلال من اليأس فتغلّ يداه عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحسّ بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما أتى أسلافه من قبل وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة علىٰ ما كسبوا وقيّماً علىٰ ما أورثوه لاعقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حدّاً يشرف بها علىٰ الهلاك ويطرحها علىٰ فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم.

نعم رأيت كثيراً من الأمم لم تكن ثم كانت وارتفعت ثم انحطت وقويت ثم ضعفت وعزت ثم ذُلت وصحت ثم مرضت ولكن أليسَ لكل علة دواء. بلىٰ.

وآاسفاً ما أصعب الداء وما أعزّ الدواء وما أقلّ العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفترق إلا لأن كلاً عكف علىٰ شأنه ... استغفر الله لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن أخيه وهو أشدّ أعضائه اتّصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه. نعم ربما التفت كلٌ الىٰ ما هو في فطرة كل حيّ من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لايدري من أيّ وجه يحصلها ولا بأيّة طريقة يكون في أمن عليها ؛ كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت إلا بعد ما سكنت زمناً غير قصير الى معاليها هل من السهل ردّ التائه الىٰ الصراط

المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصاً بعدما استدبر المقصد وفي كل خطوة يظن أنّه علىٰ مقربة من الخطوة. كيف يمكن تنبيه المستغرق في منامه المبتهج بأحلامه وفي أذنه وقرٌ وفي ملامسه خدر، هل من صيحة تقرع قلوب الآحاد المتفرقة من امّة عظيمة تتباعد أنحاؤها وتتنائى اطرافها وتتباين عاداتها وطبائعها هل من نبأة تجمع أهوائها المتفرقة وتوحّد آرائها المتخالفة بعدما تراكم جهل وران غين وخيل للعقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعر، أيم الله انه لشيء عسير يعيى في علاجه النطاسي ويُحار فيه الحكيم البصير:

هل يمكن تعيين الدواء إلا بعد الوقوف علىٰ أصل الداء وأسبابه الأولىٰ والعوارض التي طرأت عليه. ان كان المرض في أمّة فكيف يمكن الوصول الىٰ علله وأسبابه إلا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الأطوار، أيمكن لطبيب يعالج شخصاً بعينه أن يختار له نوعاً من العلاج قبل أن يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون علىٰ بيّنة من حقيقة المرض وإلا فان كثيراً من الأمراض تتولد جراثيمها في طور من أطوار العمر ثم لاتظهر إلا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة علىٰ مادة المرض فلا يبدو أثرها، كلا أنه ليصعب علىٰ الطبيب الماهر تشخيص علّة لشخص واحد سنو عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملّة طويلة الأجل وافرة العدد، لهذا يندر في أجيال وجود بعض رجال يقومون بأحياء أمّة أو إرجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين وكما ان المتطبب القاصر في الأمراض البدنية لا يزيد علاجه المرض إلا شدّة لولا مساعدة الاتفاق والصدفة بل ربما يفضي بالمريض الىٰ الموت. كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الأُمم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اعتلالها ووجوه العلة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الأرض ومكانتها الأولىٰ من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة

وتدرجها فيما بين المنزلتين فان أخطاء طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا تحوّل الدواء داء والوجود فناء.

فمن له حظ في الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجرؤ على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحسن من نفسه أدنىٰ قصور في أداء هذا الأمر العظيم علماً أو عملاً. نعم يكون ذلك من محبي الفخفخة الباطلة وطلاّب العيش في ظل وظائف ليسوا من حقوقها في شيء.

ظن قوم في هذه الأزمان أن أمراض الأمم تعالج بنشر الجرائد وانها تكفل إنهاض الأمم وتنبيه الأفكار وتقويم الأخلاق كيف يصدق هذا الظن، وانّا لو فرضنا ان كتّاب الجرائد لايصدقون بما يكتبون إلا نجاح الأمم مع التنزّه عن الأغراض فبعدما غم الذهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكاتبون لاتجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم، والفاهم قد يحمل مايجده على غير ما يُراد منه لضيق في التصوّر أو ميل مع الهوى فلا يكون منه إلا سوء التأثير فيشبه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر أضعافاً. علىٰ أن الهمة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتىٰ تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث ان هذا وحقك لعزيز.

ويظن قوم آخرون أن الأمة المنبثة في أقطار واسعة من الأرض مع تفرّق أهوائها وأخلادها الىٰ مادون رتبتها بدرجات لا تحصر ورضاها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا من مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لأحكامها مع هذا كلّه يتم شفاؤها من هذه الأمراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون علىٰ الطرز الجديد المعروف باوروبا حتى تعمّ المعارف جميع الأفراد في زمن قريب ومتى عمّت المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوّة. وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم إنما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الأمة علىٰ ما تكره أزماناً حتىٰ

تذوق لذته وتجني ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة تقهر وثروة تغني ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين.

فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات وافقناهم علىٰ الامكان لولا ما يكون من طمع الأقوياء حتىٰ لايدعون لهم سبيلاً لأن يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الأثر.

علىٰ انّا لو فرضنا مسالمة الدهر ومنحت الأمة مدّة من الزمان تكفي لبثّ تلك العلوم في بعض الأفراد والاستزادة منها شيئاً فشيئاً فهل يصح الحكم بان هذا التدرّج يفيدها فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها يهيئه للكمال اللائق به ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من ابناء امته. واعجبا كيف يكون هذا وان الأمة في بُعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت وبأي ماء سقيت وبأيّ تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لأنباء عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الأفراد بها وسوقها الىٰ أذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من أخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في إفادة إخوانهم.

لعلّ الأقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من أمة هذا شأنها مع ماينعكس اليهم من الأوهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الأمة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمّتهم كخلط غريب لايزيد طبائعها إلا فساداً.

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ولو

صدقوا في خدمة أوطانهم. يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الأمة وطباعها وما مرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهوهم بحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتيه يظنونه علىٰ ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير ما لا يرام إلا من الكبير وبالعكس غير ناظرين إلا الىٰ صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من يعرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيدها علىٰ ما بها أضعافاً وما هذا إلا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نَقَلة وحَمَلة.

فهؤلاء الصادقون إلا من وفّقه الله منهم بعنايته الالٰهية يكون مثلهم كمثل والدة حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه سن اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الأمة منزلة الآلة المحللة يشتتون بقية الجمع ويبددون أخريات الالتئام إن كان الفساد أبقىٰ للقوم بعض الروابط، فهؤلاء المغرورون يغشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا إلا خيراً ان كانوا مخلصين ويوسعون بذلك الخصاص حتى تعود أبواباً ويباعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الأجانب فيهم تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمّتهم الى الفناء والاضمحلال وبئس المصير.

شيّد العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليتحملوا اليهم ما يحتاجون اليه من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها علىٰ نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني. هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدّموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة ؟ هل صاروا أحسن حالاً مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد ؟ هل استنقذوا أنفسهم من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم ؟ هل أحكموا

الحصون وسدوا الثغور ؟ هل نالوا بها من المنعة ما يدفع عنهم غارة الاعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الأفكار حدّاً يميل عزائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد علىٰ كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا، وان بادت في سبيلها، خلفها وارث علىٰ شاكلتها كما كان في كثير من الأمم.

نعم ربما وجد بينهم أفراد يتفيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصونها في عبارات متقطعة بتراء لا تعرف غايتها ولاتعلم بدايتها ووسموا أنفسهم زعماء الحرية أو بسمة أُخرىٰ علىٰ حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد. ومنهم آخرون عمدوا الىٰ العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها علىٰ أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية وعدّوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهات فنسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمد أثره فاماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم الجديدة من الحاجيات الجديدة والكماليات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الىٰ الطرز الجديد وأيديهم لم تتعود علىٰ الصنع الجديد وثروتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمّة يشوّه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا إلا لأن تلك العلوم وضعت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها.

علمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل امّة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن علىٰ مثالهم شؤماً علىٰ أبناء أمتهم يذلونهم ويحتقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الامّة بقية من

الشمم أو نزوع الى معالي الهمم أنصبوا عليه وارغموا من أنـفه حـتىٰ يمـحى اثـر الشهامة وتخمد حرارة الغيرة ويصير أولئك المـقلدون طـلائع لجـيوش الغـالبين، وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم، ذلك بأنهم لا يعلمون فضلاً لغيرهم ولا يظنون أن قوة تغالب قواهم. أقول ولا أخشىٰ لوماً لو كان في البلاد الأفغانية عدد قليل من تلك الطلائع عندما تغلّب على بعض أراضيها الانجليز لما بارحوها أبد الآبدين. فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست إلا توطيد المسالك والركون الىٰ قوة مقلديهم واستقبال مشـارق فـنونهم فيبالغون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم، ولهذا لو طرق الأجانب أرضاً لأيّة أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدومهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم، كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلىٰ أعقابهم.

* * *

فما الحيلة وما الوسيلة، والجرائد بـعيدة الفـائدة ضـعيفة الأثـر لو صـحت الضمائر فيها، والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا مـن آثـارها والوقت ضيّق والخطب شديد.. اي جهوي من الأصوات يـوقظ الراقـدين عـلىٰ حشـايا الغفلات، أي قاصفة تزعج الطباع الجامدة وتحرّك الأفكار الخامدة أي نفخة تبعث هـذه الأرواح في أجسـادهما وتحـشرها الىٰ مـواقـف صـلاحها وفـلاحها. الاقطار فسيحة الجوانب بعيدة المناكب. المواصلات عسرة بـين الشرقي والغـربي والجنوبي والشمالي. الرؤوس مطرقة الىٰ ماتحت القدم أو منغضة الىٰ ما فوق السماء ليس للأبصار جولان الى الامام والخلف واليمين والشمال ولا للاسماع اصـغاء ولا

للنفوس رغبات وللأهواء تحكم وللوساوس سلطان.

ماذا يصنع المشفقون علىٰ الأمة والزمن قصير ماذا يحاولون والأخطار محدقة بهم بأيّ سبب يتمكنون ورسل المنايا علىٰ أبوابهم لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني استلفت نظرك الىٰ سبب يجمع الأسباب ووسيلة تحيط بالوسائل. أرسل فكرك الىٰ نشأة الامّة التي خملت بعد النباهة وضعفت بعد القوّة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهض هم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الىٰ مكانة تشرف منها علىٰ رؤوس الأمم ويسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث علىٰ الألفة داع الىٰ المحبة مزك للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، منوّر للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية، وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الىٰ جميع فروع المدنية.

فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهريّا وحدوث بدع ليست منها في شيء، أقامها المعتقدون مقام الأصول الثابتة، وأعرضوا عمّا يرشد اليه الدين وعمّا أتىٰ لأجله وما أعدته الحكمة الالهية له حتىٰ لم يبق منه إلا اسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الأمة وبين الحق الذي تشعر بندائه أحياناً بين جوانحها.

فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والأخذ بأحكامه علىٰ ماكان في بدايته وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الأرواح لشرف الأمة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الامة إلا الىٰ نفخة واحدة يسرى نفثها

في جميع الأرواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا أقدامهم علىٰ طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقّة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهىٰ الكمال الانساني.

ومن طلب اصلاح امة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الأمة إلا نحساً ولا يكسبها إلا تعساً.

هل تعجب أيّها القارئ من قولي ان الأصول الدينية الحقّة المبرأة عن محدثات البدع تنشئ للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل وتفضيل الشرف علىٰ لذة الحياة وتبعثها علىٰ اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الىٰ أقصىٰ غاية في المدنية. ان عجبت فان عجبي من عجبك أشد. هل نسيت تاريخ الأمة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من الهمجية والشتات واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقوّاها وهذبها ونوّر عقولها وقوّم اخلاقها وسدّد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول ابنائها في غفلة عن لوازم المدينة ومقتضياتها نبهتها شريعتها وآيات دينها الىٰ طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ونقلوا الىٰ ديارهم طب بقراط وجالينوس وهندسة اقليدس وهيئة بطليموس وحكمة افلاطون وارسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمّة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوّتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها.

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الأقطار وطلب السيادة علىٰ الأمصار، وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا وبعد الغايات وعلو المقاصد، هي التي هذّبت أخلاقهم، وقوّمت أفكارهم، وكفتهم عن معاطاة الرذائل، وخسائس الأمور وسوافلها، ثم بعد مضي زمان من نشأتها أصابها من الانحطاط ما أصابها، فبيان أسباب الخلل فيها وعلاّته نفرد له فصلاً مستقلاً في آخر عدد ان شاء الله، وهو الموفق للصواب.

النصرانية والاسلام وأهلها

(إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)

خلق الله الانسان عالماً صناعياً ويسّر له سبيل العمل لنفسه وهداه للإبداع والاختراع، وقدّر له الرزق من صنع يديه، بل جعله ركن وجوده، ودعامة بقائه، فهو علىٰ جميع أحواله من ضيق وسعة، وخشونة ورفاهة، وتبد وحضارة، صنيعة أعماله، أقواته من معالجة الأرض بالزراعة أو قيامه على الماشية وسرابيله وما يقيه الحر أو البرد والوجى من عمل يديه نسجاً أو خصفاً وأكنانه ومساكنه ليس إلا مظاهر تقديره وتفكيره وجميع ما يفتتن فيه من دواعي ترفه ونعيمه إنما هي صور أعماله ومجالي افكاره، ولو نفض يديه من العمل لنفسه ساعة من الزمان وبسط أكفّه للطبيعة ليستجديها نفساً من حياة لشحت به عليه، بل دفعته الىٰ هاوية العدم، وهو في صنعه وإبداعه محتاج الى استاذ يثقّفه وهادٍ يرشده، فكما يعمل لتوفير لوازم معيشته وحاجات حياته يعمل ليعلم كيف يعمل، وليقتدر علىٰ أن يعمل، فصنعته أيضاً من صنعه فهو في جميع شؤونه الحيوية عالم صناعي كأنه منفصل عن الطبيعة بعيد من آثارها، حاجته اليها كحاجة العامل لآلة العمل. هذا هو الانسان في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه.

دعه في هذه الحالة وخذ طريقاً من النظر الى أحواله النفسية من الادراك

والتعقل والاخلاق والملكات والانفعالات الروحية تجده فيها أيضاً عالماً صناعياً: شجاعته وجبنه، جزعه، وصبره، كرمه وبخله، شهامته ونذالته، قسوته ولينه، عفته وشرهه، وما يشبهها من الكمالات والنقائص جميعها تابع لما يصادفه في تربيته الأولىٰ، وما يودع في نفسه من أحوال الذين نشأ فيهم وتربىٰ بينهم، مرامي أفكاره، ومناهج تعقله، ومذاهب ميله، ومطامح رغباته ونزوعه الىٰ الأسرار الالهية أو ركونه الىٰ البحث في الخواص الطبيعية، وعنايته باكتشاف الحقيقة في كل شيء، أو وقوفه عند بادئ الرأي فيه وكل ما يرتبط بالحركات الفكرية انما هي ودائع اختزنها لديه الآباء والامهات، والاقوام والعشائر والمخالطون.

وأما هواء المولد والمربى ونوع المزاج، وشكل الدماغ وتركيب البدن، وسائر الغواشي الطبيعية فلا أثر له في الاعراض النفسية والصفات الروحانية إلا ما يكون في الاستعداد والقابلية، على ضعف في ذلك الأثر، فان التربية وما ينطبع في النفس من أحوال المعاشرين وأفكار المثقفين تذهب به كأن لم يكن أودع في الطبع نعم ان أفكاراً تتجدد، ومعقولات عن أخرىٰ تتولد وصفات تسمو، وهمماً تعلو، حتى يفوق اللاحقون فيها السابقين ويظن ان هذا من تصرّف الطبيعة لا من آثار الاكتساب، ولكن الحق فيه ان ثمرة ما غرس ونتيجة ما كسب فهو مصنوع يتبع مصنوعاً، فالانسان في عقله وصفات روحه عالم صناعي.

هذا مما لايرتاب عليه العقلاء والسذج، ولكن هل تذكرت مع هذا ان الاعمال البدنية، انما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية، وان الروح هي السلطان القاهر علىٰ البدن ؟ أظنك لا تحتاج فيه الىٰ تذكير لأنه مما لا يغرب عن الأذهان إنما قبل الدخول في موضوعنا أقول كلمة حق في الدين، ولا أظن منكراً يجحدها :

إن الدين وضع الهي، ومعلمه والداعي اليه البشر، تتلقاه العقول عن المبشرين المنذرين، فهو مسكوب لمن يختصهم الله بالوحي، ومنقول عنهم بالبلاغ والدراسة والتعليم والتلقين، وهو عند جميع الأمم أول ما يمتزج بالقلوب، ويرسخ في الأفئدة،

وتصبغ النفوس بعقائده وما يتبعها من الملكات والعادات، وتتمرن الأبدان علىٰ ما ينشأ عنه من الأعمال عظيمها وحقيرها، فله السلطة الأولىٰ علىٰ الأفكار وما يطاوعها من العزائم والارادات، فهو سلطان الروح ومرشدها الىٰ ما تدبر به بدنها، وكانما الانسان في نشأته لوح صقيل، وأول ما يخط فيه رسم الدين، ثم ينبعث الىٰ سائر الاعمال بدعوته وارشاده. وما يطرأ على النفوس من غيره، فانما هو نادر شاذ، حتى لو خرج مارق عن دينه لم يستطع الخروج عمّا أحدثه فيه من الصفات بل تبقى طبعته فيه كأثر الجرح في البشرة بعد الاندمال.

وبعد هذا فموضوع بحثنا الآن الملّة المسيحية والملّة الاسلامية وهو بحث طويل الذيل وانما نأتي فيه على اجمال ينبئك عن تفصيل ان الديانة المسيحية بنيت على المسالمة والمياسرة في كل شيء وجاءت برفع القصاص واطراح الملك والسلطة، ونبذ الدنيا وبهرجها، ووعظت بوجوب الخضوع لكل سلطان يحكم المتدينين بها، وترك أموال السلاطين للسلاطين، والابتعاد عن المنازعات الشخصية والجنسية، بل والدينية، ومن وصايا الانجيل : من ضربك علىٰ خدّك الأيمن فأدر له الايسر. ومن أخباره ان الملوك انما ولايتهم علىٰ الأجساد وهي فانية والولاية الحقيقية الباقية علىٰ الأرواح وهي لله وحده فمن يقف على مباني هذه الديانة ويلاحظ ما قلنا من ان الدين صاحب الشوكة العظمى على الافكار، مع ملاحظة ان لكل خيال أثراً في الارادة يتبعه حركة في البدن على حسبه، يعجب كل العجب من اطوار الآخذين بهذا الدين السلمي، المنتسبين في عقائدهم اليه، فانهم يتسابقون في المفاخرة والمباهاة بزينة هذه الحياة ورفه

العيش فيها، ولا يقفون عند حدّ في استيفاء لذاتها، ويسارعون الى افتتاح الممالك؛ والتغلب علىٰ الاقطار الشاسعة، ويخترعون كل يوم فناً جديداً من فنون الحرب، ويبدعون في اختراع الآلات الحربية القاتلة، ويستعملها بعضهم في بعض، ويصولون بها على غيرهم ؛ ويبالغون في ترتيب الجيوش وتدبير سوقها في ميادين القتال ؛ ويصرفون عقولهم في إحكام نظامها حتى وصلوا غاية صار بها الفن العسكري من أوسع الفنون وأصعبها ؛ وان أصول دينهم صارفة لعقولهم عن العناية بحفظ أملاكهم ؛ فضلاً عن الالتفات الى طلب غيرها.

الديانة الاسلامية وضع أساسها علىٰ طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتها، ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها، فالناظر في أصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكماً لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابدّ ان يكونوا أول ملّة حربية في العالم، وان يسبقوا جميع الملل الىٰ اختراع الآلات القاتلة، واتقان العلوم العسكرية، والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجرّ الأثقال والهندسة وغيرها، ومن تأمل في آية (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة) أيقن ان من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب الغلبة، وطلب كل وسيلة الى ما يسهل له سبيلها، والسعي اليها بقدر الطاقة البشرية، فضلاً عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلّب غيره عليه، ومن لاحظ ان الشرع الاسلامي حرّم المراهنة إلا في السباقة والرماية انكشف مقدار رغبة الشارع في معرفة الفنون العسكرية والتمرّن عليها، ولكن مع كل ذلك تأخذه الدهشة من أحوال المتمسكين بهذا الدين لهذه الأوقات، إذ يراهم يتهاونون بالقوّة، ويتساهلون في طلب لوازمها، وليست لهم عناية بالبراعة في فنون القتال ولا في اختراع الآلات، حتى فاقتهم الأمم سواهم فيما كان أول واجب عليهم، واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات، وسقط كثير منهم تحت سلطة مخالفيهم واستكانوا لها، ورضخوا

لأحكامها ومن وازن بين الديانتين حار فكره كيف اخترع مدفع الكروب والمتراليوز وغيرهما بأيدي أبناء الديانة الأولىٰ قبل الثانية. وكيف وجدت بندقية مارتين في ديار الأولين، قبل وجودها عند الآخرين! وكيف أحكمت الحصون، ودرعت البواخر، وأخذت مغالق البحار بسواعد أهل السلامة والسلم، دون أهل الغلبة والحرب!

لِمَ لا يحار الحكيم وان كان نطاسياً! لِمَ لايقف الخبير البصير دون استكناه الحقيقة! هل القرون الخالية والاحقاب الماضية لم تكن كافية لرسوخ الديانتين في نفوس المتمسكين بعراهما ؟ هل نبذت كل ملّة من الملتين عقائد دينها ظهريا من أجيال بعيدة ؟ هل اقتصر النصارىٰ في دينهم علىٰ الأخذ بشريعة موسىٰ، واقتفاء سيرة يوشع بن نون، هل تخللت بعض آيات الانجيل من حيث يدرى ولا يدرى بين الخطب والمواعظ التي تُتلى على منابر المسلمين، أو أُلقي شيء منها في أماني معلميهم وناشري شريعتهم عندما يتربعون في محافل دروسهم ؟ هل تبدلت سنّة الله في الملتين هل تحول مجرى الطبيعة فيهما ؟ هل استبدت الأبدان فيهما علىٰ الأرواح ؟ أو وجد للأرواح دبير سوى الفكر والخيال ؟ أو انفلتت الأفكار من سلطة الدين ؟ أو تعاصت النفوس عن الانتقاش بنقشته، وهو أول حاكم عليها وأقوى مؤثر فيها. هل تتخلف العلل عن معلولاتها ؟ هل تنقطع النسب بين الأسباب ومسبباتها ؟ ماذا عساه يرشد العقول الىٰ كشف المساتير وحل المعميات ؟

أينسب هذا الىٰ اختلاف الأجناس، وكثير من أبناء الملتين يرجعون الىٰ أصول واحدة ويتقاربون في الأنساب الدانية. أينسب هذا الىٰ اختلاف الأقطار وكثير من القبيلين يتشابهون في طبائع البلدان، ويتجاورون في مواقع الأمكنة. ألم يصدر من المسلمين وهم في شبيبة دينهم أعمال بهرت الأبصار، وأدهشت الألباب. ألم يكن منهم مثل فارس والعرب والترك الذين دوّخوا الممالك واستووا علىٰ كرسي السيادة فيها، كان للمسلمين في الحروب الصليبية آلات نارية اشباه المدافع، فزع لها

المسيحيون، وغابوا عن معرفة أسبابها ذكر ملكام سرجـم «انجـليزي» في تـاريخ فارس أن محموداً القزنوني كان يحارب وثني الهند بالمدافع وكانت هي الأسباب في انهزامهم بين يديه سنة ٤٠٠ من الهجرة، وما كان المسيحيون لذلك العهد يـعرفون شيئاً منها.

فأي عون من الدهر أخذ بأيدي الملّة المسيحية فقدّمها الى مالم يكن في قواعد دينها. وأيّ صدمة من صدماته دفعت في صدور المسلمين فأخرتهم عـن تـعاطي الوسائل لما هو أول مفروض في دينهم ؟ مقام للحيرة وموضع للعجب! ويـظن ان لابد لهذا التخالف من سبب، نعم وتفصيله يطول، ولكن نجمل علىٰ ما شرطـنا ان الدين المسيحي إنما امتد ظله وعمّت دعوته في الممالك الأوربية من أبناء الرومانيين، وهم علىٰ عقائد وآداب وملكات وعادات ورثوها عن أديانهم السابقة ؛ وعلومهم وشرائعهم الأولىٰ، وجاء الدين المسيحي اليهم مسالماً لعوائدهم ومذاهب عقولهم، وداخلهم من طرق الاقناع ومسارقة الخواطر لا من مطارق البأس والقوة، فكان كالطراز على مطارفهم، ولم يسلبهم ما ورثوه عن أسلافهم، ومع هذا فإن صـحف الإنجيل الداعية الى السلامة والسلم لم تكن لسابق العهد مما يـتناوله الكـافة مـن الناس بل كانت مذخورة عند الرؤساء الروحانيين، ثم ان الاحبار الرومانيين لمـا أقاموا أنفسهم في منصب التشريع، وسنوا محاربة الصليب، ودعوا اليها دعوة الدين، التحمت آثارها في النفوس بالعقائد الدينية، وجرت منها مجرىٰ الأصول، ولحـقها علىٰ الأثر تزعزع عقائد المسيحيين في أوروبا، وافترقوا شيعات وذهبوا مـذاهب تنازع الدين في سلطته، وعاد وميض ما أودعه أجدادهم في جـراثـيم وجـودهم ضراماً، وتوسعوا في فنون كثيرة، وانفسح لهم مجال الفكر فيها، وكانت براعتهم في الفن العسكري، واختراع آلات الحرب والدفاع مساوقة لبراعتهم في سائر الفنون.

أما المسلمون فبعد أن نالوا في نشأة دينهم ما نالوا، وأخذوا من كـل كـمال حربي حظاً، وضربوا في كل فخار عسكري بـسهم، بـل تـقدموا سـائر المـلل في فنون المقارعة، وعلوم النزال والمكافحة ظهر فيهم أقوام بلباس الديـن وأبـدعوا

فيه، وخلطوا بأصوله ما ليس منها، فانتشرت بينهم قواعد الجبر، وضربت في الأذهان حتى اخترقتها، وامتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الأعمال، هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائية الذين أنكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر، ولا تثبتها الحقائق، وما وضعه كذبة النقل من الأحاديث ينسبونها الىٰ صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها في الكتب وفيها السمّ القاتل لروح الغيرة وان ما يلصق منها بالعقول يوجب ضعفاً في الهمم وفتوراً في العزائم وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصاً بعد حصول النقص في التعليم والقصير في إرشاد الكافة الى أصول دينهم الحقّة ومبانيه الثابتة التي دعا اليها النبي وأصحابه فلم تكن دراسة الدين علىٰ طريقها القويم إلا منحصرة في دوائر مخصوصة وبين فئة ضعيفة لعلّ هذا هو العلّة في وقوفهم. بل الموجب لتقهقرهم. وهو الذي نعاني من عنائه اليوم ما نسأل الله السلامة منه.

إلا أن هذه العوارض التي غشيت الدين. وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وإن كان حجابها كثيفاً. لكن بينها وبين الاعتقادات الصحيحة التي لم يحرموها بالمرة تدافع دائم وتغالب لا ينقطع. والمنازعة بين الحق والباطل كالمدافعة بين المرض وقوّة المزاج. وحيث ان الدين الحق هو أول صبغة صبغ الله بها نفوسهم. ولا يزال وميض برقه يلوح في أفئدتهم بين تلك الغيوم العارضة. فلابد يوماً أن يسطع ضياؤه ويقشع سحاب الاغيان. وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل وإمامهم الحق. وهو القائم عليهم يأمرهم بحماية حوزتهم والدفاع عن ولايتهم. ومغالبة المعتدين. وطلب المنعة من كل سبيل. لا يعين لها وجهاً. ولا يخصص لها طريقاً.

فاننا لا نرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم. ونهوضهم الىٰ مقاضاة الزمان ما سلب منهم. فيتقدّمون على من سواهم في فنون الملاحمة والمنازلة والمصاولة حفظاً لحقوقهم. وضناً بأنفسهم عن الذل وملّتهم عن الضياع والىٰ الله تصير الأمور.

انحطاط المسلمين وسكونهم
وسَبَب ذلك

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا)

إن للمسلمين شدّة في دينهم وقوة في إيمانهم وثباتاً علىٰ يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل. وان في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض. ومما رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيّهم صلىٰ الله عليه وسلم كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون علىٰ أحدهم أن يمرق من دينه أشدّ مما يشفقون عليه من الموت والفناء. وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عامتهم. حتىٰ لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الأرض عالماً كان أو جاهلاً أن واحداً ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج بالحوقلة والاسترجاع. ويعد النازلة من أعظم المصائب علىٰ من نزلت به. بل وعلىٰ جميع من يشاركه في دينه. ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئين من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمعه من الغليان. ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأىٰ كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب.

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة علىٰ ما يدخل في ولايتهم من البلدان. وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه، وهو فرض عين علىٰ كل واحد منهم إن لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان علىٰ الجميع أعظم الآثام، ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية، بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطب، ولا يباح لهم المسالمة مع من يغالبهم في حال من الأحوال حتىٰ ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم علىٰ من يخالفهم الىٰ حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه. وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق، ولا يغير منها تأويلات أهل الأهواء وأعوان الشهوات في كل زمان.

المسلمون يحثّ كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة، وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهامات دينه، ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الأيام بعضهم في غفلة عمّا يلمّ بالبعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل (بلوجستان) كانوا يرون حركات الانجليز في (أفغانستان) علىٰ مواقع أنظارهم، ولا يجيش لهم جأش ولم تكن لهم نعرة علىٰ إخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانجليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون، وان جنود الانجليز تضرب في الأراضي المصرية ذهاباً واياباً وتقتل وتفتك، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين علىٰ مجاري دمائهم، بل السامعين لخريرها من حلاقيمهم، الذين أحمرت أحداقهم من مشاهدها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن شمائلهم.

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الحيرة، ويسبق الىٰ بيان السبب فخذ مجملاً منه : ان الأفكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات والمدركات

والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة علىٰ الأعمال وعن حكمها تصدر بتقدر العزيز العليم، لكن الأعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الأنفس عليها حتىٰ يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق، وتترتب عليه الآثار التي تلائمها.

نعم ان الإنسان إنسان بفكره وعقائده إلا أن ما ينعكس الىٰ مرايا عقله من مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشدّ التأثير، فكل شهود يحدث فكراً وكل فكر يكون له أثر في داعية، وعن كل داعية ينشأ عمل، ثم يعود من العمل الىٰ الفكر، ولا ينقطع الفعل والأنفعال بين الأعمال والأفكار، مادامت الأرواح في الأجساد، وكل قبيل هو الآخر عماد.

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات، وتلجئ اليه الحاجات، عن تعاون الانسباء والعصبة على نيل المنافع، وتضافرهم علىٰ دفع المضار، وبعد كرور الأيام علىٰ المضافرة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه في آثارها بقية الأجل ويكون انبساط النفس لعون القريب، وغضاضة القلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جارياً مجرىٰ الوجدانيات الطبيعية كالإحساس بالجوع والعطش والري والشبع، بل اشتبه امره علىٰ بعض الناظرين فعده طبيعياً. فلو اهملت صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الأوقات الى ما يمكن تلك الصلة ويؤكّدها، أو وجد صاحب النسب من يظاهره في غير نسبة أو الجأته ضرورة الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية، ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري مجرىٰ المحفوظات من الروايات والمنقولات. وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة النسب وهي أقوىٰ رابطة بين البشر يكون الأمر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض. اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الى عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه ويعود اثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلاً من أشكالها، فلن يكون منشأ

لآثاره، وإنما يعدّ في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا.

بعد تدبر هذه الأصول البينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى ماهم فيه مع شدتهم في دينهم، والعلّة في تباطؤهم عن نصرة إخوانهم، وهم أثبت الناس في عقائدهم، فإنه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب إلا العقيدة الدينية مجردة عمّا يتّبعها من الأعمال، وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضاً هجراً غير جميل، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلاً عمّن يبعد عنهم، والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الأفغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم، ولا صلة تجمعهم إلا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر، أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم، بل لا انساب بينهم، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه.

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء، كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين. أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراكش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الأفغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وإرسال الحبال على الغوارب عمّ المسلمين حتى صحّ أن يقال لا علاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد إلا طفيف من الإحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة إذا التقى بعضهم ببعض في موسم الحجيج العام، وهذا النوع من الإحساس هو الداعي الى الأسف وانقباض الصدر إذا شعر مسلم بضياع حق مسلم علىٰ يد أجنبي عن ملته، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته.

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه، فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم.

بدأ هذا الإنحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم. كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الىٰ اقسام : خلافة عباسية في بغداد، وفاطمية في مصر والمغرب، وأُموية في أطراف الأندلس، تفرّقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلاف الى وظيفة الملك، فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون جانب الخلافة.

وزاد الاختلاف شدة وتقطّعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان وأولاده وتيمورلنك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلاً وإذلالاً حتىٰ أذهلوهم عن أنفسهم فتفرّق الشمل بالكليّة وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً، وانفرد كل بشأنه أو انصرف الى ما يليه، فتبدد الجمع الى آحاد، وافترق الناس فرقاً كل فرقة تتبع داعياً اما الىٰ ملك أو مذهب، فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة، وتبعث على اشتباك الوشيجة، وصار ما في العقول منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفس من المعلومات، ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عندما تنزل المصائب ببعض المسلمين، بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان، وما هو إلا نوع من الحزن على الفائت، كما يكون علىٰ الأموات من الأقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة، ولا دفع الغائلة.

وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شُرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتىٰ يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة إذا اهتزّ أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعّاظ في جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر، ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه في الأقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام، حتىٰ يتمكنوا بذلك من شدّ أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الأمة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الأجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك أدعىٰ لنشر العلوم وتنوير الأفهام وصيانة الدين من البدع، فإن إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة، وليس بخاف على المستبصرين ما يتّبع هذا من قوة الأمة وعلو كلمتها واقتدارها علىٰ دفع ما يغشاها من النوازل.

إلا إنّا نأسف غاية الأسف اذا لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفتت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الغيرة، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق ان يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوحّد جمعهم ويجمع شتيتهم، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه، وما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الىٰ من يبعد عنهم، ويصافحوا بالأكف من هو علىٰ مقربة منهم، ويتعرّفوا أحوال بعضهم فيما يعود علىٰ دينهم وملتهم بفائدة، أو ما يخشىٰ أن يمسها بضرر، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة، والرمق باق والآمال مقبلة، والىٰ الله المصير.

سبات من له حق
وحراك مَنْ لا حق له

هذه دول أوروبا جميعاً ودولة فرنسا خصوصاً شاخصة الأبصار الى ما أصاب مصالحها وأضاع حقوقها في القطر المصري وأضر بتجارتها فيه، ولا تبدي حركة ولا يسمع لها صوت، إلا همس خفي في الجرائد، والدولة العثمانية وهي شديدة الأزر قوية العضد بما لها من المكانة في قلوب الهنديين، وكل انجليزي قلبه بين أصابع الدولة العثمانية، وأحشائه مستقرة علىٰ أناملها، وفي نظرها أن سلطتها أشرفت على الزوال في الأقطار المصرية، وسيادتها عليها كادت تكون اسماً، ومع ذلك لا تأتي عملاً ولا تخطو خطوة، سوى انها اكتفت بإقامة الحجج ورفع الصوت بالاستغاثة لدى الدول، حتىٰ أبحها الصياح وليس من يسمع ولا من يجيب. وذوو الحقوق في الولاية على مصر والأخذ بزمام الحكم فيها على اختلاف مشاربهم، قد شدت أياديهم بحبال من الآمال، وسلاسل من المخاوف، لايجدون لهم قراراً علىٰ فكر، ولا ثباتاً على رأي، وإنما هم بين اعصار من الأوهام، وتيارات من هواجس الخيال، يحملقون الى مواقع الحوادث، حائرين لا يطرف لهم طرف، ولا يغمض لهم جفن، وعامة الأهالي في الديار المصرية بين فقر كاد يفضي الى قحط، واختلاف في النظام، وضعف في السلطة،

وخبط في الأحكام، كادت تؤدي الى يأس من الاصلاح، وقد أخذهم الدوار من التلف الى جوانبهم طوراً ينظرون الى حكامهم نظر الآمل في هممهم، وحسن تدبيرهم، وآخر الى ما وعدتهم به الحكومة الانجليزية من الجلاء عن أوطانهم، وتركهم وما يدبرون لأنفسهم، والقرعة تضرب عند الأمة البريطانية على ديارهم، بدون أن يجعل لهم فيا سهم، كانما هم عنها أغراب لا يؤبه بهم، ولا يبالى بشأنهم.

نزاع بين رجال السياسة الانجليزية، بعضهم يدفع الحكومة للاستيلاء على مصر واعلان السيادة عليها، واستلام أزمة أحكامها وآخرون يقولون هذا مما يخالف أحكام الزمم، ولا تسوغه شريعة الوفاء، وانما علينا أن نحل بها عساكرنا زمناً يكفي لقضاء مانريده فيها، ثم نخليها اذا لم يوجد موجب يحتّم البقاء. عبارات مختلفة، ومَعان متشابهة، يتنازعون وهم متوافقون، ويتخالفون وهم متّحدون، يذهبون في انتحال الاسباب لما يبتغون، مذاهب مختلفة فبعض الجرائد كجريدة «التايمز» وما علىٰ مشربها تعتل بالجنرال جوردون وتهون ما حل به من الفشل وتتقدم الى الحكومة الانجليزية بطلب انقاذه من الخطر ولا وسيلة لخلاصه إلا إعلان الحكومة بالسيادة علىٰ البلاد المصرية، فلهذا الاعلان من القوة المعنوية التي تدافع عن الجنرال ما ليس لجيش عرمرم، أما ارسال الجيوش فهو محال لوعرة السبل وكثرة النفقات وشدّة الحرارة، ولئن همّت به الحكومة فانما يكون من أعمال اليأس والقنوط، فهذه الجرائد جعلت هذه المصالح الدولية وحقوق الدولة العثمانية وحقوق ستة ملايين من سكان القطر المصري، فداء لرأس الجنرال جوردون وفي زعمها ان ماتراه ليس رأياً يبديه أرباب الجرائد بل هو ما تراه الأمة البريطانية بأسرها، وربما لايكون بعيداً، وبعض الجرائد وتشاركهم جريدة «التايمز» تتذرع فيما تطلب بما حصل لأرباب الديون المصرية من القلق علىٰ ديونهم، وليس لهم ضمانة ترفع قلقهم، ويسكن اضطرابهم، إلا اعلان السيادة على القطر المصري وقوم آخرون منهم

يجعلون حجتهم مصائب الأهالي المصريين ورزاياهم وما حلّ ببلادهم من احتلال، ولا ينقذهم من هذا الشقاء إلا السيادة الانجليزية، جميعهم على وفاق على ان هذه السيادة هي الجوهر الثمين والسرِّ المكنون، والأكسير المضنون به على غير أهله، متىٰ أبرزوه لم يبق مريض إلا عوفي، ولا ضعيف إلا قوي، ولا فاسد إلا صلح، كأن في هذا الأسم ما في الرقي والطلاسم، يغني عن الجيوش والأموال والعدة والرجال.

ولا نظن ان يكون في هذا الأسم ما يدعيه الانجليز من القوة ولا أن تكون في طبه هذه الأسرار العجيبة، ولو أننا فرضنا تنازل أرباب الحقوق عن حقوقهم من الدول الأوروبية والدولة العثمانية وأرباب الشأن الولاية، وسوغوا لحكومة انجلترا ان تنقش أحرف السيادة في أوراقها الرسمية أو في هواء الديار فليس من السهل عليها أن تزيد الحامية الى حد يحفظ ملكاً عظيماً يتاخم بلاد أوروبا وقد ظهرت آثار قوّتها مدة الحلول وما عاد منها على البلاد، على أن الأهالي كانوا في سكون تام لركونهم الى ما تعدهم به حكومة انجلترا من الجلاء عن أوطانهم فاذا أعلنت السيادة انفصمت علائق الآمال، وانحرفت القلوب ومالت الى الدعوة القائمة على القرب منها، وانقلب الكافة الى الذود عن حقوقهم الوطنية أو الملية، ولا يرهبون القوة الانجليزية فيى داخل البلاد بعدما علموا شأنها ويكون هذا حجّة جديدة لمحمد أحمد في تأييد دعواه لدى المصريين ولا يرعبه اسم السيادة بعدما لم ترهبه جيوش الجنرال هكس وجراهام، وفتكه بالأولى وإلجائه الثانية، الىٰ إخلاء سواحل البحر الأحمر، فأي شأن يكون لهذا الأسم الشريف، نعم يكون بداية مشكل جديد في مصر والله أعلم بعاقبته.

التَّعَصُّبْ

"اتبعوا ما أُنزل اليكم من ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء"

لفظ شغل مناطق الناس خصوصاً في البلاد المشرقية تلوكه الألسن وترمي به الأفواه في المحافل والمجامع حتىٰ صار تكأة[1] للمتكلمين، يلجأ اليه العييى[2] في تهتهته[3]، والذملقاني[4] في تفيهقه [5] أخذ هذا اللفظ بمواقع التعبير فقلما تكون عبارة إلا وهو فاتحتها أو حشوها أو خاتمتها، يعدون مسماه علّة لكل بلاء، ومنبعاً لكل عناء، ويزعمونه حجاباً كثيفاً وسدّاً بين المتّصفين به وبين الفوز والنجاح، ويجعلونه عنواناً على النقص وعلماً للرذائل، والمتسربلون بسرابيل الأفرنج الذاهبون في تقليدهم مذاهب الخبط والخلط لآ يميزون بين حق وباطل، هم أحرص الناس على التشدّق بهذا البدع الجديد، فتراهم في بيان مفاسد التعصب يهزون الرؤوس

---

١ ـ التكأة : ما يتوكأ عليه.

٢ ـ العييى : من العي وهو العجز عن الكلام .

٣ ـ التهتهة : ضرب من اللكنة.

٤ ـ الذملقاني : السريع الكلام.

٥ ـ التفيهق : التوسع والتنطع.

ويعبثون باللحى ويبرمون السبال، وإذا رموا به شخصاً للحط من شأنه أردفوه للتوضيح بلفظ أفرنجي (فناتيك) [1] فان عهدوا بشخص نوعاً من المخالفة لمشربهم عدّوه متعصباً، وهمزوا به وغمزوا ولمزوا، وإذا رأوه عبسوا وبسروا، وشمخوا بأنوفهم كبراً وولوه دبراً، ونادوا عليه بالويل والثبور، ماذا سبق الى أفهامهم من هذا اللفظ، وماذا اتصل بعقولهم من معناه حتى خالوه مبدأ لكل شناعة، ومصدراً لكل نقيصة، وهل لهم وقوف علىٰ شيء من حقيقته ؟

التعصب قيام بالعصبية، والعصبية من المصادر النسبية، نسبة الىٰ العصبة، وهي قوم الرجل الذين يعززون قوّته، ويدفعون عنه الضيم والعداء، فالتعصب صف للنفس الانسانية، تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه، ووجوه الاتصال تابعة لأحكام النفس في معلوماتها ومعارفها.

هذا الوصف هو الذي شكل الله به الشعوب، وأقام بناء الأمم وهو عقد الربط في كل أمة، بل هو المزاج الصحيح يوحّد المتفرّق منها تحت اسم واحد، أو ينشئها بتقدير الله خلقاً واحداً، كبدن تألّف من أجزاء وعناصر، تدبره روح واحدة، فتكون كشخص يمتاز في أطواره وشؤونه وسعادته وشقائه عن سائر الأشخاص.

وهذه الوحدة هي مبعث المباراة بين أمة وأمة، وقبيل وقبيل، ومباهاة كل من الأمتين المتقابلتين بما يتوفر لها من أسباب الرفاهة وهناءة العيش، وما تجمعه قواها من وسائل العزّة والمنعة، وسمو المقام ونفاذ الكلمة، والتنافس بين الأمم كالتنافس بين الأشخاص. أعظم باعث علىٰ بلوغ أقصىٰ درجات الكمال في جميع لوازم الحياة بقدر ماتسعه الطاقة.

التعصب روح كلي مهبطة هيئة الأمة وصورتها، وسائر أرواح الأفراد حواسه ومشاعره فاذا ألمَ بأحد المشاعر ما لا يلائمه من أجنبي عنه انفعل الروح الكلي، وجاشت طبيعته لدفعه، فهو لهذا مثار الحمية العامة، ومسعر النعرة الجنسية. هذا هو

---

١ ـ معناها : متعصب.

الذي يرفع نفوس آحاد الأمة عن معاطاة الدنايا وارتكاب الخيانات فيما يعود علىٰ الأمة بضرر، أو يؤول بها الى سوء عاقبة، وان استقامة الطباع ورسوخ الفضيلة في أمة تكون علىٰ حسب درجة التعصب فيها والالتحام بين آحادها. يكون كل منهم بمنزلة عضو سليم من بدن حي، لايجد الرأس بارتفاعه غنى عن القدم، ولا يرى القدمان في تطرفهما انحطاطاً في رتبة الوجود وانما كل يؤدي وظائفه لحفظ البدن وبقائه.

وكلما ضعفت قوة الربط بين أفراد الأمة بضعف التعصب فيهم استرخت الأعصاب، ورثت الأطناب، ورقت الأوتار، وتداعى بناء الامة الى الانحلال كما يتداعى بناء البنية البدنية الى الفناء، بعد هذا يموت الروح الكلي، وتبطل هيئة الامة وان بقيت آحادها، فما هي إلا كالأجزاء المتناثرة، إما أن تتصل بأبدان أُخرىٰ بحكم ضرورة الكون، وإما أن تبقىٰ في قبضة الموت الى ان ينفخ فيها روح النشأة الاخرىٰ. (سنّة الله في خلقه) إذا ضعفت العصبية في قوم رماهم الله بالفشل، وغفل بعضهم عن بعض، وأعقب الغفلة تقطّع في الروابط، وتبعه تقاطع وتدابر فيتّسع للأجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم، ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بإفاضة روح التعصب في نشأة ثانية.

نعم ان التعصب وصف كسائر الأوصاف، له حد اعتدال وطرفا إفراط وتفريط، واعتداله هو الكمال الذي بيّنا مزاياه والتفريط فيه هو النقص الذي أشرنا لرزاياه، والإفراط فيه مذمة تبعث علىٰ الجور والاعتداء فالمفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق، ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة، وينظر الىٰ الأجنبي عنه كما ينظر الى الهمل، لا يعترف به بحق، ولا يرعى له ذمة، فيخرج بذلك عن جادة العدل، فتنقلب منفعة التعصب الى مضرة ويذهب بهاء الامة، بل يتقوّض مجدها، فان العدل قوام الاجتماع الانساني، وبه حياة الأمم، وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها الى الزوال، وهذا الحدّ من الافراط في التعصب هو الممقوت على لسان

الشارع صلى اللّٰه عليه وسلم في قوله «ليس منّا من دعا الىٰ عصبية».

التعصب كما يُطلق ويُراد منه النعرة علىٰ الجنس، ومرجعها رابطة النسب والاجتماع في منبت واحد، كذلك توسّع أهل العرف فيه، فأطلقوا على قيام الملتحمين بصلة الدين لمناصرة بعضهم بعضاً، والمتنطعون من مقلدة الأفرنج يخصون هذا النوع منه بالمقت، ويرمونه بالتعس، ولا نخال مذهبهم هذا مذهب العقل. فان لحمة يصير بها المتفرقون الى وحدة، تنبعث عنها قوة لدفع الغائلات، وكسب الكمالات، لايختلف شأنها إذا كان مرجعها الدين أو النسب، وقد كان من تقدير العزيز العليم وجود الرابطتين في أقوام مختلفة من البشر، وعن كل منهما صدرت في العالم آثار جليلة يفتخر بها الكون الانساني، وليس يوجد عند العقل أدنىٰ فرق بين مدافعة القريب عن قريبه، ومعاونته على حاجات معيشته، وبين ما يصدر من ذلك عن المتلاحمين بصلة المعتقد ورابطة المشرب.

فتعصب المشتركين في الدين المتوافقين في أصول العقائد بعضهم لبعض إذا وقف عند الاعتدال ولم يدفع الى جور في المعاملة، ولا انتهاك لحرمة المخالف لهم أو نقض لذمته، فهو فضيلة من أجلّ الفضائل الانسانية، وأوفرها نفعاً وأجزلها فائدة بل هو أقدس رابطة وأعلاها، إذا استحكمت صعدت بذوي المكنة فيها الى أوج السيادة وذروة المجد، خصوصاً إن كانوا من قبيل قوى فيهم سلطان الدين. واشتدت سطوته على الأهواء الجنسية حتى أشرف بها علىٰ الزوال كما في أهل الديانة الاسلامية، علىٰ ما أشرنا اليه في العدد الثاني من جريدتنا.

ولا يؤخذ علينا في القول بأنه من أقدس الروابط، فانه كما يطمس رسوم الاختلاف بين أشخاص وآحاد متعددة، ويصل ما بينهم في المقاصد والعزائم والأعمال، وكذلك يمحو أثر المنابذة والمنافرة بين القبائل والعشائر، بل الأجناس المتخالفة في المنابت واللغات والعادات، بل المتباعدة في الصور والأشكال، ويحول أهواءها المتضاربة الىٰ قصد واحد، وهو تأصيل المجد وتأييد الشرف، وتخليد الذكر

تحت الاسم الجامع لهم هذا الأثر الجليل عهد لقوة التعصب الديني، وشهد عليه التاريخ بعدما أرشد اليه العقل الصحيح، وما كانت رابطة الجنس لتقوى علىٰ شيء منه.

ثغثغ جماعة من متزندقة هذه الأوقات في بيان مفاسد التعصب الديني وزعموا أن حمية أهل الدين لما يؤخذ به اخوالهم من ضيم، وتضافرهم لدفع ما يلم بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصدهم عن السير الى كمال المدنية، ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة، ويرمي بهم في ظلمات الجهل، ويحملهم على الجور والظلم والعدوان علىٰ من يخالفهم في دينهم، ومن رأى أولئك المتفثفين ان لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح إلا بانحلال العصبية الدينية ومحو أثرها، وتخليص العقول من سلطة العقائد وكثيراً ما يرجفون بأهل الدين الاسلامي، ويخوضون في نسبة مذام التعصب اليهم.

كذب الخراصون، ان الدين أول معلم وأرشد استاذ وأهدى قائد للأنفس الىٰ اكتساب العلوم والتوسع في المعارف، وأرحم مؤدب وأبصر مروّض بطبع الأرواح علىٰ الآداب الحسنة، والخلائق الكريمة، ويقيمها علىٰ جادة العدل، وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة، خصوصاً دين الاسلام فهو الذي رفع أمة كانت من أعرق الأمم في التوحش والقسوة والخشونة، وسما بها الىٰ أرقىٰ مراقي الحكمة والمدنية في أقرب مدة، وهي الأمة العربية.

قد يطرأ على التعصب الديني من التغالي والإفراط مثل ما يعرض على التعصب الجنسي فيقضي الىٰ ظلم وجور، ربما يؤدي الى قيام أهل الدين لإبادة مخالفيهم ومحق وجودهم، وكما قامت الأمم الغربية واندفعت على بلاد الشرق لمحض الفتك والإبادة لا للفتح ولا للدعوة الى الدين في الحرب الهائلة المعروفة بحرب الصليب، وكما فعل الاسبانيوليون بمسلمي الأندلس، وكما وقع قبل هذا وذاك في بداية ما حصلت الشوكة للدين المسيحي، إن صاحب السلطان من المسيحيين جمع

اليهود في القدس وأحرقهم إلا ان هذا العارض لمخالفته لأصول الدين قلما تمتد له مدة، ثم يرجع أرباب الدين الىٰ أصوله القائمة علىٰ قواعد السلم والرحمة والعدل.

اما أهل الدين الاسلامي فمنهم طوائف شطت في تعصبها في الأجيال الماضية إلا انه لم يصل بهم الافراط الى حد يقصدون فيه الإبادة واخلاء الأرض من مخالفيهم في دينهم، وما عهد ذلك في تاريخ المسلمين بعدما تجاوزوا حدود جزيرة العرب، ولنا الدليل الأقوم على مانقول، وهو وجود الملل المختلفة في ديارهم الى الآن حافظة لعقائدها وعوائدها من يوم تسلطوا عليها وهم في عنفوان القوة وهي في وهن الضعف، نعم كان للمسلمين ولع بتوسيع الممالك وامتداد الفتوحات وكانت لهم شدة علىٰ من يعارضهم في سلطانهم، إلا انهم كانوا مع ذلك يحفظون حرمة الأديان، ويرعون حق الذمة، ويعرفون لمن خضع لهم من الملل المختلفة حقه، ويدفعون عنه غائلة العدوان، ومن العقائد الراسخة في نفوسهم :

(أن من رضىٰ بذمتنا فله مالنا وعليه ما علينا) ولم يعدلوا في معاملتهم لغيرهم عن أمر الله في قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو علىٰ أنفسكم أو الوالدين والأقربين) اللّهم الا ما لا تخلو عنه الطبائع البشرية.

ومن نشأة المسلمين الى اليوم لم يدفعوا أحداً من مخالفيهم عن التقدم الى ما يستحقه من علو الرتبة وارتفاع المكانة، ولقد سما في دول المسلمين علىٰ اختلافها الى المراتب العالية كثير من أرباب الأديان المختلفة، وكان ذلك في شبيبتها وكمال قوّتها، ولم يزل الأمر علىٰ ما كان، وفي الظن ان الأمم الغربية لم تبلغ هذه الدرجة من العدل الىٰ اليوم (فسحقاً لقوم يظنون أن المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم).

لم يسلك المسلمون من عهد قريب مسلك الإلزام بدينهم والإجبار على قبوله مع شدّة بأسهم في بدايات دولهم، وتغلغلهم في افتتاح الأقطار، واندفاع هممهم للبسطة في الملك والسلطة، وإنما كانت لهم دعوة يبلغونها، فإن قبلت وإلا استبدلوا بها رسماً مالياً يقوم مقام الخراج عند غيرهم مع رعاية شروط عادلة تعلم من كتب

الفقه الاسلامي، هذا على خلاف متنصرة الرومانيين واليونانيين أيام شوكتهم الأولى، فإنّهم ماكانوا يطأون أرضاً إلا ويلزمون أهلها بخلع أديانهم، والتطوق بدين اولئك المسلطين وهو الدين المسيحي كما فعلوا في مصر وسورية، بل في البلاد الافرنجية نفسها.

هذا فصل من الكلام ساق اليه البيان وفيه تبصرة لمن يتبصّر، وتذكرة لمن يتذكّر، ثم أعود بك الى سابق الحديث فيما كنا بصدده : هل لعاقل لم يصب برزيئة في عقله أن الاعتدال من التعصب الديني نقيصة، وهل يوجد فرق بينه وبين التعصب الجنسي إلا بما يكون به التعصب الديني أقدس وأطهر وأعم فائدة، لاتخال عاقلاً يرتاب في صحة ما قررناه فما لأولئك القوم يهذرون بما لايدرون. أي أصل من أصول العقل يستندون اليه في المفاخرة والمباهاة بالتعصب الجنسي فقط، واعتقاده فضيلة من أشرف الفضائل، ويعبرون عنه بمحبة الوطن، وأي قاعدة من قواعد العمران البشري في التهاون بالتعصب الديني المعتدل وحسبانه نقيصة يجب الترفع عنها.

نعم ان الأفرنج تأكد لديهم ان أقوى رابطة بين المسلمين انما في الرابطة الدينية، وأدركوا أن قوتهم لا تكون إلا بالعصبية الاعتقادية، ولأولئك الأفرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم، فتوجهت عنايتهم الى بثّ هذه الأفكار الساقطة بين أرباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها، لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقوها شيعاً وأحزاباً، فانهم علموا كما علمنا، وعلم العقلاء أجمعون ان المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم، وتسنىٰ للمفسدين نجاح في بعض الأقطار الاسلامية، وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلاً وتقليداً فساعدوهم على التنفير من العصبية الدينية بعدما فقدوها ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حمقاً منهم وسفاهة، فمثلهم كمثل من هدم بيته قبل ان يهيئ لنفسه مسكناً سواه فاضطر للاقامة بالعراء معرضاً لفواعل

الجو وما تصول به على حياته.

من هذا ما سلك الانجليز في الهند لما أحسوا بالعراء بخيال السلطنة يطوف على أفكار المسلمين منهم لقرب عهدها بهم وفي دينهم ما يبعثهم على الحركة الى استرداد ما سُلب منهم، وأرشدهم البحث في طبائع الملل الى أن حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية وما دام الاعتقاد المحمدي والعصبة الملية سائدة فيهم فلا تؤمن بعثتهم الى طلب حقوقهم فاستهووا طائفة ممن يتسمون بسمة الاسلام، ويلبسون لباس المسلمين، وفي صدورهم غلّ ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة، وهم المعروفون في البلاد الهندية بالنيجرية أي الدهريين فاتخذهم الانجليز أعواناً لهم على فساد عقائد المسلمين، وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك نار حميتهم ويخمدوا ثائرة غيرتهم، ويبددوا جمعهم، ويمزقوا شملهم، وساعدوا تلك الطائفة على انشاء مدرسة كبيرة في (عليكر) ونشر جريدة لبثّ هذه الأباطيل بين الهنديين حتى يعمّ الضعف في العقائد وترث أطناب الصلات بين المسلمين فيستريح الانجليز في التسلط عليهم، وتطمئن قلوبهم من جهتهم كما اطمأنت من جهة غيرهم، وغر أولئك الغفّل المتزندقين ان رجال دولة بريطانيا يظهرون لهم رعاية صورية، ويدنونهم من بعض الوظائف الخسيسة (تعس من يبيع ملته بلقمة وذمته برذال العيش).

هذا أسلوب من السياسة الأوربية أجادت الدول اختباره وجنت ثماره، فأخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم، فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل في البلاد العثمانية والمصرية وغيرها من الممالك الاسلامية، ولم تعدم صيداً من الأمراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة، واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم، وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الأهواء الباطلة، ولكنّا نعجب من أن بعضاً من سذّج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم وثباتهم في ايمانهم يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني، ويهجرون في رمي المتعصبين بالخشونة، والبعد عن معدات المدنية الحاضرة،

ولايعلم اولئك المسلمون أنهم بهذا يشقون عصاهم، ويفسدون شأنهم، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المارقين، يطلبون محو التعصب المعتدل، وفي محوه محو الملّة ودفعها الىٰ أيدي الأجانب يستعبدونها ما دامت الأرض أرض والسماء سماء.

والله ما عجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لأحوال الغربيين من الأمم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الأفكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تبشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة.. الأفرنج أشدّ الناس في هذا النوع من التعصب وأحرصهم علىٰ القيام بدواعيه، ومن القواعد الأساسية في حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم، واذا عدت عادية مما لايخلو عنه الاجتماع البشري على واحد ممن على دينهم ومذاهبهم في ناحية من نواحي الشرق سمعت صياحاً وعويلاً وهيعات ونيآءات تتلاقى أمواجها في جو بلاد المدنية الغربية وينادي جميعهم : ألا قد ألمت ملمة، وحدثت حادثة مهمة، فأجمعوا الأمر وخذوا الأهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتىٰ لاتنخدش الجامعة الدينية، وتراهم على اختلافهم، في الاجناس وتباغضهم، وتحاقدهم وتنابذهم في السياسات، وترقب كل دولة منهم، لعثرة الأُخرىٰ حتى توقع بها السوء يتقاربون ويتآلفون ويتّحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم، في الدين وإن كان في أقصى قاصية من الأرض، ولو تقطعت بينه وبينهم، الأنساب الجنسية.

أما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الأرض وغمر البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب، فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبّه لهم إحساس بل، يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى يأخذ مده الغاية من حدّه، ويذهلون عمّا أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والمرحمة الطبيعية، كأنما يعدون الخارجين عن دينهم، من الحيوانات السائمة والهمل الراعية، وليس من نوع الانسان الذي يزعم الأوروبيون انهم حماته وأنصاره، وليس هذا خاصاً بالمتدينين منهم، بل

الدهريون ومن لايعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني، ولا يألون جهداً في تقوية عصبيتهم وليتهم يقفون عند الحق، ولكن كثيراً ما تجاوزوه. أما ان شأن الأفرنج في تمسكهم بالعصبية الدينية لغريب.

يبلغ الرجل منهم أعلىٰ درجة في الحرية كجلادستون، ثم لاتجد كلمة تصدر عنه إلا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب[١] بل لاترىٰ روحه إلا نسخة من روحه، (انظر الى كتب جلادستون وخطبه السابقة).

فيا أيتها الأمة المرحومة هذه حياتكم فاحفظوها، ودماؤكم فلا تريقوها، وأرواحكم فلا تزهقوها، وسعادتكم فلا تبيعوها بثمن دون الموت. هذه هي روابطكم الدينية لا تغرنكم الوساوس ولا تستهوينكم الترهات، ولا تدهشكم زخارف الباطل، ارفعوا غطاء الوهم عن باصرة الفهم، واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى ان الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر وان تنأت دياره، وتقاصت أقطاره.

هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله اليكم، وفيها عزّتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها، ولكن عليكم في رعايتها ان تخضعوا لسطوة العدل، فالعدل أساس الكون وبه قوامه ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم، وعليكم ان تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم، ومعرفة الحقوق لأربابها، وحسن المعاملة وإحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء أوطانكم وجيرانكم من أرباب الأديان المختلفة، فإن مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم، كما لاتقوم مصالحهم إلا بمصالحكم، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان، وذريعة لانتهاك الحقوق فإن دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه بأشدّ العقاب. هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض، بل تضافروا بها على

---

١ ـ هو داعية الحرب الصليبية.

مباراة الأمم في القوة والمنعة والشوكة والسلطان ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الانسانية.

اجعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم، واجتماع شملكم، وأخذ كل منكم بيد أخيه ليرفعه من هوّة النقص الى ذروة الكمال وتعاونوا علىٰ البر والتقوىٰ ولا تعاونوا علىٰ الإثم والعدوان.

القضاء والقدَر

مضت سُنّة الله في خلقه بأن للعقائد القلبية سلطاناً على الأعمال البدنية، فما يكون في الأعمال من صلاح أو فساد، فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على ما بينا في بعض الاعداد الماضية، وربّ عقيدة واحدة تأخذ بأطراف الأفكار فيتبعها عقائد ومدركات أخرىٰ، ثم تظهر علىٰ البدن بأعمال تلائم أثرها في النفس، وربّ أصل من أصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت علىٰ الأنفس في تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه علىٰ السامع فتلتبس عليه بما ليس من قبيلها أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة أو الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه، وفي كلا الحالين يتغير وجهها ويختلف أثرها، وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ في الفهم، أو علىٰ خبث الاستعداد، فتنشأ عنها أعمال غير صالحة، وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد، ولا كيف يصرفه اعتقاده، والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الأصل وتلك القاعدة، ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض أصول الأديان غالباً، بل هو علّة البدع في كل دين علىٰ الأغلب، وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال، حتىٰ أفضىٰ بمن ابتلاهم الله به الىٰ الهلاك وبئس

المصير، وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم علىٰ الطعن في دين من الأديان، أو عقيدة من العقائد الحقّة استناداً الى أعمال بعض السذّج المنتسبين الىٰ الدين أو العقيدة.

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعدّ من أصول العقائد في الديانة الاسلامية الحقة. كثر فيها لغط المغفلين من الأفرنج وظنوا بها الظنون، وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم إلا وسلبتهم الهمة والقوة، وحكمت فيهم الضعف والضعة، ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم أطواراً، ثم حصروا علّتها في الاعتقاد بالقدر فقالوا : ان المسلمين في فقر وفاقة وتأخّر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الأمم، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض، وتفرّقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عمّا يضرّهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة، ولكن متىٰ أمكن لأحدهم ان يضرّ أخاه لايقصّر في الحاق الضرر به، فجعلوا بأسهم بينهم والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرىٰ، رضوا بكل عارض، واستعدوا لقبول كل حادث، وركنوا الىٰ السكون في كسور بيوتهم، يسرحون في مرعاهم، ثم يعودون الىٰ مأواهم، الأمراء فيهم يقطعون أزمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات، وعليهم فروض وواجبات تستغرق في أدائها أعمارهم ولا يؤدون منها شيئاً. يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافاً وتبذيراً نفقاتهم واسعة، ولكن لا يدخل في حسابها شيء يعود على ملّتهم بالمنفعة، يتخازلون ويتنافرون، وينوطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية، فرب تنافر بين أميرين يضيع أمّة كاملة، كل منهما يخذل صاحبه، ويتسعدي عليه جاره، فيجد الأجنبي فيهما قوة فانية وضعفاً قاتلاً فينال من بلادهما ما لا يكلّفه عدداً ولا عدة، شملهم الخوف وعمّهم الجبن والخور يفزعون من الهمس، ويألمون من اللمس. قعدوا عن الحركة الى ما يلحقون به الأمم في العزة والشوكة، وخالفوا في ذلك أوامر دينهم،

مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم، يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون، واذا أصاب قوماً من أخوانهم مصيبة أوعدت عليهم عادية لا يسعون في تخفيف مصابهم، ولا ينبعثون لمناصرتهم، ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لا جهرية ولا سرية، يكون من مقاصدها احياء الغيرة، وتنبيه الحمية، ومساعدة الضعفاء، وحفظ الحق من بغي الأقوياء وتسلّط الغرباء.

هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الأطوار، وزعموا ان لا منشأ لها إلا اعتقادهم بالقضاء والقدر وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية، وحكموا بأن المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة، ولن ينالوا عزّاً ولن يعيدوا مجداً، ولا يأخذون بحق، ولا يدفعون تعدياً، ولا ينهضون بتقوية سلطان، أو تأييد ملك، ولا يزال بهم الضعف يفعل في نفوسهم، ويركس من طباعهم، حتىٰ يؤدي بهم الى الفناء والزوال (والعياذ بالله) يفني بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة، وما يسلم من أيدي بعضهم يحصده الأجانب.

واعتَقَدَ أولئك الأفرنج انه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين : بأن الانسان مجبور محض في جميع أفعاله ؛ وتوهموا ان المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلّقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل، ومتى رسخ في نفوس قوم أنه لا خيار لهم في قول ولا عمل، ولا حركة ولا سكون، وانما جميع ذلك بقوة جابرة، وقدرة قاسرة، فلا ريب تتعطل قواهم، ويفقدون ثمرة ما وهبهم الله من المدارك والقوى، وتمحى من خواطرهم داعية السعي والكسب، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحوّلوا من عالم الوجود الىٰ عالم العدم.

هكذا ظنت طائفة من الأفرنج، وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق ولست أخشىٰ أن أقول : كذب الظان. وأخطأه الوهم وبطل الزاعم. وافتروا علىٰ الله والمسلمين كذباً ـ لا يوجد مسلم في هذا الوقت من سني وشيعي وزيدي واسماعيلي ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض، ويعتقد سلب الاختيار عن

نفسه بالمرة، بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزاء اختيارياً في أعمالهم، ويسمىٰ بالكسب، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم، وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري، ومطالبون بامتثال جميع الأوامر الالهية، والنواهي الربانية، الداعية الىٰ كل خير، الهادية الىٰ كل فلاح، وأن هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعي، وبه تتم الحكمة والعدل.

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمىٰ بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع أفعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين أن يحرك الشخص فكّه للأكل والمضع وبين أن يتحرك بقفقفة البرد عند شدّته، ومذهب هذه الطائفة يعدّه المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة، وقد انقرض أرباب هذا المذهب في أواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبقَ لهم أثر، وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ما ظنه أولئك الواهمون.

الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع، بل ترشد اليه الفطرة، وسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان كل حادث له سبب يقاربه في الزمان، وأنه لا يرىٰ من سلسلة الأسباب الا ما هو، حاضر لديه ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها، وان لكل منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم. وإرادة الانسان إنما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة. وليست الإرادة إلا أثراً من آثار الادراك. والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس. وشعورها بما أودع في الفطرة من الحاجات. فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والإرادة ما لاينكره أبله. فضلاً عن عاقل، وان مبدأ هذه الأسباب التي ترى في الظاهر مؤثرة انما هو بيد مدبّر الكون الأعظم الذي أبدع الأشياء على وفق حكمته. وجعل كل حادث تابعاً لشبهة كأنه جزاء له. خصوصاً في العالم الإنساني.

ولو فرضنا ان جاهلاً ضلّ عن الاعتراف بوجود إله صانع للعالم فليس في إمكانه ان يتملّص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في

الإرادات البشرية. فهل يستطيع إنسان أن يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنّها الله في خلقه ؟ هذا أمر يعترف به طلاّب الحقائق فضلاً عن الواصلين ـ وان بعضاً من حكماء الأفرنج وعلماء سياستهم التجأوا الى الخضوع لسلطة القضاء، وأطالوا البيان في اثباتها، ولسنا في حاجة الىٰ الاستشهاد بآرائهم.

ان للتاريخ علماً فوق الرواية عنى بالبحث فيه العلماء من كل امّة وهو العلم الباحث عن سير الأمم في صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها، وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والأفكار، بل في خصائص الإحساس الباطن والوجدان، وما يتبع ذلك كلّه من نشأة الأمم، وتكوّن الدول، أو فناء بعضها واندراس أثره.

هذا الفن الذي عدوه من أجلّ الفنون الأدبية وأجزلها فائدة بناء البحث فيه على الاعتقاد بالقضاء والقدر، والاذعان بأن قوى البشر في قبضة مدبر للكائنات، ومصرف للحادثات، ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع، ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد، ولا تقوّض سلطان.

الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرّد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجرأة والاقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الأسود، وتنشق منها مرائر النمور. هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات، واحتمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويحليها بحلى الجود والسخاء، ويدعوها الىٰ الخروج من كل ما يعز عليها، بل يحملها على بذل الأرواح، والتخلي عن نضرة الحياة، كل هذا في سبيل الحق الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة.

الذي يعتقد بأن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء، كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة امته، أو ملّته، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ وكيف يخشىٰ الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشييد المجد، علىٰ حسب الأوامر الالهية، وأصول الاجتماعات البشرية.

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحق (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)اندفع المسلمون في أوائل نشأتهم الى الممالك والأقطار يفتحونها ويتسلّطون عليها، فأدهشوا العقول وحيروا الألباب مما دوخوا الدول وقهروا الأمم، وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار الصين، مع قلة عدتهم وعددهم، وعدم اعتيادهم على الأهوية المختلفة، وطبائع الأقطار المتنوعة، أرغموا الملوك، وأذلوا القياصرة والأكاسرة، في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة. ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات.

دمروا بلاداً، ودكدكوا أطواداً، ورفعوا فوق الأرض أرضاً ثانية من القسطل، وطبقة أخرىٰ من النقع، وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم، وأقاموا بدلها جبالاً وتلالاً من رؤوس النابذين لسلطانهم، وأرجفوا كل قلب، وأرعدوا كل فريصة وما كان قائدهم وسائقهم الى جميع هذا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر.

هذا الاعتقاد هو الذي ثبتت به أقدام بعض الأعداد القليلة منهم أمام جيوش يغص بها الفضاء، ويضيق بها بسيط الغبراء، فكشفوهم عن مواقعهم، وردوهم علىٰ أعقابهم.

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق، وانقضت شهبها علىٰ الحيارىٰ في هبوات الحروب من أهل المغرب، وهو الذي حملهم علىٰ بذل أموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل اعلاء كلمتهم، لايخشون فقراً ولا يخافون فاقة. هذا الاعتقاد هو الذي سهّل عليهم حمل أولادهم ونسائهم ومن يكون في حجورهم الى ساحات القتال في أقصى بلاد العالم، كانما يسيرون الى الحدائق والرياض، وكأنهم أخذوا لأنفسهم بالتوكل على اللّه اماناً من كل غادرة، وأحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة، وكان نساؤهم وأولادهم يتولون سقاية جيوشهم،

وخدمتها فيما تحتاج اليه، لا يفترق النساء والأولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح، ولا تأخذ النساء رهبة، ولا تغشى الأولاد مهابة، هذا الاعتقاد هو الذي ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب، ويبدد أفلاذ الاكباد، حتى كانوا ينصرون بالرعب، يقذف به في قلوب أعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل ان يشيموا بروق سيوفهم ولمعان أسنتهم، بل قبل ان تصل الى تخومهم أطراف جحافلهم.

بكائي على السالفين ونحيبي على السابقين، أين أنتم يا عصبة الرحمة وأولياء الشفقة أين أنتم يا أعلام المروءة، وشوامخ القوة، أين أنتم يا آل النجدة، وغوث المضيم يوم الشدة أين أنتم يا خير أمّة أُخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ؟ أين أنتم أيها الأمجاد الأنجاد القوامون بالقسط الآخذون بالعدل الناطقون بالحكمة، المؤسسون لبناء الأمة، ألا تنظرون من خلال قبوركم الى ما أتاه خلفكم من بعدكم، وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتكم، انحرفوا عن سنّتكم، وجاروا عن طريقكم فضلوا عن سبيلكم، وتفرّقوا فرقاً وأشياعاً، حتى أصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب أسفاً، وتحترق الأكباد حزناً. اضحوا فريسة للأمم الاجنبية لا يستطيعون ذوداً عن حوضهم، ولا دفاعاً عن حوزتهم، ألا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبّه الغافل، ويوقظ النائم، ويهدي الضآل، الىٰ سواء السبيل ؟ (انّا لله وانّا اليه راجعون).

أقول وربما لا أخشىٰ واهماً ينازعني فيما أقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشري الى اليوم ما وجد فاتح عظيم، ولا محارب شهير، نبت في أوسط الطبقات، ثم رقىٰ بهمته الى أعلى الدرجات فذللت له الصعاب، وخضعت الرقاب، وبلغ من بسطة الملك ما يدعو الىٰ العجب، ويبعث الفكر لطلب السبب، إلا كان معتقداً بالقضاء والقدر، سبحان الله، الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة، فما الذي يهوّن عليه اقتحام المخاطر، وخوض المهالك،

ومصارعة المنايا، إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر، وركون قلبه الى ان المقدر كائن ولا أثر لهول المظاهر.

أثبتت لنا التواريخ أن كورش الفارسي (كيخسرو) وهو أول فاتح يعرف في تاريخ الأقدمين ما تسنىٰ له الظفر في فتوحاته الواسعة، إلا لأنه كان معتقداً بالقضاء والقدر، فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول، ولا توهن عزيمته شدّة، وان اسكندر الأكبر اليوناني كان ممن رسخ في نفوسهم هذه العقيدة الجليلة وجنكيزخان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من أرباب هذا الاعتقاد، بل كان نابليون الأول بونابرت الفرنساوي من أشدّ الناس تمسكاً بعقيدة القضاء، وهي التي كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة، فيتهيأ له الظفر، وينال بغيته من النصر.

فنعم الاعتقاد الذي يطهّر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن وهو أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله في طبقته أيّاً كانت، نعم إننا لا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر، وربما كان هذا سبباً في رزيئتهم ببعض المصائب التي أخذتهم بها الحوادث في الأعصر الأخيرة، ورجاؤنا في الراسخين من علماء العصر أن يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع، ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون، وينشروا بينهم ما أثبتته ائمتنا رضي الله عنهم كالشيخ الغزالي وأمثاله من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا في العمل، لا في البطالة والكسل، وما أمرنا الله ان نهمل فروضنا، وننبذ ما أوجب علينا، بحجة التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين، الحائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب أحد من أهل الدين الاسلامي في أن الدفاع عن الملة في هذه الأوقات صار من الفروض العينية على كل مؤمن مكلف وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقّة التي تجمع كلمتهم، وترد

اليهم عزيمتهم، وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الأول، إلا دعوة خير من علمائهم، وان جميع ذلك موكول الى ذمتهم.

أما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخّر فليس منشأوه هذه العقيدة «ولا غيرها من العقائد الاسلامية» ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار. نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر، وثمل من العز والغلب وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان، صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنگيزخان وأحفاده، وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الأمم الاوروبية بأسرها علىٰ ديارهم، وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأي، وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة، ووسد الأمر فيهم الىٰ غير أهله، وولي على أمورهم من لايحسن سياستها، فكان حكامهم وأمراؤهم من جراثيم الفساد في أخلاقهم وطباعهم، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم، وقصرت أنظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التي لا تتجاوز لذته الانية، وأخذ كل منهم بناصية الآخر، يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب، لا لعلّة صحيحة ولا داع قوي، وجعلوا هذا ثمرة الحياة، فآل الأمر بهم الى الضعف والقنوط وأدىٰ الى ماصاروا اليه.

ولكني أقول ـ وحق ما أقول ـ ان هذه الملة لن تموت مادامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم، ورسومها تلوح في أذهانهم، وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم، وكل ما عرض عليهم من الأمراض النفسية والاعتلال العقلي، فلابد ان تدفعه قوة العقائد الحقّة، ويعود الأمر كما بدأ وينشطوا من عقالهم، ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم، وارهاب الأمم الطامعة فيهم، وايقافها عند حدّها، وما ذلك ببعيد، والحوادث التاريخية تؤيده

فانظر الى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش الى ارجاء العالم، واتسعت لهم ميادين الفتوحات، ودوخوا البلاد وأرغموا أنوف الملوك، ودانت لسلطانهم الدول الأفرنجية، حتى كان السلطان العثماني يلقّب بين الدول بالسلطان الأكبر.

ثم ارجع البصر تجد هزّة في نفوسهم وحركة في طباعهم أحدثها فيهم ما توعدتهم به الحوادث الأخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب : حركة سرت في أفكار ذوي البصيرة منهم في أغلب الانحاء شرقاً وغرباً وتألفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع، والسعي بغاية الجهد لبثّ افكارها، وجمع الكلمة المفترقة، وضم الأشتات المتبددة وجعلوا من أصغر أعمالهم نشر جريدة عربية، لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الأجانب لهم، وإنّا نرىٰ عدد الجمعية الصالحة يزداد يوماً بعد يوم، نسأل الله تعالىٰ نجاح أعمالها، وتأييد مقصدها الحق، ورجاؤنا من كرمه ان يترتب علىٰ حسن سعيها أثر مفيد للشرقيين عموماً وللمسلمين خصوصاً.

الفضائل والرذائل وأثرهما

وذكّر فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين"

قالوا : للانسان كمال مفروض عليه أن يسعىٰ اليه، وقالوا إنّه عرضة لنقص يجب عليه الترفع عنه، وقالوا كماله في استيفاء ما يمكن من الفضائل ؛ ونقصه في التلوّث برذيلة من الرذائل، فما هي الفضائل وما هي الرذائل، الفضائل سجايا للنفس من مقتضاها التأليف والتوفيق بين المتصفين بها، كالسخاء والعفة والحياء ونحوها، فالسخيان لايتشاحان ولا يتنازعان في التعامل، فإن من سجية كل منهما البذل في الحق، والمنع اذا اقتضاه الحق، فكل يعرف حدّه فيقف عنده، فلا يوجد موضوع للنزاع عند معاطاة الاعمال المالية، والأعفاء لا يتزاحمون علىٰ مشتهى من المشتهيات، فان من خُلق كل منهم التجافي عن الشهوة، وفي طبيعته الايثار بالرغائب، وهكذا اذا استقريت جميع ما عدّه علماء التهذيب من الصفات الفاضلة تجد ان من لوازم كل فضيلة منها التأليف بين المتّصفين بها في متعلق الأثر الناشئ عن تلك الفضيلة فإذا اجتمعت الفضائل أو غلبت في شخصين مالت نفوسهما الى الاتحاد والالتئام في جميع الأعمال والمقاصد أو جلّها ودامت الوحدة بينهما بمقدار رسوخ الفضيلة وعلى هذا النحو يكون الأمر في الأشخاص الكثيرة، فالفضائل هي مناط الوحدة بين الهيئة الاجتماعية وعروة الاتحاد بين الآحاد، تميل

بكل منهما الىٰ الآخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس كواحد منهم، يتحرّك بإرادة واحدة، ويطلب في حركته غاية واحدة، مجموع الفضائل هو العدل في جميع الأعمال فاذا شمل طائفة من نوع الانسان وقف بكل من آحادها عند حدّه في عمله لا يتجاوزه بما يمسّ حقاً للآخر فيه يكون التكافؤ والتوازر، لكل شخص من أفراد الإنسان وجود خاص به وأودعت فيه العناية الالهية من القوى ما به يحفظ وجوده، وما به التناسل لبقاء النوع، وهو في هذا يساوي سائر أفراد الحيوان، لكن قضت حكمة الله أن يكون الإنسان ممتازاً عن بقية الأنواع الحيوانية بكون آخر، ووجود أرقىٰ وأعلىٰ، وهو كون الاجتماع، حتى يتألف من أفراده الكثيرة بنية واحدة يعمّها اسم واحد، والأفراد فيها كأعضاء تختلف في الوظائف والأشكال، وانما كلٌ يؤدي عمله لبقاء البنية الجامعة وتقويتها وتوفير حظّها من الوجود ليعود اليه نصيب من عملها الكلي كما أودع الله في أعضاء أبداننا وبنيتنا الشخصية، والفضائل في المجتمع الانساني كقوة الحياة المستكملة في كل عضو ما يقدره على أداء عمله مع الوقوف عند حدّ وظيفته كاليد بها البطش والتناول وليس من خصائصها الأبصار، والعين بها الابصار وتميّز الألوان والاشكال، وليس من وظائفها البطش والكل حي بحياة واحدة، وان شئت قلت الفضائل في عالم الانسان كالجذبة العامة في العالم الكبير، فكما ان الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات، وبالتوازن في الجاذبية ثبت كل كوكب في مركزه، وحفظت النسبة بينه وبين الكوكب الآخر وانتظم بها سيره في مداره الخاص بتقدير العزيز العليم، حتى تمتّ حكمة الله في وجود الأكوان وبقائها : كذلك شأن الفضائل في الاجتماع الإنساني، بها يحفظ الله الوجود الشخصي الىٰ الأجل المحدود ويثبت البقاء النوعي الىٰ أن يأتي أمر الله.

أي أمة يكون الواضع فيها والرافع، والحارس والوازع، والجالب والدافع، وجميع من يدير أمورها، ويسوسها في شؤونها انما هم أفراد منها من هاماتها أو

من لهازمها «من الأعلياء والأوساط بل سائر الأطراف» ويكون كل واحد منها قائماً بحق الكل ولا يختار مقصداً يعكس مقصد الكل، ولا يسعىٰ الى غاية تميل به من غاية الكل، ولا يهمل عملاً يتعلّق بالأمة حتىٰ يكون الجميع كالبنيان المتين لا تزعزعه العواصف ولا تدكّه الزلازل، وبقوة كل منهم يجتمع للأمة قوة، تحفظ بها موقعها، وتدفع بها عن شرفها ومجدها، وتردّ غارة الأغيار عليها، فهي الأمة التي سادت فيها الفضائل، واستعلت فيها مكارم الأخلاق.

ان أمة هذا شأنها لا يتخالف أفرادها إلا للتآلف، ولا يتغايرون إلا للاتحاد، فمثلهم في اختلاف أعمالهم كمثل المتدابرين علىٰ محيط دائرة يتفارقان في مبدأ السير ليتلاقيا علىٰ نقطة من المحيط ومثالهم في تغاير مأخذهم لجلب منافعهم كجاذبي طرفي خيطة واحدة (حبل واحد) كلٌ آخذ بطرف مع تعادل القوتين ففي جذب أحدهما لصاحبه أبعاد لنفسه عنه من وجه، وحفظ لمكان قربه منه من وجه آخر، فلا يفترقان ولا يتباينان، ولا تفنىٰ منفعة أحدهما في منفعة الآخر، اما ان مسالك الأفراد من مثل هذه الأمة بما منحوه من الارتباط بينهم كأنصاف دائرة مركزها حياة الأمة وعظمتها، ولا يخرج ولا واحد منهم عن محيط الجنسية، وانهم في جلب منافعها واستكمال فوائدها كالجداول تمدّ البحر لتستمد منه.

يرى كل واحد منهم ان ما تبتهج به النفوس البشرية. وتمتاز بالميل اليه عن سائر الحيوانات من رفعة المكانة والغلب وبسط الجاه ونفاذ الكلمة. انما يمكن اذا توفر للأمة حظّها من هذه المزايا فيسعىٰ جهده لإبلاغ كل واحد من الأمة أقصىٰ ما يؤهله استعداده ليأخذ بسهم مما يناله. فلا يهمل ولا يخون في الدفاع عن فرد من أفرادها. فضلاً عن هيئتها العامة. وإلا فقد خان نفسه. لأنّه أبطل آلة من آلات عمله. وقطع سبباً من أسباب غايته. ولا يحتقر واحداً من الآحاد. ولا يزدري بعمله. ويحسب الشخص من الأمة وان كان صغيراً بمنزلة مسمار صغير في آلة كبيرة لو سقط منها تعطلت الآلة بسقوطه.

عليك ان تنظر في حقائق الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الأثر الذي بيّناه : التعقّل والتروي وانطلاق الفكر من قيود الأوهام والعفّة والسخاء والقناعة والدماثة «لين الجانب» والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والإيثار «تقديم الغير بالمنفعة على النفس» والنجدة والسماحة والصدق والوفاء والأمانة وسلامة الصدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة.

ألا ترىٰ لو عمّت هذه الصفات الجليلة امّة من الأمم أو غلبت في أفرادها يكون بينها سوى الاتحاد والالتئام التام ؟ هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حرّين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وقورين عفيفين رحيمين. أما والله لو نفخت نسمة من أرواح هذه الفضائل على أرض قوم وكانت مواتا لأحيتها، أو قفر لأنبتتها أو جدباً لأمطرتها من غيث الرحمة ما يسبغ نعمة الله عليها، ولأقامت لها من الوحدة سياجاً لايخرق، وحرزاً منيعاً لايهتك، وان أولىٰ الأمم بأن تبلغ الكمال في هذه السجايا الشريفة أمة قال نبيّهم «إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق» الفضيلة حياة الأمم تصون أجسامها عن تداخل العناصر الغريبة، وتحفظها من الانحلال المؤدي الى الزوال (وما كان ربُّك ليهلك القرىٰ بظلم وأهلها مصلحون).

وأما الرذائل فهي كيفيات خبيثة تعرض للأنفس، من طبيعتها التحليل والتفريق بين النفوس المتكيفة بها كالقحة «قلة الحياء» والبذاء «التطاول على الأعراض بما لاتقتضيه الحشمة والأدب من الكلام» والسفه والبله والطيش والتهوّر والجبن والدناءة والجزع والحقد والحسد والكبرياء والعجب واللجاج والسخرية والغدر والخيانة والكذب والنفاق، فأي صفة من هذه الصفات تلوّث بها نفسان ألقت بينهما العداوة والبغضاء، وذهبت بهما مذاهب الخلاف الى حيث لا يبقى أمل في الوفاق، فإن طبيعة كل واحدة منها اما مجاوزة الحدود في التعدي

على الحقوق واما السقوط الى ما لا يمكن معه للشخص أداء الواجب عليه لمن يشاركه في الجنسية أو الملة أو القبيلة أو العشيرة أو بأي نوع من أنواع التعامل، والإنسان مجبول بالطبع على النفرة ممن يتعدى على حقوقه أو يمنعه حقّاً منها، وإن شئت فتخيّل وقحين بذيئين سفيهين جبانين بخيلين «كل يمنع الآخر حقّه» شرهين حاقدين حاسدين متكبرين «كل لا يستحسن إلا فعل نفسه» لجوجين خائنين غادرين كاذبين منافقين، هل يمكن أن يجمعهما مقصد أو توّحد بينهما غاية ؟ أليسَ كل وصف على حدّته قاضياً بانتباذ كل من صاحبه وان لم تكن داعية، وكفىٰ بخُلقه وصفته باعثاً قوياً للتنابذ.

هذه الرذائل اذا فشت في أمة نقضت بناءها ونثرت أعضاءها بددتها شذر مذر، واستدعت بعد ذلك طبيعة الوجود الاجتماعي أن تسطو على هذه الأمة قوّة أجنبية عنها لتأخذها بالقهر، وتصرفها في أعمال الحياة بالقسر، فإن حاجاتهم في المعيشة طالبة للاجتماع وهو لايمكن مع هذه الأوصاف، فلابد من قوة خارجة تحفظ صورة الاجتماع الى حدّ الضرورة.

هذه صفات إذا رسخت في نفوس قوم صار بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّىٰ، تراهم أعزّة بعضهم على بعض، اذلة للأجنبي عنهم، يدعون أعداءهم للسيادة عليهم، ويفتخرون بالانتماء اليهم، يمهدون السبل للغالبين الى النكاية بهم ويمكنون مخالب المغتالين من أحشائهم، ويرون كل حسن من ابناء جنسهم قبيحاً، وكل جليل منهم حقيراً، إذا نطق أجنبي بما يدور علىٰ ألسنة صبيانهم عدّوه من جوامع الكلم ونفائس الحكم، وإذا غاص أحدهم بحر الوجود واستخرج لهم درر الحقائق وكشف لهم دقائق الأسرار عدّوه من سقط المتاع وقالوا بلسان حالهم أو مقالهم ليس في الإمكان ان يكون منّا عارف ومن المحال ان يوجد بيننا خبير. ويغلب عليهم حب الفخفخة والفخر الكاذب، ويتنافسون في سفاسف الأمور ودنياتها، يرتابون في نصح الناصحين، وان قامت على

صدقهم أقطع البراهين، يسخرون بالواعظين، وان كانوا في طلب خيرهم من أخلص المخلصين، يبذلون جهدهم لخيبة من يسعى لإعلاء شأنهم، وجمع كلمتهم، ويقعدون له بكل سبيل، يقيمون في طريقه العقبات، ويهيئون له أسباب العِثار، تراهم بتضارب أخلاقهم وتعاكس أطوارهم كالبدن المصاب بالفالج ولا تنتظم لأعضائه حركة، ولا يمكن تحريك عضو منه على وجه مخصوص لمقصد معلوم، فتنفلت أعمالهم عن حدّ الضبط، وتخرج عن قواعد الربط. فساد طباعهم بهذه الاخلاق يجعلهم منبعاً ومبعثاً للضر، يصير الواحد منهم كالكلب الكلب، أول ما يبدأ بعضّ صاحبه قبل الأجنبي، بل كالمبتلي بجنون مطبق، أول مايفتك بمربيه ومهذبه ثم يثنى بطبيبه ومن يعالج دائه، تكون الآحاد منهم كالأمراض الأكالة من نحو الجذام والآكلة، يمزّقون الأمة قطعاً وجذاذات بعدما يشوّهون وجهها ويوشوشون هيئتها، أولئك قوم يسامون في مراعي الدنايا والخسائس لتغلب النذالة على سائر أوصافهم، فينتفخون على ابناء جلدتهم، ويذلون لقزم الأجانب فضلاً عن عليتهم، وبهذا يمكنون الذلة في نفوسهم، من دونهم، ويطبعونها علىٰ الخضوع للغرباء، بل الأعداء الألداء من طبقة الىٰ طبقة حتى تضمحل الأمة وتنسخ هيئتها وتفنىٰ في أمة أو ملّة أُخرىٰ، سنّة الله في تبدّل الدول وفناء الأُمم (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد) أعاذنا الله من هذه العاقبة، وحرس أمتنا وملتنا من المصير الى هذه النهاية.

بقيت لنا لمحة نظر الى مابه تقتنىٰ الفضائل. وتمحّص النفوس من الرذائل، حتى تسعد الجمعيات البشرية بالاتحاد، وتصون به أكوانها من الفساد «كل مولود يولد علىٰ الفطرة» مادة مستعدة لقبول كل شكل والتِلون بأي لون، فهل ينال كمال الفضيلة من آبائه وأسلافه، انىٰ يكون لهم حظّ منها، وقد كانوا ناشئين على مثل ما نشأ وليدهم يرشدنا رائد الحق الى أن الاعتدال في أصول الاخلاق والتحلي بحلية الفضائل وترويض القوى والآلات البدنية على العمل بآثارها انما

يكون بالدين ولن يتم أثر الدين في نفوس الآخذين به فيصيبوا حظاً وافراً مما يرشد اليه فيتمتعوا بحياة طيبة وعيشة مرضية إلا اذا قام رؤساء الدين وحَمَلَتُهُ وحفظته بأداء وظائفهم من تبيين أوامره ونواهيه وتثبيتها في العقول ودعوة الناس الى العمل بها، وتنبيه الغافلين عن رعايتها وتذكير الساهين عن هديها اما اذا أهمل خَدَمَة الدين وظائفهم أو تهاونوا في تأدية أعمالها ضعف اليقين في النفوس، وذهلت العقول عن مقتضيات العقائد الدينية، واظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية، وتسلّطت الحاجات المعاشية، ومال ميزان الاختيار مع الهوى، فحشدت الى الأنفس أوفاد الرذائل، فيحق على الناس كلمة العذاب، ويحل بهم من الشقاء ما أشرنا اليه سابقاً.

هذه علل الخراب في كل أمة لقد ظهر أثرها في أمم لا تحصى عدداً من بداية كون الانسان الى الآن، ولم يزل بقايا بعضها يشهد على ما فتكت به الرذائل فيهم، بعدما بدلوا وغيّروا كما في طائفة الدهيرو (منك) من سَكَنَة الأقطار الهندية المعروفين عند الأوروبيين بطائفة «باريا» (قُل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم). فالدين وهو السائق الى السعادة في الدنسيا كما يسوق اليها في الآخرة.

تقلب قلب الدهر على بعض طوائف من المسلمين في أقطار مختلفة من الأرض وسلبهم تيجان عزّهم وألقاها على هامات قوم آخرين، واليوم ينازع طوائف أُخرىٰ ولا نخاله يتغلّب عليهم فكشف هذا عن نوع من الضعف، ولا يكون ناشئاً إلا عن شيء من الاهمال في اتّباع أوامر الشرع الاسلامي ونواهيه بحكم قول الله في كتابه (إن الله لايغيّر مابقومٍ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم) وقد يكون ذلك، وربما لاينكر الآن ان كثيراً من عامة المسلمين وان صحّت عقائدهم من حيث ما تعلّق به الاعتقاد إلا إنهم لا ينهجون في بعض أعمالهم منهاج الشريعة الغرّاء، وهذا مما يحدث ضعفاً في قوّة الامة بقدر الميل عن جادة الاعتدال في

الفضائل والأعمال (وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم).

إلا ان المسلمين لم يزالوا علىٰ أصول الفضائل الموروثة عن أسلافهم ولهم حسن الاذعان بما جاء به شرعهم وكتاب الله متلو علىٰ ألسنتهم، وسنّة نبيّهم يتناقلونها رواية ودراية، وسير الخلفاء الراشدين والسلف الصالح مرسومة على صفحات نفوس الخاصة منهم، فليس ما طرأ على بعضهم من الغفلة عن متابعة الشرع وما تسبب عنه من الضعف في القوة إلا عرضاً لا يبقى وحالاً لا يدوم.

انظر نظرة انصاف الى ما أودعتهُ آيات القرآن من غرر الفضائل وكرائم الشيم، والى حرص المسلمين على احترام كتابهم وتبجيله، تجد من نفسك حَكَماً باتاً بأن علماء الديانة الاسلامية لو نشطوا لاداء وظائفهم المفروضة عليهم بحكم وراثتهم لصاحب الشرع، والمحتومة على ذمتهم بأمر الله الموجّه الىٰ الذين يعقلونه وهم هم في قوله الحق (ولتكن منكم أمّة يدعون الىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبالحض الإلهي المفهوم من قوله (فلولا نفر من كل فرقة منهم «المؤمنين» طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلّهم يحذرون) ولو قاموا يعظون العامة بما ينطق به القرآن ويذكرونهم بما كان عليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الناهجون على سنته من الأخلاق المحمودة والأعمال المبرورة، لرأيت ان الامة الاسلامية ناشطة من عقالها، متظافرة على إعادة مجدها وصيانة ولايتها العامة من الضعف، وبيضة دينها من الصدع، كل ذلك في أقرب وقت، ولن تكون إلا صيحة واحدة فإذا هم قيام ينظرون.

ولا ريب ان الراسخين في العلم من أهل الدينِ الاسلامي يعلمون ان ما أُصيب به المسلمون في هذه الأزمان الأخيرة، إنما هو مما امتحنهم الله به جزاء على بعض ما فرّطوا، وليس للناس علىٰ الله حجة فالرجاء في هممهم وغيرتهم الدينية وحميتهم الملية أن يوجهوا العناية الى رتق الفتق قبل اتساعه، ومداواة

العلة قبل استحكامها، فيُذكّروا أبناء الملّة بأحكام الله، ويُحكموا بينهم روابط الأخوة والأُلفة كما أمر الله في كتابه وعلى لسان نبيه، ويبذلوا الجهد لمحو اليأس والقنوط الذي ملك أفئدة البعض منهم، ويقنعوهم أنه لا ييأس من لطف الله إلا الذين في قلوبهم مرض وفي عقائدهم زيغ، ويسيروا بهم في سبيل يجمع كلمتهم، ويوحّد وجهتهم، ويقوّي فيهم إباءة الضيم، والنفرة من الذل، ويحرّك فيهم روح الأنفة، حتى لا تسمح نفس أحدهم أن يأتي الدنية في دينه، ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله ووعده الحق في قوله (وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين).

الوحدة الاسلامية

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

أظلت ولاية الاسلام ما بين نقطة الغرب الأقصىٰ الىٰ تونكاني على حدود الصين في عرض ما بين فازان من جهة الشمال وبين سرنديب تحت خط الاستواء أقطار متصلة، وديار متجاورة، يسكنها المسلمون، وكان لهم فيها السلطان الذي لا يغالب. أخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام، فأداروا بشوكتهم كرة الأرض إلا قليلاً. ما كان يهزم لهم جيش، ولا ينكس لهم علم، ولا يُرد قول علىٰ قائلهم. قلاعهم وصياصيهم متلاقية، ومنابتهم ومغارسهم في سهوبهم «أراضيهم السهلة الواسعة» وأخيافهم «الأراضي المنحدرة عن الجبل» رابية مزدهية بأنواع النبات، حالية بأصناف الأشجار، صنع أيدي المسلمين، ومدنهم كانت آهلة مؤسسة على أمتن قواعد العمران تباهي مدن العالم بصنائع سكانها وبدائعهم، وتفاخرها بشموس الفضل، وبدور العلم، ونجوم الهداية، من رجال لهم المكان الأعلىٰ في العلوم والآداب.

كان في نقطة الشرق من حكمائهم ابن سينا والفارابي والرازي ومن يشاكلهم، وفي الغرب ابن باجة وابن رشد وابن الطفيل ومماثلوهم، ومابين ذلك أمصار تتزاحم فيها أقدام العلماء في الحكمة والطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم

العقلية، هذا فضلاً عن العلوم الشرعية التي كانت عامة في جميع طبقات الملة. كان خليفتهم العباسي ينطق بالكلمة فيخضع لها فغفور الصين [١] وترتعد منها فرائص أعظم الملوك في أوربا. ومن ملوكهم في قرونهم المتوسطة مثل محمود الغزنوي وملكشاه السلجوقي، وصلاح الدين الأيوبي، وكان منهم في المشرق مثل تيمور الكوركان، وفي الغرب السلطان محمد الفاتح، والسلطان سليم والسلطان سليمان العثماني، أولئك رجال قضوا ولم يطو الزمان ذكرهم ولم يمح أثرهم.

كانت لأساطيل المسلمين سلطة لا تبارىٰ في البحر الأبيض والاحمر والمحيط الهندي ولها الكلمة العليا في تلك البحار الى زمان غير بعيد، كان مخالفوهم يدينون للملكوت فضلهم كما يذلون لسلطان غلبهم، والمسلمون اليوم هم هم يملأون تلك الأقطار التي ورثوها عن آبائهم وعديدهم لا ينقص عن أربعمائة مليون، وأفرادهم في كل قطر بما اشربت قلوبهم من عقائد دينهم أشجع وأسرع إقداماً على الموت ممن يجاورهم، وهم بذلك أشدّ الناس ازدراء بالحياة الدنيا وأقلهم مبالاة بزخرفها الباطل، جاءهم القرآن بمحكم آياته يطالب الناظرين بالبرهان على عقائدهم، ويعيب الأخذ بالظنون والتمسك بالأوهام، ويدعو الى الفضائل وعقائل الصفات، فأودع في أفكارهم جراثيم الحق وبذر في نفوسهم بذور الفضل، فهم بأصول دينهم أنور عقلاً وأنبه ذهناً وأشد استعداداً لنيل الكمالات الانسانية، وأقرب الى الاستقامة في الاخلاق، وربما يرون لأنفسهم من الاختصاص بالشرف، وما وعدوا به على لسان كتابهم الصادق من اظهار شأنهم علىٰ شؤون العالم أجمع ولو كره المبطلون، لا يرغبون بسلطة لغيرهم عليهم، ولا يحوم بفكر واحد منهم أن يخضع لذي سطوة من سواهم، وان بلغت من الشدة أو اللين ما بلغت. لما بينهم من الإخاء المؤزر بمناطق العقائد، يحسب كل واحد منهم ان سقوط طائفة من بني ملّته تحت سلطة الأجانب

---

١ ـ فغفور : لقب ملوك الصين.

سقوط لنفسه. ذلك إحساس يشعر به وجدانه ولا يجد عنه مسلياً، وبما ساخ (غاص ورسب) في نفوسهم من جذور المعارف التي أرشدهم اليها دينهم، ونالوا منها النصيب الأعلىٰ في عنفوان دولتهم، يعدون أنفسهم أولىٰ الناس بالعلم وأجدرهم بالفضل.

ذلك شأنهم الأول وهذا وصفهم للآن، ولكنهم مع هذه كلّه وقفوا في سيرهم بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد أن كانوا فيها أساتذة العالم، وأخذت ممالكهم تنقص أطرافها وتتمزق حواشيها مع ان دينهم يرسم عليهم أن لايدينوا لسلطة من يخالفهم بل الركن الأعظم لدينهم طرح ولاية الأجنبي عنهم وكشفها عن ديارهم بل منازعة كل ذي شوكة في شوكته. هل نسوا وعد الله لهم بأن يرثوا الأرض وهم العباد الصالحون. هل غفلوا عن تكفّل الله لهم بإظهار شأنهم على سائر الشؤون ولو كره المجرمون ؟ هل سهوا عن ان الله اشترىٰ منهم لإعلاء كلمته أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة ؟ لا. لا. إن العقائد الاسلامية مالكة لقلوب المسلمين حاكمة في ارادتهم وسواء في العقائد الدينية والفضائل الشرعية عامتهم وخاصّتهم.

نعم يوجد للتقصير في انماء العلوم، وللضعف في القوة أسباب أعظمها تخالف طلاب الملك فيهم، لأنا بيّنا ان لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، فتعدد الملكة عليهم كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة ؛ والسلاطين في جنس واحد، مع تباين الأغراض وتعارض الغايات، فشغلوا أفكار الكافة بمظاهرة كل خصم على خصمه، وألهوا العامة بتهيئة وسائل المغالبة وقهر بعضهم لبعض، فأدت هذه المغالبات وهي أشبه شيء بالمنازعات الداخلية الى الذهول عمّا نالوا من العلوم والصنائع، فضلاً عن التقصير في طلب مالم ينالوا منها، والاغسار دون الترقي في عواليها، ونشأ من هذا ما نراه من الفاقة والاحتياج، وعقبه الضعف في القوة والخلل في النظام، وجلب تنازع الأمراء على المسلمين تفرّق الكلمة وانشقاق

العصا، فلهوا بأنفسهم عن تعرض الأجانب بالعدوان عليهم.

هذا كان من أمراء المسلمين مع ما فيه من الضرر الفادح عندما كانوا منفردين في ميادين الوغى، لا يجاريهم فيها سواهم من الملل، ولكن ضرب الفساد في نفوس أولئك الأمراء بمرور الزمان، وتمكن من طباعهم حرص وطمع باطل فانقلبوا مع الهوى، وضلّت عنهم غايات المجد المؤثل، وقنعوا بألقاب الامارة وأسماء السلطنة وما يتبع هذه الاسماء من مظاهر الفخفخة وأطوار النفخة ونعومة العيش مدة من الزمان، واختاروا موالاة الأجنبي عنهم المخالف لهم في الدين والجنس، ولجأوا للاستنصار به وطلب المعونة منه على ابناء ملّتهم، استبقاء لهذا الشبح البالي والنعيم الزائل.

هذا الذي أباد مسلمي الأندلس، وهدّم أركان السلطنة التيمورية في الهند ومحا أطلالها وعلى رسومها شيّد الانجليز ملكهم بتلك الديار. هكذا تلاعبت أهواء السفهاء بالممالك الاسلامية ودهورتها أمانيهم الكاذبة في مهاوي الضعف والوهن، قبح ماصنعوا وبئس ما كانوا يعملون، أولئك اللاهون بلذاتهم، العاكفون على شهواتهم، هم الذين بددوا شمل الملة، وأضاعوا شأنها، وأوقفوا سير العلوم فيها، وأوجبوا الفترة في الاعمال النافعة، من صناعة وتجارة وزراعة بما غلوا من أيدي بنيها.

الا قاتل الله الحرص على الدنيا والتهالك على الخسائس، ما أشدّ ضررهما وما أسوأ أثرهما، نبذوا كلام الله خلف ظهورهم وجحدوا فرضاً من أعظم فروضه، فاختلفوا والعدو على أبوابهم، وكان من الواجب عليهم ان يتّحدوا في الكلمة الجامعة، حتى يدفعوا غارة الأباعد عنهم، ثم لهم أن يعودوا لشؤونهم، ماذا أفادتهم المغالاة في الطمع والمنافسة في السفاسف ؟ أفادتهم حسرة دائمة في الحياة، وشقاءً أبدياً بعد الممات، وسوء ذكر لا تمحوه الأيام.

أما وعزة الحق وسر العدل، لو ترك المسلمون وأنفسهم بما هم عليه من

العقائد مع رعاية العلماء العاملين منهم، لتعارفت أرواحهم وائتلفت آحادهم، ولكن وا أسفا تخللهم أولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب أمير أو ملك ولو علىٰ قرية لا أمر فيها ولا نهي. هؤلاء الذين حوّلوا أوجه المسلمين عما ولاهم الله وخرجوا على ملوكهم وخلفائهم، حتى تناكرت الوجوه وتباينت الرغائب.

الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الاسلامية، من أشد أركان الديانة المحمدية، والاعتقاد به من أوليات العقائد عند المسلمين، لا يحتاجون فيه الى استاذ يعلم، ولا كتاب يثبت، ولا رسائل تنشر. ان رعاة المسلمين فضلاً عمّن علاهم تتصاعد زفراتهم، وتفيض أعينهم من الدمع حزناً وبكاءً على ما أصاب ملتهم من تفرّق الآراء، وتضارب الأهواء، ولولا وجود الغواة من الأمراء، ذوي المطامع في السلطة بينهم، لاجتمع شرقيهم بغربيهم، وشماليهم بجنوبيهم، ولبى جميعهم نداءً واحداً ان المسلمين لا يحتاجون في صيانة حقوقهم، إلا الى تنبّه أفكارهم لمعرفة ما به يكون الدفاع واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه وارتباط قلوبهم الناشئ عن احساس بما يطرأ علىٰ الملّة من الأخطار.

ألم تر أمة الروس هل تجد فيها ما يزيد على هذه الأصول الثلاثة، هي امة متأخرة في الفنون والصنائع عن سائر أمم أوربا وليس في ممالكها ينابيع للثروة، ولئن كانت فليس هناك ما يستفيضها من الأعمال الصناعية، فهي مصابة بالحاجة والاعواز غير أن تنبه أفكار آحادها لما به يكون الدفاع عن أمتهم واتّفاقهم في النهوض به وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطوتها رواسي أوربا. لم يكن للروسية مصانع لمعظم الآلات الحربية، ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها، ولم يرتق فيها الفن العسكري الى حد ما عليه جيرانها، إلا ان هذا لم يقعدها عن جلب ضباط من الامم الاخرىٰ لتعليم عساكرها، حتىٰ صار لجيشها صولة تخيف، وحملة تخشاها دول أوروبا.

فما الذي أقعدنا عن مشاكلة غيرنا، فيما هو أيسر الأشياء علينا، ونحن أشدّ الناس ميلاً اليه : من رعاية شرف الملّة والتألم بما يحطّ منه والتعاون على صون الوحدة الجامعة لنا عن كل ما يثلمها. مارد الأفكار عن الحركة، وما أقعد الهمم عن النهوض، إلا أولئك المترفون، يحرصون على طيب في المطعم، ولين في المضجع، وتطاول في البنيان، وتفاخر بالخدم والخول ولا يراعون في حرصهم ما بعد يومهم، ويحافظون على لقب موضوع ورسم متبوع، يقنعون منه بالاحتفال لهم في المواسم والاعياد وهزّ الرؤوس وثني الأعطاف، تعظيماً وتبجيلاً، ثم تذييل الأوراق الرسمية بأسماء ليس لها مسميات، هؤلاء الساقطون يرضون لتخيل هذه المواثل (جمع ماثل من الرسوم ماذهب أثره) بكل دنيئة، هؤلاء يقبلون من تصرف أعدائهم في بيوتهم ما لايقبله واحد من آحاد الناس دون موته، أولئك صاروا في أعناق المسلمين سلاسل وأغلالا، يحبسون هذه الأسود عن فريستها بل يجعلونها طعمة للثعالب، لا حول ولا قوّة إلا بالله.

أيا بقية الرجال، ويا خلف الأبطال، ويا نسل الأقيال، هل ولى بكم الزمان، هل مضىٰ وقت التدارك، هل آن أوان اليأس، لا، لا، معاذ الله ان ينقطع أمل الزمان منكم، ان من أدرنه الىٰ بيشاور دولاً اسلامية متصلة الأراضي، متّحدة العقيدة يجمعهم القرآن، لا ينقص عددهم عن خمسين مليوناً، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة، أليس لهم ان يتفقوا علىٰ الذبّ والإقدام كما اتّفق عليه سائر الأمم، ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم، فالاتفاق من اصول دينهم، هل أصاب الخدر مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم البعض، أليس لكل واحد ان ينظر الى أخيه بما حكم الله في قوله (إنما المؤمنون اخوة) فيقيمون بالوحدة سدّاً يحول عنهم هذه السيول المتدفعة عليهم من جميع الجوانب.

لا ألتمس بقولي هذا ان مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما

كان عسيراً، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعىٰ بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقائه ببقائه، إلا ان هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات، هذا آن الاتفاق، هذا آن الاتفاق، ألا ان الزمان يواسيكم بالفرص وهي لكم غنائم فلا تفرّطوا، ان البكاء لايحيي الميت، ان الأسف لايرد الفائت، ان الحزن لايدفع المصيبة، ان العمل مفتاح النجاح، ان الصدق والاخلاص سلّم الفلاح، ان الوجل يقرب الأجل، ان اليأس وضعف الهمّة من أسباب الحتف (وقُل أعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ألا لاتكونوا ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، أحذروا ان تقعوا تحت قوله الله : (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله علىٰ قلوبهم فهم لايفقهون) ان القرآن حي لايموت، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود، ومن أصيب من مقته فهو ممقوت، كتاب الله لم ينسخ فارجعوا اليه، وحكّموه في أحوالكم وطباعكم (وما الله بغافل عمّا تعملون).

ولعلّ أمراء المسلمين قد وعظوا بسوء مغبة أعمال السالفين وهمّوا بملافاة أمرهم، قبل ان يقضى عليهم، بما رزئ به المفرطون من قبلهم، ورجاؤنا ان أول صيحة تبعث الى الوحدة وتوقظ من الرقدة، تصدر عن أعلاهم مرتبة، وأقواهم شوكة، ولا نرتاب في أن العلماء العاملين ستكون لهم اليد الطولىٰ في هذا العمل الشريف، والله يهدي من يشاء ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الوحدة والسيادة

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»

أمران خطيران تحمل عليهما الضرورة تارة، ويهدي اليهما الدين تارة أخرىٰ، وقد تفيدهما التربية وممارسة الآداب، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه بل يستلزمه، وبهما نمو الأمم وعظمتها ورفعتها واعتلاؤها، وهما الميل الى وحدة تجتمع، والمكلف بسيادة لا توضع. واذا أراد الله بشعب أن يوجد ويلق بوانيه (يثبت ويقيم) الىٰ أجل مسمىٰ أودع في ضئاضئه (أصوله) هذين الوصفين الجليلين، فأنشأه خلقاً سوياً، ثم استبقىٰ له حياته بقدر ما مكن فيه من الصفتين الى منتهىٰ أجله.

كل أمة لا تمد ساعدها لمغالبة سواها لتنال منها بالغلب ما تنمو به بنيتها، ويشتد به بناؤها، فلابد يوماً أن تقضم وتهضم وتضمحل ويمحىٰ أثرها من بسيط الأرض. إن التغلب في الأمم كالتغذي في الحياة الشخصية، فإذا أهمل البدن من الغذاء وقفت حركة النمو، ثم ارتدت الى الذبول والنحول، ثم أفضت الىٰ الموت والهلاك، وليس من الممكن لأمة ان تحفظ قوامها ؛ وتصول على من يليها لتختزل منه ما يكون مادة لنمائها، إلا أن تكون متفقة في تحصيل ما تحتاج اليه هيئتها. إذا أحسست من أمة ميلاً الى الوحدة فبشرها بما أعد الله لها في مكنون

غيبه من السيادة العليا والسلطة على متفرقة الأمم، إذا تصفحنا تاريخ كل جنس واستقرينا أحوال الشعوب في وجودها وفناها، وجدنا سنّة الله في الجمعيات البشرية، حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها في الغلب، وما انحرف شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم، إلا عند لهوهم بما في أيديهم، وقناعتهم بما تسنى لهم، ووقوفهم على أبواب ديارهم، ينظرون طارقهم بالسوء، وما أهلك الله قبيلا إلا بعدما رزئوا بالافتراق، وابتلوا بالشقاق، فأورثهم ذلاً طويلاً وعذاباً وبيلاً، ثم فناءً سرمدياً.

الوفاق تواصل وتقارب يحدثه احساس كل فرد من أفراد الأمة بمنافعها ومضارها، وشعور جميع الآحاد في جميع الطبقات بما تكسبه من مجد وسلطان، فيلذ لهم كما يلذ أشهىٰ مرغوب لديهم، وبما تفقده من ذلك، فيألمون له كما يألمون لأعظم رزء يصابون به، وهذا الإحساس هو ما يبعث كل واحد على الفكر في أحوال امته، فيجعل جزءاً من زمنه للبحث فيما يرجع اليها بالشرف والسؤدد، وما يدفع عنها طوارق الشرّ والغيلة، ولا يكون همّه بالفكر في هذا أقل من همّه بالنظر في أحواله الخاصة ثم لا يكون نظراً عقيماً حائزاً بين جدران المخيلة، دائراً علىٰ أطراف الألسنة، بل يكون استبصاراً تتبعه عزيمة يصدر عنها عمل يثابر علىٰ استكماله بما يمكن من السعة، وما تحتمله القدرة على نحو ما يكون في استحصال مواد المعيشة بلا فرق، بل تجد الأنفس أن شأن الأمة في المكان الأول من النظر، والدرجة الأولىٰ من الاعتبار، والشؤون الخاصة في المنزلة الثانية منهما. ولا تقف فيما تجد عند جلب المصالح ودرء المفاسد لأوقاتها الحاضرة، بل يأخذ العقلاء منها سبلاً من التفكير، ويخترطون سيوفاً من الهِمّة، ليصيبوا من سعيهم شوارد من القوة، ونواد من المكنة، ويتسخرجوا دفائن من الثروة ويجمعوا ذلك للأمة، لصيانة حياتها الى حدّ العمر اللائق بها، كما يسعىٰ الحازم جهده لتوفير ما يلزم لمعيشته، وما يطمئن به قلبه في دفع حاجته مدة العمر الغالب، بل يزيد عليه

ما فيه الكفاية لابنائه من بعده وان الدور الأول من أعمار الأمم لا ينقص عن خمسة قرون ثم تتلوه سائر الأدوار وأولها أقصرها وهو سن الطفولية، وبدء الكمال فيما يليه، فما أرفع همم العقلاء في الأمم المستبصرة.

إذا بلغ الإحساس من مشاعر أفراد الأمة الىٰ الحد الذي بيّناه، رأيت في الدهماء منهم والخاصة هماً تعلو، وشيماً تسمو، وإقداماً يقود، وعزماً يسوق، كل يطلب السيادة والغلب، فتتلاقى همهم، وتتلاحق عزائمهم، في سبيل الطلب فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم، كما تندفع السيول على الوهاد، ولا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضو اليه، ويكون نزوهم على الأمم بعد الغلب الأول تدفقاً من الطبع لا يحتاج الىٰ فكر وروية إلا في إعداد وسائل الفوز والظفر.

هذان الأمران الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الاسلامية، وفرضان محتومان على من يستمسك بها ومن خالف أمر الله فيما فرض منهما عواقب من مقته بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، جاء في قول صاحب الشرع «ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً» وان المؤمن ينزل من المؤمن منزلة أحد أعضائه إذا مسّ أحدهما ألم تأثر له الآخر، وجاء في نهيه «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا» وأنذر من شذ عن الجماعة بالخسران والهلكة وضرب له مثل الشاة القاصية تكون فريسة للذئاب.

هذا كله بعدما أمر الله عباده بالاعتصام بحبله، ونهاهم عن التفرق والتغابن، وامتن عليهم بنعمة الاخوة بعد ان كانوا أعداء ونطق الكتاب الالهي (إنما المؤمنون إخوة) وطلب من المخاطبين بآياته ان يبادروا باصلاح ذات البين عند التخالف، ثم شدد على وجوب الاصلاح وإن أدىٰ إلى مقاتلة الباغي، فقال : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء الىٰ أمر الله) وانما أمر الله الدخول فيما اتفق

عليه المؤمنون وتوحيد الكلمة الجامعة (ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات) وتوعد الكتاب الأقدس كل من انحرف عن سبيل المؤمنين بالعقاب الأليم فحكم بأن من يتّبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولىٰ، ويصله جهنم وساءت مصيراً، وفي أمره الصريح ايجاب التعاون على البر والتقوى، ولا بر أحق بالتعاون عليه من تعزيز كلمة الحق وإعلاء منار الأمة وأخبر الصادق صلى اللّٰه عليه وسلم (أن يد الله مع الجماعة) وكفى بالقدرة الالهية عوناً اذا صح الاجتماع وصدقت الألفة، وقد بلغت مكانة الاتفاق في الشريعة الاسلامية أسمىٰ درجة في الرعاية الدينية، حتى جعل إجماع الأمة واتفاقها علىٰ أمر من الأمور كاشفاً عن حكم الله وما في علمه وأوجب الشرع الأخذ به على عموم المسلمين، وعدّ جحوده مروقاً من الدين، وانسلاخاً عن الايمان، ومن عناية الشارع بأمر الاتفاق قوله صلى اللّٰه عليه وسلم «لو دعيت الىٰ حلف الفضول لفعلت» (حلف الفضول ما كان من هاشم وزهرة وتيم حيث وفدوا على عبد الله بن جدعان وتحالفوا على أن يدفعوا الظلم ويأخذوا الحق من الظالم، وسمّي حلف الفضول لأنهم تحالفوا علىٰ أن لا يدعوا عند أحد فضلاً يزيد عن حقه ويكون نواله بالظلم إلا أخذوه منه وردوه لمستحقه) فهو من حلف الجاهلية، وقد صرّح الشارع بقبوله لو دُعي اليه، هذا اجمال الأدلة على وجوب الاتفاق وحظر المنابذة والمغابنة بين المسلمين، بل وبينهم وبين غيرهم ممن رضى بذمتهم وقبل جوارهم بالمعروف في شرعهم فإن سبيل المؤمنين يسعه ولا يضيق عنه.

واما السعي لإعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف إلا وهي داعية اليه، جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه، حاظرة عليهم أن يتوانوا في اداء المفروض منه، ومن الأوامر الشرعية أن لا يدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله، وفي السُنّة

المحمدية والسيرة النبوية، مما يضافر آيات القرآن ما جمعه العلماء في مجلدات يطول عدّها، هذا حكم ديننا لا يرتاب فيه أحد من المؤمنين به والمستمسكين بعروته.

هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والركون الى الضيم ان ندعي القيام بفروض ديننا، كيف ومعظم الأحكام الدينية موقوف إجراؤه على قوة الولاية الشرعية، فإن لم يكن الوفاق والميل الىٰ الغلب فرضين لذاتهما أفلا يكونان مما لا يتم الواجب إلا به، فكيف بهما وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا، هل لنا عذر نقيمه عند الله يوم العرض والحساب يوم لاينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين، وأيسر شفاعة الينا اقامتها وعديدنا ربعمائة مليون أو يزيد، هل يتيسر لنا إذا خلونا بأنفسنا وجادلتنا ضمائرنا أن نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الآن ؟

كل هذه الرزايا التي حطّت بأقطارنا، ووضعت من أقدارنا، ماكان قاذفنا ببلائها، وارامينا بسهامها، إلا افتراقنا وتدابرنا والتقاطع الذي نهانا الله ونبيه عنه، لو أدينا حقوقاً تطالبنا بها تلك الكلمة التي تهل بها ألسنتنا، وتطمئن قلوبنا بذكرها، وهي كلمة الله العليا هل كان يمكن للاغراب ان يمزقوا ممالكنا كل ممزق، وهل كان يلمع سيف العدوان في وجوهنا، وهل كنّا نشيم نيران الاعداء إلا وأقدامنا في صياصيهم، وأيدينا على نواصيهم. ان لأبناء الملة الاسلامية يقيناً بما جاء به شرعهم، لكن أليسَ علىٰ صاحب اليقين بدين أن يقوم بما فرض الله عليه في ذلك الدين ؟ (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ولا ريبة في ان المؤمن يسرّه أن يعلمه الله صادقاً لا كاذباً، وأي صدق تظهره الفتنة ويمتاز به الصادق من الكاذب إلا الصدق في العمل، هل يود المسلم لو يعمّر ألف سنة في الذل والهوان وهو يعلم ان الإزدراء بالحياة هو دليل الايمان، أنرضىٰ ونحن

المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا أن تضرب علينا الذلة والمسكنة، وان يستبدّ في ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا، ولا يرد مشربنا، ولا يحترم شريعتنا، ولا يرقب فينا إلاً ولا ذمّة، بل أكبر همّه ان يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلي منا أوطاننا، ويستخلف فيها بعدنا أبناء جلدته، والجالية من أمته.

لا. لا. ان المخلصين في ايمانهم الواثقين بوعد الله في نصر من ينصر الله الثابت في قوله : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم) لايتخلفون عن بذل أموالهم وبيع أرواحهم، والحق داع والله حاكم والضرورة قاضية فأين المفر. المبصر بنور الله يعلم انه لا سبيل لنصر الله وتعزيز دينه إلا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين. هل يسوغ لنا أن نرى أعلامنا منكّسة، وأملاكنا ممزّقة، والقرعة تضرب بين الغرباء على ما بقي في أيدينا ثم لا نُبدي حركة، ولا نجتمع على كلمة، وندّعي مع هذا إننا مؤمنون بالله وبما جاء به محمّد.. واخجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا أظنه يخطر ببال مسلم يجري على لسانه شاهد الاسلام.

ان الميل للوحدة والتطلّع للسيادة وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض ما أشرنا اليه في أعداد ماضية فألهاهم عمّا يوحي به الدين في قلوبهم وأذهلهم أزماناً عن سماع صوت الحق يناديهم من بين جوانحهم، فسهموا وماغووا، وزلوا وما ضلوا، ولكنهم دهشوا وتاهوا، فمثلهم مثل جواب الجاهيل من الأرض في الليالي المظلمة، كل يطلب عوناً وهو معه ولكن لايهتدي اليه، وأرىٰ ان العلماء العاملين لو وجّهوا فكرتهم لإيصال أصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض، لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعدما اختص الله من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل مسلم أن يحجه ما استطاع، وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائرهم وأجناسهم فما هي إلا كلمة تُقال بينهم من ذي مكانة في نفوسهم تهتز لها أرجاء

الأرض، وتضطرب لها سواكن القلوب. هذا ما أعدتهم له العقائد الدينية فإن أضفت اليه ما أذاب قلوبهم من تعديات الأجانب عليهم، وما ضاقت به صدورهم من غارات الأغراب على بلادهم، حتى بلغت أرواحهم التراقي، ذهبت الىٰ أن الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدّاً يوشك أن يكون فعلاً، وهو مما يؤيد الساعين في هذا المقصد، ويهيئ لهم فوزاً ونجاحاً بعون الله الذي ما خاب قاصده، وهو ربي إليه أدعو وإليه أُنيب.

الأمل وطلب المجد

(إنّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

(ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون)

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سرّ عظيم، اختصّ الله به الانسان، ورفعه به على سائر الأكوان، ليبلغ به المقام المحمود، ويحوز ما أعدته له العناية الإلهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصغ لمناجاة سرك، تجد في وجدانك ميلاً قوياً، وحرصاً شديداً، يدفعك الى طلب المجد، وعلو المنزلة، في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتامها» تجد مثل ذلك في كليتها كما هو في آحادها تبتغي رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها، ذلك أمرٌ فطري جُبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفرداً ومجتمعاً، ليس من السهل على طالب المجد وعلو المكانة أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعراً في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يضعف حرصه، ولا ينقص ميله، يقطع شعاباً، ويعاني صعاباً، حتىٰ يرقى ذروة المجد، ويتنسم شاهق العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأيته يتململ ويتضجر كأنما يتقلب على الرمضاء، ولو سبر الحكيم الخبير أعمال البشر، ونسب كل عمل الى غاية العامل منه، رأىٰ أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام، كل على

حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف، هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الىٰ أصحاب الأمر والنهي، كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم ويأنف من ضعته فيهم ويحرص على ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار، حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم، تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة اخرىٰ، ونافس أهلها في الجاه، ولا يزال يتبع سيره مادام حياً يخطر في بسيط الأرض، ذلك لأن الكمال الإنساني ليس له حدّ، ولا تحدّه نهاية، وليس في استطاعة أحد من الناس ان يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حدّاً ليست بعده غاية.

سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الانسان وماذا ملكت من أهوائه ؟ بعده ثمرة حياته وغاية وجوده، حتى انه يحتقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه، أو عند مسه والخوف من سلبه، أرأيت أن فقيراً ذا أسمال لايؤبه له اذا اعتدىٰ عليه من تطول يده اليه بفعلة تهينه، أو قذفة تشينه، يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الإهانة ما نقصت شيئاً من طعامه ولا شرابه، ولا خشنت مضجعه في مبيته، آلاف مؤلفة من الناس في الأجيال المختلفة والأجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الىٰ المهالك، وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد، جل شأن الله لا يهنأ للانسان طعام ولا شراب، ولا يلين له مضجع إلا ان يلحظ فيه ان مانال منه أعلىٰ مما نال سواه، مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالأعلوية فيه، كأن لذة التغذية والتوليد إنما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة، فما ظنك بسائر اللذائذ. كم يعاني الانسان من التعب البدني، وكم يقاسي من مشاق الأسفار، وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات، وكم يتحمل في الانقطاع عن اللذات، مع التمكن منها، كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخاراً

أو ليحفظ ما أتاه الله منه، ما أجلّ عناية الله بالإنسان لايعيش إلا ليشرف فيشرف به العالم، وكل لذة دون الشرف فهي وسيلة اليه، بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعر يسلكها الحي الىٰ ما يستطيع من المجد، وفي نهاية الأجل يفارقها قرير العين بما قارب منه آسف الفؤاد على ما قصر عنه.

ما هو المجد الذي يسعى اليه الانسان بالإلهام الإلٰهي، ويخوض الأخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله، هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسؤدد، وتذعن له بالاعتلاء، وتُلقي اليه قياد الطاعة، يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وعشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته اليه وكلمة المتصلين به، والملتحمين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الأوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولىٰ، فما كان يحسبه طالب المجد عائداً الى نفسه بالمنفعة. يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين. واها ! تلك حكمة بالغة : إذا نال الواحد من الأمة مطلبه من المجد نالت الأمة حظها من السؤدد. نعم وهل نال ما نال إلا بمعونة سائر الآحاد منها (ذلك تقدير العزيز العليم). ماذا يستطيع المجاهد وحده. وماذا يكسبه من سعيه. ان لم يكن له أعضاد من بني قبيله. فمن كان همّه أن يصعد الى عرش العزة. ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمنتمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم الانساني فضيلة وكمالاً. ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والإلهام الإلهي. وما أشدّ ما تحمل النفوس في قضاء بعض الوطر مما يتصل به. وما أعظم الحامل للأنفس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الأمر الرفيع. ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الأرواح كل صعب ويقرّب كل بعيد، ويصغر كل عظيم، ويلين كل خشن، ويسليها عن جميع الآلام، ويرضيها بالتعرض للتهلكة ومفارقة الحياة، فضلاً عن بذل كل نفيس، والسماح بكل عزيز، هذا الباعث الجليل، وهذا الموجب الفعال هو الأمل.

الأمل ضياء ساطع في ظلام الخطوب، ومرشد حاذق في يهماء الكروب، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات، وحاكم قاهر للعزائم اذا عرتها فترة، ومستفز للهمم ان عرض لها سكون، ليس الأمل هو الأمنية والتشهي اللذين يلمحهما الذهن تارة بعد أخرىٰ، ويعبر عنهما بليت لي كذا من المال وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش، واللهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يروم ان يبدّل الله سنته في سير الإنسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة، فيسوق اليه ما يهجس بخاطره دون أن يصيب تعباً أو يتلاقىٰ مشقة، إنما الأمل رجاء يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد وتهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغو اذا لم تغذ بنيل الأرب، فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه إلا وقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون.

وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً، كذلك كان الأمل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة، غير أن ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات، فإن كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب ومطلوب، ولم تبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الأفراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس، غير ما يكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم أمجاداً شرفاء بما يأتون من أعمالهم، ولكنهم تزاحموا في الآمال والاهواء، ومسالكهم ضيقة، ومشارعهم ضنكة، فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين. فاذا توالىٰ الصدام على شخص أو قوم حدث في الهمم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هاتين الخلتين الشريفتين «الرجاء وطلب المجد» كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة

بسوء التربية وربما يؤول الضعف الى اليأس والقنوط «نعوذ بالله منهما».

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم، يحكمون علىٰ أنفسهم بالحطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنايا ويتعاطون الرذائل، ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجّه اليهم من ذلك أيّاً كان، فتسلب منهم جميع الأحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان عن الأنعام فيرضون بما ترضىٰ به البهائم، فلا يهتمون إلا بحاجات قبقبهم وذبذبهم، ثم ياليتهم يكونون هملاً وسوائب يرعون النبات، ويتّبعون مواقع الغيث، ولكنهم وان تركوا العمل لأنفسهم فالله تعالىٰ يسلّط عليهم من يكلفهم بالعمل لغيرهم، فيكونون كالنمال الحمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً، وظيفتها أن تسعىٰ وتشقىٰ ليسعد غيرها ويستريح، فيعالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرهما من الأعمال الشاقة، ويدأبون بأشدّ مما يدأب العامل لنفسه، ثم لاينالون مما يعملون شيئاً، ثمرات كسبهم بأسرها محولة الى الذين سادوا عليهم بهممهم «هذا الذي يتجشمه الذليل في ذلة من مشاق الأعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزّة لأصاب حظه منها» بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنىٰ من درجة الحيوانات العاملة، فان السائدين يشعرون بحكم البداهة، ان هؤلاء أسقطوا أنفسهم عن منزلة كانوا يستحقونها بمقتضىٰ الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها، بل بما لايصح ان يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وإيداعهم ما أودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون من الحيوانات، ولنا علىٰ ذلك شاهد العيان في الأمم التي أدركها اليأس وسقطت في أيدي الأجانب.

ونظن انه يوجد أقوام آخرون سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم الآن ما لاتسام به السوائم الراعية وهم على القرب منّا وليسوا ببعيد عنّا.

عجباً كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر الفطرة ؟ كيف تسفل النفس حتىٰ لا تطلب رفعة ؟ وكيف تقنط حتى لايكون لها أمل ؟ والأمل وحب الكرامة طبيعيان في الانسان، بعد إمعان النظر نجد السبب في ذلك ظن الانسان أن جميع أعماله إنما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوّته هي سلطان أعماله وليس فوق يده يد تمده بالمعونة أو تصدّه بالقهر فإذا صادفته الموانع مرة بعد أُخرىٰ وقطعت عليه سبيل الوصول لمطلبه رجع الى قدرته فوجدها فانية، وقوته فرآها واهنة، فيعترف بوهنه، ويسكن الى عجزه، فييأس ويقنط، ويذل ويسفل اعتقاداً منه بأنه لا دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فيقطع الأمل فيقع في الشقاء الأبدي، أما لو أيقن أن لهذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته، وتدين كل سطوة لجبروته الأعلىٰ، وان ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء، لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس، وتغتال آماله غائلة القنوط، فإن صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الىٰ قوة الله التي هي أعلىٰ من كل قوة، فيركن اليها في أعماله، ولا يجد اليأس الى نفسه طريقاً، فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثاً في مدافعتها معتمداً على ان قدرة الله أعظم منها، وكلما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب، فلا يمل ولا يكل، ولا تدركه السآمة، لاعتقاده أن في قدرة مدبر الكون أن يقهر الأعزاء، ويلق قيادهم الى الأذلاء، وان يدك الجبال، ويشق البحار، ويمكن الضعفاء من نواصي الأقوياء وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار، فتشتد عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الأولىٰ والآخرة، وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس، ولهذا أخبر الله تعالىٰ عن الواقع والحقيقة التي لا ريبة فيها بما قال وهو أصدق القائلين (أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم

الكافرون) وبما حكي من قول نبيه ابراهيم (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون) فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلاً على الكفر ومن أين يطرق اليأس قلباً عقد علىٰ الايمان بالله وقدرته الكاملة.

لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم مع كثرة عددهم، ولا يسوغ لهم أيمانهم أن يرضخوا للذل، ويرضوا للضيم، ويتقاعدوا عن إعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلى به كثير من الأمم، فإن لهم ملوكاً عظاماً، ولا يزال في أيديهم ملك عظيم على بسيط الأرض، وان من الحق أن نقول : أن أبواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى ان يلجوها، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها والفرص دائماً تمد أيديها اليهم تطلب انهاضهم وتنبه غافلهم وتوقظ نائمهم، وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولىٰ والصعود الى مقامهم الأول إلا ان يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملّتهم، وذلك أيسر ما يكون عليهم، بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم، فأي موجب لليأس وأيّ داعٍ للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين، وهل توجد واسطة بين الرشد والغي (فماذا بعد الحق إلا الضلال) هل يكون للقانطين فيهم من عذر ؟ أيرضون بالعبودية للأجانب بعد تلك السيادة العليا، ماذا يبتغون من الحياة إن كانت في ذل وإهانة وفقر وفاقة وشقاء دائم بيد عدو غاشم ؟ أيطمئنون وهم بين أجنبي حاكم، وبغيض شامت، ومقبح غبي، ومشنع دني، ومعير خسيس، يرمونهم بضعف العقول ونقص الاستعداد، ويحكمون بأن محالاً عليهم أن يصيروا أمةِ في عداد الأمم، ألم ينسلخ الانسان عن كل خاصة إنسانية كيف يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات. أينسون أنهم كانوا في الأرض وما طال على ذلك الزمان، ولا محيت التواريخ ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكلية شوكة المسلمين من وجه

الأرض.

ان كان للعامة عذر في الغفلة عمّا أوجب الله عليهم فأي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه، لِمَ لا يسعون في توحيد متفرق المسلمين، لِمَ لا يبذلون الجهد في جمع شملهم، لِمَ لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم، لِمَ لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية آمال المسلمين، وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على أرواحهم.

بلى ان قوماً شرح الله صدورهم للايمان قاموا بهذا الأمر في مواقع مختلفة من الأرض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة إلا ان املنا في بقية المسلمين ان يتفقوا معهم ويقوموا بتعضيدهم، ليتمكن الجميع من نصر الله (إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم).

رجال الدولة وبطانة الملك
كيف يجب أن يكونوا

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا)
(ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي)
(صدورهم أكبر، قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)

قالوا تصان البلاد ويحرس الملك بالبروج المشيّدة، والقلاع المنيعة، والجيوش العاملة، والأهب الوافرة، والأسلحة الجيدة. قلنا نعم هي إحراز وآلات لابدّ منها للعمل فيما يقي البلاد، ولكنها لاتعمل بنفسها، ولا تحرس بذاتها، فلا صيانة بها ولا حراسة إلا أن يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة، وأولوا رأي وحكمة، يتعهدونها بالإصلاح زمن السلم، ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب، وليس بكاف حتىٰ يكون رجال من ذوي التدبير والحزم وأصحاب الحذق والدراية يقومون على سائر شؤون المملكة، يوطئون طريق الأمن، ويبسطون بساط الراحة ويرفعون بناء الملك على قواعد العدل، ويوقفون الرعية عند حدود الشريعة، ثم يراقبون روابط المملكة مع سائر الممالك الأجنبية ليحفظوا لها المنزلة التي تليق بها بينها، بل يحملوها على أجنحة السياسة القويمة الىٰ أسمىٰ مكانة تمكن لها ولن يكونوا أهلاً للقيام على هذه الشؤون الرفيعة حتىٰ

تكون قلوبهم فائضة بمحبة البلاد طافحة بالمرحمة والشفقة على سكانها، وحتى تكون الحمية ضاربة في نفوسهم آخذة بطباعهم، يجدون في أنفسهم منبهاً على ما يجب عليهم، وزاجراً عما لا يليق بهم، وغضاضة وألماً موجعاً عندما يمس مصلحة الدولة ضرر، ويوجس عليها من خطر، ليتيسر لهم بهذا الإحساس وتلك الصفات أن يؤدوا أعمال وظائفهم كما ينبغي، ويصونوها من الخلل الذي ربما يفضي قليله الى فساد كبير في الملك، فهؤلاء الرجال بهذه الخلال هم المنعة الواقية والقوة الغالبة.

يسهل على حاكم في أي قبيل أن يكتب الكتائب ويجمع الجنود ويوفر العدد من كل نوع بنقد النقود وبذل النفقات، ولكن من أين يصيب بطانة من أولئك الذين أشرنا اليهم. عقلاء رحماء، وأُباة أصفياء، تهمهم حاجات الملك كما تهمهم ضرورات حياتهم لابدّ أن يتبع في هذا الأمر الخطير قانون الفطرة، ويراعى ناموس الطبيعة، فان متابعة هذا الناموس تحفظ الفكر من الخطأ وتكشف له خفيات الدقائق، وقلما يخطئ في رأيه أو يتأود في عمله من أخذ به دليلاً، وجعل له من هديه مرشداً. واذا نظر العاقل في أنواع الخطأ التي وقعت في العالم الانساني من كلية وجزئية وطلب أسبابها لا يجد لها من علة سوىٰ الميل عن قانون الفطرة والانحراف عن سنّة الله في خلقه.

من أحكام هذا الناموس الثابت ان الشفقة والمرحمة والحمية والنعرة على الملك والرعية، انما تكون لمن له في الأمة أصل راسخ ووشيج يشدّ صلته بها، هذه فطرة فطر الله الناس عليها، ان الملتحم مع الأمة بعلاقة الجنس أو المشرب يراعي نسبته اليها ونسبتها اليه ويراها لا تخرج عن سائر نسبه الخاصة به فيدافع الضيم عن الداخلين معه في تلك النسبة دفاعه عن حوزته وحريمه «راجع رأيك فيما تشهده كثيراً حتىٰ بين العامة عندما يرمي أحدهم أهل البلد الآخر أودينه بسوء على وجه عام كسوري ينتقد المصريين أو مصري ينتقد السوريين» هذا

الى ما يعلمه كل واحد من الأمة أن ما تناله أُمته من الفوائد يلحقه حظ منها وما تصيبها من الأرزاء يصيبه سهم منه. خصوصاً ان كان بيده هـامات أمـورها وفي قبضته زمام التصرف فيها فان حظه من المنفعة أوفر ومـصيبته بـالمضرة أعـظم، وسهمه من العار الذي يلحق الأمة أكبر، فيكون اهتمامه بشؤون الأمـة التي هـو منها وحرصه على سلامتها بمقدار ما يؤمله من المنفعة أو يخشاه من المضرة.

فعلىٰ ولي الأمر في الدولة أن لا يكل شيئاً من عمله إلا الى أحد رجـلين : إما رجل يتصل به في جـنسية سـالمة مـن الضـعف والتمـزيق مـوقرة في نـفوس المنتظمين فيها محترمة في قلوبهم يحملهم تـوقيرها واحـترامـها عـلى التـفاني في وقايتها من كل شين يدنو منها ولم توهن روابطها اختلافات المشارب والأديان، وإما رجل يجتمع معه في دين قامت جامعته مقام الجنسية، بل فاقت مـنزلته مـن القلوب مـنزلتها، كـالدين الاسـلامي الذي حـل عـند المسـلمين وان اخـتلفت شعوبهم محل كل رابطة نسبية فان كلاً من الجامعتين «الجنسية على النحو السـابق والدينية» مبدآن للحمية على الملك ومنشآن للغيرة عليه.

أما الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك في جنس ولا في دين تـقوم رابطته مقام الجنس، فـمثلهم في الدولة كـمثل الأجـير في بـناء بـيت لا يهـمه إلا استيفاء أجرته ثم لا يبالي أسلِم البيت أو جرفه السيل أو دكته الزلازل، هـذا إذا صدقوا في أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر، واقـفين فـيها عـند الرسم الظاهر، فان الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذي هو خادم فيها ولا يمسه شيء مما يمسها من الضعة لأنه منفصل عنها اذا فقد العيش فيها فارقها وارتد الى منبته الذي ينتسب اليه، بل هو في حال عمله وخِدمته لغـير جـنسه لاصـق بمنبته في جميع شؤونه ما عدا الأجر الذي يأخذه وهذا معلوم ببداهـة العـقل فـلا يجد في طبيعته ولا في خواطر قلبه ما يبعثه على الحذر الشديد مما يفسد المـلك أو الحرص الزائد علىٰ ما يُعلي شأنه، بل لا يجد باعثاً يـبعثه عـلى الفكـر فـيما يـقوم

مصلحته من أي وجه، هذه حالهم هي لهم بمقتضىٰ الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبراءتهم من أغراض أُخر، فما ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فراراً من الفقر والفاقة وضربوا في أرض غيرهم طلباً للعيش من أي طريق وسواء عليهم في تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا، وسواء راعوا الذمة أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأممهم يمهدون لها طرق الولاية والسيادة علىٰ الأقطار التي يتولون الوظائف فيها (كما هو حال الأجانب في المالك الاسلامية لايجدون في أنفسهم حاملاً على الصدق والامانة ولكن يجدون منها الباعث على الغش والخيانة)[1] ومن تتبع التواريخ التي تمثل أحوال الأمم الماضية وتحكي لنا عن سنّة الله في خليقته وتصريفه بشؤون عباده، رأى ان الدول في نموها وبسطتها ما كانت مصونة الا برجال منها يعرفون لها حقها كما تعرف لهم حقهم وما كان شيء من أعمالها بيد أجنبي عنها وان تلك الدول ما انخفض مكانها ولا سقطت في هوّة الانحطاط إلا عند دخول العنصر الأجنبي فيها، وارتقاء الغرباء الى الوظائف السامية في أعمالها فان ذلك كان في كل دولة آية الخراب والدمار خصوصاً اذا كان بين الغرباء وبين الدولة التي يتناولون أعمالها منافسات وأحقاد مزجت بها دماؤهم، وعجنت بها طينتهم من أزمان طويلة.

نعم كما يحصل الفساد في بعض الأخلاق والسجايا الطبيعية لسبب العوارض الخارجية، كذلك يحصل الضعف والفتور في حمية أبناء الدين أو الأمة، ويطرأ النقص على شفقتهم ومرحمتهم فينقص بذلك اهتمام العظماء منهم بمصالح الملك إذا كان ولي الأمر لايقدر أعمالهم حق قدرها وفي هذه الحالة يقدمون منافعهم الخاصة على فرائضهم العامة فيقع الخلل في نظام الأمة ويضرب الفساد، ولكن ما يكون من ضرره أخف وأقرب الىٰ التلافي من الضرر الذي يكون سببه

---

١ ـ يقصد الأفغاني في مهاجمته العنيفة هنا، بعض الأجانب الذين يسيئون الى البلاد التي آوتهم. ويدعي ان هجومه لا ينطبق اليوم على الاجانب الذين يحترمون تقاليد البلاد في ظل القومية العربية.

استلام الأجانب لهامات الأمور في البلاد لأن صاحب اللحمة في الأمة وان مرضت أخلاقه واعتلت صفاته، إلا ان ما أودعته الفطرة وثبت في الجبلة، لايمكن محوه بالكلية فاذا أساء في عمله مرة أزعجه من نفسه صائح الوشيجة الدينية أو الجنسية، فيرجع الى الاحسان مرة أخرىٰ، وان ما شد بالقلب من علائق الدين أو الجنس لا يزال يجذبه آونة بعد آونة لمراعاتها والإلتفات اليها، ويميله الى المتصلين معه بتلك العلائق وان بعدوا.

لهذا يحق لنا ان نأسف غاية الأسف على أمراء الشرق وأخص من بينهم أمراء المسلمين، حيث سلموا أمورهم ووكلوا أعمالهم من كتابة وادارة وحماية للأجانب عنهم، بل زادوا في موالاة الغرباء والثقة بهم حتى ولوهم خدمتهم الخاصة بهم في بطون بيوتهم، بل كادوا يتنازلون لهم عن ملكتهم في ممالكهم، بعدما رأوا كثرة المطامع فيهم لهذا الزمان، وأحسوا بالضغائن والأحقاد الموروثة من أجيال بعيدة، وبعد ما علمتهم التجارة أنهم إذا ائتمنوا خانوا، واذا عززوا أهانوا، يقابلون الإحسان بالإساءة والتوقير بالتحقير، والنعمة بالكفران، ويجازون علىٰ اللقمة باللطمة، والركون اليهم بالجفوة، والصلة بالقطيعة، والثقة فيهم بالخدعة، أما آن لأمراء الشرق أن يدينوا لأحكام الله التي لا تنقض، ألم يأن لهم أن يرجعوا الى حسهم ووجدانهم ألم يأت وقت يعملون فيه بما أرشدتهم الحوادث ودلتهم عليه الرزايا والمصائب، ألم يكن لهم أن يكفوا عن تخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم.

ألا أيها الأمراء العظام مالكم وللأجانب عنكم (ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم) قد علمتم شأنهم ولم تبق ريبة في أمرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) سارعوا الىٰ ابناء أوطانكم واخوان دينكم وملتكم، وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير عون وأفضل نصير، اتبعوا سُنّة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس أجمعين،

وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهـوى بكـم الخـطل الى أسفل سافلين، ألم تروا، ألم تعلموا، ألم تحسوا، ألم تجربوا، الى متى ؟ الى متى، انا لله وانا اليه راجعون.

كم حكمة الله في حبّ المحمّدة الحقة

العالم الانساني كتاب المعتبر، وسفر المستبصر، وكل قرن من قرونه صفحة، وكل جيل من الناس سطر فيه أو جملة ولنا في كل ما خطّه القلم الإلٰهي عِبرة.

أول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا على أحوال الشعوب في أطوارها المختلفة، وأدوارها المتبدلة فترى أمماً علت وسمت وحلقت في جو المعالي وجازت في الرفعة مسارح النظر، ثم انحدرت بعد هذا وتدهورت وعفت رسومها، ولم يبق لها أثر إلا في الروايات والأحاديث، ومنها أجيال كانت في ثنى العدم ثم اكتست حلية الوجود، واتخذت من الاجتماع الانساني مكان الهامة من الجسد، ثم انطوت وأخنت عليها امهات قشعم ومنها ما نراه الى اليوم يسحب مطارف العزة، ويشرف على العالم بالأمر والنهي من شواهق القوة.

فمن الناس من تتجلى له هذه الشؤون وتلك الأطوار كما تعرض عليه التماثيل ينبسط لبعضها اذا أعجبه، وينقبض للاخر اذا أنكره، وهو في غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها، فإن سُئل عن السبب قال : سبحان الله هكذا كان وهكذا يكون، وما هو إلا بخت يسعد فيسعد به السعداء، وينحس فيتعس به الأشقياء.

ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف على ما هيأه الله من الأسباب التي تتبعها أحوال الأمم في صعودها وهبوطها، ويعلم ان ما سيق من الخير لأمة انما كان بأيدي آحاد من أماثلها جدوا وجاهدوا، وربما بذلوا من نفائسهم وأنفسهم فازوا بتأصيل المجد لشعوبهم وبني جنسهم، ويرى لأولئك الأعلام ذكراً يرفع ومكانة من القلوب تحمد، وتميزاً عند الخلف بالكرامة وهم لا يخالفوا الناس في جسومهم ودمائهم، وإنما تقدموهم بهممهم وقد يسوقه الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة في اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر، فاذا أخذ مأخذهم، واستقام على طريقهم فلا يكاد يخطو بعض خطوات ومبدأ المسير تحت نظره، حتى تتعثر أقدامه في أياد مقطعة، ورؤوس مجذوذة، وأشلاء مبددة، وشعور منثورة، وصدور مدقوقة، ويشهد الطريق مضرسة بقبور الشهداء، من طلاب الحق والناهجين في منهاجه، ولا محيص عن سلوكها، وتبدو له غابات وأدغال يرجع اليه منها صدى زئير الآساد وزمجرة الضراغم، ولابد له من اختراقها.

هكذا تنكشف لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاولة لمخاطر أدناها، والموت الشريف أقصاها وأعلاها، فتارة يخور عزمه ويضعف همه فينكص على عقبيه، ويرتدّ الى أسوأ حاليه ويرتع في مراتع أمثاله، حتى يروح الى عطنه الأولىٰ به وهو العدم، وتارة يوحي اليه الإلهام الإلٰهي ان الشخص في خاصته والامم في هيئاتها ونوع الانسان في مجموعه، تطالبها صورة الابداع بأعمال شريفة دونها إجهاد الأنفس في السعي، وحملها على ما لا تهوى، ومغالبة الأهوال والغوائل، وفيما أودع الله الانسان من القوى العالية، والخواص السامية، أكبر مساعد على ما تندفع اليه الهمة، وتنبعث له العزيمة.

ان من أحياه الله بالحياة الانسانية كلما هاجمته المصاعب لا يزداد إلا حرصاً على قهرها كما أن صاحب الشمم لا يزيده الخصام إلا حدة في الجدال، وإصراراً على إقناع المخاصم، وكثير ممن على شكل الانسان يحيا حياته هذه

بروح حيوان آخر وهو يعاني فيها من الشقاء أشدّ مما يعانيه الانسان في ابراز مزايا الانسان.

ان صاعد الجبل ربما يجد شيئاً من التعب ويخشى مفترسه الكواسر، ولكن قد ينجو منها ويستريح على القنة، ويعتصم بمكانه من الرفعة، وتقصر عنه يد المتناول، أما من أخلد الى السفل فحظه من الحياة خوف لاينقطع، وإشفاق لا يزول، كل لحظة توعده بالسقوط في صيد الصائد، والوقوع بين أنسياب الغائل، مات من الناس كثير في طلب العلاء ولم ينالوا، وبلغ كثير من الطالبين غاية ما أملوا، ولكن هلك بالفتك أضعاف هؤلاء وهؤلاء ممن رئموا الخمول، ورضوا بالحياة الحيوانية ـ هذه أحاديث الحق ونفثات الروح الزكية تبعث من أيده الله ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتفاء أثر الماضين الى أشرف المقاصد، فاما وصل واما مات كما يموت الكرام.

لم تنل أمة من الأمم مزية من المزايا المحمودة عند بني البشر سواء في العلوم والمعارف، والآداب والفضائل، أو القوانين والنواميس العادلة، أو العسكرية وقوة الحماية، حتى خرج آحاد منها الى ما تخشاه النفوس وتهابه القلوب، وسلكوا تلك المسالك الوعرة، فبلغوا بأممهم، أقصىٰ ما بلغت بهم هممهم، مع الاعتماد على العناية الأزلية في جميع سيرهم.

ماذا يريد القانون في خدمة الأمم أو النوع الانساني، والمنفقون لحياتهم في أعمال فادحة يعود نفعها على من تجمعه معهم جامعة الأمة أو الملة أو يشاركهم في النوع، أليس قد جعل الله لكل شيء سببا، أليس من سنّة الله في عباده ان لا تتجه الإرادة البشرية الى حركة تصدر عن المديد إلا بعد تصوّر غاية تعود الى ذاته وبعد اليقين أو راجح الظن بأنه يستفيد الغاية من العمل، فإن كان الأجل يذهب في مساورة الآلام الروحية، والعمر ينفد في مناهدة الأوصاب البدنية، فماذا يقصدون من أعمالهم، ان كان يوجد في أبناء جلدتهم، وذرى ملتهم، من

يساعد حوادث الكون على ايلامهم، وممانعتهم في مقاصدهم، وصدهم عن السعي فيما يرجع خيره الى أنفس المعارضين، ويثخن فيهم جراح اللوم والتقريع والشماتة والتشنيع، أو يدافعهم بالمكافحة والمنازلة فما الذي يبتغون من جدهم وكدهم، لا لذة تجتنى؛ ولا ألم يتقى، فما هذا الباعث القوي الذي غلب الأهواء، ولم يضعفه جهد البلاء.

نعم أودع الله في الانسان ميلاً أقوىٰ من كل ميل، وهو أخص خاصة فيه يمتاز بها عن غيره من الأنواع، وهو (حب المحمدة الحقة وحسن الذكر من وجوه الحق) أقول هذا تفادياً من حب المحمدة من أي وجه حقاً كان أو باطلاً، وطلب الثناء بالزور والغش والرياء، والظهور بمظاهر الأخيار، مع تبطن سرائر الأسرار، فان هذا من أسوء الحلال، وانما يعرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة. المحمدة هي الغذاء الروحاني، والمقوّم النفساني، وكلما قرب الشخص من الكمال الانساني تهاون بالشهوات أو ازدرىٰ باللذائذ الحسية، وقوى فيه الميل الى المحمدة الباقية، وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال، تأمّل، ان الفاضل يرى له في هذا العالم أجلين أقصرهما الأجل المحدود من يوم ولادته الى نهاية العمر المقدر، والآخر أبعد من هذا نهاية، وبدايته عندما ينجم من عمله الصالح أثر لمنفعة تشمل أمته أو تعمّ النوع الانساني، وغاية هذا الأجل عندما يمحى أثره من ألواح النفوس وصفحات التاريخ، فللروح الفاضلة وجودان : وجود في بدنها الخاص، ووجود في جميع الأبدان، وهو ما يكون بحلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل، ولا ريب ان هذا الأجل الطويل، وهذا الوجود العريض، خير من ذاك الأجل القصير، وذاك الوجود الكز[١] وحقيق بالانسان ان يبيع ماهو أدنىٰ بالذي هو خير.

يطول بي الكلام فاقصر، ان الله الذي وهب كل نوع ما به كماله وضع في

---

١ ـ الكز : اليابس والمنقبض، والمراد هنا مالا خير فيه.

جبلة البشر ميلاً الى الحمد، وألهمهم تأدية حقه لمستحقه، ألم تر انطلاق الألسن في كل أمة بالثناء على كل من كان سبباً لها في مجد ورفعة، أو نهوض من سقطة، أو توحيد كلمة، أو تجديد قوة، أو كمال في فضيلة، أو تقدم في علم أو صنعة، ويرسمونه في الألواح، ويسجلون مدحته في بطون التواريخ، ويرفعون له الهياكل والتماثيل، ويحفظون له ذكراً حميداً يتناقله الأبناء عن الآباء، حتى ينقرضوا وينقرض العالم.

إذا جحدت الأمة حق العامل لها، أو قصرت في استحسان عمله، ضعفت الهمم، وقل السعي في المصالح العامة، وانقبضت الأيدي عن تعاطيها، فهبطت شؤون الأمة، فافترقت وماتت.

ان الله جلّ شأنه قرن كل حادث بسبب، فإذا استوى لدى الأمة الحسن والقبيح، والطيب والخبيث، والفضيلة والرذيلة، والمصلحة والمفسدة، وفقد منها التمييز، ولم تقدر أعمال العاملين حق قدرها، ولم تعرف معروفاً، ولم تنكر منكراً، سلبت آحادها الميل الى المعالي والكمالات، وكان هذه أشدّ نكاية بها من جور الظالمين، وتغلب الغالبين، ظلم الظالم لا يدوم، وسطوة الغالب لا تثبت، إذا كان جمهور الأمة يقابل الإحسان بالاعتراف، والفضل بالحمد، فإنه يوجد منها من يشتري هذه المكافأة بتخليصها وإنقاذها، وأما فقد هذا الاحساس الشريف، فهو أشبه علة بالهرم، لا عقبىٰ له إلا الموت والهلاك.

كيف لا تكون المدحة الحقة نعمة على النفوس الانسانية، يسعى اليها الأعلون من بني الانسان، وقد امتن الله بها على نبيه فيما يقول له (ورفعنا لك ذكرك)، وكيف لاتكون حقاً تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الأعمال الصالحات، كما سوغ لنبيه ذلك في قوله (وأما بنعمة ربك فحدّث).

قلب طرفك في تواريخ الأمم أقصاها وأدناها، تجد برهاناً قاطعاً على ان الامة متى بخست قيم الأعمال العالية، وازدرى فيها بشأن الفضيلة، فقدت ما به قوامها،

قوامها، وانهدم بناؤها، وذهبت كما ذهب أمس، ولا جرم ان الكفران مقرون بزوال النعم.

يمكنني أن أختم كلامي هذا بكلمة شكر لهذه العصابة الطاهرة، التي أقدمت في هذه الأوقات النحسة، ووقفت على شفير الخطر، وكتبت علىٰ نفسها السعي في توحيد المسلمين، ويسرنا أن نرى عددها كل يوم في ازدياد، نسأل الله نجاح أعمالها وتأييد مقاصدها إنّه نعم المولىٰ ونعم النصير.

الشرف

كلمة يهتف بها أقوام مختلفة من الناس، إلا أن أكثرهم عن حقيقة معناها غافلون، فئة ترى الشرف في تشييد القصور، والتعالي في البنيان، وزخرفة الحوائط والجدران، ووفرة الخدم والحشم، واقتناء الجياد، وركوب العربات، وفئة أُخرىٰ تتوهم أن الشرف في لبس الفاخر من الثياب، والتزيّن بألوان الألبسة وأنواعها، والتحلي بحلى الجواهر الثمينة، مرصعة بالأحجار الكريمة، كالألماس والياقوت والزمرد ونحوها. وفئة تتخيل الشرف في الألقاب والرتب كالبيك والباشا، أو في الوسامات المعروفة بالنياشين وعلو اسمائها كالأول من الصنف الفلاني، والثاني من الدرجة الفلانية، حتى انك ترى الرجل يسلب مال أخيه، وينهب ثروة أقاربه وذويه، أو بني ملته ومواطنيه، ليشيد بما يصيب من السحت قصراً، ويرفع بناء ويزخرف بيتاً، ويقيم له حرّاساً من المماليك، وخفراء من الغلمان، ويظن بذلك أنه نال مجداً أبدياً وفخاراً سرمدياً، وصح لحاله ان يعنون بعنوان الشرف، وتجد الآخر يذهب في الكسب أشنع مما يذهب الأول ليكتسي برفيع الثياب، ويتزين بأجمل الحلى، أو ليكون له من ذلك ما يفاخر به أمثاله، ويتخيل انه بلغ به درجة من الرفعة لا يدانى فيهاويعبر عن حاله هذا بلفظ الشرف، ويتوهم أنه وصل الحقيقة من معناه ومنهم ثالث يسهر ليله ويقطع

نهاره، بالفكر في وسيلة ينال بها لقباً من تلك الألقاب، أو يحصل بها وساماً أو يستفيد وشاحاً، وسواء عنده الوسائل يطلبها أيّاً كان نوعها، وإن أفضت الى خراب بلاده، أو تذليل أمته، أو تمزيق ملته، وعنده أنه رقى الذروة من معنىٰ الشرف.

نحن نرىٰ هذه الأوهام قائمة مقام الحقائق في أذهان كثير من الناس ولكن لا نظنها طمست عين الحق فيهم، حتى عموا عن ادراك أخطائهم وانحرافهم عن الصواب في وهمهم، ماذا يجد من نفسه المباهي بقصوره، وولدانه وحوره، لايحس من أنه وان حاز منها أعلىٰ ما يتصوره العقل، فذاته التي هي أعز لديه من جميع ما كسب لم تستفد شيئاً من الكمال، وان جميع ما حصله فهو أجنبي عنه، وليس له نسبة اليه إلا نسبة العناء في تحصيله، ألا يرى ان كثيراً ممن بلغ مبلغه أو فاقه، سلبتهم صروف الدهر ما بأيديهم، فأصبحوا بصفاتهم وجواهر ذاتهم، فان لم تكن على جانب من الكمال الانساني انخرطت في سلك الطبقات السافلة، ولم يبق لهم في القلوب منزلة ولا في النفوس مكانة.

ماذا يشعر به المفاخر بحليه ولباسه إذا تجرّد منه وخلى بنفسه ان لم يكن لذاته حلية من الفضيلة وزينة من الكمال، ألا يكون هو وعراة الفقراء سواء وألا يجد من سره عند المفاخرة انه يجول مع الغانيات وربات الخدور، في ميدان واحد، ماذا يتصور الزاهي برتبته، المعجب بوسامه، ان لم يكن قبل وسمته أو الصعود لرتبته، على حال تجل، أو كمال يبجل، أليس يشعر انه لو سلب الوسام، أو نزع عنه الوشاح، يعود الى منزلته من الاحتقار فان نال الكرامة عند بعض السذج واللقب معلق عليه، أليس ذلك تعظيماً للقب لا للملقب به، ألا تكون هذه الكرامة عارضاً سريع الزوال، بل رسماً ظاهراً لا يمسّ بواطن القلوب.

نعم لهذه الألقاب الشريفة شأن يرتفع به النظر اذا سبق بعمل يعترف عموم العالم بشرفه، وكان اللقب دليلاً عليه أو مشيراً اليه، كما يكون لمثلها حال

يسقط به الاعتبار اذا تقدمها فعله يمقتها العقلاء من النوع البشري، وكان الوسام أو اللقب عنواناً على ما اقترف كاسبه، وعلامة على ما احترم.

انظر وتدبّر ولا تخطئ فما أنت من الصواب ببعيد، ان عثمان الغازي الذي لقبه أعداؤه بأسد (بلاونه) نال رتبة ومُنِحَ لقباً، وحظى بمكانة رفيعة بين الطبقة العليا من العظماء في دولته بعدما دفع بروحه للموت في المدافعة عن ملته، وجاهد في اعلاء كلمة دينه، بما شهد له الأعداء والأصدقاء، وان بعض الأمراء في ديار اسلامية علقت عليهم ألقاب شريفة من دولة كدولة الانجليز جزاء لهم على ما تقدموا أمام جيوش أعدائهم، لافتتاح بلادهم، حتى مكنوا الانجليز من ديارهم، وجميع المسلمين الآن يكابدون الجهد في إيجاد الوسائل لخروجهم منها، أين موقع النيشان من صدر عثمان باشا الغازي من موقعه على صدور أولئك المخدوعين، أظن رجع النظر بين الموقعين يثبت لك أن النيشان يشرف بشرف العمل الذي جعل دليلاً عليه ويسقط بسقوطه.

ماذا غرّ أولئك الواهمين علىٰ اختلافهم، ألا يعلمون ان الثياب المعلمة بالدم، الموشاة بالنجيع، الملوّنة بالمهج، هي التي حفظت للابسيها ذكراً حسناً لاينقطع، وأثراً مجيداً لايمحىٰ، ان الذين ضرّجوا بدمائهم في طلب المجد لمللهم، هم الذين خشعت لذكرهم الأصوات، وأجمعت علىٰ فضلهم خواطر القلوب، ألم يصل اليهم ان الذين قضوا نحبهم في غيابات الجبّ، وانتهت حياتهم في ظلمات السجن، لطلب حق مسلوب أو حفظ مجد موجود هم الذين سما ذكرهم الىٰ شرف الشمس الأعلىٰ، وعلت اسماؤهم على جميع الأسماء، أظن ان الذين كانوا في الغرفات العالية ينظرون الى جناتهم وحدائقهم، ويشرفون على الناس من شرفات قصورهم، وقصروا حياتهم على التمتع بما نالوا، لم يبق لهم ذكر ولم يكن لهم في حياتهم شأن، إلا ما هو محصور في دوائر بيوتهم، ولا يختلف عنهم أولئك الذين كانوا يسحبون مطارف الرفه ويكتسون حلل الخز والديباج، ذهبوا

وذهبت معهم أكسيتهم، فارتدوا من حيث أتوا لايعلم متىٰ جاءوا الى الدنيا، ومتىٰ انكشفوا عنها.

هل سمعنا ان أحداً يذكر بين بني البشر بأنه نال نيشان كذا وحصل رتبة كذا، نعم يقولون علم وعمل، وأعطىٰ وبذل ورفع ووضع، وجاهد وكافح، وأباد وأبقىٰ، وما يشاكل ذلك من الاعمال التي لها أثر ثابت، اذا ذكر اسكندر الأكبر هل يخطر بالبال ان كان له قصر أو لا. أي أبله يطلب سيرة نابليون الأول في آثار قصر كان يسكنه، أو في خرق ثياب كان يلبسها وهل بلغ عظماء العالم ما بلغوا من مقامات الشرف بعدما شيدوا وزينوا وترفهوا وتنعموا أكان جميع ما ينالون من ذلك بعد ان يسودوا ويفتحوا ويغلبوا ويأخذوا بالنواصي. خدع قوم بالأحلام وغرتهم الأوهام، ففرطوا في شؤون بلادهم وباعوا مجدها الشامخ بتلك الاسماء التي لا مسمى لها، وزعموا وان لم تطاوعهم ضمائرهم انهم رقوا من مكانة الشرف وان كان خاصاً بهم بعدما علموا ان الرتب والنياشين جاوزت حدها، ونالها غير أهلها، فلو انهم أصغوا لما تحدثهم به سرائرهم، وتعنفهم به خواطر أفئدتهم، ورمقوا بأبصارهم ما يحيط بهم، لعلموا أنهم في أخس المنازل وأبعد المزاجر، وأدركوا خطأهم في معنى الشرف وجورهم عن جادة الصواب في طلبه، لو أحسوا بما رزئت به أوطانهم، وما لصق من الذل والعار بذراريهم، لطرحوا الوشاحات، ونبذوا الوسامات، ولبسوا أثواب الحداد، ونفروا خفافاً وثقالاً لطلب الشرف الحقيقي.

الشرف حقيقة محدودة كشفتها الشرائع، وحددتها عقول الكاملين من البشر، وليس لذي شاكلة انسانية ان يرتاب في فهمها، إلا من ختم الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة.

الشرف بهاء للشخص، يحوم عليه بالأنظار، ويوجه اليه الخواطر والأفكار وجمال يروق حسنه في البصائر والأبصار ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه

يكون له أثر حسن في أمته أو بني ملته، أو في النوع الانساني عامة، كإنقاذ من تهلكة، أو كشف لجهالة، أو تنبيه لطلب حق سلب. أو تذكير بمجد سبق. وسؤدد سلق. أو إنهاض من عثرة أو ايقاظ من غفلة أو إرشاد لخير يعمّ. أو تحذير من شرّ يغم. أو تهذيب أخلاق أو تثقيف عقول. أو جمع كلمة وتجديد رابطة أو إعادة قوة. وانتشال من ضعف. أو ايقاد حمية أو خصومة لغيرة.

من أتىٰ عملاً من الاعمال له أثر من هذه الآثار فهو الشريف وان كان يسكن الخصاص والأكواخ. ويلبس الدلوق والأسمال، ويقتات بنبات البر، ويبيت علىٰ تراب الفقر، ويتوسد نشز الأرض، ويضرب في كل واد، ويتردد بين الربى والوهاد، هذا له حلية من عمله، وزينة من فضله، وبهاء من كماله، وضياء من جده، يهدي اليه ضالة الألباب، وتائهة الأفئدة، تعرفه المشاعر الحساسة ولا تنكره، وتكتنفه دارات القلوب المتطايرة اليه ولا تنفصل عنه، له من روحه قصور شاهقة، وغرفات شائقة، ومناظر رائقة، وجمال باهر، ونور زاهر، لايكاد يخفى حتى يظهر، ولا يكاد يستر حتىٰ يبصر، اليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح، يرفعه الى أعلى عليين، حياة طيبة في القلوب وعزة مشرقة في جبهة الزمان (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

نعم قد ينبعث عليه من أرباب الطباع الفاسدة بعض الكرائه، فيسلقونه بالألسنة، ويرشفونه بسهام اللوم، ولا تروق في أنظارهم أزهار أعماله، ولا أنوار مزاهره، لبعدها عن فهمهم، وغرابتها على حواسهم، لما ألفوه من الانكباب علىٰ تلك السفاسف الساقطة، التي عدّوها شرفاً، وحسبوها مجداً، وقد بيناها كما كشفتها الشرائع وآراءها العقلاء، وإنما مثلهم مثل الجعل ينفر من رائحة الورد، ويألف روائح القذر، لايبعد ان يسخر بالعامل الفاضل مَنْ لا خلاق لهم، أو يقصده بالاضرار من لا ذمة له، ولكنهم بأنفسهم يهزأون، وبمصالحهم يضرون، ولا يطول عليهم الزمان في هذا العمى، بل لايلبثون إذا بدت الثمرة الشهية ان

يهرعوا لاقتطافها، ويطعموا من جناها، ولا يسعهم بعد ذلك إلا الحمد لغارس الشجرة، وحافظ الثمرة، وان كان دونهم في تلك الزخارف التي لا قيمة لها في نظر العاقل ثم يكون عقابهم على ما فرط منهم ندماً على الخطيئة، وأسفاً على السيئة وألماً في قلوبهم تهيجه ذكرى ماقاموا من سوء عملهم، وانكشاف نقصهم لدى وجدانهم، هكذا تمنح العناية الألهية هذه الكرامة لصاحب العمل الشريف مادام حياً، فإذا غابت شمسه عن أفق هذا العالم لم تحجب أشعة ضيائه التي فاضت منه علىٰ نجوم هاديات، وبدور منيرات، نعم أنه يموت ويتوارىٰ خلف حجاب العدم بجسمه، ولكنه قائم في الأفئدة، شاهد علىٰ الألسنة، حي يرزق عند ربه، ونعمة الحياة حياته، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

الأمة وسلطة الحاكم المستبد

«وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

ان الأمة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد، ولا تستشار في مصالحها، ولا أثر لإرادتها، في منافعها العمومية، وانما هي خاضعة لحاكم واحد إرادته قانون، ومشيئته نظام، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فتلك أمة لا تثبت على حال واحد، ولا ينضبط لها سير. فتعتورها السعادة والشقاء. ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الغنى والفقر، ويتناوبها العز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الأحوال خيرها وشرها، فهو تابع لحال الحاكم فإن كان حاكمها عالماً حازماً أصيل الرأي. عالي الهمة، رفيع المقصد قويم الطبع، ساس الأمة بسياسة العدل، ورفع فيها منار العلم ومهّد لها طرق اليسار والثروة، وفتح لها أبواباً للتفنن في الصنائع، والحذق في جميع لوازم الحياة، وبعث في أفراد المحكومين روح الشرف والنخوة، وحملهم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشجاعة والشهامة وأباء الضيم، والأنفة من الذل، ورفعهم الى مكانة عليا مَن العزة، ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كان حاكمها جاهلاً سيء الطبع، سافل الهمة، شرهاً مغتلماً جباناً، ضعيف الرأي، أحمق الجنان، خسيس النفس، معوج الطبيعة، أسقط الأمة

بتصرفه الى مهاوي الخسران، وضرب على نواظرها غشاوات الجهل، وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل، وفتح ابواباً للعدوان، فيتغلب القوي على حقوق الضعيف، ويختل النظام، وتفسد الأخلاق وتخفض الكلمة، ويغلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الأمة.

عند ذلك ان كان في الأمة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها، وأراد الله بها خيراً اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة، واستئصال جذورها قبل ان تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة القاتلة بين جميع الأمة، فتميتها وينقطع الأمل من العلاج، وبادروا الى قطع هذا العضو المجذم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيمزقه. وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الأمة عن هذه الدرجة وتركت شؤونها بيد الحاكم الأبله الغاشم يصرفها كيف يشاء، فانذرها بمضض العبودية، وعناء الذلة ووصمة العار بين الأمم، جزاء على مافرطوا في أمورهم. (وما ربك بظلام للعبيد).

دعوة الفرس الى الاتحاد مع الأفغان

«(إذا أراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم)»

سرنا من الجرائد الفارسية صدقها في خدمة أوطانها واعتدالها في مشاربها وزادنا مسرّة اهتمامها بترجمة بعض الفصول المهمة من جريدتنا ونقلها الى اللسان العذب الفارسي مما تظن فيه تنبيهاً لأفكار المسلمين، واستلفاتاً لعقولهم الى ما فيه خيرهم، فلها منّا ومن كل مخلص في محبة ملته أوفر الشكر، خصوصاً جريدة (اطلاع) التي تطبع في مدينة (طهران) وهذا المنهج القويم مما تعم به الفائدة في جميع الأقطار الاسلامية، فإن جميعها بعد بلاد العرب، وان اختلفت ألسنة سكانها باختلاف شعوبهم إلا أنهم ينطقون باللغة الفارسية، فهي في الشرق كاللسان الفرنساوي في الغرب، وكان بودنا أن يعززوا أفكارنا بما تجود به قرائحهم السليمة، وأذهانهم الصافية، وترشدهم اليه عقولهم العالية، خصوصاً فيما يتعلق بالدعاء للوحدة الاسلامية، وإحياء الرابطة الملية بين المسلمين، لاسيا في الاتفاق بين الإيرانيين والأفغانيين.

هاتان طائفتان هما فرعان لشجرة واحدة، وشعبتان ترجعان لأصل واحد هو الأصل الفارسي القديم، وقد زادهما ارتباطاً اجتماعياً في الديانة الحقّة الاسلامية، ولا يوجد بينهما إلا نوع من الاختلاف الجزئي لايدعو الى شقّ العصا،

وتمزيق نسيج الاتحاد، وليس بسائغ عند العقول السليمة أن يكون مثل هذا التغاير الخفيف سبب في تخالف عنيف.

ليس ببعيد على همم الايرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية، وتقوية الصلات الدينية، كما قاموا في بداية الاسلام بنشر علومه، وحفظ أحكامه وكشف أسراره، وما قصروا في خدمة الشرع الشريف بأيّة وسيلة.

نعم البخاري ومسلم والنيسابوري والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبو داود والبغوي وابو جعفر البلخي والكليني وغيرهم ممن أنبتتهم أراضي ايران، أبو بكر الرازي الطبيب الشهير والامام فخر الدين الرازي ممن نشأوا في طهران، أبو حامد الغزالي حجة الاسلام، وأبو اسحق الاسفرايني، والبيضاوي، وخواجة نصير الدين الطوسي، والأبهري وعضد الملة والدين، وغيرهم من علماء الكلام والاصول ممن تفتخر بهم بلاد فارس وهم فخار للمسلمين، الفيلسوف الشهير أبو علي بن سينا، وشهاب الدين المقتول، ومن على شاكلتهم ممن جبلوا من تراب فارس ان أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط أصوله، وتأسيس فنونه، منهم سيبويه، وأبو علي الفارسي، والرضي، ومنهم عبد القاهر الجرجاني، مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القرآن، وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية، وصاحب صحاح الجوهري من احدى قراهم، ومجد الدين الفيروزابادي، من إحدىٰ بلدانهم، الزمخشري، والسكاكي، وأبو الفرج الاصفهاني، وبديع الزمان الهمداني، وغيرهم ممن بينوا دقائق القرآن، وشيدوا معالم الدين، كلهم من أرض فارس.

الطبري أول المؤرخين، والأصطخري، والقزويني، أول الجغرافيين، كانوا من بلاد فارس، الشبلي كان من نهاوند، وأبو يزيد البسطامي كان من بسطام، والاستاذ الهروي وهو الاستاذ الحقيقي للشيخ محيى الدين بن العربي، كان من

هراة وكلها بلاد إيران.

هل يُنسى صدر الشريعة وفخر الاسلام البزدوي والامدي، والمرغيناني، والسرخسي، والسعد التفتازاني، والسيد الشريف والأبيوردي، وكلهم من أبناء فارس، من أين كان القطب الشيرازي، والصدر الشيرازي، ورأس الحكمة في المتأخرين مير باقر الداماد، ومير فندركسي وغيرهم كانوا من بلاد فارس ؟ أي فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى، أي مزية مَنَّ الله بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها، نعم وفيهم جاء من قول النبي صلى اللّه عليه وسلم (لو كان العلم في الثريا لناله رجال من فارس).

فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم، وانظروا الى آثاركم في الاسلام، وكونوا للوحدة الدينية دعامة، كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية، أنتم بما سبق لكم أحقّ الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم في فتوة الاسلام، أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الاسلامية، وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم، أظن لا يخفى عليكم ان هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف معهم على مقاومة العادين، لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصيناً، وحرزاً منيعاً، تقف دونه أقدام الطامعين، أظنكم لم تنسوا ان استيلاء الانجليز على الممالك الهندية، انما تم بوقوع الخلاف بينكم وبين الأفغانيين.

هل يخفى عليكم ان كل مسلم في الهند شاخص ببصره الى طرف بنجاب ينتظر قدومكم اذا اتحدتم مع اخوانكم الأفغانيين، حصلت لكم تجارب كثيرة وشهدتم من مظاهر الحوادث ما فيه أكمل عبرة، فهل يصح بعد هذا ان تستمروا على التجافي والتباعد مع علمكم ان الوحدة منبت الشوكة.

هذا آن التآخي والتوافق، هذه أوقات التحالف والتواثق، أحاط الاعداء ببلادكم، شرقاً وغرباً وكل يشحذ سيفه ويسدد سهمه، حتى تمكنه الفرصة من

شنّ الغارة على أطراف بلادكم، فلو ضاعت الفرصة في هذا الوقت فربما لا تصادفونها في غيره، الإنجليز في ارتباك شديد في المسألة المصرية مع ضعفهم في القوة العسكرية، ومتورطون باختلاف الدول عليهم ومعاكساتها لمقاصدهم.

الأمير عبد الرحمن خان أمير أفغانستان على ما نعهده من أول شيبوبته أشد الناس عداوة للانجليز، وبينه وبينهم حزازات لا تزول، بل نقول ان عداوة الانجليز سارية في عروق الأفغانيين عموماً ممتزجة بدمائهم، فلو حصل الاتفاق الآن بين سلطنة الشاه وبين امارة الأفغان، لوجدت قوة اسلامية جديدة في المشرق بين سائر الطوائف الاسلامية، وينبعث فيهم وفي سائر المسلمين حياة جديدة، وتتجدد لهم آمال جليلة، وتنتعش بذلك أرواح المؤمنين، هذا وقت تنبهت فيه أفكار الأفغانيين الى أعمال جيرانهم في المسألة المصرية، وتحركت فيهم السواكن، وهي أعظم فرصة لأهل فارس في دعوتهم للاتحاد معهم.

هذا عمل من أجلّ الاعمال وأجزلها فائدة، وان من أكبر الفضل ان يقوم أهل الفضل من أهالي ايران بتحرير الفصول ونشر الرسائل في بيان فوائد الاتفاق بين الطائفتين، وان لذلك لأثراً عظيماً في النفوس خصوصاً ان كانت من أقلام العلماء الأعلام، والمجتهدين الكرام.

العالم الانساني عالم الفكر والكلام فأحكام الفكر الصالح ونشره في الكتب والرسائل والجرائد مما يؤثر أجمل الأثر في تهذيب الناس وتثقيف عقولهم، وإزالة الضغائن المفسدة لمعاشهم ومعادهم، فاذا قام المستبصرون وخطبوا ووعدوا، وكتبوا ونشروا، مع الوقوف عند الحدود الدينية، والأصول الشرعية، كان فضل الله كافلاً لهم النجاح.

أي فرق بين الأفغانيين وإخوانهم الإيرانيين، كل يؤمن بالله وبما جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلم، عبد الرحمن خان بما أكسبته التجارب أول من يتقدم لهذا الاتفاق، ولا نشك ان شاه ايران لما اطلع عليه في سياحاته وشاهده

أسفاره لا يأبىٰ المبادرة اليه والسعي فيه، ان البادئ بالعمل في هذا المقصد الأسمىٰ هو صاحب الفضل الأعظم بين المسلمين خصوصاً وبين العالم عموماً ويجنى ثمرته في وقت قريب.

كان الألمانيون يختلفون في الدين المسيحي على نحو ما يختلف الايرانيون مع الأفغانيين في مذاهب الديانة الاسلامية، فلما كان لهذا الاختلاف الفرعي أثر في الوحدة السياسية، ظهر الضعف في الأمة الالمانية، وكثرت عليها عاديات جيرانها، ولم يكن لها كلمة في سياسة أوروبا، وعندما رجعوا الىٰ أنفسهم وأخذوا بالأصول الجوهرية، وراعوا الوحدة الوطنية في المصالح العامة، أرجع الله اليهم من القوة والشوكة ما صاروا به حكّام أوروبا وبيدهم ميزان سياستها.

ورجاؤنا في الأفاضل الكرام صاحب جريدة (فرهنك) الأصفهانية، وصاحب جريدة «اطلاع» الطهرانية وسائر أرباب الجرائد الايرانية أن يوجهوا أفكارهم الى هذا المطلب الرفيع، ويجعلوا له محلاً فسيحاً في جرائدهم، وينشروها في بلادهم، وبلاد الأفغان، باللسان الفارسي، وهو لسان الطائفتين، وماهي إلا أيام ثم نرىٰ علائم النجاح ان شاء الله ربّ العالمين.

امتحان الله للمؤمنين

«آلم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين».

من الناس بل أغلب الناس من يقول آمنا. وللايمان آثار ثم يحسبون ان الله يتركهم وما يقولون، ويدعهم وما يتوهمون، ويعاملهم سبحانه وهو الحكم العدل بما يظنون في أنفسهم قبل أن يبتليهم أيهم أحسن عملا، حتى تظهر أنفسهم لأنفسهم، ويعلموا هل هم حقيقة مؤمنون أو هذه دعوى سوّلتها النفس، وغرت بها الأماني، وانهم تائهون في أوهامهم يحسبون أنهم علىٰ شيء، وهم خلو من كل شيء، ولما يدخل الايمان في قلوبهم. إلا في غيه حتى يبتليه في دعوى الايمان ليعلم الله الذين جاهدوا ويعلم الصابرين ولئلا تكون للناس على الله حجة، حاشا حكيماً أنزل الكتب وأرسل الرسل ووعد وأوعد، وبشّر وأنذر، وقوله الصدق، ووعده الحق، ان يجازى من بنى عقيدته على خيال ليس له أثر، وظن ليس له أساس، وبالسعادة السرمدية، والنعيم الأبدي، ان المغترّ بزعمه، الحائر في ظلمات أوهامه الذي لايسهل عليه الايمان احتمال المشاق وتجشم المصاعب في سبيله، ليس بمعزل عن المنافقين الذين حكم الله عليهم بالشقاء الأبدي والعذاب

المخلد الايمان يغلب كل هوى، ويقهر كل أمنية، ويدفع بالنفس الى طلب مرضاة الله بلا سائق ولا قائد سواه، يقول الله وهو أصدق القائلين (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والله عليم بالمتقين. انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) هذا قضاء الله وهذا حكمه على الذين يستأذنون في بذل أرواحهم وأموالهم في اداء فريضة الايمان، حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون.

صدق الله وصدقت كتبه ورسله ان للعقائد الراسخة آثاراً تظهر في العزائم والأعمال وتأثيراً في الأفكار والإرادات لايمكن للمعتقدين أن يزيحوها عن أنفسهم ماداموا معتقدين، هكذا الايمان في جميع شؤونه وأطواره، له خواص لا تفارقه، ونزعات لا تزايله، وصفات جليلة لا تنفك عنه وخلائق عالية سامية لا تباينه، بها كان يمتاز المؤمنون في الصدر الأول وكان يعترف بمزيتهم وعلو منزلتهم من كانوا يجحدون عقيدتهم، نعم هم الذين صبروا في نيران امتحان الله وابتلائه حتى ظهر ايمانهم ذهباً أبريزاً صافياً من كل غش، وأعدّ الله لهم جزاء علىٰ صبرهم نعياً مقيماً. ما أصعب ابتلاء الله وما أشدّ فتنته وما أدقّ حكمته في ذلك ليميّز الله الخبيث من الطيب.

نعم إن دون ابتلاء الله خلع العادات، وتحمل الصعوبات، وبذل الأموال وبيع الأرواح، كل خطر فهو تهلكة ينبغي البعد عنها إلا في الايمان، فكل تهلكة فيه فهي نجاة، وكل موت في المحاماة عن الايمان فهو بقاء أبدي وكل شقاء في اداء حقوق الايمان فهو سعادة سرمدية، المؤمن يبذل ماله فيما يقتضيه ايمانه ولا يخشى الفقر، وان كان الشيطان يعده الفقر، ليس في النفقة لاداء حق الايمان تبذير ولو أتت علىٰ كل ما في أيدي المؤمنين، ان للمؤمنين حياة وراء هذه الحياة، وان له لذة وراء لذاتها، وان له سعادة غير ما يزينه الشيطان من سعادتها، هكذا يرى المؤمن ان كان الايمان مسّ قلبه ولو لم يبلغ العناية من كماله.

ان الفرار من محنة الله في الايمان مجلبة للخزي الأبدي. ان الفرار من صدمة جيش الضلال وان بلغت أقصىٰ ما يتصور موجب للشقاء السرمدي. لا سعادة إلا بالدين ودون حفظ الدين تتطاير الأعناق، ان للايمان تكاليف شاقة وفرائض صعبة الاداء إلا على الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ، ان القيام بفرائض الايمان محفوف بالمخاطر، مكتنف بالمكاره، كيف لا وأول ما يوجبه الايمان خروج الانسان عن نفسه وماله وشهواته ووضع جميع ذلك تحت أوامر ربه، لن يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون الله ورسوله أحبّ اليه من نفسه. أول احساس يلمّ بنفس المؤمن انه في هذه الدنيا عابر سبيل الى دار أُخرىٰ خير من هذه الحياة وأبقىٰ. وأول خطوة يخطوها المؤمن بذل روحه إذا دعاه داعي الايمان ، ولا داعي أرفع صوتاً وأبين حجة من نداء الحق على لسان أنبيائه. لا يقبل الله في صيانة الايمان عذراً ولا تعلة ما دامت الرجل تمشي والعين تنظر واليد تعمل. ان امتحان الله للمؤمنين سُنّة من سُننه.

ومن يضلِّل الله فماله من هادٍ

يوجد بين بني البشر نفوس لم يرضها الاسلام، ولم تقنع بالكفر، تتلون تلون الحرباء، وتتشكل تشكل الأغوال، وتتقلب تقلب الدهر الخؤون، لا ترضى بحال، ولا تنسج على منوال، يضحكون وقت البكاء، ويمرحون عند اشتداد اللأواء، ويبكون لأوقات المسرّة، ويضجرون لسعة الرحمة، مثلهم كمثل الحسك المثلث الأضلاع، كله شوك حيثما قلبته، تراهم في النهار مسلمين منقلبين بين مذاهب الاسلام يصبحون سنيين ويقيلون شيعيين ويقضون طرف اليوم وهابيين، فاذا جنّ الليل رأيتهم دهريين اباحيين، أولئك الذين غضب الله عليهم ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، منهم أُناس من أرباب الجرائد الساقطة في الهند يريدون أن يتزلّفوا للحكومة الهندية الانجليزية بما فيه مضرّة أوطانهم وأبناء الملة التي ولدوا فيها لينالوا من ظالميهم جائزة ما، أو ليكون لهم في دوائرهم اسم ما، فأخذوا يؤولون بعض فصول العروة الوثقى ويحولونها عن وجهتها جهلاً، أو عناداً ولوماً، ويحرّفون الكلم عن مواضعه على حسب اهوائهم الخسيسة، وطباعهم الخبيثة ؛ قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون، أولئك قوم عرفناهم وليس لهم بين قومهم شأن يعرفون به فليس يهمنا أمرهم. وإنا نقدم الشكر للجرائد المهمة الهندية الناهجة في خدمة أوطانهم منهج الحق، السالكة جادة الاعتدال على ماتعنى به من ترجمة فصول العروة الوثقى الى اللسان الهندي تعمياً للفائدة في أبناء أوطانها، جزاها الله عن المسلمين خيراً.

أسبابُ حفظ الملك

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها. فإنهاتعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور).

أهلك الله شعوباً، وأباد قبائل، ودمّر بلاداً، ولايزال عدل الله يبدل قوماً بقوم ويأتي لكل حين بأناس آخرين، حكيم سبقت رحمته غضبه، جعل لكل عمل جزاء، وعين بحكمته لكل حادث سببا (ولا يظلم ربك أحداً) وليست أفعاله جزافاً، ولا يصدر عنه شيء عبثاً، أمر الله عباده بالسير في الأرض (قُل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) ليريهم قضاءه الحق وحكمه العدل، فيمن سلف ومن خلف، فيطيعوا أوامره، ويقفوا عند حدود شرائعه، ويفوزوا بخير الدنيا وسعادة الآخرة، من كان له قلب يعقل وعين تبصر، وعقل يفقه، وتتبع حوادث العالم، وتدبر كيفية إنقلاب الأمم، وخاض في تواريخ الأجيال الماضية، واعتبر بما قصّ الله علينا في كتابه المنزل، يحكم حكماً لا يخالطه ريب، بأنه ما حاق السوء بأمة وما نزلت بها نازلة البلاء، وما مسّها الضرّ في شيء إلا وكانت هي الظالمة لنفسها، بما تجاوزت حدود الله وانتهكت حرماته، ونبذت أوامره العادلة، وانحرفت عن شرائعه الحقة، وحرّفت الكلم عن مواضعه،

وأوّلت من كلامه تعالى على حب الأهواء والشهوات.

كما ان للأغذية والأدوية، واختلاف الفصول والاهوية، أثراً ظاهراً في الأمزجة بتقدير العزيز العليم، كذلك اقتضت حكمة الله ان يكون لكل عمل من الاعمال الانسانية، ولكل طور من أطوار البشر، أثر في الهيئة الاجتماعية، ولهذا كان من رحمته بعباده تحديد الحدود، وتقرير الأحكام ليتبين الخير من الشر، ويتميّز النفع من الضر، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فمن خالف الأوامر الالهية فقد ظلم نفسه، فليستعد لخزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ان تأثير الفواعل الكونية في أطوار الحياة قد يخفى سببه حتى على الطبيب الماهر، أما تأثير أحوال بني الانسان في هيئة اجماعهم، فيسهل على سره لكل ذي إدراك، ان لم تكن عين بصيرته عمياء.

ألم تر ان الله جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة والاتصال بصلة الأُلفة في المنافع الكلية سبباً للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا، والتمكن من الوصول لخير الأبد في الآخرة، وجعل التنازع والتغابن علّة للضعف، وداعياً للسقوط في هوّة العجز عن كل فائدة دنيوية أو أخروية، ومهيأ لوقوع المتنازعين في مخالب العاديات من الامم، فمن نظر نظرة في أحوال الشعوب ماضيها وحاضرها، ولم يكن مصاباً بمرض القلب، وعمى البصيرة، أدرك سرّ أمر الله في قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) وسرّ نهيه في قوله (ولا تفرقوا. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) أي جاهكم وعظمتكم وعلوّ كلمتكم.

ان الله تعالى يجعل الركون الى من لايصحّ الركون اليه، والثقة بمن لاتنبغي الثقة به، سبباً في اختلال الأمر وفساد الحال، فمن وثق في عمله بمن ليس منه في شيء، ولا تجمعه معه جامعة حقيقية، ولا تصله به رابطة صحيحة، وليس في طبعه ما يبعثه على رعاية مصلحته، أو كتم سرّه، ولا ما يحمله على بذل الجهد في جلب منفعته، ودفع المدار عنه، فلا ريب يفسد حاله، ويسوء مآله، وان كان

ملكاً ضاع ملكه، أو أميراً بطل أمره والحوادث عاهدة، وأحوال المغرورين ناطقة، فمن لم يرزأ بعمىٰ البصيرة يدرك بأول التفات سر نهى الله تعالىٰ في قوله (لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) وقوله (لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفي صدورهم أكبر) وسائر نواهيه المبنية علىٰ الحكمة البالغة المرشدة الىٰ مصالح الدارين.

لكل شخص في طبقته من أمته عمل مفروض عليه ، وواجب يلزمه القيام به، ليحفظ بذلك لنفسه حياة طيبة في هذه الدنيا، ويعد لها مآلا صالحاً في الآخرة. وهو انسان له قلب واحد، لو جعل معظم همه في شيء فانه سائر الأشياء، فلو توغل في الشهوات، وبالغ في الترف، وبطر فيما أنعم الله عليه، فقد أغفل فرائضه، وأضر بنفسه، وحرم من منافعه، وحل به من عقاب الله أشد الوبال، وخسر الدنيا والآخرة معاً، وربما مست آثار أعماله بالسوء من يجاوره، واحترق بناره الموقدة بفساد أخلاقه، وانحرافه عن سنن الحق من يساكنه في بلدته، أو يواطنه في مدينته، وهذه آثار المترفين في كل امة تنطق بما لايعجم إلا على أذن صماء، وتشهد بما لايخفى إلا على بصيرة كمهاء، وان فيما قصّ الله علينا من أحوال المترفين، لأكبر عبرة (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنّا نحن الوارثين. حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون. لا تجأروا اليوم إنكم منّا لا تنصرون. ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) هذه عواقب اللاهين بحظوظهم عمّا أوجب الله عليهم (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمىٰ).

ما أوتي الانسان من العلم إلا قليلا، لايمكن لانسان وحده أن يحيط بوجوه المنافع الخاصة بنفسه، ولا ان يطّلع على منابع فوائده ليكسبها، أو يكشف

مكامن مضاره فيتقيها، خلق الانسان ضعيفا فأرشده الله للاستعانة بغيره من بني جنسه (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) خلقنا محتاجين للعون مضطرين للصبر وهدانا ربنا للتعاون والتناصر.

هذا مما يحكم به العقل في المصالح الخاصة، فكيف لو كان شخص ولاه الله رعاية أمّة، وألقى اليه بزمام شعب مصالحه التامة تحت إرادته، وهو الوازع فيه والواضع والرافع، لاريب ان مثل هذا الشخص أحوج الى المشورة والاستفادة من آراء العقلاء، وهو أشد افتقاراً الىٰ ذلك ممن يكون سعيه لمتعلقات ذاته، وتكون سعة دائرة افتقاره الى التشاور على مقدار سعة سلطانه، وقد أمر الله نبيه وهو المعصوم من الخطأ تعليما وإرشاداً فقال (وشاورهم في الأمر) وقال فيما امتدح به المؤمنين (وأمرهم شورىٰ بينهم) أي بصر يزوغ عن هذا الصراط المستقيم، أي بصيرة لاتهتدي الى هذا المنهج القويم (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين).

ان وازع البلاد والقائم على الملك لو المح لمحة الى نفسه لرأىٰ أن بلاده في كل وقت معرّضة لأطماع الطامعين، وأن الحرص المودع في طباع البشر، يحرّك جيرانه كل آن للسطوة على ممالكه ليذلوا قومه، ويستعبدوا أهله، ويستأثروا بمنافع أرضهم وثمار كدّهم، ويمنحوها أبناء جلدتهم، فعليه وعلى من يشركه في أمره من عماله، والحكام النائبين عنه في إيالاته، وقوّاد جيشه، وعلى كل أرباب الرأي، ومن بهم قوام الملك، أن يستعدوا لدفع طوارئ العدوان، ورفع نوازل الغارات الأجنبية، فلو فرطوا في إعداد لوازم الدفاع، أو تساهلوا فيما يكف عنهم سيل الأطماع، أو تهاونوا فيما يشدّ قوتهم، ويقوّي شوكتهم، بأي وجه كان، ومن أي نوع كان، فقد عرّضوا ملكهم للهلاك، وألقوا بأنفسهم في مهاوي الأخطار.

هذا مما يفهمه الأبله والحكيم، ويصل اليه إدراك الجاهل والعليم، وهو سرّ الافصاح والابهام في قوله تعالىٰ (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) أمر بإعداد

القوة ووكلها الى الطاقة وحكم الاستطاعة. على حسب ما يقتضيه الزمان، وما تكون عليه حالة من تخشى غوائلهم، هذا أمر الله ينبّه الغافل، ويذكّر الذاهل (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا).

إعطاء كل ذي حق حقه، ووضع الأشياء في مواضعها، وتفويض أعمال الملك للقادرين على أدائها، مما يوجب صيانة الملك، وقوّة السلطان، ويشيد بناء السلطة، ويحكم دعائم السطوة، ويحفظ نظام الداخل من الخلل، ويشفي نفوس الأمة من العلل، هذا مما تحكم به بداهة العقل وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والأرض، وثبت بها نظام كل موجود، وهو العدل المأمور به على لسان الشرع في قوله تعالىٰ (إن الله يأمركم بالعدل والاحسان) كما أن الجور عن الاعتدال والميل عن سبيل الاستقامة في كل جزء من أجزاء العالم يوجب فنائه واضمحلاله، كذلك الجور في الجمعيات البشرية يسبب دمارها، لهذا حثّت الأوامر الألهية على العدل، وكثر النهي في الكتاب المجيد عن الظلم والجور، والحكام أولىٰ من توجه اليه الأوامر والنواهي في هذا الباب، العدل هو الحكمة التي امتن الله بها على عباده، وقرنها بالخير الكثير فقال (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) هي مظهر من أجلّ مظاهر صفاته العلية، فهو الحكم العدل وهو اللطيف الخبير.

من سار في الأرض، وتتبع تواريخ الأمم، وكان بصير القلب، علم انه ما ينهدم بناء ملك، ولا انقلب عرش مجد، إلا لشقاق واختلاف، أو ثقة بمن لا يوثق به، وتخلل العنصر الأجنبي، أو استبداد في الرأي، واستنكاف عن المشورة، وإهمال في إعداد القوة، والدفاع عن الحوزة، أو تفويض الأعمال لمن لا يحسن أداءها، ووضع الأشياء في غير مواضعها، فيكون جور في الحكم، واختلال في النظم، وفي كل ذلك حيد عن سنن الله، فيحصل غضبه بالخاطئين، وهو أحكم الحاكمين.

لو تدبرنا آيات القرآن، واعتبرنا بالحوادث التي ألمّت بالممالك الاسلامية، لعلمنا ان فينا من حاد عن أوامر الله وضلّ عن هديه، ومنّا من مال عن الصراط المستقيم الذي ضربه الله لنا وأرشدنا اليه، وبيننا من اتبع أهواء الأنفس وخطوات الشيطان (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم) فعلىٰ العلماء الراسخين وهم روح الأمة، وقواد الملة المحمدية، ان يهتموا بتنبيه الغافلين عن ما أوجب الله، وإيقاظ النائمة قلوبهم عمّا فرض الدين، ويعلموا الجاهل، ويزعجوا نفس الذاهل، ويذكروا الجميع بما أنعم الله به على آبائهم، ويستلفتوهم الى ما أعدّ الله لهم لو استقاموا، ويحذروهم سوء العاقبة لو لم يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ورفض كل بدعة، والخروج عن كل عادة سيئة، لا تنطبق على نصوص الكتاب العزيز، ويقصوا عليهم أحوال الأمم الماضية، وما نزل بها من قضاء الله عندما حادت عن شرائعه، ونبذت أوامره (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون).

على العلماء ان يزيلوا اليأس بتذكير وعد الله ووعده الحق في قوله تعالىٰ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) هذه وظيفة العلماء الراسخين وما هم بقليل بين المسلمين، ولا نظنهم يتهاونون فيما فوّض الله اليهم، ووكل الىٰ ذمتهم، وهم امناء الدين وحملة الشرع، ورافعوا لواء الاسلام، وأوصياء الله على المؤمنين، أعانهم الله على خير أعمالهم، ونفع بهم المؤمنين بارشادهم.

ونريد ان نمنَّ علىٰ الذين استضعفوا في الأرض

(ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

للانسان عقل سمي، وفكر علي، وحدث قوي، وبراعة في الاستدلال، ومهارة في الاستنباط، ومع هذا كله تراه في رأيه عليلاً، ولا يصيب في مقاصده إلا قليلاً، تشابه علل الحوادث في تنوعها يحول بين المرء وعلم الحوادث الآتية، ويحجب عن نظره جادة الصواب، فيخبط في خطاء ويخوض في عمه، وتلتبس عليه المقدمات، فتشبه النتائج، فيختل قياس الاستنباط، هذا ما يحمل كثيراً من الناس على الحكم باستحالة ممكن، أو إمكان مستحيل. لو أن حاذقاً بصيراً بفنون السياسة، وخبيراً بأحوال الأمم، ذهب الى البلاد الهندية قبل اليوم بأربعين سنة، وساح في أرجائها ووقف على أحوال أولاد السلاطين المغوليين، وما هم فيه من الذلة وأحفاد (تيبوسلدان) وما أصابهم من الفقر والمسكنة، وسلالة سلاطين (أوده) وما نزل بهم من الهوان، ونوابي (كارناتك) وأمراء السند وما حل بهم من الصغار، وتدبر شؤون (مرتة) تلك القبيلة العظيمة القاطنة في (فونا) و (ستارة) وما حولها، وأحاط بالبلاء المنصب على غيرهم من سائر الأمراء والرجوات العظام، ثم لاحظ سلطة الانجليز وتغلبهم على تلك البلاد وما أعدوه لقهرها من

الآلات الحربية، والحصون القوية، وما هم عليه من الحذق في الحيل والخدع السياسية، وما عليه رعاياهم من الضعف والعجز وسلامة القلب وغرة الجنان ولو أتىٰ من الفكر في لواحق هذه الاحوال على غاية جهده لحكم بناء على ماالديه من المقدمات، وما يحضره من الأقيسة، بأن أولئك الأقوام وسلائل الأمراء وأحفاد السلاطين، قد ضرب عليهم الذل الأبدي، وسجلت عليهم العبودية السرمدية، بل ربما ذهب به الوهم الى الحكم عليهم بتحتم الفناء ولزوم الاضمحلال، فإن الناظر في شؤونهم ما كان يحضره إلا صولة الانجليز وسعة اقتدارهم، وخضوع الهنديين وشدة عجزهم، ماكان يخطر في ذلك الوقت بخاطر أحد أن الايام تأتي بهذا الحادث الجديد.

ان الروسية تقطع الفيافي من وراء بحر الخزر حاملة عواملها رافعة أعلامها ضاربة في تلك البوادي، زاحفة الى حدود الهند ماكان يختلج في صدر أحد في تلك الأوقات ان حرص الانجليز وطمعهم في الاستيلاء على مصر يوجب انحراف الدول عنهم ويقتضي قيام رجل السياسة (البرنس بسمارك) لجمع كلمة الدول على مصادمتهم. ماكان يحوم في خيال ان قائماً يسمى محمد أحمد يقوم بدعوة دينية في أعالي السودان وبعد ارغامه للانجليز مرات يحرك قلوب الهنديين ويوقظ نائميهم، ويثير الساكن من خواطرهم وينهض الهمم، ويحيى الآمال فيهم بعد القنوط وتنتشر دعوته في أرجاء الهند، نعم ومن أين يكون للانسان علم هذه الحوادث وهي محجوبة بستار الغيب، فهو معذور في أحكامه مقسور علىٰ أوهامه.

نرى دوائر السوء تدور بالحكومة الانجليزية، وقد تهيأت ضاريات الشر للوثبة عليها، وليس لها حليف في أوروبا، وان استيئثارها بمنافع الأمم، وطمعها في الاختصاص بمصالح العالم، أبعد عنها الأصدقاء. ونفر منها الأولياء، فكانت هذه السقطة بهزة لنهوض الروسية وتقدمها الى الحدود الهندية، ومن مصلحة

الدول في أوروبا خصوصاً دولة الألمان على ما يظهر من جرائدها الرسمية أن تؤيد الروسية فيما تقصد من فتح الهند، فإن اندفاع السيل الروسي على تخوم الهند خير لأوروبا عموماً وألمانيا خصوصاً من انحداره الى بعض المواقع الأوروبية وأنجع في صيانة السلم الأوروبي اذا جاء يوم التصادم بين روسيا والانجليز على حدود الهند وما هو ببعيد كان قضاء السوء على الجيش الانجليزي في الصدمة الأولىٰ فيما نظن لقلّة عدده، ولأن العدد الغالب فيه من الهنديين الحرجة صدورهم المجروحة قلوبهم المترقبين لفرصة تمكّنهم من الخروج على حكامهم الظالمين. فإذا وقعت الهزيمة اشتعلت نار الثورة في عموم الهند، ومحيت سلطة الانجليز بأيدي الهنديين.

ليس من الممكن للروسية أن تستولي على الأقطار الهندية استيلاء مطلقاً لأول وهلة فإن البلاد واسعة أطرافها شاسعة تحتاج في إدارتها والمحافظة عليها الى ملايين من الناس يعسر عليها جذبهم من بلادها البعيدة، نعم ان الانجليز تسلطوا على الهند ولكن في أحقاب. فدولة روسية ملجأة بحكم الضرورة الى تشكيل ممالك في الهند يديرها رجال من العائلات الملكية القديمة من أولاد سلاطين المغول وذرية سيبو سلطان وأمراء السند و (أوده) و (كارناتك) والمرتيين وغيرهم وتكتفي دولة الروس بعقد محالفات تجارية بينها وبين تلك الممالك. وربما كانت هذه السيرة توافق بعض الإمارات الاسلامية المستقلة وبعض ممالك المسلمين وقد يكون من مصلحة دولة ايران وامارة افغانستان ان تتفقا مع الروسية اتفاقاً يفيد كلاً من المتحالفين.

ان الروسية ما جاءت الىٰ (مرو) لتهلك عساكرها في قفارها ولا يصدها عن سيرها إخلاصها في محبة الانجليز ولا ارتباطها معهم بعهد مع علمها ان لا عهد لهم. انما جاءت لتفتح باب التجارة مع أثرىٰ قطر في الشرق وتهدم سلطان الانجليز فيه، فإن الاثرة الانجليزية ما تركت مصلحة تجارية تتمتع بها أمة من

الأمم. هذا عارض سوء على حكومة بريطانيا ولكنه سحاب رحمة على الهنديين بما انتقم الله لهم من عدوهم فبذلك فليفرحوا وليعد الأمراء أنفسهم لما أعد الله لهم من العزة بعد الذلة والحرية بعد العبودية والخلاص من قهر حكومة لا ترحم صغيراً ولا توقّر كبيراً.

لانظن ولن نظن ان يجد الانجليز لهم يوم التصادم نصيراً من دول أوربا ولا من دول المشرق ولا من الهنديين ولا من صنف البشر لأنه لا توجد نفس تشعر بوجود حكومة الانجليز على سطح الأرض إلا وقد مسها منهم شيء من الضرّ.

ان حكومة الانجليز تشعر بقربها من هذا الخطر العظيم وتعلم ان ما ينزل بها من المصاب في الهند لايقصر ضرره على حالها فيه ولكنه يزلزل جزائر بريطانيا فإن حياتها ومجدها ليس إلا بالهند، كيف لايشعر الإنجليز بسوء عاقبتهم وهم يحسون بضعفهم في القوى العسكرية وانحراف قلوب رعاياهم الهنديين عنهم واحتدامها غيظاً عليهم عجّل الله لهم مافيه خير الضعفاء.

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات

(وأولئك لهم عذاب عظيم)

أزفت هجمة الروسية على الهند وسير الدول في سياستها وحرصها علىٰ تقرير السلم في أوربا يمد الروس في مقاصدهم ويهيئ لهم الأسباب ويقرّب مدة الوصول. هذا طور من السياسة جديد لو اتفقت فيه دولة ايران مع امارة افغانستانلكان لكل منهما حظ وافر ونفع جزيل، ان الروسية وان كانت تنصرها نفرة القلوب الهنديين من الانجليز إلا ان في طريقها عقبات لا يذللها إلا موالاة الفرس والأفغان. ان الهند بعيد من معسكرات الروس ودونه مسالك مجهولة وطرق ملتوية وليس الروس من الخبرة بها في شيء، الروس في حاجة للمواصلة مع أمراء الهند وفي ضرورة للوقوف على اخلاقهم ومجاري ميلهم ومواقع أهوائهم ولا سبيل يوصلهم الى ذلك إلا إشراك الفارسيين والأفغانيين في أعمالهم الحربية والسلمية. ليس من السهل على الروسية أن تستعين بدولة فارس وامارة الأفغان على فتح أبواب الهند إلا ان تساهمهما في الغنيمة وتشركهما في المنفعة وإلا كانا سدّاً محكماً دون أهم غاياتها.

كيف يمكن للروسية ان تخرق تلك الأجسام الآخذة بطريق الهند وهي

مرابض الأسود. كيف تتوهم السلامة في معابرها الضيقة اذا قصدت الاختصاص بالفريسة. ان الروسية لاتخفى عليها صعوبة الأمر ولا يغيب عنها ان كشف أمة عظيمة عن بلاد سكنتها أحقاباً ونالت فيها أعلى مجد وأعظم فخار يعدّ من أعظم الأعمال ويحتاج لكثرة الأعوان والأنصار وليس بين يديها من يصح به الاستنصار إلا دولة الفرس وحكومة الأفغان فليس من الحكمة في العمل ان تختص دونها بثمراته خصوصاً وانها لاتبتغي سوى فتح أبواب الهند للتجارة فعلى الأفغانيين ان يرفعوا أبصارهم ويستقبلوا حظهم بفكر سديد وعقل رشيد، ويتقدموا للاتفاق مع إخوانهم الايرانيين، فليس بينهم وبينهم ما يصح عليه الاختلاف في المصالح العمومية فالجميع من أصل واحد، وتجمعهم رابطة واحدة، وهي أشرف الروابط «رابطة الدين الاسلامي» وليعلموا ان استمرارهم على التخالف في مثل هذا الوقت ربما يجلب الضرر عليهم وعلى اخوانهم المسلمين من الهنديين. وعلى الفارسيين والأفغانيين ان يراعوا الكلمة الجامعة والصلة الجنسية ولا يجعلوا الاختلاف الفرعي في المذهب سبباً في خفض الكلمة الاسلامية، وقطع الصلة الحقيقية، فليس من العقل ان يقام من خلاف جزئي، علّة لاضمحلال الكل.

أظن ان قد علم كل من القبيلين ان الاختلاف بينهما هو الذي جلب على كل منهما ما جلب. هذا الخلاف الفرعي بينهم استعمله بعض السياسيين في الأزمان السابقة آلة للشقاق والمناوءات، وربما جنوا من غرسهم ثماراً آتية، ولكنه الآن لايثمر إلا الدمار والبوار، وهذا مما لا أخاله يخفى على عاقل. لايجوز للأفغانيين في هذا الوقت ان يقفوا عند هذا الخلاف الفرعي فليجوزوه الى الوحدة الأصلية فإن الأخطار حاطتهم من كل جانب، ولا منجاة لهم إلا بالاتفاق مع إخوانهم الفارسيين، هذا وقت التآخي، وهذه فرصة الالتئام، ليس للأفغانيين عذر، ولا للتعلل عندهم محل، لاسيا وقد تولى الصدارة في الدولة الفارسية رجل

عظيم القدر رفيع الشأن، واسع العرفان، لا تحجبه شؤون الكثرة، عن ذات الوحدة، ولا تقف به أطوار التلوين، دون منازل التمكين، ولا تشغله مظاهر الفرق عن مقامات الجمع، يتجلى له الواحد في مراتب الكثير، وتنجلي له حقيقة الأحدية في المنازل العددية، فالاتحاد مشربه، والائتلاف مذهبه، وعندي أنه الأب الرحيم لكل ايراني بدون استثناء، يسعى لجمع كلمتهم بلا ملاحظة اختلاف المذهب، ولا تفارق في الفروع، وانما يراعى الجامعة الحقة، فعلى الأفغانيين ان يمدوا سواعدهم في هذه الأوقات لمحالفة اخوانهم ولا يضيعوا هذه الفرصة، وعلى القبيلين ان يجعلوا وفاقهم سياجاً لأوطانهم، وعدة لمكافحة أعدائهم، ومنبعاً فيّاضاً لخير بلادهم، فينالوا شرفاً رفيعاً، ويورثوا أعقابهم مجداً مخلداً.

سُنن الله في الأُمم
وتطبيقها علىٰ المسلمين

(ان الله لايغيّر ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم. ذلك بأن الله لم يكُ مغيراً نعمة أنعمها علىٰ قوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم)

(تلك آيات الكتاب الحكيم، تهدي الى الحق والى صراط مستقيم)، ولا يرتاب فيها إلا القوم الضالون، هل يخلف الله وعده ووعيده وهو أصدق من وعد وأقدر من أوعد، هل كذب الله رسله، هل ودع أنبياءه وقلاهم، هل غش خلقه وسلك بهم طريق الضلال، نعوذ بالله !! هل أنزل الآيات البينات لغواً وعبثاً، هل افترت عليه رسله كذباً، هل اختلقوا عليه افكاً، هل خاطب الله عبيده برموز لايفهمونها، وأشارات لايدركونها، هل دعاهم اليه بما لايعقلون، نستغفر الله ! أليس قد أنزل القرآن عربياً غير ذي عوج، وفصّل فيه كل أمر وأودعه تبياناً لكل شيء، تقدّست صفاته وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً، هو الصادق في وعده ووعيده، ما اتخذ رسولاً كذاباً، ولا أتىٰ شيئاً عبثاً، وما هدانا إلا سبيل الرشاد، ولا تبديل لآياته، تزول السموات والأرض ولا يزول حكم من أحكام كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يقول الله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون)، ويقول (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)، وقال (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)، وقال (ليظهره على الدين كلّه وكفىٰ بالله شهيدا) هذا ما وعد الله في محكم الآيات مما لايقبل تأويلا، ولا ينال هذه الآيات بالتأويل ؛ إلا من ضلّ عن السبيل، ورام تحريف الكلم عن مواضعه، هذا عهده الى تلك الأمة المرحومة، ولن يخلف الله عهده، وعدها بالنصر والعزة وعلو الكلمة، ومهّد لها سبيل ما وعدها الى يوم القيامة، وما جعل لمجدها أمداً، ولا لعزتها حدّاً.

هذه أمة أنشأها الله عن قلة، ورفع شأنها الى ذروة العلى، حتى ثبتت أقدامها على قنن الشامخات، ودكت لعظمتها عوالي الراسيات، وانشقت لهيبتها مرائر الضاريات، وذابت للرعب منها أعشار القلوب، هال ظهورها الهائل كل نفس وتحيّر في سببه كل عقل، واهتدى الى السبب أهل الحق فقالوا : قوم كانوا مع الله فكان الله معهم، جماعة قاموا بنصر الله واسترشدوا بسنته فأمدهم بنصر من عنده هذه أمة كانت في نشأتها فاقدة الذخائر، معوزة من عنده، هذه أمة كانت في نشأتها فاقدة الذخائر، معوزة من الاسلحة وعدد القتال، فاخترقت صفوف الأمم واختطت ديارها، ولا دفعتها أبراج المجوس وخنادقهم، ولا صدتها قلاع الرومان ومعاقلهم، ولا عاقها صعوبة المسالك، ولا أثر في همتها اختلاف الأهوية، ولا فعل في نفوسها غزارة الثروة عند من سواها، ولا راعها جلالة ملوكهم، وقدم بيوتهم، ولا تنوع صنائعهم، ولا سعة دائرة فنونهم، ولا عاق سيرها أحكام القوانين، ولا تنظيم الشرائع، ولا تقلب غيرها من الأمم في فنون السياسة، كانت تطرق ديار القوم فيحتقرون أمرها، ويستهينون بها، وما كان يخطر ببال أحد أن هذه الشرذمة القليلة تزعزع أركان تلك الدول العظيمة، وتمحو أسماءها من لوح المجد، وما كان يختلج بصدر ان هذه العصابة الصغيرة، تقهر تلك الأمم الكبيرة، وتمكن في نفوسها عقائد دينها، وتخضعها لأوامرها

وعاداتها وشرائعها، لكن كان كل ذلك ونالت تلك الأمة المرحومة على ضعفها، مالم تنله أمة سواها، نعم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفاهم أجورهم مجداً في الدنيا، وسعادة في الآخرة.

هذه الأمة يبلغ عددها اليوم زهاء أربعمائة مليون من النفوس، وأراضيها آخذة من المحيط الأطلسي الى أحشاء بلاد الصين، تربة طيبة، ومنابت خصبة، وديار رحبة، ومع ذلك نرى بلادها منهوبة، وأموالها مسلوبة، تتغلب الاجانب علىٰ شعوب هذه الأمة شعباً شعباً، ويتقاسمون أراضيها قطعة بعد قطعة، ولم يبق لها كلمة تسمع، ولا أمر يطاع، حتى ان الباقين من ملوكها يصبحون كل يوم في ملمة، ويمسون في كربة مدلهمة، ضاقت أوقاتهم عن سعة الكوارث التي تلم بهم، وصار الخوف عليهم أشدّ من الرجاء لهم.

هذه هي الأمة التي كانت الدول العظام يؤدين لها الجزية عن يد، وهن صاغرات، استبقاء لحياتهن، وملوكها في هذه الأيام يرون بقاءهم في التزلّف الى تلك الدول الأجنبية ويا للمصيبة ويا للرزية.

أليس هذا بخطب جلل، أليس هذا ببلاء نزل، ما سبب هذا الهبوط، وما علّة هذا الانحطاط ؟ هل نسيء الظن بالوعود الالهية، معاذ الله هل نستيئس من رحمة الله ونظن ان قد كذب علينا، ونعوذ بالله ! هل نرتاب في وعده بنصرنا بعد أن أكده لنا، حاشاه سبحانه، لا كان شيء من ذلك ولن يكون فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولا لوم لنا إلا عليها، ان الله تعالىٰ برحمته قد وضع لسير الأمم سنناً متبعة، ثم قال : (ولن تجد لسنة اللّٰه تبديلا).

أرشدنا سبحانه في محكم آياته الى ان الأمم ما سقطت من عرش عزها، ولا بادت ومحى اسمها من لوح الوجود، إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنّها الله على اساس الحكمة البالغة، ان الله لا يغيّر ما بقوم من عزة وسلطان، ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة، حتىٰ يغيّر أولئك القوم ما بأنفسهم من نور العقل

وصحة الفكر، وإشراق البصيرة والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحلّ بهم الدمار، ثم لعدولهم عن سنّة العدل، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة، حادوا عن الاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والسلامة في الصدر، والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والقيام بنصره، والتعاون على حمايته، خذلوا العدل ولم يجمعوا همهم على إعلاء كلمته، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا علىٰ الشهوات الفانية، وأتوا عظائم المنكرات، خارت عزائمهم، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة، واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق، فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين.

هكذا جعل الله بقاء الامم ونمائها في التحلي بالفضائل التي أشرنا اليها، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها، سنّة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال، كسنته تعالىٰ في الخلق والايجاد، وتقدير الأرزاق وتحديد الآجال، علينا ان نرجع الى قلوبنا، ونمتحن مداركنا، ونسبر أخلاقنا، ونلاحظ مسالك سيرنا، لنعلم هل نحن على سيرة الذين سبقونا بالايمان، هل نحن نقتفي أثر السلف الصالح، هل غيّر الله ما بنا قبل ان نغيّر ما بأنفسنا، وخالف فينا حكمه وبدّل في أمرنا سنته، حاشاه وتعالى عما يصفون، بل صدقنا الله وعده، حتى اذا فشلنا وتنازعنا في الأمر وعصيناه من بعدما أرى أسلافنا ما يحبون، وأعجبتنا كثرتنا فلم تغن عنّا شيئاً، فبدّل عزنا بالذل، وسمونا بالانحطاط، وغنانا بالفقر، وسيادتنا بالعبودية، نبذنا أوامر الله ظهريا، وتخاذلنا عن نصره، فجازانا بسوء أعمالنا، ولم يبق لنا سبيل الى النجاة سوى التوبة والإنابة اليه، كيف لا نلوم أنفسنا ونحن نرىٰ الأجانب عنّا يغتصبون ديارنا، ويستذلونا أهلها، ويسفكون دماء الأبرياء من إخواننا، ولا نرى في أحد منّا حراكاً.

هذا العدد الوافر والسواد الأعظم من هذه الملة لايبذلون في الدفاع عن

أوطانهم وأنفسهم شيئاً من فضول أموالهم، يستحبون الحياة الدنيا على الآخـرة، كل واحد منهم يود لو يعيش ألف سنة، وان كان غذاؤه الذلة وكسـاؤه المسكـنة، ومسكنه الهوان، تفرقت كلمتنا شرقاً وغرباً، وكـاد يـتقطع مـا بـيننا، لا يحـن أخٌ لأخيه، ولا يهتم جار بشأن جاره، ولا يرقب أحدنا في الآخـر إلاّ ولا ذمـة، ولا نحترم شعائر ديننا، ولا ندافع عـن حـوزته، ولا نـعززه بمـا نـبذل مـن أمـوالنـا وأرواحنا حسبما أمرنا.

أيحسب اللابسون لباس المؤمنين ان الله يرضى منهم بما يظهر علىٰ الألسنة ولا يمسّ سواد القلوب، هل يـرضىٰ اللـه عـنهم بأن يـعبدوه عـلى حـرف، فـإن أصابهم خير إطمأنوا به، وان أصابتهم فتنة انقلبوا علىٰ وجوههم خـسروا الدنـيا والآخرة، هل ظنوا ان لايبتلي الله ما في صدورهم، ولا يمحص ما في قلوبهم، ألا يعلمون ان الله لايذر المؤمنين على ماهم عليه حتى يميّز الخبيث من الطيب، هـل نسوا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم للقيام بنصره وإعـلاء كـلمته،، لايبخلون في سبيله بمال، ولا يشحون بنفس، فهل لمؤمن بعد هذا ان يزعم نـفسه مؤمناً وهو لم يخط خطوة في سبيل الايمان، لا بماله ولا بروحه.

إنما المؤمنون هم الذيـن اذا قـال لهـم النـاس ان النـاس قـد جمـعوا لكـم فاخشوهم لايزيدهم ذلك إلا إيماناً وثباتاً، ويقولون في أقدامهم حسبنا الله ونـعم الوكيل، كيف يخشىٰ الموت مؤمن وهو يعلم ان المقتول في سبيل الله حـي يـرزق عند ربه، متمتع بالسعادة الأبدية، في نعمة من الله ورضوان، كيف يخـاف مـؤمن من غير الله، والله يقول (فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين).

فلينظر كل الى نفسه ولا يتبع وساوس الشيطان، وليمتحن كل واحـد قـلبه قبل أن يأتي يوم لاتنفع فيه خلّة ولا شفاعة، وليطبق بين صفاته وبين مـا وصـف الله به المؤمنين، وما جعله الله من خصائص الايمان، فلو فعل كل منا ذلك لرأيـنا عدل الله فينا واهتدينا، ياسبحان الله، ان هـذه أمـتنا أمـة واحـدة، والعـمل في

صيانتها من الاعداء أهم فرض من فروض الدين عند حصول الاعتداء، يثبت ذلك نصّ الكتاب العزيز، واجماع الأمة سلفاً وخلفاً، فما لنا نرى الاجانب يصلون على البلاد الاسلامية، صولة بعد صولة، ويستولون عليها دولة بعد دولة، والمتسمون بسمة الايمان آهلون لكل أرض، متمكنون بكل قطر، ولا تأخذهم علىٰ الدين نغرة، ولا تستفزهم للدفاع عنه حمية، ألا يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن، وتعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي، وتتخذوه إماماً لكم في جميع أعمالكم، مع مراعاة الحكمة في العمل، كما كان سلفكم الصالح، ألا يا أهل القرآن هذا كتابكم فاقرأوا منه (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) ألا تعلمون فيمن نزلت هذه الآية، نزلت في وصف من لا ايمان لهم، هل يسر مؤمناً أن يتناوله هذا الوصف المشار اليه بالآية الكريمة أو غر كثيرين من المدعين للايمان ما زين لهم من سوء أعمالهم، وما حسنته لديهم أهواؤهم (أفلا يتدبرون القرآن أم علىٰ قلوب أقفالها).

أقول ولا أخشىٰ نكيراً، لا يمس الايمان قلب شخص إلا ويكون أول أعماله تقديم ماله وروحه في سبيل الايمان، لا يراعى في ذلك عذراً ولا تعلة، وكل اعتذار في القعود عن نصرة الله فهو آية النفاق وعلامة البعد عن الله.

مع هذا كلّه نقول أن الخير في هذه الأمة الى يوم القيامة كما جاءنا به نبأ النبوّة، وهذا الانحراف الذي نراه اليوم نرجو ان يكون عارضاً يزول، ولو قام العلماء الأتقياء وأدوا ما عليهم من النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأحيوا روح القرآن، وذكروا المؤمنين بمعانيه الشريفة، واستلفتوهم الى عهد الله الذي لايخلف، لرأيت الحق يسمو، والباطل يسفل، ولرأيت نوراً يبهر الأبصار، وأعمالاً تحار فيها الأفكار، وان الحركة التي نحسها من نفوس المسلمين في أغلب الأقطار هذه الأيام، تبشرنا بأن الله قد أعدّ النفوس لصيحة حق يجمع بها كلمة

المسلمين، ويوحد بها بين جميع الموحدين، ونرجو أن يكون العمل قريباً، فإن فعل المسلمون وأجمعوا أمرهم للقيام بما أوجب الله عليهم، صحت لهم الأوبة، ولصحت منهم التوبة، وعفا الله عنهم، والله ذو فضل على المؤمنين، فعلى العلماء أن يسارعوا الى هذا الخير، وهو الخير كلّه : جمع كلمة المسلمين، والفضل كل الفضل لمن يبدأ منهم بالعمل (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً).

* * *

الوهم

(اللّهم اكشف عن بصائرنا ستار الأوهام حتىٰ نرىٰ الحقائق كما هي كيلا نضل ونشقىٰ).

ألا قاتل الله الوهم، الوهم طوراً يكون مرآة المزعجات، مجلىٰ المفزعات، وطوراً يكون ممثلاً للمسرات، حاكياً للمنعشات، وهو في جميع أطواره حجاب الحقيقة، وغشاء على عين البصيرة، لكن له سلطان علىٰ الإرادة وحكم علىٰ العزيمة، فهو مجلبة الشر، ومنفاة الخير.

الوهم يمثل الضعيف قوياً، والقريب بعيداً، والمأمن مخافة، والموئل مهلكاً، الوهم يذهل الواهم عن نفسه، ويصرفه عن حسه، يخيل الموجود معدوماً، والمعدوم موجوداً، الواهم في كون غير موجود، وعالم غير مشهود، يخبط فيه خبط المصروع، لايدري ماذا أدركه وماذا تركه، الوهم روح خبيث يلابس الروح الانسانية وهي في ظلام الجهل، إذا خفيت الحقائق تحكمت الأوهام، وتسلطت علىٰ الإرادات، فتقود الواهمين الىٰ بيداء الضلالة، فيخبطون في مجاهيل، لايهتدون الىٰ سبيل، ولا يستقيمون علىٰ طريق.

كان الانجليز أمة مجتمعة القوى، مستكملة العدد مستعدة للفتوحات، وذلك في زمان بليت فيه الأمم الشرقية بتفريق الكلمة، واختلاف الاهواء، وحجبت

بالجهل عن معرفة أحوال الغربيين وصنائعهم وعوائدهم، فكان الشرقيون يعدون كل غريبة معجزة، وكل بديع من الإختراع سحراً أو كرامة، فانتهز الإنجليز تلك الفرصة واندفعوا الىٰ الشرق وبسطوا سلطتهم على غالب أرجائه، وما دهموا سكانه إلا ببعض غرائب الصنعة الأوربية التي أثارت فيهم خواطر الأوهام، ثم زاد الوهم قوة ما نصبه الانجليز من حبائل الحيلة والمكر، حتى خلبوا قلوب المساكين وأذهلوهم عمّا في أيديهم، بل أخذوهم عن عقولهم وخطرات قلوبهم، فسلبوا أموالهم، وانتزعوا منهم أراضيهم، وأجلوهم عن أملاكهم، فاستغنت الأمة الانجليزية بما سلبت، وأثرت بما نهبت، وترفهت بما ملكت، واليوم تراها حاكمة على اقطار واسعة، وانحاء شاسعة، وقواها منقسمة علىٰ تلك الأقطار، متوزعة فيها، فلا ترىٰ في كل إيالة من إيالاتها الشرقية إلا نزر من العدة والعدد، وهي في جميعها ضعيفة واهنة، لاتستطيع ذوداً ولا دفاعاً، وان أخف حركة في تلك الانحاء توجب زعزعة في تلك القوة أو هدمها بالمرة، وقد ظهر هذا الأمر علىٰ الأمة الانجليزية، فهي دائماً في رجفة على أملاكها، في خيفة من تمزّقها وضياعها، تتوجس من كل حادثة في العالم، وتقلق لأية حركة تحدث في الوجود، وكل ملمة تلم بالشرق أو الغرب توجب بحدوثها زلزلة في قوى الانجليز المتوزعة في الأنحاء الضعيفة في جميع الأرجاء.

ومع هذا كلّه نرى الأمر لم يزل خفياً علىٰ الشرقيين، محجوباً عنهم بحجاب الوهم، يمثل الوهم لكل شرقي أن الانجليز على ماكانوا عليه في ماضي زمانهم، فمثل الشرقيين مع الانجليز كمثل مار في مفازة يرى بها جثة أسد مطروحة علىٰ طريقه فاقدة الحياة عديمة الحراك فيتوهمها سبعاً ضارياً ومفترساً قوياً فينكب عن الطريق وهماً وريبة بدون تحقيق لما تخوف منه، يرتعد ويسقط ويموت خوفاً أو يضل بعد ذلك عن الجادة وتختلط عليه مسالك الوصول الى غايته وربما صادف مهلكة في ضلالة ومتلفة في غيه، بل لا نخطئ ان قلنا ان هذا الوهم كان

متسلطاً على الغربيين كما هو متسلط على الشرقيين، فالأوربيون كانوا ينظرون الى انجلترا في أملاكها البعيدة كما ينظرون اليها في جزائر بريطانيا وكانت حكومة انجلترا متحصنة ممتنعة في هذه القبة الوهمية، متربعة على عرش هذه العظمة الخيالية، يحسّ الانجليز بضعف قوتهم فيجتهدون دائماً في ستره ولا ستار أكثف من الوهم، ولهذا نراهم في كل حادثة يجلبون ويصيحون ويزأرون ليشيروا بالضوضاء هواجس الأوهام، فتحول أنظار الناظرين، وتغشى بصائر المستبصرين، فتحول دون استطلاع الحقيقة، وإلا فقليل من الإلتفات يكشفها فتقوم قيامة الخراب علىٰ الانجليز.

ذهب الانجليز الى الهند في قوى مجتمعة وتسابقوا مع فرنسا وهولندا والبرتغال في ميدان الأراضي الهندية الواسعة فحازوا في هذه المباراة قصب السبق بما امتازوا به من الدهاء والمكر، وبما ساعدهم علىٰ ذلك من غفلة الهنديين لذاك العهد أو طيب قلوبهم، فمالت النفوس الى الانجليز اغتراراً، وتغلبوا علىٰ تلك البلاد واستقلوا بأمرها شيئاً فشيئاً وما أبقوا لغيرهم من الدول إلا مضائق من الأرض لا تذكر، وأول ما استمالوا به القلوب السالمة قولهم اننا نريد تخليصكم من هذه الدول الظالمة (فرنسا وهولندا والبرتغال) فإنها تريد التسلّط على ممالككم، أما نحن «الانجليز» فلا نريد إلا تحريركم واستقلالكم. ثم انا نرى للانجليز الآن في الهند والهند الصينية، وبورما سلطة على نحو مائتين وخمسين مليوناً من النفوس جميعها كاره لتلك السلطة الانجليزية، طالب للتخلص منها، يفضل أيّة سلطة سواها، ظالمة كانت أو عادلة، كأنما يتصور كل واحد من أفراد تلك الأمم أنه لاتوجد حكومة في العالم تبلغ في ظلمها مبلغ الانجليز، ولا تصل الى ما وصل اليه الانجليز في الكبرياء والجبروت، ولكن مع هذه البغضاء الآخذة بقلوب أولئك الرعايا، ومع سعة ديارهم وتباعد أرجائها، وشدّة ميلهم للتملص من تلك السلطة الظالمة، لايوجد فيهم قوة تقهرهم على الخضوع لتلك الحكومة

المبغوضة إلا خمسون الف جندي انجليزي، مع انه يوجد من الممالك الصغيرة التي لها نوع من الاستقلال وتخشىٰ زوال ما بقي لها، ما لو جمعت قواها لبلغت أكثر من ثلاثمائة ألف جندي، هذا فضلاً عمّن يمكنه حمل السلاح من أهالي البلاد التي دخلت في الحكومة الانجليزية وزال استقلالها بالمرة، فلولا الوهم الذي استولى على المشاعر والحواس حتى أذهلها عمّا بين يديها، بل عما هو موجود فيها، ما بقيت هذه النفوس الكثيرة العدد الفائقة القوة في قبضة قوم ضعاف يسومونهم عذاب الذل والهوان، ولو لمح أولئك المساكين أنفسهم لمحة اعتبار، وأدركوا ما أتاهم الله من القوة الطبيعية، ونظروا الى ضعف الانجليز في الحالة الحاضرة لرأوا موئل الخلاص بين أيديهم، وملجأ النجاة تحت أرجلهم، وعلموا ان استقلالهم لأنفسهم وبلادهم، لايحتاج الى تجشم تعب ولا تكلف مشقة، ولا يدعو الىٰ بذلك أموال وافرة، ولا سفك دماء غزيرة.

يوجد في الدول الأوروبية من يهاب دولة الإنجليز اعتباراً لما في سلطتها من الممالك الواسعة والأمم العظيمة مما لم يبلغ عدده رعية دولة من الدول، ويقيس شأنها وقوتها في تلك الأطراف القاصية بما يراه في جزائر بريطانيا ويظن ان لها قدرة على الدفاع عن تلك الممالك تساوي قدرتها عليه في بريطانيا أو تقرب منها، ولم يلتفت الى ان جسم الانجليز قد مد في الطول والعرض الى حدّ لو حصلت فيه أدنىٰ هزّة لتقطعت أوصاله (رق حتىٰ انقطع) تفرقت قواهم في بسيط الأرض حتى لم تبق لهم في موضع قوة، ورعاياهم في كل صقع في ضجر لا مزيد عليه يترقبون في كل آن زحفاً من خارج يعينهم على ما يقصدون من النكاية بحكامهم الظالمين، لو التفتت تلك الدولة التي تهاب انجلترا الى حقيقة الأمر لما احتاجت في معارضتها ومنازلتها الىٰ تدبر ولا مشورة، فقد وصل الأمر من الظهور الى حد لايحتاج الىٰ دقة الفكر لولا حجاب الوهم. قاتل الله الوهم.

ان العثمانيين ينظرون الى دولة الانجليز كما ينظرون الىٰ دولة الروس مع

ملاحظة ان دولة إنجلترا تحكم على مائتين وخمسين مليوناً من النفوس فيظنون لهذا النظر ان معارضة هذه الدولة ربما تجلب الضرر، وليتهم مدوا أنظارهم الى ما وراء ذلك ليتبين لهم قوتها العسكرية، وماذا يمكنها ان تسوق من الجنود الى ميادين القتال، ويتضح لهم ان هذه الملايين الكثيرة لا اعتداد بها في قوة دولة انجلترا، فإنما هي في الحقيقة قوة لأعدائها عليها، وهي في ارتقاب الفرص لخلع طاعتها، فمتىٰ ارتبكت دولة انجلترا بالحرب مع دولة أخرىٰ رأيت مائتين وخمسين مليوناً تقاتل عساكر الانجليز خصوصاً خمسين مليوناً من المسلمين في حكومة انجلترا يعدون الدولة العثمانية قبلة لهم وملاذاً يلجأون اليه وهم أول قوم حربيين في البلاد الهندية. ليت العثمانيين يعلمون ان دولة إنجلترا انما تستميل المسلمين في الهند بكونها حليفة الدولة العثمانية ونصيرة لها ومدافعة عن حقوقها، أما والله لو علم العثمانيون ماهم من السلطة المعنوية على رعايا الانجليز واستعملوا تلك السلطة استعمال العقلاء لما تجرعوا مرارة الصبر على تحكمات الانجليز وحيفهم في أعمالهم، وتعديهم على حقوق السلطان في مثل المسألة المصرية التي هي في الحقيقة أهم مسألة عثمانية أو اسلامية.

ان سكنة مصر كانوا أيام عرابي علىٰ قسمين، قسم يروم حفظ الحالة القديمة والوقوف عندما يرسم به توفيق باشا، وقسم كان يميل بأحد جانبيه الىٰ عرابي، ويهاب بالجانب الآخر سلطة الرسم القديم، فكان هذا القسم الثاني في ريبة من أمره ولا عزيمة من الريب. والقسم الأول مخلد الى الفشل، فدخل الانجليز بلا حرب حقيقية وانما بنوع من الترهيب وقليل من الترغيب وخفيف من الدسائس، صادف قلوباً مستعدة فأخذ منها مقاماً، فانحلت الرابطة وتفرّق الناس عن عرابي بزوال جانب الميل اليه من قلوبهم. ومع ذلك ما كان يعتقد واحد منهم أن الانجليز يبتغون من البلاد شيئاً سوى انهم يؤيدون توفيق باشا وينقذونه من الثائرين عليه، فتساهل المصريون في الأمر بحسن ظنّهم في حكومة

الانجليز مع ما جاءتهم من الحجة القوية القائمة على ان صاحب السيادة الشرعية في رضاء عن تصرفها، بهذا فاز الانجليز واستقرت أقدامهم، أما وقد مضىٰ الزمان الكافي لظهور غدرهم، وسوء نيّتهم، فلا يوجد من الأهالي المصريين من يميل اليهم، بل لا يوجد إلا من يبغضهم ويتمنىٰ فناءهم، ويود لو يعمل عملاً لهلاكهم، ولكن الوهم يجسم المخافة ويكبح العزيمة. إن أهالي مصر كأنهم ذهلوا عن الأسباب التي مكّنت الانجليز من بلادهم، كأنهم يظنون ان المصريين كانوا على كلمة واحدة في مدافعة الانجليز، ثم تغلبت عليهم القوة الانجليزية وقهرتهم جميعاً. كأن المصريين نسوا ما كان بينهم وان الانجليز ما دخلوا بلادهم إلا بمعونتهم. هذا هو الوهم العجيب. ان الذين كانوا من مدة سنتين سبباً في تغلّب العساكر الانجليزية وحلولها في وادي النيل وأنه لولاهم ما استقر لها قدم فيه، يظنون الآن أن تلك العساكر قادرة على قهر الأهالي عموماً وإخضاعهم لحكومة بريطانيا. وبهذا الظن الباطل يستسلمون لأعدائهم كرهاً ويجارونهم في أهوائهم نفاقاً. هلا ينظر المصريون نظرة متأمل الى القوة الانجليزية ليعلموا ان ليس في طاقة بريطانيا لو أفرغت جهدها أن تبعث الى مصر والسودان أزيد من عشرين ألف جندي. ألا يعلمون أنه اذا اشتغل الجند الانجليز بالسودان وحصلت حركة خفيفة في الشرقية والبحيرة والفيوم لارتبك الانجليز وخارت عزائمهم والتجأوا لترك البلاد لأهلها. ألا قاتل الله الوهم.

ان للانجليز قوة حربية بحرية لا تنكر، ولكن مبلغ تلك القوة البحرية هو الذي ظهر أثره في سواكن. لايمكن ان تعمل عملاً فيما يبعد عن البحر أكثر من فرسخين، فلو فرضنا ان الانجليز أطلقوا قنابلهم على السواحل فهل في استطاعتهم ان يقيموا تحت ظلال القنابل الىٰ أبد الآبدين. إذا كان الأهالي في داخل البلاد يناوئونهم وليس لهم من القوة العسكرية البرية ما يقهرهم على الطاعة. ليس في الأمر شيء سوى الوهم، هذا الوهم تمزقت حجبه عن بصائر

الغربيين فعلموا من هم الانجليز.. ضعيف يسطو علىٰ حقوق الأقوياء. صوت عال وشبح بال. قامت الدول على معارضتهم لعلمها ان الانجليز صاروا للأمم كالدودة الوحيدة على ضعفها تفسد الصحة وتدمّر البنية. لكن بقي ان يزول هذا الوهم عن الشرقيين حتى يستفيدوا من هذه الحركات ويستقلوا بأمورهم ولا ينتقلوا من عبودية الىٰ أخرىٰ، ولا يستبدلوا سيداً أجنبياً بسيد آخر. اللّهم أرفع عنّا حُجب الأوهام وهيئ لنا الرشد في أمورنا، واحفظنا من الغواية واهدنا الىٰ خير نهاية.

* * *

الجُبْن

(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة. قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم).

شهد العيان ودلت الآثار على ماصدر من بعض أفراد الإنسان من أعمال تحيّر الألباب، وتدهش الأفكار، ينظر اليها ضعفاء العقول، فيعدونها معجزات، وان لم تكن في أزمنة النبوات، ويحسبونها خوارق عادات، وان لم تكن من تحدي الرسالات، وقد ينسبها الغفل الىٰ حركات الأفلاك، وأرواح الكواكب، وموافقة الطوالع، ومن القاصرين من يظنها من أحكام الصدف، وقذفات الاتفاق، عجزاً عن إدراك الأسباب، وفهم الصواب، وأما من أتاه الله الحكمة، ومنحه الهداية، فيعلم ان الحكيم الخبير جلّ شأنه، وعظمت قدرته، أناط كل حادث بسبب، وكل مكسوب بعمل، وانه قد اختص الانسان من بين الكائنات بموهبة عقلية، ومقدرة روحانية، يكون بهما مظهراً لعجائب الأمور، وبهذه المقدرة وتلك الموهبة مناط التكاليف الشرعية، وبهما استحقاق المدح أو الذم عند العقلاء والثواب أو العقاب عند واسع الكرم سريع الحساب.

إذا رجع البصير الى القياس الصحيح، رأىٰ في تشابه القوى الانسانية،

وتماثل الفطرة البشرية، مايدل على تقارب العقول بل على استواء المدارك، وأرشده الفكر السليم الى أن فضل الله قد أعدّ كل انسان للكمال، ومنحه ما يكون به مصدراً لفضائل الأعمال، على تفاوت لا يظهر به الاختلاف بينها إلا للنظر الدقيق. هنا وقفة الحيرة.. استعداد فطري للكمال في خلقة الانسان، ميل كلي في كل فرد لأن ينفرد بالفخار، ويمتاز بجلائل الآثار، وفضل عام من الجواد المطلق سبحانه وتعالىٰ، لايخيب طالباً، ولا يرد سائلاً، إذا صدق القاصد في قصده، وأخلص السالك في جده، فما العلة في إخلاد الجمهور الأعظم من بني الانسان الى دنيات المنازل وقصورهم عن الوصول الى ما أعدته لهم العناية ويستفزهم اليه الميل الغريزي، خصوصاً ان كانت النفوس مؤمنة بعدل الله مصدّقة بوعده ووعيده، ترجو ثواباً على الباقيات الصالحات، وتخشى عقاباً على ارتكاب الخطيئات، وتعترف بيوم العرض الأكبر، يوم تجزى كل نفس بما كسبت (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ماذا يقعد بالنفوس عن العمل، ماذا ينحدر بها في مزالق الزلل. إذا ردت المسببات الى أسبابها، وطلبت الحقائق من حدودها ورسومها وجدنا لهذا علّة هي أم العلل. ومنشأ يقرن به كل خلل «الجبن».

الجبن هو الذي أوهىٰ دعائم الممالك فهدم بناءها. هو الذي قطع روابط الأمم فحل نظامها. هو الذي أوهن عزائم الملوك فانقلبت عروشهم. وأضعف قلوب العالمين فسقطت صروحهم. هو الذي يغلق أبواب الخير في وجوه الطالبين. ويطمس معالم الهداية عن أنظار السائرين. يسهل على النفوس احتمال الذلة. ويخفف عليها مضض المسكنة. ويهون عليها حمل نير العبودية الثقيل. يوطن النفس على تلقي الاهانة بالصبر والتذليل بالجلد ويوطئ الظهور الجاسية لأحمال من المصاعب أثقل مما كان. يتوهم عروضه عند التحلي بالشجاعة والاقدام. الجبن يلبس النفس عاراً دون القرب منه موت أحمر عند كل روح

زكية وهمة عليّة. يرىٰ الجبان وعر المذلات سهلا. وشظف العيش في المسكنات رفها ونعيما.

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

لا بل يتجرع مرارات الموت في كل لحظة ولكنه راض بكل حال وان لم يبق له إلا عين تبصر الاعداء. ولا ترى الاحياء، ونفس لايصعد إلا بالصعداء وإحساس لايلم به إلا ألم اللأواء. هذه حياته : اضاع كل شيء في القناعة بلا شيء. وهو يظن أنه أدرك البغية. وحصل المنية.

ماهو الجبن ؟ إنخذال في النفس عن مقاومة كل عارض لا يلائم حالها، وهو مرض من الأمراض الروحية، يذهب بالقوة الحافظة للوجود التي جعلها الله ركناً من أركان الحياة الطبيعية، وله أسباب كثيرة لو لوحظ جوهر كل منها لرأينا جميعها يرجع الى الخوف من الموت، الموت مآل كل حي ومصير كل ذي روح، ليس للموت وقت يعرف، ولا ساعة تعلم، ولكنه فيما بين النشأة وأرذل العمر ينتظر في كل لحظة، ولا يعلمه إلا مقدر الآجال جلّ شأنه (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) يشتد الخوف من الموت الى حد يورث النفس هذا المرض القاتل بسبب الغفلة عن المصير المحتوم، والذهول عمّا أعدّه الله للانسان من خير الدنيا وسعادة الآخرة اذا صرف قواه الموهوبة فيما خلقت لأجله، نعم يغفل الانسان عن نفسه فيظن ما جعله الله واقياً للحياة ـ وهو الشجاعة والاقدام ـ سبباً في الفناء، يحسب الجاهل ان في كل خطوة حتفاً، ويتوهم ان في كل خطوة خطراً، مع ان نظرة واحدة لما بين يديه من الآثار الانسانية، وما ناله طلاب المعالي من الفوز بآمالهم، وما ذللوا من المصاعب في سيرهم، تكشف له ان تلك المخاوف إنما هي أوهام وأصوات غيلان. ووساوس شياطين. غشيته فأدهشته. وعن سبيل الله صدّته. ومن كل خير حرمته.

الجُبن فخ تنصبه صروف الدهر وغوائل الايام، لتغتال به نفوس الانسان،

وتلتهم به الأمم والشعوب. هو حبالة الشيطان يصيد بها عباد الله ويصدهم عن سبيله، هو علة لكل رذيلة، ومنشأ لكل خصلة ذميمة، لا شقاء إلا وهو مبدأه، ولا فساد إلا وهو جرثومته، ولا كفر إلا وهو باعثه وموجبه. ممزق الجماعات، ومقطع روابط الصلات، هازم الجيوش، ومنكس الاعلام، ومهبط السلاطين من سماء الجلالة الى أرض المهانة. ماذا يحمل الخائنين على الخيانة في الحروب الوطيسة، أليس هو الجبن ؟ ماذا يبسط أيدي الأدنياء لدنيئة الارتشاء، أليس هو الجبن ؟ ربما تتوهم بعد المثال فتأمل، فإن الخوف من الفقر يرجع بالحقيقة الى الخوف من الموت، وهو علّة الجبن. سهل عليك أن تعتبر هذا في الكذب والنفاق وسائر أنواع الأمراض المفسدة لمعيشة الانسان، الجبن عار وشنار على كل ذي فطرة انسانية خصوصاً الذين يؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر، ويؤملون ان ينالوا جزاء لأعمالهم أجراً حسناً ومقاماً كريماً.

ينبغي أن يكون أبناء الملة الاسلامية بمقتضىٰ أصول دينهم أبعد الناس عن هذه الصفة الرديئة (الجبن) فإنها أشدّ الموانع عن أداء ما يرضى الله وانهم لايبتغون إلا رضاه، يعلم قراء القرآن ان الله قد جعل حب الموت علامة الايمان، وامتحن الله به قلوب المعاندين، ويقول في ذم من ليسوا بمؤمنين (ألم تر الىٰ الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية. وقالوا ربنا لِمَ كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الىٰ أجل قريب)... الإقدام في سبيل الحق، وبذل الأموال والأرواح في إعلاء كلمته أو سمة يتسم بها المؤمنون، لم يكتف الكتاب الإلهي بأن تقام الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتكف الأيدي، وعد ذلك مما يشترك فيه المؤمنون والكافرون والمنافقون، بل جعل الدليل الفرد هو بذل الروح في إعلاء كلمة الحق، والعدل الإلهي بل عده الركن الوحيد الذي لايعتدّ بغيره عند فقده، لايظن ظان أنه يمكن الجمع بين الدين الاسلامي وبين الجبن في قلب واحد، كيف يمكن هذا

وكل جزء من هذا الدين يمثل الشجاعة ويصور الاقدام، وان عماده الإخلاص لله والتخلي عن جميع ماسواه لاستحصال رضاه.

المؤمن من يوقن أن الآجال بيد الله يصرفها كيف يشاء ولا يفيده التباطؤ عن أداء الفروض زيادة في الأجل، ولا ينقصه الإقدام دقيقة منه. المؤمن من لاينتظر بنفسه الىٰ إحدىٰ الحسنيين، إما أن يعيش سيداً عزيزاً، وإما ان يموت مقرّباً سعيداً، وتصعد روحه الىٰ أعلىٰ عليين، ويلتحق بالكروبيين والملائكة المقربين.

من يتوهم أنه يجمع بين الجبن وبين الايمان بما جاء به محمد صلى اللّٰه عليه وسلم، فقد غش نفسه وغرر بعقله ولعب به هوسه وهو ليس من الايمان في شيء. كل آية من القرآن تشهد على الجبان بكسبه في دعوى الايمان، لهذا نؤمل من وَرَثة الأنبياء ان يصدعوا بالحق، ويذكروا بآيات الله، وما أودع الله فيها من الأمر بالإقدام لإعلاء كلمته، والنهي عن التباطؤ والتقاعد في أداء ما أوجب الله من ذلك، وفي الظن أن العلماء لو قاموا بهذه الفريضة (الأمر بذاك المعروف والنهي عن هذا المنكر) زمناً قليلاً ووعظوا الكافة بتبيين معاني القرآن الشريف وإحيائها في أنفس المؤمنين رأينا لذلك أثراً في هذه الملة يبقى ذكره أبد الدهر، وشهدنا لها يوماً تسترجع فيه مجدها في هذه الدنيا وهو مجد الله الأكبر، فالمؤمنون بما ورثوا عن أسلافهم وبما تمكن في أفئدتهم من آثار العقائد لا يحتاجون الا لقليل من التنبيه، ويسير من التذكير، فينهضون نهضة الأسود فيستردوا مفقوداً ويحفظوا موجوداً، وينالوا عند الله مقاماً محموداً.

زلزال الانجليز في السودان

نقلت الجرائد الانجليزية برقية وردت الىٰ جريدة الستنداراد من دونقلا ثم كررت ذكره وثبتت مفاده أياماً متواليات ومحصله : ان الألسن تـلهج في مـدينة دونقلا وفيما بين الجيوش الإنجليزية بقدوم جيش محمد أحمد والحديث مسـتفيض في جميع المعسكرات بأنه زاحف اليهم بجيشين أحدهما يأتي من الصحراء والآخـر علىٰ شطوط النيل وأنهم لابدّ أن يلاقوا منه صدمة شديدة لا قِبل لهـم بـاحتمالها، وقد استولىٰ بذلك الإضراب والتشويش على أفكار العساكر خصوصاً عسـاكـر مدير دونقلا خوفاً وفزعاً. ولكن لما أيقنوا بـه وأطـمأنوا اليـه مـن ان السـلطان راض عن أعمال محمد أحمد بل صدرت منه التنبيهات الى جميع المـؤمنين في تـلك الأطراف بأن يتجنبوا محاربة هذا القائم وان يعتبروا الانجليز في منزلة العدو الألد ويقاوموهم مقاومة الآيسين اهـ

كنا نعلم ان جميع المسلمين وعموم الوطنيين يـرون مـن فـروض ذمـتهم السعي في معاكسة سير الانجليز وإقامة الموانع في طريقهم بقدر الطاقة والإمكـان قياماً بما يوجبه الدين والوطن ولا يحتاجون في الانبعاث لهذا العمل الشريف الى أمر سلطاني، فان الشريعة الإلٰهية والنواميس الطبيعية في كل ملة وكـل قـطر مـن أقطار الأرض تطالب كل شخص بصيانة وطنه والذود عن حوزته وتبيح الموت

دونه بل توجبه في مدافعة الباغين عليه وتدعو كل ذي عقل لأخذ الحذر من حيل المحتالين، والتوقي من الأرواح الشريرة الخبيثة التي تتجلى في أشكال من الصور منها ما يخطف برونقه الظاهر، لب الألباب ويذهب بهوة الصورى بنور الأبصار، وهي منابع الشرّ ومصادر الفساد ومهب رياح الفتن والاختلال. تلك أرواح الأجانب ونفوس الأباعد الذين يهتكون حرم البلاد ويخفضون شئون العباد ويغمطون الحقوق ويفسدون الأخلاق ويذلون النفوس. المدافعة عن الوطن أمرٌ طبيعي وفرض معاشي يكاتف في دعوة الطبيعة اليه الميل الى الطعام والشراب فليس يمدح القائمون به ولا يثنى عليهم في أدائه. نعم تتجلىٰ صورهم الجميلة محلاة بأوصافها الفاضلة في مزايا التواريخ عندما يمر النظر اليها على تماثيل الخائنين الذين جاوزوا تخوم الطبيعة وصيغت لهم هياكل من اللعن الأبدي مسربلة بالخزي والعار السرمدي هكذا يعرف الشيء بضده.

لسنا نعني بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس أو بغير بخس (وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس) بل خائن الوطن من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن، بل من يدع قدماً لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها، ذاك هو الخائن في أي لباس ظهر وعلىٰ أي وجه انقلب. القادر على فكر يبديه، أو تدبير يأتيه، لتعطيل حركات الأعداء ثم يقصر فيه، فهو الخائن من لم يستطع عملاً وأمكنه أن يرشد العامل وتهاون في النصيحة فقد خان من سوف عمل اليوم الى الغد، وتوانى في تضليل كيد الأعداء بقولٍ أو فعلٍ، فقد ارتكب خطيئة الخيانة، وكل خائن لوطنه أو ملته فهو ملعون على ألسنة الأنبياء والمرسلين وممقوت في نظر العالم أجمعين. ما أعظم جريمة الخيانة «المساهلة في شؤون الأوطان» يأتي الزمان بطوله على كل شيء فيمحو أثره ويطمس رسمه إلاّ وصمة الخيانة فلا تطويها الأدهار ولا يخفيها تطاول الأعصار. محيت اسماء العظماء والملوك والسلاطين ولكن لم تمح اسماء الخائنين. لوث على

وجه الزمان ودرن في صفحة الإمكـان مكـتنفة بـاللعنة محـفوفة بـالمقت الى أبـد الآبدين. لايحيط القلم بوصف الخائن وما يتبعه من الشنائع ولكن النـفوس مـهما تدانت في الإدراك تشعر بعظم جرمه فلنرجع الىٰ موضوع كلامنا.

كنّا علىٰ يقين ولا نزال عليه. ان الذات الشاهانية وهي الأب الأكبر لعموم المسلمين وهي الكافلة للشريعة الحافظة للدين هي أجدر النـاس بـالالتفات الى حركة الأعداء في البلاد الاسلامية وهي لا تألو جهداً في تعويق سيرهم وإحـباط أعمالهم، ولا يمكن أن يطمئن للسلطان قلب وهو يرى ان أمة عظيمة من أخـلص الأمم في الولاء له والخضوع لشوكته سقطت تحت السلطة الأجـنبية وأنـه لحـرج الصدر من أعمال الحكومة الانجليزية وعدوانها على الحقوق العثمانية والاسـلامية والمصرية بلغت غشمرة الانجليز الى حد لايحتمل، فليس من الغـريب ان تـضيق بها الصدور وتفيض بـالغيظ مـنها القـلوب ونـبلى مـنها دروع الصـبر وتـذوب سابغات الجلد.

فيا أيها المصريون هذه دياركم وأموالكـم وأعـراضكـم وعـقائد ديـنكم وأخلاقكم وشريعتكم قبض العدو على زمـام التـصرف فـيها غـيلة واخـتلاساً، زحف العدو اليكم تحت راية المحبة، ثم قلب لكم ظهر المجن، وتناول بـيده الظـالمة شؤونكم العامة، من عسكـرية ومـالية وإدارة وقـضاء، ولم يـبق لكـم شـيئاً إلا الحرمان من خدمة أوطانكم، وانتم أحق بها وطالما دافعتم عنها في الأيام السابقة، هذا وهو لم يأمن طوارق السياسة الخارجـية ولم يمـح القـوى الداخـلية، يـطلب استمالة القلوب اليه، وجمع النفوس عليه، فكيف به اذا رسخت أقدامه، وارتكـزت أعلامه، وخلا له الجو من المعارضين، ماذا ترجون من مطاولته وماذا تـؤملون في إرخاء العنان له، وماذا تهابون في معارضته والأخذ على يده. أما رجاء الخير منه فوهمٌ فاسد وخيال باطل، فقد رأيتم أنه أفسد شؤونكم، وأقلق راحـتكم، وحـرم رجالكم مـن الخـدم، وأفـقر آلافـاً مـؤلفة مـن العـائلات، ووهب مـن بـلادكم

لأعدائكم وأضرّ بمنافعكم العامة من زراعة وتجارة وصناعة فأغلق أبواب الكسب في وجوهكم، وقصد الىٰ التدخل فيما يختص بأمور دينكم، (كالأوقاف) وعمد الى خرق سياجكم وإزالة قوتكم بطرد جنودكم وهذه أوائل أعماله فكيف تكون نهايتها. فماذا تخشون منه، هل تخشون أن تنقص أموالكم، وثمرات كسبكم إذا أديتم حقوق وطنكم، وحاربتم عدوكم، ربما يختلج هذا بخاطر بعضكم، وهو من عجيب الخواطر، أنتم واقعون بسكونكم فيما تخافون منه، انتقصت الأموال والثمرات، وفاضت العبرات وزادت الحسرات، وان زدتم في الخضوع زادكم عدوكم خساراً وأوسعكم خراباً ودماراً، إن رسخت قدم العدو بينكم لايبقى منكم غني إلا افتقر، ولا عظيم إلا احتقر، وان شئتم فانظروا مستقبلكم في مرآة حاضركم، واقرأوا حالكم في تواريخ من سبقكم.

هل تخشون اذا قمتم بفروضكم ان يأتي الخطر على حياتكم. يمكن ان يعرض هذا الوهم بخيال طائفة منكم، ولكن فلتعلموا أن عدوكم في هذا الوقت ضعيف العزيمة خائر القوة، الدول متألبة عليه يترقب منها في كل آن مطالبته بنتائج أعماله ومحاسبته علىٰ عواقب تصرفه، ثم هو يخشاكم كما يخشىٰ الدول أو أشد خشية. أنه مسرع في سيره منطلق الى مقصده بغاية ما يمكنه ليتخذ لنفسه قراراً مكيناً، ومقراً أميناً، ولا يخفاكم ان المسرع في جريه يكبه علىٰ وجهه عثرة في مدرة، فلو ظهرت منكم في هذا الوقت مقاومة خفيفة، أو مؤاخذة طفيفة، أو تظاهرتم بالنفرة وعدم الرضاء عن سيره فيكم، وجهرتم بذلك لرأيتم أن ماءه سراب، وسحابه جهام، وسيفه كهام، وأوقفتم سيره واستعليتم بقوتكم على ضعفه، وأقمتم للدول حجة قوية في كبحه ورد جماحه، والزامه باحترام الحقوق العامة والخاصة، ونزع قوة العمل من يد استبداده، وتخويلها لسلطة تحفظ بها الموازنة بين حقوقكم وحقوق أوربا كافة. أما لو تركتم عدوكم حتىٰ ينتهي لمقره، ويقوى على أمره، ويدوخ السودان، ويحيط بجيوشه أعالي البلاد المصرية «لا

أناله الله ذلك» صعب بعد هذا تعريفه بقدره ، وإيقافه عند حده ، وضعفت حجة الدول في معارضته ، ان أقوم حجة للدول عليه هي عجزه عن القيام بما كتب على نفسه من تقرير الراحة واصلاح ما كان يظن من الخلل في مصر فلو تمكن عدوكم بسكونكم من إظهار قدرته وإقامة الدليل على كفاءته للولاية عليكم فقد فاز بالسيادة فيكم و أصبحت دماءكم وأموالكم وجميع شؤون حياتكم في قبضة جوره.

في إمكانكم الآن أن تضروا بعدوكم وليس في إمكانه ان يضرّ بكم، فإذا مضى زمن انعكست القضية وأصبحتم في عجز عن مقاومته وأصبح وفي يده عصى الجبروت لإذلالكم.

إن كنتم تخافون من الموت أو التذليل فهل هو الآن على بعد منكم، أليس يؤخذ منكم الأبرياء بالشبه الباطلة، ويهانون ويذللون وكثير منهم يقتلون، ان عدوكم هذا سيحاسبكم على خطرات قلوبكم وحركات دمائكم في أبدانكم ويفعل بإخوانكم في ديار غير دياركم، ثم لايبقي علىٰ أحدٍ منكم. فأنتم اليوم أصحاب أمركم وهذا قصده اليكم وفي إمكانكم ان تستعينوا الله في التحصن من خطر آجل، بدون ضرر عاجل فإن شئتم فارحموا أنفسكم، وإلا فأنتم ساقطون، فيما منه تخافون.

ياقوم يؤثر في كتبكم من كلام سلفكم : الشجاع محبب حتىٰ لعدوه، والجبان مبغض حتىٰ لأبيه وأمه، تعلمون أنه ما عز قوم بالخضوع ولا استهين شعب بالإباء، لماذا تعدون أنفسكم في الدرجة الدنيا عمّن سواكم. ألستم تتشابهون في الخلقة مع أعدائكم، ألستم تمتازون عنهم بالايمان الصادق، والعقائد الصحيحة، ألستم تنتسبون الىٰ أولئك الأبطال الذين دوّخوا البلاد وسادوا العباد، ألستم تدعون أنكم أشرف عنصراً وأكرم جوهراً فإن قمتم بطلب حقوقكم فهل يصيبكم أكثر مما يصيب أعدائكم، ان كان الموت فهم يخشونه، ان كان الخسار

فهم يرهبونه إنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون.

لأي شيء يخاطر عدوكم بماله ودمه للتغلب علىٰ ما ليس له ولأي سبب لاتقدمون بشيء من شهامتكم في حفظ ما هو لكم ان هذا لشيء عجاب، هل نذكركم بقول شاعركم:

لايسلم الشرف الرفيع من الأذىٰ حتىٰ يراق علىٰ جوانبه الدم

ليس هذا مقام التذكير وليس المكان مكان المباراة في المجد والمسابقة الى معالي الأمور. إنما الكلام الآن في الدفاع عن الحياة وصيانة ضروريات المعيشة، فإن لم يستفزكم طلب العلا وسمو الهمم فليستفزكم تصور الشقاء المنتظر، الذي رأيتم بوادره ونعوذ بالله أن تدرككم أواخره. استغفر الله لاتزال ترجى فيكم النجدة والشمم والرفعة. لايزال دينكم يترقب منكم حمية عليه وغيرة لدفع الغائلة عنه.

ان صاحب الدين صلىٰ الله عليه وسلم ينتظر فيما يعرض عليه من أعمالكم نهضة لإعلاء كلمة الحق وإنقاذه من مخالب أعدائه وان الله في عزة جبروته لن يدعكم على ما أنتم عليه حتى يعلم الصادقين منكم ويعلم الصابرين، (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوٌ مبين. ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين).

باب النتف

والاخبار

سياسة انجلترا في الشرق

هلع على ما في البيت فهلوع لاغلاق الباب، فانخلع المصراع وانقض الجدار من ورائه.

هذا شأن دولة بريطانيا في الهند، وقناة السويس، قصارى بغيتها ان تكون في أمن على هذا الباب، وكان سهلا عليها ان تخلص النية،، في مسالمة أرباب الولاية عليه، فيقونه بأرواحهم وأموالهم، ثم هي تفوز بفوائده الى الأبد.

الا ان جيشان الأوهام، وموحشات الاحلام، دفعتها لمباشرة حمايته بنفسها، فإذا الأمر أصعب من أن ينال، وأساس البيت أو هى من أن يدوم.

أرادت دولة انجلترا بعد تبوئها أرض مصر، أن تدخلها تحت حمايتها، وأن تبدل العساكر الوطنية بانجليزية، وأن تقيم في السودان سلطنة مستقلة، وحاولت في ذلك إرضاء المصريين بأنه من الضروريات لتنظيم أحوالهم واقرار الراحة بينهم وتسكين روع العثمانيين بحفظ الحق وتخفيف الوزر، وكان لكل أن يستبشر بهذه الخدمة الجليلة إن تمت، لو لا ما لدولة إنجلترا من تقسيم الممالك التيمورية في الهند، واقامتها لكل قسم حامية من قبلها، وكان هذا أكبر الأسباب واصغرها لاستيلائها على الأقطار الهندية، وإنا لنأسف على التفاوت بين الزمانين، والتباين بين المكانين، فلا الإحسان الانجليزي يمكن تتميمه، ولا العثمانيون والمصريون

يستبشرون بنوله، وخطر الأمرين غير يسير.

ظهرت دعوى المهدوية في السودان واشتد أزر القائم بها بمسارعة الإنجليز الى التداخل في مصر بحجة حِفظ باب الهند، وعظم خطب الداعى بعد ما أراق دماء غزيرة ودبت روح دعوته إلىٰ سواحل البحر الأحمر، وحدود مصر الطبيعة وأمالت القلوب إليه نفرتها من السلطة الانجليزية.

يقرب من الظن أن نفثاته ما زجت افئدة العرب في فيافي طرابلس، او قاربت وأن هذه النيران التي يشعلها بالبكاء على الدين والنواح على امتهانه، لا تلبث ان تنقض شرارة منها على جزيرة العرب، وفيها يصعد عويل الدين ونحيبه الىٰ عنان السماء، وعند ذلك يمسي باب الهند بين ألسنة النيران من جهتين بل من ثلاث جهات، أيبعد عند العقل وبريطانيا لاهية بانقاذ الباب أن تتقد النيران في البيت، إن الخطر اليوم أشد مما اهتمت بدفعه سابقاً، ماذا أخذت من الوسائل لدفع هذه الغائلة؟

أرسلت جوردون باشا إلىٰ السودان لتفريق كلمة المحاربين ورقية محمد أحمد الحمدانى. السودانيون لم تلتئم جراحهم من ظلم جوردون أيام كان حاكما مستبداً عليهم، وفي علمهم أنه أعدى اعداء الديانة الاسلامية فقد طلب وهو فيهم قسساً من السويس لنشر المذهب البروتستنى بين مسلميهم، فهل تمكنه الفصاحة الانجليزية أن يمحص صدور العرب من الضغينة الدينية والدنيوية، بعد ما رسخت أعواماً ويمحوها في بضعة أيام، وهل يسهل عليه إرضاء محمد أحمد، بعد ما قام بدعوة عظيمة كهذه بمنحه لقب أمير كوردفان، أو هل يقنع صاحب هذه الدعوى بمثل هذا اللقب بعد ما تسنى له من الفتوحات واستولى على تلك البلاد، بدون اذن جوردون. قد يظن هذه الظنون من لا وقوف له على حقيقة دعوى المهدوية وموقعها من قلوب المسلمين، ويكفي لكشف بعض ما في الغيب ما تفقت عليه الجرائد الانجليزية والفرنسية واثبتته المخابرات الرسمية من اخفاق

جوردون في سعيه كما تراه في غير هذا المقام.

ساقت خمسة آلاف وعلى بعض الروايات أربعة آلاف جندى تحت قيادة الجنرال جراهام إلى سواحل البحر الأحمر لاسترجاع شرف بيكر باشا وثار ضباطه من الانجليز (أما هكس باشا وضباط جيشه فلبعدهم عن البحر لا شرف لهم ولاثأر) وغلب هذا الجيش المدرب الكامل العدة الشاكي السلاح من أجود طرز ثلاثة آلاف من عراة العرب السودانيين (بمعنى انه قتل منهم ثمانمائة بدوي) والقبائل على عصبيتها لم تحين بعد. هل بهذا تدفع الغوائل. أيظن ذو عقل أن فاتحاً فتك بعشرة آلاف جندي مرة والفين وخمسمأئة مرة أخرى جميعها تحت أمرة مشاهير من قواد جيش انجلترا يخور عزمه لانهزام شر ذمه من المنتسبين، إليه وهل يؤثر هذا وهنا في اعتقاد المذعنين لدعوته. سبحان الله؟ كان لغلبة هذا الجيش رجة في انجلترا وخيل لحكومتها أنها نجاح في العمل وربما نشأ هذا الخيال من التهنئات التي وردت أليها من الدول وسفرائها مما لم ينله نابليون الأول وغليوم الألماني.

أقول وحق ما أقول ان الضيرم شديد فإن ترك امتد وأخاف الدانية والقاصية وليس في إمكان جوردون ولا احذق سياسي في إنجلترا أن يخمد لهبه والمناوشات البريطانية تحضره فتزيده اشتعالا وانما يتيسر إطفاؤه لأولى العزم من العثمانيين والمصريين لكونهم على شاكلة صاحب الدعاوى وبيدهم عنانها.

كان من حذق الإنجليز لو اكتفوا في حفظ باب الهند بعضد العثمانيين وخضوع المصريين مع القوة البريطانية وإلتفتوا إلىٰ ترميم سياج الهند من الجهة الشمالية. ماذا يفيدهم سد الباب إذا وهى الأساس فتداعت الجدران وخر السقف، إن قبائل التركمان في (مرو) مع شرس طباعهم لحقوا بدولة الروس إختياراً بعد ما كانوا مستقلين في أمورهم لا يدينون لسلطة أجنبية عنهم فأى مانع يمنع تركمان سرخس وهم سنيون من الاقتداء بهم تخلصاً من حكومة فارس

المخالفة لهم في المذهب فإن تم هذا فتح للروس طريق فراه إلىٰ قاين إلىٰ سجستان وأي قوة تصدها عن طمعها وإن حلت في سجستان أو فراه فأية عقبة بينها وبين الهند.

ان قبائل أزبك من سكان (ميمنة) و (أندخو) و (شيورغان) و (سربول) وسائر بلاد بلخ إلىٰ (وبلميان) في ضجر من الحكومة الأفغانية أفلا يتبع هؤلاء أثر أبناء أعمامهم التركمان فإن غفلوا فتحت لهم روسيا باباً من الملاطفة وذهبت بهم في طرق من سياسة اللين لتشويقهم إلىٰ الدخول في حمايتها والتملص من نير الأفغانيين وليس في قوة حكومة الأفغان كبحهم إن أرادوا لضعفها فيهم.

إن قبائل هزازة من الشيعة الساكنين في الجبال الممتدة من هراة إلىٰ كابول ينتحلون الأسباب للخروج علىٰ حكومة الافغان نفرة من سلطة السنيين وقد كانوا في الحرب الأخيرة بين الانجليز والأفغان متفقين مع الإنجليز فهو لا بعد ما يرون جيرانهم إنحازوا إلىٰ الروس أفلا ينزعون إلىٰ مجاراتهم خصوصاً إذا لمعت لهم بوارق الوعود الروسية. هذا كله يكون فتشرف روسيا بعد على الميدان المتسع الممتد من هراة الى قندهار الى غزنة بل الى كابل من جهات كثيرة فهل بعد هذا يبقى للهند سياج وهل يمكن أن يقام في وجه الروسيا مانع من المسير إليه وهل ينفع عند ذلک الوقوف على نافذتی (قناة السويس).

أليس يسهل على الروس عند إشرافهم على تلک المواقع الإيقاع بين قبائل الأفغان وبين المرشحين للامارة ويتخذون منهم أحزاباً كما فعلوا بخوانين القرم.

تقربت دولة الروسيا إلى المانيا والنمسا في هذه الأيام وانعقدت بينهم معاهدة على حفظ السلم في أوروبا إلىٰ زمن غير قصير ولم يكن هذا التقرب مبنياً على ما يخيله السياسيون في كل دولة على حسب مصالحهم وإنما رأت الروسيا أن الوقت وقت العمل في آسيا فطلبت الراحة من جهة حدودها الأروبية لتتفرغ

لإجراء مقاصدها في اطراف الهند وأن الفزع من هذا الانتقال الفجائي قد ظهر أثره في جميع الجرائد الإنجليزية.

ليت الإنجليز صرفوا قوتهم ووجهوا عزيمتهم لدفع ما يلم بهم من الخطر القريب ولم يقعوا في شرك المسألة المصرية. فإن ما كانوا يخافونه من مصر كان وهما صرفاً فلما طرقوها أوقدوا فتنة ما كانت تخطر ببال أحد ثم هم في عجز عن علاجها وأننا نظن كما يزعم الوزراء العثمانيون أن الانجليز ليس في إمكانهم أن يكسروا سورتها بأنفسهم ولابد لهم من يوم يلجأون فيه إلىٰ ذوى العزيمة من العثمانيين والمصريين وإلىٰ الله عاقبة الأمور.

مصر

كانت حكومة هذه البلاد في الربع الأول من القرن الماضي (الهجري) تعد من نوع حكومة الأشراف ويحسبها المؤرخون في تلك الأوقات بدرجة لاتعرف هيئتها ولا يصل بحث الباحث الى كنهها وإذا عبروا عنها بالتقريب قالوا طرز قديم كان معروفاً في أغلب أنحاء المسكونة.

ثم أعجب الدهر فيها بغرائبه بعدما فوضت أمورها لمحمد علي باشا فلم يمض قليل من الزمن حتىٰ دخلت في طور جديد من أطوار المدنية وظهر فيها شكل بسيط من الحكومة النظامية وتقدمت فيه على جميع الممالك الشرقية بلا استثناء وعد هذا التقدم السريع من عجائب الأمور(١).

هل كان في حسبان أحد أن يستلم زمام الحكومة في مصر رجل من بعض قرى الروملي لم يتربع في دروس العلم ولم يجبل في مصانع السياسة إلا أن طبيعته الفطرية كانت فائضة بحب الحضارة، وبثّ العلوم، وتأسيس قواعد العمران، مع تدفق همته لبلوغ الغاية مما يميل اليه.

تقدمت بعد ذلك فيها الزراعة تقدماً غريباً، واتسعت دائرة التجارة، وعمرت معاهد العلم، وانتشرت في أرجائها مبادئ المعارف الصحيحة، وتقاربت

---

١ ـ ترى ماذا كان يقول الأفغاني لو بعث من قبره ليتحدث عن المآسي التي خلّفها خلفاء محمد علي باشا وما كان من مهازل بلاط فاروق الأول !!

أنحاؤها، واتصلت أطرافها، بما أنشئ فيها من سكك الحديد، وخطوط التلغراف، وتعارفت أهاليها، وائتلف الجنوبي بالشمالي، والشرقي بالغربي، وقوى فيهم معنى الاخوة الوطنية، بعد ان كانوا لبعد الشقة بين بلدانهم كأنهم ابناء أقطار مختلفة، وتواصلوا في المعاملات، وتشاركوا في المنافع، واعتدلت المشارب المذهبية، حتى كان لهم زمن أحس فيه كل واحد بنسبته من الآخر، وارتفعت بذلك أصواتهم، بعدما جالت فيه أفكارهم.

تفجرت من أرض مصر ينابيع الثروة، وعمت بقاعها وطفحت ففاض خيرها على ما يجاورها من الاقطار الشرقية، بل وصل مد نيلها الىٰ أراضي البلاد الغربية، وتوارد اليها الغرباء، وقصاد الكسب، من كل مكان، وما خاب لها قاصد، ولا أخفق فيها سعي ساع، فأثرىٰ في مغانيها الفقراء، وعز بها الأذلاء، وصارت قبلة لآمال كثير من الغربيين، ومحط رحال الراجين من الشرقيين، وكل وافد اليها يجد أهلاً خيراً من أهله، وسكناً خيراً من سكنه، وتكاثرت فيها العناصر الغريبة، حتى كان الداخل اليها يخيل له انه تحت برج بابل يوم تبلبلت الألسن.

وساد بها الأمن وعمّت الراحة، وضارعت في كل أحوالها نوع ما عليه الممالك الأوروبية العظيمة، وكان المتأمل في سيرها هذا يحكم حكماً ربما لم يكن بعيداً من الواقع، أن عاصمتها لابد أن تصير في وقت قريب أو بعيد كرسي مدنية لأعظم الممالك المشرقية، بل كان ذلك أمراً مقرراً في أنفس جيرانها من سكان البلدان المتاخمة لها وهو أملهم الكبير، كلما ألم خطب أو عرض خطر، غير أن الأيام كأنها حسدتها علىٰ ما منحته فعثر العاقل، وفرط المالك وأعثر المعجب، وتهور الغبي، وخار الأفين، فتقرب البعيد، وبعد القريب، ونزل بمصرٍ ما لم يكن له أثر إلا حواشي طوامير الأوهام، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

ألحمت إدارة الحكومة بما ليس من نسيج سداها، وانتفضت منها أصول على وجه غير مألوف، ففتحت للدسائس أبواب وأنساب، بين طبقات الناس، دهاة

سياسة، وطلاب غايات، فتفرق اتصال، وتقطعت أوصال، فضعفت السلطة الوازعة، ونبذت الطاعة، والتهبت نيران الفتن.

قضاء حل بتلك البلاد، فاحتاجت في إعادة شأنها الأول الى رأي قويم، وعزم ثابت، ووازع قوي، تدين لسطوته النفوس، وان من ذوي الحقوق فيها من يجمع هذه الأوصاف، وله من القلوب المكانة العليا، وكان يسهل عليه القيام بما يعهد اليه، لكن تحكم طمع وأخطأ ظن، فتخلفت النتيجة، واشتدت الحاجة.

أشفقت دولة الإنجليز على طريق الهند كما يقال، أو ظنت أن آن التقدم بعض خطوات قد آن، فرأت أن إعادة الأمن وتثبيت الراحة في مصر من فرائض ذمتها، فكان من التحريق والتدمير والقتل والشنق والحبس والابعاد والتغريم وما شاكل ذلك مما لا حاجة لبيانه، وعمّ بعض أنواع الهون، حتى لم يبق ممن يعرف اسمه احد إلا مسه ضرمه، ماخلا أشخاصاً قلائل وهذه المرهبات على ما بها من القوة لم تبلغ الغرض من تأمين طريق الهند لإشرافه على الخطر من وجه آخر، ولم تأت بما كان يؤمل منها لنظام البلاد.

أليست المالية هي مرمى أنظار دول أوروبا، وما وضع نظام في البلاد ولا أحدث تغيير بمشورتهم إلا لوقاية الخزينة من العجز عن أداء ما يتعلق بها من الحقوق الأوروبية، اليوم رزئت بالنقص في الإيراد، وحملت من تعويضات متالف الحرب أربعة ملايين من الجنيهات، ورميت بنفقات جيش الحلول، وحرب السودان، ومصاريف اخلائه، وما يضاف الى كل هذا مما يظهره المستقبل، فاختلت الموازين، وبطل قانون الجبايات وأي مصيبة على المالية أعظم من نوازلها الحاضرة.

عقد العزم على الغاء الجيش الوطني، وهو قوة البلاد وبه فخارها، وكأنه لم توجد وسيلة لتنظيم جنود مصر، وقصر الجهد عن محاراة محمد علي باشا، وابراهيم باشا، اللذين دوخا كثيراً من الأقطار بجنود مصرية.

ان كان كل ما تقدم من الشدائد والخطوب وزيادة النفقات والغاء العساكر

الوطنية انما يتخذ سبيلاً لراحة الأهالي، وتحسين أحوالها فنعمت الوسائل إذا أدت الىٰ غاياتها، لكن اين السبيل من المقصد وأين هذه المعدات من تلك الغايات.

وأسفاً علىٰ حالة الأهالي بعد هذا، حكم من لا دافع لحكمه بطرد آلاف من الوطنيين الموظفين في دوائر الحكومة، وما منهم أحد إلا ويتبعه عائلة وأولاد ولا قوت لهم إلا من مرتّب عائلهم، وما مرن على عمل للكسب سوى ما نشأ فيه من خدمة الحكومة، ألم يمس هؤلاء ضرّ الفقر، ألم يعضهم ناب الجوع، ألم يهتك مستورهم، ألم يضق ذرعهم. ألم يصبحوا كساة بسرابيل الكآبة. عراة من أكسية المسرة. ان لم يكن كل هذا فقد كان جله. وإن صدى أنينهم يتلى في صفحات الجرائد الوطنية العربية والإفرنجية وسيتبع السابقين منهم اللاحقون. حتى لايجد وطني في البلاد من المهن إلا ما لا يليق بالإنجليزي تعاطيه من سفاسف الأمور كما هو في البلاد الهندية.

اضطرب ميزان السلطة العامة لتعاكس قواها المختلفة فاشتبه الأمر على العمال، وظنوا ان لا تبعة عليهم فيما يعملون فانطلق ما غل من أيديهم. وحكموا أهواءهم في أداء وظائفهم. فخبطوا وخلطوا. أفعمت السجون بأعيان الرعية. ورفعت أذناب الكرابيج لتشريح أبدانهم واستعملت آلات التعذيب وامتدت مخالب الجور لتجريدهم من بقايا أموالهم. وثمرات كسبهم، وحدث نوع من الحكم المطلق عزيز المثال بعث عليهم عذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم. ولبسوا شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض وما الله بغافل عمّا يعمل الظالمون.

غلقت أبواب العمل من وجوهه الرسمية في الإدارات. وتعطلت أشغال المحاكم وشخصت الأبصار لعاقبة هذا التنازع بين القوى الحاكمة فاتسع نطاق الفوضىٰ وارتفع حجاب المنعة. فإذا الفلاح لا يبالي بعمدته والعمدة لايبالي بمأمور مركزه والمأمور لايحترم مديره. وسرى التهاون الىٰ الدوائر العليا. وعاد الأمر لقوة الساعد. وكثرة الأعوان فعاثت اللصوص، وكثر قطع الطرق، في كل ناحية.

وارتفعت الاصوات بالشكوى منهم في عموم الجرائد الوطنية، فوقفت حركة الأعمال العمومية وبدت للناس شؤون عدلت بهم عن ضرورات معاشهم. وامتنع المدينون من اداء ما عليهم لدائنيهم من التجار والربويين. فقبض المقرضون أيديهم واحتكروا نقودهم لفقد ثقتهم واشفاقهم من الضياع على رؤوس أموالهم وان أصيبوا بالحرمان من الربح وابتلوا بالخسارة في رأس المال من قبيل آخر. واشتدت الحاجة بالفلاحين الى ما يعوض عليهم ماشية فالحراثة بعدما اغتالها التيفوس وما يجددون أو يصلحون به آلاتهم الزراعية. ويستعينون به علىٰ نجاحها حسب العادة التي ألفوها. فعميت عليهم السبل. وضاقت بهم المسالك. ولم يجدوا لسدّ حاجاتهم سبيلا. ففسدت الزراعة وانتقصت ثمراتها، وانحطت أسعار الحاصلات لارتباك الاحوال الىٰ حد ما كان يسمع إلا في القصص وروايات القدماء قبل محمد علي باشا. ومطالب الحكومة في ضرائبها ورسومها على حالها الأول مع الأغذاذ في اقتضائها، فعم العسر وأحاط الضنك. وتقوّضت آلاف من البيوت التجارية. وأتربت أيدي ملايين من عمال الصناعة. وأعدم المزارعون قاطبة إلا نزر يسير من حفظة الكنوز أو المستأثرين بأموال الكافة نهباً وسلباً. باع الفلاح أثاث بيته بل وما أبقاه التيفوس من عاملة أرضه، بعدما ذهبت الحاجة بحلى حرمه وبناته ليؤدي ما عليه لحكومته، ولم ينل من غضاره ما يقوم بحفظ حياته وعاد الى الفطرة الأولىٰ يقتات بأقوات البهائم ويسرح مسارح لحيوانات إلا قليلا منهم الله يعلمهم.

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية، والأخذ بالشبه وان ضعفت، واتباع بواطل التهم وان بعدت، أو استحالت، حتىٰ أخذ الفزع من القلوب مأخذه، وبلغ منها مبلغه، فلا ترىٰ ماراً بطريق إلا وهو يلتفت خلفه لينظر هل تعلق بأثوابه شرطي يقوده الى السجن، أو يقتضى منه فداً، وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر في كل خطوة عثرة، وفي كل نهضة سقطة، وله من كل شاخص دهشة ومن كل طارق لبابه غشية، أي شقاء ينتظره الحي في حياته أشنع من هذا.

هذا ما تنشق له المرائر من أحوال سكان القطر المصري. هذا بعض ما يضيق به الصدر، وتنقبض له الأنفس، مما رزئوا به بعدما تكفل أحباؤهم الأولون بالدفاع عنهم وتخليصهم من الفوضوية السابقة، هذه طلائع الإصلاح المبشر به من زمان بعيد علىٰ ألسنة رسله. أصبح الأهالي حيارى في أمورهم، تائهين عن رشادهم، لايعلمون ماذا يحل بهم، يذكرون من أحوالهم السابقة ما كانت الدول الأوربية تسميه ضيقاً وعناءً وتمنيهم بالانقاذ منه فيحنون اليه ويودون لو رجعوا اليه، ويحسبونه غاية سعادتهم بعد هذه الحالة التي هم فيها.

أبعد هذا يصح لمصري أن يظن ان تلك الرزايا التي حلت ببلاده من نحو عشرين شهراً كانت مقدمة لإصلاحها وتنظيم شؤونها نعم يمكن ان يخطر بالبال انها تمهيد لعمل صناعي في الأراضي المصرية كتقويم طرقها، وإقامة جسورها، وتكثير جداولها، وتقوية مواد الخصب فيها، حتى تعود بعد مدة جنة من جنات الدنيا، أو روضة من رياض الآخرة، أما الأهالي فليسوا بموضع النظر فانهم إن هلكوا وورث الأرض بعدهم قوم آخرون.

فإن لم يكن هذا فليكن تمام الإصلاح الذي لايمثله الخاطر، في وقتنا الحاضر، ولا يكفي للبداة فيه سنون معدودة على قياس الإصلاح المنتظر في بلاد بنجاب (من الممالك الهندية) فإن الدولة التي تولت إصلاح الشؤون المصرية في هذه الأيام، دخلت بلاد بنجاب بهذه الحجة، واستولت عليها من مدة أربعين سنة، ولم تزل الى الآن حكومتها عسكرية، ولم يشرع فيها بتنظيم مدني فلتنتظر إخواننا المصريون فإنا معهم من المنتظرين.

أعجوبة

ظهر لمراسل التايمس بالاسكندرية في هذه الأيام ما كان ظاهراً عند الكافة عامتهم وخاصتهم ولم يخف على غبي ولا ذكي ولا أعمىٰ ولا بصير بل لم يحصل فيه أدنىٰ شبهة في زمن من الأزمان الماضية، فأبرق الىٰ جريدة التايمس يثبت فيه ما يأتي : انه يوجد بين طبقات الأهالي جمهور كثير ينفر من سلطة الانجليز (وخجل أن يقول جميع الأهالي) كذلك وانهم لا يسرون بإرسال العساكر الىٰ توكار بل بلغ الأسف منهم غايته عندما سمعوا بانتصار جراهام علىٰ العربان.

ويقرب من هذه الأعجوبة ما أجاب به غرانفيل موزورس باشا عندما بين له لزوم التداخل العثماني في حوادث السودان حيث قال ان العساكر التركية تلاقي من معارضة المصريين مثل ما تلاقي العساكر الإنجليزية، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

غريبة

روت جريدة التان، عن الجرائد الانجليزية أن الخديو الحالي عقد عزمه على الاستعفاء من منصبه إلا أن حرمه (زوجته) عارضته فيما عزم عليه كل المعارضة وعندما أشار اليها بما في نيته تناولت مقراضاً وجزت شعرها علامة على الحداد وأقسمت ان لا تلبس الجوراب والأحذية حتىٰ توقن بعدوله عن مقصده هذا، وهي من ذاك الوقت تمشي حافية وتنتظر آخر عزيمة من زوجها الخديو.

ولعل هذا من مبالغات الجرائد الانجليزية أو يكون منشاؤه الحاح السير بارين عليه بطلب حماية انجلترا كما رواه كثير من الجرائد أو إجباره على التنازل كما روته جرائد أخرىٰ.

جوردون باشا

إن جوردون باشا بعدما نصب نفسه للمدافعة عن حرية السودانيين زمـاناً طويلاً وكثر ما توسل بذلك لعودته حاكماً للسودان نال في هذه الحـوادث بـغيته، وأرسل من قبل دولته لعمل سوداني فوصل خرطوم وافتتح أعماله بمخالفة مشربه، فأعلن إباحة بيع الرقيق وإلغاء معاهدة سنتي ١٨٧٧ ـ ١٨٧٩ ثم تعدى على حقوق السلطان بدعاوى مختلفة، منها أنه جاء نائباً عنه، وتضاربت أقواله في مأمـوريته، فادعى انه حاكم عام على الأقطار السودانية بأمر دولته والحكومة المصرية، مـع تصريحه بأن الحكومة المصرية لا دخـل لهـا مـن الآن في ادارة السـودان رأسـاً واعترافه بامارة الشيخ محمد أحمد علىٰ كوردفان، هذه كل وسائله لامتلاك قلوب السودانيين، ولم يلبث ان ظهر ضعف سياسته عند جميعهم لعلمهم السابق بأطواره فكان ما أجمعت عليه الجرائد الانجليزية والفرنسية من عدم نجاحه في مأموريته فإن الأخبار الخصوصية الواردة من الخرطوم متفقة في أن ما أُشيع من البهـجة بـقدوم جوردون محى أثره وتحول الى اضطراب وقلق وتشويش في الأفكار، وان القبائل فيما وراء خرطوم تسخر بمنشوره وتهزأ بوعده ووعيده، وهذا الضرب من السياسة ربما يستغربه من لايعرف حال جوردون، أما المـصريون جمـيعاً والسـودانـيون خصوصاً فلا يعجبون منه لوقوفهم علىٰ أحواله من قبل، وانما العـجب مـن كـون

الحكومة الانجليزية ذهلت عن أن ثورة دينية لايمكن إطفاؤها بيد من يخالف الثائرين دينا وشكلاً ولغة وان كان عاقلاً سياسياً.

يثبت هذا الذي قلناه ما ورد الى «الديلي نيوز» من ان الجنرال جوردون بعث برقية أثبت فيها أنه عاجز عن مساعدة الحامية المصرية في السودان مالم يكن تحت إمرته جيوش على النيل الأبيض والنيل الأزرق، وما جاء من مكالمته لمراسل التايمس حيث صرح له أنه لم يعد في إمكانه ان يفعل أزيد مما فعل (وما فعل شيئاً) لتقرير الراحة بين السكان، وان العزم على إخلاء السودان فتح للشيخ محمد أحمد سبيلاً لإثارة القبائل بين بربر وخرطوم، وفي أثناء المحادثة أظهر احتياجه لفرقتين من العساكر ترسل اليه من جيش الجنرال جراهام. ومما قاله أنه من الضروري تعيين زبير باشا خلفاً له في خرطوم ويفوض اليه إعادة الراحة ومقاومة الثائرين وهذا من عجيب تدبيره فان هذا الباشا ان لم يكن معتقداً بصاحب دعوى المهدوية، فعنده أعظم باعث للاتفاق معه فإنه لم ينس ما حل بأولاده وأقاربه من القتل صبراً، وما سلب من أمواله نهباً وغصباً، فكيف يميل لمساعدة الحكومة المصرية على اخضاع الثائرين عليها.

جراهام وعثمان دجمة

بعث الجنرال جراهام قائد جيش الانجليز في جهة سواكن، بمنشورات الى رؤساء القبائل يعدهم ويمنيهم ويهددهم ويتوعدهم لينفصلوا عن عثمان دجمة، والى عثمان يرعد له ويبرق، ويرغى ويزبد، ويطلب منه التسليم، فورد الجواب من عثمان برفض الطلب والاستعداد للحرب، ووردت الرسائل من واحد وعشرين شيخاً من مشايخ القبائل ناطقة بأنه لا واسطة بين الانجليز ومساعديهم، وبين القبائل السودانية إلا السيف، ثم قالوا ان كل من لا يصدق بدعوى المهدي فانه سيكون لا محالة فريسة للموت وطعمة للهلاك.

فاضطر الجنرال جراهام لإعادة التهديد مرة أخرىٰ على النحو الأول ويغلب على الظن ان الجواب. يكوّن الجواب.

وجاء في جرائد الانجليز ان الشيخ المرغني «وهو شيخ طريقة من المسلمين» بعث الىٰ عثمان دجمة رقيماً يستدعيه للطاعة، ويحذره من مقاومة العساكر الانجليزية، فأجابه عثمان دجمة بأن في عزمه شرب دماء الإنجليز وكل من يساعدهم فإنه يحارب بسيف الاسلام. وفي ختام جوابه نصح للمرغني وطلب منه أن يقوم بإرشاد الانجليز الى ترك الحرب ووضع السلاح وهو أولىٰ له من نصح مشائخ القبائل العربية الاسلامية.

المسألة المصرية

ان المسألة المصرية صبغت في انجلترا عدة صبغات من يوم نشأتها، وكلما عرضت على العقول في لون خيّل لها أنه أجود ما في الدن، حتى إذا مضى عليه زمان خفي وأعقبه لون جديد، وهي في انتقالاتها هذه لاتزداد إلا اشكالا، ولا تزيد انجلترا في انهائها إلا ارتباكاً.

كان بودمستر جلادستون أن ينهج في سياسته منهج سلفائه من الانجليز يحبو الى مقصده بالأناة والتؤدة، ويلتوى في مسيره الى معاطف متخالفة، ويرى ان سلوك الجادة مما لاتقتضيه الحكمة، ولا يسوغه الحذق، حتى يبلغ الغاية ويقطع الخلال (الطريق بين الرمال) ولا يظهر له أثر يقتفى أو كان كما يزعمون أو كما يدعى ونادى به على عهد بيكونسفيلد من أنه لايميل الى الفتوحات، وهمه البعد بانجلترا عن المداخلات في الأمور الاجنبية، بالقوة الحربية، إلا ان الحوادث المصرية ألجأته الى العدول عن مشربه، والتطور بغير طوره، فتضاربت آراؤه وتردد في أعماله، وسار سيرة المتخبط، ونشأ من طلعه في السياسة توعر السبل على حكومته في بلوغ ما تريد، وحدث عنه النزاع بينه وبين بقية الوزراء فيما يجب اتباعه من بعد، وهو الآن في حيرة بين التمسك بمذهبه السياسي، والاستقالة من المنصب، وبين الانفلات منه والتعرض للوم العقلاء والسقوط من منزلته في قلوب أحزابه، وهذه الحيرة

مهّدت لمعارضيه من الحزب المحافظ طريقاً للسعي في اسقاطه من مكانته السياسية واهباطه من كرسي الوزارة.

الذي أباح لمستر جلادستون أن يركب غير طريقه، ويتداخل في مصر بقوة السلاح ما زعمه من احتياج تلك البلاد الى إقرار الراحة، وتخليصها من خلل الفوضى، ومن مصلحة انجلترا ان تتولى إغاثتها مما وقعت فيه، فمد يده لوضع قواعد العدالة، وتخليص الحكومة من الضعف وإعادة الأمن الى البلاد، وكان يظن ان هذا المطلوب يتم بهدم طوابي اسكندرية، والحلول في ثكن القاهرة، فيكون قد كسب أجراً أو نال ملكاً جديداً أو حفظ مصلحة مهمة، بأعمال خفيفة، ونفقات قليلة وكلمات غير طويلة؛ ولكن مع الأسف لم يساعده التوفيق على نوال البغية.

تتابعت الفتن وعلا لياقها حتى لذعه فنبهه لما لم يخطر له على بال، فاضطر لسوق العساكر، ومداومة الحروب، ومع هذا لم تؤيد الحكومة التي انتصر لها ولم يكف محمد أحمد عن دعوته ولم يهن عزم عثمان دجمة بهذه الصدمات المتتالية، وأجمعت الجرائد على انه نادى بالحرب الدينية وهو يجمع متفرقة العرب ليزيدها الى قبيله، ويهاجم الانجليز مرة ثالثة، وأكد رواة الأخبار ان محمد أحمد أنبأ من قبل انه سيهزم مرتين قبل تمام ظفره بالانجليز، فكانت هذه الهزمات مما يقوى الاعتقاد به ويجمع الكلمة عليه، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

فهذه المصاعب شوشت أفكار البرلمان، وحركت الخواطر على الوزارة الجلادستونية، وتخوف رئيس الوزارة من عواقب المداولات في المسائل المصرية، فتأخر عن حضور الجلسات من مدة أيام وقام وزير الحربية مقامه في التعبير عن أفكار الوزارة، وفهم من بعض خطاباته أن من نية الحكومة أن تحفظ الثغور المصرية بعساكرها، وان تحل في شرق السودان، وأن تتولى إدارة الحكومة المصرية كما تراه في غير هذا المحل، فقامت الحجة بكلامه هذا في حزب المحافظين، ووبخوا الحكومة على ضعفها السابق، والتجائها للعدول عن سياستها في هذه الأوقات ولم يكن من

رأي جلادستون أن تصرح الحكومة بمقاصدها، وتظهر مشرعها بوجه جلي، ووقع الخلاف بينه وبين وزير الحربية، وكثير من أعضاء الوزارة، على جملة مواضيع في المسألة المصرية، وزاد الخلاف شدة ميل جلادستون لمرضاة الإيرلنديين وتجافي بقية الوزراء عن رغبته وثبت الرئيس في آرائه وهو يفضل الاستعفاء على التساهل في شيء منها، ومن هذا غلب على الظن أنه سيحصل انقلاب في الوزارة أو فضّ البرلمان، وأكدت قرب ذلك جريدة التايمس وجريدة الديلي نيوز وهي نصف رسمية وجاءت الأخبار الأخيرة متفقة على ان وزارة جلادستون في خطر.

فإذا انقلبت الوزارة الانجليزية، وخلفتها أخرىٰ من أي حزب كان، فما عساها تفعل لحل المسألة المصرية والتخلص من الورطة. أقبل الصيف وصعب على عساكر الانجليز أن تأتي بحركات عسكرية في أطراف السودان الشرقية مدة أشهر ويتعذر حفظ المواصلة بين سواكن وبربر وخرطوم فإن طلبوا عساكر هندية كما أنبأت به البرقية انكشف للهنديين بتكرر طلب العساكر من الهند ضعف القوة البريطانية، واجترأوا على حامية الهند وهناك الهول الأكبر. في هذه المدة وهي غير قصيرة يتيسر لمحمد أحمد ودعاته ان يجمعوا قواهم وينالوا من المنعة ما يتعسر على عساكر الهند مقاواته بل هم الآن على القرب مما نقول. ففي الأخبار الصحيحة أن حالة النيل الأعلىٰ لا ترضي الحكومة الانجليزية، والبلاد المجاورة لخرطوم في ثوران شديد وقد انقطع الأمل من فتح الطريق بين بربر وعاصمة نوبيا، ومحمد أحمد مهتم من نحو شهر بجمع قوة عظيمة يساعده على تنظيمها ضباط من أركان الحرب فيهم اثنا عشر أوربياً وستون ضابطاً مصرياً نجوا من عساكر هكس، ذكرت جميع ذلك جريدة الديلي نيوز واعترف مستشار خارجية انجلترا ان المواصلة بين شندى وخرطوم منقطعة، ولم يصله خبر عن جوردون من حادي عشر هذا الشهر فإذا ترك هذا الخطب الجلل للقوة الانجليزية فلا نظنه إلا يصدع جدار الهند كما بينا في العدد الماضي ويذهب بكل ما يعبر عنه بالمصالح الأوروبية في مصر (وليكن كذلك).

ولا نظن أن دول أوربا تسمح بضياع مصالحها في الأقطار المصرية خصوصاً بعض الدول التي كانت تسابق انجلترا في وادي النيل وانحط مقامها فيه بالتداخل الانجليزي الذي ليست له حدود معروفة، ولا غايات معلومة، والى هذا تشير جريدة التان الفرنسية الوزارية حيث تقول: ان إنجلترا لا يمكنها أن تضع مصر تحت حمايتها حتى تناقش الحساب بين أيدي أوربا، وتنوّه به جريدة سان بترسبورج حيث تقول: ان روسيا ليس في عزمها أن تفتتح بعمل في مصر فان انجلترا اعترفت في جميع الأوقات بأن المسائل المصرية لها هيئة دولية وبناء علىٰ هذا لايمكن القطع في شيء منها إلا باتفاق أوربا، هذا إذا تمكنت انجلترا أن تأخذ على نفسها اطفاء الفتن وإجهاد الثورات، واستطاعت القيام بما تكتب على ذاتها، ففي نهايته تطلب عند أوربا بما تقتضيه مصلحة كل دولة منها، فإن عجزت كما هو الغالب على الظن أو طال عليها الزمان، وهي بين ظفر وانهزام ولا تتجاوز في حركاتها العسكرية شواطىء البحر، فلا ريب ان القلق يستفز الدول لطلب وسائل أخرىٰ سوى ما تهيئه دولة انجلترا، وأنّا نرىٰ وسيحكم الزمان لنا ان شاء الله ان حفظ حقوق الأوربيين، وضبط البلاد المصرية واخماد نيران الفتنة فيها لايتم إلا علىٰ أيدي أهلها ويفعل الله ما يشاء.

الانجليز في السودان

ان البرقيات التي وردت من سواكن جميعها متفقة علىٰ ان العساكر الانجليزية هاجمت معسكر عثمان دجمة في ثمانية منقسمة الىٰ مربعين وبعد أن فارقت زفربا غارت عليها العرب بعدد وافر مع بسالة الأيس ودخلت في المربع الأول وهو المقدمة وكانت فيه مذبحة هائلة، وتقهقرت العساكر الانجليزية وتركت مدافعها بعدما قتل منها جم غفير بأسنة العرب وحرابهم إلا أن فرقة من مشاة البحرية جاءت من القلب وسدت الخلل الذي وقع في صفوف العساكر من هجمات العرب ودفعت قوة المهاجم، ولم تكد المربعات الانجليزية تلتئم وتعود الى الانتقام حتى هاجمتها جيوش عثمان مرة أخرىٰ ببأس شديد وانقضّت عليها من الجناحين والتحمت مقتلة عنيفة وترامى العرب على الموت واستهانوا بالحياة مفضلين الشهادة علىٰ التقهقر والتسليم.

وتضافرت الأخبار على ان العرب أظهروا من البسالة والشجاعة ما لا يوصف، حتى قال الرواة أن ما شاهدوه منهم يعدّ من غرائب الأعمال البشرية، إلا ان الروايات اختلفت في عدد من قتل منهم ومن عساكر الانجليز، فبعضها أوصل قتلى العرب الىٰ ثلاثة آلاف وبعضها الى أقل ثم جاءت الاخبار الرسمية (وما أدراك ماالاخبار الرسمية) وما تبالغ في قتل أعدائها مصرّحة بأنها ألفان أما قتلى الانجليز

فقد بالغوا في قلتها حتىٰ أوصلوها الىٰ مائتين أو ثلثمائة بعدما اعترفوا بأن العرب فتكوا فيهم فتكاً ذريعاً.

وعلى أي حال قد انتهت الواقعة بانسحاب العرب الى جبالهم ورجعت العساكر الانجليزية بغاية السرعة الى سواكن وتركت المواقع التي استولت عليها وتوافد اليها العرب مع قائدهم عثمان واجتمعت له في الموقع الذي هوجم فيه قوة حملته على الشموخ بأنفه والنداء باستعداده لمهاجمة العساكر الانجليزية وانه لا يقبل التسليم وانا لنعجب كما يعجب سائر الجرائد الأوروبية من هذه الرجعة العربية بعد الطنطنة بالنصر والظفر والإعلان بأن العساكر الانجليزية نالت من الشرف أعلىٰ ما يناله جيش في قتال، فإن سرعة الرجوع شاهد بيّن على ان هذا الجيش المنظم يقتدر على حفظ مركزه في ساحة الحرب وانه خشى التلف لو بقي فيه فعاد راجعاً الى شواطئ البحر فكأن المقتلة لم تكن إلا كرة اعقبتها قوة حتى عدها بعض الجرائد هزيمة وحسبتها من الخطأ العظيم لأنها تجرئ العرب على البقاء في الطريق الذي يصل سواكن ببربر وقطع الطريق على سالكيه وانا لا نوافقهم على ذلك لكنّا نعدها عجزاً ظاهراً عن مقاومة العربان في جبالهم.

وما أشبه فعلة الانجليز هذه بفعلته من نحو عشرين سنة عندما كان يحارب في حدود الهند سرايا الأمير عبد الله الوهابي واخوندسوات فانه بعدما انهزم في جبال (سوات وبنير) شر هزيمة وترك مدافعه وذخائره رجع ثانية ودخل قرية صغيرة من قرى تلك الجبال.

وفاجأها ليلاً على غفلة وأحرقها فقتل أهلها جميعاً وانقلب راجعاً الى بلاده في الهند من ليلته، وأعلن بأنه قتل وسلب ونهب وظفر وانتصر فليعتبر المعتبرون.

وكان الجنرال جراهام بعمله هذا لم يرد إطفاء الفتنة في الأراضي المصرية، وانما قصد ردّ شرف العساكر الانجليزية والأخذ بثأر بعض من قتل منها سابقاً وإقامة البرهان لأوربا علىٰ أن عساكر الانجليز يقدرون على محاربة العربان

ويستطيعون الهجوم عليهم، نعم إنه لم يغفل التدبير بالكلية فان الجرائد أخبرت أنه وضع رأس عثمان دجمة في المساومة وجعل لمن يأتي به ألف ليراً انجليزية ونعم ما دبر ولكن يخاف ان عثمان عندما يبلغه الخبر يضع رأس الجنرال في المزايدة ويجعل لمن يأتي به مائة قنطار من سن الفيل ويكون الخطر علىٰ الجنرال أعظم !!!

ثم ان الجرائد الانجليزية على عادتها من ترويج سياسة حكومتها في الحروب أشاعت أن الجنرال جراهام بعد رجوعه الى سواكن دعا بعض رؤساء القبائل وذكرهم في إقرار الراحة بين سكان البلاد السودانية ورغب اليهم ان يتعهدوا به فأجاب بأنه غير ممكن لهم إلا بمساعدة العساكر الانجليزية وانهم استصوبوا ما نشره الجنرال من تعيين الجعالة على جز رأس عثمان بمبلغ ألف ليرا انجليزية، وهذا مما لا نظنه بالعرب لمخالفته طباعهم وبنوا أخلاقهم على الخضوع للأجنبي عنهم وما عهد ذلك فيهم من يوم نشأتهم العربية الى اليوم. وبعد انهاء الكلام معهم أخذ في ذم عثمان على ما روته تلك الجرائد حيث لم يظفر به بأنه كذاب وخائن لبلاده وابناء جلدته فإنه الذي عرضهم لسفك الدم وإتلاف الأرواح.

وقد ذكرنا هذا بقصة أحد القواد الأفغانيين حيث عرض نفسه لخدمة الانجليز في الحرب الأفغانية الأخيرة فأمدوه بمبالغ وافرة لإعانته على العمل فأخذ ما أخذ ونثره في قومه وهيأهم به للكر علىٰ الانجليز والنكاية بهم ونال منهم ما نال. وبعدما ذاقوا منه الوبال أخذوا في نشر المنشورات وتحرير الاعلانات بأن هذا الرجل قليل الوفاء خائن العهود لا يثبت على قوله ولا يفي بوعده مع ان الوفاء هو أداء حق الوطن والمدافعة عنه والقيام بذمامه وكل عهد يخالفه فالذمة تنكره والصدق يأباه كائناً ما كان.

هذه أسطورة أمر الجنرال جراهام، وأما الجنرال جوردون فقد أخبرت بعض الجرائد الانجليزية انه في خطر وانه يوجد قلق عظيم في مصر من جهته، ويثبت هذا الخبر امتناع وزير الحربية في انجلترا من عرض المخابرات التي جرت بينه

وبين الجنرال خوفاً من تأثيرها في الأذهان.

وروت جريدة الديلي نيوز بناء على تلغراف ورد اليها أن زبير باشا صرّح باستعداده لأن يخلف جوردون باشا في السودان وهو يظن انه لايمكن اعادة الأمن الى تلك البلاد إلا بطرق سلمية ولا يستطيع أن يبدي فكره في شأن المهدي قبل ان يخابره وهو في ريب من اعتقاد السودانيين بنبوته (كذا) ومما قال ان تجارة الرقيق يمكن الغاوها بالتدريج عندما يشرع سكان السودان في معرفة فوائد التمدن ومنافعه ثم كذب ما أُشيع عنه من البغض للجنرال جوردون.

نعم ان زبير باشا لا يبغض الجنرال في هذه الأوقات ما دام في القاهرة اما اذا وصل الى السودان فيمكن ان تعود اليه الضغينة التي مازجت قلبه سنين عديدة.

* * *

صدىٰ دعوة السودان

وردت برقية من تاشكند الى جريدة الساندر الانجليزية مفادها أنه حصل اضطراب عظيم في أفكار المسلمين سكنة بخارى عندما سمعوا بانتصار أعراب السودان وظفرهم الأول وظهر فيهم داع جديد يحثّ على الحرب ومقاتلة الذين ينتهبون الأراضي الاسلامية لتوسيع ممالكهم ويهدد صاحب السلطة العامة بين المسلمين بخلعه من مغرسه اذا لم ينشر اللواء الأخضر (المغالبة ومصادمة المتعدي عليهم) هذا برهان جلي على ما أنذر به سابقاً من أن دعوى المهدوية في السودان لهذه الأوقات التي صدم المسلمين فيها أشباه الحوادث الماضية في القرن الخامس والسادس من الهجرة ستدعو الى حركة عامة يصيح فيها الشرقي بالغربي ويصعب علىٰ الانجليز وهو في مجراها ان يتنكب عنها دون أن تعروه هزّة من مفزعاتها خصوصاً والمظاهرة الدينية في البلاد المحكومة بسلطة أقوىٰ وأظهر.

ان بلاد بخارىٰ بينها وبين السودان مسافات متطاولة وأبعاد متنائية ويظن الناظر في لوح الجغرافيا ان المواصلات بينها منقطعة وَمع ذلك سرى التنافس بين القطرين في الغيرة بغاية السرعة فما ظنك ببلاد هي أقرب الى مبعث الدعوى وأدنىٰ منها منالاً، يغلب على الظن ان الروح هبطت اليها ولكن تتحرك بحركة العقل وتنمو على القوانين الطبيعية والشرائع السياسية والاعتقادية، فلا يشعر الأقوياء إلا وقد

بات بحلاقيمهم المستضعفون والأرض أرض الله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

إذا سهلت الحوادث ظهور الكوامن ومهدت بروز المغيبات ماذا يمكن أن يؤخذ به من الوسائل لوقاية العدد القليل من غيلة الجمهور الأغلب الذي لا يقاوم وما أمكنت مقاومته في الأزمان الخالية.

نظن ان لا وسيلة لهذا إلا بتسليم الأمر لأربابه والدخول اليه من بابه، وتركه للمسلمين يرضى بعضهم بعضاً ويدافع بأسهم بأس بعض. فان كان هذا هو نهاية السير، فمن الخطأ السياسي أن لا يبدأ به قبل اشتداد الكرب، وعظيم الخطب، والله الهادي الى الطريق الرشاد.

اضطراب سياسة الانجليز في مصر

تشاكلت أفكار السياسيين من الانجليز في لوم الحكومة على سياستها المصرية، قال اللورد سالسبري في بعض الاجتماعات العظيمة ان الحكومة الانجليزية بالتواء سياستها وتذبذبها وضعت من شرف انجلترا وخفضت اسمها، وعرضت أجلّ مصالح الامبراطورية (الهند) للخطر ثم تكلّم في منشور جوردون باشا المبيح لبيع الرقيق فقال ليس من الممكن لمسيو جلادستون أن يبيح تجارة الرقيق على حفافي النيل وهو يحظرها علىٰ سواحل البحر الأحمر (والأولىٰ أن يبيحها في جميع البقاع لاستحالة منعها مطلقاً). وذكرت جريدة (البال مال جازيت) أن مستشار جمعية منع الرق في لندن أرسل الى اللورد جرانفيل خطاباً بالنيابة عن أعضاء الجمعية يلقي عليه التبعة في تسمية زبير باشا والياً على السودان الشرقية، وأن الجمعية اتفقت آراؤها على أن مساعدة الحكومة الانجليزية لرجل كزبير باشا تكسيها عاراً وحطة في نظر أوربا.

* * *

وقالت جريدة الديلي نيوز : الصحيح ان الارتباك الواقع في مالية مصر أقلق وزارة انجلترا وبعثها علىٰ البحث في ايجاد وسيلة لادخال النقود الى مصر فإنها في غاية الحاجة اليها، ويؤكد ان الحكومة الانجليزية ستعرض أفكارها علىٰ البرلمان في

هذا الشأن وفي الظن ان ما تعرضه عليه يكون متعلقاً بضمانة القرض المصري (دخول مصر في حماية انجلترا رسمياً) إلا ان عدداً عديداً من الأحرار في البرلمان صرحوا بعدم قبولهم أي فكر يعرض عليهم في هذه المسألة. ومع هذا فقد كذبت هذه الجريدة ما أُشيع في الدوائر المالية من أن في عزم الحكومة الانجليزية أن تعد قرضاً للبلاد المصرية مبلغه ثمانية ملايين بفائدة ثلاثة ونصف في المائة.

برلمان انجلترا

انعقدت له جلسة من أيام لم يحضرها المستر جلادستون لأنه كان مريضاً (أو متمارضاً لخوفه من عاقبة المداولة فيها) فناب عنه في الكلام هرتنكتون وزير الحربية وابتدأ يطلب نقوداً لنفقات حلول الجيش الانجليزي في الأقطار المصرية وبين الدواعي الى ما طلب فعارضه المسيو لابوشير (وهو من الحزب الحر الذي يأبىٰ أن تدخل انجلترا في أي حرب كانت) وطلب تنقيص المبلغ الذي طلبه وزير الحربية ثم دارت المباحثة في المسألة المصرية وحمى وطيس الجدال فيها وتكلم الخطباء عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها وبينوا الأغلاط التي ارتكبتها الحكومة في سياستها وماذا يجب الآن إعداده من وسائل الخلاص وقال اللورد نورثكوت «وهو رئيس حزب المعارضين لسياسة الحكومة» ان خطاب وزير الحربية دل على تغيير عظيم في أفكار الوزارة فقد علمنا من كلامه أنها جارت الرأي العمومي في البلاد وأذعنت لمقتضيات الحوادث وعدلت عن السياسة المرتجة المتزعزعة واعترفت بما تعهدت به وقبلت ان تقوم بوفائه بعد أن كانت تحاول التملص منهُ وفهم منه أيضاً أن بلاد السودان اذا تركت لصغار السلاطين القدماء الذين يحاولون استعادة ممالكهم ليقوموا فيها إمارات صغيرة فإن خرطوم تكون مستثناة لأهميتها في راحة البلاد المصرية وان البحر الأحمر لما كان تابعاً لقنال السويس ومرتبطاً بطريق الهند، فصالح

انجلترا تقضي بأن تكون الثغور المصرية «من اسكندرية الى ماوراء عدن فتدخل رشيد ودمياط وبورسعيد وسواكن ومصوع» بيد الانجليز مادام المصريون عاجزين عن الدفاع عنها ووضح في خطابه (وزير الحربية) أن أفكار الوزارة في هذه الأوقات متجهة لأن تحمل عساكرها في مسافات طويلة من السودان الشرقي لعلمها بلزوم اتصال شواطئ البحر الأحمر بالمراكز التي تبق في السودان وان توصل سواكن ببربر بخرطوم، وهذا الرأي الذي أبداه وزير الحربية يستدعي حلول في مصر الىٰ مدة أطول من المدة التي صرّح بها سابقاً.

كانوا بدأوا في استدعاء قسم من العساكر وصمموا علىٰ استدعاء قسم آخر منها، لكنهم الآن لايريدون إلا تقرير حكومة أهلية (كذا) قادرة ان تقوم بنفسها وتأتي أعمالاً مفيدة لبلادها وبعدما كانوا يستعملون الألفاظ المبهمة في شأنهم مع مصر، صرحوا بالحالة التي يجب أن تكون عليها مصر حتى تتركها انجلترا وشأنها ويريد وزير الحربية بحكومة ثابتة قادرة ما تكون موضع الثقة لرعاياها والأوربيين المستوطنين في البلاد ومحل من النقود التي تحمل اليها (ديناً وقرضاً).

* * *

قالت جريدة التان بعد ذكرها هذه المباحثة أن الوزارة الانجليزية حادت عن منهجها الأول وصرحت بقبول التبعة في مداخلاتها التي كانت تؤمل التخلص منها متى أرادت، إلا أنها الآن حملت حملاً ثقيلاً على ماليتها وسياستها الخارجية. انها لم تصرح بكلمة حماية حتى اليوم ولكنها، المراد من عبارتها، وتزعم انها مساقة اليها قهراً لغرض ان تمنح مصر إدارة قويمة وجهادية منظمة وقضاء عادلا وهذه الحماية تمتد من شمال الدلتا الى خرطوم ومن خرطوم الى البحر الاحمر ولكن يصعب على انجلترا ان تنال هذه الحماية مالم تناقش في الحساب بين يدي أوروبا، وانا لنأسف على فقد اللورد بيكويسفيلد ونتمنى لو كان حياً حتى يذكر المسيو جلادستون بخطبه المشتعلة غيظاً، المفعمة لوماً وتقريعاً على من يميل لسياسة الحروب

والفتوحات.

قالت صحيفة الديلي نيوز وهي شبه رسمية ان الوزارة الحالية (الانجليزية) في خطر وانه في يوم الخميس الماضي كان الكلام دائراً في مجلس البرلمان علىٰ تغيير وزاري وعلى حل المجلس وأنه لا يمنع من ذلك رفض اللائحة التي قدمها لابوشير في لوم الحكومة ثم قالت ان البلاد (الانجليزية) لابد لها أن تتهيأ لابداء أفكارها في شأن الوزارة وتصرفها داخل البلاد وخارجها.

ويقال في الدوائر السياسية أن تأخر مستر جلادستون عن الحضور في جلسات المجلس يومي السبت والأحد لم يكن ناشئاً عن انحراف الصحة وانما كان هذا تعللاً ومراوغة ليس إلا[١].

---

١ ـ ادعاء المرض أو التمارض الديبلوماسي أصبح معروفاً في مصر... فلتبحث بريطانيا عن سلاح آخر !!!

الباب العالي

ان كان البرهان يدفع غارة أو يهزم عسكراً أو يفتح بلاداً فهذا أقوىٰ ما يكون من البرهان على أوضح حق يوجد.

كتب مراسل التان في الأستانة كتاباً مفصلاً عن أفكار أعاظم العثمانيين في المسألة المصرية وما للباب العالي من الحقوق. فما أثبته ان العثمانيين في ضجر من اجحاف انجلترا وجورها عن العدل في معاملة السلطان وعدم الاكتراث بما له من الحق الثابت وتصرفها في مصر بدون مراعاة رضاه وان بعض الرجال العظام بين له حيف انجلترا وتعديها على المعاهدات الدولية والفرمانات الشاهانية وأثبته بأدلة منها ما أجابت به انجلترا عن بلاغ الباب العالي الى الدول من نحو سنتين في بداية الارتباكات المصرية حيث قالت انها ترغب حفظ الحالة المقررة في مصر (الاستاتوكو)[1] علىٰ مقتضىٰ الفرمانات السلطانية والعهود الدولية وأنه لا يسوغ التغيير فيها بوجه ما إلا باتفاق الدول.

ومنها نص الفرمان الصادر بتولية توفيق باشا فإنه صريح في أن مصر بحدودها الطبيعية وملحقاتها تعدّ من الاملاك العثمانية وأنه لا يسمح للخديو ان يتنازل عن قطعة أرض منها صغرت أو كبرت لأجنبي كائناً من كان لأي سبب ولا

---

١ ـ STATUS QUO معناها الوضع الراهن...

بأي وجه ولا يسوغ له أن يتخلى عن شيء من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الأسباب والحوادث ولا يجوز له عقد شرط أو عهد إلا بعد عرضه على الدولة ورضاها ويحظر عليه تجديد قرض مالي إلا فيما يتعلق بتسوية المسائل المالية التي كانت لذاك العهد.

ومنها ان قنال السويس لم يفتح إلا بعد استئذان الباب العالى فكيف ساغ لانجلترا الآن ان تتولى فصل السودان عن مصر وأن تتداول في فتح قنال آخر وأن تتدبر في قرض جديد تحمله على عواتق الحكومة المصرية وان تتناول حماية الثغور بعساكرها بدون الاتفاق مع الباب العالي ولا مشاورة الدول العظمية.

وأنا في حيرة مما أراد هذا العظيم من إقامة الحجج هل أراد إظهار ما كان خافياً على دول أوربا وهم يعلمونه حق العلم أو بيان أن انجلترا أخطأت في فهم هذه الفرمانات وتلك المعاهدات أو حاول إقناعها بالدليل والبرهان. ولكنا نعلم ان حكومة بريطانيا لا تفزع من الاحتجاج ولا ترهب الجدال فإنها تمرنت على ذلك من أزمان طويلة مع الملوك والأمراء الشرقيين وأمكنها في أحوال كثيرة أن تجيب عما يرد عليها من الاعتراضات وان بلغت مقدماتها من الظهور حدّ البداهة ولولا هذا لما احتدت جريدة التايمس عندما بلغها نبأ مؤداه أن جرانفيل طلب من السلطان ان يرسل حامية تركية الى سواكن وبالغت في انكار ذلك بقولها أنه مما لا يخطر بالبال ثم تعللت بما لا يذهب على فطنة أحد حيث قالت ان انجلترا لا تريد أن تحامي عن حقوق السلطان بعدما صارت بضعفه نسيا منسياً.

ايرلندا

في كل يوم يقيم الانجليزي برهاناً منطقياً ودليلاً جدلياً على انه ما ذهب الى مصر إلا بقصد إقرار الراحة ووضع قواعد العدالة، ولكنه كلما رتب مقدماته لإقناع السذج بقضاياه المشهورة عارضه الإيرلنديون ببراهين عملية تنقض ترتيبه وتبطل نتيجته فإنه لا يمضي وقت من الأوقات إلا ولهم فيه عمل لكسر شوكة الحكومة الانجليزية في ايرلندا يضعون الديناميت لتدمير الأبنية وهدم الجسور وتعطيل السكك الحديدية ويفتكون برجال الحكومة ويتضجرون من ظلمها ويطلبون كل وسيلة للتملص من سلطتها وهم في سيرهم لايهنون ولا يفترون.

هيئت وليمة للمستر بارنل رئيس حزب الإيرلانديين حضرها جم غفير منهم احتفالاً بعيد سان بتريس وفيهم كثير من أعضاء البرلمان فألقى عليهم خطاباً أظهر فيه مسرته من تقدم الحركة الجنسية في ايرلاندا وأوصى الايرلنديين أن لا يعتمدوا على حزب من الأحزاب الانجليزية وانما يكون اعتمادهم على نشاطهم واجتهادهم ثم قال ان له في المستقبل أملاً حسناً وختم كلامه بقوله ان اليوم الذي يجتمع فيه الايرلنديون على اختلاف أحزابهم في بسيطة أرضهم هو قريب وسيكونون عما قليل تحت حكم برلمان إيرلندي وفي ذلك الوقت لا قبله ترسل ايرلندا الىٰ انجلترا رسالة سلمية. وعند رفع كؤوس الشراب أبى الحاضرون ذكر الملكة وانما رفع بارنل أول كاس ونادى باسم الأمة الايرلندية وطلب من الحاضرين ذلك.

هكذا يطلب الانجليز ضمّ أراض الى أملاكهم فتنفصل عنهم أراض أخرىٰ والى الله علم العاقبة.

الفرنسيون في التونكين

مضت عدة أشهر والفرنسيون ينتظرون ما تؤدي اليه حركات عساكرهم في بلاد تونكين وكادوا يرتابون من حسن العاقبة حتى وردت البرقية الى وزير الحربية في باريس من القائد العام بأن العساكر الفرنسية دخلت باكنين من طريق يوصل الى لانسون وان الصينيين انهزموا الى نواحي نكبين حيث اشتدت عليهم المهاجمات الفرنسية من جهتي الشمال والشرق وخسروا خسائر جسيمة ولم يجرح من الفرنسيين سوى سبعين رجلاً وحازت العساكر الفرنسية كميات وافرة من الذخائر وبطارية من مدافع الكروب وجدوها في قلعة باكنين ويظن كثير من رجال السياسة الفرنسية أن فرنسا قد أتمت عملها بالاستيلاء على هذا الموقع المهم.

وأكد هذا الظن ما ورد بالبرقية من بكنين الى جريدة الستاندرد ان مملكة الصين عندما بلغها استيلاء الفرنسيين على باكنين عقدت مجلساً حربياً لدراسة الموقف في الأمور الصينية الحاضرة، فقرر الاعضاء وبينهم الأمير كونغ على انه يلزم الاتفاق مع الحكومة الفرنسية بطرق ودية.

وفي حسباننا ان مثل هذه الفتوحات لا تسلى أحزان الفرنسيين ولا تعزيهم على ما خسروه في مصر وان ذاك الضماد لا يقطب هذه الجراح.

منشورات

روت جريدة التان عن جريدة سان بترسبورج ان أمبراطور روسيا أظهر رغبته في السفر الىٰ برلين في الصيف القادم مع الأمبراطورة ولم يعلم تاريخ توجهه بالتحديد الى الآن ويظن ان سفره هذا يكون قبل سفر أمبراطور المانيا الى (أمس) حسب عادته.

وتعد هذه الزيارات من مؤكدات المواصلات بين دولتي الروس والمانيا وهو مما يوسع للروسيا ميدان الجولان في آسيا كما بينا سابقاً.

* * *

وردت الى الديلي نيوز برقية من القاهرة مفادها ان قبيلة تـراشي في بـربر انضمت الى قبائل كوردفان المعتقدين بمحمد أحمد.. وهذا ممـا يـقنع النـاظرين في الحركات السودانية بأن هذه المبالغات التي يذيعها الانجليز في انتصارهم لم تـؤثر شيئاً في نفوس القبائل ولم توهن اعتقادهم بذلك المدعى السوداني. ويقيم دليلاً على ما قلناه من أن هذه النيران الملتهبة لا يطفئها إلا رجال من عظماء المسلمين.

* * *

نشرت في عدة مدن من ايرلندا اعلانات ثورية وجـدها أعـوان الشرطـة ملصقة على جدران الشوارع والأماكن العمومية مكتوباً فيها هذه الكلمات: (حرب أهلية في شهر مارس سنة ١٨٨٤) وهو الشهر الحادي فتناول الشرطيون تمـزيقها

بغاية السرعة. وكان الايرلنديون من قبل، وضعوا الديناميت في محطات السكك الحديدية من جملة جهات وهذا الإضطراب الداخلي الشديد ثالثة الأثافي للمسألة المصرية ودخول مرو في حوزة الروس، وهذه الثلاثة، ان لم يكن لها رابع، فهي كافية للمتبصر في تقدير الارتباك الذي ألم بالحكومة الانجليزية في هذه الأيام.

* * *

انا لله وانا اليه راجعون لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ورد تلغراف من القاهرة ان جريدة الستاندرد يفيد ان السجون ضاقت بالمسجونين حتى اضطرت الحكومة (المصرية أو الانجليزية) الى اطلاق ألف ومائتي منهم من أرباب الجنايات الخفيفة وسبب هذه البلية عدم قدرة المجالس على محاكمة جميع المتهمين. لهذا تذوب المقل بكاء وتتفتت الأكباد حزناً.

* * *

ورد من سواكن الى الستندارد :

ان المنشور الذي نشره هفت الأميرال الثاني بتعيين جعالة لمن يأتي برأس عثمان دجمه وصل الى مشايخ عرب ثمانية فأحرقوه علامة على رفضه وعدم قبوله.

* * *

برلين في ١٨ مارس :

ان جريدة البوست وهي جريدة لها علاقات مع السفارات في برلين، من فكرها ان استعفاء توفيق باشا وهو قريب الوقوع يفتح للدول الأوروبية باباً لاعادة المراقبة المشتركة في مصر لأن انجلترا لم تنجح كل النجاح في مأموريتها لإقرار الراحة في تلك البلاد.

* * *

باريس في ٢٧ مارس

اشتدت خطوب المسائل المصرية واشتبهت مناهجها وعظمت أخطارها والتبست وجوهها على ذوي الشؤون وأرباب المصالح فيها حتىٰ علىٰ السياسيين من رجال حكومة انجلترا. كل يتصور غاية ويطلب حظاً يناله منها وقد شد رحاله

للوصول اليه ولكن ضل أعلام الجادة وتاه في مجاهيل وليل المشكلات مظلم وديجورها مدلهم وتعاكست مذاهب السالكين هذا يشرق والآخر يغرب وكل في وحشة يطلب المعين ويخاف العادي وكلما فرح لنبأ رمي بسهمه من الجزع لايدري أصاب خصماً أو قتل منجداً.

ان دولة عظيمة كان لها من القوة ما اعترف به دول العالم أجمع، ولها من الحقوق في مصر ما لاينازعها فيه أحد، ترى رجالها اليوم يهتزون لدهدهة الرعود الانجليزية، وان كان سحابها جهاماً، ويفزعون من هزيم تلك الأصوات فيحارون ماذا يفعلون، وربما يأتون ما لايريدون.

إدعت دولة واسعة المطامع انها نائبة عنهم في اصلاح الأقطار المصرية وانقاذها من الاختلال، فتبوأتها بقواها العسكرية وأخذت بزمام الأحكام فيها، تعزل وتولي، وتعطي وتمنع، وتعاهد وتنقض، وتنقص من أطرافها ما أرادت، وتحل بعساكرها من بقاعها ما شاءت وأصحاب الملك الشرعي شاخصة أبصارهم، مشرئبة رقابهم، يبصرون ما لايسر لهم خاطراً، ولا يشرح لهم صدراً، مع خفقان في القلب، واضطراب في الفؤاد، والتهاب في الاحشاء، فزعاً من سوء العاقبة، يحسون بما تقتضيه مواقع الأقطار، والنسب بين بلد وما يجاوره من البلدان، وما يلزم لحمايتها من وسائل الدفاع، فيحكمون بأنه ان دامت الحال على مايرون، أصبحت الأقطار السورية والحجازية واليمنية، على خطر عظيم في زمن قريب أو بعيد، وان تاريخ مصر من عهد الفراعنة الى الآن، ينادي عليهم نداء الناصح، بل ينفث فيهم نفثات الحق، بل يزعجهم إزعاج الحاكم القاهر بأن المحافظة على مصر، من أهم واجباتهم ان لم يكن لذاتها، فلما يتسلط عليه موقعها من الأقطار.

أما ولاة الأمر من المصريين وأولو الرأي فيهم فقد غشيهم من هذه الدهاة ما أذهلهم ؛ عن علم حاضرهم، والفكر في مستقبلهم، طلبوا لهم عوناً قوياً، وركنوا اليه في دفع ما ظنوه غائلة، وتوهموه نازلة، فاستبد بالأمر عليهم، وسلبهم ما طلبوا

المحافظة عليه وهم بين نوم تطيب لهم أوائله، بما يلين لجنوبهم من الوعود الانجليزية، وبين أحلام مدهشة وخيالات مزعجة، تمثل لهم ما سيصب عليهم من حميم العذاب، وما يؤخذون به من عذاب الهوان، وان قليلاً مما يشهدونه حاضر العنوان، على كثير مما يراه بعضهم بعيداً ونراه والعاقلون منهم قريباً.

أما الانجليز، فليسوا في حل مما كسبوا ولم يهنأ لهم ما طمعوا، بل دافعتهم الحوادث وطاردتهم الى مشاكل لم تكن في حسبانهم، وهم الآن بين أمور ثلاثة لا يتيسر واحدها إلا بما ينفي الآخر وهم يريدونها مجتمعة ولن يقدروا عليه إلا بقدر يأتيهم بما يخرق العادة ويفوق الإمكان، إنهاء مسألة محمد أحمد، والوفاء بعهودهم لأوروبا، وما يضمرونه لأنفسهم في مصر، ثم هم يتشبثون لكل منها بوسيلة تضارب ما يتمسكون به في الأخرىٰ تارة يظهرون عزمهم على مبارحة مصر جنوحاً الى الوفاء بالعهد، لكن يتبعون ما يقولون في ذلك بأن أجل الجلاء غير محدود وتارة تنادى بأن ذمة إنجلترا توجب عليها أن تدخل مصر تحت حمايتها وتتولى إدارتها بصفة سيد حاكم لا مستشار ناصح، ويشير بل يصرح وزير حربيتهم بأن الضرورة تلجئهم الى مثل هذا العمل ويعبر عنه أحياناً باسم الحماية وأخرى بما لا اسم له سواها، وطوراً يلقبون محمد أحمد أمير كوردفان ويطلبون من الخديو كما روته جريدة (ميموريال ديبلوماتيك) أن يكتب لهم صكاً بأنه يفوّض الأمر لهم في شأن المدعى يتفقون معه كما يريدون وأنه يسمح لهم بإحلال عساكرهم في سواحل البحر الأحمر وانه لايتولى ولاية خرطوم بعد جوردون إلا شيخ يضمن لهم حسن الاتفاق مع محمد أحمد. فلا الوفاء يروق لهم لمناقضته للغرض ولا الحماية تسهل عليهم لأن دول أوروبا بالمرصاد وبين هذا يأخذ محمد أحمد ما يهيئه له الإمكان من القوة ويثبت دعوته الى سائر الأقطار ويجيش الجيوش ويزحف الى خرطوم وهو اليوم يحاصرها وعلى شرف افتتاحها ومع حرص الحكومة الانجليزية على كتم الاخبار وتلطيف الإشاعات من جهة خرطوم اضطر وزير حربيتها أن

يعترف في مجلس النواب بأن المخابرات منقطعة بين خرطوم ومصر السفلىٰ (الى الاسكندرية) وان الحكومة الانجليزية في مخابراتها مع الجنرال جوردون انما تعتمد علىٰ الصدفة في وجود من يقطع البراري الىٰ عاصمة نوبيا وكورسكو حتى يوصل الخبر اليه وأنه لا علم للحكومة بشيء من أحوال النيل الاعلىٰ من خامس عشر الشهر، ولا تدري ماذا حلَّ بجوردون، وأثبتت جريدة التايمس ان الجنرال في خطر عظيم، وزاد الهول عليهم ان عثمان دجمة لم يتزعزع عزمه بما أصابه في الهزيمتين بل لم يزل خصماً قوياً للحكومة الانجليزية، ويدل على ذلك أن الجنرال جراهام يتأهب لمنازلته كما ذكرته جريدة التان وفي أهم الجرائد الفرنسية أن وقوع خرطوم في قبضة محمد أحمد يكون له رجة هائلة وأثر عظيم في تغيير الاحوال الحاضرة في البلاد الشرقية.

نعم اذا حل محمد أحمد في خرطوم سهل عليه جمع كلمة القبائل النازلة ما بين خرطوم واسوان وتتصل أطراف جيشه ببلاد مصر العليا ولا يعدمون من العرب في جهات الصعيد بل وفي الدلتا من يلتحق بهم وتكون الطامة الكبرى. يغلب على ظننا ان هذه النار ليست مما يطفئه رذاذ السياسة الانجليزية، ولا مما تخمده حركات عساكرها البطيئة، خصوصاً وقد وقع الخلاف بين حكومة بريطانيا وبين قواد جيشها في سواحل البحر الاحمر، فمن رأي الحكومة ان تداوم الحرب وتسرع في إنهائها ومن رأي الأميرال هفيت توقيف الحرب الى شهر اكتوبر (بعد ستة أشهر) لتلا تهلك العساكر من الحر، وان في ستة أشهر لسعة لما لايهجس الآن في خاطر أحد. فلو وكل الأمر في تسكين الثورة وحسم الفتن الى القوة الانجليزية وبروقها الخلب لم نكد نفكر فيما يكون منها حتى تلتهب النيران في أنحاء اخرىٰ ويصعب على أرباب الشأن فيها بعد ذلك تداركها وليس لكشف هذه الخطوب إلا عزائم المسلمين، يلقى اليهم زمام العمل فيها خالصاً من المداخلات الأجنبية التي توغر الصدور وتثير الأحقاد.

وأحست الجرائد الفرنسية بما في نية انجلترا أن تفعله من التصرف في الأراضي المصرية ومنها جريدة (الريببليك فرانسيز) وجريدة (الديبا) وغيرهما، فطلبت من الحكومة الفرنسية أن تحل بعساكرها في جزيرة ديسى المتسلطة على سواحل البحر الأحمر مما يلي مصوع محتجة على ذلك بقولها ان صح ما ادعاه وزير حربية انجلترا من كون شطوط البحر الأحمر تعد من طريق الهند فلنا أن نقول انها أيضاً طريق تونكين وكوشنشين ومدغشقر بل ان الحلول في تلك الجزيرة من أهم الضروريات لمراقبة منع التجارة في العبيد كما تقضي به المعاهدة بيننا وبين انجلترا.

هذا بعض ما أنتجته سياسة جلادستون في مصر وربما يسكن روع أمته ويخفف إنزعاجها من هذه المباراة الجديدة بينها وبين فرنسا على سواحل البحر الاحمر بتذكار ما أعقبته المباراة بين الأمتين في الهند من أزمان ماضية ولكن شتان بين الزمانين فتلك أوقات كانت سياسة انجلترا خافية على أهالي الهند وكانوا ينخدعون لها، أما اليوم فلم يبق فيها خفاء على أحد من سكان الممالك الشرقية ولعل الغيب يوافينا عن قريب بما يكون لفرنسا مع انجلترا في هذه المسائل والىٰ الله المصير.

الشيخ الميرغني

وردت برقية من سواكن في ٢١ مارس مفادها ان الشيخ الميرغني ومعه شيخ آخر يقال أنه من مكة المكرمة ذهبا في ذلك اليوم الى المعسكر الانجليزي ليحضر خضوع كثير من مشائخ القبائل الذين جنحوا الى السلم مع الانجليز. وفي خبر آخر أن هذا الميرغني صاحب فرقة انجليزية تسير الى بيرهندوك ليكون على يديه طاعة بعض القبائل في تلك النواحي، ويقال ان احداها لم تزل مترددة في قبول الطـاعة وعدمه.

هذا مما يعجب منه أن شيخاً يظهر بين المسلمين بمظهر العلم والإرشاد ثم يقود جيشاً إنجليزياً لإذلال ابناء ملته، وإخوان دينه وجنسه، وهو يعلم ان شرفه شرفهم، وسيادته بسيادتهم، ولولاهم ما نال الاكرام والإجلال، وما أغدقت عليه النعمة، وتوفرت لديه دواعي الترف والنعيم، وتمتع بكامل لذاته وشهواته، كيف يسوغ له أن يقدم جيوش الانجليز، قبل الوقوف على مقاصدهم، وماذا يريدون من تذليل جيش العرب وإخضاعهم، هل يصح له ان يأتي أمراً مثل هذا وهو يعلم ما يحذره الشرع وما يبيحه اغتراراً ببعض الأوهام التي لا أساس لها.

وكتب الينا من مصر والحجاز ان جماعة من العلماء في القطرين حكموا بمروقه وقالوا ان هذا من أعظم الزلات التي لم يرتكب نظيرها في الاسلام، على انه ليس من العلماء ولا من العارفين بطرق الارشاد، وانما نال الاعتقاد عند بعض السودانـيين وراثة عن أبيه، وانه لم يتميز عن العامة الأميين في شيء، وان كـان هـذا لايـدفع العجب من فعله.(١)

١ ـ هذا النص كما ورد في الأصل ويبدو ان ماكتبه السيد جمال الدين الأفغاني، وهو في عنفه، يـمثل صورة من صور الرأي العام حينذاك. ومما لاشك فيه انه قد بنى حكمه هذا مما تجمع لديه من معلومات، ولا يخفى انه كان موجوداً في باريس عام ١٨٨٤. فاذا قدرنا الظروف التي كانت تحيط بالموقف، وبعد الشقة، واستحالة الوصول الى مصادر ثقة يعول عليها لما يجعل الأخـذ بـهذا الرأي فـي مـوضع الحـذر والحيطة. ولا ننسىٰ ان الخلافات الطائفية كانت علىٰ أشدها في شرق السودان في ذلك الوقت.... (الناشر).

خرطوم

في الجرائد الفرنسية نقلاً عن الإنجليزية أن أشياع محمد أحمد كانوا في مساء الثالث عشر من شهر مارس ثلاثة آلاف على القرب من خرطوم، وفي صباح الرابع عشر وصلوا الى ستة آلاف وهو يدل عن ان الجنرال جوردون عنده شيء من قوة الدفاع حيث لم تقدم تلك القوة على مهاجمة المدينة، لكن ماذا يجبي من طوعه ان يفعل مع هذه الآلاف المؤلفة التي تتضاعف يوماً بعد يوم وهم يحدقون بمحل اقامته من جميع الجوانب، ومما يدل على أنه في أصعب المضايق بل على شفير الخطر اتفاق الجرائد الإنجليزية علىٰ دعوة حكومتها لإنقاذه بغاية السرعة. وفي أخبار الخامس عشر من الشهر أن فرقاً من الثائرين متحصنون علىٰ شواطئ النيل بمقربة من حلفا، على مسافة بضعة أميال من شمال خرطوم، وأنهم أطلقوا النيران على مركب كانت تسير في النيل حاملة ثلاثمائة رجل استقدمهم الجنرال جوردون وقتلوا منهم نحـو مائة إلا أنه تيسر للجنرال استخلاص باقيهم، واستبشرت التايمس بهذا الظفر الذي تسنىٰ للجنرال بتخليص بقية القادمين اليه وان أظهرت غاية الكدر مـن كـونه في خطر عظيم، وثائرة السودان تحيط بجميع أطرافه وتستحث حكـومتها عـلىٰ

إنقاذه ما استطاعت (والله يعلم كم بين ذاك الاستبشار وهذا الإنذار وهما في فصل واحد).

* * *

وفي برقية الى الديلي نيوز أن طرق خرطوم منقطعة، وأن القبائل المذعنة لمحمد أحمد محدقة بجميع جهاتها، وان ثلاثة من تلك القبائل وافرة العدد وعلى مقدمتها جم غفير من المشائخ والدراويش يزحفون قصد الاستيلاء عليها، ويظن عموم الناس ان لا سبيل لمدافعتهم عنها أو تخليصها منهم إلا بإنجاد عساكر انجليزية، وقال مراسل التايمس في ٢١ من الشهر : أن من الواجب على الحكومة الانجليزية إغاثة الجنرال جوردون فإنها قد ألقته في فم الأسد وسيكون فريسة المنية ان لم ترسل العساكر اليه بغاية السرعة.

وجاءت الاخبار مؤكدة إن حصن كسلا تحت محاصرة الثائرين، وان القبائل في جنوب بربر جميعها في هيجان وثورة شديدة.

وهذا كله يؤيد ما قلناه مراراً من أن هذا المدعى يخشى من قوة بأسه وسريان دعوته الى جهات بعيدة، فإنه اذا استقر قدمه في خرطوم لم نلبث ان نسمع بظهور دعواه في أسوان.

تحكم اللورد دوفرين

نهجت دولة الإنجليز في معاملتها للدولة العثمانية منهجاً جديداً بعد حرب الروس، تأخذها بالتهديد والتهويل في كل ما تروم قضاءه من أغراضها في الممالك العثمانية، ولا تراعى فيما تفعل قانوناً دولياً، ولا عهداً سياسياً، وتتحكم بجبروتها في تحديد المواعيد وتعيين الأوقات، وأعظم ما يكون من مرهباتها الوعيد بتغير قلبها عن وداد تلك الدولة أو اشمئزاز نفسها منها ولا تفرق في نهجها هذا بين صغار المسائل وكبارها.

ومن ذلك ما رواه جميع الجرائد من اشتداد اللورد دوفرين سفير انجلترا في الأستانة على سعيد باشا الصدر الأعظم وإغلاظه له في القول عند التكلم في شأن شركة عثمانية تحت رعاية دولتلو بهرام أغا، منحها الباب العالي امتيازاً بتسيير سفن النقل على شطوط البحر الأبيض، وكان هذا العمل في يد شركة انجليزية (لم تأخذ به امتيازاً) فامتعض اللورد دوفرين وطلب من الباب العالي استرداد منحته فلم يجب طلبه فذهب يوم الخميس الماضي الى الصدر الأعظم وخشن له المقال ونسب الى الباب العالي تعمد المراوغة، ولما تنصل له الصدر بأن هذا ليس من خصائصه بل يتعلق بوزير الخارجية، قال انه لا يخابر فيه وزارة الخارجية (وان كان من خصائصها) وانه يلقي التبعة على الصدر الأعظم إذا تأخر الجواب بقبول حجته وان لابد من تعويض لمن أصابته خسارة بسبب هذا الامتياز من الانجليز، مع تحرير اعتذار رسمي وعزل والى أزمير فإذا بلغ أمرنا الى الخضوع بكل تهديد والانقياد بأي إرهاب، وصارت مسائلنا الداخلية تحت اختيار من يستطيع أن يلقي التبعة، ويبالغ في الخشونة، فإنا لله وانا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مقاصد انجليزية في مصر

في كل يوم تلح جريدة التايمس علىٰ حكومة انجلترا بوجوب طرد العساكر المصرية الوطنية، زاعمة انه يحل من الأهالي محل القبول، ويسرون عنه غاية السرور، وتشير على الحكومة أيضاً أن تجهر بحمايتها لمصر وتظهر للدول انها تتحمل كل تبعة تحصل من مداخلتها في تلك البلاد، وان ذلك من مقتضى الحزم فإن الإدارة المصرية وفروعها في حاجة الىٰ اصلاح حقيقي ولن يقوم به إلا رجال الانجليز.

وهذا من تلك الجريدة وغيرها سوق للحكومة الىٰ اظهار ما أكنه من السلطة على البلاد المصرية، وضمها الى ممالكها الشرقية، وما كان ذلك خافياً على أحد وان كان بعض المصريين غالطوا فيه أنفسهم عن علم أو جهل والله أعلم.

وما تطلبه الجرائد من طرد العساكر الوطنية إنما هو مقدمة التملك ورسوخ القدم، ثم هي تموه في تحسين ذلك بدعواها أن أهالي مصرَ يفرحون منه مع أن أول ثورة عسكرية سر بها المصريون على عهد وزارة ولسون انما كان منشؤها العزم على تقليل عدد العساكر واقفال المدرسة العسكرية، فالمصريون وهم المسلمون لاتعقل مسرتهم من طرد حاميتهم الوطنية بل ينزعجون منه غاية الانزعاج.

حجة نوبار باشا

في برقية من القاهرة بتاريخ ٢٢ مارس أن نوبار باشا أقام الحجة على المستر كليفورد لويد (وكيل الداخلية المصرية) ورفع حجته الى الماجور بارنج.

* * *

هذا الذي بقي لأولي الأمر من الشرقيين يقيمون الحجج والبراهين ويقنعون بأن برهانهم سالم المقدمات صحيح النتيجة عند العقل إلا أن بعضهم يقيم حجته على بعض الدول عند بعض آخر منها وبعضهم يقيمها عند أوليائه من الأجانب وهو منهم وفيهم. إن هذا لشيءٌ عجاب.

عثمان دجمة[١]

في البرقيات الأخيرة ان فرقة انجليزية ستفارق هندوك وتتوجه الى نواحي ثمانية (محل المعركة الماضية) لتعسكر في تلك الجهات أيظنون أن إقامتهم بها يكفي لخضوع القبائل. غير أن عثمان وعد قومه بأنه سيأتيه أمر إلهي بعد ستة أيام ليبيد بقوته عساكر الانجليز، وأُشيع ان محمد أحمد سيبعث اليه بمدد.

---

١ ـ وصحة هذا الاسم كما ينطق به أهله عثمان دقنه ـ دجنة ـ وهو من قبيلة الدجناب غرب السودان.

معاملة محمد أحمد للرسل المسيحيين

جاء الى خرطوم ضابط مصري كان في عبيد، وأخبر أن رسل الكاثوليك في تلك المدينة تحت كنف محمد أحمد على حرية تامة تجرى عليهم الأرزاق من طرفه للواحد منهم في كل شهر خمس تليرات (ريالات) ونصف وان كنيستهم مفتحة الأبواب وان كانت المدارس معطلة للضرورة.

وهذا العمل منه يرشد الى ان له دهاء وذكاء وخبرة بما يجب الأخذ به في معاملة أرباب المذاهب والأديان المخالفة لدينه ومذهبه، وهذا يزيدنا خوفاً من استفحال أمره وانتشار دعوته.

أخبار أخيرة

* كتب مراسل الديلي نيوز المرافق للجيش الانجليزي في سواحل البحر الأحمر أن الجيوش الانجليزية تقاسي مصاعب ومشاق شديدة في قطع الطريق الىٰ حيث تلتقي مع جيوش عثمان دجمة لتلتحم معها في القتال مرة ثالثة، فإن الحر شديد والمسالك وعرة والمياه مضرة بالصحة، مع قلتها ولم يجوزوا الى أول مرحلة إلا وقد أجهدهم التعب، واستولىٰ عليهم الوهن، فأعجزوا أربعمائة منهم عن المسير.

* قالت جريدة التان أن هذا الهجوم لم تتبين غايته، ولما سئل عنه مستشار خارجية انجلترا في البرلمان لبس في الجواب وراوغ في بيان الحقيقة، كأنه يريد التملص مما عساه أن يرد عليه من بعد وإخفاء المقصد، حتى اذا لم ينجحوا فيه ستروا ما يلحقهم من خجل الإخفاق في السعي. وموهوا على ما يمسهم من الشين، ويغلب علىٰ الظن ان القصد منه فتح الطريق بين بربر وسواكن لتتمكن حكومة الانجليز من مخابرة الجنرال جوردون من جهة سواكن (حيث تعسرت عليها من طريق الخرطوم بعد محاصرتها بجيوش محمد أحمد من أطرافها المتصلة بالنيل).

* ويقول مراسل الديلي نيوز أن الشدة لو دامت بالعساكر الإنجليزية على حالتها الحاضرة، فلابد أن تصير غنيمة باردة لعثمان دجمة وفريسة ناجزة لأشياعه.

* وفي جريدة التايمس ان القلق في لندن شديد، والاضطراب بالغ فيها حده، وعموم الناس يتطلعون الى الاخبار المصرية دقيقة بعد دقيقة، واتبعت ذلك تلك الجريدة بقولها ان لم يتيسر لحكومة انجلترا فتح طريق بربر بهذا الزحف الجديد،

ضعف الأمل من فتح هذا الطريق في وقت آخر، وعز على انجلترا إجراء فرضته على نفسها في الأقطار المصرية، وقل الرجاء في تسوية المسألة السودانية بطريقة محمودة.

* عزمت حكومة الروسيا بعد حلولها في مرو على أن تجعل وراء بحر الخزر من البلاد الداخلة تحت سلطتها حكومة خاصة بها لها مركز معين وقاعدة ترد اليها أحكام تلك النواحي، حتى تسهل المواصلة بينها وبين مرو، وهذه حركة جديدة لدولة روسيا في أطراف آسيا، وهي وأن كانت لا تسر المحبين لانجلترا ولكنها لا تحزن أعداءها.

نصيحة

أشد ما كانت هيبة الانجليز وملكتها على الشرقيين قبل تكتيب الكتائب وعقد الألوية وسوق العساكر لمقاتلة عثمان دجمة على أميال من سواحل البحر الأحمر، وكان يخيل للسودانيين بل يلابس اعتقادهم أن القوة الانجليزية مما فوق الطبيعة وعن مثلها تصدر خوارق العادات، وكان من ظنون الشرقيين في أقطار أخران غرائب القدرة البريطانية بلغت مقالع السحر، تدهش الألباب وتحير العقول، واذا خلج في صدور أمة من الأمم صغيرة أو كبيرة لبعدها عن مركزها أن تغاليها على حق، أو تناوئها في مرغوب، انشقت الأرض وانفطرت السماء، عن كماة من الانجليز يصبون عليها أصوات العذاب، ويذيقونها أليم الوبال، ويخلبون الأرواح من الأجساد، فيغلبون ولا يغلبون، خصوصاً ان كان مغالبوهم لايحملون من السلاح إلا نوعاً من الصنع القديم، مما كان يستعمله أبناء نوح بعضهم في مدافعة بعض.

إلا ان هذه الدولة العظيمة ألجأتها حوادث السودان ان تسوق جيشاً للإيقاع ببعض العرب في نواحي سواكن، فتحركت الجيوش المنظمة لملاقاة عثمان ورجاله وبنى القواد في الزحف قلاعاً «مربعات» من العساكر الباسلة. مدرعة بلوامع من حراب البنادق «السنج» مسيجة بالآلات الجديدة، من صنع (رمنتون وهنري مارتين)، علىٰ أجود طراز يكون منه، وحصنوها بأبراج من المدافع لا تدانيها من سكان تلك القفار قوة، ولا تسمو اليها منهم قدرة، لكن قوة اليقين أو تحكم الجهل

دفع على الصفوف الانجليزية جماعة من عراة العرب وحفاتهم، فهدموا قلاعها ونقضوا بنيانها، وقوضوا أبراجها، وبعد تدافع وتضام وتقدم وتأخر، في موقعتين عظيمتين، كرّ الانجليز الى سواكن «ساحل البحر» وأخلوا ساحات القتال، وتقهقر العرب الىٰ الجبال وعج الانجليز غلبنا وانتقمنا.

ماذا أثرت هذه الغلبة العجيبة في نفوس السودانيين، ثبتت أقدامهم وقوت جأشهم، وجمعت كلمتهم، وذهبت بما كان يخامر قلوبهم من الهيبة والرعب، فجمعوا قواهم واستعدوا للقتال مرة ثالثة، فحرموا لسوء البخت أو حسن الحظ من ملاقاة خصومهم، لأن شدة الحر كانت من أعدائهم أو نصرائهم، حيث ألجأت العساكر الانجليزية للجلاء عن تلك الديار، فأسرعت الى البحر لا يستقر لها قدم إلا في مصر أو انجلترا وما أثارته هذه الغلبة في قلوب السودانيين من ثائرة التهور دعاهم لتضييق الحصر على خرطوم، لما علموا أن ليس في قدرتهم أن يقتفوا أثر الانجليز في البحر، ولا يستطيعون الإيغال في طلبهم وهم على غوارب الموج، ولما اشتد الضيق بمن في خرطوم نهض الجنرال جوردون بشجاعة الأبطال لرفع الحصار فلم تكن إلا كرّة تبددت فيها جيوشه واعقبتها فرّة الى داخل المدينة لينتظر ما يأتي به القضاء.

ولكن ليستر وجه الهزيمة رمى ضابطين عظيمين من ضباط المصريين بالخيانة، وأمر ان يضربا بالرصاص فضربا وماتا، وهما حسن باشا وسعيد باشا «في أخبار البرقيات» أما هذا الغلب في السواحل على هذه الصورة البديعة، وما حل بجوردون فقد أسقط من شأن انجلترا وقوتها في أقطار السودان عموماً، وجعل كلمتها هي السفلىٰ وبعث السودانيين على الاعتقاد بأنه احدىٰ كرامات محمد أحمد، لا حول ولا قوة إلا بالله.

خطب يعقب خطباً، وكرب يحدث كرباً، هذه الصدمات المتتالية كشفت بعض الستار، وشف بها الحجاب وأحدثت هزة في قلوب الهَنديين، فكشر النوابون والرجاوات عن أنيابهم، ومدوا سواعدهم ينظرون الىٰ ما تطول ويراجع كل واحد نفسه ويمنيها بقرب الخلاص من ضيق الاستعباد، ويلمح الفرص من خلال هذه الحوادث، انتشرت أخبار المصائب التي حلت بالجيوش الإنجليزية من مصيبة

هكس الى ما بعدها في جميع أرجاء الهند، وترى الناس زرافات وفرادى يتناجون في هذه المسألة ويرجعوا علىٰ أنفسهم باللائمة فيما فرطوا من قبل وهم علىٰ ربوة الأمل، يستطلعون سوانح الفرص خصوصاً المسلمين فيهم، كما أنبأتنا به الرسائل الواردة الينا من أقطار مختلفة من البلاد الهندية، ونظن ان الدولة الانجليزية وعماد قوتها الإيهام والتغرير يصعب عليها بعد الآن ان تعيد منزلتها الأولىٰ في نفوس الشرقيين، خصوصاً اذا أفضت حوادث خرطوم الى قتل جوردون أو أسره وافتتاح تلك المدينة وهي عاصمة السودان.

يزيد الطين بلة أن يشتد العثمانيون ويأخذوا بالحزم وقوة العزم في صيانة حقوقهم بأي وسيلة كانت، وربما نراه واقعاً فإن العقلاء منهم لايغفلون عن حاجة الإنجليز لمسالمتهم لأن الانجليز يحكمون على خمسين مليوناً من المسلمين جميعهم يعترفون بحقوق السلطان ويجيبون داعيه إذا دعا، وهم له أطوع من الترك أنفسهم، والحذاق من العثمانيين وان كانوا يرون أن انجلترا لا تعامل الدولة إلا بالتهديد والإرهاب، وجعلت هذا طريقاً لنيل أغراضها منها، إلا انهم يعلمون أن من المحال علىٰ انجلترا أن تشهر على الدولة حرباً فان سياسي بريطانيا وهم اشد الناس خبرة بدقائق الأمور فضلاً عن جلائلها، لايخفىٰ عليهم ما تكنه قلوب الهنديين من محبة صاحب السلطة الاسلامية، بل هم على يقين بأنهم لو جهروا بالحرب للعثمانيين لتقوّضت سلطتهم في الهند لأول وهلة، لا علىٰ المسلمين خاصة ولكن يتبعهم الوثنيين وهذا ظاهر عند كل انجليزي وان خفي على بعض العثمانيين ورام ستره عن باقيهم.

الاعتقاد بمحمد أحمد أخذ سبيلاً في قلوب الهنديين حتى كتب الينا أحد أصدقائنا في لاهور أن محمد أحمد لو كان دجالاً لأوجبت علينا الضرورة ان نعتقده مهدياً وأن لانفرط في شيء مما يؤيده.

بعد هذا كيف يمكن للانجليز دفع غائلة محمد أحمد، حر السودان منع وسيمنع من جولان العساكر فيه، وطلب العساكر من كوركووسيك بعد شيوع هذه الدعوة في الهند مما لا تجوزه الحكمة، ولا تظن ان انجلترا تثير حرباً صليبية بحكومة الحبش على

مسلمي السودان، لأنه يفسد عليها أمر الهند ويخالف أحكام المدنية الحاضرة.

فما هي آخر الحيل ؟ أيكتفي بحفظ القنال مع ترك الفتنة يسرى لهيبها الى مصر العليا بل الى السفلىٰ، إني أخشىٰ كما يخشىٰ العقلاء من شيوع هذه الدعوى، وكثرة المعتقدين بها ان يلم منها ضرر بدولة انجلترا وبكل من له حق في مصر، فعلى الإنجليز كما نصحنا مراراً أن يصونوا بلادهم، ويحفظوا طريق الهند بتفويض الأمر للعثمانيين، وأولي العزم من المصريين قبل فوات الوقت، والى الله ترجع الأمور.

الدولة العثمانية

قالت جريدة (الميموريال ديبلوماتيك) انه لم يؤخذ عن الباب العالي خبر الى الآن عن المنشور الذي عزم على إرساله للمصريين، إلا أنه محرر تام وفيه أن الدول ستدعى الى المداولة التي قطعها إطلاق المدافع على اسكندرية «المؤتمر» ولن يعدل الباب العالي عن نشره إلا اذا قبلت انجلترا أن تكون مخابرتها معه في تسوية المسائل السودانية المصرية بطريقة جدية «لا هزلية» ولم نزدد يقيناً بما ذكرته هذه الجريدة في ان الدولة العثمانية لا تتساهل في حقوقها على مصر وأنها تبذل ما في وسعها للمدافعة عنها، وكانت لنا ثقة تامة بعزائم العثمانيين وأنهم لابدّ أن يقدموا لصون بلادهم المصرية من استبداد غيرهم فيها.[1]

ولهذا تجزم بأنه لايروق للدولة العثمانية ما ذكرته جريدة «الديلي تلغراف» من أن المستر جلادستون سيجهر عن قريب بحماية حكومته للأقطار المصرية، وأنه سيخابر الدول في تحديد أمد الحماية ولا يكون أقل من خمس سنوات، وفي أمله أن الدول لا تمانعه فيما يريد الاتفاق معها عليه في هذا الشأن بل تعتبره حقاً قانونياً أوجبه بذل الأموال الإنجليزية وإراقة الدماء البريطانية.

وفصلت هذا الخبر بعض الجرائد الفرنسية وبوبته وأشارت الى ما أجابت به بعض الدول.

---

١ ـ هكذا كانت الدول تلعب بمصر... !!

فليس مما يخطر ببالنا ان الدولة العثمانية توافق على ما تطلب انجلترا لو فرضنا ان الدول سمحت للانجليز بحمايتهم لمصر مدة محدودة أو غير محدودة، فإن الحوادث لا تؤمن وتقلبات الأيام لا ثقة بها، فيمكن في خمس سنوات بل في أقل منها أن تتبدل القواعد السياسية، بل ينقلب وجه السياسة انقلاباً لا يعرف، والسياسيون لهم في كل حادث علة لمحو المعاهدات وتأويل الوثاق.

انجلترا في سواحل البحر الأحمر

وقع ما أنبأت به الجرائد الإنجليزية من بضعة أيام، فإن الجيوش البريطانية زحفت لملاقاة عثمان دجمة بعد أن قاست أليم العذاب من وهج الحر ولهيب الشمس، وأصيب منها عدد وافر بالوهن والضعف، حتى عجزوا عن مداومة السير، وصابر بقية العسكر في زحفه وانتظموا على أشكال مربعات تشاكل ما انتظموا عليه في الموقعة الماضية إلا أنهم لم يتلاقوا مع خصمهم، وافاد التقرير الانجليزي ان السبب في عدم الالتحام وصلت العساكر الى قرية تمانية ولم تجد عنها مدافعاً فأحرقتها، ورجعت الى سواكن ولا يخفى ان جميع أخبارهم قبل هذا الزحف كانت متفقة على ان عثمان يبعد عن تمانية بتسعة أميال، وأن مسيرهم هذا كام لملاقاته حيث يعتصم فلم يكن هناك داع لحرق قرية تمانية ولا الأخبار بأنه لم يوجد مدافع عنها إلا ما تعوّد عليه الإنجليز في حروبهم اذا لم يصادفوا ظفراً يحرقون ويخربون وان لم يكن من يصيبونه بأعمالهم محارباً لهم حتى يقولوا ظفرنا وأحرقنا وأتلفنا، وورد الى الجرائد الفرنسية ان تقهقر عثمان إنما كان ليحشرهم بين شعاب الجبال ثم يغير عليهم ويفتك بهم كما فعل رئيسه (محمد أحمد) بعساكر الجنرال هكس ويظهر انهم لما أحسوا بهذه المكيدة ووجدوا من أنفسهم ضعفاً عن مقاومة العرب في جبالهم كروا راجعين الى سواكن ومحتجين بشدّة الحر ستراً للعجز وتقديماً لبارد العذر، والجرائد الانجليزية في قلق واضطراب شديد ولهج أغلبها يحثّ حكومتها على استدعاء العساكر من سواحل البحر الأحمر، متعللة بأنها وان كانت من حامية الهند ولها جلد

على احتمال الحرارة، إلا أن أثر الحر السوداني ظهر فيها بسرعة شديدة ويخشىٰ عليها من التلف الكلي، وأحرىٰ ان يخاف علىٰ سواها ممن لم يفارقوا انجلترا إلا لحرب السودان. ويغلب على الظن أنهم شعروا بقوة محمد أحمد وثبات عثمان والتهاب الحمية في قلوب المسلمين بتلك الأطراف، فاستفزهم ذلك الىٰ إخلاء وجوههم وخوفاً من أن يحل بجيوش السودان الشرقي ما حل بعساكر الجنرال هكس وتستروا بالشكوى من شدة الحر واحتدام نار القيظ، مع ان وهج الحرارة في جنوب الهند حيث كانت تحل هذه العساكر كما ذكرته جرائدهم أشد منه في سواحل البحر الأحمر.

وما قاله الجنرال جراهام والأميرال هفيت ان الحركات العسكرية قد انتهت على شطوط البحر الأحمر، يثبت اعتراف هذين القائدين بعجزهما عن فتح الطريق ما بين البحر الأحمر وبربر، ومساعدة جوردون من هذا الطريق. وبناء على ما أبديناه من البأس صدرت الأوامر الىٰ الجنرال جراهام بإخلاء المواقع الحربية وإجلاء العساكر عنها والخروج من سواكن بما يمكنه من السرعة واعقب الأمر اجتماع العساكر بأسرها في تلك المدينة ويقال ان فرقة منها تسافر في التاسع والعشرين من مارس الى مصر وانجلترا. وهذا الأمر لا ريب يعده أشياع محمد أحمد والمذعنون لدعوته فتحاً إلهياً وتأييداً ربانياً، فيقوى اعتقاد المخلصين له ويقطع شكوك المترددين في قبول دعواه ولربما يذهب الوهم بالسذج منهم الى ان الله أيدهم بالملائكة المسومين، فكشفوا عنهم عدوهم وبعد هذا تجتمع كلمة القبائل وتثبت أقدامهم في مواقف القتال ويزداد حرصهم على تعميم دعوى محمد أحمد، ومغالبة من لم يذعن لها ويكون هذا الظفر الغريب أقوىٰ برهان لهم على صدق دعواهم.

هذا ما أدت اليه سياسة الدولة الانجليزية التي وطئت بأقدامها أرض مصر لإخماد الفتن لم تجلب مداخلها إلا تعالي اللهب وقوة الضِرام، وبعدما سقط في يديها وخابت في سياستها تجافت عن تسليم الأمر لأربابه القادرين على تلافيه من المسلمين، حتى يحصل الأمن للأجانب والوطنيين، وتحقن الدماء وتحفظ الأموال، وعمدت الى الاستنجاد بحكومة الحبش لحرب السودان، ولم يأخذها خجل في ذلك

وهي تدعي أنها حاملة لواء التمدن والقائمة بنصرة الإنسانية وتتلو آيات الإنجيل أناء الليل وأطراف النهار، ثم تستدعي حكومة خشنة غير مهذبة كحكومة الحبش لمقاتلة قوم آخرين وان كانوا ليسوا بأقل منهم خشونة لتشتبك حرب بربرية تحرق فيها المدن والقرى، وتسفك الدماء الغزيرة ويفتك فيها بالأولاد والنساء والشيوخ ومن لا جريمة لهم حتى يفنى بعضهم بعضاً، ولم تبال في التماس هذه المساعدة أن تصرح للحكومة الحبشية ان الغرض منها كبح المسلمين في السودان وأضعاف قوتهم لتثير بذلك حرباً دينية تذكر العالم بالحروب الصليبية. فقد جاءت الاخبار الى الجرائد الفرنسية : أن دولة انجلترا تلتمس من يوحنا ملك الحبشة أن يمدها بجيوش للدفاع عن سواحل البحر الأحمر لعجزها عن حمايتها بنفسها وإطفاء ثورة المسلمين وإخضاعهم وبعثت اليه قائد أسطولها ليتفق معه على شروط هذه المساعدة وما يغنمه بعد القيام بها، وفي جريدة (الميموريال ديبلوماتيك) أن من جملة ما تطلبه انجلترا من الحبش فضلاً عن الإنجاد الحربي أن يتخلى لها عن جزيرتين في البحر الأحمر لتحل فيها بعضاً من عساكرها وله من العوض ما يكافي الأمرين جميعاً.

يريد محبنا الصادق ان يقدم للحبش جزءاً من أراضينا مكافأة له على ما يريد منه ولم يغفل عن مراعاة المرابحة التجارية حسب عادته ترغب الى الحبش ان يتنازل له عن أملاك في البحر الأحمر، فليعتبر المعتبرون.

* * *

عودة الىٰ خرطوم

نوهنا مراراً للمسلمين عموماً، والمصريين خصوصاً، من الانقباض عن حرب إخوانهم وإراقة دماء أبناء ملتهم بمجرد أوامر تصدر اليهم من مخالفهم في الجنس والاعتقاد لا يعلمون لها عاقبة، ولا يدرون من يجتني ثمرتها، بل يوقنون أنهم إنما يقتلون إخوانهم ليورثوا أرضهم لقوم آخرين، ربما كانوا أعداءهم أو يكونون أعداءهم، ولهذا لم يأخذنا عجب من خذلانهم لهكس في السودان الغربي ولا لباكر في السودان الشرقي ولا مما بلغنا في هذه الأيام من خذلان جوردون في خرطوم، ولم يختلج في صدرنا ولا في خطرات أنفسنا أن انهزامهم في هذه المواقع منشؤه الجبن والخور أو الاختلال والنقص في الآداب العسكرية، ولكن نعلم أنهم يفضلون الموت بيد إخوانهم على الظفر بهم لتكون أموالهم وديارهم غنيمة لصاحب أمرهم من الأجانب. أما الجرائد الانجليزية وقواد الإنجليز فهم يبالغون في جبن العساكر المصرية وإختلالها ليتطرقوا بذلك الىٰ ما في عزم حكومتهم من طرد الجيش المصري الوطني وإقامة جيش انجليزي مقامه، حتىٰ يتمكنوا بجيشهم ان ينالوا ما تطمح اليه أنظارهم في المستقبل.

ومن هنا لايستغرب عارف بحقيقة الأمر ما ذكرَه مراسل التايمس في خرطوم من أن جوردون باشا عندما اشتد عليه الحصر من أشياع محمد أحمد خرج بألفي جندي من الجنود المصرية وبعض العساكر غير المنظمة (الباشبوزق) ليفرق المحاصرين ويبعدهم عن أبواب المدينة فلم تثبت الجنود لأول الملاقاة وانحاز منهم

خمسة ضباط الى قبائل العرب وعمد اثنان من أمرائهم (بشاوات) الى قتل من كان على المدافع منهم ليطلقها على إخوانهم التابعين لمحمد أحمد، ويقال ان جوردون قبض على الأميرين ووضعهما تحت المحاكمة العسكرية وآخر الأمر اضطر جوردون الىٰ الدخول وراء الحصون بعد أن تبدد جيشه وقتل منه مائتان علىٰ ماروووا، ولم يقتل من الثائرين إلا أربعة وغنم العرب من ذخائر جيش جوردون مقداراً وافراً، مع ان المهاجمين منهم كانوا فئة قليلة لا سلاح لهم إلا الرماح والحراب، وجيش جوردون كان ألفي رجل شاكي السلاح من الطرز الأوروبي الجديد.

هذا يكون من المصريين لأنهم تحت قيادة أجنبي يأمرهم بأوامر دولة أجنبية، ولو كانوا في أمرة أمير مسلم مصري ولهم ثقة بعاقبة ظفرهم أن تكون لبلادهم وملتهم، لرأينا منهم ما رأىٰ العالم وشهد به الكون لهم من الشجاعة والإقدام أيام محمد علي وابراهيم باشا.

وبالجملة فقد أرجع جوردون بعد تغلب الثائرين حاميته الى مأمنه في خرطوم يوم السادس عشر من شهر مارس (الماضي) ويقول مراسل التايمس انه يمكنه التمنع في الحصون بعض ايام إلا انه لم يجرأ علىٰ الخروج مرة ثانية.

* * *

الجرائد الانجليزية تحكي ما هال أهل بريطانيا من مصيبة جوردون وتنذر بخطر عظيم يحل به وفي جريدة «الديلي تلغراف» أن هلاك جوردون أو وقوعه في أسر محمد أحمد يذهب بالأعمال الحربية التي قامت بها تلك العساكر الانجليزية في السودان، ويجعلها هباء كأن لم تكن ويزيل أثر تلك المواقع الدموية فتكون نسياً منسياً، وقالت جريدة «الستاندرد» ليس من الممكن لنا أن نتأخر دقيقة واحدة إلا اذا أردنا أن نلقي بجوردون الى هاوية الهلاك، وبالسودان الى الفوضى (نعم لابد ان يخافوا على السودان من الفوضى كما خافوا على مصر منها) وفي التايمس لابد لانجلترا انْ تظهر عزيمتها في الاحوال الحاضرة وتأخذ في عملها بالشدة حتى يعلم ذلك منها عند الكافة من الانجليز، ومن آمالها أن الأمة الانجليزية تؤيد الحكومة فيما تعزم عليه وانه لا سبيل لإنقاذ جوردون إلا تصميم الحكومة الانجليزية على ماتريد

(ولم تفصح التايمس عن تلك العزيمة ماهي ولا ما تصمم عليه الحكومة ماهو لعل كل ذلك هو هذا: لابد أن نفعل ولابد أن نترك ولابد أن نكون ولابد أن لانكون).

قالت جريدة التان الفرنسية ان هذاالخطب الجديد أحدث من القلق في انجلترا ما لا مزيد عليه وعموم الناس فيها يعتقدون أنه ان لم ترسل الحكومة جنوداً لإنجاد جوردون فهو هالك لا محالة وجميعهم يعلمون مقدار التبعة التي تحملها الوزارة (الانجليزية) إذا مات أو أسر جوردون فإنها هي التي ألقت به في هذه التهلكة، والجرائد عموماً على اختلاف مشاربها متفقة على القول بأن موت جوردون باشا يكون وصمة في شرف انجلترا لا تمحوها الأيام.

ان وزير الحربية الانجليزية يحاور سائليه من الحزب المضاد في مجلس النواب ويراوغهم في الجواب ويتعلل بأن الحكومة لم تعد المجلس وعداً صريحاً بأن تبين مقاصدها في السياسة المصرية ويزعم انه لايمكن أن يفيده بتفاصيل عن أحوال خرطوم لإنقطاع الأخبار، لكنه يعترف بهزيمة الجنرال جوردون وبما هو فيه من الشدة والضيق، إلا أن اللورد نور ثبورك لم يزل مصراً على طلبه من الحكومة بيان سياستها في المسائل المصرية والسودانية بالتفصيل، وقال للورد جرانفيل في مجلس اللوردات إنه لايرى من السهل في هذه الأوقات أن تفتح الطريق بين سواكن وبربر وخطأ القائلين بسهولته وأفاد المجلس بالفشل الذي حل بالجنرال جوردون.

أماني انجلترا في حركات محمد أحمد

صرح اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات بأن المقاومة الشديدة التي لاقوها من قبائل العرب ورئيسهم عثمان في سواحل البحر الأحمر لم يكن القصد منها إلا الرغبة في تمكين سلطة محمد أحمد في البلاد السودانية، يريد من هذا أنه لم يحملهم على الثبات والترامي على الموت عدوانهم للانجليز ولا طمعهم في توسيع الفتح وإنما كان الحامل هو الدفاع عن شوكة محمد أحمد في السودان خاصة . وهذا من اللورد إما غفلة أو تغافل عن لواحق دعوىٰ المهدوية بل لوازمها التي لاتنفك عنها فإن القائم بهذه الدعوى لايقف في سيره عند غاية، ولا يقنع بملك وإنما يريد بسط دعوته في أقطار العالم واحياء الأوامر الالهية التي جاء بها صاحب شريعته الذي يدعى النيابة عنه في تبليغها وصيانتها في نفوس النّاس كافة، وسواء كان صادقاً في دعواه أو كاذباً، فلن يتم له أمر ولن تتمكن له سلطة في بقعة من بقاع الأرض سوداناً كان أو مصراً أو غيرها من البلدان إلا بتقدمه الى ماورائها حتى يعلى كلمة دينه، ويرد الى الحق من انحرف عنه، ويكون له التصرف التام في قلوب المسلمين، ويأخذ منها مكاناً عليا يشرف منه على مطامح دعواه في غيرهم من الأمم، وسواء يسّر الله له النجاح في ذلك أو باء بضده، هذا لا كلام لنا فيه الآن، ولكنا نتكلم في الخصائص الطبيعية لهذه الدعوى العظيمة، وبعد الوقوف على ما بينا يسقط من النظر قول اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات ان حكومته لم يرد لها خبر يحملها على الظن باستعداد محمد أحمد لقبول امارة كروردفان والاكتفاء بها، ولا يعلم هل قبول محمد

أحمد لتلك الولاية يكون حجاباً بينه وبين التقدم الى سواها، فقد علمت أن محـمد أحمد لم يقم بدعوى الملك، ولا طلب حق له في الامارة كان يرثه عن آبائه، وانما قام بدعوى لا نهاية لأطرافها إلا عند حدود السطوة الاسلامية، فـليس يكـافئ قـوة دعوة اسلامية إلا عزم اسلامي، ولن يكافح هذا المدعى ويرده الى قدره إلا رجال مسلمون، يدافعون عن الدعوى بما يقوى على إضعافها أو محوها، فإن لم يرد لحكومة اللورد خبر الىٰ الآن عما ذكره فليطمئن قلبه لعدم وروده في المستقبل، ولا نظن خبراً يأتيه إلا بنقيض ما توهمه، نسأل الله حسن العاقبة.

بعد تحرير هذه الأحرف جاءت الأخبار مصدقة لما قـلنا فـفي بـرقية مـن مكاتب التايمس في خرطوم ان ثلاثة دراويش جاءوا مرسلين من قبل محمد أحمد الى الجنرال جوردون وأرجعوا اليه علامات الشرف التي كان بعث بها الىٰ مرسلهم، وبلغوه ان محمد أحمد يرفض لقب أمير كوردفان وينصح الجنرال أن يدخل في دين الاسلام فهو خير له.

الحزم والعزم

ان أبناء الأمم الغربية إذا عمدوا الىٰ قصد لا يفترون في طلبه، وعلو الهمم فيهم تجعل لديهم كل صعب سهلا، وكل بعيد قريباً، يقتحمون المخاطر لاكتساب الشرف، ويتجشمون المصاعب للوصول اليه وبلغوا من محبة المجد حداً لا يرونه غذاء لأرواحهم فقط بل عدوه من مادة النماء لأبدانهم فهم يفرقون خوفاً اذا عرض وهم لفواته، خشية من هلاكهم وذهاب حياتهم، لهذا ترى الرجل منهم يجوب فيافي أفريقيا، ويتسنم جبال سيبريا، ويخالط قبائل وشعوباً لا يعرف لهم لغة، ولا يألف لهم عادة ولا أخلاقاً، ويتكبد مشاق الحر والبرد والجوع والعطش، وينازل الموت مع من يخالطه من تلك القبائل البعيدة عنه في جميع أوصافهم، وهو في كل وقت يقع بين أنياب المنية منهم، ثم يخلص بما يقتدر عليه من الوسائل. كل هذا ما يحتمله طلباً لشرف يكسبه لذاته، أو ابتغاء مجد يحصله لأمته.

ومن هؤلاء الرجال بل من أحزمهم وأجلهم صديقنا الهمام البطل الشهير المستر أوكلي أحد نواب البرلمان الإيرلنديين، جاء الينا من أشهر على عزيمة السفر الىٰ عبيد وسألنا أن نقدم له ما يسهل له الوصول مع الأمن على حياته، فأجبناه بتحرير رقائم الى من لهم اليد الطولى في مساعدته، ووردت منه المكاتيب تبشرنا بنوال مبتغاه، وفي هذه الأيام جاءتنا برقيات بوصوله ومنهم رجال من عظماء الفرنسيين الأحرار ذهبوا الى مثل مقصده وتوسلوا بمثل وسائله وهم اليوم يتوسطون الطريق. ونرجو لهم سلامة الوصول.

ورجاؤنا أن يكون في هؤلاء أسوة للشرقيين، لا تقعدهم الأوهام الباطلة، ولا تنيمهم الأحلام الكاذبة، ولقد كان لهم في اسلافهم أسوة حسنة، ولكن من الأسف نحتاج في تذكيرهم بما لهم من سابق المجد الى ذكر أحوال الحاضرين من غيرهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

اسطورة

ذكروا في أساطير الأولين أن هيكلاً عظيماً كان خارج مدينة اصطخر وربما آوى اليه بعض سراة الليل إذا اشتدت بهم وحشة الظلام وما آوى اليه أحـد إلا غالته المنية فيأتي طلاّب أثره لفص خبره فيدخلون الهيكل في ضوء النهار فيجدوا به ميتاً ثم لايهتدون لسبب موته لسلامة بدنه من كل ما يعهد سبباً للموت، واشتهر امر الهيكل بين السابلة والقطان وأخذ كل قاصد حذره من المبيت به حتى ضاقت الدنيا برجل، فاختار الموت على الحياة وصعب عليه انتحار نفسه بيده فذهب الى الهيكلي لعله يصادف منيته فإذا بالقرب منه رجال نصحوه وحذروه عاقبة الهلاك فلم يصغِ اليهم وقال انما أتيت لتلك العاقبة وانفلت من نصحائه الى حـيث يـظن مهلكه، فلما توسط الهيكل فاجأته أصوات مزعجة هائلة كأن جمعاً عظيماً يخاطبه : ها نحن قد أتينا لإتلافك. ها نحن قد أتينا لإزهاق روحك ها نحن وصلنا لتمزيق بدنك وسحق عظامك. فصاح البائس ألا فأقدموا فقد سئمت الحياة، ولم يتم كلامه إلا وقد حدثت فرقعة شديدة وانحل الطلسم وانشق الجدار وتناثرت منه الدراهم والدنانير وتفتحت أبواب الكنوز، فاطمأن الخائف ونام حتىٰ أصبح ولما أضحىٰ النهار، وجاء الواقفون على خبره ليحملوا جنازته وجدوه فرحاً مستبشراً يسألهم بعض الأوعية لحمل ما وجده من الذهب والفضة، فاستخبروه قصته فبعد البيان علموا ان هلاك من هلك انما كان بالفزع من تلك المزعجات التي لا حقيقة لها.

بريطانيا العظمى هيكل عظيم يأوى اليه المغرورون اذا أوحشت مـظلمات السياسة فتدركهم المنية بمزعجات الأوهام، وكم هلك بين جدرانه من لا مريرة لهم، ولاثبات لجأشهم، وأخشىٰ أن يسوق اليأس اليه قوى المريرة، ماقت الحـياة، فما يكون إلا هنيهة يصعد فيها صوت اليأس، فينقض الجدار، وينحل الطلسم الأعظم.

القوة للحق

أخذت دولة بريطانيا في معاملة الشرقيين لهذه الأيام طريقاً غير طريقها المعروف، وهي تعلم ان نجاحها في أعمالها لديهم، وبسطة ملكها فيهم واقتطاف ثمرات جنانهم، انما كان بذاك الطريق المعهود، كأني أراها اليوم اكتهنت حقائقهم، وسبرت خلائقهم، ووصلت الىٰ مكنونات صدورهم، تجاوزت من ظواهرهم الى ضمائرهم، وأدلت بخراطيمها الى قلوبهم، فأحست سكوتاً، فحسبته يبساً، من شدة الجبن وسرت بدقتها في أوعية دمائهم، فشعرت منها بفتور ظنته وقوفاً من شدة الضعف فكان من حسبانها أنهم في نهاية العجز عن أعمالهم، والقيام بشؤونهم ؛ أو أنست منهم الركون الى المراتب التي نقلت عن معانيها الأصلية، وجردت عن مدلولاتها : كناظر. ووزير. ووال. وأمير. وهي أشبه بقباب عالية. إلا أنها خاوية خالية. فكان من زعمها أن أمراء الشرق شغلتهم بهرجة هذه الصور الظاهرية. حتى أنستهم منافعهم الحقيقية. وضرورات حياتهم الجنسية أو الملية. وقنعوا بما يشيده الوهم. ويزينه الخيال. هكذا ظنت كما تدل عليه أعمالها. ولم يكن ذلك معهوداً منها.

دخلت دولة الانجليز بلاد الهنديين ومدت عينها الى ما متعهم الله به من أراضيهم. وطمحت الى اختطافها من أيدي المسلمين. إلا أنها ذهبت مذهب اللين واللطف. وخفض جناح الذل. والظهور في ألبسة الخضوع والخشية. وصابرت على

هذا السير أزماناً تقطع مسافات كثيرة في مدة طويلة.

نعم كانت تتدرج في نقض أساس السلطنة التيمورية حجراً حجراً. وتتملك أراضيها قطعة بعد قطعة. لكن بدون تعرض للسلطنة الظاهرية ولا مس لنفوذها. كانت تغري الولاة من النوابين والرجوات. بالخروج على السلطان التيموري. ثم تنوب عنه بالعساكر الانجليزية والصينية للتغلب على الخارجين تحت اسم الملك. ولا تمس رسومه الملوكية بل تلقب نفسها خادمة مأمورة. هكذا كان سيرها. وهو المألوف من عوائدها.

أما في مصر فقد أظهرت مقاصدها لأول خطوة، باكورة أعمالها بعد دخول تلك البلاد غلّ أيدي الحكومة، ومعارضتها في جميع أعمالها وصدها عن تعاطي شؤونها، وربما كان يخيّل للناظر في حركات تلك الدولة أيام كانت تهيئ أسباب الفتنة السابقة ومساعيها لتقوية ثورة السودان. أنها تسلك سبيلها في الهند، ولكن يرى منعها السلطان العثماني عن المداخلة في إصلاح بلاده المصرية والسودانية. مع ماله فيها من الحقوق الشرعية والقانونية، منعاً صريحاً وفي معارضة ولاة مصر وحكامها في كليات الأمور وجزئياتها انها انحرفت عن مشربها وأخذت مذهباً غير مذهبها.

كليفور لويد مستشار الداخلية في مصر وهو بحكم وظيفته من الطبقة الوسطىٰ في مأموري الحكومة يتحكم علىٰ جميع الوزراء المصريين، ويعارضهم في تصرفهم ويضع للبلاد شرائع وقوانين من تلقاء نفسه، ويخالف توفيق باشا في أوامره (إلا أنه لايحسب عاصياً حتى ألجاوا نوبار باشا رئيس النظار[١] الى تقديم استعفائه بعد العجز عن مقاومته، وضاق صدر توفيق باشا من صلابته في آرائه، ولم تر الحكومة الانجليزية عزله وإبداله بغيره، وزعمت انها لو عزلته لأهانت تاج بريطانيا العظمىٰ ثم عالجت هذا الارتباك بتوجيه أوامرها الى كليفورلويد بأن يقف عند

---

١ ـ رئيس الوزراء...

حدود وظيفته ولا يتجاوز دائرة أعماله، التي تسمح له بها طبيعة الوظيفة وخصائصها المحدودة، وكان للظنون مجال لحسن الظن بدولة بريطانيا، غير ان جريدة التايمس كشفت القناع، ولم تبال بما يخدش خواطر الأمراء الشرقيين ازدراءً وامتهاناً، ومزّقت الستار الذي أقامته حكومتها حجاباً لمقصدها في إلزام كليفور لويد بما ألزمته فقالت: ان وزارة نوبار باشا مؤلفة من دمى (صور وتماثيل) نظمت في أسلاك أطرافها بيد الحكومة الانجليزية تحركها كيفما شاءت. فعلىٰ كليفور لويد أن يدير الشؤون المصرية بواسطة هذه الألاعيب. تريد ان الحل والعقد في جميع الأحوال انما هو للوزارة الانجليزية لكن من وراء الحجاب.. ثم اعترضت هذه الجريدة على إقامة هذا الحجاب فقالت: انه وان كان مفيداً إلا انّه يضرّ بمصالح انجلترا ومصر معاً (وكان على الحكومة الانجليزية ان تجهر بولاية الأحكام في مصر كما صرحت بذلك مراراً).

أسرعت دولة انجلترا في سيرها الى ماتروم في الأقطار المصرية، بل تهورت على خلاف عادتها وقد يكون مع المستعجل الزلل. لا نظن من الحكمة ما أتته من الاعمال في مصر وربما وجب عليها تدارك ما فرط منها. ان محمد أحمد شمخ أمره وعظم خطره وهو من ورائها لا عائق له في سيره. والقوى تجتمع اليه يوماً بعد يوم. وبعدما تراه في غير هذا المحل من أخباره جاءت أواخر الأخبار بأن المواصلات انقطعت بين القاهرة وبين بربر بالمرة. وان جماهير الثائرين يزيد عددهم حول مدينة بربر وقتاً بعد وقت لقصد محاصرتها. ويغلب على ظن الكافة انهم لابد ان يغيروا على المدينة بعد قليل ويلتحمون مع حاميتها بموقعة يكون فيها الفصل. وان مدير بربر أعياه الالحاح على الحكومة لتنجده بعساكر انجليزية ليفرجوا عن المدينة وينقذوا حاميتها وإلا هلكوا.

فما ركبته انجلترا من طريق التصرف في الادارات المصرية يخلف ظن المصريين فيها. ويقطع أملهم من وفاء وعودها. ويوجد عليها نفوس الأمراء منهم.

ويوغر صدورهم. ويحقق لدى العلماء ان من قصدها التصرف في ولاية بلادهم كما يتصرف الملاك فيلتجئون بحكم الضرورة الى تلبية محمد أحمد في دعوته أو مساعدته علىٰ بعض أعماله. أو تخاذلهم بين يديه وفتح الأبواب له ولا نظن ان انجلترا تخفى عليها ان علماء مصر هم اساتذة لعلماء المسلمين شرقاً وغرباً، وان الجامع الأزهر معهد العلوم الشرعية تسير اليه الركاب من جميع الأقطار. ويقصده المسلمون من كل ناحية لدراسة الدين وروايته. فلو حزبهم الأمر وأعوزهم الصبر ورأو ولاية الدين في قبضة من ليس منهم فمجرد اشارة خفيفة وايماء الى موافقة محمد أحمد سراً كان أو جهراً كاف لإيقاد نار الفتنة في جميع أرجاء البلاد الاسلامية، وتسابق القلوب الى الاعتقاد بالمدعي والتفاني تحت رايته. وليس في استطاعة دولة انجلترا ان تتصرف في أهواء القلوب ولا حركات الأفكار. وان اسلحتها الجديدة لا تبدد جحافل الخواطر. وشتان بين هذه الفتنة وبين التي يسمونها فتنة عرابية. نسأل الله العافية وحسن العاقبة.

الجرائد الانجليزية والعروة الوثقىٰ

لو نادينا الغافلين ان انتبهوا. والنائمين ان استيقظوا. واللاهين بحظوظهم أو أمانيهم أو أوهامهم ان التفتوا. ولو أنذرنا أهل مصر بأن الانجليز لو ثبتت أقدامهم في ديارهم لحاسبوا الناس على هواجس أنفسهم، وخطرات قلوبهم، بل على استعداد عقولهم. ولما عساه يخطر ببالهم. لقال الناس إننا نبالغ في الإنذار. ونغرق في التحذير . ولو بيّنا لهم ان الانجليز يؤاخذون الأبناء بذنوب الآباء. والأحفاد بجرائم الأجداد، ويطالبون الذراري بدفائن أسلافهم. وان لم يكن للخلف علم بما ترك السلف. لعدوا هذا البيان منا شططاً في المقال. وميلاً عن الاعتدال، ولو روينا لهم ان في قلوب الانجليز حقداً وضغينة على كل ايراني سواء كان من الأفراد أو الوجوه. ويسيئون معاملتهم حيثما وجدوا من بلاد الهند. ويمقتونهم مقتاً شديداً. لأن نادرشاه من ملوك العجم جاء الى الهند فاتحاً على عهد السلطنة التيمورية. واستولى على خزائن الأموال في دلهي. وأخذها الى بلاده قبل استيلاء الانجليز على تلك المملكة. بما ينيف عن قرن. ويعضون الأنامل من الغيظ. ويحرقون الأرم من الأسف على ما أخذه نادر من أموال دلهي. وحرمانهم من تلك الأموال. ويحملوا هذا الوزر على عاتق كل ايراني. لحسبوا ذلك منّا تعالياً ولو قصصنا عليهم ما يعامل به الانجليز رعاياهم في الهند عموماً والمسلمين خصوصاً. وانه يكفي لنفي عالم من علماء

المسلمين الى جزائر أندومان ان يعترف بانه معتقد ببعض آيات من القرآن. لأنكروا علينا ما نقول لبعدهم عن تلك الأقطار. وعدم وقوفهم على أحوالها. ولسنا الآن بصدد إقناع المصريين بما نعلم من أحوال الانجليز ولا نريد إقامة الدليل على ما نعرفه من أحكام سلطتهم. فلا نذكر ولا نبين ولا نحكي ولا نقصّ، ولكن نعرض عليهم نموذجاً من المعاملة لعله يكون للمتبصرين مرآة تحكي ما غيب عنهم من لوازم السلطة الانجليزية.

عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم بذلك بعض محرري الجرائد الفرنسية، فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبينين لمشربها، ولا كاشفين عن حقيقة سيرها، فلما وقف على الخبر محرروا الجرائد الانجليزية المهمة أخذتهم الحدة، واحتدمت فيهم نار الحمية، وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة في سياسة الانجليز. ونفوذها في البلاد الشرقية، ولجوا في إغرائها بها، وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة عن الدخول في البلاد الهندية والبلاد المصرية، بل تطرفوا فنصحوها أن تلزم الدولة العثمانية بالحجر عليها، كل هذا كان منهم قبل صدور أول عدد من جريدتنا وقبل أن يقف ولا واحد منهم علىٰ مذهبها السياسي، مع ان هذه الجريدة لم تنشأ لإثارة الخواطر ولا لإيقاد الفتن، وانما أُنشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين عموماً، والمسلمين خصوصاً، وتنبيه أفكار بعض الغافلين منهم لما فيه خيرهم. ولقد صدرت سالكة جادة الاعتدال، ذاهبة مذهب الاستقامة والعدل. كما يظهر لكل من اطّلع عليها، فليعتبر المعتبرون بهذا الإجحاف. والاعتداء والقصاص، قبل الجناية ومن كان سمندري الطبع فليهنأ له العيش في ظل ذي ثلاث شعب لا ضليل ولا يُغني من اللهب ولكن فلتعلم الحكومة الانجليزية اننا لا يعجزنا بثّ أفكارنا في البلاد الشرقية، سواء كان بهذه الجريدة أو بوسيلة أُخرىٰ، إذا دعا الحال، فإن أنصار الحق كثيرون.

عجز و مراوغة

طنطنت الجرائد الانجليزية ورجال السياسة في بريطانيا بنجاح الجنرال جوردون في مأموريته بعدما وصل خرطوم بأيام ثم انعكس الأمر عليها وأظهرت الجزع مما حل به من الخيبة في أعماله والإشفاق والارتجاف مما يتوقع نزوله من الخطر وأجمعت على ان ما يصيب جوردون من قتل أو أسر يكون وصمة في شرف انجلترا الى الأبد وعاراً عليها لايمحىٰ ولا مداركة لهذا الخطب العظيم إلا بإرسال العساكر الانجليزية الى خرطوم، إلا أنه في هذه الايام بعد العجز عن إرسال العساكر لم يعدم وزراء انجلترا أو رجال حكومتها عذراً للتملص من هذا العار الذي يلحق بهم فقال المسيو جلادستون وزير الحربية الانجليزية ان الجنرال جوردون لم يؤمر بالإقامة في خرطوم الى أجل غير محدود حتى يحتاج نجدة عسكرية تخلصه مما عساه يقع فيه، بل كان فيما أمر به أن يخرج من المدينة عندما يرى لزوماً لذلك. على ان الجنرال لم يطلب إعانة عسكرية فالوزارة الانجليزية لا تتحمل تبعة ما نزل بجوردون إلا بعد أن تقف على أفكاره ومطامع أنظاره. ولا وقوف لها الىٰ الآن على شيء منها، والأوامر التي أصدرتها اليه في الأيام الاخيرة لم يرد لها خبر عن وصولها.

ومن كلام وزير الحربية ان الحكومة الانجليزية تدبرت من أيام في إرسال

فرقة عسكرية الى بربر وبعد إمعان النظر في لزوم ذلك رأت عدم الإرسال أولى، وانهىٰ كلامه بقوله ان حكومته لم تأخذ على نفسها إعادة السلطة المصرية في السودان، ولا تقرير أي حكومة فيها وانها تلقي اليوم على نفسها كل تبعة توجه اليها في شؤون السودان، وأما سواكن فسيقام فيها حامية قليلة العدد الى ان يبرم اتفاق (بينهم وبين مصر) وكلام هؤلاء الوزراء قد لايخلو من غرابة فان منشورات جوردون التي نشرها بعد دخوله خرطوم على قبائل العربان ورسالته الى المهدي لم تنكرها الحكومة الانجليزية بل دافعت عنها ودفعت الاعتراضات التي وجهت اليها، وكان فيها أنه وال على السودان (بل سلطان) من قبل دولته والحكومة المصرية وأنه بما له من حق الولاية يمنح محمد أحمد لقب أمير كوردفان، ويبيح بيع الرقيق، ويدعو العرب الى الطاعة، فتلك المنشورات صريحة في أن بعثته كانت لإقرار حكومة في السودان، والمدافعة عن بعض الولايات فيه، وانه فيما يعمل مؤتمر لحكومته، وإلا كان كاذباً والحكومة دافعت عن كذبه رجاء ان ينجح فيه، فلما أخفق لم تجد بداً من البراءة منه.

وقالت جريدة التان الفرنسية ان وزير الحربية الانجليزية يدعى في مجلس العموم ان الجنرال جوردون لم يطلب نجدة عسكرية الى خرطوم، مع ان الأخبار التي وردت الى جريدة التايمس من مصدر يكاد يكون رسمياً ونشرناها من قبل تكذب ما قاله الوزير. وتؤكد ان والي خرطوم (الجنرال) كان منتظراً ورود العساكر الانجليزية اليه وقتاً بعد وقت وتحققت حاجته لذلك عند الكافة من أهالي لندن، حتى كان تدبر الحكومة في إرسال فرقة الى بربر، مبنياً على هذا لتفتح طريق مصر العليا، لكن أقعدها تصور ما تكابده الجنود من المشاق والمتاعب، بل ما يحل بها من التلف، وقد عرضت جريدة (البال مال جازيت) بالطعن على حكومة انجلترا ولوحت بلومها على ما اظهرته من العجز والمراوغة حيث قالت : فليعلم الجنرال جوردون ان الحكومة الانجليزية بعد اضرابها عن ارسال العساكر الى بربر يستحيل

عليها ان ترسل عساكر الى خرطوم وقالت ان المسيو بوير قنصل الانجليز في خرطوم كان ينتظر المدد العسكري يوماً بعد يوم وفي ظنه ان حكومته تسعفه بذلك لكنه يجب عليه الآن أن يعلم انها تركته وأصحابه ووكلتهم الى أنفسهم فعليه ان يتدبر في أمره بنفسه موقناً ان الحكومة الانجليزية تفضل اخلاء السودان وتعريض حامية المدن ومن فيها من رجالها لمدى اشياع محمد أحمد تفتك بهم على اعداد أي وسيلة لإنقاذهم، واتبعت قولها هذا بتهكم على الوزراء فقالت : من زعم ان ارسال جوردون الى السودان لم يأت بفائدة فقد أخطأ خطأً عظيماً، فإن أعظم فائدة ترتبت عليه بقاء الوزارة الانجليزية وصيانتها من السقوط فإن حياتها كانت موقوفة على سفره من لندن ولولاه ما خلصت من الخطر الذي كان محدقاً بها ولما بقيت في قيد الحياة الى الآن. وأنعم بها من فائدة جليلة لمصر وانجلترا فكفى الأمتين سعادة ان تهدر شقاشق الوزارة فوق المنابر.

هكذا تعتع المستر جلادستون وزملاؤه في الكلام على المسألة السودانية وسلكوا طريق المواربة وتبرأوا من تبعتها بعدما ساقوا اليها الجيوش والقواد بقصد اخماد الثورة وتقرير الراحة وهو قرار سياسي تبع الانهزام العسكري يكشف لنا عن قوة محمد أحمد ومنعته ويأس الدولة البريطانية عن ملافاة أمره وان نيتها الاقتصار على التحصن فيما دون حدود مصر الطبيعية بل على الحلول في مصر السفلى حتى تحفظ القنال، وتتصرف في أراضيها الخصبة، وتقف على أبواب التجارة، ترقب حركات المارة، وتشيّع الذاهبين والآيبين ما بين الشرق والغرب، وتقنع بالتحكم في بعض الضعفاء من المصريين، وانا لا نعلم ماذا تكون العاقبة اذا أصبح السودان بأسره في حوزة محمد أحمد واعتصم في قاعدة تلك الاقطار الشاسعة، ولا عاصم له إلا بالإيغال في سيره وبثّ دعوته بين جميع القبائل العربية، بما يستطيع من الحيل أو القوة. أفلا ينتهي بعد هذا الى سوق جيوشه الكثيفة الى حدود مصر العليا، ربما، بل يغلب على الظن انه يفعل ذلك، فإن لم يفعل فهي شعلة الثورة تسري

بطبعها وتضطره الى اقتفاء اثرها.

جاءت الاخبار من أيام ان الثائرين قطعوا خطوط التلغراف بين أسوان وكورسكو وأين كورسكو من أسوان. هي على مقربة منها والمسافة بينهما كما بين قنا وأسوان. وفي أخبار أخرى ان للهيجان والتحرش للخروج أثراً ظاهراً في أطراف مصر العليا فإذا قدر الله وصارت حدود مصر العليا معاراً للحركات الحربية وهو مما لاتبعده الحوادث فهل يبقى المصريون وقبائل العربان في الفيوم والبحيرة والشرقية وجميع أنحاء القطر المصري علىٰ سكونهم بعدما رأوا من ضعف الانجليز وعجزهم ما رأوا وبعدما يشهدون سيلاً قوياً ماؤه من مائهم ينصب اليهم وبعدما حرجت صدورهم وضاقوا ذرعاً من تصرف الانجليز في حكومتهم، يغلب علىٰ الظن ان ماهم من سرعة الاعتقاد بالظافر خصوصاً ان كان قائماً بدعوة دينية وما ضاقت به صدورهم من الاستبداد الانجليزي وما ذاقوه من آلام الفقر والفاقة والذل والهوان من نحو سنتين وما يتوقعونه من رزايا دينهم ودنياهم في المستقبل اذا رسخت قدم الانجليز في مصر كل هذا يبعثهم على تقبّل دعوة الداعي بقبول حسن وانحيازهم اليه.

اذا جاء هذا الوقت وهو ليس ببعيد فربما نجد انجلترا في مصر أفغاناً أخرىٰ وتخشى من ظهور عجزها فتوارى خلف بعض من الحيل والتعللات وتستدعي من المسلمين من يكون قوّي الشكيمة شديد البأس، لتقرير السلم وتمكين الراحة، وتعود الى جزائرها راضية من السلامة بالإياب، ولعل ذلك غير بعيد على العقل، والىٰ الله المآب.

انجلترا والجيش

وردت الاخبار ان الأميرال هفيت وصل الى مصوع حاملاً هدايا ثمينة الى ملك الحبشة وكنا في العدد السابق بيّنا ماذا يريد الأميرال من مواصلة الملك يوحنا، وان الدولة الانجليزية بعدما فشلت عساكرها في سواحل البحر الأحمر وعجزت عن تجهيز جنود جديدة تسوقها الى أواسط السودان التجأت للاستنجاد بملك الحبشة واستمداد مساعدته على مسلمي السودان، وكان حسن ظننا بدولة متمدنة كدولة بريطانيا يمنعنا من التصديق بعزمها على إثارة حرب خشنة، لكن من الأسف ان الإفادات التي وردت هذا الأسبوع تؤكد ان انجلترا عازمة على النكاية بالمسلمين في السودان، من حيث هم مسلمون لا لإطفاء ثورة، ولا لترويج مدنية، وفي الظن ان هذا هو الذي بسط يدها بالهدايا الثمينة تتحف بها ملك الحبش، وإلا فخلائقها من حيث هي دولة تجارية لا تسمح لها بهذا السخاء، وتنهاها عن البذل إلا أن ينقد لها الربح اضعافاً مضاعفة، أي ربح لها أعظم من توددها الى دولة خشنة ترمي بها طائفة من المسلمين بغية الفتك والنكاية حتى تخيف بذلك بعض من تخشى بأسهم من أبناء ملتهم، على إنا لا نزال في ريب من نجاح مسعاها ولو أنها نجحت في إقناع ملك الحبشة بالتهور في حرب مع السودانيين فما عساها تسمي هذه الحرب، لا نرتاب في انها ليست لكسر شوكة التوحش ووضع قواعد المدنية، فإن أحد

المتحاربين لايمتاز عن الآخر في أخلاقه وعوائده وأفكاره، بل ربما كان السودانيون بما استفادوه من الحكومة المصرية مدة سنين أقرب الى المدنية من الحبشيين، ولا يمكن ان تكون حرباً للفتح وتوسيع الملك فإن الحبشة لا مطمع لها في توسيع ممالكها الى الجهات الغربية من السودان ولم يعهد لها ذلك في التاريخ، وغاية ما كانت تبتغيه أن تكون حدودها الطبيعية محفوظة من تعدي جيرانها عليها، فلا اسم لهذه إلا الحرب الدينية تذكر الملل بما كاد يمحى أثره من المحاربات الصليبية، وتوقد في الأفئدة نار التعصب الديني، فلو فتحت دولة انجلترا باب هذه الفتنة أفلا تحترق قلوب المصريين بهذه النار، وهل ترجو هذه الدولة من بعد ذلك أن يستقر لها قدم بينهم، وهل تأمن أن يثور سكان جزيرة العرب تحت هذا العلم الذي يظل ملايين كثيرة تعلم انجلترا عددها وتحسّ بحاجتها الى مسالمتها، نظن ان حكومة بريطانيا تسعى باختباطها هذا الى ما لا محيد لها عنه، وتجتهد في تقريب البعيد وما كان أغناها عن هذا كلّه.

رأي المستر بلونت في المسألة المصرية

(انجليزي حرّ ينصف المصريين)

ان مستر بلونت الذي اشتهر بمحبة المسلمين والمدافعة عن المصريين، لما رأى ما وصلت اليه المسألة المصرية من الارتباك واشتداد الخطب فيها على حكومة انجلترا وصعوبة تدارك الخلل الذي عرض لها تدبر في حل للمسألة ونشره في التايمس فأحببنا نشره في جريدتنا مجملاً وهو :

على الحكومة الانجليزية ان تتفق مع سائر الدول على جعل البلاد المصرية مستقلة في إدارتها (يريد بذلك ان يكون حكامها منها لا من دولة أجنبية) ويكون الكافل لهذا الاستقلال جميع الدول بدون امتياز قوانين التصفية، واختصاصات الأجانب يجب تعديلها. كل مسألة يقع فيها اختلاف فلا يكون انهاؤها إلا باتفاق الدول الأوربية، تحكم فيها بما تشاء لاينبغي أن يكون في الجندية ضباط من الأجانب وقنال السويس يلزم ان يعتبر طريقاً عاماً يشترك فيه جميع الأمم ويكون تحت رعاية الدول جميعاً. يجب أن تكون إدارة البلاد بيد حكومة يقيمها الأهالي بانتخابهم.

بريطانيا تمسح ظهر توفيق باشا

قالوا ان زنجياً أسود، هائل المنظر، غليظ الشفتين مقلوب المشفرين جاحظ العينين أحمر الحدقتين بشع الوجه، أفطس الأنف، منكر الصورة وكان يحمل ولداً في ليلة مظلمة يسير به في زقاق من أزقة بغداد، والولد كلما نظر اليه يفزع ويبكي وينتحب ويصيح ويعول وكلما اشتد به الفزع مسح الزنجي ظهره وقال له: لا تخف ياولدي فإني معك وأنيسك وحافظك من كل شر، وبعد تكرير هذه الملاطفات من الزنجي للصبي قال الصبي : ياسيدي إنما خوفي وفزعي منك لا من وحشة الظلام !!!

هذا شأن حكومة انجلترا مع المصريين. كلما اشتدت الخطوب وعظمت المصائب وزاد الخلل في البلاد المصرية، مسحت حكومة بريطانيا على ظهر توفيق باشا ووزرائه بيدها الناعمة (وانما هي نعومة الثعبان) وأقبلت على الأهالي تمنيهم بوعودها المرونقة، وتقول لهم : لا تحزنوا فإني معكم وجميع المصريين من توفيق باشا الى وزرائه الى عامة الأهالي يجأرون وينادون إنما خوفنا وجزعنا منك، وراحتنا واطمئناننا بتنحيك عنّا وتركنا وشأننا.

اضحوكة

قال مستشار خارجية انجلترا لبعض سائليه في مجلس البرلمان ان الجنرال جوردون عندما أجاب محمد أحمد على بلاغه الاخير لم يخاطبه بلقب سلطان كوردفان، بل عنون الجواب بلفظ شيخ، وبناء على هذا فقد صار لقب سلطان كوردفان الذي منحه له الجنرال جوردون لاغياً، يعني ان محمد أحمد خلع من سلطنة كوردفان عندما طمح نظره الى خرطوم وطلب من الجنرال ان يدخل في دين الاسلام، لكن محمد أحمد لم يتمتع بتلك السلطنة اللفظية لأنه لم يقبلها عند عرضها عليه فلا يحزن من هذا الخلع الجديد، أليس بعجيب ان يسمع من أفواه رجال سياسة بريطانيا مثل هذه المهملات، بعدما قيل فيهم أنهم من أدهى رجال العالم، ولعل الأضاحيك من أساليب السياسة عندهم.

المسألة المصرية والانجليزية

ان للحكومة الانجليزية شأناً في المسألة المصرية يخال للناظر فيه انها في تردد بين احجام وإقدام وان مقارعة الآراء واختلاف الاهواء، يزداد بين سكان بريطانيا، كلما ازدادت الخطوب شدة في مصر، نعم ان أرباب الرأي في الامة الانجليزية فريقان فريق منهم يدفع حكومته الى الاعلان بسيادتها على الديار المصرية واستلام إدارتها، وبعبارة اخرىٰ الى ضمها لأملاكها ويحملها بذلك على غمط حقوق الدولة العثمانية وأهالي القطر المصري والاستهانة بحقوق الدول جميعاً، وهذا فريق الجمعيات والشركات المالية ويذهب بعضهم بعض الوزراء وينصر آراءهم عدة من الجرائد أشهرها جريدة التايمس واشتدادهم في صخبهم ونعيرهم نبه الأفكار وأقلق الخواطر في الأمة الفرنسية فانطلق لسان جرائدها بالوعيد والتهديد وصرحت الجرائد الوزارية منها وجرائد الأحزاب الجمهورية وهي ذات السلطة في البلاد الفرنسية بأن حكومة فرنسا وان كان غضت طرفها عن أعمال انجلترا في القطر المصري من يوم حملتها عليه الى الآنَ ولكنها لاتهمل شيئاً من مصالحها وحقوقها وجميع الدول الأوروبية تعززها وليس لانجلترا في مصر ما تمتاز به عن بقية الدول، ومن الجهل ان يظن سياسي في المسألة المصرية انها مصرية أو انجليزية أو فرنسية فإنما هي مسألة أوروبية وقد اقتربت الساعة التي تجهر فيها

الدول بالمدافعة عن حقوقها في الأقطار المصرية، ان للدول حقاً في التداخل لحل هذه المشاكل بعدما عجزت انجلترا عن القيام بما تعهدت به من اقرار الراحة في مصر فإن الفوضى في هذه الأيام أشدّ منها في زمن الحركة المعروفة بالعسكرية وفتنة السودان تلاطمت أمواجها على حدود مصر والهواء الأصفر (الكوليرا) أن تكون له رجعة الى تلك البلاد السيئة الحظ وما هذا كله إلا من آثار الحلول الانجليزي في وادي النيل. أما إن أرادت دولة انجلترا ان ترسم بسيادتها أو ترفع أعلام حمايتها على القطر المصري فما للدول من حق التداخل يصير فرضاً لازماً وضربة لازب لا محيص عنها. إلا ان كل هذه التهويلات لم تعدل بذلك الفريق الانجليزي عن مقصده ولم تتحول به عن مشربه فلا تزال جرائدهم تنعق بطلب الحماية على مصر وهم في عمى عن العوائق والموانع التي تصد حكومتهم عن الانصياع اليهم.

أما الفريق الآخر من الأمة الانجليزية ومنهم وزير داخلية انجلترا ومستر جلادستون فيما يقال فيظهرون التعفف والنزاهة بل يصرحون في خطبهم بأن حكومة بريطانيا لاتستطيع احتمال إدارة البلاد المصرية وليس في إمكانها ضمها الى أملاكها ولو همّت بذلك لرأت من الدول أشد الممانعة وربما رجعت بالخيبة ؛ على انها تكون قد سنت سنّة سيئة في نقض العهود، وإخلاف الوعود، وفتحت للدول هذا الباب، باب الشر والعدوان. هذا ما ينطقون به على منابرهم ويزعمونه نبأ عما في خواطرهم، ولكن هؤلاء المتعففون لهم في كل وقت عمل لتمكين أقدامهم في مصر، ولا يخالفون الفريق الأول إلا في شقاشق الألسن، هؤلاء هم الذين حولوا الإدارات المصرية ودوائر حكومتها العليا الى السيرية، واستلما زمام العسكرية والمالية وإدارة الداخلية والمحاكم القضائية وتصرفوا في أعمالهم تصرف الملاك، فاستبدوا علىٰ المتوظفين من المصريين، وغلوا أيديهم عن تعاطي أشغال وظائفهم، حتىٰ آل بهم الأمر الى ما صرحت به الجرائد الانجليزية من أنهم اشباح ورسوم تلوح بين جدران الدواوين غدوة وعشيا، هؤلاء هم الذين يحاول نوابهم ومأمورهم في القطر

المصري ان يلزموا أهاليه بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية انجلترا وسيادتها عليهم وان لم تنجح الحيلة، هؤلاء هم الذين هموا الآن بتغيير نظام المالية المصرية ورغبوا الى الدول في عقد مؤتمر بلندن لتغيير قانون التصفية ويريدون ان يجعلوا ذلك ذريعة للاتفاق مع الدول على ان تكون الديون المصرية بأسرها تحت ضمانتهم لتقوم لهم الحجة في الاستيلاء على مصر بعد زمن قصير أو طويل أو ليمهّدوا به طريقاً لمن يخلفهم في الوزارات الانجليزية ينتهي بالسير فيه الى تلك الغاية بعينها وما طلبوا الماجور بارين وكيلهم السياسي في القطر المصري إلا ليحضر هذا المؤتمر.

هذا ما يهيئه الانجليز لأنفسهم ولكن ماذا تعده الحوادث لهم، كتبوا على أنفسهم تخفيف مصائب الحكومة المصرية في السودان، وعقدوا لقوادهم الألوية، وأعدوا لهم العدد، وكتبوا الكتائب فسفكت دماؤهم؛ بعدما ضل سعيهم، ظنوا ان بعض رزاياهم في سواحل البحر الاحمر فرصة للاستيلاء على السودان الشرقية، فبعد الجهد ومعاناة الكفاح من عراة العرب تمكنوا من الرجوع بالخيبة، قنعوا بالاعتصام في حصون القاهرة وما يليها فأزعجهم دوي السيل المندفع عليهم من الجهة الجنوبية، وإغارة ثائرة السودان على شندى وافتتاحها، واشتداد الحملة منهم على بربر وخرطوم، وزادهم خوفاً ورهبة انتقاص كثير من القبائل على مقربة من وادي حلفا وأبي حمد وأوشكت طائشة الفتنة ان تأخذ بقلوب الأهالي فيما تحت أسوان، وأفزعهم ما أحسوه من أهالي القاهرة ومصر السفلى من تحوّل القلوب وضيق الأنفس، حتىٰ اضطروا لزيادة الحرس فيها، مع ان زيادة المعهود في المصريين انهم أهل السلم والراحة. قصدوا بكل هذا حماية طريق الهند خوفاً على الهند فبعدما ورد الينا من أصدقائنا في لاهور ان لدعوة محمد أحمد في قلوب الهنديين منزلة وانه لو لم يكن مهدياً فالضرورة قاضية عليهم باعتقاده كذلك عسى ان يكون في هذا الاعتقاد جمع لكلمتهم على التخلص من رقّ الانجليز، جاءت البرقيات شاهدة على صدق ما كتب الينا، ففي الاخبار البرقية ان رجال الشرطة في سملا وجدوا اعلانات

ملصقة على جدران المدينة مما كتب فيها إغراء المسلمين بإجابة دعوة محمد أحمد والقيام بنصرته، وسملا هي في آخر الممالك الهندية الانجليزية من جهة الشمال الشرقي على القرب من لاهور، وهذا ما كنّا نخشاه ونبهنا عنه مراراً. وربما تكون هذه الصدمات الشديدة التي صدعت انجلترا بعد استفحال أمر محمد أحمد كافية في اذعانها بأن عاقبة الثورة السودانية أشد خطراً عليها من عاقبة الحركة التي سمّوها عرابية.

رام الانجليز بكل هذه الاحتياطات المقيدة ان يقرروا الراحة في مصر فإذا الأموال تنهب، والحقوق تضيّع، والإدارات في فساد والتجارة في كساد، والزراعة في بوار والظلم في اشتداد والأمن مسلوب حتى الأرواح والأعراض كل هذا باعتراف جرائدهم ووزرائهم وشهادة الجرائد المصرية الوطنية وإجماع السياسيين في أوروبا على ان الشقاء الذي ألم بأهل مصر بعد تداخل الانجليز، ناشئاً عن هذا التداخل، لم يرزأوا به في زمن من الأزمان من عهد محمد علي الى الآن. فأنعم بهذه الوسائل التي أعدها الانجليز لتقرير الراحة في مصر وأجمل بالوسائط التي استعملوها لحماية الهند !!!

هذه بدايات القلاقل وبوادر المخاطر التي نشأت من شدة احتراس الانجليز وحرصهم على وقاية أملاكهم أو توسيعها يظهر من جعجعتهم اذا صاح بهم داعي الحرب وحيرتهم من أين يجندون الجنود هل من الهند أو انجلترا ومن موازينهم العسكرية ان ليس لهم قوة برية لحفظ الممالك الواسعة فكيف يستطيعون التصرف في مصر لو سادوا عليها وهي كما قال وزير داخليتهم تحسب مملكة أوروبية لاتسود فيها الأوهام ولا تدوم فيها سلطة الحيل ان لم يكن من المصريين فمن الأوروبيين وأي قوة تصون لهم الهند من فتنة اذا امتد زمن الاضطراب في مصر وقد جاءنا من اخبار الهند ان عموم المسلمين في هياج ويخشى ان تثور فيهم ثائرة عندما يتقدم محمد أحمد خطوة أخرى.

هذه العواقب السيئة وما يتوقع من مثلها أو أسوأ منها لدولة انجلترا إنما هي حلقات في سلسلة أغلاطها من استيلائها على قبرص فإنها اختلست تلك الجزيرة لمراقبة طريق الهند فنافستها فرنسا واستولت على تونس فتخوفت على قنال السويس ان يساق اليه جيش بري من أفريقيا الغربية فسعت في الايقاع بين الجند والحاكم في مصر وتذرعت بذلك للغارة عليها فنزل بها في تلك ما نزل.

وبعث ذلك دولة فرنسا على ما بلغنا من مصدر يوثق به الى السعي في طريق يوصلها الى مناكبة الانجليز في مصر على الحدود الغربية وربما جرت هذه المنافسات الى فتح المسألة الشرقية وليس بقليل ما يصيب انجلترا من مضار هذه المسألة فأي ثمرة جنتها انجلترا مما غرسته في هذه السنين الأخيرة، لا هي صانت باب الهند من الخطر كما تروم ولا هي سكنت قلوب الهنديين، وانما طرقت أبواباً كانت مغلقة ويوشك ان تفتح، ولئن فتحت فإنها تحدث زلزالاً في أركان العالم بأسره هذا شأن الانجليز وما يفعلون.

ويوجد اناس لهم مداخل في تقلب الاحوال المصرية ولهم مذاهب مختلفة في ترويج مقاصدهم لدى المصريين يمنونهم بالخلاص من أيدي الانجليز إذا آل اليهم السلطان في مصر، بل يؤكدون لهم أنه لو ثبتت أقدامهم في الديار المصرية لأحبطوا مساعي انجلترا في عموم البلاد الشرقية، وسعوا في تقليص ظلها من المشرق بأسره، أخذاً بثأرهم منها فهؤلاء سنأتي على أحوالهم، ونبين طرق سيرهم في أعمالهم، حتى يكون ذوو الآمال فيهم على بصيرة من أمرهم.

هول الأمر على جوردون

أخبر مراسل التايمس في خرطوم ان تلك المدينة اصبحت معسكراً لأعوان الثورة ومضاربهم محيطة بها من جميع الجوانب والمقذوفات من نيران أسلحتهم تنقض على دار الحكومة بلا انقطاع والمؤونة في نقصان والخطر يشتدّ يوماً بعد يوم وبعد افراغ الوسع في اختراق صفوف الثائرين بالمراكب تسير الى بربر لفتح طريق المخابرة مع حاميتها حبط العمل وخاب السعي فإن قوة العربان على شواطئ النيل تصول على المراكب بأسلحتها القاتلة وتفتك بمن فيها، واتبع هذا الكلام بقوله ان الجنرال جوردون عقد العزيمة على ان ينجو بنفسه من طريق افريقيا الوسطى حيث تحقق ان حكومته غير مهتمة بإنقاذه، ويرى انه لا سبيل الى الاتفاق مع القبائل التي أخذت عليه طريق بربر إلا بمساعدة زبير باشا (اليوم يضطر لمساعدة زبير باشا) وهو من أعدائه ولا نرى الزبير إلا مسلماً لو سمحت ذمته بإنقاذ حياة جوردون فلا تسمح ان يكون السودان ولاية انجليزية وفي جريدة (الأكسترابلات) ان الحكومة الانجليزية ورد اليها كتاب من جوردون.

مفاده : ليس في طاقة أحد من البشر ان ينجينا من الخطر لأننا محاطون من جميع الأطراف بالقبائل الثائرة فلم يبق لنا سوى التضرع الى الله بتبديد شملهم فإن لم تسعفنا العناية الالهية بإجابة دعوتنا فلا ريب ان تلك القبائل تنهب وتفتك بجميع

سكان خرطوم قبل وصول نجدة انجليزية الينا. (وليته سأل الله تعالى حل المسألة السودانية وفوّض اليه الأمر فيها وأراح نفسه من السفر الى خرطوم) وجاءت الاخبار الأخيرة بأن مدينة شندي وهي علىٰ النيل في منتصف الطريق بين بربروخرطوم وقعت في أيدي رجال محمد أحمد، هذا بعد ان طلب الجنرال جوردون من حكومته ان ترسل فريقاً من الجيوش لتخليص حامية تلك المدينة وموظفي إدارتها ؟ ورأت الحكومة من الصواب أن لا ترسل فلما ضاق الأمر على الحامية ويئسوا من القدرة على الدفاع ركن فريق منهم يبلغ ثلاثمائة شخص الى الفرار واندفعوا على صفوف محاصريهم لعلهم يجدون من بينها سبيلا فلم يستطيعوا ونزل بهم من أمر الله مالا محيد عنه. بعث الجنرال جوردون ببرقية الى القاهرة يشكو فيها عدم وصول الأخبار اليه من السير بارين (وكيل انجلترا السياسي في مصر) قالت التيمس ولعل البرقيات التي بعث بها بارين اليه تناولها الثائرون ومن كلام هذه الجريدة ان الحكومة الانجليزية أرسلت الجنرال الى السودان وفوّضت اليه الأمر فيما يفعله ليصيب بتدبيره غاية حسنة ونرى ان هذه الحكومة غلت يديها بترك الجنرال وشأنه مما يلحق بها عاراً عظيماً.

اشتدت حملة القبائل على بربر وخارت عزائم حاميتها وسكانها وأخذ اليأس بقلوبهم. ووردت برقية من مدير بربر الى الوزارة المصرية يشكو بها تلك الحالة ويقول انه لايمضي بضعة أيام حتى يفتحها الثائرون ويحل بها من أيديهم ما حل بمدينة شندي. وبعد هذا جاءت برقية من القاهرة مفادها ان نوبار باشا يخشى ان يمتد لسان الفتنة الى اسوان في وقت قريب وانا نشاركه في هذا الخوف ونزيد عليه الإشفاق من التهاب النيران في القاهرة، وأطراف القِطر المصري ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

محاولة في مصر

كل يوم يظهر من انجلترا شأن جديد في معاملة الشرقيين والطرق التي تأخذهم بها لقضاء أوطارها من بلادهم، وتلاعبهم وتداعبهم وتجاملهم وتلاطفهم، وتعدهم وتمنيهم وتخيفهم وتؤمنهم، حتى تشتبه عليهم مسالك الفكر، وتلتبس مسارح النظر، ثم تحملهم بعد الدهشة على قبول سلطتها والرضا بولايتها، بل على طلب ذلك منها، والتماسه من كرمها، وهي في كل أعمالها تهزأ بهم وتحسبهم في عداد الصبيان القاصرين، أو من قبيل البهائم التي لا تعقل. سلكت مسلكها هذا على بعض من أوروبا وانفردت في الأقطار الهندية النائية، وليس لدولة من الدول إحاطة بما تجريه في حكومتها لتلك البلاد، ثم تطرفت في هذا المشرب فعمدت الى استعماله في مصر تحت أنظار أوروبا وقصدت ان تدعو المصريين للاقرار بحمايتها، ورفع التماسهم إليها لعل كرمها يسمح بمنحهم شرف سيادتها عليهم، لكن الحيلة لم تذهب على المصريين ولم تختلس عقولهم تلك الشعوذات، فقد جاء في خبر مؤكد ان مأموري الحكومة الانجليزية في مصر حاولوا تكليف الأهالي بتحرير محضر يلتمسون فيه حماية دولة انجلترا ليكون التماس الاهالي حجة لديها عند الدول تقيم بها عذراً في إخلاف وعودها، حتى اذا حاسبوها على تصرفها في أرض مصر وضمها الى أملاكها تدّعي انها مضطرة فيما تصنع والأهالي هم الذين رغّبوا اليها ذلك وهي لا تأبى قبول رغبتهم رحمة بهم ورأفة، هكذا تحاول ان تفعل في مصر وهي متاخمة لأوروبا وفيها من الأوروبيين المختلفي الأجناس ما يزيد على مائة ألف، ولا تخشى لائمة ولا تخاف عاقبة، وان ظننا بالمصريين على اختلاف طبقاتهم انهم لن يفعلوا ذلك ما دامت أرواحهم في أبدانهم.

رأي الجرائد الفرنسية في الانجليز

ارتفع الستار وانهتك الحجاب عن ضعف الحكومة الانجليزية ووهن عزيمتها في المسألة المصرية، ولم تبق فيه ريبة لمرتاب بين الدول الأوروبية وانطلقت عليها الألسن وسلت عليها سيوف الملام، من ذلك ما هـزأت بـه جـريدة (الريـبوبليك فرانسيز) وسخرت فيه بدولة انجلترا عند كلامها على فصل نشر في جريدة (البال مال جازيت)، قالت : ان ما تهددنا به الجرائد الانجليزية لا تأخذنا منه رهبة ولا ترعدنا منه خيفة، بعد أن رأىٰ الفـرنسيون عـجز حكـومة بـريطانيا عـن حمـاية جوردون وعلموا ان عدداً من عرب السودان اخترق صفوف الجيوش الانجليزية المنظمة وما كان لهم سلاح إلا العصي والخناجر، وان فرنسا لاتـزال تـطلب مـن انجلترا ان تعيد اليها ما فقدته من حظ السلطة في شواطئ النيل، وما ظهر من عجز انجلترا وضعفها القاضي بالحيرة والعجب لايخفف سوء تأثيره إلا بمساعدة فرنسا. قعد كليفورلويد من المصريين مصاعد الأنفاس وخنقهم بخناق من الجـور وصـار فيهم خلفاً لعرابي (كذا) ونعم الخلف والى القوة الفرنسية فك هذا الخناق الضيق الذي كاد يقطع أنفاس المصريين، أما أوروبا فتستريح خواطرها ويسكن اضطرابها بعدما أقلقها ضعف الانجليز الذي لا دواء له ومطامعهم التي لا حد لها... اهـ فهل انكشف للشرقيين ما وضح لدى الأوروبيين أو لا يزالون عنه غافلين.

❊ ❊ ❊

خديعة جديدة

أقبل الانجليز أيام الحركة السابقة على بعض المصريين وزخرفوا لهم الأماني وزينوا لهم المواعيد، حتىٰ استعملوهم لتذليل المصاعب بين أيديهم، لدخول مصر والاستقرار فيها بعساكرهم، وتم لهم ما أرادوا ثم قلبوا لهم ظهر المجن تحت أستار الحجج والتعللات، وقبضوا على زمام الحكومة المصرية يصرفونها كيف يشاءون: ولما أرادت الدولة العثمانية بما لها من الحق القانوني على تلك البلاد أن تتولى حل المسألة التي كان يعبر عنها بالعسكرية، وان ترسل بعض جيوشها لإقرار الراحة في بلادها طبقاً لرغبة رعاياها، مانعها الانجليز وكفوا يدها عن العمل وسبقوها اليه بدون حق شرعي ولا أصل سياسي ولا رغبة عامة من أهالي القطر المصري، واليوم عند اشتداد الخطب على الجنرال جوردون الانجليزي وعجز حكومته عن انقاذه وتوقيف حركة محمد أحمد ألجأتهم الضرورة الى الرجوع لما نبهنا عليه مراراً من ان هذه الفتن لايطفئ شعلتها رذاذ السياسة الانجليزية، وتمنوا لو تتداخل الدولة العثمانية ببعض عساكرها في السودان لتنقذ الجنرال جوردون وتأخذ بناصية محمد أحمد وتبدد شمل أحزابه، هكذا رأى الجنرال في هذه الأيام ان أنجع الوسائل لحل المشكل تحسين جيش عثماني وسوقه الى تلك الأقطار فكتب الى صديقه صامويل بيكر يرغب اليه ان يتقدم لأرباب الثروة في انجلترا وأمريكا ويحملهم على بذل مائتي

ألف جنيه ليعرضوها على السلطان العثماني حتى ينفقها على ألفين أو ثلاثة آلاف من العساكر التركية، ويسيرها الى نواحي بربر وشندى، ويكون بهـذا إنهـاء المسألة السودانية وهدم سلطة محمد أحمد، وقال أنه مما يعود نفعه على السلطان أيضاً.

يريد الجنرال ان يخدع العثمانيين بتمثيل منافعهم، كـما خـدع أمـثاله بـعض المصريين وحاشاهم ان ينخدعوا لمثل هذه التخيلات الوهمية، ومن العار عليهم ان يقبلوا ما يتكففه الجنرال جوردون من صدقات أهل الثروة في بلاده للـنفقة عـلى عساكرهم، وأشد العار ان يذهبوا بجيوشهم لتدويخ بـلادهم وإخـضاعها لسـلطة الانجليز والعساكر الانجليزية حالة[١] بحصون مصر، نعم لو أذعن الانجليز بما للدولة العثمانية من الحق وتركوا لها بلادها وفوّضوا اليها إعادة الراحة فيها وإخمـاد فـتنة السودان، فلا تخال الدولة تتأخر عن القيام بما يفوض اليها بل هو ما تتمناه وتسعى اليه، ولعل الحوادث تلجئ دولة بريطانيا الى مثل ما لجأ اليه جوردون فتسلم الأمر لمالكه[٢]، وما ذلك على الله بعزيز.

---

١ ـ مرابطة في مراكز مصر الاستراتيجية.

٢ ـ يظهر الأفغاني نواياه هنا بجلاء... فهو يطلب الخلاص من بريطانيا واحتلالها لمصر... ويعوض مصر الدولة العثمانية لتحل محل بريطانيا !!... مرة اخرىٰ هكذا كانت الدول تلعب بمصر...

دسيسة أُخرىٰ

هيأ الانجليز فتنة فكانت، وأغاروا على مصر بحجة إهمادها وأوثقوا الدول على ان تكون اقامتهم في الديار المصرية الى ان تستقر الراحة فيها ثم يخرجـون، لكنهم بعدما حلوها لايزالون يسعون من يوم وطئوها الى اليوم في إيـقاظ الفـتن ويجهدون لإقلاق الخواطر، ليقدموا ما يكون من هذا عذراً لدى الدول في تطويل مدة إقامتهم بالقطر المصري لعلهم يجدون من تقلبات السياسة الاوروبية فـرصة للحلول الأبدي. ومن ذلك ما سولوا للأروام ان يحتفلوا بعيد استقلالهم على نمط لم يسبق له نظير في الأقطار المصرية من قبل، وزينوا لهم ما فعلوا بما يقدرون عليه من طرق الخفية حتى انخدع الأروام لوساوسهم مع أنهم أحق الناس برعاية الأدب وما كان مثل ذلك من مأموري الانجليز في مصر إلا ليقلبوا أفكار المصريين ويحركوا الضغائن في نفوسهم ويذكروهم بما كان بينهم وبين اليونانيين أيام ابـراهـيم بـاشا فيوقظوا بذلك الفتنة بين سكان القاهرة وبعض المدن المصرية وبين من يساكنهم من الملل الاجنبية، ويعيدوا تاريخ بعض الحوادث المشؤومة التي كادت تمحى دواعيها بعدما حدث من نحو سنتين ثم يجعلوا ما يحدث من اختلال علة لدوام الاحتلال أو التسويف في الجلاء.

الورطة الجديدة

التوى سير السياسة الانجليزية في المسألة المصرية، وقزلت[1] الوزارة الجلادستونية في المضي الى نهايتها فسقطت مراراً ونهضت مراراً، وآل بها الأمر بعد هذا الى عجز عن اداء ما تعهدت به للدول وللدولة العثمانية من إصلاح الأحوال المصرية، وفزع شديد من عقبى هذه الفتن التي تداعت لها أركان النظام المصري. فلجأت الى الدول الأوروبية تستعين بها على تخفيف الوزر، والتمست منها عقد مؤتمر في لندن وتعللت في دعوتها الى الاشتراك معها في الأمر بفراغ الخزينة المصرية لكثرة النفقات والنقص في الإيراد فلايمكن بقانون التصفية الذي وضع باتفاق من الدول العظام إلا انها شرطت على الدول ان تكون المداولة في المؤتمر منحصرة في المسائل المالية ولا يجوز لهم ان يتعدوها الى ذكر شيء آخر في الأحوال المصرية الحاضرة أو الماضية، أما الدول فقد قبلت الدخول في المؤتمر على شرط مبهم وهو ان نوابهم يبحثون فيما يبحث فيه المؤتمر إلا دولة ألمانيا فإنها لم تجب الى الآن جواباً رسمياً ويغلب على الظن في الدوائر السياسية انها تتبع في جوابها دولة فرنسا واتفقت على ذلك أغلب الجرائد الالمانية وزادت دولة فرنسا في جوابها ان طبيعة المسائل التي يجري فيها البحث ربما لا تقف بالباحثين عند حد النظر في المالية، بل

---

١ ـ قزلت بمعنى سارت كما يمشي الأعرج... أي تدهورت سياستها...

تنجر بهم الى ذكر كثير من المشاكل المصرية الحاضرة.

أما هذا فلم يكن خافياً على انجلترا فإن النظر في المالية مع الاضطراب الواقع في الديار المصرية وتزعزع أركان السلم فيها لا تخلو نتيجته من أحد أمرين : إما تقدير الايراد والمصرف بمبالغ محددة وتخصيص شيء معين من الإيراد لوفاء فائدة الدين مع تخفيض الفائدة مثلاً ثم يوضع قانون تمضي عليه الدول كما فعل قانون التصفية وهذا مما لا يتصوره العقل فإن عساكر الحلول الانجليزية لم تزل في أرض مصر ومصاريفها على الخزينة المصرية ولم يعلم أجل إقامتها ولا مبلغ عددها والفتن قائمة في الجهات السودانية والحكومة المصرية مكلفة بتوقيفها عند حد لايخل براحة البلاد ولهذا العمل مصاريف ونفقات لايمكن تحديدها ولا تقديرها، فكيف يمكن للوصول الى تعيين النفقات وإحصائها على وجه منضبط والاضطراب الداخلي والاختلال المتفشي في الإدارات ودوائر الحكومة العليا والدنيا الذي حدث بتخلل الانجليز فيها وقف حركة الاعمال النافعة من زراعة وتجارة وصناعة فكيف يمكن ضبط الإيراد على نمط يعرف ويؤلف فلم يكن غرض انجلترا من الدعوة الى المؤتمر أن يصل الى مثل هذه الغاية التي لا أهمية لها مع بعدها.

* * *

الأمر الثاني ان ينساق البحث في المسائل المالية والنظر في الإيراد والمصرف الى ما يلزم لاستقرار الراحة في مصر من العساكر وتطلبه من النفقات وما يستدعيه إطفاء فتنة السودان وما تحتاج اليه المحاكم الجديدة وغير ذلك مما تعرضه انجلترا وتبين للدول ان مالية مصر ليس في طاقتها ان تفي بجميع هذه النفقات الواسعة ولو كلفت بأداء بعضها فضلاً عن كلها لحق الضرر بأرباب الديون فأحسن وسيلة للتخفيف عن المالية المصرية مع حفظ الحقوق لأربابها ان تكون الديون المصرية تحت ضمانة انجلترا وهي تؤدى فوائدها في أزمانها. تطلب من الدول بعد هذا أن تفوض اليها التصرف في الأقطار المصرية، وتأخذ التبعة على نفسها في بذل الأموال وقتل الأرواح وهذا الذي يمكن ان تفعله انجلترا بعد عجزها وربما مست حقوق

الدولة العثمانية في مطاليبها هذه إلا أن التلغرافات نقلت الينا ما يتحدث به في الدوائر السياسية بالاستانة وهو ان الدولة العثمانية ستشترط لقبول انتظامها في المؤتمر شروطاً صعبة يعز على انجلترا قبولها لينكشف الستار عن مقاصدها في مصر، ومن جملة تلك الشروط ان تستبدل العساكر الانجليزية المحتلة في مصر بعساكر عثمانية لأن نفقات الجيوش العثمانية أقل من نفقات الجيوش الانجليزية وهذا هو ما يؤمل في الدولة العثمانية في هذه الأوقات وأنها فرصة لو فاتت فقل ان يأتي مثلها وللدولة العثمانية بسلطتها على قلوب المسلمين شرقاً وغرباً قوة ترتعد منها فرائص الانجليز فأمل أوليائها اليوم ان تستعمل تلك القوة الفائقة وتجعل لها أثراً في استرداد حقوقها، وعندنا ان رجال الدولة العثمانية لا يغفلون عن هذا. أما الحكومة الفرنسية فقد عقدت عزيمتها على مطالبة انجلترا بإعادة نفوذ الفرنسيين في مصر كما كان قبل المراقبة والجرائد الفرنسية على اتفاق في تبيين خلل السياسة الانجليزية وبيان سوء مقاصد الانجليز والالحاح على حكومتهم ألا تعترف بأدنىٰ امتياز بسبب ما فعلته في واقعة التل الكبير وهذا ما ترتجف منه الجرائد الانجليزية عموماً وتخشىٰ عاقبته ونظنها أسوأ عاقبة عليهم.

هذا ما يتعلق بورطتهم الجديدة التي يظنون فيها خلاصهم وبقي عليهم ما لا نظن ولا يظنون لهم منه نجاة. دخل الثائرون مدينة بربر كما أنبأت به أواخر الأخبار ولعبت عواصف الفتنة بأطراف مصر العليا وأكدت أخبار البرقيات أنها لم تقف عند حدها، بل حركت السواكن في مصر السفلى ووراء ذلك من الويل ما وراءه فأين الخلاص لدولة انجلترا. نعم لمعت بارقة حق في عقول بعض ذوي الرأي من رجالها فطلبوا أن تكون العساكر التي تبعث الى مصر مؤلفة من عثمانية وانجليزية وهو نوع تقرب لما قلناه مراراً من أن هذه الفتن لايدفع غائلتها إلا المسلمون ولكن عليهم أن يخلصوا آراءهم من الشائبة الانجليزية وإلا فلا نجاح، والله يفعل ما يشاء.

* * *

العروة الوثقىٰ توزع مجانا!!!

تأتي في فصولها على أهم ماله أثر في أحوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً فلا تلام إذا أطنبت في مسألة شرقية عامة ولا إذا أغفلت ذكر بعض أخبار من أمريكا وجابونيا.

نبهنا في أول عدد صدر منها على ان القائم بها رجال من أهل الغيرة في الشرق هموا بأعمال تفيد أوطانهم وملتهم مع رعاية جانب العدل والسير على وفق الحكمة، ومن ظن ان توزيعها مجاناً يقتضي أن تكون منسوبة لدولة من الدول أو شخص من ذوى المطامع في إمارة أو ملك فإنما نشأ ظنه هذا من اليأس المستحكم في نفسه والقنوط من نهوض همم بعض المسلمين بعمل صغير كهذا، ولا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون.

هذه جريدة لا سعة فيها للتنابذ والتقاذف، ولا يذكر فيها اسم شخص أو لقبه إلا إذا كان له قول أو عمل يفيد البحث فيه فائدة عامة.

رياض باشا والسياسة الانجليزية

نقل الينا وذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراى توفيق باشا بالقاهرة حضره وزراء الحكومة المصرية ودعى اليه شريف باشا ورياض وسلطان باشا وعمر باشا ولطفي باشا وخيري باشا وثابت باشا. وأغلب الجرائد الفرنسية المهمة اتبعت رواية الخبر بالثناء على رياض باشا وأتت من وصفه على أفضل ما يوصف به رجل في أمته. ومما ذكرت من صفاته أنه أقوم أمير في الديار المصرية وأشدهم حرصاً على الاستقامة وانه أبصر أهل بلاده بعواقب الحوادث التي ألمت بمصر وما تؤول اليه. وكان يرى من بداية تلك الحوادث ان سيكون مصيرها الى ما لاخير فيه للبلاد وسكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية أعضاء المجلس وأننا نذكر الخبر أولا ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره.

بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا وافتتح الكلام بخطاب وجهه الى الحاضرين فقال : ماذا ترون من التدبير اذا فرضنا ان مدينة خرطوم وبربر ودنقلا دخلت في حوزة محمد أحمد وأشياعه، وأي طريقة يمكن الأخذ بها لحفظ الأمنية وتقرير الراحة في مصر العليا (الصعيد) فأعجب الحاضرون بالسؤال وظهرت على وجوههم علائم الاستغراب لمفاجأته لهم بما لم يكونوا يتوقعونه ثم أجابوه بصوت واحد ان لا سبيل الى تأمين البلاد من خطر الفتنة إلا باستعمال القوة، فقال نوبار.

باشا إنّا نروم منكم التصريح بنوع القوة التي يجب استخدامها (أي قوة انجليزية أو مصرية) فأجابه رياض باشا ان تعيين القوة من خصائصكم وليس من شأننا ان نتكلم فيه : فأبدع في الجواب بعض الحاضرين (لا نعرفه وربما يكون من محبي أوطانهم) وأحسن في التشبيه حيث قال الذي نعرفه ان العجة لاتكون بدون بيض (العجة طعام يصنع من البيض مع بعض النبات يعرف اسمه عند المصريين وأغلب العرب، فمادة هذا الطعام انما هي البيض) فأراد العضو المحترم انه لو أُريد استخدام قوة فلا بد ان يكون جوهرها عساكر انجليزية ولا بأس بإضافة بعض من الجنود المصرية لتكون ترساً يدفع به في وجوه المحاربين وتنصب اليه قوتهم فإن حصل العجز ودعت الضرورة للفرار أمكن للجيوش الإنجليزية ان تعود سالمة أو إذا أضيف مصريين فلابد ان يكونوا حمالين وخدماً أو حرساً وحفظة لمن يكون معهم من ساداتهم (هذا ما أراد جناب العضو من تشبيهه البليغ) بعد هذا قال رياض باشا انكم تسألوننا تعيين القوة ولكني أسألكم ماهي القوة الموجودة عندكم وبأي حق يؤدى لكم ٤٨ ألف جنيه في كل شهر، أأنتم حكومة أم لا. أما شريف باشا فقال أنه بذل جهده مدة طويلة في أرضاء الحكومة الانجليزية بأن ترسل جيشاً انجليزياً الى السودان (وهذا مما يقضي بالعجب) ولكنه علم ان نوبار باشا أراد أن ينهي المسألة بإخلاء الأقطار السودانية فقال نوبار باشا ان المباحثة خرجت عن موضوعها وتحولت عن وجهها ولكني أذكر الأعضاء المجتمعين بأنهم ما طلبوا إلا لإبداء آرائهم فيما يجب العمل به، فأجابه رياض باشا ان لكم مجلس شورى فكان أحق ان تذاكروه وأنا للآن لا نعرف سبباً لاستدعائنا مع وجود ذلك المجلس، فحاول نوبار باشا دفع ذلك بقوله ان مجلس الشورى ليس من خصائصه النظر في مثل هذه المسائل. فقال رياض باشا انه لا يرجى اصلاح مادام العمل جارياً على ما وضعه اللورد دوفرين مما سماه نظاماً وانه لا ثقة له بأصل من أصول ذلك النظام وليس في الإمكان إجراء ولا واحد منها وان الأغلاط التي كانت منشأ للضعف والاختلال لم

يرتكبها إلا دولة الانجليز وان ما نراه من الفوضوية وارتكاب المـنكرات وكـثرة التعدي والسرقات لم تكن له علة إلا السياسة الانجليزية، فعلىٰ انجلترا ان تعالج هذا الداء وليس ذلك علينا ولقد قلت هذا مراراً وبلغته للورد دوفرين وشريف بـاشا وكنت أود أن أرى اللورد دوفرين مرة أخرىٰ لأذكره بما جرى من الحديث بيننا وأعرض عليه مصره المنتظمة، إلا ان شريف باشا أتى بما لم يكن يرجى منه حيث دافع عن نظام دوفرين بقوله ان الاصلاح يحصل تدريجياً، كأنه يريد بما يقول ان ما حوته شريعة اللورد دوفرين يصلح ان يكون شريعة يعود من العمل بها على أهالي القطر المصري شيء من الفائدة وما كنّا نظن ان مثل شريف باشا يرى مـثل هـذا الرأي بعد وصول الأمر الى ما وصل اليه. بعد هذا قال رياض باشا اني لا أفهم لفظ بروتكتور[1] (حماية) ولا أعلم ماذا يراد منه ولكني لا أرىٰ وسطاً بين أمرين أما ضم البلاد الى الحكومة الانجليزية فتستلم انجلترا إدارة أمورها وتتولى شؤونها كلية كانت أو جزئية، وهذا هو الذي أفهمه من تلك العبارات، واما ترك البلاد لأهلها فيأخذ بزمام السلطة فيها رجال من أهاليها واليهم الحل والعقد في إدارتها فانتحلوا مذهباً من المذهبين فإن القول بحل وسط بينهما ضرب من الجنون ١ هـ

وليس بعجيب ان يصدر مثل هذا الكلام من رياض باشا فعهدنا به رجل ذو حياة وطنية واحساس بما يلزم لحفظ حياته هذه، وهي أشرف أنواع الحياة، فـإن تكلم فإنما ينثر الكلام منه إرادة ناشئة عن فكر تثيره قوة حيوية وكـان أمـلنا ان يوجد من طرازه كثير في الأقطار المصرية يصدعون بما يصدع به خصوصاً بعد ما نزلتهم هذه الحوادث المريعة ومثلت لهم مستقبل بلادهم في حـاضرها ولقـد أدى الرجل حقاً واجباً عليه والقائم باداء الفريضة قد يشكر اذا أهملها المكلفون بها حتى صارت عندهم من نوافل الأعمال أو في منابذ المكاره، ولكن يأخذنا العجب مـن بقية أعضاء هذا المجلس الموقر كيف جمجموا أو تلكأوا أو سكنوا وكـيف وسـعتهم

---

١ ـ PROTECTORAT

القدرة على إمساك ألسنتهم عن التعبير بما في ضمائرهم. إنا لا نعلم أحداً منهم تجنس بالجنسية الانجليزية وحاشا جميعهم من ذلك، ولا يختلج في صدورنا ان مصرياً أو تركيا أو شرقياً أيّاً كان يميل ميلاً صادقاً الى تسلّط الأمم الأجنبية على بلاده أو يخلص في خدمة الانجليز ومجاراة رغائبهم اخلاصاً صحيحاً خصوصاً أولئك الأمراء المصرح بأسمائهم، بل لو كشف الحجاب عن قلب كل واحد منهم لرأيناه ذائباً من الأسف في ما حل ببلاده وفانياً من الحزن على ما نزل بوطنه من تردد جيوش الأجانب بين أطرافه ومضمحلاً من الكدر على ما عقبه حلول القوة الأجنبية من انقباض الأنفس وانقطاع الآمال وعموم الاختلال وشمول الفقر والفاقة وبطلان حركة الأعمال، بل لو شاء القلم ان يعبر عن حالة الأمير منهم عندما يطرق أذانه أخبار التصرف الانجليزي في إدارات حكومته وكفّ أيدي الموظفين من أبناء ملته من أداء ما يجب عليهم لبلادهم وبسطة أيدي أولئك الأجانب في الإنفاق من ماله ومال عياله وأقاربه وأحبائه وجميع مواطنيه بدون حق شرعي ولا مصلحة وطنية أو عندما يرىٰ غنياً أعدم وعزيزاً ذل وكاسياً عرى وحباً أشرف على الهلاك من ضغط المظالم، ولو نهضت قوة البيان لشرح ما يظهر على وجهه من ألوان الكمودة وفي أعضائه من أنواع الرعدة وما ينبض به قلبه وما يحدثه فكره من هواجس الهموم وخواطر الغموم لما استطاع القلم تعبيراً ولوقفت قوة البيان دون الإتيان على قليل من كثير. هذا هو الذي لا يبرأ منه أحد منهم ولو أقام على البراءة ألف برهان. كيف لا وهم يعلمون أن عزتهم وسيادتهم وما بلغوا من مراتب الشرف والرفعة انما كان بوصف قيامهم على أعمال البلاد وأهليتهم لاستلام مهامها واستعدادهم لإدارة شؤون الرعية وهم على يقين بأنه لو ساد في ديارهم أجنبي فلا داعي ببعثه الى حفظ ما هم من الشرف والسيادة، بل له من البواعث القوية ما يحمله على تذليلهم وإهباطهم الىٰ أحط المنازل ليخلفهم على مثل ما كانوا عليه. فما الذي أمسك بألسنتهم عن الكلام !! هل الخوف، فمن أي شيء يخافون وما الذي يخشونه

على أرواحهم أو على بلادهم اذا قالوا حقاً وثبتوا عليه ؟ ماذا يصنع بهم الانجلترا اذا علموا صدقهم في محبة أوطانهم واتفاق كلمتهم على الرغبة في انقاذها، هل علموا من عدل الانجليز انهم يؤاخذون الناس على إبداء آرائهم اذا دعوا الى المشورة. ان كان هذا فما يبتغون من الحياة. هل ظنوا ان الانجليز اذا احسوا باتفاق في الآراء على مصلحة من مصالح البلاد وان كانت في خروجهم من مصر يستطيعون تحت أعين أوروبا أن يوصلوا ضرراً الى المتفقين وهم أمراء البلاد وأعيانها. ان رياض باشا وحده لم يخش من إظهار فكره، فماذا كان يضرّ الأمراء الوطنيين لو عززوه أو كاتفوه على مثل رأيه. قد علم العقلاء من كل أمة ان اشباه هذه الحوادث تكون سبباً في اجتماع الكلمة واتحاد الرأي على مصادمتها وما نراه اليوم من سعادة الأمم العظيمة انما كان منشؤه ملمات الشقاء التي أنستهم الضغائن والأحقاد وحملتهم على ترك المنافرات الخصوصية وأخذ كل بيد أخيه لدفع ما يخشىٰ منه على بناء الأمة ان ينصدع وأساس الملة ان ينقلع وما سمعنا من أمة اتفقت فخابت ولا ملة افترقت فنجحت.

ألا يعلم أمراؤنا أن أوروبا واقفة بالمرصاد لإنجلترا تترقب لها الزلل وتتمنى لها الغلط وان جميع الأسماع في الممالك الأوروبية مصغية لكلمة يتفق عليها وجهاء المصريين وهي انّا قادرون على اصلاح شؤوننا ولا نريد قوة أجنبية تحل في ديارنا.

امتدت أعناق السياسيين في أوروبا وانحنت الى المصريين ليسمعوا منهم كلمة حتى كلت رقابهم والتوت أعصابهم والمصريون يشحون بها عليهم. ماذا ينتظر الأمراء المصريين في قول الحق ان الأمم لاتطلب منهم اشهار السلاح ولا بذل الأرواح ولكن تطلب منهم قولاً صريحاً لايجلب اليهم ضرراً ولا يقرّب منهم خطراً لا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

السودان

قدمنا في العدد الماضي أن مدينة بربر في حالة يخشى عليها من السقوط في أيدي الثائرين وجاءت أخبار هذا الأسبوع أن حاكم المدينة، بعد إلحاح طويل على الحكومة المصرية في إرسال نجدة عسكرية اليه، لم يحز طلبه قبولا فإن الوزارة الانجليزية لم تر ذلك صواباً وبناء على ما رأته الحكومة الانجليزية صدرت الأوامر الى الحاكم (حسن باشا خليفة) ان يخلي المدينة بما يمكنه من السرعة، فشرع في اخلائها متقهقراً بالحامية جهة الشمال الى كوروسكو وبعث بفرقة من عساكره عددها مائة وخمسون جندياً لتسبقه الى حيث ينتهي في رجعته وبعد أيام يرسل ما بقي منها طبق الأوامر التي وردت اليه وفي الظن أن إخلاء المدينة لايتم بدون كفاح وقتال وسفك دماء ومع هذا كله فمن أمل الحاكم أن يتم له إنقاذ الحامية جميعها وإرسالها الى كوروسكو قبل وصول رسل محمد أحمد نحقق أن أربع فرق من العساكر الإحتياطية (باشبزوق) مع خمسمائة عسكري مصري (كلهم من حامية بربر) إنحازوا الى أشياع محمد أحمد ويخشىٰ أن الثائرين بعد استيلائهم على بربر يحاصرون جملة مدن في وقت قريب.

قالت جريدة التايمس الانجليزية : ثارت جميع القبائل وأهالي البلاد فيما وراء بربر ولا يمكن ان يوجد رسل يجرأون على المسير الى خرطوم لتوصيل المراسلات

وان عرض عليهم من النقود أعلى ما يمكن من المبالغ، وقالت تلك الجريدة ان الاخبار الأخيرة الواردة من مصر تؤكد لنا ان قلوب الأهالي (المصريين) طافحة من الغيظ والحنق علىٰ الانجليز وانه لا يوجد في مصر من يحب ان يرى انجليزياً يخطر في بلاده (هذا الذي قلناهُ مراراً فالحمد لله أقره الخصم وارتفع النزاع) ثم اتبعت كلامها هذا بأنه لايوجد في مصر الآن شيء يصح ان يخبر عنه سوى (اختلال واضطراب) فما عليه مصر اليوم يمكن ان يعبّر عنه بهاتين اللفظتين وان المخابرات مع خرطوم أصبحت من قبيل المستحيلات، ثم قالت نعم ان الحكومة الانجليزية صرحت بأنه لايمكنها إرسال عساكر الى السودان قبل مضي أربعة أشهر، ولكن عليها أن تنظر في واسطة أخرىٰ لإزالة ما جلبته على مصر من الفوضىٰ.

أنجح الوسائط ترك البلاد لأهلها وتفويض الأمر فيها لصاحب الحق القانوني على تلك البلاد ومن له المنزلة العليا في قلوب جميع الأهالي، فتسكن له القلوب وتخمد نيران الفتن، ولعل التايمس بعد أيام قلائل ترجع الىٰ موافقتنا على تأكيد بغض المصريين للانجليز وقد تنكره علينا من خمسة وعشرين يوماً وتبالغ في ميل الأهالي لسيادة الانجليز عليهم.

* ذكرت الجرائد ان جاسوساً وقف على عزيمة عثمان دجمة في جهة سواكن فجاء وأخبر بأنه مستعد ان يزحف بألفي مقاتل الى هندوب لقطع الطريق وانه بعد ذلك لايقف دون الهجوم على حدود سواكن بشدة عنيفة.

* جاء في جريدة التان ان دخول الثائرين في مدينة بربر وان لم يتحقق الآن بطريقة رسمية إلا ان ما أخبر به وكيل انجلترا السياسي في تلك المدينة يقطع كل ريب ويزيل كل شك في ان الخطر نازل بها لا محالة فإن قسماً من حاميتها فرّ لطلب النجاة والباقي انضموا الى صفوف الثائرين جهرة وأنا نرى حلول أشياع محمد أحمد بمدينة بربر يهيئ لهم أن يطئوا قلب مصر العليا وليتهم يكتفون بهذا ولكن ستطمح أنظارهم الى مصر السفلىٰ. وان ضباط الحامية المصرية في أسوان وردت اليهم مكاتيب من

أحد زعماء الثورة بناء على أمر محمد أحمد ينذرهم فيها بسوء العاقبة ويـتوعدهم بالقتل والذبح ان لم يتركوا المدينة قبل عشرة أيـام، ثم قـالت تـلك الجـريدة إذا اجتمعت قوة محمد أحمد عند الشلال الأول فلابد حينئذ أن ينظر في كيفية الدفاع عن القاهرة !!!

هذا الذي كنّا نتوقعه ونخشاه من قبل وأشرنا اليه مـراراً، جـلته الحـوادث ونطقت به الجرائد الفرنسية والانجليزية ولم يبق إلا إلتفات تلك الجرائـد الى دواء هذه العلة وعلاج هذا الداء الذي كاد يكون عضالاً وتنبه حكوماتها للنظر في ذلك بعين الدقة والتبصر وترشدها الى ان العلاج الذي ليس وراءه علاج انما هو تسليم الأمر لذوي الحق فيه والعارفين بطرق تصريفه من المسلمين، وستراها بعد أيام تتبع هذا السبيل المستقيم.

فرصة سانحة

دخل الانجليز مصر فزعموا أن ما كان موجوداً من الجند الأهلي نفخت فيه روح العصيان فلا يصلح للأعمال العسكرية فطردوه ثم اختاروا من الأهالي جنداً جديداً في عدد قليل واستلم الرئاسة عليه ضباطهم البارعون وبعد أشهر أثنوا عليه بحسن النظام وسرعة النجاح وطنطنت بالإطراء عليه جرائدهم ولم نلبث بعد هذا أن رأيناهم يسارعون الى طرد الجند الجديد، فهموا بذلك مراراً مع العزم على عدم استبداله بآخر من أبناء الوطن وكلما صدتهم بعض الموانع السياسية عن همـمهم، كتموا أمرهم زمناً ثم عادوا للاشارة اليه تعللاً بما ينسبونه الى بعض العساكر وهو من دسائسهم وآخر الأمر خفتت أصواتهم وأحسوا بعجزهم عن الاستبداد بطرد الحامية الوطنية وعلموا ان لابد فيه من مشورة الدول.

في هذه الأيام رغبوا الى الدول في عقد مؤتمر للنظر في قانون التصفية وتحويره ووضع نظام للمالية المصرية يخفف عنها بعض أثقالها فصرحوا في لائحتهم المرسلة الى حكومات أوروبا بضرورة طرد الجند الوطني رعاية للاقتصاد وبلزوم تخفيض فائدة الديون المصرية.

ان الانجليز من ست سنوات جعلوا بعض الضيق في المالية المصرية ذريـعة للانقلاب العظيم الذي حصل في مصر وألزموا الدولة العثمانـية بمـجاراتهـم في ذاك

الانقلاب ودافعوا عن الدائنين وزعموا من المحال تنقيص شيء من الفوائد وطلبوا من الحكومة المصرية إذ ذاك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود ما يصرف لحقوق الدائنين واليوم عطفوا على المصريين (عطفة الأب الرحيم) وبسطوا أيديهم الى الدول يلتمسون مساعدتها لتخفيف الفائدة مع محو حاميتهم الوطنية. أليست البلاد المصرية كسائر بلاد العالم تحتاج الى حامية تحفظ حدودها من الخارج وتصون داخلها من الغوائل التي لا يأمن طروقها حكومة من الحكومات. إن في تلك القسوة الأولىٰ والمرحمة الثانية لسراً عظيماً.

للانجليز في مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم في الهند وفي خلدهم أن المصريين لو كانت لهم ثروة مالية وقوة عسكرية عظيمة فإنهم يمانعونهم فيما يريدون ببلادهم، فضيقوا على المالية في تلك الأوقات وألجأوا الحكومة لتمزيق قوتها العسكرية ليحصل الضعف في القوتين المالية والجندية فتمهد لهم طريق ما طمحوا اليه وكان هذا التدبير سبباً في الإنقلاب الذي تبعته هذه الحوادث الهائلة وبعدما فتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخلة في مصر طفقوا يسعون بما جبلوا عليه من الهوينا في المضي الى مقاصدهم لإيجاد عنوان غير التملك يعنون به إقامة عساكرهم ومأموريهم في تلك البلاد زمناً طويلاً، ويكون وضع ذلك العنوان برأي الدول تملصاً من الوعد الذي وعدوها به مع ترقب حوادث السياسة في أوروبا لعل حادثة منها تساعدهم على ابدال العنوان بما هو المطلوب لهم ورأوا من أحسن الوسائل لدعوة الدول اليهم عرض المسألة المالية.

ولما كان من المحتوم في آرائهم بقاء عساكرهم في الديار المصرية فلابد من طلب وسيلة لطرد الجند المصري حتى تكون الحاجة الى عساكرهم قائمة، هذه طريقة ربما خفيت على المصريين وغفل عنها كثير من الأوروبيين إلا أنها من الطرق المتعارفة عند الانجليز وهي التي سلكوها في البلاد الهندية ونالوا بسلوكها السلطة المطلقة على تلك الأقطار الواسعة بدون سفك دماء غزيرة ولا مقاومة فتن شديدة.

دمر الانجليز (دخلوا بلا استئذان) على الهنديين في أراضيهم وانبثوا بينهم فتمكنوا من تفريق كلمة الأمراء وإغراء كل نواب أوراجا بالاستقلال والانفصال عن السلطنة التيمورية فتمزقت المملكة الى ممالك صغيرة ثم أغروا كل أمير بآخر يطلب قهره والتغلب على ملكه فصارت الأراضي الهندية الواسعة ميادين للقتال واضطر كل نواب أوراجا الى المال والجنود ليدافع بها عن حقه أو يتغلب بها على عدوه، فعند ذلك تقدم الانجليز بسعة الصدر وانبساط النفس ومدوا أيديهم لمساعدة كل من المتنازعين وبسطوا لهم إحدىٰ الراحتين ببدر الذهب وقبضوا بالأخرىٰ علىٰ سيف الغلب. بدأوا قبل كل عمل بتنفير أولئك الملوك الصغار من عساكرهم الأهلية ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال ثم أخذوا في تعظيم شأن جيوشهم الانجليزية وقوادها وما هم عليه من القوة والبسالة والنظام حتى اقتنع كل نواب أوراجا بأن لا ناصر له على مغالبه إلا بالجنود الانجليزية فأقبل الانجليز على أولئك السذج يضمنون لكل صيانة ملكه وفوزه بالتغلب على غيره بجنود منتظمة تحت قيادة قواد من الانجليز ويكون بعض الجنود من الهنديين وبعضها من البريطانيين وما على الحاكم إلا أن يؤدى نفقتها ثم خلبوا عقول أولئك الأمراء بدهائهم وبهرجة وعودهم ولين مقالهم حتى أرضوهم بأن يكون على القرب من عاصمة كل حاكم فرقة من العساكر لتدفع شرّ بعضهم عن بعض وصار الانجليز بذلك أولياء المتباغضين وسموا كل فرقة من تلك الجنود باسم يلائم مشرب الحكومة التي أعدوها للحماية عنها ففرقة سموها (عمرية) وأخرىٰ سموها (جعفرية) وغيرها سموها (كشتية) ارضاء لأهل السنّة والشيعة والوثنيين.

ولما فرغت خزائن الحكام وقصرت بهم الثروة عن اداء النفقات العسكرية فتح الانجليز خزائنهم وتساهلوا مع أولئك الحكام في القرض وأظهروا غاية السماحة، فبعضهم يقرضون بفائدة قليلة وبعضهم بدون فائدة وينتظرون به الميسرة حتى ظن كل أمير ان الله قد أمده بأعوان من السماء وبعد مضي زمان كانوا يومئون

الى طلب ديونهم بغاية الرفق ويشيرون الى المطالبة بنفقات العساكر مع نهاية اللطف فإذا عجز الأمير عن الأداء قالوا إنا نعلم ان وفاء الديون والقيام بنفقات الجنود يصعب عليكم ونحن ننصحكم أن تفوضوا الينا العمل في قطعة كذا من الأرض نستغلها ونستوفي منها ديوننا وننفق من غلاتها على الجيوش التي أقمناها لكم ثم الأرض أرضكم نردها اليكم عند الاستيفاء والاستغناء وإنما نحن خادمون لكم. فيضعون أيديهم علىٰ غضروات[1] الأراضي وفيحائها وفي أثناء استغلالها يؤسسون بها قلاعاً حصينة وحصوناً منيعة كما يفعلون ذلك في تكن (أماكن إقامة العساكر) عساكرهم على أبواب العواصم الهندية، وفي خلال هذا يفتحون للأمراء أبواباً من الإسراف والتبذير ويقرضونهم ويقتضون قرضهم بالقيام على أراض أخرىٰ يضمونها الىٰ الأولىٰ ثم يحضون نار العداوة بين الحكام لتنشب بينهم حروب فيتداخلون في أمر الصلح فيجبرون أحد المتحاربين على التنازل للآخر عن جزء من أملاكه ليتنازل لهم الثاني عن قطعة من أراضيه وهم في جميع أعمالهم موسومون بالخادم الصادق والناصح الأمين لكل من المتغالبين.

وبعد هذا فلهم شؤون لا يهملونها في إيقاع الشقاق بين سائر الأهالي لتضعف قوة الوحدة الداخلية ويخرب بعضهم بيوت بعض حتى اذا بلغ السير نهايته واضمحلت جميع القوى من الحاكم والمحكوم وغلبت الأيدي فلا يستطيع أحداً حراكاً. ساقوا الحاكم الى المجزرة بسيوف تلك العساكر التي كانت حامية لهواقية لبلاده وكانت تشحذ لجز عنقه من سنين طويلة وينفق على صقالها من ماله ثم خلفوه على ملكه وكانوا يميلون بقوتهم الى أحد أعضاء العائلة المالكة ليطلب الملك فيخلعون المالك ويولون الطالب على شريطة أن يقطعهم أرضاً أو يمنحهم امتيازاً فيحولون الملك من الأب للابن ومن الأخ لأخيه ومن العم لابن أخيه وفي الكل هم الرابحون. هذا سيرهم في الهند وهو على بعد من مراقبة أوروبا. ما فاجأوا أحداً

---

١ ـ معناها أخصب الأراضي.

بحرب وما اختطفوا ملكاً بقوة مغالبة بل ما أعلنوا سيادتهم على مملكة صغيرة ولا كبيرة إلا بعدما أيقنوا أن لا قوة لحاكمها ولا أهليها ولا بما تطرف به أجفانهم.

أولئك الانجليز باقعة[1] العالم وأحبال الحيل يريدون اليوم طرد العساكر المصرية وأرض مصر لا تحرسها الملائكة فلا تستغني عن حامية فإن تم ما أرادوا زينوا لبعض ذوي السلطة في مصر أن يطلب منهم جنداً انجليزياً يكون خادماً له وحافظاً لملكه فإن لم يقبل داروا بحيلتهم تحت أستار التمويه على كل من له حق في الولاية على تلك البلاد يعرضونها عليه حتى يعثروا بمن يقبل نصحهم أو غشهم ذهولاً عن حقيقة القصد فيقيمونه حاكماً خلفاً لمن لم تسمح ذمته بالقبول وتكون رغبة المغرور حجة لهم عند أوروبا. هذا سرّ انقلاب الإنجليز على الجند الوطني وقدحهم في سيرته بعد الثناء علىٰ حسن استعداده وسعيهم الى طرده بالأدلة الواهية والعلل الواهنة.

أما المؤتمر فالداعي اليه ان العدوان في هذه الأزمان لا يأتيه المعتدون كما كان في الأحقاب الخالية مشوّه الوجه منكر الصورة يعرفه الذكي والغبي بل من أراد عدواناً فلابد ان يحفّه بمواكب من الأدلة وحفال (جمع) من البراهين وهو ما يعبرون عنه بالحقوق والمصالح وما أصعب الوقوف على كنه العدوان وهو في هذه الحيلة وتلك الهيئة الجميلة.

يريد الانجليز عقد المؤتمر ويرغبون قصر المداولة فيه على المسألة المالية ليضمنوا ديون القطر المصري ويكفلوا للدائنين أداء حقوقهم ويأخذوا على أنفسهم عهدة الإنفاق على الإدارات المصرية مدة من الزمان لترخص لهم الدول الإقامة في وادي النيل الى أمد، فيكون تفويض الدول حجة لهم في التصرف وإدارة شؤون الحكومة المصرية ما دام السلم مظلاً بلاد أوروبا فإذا حدث حادث حرب في الدول الأوروبية وما هو ببعيد الوقوع تربعوا في تلك البلاد وأناخوا بكلاكلهم وضربوا

---

١ ـ باقعة بمعنى داهية من الدواهي.

بجرانهم على أراضيها وألقوا عصاهم. هذا سر شفقة الانجليز على المصريين وهو سرّ رغبتهم في وقوف المؤتمر عند شؤون المالية.

هذه المصيبة العظمىٰ والداهية الدهماء التي تتحفز لتنقض على المصريين، هل تمس بحفيفها جانب ألمانيا، كلا. فإن منافع ألمانيا الحقيقية لا تعلق لها بالمسائل المصرية وهي في الشغل بما هو أهم منها وليست دولة استراليا بأقرب المصائب المصرية من ألمانيا على ان كلاً من الدولتين ليس في استطاعتها تأييد فكرها بالعمل، لو مست الحوادث المصرية شيئاً من مصالحها فإن مواقع الدولتين لا تساعدهما على الاضرار بدولة الانجليز أما إيطاليا فهي ساكنة الجأش بما تؤمل نواله في أفريقيابمساعدة انجلترا، نعم لهذا السيل الجارف تدفق على بيت محمد على باشا فيخشى على أركان ذلك البيت لو لم يتدارك أمره !!!

أما الدولة العثمانية فلو حولنا النظر عن حقوقها الثابتة في الأراضي المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا أن الولاية على تلك الأراضي هي الركن الأعظم للسلطة العثمانية في سوريا وقسم عظيم مما يتصل بها من آسيا الصغرىٰ وفي الحجازواليمن. فمن المفروض على العثمانيين أن يبذلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقررة وحفظاً لشوكتهم في معظم ممالكهم ولا يسوغ لهم شرائع الملك أن يفرطوا في المسألة المصرية لا في جزئي منها ولا كلي فإن مصر عقدة تتصل بها أطراف السلطنة العثمانية، فإذا انحلت، فقد انحلت «والعياذ بالله» سائر العقد.

ليس لعثماني أن يتوسد وسادة السيادة البسماركية الناعمة فإن الحاجات الطبيعية والدواعي الجوهرية هي الحاكمة على الأمم ولا اعتبار في السياسة بالأطوار العارضة ربما يهم بسمارك ان يشتري بمصلحة العثمانيين وداد الانجليز لتأييد سياسته وترك فرنسا منفردة بلا حليف وله أن يلق بمصلحة العثمانيين في أيدي الروس إذا مست الحاجة ليدفع عن نفسه شراً يتوقعه، وليس لبسمارك أدنىٰ غاية في الاتصال بالعثمانيين إلا بهذا المقدار يفدى بهم منفعة من منافعه ومن نظر الى احوال

الأمم بما تقتضيه طبائعها، حكم بذلك حكماً قاطعاً.

نعم من الدول دولة فرنسا كانت لها مزايا في أرض مصر أشرفت على الزوال وليس بالسهل علينا ضياعها ولها أملاك واسعة فيما وراء البحر الأحمر ولا تصان سلطتها علىٰ تلك الأملاك اذا نشبت أظافر الانجليز في أحشاء مصر بأي اسم كان وتحت أي عنوان، فأصول السياسة الفرنسية لا تسمح للفرنسيين بالتساهل في المسائل المصرية. ودولة الروس تسابق دولة انجلترا في النصر والغيب بشرقي آسيا وتنافس الألمان في القوة بأوروبا ولها مع ألمانيا مزاحمات خفية ثابتة في عناصر الأمتين لا يزيلها هذا التآلف الظاهري، فقد يكون من أحكام سياستها الانضمام الى دولة فرنسا لمضايقة انجلترا في البلاد المصرية، بل النظر في طبيعة حال الأمتين يقضي بلزوم اتحادهما في المشاكل الأوروبية أيضاً وربما تكون هذه المسألة بداية الإرتباط بين هاتين الدولتين.

ولعل هذه الفرصة لا تفوت العثمانيين ولا تحجبهم الحوادث الماضية عن إدراك هاته النكتة وهي ان الروسيين هم أشد الناس حاجة الى الاتحاد مع الدولة العثمانية في هذه الأوقات لما فتح لهم من أبواب للغنم في آسيا ويرون الألفة مع العثمانيين أعظم عضد لهم في نيل مطامحهم بتلك الأقطار، بما للسلطان من المنزلة العليا في قلوب مسلميها ولا تأخذ العثمانيين رجفة من ارعاد الانجليز وأبراقهم فليس لهم سلاح يشهرونه على الدولة العثمانية سوى الترهيب. ومن المحال أن يفاتحوها بحرب وإلا تقلصت سلطتهم عن البلاد الشرقية بأسرها فإذا ثبتت الدولة في مطالبها واشتدت في إرجاع حقوقها لجأ الانجليز للخضوع والاستكانة اليها وهذا من البديهيات الجلية عند كل من وقف على أحوال الإنجليز في الهند وعلى مكانة السلطان العثماني في قلوب الهنديين عموماً والحكم لله يفعل ما يشاء.

العروة الوثق

لا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحياناً ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم ويتفق معهم في مصالح بلادهم ويشاركهم في المنافع من أجيال طويلة فليس هذا من شأننا ولا مما نميل إليه ولا يبيحه ديننا ولا تسمح بـه شريـعتنا ولكـن الغـرض تحـذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجـانب عـليهم والإفسـاد في بلادهم وقد نخص المسلمين بالذات لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجانب وأذلوا أهلها أجمعين واستأثروا بجميع خيراتها وسنكتب مقالة مـفردة في هذا الباب إن شاء اللّه.

اسماعيل باشا

لهج كثير من الجرائد الأوروبية في هذه الأيام بذكر اسماعيل باشا خـديوى مصر السابق ومنها جريدة (البال مال جازيت) قالت: إما أن تستولى انجلترا على مصر أو تسلم الإدارة فيها لأسماعيل باشا، ونقل أحد محررى هذه الجريدة عن مدام توفيكوف وهي صديقة شهيرة لمستر جلادستون أنها قالت له أن أحسن وسـيلة لتقرير الراحة في مصر وجعل مصر للمصريين هو إعادة اسماعيل باشا إليها وذكرت إحدى جرائد ألمانيا أن كلامها يكاد يكون رسمياً.

أما نحن فسنبين رأينا في هذه المسألة ونبدى فكرنا فيما يتعلق منها بالسلطان العثماني والطريقة التي ينبغي أن يسلك فيها وما يرتبط منها بمصلحة المصريين وما يجب على انجلترا أن تأخذ به لو كانت كما تزعم تريد التخلص من ورطة المسـألة المصرية ولا نظنها صادقة.

نجد

كتب إلينا أحد أهالى نجد رسالة طويلة يحكي بها ما فعله قـنصل الأنجـليز مستر (كورنل بيلى) الذي كان قنصلا لدولته في خليج فارس ومقره ببندرا بوشهر وماتوسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ أيام كان أمير نجد الأمير فيصل، وقصد برواية هذه الحادثة تنبيه إخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبث بها القنصل للتداخل في سواحل البلاد النجدية وبين ما اتخذه الأنجليز وسيلة للهجوم على أرض مصر، إلا أننا لا نذكرها الآن لقدم عهدها وسـنفرد لهـا ولأمثالها كتاباً مخصوصاً نفصل فيه ما فعل الأنجليز في البلاد التي حاولوا الاستيلاء عليها ولم يستطيعوا مع استمرارهم في طلب ما يمكنهم من مقاصدهم ونـطبع هـذا الكتاب ونوزعه مجاناً!!

الصُّحف الهندية

جاءت إلينا الجرائد الهندية فسرّنا اعتدال سيرها في خدمة أوطانها وزادنا سروراً عنايتها بترجمة مقالاتنا المتعلقة بأحوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ونقلها من اللسان العربي إلىٰ اللسان الهندي فلله شكرها على ما صنعت ونخص من بينها جريدة (اخبار دار السلطنة) التي تطبع في كلكته وجريدة (مشير قيصر) التي تطبع في لكهنو وهذا كان أملنا في ارباب تلك الجرائد وليس بغريب على غيرتهم الدينية والوطنية.

هذا ما كان من مسلمى الهند وهم في قبضة الأنجليز من مدة تزيد على قرن وإننا نأسف غاية الأسف مما بلغنا عن بعض المصريين من انهم يمتنعون عن استلام ما يرسل باسمائهم من أعداد هذه الجريدة خوفاً ورهبة. مع أنهم أحق الناس بالأقدام علىٰ أمور عظام في هذه الأوقات فإن الآمال في خلاصهم قوية والوسائل إليه قريبة فكيف يصل ببعضهم الخوف إلىٰ الامتناع عن استلام جريدة هم أولى بها من غيرهم إذ أهم ما فيها الدفاع عنهم.

صفقة خاسرة

كتب إلينا صديق فاضل من أخلص المؤمنين بالقطر المصري قال:

إن مأموري الانجليز الآخذين بزمام بعض الوظائف المصرية لا يزالون يسعون في تغرير الأهالي والتحيل عليهم ودس الدسائس بينهم بطرق مختلفة من الترغيب والترهيب كل ذلك ليرضوهم بطلب الحماية الانجليزية إلا أن أولئك الأبالسة لا يلاقون في سعيهم إلا خيبة لأن العلماء وأعيان البلاد قد أحاطوا بغايات الانجليز ومقاصدهم وعلموا أنهم لا يقصدون بالبلاد إلا الشر كما لم ينلها من حلولهم إلا الضر خصوصاً وأن روح الحمية والغيرة الدينية والوطنية صار لها السلطان الأعظم على نفوس أهالى القطر المصري فاشتدت أنفتهم من تسلط الأنجليز في ديارهم وقاوموا مطالبهم بعزائم ثابتة وقلوب غير واجفة وهذا هو ظننا بل يقيننا في أبناء القطر المصري علمائهم وأمرائهم وحكامهم وأعيانهم وأوساطهم بل وسائر طبقاتهم أن لا تسمح نفس واحد منهم بمجاراة الانجليز رغبتهم وأن لا يطمئن قلبه بالدخول تحت سيادتهم، بل ببقاء شخص منهم في بلاده وعلى مرمى نظره فإن وجد بينهم شخص يتخذ إلهه هواه ويميل مع الباطل فهو ممن يعرف المصريون سيرته في إفناء ليله وأطراف نهاره فلا يثقون به، ومما أخبر به الصادق أن كليفور لويد يجتهد لتسليم رئاسات البلاد إلىٰ أناس من طبقة يتوهم فيها سقوط

الهمة وسخافة الرأي ليتمكن بهم من إجراء بعض مقاصده، لكن لم يتسن له نجاح ولئن نجح في تحويل الرئاسات من نصابها فلا يلاقي ممن يسلمونها إلا مثل ما لاقي من غيرهم، فإن الجميع مصريون يفضلون ظلم ابناء وطنهم على عدل الأجنبي، فكيف لو كان الأجنبي لا يقاس بظلمه ظلم، ثم قال صديقنا الفاضل زاد الويل أضعافاً علىٰ الأهالي بالمجالس المحلية فإن الانجليز لم يراعوا في تشكيلها مصلحة الرعية وإنما وضعوا في جوهرها ما يضيق عليها سبل المعاملة إخماداً لنفوسها لينالوا حظهم من السيادة عليها ولم يعلموا أن بخس الحقوق من أشد موجبات العقوق وفي الأمثال العربية (زر كلبك للطاق يأكلك) أي ضيق عليه. أما الفلاحون فأحوالهم سيئة ضيق وضنك وفقر وإعدام مما يفتت الأكباد ويذيب القلوب ويفطر الجماد، الحكومة مضطرة لطلب الأموال وملجأة إلىٰ تكليف الفلاحين بدفع ما عليهم، والأجانب قائمون على اقتضاء ديونهم منهم والكساد ورخص أسعار الحبوب وثمرات الزراعة لم يجعل في المحصولات وفاء بضرورات المعيشة فضلا عن اداء المطلوبات فكيلة القمح بستة قروش والذرة بأربعة وعلى هذا يقاس. ومن ثم تسمع كل يوم تنعاب أغربة الدلالين في فناء ديوان الحقانية على خراب بيوت الفلاحين، هذا ينادي على بيع أراضيه بأسرها وهذا ينعق عليه ببيع بعضها، والآخر بالحجر على أملاكه والحكومة لاتني في طلب ضرائبها قبل أوان المحصولات، أما أحوال المدن فليست بأسعد من أحوال الأرياف خصوصاً من تعديات الأجانب على سكانها، فالمنازعات والمخاصمات بين الأجانب والوطنيين يقضي فيها على الوطني بالتغريم والجزاء ولا يؤخذ على الأجنبي في شيء وإن كان هو المعتدي، وإن سأل الوطني اين خصمي فيقال له أنه يحاكم في محل آخر مع أنه لم يذهب إلىٰ مقام المحاكمة رأسا واكتفى في فصل الدعوى بأحد الخصمين وهو طرز من الحكم جديد. هذا بعض آثار العدالة الانجليزية، وجاء في خبر صديقنا هذا رواية كثير من المظالم التي اصيب بها أهل القري من جراء التداخل الانجليزي في إدارات الحكومة ضربنا عن ذكرها

رعاية لجانب الاختصار بعد وضوحها عند أولى الأمر من المصريين. أما الأمن فلم يبق له أثراً وأما النظام فقد انقض بناؤه واقتلع أساسه واختزن الانجليز انقاضه في خزائن الآثار القديمة فقويت عصابات اللصوص وجاهروا بالنهب والسلب وهذا خبر تؤكده روايات الجرائد الوطنية المصرية عربية وأفرنجية فإن جميعها يشتكى الملل والسآمة من رواية أخبار السوء كل يوم. إلا أن من غريب الوقائع هجوم لفيف من السارقين على قرية نشرت ونواحيها من مديرية الغربية وقتلهم واحداً وأربعين رجلا، فإن خبر هذه الواقعة إن صح كان دليلا على بلوغ الاختلال إلى درجة فوق ماكنا نتصور نسأل الله السلامة كما نسأله إبدال عسر المصريين باليسر وهو على كل شيء قدير.

أخبار سياسية

* قبلت الحكومة الفرنسية أن تدخل في المؤتمر لكن على شرط أن لا تذهب إليه مغلولة اليدين غضيضة الطرفين وأن لابد قبل ذهابها إليه من مخابرة بينها وبين انجلترا فيما يلزم أن يكون موضوع البحث في ذلك المؤتمر ـ وقد أجمع السياسيون في فرنسا على ضرورة امتداد البحث إلى ماوراء المالية من إدارة البلاد المصرية وإقرار الراحة فيها.

* الجرائد الانجليزية تظهر خوفها من تشديد فرنسا وتستنجد أوربا وترى أن تدخل الدول جميعها في مصر وإقامة مراقبة دولية لحكومتها لاتمتاز فيها دولة عن دولة خير من مداخلة فرنسا وحدها مع انجلترا وإن عارضت ذلك جريدة التايمس وحدها. وفي بعض الجرائد الروسية أن انجلترا لا يمكنها أن تضع حمايتها على مصر لظهور عجزها عن إدارة البلاد بعد احتلالها سنتين وهي مطلقة التصرف لا مزاحم لها، وبعد العجز لجأت إلىٰ دول أوربا. أما دولة فرنسا فلا يهمها إعادة المراقبة المشتركة بين الدولتين ولكن يهمها أن لا تختص انجلترا بالامتياز في مصر.

* ذكرت كثير من الجرائد الألمانية نقلا عن مصدر يوثق به أن الباب العالي لم يقبل الاشتراك في المؤتمر إلا على شرط أن تكون المداولة فيه غير واقفة عند حد المالية بل من اللازم أن يكون موضوع نظره لائحة جرانفيل المرسلة إلى الدول في

يناير سنة ١٨٨٣ (عندما كان دوفرين في القاهرة) وعلى هذا فالدولة العثمانية تطلب النظر في المسألة المصرية بجميع فروعها لاتصال بعض أجزائها ببعض، وفي جريدة التان أن الباب العالي بعد مخابرة الدول والاتفاق معها خصوصاً دولة فرنسا أرسل تلغرافاً إلىٰ موزوروس باشا السفير العثماني في لندن بأنه مستعد لقبول المؤتمر علىٰ شرط أن يكون بحثه في الشئون المالية والسياسية والإدارية.

في جريدة (جازيت ناسيونال) الألمانية أن سير فرنسا في المسألة المصرية موافق لسير جميع الدول لاسيما ألمانيا وقالت أن انجلترا أصبحت منفردة وهذا مما لا يسر ألمانيا.

استفيد من خطاب المستر جلادستون في مجلس البرلمان أن لنواب الدول عند اجتماعهم أن يبحثوا فيما سوى المسألة المالية إن أرادت الدول ذلك وإن كان هذا يناقض ما صرح به جرانفيل في جلسة أخرى ولما سئل جرانفيل عن هدا التناقض أعرض عن الجواب وقال إن الحكومة مستعدة لإنقاذ جوردون (هذا مما يضحك).

أخبار السودان تشعر بالشدة فقد أخبر الحاكم في دنقلا أن رسلا بعثوا إلىٰ الخرطوم فعادوا ولم يتمكنوا من الوصول وقالو ان الثائرين محدوقون بجوردون من جميع الجهات. في برقية من القاهرة أن الثائرين مجتمعون في عيون ابي سعيد على القرب من أسوان وأن زعماء جيش محمد أحمد طلبوا من حامية دنقلا أن تسلم بعد ثلاثة أيام وإلا فتكوا بهم.

جرت مشاجرة بين بعض العساكر الانجليزية وبين العربان النازلين على شواطيء بحيرة مريوط وقتل فيها عدة أشخاص.

الأخبار متواترة بأن عثمان دجمة يحاول الهجوم على سواكن وينازل بعض القبائل التي لم تذعن لدعوة محمد أحمد على القرب من طمانيب.

* المستر جلادستون وعد بان يرسل جيشاً إلىٰ السودان لكن لابد من مراعاة الفصول والأهوية ثم أظهر تجا فيه عن حرب السودانيين الذين يدافعون عن حريّتهم وبلادهم.

المسألة المصرية دولية

إنا أنذرنا الإنجليز خطراً قريباً على الهند ونبهنا في أول عدد صدر من جريدتنا على أن تفيؤ التركمان في مرو لظل الحكومة الروسية باختيارهم ربما يحمل تركمان سرخس على الإقتداء بهم وأشرنا إلى ما يتبع ذلك مما عاقبته نكال على الانجليز، واليوم وقع ما توقعناه فاستولت الروسية على سرخس وتاخمت بحدودها حكومة الافغان وارتعدت فرائص الانجليز وغشيهم الفزع والقلق واعولت جرائدهم نحيباً ورددت نشيجاً وأحست بقرب الأجل ولم يسكن روعهم ماذكرته جريدة بترسبرج الشبيهه بالرسمية من أن سرخس اسم يشترك بين مدينتين قديمة وحديثة وإنما دخل في حوزة الروس أولاهما فإن الانجليز يعلمون أن المدينتين متصلتان لا يفصلها إلا ترعة صغيرة (نهر تجند) عرضها عشرة أذرع بالتقريب، على ان سرخس التي حكم مهندسو حرب الانجليز أنها باب الهند من طرف الشمال وأنه ممر فاتحيه من زمان قديم ومن طريقها طرق الهند اسكندر الأكبر ونادر شاه الإيراني، وأن وصول الروس إليها مما يخرق سياج الهند إنما هي سرخس القديمة. ومما زاد الانجليز فزعاً واضطراباً أن التركمان النازلين بتلك المدينة وما يليها هم الذين عرضوا أنفسهم على حكومة الروس طوعا واختيارا وبعثوا وفداً منهم لينوب عنهم في عرض خضوعهم على البرنس دوندكوف حاكم ماوراء بحر الخزر

من الولايات الروسية ووصل الوفد إلىٰ عشقاباد وأقام بها ينتظر قدوم البرنس إليها.

وقع الإنجليز الآن بين شرين عظيمين خطر عاجل وحتف آجل، أما الثاني، فهو أن الروسية إما أن تتحد مع الأفغانيين وتحالفهم على مطاردة الانجليز وهو الأقرب المتوقع فتصير معهم يداً واحدة على هدم أركان الحكومة الهندية الانجليزية وليس بخاف ما يضمره كل أفغاني لكل إنجليزي من الحقد والضغينة والأفغانيون قوم حرب يناطحون الموت بنواصيهم فكيف إن وجدوا مساعداً قوياً. وأما أن تميل حكومة الأفغان إلىٰ الانجليز وهو من فرض المحال فما اسرع أن تنتشب مقاتلات بين القبائل المختلفة ممن تحت حكومة الأفغان مثل جمشيدى و فيروز كوهي وبين قبائل التركمان المتاخمين لهم ويعقبها حرب بين الروس والإنجليز لأن كلا من الدولتين مضطر للمدافعة عن حليفه بل للروس حق المناضلة عن رعاياها التركمان، فإذا زحف الروس إلىٰ الأراضي الأفغانية تقطعت حبال حيل الانجليز وامتنعت عليهم وسائل الدفاع وهذا آخر حياتهم في الهند.

وأما الخطر العاجل فهو أن سماع الهنديين بخبر استيلاء الروس على سرخس يوقد فيهم نار ثورة عامة يلتمسون في أضوائها طريقاً للخلاص من الضيق والضنك الذي شملهم، وسبيلا للنجاة من الويل الذي جلبته عليهم مظالم الانجليز. هذا يكون كما اشتعل لهيب الفتنة سنة ١٨٦٠ عندما وصل إليه الهنديين خبر استيلاء ناصر الدين شاه الإيراني على هراة بل انتقاض الهند على الانجليز في هذه الأيام أقرب فإن خواطر المسلمين من سكانه في هياج شديد بما شاع بينهم من دعوة محمد أحمد السوداني بل بما يمكن في أهوائهم من الميل إلى تصديقه وإن لهذه الدعوة حملة على الهند لا يقاومها تدابير دولة بريطانيا.

تريد دولة انجلترا أن تصد المسلمين عن حج بيت اللّٰه الحرام في هذا العام وربما فيما بعده حتى لا تصل أخبار محمد أحمد وتورط الانجليز في مقاومته إلىٰ مسامع

الهنديين ولكن سيحمل هذه الأخبار إلىٰ تلك الأقطار حجاج الأفغانيين والبلوجيين الذين يسلكون إلىٰ الحج طريق البصرة والكويت بل يبلغونها على وجه أبلغ مما لو سمعوها بآذانهم.

هذا تأييد إلهي للدولة العثمانية فعليها أن تنهض بعزيمة صادقة وجأش ثابت وهمة تليق بمكانتها في المغلوب وعلى السلطان العثماني أن يتذكر أنه خلف لأولئك الأسلاف العظام الذين ما اضاعوا حقاً ولا أهملوا فرضاً ويقتضى من الانجليز حقه ويسترد مصر من أيديهم ويطهرها من جراثيم الفساد ولا يقنع بما دون الحق ولا يدع لهم فيها شأناً إلا بما يساوون فيه غيرهم من الدول ولا تفوتن العثمانيين فرصة هذا الارتباك الذي سقط فيه الانجليز كما فات الإيرانيين الانتفاع بثورة الهند في الأيام الماضية لتأخر خبر الثورة عنهم وإلا لكانوا أوقعوا بالإنجليز ونالوا الغاية من ضرهم. على العثمانيين أن يتلافوا الأمر قبل أن يشب الانجليز حرباً صليبية بين الحبش والمسلمين على نفقه الحكومة المصرية، ليس للدولة العثمانية أن تتهاون في مطالبها أو تتحاشى الدفاع عن حقوقها الثابتة ولا أن تخشى في ذلك تهويل الانجليز وجلبتهم فإن كثيراً من الدول على اختلاف مقاصدها السياسية يوافقونها على تخليص مصر من مخالب الانجليز كما دلت عليه منشورات الجرائد ورواياتها عن مقاصد السياسيين من كل دولة. بل الذي يفهم من جملة مقالاتهم أنه لا توجد دولة من الدول ترضى بأن يكون المؤتمر وسيلة لاستيلاء الانجليز على مصر أو وضعها تحت حمايتهم خصوصاً دولة فرنسا ودولة الروس. وإليك طرفاً من آراء الجرائد وما تنقله عن السياسين. قال مراسل التايمس في باريس أن فرنسا لم تقبل ولن تقبل أن يكون بحث المؤتمر منحصراً في المسائل المالية ولقد أصابت فرنسا في عدولها عن طلب المراقبة المشتركة بينها وبين انجلترا ورغبتها في مراقبة يشترك فيها جميع الدول فإن في ذلك فوائد عظيمة لها ولغيرها ولا أظن أن حكومة انجلترا وافقت على ما ترغب فرنسا كما لا أظن أن فرنسا تتساهل فيما تريد وعلى هذا فأما أن ينعقد المؤتمر

ولا تكون مداولاته مقصورة على مشاكل المالية وأما لا يلتئم أصلا. ولا أمل لانجلترا إلا في التستر تحت حيلتها وهي أن ترغب إلىٰ الدول عقد مؤتمرين متعاقبين أولهما للمالية وبعده ينعقد الثاني للنظر فيما لم ينظر فيه الأول، وقال مراسل الديلى تلغراف في ويانا أن خطاب المستر جلادستون الذي القاه في مجلس النواب حرك دول ألمانيا والنمسا وإيطاليا للاتفاق في المسألة المصرية، فصرحت جميعها بأن مصالحها في مصر تقضي عليها بالعمل في حل هذه المسألة وليس من سياسة واحدة منها أن تنتظر زمناً طويلاً بعد ما مضى من الحوادث مع ما يتوقع نزوله بمصر من النكبات واستقر رأى الدول الثلاث على المداخلة في وقتها المناسب وقد انحلت ثقتها في مسلك الوزارة الإنجليزية.

وورد من فينا إلىٰ جريدة التان الفرنسية الشبيهة بالرسمية من مكاتبها برقية قال فيها أنه اجتمع على رجال عظام في تلك المدينة واستطلع أفكارهم في المسألة المصرية. فإذا هم متباينون في الرأي فمن ظن بعضهم أن الواجب على دولة النمسا أن تأخذ جانباً عن هذه المسألة وتوسع المجال لدولة إيطاليا فإنها إن فعلت ذلك ارضت إيطاليا بدون أن يلحق ضرر بمصلحتها ووافقت رغائب المانيا ومن رأى بعضهم أن حكومتهم لا يسوغ لها التخلى عن رعاية مصالحها في مصر مرضاة لإيطاليا، بل لا يمكنها هذا وقد أخطأ من يظن أن ليس للنمسا منافع في البلاد المصرية. ثم قال الكاتب تلاقيت مع رجل سياسي له شهرة بحرية الفكر وإصابة الرأى فمن كلامه أن دولة ألمانيا ربما تجعل المسألة المصرية وسيلة لمراضاة الإيطاليين بأن تعد لهم فيها مقاماً رفيعاً لأن ألمانيا ليس لها قوة بحرية ولا يهمها ما يجرى في البحر الأبيض إلا بطريق العرض. أما النمسا فان لها في ذلك البحر مركزاً مهماً فحالها من هذه الجهة يخالف حال ألمانيا، على أن حركات السياسة البرية لابد أن تقذف بها إلىٰ ذاك البحر وهو مما يزيدها حرصاً على تعزيز جانبها فيه وليست المسألة المصرية إلا مسألة البحر الأبيض فمن له فيه شأن يراعيه فله الشأن في المسألة المصرية وعلى حسب

درجة الأول تكون درجة الثاني. ثم أطال الكلام في بيان المنافسة السياسية بين دولة النمسا وإيطاليا وما يطمح إليه نظر كل منهما، غير أن هذا ليس مما يمنع الدولتين عن الاتفاق في معارضة الإنجليز وخفض منزلتهم في مصر والبحر الأبيض. أما جرائد فرنسا ورجال سياستها فعلى راى واحد في وجوب تحويل المسألة المصرية عن وجه كونها انجليزية إلىٰ وجه كونها دولية أوروبية وارتاحت لهذا نفوس الدول ومالت إليه أفكارهم نسأل اللّٰه حسن العاقبة وإليه المصير.

العروة الوثقى

مصادرتها في مصر والهند وفرض غرامة على قرائها!!

انعقد مجلس الوزراء المصري في القاهرة واهتم بـالبحث في شـأن (العـروة الوثقى) ثم أصدر قراره إلىٰ وزارة الداخلية المصرية قاضياً عليها بأن تشتد في منع هذه الجريدة من دخول الأقطار المصرية وتراقب جولاتها في تلك الديار. فصدر أمر الداخلية إلىٰ إدارة عموم البريد يلزمها بالدقة في ذلك، وبلغنا أن الجريدة الرسمية بعد نشرها صورة الأوامر، أعلنت أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغاً من خمسة جنيهات مصرية إلىٰ خمسة وعشرين جنيهاً (وهي غرامة جسيمة ربما دعا إليها عسر المالية المصرية ببركة تصرف الإنجليز في مصر!!) أما نحن فلا نظن أحداً من الوزراء المصريين له رأى اختيارى في هذا القرار، بل لا نتوهم في المستوى علىٰ كرسى الخديوية ميلا إلى مثل هذا الحكم ولا يختلج في صدورنا أن مصرياً من أى مشرب كان سواء المسلم أو غير المسلم منهم، بل ولا شرقياً ممن يسكن تـلك البلاد يرى فيه جانباً من العدل.

هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم ولها سعى، بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح في عمرو فإن المقصد اعلىٰ وأرفع من هذا وإنما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى

قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد. تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضوارى التي فغرت أفواهها لالتهامهم. ومن رأيها أن الأشغال بداخل البيت إنما يكون بعد الأمن من طروق التأهب. هذا منهاج العروة الوثق علمه كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها إلىٰ الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقياً مسلماً أو غير مسلم يميل لحجبها عن دياره. ولكنا نعلم أن حركات الآمرين في القطر المصري هذه الأيام قهرية لا يخالطها شي من الأختيار، والمدير لرحي القهر عليهم هم عمال الإنجليز.

ولا نريد ان نقول للانجليز انهم ظلموا فى الحكم، فان الجريدة لم يوجد فيها الى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والاجنبية من كشف مساتيرهم وبيان الرزايا التى اصيبت بها الديار المصرية من حلولهم، لانهم ـ الانجليز ـ الذين احسوا بشهرة عالم من علماء المسلمين في الهند وإقبال الناس عليه بالاعتبار أسرعوا بجلبه إلىٰ ديوان الشرطة (الضبطية) فعند وصوله إليها يفتح له الضابط مصحف قرآن أو كتاب حديث من الكتب المشهورة ثم يشير إلىٰ آية من آيات الجهاد أو حديث مما يدعو إليه ويسأله هل أنت معتقد بهذه الآية أو الحديث، فإذا قال نعم قال له فبناء على ذلك يكون من رأيک وجوب الجهاد فينا فإذا أجابه: إنني درويش ملازم العزلة عن الناس وليس اعتقادى بهذا إلا لأنه كتاب ديني ضرب له الضابط أجل أربعة أيام أو أقل يبين فيها رأيه في الآية أو الحديث فإن مضى الأجل ولم يحرف العالم دينه ولم يبدل عقيدته ولم يبادر بإرسال تحريفه وتبديله وخروجه عن دينه إلىٰ مطبعة من المطابع ليطبع وينشر، بعثت به الحكومة إلىٰ جزيرة أندومان نفياً مؤبداً ولو رأيت تلك الجزيرة لرأيتها غاصة بأمثال هؤلاء المظلومين، فدولة الإنجليز التي تحاسب رعاياها المسلمين على خطرات قلوبهم وما يمكن أن يهجس في حديث نفوسهم لاريب أنها تعد وجود لفظ الإسلام في جريدة كافياً لمنعها عن الدخول إلىٰ بلاد لها فيها قدم ثابت أو تسعى في تثبيته بل تحسب أن من ألد أعدائها

شخصاً علق هذا الإسم من اى جنس كان. فلا غرابة في صدور مثل هذا الجور منها، غير أننا نعلن لها أن همم الرجال لا تعقدها أمثال هذه المظالم وليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة في كل بقعة تحوطها السلطة الإنجليزية الظالمة ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثق.

بلغنا أن بعضاً من الناس يسل سيفه ويشحذ سنانه لمناضلة الولى الحميم، ويقابل ثناءه بالذم ومدحه بالقدح وإحسانه بالإساءة ويواجه نصيحته بالظنة ولا نظن أن هذا منه عن عمد ولا إغراء عدو، وإنما هو لشبهة حجبت نظره عن درك الحقيقة، فإذا كشفت له الأيام عن الواقع رجع إلىٰ الندم على ما صدر منه وكانت له مثابة إلىٰ الحق وركون إلىٰ الصواب.

لا يحزنن أهل الحق القائمون بأمر هذه الجريدة على ما صدر عن الحكومة المصرية من منع العروة الوثق من دخول القطر المصري وليعلموا أن الحكومة المصرية لادخل لها في هذا المنع. فإن حكومة شرقية لا تسمح لها غيرتها بمنع جريدة لا شيء فيها سوى الدفاع عن الشرقيين وإنما منشؤه حكومة انجلترا وشأنها معلوم عند كل عارف بأحوالها.

تصرف الانجليز في الهند

لا أريد بما أكتب في هذا المقال القصير تنفير قلوب المصريين من سلطة الانجليز فإن لى يقيناً بأن المصريين الذين أنبتتهم ارض مصر لا يذعنون لولاية الانجليز عليهم بل يعارضونها بأرواحهم وأموالهم وهم من الغيرة الدينية والوطنية ما يحملهم على ذلك وإن رأوا من عدلها مالا يصل اليه إنصاف أنوشروان ويفضلون ولاية مواطنيهم وإن مسهم منها انكىٰ ما يكون من الحيف اللهم إلا قليل ممن فسدت أخلاقهم وانتكست طباعهم وقليل ما هم، وإنما القصد كشف ما تدعيه هذه الدولة العظيمة من العدالة وما تختص به نفسها من الوصاية على نوع الانسان.

إذا أشرف السائر على أى بقعة من البقاع الهندية الواسعة شخص ببصره ودهش لبه بما يراه من آثار عناية اللّٰه بتلك البقاع وما منحتها من الخصب الطبيعي حتى أن الأحجار الصلدة لتنشق عن الأشجار الضخمة العالية الأغصان المورقة الأفنان، تظل الواحدة منها امتداداً واسعاً من الأرض وكأن أديم الأرض بما استوى عليه من أنواع النباتات قد بسط عليه بساط من السندس الأخضر فيخيل للناظر أن سكنة هذه الأراضي في خفض من العيش وسعة من الرزق بل يظنهم أسعد من عمر الغبراء، ولكنه إذا تجاوز السهول والأودية إلىٰ المدن والقرى ضاق صدره وتفطر قلبه من مناظر سكانها. يرى آلافا مؤلفة يعبرون في الشوارع والأزقة جيئة

وذهاباً حفاة عراة بادية سوء آتهم، كاسفة احوالهم، لا يجدون رمقة من العيش. يلتمس الواحد منهم عملا من الأعمال الشاقة يقضي فيه نهاره وبعض ليله ليصيب من الأجر عليه ثلاث فرنكات في الشهر بل فرنكين ونصفاً ولا يتيسر له. ويرى هذه الحال عامة حتى في المدن التي بسواحل البحر على كثرة الأشغال التجارية فيها. ويشتد به العجب عند المقابلة بين خصب التربة وجودة المنابت وسوء حالة القائمين عليها، ويحكم حكما لا ريبة فيه بأن إدارة الحكومة الانجليزية (حامية النوع الإنساني) هي التي حرمت أولئك المساكين من التمتع بما آتاهم اللّٰه من فضله. إذا سأل سائل عن حال كثير من أولئك المعدمين الذين لا يملكون نقيراً ولا قطميراً فربما يقف على أنهم كانوا من أرباب الثروة الواسعة والمقدرة السامية وكانوا يسكنون القصور العالية ثم أصبحوا يأوون إلىٰ خصاص بل اقفاص. إذا انتقل الفكر للبحث عن السبب أوصله النظر إلىٰ أسباب كثيرة يرجع جميعها لتصرف الحكومة الإنجليزية وأشدها ظهوراً وفرة الأتاوات (خراج الأراضي) وثقل الضرائب على كواهل الأهالي فإن الحكومة قد فرضت على العاملين في زراعاتهم ولم تجعل الأداء على حسب ما تجود به الأرض كل عام بقدره ولكنها خرصت (حزرت) ما تاتي به كل أرض على درجتها من الخصب وقدرت مبلغاً معيناً تجبيه من العامل في الارض سواء سلم زرعه من الآفات أو اجتاحته الجوائح وقد يستغرق مطلوب الحكومة جميع المحصول بل يزيد عنه وأداؤه حتم لا تردد فيه على أى حال، هذا فضلا عن الرسوم المختلفة التي لا حد لها ولا نهاية وتعرف عندهم (بالتكس) أى الرسوم الغير الثابتة أو الغير المحدودة وربما أتينا على بيانها مع بيان سائر الأعمال بالتفصيل فيما بعد.

في هذا المقام تذكرت شيئاً قد يخطر بالبال، رب غنى في مصر يملك مزارع واسعة وإقطاعات كثيرة (أبعاديات وجفالك) فيركن إلى ما تفيض عليه من الرزق ويطمئن قلبه من جهة معيشته ومعيشة أبنائه من بعده فيستوى عنده أجناس

الحاكمين ولا يبالي بولاية الإنجليز على بلاده حيث سلم له قوته، وهنا أشير إلىٰ طرف مما يعامل به الانجليز أمثاله في الهند لتكون له عبرة.

أراد الانجليز أن لا يكون لغيرهم يد على ملك واسع فيما تحت سلطتهم فضربوا على أرباب الاقطاعات رسوماً زائدة يؤدونها عن أراضيهم في أوقات محدودة ثم وضعوا في قانون الزراعة أنه لا يجوز للمالك أن يقيم الدعوى على مزارعيه إذا تاخروا عن تأدية ما شرط عليهم إلا بعد مُضيّ ثلاث سنوات من وقوع موضوع الدعوى وإذا خان المزارعون أو اهملوا في أعمالهم أو استأثروا بمحصولات الزراعة فلا يمكن لصاحب الملك أن يخاصمهم في مجالس القضاء إلا بعد مضى تلك المدة، إلا أنه يؤدي ما عليه للحكومة في أوقاته رغم أنفه وإن لم يؤد إليه العاملون له شيئاً. وفي قانون المرافعات عندهم أنه إذا مضى علىٰ موضوع الدعوى ثلاث سنوات لم تحصل في اثنائها إقامة الدعوى فلا تسمع. فهذا يحمل العاملين في الزراعة على الاضرار بأرباب الأملاك ولا سبيل لهؤلاء إلىٰ استخلاص حقوقهم من أولئك والحكومة لا تترك من فريضتها شيئا ولا تتساهل في طلب ادائها بوجه فيضطر الملاك للتنازل عن أراضيهم للحكومة الانجليزية (العادلة) هذه أعمال من تأخذه ريبة في خبرها فليسأل الهنديين عنها. وأن الجرائد الأنجليزية في الهند تنادي على حكومتها الهندية دائماً بوجوب التخفيف في الوطأة والرفق في السطوة وتنذرها بأن الأعمال الادارية والمالية لو دامت على نمطها هذا لا يمضى قليل من السنين حتى يشتد الضيق والضنك في عموم الأقطار الهندية ويضطر الأهالي لاصلاء فتنة عمومية لا طاقة لدولة بريطانيا بإطفائها ولكن لا يسمع الصم الدعاء.

نصيحة في الأدب

إذا صادفت ظالماً او قابلت فاجراً فلا تقل له أنت ظالم أو فاجر!!

وردت إلينا من حضرة الفاضل مولوى عبد الغفور شهباز بمدينة كلكتا وهذا نصها:

ليس الأدب كما يظن بعض الناس مجموع قصص تتلى للفكاهة أو أساطير تنقل في المسامرات أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية من التورية والجناسات ونحوها من فنون البديع أو منشآت ورسائل تتضمن إطراء في المدح أو مغالاة في القدح فإن جميع هذا بمجرده لا يتصل بمعنىٰ من معانى الأدب وإنما الادب في كل أمة هو الفن الذي يقصد به تهذيب عاداتها وتلطيف إحساسها وتنبهها إلىٰ خيرها لتجتلبه وإلىٰ ما يخشى من الشر فتجتنبه، فالأدباء في الحقيقة هم ساسة أخلاق الأمم بل هم اجنحتها نطير بهم إلىٰ ذروة فلاحها فإنهم بما يعلمون من طرق التفهيم يمكنهم أن يقربوا إلى العقول ما يبعد عن أدراكها ويسهلوا على الأذهان ما يعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة. فيأخذون على الظالم ظلمة ويعظونه بسوء عواقب الظلم وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه بما يروضون من طبعه بدون أن يقولوا له أنك ظالم أو

فاجر!! وإذا رأوا في أمتهم عوائد يأباها سليم الذوق أو وجدوا منها أخلاقا وأعمالا لا تنطبق على شريعة الفضل وقوانين الشرع عمدوا إلىٰ تغيير العوائد وتطهير الأعراق وأخذوا في ذلك سبلا متنوعة في إنشائهم تارة بالقصص والحكايات التي تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة وما إل إليه أمر المتدنسين بالأولىٰ وما ارتقى إليه حال المتحلين بالثانية، وتارة بقريض الشعر يخيلون فيه ما يحرك الهمم ويبعث الأفكار وينبه خواطر الكمال وإحساسات الشرف الصحيح، لا ما يوقظ الشهوة ويقوى الغرور ويخرج الأنفس عن أطوارها. والأخذ به من وجهه والدخول إليه من بابه هو الذي صعدت به الهند الأولى إلىٰ أوج المجد وبلغ به العرب اقصى غايات الرفعة وهو الذي وصل بالأمم الأوروبية إلىٰ ما وصلوا إليه مما لا يخفي على كل ذي بصيرة، وإنا نتأسف على ما نراه من أدباء المسلمين وشعرائهم فإنهم يقصرون منشآتهم واشعارهم على ما يكون عد الصفات، إما مذمومة أو محمودة ونسبتها إلىٰ شخص يريد ذمه أو مدحه، ويحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية وبعض تواريخ ماضية بدون أن يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون في أفكار الأمة وأطوارها. ورجاؤنا فيهم أن يسلكوا مسالك أدباء الأمم المتقدمة أو المعاصرة لهم حتى يكون للأمة الاسلامية نصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة بيانهم وطلاقة ألسنتهم وأن يأخذوا في منشأتهم وأشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخامدة ويحركون القلوب الجامدة ويحيون مكارم الشيم ويوردون الأمة مورد سابقيها من الأمم وإنا نرى بداية هذا المنهج الجديد في بلادنا ونسأل اللّٰه حسن ختامه.

أخبار سياسية

صرح اللورد جرانفيل في مجلس اللوردات بأنه ورد للحكومة الإنجليزية أخبار عن الجنرال جوردون، إلا أنه كتمها عن المجلس ولم يطلعه عليها ومع هذا فإنها مهملة من التاريخ، ولم يعهد أن مأموراً سياسياً لدولة عظيمة يخابر وزراء دولته بلا تاريخ ولعل ما ألفه الوزراء البريطانيون من التمويه على الشرقيين أصبح فيهم عادة تجرى بينهم حتى على ابناء جنسهم وفي مجالسهم العالية.

وردت أخبار إلىٰ (الديلى نيوز) مفادها أن جميع القرى في شمال بربر إلىٰ مراوى جاهرت بالثورة وانقطع الطريق إلىٰ بربر وفي خبر آخر أن من الظنون ميل مدير دنقلا إلىٰ منابذة الحكومة، فقد كان يطلب من ايام مدداً يستعين به على إخلاء المدينة وإنقاذ حاميتها. واليوم يأبي الخروج منها بل يطلب أن تبعث إليه نجدة يفتح بها البلاد السودانية فتحا جديداً، ثم استبد، بما لم يكن من حدود وظيفته، فأرسل بعض ضباط الباشبزوق[1] إلى وادى حلفا ليأتيه ببعض الذخائر والآلات الحربية ونال رسله ألف بندقية وأربعمائة ألف فشك ونهبوا مخازن الحكومة وأحضروا معهم عدداً من المدافع إلىٰ دنقلا. وربما يعاب علىٰ المدير إتيان مثل هذا العمل ويعد من باب الخيانة لحكومته المصرية ولكن ماذا يصنع بعد ما علم أن الحكومة المصرية

---

١ ـ الباشبزوق، بمعنى الاحتياطي.

خرجت عن كونها حكومة وطنية بتصرف الإنجليز فيها وإن حكامها أصبحوا لا يملكون من الأمر شيئاً فإن صدق هذا المأمور في خدمته فلا تكون فائدة الصدق إلا تثبيت قدم الإنجليز في بلاده وتاييد ملكتهم عليها فيكون في الحقيقة خيانة لوطنه وبخساً لحقوقه، فله العذر إذا انحاز إلىٰ الفئة الثائرة مادام الإنجليز حكاماً في مصر.

* يقال أن محمد احمد سار من الأبيض لفتح دكاشيا أو خرطوم ويغلب على الظن أن مسيره لفتح خرطوم فإن حل بها ما حل ببربر وشندى مع هيجان القبائل في الجهات الشمالية ترقبنا عاقبة هائلة أنذرنا بها وحذرنا منها مراراً عديدة.

* من رأي أحد المراسلين لجريدة (الديلي تلغراف) أن الجنرال جوردون سيقيم في خرطوم إلىٰ فيضان النيل، فإن لم تأته نجدة يقوى بها على الفوز بنجاح مأموريته، لزمه أن يصعد على النيل الأبيض إلىٰ خط الاستواء. وانه يمكنه بعد ذلك ان يعمل اعمالا عظيمة في الامم الافريقية القاطنة فيما وراء خط الاستواء. ثم عقب كلامه بأماني وأوهام لا تنقص عن أماني جوردون عند ماسار من القاهرة إلىٰ خرطوم.

* في برقية من اسوان إلىٰ (الديلي نيوز) أن ابن أخي حسن باشا خليفة ومعه شخص آخر فرا من بربر وكانا منطلقين إلىٰ جهة الشمال فاعتقلهما عرب روباتاب بالقرب من أبي حمد.

* يقال أن الحكومة المصرية (أو الإنجليزية) تجتهد بوسعها للمحالفة مع قبائل العرب في جنوب مصر ليكونوا لها عوناً على مدافعة سيل الفتنة إذا ارتفعت غواربها على حدود مصر الطبيعية. ولا نظن أن سعيها ينجح لدى العرب فإن ذمتهم ودينهم لا تسمح لهم بمساعدة الإنجليز في تملك بلاد المسلمين.

* أبى اللورد جرانفيل أن يرخص لنوبار باشا بالسفر إلى اوروبا مدة غيبة السير بارين فإن أصر نوبار باشا على طلب الرخصة فإن اللورد جرانفيل سيطلب من الخديوى أن يستبدله برياض باشا أو شريف باشا.

هذا كله والإنجليز لا يريدون أن تكون مصر تحت سيادتهم ولا يحبون أن يرفع عليها علم حمايتهم وليس يدرى ما الغرض من السيادة والحماية سوى التصرف في الادارات والتحكم في أولياء الأمور. هذا وزير مصر الأكبر لاينال رخصة سفر إلا بإذن من جرانفيل ولا يأذن له ويرى أن له أمراً على الخديوى باستيزار فلان، فإن لم تكن هذه سيادة فما هي السيادة.

* في خبر أن الأميرال هفيت وصل إلىٰ أدوفا (من البلاد الحبشية) وأسلفنا أنه كان في نيته إغراء ملك الحبشة بإيقاد حرب صليبية يهلك بها أمم العالم فداء لشهوات الانجليز إلا أنه جاءت الأخبار بعد هذا أن الأميرال لم يصادف سعة من صدور الحبشيين وأن الملك يوحنا وقف على خديعة دولة انجلترا ولم يظهر عناية بما أتى إليه الأميرال ولم يبعث لملاقاته أحداً بل أظهر الحبشيون غاية الخشونة في معاملة الوفد الإنجليزي حتى أنهم امتنعوا عن بيع المأكولات لهم وقد ذكرت بعض الجرائد صورة المعاهدة التي يراد عقدها مع ملك الحبشة ولا يهمنا الآن ذكرها.

* هجم جماعة من الثائرين على سواكن في التاسع عشر من هذا الشهر وزحفوا إلىٰ المدينة حتى صاروا على خمسين متراً من أسوارها ثم أطلقوا عليها النيران مدة ساعتين حتى أثر الرصاص في كثير من البيوت ولم يتحرك جيش الحامية أدنى حركة لمدافعة هذا الهجوم العنيف. ويظهر من هذا أن انتصار الجنرال جراهام في سواحل البحر الأحمر لم يكن له أثر وإنما هو قول يذكر ورواية توثر وأن غزواته لم تزد الثائرين إلا إقداماً.

* * *

* كتب مراسل التان في القاهرة أن لاصحة لِما أشاعته الجرائد من القبض على مسيو أوكلى النائب الإيرلندي الذي حملته همته على السفر إلىٰ الأبيض.

في التواني الهلكة!

هذا ما ساقت إليه الحوادث المصرية وهي مفتاح الكوارث الشرقية وفيها مغلاقها. العظام من الدول في يقظة لا سنة معها، وحركة لافتور فيها مفاوضات متواصلة بينها قبل انعقاد المؤتمر، ومجادلات متلاحقة يدأب فيها السياسيون من كل أمة، بعضها بالمراسلة، وشيء منها بالمشافهة، كثرت خلوات السفراء من كل دولة مع وزراء الخارجية من سواها، يتهامسون ويتغامزون، ويسرون خلاف ما يعلنون، ويذهبون إلىٰ مالا يقصدون، وقد حملق كل بصره للآخر لعله يلمح من كان وجهه ما ينبيء عن مضمرات سره، ويصوب كل فكره إلىٰ ما يريد الآخر من قوله، عسى أن لا يفوته شيء ربما يعتل به، وجل ما انصرفت إليه قواهم تمثيل الرغائب، وتخييل المطامع، في صور أبعدها عن الحقيقة، أقربها إلىٰ الخيال. يعظمون الحقير، ويحقرون العظيم، ويجسمون الموهوم، ويضلون عن المعلوم، ويقربون البعيد، ويبعدون القريب، يذهب كل بصاحبه إلىٰ رياض من الأماني باهرة الأنوار بزهور الآمال، وما نبت بهارها إلا على حبائل من المكر، وفخاخ من الخديعة، حتى إذا راقه المنظر وخطا خطوة سقط من حيث لا يشعر. هذا يسهل صعباً. والآخر يوعر سهلا، وكل يتبع لحاظ رصيفه إذا أحس منه لمحا لمقصده أبرز له ألواناً من الفوائد الموهومة ليستلفته عن مرامه، وإذا شعر منه بفكر يوصله إلىٰ ما يمسه، فتح عليه أبواباً من

الفزع ليزعجه عما يطلبه، ويشوش عليه سيره ويقطع سبيل فكره. منهم من يكسب الأصدقاء بمال غيره، ومنهم من يستفيد الرفقاء بكف شره، ومن الناس أقوام آخرون على غوارب أمواج الحوادث نائمون، تقذفهم كريبة وتتلقفهم أخرى، وهم عنها غافلون. زلزلت بهم الأرض زلزالها، ودهمتهم الخطوب بأرزائها، وتوالت عليهم المزعجات، وتناولتهم عواصف المفزعات، وهم في سكنة تخيل لناظرها أنهم على بساط الراحة مطمئنون، والمقبل على الفوز من هؤلاء وأولئك إنما هو أحزمهم رأيا وأثبتهم عزيمة وأشدهم بشئونه بصيرة.

يقول الإنجليز إنا عدونا على الهند من زمان طويل فاغتصبناه وحقت لنا الملكية عليه بما هو مقرر في شرائع القوة وقوانين التغلب. وأين ديارنا من هذا الملك العظيم في شرقي آسيا. المسافات طويلة والشقة بعيدة فلا بد أن يكون لنا في كل مكان موطىء لأقدامنا لنحتفظ بأملاكنا فلنا حق في اغتصاب جل العالم لأجل الهند، خصوصاً القطر المصري، فإن به السبيل التي لا يماثلها سبيل، وليس لنا عنها غنى وكنا في تطلع إليها من زمن قديم وكثيراً ما تمسكنا بحبال من الوسائل إليها فرثت في أيادينا بقوة حكام تلك البلاد حتى هيأت لنا حوادث السنين الأخيرة ما أحلنا دارهم وأقرنا في قرارهم. إنا ذهبنا لتقرير توفيق باشا وتثبيته على كرسى الخديوية المصرية، إلا أنه بقتال ونزال فلا تختلف صورته عن صورة الفتح، فلنا حق التملك في تلك الأقطار وقد فهم الناس أن مسيرنا إلىٰ مصر كان لغاية إقرار الراحة وإزالة الاختلال وكأننا صرحنا بذلك عند عزمنا عليه، لكن الغرض الحقيقي إنما هو تأمين طريق الهند فتسنى لنا ما قصدنا بحلول عساكرنا في وادى النيل. فثبتنا فيما أصبنا وليس لنا أن نتركه بعد الوصول. وحيث أننا عقدنا العزم على البقاء في مصر وأضربنا عن إخلائها لزمنا ضمانت الديون المصرية وحملها ثقيل على كواهلنا فعلى جميع الدول أن تمدنا بالمساعدة وتكون لنا عوناً على تنقيص الفوائد ولا نحب أن تكون مذاكراتها معنا إلا في المالية خاصة فانا لا نرجو من مفاوضاتها فائدة. أما

سائر الشئون فعلينا تدبيرها وإلينا مصيرها. هذه أقوال تصدر عن آمال يمدون اسبابها إلىٰ برلين ويرجون أن تكون مواصلها ومعاقدها في تلك المدينة عاصمة الألمان.

أما البرنس بسمارك وهو مدير السياسة في أوروبا وبيده زمامها فيرى أن هذه فرصة ينتهزها ليستفيد صديقاً وينكى عدواً وليست له علائق سياسية تحمله على المدافعة عن مصر ولا منافسة له مع الإنجليز تبعثه على معاكستهم، بل له إليهم حاجة في ضمهم إليه وإبعادهم عن فرنسا لتكون منفردة بين الدول لا حليف لها وقد تكون له من صلة الإنجليز مآرب أخرى سوى قطع فرنسا من الحلفاء ينالها يوم الحاجة إليها وما هو عنه ببعيد فماذا يضره إذا أدخر عوناً وأساء عدواً والنفقة على خزينة غيره. نعم ربما يظن أن بسمارك يمنعه عن مثل هذه المعاملة رعاية جانب حلفائه من النمسا وإيطاليا لما لهم من المصالح في البحر الأبيض ويصعب عليه أن يصيب بسياسته الجمع بين مراضاة انجلترا لنيل مصافاتها وبين التمسك بعهوده مع ذوى حلفه، إلا أنه قد يسهل عليه التخلص من هذا المضيق بالإشارة إلىٰ طرابلس الغرب وبلاد الأرنؤوط والإيماء إلىٰ الأراضي البلقانية وسالونيك ويجلوها لأنظار معاهديه فيسكن جأشهم ويطمئن خاطرهم فيستثبت بذلك موالاة الدولتين، ويقلم أظفار الروسيا من أوروبا الشرقية ويضيع مصالح فرنسا في بلاد المشرق عموماً ومصر خصوصاً وفي كل ذلك الربح له، والخسارة على غيره، وليست هذه أول فعلة فعلها بسمارك أو يفعلها فهي شرعته التي يرد إليها ويصدر عنها من يوم معاهدة برلين إلىٰ هذا الوقت.

وفرنسا واقعة بين مراوغات الإنجليز ومكائد بسمارك. لها حقوق سابقة في البلاد المصرية كاديمحى أثرها بمداخلة الإنجليز وبها حاجة شديدة لعلو الكلمة في طريق منشآتها ببلاد الصين والبحر الهندي ومدغشقر. لهذا تبذل الجهد لإجلاء العساكر الإنجليزية عن مصر وتخفيض سلطة الإنجليز فيها ويوجد لها عون من دولة الروسيا ولها من المنعة مالو أيدته أفكار المصريين وآراء ذوى العزيمة من رجالهم وميل أفئدتهم لمكنها من تخليص مصر وانتزاعها من أيدى الإنجليز سعياً في حفظ

مصالحها ووقاية حقوقها وهذا مما يؤيد سياسة الدولة العثمانية ويشد عضدها في مدافعة الإنجليز ومطاردتهم من بلادها فللدولة العثمانية أن تظهر عزمها في هذه الأوقات لتستنفذ ممالكها من طمع الطامعين وتعيد ولايتها على الأقطار المصرية خالصة لها من سلطة المعتدين، وأن جميع المسلمين ينتظرون منها الحذق في هذه المسألة ولهم فيها الأمل القوي والثقة الكاملة، ورجاؤهم أن لا تفوتهم هذه الفرصة بدون أن ينالوا بها خطهم من الغنيمة، وليس على الدولة من بأس إذا طالبت الإنجليز برد حقوقها كافة فإنهم بالنسبة إليها أضعف من أن يجاهروها بالعدوان، وإنا نكرر ماقلناه سابقا من أن الإنجليز يستحيل عليهم أن يعلنوا على الدولة العثمانيةحرباً خصوصاً في هذه الأوقات التي أصبحت فيها دولة الروسيا متاخمة للملكة الأفغان فإن أول أشاعة لهذه الحرب توقد لهيب الثورة في عموم الممالك الهندية وهذا جلي عند كل انجليزي أن التغافل والوهن ربما يوسعان مجال الطمع فيفتح باب المسألة الشرقية أو يكون لها استعداد قريب وليس للمصريين في طورهم هذا أن يركنوا إلىٰ من ليس من أبناء جلدتهم فإن الثغرة التي تحمل على الحمية تكاد أن تكون منحصرة بحكم الطبيعة في ابناء الوطن فلا ترجى من غيرهم. فعلى العقلاء من أهالي مصر أن يسارعوا إلىٰ معاضدة الدولة العثمانية والاتحاد معها على تخليص بلادهم مستعينين بأفكار الدولة التي تقضى عليها مصالحها بالسعى في إنقاذها وإعادة شأنها الأول وتحقيق ما يقال من أن مصر للمصرين.

وبالجملة فالأطماع فغرت أفواهها، والأفكار في اضطراب شديد، وظنون الناس شتىٰ فمن قائل أن المؤتمر لا ينعقد لتعسر الإتفاق بين فرنسا وانجلترا على القواعد الأساسية للمداولة فيه، ومن قائل أنه ينعقد على أن يضع مصر تحت حماية عموم الدول ويقرر إنشاء مراقبة دولية مع بقاء العساكر الإنجليزية مدة سنتين، وعلى أي حال فالرزية إنما تصيب الغافل، والسوء إنما يحيق بالمتساهل، والجبان محروم من حقوقه والعامل بيد غيره خاسر، فعلى المصريين والدولة العثمانية أن يظهروا الشهامة والإقدام، ويرفعوا علم الهمة أبقاء لحياتهم، وصوناً لشرفهم، والأمر له يفعل ما يشاء.

منشور انجليزي قديم

نشرت حكومة انجلترا في الهند منشوراً منذ مائة وثمانين سنة وهذا ترجمته:

إذا وجدت في دوائر الحكومة وظيفة لا يقوم بها انجليزى (أي لا تـليق أن تكون بيد أحد من الجنس الشريف) وجب أن يعين فيها أحد الفارسيين الباقين على دين زرادشت (المجوس)، فإن لم يكن منهم مقتدر على القيام بها، أقيم فيها وثـنى (عابد صنم) فإن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء من يؤدي عملها كلف بها مسـلم، فليس للمسلمين في الهند حظ من وظائف الحكومة إلا ما يعافه المجوسى والوثـنى وهذا هو عنوان محبة الانجليز وهو برهان دعواهم أنهم أولياء المسلمين وأنصارهم، لا أكثر اللّه من أمثال هؤلاء الأولياء والأنصار!!

ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار

كيف يمكن لقوة أجنبية تصول على أمة من الأمم أن تسود عليها وتستعبدها وتذللها للعمل في منافعها مع التخالف في الطباع والعوائد والأفكار، ووجود المقاومة الطبيعية، فضلا عن الإرادية. إن الوحشة المتمكنة في نفس كل واحد من الأمة، وظن كل فرد أنه في خطر على روحه وماله إذا غلبه الغالبون، تحمله على المدافعه كما يدافع عن بيته وحريمه، فلا يتسنى للقوة المغيرة أن تذل الأمة إلا بافنائها عن آخرها، أو إفناء الأغلب حتى لا يبقى إلا العجزة والزمنى[1]. هذا أمر طبيعى وحكم بديهى متى كانت الغارة على الأمة: نعم يسهل للقوة الأجنبية أن تتغلب على أمة عظيمة بدون تناحر إن كان لهذه الأمة حاكم أو رئيس روحى تجتمع عليه قلوبها، وتدين له رقابها، لمنزلة له في افئدة أبنائها، ولمكان آبائه من الكرامة في نفوسهم، فلا تحتاج القوة الغالبة إلا لإيقاع الرعب في قلبه، فيجبن ويقبل ما تحكم به، أو نصب حبالة الحيل له فتخدعه بالأماني والآمال، فيذعن لما تقضى به فاذا خضع للقوة الغريبة خضعت الأمة تبعاً له. ولهذا ترى طلاب الفتح وبغاة الغلب ينصبون قبل سوق الجيوش وقواد الجنود على قلوب الأمراء وأرباب السيادة في الأمة التي يريدون التغلب عليها فيخلعونها بالتهديد والتخويف، أو يملكونها بالخدعة وتزيين

---

١ ـ شخص أزمن أى أتى عليه الزمان.

الأماني، فينالون بغيتهم ويأخذون أراضي الأمم، وهذا الطريق هو الذي سلكه الإنجليز مع السلطان التيموري في الهند، ولو لا ما كان للهنديين من عقدة الإرتباط بسلطانهم التيموري، وقبض الإنجليز أول الأمر على تلك العقدة، لما تيسر للبريطانيين أن يخضعوا الأمم الهندية في أحقاب طويلة.

هذه قبائل الأفغان عند ما انحلت ثقتها بأميرها، وصار الأمر إلىٰ الأمة قامت كل عشيرة، بل كل فرد للدفاع عن نفسه، بعد ماتمكنت عساكر الإنجليز في قلاعهم وحصونهم، واستولت على قاعدة ملكهم، وفتكوا بالعساكر الإنجليزية وهزموا قواتها وأجلوها عن بلادهم، وهي ستون ألفاً من الجيوش المنتظمة، المسلحة بأحدث الأسلحة، واضطر الانجليز أن يتركوا تلك البلاد لأهلها.

لا ريب أنه يسهل على الانسان أن يأخذ شخصاً واحداً وأشخاصاً محصورين بالترغيب والتهديد، ويتيسر له أن يقف على طباعهم، ويدخل عليهم من مواقع أهوائهم، ويأتيهم من أبواب رغائبهم، لكن يتعسر بل يتعذر عليه أن يأخذ أمة بتمامها، وعقولها مختلفة عليه نفوسها في وحشة منهم إلا بالابادة والتدمير. من هذا نجد الملوك العظام لا يرهبون الاشتباك في حرب مع اقتالهم بل ومن هو أشد منهم قوة ولكنهم يفرقون بل تذهب أفئدتهم هواء إذا أحسوا بميل الأمة عنهم، وماهذا إلا لأن قوة المغالبين داخلة تحت الضبط، وأما آحاد الأمم وقواها فلا تضبط ولا يمكن مقاومتها إذا تغاضت وشحت بنفسها عن الذل لسواها.

إن الأمراء كما يكونون في دور من أدوار الأمة قوى فعالة لنموها وعلوها وعظمتها واشتداد عضدها، كذلك يكونون في بعض أطوارها علة فاعلة في سقوطها وهبوطها وانحلالها، وإنا نخاف ولا حول ولاقوة إلا بالله أن يكون أمراؤنا والأعلون منا آلة لاضمحلالنا وفنائنا، لما غلب عليهم من الترف والانهماك في اللذائذ، والانكباب على الشهوات، مع سقوط الهمة، وتغلب الجبن، والحرص والطمع على طباعهم إنا لله وإنا إليه راجعون.

هجوم على السودان عبر النيل!!

جاء من لندن لإحدى وكالات الأنباء ما ملخصه: لا يظن أحد من الناس هنا (في لندن) أن الجيوش التي عزمت حكومة انجلترا على سوقها إلى السودان يقصد منها إنقاذ جوردون. فإن جوردون معزز برجال من الوطنيين (المصريين أو السودانيين) أولي عزم وقوة، ولهم سطوة تدفع بأس الذين يبغون به البشر. وإذا مست الحاجة إلى تخليه عن عمله وتركه لمركزه فلا يعدمون وسيلة لخلاصه، أما القصد الحقيقي من بعث الجنود إلى السودان فإنما هو افتتاحه تحت العلم الانجليزي وهو وإن كان يحتاج إلى زمن طويل إلا أنه قليل الخطر ولا توجد في سبيله عقبات سياسية حيث تنازلت الحكومة المصرية عن سياستها في تلك الأقطار.

يسهل على العساكر الانجليزية أن تسير إلى خرطوم على طريق النيل وأن سلكت سبيلا من الأرض اليابسة فلا تبعد عن شواطيء النهر (لتكون تحت حماية المراكب وترافقها في السير مراكب تعد لقطع النيل والصعود إلى الشلالات فإذا وصلت العساكر والأساطيل النيلية إلى خرطوم واستولت عليها اعتصمت فيها حكومة عسكرية تمد نفوذها إلى قلب السودان ويكون في هذا عوض للإنجليز عما يخسرونه في مصر لو ألزمهم المؤتمر بالتنازل عن شيء مما يطمحون إليه فيها.

وقالت جريدة (الريبوبليك فرانسيز) إنا نذكر هذه الرسالة على أنها شبه

حجة على مقاصد الانجليز وإلا فإنا نعد ما تحتويه من قبيل الأوهام والخيالات اه.

أما نحن فنقول من أمعن النظر في أعمال الانجليز وتتبع سيرهم في افتتاح الممالك الشرقية، علم صحة ما روته وكالة الأنباء. فإنه منطبق على قواعد السياسة الانجليزية وآت على أساسها الذي بنوا عليه فتوحهم من أزمان طويلة وهو أصل تعارفه الانجليز حتى صار كخصية لازمة لطباعهم، ترد إليه جميع أعمالهم من حيث يشعرون ولا يشعرون، وعليه كان بناء ملكهم في الهند.

إن الانجليز أول ما خطوا خطوة في الهند وجدوا مملكة (أود) من الممالك الواسعة وأغلب أهاليها على مذهب الشيعة ولها نواب (حاكم) عظيم من أهل ذلك المذهب، فرأوا أن يحملوه على الاستقلال وزينوا له الطمع فى لقب شاه لينفصل عن الملك التيمورى. وفي التنازع لنيل هذا المطمع يصيب كلا من الطامع وصاحب الملك سهم من الضعف والوهن فيتهيأ كل منهما للوقوع في مخالب الانجليز وقد حصل.

وأول ما حلوا مصر ولحوا شرارة في السودان أدنوا منها وقودها لتكون ناراً مهلكة فبعدما ما طردوا الجيوش المصرية إيذاناً بالغضب عليهم. جمعوهم ليسوقوهم إلى السودان تحت قيادة أعداء لهم من الانجليز فذهبوا وهم موقنون أنهم يساقون إلى الموت ليذوقوا وبال الانتقام فقلوبهم منكسرة وعزائمهم واهنة وعقائدهم لا تسمح لهم بالانقياد لرؤسائهم الأجانب، وأحس السودانيون وهم مسلمون أن قواد الغارة عليهم ليسوا على شاكلتهم، فزادهم حمية وإقداماً، فكان هذا وذاك سبباً في استفحال أمر السودان بعدما هلكت رجال وأنفقت أموال وساءت أحوال من السودانيين والمصريين، كل هذا ليتوسل به الإنجليز لفصل السودان عن مصر بعد خراب الدارين وكأنهم عندما أرسلوا جوردون باشا وأدنوه أن يمنح محمد أحمد لقب أمير كوردفان قصدوا أن يتمموا عملهم ولكن لم ينجحوا.

وعندما كانت الحرب قائمة بين دوست محمد خان أمير افغانستان وبين (رانجيب سنك) البنجابي تخوف الإنجليز من تسلط الأفغانيين على بنجاب فتداخلوا

في الصلح وسحروا قلوب الأفغانيين بلين القول ولطف الوعد حتى أرضوهم بترك مدينة بيشاور وما يليها لرانجيب سنك وانعقد الصلح على هذا وأجلى الأفغانيون عن مملكة بنجاب ورجعوا إلى بلادهم. وبعد عشر سنين من تاريخ الصلح زحف الإنجليز إلى بنجاب وافتتحوها لأنفسهم واستولوا على مدينة بيشاور فقال بعض أمراء الأفغان إن ذاك الصلح كان مقدمة لهذا الفتح وأن الإنجليز في تعيينهم للحدود إنما كانوا يحددون بلادهم ولكن كنا عنه غافلين.

ومن نحو سنة ونصف أومأ اللورد دوفرين في تقرير كتبه بالقاهرة، إلى أنه لا حاجة بالحكومة المصرية إلى السودان بل لا فائدة لها فيه، وفهم الغرض في ذلك الوقت من أصابه، وغفل عنه قوم آخرون اغتراراً بظواهر العبارات ثم لم يلبث الإيماء أن صار تصريحاً رسمياً وإلزاماً للحكومة المصرية أن تتخلى عن السودان. فلم يكن التلميح والتصريح ثم الإلحاح والإلزام إلا ليهيئوا البلاد السودانية للدخول تحت سلطتهم في وقت من الأوقات لسبب من الأسباب التي لا يعجزون في اختراعها متى شاءوا!! هذا سير يعرفه من قرأ صفحة من تاريخ الإنجليز في الممالك الشرقية.

تريد حكومة انجلترا إذا عارضتها الدول في السيادة على مصر أن تنشيء لها سلطة في خرطوم يمتد حكمها إلى جميع أراضي السودان وعساكرها الآن حالة في سواكن وما أسرع أن تصل بين المدينتين بالسكة الحديد فتكون القوة الإنجليزية بعد هذا محيطة بمصر من جميع الجوانب. وقفت على بابها من طرف الشمال في قبرص وطوقت حدودها من الغرب إلى الشرق في السودان وتحكمت في منابع النيل وتصرفت في اعلاه وأخذت كل طريق يمكن منه الاستيلاء على الديار المصرية، وهنا لك يرصد الانجليز حركات الدول في اوروبا. فكلما أضاءت لهم بارقة فرصة مشوا فيها، وإذا أظلمت عليهم قاموا فيتقدمون إلى مصر خطوة بعد خطوة ولا يبالون، طال الزمان أو قصر، فإنهم يعرفونها لهم على أي حال، ولكنهم يتقون

معارضة الدول في هذه الأوقات. هذه غايات سير الإنجليز في الحوادث المصرية وهي كما قالت (الريبوبليک فرانسيز) خيالات وأوهام إذا اشتدت الدولة العثمانية ورجال مصر في المطالبة بحقوقهم الشرعية والمحافظة على شئونهم وأخذوا بالحزم وعقدوا العزم على مقاومة سعى الانجليز في أوطانهم وديارهم بعد ما ظهر لهم ماذا يقصدون بهم، فإن تهاونت الدولة العثمانية أو تغافل المصريون حسبها الإنجليز طريقاً مطروقة وسبيلا مسلوكة وعدوا مطامحهم حقائق ثابتة ومطالب مقررة لا نجح سعيهم، ولا صدق ظنهم.

السودان والمصر

نشرت جريدة البوسفورأجيبسيان، التي تطبع في القاهرة، خبراً ـ مصدره توفيق باشا نفسه ـ وهو أن الجنرال جوردون أنذر حكومته الانجليزية بأنها إن لم تمده بجيش ينقذه من الضيق الملم به فإنه يرفض الدين المسيحى ويدخل في دين الاسلام!! وضمنت جريدة البوسفور صحة هذا الخبر العجيب (كذا وصفته الجريدة بالعجب) وغرابة الخبر إن كانت من جهة أنه تهديد بما لا يهم الحكومة فنحن نعلم أن الانجليز يفزعهم خروج أحد منهم عن دينهم وإن كانوا يرشدون الناس إلى ترك الدين ويعيبون على المستمسكين به، لكنهم أشد الناس تعصباً فيه فلا محل للغرابة، وإن كانت من جهة أن جوردون، وهو من أشد قومه تمسكاً بدينه، كيف يجنح للاسلام فهو إنجليزي الطبيعة كما هو انجليزي الجنس يتلون ظاهره بأى لون ويبرز في أي ثوب لإصابة غرضه مع المحافظة على ما طبع اللّٰه على قلبه فلا عجب إن قال وفعل!!

في خبر أن محمد أحمد طلب إلى أعوانه المحاصرين لخرطوم أن يأتوا إليه بجوردون حياً ولا يمسوه بسوء إذا وقع في أيديهم.

وفي برقية من أسيوط إلى جريدة التايمس أن مركباً من مراكب البريد وصلت إليها تحمل ثلاثة أشخاص مرسلين من طرف زبير باشا لاستكشاف حالة جوردون

وتوجهت في الحال بمن فيها إلى أسوان. هكذا الدهر أبو العجب، من سنين قليلة فتك جوردون بأولاد الزبير وذوي قرابته وأفسد عليه شئونه وأخرجه عن جميع أمواله واليوم رأينا كدر الضغينة في صفاء المحبة يبعث الزبير على الرأفة بجوردون وتوجيه الرسل للسؤال عن صحته والاستخبار عن سلامة حاله.

جاء الخبر أن أهالي جرجا (مدينة من مدن الصعيد مركز مديرية في جنوب أسيوط) في هياج شديد يشبه أن يكون ثورة، وورد إلى تلك المدينة رجل من أشياع محمد احمد قادماً من القاهرة ودعا الأهالي للأخذ بطريقته فإذا بيتهم جم غفير يجيب داعيه ويذهب مذهبه وهو مما يدل على أن القائم السوداني مهتم بنشر دعوته محتاط لنفسه حاذق في عمله وله دعاة في ارجاء الديار المصرية حتى في عاصمتها (القاهرة) فإن ثبت في هذا السير حل بالحكومة المصرية منه ما كنا نخشى أن يقع بها ويشتد الخطب ولربما صار له بقوة ميل الأهالي إليه منعة يصعب على حكومة غير إسلامية أن تقارعها. أما ما ذيل به خبر الهياج في جرجا من وجود عداوة بين المسلمين من أهاليها والمسيحيين فهو مالا نصدقه ولا ينطبق على الواقع لأن الأيام السابقة شاهدة على حفظ كل من الفريقين زمام الآخر في جميع الأحوال التي عرضت على بلاد مصر. المسلمون والمسيحيون فيها على وفاق تام في جميع نواحيها والمقاتل التي وقعت أيام الحرب الماضية إنما كان منشؤها إفساد المفسدين على أنه لم يمس فيها قبطي بسوء، والأخبار الصحيحة تؤيد ما نقول.[1]

وأرسلت الحكومة المصرية الآلاى السابع من المشاه إلى أسوان مع جملة من المدافع الجبلية وعدد وافر من الجمال.

---

١ ـ شكراً لله فما من زعيم أو مصلح شهدته أرض الكنانة إلا وقد كانت رابطة محبة الأديان رائده... فالتعصب سرطان يفتك بأبناء الوطن الواحد ويشل نشاط أبنائه... فتنفتح ثغور.. تتسلل منها نفوس عفنة تهدم في الظلام ما تبنيه الأمة في أجيال. وقد حذر الأفغاني مسلمي مصر ومسيحييها من شر هذه الفتنة وهو في باريس، فنعم الرجال ونعم الأخلاق.

وفي برقية من سواكن إلى جريدة الديلى تلغراف أن مناوشات وقعت من أتباع محمد أحمد بالقرب من سواكن، وفي جريدة التايمس أن الثائرين أطلقوا مدافعهم على تلك المدينة في الساعة الثانية صباحاً من الثامن والعشرين من شهر مايو، إلا أنه لم يصب أحد من الحرس وتقهقر المهاجمون بسرعة.

عثمان دجمة ـ مع ألف من رجاله ـ نازلون على القرب من طمانيب ومعظم قوته حالة بتلك البلدة ويقال أن بنفوس عساكره كدراً من قلة الأزواد[1] وهو من أخبار العدو يسمع وقد لا يصدق.

وإن الأميرال هفيت المبعوث من طرف انجلترا لخديعة الملك يوحنا ملك الحبشة لم يحظ عند الملك بقبول.

أراد رجال الانجليز أن يخففوا على القلوب المنخلعة من أبناء أمتهم أهوال السودان وما يتوقعونه من مصائبه فأشاعوا ظهور شخص يدعى المهدوية في دار فور ويقول أن محمد أحمد ليس إلا تلميذاً له من قدماء تلامذته، وكان الانجليز يستبشرون بتفريق كلمة السودانيين كما يسرهم تخالف المسلمين أجمعين.

١ ـ يقصد عدم زيادة المرتبات.

فرية دنيئة على الاسلام!

في برقية وردت لجريدة الديلى تلغراف من القاهرة في ٢٧ مـايو ١٨٨٤ أن زبير باشا طلب إلى سراى توفيق باشا، بناء على إشارة الحكومة الانجليزية، والتمس منه المستر أجرتون أن يجد وسيلة لإرسال مندوب إلىٰ جوردون باشا يأمره بالعودة حالا. واتباعاً لأمر توفيق باشا بعث الزبير باحد خدمه لأداء هذا العمل وكـان فرصة انتهزتها حكومة فرنسا لاستدعاء قنصلها في خرطوم. وقـد ضـمن الزبـير وصول المندوب وعودته بالجواب في خمسين يوماً اهـ.إن صح هذا دلنـا عـلى أن جوردون ليس معززاً برجال أولى بأس وشدة كما جاء في البرقيات وأن الانجليز عجزوا عن إنقاذه بقوة حربية وإن كانوا ربما يقصدون الحرب لغاية أخرى.

ونقلت الجرائد الأوروبية ما يعجب من نسبته لزبير باشا. ذلك أنه أشخص ثلاثة من أولاده إلى رؤساء الثائرين ومع كل واحد منهم كتاب إليهم وهذا مفاده نذكره ترجمة من تلك الجرائد بلا تصرف في عباراته:

شكراً للخديوى ولدولة بريطانيا العظمى وللجنرال جوردون. كل أملاكـنا التي انتزعت منا سترد إلينا. يا أحبابى ويا أهل وطـنى إنى أبـعث إليكـم أولادى الثلاثة مصحوبين برقيم إلى الجنرال جوردون فدعوهم يصلوا إليه وسهلوا سبلهم وأقسم عليكم باسم النـبي وأسماء أجـدادي الذيـن أكـرموا الأسراء أن تـرافـقوا

جوردون إلى كورسكو وأن تعاونوه حتى يعلو متن النيل. كل معاملة تسيء الجنرال فهي تكسر خاطري الى الأبد. وأنا وعيالى هنا رهن الى أن يعود الجنرال جوردون فإن عاد صحيحاً سالماً فمحمد يحفظكم أبد الآبدين اها!!

وأنا أتبرأ ما في هذا الرقيم[1] ونسبته لزبير باشا فإنا نعرف الرجل مسلماً فقيهاً في دينه عالماً بفروضه وهو من سلالة العباس عم النبي صلّى اللّه عليه وسلم وفي نفسه حزازات مما نكاه به الجنرال جوردون عندما كان حكمدار السودان، وليس من أحد يحفظ تاريخ جوردون ويحصى سيئاته كزبير باشا، علمنا ذلك منه وهو يتنفس الصعداء من ذكرى مصائبه أيام كنا في مصر، فكيف يمتدح الانجليز ويشكرهم وكيف يقوم بعمل يعود بالمنفعة عليهم اغتراراً بما وعدوه من رد أملاكه إليه وهو يعلم أن كل ما يفيدهم لا يزيد قدمهم إلا رسوخاً في أوطانه ومن لاحظ أسلوب الرقيم تبين له أنه ليس بأسلوب عربى خصوصاً ما جاء في خاتمته من الدعاء فإنه لم يعرف في عبارات المسلمين ما يشابهه. فمحمد لا يحفظ أحداً بل اللّه على كل شيء حفيظ. فلا يبعد أن عدو الزبير أراد أن يشوه سيرته فرماه بهذه النسبة أو أن يكون الرقيم من مخترعات بعض الجرائد الأوروبية للتلميح!!

---

١ ـ الرقيم: الخطاب.

صراع بشأن تثبيت الاحتلال!!

وجاء في برقية من برلين إلى جريدة (جازيت دوكولونى) ثبت أن من عزم دولتي فرنسا وانجلترا أن تتفقا قبل انعقاد المؤتمر على موضوع البحث فيه كما اتفقت دولتا الروسيا وانجلترا على مدار النظر في مؤتمر برلين قبل انعقاده بواسطة اللورد سالسبورى والكونت شوفالوف. كل من الدولتين المتفاوضتين تمد نظرها إلى ماعسى أن تؤول إليه مداولات المؤتمر وتحدده وتقدره (ثم تدخل فيه على ان تكون ألغاية ما قدرت).

ربما حلت الدعوة إلى المؤتمر محل القبول عند بعض الدولة إلا أن رضاء الباب العالي شرط في قبول حكمه والتسليم لقضائه ولو أن دولتي النمسا وألمانيا أو الدول جميعها قضت بأن يكون من قواعده الأساسية إجابة جميع الدول التي دعيت إليه مؤقتاً لم يكن قاضياً بوجوب الإذعان لما يبرمه وهذا هو شأن المؤتمر بالنسبة إلى الباب العالي على أي حال.

وقالت جريدة التايمس، تيسر لوزارة انجلترا أن تتغلب على مجلس النواب لكن ليس لها أن تعتمد على هذا الظفر الهين وعليها أن تستفيد في مدة البطالة لعيد العنصرة فتنجو بما تستفيده من الخطر العظيم الذي ربما يحيق بها من المفاوضات الجارية بينها وبين وزارة فرنسا، وتساهلت الوزارة في عقد عهدة تخالف مصالحنا

مع شركة قناة السويس ثم نجحت في التملص من قيودها ومزقت المعاهدة وتركت مسيو ديلسبس على أرض قفراء وليس بالسهل عليها أن تسلك اليوم ما سلكت في تلك الأوقات. فلو رفض البرلمان ما انتهت إليه المفاوضات في المسألة المصرية لما أمكن للوزارة أن تبق في مساندها. وإذا تعذر الوصول من هذه المفاوضات إلى غاية صالحة أمكن الوزارة أن تتنحى عن العمل، أما فرنسا وسائر الدول فليس لها أن تطالب مجلس العموم في انجلترا بمنحة شحت بها نفوس أهالي بريطانيا كافة ورفض السماح بها عموم الآراء في بلاد الإنجليز (يريد بالمنحة ما تفضل به وزراء انجلترا على الدول من دعوتها للمباحثات في أحوال مصر).

الثبات الثبات

حملت قوة الثائرين على مدينة بربر فافتتحتها بعد مافتكت بجميع حاميتها ولم يبق موضع للريب في استيلاء أعوان محمد أحمد على تلك المدينة وبعد تمكنهم فيها. زحف منهم ثلاثون ألفاً لمهاجمة دنقلا، وفي برقية من كورسكو إلى التايمس بتاريخ ١٣ يونيو أن محمد أحمد يزحف بنفسه مع خمسة وثلاثين ألفاً لفتح دنقلا وله أمل في الفوز قبل أن يهل رمضان، وقد بعث برقيم إلى مديرها وسماه أميراً عليها سنة السلطنة فيها مع ما يليها.

وانقطع الطريق بين دنقلا ووادي حلفا وامتنع سلوكها وأيست الحكومة المصرية من صيانة تلك المدينة فأصدرت أوامرها بتمهيد سبيل لرجوع حاميتها إلى مصر وشعرت حكومة انجلترا بتعاصي الفتنة فعملت على إرسال نجدة لإمداد حامية خرطوم كما أكدته جريدة (المورننج بوست) الإنجليزية قنوطاً من نجاحها، وعثمان دجمة يشتد عضده يوماً بعد يوم وله في كل ليلة هجمات على مدينة سواكن بل وعلى بعض المراكب في البحر.

أخبار ما نزل ببربر وما يتوقع نزوله بدنقلا وغارة الثائرين على معسكرات الحكومة في وادي حلفا كل ذلك أحدث اضطراباً شديداً في أسوان وهيجاناً في خواطر الكافة من أهل الصعيد وربما يخشى من وقوع مالا تحمد عاقبته على

الناكثين.

هذه مرابك الإنجليز في مصر وهم في أوحالها لا يفترون عن السعي إلى ما يثبت قدمهم فيها. وجاء في برقية إلى وكالة هافاس أن الجند المصري دخل بأسره تحت إمرة الجنرال استفانوس (قائد جيش الإحتلال الإنجليزي) فصار الجنرال كأنه وزير الحربية وتحول الجند الوطني الى انجليزى وجيش الاحتلال إلى حامية مصرية ثم هم يسعون لالزام توفيق باشا بنصب ثلاثة مفتشين من الانجليز أحدهم في القاهرة والثاني في مصر السفلى (مفتش وجه بحرى) والثالث في مصر العليا (مفتش وجه قبلى) على انهم لا يعزلون إلا بأمر من انجلترا فتنقلب الادارة انجليزية محضة لا يبقي فيها لحكام مصر إلا نهاية حال الذليل. الامتثال والطاعة. تصرفوا في الأراضي المصرية العثمانية تصرف المالك فمنحوا منها بقاعاً وفرضاً على البحر لملك الحبشة، وحالفوه على أن يسوق جيشاً ينازل المسلمين في اراضيهم، رجاء تذليلهم وإخماد أنفسهم وفي أثناء هرولتهم إلى مطامعهم يثيرون في أعين الدول غباراً، ويرفعون جلبة، ويصيحون بأن لا غرض لنا إلا إقرار الراحة وإعادة النظام، ويقيمون الحجة على إخلاصهم برغبتهم إلى الدول في مساعدتهم على حل بعض المشاكل المالية، مع أنهم لا يرغبون عقد المؤتمر إلا لينالوا منه ما يزيد قدمهم رسوخاً في مصر. وعلموا أن لفرنسا مصلحة في مناواتهم فطفقوا يهددونها بالتحالف مع ألمانيا أو التقرب إليها إن لم تتساهل معهم ليحملوها بالتهديد على الرضاء بإبقاء عساكرهم في مصر إلى سنة ١٨٨٨ تحت اسم إقرار الراحة، على شرط أن لا يكون بعد مدة إلا بإجماع جميع الدول التي يكون لها نواب في المؤتمر، بحيث لو وافقهم إحداهن على إطالة المدة فيما بعد، لكفى في تمديد الأجل أو إطلاقة وليس بخاف ما يقصدون من هذا الشرط. فإنهم يعلمون في اختلاف مصالح الدول وتضارب السياسات ما لا يعدمون معه وسيلة لارضاء دولة واحدة في زمن من الأزمان بالموافقة على مد الأمد، ولا نخال دولة فرنسا يقف نظرها دون هذا الحجاب الرقيق وهو يشف عن ملم عظيم لا تسلم

منه مملكة من ممالكها في المشرق، ولا نظنها تذعن لقبول هذا الشرط، وان قبلته دولة لا مصلحة لها في مصر ولا يهمها لا معاكسة فرنسا.

فكأنما سلك تصرف الانجليز من خمس سنوات في سلسلة من الألاعيب نهايتها للتسلط على مصر في هذا المؤتمر بدعوى، ثروة المالية المصرية، وأن عجزها من الخيانة فيها وتوسلوا بذلك لانقلاب في هيئة الحكومة ثم الجاءوا عرابي للدخول في العصيان ليعتلوا به في الزحف لتأييد الحاكم ثم وسعوا دائرة الخلل ليكون وسيلة إلى سلطة لا تحد يؤملون نيلها في هذا المؤتمر. زينوا للدولة العثمانية أن تصول على السودان مع وجود عساكرهم في مصر، ثم تخرج وقد مهدت لهم مصر والسودان معا. فلما لم تنخدع لهم وحق لها أن لا ترضى شدوا عليها بالتهديد قائلين أنهم لا يسمحون لعسكري تركي أن يذهب إلى السودان من بعد ولو لم تقبل الدولة العثمانية حضور نائب لها في المؤتمر على أنه منحصر في المالية فإنه سينعقد بدون رضاها. ولئن كان الإنجليز صادقين في طلبهم، إقرار الراحة في مصر، لو كلوه إلى عساكر العثمانيين وفوضوا الأمر لحازم حاذق من أمراء المصريين فإن في ذلك إطفاء للفتن وتثبيتاً للسلم ولا خوف من الدولة على الإستقلال المصري فليس من شأنها أن تنقض عهد دولة واحدة في هذا الوقت فضلا عن عهود الدول ولكن لا يهولن الدولة هذا التهديد فدعوة محمد أحمد بلغت في الهنديين وتغلغلت، وخبر قرب الروس منهم ملأ آذانهم، والإنجليز يتوقعون الفتنة فيهم ساعة بعد ساعة، والقوة الإنجليزية قاصرة عن مدافعة محمد أحمد، فلو ثبتت الدولة العثمانية لخضع الإنجليز لقوة الحوادث رغماً عنهم، فإنهم يفرقون من أن يشاع عنهم أنهم مضادون للدولة العثمانية فالثبات الثبات والله المستعان.

برهمن لاهور

قد انكشفت (لفندت اللاهورى صاحب جريدة أخبار عام) أن ما أنذرنا به عند دخول الروسية في مرو من وشك دخولها في سرخس ليس من قبيل كان ويكون وسيكون، فقد دخلت الروسيا مدينة سرخس برضاء من التركمان كما قدمنا في العدد الماضي فليس له أن يستبطىء سير الهول الشمالي ليد كدك أسوار الحكومة التي يظهر المدافعة عنها (وهي الحكومة الإنجليزية) فعما قَريب تظله هبوة الزحف في أرض بنجاب تحت جدران وله بعد أن رأى ما رأى من صدق ما نقول أن يطمئن إلى ما نبيء به فيما بعد فإننا نحكى عن طبائع الأمم وحقائق السياسة ومقتضياتها وليس يغنى ظنه من الحق شيئاً.

هذا

سررنا بملاقاة أفاضل من أرباب الجرائد في مصر أتوا إلى أوروبا ليحضروا مؤتمر في لندن ويقفوا على دقائق المفاوضات التي تجرى فيه متعلقة بالمسألة المصرية وينشروها مع ما تجود به قرائحهم من الرأى الصحيح في جرائدهم تنويراً للأفهام، وتنبيهاً للأفكار، فحمدنا سعيهم، وشكرنا صنيعهم، وأعظمنا همتهم، في خدمة البلاد المصرية، قياماً بما فرضته عليهم الجامعة المشرقية، وما أوجبته ذمة الجوار، وإن لم يكونوا ممن نبت في تراب مصر، ولا جبل من طينتها، ولكننا أسفنا غاية الأسف على احتمالهم لهذا العمل العظيم أفذاذاً بلا معززين لهم من أبناء الديار المصرية لا من المسلمين، ولا من المسيحيين، أولئك الذين حفت بهم المكاره، وداهمتهم مغيرات الرزايا من كل جانب، ولهم في البلاد نسب صريح، وورثوا ما أقاموا فيه عن آبائهم وأجدادهم، من أجيال طويلة، وفيهم عارفون باللغات الأجنبية على اختلافها، ومنهم من نال شرف المعرفة على نفقة بلاده، وإنما كانت تعده البلاد لمثل هذه المهمات. الا يوجد بينهم شاب يغلى دمه وتجيش أحشاؤه لما نزل بدياره، وبني وطنه، مما يتألم له العالم أجمع، أو إن لم يكن هذا ففتى يعظم همه، ويسمو عزمه، فيطلب ذكراً رفيعاً، وثناء باقياً، فتنهض همته للشكاية من مصابه ومصاب إخوانه، أو لارشادهم إلى ما به النجاة، وما يتوسلون به إلى الخلاص، ألا يوجد شيخ قضى

وطره من الدنيا وفاضت عليه البلاد بخيرها يتذكر نعم الأوطان عليه، فينبعث لأداء شكرها بما يستطيع من خدمتها، ألا يوجد من هؤلاء وهؤلاء أغنياء لا يخافون إعداماً فيتسامحون في بذل شيء من فضل ما لهم ينفقونه على أنفسهم في طلب الانصاف لدى الدول التي يهمها النظر في شئونهم، ألا يوجد فيهم من ورث عن آبائه ثروة واسعة وهو يبددها فيما لا يعود عليه بمجد ثابت ولا شرف دائم، فيجعل الانفاق على نفسه في السفر لهذه الغاية المحمودة داخلا في دائرة إسرافه.

يا عجباً ما هذا الخمول، ولم هذا الانزواء للذهول، عما رزئت به أوطانهم، كيف وأسنة الحوادث مصوبة إلى أفئدتهم، وألسنتها تلغ في دماء قلوبهم، العوز والحاجة، كيف وإنا نعرف فيهم الأغنياء الموسرين، ومن لا تنفد ثروتهم إلا بأيدي أعدائهم المتغلبين، إذا استمروا في تماديهم هذا، الشح والحرص؟ كيف وفيهم الأسخياء ومن أشرفوا في البذل على الاسراف والتبذير، فيما لا ينالون منه إلا مدحه في الوجه، ورفعه لا وجود لها إلا في الوهم، الخوف والجبن؟ كيف وقد بداهم أن الخطر في سكوتهم أشد من الخطر في عويلهم وصياحهم، الراحة مفقودة، والنظام مختل، والحقوق ضائعة، والفتن محدقة بهم. والأجانب ضربوا خناجرهم على حناجرهم، فلو لم يتداركوا أنفسهم بالسعي في كشف هذه البلايا لأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بل الخطر كل الخطر إنما هو في اهمال مصلحة الوطن وليس على ساع في خير وطنه وملته في خطر. إذا أتى البيوت من أبوابها، وطلب الغاية بأسبابها، فمن أي شيء يخافون، وأى سلطة يرهبون، إن لم يكن لجراح الوطن أثر في أفئدتهم، فاين الاحساس الطبيعي المودع في نفوس البشر، الباعث على المباراة والمنافسة إنا للّه وإنا إليه راجعون.

العدالة الانجليزية!

الركون إلى العدالة والسكون إلى الأمن والراحة من الأمور الطبيعية في الإنسان وهذه حقيقة أدركها الجنس الإنجليزي الشريف لهذا تراه يجوب الأقطار ويتقلب في الأمصار حاملا على أحد عاتقيه علم العدالة وعلى العاتق الآخر لواء الأمن والراحة رجاء أن يملك أهواء العالم أجمعين وينال الكرامة في جميع أنحاء المسكونة.

إلا أنا نعجب غاية العجب لجفلة الناس من ألوان هذه الأعلام وفزعهم من الاستظلال بظلها ومن تفيأه يوماً فزع للانتباذ عنه في آخر ولو لفحه لهيب جهنم، هؤلاء الإيرلنديون من جنس الإنجليز وعلى دينهم وينطقون بلغتهم ولا يوجد بينهم وبين سكان بريطانيا العظمى فرق إلا فيما لا يعد الاختلاف فيه خلافاً حقيقياً من عقائد المذهب الكاثوليكي والبروتستنتي ويصح أن يقال أنه خلاف في فروع الدين لا في أصوله. وجزيرة إيرلندا تعد جزءاً أصلياً من مملكة بريطانيا وسكانها يعدون عنصراً داخلاً في قوام الأمة وعليهم بسط جناح المرحمة الإنجليزية من أجيال طويلة حتى حسب الجميع أمة واحدة، ومع ذلك ترى الافاً مؤلفة من الإيرلنديين يهجرون أوطانهم ويهاجرون إلى أمريكا ويتخذونها سكناً لهم فراراً من عدالة الإنجليز، وكل يوم ترى المحترقين بنيران الحمية منهم يخاطرون بأنفسهم

في أعمال يقصدون بها هدم السلطة الإنجليزية وإهلاك القائمين بها، وفي كل يوم يحدون الأخاديد ويدفنون المواد الملتهبة (الديناميت) في أماكن مختلفة من مراكز الحكومة وطرق مسير الكافة من الإنجليز تارة تحت قصر الملكة وأخرى في مقاعد الوزراء وطوراً تحت دار الندوة وآخر في جسور السكة الحديدية ليدمروا كل مكان بمن يقله، وزاد ذلك حتى أفزع الحكومة في هذه الأيام وما من مدة تمضي إلا وتسمع بمواقع بين عساكر المحافظة الإنجليزية في إيرلندا وبين الأهالي، ومنها ما حدث في ثامن هذا الشهر (يونيو) من معركة بين العساكر والعامة جرح فيها كثير.

هل جلاء الإيرلنديين وتهافتهم على الموت وسآمتهم من الحياة في معاندة السلطة الإنجليزية ناشيء عن نفرتهم من العدل وكراهتهم للراحة والميل إليهما طبيعي في فطرة البشر، أظن لو كان عدلا حقيقياً يعرفه بنو الإنسان لما نبت عنه الطباع، ولا آثرت الأنفس الموت على التمتع به، ولا طلب الخلاص منه أقوام يتحدون مع أرباب السلطة في الجنس واللغة والدين، ولا فضلوا على مهاجرة الأوطان واحتمال آلام الغربة، ومشاق التطوح في أراضي لا يجدون فيها من العيش إلا لماجا (أدني ما يؤكل) ولكنه عدل تفرد به الإنجليز من بين الحيوانات الناطقة من أحكامه أن توضع الجزية على كنائس الكاثوليك تؤديها إلى كنائس البروتستانت عن يدوهي صاغرة، واستمر ذلك إلى عهد قريب، ومن مقتضياته أن يكون الإيرلندي خادماً بل عبداً رقاً لأمراء البريطانيين لا يتركون له من لوازم الحياة إلا ما يشتغل به لتنمية ثروتهم وتوفير لذتهم ـ إن كان هذا العدل لا يوافق أذواق المتفقين معهم في الصفات السابق ذكرها فكيف ترجى ملاءمته لأذواق الذين لا نسبة بينهم وبينهم ولاصلة تجمعهم معهم لا في لغة ولا جنس ولا دين ـ هذا النوع البهيج من العدل ظهرت له إثار في البلاد الهندية ـ دخلها الانجليز وهي أغني أرض في العالم، وأخصب تربة في المسكونة، وسكانها أنعم الناس عيشاً، وأوسعهم ثروة، فإذا هي اليوم بسر العدالة كأنها صفاصف وأمرات (أراضي لا نبات بها) أهاليها

حفاة عراة أذلاء، رضوا من المعيشة بالشظف، ومن القوت بالعلف، وما يجدون ما به يقنعون، تراهم بعد ما سلبوا أملاكهم، وابتزوا ثروتهم، واستأثر الأنجليز بجميع ما كان لهم يطلبون التعيش في المِهن الدنيئة ولا يصلون إلى ما يطلبون، يكون منهم الكاتب المنشيء البليغ الحاسب يقطع الأرض سعياً من بلد إلى بلد ومن ولاية إلى ولاية ليحصل خدمة ينال من أجرها ثلاثين فرنكا في الشهر ولا يسعده الحظ بنوالها ـ ومن سنتين دخلوا مصر وهي ارض الراحة والسلام واهلوها فى رغد من العيش، وآمن من الغوائل، فإذا هى اليوم ببركة العدل الانجليزي، وحسن الادارة البريطانية، أرض الفتن، ومجالات الحروب، ومضارب الخلل والفساد، قضت العدالة بحرمان آلاف من الوطنين وطردهم من وظائفهم في الحكومة، وهم ذوو أهل وعيال لا عيش لهم إلا من رواتب الخدم الوطنية، وحل محلهم في الوظائف أخلاط من الانجليز وكسدت أسواق التجارة وغلت أيدي الزارعين عن العمل في الفلاحة بفقد الأمن وعموم الاضطراب وامتنعت الأرض عن الانبات بإهمال الأعمال العامة واستولى الفقر على الفلاحين حتى عجزوا عن وفاء ديونهم وقصرت أيديهم عن أداء ما عليهم من الضرائب لحكومتهم.

ومع كل هذا ترى الانجليز لا تأخذهم ريبة في أنهم عادلون قوامون بالقسط، وإن حلولهم في أي قطر وسلطتهم على أي شعب مقرونة بالسعادة والرفاهة والأمن والراحة ويعجبون كل العجب من انحراف المصريين عنهم ونفرة قلوبهم منهم ويقولون يا سبحان الله كيف يوجد بين جمعيات سرية أو جهرية تتخالف على بعضهم وتجتمع الألفة من العبودية لهم وكيف يختلج في خاطر مصري أن ينقم على الانجليز.

ولما أحسوا بحركة الخواطر واشتعال الحمية في نفوس بعض المصريين وتوجسوا الخيفة من إقدامهم على كلمة الحق وهي بلادنا لنا، ونحن أعلم بمصلحتنا من غيرنا، ولا نريد أن نكون طعمة للانجليز، أرادوا أن يقيموا برهاناً على عدلهم

ويوطنوا النفوس على الرضا بحكمهم ويمحوا كل ضغينة من قلوب المصريين بالقوة العسكرية، كأنهم بإطلاق النيران وسل السيوف يودعون في القلوب محبة، وفي النفوس رضاية، وهي طريقة جديدة في إزالة التنافر وإيجاد التآلف وربما كانت سنة قديمة عند الانجليز.

وجاء في برقية من مراسل التايمس في القاهرة أن العساكر الانجليزية انتشرت في شوارع القاهرة شاكية السلاح لتعزيز قوة حفظ الأمن، والحامل على ذلك ما تأكد عند حفاظ الأمن من الانجليز أن في تلك المدينة جمعيات جهرية أو سرية أو أن فيها أشخاصاً مصريين يحبون بلادهم ولا يودون أن يكون السلطان في حكومتها لأجنبي عنهم خصوصاً إن كان ظالماً فيهم، أو أن في تلك المدينة من يخطر بباله أن يقول كما يقول أدنى رجل من الانجليز أن مصلحة وطننا مقدمة على كل مصلحة، أو أن فيها من يحدث نفسه بأن الانجليز لا خير في ولايتهم، ويرى شقاء بلاده في سوء إدارتهم، فهاج غيظ مأموري الانجليز وبعثهم على الشدة في طلب الوقوف على مكامن اولئك الذين لا يميلون إليهم ليؤاخذوا كما ذي سريرة بما اختلج في صدره من الانتقاد على أعمالهم، ومن عزمهم أن يستعملوا من أجهزة الإضاءة ما يشرق به النور ليلا في كل شوارع المدينة وأزقتها من القلعة إلى أضيق حارة فيها ليحققوا ما ظنوه ويكشفوا ما توقعوه (وهم في عملهم هذا يراعون مصلحة المصريين ويأسفون على حالهم حيث كفروا نعمة النظام ولم يعترفوا للانجليز بهذا الاحسان الذي تفضلوا به عليهم من مدة سنين ويأسفون) ويرون من العدل أن تشرب قلوب المصريين مودتهم بقوة السلاح حتى تكون سيئاتهم حسنات، وربما لا يتم لهم من ذلك ما يقصدون.

انجلترا وفرنسا

اصغت آذان الراغبين في الوقوف على نهاية الحوادث المصرية لاستماع ما يتحدث به بين الحكومات الأوروبية من يوم دعت انجلترا جميع الدولة العظام للاجتماع في مؤتمر ينظر في بعض المسائل المصرية. إلا أنها منعت دون حجاب الكتمان وإنما كانت تصل إليها دندنة أو جلبة أو غمغمة أو جمجمة وكل حس يصلها يثير رواكد الأوهام فتهيج فيها غرائب الصور والاشكال والمذاعون من أرباب الجرائد في أوروبا وهم أشبه بالداعين إلى الألاعيب والكموديات كانوا يذهبون من الكلام وجوهاً مختلفة ويتنافسون في التمثيل والتصوير للتغرير والتهويل حتى أبرزوا الارض في صورة السماء والسماء في صورة الأرض خصوصاً فيما يتعلق بالمفاوضات التي كانت جارية بين وزارتي فرنسا وانجلترا، فكان يخيل لمتصفح جرائدهم أن البحار غاصة بالمراكب والمدرعات يصادم بعضها بعضاً وأن فضاء البر أعضل بالجيوش المتلاحمة لا يجد السالك من بينها سبيلا وتجسم الخيال لأرباب الاذهان الحادة فكان منهم مهندسو حرب يعينون مواقع العساكر وطرق المصاولة وجموع المتلاحمين تجول في أذهانهم يميناً وشمالاً ويموج بعضها في بعض وكأنما كانت مخيلاتهم معرضاً لجيوش العالمين وكان في كل فوج داعياً وفي كل قبيل منادياً يقول حق هذا، فهيعات تتعالى وزفرات تتصاعد وأرغاء وأزباد وتقطب في الوجوه وشزر في

المناظر وفي كل ذلك هول يأخذ بالألباب.

والعارفون بقوة فرنسا البرية والبحرية والذين يقدرون حقوقها حق قدرها كانوا يعتقدون أن تمثال العظمة البريطانية أصبح منكس الرأس منحنى الظهر قد هوى بهامته إلى ركبته يتوارى من الناس خجلا بما ظهر من ضعفه وعجزه وأن حكومة انجلترا ستعود بالخيبة (وإن أعدت فيالق من التهديد وجحافل من الأوغاد) وتقوت هذه الأوهام بما يطنطن أرباب الجرائد وولعت النفوس بالوقوف على الحقيقة وانبعثت رسل الأفكار تجوس خلال الشئون والأطوار، لتصل إلى شيء من هذه الأسرار، واجتمعت الأرواح في الاذان لعلها تسترق سمعاً عن تلك المداونات، وكمنت كل نفس في مشكاة باصرتها لعلها تستشف من وراء الحجاب ما ينبيء عن الحقيقة أو يقربها من الفهم، والجميع واقفون وراء حجاب هذا الملعب الشائق وبعد طول الانتظار كشف الستار.

فإذا عائدة الانجليز جالسة في هيكل آمون وبيدها تاج يحكى رأس الثور (تاج الفراعة) متهيئة أن تضعه على رأسها والملوك العظام وقوف بين يديها مستعدون لتهنئتها كأنما كانت هذه المفاوضات والمخابرات إعداداً وتجهيزاً لإجلاسها على كرسى ميناس الأول ورمسيس الأول لا حول ولا قوة الا بالله.

قام رئيس الوزراء الفرنسي في مجلس النواب خطيباً لبيان الإتفاق الذي عقده مع حكومة انجلترا ليرى النواب رأيهم وقبل ذكره أنفق ما لديه من البلاغة والفصاحة وحسن البيان لإقناعهم بقبول ما أجراه تلطف في الكلام وأبدع وصوب وصعد وأتى على ترغيب يشوبه ترهيب ويأس يحوطه أمل وأدرج في طي خطابه أن فرنسا قبل هذا العهد الجديد لم تكن على شيء، وبه نالت أشياء وأومأ إلى أن وزارته لو طلبت أزيد مما حصلت لأدى الأمر إلى ممانعة الحكومة الإنجليزية وأفضى الخلاف إلى انقلابها وربما يخلفها وزارة تطمح إلى الإستيلاء على مصر. وجاء في نطقة بما حرك الطباع ومال بالأسماع حيث قال يلزم لسياسي قبل إبرام حكم أن

يلاحظ جميع أطرافه ولواحقه فهذه الكلمة الرفيعة جددت في السامعين آمالا وظنوا أن المراقبة الثنائية قد أعيدت أو تقرر اشتراك فرنسا مع انجلترا في الاحتلال العسكري أو إبرام الحكم بخروج الإنجليز من مصر وبالجملة أنهم فازوا فوزاً عظيماً وبعد مقدمات طويلات[١] بين الاتفاق فاذا هو بعد إمعان النظر على هذا النحو، أن الإنجليز سادات مصر يفعلون فيها ما يشاءون وليس لنا أن نعارضهم فلا المراقبة الثنائية عادت ولا الإشتراك في التداخل العسكري أو النظر الإداري حصل ولا قررت حرية القتال على أصل ثابت ولا تحقق جلاء الإنجليز على صورة قطعية ولاتأصلت مراقبة دولية كما كان يتوهم بعض السياسيين بل كما كان يلجأ إليه الانجليز عند نهاية العجز على ما أشار إليه كثير من سياسييهم. فانقبضت صدور النواب فلما رأي[٢] شدة تأثرهم دفعة واحدة وأحس منهم القنوط حاول إحياء آماهم بقبوله إنا سلكنا في إتفاقنا هذا مسلك سائر الدولة ومن السنن المتبعة فيها تنازل كل من طلاب الإتفاق عن شيء مما عليه الاختلاف حتى يتقاربوا ويتعادلوا فيسهل اتفاقهم ـ يوهم بهذا أنه وأن ترك كل حق لفرنسا في مصر إلا أن الإنجليز أيضاً تساهلوا معه في أمور... هذه المسامحة التي لم تكن منتظرة من حكومة فرنسا ذهبت بالظنون إلى ماوراء الظاهر المعروف ومنه ما بعث مراسل جريدة (التاجبلات الألمانية) في فينا على قوله يظن ههنا (في فينا) أن الدول ستعارض هذا الإتفاق رغماً عن كل وهم اهـ وليس ببعيد أن يكون نعير الإنجليز وهديدهم وإرهابهم للوزارء الفرنسية بالميل للألمان هو الذي دعاها لهذا التساهل الغريب، بل حملها على ترك الحق بالكلية أو ربما ظن رئيس الوزراء أن إشتداده في اقتضاء حقه أو حق من له بهم علاقة صحيحة يوجب تغييراً في وزارة جلادستون فيقوم خلفها على الاغتصاب بالقوة وانتهاك كل حق فتضيع الحقوق الفرنسية بلا منة من فرنسا

---

١ ـ هكذا ذكرها الأفغاني وقد راعينا بقدر الإمكان الإبقاء على روح الأفغاني في كتاباته!!

٢ ـ يقصد رئيس الوزراء الفرنسي.

في ضياعها. فسارع الى موافقتها على ما تشاء وطرح مصلحة فرنسا في مصر بين يديها لتكون المنة في استيلاء الإنجليز على مصر للفرنسيين. ولكنا نظن أن هذا النوع من المعاملة لا يفيد فرنسا أكبر مما يجلب عليها من الضرر فإن التساهل وسوء السياسة الذي كان من الحكومة الفرنسية مع بريطانيا فى الهند عندما كان للأمتين منافسة فيه آلت إلى تغلب الانجليز على جميع الممالك الهندية ورجع الفرنسيون بخفي حنين ولم يمح أثر ذلك الخسران من خواطر الأمة الفرنسية إلى الآن والمستقبل أشبه بالماضي من الماء بالماء. وقد يقال أن الحكومة الفرنسية حولت نظرها عن مصر إلى جهة أخرى. وبقي رجاؤنا في نواب الأمة الفرنسية فانهم وإن أظهروا ثقتهم بالوزارة بعد مجادلات طويلة إلا أنهم شرطوا عليها أن لا تبرم حكماً في المؤتمر إلا بمشورتهم «اللّهم حقق الرجاء» وإنا في عجب من حرص مجلس البرلمان الإنجليزي حيث يعارض جلادستون في هذا الإتفاق مع أن اقرب نتائجه الاستيلاء وقد طلب البرلمان من جلادستون مثل ما طلب نواب فرنسا من وزيرها. أما حقوق العثمانيين والمصريين فلم نرى لها بين المتفقين ذكراً اللّهم إلا أن يقوم أربابها على المطالبة بها. وعند ذلك نرى لها فصلا بين هذه الأبواب.

الاتفاق

عهد بين وزارتى فرنسا وانجلترا تواطأنا عليه ليكـون مـوضوع البـحث في المؤتمر، وأشرنا إلى أن غايته تنازل فرنسا عن جميع حقوقها في مصر ونفض يديها من كل مصلحة لها فيها والاعتراف لإنجلترا بالسيادة عليها وإن لم تذكر حـروف السيادة وهذا ما يحتوى عليه من المواد.

الأولى: أن يستمر حلول الجيش الانجليزي في الأراضى المـصرية إلى أول يناير سنة ١٨٨٨ (ثلاث سنوات ونصف) ثم لا يخليها إلا بعد انعقاد مؤتمر جديدة من نواب الدول العظام يتفقون فيه على أن الإخلاء لا يضر بالنظام الداخلي لمصر ولا بالعلاقات السياسية بين الدول، فإن حصل اختلاف ولو من دولة واحدة ترى ضرورة إطالة المدة كان الخيار لدولة انجلترا في الجلاء أو البقاء.

دولة انجلترا هي الدولة التي أطلقت مدافعها على مدينة الأسكندرية والمؤتمر منعقد[1] في الاستانة من رجال الممالك العظيمة وفيهم نائب لفرنسا ولم توقر المؤتمر ولم تراع حرمة الدولة ولم تتفق مع واحدة منها عـلى العـمل الذي بـاشرته، فـهل

١ ـ أعاد التاريخ نفسه بعد ٧٤ عاماً وأطلقت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل جحيم قنابلهم على مصر لينالوا مأربهم ويحققوا غايتهم وقد نجحوا في قتل إيرياء وتحطيم مبان ولكنهم فشلوا في القضاء على معنويات الشعب وروحه في حياة حرة كريمة.

يعجزها فى خلال هذه المدة الطويلة أن تستميل دولة من الدولة إليها حتى إذا انعقد المؤتمر بعد ثلاث سنوات ونصف ذهبت إلى أن إخلاء القطر المصري من العساكر الإنجليزية يخشى منه على نظام البلاد، أو سلم أوروبا فيكون حجة لانجلترا في إطالة المدة وإن خالفها بقية الدول ومنطوق الشرط يؤيد حجتها ـ وكيف يمكن لبقية الدول إذا خالفت إحداها ان تلزم دولة بريطانيا بالخروج من ديار مصر بعد ما غلت أياديها بتقرير هذا الشرط وكتبت على نفسها أن الجلاء لا يكون حتما إلا إذا اتفقت عليه جميع الدول!! السياسات في اوروبا سريعة الانقلاب والمنافسات لا تقف عند حد يحيط به النظر ومطامع كل من الدول لا تنتهى عند غاية فليس ببعيد بل هو أقرب من كل قريب أن توجد دولة في دول أوروبا تشد عضد انجلترا على دعوى أن إخلاءها لمصر يحدث هزة في سلام أوروبا وربما تكون تلك الدولة هي الدولة القوية التي يصعب على سائر الدول مخالفتها ولا تجد فرنسا عند ذلك موئلا تلجأ إليه سوى الرضاء والتسليم. إذا فرضنا عجز انجلترا عن استهواء دولة أوروبية توافقها على المكابرة في أحوال مصر وأن سياسة أوروبا وقفت على حالتها في وقتنا الحاضر وأن جميع الدول تحالفت على قول الحق فهل تعجز دولة بريطانيا وهى هى عن أن تثير شغبا فى بعض الأرجاء المصرية بأن تغرى مالطيا بقبطى أو روميا بفلاح أو حمار فتسيل قطرات من الدماء تخيل كل قطرة منها بحراً وتنادى أن للفتن مثارات وللعصيان أمارات والنظام في خطر ولها حق المحافظة عليه إلى أن تنقلب أرض مصر جنة يكون فيها أمم العالم إخواناً على سرر متقابلين. ولو اعتبر المسيو جول فرى بالمعاهدات التي عقدتها انجلترا مع السلطنة التيمورية وغيرها من ممالك الهند وكيف أقدمت تلك الدولة على نقضها ولم تبال فيه بعهد ولاذمة لظهر له أن نقض روسيا لعهدها مع بولونيا ليس شيئاً يذكر بالنسبة إلى حفظ انجلترا لذممها مع تلك الممالك العظيمة. لو تأمل هذا الوزير في الأعمال الإنجليزية للام نفسه في الاحتجاج بشرف انجلترا على خلو غرضها واخلاصها فيما واثقته عليه. إن لم يكن فى خاتمة الشرط سر فلم اهتمت بها الوزارة الإنجليزية وألحت على تثبيتها. إن لم يكن لها

غرض في استعمالها وقتها، فلم أصدرت أوامرها بمد سكة الحديد من سواكن إلى بربرعلى نفقة الحكومة البريطانية. إن كان لمسيو جول فرى ثقة بمسيو جلادستون واعتماد على عفته وطهارة ذيله، فمن يضمن له بقاءه في رئاسة الوزارة إلى نهاية المدة حتى يوفى بعهده. فإذا استعفت وزارة جلادستون لعلة داخلية أو أزمة خارجية وخلفتها وزارة تحت رئاسة اللورد تشرشل أو اللورد سالسبورى وهما من الطالبين الاستيلاء على مصر أو إعلان السيادة الانجليزية عليها فاى مانع يمنعهما من الاستفادة من هذه الخاتمة السيئة في مقصدهما المعروف.

المادة الثانية ألغيت المراقبة الثنائية وسيعوض عنها بتوسيع السلطة لقوسيون الدين العمومي فيمنح حق الاطلاع على مصاريف الحكومة والاعتراض على ما يزيد منها عن المقرر في الميزانية ويكون له ذلك ابتداء من سنة ١٨٨٥ وميزانية تلك السنة تحصرها حكومة انجلترا وتعرضها على المؤتمر الدولى ليقرر ما تحويه على أن يكون قانوناً للنفقات لا يخالف إلا لضرورة تخرق النظام وفيما بعد سنة ١٨٨٥ يخول لصندوق الدين حق مساعدة الحكومة المصرية على تحضير ميزانيتها السنوية بمعنى أنه تعرض عليه قبل تقريرها ليبدى فيها رايه. إلا أن ما يكون له من الرأى في جميع الأحوال ليس إلا استشاريا محصاً لا ينقض ولا يبرم فاذا انجلت العساكر عن مصر يكون له حق المراقبة على تحصيل الايرادات جيمعاً وضبطه على قواعد صحيحة وطرق منتظمة وبهذا يحوز حقوق المراقبة الثنائية ما عدا الحضور في مجلس الوزراء ورئيس القومسيون في جميع الأحوال يكون انجليزياً ـ إن كانت مراقبة قومسيون الدين على تحصيل الايرادات لا تكون إلا بعد انجلاء الجيش الانجليزي. أفلا يكون هذا أملا من الآمال ربما لا ينال وهو يكون فيه عرض حقيق عن المراقبة وهو من رسوم الخيال وبينه وبين الثبوت أمد غير قصير. إن رضيت الأمة الفرنسية بتنقيص فائدة الدين لهذا الأمل الموهوم فقد خسرت كما قالت جريدة (لا جوستيس) خسارة محققة لوعد لا كافل لها بوفائه.

المادة الثالثة إحماء مصر والمكافلة لها «ما يعبر عنه بالحياد) بأن تجعل حكمه

في أفريقيا على أصول حكومة بلجيكا في أروبا وتحرير القناة أي إباحته ممراً لجميع مراكب الدول من أي نوع كانت فإن كانت الدولتين متحاربتين ضرب لبقائها فيه مدة لا يسوغ فيها إنزال عساكر أو ذخائر علي حافتيه ولا تباح المناوشة فيه ولا على القرب منه ولا فوق شيء من المياه المصرية وإن كانت الدولة العثمانية احدى المتحاربتين إلا أن شيئا من هذه القيود لا يحذر أخذ الاحتياط للدفاع عن مصر نفسها إذا دعت إليه أحوال وإذا ألحقت مراكب دولة من الدولة ضرراً بالقناة ألزمت بتعويضه وعلى حكومة مصر أن تهيىء مايمكنها من تنفيذ الشروط على المراكب الحربية مدة الحرب ولا يجوز أن يبنى على حافات القناة ولا على مقربة منه معاقل وحصون وهذه الشروط جميعها تقرر ويجرى حكمها بعد جلاء العساكر الانجليزية عن وادي النيل ـ وفاتحة هذا الفصل تنطق بأن الانجليز إن قصر بهم السعى عن التملك فى الأراضى المصرية فقد هيأوا كلاليب لاختطافها من أيدي المسلمين والانقلاب بها إلى قوم آخرين كما أشرنا إليه في موضع آخر. هذا الذي صرح به من تشكيل الحكومة في مصر على مثال حكومة بلجيكا هو الأمر العظيم الذين نوهه مسيو جول فرى وقال أنه من أجل أحكام السياسة وأسماها وصحيح العقل يرتاب فى كونه حكما سياسيا فضلا عن كونه ساميا لما يلاحظ فيه من عواقب المكالبة والشحناء بين الامم الأوروبية إلى أجيال بعد ما تقرر لديهم أن الشرقي لا يليق به أن يستقل بحكم نفسه!! فأن خدعه الظاهر فربما يرى فيه خيراً لفرنسا أو لاوروبا بمعنى أنه أفضل لها من التملك الانجليزي. أما المسلم فيراه نكاية لملته والشرقي يجده خراباً لبلاده. هذا الأود الذي ظهر في سياسة مسيو جول فرى لا يقومه إلا حمية الدولة العثمانية واشتدادها في حفظ مكانتها السياسية وحرص مجلس النواب الفرنسى على حماية المصالح الفرنسية التي يسهل صونها بشيء من العزيمة وبصيص من البصيرة ولله الأمر يفعل ما يشاء.[1]

---

١ ـ تأميم قنال السويس، وسده بقنابل الأعداء، واستئناف الملاحة فيه بادارة مصرية، خير ما يمكن أن يعتزا به الأفغاني ومحمد عبده، لو بعثا من عليائهما.

الباب العالي

روت جريدة الديلى نيوز خبرا يسر كل مسلم يهمه نجاح الدولة العثمانية ويرى عزته في عزتها وذلك أن الباب العالي يأبي أن يرى جيشاً انجليزياً يحتل مصر ويرغب إذا اشتد العصيان أن يفوض الأمر إلى الخديوى الذي يتبع نصائح الدولة العلية صاحبة السلطة الشرعية عليه، وكل شرط يرمى إلى جعل مصر تحت حماية أجنبية فليس عند الباب العالى في موضع القبول لأنة يكون تمهيداً لاضعاف سلطة السلطان على تلك البلاد ويمكن أن يقبل الاتفاق الفرنسي الانجليزي في غير هذين الأمرين (الاحتلال الانجليزى والحماية الاجنبية).

وورد فى رسالة من مراسل جريدة نوفل بريس ليبر الفرنسية مناقشة جرت بينه وبين أحد السياسيين الروس نقلتها جريدة التان جاء فيها أن دولة الروس ستقاوم دولة بريطانيا فى مطامعها وتؤيد الدولة العثمانية في مطالبها رعاية لمصالحها المرتبطة بمصالح العثمانيين في المسألة المصرية وفي الاتفاق المنعقد بين دولتى فرنسا وانجلترا.

الانجليز والاسلام

الحكومة الانجليزية عدوة المسلمين عداء شديدا لالتهامها الممالك الاسلامية، تغذ المسير إلى آرابها منها سالكة جادتها المعهودة من اللين والمواربة والخديعة والمخاتلة، فان بلغ بها السعى حداً من الغرض فذلك، وإن عجزت أخذت طريقاً آخر لا نتزاع قطعة من أيدى المسلمين بأية وسيلة وتسليمها لقوم من سواهم أياً كانوا كأن لها لذة في نكاية أهل الدين وكأنها تبتغى السعادة في تذليلهم ومحو ما يكون من ملكهم. وكمال بهجتها في أن تراهم أذلاء عبيدا لا يملكون من أمرهم شيئا وفي تصانيف جلادستون وخطبه الضافية أيام الحرب العثمانية مع الروس ومقالات أشباهه نبأ بل أصدق الأنباء عما تكنه صدور الإنجليز من العداوة للمسلمين.

لهذه الحكومة طمع التمكن في أرض مصر ولها من كل جبل قبضة وفي كل سبيل خطوة لتنال مطمعها. وهمتها اليوم في إرضاء بعض الدول على استبدادها بالأمر فى مصر بما تسول لسياسييها من أوهام المنافع وخيالات الفوائد وفي تثبيط بعضها بالمراوغات والتهديدات. فان بلغت همتها مبلغ القصد فهو خير ما تطلب وإلا عقدت عزمها على نقل الولاية في مصر من أيدى المصريين والعثمانيين إلى أيدى أقوام آخرين. هذا ما تشير إليه جريدة الديلى نيوز الوزارية «الانجليزية» عند كلامها عن قناة السويس حيث تقول: يمكن القطع بحياد القناة على الاساس

الموضوع في برقية اللورد جرانفيل المرسلة إلى الدول في ٣ يناير سنة ١٨٨٣ وليست تلك الحيدة إلا حكما من أحكام النظام الذى وضعته الوزارة الإنجليزية ليكون قاعدة تقوم عليها هيئة الحكومة المصرية بعد جلاء العساكر عنها. ولكن لا يرى الإنجليز في حيدة القناة وحدها ضمانا صحيحا لوقاية مصر من غارة دولة أجنبية عليها، ولا كفالة كافية لاستقلالها بل يمكن أن يذهب الرأى إلىٰ ضرورة حيدة مصر نفسها بأن تحول حكومتها إلى حكومة سويسرية أو بلجيكية فى أفريقيا وتوضع تحت حماية الدول عموماً فتؤمن الإغارة عليها من إحداها إذا آل الأمر إلى هذه الحالة «والعياذ بالله» فهل يسمح أرباب الحماية أو السيادة بتفويض أعمال الإدارة والقضاء والمالية للمصريين العارفين بشئون بلادهم: كيف نظن هذا وقد سجل عليهم الإنجليز أنهم أضعف من أن يقوموا بعمل جزئي أو كلي في خدمة أو طانهم وأن من الضرورى لحياتهم أن يكونوا آلة صماء في أيدى غيرهم من الأوروبيين. قد يعقب ذلك لو حصل تشكيل مئات من المجالس في القطر المصرى كلها تشبه المحاكم المختلطة أما مجالس الفصل والقضاء ابتدائية واستئنافية، فالأمر فيها بين، وأما إدارة الداخلية والمالية وفروعها فلا تستقل بها دولة من الدول فان طبيعة الأمر تأباه فلا يتولى أعمالها إلا مجالس مؤلفة من أقوام مختلفة الاشكال واللغات متبائنى الحكومات. ولو تفضل السائدون على المصريين عند بداية العمل لسمحوا بأن يكون في كل مجلس واحد منهم إلى زمان محدود.

أولئك الأعضاء الأجانب وهم نواب دولهم لا يكون سيرهم إلا كما سار إخوانهم من قبل. كل منهم يستدعى من أبناء جلدته من يستخدمه في وجه من وجوه الأعمال التي يولى النظر فيها وتقع بينهم المنافسات ثم تكون المحاباة كل يتغاضى عما يأتيه الآخر ليتغاضىٰ الآخر عنه فلا تكون مدة حتى تضيق أرض مصر بالأجانب ولا يعود فيها مقر لوطنى، هذا إلى ما يتبعه من إقامة عسكر مختلط للمحافظة فى المدن والأقاليم، فلا يبقى للمصريين إلا خسائس الأعمال يفلحون الارض ويعانون

الأعمال الشاقة ولكنهم أجراء عسفاء لغيرهم يودون ثمرات ما يكسبون إلى من لا يعرفون يخرجون عن جميع ما كانوا نالوه في الأزمان الأخيرة من عهد محمد علي إلى الآن، ولا يمر زمن طويل إلا يصبحون كسكان الأمريكتين ينحسرون إلى بعض الأطراف القاصية عن العمران أو يندمجون مع الأجانب فلا يوقف لهم على أثر صحيح وتصير الأراضي المصرية مأهولة بأخلاط مختلفة كما في أراضي أمريكا الجنوبية والشمالية ويقوم لفيف أولئك الأغراب مقام أبناء الأرض الصادقين وهذا مما لا يسر عاقلا «وأن راق في نظر بعض المباركين» وأملنا في الدولة العثمانيةأن تقوم على قدم، ثبت عليها الأسلاف الأولون وتقدم بعزيمة ثابتة على المطالبة بحقوقها في مصر وإعادتها إلى حالتها الأولى قبل التدخل الانجليزي ثم تلق بزمام الحكومة فيها إلى ذوى عزم من المصريين صيانة لحوزة الاسلام. وفي الظن أن دولة الروسيالا تفوتها هذه الفرصة لمساعدة العثمانيين لتستميل إليها قلوبهم ولا تختلف عنها دولة فرنسا فان مصالح الدولتين في فتوحاتها بالبلاد الشرقية تقضى على السياسيين فيهما «إن كانوا كما يقال سياسيين» بالاتحاد مع العثمانيين.(١)

---

١ ـ مرة أخرى هذا هو المأخذ الوحيد على الأفغاني فهو لا يزال يصر في صراعة الصحفى على طرد الإنجليز والأجانب واستبدالهما برمز الدولة العثمانية لأنها على حد قوله صاحبه الحق الشرعى مع المصريين في إدارة البلاد!!

الباب العالى والانجليز

يهتم المسلمون في كل أرض بأمر ما يجرى فى مصر، بـل تـذهب نـفوسهم حسرات كلما رأوا أو سمعوا أن جنديا أجنبيا يجول في نواحـيها مـقاتلا أو حـامياً وليس شـأن مـصر عـندهم كـغيرها مـن البـلاد فـإنها بهـرة الإسـلام وبـاب الحرمين‌الشريفين فكل نازلة بها ترزأ الدين وتصدع من أركانه والمسلمون في قلقهم هذا ينظرون إلى الدولة العثمانية ويقلبون وجوههم في سماء سلطتها الحسية والمعنوية يرجون منها عزمة ثابتة تنقذ بها الأراضي المصرية من تبويء الأعداء ويحفظ بها شرف المسلمين ومكانتهم بين الأمم، وتصان بها ولاية الإسلام مـن السـقوط في حبائل هذه الدولة الداهية «دولة الإنجليز» التي أخذت على نفسها أن تبيد ولاية هذا الدين وتحول حابله على نابله، هذا فضلا عما يراه كل مسلم من أن عزة الدولة العثمانية وشوكتها ليس إلا بسلامة ملكتها على مصر فإن قضى فيها الأمر لغـيرها «والعياذ بالله» أصبحت حقوق العثمانيين في جميع ممالكهم معرضة للخطر، فهذه دولة الإنجليز كمرض الآكلة يظهر أثره ضعيفاً لا يحس به عند بدئه ثم يذهب في البدن فيفسده ويبليه بدون ان يشعر المصاب بالألم هكذا شأن الانجليز في لينهم وتلطفهم وحلاوة وعودهم وتملقهم وخضوعهم يسلبون المالك ملكه بل الحي حياته وهـو مأخوذ بما يشعذون له ولا ريب في أن الإهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع

المسلمين في الشرق والغرب فإن كل مسلم وله الحق بعد هذه الدولة دولته ولو تباعدت الأقطار. إن الهنديين إلى اليوم وما بعد اليوم يباهون بها ويحسبون أنفسهم في عداد الأمم التى لم تذهب سلطنتها ويعتقدون أن لهم سلطاناً قوياً في الدولة العثمانية بل يرون أن خلاصهم من قيد الرق الانجليزى لابد أن يكون يوماً ما بسعيها وقد أظهرت أيام الحرب الأخيرة آثار لحمتهم معها باللحمة الملية بما لم يبق ريبة لمرتاب في شدة صلتهم بها.

لهذا كنا نعجب لسكوت الدولة العثمانية في هذه الأزمان الأخيرة عندما اشتدت مقارعات السياسيين من كل دولة وتصارعوا في المفاوضات والمجادلات محاماة عما لهم من المصالح في مصر مع ان الدولة كانت أحق وأولى من جميع الدول بالاهتمام وبذل الجهد للمناضلة عن حقوقها الثابتة إرضاء لخواطر المسلمين عموماً واستبقاء لحسن عقيدتهم فيها وحماية عن ممالكها وأهم مملكة منها إلى أن اطلعنا على إعلان بعث به الباب العالى إلى الدول بطريق التلغراف فيما يتعلق بالاتفاق المنعقد بين فرنسا وانجلترا في المسألة المصرية أتى فيه على بيان العواقب السيئة التي تنشأ من طول مدة الاحتلال الانجليزى في مصر وأظهر أن مجرد تحديد المدة لا يكف الانجليز عن حرصهم وغاية مافيه انه يستتبع مداعاة الدول والدولة العثمانية مع الإنجليز وبرهن على أن بقاء العساكر الانجليزية في مصر ليس بضرورى في حل المسألة. فإن كانت الدول لاترى في العساكر الأهلية كفاية لصيانة البلاد من الخلل، فالباب العالى مستعد لإرسال العساكر إليها على ما تقتضيه حقوقه فيها كما عرضه على الدولة البريطانية وجرى البحث فيه ولكن حال دون الاجراء موانع سياسية. فإن لم تقبل الدول أن يستقل الجيش العثماني بحل هذا المشكل فإنه يعرض عليها أن يحتل مصر جيش مختلط يولف من عثمانيين وفرنسيين وانجليز وإيطاليين وأسبانيين وإلى الدول تعيين الأجل في الوجهين وزاد الباب العالى في إعلانه هذا خدشاً لخواطر الانجليز حيث قال إن الانجليز قد أنهوا أعمالهم في محو العصيان وتثبيت سلطة الخديو إلا أنهم

لم يأتوا في تحسين حال مصر وتقويم نظامها إلا بما فيه إجراء بعض مقاصدهم السابقة.

وإنا نقول كما يهتف به كل مسلم أن من فروض الدوله العثماينة أن لا تدع وسيلة للذود عن مصر وكف يد الانجليز عنها وأن تكون همتها في ذلك كهمتها في الذود عن نفس الاستانة وليس لها أن ترهب هذه الرعود وتلك البروق التي لا تعقب مطراً، ومن الحق أن نقول أن في مكنة العثمانيين أن يقوضوا هذا البيت البلوري «بيت العظمة الانجليزية» بحجر واحد فإذا اشتدت الأزمة تيسر لهم السعي في الوئام بين الايرانيين والأفغانيين والبلوجيين ولا يكلفهم هذا إلا كلمتين يستندان إلى أصل ديني قويم، وعندها يعرف الانجليز مقام أنفسهم في الأقطار الهندية والممالك الشرقية. هل تسلط الانجليز في الأراضي الهندية الواسعة إلا بسبب المخاصمات المذهبية التي كانت بين الافغانيين والايرانيين، ولو نظرنا إليها نظر التحقيق لما رأيناها مما يوجب شق العصا وتفريق الكلمة ولا ريبة عندنا أن رفع الشقاق وتجديد الوفاق بين تلك الأمم أيسر شيء على الدولة العثمانية لما لها من المكانة العليا في نفوس المسلمين قاطبة. ولا يظن أن اعتصام الانجليز في جزائر بريطانيا والهند يقصر بالعثمانيين عن النكاية بهم لانقطاع السبل بين هؤلاء وأولئك وانسداد المسالك بين الممالك العثمانية والانجليزية. فإن الظن يختلف عند وجود الاتفاق بين الأفغان والايرانيين واتحاد كلمة الفرس مع العثمانيين، هذه طريق محمرة وبندرعباس إلى بلوجستان مفتوحة للسالك مطروقة للسابل وهى الطريق التي سلكها أول جيش إسلامي بعث به الحجاج بن يوسف لفتح السند إن هذه لجولة لو كانت لأثارت في وجوه الانجليز غبرة يضلون فيها عن رشادهم.

ومعلوم أن الحي لا يسلم نفسه للموت بلا مدافعة مدام قادراً عليها. يكفي لقيام مليون من المقاتلين الأفغانيين والبلوجيين، تحرك خمسة آلاف عثماني إلى أحيائهم. لست أبالي أن أقول الحق إذا حصل التساهل في أمر مصر وانفتح باب

المطامع لكل دولة صغيرة أو كبيرة وعزت بعد هذا وسائل التـلاقي فـلتأت الدولة العثمانية على ما في الوسع، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم.

* * *

أسف

غالت نائبة الدهر طراز العرب، وزهرة الأدب، صفينا أديب أفندى اسحق. قضى نحبه في شرح الشبوبية، وعنفوان الفتوة، وترك لنا قلوباً آسفة، وشؤونا فائضه، إنا لله وإنا إليه راجعون.

حرية الصحافة والاستعمار!

أسف يصهر الجسم ويذيب الفؤاد وحسرة تفلذ الأكباد على قبيل من أمة أو شخص منها ذى همة يستعين اللّٰه في عمل ينقذ أمته من ضعة أو يرجع إليها بمنفعة ثم يوجد له في وجهة عمله من تلك الأمة من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل الفاضلة فيقطع عليه أسباب العمل ويعرقله عن القصد ليكسب مدحة باطلة أو منفعة عاجلة وإنما مثل من يكون على هذه الصفة في الأمة كمرض السكتة في البدن أو الصدع في الرأس أو الخبل في العقل أو الشجى في الحلق أو القذي في العين. هؤلاء هم الذين يقعدون بكل صراط يوعدون ويصدون عن سبيل اللّٰه والحق ويبغونها عوجا.

لو كان في هؤلاء العصال الطباع «الأعصل المعوج في صلابة» بقية من الانسانية أو أثر من العقل يدركون به ما ينشأ من أعمالهم الجزئية من المضار الكلية ويشعرون بهذا الجرم العظيم الذي يدك الرواسي ويهد الشامخات، لذا بوا خجلا واستتروا عن الناس بحجاب العدم وتمنعوا لو محيت أسماؤهم من لوح الوجود. ولكن يظهر من جرأتهم على خطيئتهم أنهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعلمون ماذا يعملون، هذا العمل الصغير الذي يجلب على الأمة شراً كبيراً أو يحرمها من خير عام ليس في وسع حكيم من البشر أن يحدد درجته من الخسة والسفالة ولا في طوعه أن يحيط

بكنه الفساد الذي ضرب في طمع شخص يقدم على مثله ولا توجد كلمة ولا جملة ولا كتاب يفي ببيان حاله سوى أن يقال خائن ملته ووطنه.

أولئك أشخاص كثيراً ما يوجدون في الأمم المعتلة يشبه أن يكون منهم صاحب جريدة «أوده أخبار» التي تطبع في «لكنهو» من بلاد الهند انفض رأسه ورفع عقيرته على جريدة «اميرتابازار برتركا» التي تنشر في بلاد ـ بنجاله ـ كتبت هذه الجريدة «البنجالية» فصلا بينت فيه سوء معاملة الحكومة الانجليزية الهندية وخشونتها على الهنديين وإهانتها لهم واجحافها بحقوقهم وحرمانها لهم من خدمة أوطانهم وأثقالها عليهم بالضرائب الباهظة واستئثارها بجميع مايكسبون من كدهم وتعبهم مع احتكارها جميع ينابيع الثروة مما أوجب شدة الضيق والضنك في عامة الأقطار الهندية وكان سبباً في انحراف قلوب الهنديين عن الحكومة ونفرتهم منها. ثم انبعث هذا بقولها فليس لحكومة الهند بعد ذلك كله أن ترجو مساعدة رعاياها لها عند وقوع حرب بينها وبين الروس ولا أن تؤمل في العساكر الهندية بذل أرواحهم في الدفاع عنها فإن الجند يشركون الأهالي فيما ألم بهم ويألمون كما يألمون، وليس من الحق لحكومة بريطانيا مع سلوكها هذا أن تلوم الهنديين إذا آثروا عليها دولة الروس واختاروها حاكمة لهم، هذا مجمل ما قالت وأقل ما كان يترتب على هذا الكلام وأمثاله من الفوائد هو تنبه الحكومة الانجليزية لما خرجت به قلوب الأهالي وأحرجت صدورهم فتعدل مشربها وتقوم منهجها مع الهنديين وترفع عن كواهلهم بعض الضرائب الثقيلة وتمنح الوطنين بعض الوظائف في الدوائر الملكية أو العسكرية وتكف عن إهانتهم وتذليلهم ليكون لها عدة إذا دهمتها أم صبور «الداهية أو الحرب الشديدة» من جهة الشمال.

وكان على الهنديين خصوصاً أرباب المعارف منهم أن يؤيدوا القائل في قوله أو يحمدوا له سعيه أو يتركونه وشأنه لعل يستتبع ذلك خيراً كثيراً أو قليلاً لأوطانهم وأبناء أمتهم، ولكن وآسفاً بدل هذا يلتوى صاحب جريدة (أوده أخبار) ويجور

عن جادة الصواب في تقريع الجريدة البنجالية وتعنيفها ثم يـطلب مـن الحكـومة الانجليزية أن تمحو حرية الجرائد من بلاد بنجالة، وهذه الجريدة وأن وصفها مقوم الجرائد في الهند (مدير المطبوعات) بأنها متملقة معمعة للحكومة، إلا أنه ماكان يخطر ببالنا أن تنحط وتسفل إلىٰ هذا الدرك ولا أن ترتكب في تملقها هذه الجريمة العظمى وهى طلب محو الحرية في البنجالة وصد أبناء وطنها عن التنبيه على بعض حقوقهم وشكاية شيء من أرزائهم لا حول ولا قوة إلا بالله.

تركيا

ليس فى التعلات أعجب مما يتعلل به الإنجليز ولا فى المحاورات أغرب مما يستدلون به. لا مقدمات بينة ولا حجج قيمة وأقوى ما يكون من أدلتهم أولى به أن يكون فى معرض الهزل من أن يكون في جانب الجد. ولكن أغرب من جرأتهم على الجهر بمداعبة الأمم بما هو أشبه بالترهات أصغاء الآذان. لما يقولون وانصراف الأذهان عن بيان الهجو فيما يوردون وإظهار الوهن فيما به يتعللون ليتهتك الستار عن أغراضهم وتظهر خفيات مقاصدهم وترتفع الريبة عمن يخدعون بملاعباتهم.

إن الإنجليز ساقوا جيشاً إلى مصر وبوأوه أرضها مدة لا تزيد على سنتين فكان حلول جيشهم سبباً في انحلال النظام واختلال الأحكام وعموم الفساد في أرجاء البلاد حتى صار الناهبون وقطاع الطرق على نحو الجيوش المنظمة سرايا وكتائب تزحف للغارة على القرى والبلدان ضاحية بلا استتار وسرى الاختلال في عموم الأعمال الإدارية والقضائية ففقدت الأمنية على الحقوق كافة وسقطت البلاد بسبب ذلك إلى درك من الضيق والعسر لم يكن يخطرَ على بال ـ وما كان شيء من تلك الفظائع ولا واحد من هذه المفاسد ولا قليل من هاته الشدائد موجوداً أيام الحركة التى سموها فتنة عسكرية واخترعوا منها دليلا على الفوضى وزعموا فيها وسيلة للتداخل بعساكرهم.

حالة مصر شاهدة على أنه لم يكن للاختلال فيها اسم ولا للفوضوية أثر إلا بعد ما وطيء الإنجليز أرضها ومع ذلك يزعمون أنهم ما أتوها إلا لتقرير الراحة وإصلاح النظام وإزالة الفوضى ويريدون أن تمتد إقامتهم فيها إلى أجل بعيد ليتمموا القصد الذي أتوا إليه وشرطوا جلاءهم عنها برسوخ الأمن وانقطاع شأفة الاعتداء واجتماع خواطر الأهالي على الرضى بما يرسم عليهم من السائدين في ديارهم والتسليم لما يقضى به فيهم ـ ألا يعجب من هذه التعلة ـ هل يوجد أبله في أي أمة يظن في المصريين الركون إلى السكينة مادام الجيش الأجنبي متبوئاً ديارهم، أليس وجود عسكر أجنبي تحت أنظارهم كافياً في نفرة قلوبهم وازدياد شغبهم ـ الطبيعة تحكم باستحالة ما يطلب الإنجليز منهم، والتجربة من مدة سنين طبقت بين الحكم العقلى وبين الواقع الحقيقي ـ هل يمكن سلامة خواطر المصريين من القلق بعدما علموا أن الإنجليز لم يفتتحوا بلداً من بلاد الشرق إلا تحت راية هذه الحجج وعلى هذه الطريقة التى يسلكونها في مصر وهل كان لهم سلطان في جهة من جهات الشرق إلا بدعوى أنهم يريدون فيها الإصلاح ثم ينجلون عنها أتقياء الرحات أعضاء الذيول.

ماذا يريد الانجليز من تقرير الراحة بعساكرهم في مصر؟ هل يريدون مكافحة اللصوص حتى يقهروهم على طرح السلاح ويقوا الأهالي شرهم، إن كان هذا قصدهم فياخيبة الأمل فان شيئاً من هذه الفظائع لم يكن إلا وجيوشهم نازلة بالبلاد، فكأنما كانت تلك الجيوش مثاراً لهذا الفساد مضى عليها سنتان وهي في معاقل مصر وهبت أعصار السوء بقدومها وكلما طال الزمن زاد الخطر وقويت عصابات الشر فماذا قيل يكون منها فى ثلاث سنين ونصف إلا مثل ما كان من أثرها فى سنتين أو أشد فتنة. فكيف يعقل أن يكون بقاؤها في مصر مفيداً لرد الأمن إليها، وهل تكون علل المفاسد مجلبة للمصالح. نعم يكون هذا إذا قيل أن حصو الرمضاء يطفئها أو أن وقود النار يخمدها، هل يقصدون من تقرير الراحة إخماد فتنة

السودان. إن صح هذا القصد منهم فمتى سعوا إليه وأي جيش ساقوه وأي قوة وجهوا بها لتكسر سورة الثورة وتمحو أثرها. تهافتوا بجيش عظيم على منازلة رجل من رجال محمد أحمد (عثمان دجمة) في سواحل البحر الأحمر فما كانت الا مهارشة هرت فيها العساكر وبلغ صوت وقوف القواد إلى أقاصي المسكونة وارتد بهم الذعر إلى البحر وقفلوا إلى ديارهم يتلفتون إلى ماوراءهم خوفاً ورهبة. كان الواجب أن يتبعوا عثمان دجمة إلى بربر والخرطوم حتى يبددوا جنده ويلحقوا به صاحب الدعوة. فان عجزوا عن الكل فلا أقل أن يأتوا على البعض فما الذي صدهم عن سبيل القصد، لو كانوا فيه من الصادقين رجعوا وتركوا جوردون باشا فى فم التنين ثم التجأوا إلى ملك الحبشة ليثيروا به حرباً صليبية تسود بها وجوه الكاذبين الذين يزعمون أنهم دعاة الإنسانية ورعاة التمدن. فماذا يكون من عساكرهم لو أقامت فى مصر أضعاف ما أقامت، أظن لا يختلف المستقبل عن الماضي إلا بعظم خطوبه واشتداد نوبه.

هل يبتغون المحافظة على حدود مصر الأولى وحمايتها من هجمات السودانيين ويقفون عند حد المدافعة ولا يذهبون إلى ماوراء ذلك، إن كانت بغيتهم، فهى بغية البقاء في مصر مادامت مصر أو السودان سودانا، لأن صيال الثائرين يتوقع في جميع الأطراف من حدود مصر وأداموا قائمين بنشر هذه الدعوة بل كلما طال الزمن اشتد خطرهم وقويت أعضادهم وكل كرة لهم أو فرة تقوم بها للانجليز حجة في ملازمة الحدود المصرية للدفاع عنها فلا يكون لحلول الجيش الانجليزى بأرض مصر أمد ينتهي ولا أجل ينقضي. فما لهم ينبسون على الدول والدولة العثمانيةوالمصريين بتحديد مدة الحلول إلى ثلاث سنوات ونصف مع سرد الألفاظ المبهمة كتقرير الراحة وحفظ النظام وإعادة الطمأنينة ألخ مما يسمع ولا يفهم.

وليس من المبالغة أن نقول أن حلول الجيش الانجليزى كان وسيكون من أعظم الأسباب لقوة محمد أحمد ولولا وجود العساكر الإنجليزية في مصر ماتمكن

الرجل من الجهر بهذه الدعوة العظيمة ولقد كان يتبرأ من نسبتها إليه أيام كانت الحكومة المصرية خالصة للمصريين بل ما كان يجد أحداً يلبي دعوته أو يدخل تحت رايته. هذه تواريخ الأمم وهذا سير طبيعة الكائنات ترشد المستبصرين إلى أن مثل هذه الدعوة لا يقوم قائمها فى أمة الا عند اشتداد الخطوب عليها وزحف الأغراب اليها. أي حجة لمحمد أحمد في دعوة الناس إليه وأي نفثة تجمع القلوب عليه أقوى من أن يقول أن الانجليز من نيتهم الاستيلاء على ارض مصر وهي في عداد الأراضي المقدسة وباب الحرمين الشريفين ومهد العلوم الدينية ودعامة القوة الإسلامية فمن كان يؤمن بالله رسوله فليجب داعي الله في مدافعتهم وانقاذ البلاد من رجسهم. وهذا الكلام مما يزعج قلب كل مسلم ويبعثه على الاتفاق مع صاحب النداء. هل يتوهم بعد سقوط خرطوم وجيش الإنجليز حال بأرض مصر أن تقف دعوة محمد أحمد عند تخوم محدودة وهو الزاعم أنه منقذ المسلمين. هل يبعد عند العقل أن يمتد لياق شعلته إلى أقطار إسلامية يخشى الإنجليز منها غائلة الفتنة كما يخشونها فى الهند. قد نرى الحالة أقرب إلى المخافة منها إلى الأمن وسيعلم الانجليز انهم كانوا أحوج الناس إلى السلم وأفقرهم إلى القناعة.

أي قوة تقف هذه الدعوة وتحجبها عن الانتشار بل تردها على قائلها وتذهب بها كأن لم ينطق بها لسان أو يذعن لها جنان. ليس لقوة أن تأتى بهذا الأثر على أحسن وجوهه إلا قوة العثمانيين وأولى العزم من المصريين ـ هل تظن دولة بريطانيا أن عقد مؤتمر لتصفية الدين المصري يبطيء سير محمد أحمد أو يخفف من وطأته أو يرده على عقبه فتنال مقصودها وتصبح آمنة مطمئنة فى ديار مصر. إنها إلى الآن فى عجز عن إرضاء الدول بقبول الأصول الابتدائية التي تحب أن تكون موضوعاً لبحث المؤتمر ـ إن تصفية الدين المصري يهم انجلترا وحدها ولا نظنه يهم الدول ولا يهم محمد أحمد، وإنا نرى الدول خصوصاً دولة الروسيا والنمسا والأمة الفرنسية مهتمة كل الاهتمام بكشف مقاصد الانجليز والنبش عن غاياتهم فيما كانوا

شرطوه من تخصيص البحث بالمسائل المالية حتى أن شدة المعارضات وكثرة المفاوضات والاشتداد من الدول في طلب تعميم البحث فى المؤتمر ليحبط بجميع فروع المسألة المصرية أحدث شكا عند صاحب جريدة التايمس فى انعقاد المؤتمر ودفع بالمسيو جلادستون إلى ربكة شديدة فهو من أمره فى حيرة لا يهتدى إلى ما يسكن به خواطر الدول بل ولا مايقنع به أودآءه المخلصين بل ولا ما يوفق به بين زملائه فى الوزارة لتفرق كلمتهم وتباين آرائهم. أما قائم السودان فهو فى اعراض عن كل هذه المجادلات واغضاء عما يكون فى عرضها من المحاولات. سواء عنده إنعقد المؤتمر على رغبة الانجليز أو على وفق الآراء العمومية. وهو مغذ فى سيره ذاهب وراء فكره ولا يمر يوم من أيامه إلا ونسمع فيه بخبر فتح أو حديث زحف حتى جاءت الأخبار الأخيرة بدخوله عاصمة السودان (الخرطوم).

* وورود فى برقية من القاهرة إلى (الديلى تلغراف) بتاريخ ٣ يوليه أنه وصلت رسائل من بعض عساكر السودانيين وهم فى مدينة خرطوم إلى أناس يوثق بهم فى القاهرة ذكر فيها أن حامية المدينة ضعفت عن دوام المدافعة وأعلن محمد أحمد بتأمين جميع السكان على أرواحهم وأموالهم وأخذ على نفسه وقايتهم من كل ضرر يتوقعونه فبضعف الحامية وثقة الأهالى بوعد الفاتح فتحت المدينة بغاية السهولة فى نهاية شهر مايو بدون سفك دم وأن كثيراً من الأفرنج أسلموا وأن جوردون مع كونه مستمسكا بدينه ولم يبدل دخل فى أمان الفاتحين وسيق إلى محمد أحمد محفوظاً لم يمسه سوء.

* وفى خبر آخر بالتاريخ عينه أن القسيس (سوقارو) وكهنة الرسالة الكاثوليكية فى السودان وردت منهم اخبار من أهالى خَرطوم تفيد أن المدينة فتحت ووقع جوردون أسيراً ولم يزل إلى الآن على قيد الحياة. ونقلت جريدة (الديلى تلغراف) أن تاجراً في القاهرة أتاه كتاب من جنوب بربر يخبره أن الخرطوم مفتوحة الأبواب لمن يقصدها بالتجارة وإن كانت فى قبضة جيوش السودان، وفى

رسالة في مكاتب التان بسواكن ان جماعة من الوجهاء في مدينة خرطوم دفعتهم الحمية للانتقام من جوردون أخذاً بثأر الضابطين الذين قتلهما بتهمة الخيانة (حسين باشا و سعيد باشا) فهجموا عليه وقتلوه ثم اتفقوا مع المحاصرين على تسليم المدينة فدخلوها آمنين، ويزعم المراسل أن للحكومة البريطانية علماً بهذه الحادثة من زمان طويل إلا أنها كتمته خفية هيجان الأفكار عليها ونحن لا يهمنا موت جوردون ولا حياته ولا راحته ولا عناؤه وإنما يظهر من كل هذه الأخبار أن خرطوم أصبحت سودانية لا انجليزية ولا مصرية فإن تمكنت وزارة مسيو جلادستون من تفنيد المستفيض من هذه الروايات فربما يصعب عليها المكابرة فيما يعقبها، إن شوكة الداعي تقوى بعد فتح خرطوم وتمهد له سبل عديدة للوصول إلى مصر العليا أو السفلى وإن تأثير دعائه يقطع مسافات بعيدة في هنيهات قصيرة.

* * *

ماجت خواطر المصريين واهتزت قلوبهم لسماع هذه الأخبار وربما نسمع بعد اليوم أن ريح الجنوب حملت قسطلا تثيره سنابك خيل الفتنة وجاوزت به حدود مصر فإن كان هذا شأن الحركات فى بلاد السودان فتعليق الانجليز جلاءهم على انقطاعها يشهد برغبتهم فى الاحتلال الدائم ما بقي محمد أحمد و مابقيت له خلفاء، على أننا نرتاب فى قدرة عساكرهم على صيانة التخوم المصرية فقد ظهرت نهاية قوتها على سواحل البحر الأحمر. نعم ربما يختلج بخواطر الوزراء البريطانيين أن يخدعوا الدولة العثمانية ويحملوها على الحكم بعصيان محمد أحمد وتضليله ليحولوا القلوب عنه ثم يجنوا الثمرة كما جنوها من الحكم بعصيان أحمد عرابى ولكن قد تبين الرشد من الغى وظهر للدولة العثمانية سوء طوية الانجليز وعدوانهم على حقوقها فليس من المحتمل أن تنخدع لهم مرة ثانية ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، كما أنه يشبه المحال أن عثمانياً يجوز سوق الجيوش العثمانية إلى السودان لتذليله وعساكر الانجليز فى القاهرة ثم ينتظر العثمانيون بعد انقضاء الفتنة نهاية المراوغات الانجليزية

حتى تؤول مسألة مصر إلى مثل ما آلت إليه مسألة بوسنة وهرسك مع دولة النمسا، فعلى العثمانيين وأصحاب العزيمة من المصريين أن يجمعوا أمرهم على كشف هذه النازلة صوناً لأوطانهم ولا تقاء شر ربما يحدث في جهات اخرى، فإن قضى حرص دولة الانجليز بصد أرباب الحقوق الشرعية عن أداء المفروض عليهم جهلا منها بمصلحة نفسها وبمصالح تلك البلاد فعلى العثمانيين أن يقيموا الحجة بسيوفهم وجيوشهم لا بالرقائم والأوراق فإن هذا فساد لو أهمل لعم وعمت زواياه ولا نظن أن دولة بريطانيا تثبت على نفختها هذه فإنها ستشتغل بداخل البيت عن خارجه بعد قليل.

لسنا نقول، ما نقول جزافاً، ولكن دعوة القائم السوداني أشربت قلوب الأكثرين فى الهند وبلوجستان وأفغانستان وقد علق شرر الثورة بأهداب الخواطر فلا تلبث أن تلتهب فللدولة العثمانية أن تمد نظرها إلى أعماق المسألة وتقدر قوة الانجليز وأهبتهم العسكرية مع ملاحظة ارتباكاتهم في ممالكهم وظهور عجزهم وضعفهم فى الحوادث الأخيرة ومراعاة آراء الغالب من الدول العظيمة وبعد الإحاطة بهذا كله وهي أسهل من كل سهل تظهر عزماً ثابتاً وبأسا قويا يليق بدولة عظيمة كدولة آل عثمان طالما ظهرت على يديها خوارق العادات ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الباب العالي

ذكرت جريدة استنداران معارضة الباب العالى لمطامع انجلترا ليست قاصرة على الممانعة فى جعل مصر حكومة بلجيكية فى أفريقيا تحت حماية الدول كما فى عزم جلادستون أن يعرضه على المؤتمر. بل صرحت الدولة العثمانية لسفيرها في لندن مرزروس باشا بأنه متى وضعت لائحة جلادستون موضع البحث فى المؤتمر بعثت إليه بتعليمات للمعارضة الشديدة في هذه المادة وكل ما يكون من قبيلها (ما يمس حقوق الدولة والمصريين) ولا نرتاب في أن الدولة العثمانية بعزمها هذا قد قامت بفريضة شرعية ومثلها من يقوم بها في مصر وفي سائر الممالك العثمانية فإن كل ذى بصيرة يدرك أن صيانة جزء من ممالكها موقوف على صيانة الأخر والتفريط في شيء منها يحدث الخلل في الباقي. وكفانا عبرة أن مجرد طلب جلادستون لحرية قناة السويس حمل دولة الروس على طلب بوغاز البوسفور كما ذكرته الجرائد الروسية ودعا بعض سياسي الروس أن يقول أن المسألة المصرية قد صارت الآن مسعراً للمسألة الشرقية. ولا نظن شيئاً من هذا يخفى على عقلاء العثمانيين.

يقظه من سنة

(ربنا أتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) ربنا اشرح صدورنا لما فيه خيرنا وخير أهل ملتنا أجمعين. اللهم إنك تعلم خيرنا وفلاحنا في اجتماعنا وائتلافنا، وارتباطنا بعلائق ديننا، واعتصامنا بحبلك المتين، اللهم كفر عنا سيئآت التفريط فيما أوجبت علينا من ذلك بالهداية إلى الإنابة والإعانة على تلافى ما فرط والقيام بالمستطاع مما فرضت.

مضى زمان فرط فيه الهنديون عند تداخل الإنجليز فى شئونهم فتدابروا، وحول كل وجهه عن الآخر، ولم يصغوا لدعوة اللّٰه فى طلب الاعتصام بحبله، فذاقوا وبال أمرهم، وسقطوا جميعاً تحت سلطة الدولة الانجليزية، وسادت عليهم واتخذت السادات منهم خدما لرجالها وخولا بعد أن كانت تدعى أنها خادمة لهم أمينة فى الخدمة، ولم يهن لها أن تكون سيدة عادلة، بل تجاوزت فيهم حد العدل، واستبدت عليهم ظالمة جائرة، فلما لفحتهم نيران القسوة، أقبل بعضهم على بعض ونهضوا جميعاً للتملص من أغلال ظالميهم، من نحو أربع وعشرين سنة إلا أن إخوانهم الأفغانيين والبلوجيين والإيرانيين كانوا فى غفوة عما نهضوا إليه ولم يمدوا لهم يد المساعدة، بل كان الإيرانيون فى حرب مع الإنجليز ولكن لم يواصلهم الهنديون ولم يرتبطوا بهم فى التعاون على شأنهم كما أنهم لم يرتبطوا فى ذلك مع العثمانيين، فاهمال

جيرانهم، ورسوخ أقدام العدو بينهم، كان سبباً فى تغلب الظلمة الأغراب عليهم، ولو عقل المهملون لعلموا أن العدو إذا تمكن في الهند قويت شوكته ثم كر عليهم، واوقع بهم ما أوقع بأخوانهم.

بعد هذا زحف العدو الغريب على بلوجستان واشتغل معها بالمنازلة، وفرط الأفغانيون والإيرانيون فى تعضيدهم، فتم له بذلك أن يسود فى جزء عظيم من اراضيهم ثم انقلب على الأفغانيين وكانت بينه وبينهم حرب هائلة، امتد زمنها نحو سنتين وما نبض فى الهنديين عرق، ولا امتد من الإيرانيين ساعد، ولا كانت بينهم وبين العثمانيين وصلة، ولو كان لجميعهم بصر بالعاقبة لأدركوا أن حياة كل منهم معقودة بحياة الآخرين، وبالغ الخصم في تطاوله حتى اعتدى على الممالك العثمانية بسوق جيوشه إلى الأقطار المصرية التي هي اعظم إيالة من إيالات العثمانيين، بل اهم أقطار المسلمين، وهو الآن فى محاولة الاستيلاء على تلك البلاد، والاستبداد بالحكم فيها غير مبال بحقوق الدولة العثمانية، ولا محترم ولايتها الشرعية، وكان المسلمون لبداية الأمر على مثل تفريطهم السابق غير ملتفتين إلى ماحل بهذا القطر الإسلامى العثماني، ظناً منهم أن العدو يصدق مرة في وعده أو يخشى عاقبة السوء من طمعه، فلما رأوه غريقاً فى غيه، متغلغلا. فى سيره، مغروراً بقوته، ناصبا لحبالته، اهتزت رواسيهم، وتحركت ثوابتهم، وتنبهوا من سباتهم، وندموا على ما سلف من سابق التفريط، وأحسوا أن ما أصاب اليوم بعضهم فلا بد أن يمس يوماً جميعهم، فصارت المسألة المصرية سبباً فى إحياء الأخوة الدينية، كما بشرتنا به الرسائل الواردة إلينا من فارس والهند وأفغانستان، فلو تمادى الإنجليز فى حرصهم، وحملهم الشره على غمط حقوق العثمانيين، وثبتت الدولة العثمانية في المدافعة والمطالبة، لوجد لها من المسلمين القادرين على نكاية الإنجليز من يقوم بنصرها أداء لما أوجب اللّٰه عليه.

وإنا بعد اداء الشكر لأولئك المؤمنين الصادقين، على ما أظهروا من حميتهم

الدينية، التي أشارت إليها رسائلهم، نرغب إليهم أن يحافظوا على وحدة العقيدة العامة وجامعة الشريعة الحقة وان يصغوا الى اصوات الغيلان التي تناديهم في الليالي المظلمة، بما يحاكى اصوات الإنس وإنما هى أصوات مردة الشياطين، يبتغون تفريق الكلمة، وتشتيت الشمل وإخماد الغيرة، ونسأل اللّٰه تعالى ثباتاً للمسلمين على أصول الاتحاد، وقواعد الألفة؛ وأن لا يميل بهم الهوى إلى جعل الاختلاف في المسائل الثانوية، سبباً في حل الجامعة الإسلامية، التي قوامها الإيمان باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن لا يجعلوا هذا الخلاف ذريعة العدو الى محقق ملتهم وإفساد ولايتهم، واللّٰه يهدى من يشاء إلى سواء السبيل.

* * *

حيلة انجليزية

ذكر كثير من الجرائد الهندية، وفيها جريدة (أخبار عام) أن عدداً وافراً من الإنجليز يدخلون فى دين الاسلام، لهذه الأيام، وكثرت الظنون فى هـذا العـارض الجديد، الإجماع على أن ليس الباعث عليه حسن العقيدة فى هذا الدين، والإذعان لأحكامه القدسية، وإنما القصد منه أن يخدعوا المسلمين بمشاكلتهم، ليركنوا إليهـم، ويحسنوا الظن بهم، فيبيحوا لهم بما تكنه صدورهم، من خواطر الميل إلى دعوة محمد أحمد السوداني، وهذا يدل على أن هذه الدعوة أخذت من قلوب الهنديين، وعظمت منزلتها فيهم، وتوقع الانجليز شراً من فشوها، وامتداد شهرتها، بين مسلمي الهند، وطلبوا للاحتياط هذه الوسائل، وقالت بعض الجرائد: أن الخشـية مـن الإذعـان لدعوة السوداني قد انضم إليها الرهبة من قرب الروس لتخوم الهـند، فكـان مـن مجموعهما فزع شديد حمل الانجليز على التودد للمسلمين، والظهور فى مظاهر العدول المنصفين، بل الأصفياء المخلصين، حتى أن الإخلاص والعدالة تحمل الكثير منهم على التدين بالدين الإسلامي ليملكوا بذلك قلوب السذج، ويمحصوا بعض الصدور من الحقد عليهم، ويثقوا به شراً عاجلا أو آجلا، ولكن الصيف ضيعت اللبن.

كان يمكن لهم ذلك بالاعتدال فى السلطة، والأخذ بشيء من النـصفة، قـبل اقتراب النكبة، أما الآن وقد أوغرت الصدور غلا، ووقرت القلوب أحقاداً، وتحقق

عند الكافة من المسلمين، بل وغيرهم من الهنديين، أن الانجليز لهم فى كل مصلحة مفسدة، وفى كل حسنة سيئات، وفى كل صفاء دخل، فهم الخادعون الخائنون، بل هم الكاذبون المنافقون، هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبة عند مسلم فلا تفيدهم الحيلة أدنى فائدة، ولا تعود عليهم إلا بأسوأ عائدة، ولا ينالون منها إلا وقوف المسلمين على غاية سيرهم عند عجزهم، وازديادهم بصيرة فى أمرهم، ويقينا بضعفهم، حيث لم يبق لديهم من الوسائل إلا خلع دينهم، والدخول في دين المسلمين إرضاء لخواطرهم، ولسنا فى حاجة لتحذير المسلمين منهم، فإن لنا يقيناً بأنه لا يوجد مسلم فى أقطار الهند جميعاً إلا وهو على علم تام بما يريد به حاكموه من الانجليز، فما هو بمؤمن لهم حتى ولو كانوا صادقين.

وداد الانجليز للمسلمين

يظهر من الرسائل والبرقيات الواردة من القاهرة أن الإنجليز وفقوا لإلهاب حرب صليبية بين الحبشة ومسلمي السودان، والله يعلم ماذا تكون العاقبة إذا طار شررها. ربما لا يوجد مسلم يعتقد بدين محمد إلا ويسعى ببذل روحه وماله لإحباط أعمال الإنجليز ورد كيدهم خصوصاً مسلمي الهند المغرورين بخديعة حكامهم، ودعواهم أن دولتهم نصيرة الإسلام، وحليفة الدولة العثمانية، فما نقلته الأخبار بتاريخ ١٩ يونيو سنة ١٨٨٤، أن من أحكام الاتفاق الذي عقده الأميرال هفيت مع ملك الحبشة أن تكون مصوع مباحة لإرساء المراكب الحبشية ابتداء من شهر سبتمبر. فإما أن يكون هذا بنزعها من أيدي المصريين، بل العثمانيين، بل المسلمين وجعلها بلداً أنجليزية يبيحها الإنجليز لمن شاءوا ويمنعونها من أرادوا، وإما أن يكون بتقديمها أقطاعاً لملك الحبشة، ومن أحكامه ان يأذن الملك للحامية المصرية أن تقيم حصوناً على حدود مملكته حتى إذا هجم السودانيون عليها باعتبار أنها حصون مصرية تذرع الملك لمواثبتهم بدعوى أنها فى حدود بلاده، فتشب الحرب ويحمى وطيسها بين مسيحي الحبش ومسلمى السودان، ولما كان غرض الحكومة البريطانية أن تضم مصر وملحقاتها إليها كما يدل عليه اهتمامها بمد سكة الحديد بين

سواكن وبربر، أخذت على الملك عهداً بقبول ما تحكم به ملكة انجلترا عند عروض مشاكل بينه وبين الحكومة المصرية وإن جرى الحكم على العرف ولم تلاحظ فيه الأصول السياسية، هذه هي الدولة التي بلغ الخافقين صوت دعواها أنها حامية الإسلام والمسلمين، وظهيرة للعثمانيين فليعلم كل مسلم أن من نيتها انقراض هذا الدين وأهله من وجه الأرض وإن لم يكن ذلك عليها بيسير.

التهتك في الحيلة

اشتهرت دولة الإنجليزية بخلابة الشرقيين، وأخذهم بالرُّويغة[1] حتى وضحت سبلها من كثرة ما طرقت، وانقلب وجه الحيلة فظهر مستورها، وعادت تشبه أُلهيّات الصبيان، وألاعيب الأطفال، يدرك سرها الذكي والغبي، من يوم كان الورد دوفرين في القاهرة لكشف حالة مصر وتقرير نظام لحكومتها (كما يزعمون) لوح للحكومة بترك السودان ثم جاء بعده الماجور بارنج وألزم الحكومة بالتنازل عن حقها فيه، لأنه يكلفها نفقات وافرة ليس لها عوض من الفائدة، فامتثلت الحكومة أمر غالبيها وهمت بإخلائه ولم تلابس عملها حتى صدرت أوامر الدولة البريطانية بتعيين الجنرال جوردون للقيام بتخلية السودان، فتكون المنة على السودانيين فى استقلاهم (الموهوم) لدولة بريطانيا، وتكون الصلة بينهم وبينها خاصة، وما وصل خرطوم إلا وأقام محمد أحمد أميراً على كوردفان، وأخذ في إرجاع الولايات السودانية لملوكها الأقدمين أو أبنائهم، ولم يكن القصد من هذه الزغزغة إلا أن يكون السودان بعد تنازل المصريين فراطة لا حق لأحد فيه فيأخذه السابق إليه بدون أن تعترض فيه المشاكل السياسية ليتيسر للانجليز عاجلا أو آجلا أن يستولوا عليه وينزعوه من أيدي أمرائه الصغار، ويكون فيه بعض العوض عن مصر لو صدتهم مقاومات الدول عنها كما اشرنا إلى ذلك في أحد الأعداد. وفى هذه الأزمان

---

١ ـ الرُّوَيغة: المكر و الحيلة.

الأخيرة أخرجت حكومة انجلترا من جرابها العوبة أخرى، ومثلت من ضيق جوردون فى خرطوم سبباً عظيماً لتمهيد طريق يوصل الجيوش لتخليصه، فاصدرت أوامرها إلى أحد المصانع الكبيرة بإعداد الآلات، وتعيين المهندسين والصناع، ليسيروا إلى سواحل البحر الأحمر ويباشروا مد سكة حديد من سواكن إلى بربر كما ذكرت ذلك جريدة (البال مال جازيت) وتزعم أن لا باعث لها على ذلك إلا الرغبة فى تخليص جوردون، إن كان جوردون فى خطر ويحتاج في إنقاذه إلى إرسال الجيوش، فهل يبقى حياً إلى أن تمد سكة الحديد وتخرق الجبال والأودية وتسير عليها العربات حاملة للجيوش، مع أن الأخبار قد أشارت إلى وقوعه اسيراً أو هلاكه قتيلا ـ إذا فرضنا هلاك جوردون (كما هو الغالب) أو خلاصه فهل تهدم دولة انجلترا طريق الحديد، وتنقض بناءها بعد إنفاق النفقات الواسعة عليها، أو تتبرع بهبتها للحكومة المصرية سخاء وجوداً، كلا واللّه لا هذا ولا ذاك ولكن أخذت أقرب الطريقين للاستيلاء على السودان، فإن مد الطريق الحديدية فى تلك الجهة يسهل لها الولاية على السودان الشرقي، فإذا استقر لها الأمر فيه وصلته بالغربي ولم تلاق في ذلك صعوبة، على أنها في خلال المدة بعد مد السكك الحديدية تستفيد أعظم فائدة جوهرية من مواصلة البلاد السودانية، فإنها تفتح للتجارة الإنجليزية باباً وتغلق بصفته باب المنفعة عن مصر فتأتى بضائع البن ونحوها مما يحتاج إليه السودانيين من انجلترا إلى سواكن، ومن سواكن تذهب إلى السودان، بدون أن تصل إلى ايدي المصريين، وتنقل الأصناف التجارية السودانية من داخل السودان إلى بربر ثم تحمل إلى سواكن وتصدر إلى أوروبا ولا يراها مصري. فإذا تولى الإنجليز مصر (لاقدر اللّه) حرموا الوطنين من الاشتراك معهم فى تجارة السودان «وهي من أغزر ينابيع ثروتهم التجارية» وإذا ألجأتهم الحوادث للجلاء عنها فقد اختصوا بمادة المنفعة التي يمكن أن تأتي من أقطار السودان وبذلك يتقوض كثير من بيوت التجارة في الأقطار المصرية، ويعدم بخرابها إلاف مؤلفة من النفوس فليس حقيقة الغرض

من مد سكة الحديد من سواكن إلى بربر إلا التوصل إلى ينبوع متدفق من ينابيع الثروة المصرية، وتحويل مجراه عن مصر إلى جزائر بريطانيا. وسنأتي على تفاصيل الخسائر التى تلم بأهالي مصر من مد هذه السكة في عدد آخر.

هذه إحدى خطيئات الإنجليز الذين بعد استيلائهم على الهند حظروا على الأهالي في جميع ممالكهم أن يعالجوا زراعة الأصناف التجارية كالنيلة ونحوها واختصت الحكومة الإنجليزية بزراعتها وزادوا في المظلمة فحكموا على جميع الحكومات المستقلة التى يتولاها النوابون والرجوات أن لا تزرع الأفيون بحجة أن الحكومة الهندية الإنجليزية تزرعه فلا يجوز لغيرها العمل في زراعته كيلا تقل الفائدة أو لئلا يستفيد شيئاً مما تستفيد. هذه إثار جورها يثبتها خراب البيوت القديمة. وفاقة العائلات الشريفة. فى كل بلد لها فيه أمر ونهى. ولا تزال ترد شرعتها هذه في كل قطر تطأه أرجل رجالها قريباً كان أو بعيداً. فعلى البصير أن ينظر وعلى اللبيب أن يحذر.

فرصة يجب ان لا تضيع

نشرت الدعوات وطلبت الدول العظام لعقد مؤتمر في لندن بعد مفاوضات طويلة بين حكومتي فرنسا وانجلترا. ماذا كان المؤتمر وماذا نوت الحكومة الإنجليزية بالدعوة إليه. وماذا كانت تقصد الدول من وجود نوابها فيه. وأية غاية كان يطلبها خرّيت السياسة البرنس بسمارک. انعقد المؤتمر ثم صار عقيما. وبقيت تلك المقاصد مكونة فى صدور أربابها كانت حكومة انجلترا تطمح للاستيلاء على مصر باسم أمير مصري. وحالت دون مطمحها المصاعب أزمانا حتى سنحت لها الفرصة المشئومة بتشوية وجه الحركة العرابية فتيسر لها بتلك الحركة إرضاء الدول. واستئذان الدولة العثمانية بالتداخل فى توقيفها. فسهل لها دخول مصر على نية أن لا تخرج. وهل يمج الظمآن بارد الزلال من فيه!! ظنت أنها ملكت ارض مصر ووجدت عليها ديناً ثقيلا فرغبت تخفيفه لأنها ترى ما ينفق من خزانة مصر إنما ينقص من خزائن انجلترا. ولم تقصد بتخفيفه رحمة الفلاحين. ولم يبعثها عليه الشفقة على المصريين. وعميت بصيرة من ظن بحكومة انجلترا قصد المرحمة في هذا أو في غيره من الأعمال.

قصدت تعمية الأمر على الدول لتنال منهم تصديقاً على أعمالها فيتسع لها المجال فيما بعد، وبدأت باستمالة فرنسا وعقدت معها اتفاقاً يوطن نفوس السياسيين

على الرضاء بما تريد ثم أنشأ السير بارنج لائحة للمالية أثبت فيها عجز مصر عن أداء ديونها. إلا أن رجال الدول كانوا أحذق من أن ينخدعوا لعلمهم أن وادى النيل أحوج إلى العدالة وحسن الإدارة من تخفيف الدين. لم يخف على السياسيين أن مصر لو سلمت إدارتها لحاكم نافذ الكلمة قوى العزيمة واسع الخبرة بأحوال البلاد لوسعت قدرتها أداء ما عليها بل وما يزيد عليه. وإن كان يثقل على دولة تجارية. قررت فى الاتفاق الفرنسي إطالة مدة حلولها العسكرى إلى ثلاث سنوات ونصف ثم تخرج على شرط اتفاق جميع الدول على خروجها فعلقته بما يشبه المحال لتسهل عليها المراوبة ولكن لم يذهب على رجال السياسة في سائر الدول أن بقاء انجلترا في مصر لا يزيدها إلى خراباً.

ولما انعقد المؤتمر كشف مسيو دبلنيير الفرنسى ما في لائحة بارنج من الأغلاط فشرعت انجلترا فى تهديد فرنسا بالميل إلى ألمانيا. إلا أن السفير الألماني وهو تلميذ البرنس بسمارك ولا يعمل إلا بإشارته كان أميل إلى فرنسا فإن سياسة البرنس مبنية على التفريق بين فرنسا وانجلترا (وقد حصل) فحصل اليأس لحكومة انجلترا من تخفيف النفقة على الملك التي زعمت أنها ملكته، فحلت المؤتمر أو انحل بطبعه. وصارت الدول الأوروبية فى جهة، وانجلترا وحدها فى جهة أخرى[1]. ولم يكن من رأي الدول أن يقعوا آلة بيد انجلترا تستعملهم في قضاء أوطارها فطاشت جرائد الانجليز غضباً على ألمانيا وأخذت تذكرها بأن استيلائها على الألزاس واللورين انما كان بمساعدة انجلترا المعنوية، وهاجت الجرائد النمساوية والألمانية، وصالت بالطعن والتجريح في السياسة الانجليزية، واتفقت حكومة ألمانيا والنمسا على إلزام إنجلترا بتحديد أجل لدفع الخسائر التى نشات عن ضرب الاسكندرية.

---

١ ـ ما اقسى التاريخ وما أعظم دروسه. فيوم أممت مصر قناتها وثارت ثائرة فرنسا وانجلترا وغيرهما انعقد مؤتمر لندن عام ١٩٥٦ ليسترد القناة من أبنائها... وكتب لهذا المؤتمر الفشل، ولاصحاب القناة الشرعيين النصر المبين.

الحكومة الانجليزية في رجفة شديدة، وخيفة من سوء العاقبة، إلا أنها على عادتها تظهر الاقدام وتنطق بالحماس وتوهم أنها غنية عن العالمين. عمدت إلى الاستقلال بتدويخ مصر، وتقرير سلطتها فيها وإخماد فتنة السودان، وظنت أنها قادرة على كل ذلك، فجهزت القواد وعينت اللورد نورثبروك أعدى أعداء المسلمين، ومخرب بيوت الشرقيين ليتولى العمل لدولته في القطر المصري. ولكن هيهات وهيهات، نترك الآن بيان ما يترتب على انفراد الانجليز عن سائر الدول في أمر مصر إلى عدد آخر ونقدم كشفاً لجوهر حالهم العامة.

أولا: إن الانجليز على عادتهم المألوفة إذا قصدوا الاستيلاء على قطر لا يصرحون بقصدهم حتى يتمكنوا فيه، ولا يبق لهم منازع لا فى الداخل ولا في الخارج، فلو فرضنا أن المصريين والدول أجمعين اتفقوا الآن وطلبوا من انجلترا أن تعلن بتملكها لمصر لا متنعت الحكومة الانجليزية وأظهرت العفة والقناعة، ولظهر المستر جلادستون فى دلوق الزهاد ولصالح جميع الانجليز من جميع الأحزاب أستغفر الله لا نريد سوى إصلاح البلاد وتوفير خيراتها!! وتحت هذا الحجاب يتصرفون تصرف الملاك، يختصون بالوظائف العالية، ويديرون حكومة البلاد على رغبتهم، وينقلون ثروتها إلى جزيرتهم، ويمزقونها قطعاً يهبون منها مالا يهمهم لأعداء البلاد، ليعينوهم على تذليلها واستعبادها.

وثانياً: إن حكومة الانجليز من أضعف الحكومات فى القوة العسكرية البرية، وأحد سلاحها التهديد، وأكبر قوتها التهويل، ووضع الامور الصغيرة، تحت النظارات المعظمة، لترهب بذلك كل جاهل، وتخيف كل غبي، لهذا لا تتمكن بدسائسها في قطر إلا عند سكون أهاليه، فاذا نبذ الأهالي طاعتها، وعارضوها فى أعمالها، سترت ضعفها بترك البلاد لأهلها، فان مقاومة الأهالي أشد بأضعاف مضاعفة من القوة العسكرية المجتمعة فى أماكن مخصوصة تحت قيادة روساء معينين، تنهزم بانهزامهم، وما جرى لحكومة انجلترا مع الافغانيين أعظم شاهد على ما نقول

دخلت الحكومة الإنجليزية ارض الأفغان بستين الف عسكري واستولت على المدن وكاد قدمها يرسخ فى البلاد، فلما قام الأهالي من كل صقع. والتحمت المقاتل فى جميع أنحاء أفغانستان، عجز الستون ألفاً عن الوقوف موقف الدفاع، واضطرت حكومة انجلترا بعد تسلطها سنتين، وبعد صرف ثلاثين مليون جنيه استرليني أن تطلب الأمير عبد الرحمن خان من روسيا بعد ما أقام عند الروسيين أثنتى عشرة سنة معززاً مكرماً وأن تقدم له أربعة ملايين من الجنيهات لينفقها في إدارة بلاده وتركت له البلاد وولت.

حكومة الإنجليز إنما تخضع للضرورة وللضرورة أحكام ـ فعلى قبائل العرب فى مصر وشمائخها أن يتذكروا شهامتهم العربية، وحميتهم الدينية ويقتدوا بالأفغانيين، لينقذوا بلادهم من أيدي أعدائهم الأجانب الذين لو تمكنوا فى البلاد لمحقوهم وأذلوهم، وليس من الفتنة أن ندعوهم إلى طلب الحقوق والدفاع عن الدين والوطن كما يظن بعض المتطفلين على موائد السياسة، فانما ننادى على صاحب البيت أن يدافع عن حريمة وماله وشرفه، وأن يخرج مخالب عدوه من أحشائه، وهي سنة جرى عليها دعاة الحق، فى كل أمة، وتاريخ أوروبا القديم والحديث، وتواريخ الأمم الشرقية أو لها واخرها تنطق بصدوق مانقول وعلى المصريين عموما والفلاحين خصوصاً ان يجمعوا أمرهم على أن يمنعوا الحكومة كل ما تطلب منهم وأن يرفعوا أصواتهم بنداء واحد قائلين لا نطيع إلا حاكما وطنياً مسلماً نافذ الكلمة حازم الرأى قادراً على إدارة البلاد بقوة وطنية، وليستصرخوا فى ذلك جميع الدول ويبرهنوا على قدرتهم، ويقيموا الأدلة على أن مصلحة الدائنين، لا يمكن حفظها إلا بإجابة طلبهم فإن فعلوا هذا وجدوا لهم من الدول أنصاراً، بل ومن الجنس الإنجليزى نفسه!!

على الدولة العثمانية أن تتذكر أنه لو لا فرمانها بعصيان عرابى لما سهل للانجليز

أن يدخلوا أرض مصر[1] ولا أصابوا هذه الغنيمة باردة فلتنظر إلى قوتها ونفوذها. وتلاحظ أن الحل على من عقد. والعقد على من حل. ولا تنس أن مصر حبكة الممالك العثمانية كما بيناه مراراً. ولا تغفل من النمسا وشرهها. والروسيا وطمعها. وفرنسا وآمالها. فمن الأمور الطبيعية أن المنافسة أو الموازنة تدعو الأقران إلى التسابق في الأطماع. وإذا فرط متساهل فى أهل ملته فلن يجد منهم فيما بعد عوناً. لو تحرك العثمانيين لرأوا عونا من جميع المسلمين خصوصاً وقد حصلت كدورة بين أمارة الأفغان وحكومة الإنجليز. بل نكرر ما قلناه مراراً من أن نفوذ العثمانيين فى الهند يمنع الإنجليز من الجهر بعداوتهم البتة. فهذه فرصة الإقدام فان ولت الفرصة فربما يصعب التلافي، ولا يبقى إلا الندم، حيث لا ينفع الندم، وفق الله الدولة العثمانية إلىٰ مافيه خيرها وخير المسلمين. وبصرها بالرشد وكفاها شرور المفسدين.

---

١ ـ هذا هو أول هجوم يشنه الأفغانى على الدولة العثمانية لأنها أصدرت فرمانها الخاص باتهام عرابى بالعصيان ونكست حركته مما أدى تسلل الانجليز واستعمارنا ٧٤ عاماً!!

تنبيه

طلب إلينا أحد الاعاظم من ذوي الحل والعقد فى المسلمين أن ننشر الجملة الآتية بنصها فها هي:

(وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى اللّٰه)
(وبشر الذين كفروا بعذاب أليم)

ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه، ملعون من يبيع أهل ملته بحطام يلتذبه. ملعون من يمكن الأجانب من دياره. محروم من شرف الملة الحنيفية من يعظم الصغير. ويصغر العظيم. ويمهد الطرق لخفض كلمته. إعلاء كلمة الأغراب. ملعون من يختلج في صدره أن يلحق عاراً بأمته. ليتمم ناقصاً من لذته. عجباً عجباً. لا حول ولا قوة إلا باللّٰه. هل صحيح أن خمسة ملايين سابقة وخمسة ملايين لاحقة تمكن الأجانب من مصر. وهى مفتاح الحجاز وباب الأقطار الشامية. هيهات هيهات. أيظن مريض القلب أن يترك حتى يأتى هذا المنكر، أيظن أنه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يداه، أيتوهم أنه يبق حيا على وجه الأرض وفيها مسلم، لا أظن أن يكون له حظ من البقاء، ولو كان في أبراج من الفولاذ اهـ

مطلوب من توفيق باشا أن يموت شهيداً!!

يتوكأ الإنجليز عن توفيق باشا فى حركتهم بمصر. ويتخذونه آلة لتخريب بلاده. وهدم ملكه. وما يكون من شر ينسبونه إليه. وما عساه يوجد من خير يصلون نسبته بهم. ويردونه إلى أنفسهم، وفيما بين ذلك يبغضون إليه الولاية الإسلامية: ويحببون إليه إغفال الأصول الدينية. وهو يميل معهم ويمدهم فى مقاصدهم ويطوع البلاد لهم. بما بقى له من السلطة الصورية كما يتظاهر بالتدين والمحافظة على الصلوات. فإن كان باطنه يطابق ظاهره، وكان معتقداً بدين الإسلام، فعليه أن يتنحىٰ عن الأمر ويترك الملك لمن يستطيع إنقاذه مما هو فيه فتبرأ ذمته من العار الذى يلحقه ويلحق بيت محمد على من تصرفه، فان لم يكن هذا فعليه أن يجهر بعقيدته، ويقاوم الإنجليز بما فى جهده، ويموت شهيداً في سبيل دينه ووطنه، وإلا فليس يعضىٰ عنه من اللّٰه شيئاً أن يظهر عند أهل خاصته وحاشيته أنه ناقم على الإنجليز كاره لوجودهم فى بلاد مصر ويودلو يخرجون كما أنبأتنا به الأخبار الخصوصية من القطر المصري.

إذا تمادى توفيق باشا فى سيره الملتوي فعلى المصريين أن لا يقعوا صيداً فى يد الإنجليز بهذه الحبالة البالية وهذا الفخ الواهن، وليتنظروا في شئونهم وما توجه عليهم فروض دينهم وإلا فما اللّٰه بغافل عنهم.

هؤلاء رجال الانجليز وهذه أفكارهم

تأخر صدور الجريدة أياماً لضرورة ما مسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنسية هذه الأيام. والحمد للّه على زوال المانع. إلا أننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذى قمنا به فى المدافعة عن حقوق المسلمين. فقد خلقنا والشكر للّه لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجوا ديان السموات والأرض أن نموت في هذه السبيل وأن نبعث فى زمرة السالكين فيها.

رأينا أن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الأول لهذه الجريدة) إلى لندن إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير لملتنا، ومن يؤمل فيهم صدق النية، في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الإنجليزية. وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي مامرت قدم شرقي إلا سقطت منها فيما يعسر الخلاص منه، وليسبر أغوار المطامع الإنجليزية التي لا يدرك منتهاها. تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الأرض بالفتح والاستملاك لم تزل فى مد لا جزر معه. ولا يزال رجال حكومة بريطانيا فى نهم شديد لا بتلاع ممالك العالم وكلما أساغوا قطراً طلبوا إليه آخر. وليستطلع خفايا المقاصد من اثناء الأفكار وغضون الأقوال. وليقف على الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين فى التلوين. ويتبين كيف يتمكنون من إبراز محاسن الأعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر إليها وإظهار السيئات

فى ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص، كيلا يغتر الجاهل، ولا يزل العالم.

لاقى (محرر الجريدة) كثيراً من رجال السياسة الإنجليزية وأنفذ الناس. رأيا فيها، وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة فى الأحوال المصرية، ومن محادثاته التمهيدية ما نشر فى بعض الجرائد الإنجليزية كجريدة (البال مال جازيت) وجريدة (التروت)، التي يحررها النائب الشهير مستر لابوشير وجريدة (التايمس) وسيذكر شيء مما جرى بينه وبين بعض الأكابر من رجال الحكومة مما يستفيد منه الشرقيون عموماً، والمصريون خصوصاً، وستأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى أقوالهم وأدركه من مرامى أفكارهم. أما الآن فنأت على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الإنجليزية. ليأخذ كل مصري منها حظه. ويصيب كل شرقي سهمه. ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من انظار الحكومة الإنجليزية.

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الإنجليزية، ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الإنجليزية وألا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الأتراك، وفلان باشا وفلان باشا؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا، وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الإنجليزي، فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس، ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم أن يتصور هذا الميل فى المصريين، فقال الوزير هل تنكر أن الجهالة عامة في أقطار مصر، وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الأجنبي والحاكم الوطني، وأن ما ذكرته من النفرة من سلطة الأجانب إنما يكون فى الأمم المهذبة، فاحتد الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في أداء ما فرضه الدين، وأوجبته حقوق الشريعة، وقال: أولا إن النفرة من ولاية الأجنبي ونبذ الطبع لسلطته، مما أودع في فطرة البشر وليس بمحتاج للدرس

والمطالعة، وهو شعور إنسانى ظهرت قوته فى أشد الأمم توحشاً كقبائل الزولو الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم فى الدفاع عن أوطانهم ـ وثانياً أن المسلمين مهما كانوا وعلى أي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل إلى الدرجة التي يتصورها الوزير، فان الاميين منهم، ومن يقرأون ولا يكتبون، لا يفوتهم العلم بضروريات الدين، ومن أجلاها ومن أظهرها عندهم أن لا يدينوا لمخالفيهم فيه وأن لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ فى مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الإبتدائية وأن جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الإحساسات الشريفة الإنسانية مالا ينحطون معه عن سائر الأمم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم، وثالثاً أن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ما هو موجود فى بلاد أوروبا، وأخذ كل مصري نصيباً منها على قدره، ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون، والأخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية، ومن لم يقرأ يستنبىء الأخبار من القارئين، فبهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعى والتقليد الديني، محبة وطنية منشؤها التهذيب العمومى قوى بها الميلان الأولان، ولا أظنهم يخالفون فى ذلك سائر الأمم اهـ

أين العلماء الأذكياء أين الجهلة الأغبياء، أين الأباة الأعلياء، أين السفلة الأدنياء، ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الإنجليزية، كل ذى شكل إنساني، وصورة بشرية، يدرك ما وراء هذه الأسئلة، وما تشف عنه هذه الظنون العجيبة. هذا اللورد هر تنكتون وزير الحربية الإنجليزية يظن أن الجهل بلغ من المسلمين عموماً، والمصريين خصوصاً، إلى حد سلب عنهم كل إحساس إنساني، وأنهم فى حضيض من الجهل، لا يميزون فيه بين الغريب والقريب، ولا بين العدو والحبيب، هذا دليل على أن الانجليز (إلا من أنار اللّٰه بصيرته ووفقه لفهم

الصواب) يعتقدون أن الأمم الشرقية، والأمة المصرية، في درجة الحيوانات السائمة، والدواب الراعية، لا تتألم إلا من الجوع، وفواعل الطبيعة المادية، وليس لها من الاحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية، ولا تعرف من شئونها إلا ما به تقوم حياتها الحيوانية، فتألف راكبها، والعامل عليها ومستخدمها، في أي عمل من الأعمال الشاقة، مادام يقدم لها طعاماً وشراباً، وأنها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غذاءها وعشاءها، وإن كان من أشد البلاء عليها، بما يسومها من مشاق الأعمال، فإذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها، ألا فأعجبوا. إن كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الإنجليزية في الأمم التي يتسلطون عليها، فأى معاملة تكون منهم لها الا يعاملونهم معاملة العجموات والحيوانات الرتع، بلى، وهكذا يعاملون، وهذا تصرفهم فى البلاد الهندية، يشهد بأفصح لسان على ما يعملون.

فالمصريون الآن بين أمرين أفضلهما أيسرهما، إما أن يتناكفوا ويتضافروا ويبذلوا أموالهم وأرواحهم في حفظ شرفهم الإنساني، ومكانتهم العربية، وأداء حق عقيدتهم الدينية، ويخلصوا أنفسهم من عبودية قوم لا ينظرون إليهم إلا كما ينظرون إلى البغال والحمير، وإن هموا بذلك وجدوا لهم من إخوانهم المسلمين أنصاراً ينتظرون الآن حركة منهم وهذا أشرف الأمرين وما هو عليهم بعسير، وإما أن ينسلخوا عن جميع الخصائص الإنسانية، ويخلعوا حلية الإيمان، ويتبرأ منهم شرف العرب، وليحملوا ناف العبودية على أعناقهم، وليقاسموا الحيوانات في حظوظها، وليستعدوا لكل ذلة، وليقبلوا كل ضيم، وهذا أعسر الأمرين وأدناهما وما أظن مصرياً يختاره لنفسه ولئن اختاره «معاذ اللّٰه» فيسذهب اللّٰه بهم ويورث الأرض قوماً آخرين، فإن اللّٰه غيور على دينه، غيور على العدل، منتقم من الضالين، وإنا للّٰه وإنا اليه راجعون.

اللورد نورث بروك حاكم مصر الجديد

كثيراً ما أتينا فى جريدتنا على بيان مسالك الإنجليز فى تملك الهند وتذليلهم لأهاليه، وذكرنا أن سيرة الحكومة الإنجليزية فى افتتاح البلاد لا تشابه سير الفاتحين الذين يزحفون بخيلهم ورجلهم على الأقطار، فيقتلون ويقتلون، حتى يتغلبوا على من يريدون. وقلنا أن الإنجليز ملكوا نحو ثلث العالم بلا سفك دماء غزيرة، ولا صرف أموال وافرة، وإنما ملكوا ماملكوا بسلاح الحيلة، يدخلون في كل بلد أسود ضاربة، فى جلود ضأن ثاغية!! يعرضون أنفسهم فى صورة خدمة صادقين، وأمنة ناصحين، طالبين للراحة، مقومين للنظام. نادينا مراراً بأن الإنجليز إذا أرادوا التدخل في ملك للشرقيين، ورأوا أن القائم به رجل حاذق بصير، وأن وجوده في الملك يبطيء سيرهم إلى ما يقصدون. بادروا إلى التشويش عليه، فإما أن يفسدوا عليه قلوب رعيته. ويثيروا عليه أحقادها، أو يغروا أحد أعضاء العائلة المالكة بالعصيان وطلب الملك ليجدوا فى ذلك وسيلة للدخول فى الأمر، أو يتفقوا مع الوزراء على خلع صاحب السلطة. ثم ينصبون بدله إما ضعيفا أحمق، وإما صبيا لم يبلغ الرشد، إما من أبناء المالك أو أقار به ليتمكنوا من بلوغ مقاصدهم تحت علمه، ويبلغوا غاياتهم باسمه ويقطعوا المسافة الطويلة فى مدة قصيرة، بلا ممانع ولا عائق، مع إصابتهم جزيل الأجر، على ما عملوا فى بداية العمل.

هذا كما فعلوا من مدة غير بعيدة مع «راجا برودا» خلعوه بدعوى باطلة، لما احسوا فيه البصيرة والحزم، وأقاموا بدله ولداً صغيراً من عائلته، ثم انتصبوا له أوصياء، فوضعوا أيديهم على جميع خزانته، وتولوا إدارة ممالكه، واستلموا قيادة عساكره، ولم يبق له إلا الإسم، يذكر ولا يشكر، كل هذا تحت راية العدالة والإصلاح، وحفظ الراحة وتقرير النظام، ولم يساقوا إليه إلا بباعث المحبة والإخلاص «ولا يذكر هناك اسم التملك والاستيلاء». نعم ولهم الحق في استبقاء اسم، والسكوت عن آخر، فإن أمراء الشرقيين لا يبالون بما دلت عليه الأسماء، وإنما يهمهم طنطنة الألفاظ وضخامة الألقاب!!

إذا سلب الأمير الشرقى ملكه وماله، وجرد من جميع حقوقه، وبقى له لقبه ولواحق لقبه، فهو فى سكرة من لذة ما بقى له، وفى ذهول عما سلب منه، هذه خلة عرفها الإنجليز فى كل أمير شرقي، فلم لا يقرون أعينهم بحفظ هذه الأسماء، بعد ما جردت عن معانيها، وأى داع يدعو رجال الإنجليز لإزعاج قلوب الأمراء، بنزع هذه الالقاب، إن اللقب الضخم حصن حصين، يسجن فيه الأمير الشرقي، أوجب عميق يلقى فيه، وهو يظنه جنة عرضها السموات والأرض، فليعش أمراء المشرق متمتعين بنعيم ألقابهم، وسعادة أسمائهم، ويكفهم من المجد أن يقال لهم بين خدمهم وخاصتهم، فى داخل دوائرهم «نواب صاحب» «راجا صاحب» «خديوى صاحب» «سلطان صاحب». واخجلتاه» هذه الالقاب كانت تشير إلى ملك فسيح، ومجد شامخ، وشوكة قوية، وسطوة تخضع لها الشم العوالى، فكيف طابت نفوس أمراء المشرق بقبولها عارية من كل شرف، لم يبق من معناها إلا سلطة على الخدم والحشم، وما هم فيها بأحرار، بل لا بد أن يوافقوا فيها رضاء الأجانب.

من أدق رجال الحكومة الإنجليزية في فن الحيلة، وأمهرهم فى صناعة الخدعة وأطولهم باعا فى النفاق، وأحذقهم فى اختراع الوسائل لسلب الأملاك من أربابها، وأشهرهم فى عداوة المسلمين، ذلك اللورد المحترم (نورث بروك). كان هذا الرجل

البارع حاكما في الهند فأذاق أهاليه مر العذاب، فى كؤوس المحبة والوداد. كم خرب بيوتاً، وقلب عروشاً، وكم خفض رفيعاً، وأذل عزيزاً، وهو فى جميع سيئاته يبكى بكاء الشفقة، ويسكب دموع المرحمة على الهنديين، ويقول انني اول انجليزى تهمه رفاهة اهل الهند، وانني وحيد بين الانجليز بمحبة الهنود، والسعى فيما يعود عليهم بالصلاح والنجاح، وأنني استغفر اللّه إن كنت قصرت فى عمل يؤمل بهم إلى الفلاح، وينادى فى الهنديين بقوله واأسفاه إنكم إلى اليوم ما عرفتمونى، ولا احطتم بما حواه ضميري، من إرادة الخير لكم، هذا هو الكاهن الحاذق فى وعظه «ودونه في النفاق عبداللّه بن أبى سلول رأس المنافقين فى الإسلام».

إن الحكومة الإنجليزية عرفت قدره فى براعته، ومعرفته بوجوه المكر، وخبرته بأحوال الشرقيين، وسعة علمه بكيفيات التصرف فى عقولهم وأهوائهم، وطرق أخذهم من حيث لا يشعرون، واعترفت له حكومته بصدق الطوية فى معاداة المسلمين، لأجل هذا قررت أن تبعثه إلى مصر، وعزمت على إرساله إليها مفوضا من قبلها يفعل ما يشاء ولكن لا نظن حبالته الخداعية تصرع فطانة المصريين وتأخذ عقولهم، فان تسنىٰ له النجاح، ورضى المصريون على أنفسهم عار الذل، ووصمة الضيم، فلا يكون إلا باستعمال توفيق باشا آلة فى جميع أعماله، يستخدمه لإدخال مصر فى ملك الحكومة الإنجليزية، يلقنه الأوامر السامية، ويلهمه الإرادات السنية، لتذليل أهل بلاده وسوق المصريين لقتل إخوانهم وفتح البلاد الثائرة وإقرار السلطة فيها للحكومة الإنجليزية، فان تم له ما يريد من تسكين الفتن وتقريب المصريين للرضاء بحكومة تنفر منها طباعهم عمد إلى خلع توفيق باشا بأية علة وطلب تولية إبنه عباس لكونه ولداً صغيراً لم يبلغ الرشد واستند فى ذلك إلى الفرمانات السلطانية «يحترمونها إذا وافقت أغراضهم» وجعل نوبار باشا ديواناً له «الديوان وزير يعينه الإنجليز من طرفهم فى الممالك التي تبقى في الهند تحت أسماء الأمراء الذين لا يعرف فيهم الرشد ولا يجوز عزله إلا بأمر من الحكومة الإنجليزية»

نوبار باشا لا يقصر فى هذا العمل ولا يالوا جهداً فى إبلاغه إلى نهايته، نوبار باشا رجل لاهو مسلم فيغار على دينه، ولا هو مصرى فيحتمى على وطنه، ولا هو عربى فتأخذه النفرة على جنسه، وبهذا الطريق ينال سلطة فى القطر المصري مدة لا تنقص عن الباقي من عمره، ويكون فى أمان من العزل، تحت ظل الحكومة الإنجليزية.

هذه مقاصده التى بلغتنا من مصدر يوثق به ولا نظنه ينجح فيها فإن صلاح الأمر فى مصر لا يقوم به إلا من هو أعرف بحال المصريين وأقرب إليهم من «نورث بروك» هذا اللورد يسلك فى سيره على ما جرى عليه فى الهند، إنا نذكر طرفاً من أعماله عبرة للمعتبرين، إن (جيرت سنك» كان راجا على ممالك (جنبه) الواقعة في جنب (عنبر سر) من طرف (همالايا) فلما مات هذا الملك تولى إبنه (سرسينك) وهو ولده من الملكة ثم مات وتولى شقيقه (سوجت سنك) على طبق قانون الوثنيين فلما ذهب (نورث برك) حاكما فى الهند قصد إلى تنفيذ حكمه فى تلك المملكة واستملاك أراضيها حسب المألوف بين أمثاله من رجال حكومته، فطلب من (سوجت سنك) أن يتنازل عن الملك لأخيه (قوبال سنك) وكان وليداً من جارية ولا يجوز فى قوانين الوثنيين أن يتولى الملك أبناء الأماء مادام من أبناء الأحرار حى، فلما تمنع (سوجت سنك) من التنازل اعتماداً على قانون بلاده، أنزل بحكم اللورد جبراً بعد ما ضربت زوجته التى كانت ملكة تلك البلاد (لكونها زوجة الملك) ونهب جميع ماكان فى بيت الملك من الخزائن والتحف والجواهر الثمينة والمخلفات القديمة (أنتيكات) التي كان يتوارثها الملوك من أجيال طويلة (فان عائلة الملك كانت من قدماء العائلات الملكية) ثم نصب بدله (كوبال سنك) وبعد مدة قصيرة عزل (كوبال سنك) ونصب ولده الصغير (سيام سنك) ليكون الأمر والنهى حساً ومعنى بيد أمراء الإنجليز، وتحت تصرف الديوان الذي أقاموه من طرفهم. هذا مثال لما يطول عده من أعمال اللورد نورث بروك فى الهند.

ثم أن (سوجت سنك) المخلوع ظن أن نورث بروك وحده هو الظالم، وأنه لو

رفع أمره للحكومة العليا فى لندن يجد لديها عدلا ويصادف منها إنصافاً فجاء من مدة ست سنوات وعرض حاله على الحكومة فاذا القلوب متشابهة، والنفوس متوافقة، والآراء متألبة على سلب الحقوق، والغلو فى العدوان، وفى خلال هذه المدة أنفق كل ماكان عنده فى المطالبة بحقه، والمرافعة مع ظالمه. حتى أصبح صفر اليدين، لا يملك قوت يومه، ولا يجد له منصفاً، هذا الملك السيء الحظ مع ماكان له من رفعه الشأن، وارتفاع نسبه في الملك إلى أجداده الأقدمين، من نحو ألف سنة تراه الآن يتضور من الجوع فى بلاد أوروبا رث الثياب حقيراً ذليلا، هذا الذى احترمه اللورد نورث بروك الذى تريد حكومة انجلترا أن ترمى به مصر وهذا هو الإصلاح الذى يقصد إجراءه فيها، لكن رجاؤنا فى المسلمين وأملنا فى المصريين، وقوة إيماننا بوعود اللّٰه، وصدق النبأ عما تكنه الحوادث المصرية، وتالب الدول على معاكسة الحكومة الإنجليزية، واضطرار الدولة العثمانية للدفاع عن مصر، كل هذا يبشرنا بخيبة هذا الغادر فى قصده، واللّٰه لا يهدى كيد الخائنين.

نكته!!

عندما كان الشيخ محمد عبده يحادث أرباب السياسة فى لندن كان أغـلبهم يقول له كثيراً ما سمعنا من الأجانب الذين ينتمون إلى البلاد المصرية أخباراً متعلقة بها، لكنا لا نحلها محل الاعتبار، لما نعلم عن بعدهم عن الشعب المصرى الحقيق، أما أنت فلكونك عريقاً فى المصرية، وعالماً من علماء المسلمين فنحب أن تبين أفكارك، وما تعلمه من أحوال الأهالى المصريين، وشئون أمرائهم واستعداداتهم، وما يليقون له، وما يليق بهم، فإنا نرى ذلك منك حاكياً عن حقيقة الأمر فيهم، وكاشفاً عـن افكار أهالي مصر عموماً، وقد أشارت إلى هذا المعنى جريدة (البال مال جازيت).

معارضة الانجليز

تنبهت أفكار الدول الأوروبية فى هذه الأيام، إلى ما يمسها من إيغال الإنجليز فى طمعهم، وأن ظفرهم فى أعمالهم المشرقية لما يخمد أنفاس أوروبا، ويسد عليها أبواب التجارة، ولو نجح الإنجليز فى سيرهم إلى ما يطمحون إليه، لم يبق موضع قدم للتجارة الأوروبية، فيضرب الفقر فى غالب أقطار أوروبا التى قوام معيشتها التجارة، وأن الدول لتعجز بعد هذا عن حاجاتها، هذا فزع ألمت بدايته بنفوس الدول من صيحة الطبيعة، وزاد عليه ماخدش خواطرها من الإهانات المتتابعة اللاحقة بها من غرور الإنجليز، دولة انجلترا هى التي تركت الدول تاتر فى الأستانة، واستبدت بإطلاق النيران على مدينة الإسكندرية، هذه الدولة هى التي دعت الدول العظام إلى مؤتمر للمداولة فى مسألة مصر، معترفة بحقوقها فيها، فلما لم تجبها الدول إلى مطلبها الباطل، صرفت نوابهم، وانطلقت فى أعمالها غير مبالية بهم، وعزمت على إرسال (اللورد نورث بروك)، (والجنرال ولسلى)، فى آن واحد إلى مصر.

هذا كله حرك خواطر الدول، وصار من أعظم البواعث على اجتماع الاباطرة الثلاث فى شهر سبتمبر كما أنبأت الجرائد، وأكدت أن موضوع المداولة بينهم، هذه المسألة المهمة: لهذه المسألة كانت مدينة وارزين دار ندوة سياسية، وبها وجد البرنس بسمارك مجالا واسعاً للسياسة، تلاقى الكونت كالنوكى مع البرنس بسمارك،

وطالت مدة الاجتماع ولحق بهما مسيو دى جيرس وزير دولة روسيا، وكان البحث فيما ألم بالدول بعد مؤتمر لندن، ثم عقب ذلك سفر مسيو كورسيل سفير فرنسا فى برلين إلى وارزين لملاقاة بسمارك (وإن أولت بعض الجرائد الانجليزية حركة هذا السفير بمقصد آخر). فهذه الزيارات المتتالية بين هؤلاء الوزراء العظام، بعد خيبة المؤتمر تفتح للمتأمل باباً واسعاً من الفكر، وتشف عن أمور عظيمة سيكشفها الزمان عن قريب هذا إلى الأمر الجديد الذى صدر من دولة ألمانيا وهو تعيين وزير فى سفارة مبجلة لدى شاه إيران وفى أعضاء سفارته، بروكش باشا المشهور بعلم الخط المصرى القديم، وهى أول مرة كان لهذه الدولة سفير عند الشاه، ثم ذهاب ميرزا خان سفيراً خصوصياً من الدولة الفارسية إلى الدولة الروسية، ونيله غاية التبجيل والتكريم.

كل هذا ينبئنا أن فى كمين الغيب مصيبة كبرى ستنقض على دولة الإنجليز. إن الأحقاد قد أخذت بقلوب الأمم الاوروبية وامتلأت الأفئدة غيظاً حتى طفحت، ولهذا لا ترى جريدة ألمانية أو نمساوية أو فرنسية أو روسية إلا وهى مشحونة بالطعن والتنديد، والوعيد والتهديد، والإنذار بسوء عاقبة حكومة الإنجليز، ليس ببعيد على عدل الله أن ينكس أعلام العاتين. الذين يعبثون في الأرض مفسدين. ويسلبون ممالك العالم غيلة، ويهضمون حقوق الأمم بغيا وعدواناً، ويسيمونها عذاب الرق والعبودية عتواً واستكباراً، أظلم جو السياسة على سابلة الانجليز، وزأرت عليهم ضارية الويل من كل جانب، ولهم فى هذه الأهوال حركة الخابط، إما ستراً لضعفهم، أو غروراً ببأسهم، ويتعلقون بحبال الوسائل لامتلاك مصر والسودان، اللورد نورث بروك وسميع الله خان، الدهرى يذهبان إلى مصر لتأليف القلوب، وجميع الخواطر على ولاء الحكومة الانجليزية، وأن ولسلى بعد ما نال من حسن الصيت بصرف الدنانير فى التل الكبير، عزم على أن يفتح فتحاً آخر بمثل تلك الوسيلة، ولكننا لا نظن فى السودان مثل شهيد الخيانة وأبى سلطان باشا اضرابه،

وهذا من جهة أخرى يسعون لإجبار الحكومة المصرية على إعلان الإفلاس وإشهار العجز عن القيام بنفقات الحكومة. ليجدوا فى ذلك وسيلة لتقرير حمايتهم على القطر المصري، وتخفيض فائدة الدين والاستبداد بشئون المملكة. أنهم نالوا فى الحرب المصرية من الدولة العثمانية فرمانا سلطانيا بعصيان عرابى، فحقنوا به دماء رجالهم، وصانوا كثيراً من أموالهم، واليوم يسعى اللورد دوفرين بمواعيده العرقوبية، وإيماناته الكاذبة عند الباب العالى ليحمله على إرسال عشر مدرعات إلى الإسكندرية، وسوق جيش إلى سواحل البحر الأحمر ليكون هذا بدل الفرمان بعصيان محمد أحمد، ويفوز الإنجليز بالتسلط على مصر والسودان، ويحلفون وهم الكاذبون، إنهم لا يمسون حقوق السلطان (هل أبقوا حقوقاً تمس) حتى إذا ثبتت أقدامهم تحت ظل العلم العثمانى، قلبوا للعثمانيين ظهر المجن واجابوهم بهز الرؤوس وكشرة الأنياب، ولا نظن أن الدولة العثمانية تغتر بوعود الإنجليز مرة ثانية، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، وقد جربت منهم حلاوة الوعد، وذاقت فى أخلافه مضاضات الإهانة، ومرارات التحقير.

نعم هذا وقت يتسنىٰ للدولة العثمانية أن تتفق مع سائر الدول لصون مصالحها، ولا يخطر ببال عثمانى أن ينال خيراً بالاتفاق مع الإنجليز، إن حكومة بريطانيا ما عاهدت عهداً إلا ونقضته، بعد ما جنت ثمرته، فربحها فى العهود خاص بها، لا يشركها فيه غيرها، لم يخف على الدولة العثمانية أن الانجليز تصرفوا فى الأراضي المصرية تصرف المالكين بلا مشورتها، وهبوا قسما عظيما من السودان الشرقى للحبشة وأثاروا حربا صليبية بين الحبشيين ومسلمى السودان، نزعوا إلى الاستيلاء على زيلع وهرر وبربر، هل كان شيء من هذا بإذن الباب العالى، فعلى أي وجه تثق الدولة بانجلترا، بعد ما جربت من غدرها ماجربت ورأت من عدوانها مارأت، لو تساهلت الدولة مع الانجليز فى مسألة مصر فسنسمع عن قريب بأمور فى الحجاز وسوريا واليمن وبغداد وكلها من دسائس الانجليز، أما لو أقدم العثمانيون بعزيمة ثابتة

وأقبلوا على شأنهم فى مصر، مع هيجان الأفغانيين وانفراد انجلترا عن سائر الدول، لوجدوا لهم أنصاراً من جميع المسلمين فى الشرق، ومن المصريين والسودانيين، ولأرغموا الانجليز، واسترجعوا ما فقدوه من المكانة أيام حرب الروسيا، ولأعادوا عزتهم الأولى. هكذا ينبغى أن يساق الجيش العثمانى لصدمة الانجليز لا لخدمتهم فان لم تفعل الدولة العثمانية، فعلى الدنيا العفا وعلى الاسلام السلام!!

وليعلم المصريون من الفلاحين والعرب أن الانجليز لا يقصدون إلا استعبادهم واستخدامهم كما يستخدم الأرقاء وأول نير للذل يوضع على أعناق أمرائهم، فعليهم ألا يكونوا آلة فى تمكين العدو من رقابهم، وأن لا يكون بعضهم فخالصيد باقيهم، لعمر الله إنا لفي عجب من الذين يحفظون القلاع فى السودان، ومن المصريين الذين يزحفون لمقاتلة السودانيين، هل يعلمون أى أمة يخدمون، بلى إن حامية كسلا حافظت عليها حتى تسلمها للحبشة، وأن حماة القلاع فى السودان يحفظونها حتى يسلموها لقواد الانجليز إن استطاعوا، نعم كنا نحب أن نرى هذه الشهامة من العساكر المصرية، لكن إذا لم يكونوا فى تصرف دولة اجنبية أما اليوم فثباتهم هو العار بعينه، والله لا أظن شخصاً فى قلبه ذرة من الايمان تسمح له نفسه بهذا العمل، فان لم يسعوا فى إخراج عدوهم من ديارهم، والظن بهم أن يسعوا، فلا أقل أن يكفوا عن مساعدته فى تملكها. ألا يعلم المصريون أن حركة خفيفة منهم فى معارضة الانجليز فى هذا الوقت تجلب تدخل الدول وتكون سبباً لانقاذهم من هذا العدو الذى لا يكتفى بأكل لحومهم حتى يهشم من عظامهم فليعلموا ذلك وليعملوا، والله لا يضيع أجر العاملين.

الدهريون فى الهند

دخل الانجليز بلاد الهند ولعبوا بعقول أمرائها وملوكها على نحو يضحك العقلاء ويبكيهم، وكانوا يوغلون فى أحشاء الهند ويتخطفون أراضيه قطعة بعد قطعة، كلما سادوا فى أرض أدلوا على سكانها وأظهروا الضجر والسآمة من الإقامة بينهم قائلين أن الانجليز لا يشتغلون إلا بالأعمال التجارية، أما مقارفة الادارة والسياسة فليست من شئونهم إنما يدعوهم إلى احتمال أثقالها الشفقة على الملوك والأمراء العاجزين عن سياسة ممالكهم، ومتى قدر الأمير او الملك على ضبط بلاده فلا يبقى أنجليزى فيها لأن لهم اشغالا مهمة أخرى تركوها لمحض المرحمة. وبهذا سلب الإنجليز كل مالك ملك بحجة أن العمل فى الملك ثقيل على النفس متعب للفكر والبدن فالأولى لصاحب الملك أن يستريح وأن يموت فقيراً ذليلا تخلصاً من عناء التدبير وينادون بأنه متى سنحت الفرصة وجاء الوقت الذى لا يكون للأعمال المعاشية ولا المعادية تأثير على الأبدان ولا على الأفكار فانهم مستعدون لترك البلاد (يوم الحشر)، واليوم يقولون نفس هذا الكلام بعينه فى مصر!!

❊ ❊ ❊

ولما استقرت أقدامهم فى الهند وألقوا به عصاهم ومحيت أثار السلطنة التيمورية نظروا إلى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين، كل

واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا، وأحسوا أن المسلمين ماداموا على دينهم، ومادام القرآن يتلى بينهم. فمحال أن يخلصوا فى الخضوع لسلطة أجنبى عنهم، خصوصاً إن كان ذلك الأجنبي خطف الملك منهم بالخديعة والمكر تحت ستار المحبة والصداقة. فطفقوا يتشبثون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الإسلامي وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتب الكتب ونشر الرسائل محشوة بالطعن فى الديانة الإسلامية، مفعمة بالشتم والسباب لصاحب الشريعة (برأه اللّٰه مما قالوا) فأتوا من هذا العمل الشنيع، ما تنفر منه الطباع، ولا يمكن معه لذى غيرة أن يقيم على أرض تنشر فيها تلك الكتب، وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبى ذلك الأفك العظيم، وما قصدهم بذلك إلا توهين عقائد المسلمين، وحملهم على التدين بمذهب الإنجليز، هذا من جهة، ومن جهة أخذوا فى تضييق سبل المعيشة على المسلمين، وتشديد الوطأة عليهم والإضرار بهم، من كل وجه، فضربوا على أيديهم فى الأعمال العامة، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس، ونفوا علمائهم وعظمائهم إلى جزائر (أندومان) و (فلفلان) رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة إن لم تفدهم الأولى فى رد المسلمين عن دينهم، باسقاطهم فى أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه اللّٰه عليهم، فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين فى الوسيلة الأولى، وطال عليهم الأمد فى الاستفادة من الثانية، نزعوا إلى تدبير آخر فى إزالة الدين الإسلامى من أرض الهند أو إضعافه، لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب: والحق المسلوب، فاتفق أن رجلا اسمه أحمد خان بهادور (لقب تعظيم فى الهند) كان يحوم حول الانجليز لينال فائدة منهم، فعرض نفسه عليهم وخطا بعض خطوات لخلع دينه والتدين بالمذهب الإنجليزى، وبدأ سيره بكتابة كتاب يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم، ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول إنى نصرانى وأن هذا العمل الحقير

لا يؤتى عليه أجراً جزيلا، خصوصاً وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً معدودة فأخذ طريقاً آخر فى خدمة حكامه الإنجليز بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم.

فظهر بمظهر الطبيعين (الدهريين) ونادى بأن لاوجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون إله حكيم (إن هذا إلا الضلال المبين) وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالاله الذى جاءت به الشرائع (نعوذبالله) ولقب نفسه بالنيجرى (الطبيعى) واخذ يغرى أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين فمال إليه أشخاص منهم تملصاً من قيود الشرع الشريف، وسعياً وراء الشهوات البهيمية،فراق لحكام الانجليز مشربه ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين، فأخذوا فى تعزيزهُ وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة فى (على كده) وسموها مدرسة المحمديين، لتكون فخاً يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل (أحمد خان بهادور). وكتب أحمد خان تفسيراً على القرآن فحرف الكلم عن مواضعه، وبدل ما أنزل الله، وأنشأ جريدة باسم تهذيب الأخلاق لا ينشر فيها إلا ما يظل عقول المسلمين، ويوقع الشقاق بينهم، ويلقى العداوة بين مسلمى الهند وغيرهم، خصوصاً بينهم وبين العثمانيين، وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة (لكن لا يدعو إلا المسلمين) ونادى الطبيعة!! الطبيعة!! ليوسوس للناس بأن أوروبا ما تقدمت فى المدنية، وما ارتقت فى العلم والصنعة، وما فاقت فى القوة والاقتدار إلا برفض الأديان، والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين (على زعمه) وهو بيان مسالك الطبيعة قد افترىٰ على الله كذباً). ولما كنا فى الهند أحسسنا من بعض ضعفاء العقول اغتراراً بترهات هذا الرجل وتلامذته فكتبنا رسالة فى بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من المفاسد وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران و طبعت رسالتنا فى اللغتين الهندية والفارسية. إن أحمد خان ومن تبعه خلعوا لباس الدين وجهروا بالدعوة إلى خلعه ابتغاء الفتنة بالمسلمين وطلبا لتفريق كلمتهم وزادوا على زيفهم

أنهم يزرعون الشقاق بين أهل الهند وسائر المسلمين، وكتبوا عدة كتب فى معارضة الخلافة الإسلامية، هؤلاء الدهريون ليسوا كالدهريين فى اوروبا، فان من ترك الدين فى البلاد الغربية تبق عنده محبة أوطانه ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب، ويبذل فى ترقيتها والمدافعة عنها نفائس أمواله، ويفدى مصلحتها بروحه، أما أحمد خان وأصحابه فإنهم كما يدعون الناس لنبذ الدين يهولون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الأجنبى فيها ويجهدون فى محو آثار الغيرة الدينية والجنسية وينقبون على المصالح الوطنية التى ربما غفل الانجليز عن سلبها لينبهوا الحكومة عليها فلا تدعها. يفعلون هذا، لا لأجر جزيل، ولا شرف رفيع، ولكن لعيش دنىء ونفع زهيد. (هكذا يمتاز دهرى الشرق عن دهرى الغرب بالخسة والدناءة بعد الكفر والزندقة).

أحسن الانجليز إلى أحمد خان بتوظيف ولده مولوى محمود عضواً فى مجلس قرية من قرى الهند لا تزيد عن (شبراخيت) فى مديرية البحيرة، ومن حبائله لصيده الضعفاء من المسلمين، أنه يعدهم ويمنيهم بأنهم لو تبعوه لأدخلهم فى وظائف الحكومة، بما له من الجاه عند جائرة الانجليز. وحكومة الانجليز لم توظف من أصحابه إلا أربعة أعضاء فى مجالس القرى ولا يوجد وطنى هندى فى مثل هذه الوظائف سواهم، هذا هو المجد الذى ناله أحمد خان ثمناً لدينه ووطنه، فهو كما قال صديق نواب حسن خان ملك بهوبال صاحب التصانيف المشهورة أن (أحمد خان) دجال آخر الزمان، نعم ساعده حكام الانجليز على استخدام بعض من يقدمهم، لكن لافى الحكومة الانجليزية الهندية ولا على الخزينة الانجليزية وإنما يلزم الحاكم أحد النواب الباقين على صورة استقلالهم أن يوظفوهم فى بعض الوظائف الدانية.

راق هذا المشرب فى أعين الحكام الانجليز وابتهجوا به وظنوه موصلا إلى غايتهم من محو الدين الاسلامي من البلاد الهندية، هؤلاء الدهريين ساروا جيشاً للحكومة الانجليزية فى الهند يسلون سيوفهم لقطع رقاب المسلمين، لكن مع البكاء

عليهم والصياح بهم، إنا لا نقتلكم إلا شفقة عليكم ورحمة بكم وطلباً لإصلاحكم ورفاهة عيشتكم ورأى الإنجليز أن هذه أقرب الوسائل لنيل المقصود من ضعف الإسلام والمسلمين.

كان التلميذ الأرشد لأحمد خان والوزير الأول والمدير له فى جميع شؤونه رجلا إسمه سميع اللّه خان.

سميع اللّه خان هو أعظم الدهريين دهاء، وأشدهم اجتهاداً فى تضليل المسلمين، وأدقهم حيلة وأقواهم مكراً فى إيجاد الوسائل لتفريق شمل المؤمنين، وتمكين الحكومة الإنجليزية فى أرض الهند، يقوم هذا الخادع خطيباً فى محافل المسلمين فتسبق دموعه كلامه، ويأتى بغاية ما عنده من الفصاحة لهدم أركان الديانة الإسلامية، وإبطال عقائدها الأصلية، ويتجرأ على حضرة الألوهية، ويطعن فى الرسالة وصاحبها، كل ذلك وهو ينتحب كأنما يرثى الدين وأهله.

إذا دخل فى بلد من بلدان لأداء هذه الخدمة واظب أياماً على دخول المساجد، وحضور المحافل الدينية، واستدرج الناس بعذب الكلام، ولطف الوعد، وجذبهم إليه من حيث لا يشعرون، فاذا اجتمع عليه بعض من الناس اغتراراً بطلاوة ظاهره بدأ فى دعوتهم إلى مشربه الكدر (خلع الدين).

هذا العدو المبين للاسلام والمسلمين قد نال بمساعيه هذه، وظيفة قاض (فى الشريعة الانجليزية) فى بلدة (أكره) وهى بلدة لا تزيد عن دسوق فى مديرية الغربية، قالت جريدة التايمس بعد ما مدحت سميع اللّه خان بكل ما يمدح به أن هذه الوظيفة (قاض فى بلد صغير) هى أعلى وظيفة ينالها هندى وطنى (أيحتاج لاثبات العدالة الإنجليزية إلى شاهد أكبر من هذا).

نورث بروك اللورد الإنجليزى الذي اشرنا إلى طرف من تاريخه فى الهند فى العدد الماضي، عرف سميع اللّه خان حق المعرفة عند ماكان حكمداراً فى الهند ووقف على أنه أصدق الناس فى خدمة الإنجليز وأقدرهم على أدائها. ولهذا طلبه ذلك

اللورد ليكون كاتم سره فى مصر ليستعمله فى تنفير المصريين من الدولة العثمانية، وفى إقناع المصريين بأن حكومة انجلترا تريد بهم خيراً، ويستخدمه فى استمالة قلوب العلماء لأنه واحد منهم (على دعواه) وقد يكون من نيته أن يدخل الجوامع ويعظ ويخطب ويروى عن عدل الإنجليز مالا صحة له وما تكذبه المشاهدة، ولكن رجاؤنا فى نباهة المصريين وصدق عقائدهم الدينية وشدة ارتباطهم بالدولة العثمانيةأن لا ينخدعوا لهذا الراكس الهندى (الراكس بلسان السنسكريت الشيطان المريد) لا نجح الله له مقصداً ولا أنا له مبتغى.



جريدة الاهرام

اشتد غضب نوبار باشا على جريدة الاهرام فاصدر امره بتعطيلها شهراً وقفل مطبعتها. وقيل فى السبب أنها نشرت رسائل مدير الجريدة وهو فى لندن على ما فيها من بيان بعض مساوىء السياسة الانجليزية على خلاف رغبة سعادة الباشا!! وقيل إن السبب لنشر الشكر الذي قدم إلى المدير والمحرر من أعيان البلاد دلالة على استحسان مشرب الصحيفة «استقباح سياسة الانجليز» ولكن كتب إلينا من مصدر خاص أن هذه المسائل العموميه لا تهم نوبار باشا إلا إذا مست مصلحته الخاصة، فالسبب الحقيق هو أن المنهج المستقيم الذى سلكته «الأهرام» دعا إلى ذكر بعض الرجال الوطنيين مثل رياض باشا وشريف باشا مع وصفهما بالوطنية وعلو الهمة وكمال الغيرة. نوبار باشا ساع إلى أمر مهم وهو ماذكرناه في العدد السابق ونشرته بعدنا جريدة (الديبا) وسائر الجرائد الإنجليزية وهو أن يكون ولي القاصر «عباس» بعد خلع أبيه فينال بسطة فى السلطة وإطلاقاً فى الأمر والنهي. وعلم أن هذا وقت الفرصة لحرص الحكومة الانجليزية على تملك مصر وهي محتاجة فى ذلك إلى كل من ليس له وطن ولا دين ولا جنس فى مصر، فهى فى شدة الاحتياج لنوبار باشا، وتوفيق باشا قبة جوفاء لا يرجع منها إلا صدى الأصوات، إن قلت لا فلا، أو

قلت نعم فنعم فهو فى غضبه ورضاه تابع لما يلق إليه. فعلم نوبار باشا أن خديوياً مثل هذا يمكن أن يكون واسطة فى تمكين الانجليز من مصر من حيث لا يشعر و بتقديم هذه الخدمة هم يبنى لنفسه من العزة قصراً شاهقاً.

فكيف يطيب لنوبار باشا مع هذا السعى أن يسمع ذكر رياض باشا وشريف باشا مع وصف الوطنية وعلو الهمة. ربما الإكثار من ذكر هؤلاء الرجال يحرك الخواطر الوطنية فيندفع منها سيل يهدم كل ما يبنيه. إن صاحب الأهرام أكثر من ذكر الوطن والوطنين، ونوبار باشا أبعد، الناس عنهما لهذا أغضبه ذكرهما. كلما ذكر لفظ الوطن أو الملة أو الجنس أو الأمة سواء كان فى مقال عام أو فى جانب شخص خاص، حسب نوبار باشا أن فى الكلام تهكما عليه واستهزاء به ولا عجب من نوبار باشا أن ظنِ ماظن أو فعل مافعل، فالرجل ليس بمصري ولا عربي ولا مسلم فاذا باع مصر بأبخس الأثمان فهو الرابح لأخسر ملة ولا وطنا ولا جنسا.

وقيل أن نوبار باشا يطلب إبعاد الزبير باشا من مصر فإن نال مطلبه لم يبعد أن يطلب لشريف باشا ورياض باشا وكل ذى شهامة أو فكر فى مصر مثل ما طلب للزبير وتكون الحكومة النوبرية حكومة هندية وهل يبعد مثل هذا على من يسعى لخلع الخديوى!! إن الذى يؤيد ما روى لنا فى سبب تعطيل الأهرام هو أن نوبار باشا ما تحرك لحجز العروة الوثق عن دخول مصر إلا عندما ذكر فيها رياض باشا مع ذكر بعض أوصافه، وإلا فان كان السبب ذكر الإسلام والمسلمين فيها فذلك ينذرنا بقفل الأزهر بأمر نوبار باشا!

إني أتعجب وكل ذى إحساس يتعجب من سكان الديار المصرية من المصريين والأتراك والحجازيين واليمنيين. ألا يوجد بين هؤلاء فتى يشمر عن ساعده ويتقدم بصدره ويخطو خطوة إلى هذا الوزير الأرمني فيبطل هذه الصفة وينقض هذه البيعة ويكشف له وللمغرورين من أمثاله حقيقة الوطنية ويرفع

الحجاب عن واجبات الملية لا حول ولا قوة إلا بالله.

إن المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل فى الذل، ويعيشون من خوف العبودية فى العبودية، ويتجرعون مرارات سكرات الموت، فى كل لحظة خوفاً من الموت. لا الدين يسوقهم إلى مرضاة الله، ولا الحمية الوطنية تدفعهم إلى ما به فخربني الإنسان!!

* * *

لاهور

جاءتنا رسالة من لاهور باللغة الهندية (ورجاؤنا أن تكون المكاتبة فيما بعد باللغة الفارسية) فرأينا أن ننشر ملخصها: قال الكاتب:

إنا نسمع صاحب جريدة (أخبار عام) اللاهورية ينادى من صميم قلبه بأن الانجليز سلاطيننا، خصوصاً عند كلامه فى الانتقاد على العروة الوثقى،ومن غريب كلامه قوله أن غرض العروة أن تفصم رابطة الاتحاد بين الرعايا الهنديين وسلاطينهم الانجليز. ولا يخجل من قوله أن سلاطيننا الانجليز هم الذين زينوا الهند بإصلاح طرقه ومد السكك الحديدية فى أنحائه ووصل أرجائه بأسلاك التلغراف. كأنما الانجليز من سلالة بكر (ماجيت) أو من جنس (الجهترى) أو من أحفاد (أكبر شاه الهندى) وإذا سمع سامع صوت هذه الجريدة على بعد يظن أن هذه الأعمال التي زينوا بها الهند (على رأى الجريدة) ماقام بها الانجليز إلا لمنفعه الهنديين ويتوهم أن الهنديين جنوا من ثمرتها شيئاً وأن ضجرهم من سلطة الانجليز ونزوعهم إلى التملص منها إنما هو من كفران النعمة، يا عجبا من هذا الباندِيت اللاهورى أنه يرى فقر أبناء وطنه ومسكنتهم ويشهد بعينه أنهم لا يجدون ما يسدون به رمقهم، وأن أسعد الناس منهم من يحصل عشر روبيات فى الشهر بعد أن يبلغ درجة عالية من الكمال ومن جملتهم نفس صاحب الجريدة. فكيف يطيل لسانه بشكر هذه الحكومة ويضع على

ظهور الهنديين حملا ثقيلا من المنة لمد سكك الحديد وخطوط التلغراف. إن كانت حكومة الانجليز تسوس الهند بالعدل فأين ذهبت ثروة أهاليه مع خصب الأرض ووفرة الثمرات ولأى سبب ابتلى الناس بالفقر حتى لا يجدوا قوتاً.

إن الجرائد الانجليزية فى الهند تنذر حكومتها بأنه لو استمرت الإدارة الهندية على حالها هذا فلا يمضى عشر سنوات إلا وتكون فتنة عمومية تأخذ بجميع أطراف الهند ويكون منشؤها الجوع.فإذا أنشأت الحكومة الانجليزية سكك الحديد لنقل بضائعها وترويج تجارتها وحمل العساكر لقتل أبناء البلاد وليس عند الهنود الآن ما يباع ويشترى حتى يستفيدوا من سهولة نقله، فلأى شيء تكون المنة على الهنود!!! وإذا مدت خطوط التلغراف لاستطلاع ما يجرى فى ممالكها وتسهيل المخابرة بين رجالها، فأى منفعة فى هذا توجب مسرة الهنود.

* * *

إن رجال الانجليز بعد ما دخلوا البلاد على هيئة تجار وكانوا يخضعون للصغير والكبير أزيد من قرن، بلغ من أمرهم الآن أن لا يعدوا الهنود من فصيلة البشر. إذا أراد حكام الإنجليز أن يجمعوا أعيان البلاد لإلزامهم بأداء ضريبة جديدة هيئوا مكاناً عليا يرتفع عن الأرض نحو ثلاثة أذرع لتوضع عليه كراسى سادة الانجليز ويجلس الهنود فى منخفض من الأرض إظهاراً للامتياز مع أنهم ما جمعوهم إلا لسلخ ما بقى من جلودهم وامتصاص ثملة دمائهم. أى أمة متوحشة أو متمدنة تعامل أمة أخرى بهذه المعاملة، احلف بالله أن جنس الهندو (قوم برهما) حين ما قدموا من إيران وفتحوا الهند ماعاملوا السكنة القدماء بهذه المعاملة مع أنهم كانوا يعتقدون أنفسهم سماويين وما أذلوا جنس (الباريا) بهذه الدرجة مع أنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الآلهة. قبلوا جنس (التلنكان) فى مصافهم وأشركوه فى حقوقهم مع كونه مغلوباً لهم، فتح المسلمون أرض الهند فعاملوا الوثنين كمعاملتهم لبنى ملتهم وما حرموهم من الوظائف السامية، وما من سلطان مسلم تسلط فى الهند إلا كان له من الوثنيين

عمال ووزراء، كان المسلمون يسيرون مع الوثنيين سيرة الأخوة حتى أوقع الانجليز بينهم الشقاق في بنجاب وأطراف مدراس. يزعم الانجليز أن المسلمين أولوا تعصب ديني يجور بهم عن العدل مع إنا نرى إلى الآن فى الهند حكومات صغيرة يحكمهم راجوات ونوابون من أهل السنة والشيعة ونرى للراجا الوثنى وزيراً مسلماً وعمالا مسلمين وللنواب المسلم وزيراً وثنياً وعمالا وثنيين وهكذا السنيون مع الشيعة والشيعيون مع أهل السنة ولا نرى فى الملايين الكثيرة المحكومة بالانجليز رجلا هنديا في وظيفة شريفة. إن هذا البانديت (صاحب أخبار عام) لا يخجل من قوله أن الإنجليز سلاطيننا، أى سلطان يستكشف من شرف رعيته ويعدهم فى عداد البهائم!!

إن اللورد ريبون لما صار حاكما على الهند ورأى أن الروسية وصلت إلى مرو وأحس بنفرة الهنود من الحكومة الانجليزية واستعدادهم للثورة أراد أن يطيب قلوبهم بأمر حقير يسخر منه الأبله فضلا عن الحكيم وهو توظيف (رام جندر متر) ومولوى محمود بن أحمد خان فى وظيفة القضاء ببلدة صغيرة وهما ممن تعلم الشريعة الانجليزية فى بلاد الانجليز (انظر كيف يطيب قلب أمة عظيمة مجروحة الأفئدة ساقطة فى جحيم الشقاء بمثل هذه المنحة المضحكة) وهذا الالتفات من اللورد لكمال سياسته وحذقه، فماذا يكون موقع الهنود من نظره إذا كان يظن أن الأمم العظيمة المحترقة بنيران الظلم من أزمان تعترف بعدالة الانجليز لمجرد توظيف شخصين في وظيفة صغيرة.

إن هذا مما عده اللورد الانجليزى أمراً لازماً لصون سياسته مما عساه يطرأ عليها ومع ذلك قام الانجليز فى الهند ورفعوا شكواهم إلى لندن من تصرف اللورد ولا يزالون يرفعون ويقولون كيف يجلس (كالا) أى الهندى الأسود على منصة القضاء وربما يأتى وقت تقام فيه الدعوى بين يديه على انجليزى فيصدر الحكم منه عليه (كيف يصدر الحكم من هندى على انجليزى)، فليعتبر من يعتبر، إن الانجليز لا

تسمح نفوسهم أن يعترفوا بانسانية الهندى ولو للضرورة، أيحب الباندیت اللاهورى ان يلقى غشاوة الغش على عينيه وأعين إخوانه ويفترى الكذب بقوله أن بين الهنديين وحكومتهم نوعا من الالتئام، وهل مثل هذه الحكومة يلتئم معها ذو إحساس، إن البندت يقول فى جريدته وفى اثناء انتقاده على العروة أن سلالة الأمراء وأبناء العائلة التيمورية (ملوك الهند) عراة فى الأسواق يتضورون جوعا ولا يجدون خصا يأوون إليه، فإن كان هذا حال الأمراء باعترافه فكيف يكون حال سواهم وكيف طوعت له نفسه أن ينطق بكلمة تشعر بالرضاء عن حكومة الانجليز. إنه يتملق للحكام ولكن لا أظنه ينال على التملق أكثر من عشر روبيات فى الشهر فليس له أن يتعب لسانه ويجهد نفسه مجانا. لا ينكر الباندیت أن الانجليز إذا خاطبوا هنديا لا يكلمونه إلا بالعصا وإذا اعتدى انجليزى على هندى فقتله حكم أطباء الانجليز بأن القتيل مات بالسل المزمن أو داء الكبد أو بمرض عياء ورثه عن آبائه كيلا يقاص انجليزى بدم هندى، فيذهب دم الهندى هدراً. إن ظلم الانجليز وجورهم يظهر لكل قاري من تلك الورقة الصغيرة (أخبار عام). وإني أقول بلسان كل هندى وثنيا أو مسلما سنيا أو شيعيا أن الباندیت لا يمكنه بورقته هذه أن يقطب جروح الهنديين ولا أن يطفيء لهيب أحشائهم مما يرونه كل يوم من سلب الأملاك وإهانة الأديان وتضييع الحقوق وحرمان الأهالي من خدمة أوطانهم وليس فى طاقة قلمه أن يرفع شيئا من الواقع ولا أن يحدث خاطر محبة الإنجليز فى قلب هندى إلا من خربت ذمته ومرق من عهود دينه ووطنه، وإن الباندیت يعرف هذا ولكنه يسعى لعله يحصل شيئا زهيداً ويقنع به بعضا منا وكثيرا من الشرقيين صارت حوصلتهم كحوصلة العصفور يملؤها حبتان من الحنطة!! وسنكتب إليكم عن تفصيل الأعمال الانجليزية عندنا ان شاء اللّٰه. اهـ

الانجليز والدول

ما للحكومة المصرية لاهية عن شأنها، ماذا تبتغى من سكونها وميلها مع ريح الحكومة الانجليزية، ماذا تنتظر الدولة العثمانية بعد انحلال المؤتمر على غير طائل. أتظن الحكومة المصرية أن خضوعها لأوامر بريطانيا، واهتمامها بخدمة عساكرها الزاحفة إلى السودان، مما يوجب الخجل لحكومة الإنجليز، فتستحى بعد ذلك أن تكفر نعمة الصداقة وترعى سابقة الخدمة، فتترك مصر نقية الراحة، بريئة الذمة، وتمكن الأمر للحكومة المصرية، وتشيد الخديوية لتوفيق باشا. إن خطر هذا الوهم ببال الحكام فى مصر فقد خرفوا فليس يحوم مثل هذا الهاجس فى فكر إلا وقد مسه الخبل، ولا يختلج فى صدر حتى يختم عليه بطابع العمى.

حكومة بريطانيا انتحلت لنفسها أسباباً للدخول في وادي النيل، وأنشأت له عللا فغايتها من كل أعمالها أن تكون لها سلطة ممتازة فيه سواء تأيد توفيق باشا أو تأود، ولما أحس رجالها أن بحث المؤتمر ربما ينجر إلى ما يمس غايتهم هذه تملصوا منه واستبدوا بأعمالهم وأخذوا على أنفسهم تسكين عاصفة الثورة السودانية. فان تم لهم ما أرادوا واستقلوا بالعمل فى السودان فهل يرجى منهم أن يخلوا مصر بعدما فتحوا من ورائها ما فتحوا. إن هذا إلا خيال باطل. هل تهورت انجلترا وأغاظت جميع الدول العظام وهيأت نفسها خطر تألبهم عليها حباً فى توفيق باشا ورغبة فى حفظ

مسنده. هذا مما لا يعقل. ربما تكون الدول العثمانية والحكومة المصرية في رجاء أن الدول الأروبية يستفزها الغضب فتندفع بقواها على دولة الإنجليز فتكبلها فى سياستها وتلجئها للجلاء عن مصر فتتركها لأهلها وكفى الله المؤمنين القتال، إن كان ذلك سبب الفتور فهو ثقة فى غير محلها ونوع من الطمع غريب. قد يكون اتفاق الدول على معاكسة الإنجليز متعلقا بجهات أخرى ولا يكون إخلاء مصر من مواضيع الاتفاق كما أشار إليه كثير من الجرائد حيث ذكرت أن من المقاصد التي يجتمع لها القياصرة الثلاث كف روسيا عن مطامعها فى أوروبا وإطلاق العنان لها فى آسيا والأقطار الهندية. أليس من الممكن أن مناوأة الدول للأنجليز تنتهى بسلب جزء أو أجزاء من أراضى المسلمين فى مقابلة تمكن الإنجليز في أرض مصر.

نبهت بعض الجرائد المهمة على شيء من هذا وصرحت بما لا ينطلق اللسان بذكره. أن للدول اهتماماً بنكاية الإنجليز ومن أعظم البواعث على اجتماع القياصرة خروج انجلترا عن حدها فى الاستئثار بالمنفعة على غيرها لكن أليس من الواجب على صاحب البيت أن يبدأ بعمل فى الذود عن بيته قبل أن يساعده الجيران خصوصاً إن كان للجيران أطماع متنوعة بعضها يمنع عن المساعدة وبعضها يحمل على التوانى وتأجيل العمل لأوقات أخرى وما يدرينا لو حولنا الأمر إلى الجار لينقذ المغصوب من يد الغاصب لعله بعد استخلاصه يختص به نفسه فما الذى جنيناه من ثمار مساعيه وآية فائدة حصلناها. لو شحت الحكومة المصرية بحياتها، وأبصرت أن بقاءها فى إبائها، وترفعت عن هذا الخضوع البارد، وتجافت عن تسهيل الطرق، وتمهيد السبل، لمسير العساكر الإنجليزية، ثم قامت الدولة العثمانية على المطالبة بحقوقها، وذهبت فى الطلب مذهب العمل، ولم تكتف بلوائح تسطر، وحجج تنشر، ولم تستند على سفرائها الذين ليس لهم خوض حقيق إلا فى ملاذهم وشهواتهم، لو كان كل هذا لشاركت الدولة العثمانية ومعها حكومة مصر سائر الدول فى معاكسة انجلترا، وحيث ان للدولة العثمانية والحكومة المصرية الحق الأول

والملكية الشرعية في تلك الأقطار فما يكون منهما من الأعمال يكسبهما تخليص البلاد، فإن الدول تكون فى عونهما ولا حق لواحدة منها فيما بعد أن تستأثر عليهما.

إن إقدام الدولة على العمل وعدول الحكومة المصرية عن مسلكها المضربها مما يقرب المسافة ويقصر المدة ويقوى حجة الدول فى مطاردة انجلترا ـ لو تساهلت الدولة العثمانية واطمأنت الحكومة المصرية لحالتها الحاضرة فبأى وجه تؤمل الحكومتان نفعاً من معارضة الدول، على فرض لواستخلصت مصر من ايدي الانجليز ماذا يبعث الدول على مقارعة دولة عظيمة كدولة بريطانيا لتسلبها ملكاً عظيماً ثم تسلمه للدولة العثمانية او الحكومة المصرية. لا نتحاشى أن نقول أن الدولة العثمانية والحكومة المصرية واقعتان بين خطرين عظيمين، إن فاز الإنجليز فى السودان فقد ضاع القطر المصري، واستقرت فيه السلطان لحكومة انجلترا سواء عارضت الدول أم لم تعارض، وضياع القطر المصري هو ضياع الكل كما أشرنا إليه مراراً وكما يشهد به موقع البلاد المصرية من سائر بلاد المسلمين، وإن خاب الإنجليز في منازلة الثائرين فليس يخفى على عقل عاقل ما يترتب على هذه الخيبة وما ينشأ عن غلبة محمد أحمد وأتباعه وانهزام العساكر الإنجليزية، وربما كان هذا الأمر الثاني، سبباً لمداخلات أجنبية في جميع أقطارنا.

ليس من الصعب على الدولة العثمانية ولا على الحكومة المصرية أن تظهرا شيئاً من الشدة وتاخذا بجانب من القوة، وتقفا على قدم الثبات ودولة انجلترا فى تخبط مع الدول وارتباط بالسودان، والمسلمون من جميع الأقطار فى هياج شديد، لو قامتا بما يسهل عليهما لحفظ لهما الموجود ورد المفقود، وسدت أبواب المطامع، وأخذت الدولة العثمانية مكاناً من القوة تخشع له قلوب الجبارين، ولازدادت بذلك ثقة المسلمين وانبعثت آمالهم. سلكت جريدتنا مذهب الصدق في بيان حال الإنجليز مع الدولة العثمانية، وأثبتت عن بصيرة وكمال خبرة أن الإنجليز يهابون منافرة الدولة ويخشون سوء مغبتها. جريدتنا تنادى بذلك من يوم صدورها بينا أن للدولة سلطة معنوية في

الهند لم تبلغها حكومة الإنجليز بعد إفراغ جهدها. هذه حقيقة الأمـر ومـع ذلك لا ندرى سر هذه السياسة اللينة التي لا نرى لها أثراً إلا فى الأوراق وتحت أسنة الأقلام والإنجليز يقاتلون ويتملكون وتزداد أقدامهم رسوخاً يوماً بعد يوم وانطلق بهـم الغي إلى أن أطالوا أيديهم إلى الأوقاف. المصرية يطلبون التـصرف فى خـزينتها والقيام على إدارتها، نعيد الكلام مرة اخرى ونقول أن جميع المسلمين فى الأقـطار الهندية وما يتاخمها قائمون على قدم وساق متهيئون لمواثبة أعدائهم وسالبي حقوقهم فبثبات ما من الدولة العثمانية يظهر له أثر عظيم يضطر الحكومة الإنجليزية إلى ترك مصر، ليس للدولة أن تضيع هذه الفرصة فقلما يأتى الزمان بمثلها، الدول متألبة على الإنجليز وروسيا مشرفة على الهند، والهنديون في هياج، وخـطب الـسـودان غـير يسير، فإن لم تأخذ الدولة حقها من الإنجليز فى هذا الوقت، فمتى؟!

تعظيم توفيق باشا لنورث بروك!

ورد خبر من القاهرة بوصول اللورد نورث بروك إليها وتمت المقابلة الرسمية بينه وبين توفيق باشا وقدم إليه رسالة من اللورد جرانفيل يخوله فيها (نورث بروك) وكيلا للحكومة الإنجليزية فى القطر المصري ويطلب من الحكومة المصرية أن تساعده فى حل المشاكل الحالية خصوصاً المالية. فأظهر توفيق باشا غاية المسرة من تعيينه بهذه الوظيفة وأكد له خلوص الوداد وكمال الرضى بجميع مطالبه اهـ

ويظهر أن توفيق سر بقدوم اللورد نورث بروك، وإن لم يكن بينه وبينه معرفة شخصية ولا له سابقة علم بأحواله ولا بما يريد أن يعمله فى بلاده، هذا يمكن، وليت شعري ماذا يجنى هذا الخديوى الشاب من مرضاة هذا الخادع، وماذا يصيبه من سهام حيله. ولقد بينا في بعض الأعداد الماضية بعض صفات هذا اللورد وطرفاً من أعماله فى الهند ونذكر الآن عملا آخر منها ـ طلب وهو حكمدار الهند أن يمكن السلطة الإنجليزية فى مملكة (كابورتال) وهى مملكة واسعة تتاخم (لاهور) و (بتيالة) فادعى على مهراجها (ملكها) أنه مجنون وهو فى رشاد عقله واعتدال مزاجه وخلعه بهذه الدعوى وسجنه فى (بكسو) حتى مات حتف أنفه وقيل بالسم وكان هذا الملك المخلوع ابن (راندهير سنك) ونصب بدله ولداً صغيراً من أولاد كاتب من كتاب ذلك الملك ليعد المملكة بذلك للدخول فى حوزة الحكومة الإنجليزية

وكانت الحكومة الإنجليزية قد تركت لبعض الرجوات المخلوعين غابات صغيرة من بقايا أملاكهم للصيد فكان أولئك المساكين يسلون أنفسهم على ضياع ممالكهم بصرف بعض الزمان فيها، فلما جاء اللورد نورث بروك حاكما في الهند رآها كثيرة عليهم فنزعها من أيديهم وحرمهم من هذه المنفعة الزهيدة. هذا هو اللورد الذى طلب سميع اللّه خان الدهرى ليكون معيناً له في مصر على إرضاء المصريين بحكومة الإنجليز وهو الذى أعطى المبالغ الوافرة للمعلم (بالمر) لينثرها بين العرب حتى يثوروا فى أراضى الدولة العثمانية أيام الحرب المصرية كما أخبرنا الثقة الصادق من لندن ولكن العرب قتلوا رسوله هذا وشنق به أشخاص في مصر بلا جرم. هذا اللورد هو الذى يبتهج توفيق باشا بقدومه!! صان اللّه الأراضي المصرية المقدسة من شر هذا المحتال ومن شر صاحبه سميع اللّه خان الدهرى.

فرنسا وألمانيا

جزمت جريدة (نوفيل بريس ليبر) أن الباعث على سفر البارون كورسل (سفير فرنسا فى برلين) إلى وارزين هو أهم حدث سياسي، وفي ظنها أن الحديث بينه وبين البرنس بسمارك انتقل إلى موضوع الحرب الصينية ومسألة الكونجو. قالت الجريدة: أن بسمارك قد غير منهجه السياسي الذي سلكه من سنة ١٨٧٠. كان مضطراً لإبعاد فرنسا عن سائر الدول واليوم وجه عزيمته لإبعاد انجلترا. ولما اجتمع الأباطرة الثلاث في سنة ١٨٧٢ اضطربت خواطر الفرنسيين وكان كل منهم يحدث نفسه هل ينتظر اتفاق بين الأباطرة على مناوأة الجمهورية. أما إذا اجتمعوا فى هذا العام فلا يخالط الريب قلب فرنساوي بل تكون النفوس ساكنة مطمئنة. ولا يوجد فى دولة أوروبية ما يوجب حدوث قلق فى باريس بأي وجه كان، بل يوجد ما يثبت الطمأنينة فإن من نية البرنس (بسمارك) فى وارزين أن يقرب فرنسا إلى سائر الدول البرية، وأن زيارة البارون كورسل للبرنس تعدأكبر شاهد على ما نقول اهـ

كيد الانجليز في مصر

أرسل الإنجليز مراكبهم إلى ثغر الأسكندرية سنة ١٨٨٢ بلا سبب أو لقصد تهييج الخواطر الساكنة، ثم أطلقوا نيران مدافعهم على ذلك الثغر فكان عملهم الأول والثاني سبباً فى خسارات جسيمة نكب بها سكان البلاد ثم كان الضمان عليهم. هذا، إما من سوء حظ المصريين أو لضعف الحكومة أو خرقها. لا ريب أن خزانة الحكومة المصرية فى عجز عن أداء هذه الغرامة الثقيلة التي هي في الحقيقة قصاص بلا جناية. ولكن مع ذلك للمصابين حق فى المطالبة بخسائرهم وليس لهم صبر على الإمهال فيها، فحدثت ربكة وحكومة الإنجليز كالصياد الماهر لا يطلب السمك إلا عند تعكير الماء!! رأت أن تصيد صيداً أو تخطو خطوة أخرى إلى مقصدها في مصر بعد خطواتها السابقة أو تمكن مخالبها فى أحشاء مصر بل يصح أن نقول أن الحكومة الإنجليزية بحيلتها التى أشرفت على تتميمها تريد أن تقبض على زمام البلاد المصرية فتكون بأسرها فى تصرفها.

من المعلوم أن عمار المساجد والمدارس الدينية إنما هو بالأوقاف التي أنشأها صلحاء الملة من أزمان مديدة ولا يزال ينشئها المقتفون لآثارهم، وقيام الدين الإسلامى إنما هو بعمار المساجد والمدارس الدينية. فلأوقاف عماد عظيم يقوم عليه عرش الديانة الإسلامية. فقصد رجال الحكومة الإنجليزية بكيدهم أن يجعلوا العلماء

الذين يعمرون مساجد اللّٰه ومعاهد العلوم الشرعية خاضعين لأحكامهم، مرتبطين بعمالهم حتى يستعملوهم، (وإن طلبوا محالا) فى جلب قلوب الأهالى إليهم وتأليفها على ولائهم وربما نالوا بهم حجة عند دول أوروبا، يثبتون بها رغبة المصريين فى بقائهم تحت سلطة الحكومة الإنجليزية واطمئنانهم إلى ما تقتضى به فيهم.

هكذا رأى اللورد نورث بروك أن يحل مسألة التعويضات بأن تدفع الحكومة الإنجليزية قرضاً للخزينة المصرية تؤدي به تعويضات الخسائر التي حدثت من ضرب الاسكندرية على شرط أن تكون الأوقاف العمومية كافلة للقرض وفوائده وتكون إدارة الأوقاف فى تصرف رجال من الإنجليز.

ألا أيها النائمون تيقظوا ألا أيها الغافلون تنبهوا، يا أهل الشرف والناموس، ويا أرباب المروءة والنخوة، ويا أولى الغيرة الدينية، والحمية الإسلامية، ارفعوا رووسكم، تروا بلاء منصباً على أوطانكم، وما أنتم ببعيد منه، ولا معزل عنه، إن لم يكن أصابكم اليوم، فسيصيبكم غداً، تساهلتم فى الذود عن حقوقكم المقدسة، ولهوتم عن ما أضمرت لكم هذه الحكومة من الإهانة والتذليل، وسوم الخسف وتعللتم بالأوهام. فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني، حتى جاء أمر اللّٰهوغركم باللّٰه الغرور. أصبحتم على شفا جرف المذلة، ويخشى أن يقذف بكم بعد قليل فى جحيم العبودية.

إلا أن وقت التدارك ما فات، فالأرواح في الأجساد، والعقول في الرؤوس، والهمم فى النفوس، وإقدام العدو في زلل، وشئونه فى خلل، فاثبتوا ولا تهنوا، ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين، لا ترضوا بالدنية، خوفاً من المنية، واعلموا أن ثباتاً قليلا اوإقداماً خفيفاً، فى هذا الوقت يفعل ما لا يفعله الجيش العرمرم نعم فإن الدول متفقة على معاكسة الإنجليز، والإنجليز في شغل شاغل بالمسألة السودانية، وقلوب رعاياهم في الشرق خصوصاً المسلمين، منحرفة عنهم، وكوامن الأحقاد متهيئة للوثبة عليهم، فعمل صغير فى مناوأتهم من أهل مصر يوجب بعون اللّٰه

سقوطهم، وتنكيس أعلامهم، ورجوعهم بالخيبة خاسرين، فالثبات الثبات وحذار حذار من التواني والتقاعد، هذا وقت يتقرب فيه المؤمنون إلى ربهم بأفضل عمل شرعي، هذا وقت تنال فيه سعادة الدارين، للعامل فيه خير الدنيا وله فى الآخرة الحسنى وزيادة، هذا وقت تظهر فيه ثقة المؤمن بوعد ربه، هذا وقت يشكر فيه العامل على بسيط الأرض، ويحمد له عمله فوق سبع سموات، إلا أن الشيطان يخوف أولياءه. فلا تخافوا أعداءكم ولا تكونوا كالذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، إن اللّٰه تعالى قد جعل من علامات الإيمان حب الموت اختياراً لرضاه وإعلاء لكلمته، كونوا مع اللّٰه في نصره ينصركم ويثبت أقدامكم، ثقوا بوعد اللّٰه فلن يخلف اللّٰه وعده، إن أخلصتم له فى العمل سلوا قلوبكم، وامتحنوا أيمانكم، ولا ترتابوا في وعود ربكم، فلن يرتاب فيها إلا القوم الكافرون.

الصراع بين:

انجلترا وفرنسا

أظهرت جريدة استندارد عند كلامها على السياسة الفرنسية حدة زائدة وقالت إنا وإن كنا لا ننصح حكومتنا (الإنجليزية) بمعاداة دولة فرنسا ولكن علينا أن ننهج الطريق الذى يوافقنا بدون أن ننتظر فضلا من الأمة الفرنسية ولا أن نخشى غائلتها فإن كل عمل لا يبنى على هذا الأساس لا تكون غايته إلا الخيبة ولا عاقبة له إلا الخسارة وأن تباين المصالح بين فرنسا وانجلترا في درجة لا يمكن معها وفاق بين الدولتين اهـ

ولم تنفرد جريدة استندارد بهذا القول ولكن على شاكلتها جميع الجرائد الإنجليزية المهمة وليست جرائد فرنسا بأقل حدة من جرائد انجلترا فى تسوئة السياسة الإنجليزية وهذا مما يرشد إلى تمكن النفرة بين الدولتين، وربما ذهب بهما التباغض الذي يزداد يوما بعد يوم إلى مقارعة أشد من مقارعة الكلام، والسياسيون في انجلترا يرون أنهم يخسرون في ذلك اليوم أكثر مما تخسر حكومة فرنسا، فان انفرادهم عن الدول وضعفهم فى القوى العسكرية، وجفول أمتهم من الحرب خارج بلادهم، إذا امتد زمنها أو كان المنازل فيها أمة قوية حربية، كل هذا سيوقعهم في فشل لا يسهل عليهم النجاة من عواقبة، نسأل اللّٰه تحقيق مايخافون.

نكاية الانجليز

حركات العقلاء على حسب المقاصد، ومقدرة نقدرها وأولاها بالاعتبار ما يصدر عن كبار الرجال الذين يدبرون شئون الممالك على قواعد العقل وأصول الفكر. وعلى رعاة الأمم فى كل دولة أن يكونوا بمرصد لكل حركة سياسية وبمرقب للنظر فى غاياتها والبحث عما بعث عليها. رب نهضة من سياسي عظيم تميد لها الراسيات فى كل دولة وتضطرب لها الروابط العامة بين أمة وأمة. فليس لمحنك في السياسة أن يقصر نظره على ما عنده ويرد كل حادث سياسي إلى ما رسم في مخيلته واعتقده موافقاً لمصلحته فيضل عن الرشد بالقصور ويغيب عنه الصواب بالغرور، بل عليه أن يطالع مقاصد السياسيين في لوح الإمكان ويتلوها في صفحات المنافع والمضار التى يحمل على جلبها أو يدعوا إلى دفعها طبائع الأمم ولوازم مليتهم ومواقع بلدانهم وعلائقهم مع من سواهم حتى يمكنه أن يكون بين هذه الجواذب والدوافع حافظاً لمداره، واقياً لنظام سيره. يكون على غوارب أمواج الحوادث كالملاح الماهر، يضرب بسفينته عروض البحار، فى أمن من الأخطار، يستفيد حتى من العواصف، وينجو حتى من القواصف.

كانت حكومة فرنساشد الدول فى دفع انجلترا عن مطالبها المالية وبهذه الشدة سقط المؤتمر، بعد هذا بذل البرنس بسمارک جهده فى اجتماع القياصرة الثلاثة

فاجتمعوا فى (اسكيارنيافيس)، ثلاثة ملوك عظام تلاقوا بعد طول المخابرة ومعهم وزراؤهم، رجال تميزوا بين السياسيين بعلو الرأي وبعد الغاية. هل كان هذا التلاقى لإطفاء لوعة الشوق وإجابة داعى المحبة الشخصية؟! هل كان كما ذكرته الصحف للتداول فى الوسائل التى يجب استكمالها لقهرالفوضويين. كيف يكون هذا وليس اعوان الفوضى الا كلصوص تقمعهم السطوة الداخلية ويكفى لسد ابواب الفرار فى وجوههم مخابرات خفيفة بين اولئك الملوك كما هو الشان فى امثالها من المسائل الجزئية. ان ما تقوله الجرائد من هذا القبيل انما يقصد به التعمية وصرف الاذهان عن النظر فى الحقيقة - اى غرض عظيم دعاهم للاجتماع - لم يجتمعوا لنفع دولة واحدة فان حكم المنافسة محى فضيلة الإيثار. قد انضم لهذا الاجتماع تعدد الملاقاة بين البرنس بسمارك بهذا الاتفاق الامبراطوري ان يجعل لفرنسا ركناً شديداً في معارضة انجلترا حتى يستحكم الشقاق ويفضى الى حرب توهى القوة الفرنسية ويصيب منها ما يحب، هذه فائدة خاصة بدولة الالمان لو قدرت على نيلها فماذا ينال الدولتين المنافستين لها من الاتفاق معها. او يريد البرنس مجرد المجاملة لفرنسا وتقطيب جراحها بتاييدها في رغباتها فتكون المصافاة بينها وبين المانيا وتنسى الاحقاد بينهما غاية لا تطلب والشان فيها كسابقتها، يقصد البرنس مجرد الانتقام من وزارة بريطانيا تشفيا من غيظ الإهانة التي لحقته فى المؤتمر. إن كان هذا، فما بال الدول تتفق معه على انتقام شخصي لا يمس المصلحة المشتركة. هل هذة الحركة الشديدة موجهة إلى ما يقصده بسمارك من التملك والفتوح فى الشرق وإلى هذا القصد تنتهى؟! أيصح أن يكون ذلك الأمر الكبير وسيلة لهذا الغرض الحقير. على أن انجلترا كانت أقرب إلى ألمانيا في هذه الوجهة وأجدر بأن يميل اليها البرَنس ويتحالف معها لنيل هذه البغية.

هل أراد البرنس أن يحتل الروسيا ويلهى فرنسا بالمسألة المصرية لتنام الأعين عن دولة النمسا فتتقدم من طرف هرسك و بوسنه إلى ماشاء اللّٰه و وسعت

القوة، شفقة في غير موضع وصنيعة فى محل القطيعة. هل أحب البرنس أن يمتع نظره بشهود الفتوحات، فبعد مافتح للنمسا بابا فى الشرق من جهة هرسك رسم للروسيا طريق هراة وقندهار، ومد لفرنسا خطاً فى حدود تونس وهو قرير العين بما يرى ويسمع من توسع هذه الدول في فتوحاتها وإن لم تعد من ذلك فائدة على الامة الألمانية. شيء لا يأتى عليه الفكر ولا يصيبه النظر. هذا ولا يصح لنا أن نقول أن الحلف العظيم بين القياصرة واهتمامهم بتأكيد الروابط بينهم لمجرد كف يد الإنجليز عن مصر وإبقاء فائدة الدين ومبلغ الاستهلاك على ماكانا عليه، وحفظ قانون المالية المصرية كما ظن مراسل (التان البرلينى) قال أن فى عزم البرنس بسمارك تأييد الحجة الفرنسية بثبات شديد وإرادة صحيحة، وسيكون مع فرنسا يداً واحدة في إبقاء الحالة المالية فى مصر على ماكانت عليه، وفى زعم المراسل أن هذا كان باعثاً لسياسي انجلترا على بذل الجهد لحل عقدة الاتفاق بين ألمانيا والنمسا وفرنسا. فإن المسألة المصرية بمجردها ليست مما يدعو إلى حملة عمومية.

إنى أرى تحت هذا النفع جحافل أهوال، ووراء هذا الغيم وابلات أرزاء، أرى تنقلا قريباً فى حدود الجغرافيا السياسية، وتغييراً عظيما فى الخطط الدولية، وانقلابا فى هيئة الروابط العمومية، نعم قد يكون من المباديء الأولية لهذا العمل أن يتفق البرنس بسمارك مع فرنسا فانه لم يجد خيراً فى مناوأتها زمناً طويلا. وكلما رام الوضع منها زادت علواً وارتفاعا فيريد أن يجرب صداقتها، كما جرب عداوتها، وأن يدفع البرنس دولة الروسيا إلى آسيا فهو أسلم للدولتين الألمانيتين، ثم يبعث النمسا على التقدم خطوات حيث تولى وجهها وفيما تخلفه ورائها فائدة البرنس المالية، ـ أرسل البرنس ولده الكونت هيربرت بسمارك سفيراً فى لندن ليكون حفيظاً لسره أمينا على عمله، حتى إذا فاته مايرجو من العزيمة الأولى، لم يخجل من الإنقلاب عنها إلى الأخرى، وربما يرى الارتباك الذي يؤدى به إلى ما يريد إنما يكون بعقد مؤتمر جديد باسم المسألة المصرية، ويقال أنه سيثبت على شدته فى هذه المسألة إلى حد كما

روته الجرائد المهمة ـ وقضت الحوادث أن تكون الدولة العثمانية والحكومة المصرية التي هي جزء من أجزاء الدولة فى مهب رياح مختلفة فعليها التيقظ التام، والاحتراس الشديد كي لا تكون خسارتهما فى استفادة غيرهما. إذا قامت الدولة بعمل كما يليق بها حفظت حقوقها وصانت بقية ممالكها، الحكيم اليقظ يستفيد من كل حادثة وإلا خرق الغافل عرضة لكل خطر. الدول تطلب نكاية الإنجليز من كل وجه فما الذي يمنع الدولة العثمانية من مجاراة الدول العظام وهي أقدرهن على الإضرار بهم فإنهم فى بلادها، يعبثون فيها مفسدين وسكان البلاد لا ينتظرون إلا خطوة من دولتهم إليهم فيقيمون القيامة عليهم.

اسف..

أنبأت الأخبار الأخيرة بحدوث ثورة في دارسين من بلاد أرمنستان قصد الإخلال بالسلطة العثمانية في تلك الأقطار ومهب ريح هذه الثورة من جمعية الأرامنة فى تفليس، والأسلحة والذخائر تنهال على الثائرين من تلك الجمعية. هذه هي الأمم الخاملة التى لم يكن لها فى الكون مكان، ولا على صفحة الوجود أثر، ولا في صفوف الأمم العظام قدم، أصبحت يطلب اسماً رسميا وشأناً علياً، تنفق أموالا، وتبذل أرواحاً، ولاتبالى بأغوال المنايا، فما بال المسلمين فى بعض الأقطار وقد كانوا هامة العالم، نراهم اليوم فى قنوط ويأس، تتخطف الدول الأجنبية ممالكهم، وهم في سكون يكتفون باسف العجائز، وتحسر الزمنى، مع أن لهم دولا عظاما، وعددهم يتجاوز مائتي مليون من النفوس، إن هذا لشيء عجيب حقا!!

اسماعيل باشا يحن إلى مصر!

عظم على الخديوى السابق أمر ما نزل بمصر، وعز عليه اشتداد الأزمة فى داخليتها، وعسر ماليتها، واكتنافها بالفتن الخارجية، وارتباكها فى المشاكل السياسية، فحن اليها (وله أن يحن). وأراد أن لا يدع للانجليز موضعاً للتعلل (فى تأمين الدين وإطفاء الثورة) فأظهر من سريرته ماذكرته جريدة الروبيبليك فرانسز وهو أنه يتبرع بالتزام أداء ما يطلبه حاملوا الأوراق المصرية مع استعداده لأن يقود جيشاً لمغالبة محمد أحمد!!

* * *

ورأينا فى جريدة الماتان أن مسيو كورسيل سفير فرنسا فى برلين أخبر حكومته بوجه رسمى أن القياصرة الثلاثة استقر عزمهم أن يبعثوا إلى الخديوى (توفيق باشا) بلائحة مقتضاها أن منصبه سيكون فى خطر إذا استمر زمنا طويلا على الركون لانجلترا فى الدسائس المالية بالقطر المصري. وأن السعى فى عودة اسماعيل باشا إلى مصر سيكون مؤيداً من وزارات برلين وستراسبورج وفينا وباريس وأن مسيو هربرت بسمارك يأخذ على نفسه أن يشهر الدوائر السياسية بلندن مايترتب على عودة الخديوى السابق من الفوائد حيث يعلن رسميا أن عودة اسماعيل باشا هى أفضل فى نظر الدول من الأعمال التي تصدر من انجلترا متعلقة بمصالح أوروبا ومنافعها فى البلاد المصرية اهـ

إنا نعلم أن اسماعيل باشا لو رجع إلى مصر لا يكتفى بتخفيض سلطة الإنجليز فى وادى النيل، بل يبذل جهده فى محو النفوذ الإنجليزى بالمرة، وربما مد بحباله إلى سائر البلاد المشرقية الداخلة فى سلطة الإنجليز ليحبط أعمالهم فيها، ويهدم أركان سلطتهم عليها، لأنه يعلم أن الدولة الإنجليزية هى السبب فى كل مصاب نزل به وكان الإنجليز أحسوا بذلك منه على ما روته بعض الجرائد فدفعوه عن نيل مقصده ولا يزالون يدفعونه ـ لكن لو اتفقت بقية الدول مع الدولة العثمانية على إرجاعه لم يبعد وقوعه غير أن إحدى الجرائد ذكرت مانعا قوياً وعائقاً شديداً يحول دون نجاح هذا المقصد وهو امتناع الذات الشاهانية عن إصدار الفرمان لاسماعيل باشا بخديوية مصر أيا كانت الحالة، واستعظام هذا المانع مبنى على ما تراءى للسلطان من أن اسماعيل باشا وهو فى اوروبا أعزل فاقد السطوة لا حول له ولا قوة، كان مهتما للتشويش على الخلافة العثمانية ومعارضة الذات الشاهانية وأن الرسائل الكثيرة والمقالات المتعددة المطبوعة بالألسن المختلفة المشحونة بما يمس الخلافة وقد وصل إلى علم السلطان أن الحامل على تحريرها هو اسماعيل باشا، فهذا الظن هو الذى يمنع السلطان من تسهيل الطريق لعودته لحسبانه أنه لوصار له نفوذ وسلطة فى مصر فربما صدرت عنه أعمال لا توافق مصلحة الدولة. فعلى رأى صاحب الجريدة أن عود اسماعيل باشا إلى مصر بعد اليأس من انجلترا لا يكون إلا باصلاح الصلة مع السلطان واستمالة سائر الدول ـ هل يمكن هذا ـ ربما يمكن إذا وثق السلطان بما يطمئن به ووضح للدول ما يصح الركون إليه. هذا إد لم تراع الدول ولا الدولة العثمانية حركة الأفكار العمومية فى مصر فان جعلت هذا أساس العمل زادت المسألة صعوبة فان الرأى فى هذه الأيام مختلف بالديار المصرية. فمن الناس من سبقه ميله لتوفيق باشا ومنهم من قام يدعو إلى حليم باشا ويطلب من الناس أن يوقعوا على محضر بطلبه كما جاءنا به خبر الثقة، ومنهم من هو ممسك عن الرأى صامت عن القول، وسنأتى على بيان هذه المسألة فيما بعد إذا دعت الحوادث حقيقة للكلام فيها.

الفرصة!

إذا تليت سطور الحوادث الأخيرة وأعطيت حقها من الاعتبار ولوحظ ماوصلت إليه هيئة السياسة فى اوروبا لهذا العهد القريب وما يشف عنه اجتماع القياصرة الثلاثة وما يرشد إليه تداول الزيارات بين البارون دى كورسيل سفير فرنسا فى برلين، وبين البرنس بسمارك. ولو تبصر متأمل فيما يتبع ذلك لصح له الحكم بخطر الحالة فى مصر على انجلترا وأنه لم يبق لتخليصها من يديها إلا شيء واحد وهو قيام العثمانيين على حقوقهم واشتدادهم فى طلبها وعدم اطمئنانهم لأعمال وكلاء الإنجليز فى الاستانة، خصوصاً فى هذا الوقت الذى همت فيه الدول بتخفيض السلطة الإنجليزية ونزع مصر من يد انجلترا ويرى السياسيون أنه لا شيء أشد تأثيراً وأجمل عائدة فى تلطيف المسألة المصرية من مداخلة الدولة العثمانية.

وأخبر مراسل صحيفة التان فى فينا بناء على ما وصل إليه من مصدر موثوق به أن دولة ألمانيا والنمسا والروسيا من رايهم أن تداخل الدولة العثمانية وتجديد سلطة السلطان فى وادى النيل يوجب تعديل الحالة السياسية وليس الغرض من هذا إلا كف أيدى الإنجليز عن تلك الأقطار. فليس من الرأى أن تصغى الدولة العثمانيةلنصائح انجلترا ووكلائها وهى ترى أن جرائد الإنجليز تنادى بلسان الأمة الإنجليزية على حكومة بريطانيا طالبة منها إعلان الحماية على مصر بل والتمكين فى

خرطوم بعد رفع الحصار عنها وتنصحها بمد سكة الحديد من سواكن إلى مدينة خرطوم. فلو تساهلت الدولة فى هذا، فقد فرطت فى جزء عظيم من ممالكها، وأضاعت حقاً ثابتاً وأى دولة سواها تهتم بإخراج الإنجليز من مصر، فهى صاحبة الحق فيها فلا يكون للدولة نصيب من ملكها إذا أضاعته بالتفريط.

اللورد ثورت بروك وزبانيته يسعون لجلب قلوب الأهالى بتزيين الأمانى وتخييل الآمال «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا» ليتخذوا من ميل المصريين حجة يجادلون بها الدول ويثبتون لأنفسهم حقاً قانونياً فى الإقامة بمصر، ثم من جهة أخرى يحشدون قوة عظيمة إلى مصر استعداداً لتلق الحوادث المنتظرة لكن تحت إسم إنقاذ جوردون، فلو وجد الإنجليز برهانا من الحيلة ومنعة بالقوة وحملهم الغرور والكبرياء على مشاورة الدول اعتماداً على عدم الاتصال فى البر وتمكنهم من المراكز الحربية فى البحر كمالطة وقبرص، وأن تحارب الدولة العثمانية، فهم أقدر الناس على محاربتها من جهة العريش وفى عموم السواحل، فماذا تكون العاقبة؟ هل تكظم الدول غيظها وتترك الإنجليز وشأنهم. لا نظن ذلك ولكن إذا حالت الموانع دون نكاية الإنجليز فى مصر عمدت الدول إلى نكايتهم بالحصول على غنيمة تعادل مصر ولا تكون إلا من بلاد المسلمين، فتساهل أصحاب الحق الشرعى فى وادى النيل يضيع لهم حقوقاً أخرى فى غيره.

إن الدولة العثمانية أولى من سائر الدول بالعمل فى المسألة المصرية وأجدرهم بالاهتمام بها، ومن الواجب أن تكون اشد حرصاً على الظفر بالإنجليز فيها. إن الدولة فى مقام المدافع عن حياته وهو بحكم الطبع أقوى باعثا وأدنى للعمل من طالب الفائدة، إن شر يقع أولى بالتلافى من شر يتوقع وأن خطراً عاجلا أحرى بالإلتفات من وهم باطل ـ نفوس المصريين فى هياج فان ما أفسد قلوبهم على الإنجليز من سوء التصرف فى الحكومة واستلام إدارتها وإبطال الحقوق الوطنية وحشد الجيوش إلى البلاد لقصد التمكن فيها، كل هذه سهام خرقت شغاف القلوب وزاد الجراح نغراً

ما اعترفت به جريدة التايمس من اشتداد الارتباك وتعطل أسباب المعيشة ووقوف دولاب التجارة وإشراف العائلات الكثيرة على الافتضاح خصوصاً الذين كانوا فى خدمة أوطانهم وحرموا منها. فلو أحس المصريون وهم فى هذه الحالة بحركة خفيفة من دولتهم (العثمانية) لكفوها شر الإنجليز وقليل من العمل فيه الكفاية. واليوم يتوجه الإنجليز إلى السودان، فلو لحوا ثباتاً من العثمانيين لوقفوا وقفة الحائر بل سقطوا فيما لا منجى لهم منه. إن الخطر كل الخطر فى سكوت العثمانيين. عن طلب حقوقهم، وليس من الرأى أن يخاطروا بأنفسهم ثقة بمواعيد الإنجليز وفى علمهم أن لا وفاء لها. فهذا هو الوقت الذى يتمكنون فيه من إعادة سلطتهم فى القطر المصرى إلى أعالى السودان. وفى ذلك صيانة ممالكهم من العدوان ولا يرضى بفوات هذه الفرصة إلا من أسلم نفسه للموت وألق بها إلى التهلكة. هذا ما يثبته العيان ولا يختلف فيه أثنان، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل.

جلادستون

قامت الدول الأوروبية كافة على المطالبة بحقوقها وإعنات الإنجليز فى مصر خصوصاً دولتى فرنسا وألمانيا وجميعهم يطالبون انجلترا بانجاز وعودها ويـقيمون الحجة عليها فى أعمالها بمصر على كيفيات مختلفة ومن وجوه متعددة.

ومحمد أحمد وأتباعه قد فرغوا من أعمالهم الزراعية وأحرزوا غلتهم وهيئوا مؤنهم وجندوا الجنود الكثيفة وقصدوا أطراف دوصد وبربر وفى الأخبار الأخيرة أنهم سيروا جيشين على طريقين أحدهما يزحف من الصحراء والآخر على خـط النيل. والقلق والاضطراب وضيق الحال واختلال الأمن يزداد فى مصر كل يـوم حتى صار يخشى من فتنة عامة، خصوصاً بعد ما أحس الناس بسوء نية الإنجليز، ويمد هذه الأفكار ما فشى بين العساكر والعامة من أن السلطان غير راض عن أعمال الإنجليز فى مصر ولا هو مرتاح لزحفهم على السودان، وبوده لو يصادفون مقاومة لا يخطون بها خطوة، ونزول ماء النيل وفقدان وسائل النقل ووعر الطريق وبـعد المسافة، كل هذا أطفأ تلك الحرارة، التى كـانت تـطير بـالعساكـر الإنجـليزية إلى خرطوم بأسرع من حركة البخار لإنقاذ جوردون كما يزعمون أو تملك خرطوم كما هو حقيقة القصد. وانقلاب قلوب الهنديين على حكامهم الإنجـليز وظـهور تـلك الضغائن مع العجز عن سترها خصوصاً من النوابين والرجوات الذين يتوجسون

الشر من وثبات الحكومة الإنجليزية عليهم وهم الآن فى ضجر شديد من تضييقها وتشديدها فى مراقبة أعمالهم وهم على صورة الاستقلال، حتى أن بعضاً منهم ومن أعيان الأهالي الهنديين بعثوا بأناس الى سرخس ومرو وآشقاباد على ما بلغنا ليعرضوا إخلاصهم ويتبينوا يوم خلاصهم، ذلك كله أحدث قلقاً واضطراباً فى أفكار سياسي الإنجليز وتخبطاً فى سيرهم. فمن جهة يريدون ستر خجلهم من الأعمال المصرية مع قضاء بعض أوطارهم فيطلبون إلى الدول تشكيل مراقبة عمومية وترك مصر وشأنها مع بقاء شرذمة من عساكرهم فى وادى حلفا لصيانة الحدود المصرية بعد طرد الجند الوطنى (كما صانوا سائر الممالك الهندية بأمثال هذه الشرذمات!) ويتوهمون أنهم يلهون الدول بهذه الأضحوكة، ومن جهة أخرى يبتغون إقناع أنفسهم وإقناع الأمة الإنجليزية باوهام خيالية وترهات صبيانية يجعلونها اساساً لسياستهم فى الممالك الهندية. من ذلك ما اعتمده اللورد دوفرين (ذلك السياسى المشهور الذي أفسد شئون مصر) قاعدة متينة لصون الممالك الهندية. بعد أن عين حكمداراً عليها، قال فى مقال ألقاه فى (بال فاست) أنه يعد نفسه سعيداً بمعرفته الخصوصية لمسيو جيرس وزير خارجية الروسيا ثم أثنى عليه بجدة تنبىء عن الإخلاص وقال إنى أرى لمسيو جيرس رغبة صادقة فى حصول المصافات بين الروسيا والإنجليز ورفع الشقاق بينهما وبالغ فى القول حتى قالت جريدة (الميموريال دبلوماتيك) بعد ذكر تهنئة الروسيا للورد دوفرين على الوظيفة الجديدة، أن اللورد مكلف بعقد وفاق تعين به مهلة لتلاطم الدولتين المتنازعتين في آسيا الوسطى بعد تحديد تخوم أفغانستان من طرف الشمال. هذا ما اندفع إليه جناب اللورد بقوة الاضطراب وشدة الشغف بتسكين خواطر الشعب الإنجليزى وتغرير العقول فى الهند وإرضاء القلوب عن سياسة الحكومة وربما إرضاء نفسه أيضاً، والقارىء يعلم من هذه الحالة مقدار العجز الملم بسياسي بريطانيا حيث طفقوا يجعلون من مبانى سياستهم فى الشرق معرفة شخصية بين حاكمهم فى الهند وبين

وزير الروسيا الذى لم يخط خطوة فى الشرق إلا وغايتها الهند ولم تتقدم قدماً إليه إلا بعد عهد ينكث وميثاق ينقض. فإن حلف وزير الروسيا للورد هذه المرة لا يختلف هذا اليمين عن اليمين السابقة، على أن المحبة الشخصية لا قيمة لها فى السياسات الكلية وما سرور الإنجليز بها إلا من آثار الذهول وسر سام العقول.

وأعجب من هذا أن جلادستون يرفع صوته بين شعبه بقوله أن من ضعف العقل أن يظن الوهن فى امبراطورية الإنجليز أو يترقب بها الضعف فى المستقبل وأن بسطة الدول مما يوجب بسطة انجلترا. عجبا!! فإذا انبسطت الروسيا إلى الهند فالى أين تنبسط انجلترا، أظنها تنقبض، لا تنبسط، ويقول أن يوما تشعرون فيه بالخوف لبعيد وليس بقريب سبحان الله. الروسيا وضعت يدها على باب الهند (سرخس) وشهرتها عمت أنحاوه وقلوب أهاليه ميالة إليها وهى لا تهاب الإنجليز ولا تتوانى فى سيرها فأى يوم يشعر فيه بالخوف بعد يومه هذا، كأن الوزير لا يحس بالخطر حتى تحل الروسيا فى بنجاب أو تصل إلى نهر السند.

لا جرم أن الارتباك يضل بالإنسان عن رشده، ومن المضحكات ما ذهبت اليه جريدة البال مال جازيت من أن هذا الكلام من جلادستون يدل على ثقة جديدة منه بالدول بعد مفاوضات حل بها المشكلات، وأن من له أدنى إلمام بحال الإنجليز فى ممالك الهند وضعف عسكريتهم وتوزع أساطيلهم لحفظ سائر أملاكهم ونفرة الرعايا الشرقيين منهم مع تألب الدول عليهم وتقدم الروسيا إلى الهند يوما بعد يوم يحكم بأن قد حل أجلهم وقرب يوم يهدم فيه سلطانهم ويتقلص ظل سلطتهم فى المشرق ويهزأ بما يقول جلادستون (أن أمبراطورية انجلترا تزداد قدرتها بتجدد الأيام) ومن رأى العقلاء أنه لو تقدم محمد أحمدِ وساعده أهل الشهامة من الصعيد والشرقية والبحيرة فى مصر وخاب أمل الإنجليز فى حملتهم وقامت الفتنة فى الهند وتقدمت الروسيا وخلصت النفوس من رق العبودية وقضى الأمر وقيل بعداً للقوم الظالمين.

عماء بعض الناس فى مصر
أو تعاميهم عن مقاصد الانجليز فيها

تسعى حكومة بريطانيا بكل ما فى وسعها لوقف دفع الاستهلاك وتنقيص فائدة الدين المصرى ويعترضها فى ذلك سائر الدول الأوروبية العظيمة. هل الدولة الانجليزية أشد الدول رحمة على العالمين عموماً وعلى المصريين خصوصاً فدعتها الرحمة للقيام على هذا العمل قصداً لراحة المصريين وتخفيفاً لثقل الدين على الخزينة المصرية وتوصلا لرفاهة الأهالى وتوسيع دائرة ثروتهم. أو أن هذه الدولة لم تبالغ فى الشفقة وهى على حد الاعتدال فى الحكم ولكن الدول تجاوزوا القسط فى القسوة خشونة وغشمرة أو لعداوة خصوصية بينهم وبين المصريين، لهذا لا يريدون تخفيف شيء من أثقالهم. أو أنها اطلعت على احوال المصريين وكشف حقيقة ما هم عليه وعلمت عجزهم عن الوفاء مما عليهم وخفيت هذه الحقيقة على سائر الدول فرأت حكومة بريطانيا أن تخبر الدول بما وقفت عليه قياماً بخدمة الصدق وإنما يعارضها من سواها جهلا بواقع الأمر. لا. لا...

ليس شيء من ذلك. من ساح فى المستعمرات الانجليزية كالبلاد الهندية ونحوها تبين له أن الأهالى فى تلك الممالك حملوا من أثقال الضرائب وأوقار الرسوم الدائمة والمؤقتة ما لا يعرف له غاية ولا يؤخذ فيه بقياس حتى سقطوا فى مهواة من

الفقر لا يجدون منها خلاصاً. ويوجد ملايين من أهل الهند يقتاتون بالأعشاب البرية لفقدان أقوات البشر مع خصوبة أراضيهم وجودة منابتهم، فهل يصح لعاقل أن يظن بعد هذا أن الانجليز ضنوا برحمتهم على رعاياهم الهنديين وأفاضوا فيضها على المصريين. أي رابطة بين المصريين والجنس البريطانى تدعو إلى هذا الاختصاص، هل يصح أن يقال أن الأمة الفرنسية مع مالها من سابق الآثار فى مصر تعادى المصريين وتقسوا عليهم وتطلب تنكيلهم حقداً وانتقاماً وهذا هو ما يحملها على المعارضة فى تخفيف الفوائد وتوقيف الاستهلاك قصد الإضرار بالمصريين ووافقتها على ذلك الدول الباقية. هذا مما لا يعقل فإن فى مصر ما يستميل الدول إليها لا ما يبعثها على الانتقام منها كما لا يعقل أو ان وكلاء السياسة فى مصر ومديرى خزينة الدين من رجال الدول العظام قد خفى عليهم حال المصرين وشئون ماليتهم وتفرد الانجليز بعلمها من بين سائر الأمم على أن من يزعم أن أرض مصر فقيرة فى ثروتها قاصرة عن أداء ملاوجبه عليها عهد الدول، فقد أفترى كذباً، فإن مصر قد قامت بوفاء ما طلب منها أيام وزارة رياض باشا أحسن قيام مع غاية السعة وارتياح الأهالى إلى تأدية الضرائب أنواعها ومسرتهم التامة من تقسيم المطلوبات على حسب المواسم الزراعية وهكذا استمر الحال بعد رياض باشا على الأساس الذى وضع فى عهده إلى أن زحفت انجلترا بجيش من دسائسها على تلك النفوس المطمئنة فأقلقتها، وتلك الأرواح الساكنة فأثارتها، فما تبتغى انجلترا الآن من الإلحاح على تنقيح قانون التصفية وتنقيص الفوائد وماذا بعث الدول على معارضتها؟!

تريد حكومة بريطانيا أن تسود على مصر وتستعبد أهلها وترى أن بقاء الحالة المالية على أصولها السابقة يرجع بالمنفعة على الدائنين من الأمم المختلفة فلا يكون حظ الخزينة الانجليزية الخاصة من ثورة مصر وافر، ولهذا بادرت قبل إعلان الحماية أو السيادة أو الاستملاك بالسعى فى تخفيض فائدة الدين لتستأثر فيما بعد بما

تزعم التفضل به الآن على المصريين، فهى تسعى لفائدتها الخاصة ليس إلا، هذا قصدها لم يخف على الدول فقامت بمعارضتها وأصرت حرصاً على مصالحها لا تهدر فداء لحظوظ الانجليز وقضاء لشهواتهم. يهم الدول جلاء الانجليز عن مصر عاجلا أو آجلا لهذا تهتم بسد أبواب الحيل عليهم وإقامة العقبات الصعبة فى كل خطوة يخطونها إلى مآربهم.

وظهرت مقاصد الانجليز وانكشفت مضمراتهم لعموم اوروبا ولم يبق فيها ريبة عند دولة من الدول الأوروبية وإن كان بعض الغفل فى تلك البلاد المنكودة الحظ (لا نريد نوبار باشا فإنه ضارب فى طريقه ذاهب إلى مقصده يتزلف للانجليز بكل ما يمكنه لينال بوساطتهم ما أشرنا إليه مراراً)، تسول لهم أنفسهم، إما جهلا وإما طمعاً أن يميلوا مع ريح الحكومة الانجليزية ويظنوا أنها لاتقصد بالبلاد المصرية إلا خيراً فإذا فاض الخير فى البلاد وشملت الراحة جميع أنحائها انجلت العساكر الانجليزية عنها كما جاءت إليها ورجعوا إلى بلادهم فرحين بأنهم أدوا فرائض الذمة وحقوق الإنسانية!!

والعجب من هؤلاء المغرورين كيف لم يعتبروا بحركات اللورد نورث بروك، يتجول فى البلاد المصرية ويستدعى إليه العمد والمشائخ ويذاكرهم فيما يريد، طوراً سرا وطوراً آخر علانية، ويجاذبهم أطراف الأحاديث فيما يمكن أن يتخذ وسيلة لتمكين حكومته من الولاية على تلك البلاد. أما كان يكفى هذا السير لإدراك الحقيقة، فبم يعلل الغافلون أنفسهم وأى أوهام تخيل لهم ما يظنون، ألم يكشف الغطاء عن نية السوء بسؤال اللورد نورث بروك للشيخ العباسى المهدى شيخ الجامع الأزهر ومفتى القاهرة حيث افتتح الكلام معه بقوله: (ماذا تعلم من أفكار الأهالى لو أردنا نحن الإنجليز أن نديم الإقامة فى البلاد)، فلو لم يكن لدولة الانجليز عزم على تملك وادى النيل فكيف كان هذا السياسى الداهية يبتدر شيخاً من أجل المشائخ وأعلاهم مقاما فى القطر المصرى بهذا السؤال مع أن أقل ما فيه إثارة الظنون

وإحداث الريب إجابة حضرة الشيخ بما يفيد نفرة القلوب من بقاء الانجليز فى احتلال مصر، فاستدرك اللورد ما فرط منه بقوله إنا لا نريد البقاء ولكن كان استدراكه مناقضا لما دل عليه أول سؤاله وما الإنكار إلا خديعة لا تخفى على الصبيان فضلا عن الراشدين، يريد اللورد بهذه المحاولات أن يستكن مضمرات القلوب ليتبين له ضروب السير إلى ما يقصد من التسلط على أرض مصر حتى إذا سد فى وجهه باب حاول قرع باب آخر.

أما آن لهؤلاء المخدوعين أن يرجعوا لأنفسهم ويمدوا نظر الانتقاد لحركات هذا اللورد، أى إصلاح يقصده اللورد من طرد العساكر المصرية وإلغاء كل ما يسمى جنداً مصرياً ومحو هذا الإسم من دفاتر الحكومة المصرية. إن اللورد يلح بكل اهتمام على استبدال الجند المصري بأعوان الشرطة والخفر المسمى بالضابطه، ماهذا الاهتمام؟ إن لم يكن من قصده تمهيد الطرق للتسلط التام على مصر. هذا سبيل سلكه الانجليزى فى جميع فتوحاته كما نبهنا مراراً وأن هذا الداهية الانجليزى لا يحيد عنه بعدما سلكه أسلافه من قبله وقفاهم عليه عندما كان حكمدار الهند وجنوا ثماره. يجتهد بما فى وسعه لطرد العساكر المصرية وإبدالهم بالضابطة ليقترح بعد أيام تبديل رجال الضابطة المصريين بأقوام من الجيوش الانجليزية أو الهندية تعللا بفساد اخلاق المصريين وعدم أهليتهم للخدم الظامية وعجزهم عن القيام بوظائف الضبط وصيانة الراحة وبذلك يجرد الحكومة من جميع قواها وتكون السلطة الانجليزية سائدة فى جميع الجهات بلا معارض لها من طرف الحكومة المحلية كل هذا يجريه قبل إعلان السيادة والاستملاك كما فعل سابقوه فى الهند مع كل نواب وراجا ولا يزال يفعل خلفهم من بعدهم.

يزعم الانجليز أن تدخلهم فى مصر إنما كان لتسكين الاضطراب وإزالة العصيان وتقرير الراحة. ارتفع العصيان وسجن عرابى ورؤساء حزبه وتبددت جموعهم ولم يبق أثر لما سموه عصياناً وألزمت دولة بريطانيا حكومة مصر بالتنازل

عن السودان من مدة طويلة. فماذا تريد من إرسال الجيوش إلى مصر الآن، ألجرد إرسال جوردون كما يدعى رجال الانجليز؟ إنهم يقولون أن جوردون يسوق مراكبه فى كل وقت لمحاربة الثائرين وتشهد الجرائد الانجليزية نفسها بأنه يستطيع الخلاص بأى وجه متى شاء فليس هناك حاجة إلى تجريد الجيوش وسوقها إلى الأراضى المصرية تحت هذه التعلة. هل تريد حكومة بريطانيا بتوقية[1] جيوشها أن ترفع الخلل الداخلي وتكف أيدى الناهبين وقطاع الطريق. هذا خلل ما حدث إلا بوجود الجيوش لأجنبية والنفرة من السلطة الغريبة فكيف يمكن محو الشيء بتوقية علل وجوده، هذا الخلل يرتفع ويمحى أثره إذا انجلى جيش العدو عن الديار ولم يبق لها فيها رؤوس ولا أذناب، نعم هذه كلها تعلات يزعمها الانجليز حجابا لما يسعون إليه من الاستعلاء على عرش السيادة فى مصر وحط الرجال فى سهولها وحزونها.[2]

فلم يبق بعد هذا سوى أن ينتبه الغافل، ويلتفت صاحب الأمر إلى ما يحف به ليحترس من هذا الكيد العظيم، ولا يعين الانجليز على مقاصدهم جهلا منه أو اغتراراً بما يخيلون له من نفع يعود على شخصه أو بلاده، سبحان اللّٰه هل كان مثل هذا الأمر يحتاج إلى تنبيه. هذا محل العجب من غفلة أمراء الشرق، لا تفيدهم التجارب، ولا تريبهم المحن ولا تعلمهم الحوادث، ولا تدربهم النوازل، وتناوب الرزايا والمصائب. من له أدنى خبرة بسير الانجليز فى ماضيهم أو حاضرهم يعلم أنهم يملكون البلاد بأيدى سكانها ويقتلون أمراءها بسيوف أنفسهم. يرى هذا الأمير الشرقى فى أرض جاره فيظن النازلة خاصة بموقعها فيلهوا عنها ولا يخشى السقوط فيما سقط فيه غيره فيقع فى نفس الشرك الذى صيد به جاره. مثلهم مثل الأغنام يسوق القصاب منها واحداً بعد واحد إلى المذبحة وسائر القطيع فى غفلة عما

---

١ ـ يقصد الأفغاني بكلمة توقية: وقاية أو حراسة...

٢ ـ حزونها: المناطق الوعرة...

يجرى على أحاده يرعى ويرتع آمنا مطمئنا حتى يفنى. لا عار على أمة قليلة العدد ضعيفة القوة إذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة وأكثر سواداً وقهرتها بقوة السلاح. وإنما العار الذى لا يمحوه كر الدهور ولا ينسيه تطاول الأزمان، هو أن تسعى الأمة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدى العدو من نـواصـيهم، إمـا غـفلة عـن شئونهم، أو رغبة فى نفع وقتى وجزاء نقدى على خيانتهم، فيكونون بـاحثين عـن حتفهم بظلفهم.

علينا أن نرفع أعلام المحبة الوطنية، ونحمل عوامل الشهامة الاسلامية. ونوقد نيران الغيرة الوطنية، لتخيب آمال الانجليز ونرد كيدهم فى نحورهم ونقذف بأولئك المغفلين الذي يميلون إليهم خارج تخوم هذه الديار ليلحقوا بالخائنين ممـن سـبقهم ويذوقوا عذاب الهوان بما كانوا يكسـبون. هـذا إذا حـصل اليـأس مـن تـيقظهم ورجوعهم إلى الحق والصدق فى محـبة الأوطـان ورعـاية مـصالحها. فـإن تـابوا وأصلحوا وأنابوا كان الحق ظهيرهم، وكان اللّه وليهم ونصيرهم، وهو نعم المـولى ونعم النصير.

اخفاق سعى الانجليز

بينا العلة فى اهتمام الانجليز بتحوير قانون المالية المصرية ومعارضة الدول لهم فيما يرغبون. ولما لم يجدهم إلحاحهم نفعاً وثبتت الدول فى امتناعها نكبوا عن طريقهم واستكانوا لرأى الدول وأعلن ترجمان سرهم ولسان حالهم (نوبار باشا) لجميع قناصل الدول فى مصر أن الحكومة المصرية (الانجليزية) رجعت عما عزمت عليه وكانت نفذته من توقيف الاستهلاك. كان قصد الانجليز بهذا التصرف إثبات سلطة وتقوية شوكتهم على المصالح العامة فى مصر وهو نفوذ عاجل وكانوا يؤملون فيه فائدة آجلة كما أشرنا إليه. ولما راوا أن طول الزمن على معارضة الدول لهم ربما يحول بينهم وبين غايات أخر يبتغون الوصول إليها انقلبوا عن وجههم ونقضوا عزيمتهم بلا خجل ولا نظن أن يخفى علىٰ المصريين سر العزيمة الأولى وسر النقض الثانى وأن هذا التنازل إنما دعت إليه الضرورة الحاضرة ووجود العقبة السياسية أما سائر مطامعهم وبقية مقاصدهم فإنهم يغذون إليها السير ولا يدعون منها نقيراً إلا أن تصادمهم جيوش الهمم وتقوم فى وجوههم عقبات العزائم. هنالك يرجعون بالخيبة ويخسرون خسراناً مبيناً.

الحق

اعتدى على الحق جاهل فنال نكاله.
ينتصر الحق ويخذل الباطل وإن طاوله الكرم وأمهله العفو ومده الغرور.
جمال الدين الافغانى (*) محمد عبده

تمت كلمات «العروة الوثق» بفضل الله.

الآيات

الأماكن

(ب)

(ت)

(ن)

(ه)

الأعلام

(ب)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

ملحق

العروة الوثقىٰ
ثمانية عشر عدداً تعود بعد مئة عام

لم يأت اهتمام العلاّمة السيد هادي خسروشاهي بـ(العروة الوثقىٰ) و اعادة اصدار اعدادها بـطبعة مزيدة ـبمقدمة غنيّه و فهارس: الآيات القرآنية و الأماكن و الرجال ـ و كـذا بـقية آثـار السـيد جمالالدين الحسيني لكونه يشترک معه في الجنسية (الايرانية) أو الملاع (فأحـدهما يـقرب مـن شبهالآخر)! كلا، فالسيد خسروشاهي يرفض ان يكون السيد الحسيني ايرانياً او افغانيا او مصرياً او عراقياً او... او... بل يعتقد انّه كان: عالماً مجاهداً، اسدآبادياً و كابولياً و اسلامبولياً و.. ـكما جاء في تواقيعه المتعددة ـ وقف ضدالطغاة في كلّ مكان و طالب بإقامة الحكـم الاسـلامي و الوحـدة الاسلاميه و نصرة المسلمين.

كانت الطواغيت تطرده من كل بلد، و كان مع الشيعة في ايـران و العـراق، و مـع السـنة في افغانستان و الهند و مصر و... الخ، و ان كانت وفاته قبل تحقيق آماله التي استطاع الامام الخمينى‌ﷺ تحقيقها، إلا انه الرجل الذين يدين له كل الاسـلاميين اليـوم مـن «ارخـبيل المـلايو» إلىٰ «وادي الذهب» بأنه حامل بذرة البداية و حاضنها و ناثرها في كل البلاد.

... بدأ نهضته في اسد آباد حيث مسقط رأسه فيها، ثم الهند و النجف و كربلاء و عاد الىٰ اسد آباد ثم طهران و خراسان حتىٰ افغانستان.. ثم عاد الىٰ الهند، فطرد منها إلىٰ مصر ثم طرد إلىٰ تركيا و بالتحديد.. الاستانة عاصمةالدوله العثمانية، و لم تستقر له الظروف فيها حيث تنقل مرة أُخرىٰ بين هذهالمناطق كصقر محلق، حتىٰ قادته همومه النهضوية إلىٰ باريس، التي اتخذها مـركزاً لنشـاطاته السياسية في مواجهة المدّ الغربي ضد بلاد المسليمن، و هناک ولدت (العروة الوثقىٰ) التي مثلّت فجر الصحافة الاسلامية.

لقد كانت (العروة الوثقىٰ) أولى صحيفة اسلامية سياسيه ناضجة تتحدىٰ المخطط الاستكباري و توزع في جميع أنحاء الشرق من مصر و الشام و العراق و الجزيرة العربية و ايران و الىٰ افغانستان و الهند، و تركزت أهدافها في ثلاث نقاط: (النقطة الاولىٰ)، المقاومة ضدالاستعمار الأوروبي و خاصة البريطاني

و (الثانية): الدعوة إلىٰ الوحدة الاسلامية و ترکالتعصبات الطائفية

و (الثالثة): مناقشة اسباب تخلف المسلمين.

و لدورها في اضعاف المدّ الاستعماري ـالذي كان في ذروة كبريائه و مدّه ـو فضح سياساته و توعية المسلمين و استنهاضهم سعىٰ الانكليز المهددون بهذا الخطر إلىٰ دفعه، فأصدرت الحكومة الهندية البريطانية قانوناً يعاقب بموجبه من يحوز عدداً من العروة الوثقىٰ بالحبس لمدّة سنتين و بغرامة مقدارها ١٠٠ جنيه، و كذلک ألزم الانكليز مجلسالوزراء المصري بإصدار قرار يمنع من دخولها في البلاد المصرية كما ان حيازة الجريدة حسبت جريمة، و نجح الانكليز في معركتهم ضدالعروة الوثقىٰ.

و بعد ان مُنعت من الدخول إلىٰ الهند و مصر، لم تستطع (العروة الوثقىٰ) ان تصل إلىٰ قرآئها المشتاقين و تبلّغ رسالتها، و فرضت هذه الظروف عليها التوقف، فتوقفت نهائياً بعد صدور العدد الثامن عشر في ١٦/١٠/ ١٨٨٤ م.

إلا ان رسالة الأفغاني لم تقتصر عند هذاالحد، حيث قال: «لا يعجزنا، بث أفكارنا في البلاد الشرقية سواء كان بهذه الجريدة أو بأيّة وسيله أُخرىٰ اذا دعا الحال فإن أنصار الحق كثيرون».

و بقت (العروة الوثقىٰ) تاريخاً ناصعاً و وثائق دالة علىٰ النهضة و الثورة و الوحدة تذكر قارئها بالصراع الممتد بين أهل الحق و الباطل و حتمية انتصار الحق علىٰ الباطل.

فبعد جهودالسيدالحسيني التي لم يظفر بنتائجها في حياته، جاءت خيبة الاستعمار في مطلع القران الخامس عشرالهجري حيث خذلهم الله علىٰ يد العبد الصالح و الفقيه المجاهد الإمام روح الله الموسوي الخميني *.

---

* مجلة : «مرآة الكتب» الشهرية الصادرة من «قم» ـايران العدد ٤٠، السنة الرابعة صفر ١٤١٨ هـ

الآثار الكاملة

للسيد جمال‌الدين الحسيني ـ الأفغاني ـ
دراسة و تحقيق، إعداد و تقديم:
سيدهادي خسروشاهي

١ ـ العروة الوثقى ـ بالإشتراک مع الشيخ محمد عبده. (منتشر گرديد)
٢ ـ رسائل في الفلسفة و العرفان ـ " " " (منتشر گرديد)
٣ ـ التعليقات على شرح العقائد العضدية ـ " " "
٤ ـ ضياءالخافقين ـ بالإشتراک مع الآخرين ـ
٥ ـ تاريخ مختصر ايران و تتمة البيان في تاريخ الافغان.
٦ ـ رسائل و مقالات ـ باللغة العربية ـ
٧ ـ مجموعة مقالات ـ بزبان فارسی ـ
٨ ـ نامه‌ها و اسناد سياسی سيد.
٩ ـ اسلام و علم ـ به ضميمهٔ رسالة قضا و قدر، و چند بحث ديگر.
١٠ ـ مقالات و مكتوبات لم تنشر حتى اليوم.

آثاری درباره سيد

١ ـ زندگی و آثار سيدجمال‌الدين اسدآبادی.
بقلم: لطف الله جمالی، صفات الله جمالی، سيد حسن تقی‌زاده.
٢ ـ ترجمهٔ گزيده اسناد وزارتخارجه انگليس درباره سيد ـ بضميمهٔ متن كامل اسناد ـ
٣ ـ كتابشناسی توصيفی سيد ـ معرفی يک هزار كتاب و مقاله درباره سيد ـ
٤ ـ ٥ ـ يادواره سيد، مجموعه ٢٥ مقاله درباره سيد (منتشر گرديد)
٦ ـ ٧ ـ مجموعهٔ ٥٠ مقاله تاريخی ـ تحقيقی درباره سيد.
٨ ـ اسناد وزارتخارجه ايران درباره سيد.
٩ ـ اسناد و مقالاتی از تركيه
١٠ ـ يقظة الشرق، مجموعهٔ ٣٠ مقاله بعربی درباره سيد.

* * *

تمامی كتابهای فوق بكوشش استاد سيدهادی خسروشاهی آماده چاپ و نشر است.

دو نوع «العروة الوثقی»

«... این است که می‌گویم: عالمان دین و طلاب راستین، باید بدانند که غیر از عروة الوثقای مرجع اسبق مرحوم سید محمد کاظم یزدی، عروة الوثقای دیگر نیز هست و برای مسلمانان و اجتماعات اسلامی با توجه به سیاست‌های جهانی و استعمارها و تکالیف مسلمانان در این مسائل، فروع و مسائل این عروه نیز مطرح است و توجه به این فروع و مسائل نیز واجب تکلیفی است و بر عالم، نظر در آنها «واجب» است زیرا که به حکم تجربه و مشاهده با هوشیاری نسبت به مسائل این عروهٔ (سیاسی ـ دینی) و عمل به آنها و مقاومت بر سر آنهاست که می‌توان مسائل آن عروه را نیز داشت و عمل کرد و فرزندان را بر طبق آنها تربیت نمود و گرنه استعمار و عوامل آن، آن مسائل را یکی یکی هدم می‌کنند!

این دو کتاب، یکی شامل احکام فقهی و عبادی فردی و معاملات است، از عالم و فقیهی بزرگ در اسلام، و دیگری شامل احکام اجتماعی و معاملات سیاسی دینی است از عالم اجتماعی و فیلسوفی سیاسی و بزرگ در اسلام. و این دو مقوله در صدر اسلام ــ یعنی در متن اسلام ــ یکی بوده است، سپس در روزگاران بعد از هم جدا شده است و همین جدا شدن، باعث بزرگ‌ترین زیانها و انحطاطها برای مسلمانان گشته است.

پس اکنون چرا باید عالمان عروهٔ فقهی تا این اندازه از عروهٔ اجتماعی جدا و دور و بی‌خبر باشند؟ و راستی، آیا چگونه تواند بود آنهمه توجه و تدریس و تحشیه و تزاحم بر سر آن «عروه» و اینهمه بی‌خبری و ناآگاهی از این «عروه»؟!

و این است که می‌گویم: این کتاب ــ عروهٔ اجتماعی و امثال آن ــ باید جزو کتب درسی حوزه‌ها قرار گیرد و همینگونه روحانیت اسلام و بویژه طلاب جوان باید درباره سید جمال‌الدین و امثال او، مطالعات بسیار داشته باشند. چرا باید افکار اجتماعی ـ اسلامی سید جمال‌الدین در حوزه‌های علمیه، درسی نباشد و مورد رسیدگی و تأسی قرار نگیرد؟...»

محمدرضا حکیمی



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.
چاپ دوم (با اضافات) قیمت: ۲۵۰۰ تومان



السيدجمال الدين الحسيني - الشيخ محمدعبده

رسائل في الفلسفة والعرفان

اعداد وتقديم :

سيدهادي خسروشاهي

بسم الله الرحمن الرحيم



السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني

رسائل في الفلسفة والعرفان

إعداد وتقديم
السيد هادي خسروشاهي

الآثار الكاملة

(۲)



المجمع العالمی للتقریب
بین المذاهب الاسلامیة ـ طهران



مرکزالبحوث الاسلامیه ـ قم

رسائل في الفلسفة و العرفان

السيد جمال الدين الحسيني (الافغاني)

دراسة و تحقيق و تعليق: سيدهادي خسروشاهي

الطبعة الثانية: ۱۴۲۱ هـ ـ العدد ـ ۲۰۰۰ نسخة

العنوان: ایران ـ طهران: مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. بزرگراه رسالت، مقابل ضلع شمالی مصلی مجتمع امام خمینی(ره) ساختمان شماره ۱۲. تلفن: ۸۱۵۳۲۶۳ ـ فاکس: ۸۸۴۸۹۷۴

الفهرست:



حول بعض الرسائل

للسيّد جمال الدين الحسيني

سيدهادي خسروشاهي

رسائل
فى الفلسفة و العرفان

منذ اربعين عاماً و أنا اتابع و أدرس كلّ ما كتبه السيد جمال‌الدين الحسيني ــ المشهور بالافغاني ــ من كتاب او مقال او رسالة... و أجمع كلّ ما كتب عنه و بايّ لغة في العالم... و كانت حصيلة هذه المتابعة المتواصلة، مئات من الكتب و المقالات و الصور و الرسائل و الوثائق القيّمة، المطبوعة منها و المخطوطة... و قبل سنة كنت أبحث عن الرسائل و الوثائق المتبقيّة من السيد جمال الدين الحسيني في ايران، و المودوعة في مخزن خاص بمكتبة مجلس الشورى الاسلامي بطهران، فوجدت بينها رسالتين مخطوطتين في الفلسفة و العرفان:

أحداهما: «مرآت العارفين» في ٢٢ صفحة بالقطع الصغير و قد قام السيد جمال‌الدين بتأليفها، حين كان في افغانستان و كتب في نهايتها: «كتبه عبدالله جمال‌الدين الأفغاني الكابلى في بلدة قندهار في يوم الاحد ٢ شهر ذي‌الحجة الحرام سنة ١٢٨٣». (راجع الوثيقة الاولیٰ، و هي الصفحة الأخيرة من هذه الرسالة).

ثانيهما: رسالة «الواردات في سرّ التجليّات» و هذه الرسالة المخطوطة، تقع في ٥٣ صفحة من القطع الصغير و هي بخط «ابراهيم اللقاني»، حيث يكتب في آخرها: «كملت علیٰ يد كاتبها إبراهيم بن علي اللقاني المصري، المجاور بالجامع الازهر و ذلک يوم الخميس سلخ صفر سنة واحد و تسعينٌ و مائتين و ألف من الهجرة النبوّية علیٰ صاحبها أفضل السّلام و التحية» (راجع الوثيقة الثانية). و قدحرر هذه الرسالة الاستاد الشيخ محمد عبده في سنة ١٢٩٠ هـ، من السنوات الاولى التي قضاها بصحبة الافغاني و كان السيد جمال يحسبه تلميذه الخاص، فيما كان الشيخ عبده يبادله الشعور نفسه و يعتبره مرشده الروحي و والده الحقيقي، حيث يقول: «...إنَّ أبي وهبني حياةً يشاركني فيها علي و محروس، و السيد جمال الدين وهبني حياةً أُشارک فيها محمداً و ابراهيم و موسیٰ و عيسیٰ و الاولياء و القديسين...» (زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ص ٢٩٣).

و رسالة الواردات، رسالة صغيرة تتألف من مقدمة للشيخ محمد عبده، تليها اثـنتا عـشرة «واردة» في المسائل الفلسفية المهمة و هي علىٰ قدر كبير من العمق، تعكس قدرة فائقة و تمكّناً غيرعادي لدىٰ صاحبها على البحث في هذا الموضوع الصعب و ارتياد هذا المجال، الذي لايقدر على ارتياده إلاّ النزر اليسير من المفَكرين و العلماء...

يقول الشيخ محمد عبده فيكيفيّة تأليف هذه الرسالة: «... إنّي كنت مشتغلاً بطلب العلوم، فبينما أنا حول الرياض أحوم إذْ عثرت بآثار العلوم الحقيقية فشغفت بها حبّاً و لكن لم اجد من هي له طوية... و كلما سألت أجابوني بان الاشتغال بها حرام... و بينما أنا كذلک، اذ اشرقت شمس الحقائق فوضح لنا بها دقائق الرقائق بوفود حضرة الحكيم الكامل و الحقّ القائم استاذنا السيد جمال الدين الافغاني... فرجوناه في شيء من ذلک فاجاب و الحمد لله علىٰ ذلک و كان ذلک في سنة ١٢٩٠ فنلنا بذلک طرائف التحف فأومأالينا بكليّات هذه جزئياتها و آيات هذه بـينّاتها...» (مـقدمة الرسالة، راجع الوثيقة الثالثة...)

و بذلک يشهد الشيخ، بانّ هذه الرسالة ناتجة عن فكر جمال الدين الحسيني الافغاني و لقد كان دوره فيها، هو التحرير و التأليف، او الجمع و الصياغة و التبييض...

بعد الاطلاع علىٰ هذه الرسالة المخطوطة، راجعت كتاب: «تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده» و الذي قام بتأليفه و جمعه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا و يحتوي علىٰ كل مقالاته و رسائله، في اجزائه الثلاثة، وطالعت الجزء الثاني، ـ قسم المنشآت ـ و لكنني لم أجد الرسالة، بل وجدت في المقدمة، كلاماً غريباً عن السيد رشيد رضا، حيث يصرح بانّه قد حذف الرسالة في الطبعة الثانية من الكتاب، لان الناس لايفهمونها!... يقول: «تنبيه: تزيد هذه الطبعة على الاولىٰ عدة مقالات و رسائل و حكم منثورة و حذفنا منها رسائل الواردات. **لقلّة من يفهمها**» (صفحه ل، من مقدمة الجزء الثاني، كتاب تاريخ الاستاذ الامام، الطبعة الثانية، مطبعة المنار بمصر، سنة ١٣٤٤ هـ)!

... ثم قمت بالبحث والفحص عن الطبعة الاولىٰ من الكتاب، في مكتبات قم و طهران، العامة منها و الخاصة، و لكننى لم أحصل بها ... و قد أراد في الصيف الماضي ولدي الفاضل، الصالح، السيد محمود خسروشاهي، السفر الىٰ خراسان، فكلّفته للتحقيق في الموضوع... فزار مكتبة «آسـتان قدس» في المشهد الرضوي عدة مرّات، فوجد الطبعة الاولىٰ من الكتاب بمساعدة الأخ المشرف على المكتبة، السيد غلام رضا شاكري المحترم، حيث أهدانا نسخة مصوّرة من الرسالة (الوثيقة الرابعة، و هي قسم من الصفحة الاولىٰ و الاخيرة للرسالة، المطبوعة في القاهرة، سنة ١٣٢٢ هـ).

و نحن اذ نشكره علىٰ هذه الهديّة الغالية، نرىٰ من الضروري ان نشكر الاستاذ عبدالحسين الحائري، مدير مكتبة المجلس أيضاً، حيث لم يضجر من مراجعاتنا المتكررة، بل قد ساعدنا في الحصول على صورة من هذه الرسالة المخطوطة، كما زوّدنا برسائل و وثائق مخطوطه اخرىٰ غير منشورة، وجدتها بين وثائق السيد، الخاصة... و سوق ننشرها في المجلدات الأُخرى من «الاعمال الكامله» للسيد جمال‌الدين...

... واليوم اذ ننشر هذه الرسالة الفلسفية المعمّقة، بعد التطبيق بين النسختين المطبوعة و المخطوطة، ـــ و رسالة «مرآة العارفين» و بعض الرسائل العربية الاخرىٰ من التراث الفلسفي و الفكري للسيّد في هذه المجموعة ـــ نبشّر القراء الاعزاء و الاساتذة الكرام، باننّا سنقوم بواجبنا في نشر «موسوعة جمال‌الدين الافغاني» باللغة العربية ـــ في ستّة مجلدات ـــ زهاء ٢٠٠٠ صفحة ـــ كما سننشر موسوعة اخرىٰ باللغة الفارسية، تحتوي علىٰ مقالات و رسائل السيد بهذه اللّغة... و ستحتوي الموسوعتان كل ما كتبه السيد، او نشر منه في الصحف و المجلات، أو بقي منه بين اوراقه و وثائقه الخاصة، او ما يدور حوله من الوثائق الموجوده في الوزارة الخارجية البريطانية او الايرانية... و ستكون الموسوعة الثانية في عشرة مجلدات في اكثر من ثلاثة آلاف صفحة من القطع الكبير... و سيتم نشر الموسوعتين (بأذن‌الله) بمناسبة «المؤتر العالمي حول جمال‌الدين الافغاني» و الذي سينعقد في طهران، في الذكرى المئوية الاولىٰ على استشهاده في اسطنبول ...

***

و بهذه المناسبة، ندعو كلّ الاخوة و الاساتذة، في البلاد العربية و الاسلامية، أن يزوّدونا بما عندهم، عن السيد جمال‌الدين، من مقالات و رسائل او صور و وثائق، لتكون الموسوعة كاملة و شاملة. و لاشک اننا سننشر كل ما يصل بايدينا بأسماء الأُساتذة الذين زودّونا بالوثائق او المقالات،... و شكراً لهم سلفاً.

و الله الموفق و هوالمعين

سيدهادي خسروشاهي
مدير مركز البحوث الاسلاميه ـ قم
١٤١٧ هـ

سيري في الوضع لكل حرف من حروف البسملة
والفاتحة ولكل سورة اجمالاً ولآياتها وكلماتها وحروفها
تفصيلاً دائرة مقوسة بقوسين وبرزخ جامع بينهما
وذلك لا نسع في هذا المختصر ولا في جميع العالم كما قال
الله تعالى ولو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً
فاكتفينا على ما رقمنا ووقفنا عند ما قصدنا والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانبياء
والمرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين

كتبه عبده [illegible] بلدة قندهار
في يوم الاحد ٢ شهر [illegible]

الوثيقة الاولى...

العبيد فانه لا تخالف بينهما في الحقيقة فالله
فاعل من حيث العبد فاعل والعبد
فاعل من حيث الرب فاعل والوجود في
جميع مراتبه مختار والحمد لله وحده .
كملت على يد كاتبها ابراهيم ابن علي اللقاني
المصري المجاور بالجامع الازهر وذلك يوم
الخميس سلخ شهر سنة واحد وتسعين ومائتين
والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل
السلام والتحية

الوثيقة الثانية...

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الواجب وجوده العام جوده والصلاة
والسلام على أحكم حكماء العالم ومن تبعه من
المرسلين خاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أما بعد فيقول محمد بن عبده ابن حسن خير
الله الناشئ بإقليم مصر بحصة البحيرة
نسمي بحصة نصر خادم خدمة الحكمة المعروف
نحو الكلام والحكمة المتعاني عن قبه ناس الطريق
أو أصحاب اقتناص صيد المعارف الإلهيات
مشتغلا بطلب العلوم فبينما أنا أحوم الأزهر
أحوم إذ عثرت بآثار العلوم الكيفية
بها حبا ولكن لم أجد من هو ذو طوية
واخذت اجيل فكري وكلما سألت أجابوني أن

الاشتغال بها حرام إذ قد نهى عنها علماء الكلام
فتعجبت بشدة العجب وغفلة الناس من العجب
من فكرت في سبب ذلك فرأيته أن من جهلهم
جاهلهم ومن أخذ عن العلي بآباء فوجدتهم كمن
عطى بلسانه ورق العناب فلا يدري مرارة
الحنظل ولا حلاوة العسل وبينما أنا كذلك إذ
اشتهرت شمس العنائية وضع لنا رقائق
الحقائق بوفود حضرة الحكيم الكامل وكوكبها ثم
أستاذنا السيد جمال الدين الأفغاني
جاني فرجوناه في شيء من ذلك فأجاب
على ذلك وكان ذلك في سنة تسعين
بعد الألف فقلنا بد للنظر في
الفن فأما الباقيات هذه جزئياتها وآيات

الوثيقة الثالثة...

رسالة الواردات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجب وجوده، العام جوده، والصلاة والسلام على نبينا أحكم حكماء العالم، ومن هو لأساطين الالهيين خاتم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد فيقول محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله، الناشيء باقليم مصر، بخطة البحيرة بقرية تسمى محلة نصر، خادم خدمة الحكمة، المعرض عن نحو الكلام والكلامة، المتخلي عن قيد لباس الطوائف، الى فضاء اقتناص صيد المعارف، اني كنت مشغلا بطالب العلوم، فبينما أنا حول الرياض أحوم، اذ عثرت بآثار العلوم الحقيقية، فشغفت بها حبا ولكن لم أجد من هي له طوية، فحرت في أمري وأخفيت أجيل فكري، وكلما سألت أجابوني بأن الاشتغال بها حرام، أو قد نهى عنها علماء الكلام، فتعجبت شدة العجب، وغفلة الناقلين أعجب، وتفكرت في سبب ذلك فرأيته ان من جهل شيئا عاداه، ومن أخلد عن العلا يأباه، فوجدتهم كمن علك بلسانه ورق العناب فلا يدري مرارة الحنظل، ولا حلاوة العسل، وبينما أنا كذلك إذ أشرقت شمس الحقائق، فوضح لنا بها رقائق الدقائق، بوفود حضرة الحكيم الكامل، والحق القائم، استاذنا السيد جمال الدين الافغاني، لا زال لجلو العلوم جاني، فرجوناه في شيء من ذلك، فأجاب والحمد لله على ذلك، وكان ذلك في سنة ١٢٩٠ﻫ. فنلنا بذلك طرائف التحف فأرمز الينا ... وآيات هذه بيناتها وذلك على فرقة ... في هذه الاقوال الى انه وقع ... وسميتها الواردات ... ولا تغلطت فيما أدرجت ... خاصة أو بقدرة العبد ... (خاتمة) في ان الافعال هل هي لله خاصة أو بقدرة العبد ...

الصلح بين الطائفتين العظيمتين في ان الافعال ... فاعل والعبد فاعل من حيث العبد فاعل من فانه لا تخالف بينهما في الحقيقة فالله فاعل من حيث الرب فاعل والوجود في جميع مراتبه مختار والحمد لله رب العالمين وحده.

قال مؤلفها تم تبييضها يوم الاربعاء سادس عشر شعبان المكرم سنة تسعين ومائتين بعد الألف اﻫ.

(٤ - تاريخ الاستاذ الامام ج ٢)

الوثيقة الرابعة...

جمال‌الدین الافغاني
التغییر في الوقائع و القیم

في مناسبة الذکری المئویة الاولی لرحیل جمال‌الدین الافغاني (ت ۱۸۹۷)، صدرت في طهران، (۱۴۱۷، ۱۹۹۷) الطبعة الاولی من: «**رسائل في الفلسفة و العرفان**» اعداد و تقدیم الاستاذ السید هادي خسرو شاهي. تثیر تلک المناسبة التي تغیب عنها الاهتمام الاکادیمي اللبناني، دافعاً الی غسل التأثیم الذاتي الآخر الناجم عن تغیب ثان، و ثالث، و آخر. فنحن لم نشارک، في شباط الماضي، في تکریم عبدالرحمن بدوي الذي اعطی اوسع تأرخة و ادقها للفضاء الفلسفي المشترک بین الفلسفات العربیة الاسلامیة و الیونانیة الوثنیة و اللاتینیة المسیحیة او الوسیطیة و نلتقط التقاعس عینه، ثم التأسف و اللوم الذاتي في اقصاء الاهتمام بتکریم للد. م.ع. ابو ریان، جری في الاسکندریة (۲۶ و ۹۷/۳/۲۷).

ان استعادة جمال‌الدین الی دار «اهل النظر و البرهان»، و لا سیما ادراکه کمنعطف او معید لتعضیة و بنینة الفلسفة العربیة الاسلامیة، تسقط منهج القراءة الذي یراکم الاعجاب و الثناء و یکدس التوصیفات و الداحضات.

النقدانیة و الادراک الندبي

أمّا تحریک النقدانیة التثمیریة فیعید الی صب النظر لیس علی هوامش سلوکات او علی افناء الذات، عند الافغاني، بل حول العقل و طرائقه في الانتاج و المقاضاة و خفض توترات الحقد.

بتحکیم النقدانیة، و تثمیر ادواتها و اوالیاتها، قد یتحقق التعلم من‌التجربة الفکریة للافغاني مع الوجود و المعرفة و العلائقیة. کما قد یتحقق ایضا، بعد ذلک التعلم و اکتساب الخبرة، الاستیعاب و من ثم‌التجاوز... و هکذا فان القراءة الفلسفیة للافغاني، تؤسس علی انها فلسفة؛ و تتحصن مدافعة عن منهجیتها و مبتغاها بکونها علما له میدان و غرض، و متمتعا بمرجعیة و مصطلحات بل

بقوانين يتفاعل فيها ـ بتكافؤ و تذبذب بين نقيضين ـ المحلي و ما بعد المحلي، الحاضر و المستقبلي، المحايث و الموضوعي.

ما دام العقل (اوالفلسفة) نقدا ممنهجا ممذهبا، و ما دام النقد عقلانية شمولانية، فانه محتم اخذهما معاً، و حتى في وحدة او كبنية واحدة حية. بذلك، و لذلك، ينداح الادراك الندبي النادب، و يأخذ معه الى الظل و القيعان التلوينات المأساوية و القراءة التقريعية و التجريمية للذات و الحقل المعادي.

لا احد من الجناح العربي في الفلسفة الاسلامية المعاصرة (عبده، عبدالرازق، الخ)، او من الجناح الهندي (السيد احمدخان، اقبال...)، تألم و قاسى كالافغاني الذي كان، بمفرده، مأساة متنقلة و بطل مسرحية احتدامية يعي جيدا انه وحيد و خاسر! و مجاهد في سبيل الحق داخل برية عجفاء، و مبشر نذير بلامعين او مستمع. هذا صحيح! لكنه إطار حياة فكر و ليس فكراً، و الشخصي عند صاحب النص و ليس نصا و لا هو فلسفة.

مرآة العارفين و الواردات

تكشف «مرآة العارفين» ان الفلسفة صارت تدرس في مصر بفعل سلطة الافغاني؛ و على يديه استعادت حضورها في تركيا أيضاً و من ثم مكانة و اعادة تنظيم مع جدة. فعلى هامش آخر صفحة منها (ص ٢٤) نقرأ ما يفيد ان تلك الرسالة الفلسفية معروفة في مصر منذ ١٢٩٢ هـ؛ و في استانبول أيضاً و قبل ذلك سنة ١٢٨٨ هـ.

ان «مرآة العارفين» خطاب في الحكمة، في ذلك القطاع الاسمي داخل الفكر العربي الاسلامي فتلك «المرآة» نظر في الوجود، و في علائقية الحق (الله) مع الانسان الكامل (الذات البشرية)؛ كما هي أيضاً تدبر و تثمير لمصطلحات الدين الكبرى و الافهومات الصوفية و العرفانية التي ترسخت على ايدي الفلاسفة (الفارابي، ابن سينا، الخ.) و كبار الصوفيين (الغزالي، ابن عربي...) في ثقافات الاسلام المتعددة. تتميز هذه الرسالة بالوضوح في رؤيتها للانسان منظوراً اليه بشبكة من الافكار الدينية و مقولات الحكمة و المعهودة؛ فهو قد يزعم انه «جرم صغير»، لكنه ينطوي فيه «العالم الاكبر». و لم اقرأ في النص و لا في ثناياه ما ينبيء عن ان الانسان مسحوق؛ و ليس هو ايضاً مجرد منفعل او متلق متلقن تجاه الالوهية، و امام القضاء و القدر او الشروط الموضوعية. و لعله ليس قليل الوضوح، و لا بغير نفع او دلالة، القول ان اسلوب الكتابة يبدو هنا فلسفيا او ترضى عنه

الفلسفة التي لعلها آنذاک، و بتأثير الافغاني / عبده، كانت اشهر العوامل في كسر الاسلوب التعبيري الذي كان يتغذى باللفظانية، و بالنزعة المصطنعة نحو التنميق و تمجيد المترادف و الفضفاض و حتى الثرثار الاجوف!

و تؤكد الرسالة الثانية، و هي «الوردات في سرّ التجليات»، التي هى. بخط ابراهيم اللقاني سنة ۱۲۹۱، صفة الصوفية (العرفانية) للحكمة و الفلسفة في الفكر الاسلامي، و الطبيعة الاستمرارية لتلک الحكمة و الفلسفة من حيث مصطلحاتها (المرآة، العارف، الواردات، التجليات، الانسان الكامل، الاحدية...) و مقاصدهما، و رؤيتها للالوهية و الانسان و طرائق تدبر الوجود و القيم.

و مما يدعم دعوانا في ان الفلسفة انتعشت على يد الافغاني و تجددت هو ان رسالة «الواردات...» تبدأ بقول هو تأرخة لما قلت انه يشبه المنعطف، و مفادها ان الشائع آنذاک كان يرى «ان الاشتغال [بالفلسفة] حرام، او قد نهى عنها علماء الكلام. فتعجبت [محمد عبده] اشد العجب، و غفلة الناقلين اعجب» (ص ۲۷).

قديكون الاهم ماثلاً في تعقب موضوعات [= ثيمات، الافكار او المقولات الاشمل و الاعم] الفلسفة و اشكالياتها او حقلها و ادواتها.

و لا صعوبة في الاستنتاج ان هذه الموضوعات هي التي كانت الاساس و المجال للفلسفة عند الفارابي و ابن سينا و امثالهما، كالشيرازي او المعتزلة و ابن رشد...

اعتزالي سيناوي

تظهر في رسالة «القضاء و القدر» (۶۱ـ۷۲) النزعة الصدامية و المبادىء الاعتزالية في ايديولوجيا الافغاني؛ اذ هو يدافع عن عقيدة يقول هو نفسه عنها انها «تعد من اصول العقائد في الديانة الاسلامية الحقة» (ص ۶۴). فيرفض «لفظ المغفلين من الافرنج»، و يرمي باقوالهم فيها الى سلة الظنون، و المزاعم.

الاهم لنا هنا ليس عرض تلک العقيدة او التصورات؛ فلا شک عندي في ان جمال‌الدين ـ و هو اعتزالي و سيناوي ـ يتدبر جيدا اهمية الشروط الموضوعية او البيولوجية و المجتمع مثلما التاريخ في تكوين الانا. و لعل الفلسفة، و العلوم، في الزمن الحاضر و في المستقبليات، تساعدنا على الاقرار بدور ما للذات الفاعلة او لعقل الانسان و للحرية النسبية، في التفاعل مع العوامل الخارجية و على اكثر من صعيد (قا: تحديد المعتزلة لدور الشرع و العقل في الانتاج و القديم).

يبق ان ما يقوله الافغاني، في هذه الرسالة، توضيحيا و يؤكد لي ان احكام بعض الجارحين على الفكرة المذكورة ليست دقيقة بقدر ما هي من قبيل القول الغرضي و المختلق، او التخيلي و المتحرك باللاتعاطف و النقص في المحبة و احترام الانسان (را: قول سبينوزا، او هيغل، في الايمان بالقدر و المكتوب عند اليونان و المسلمين و المسيحيين). لكأن هذه الرسالة للافغاني، و حتى رسالة «العلم و تأثيره في الارادة و الاختيار» (ص ٩١ـ١١٢) ذات وظيفة دفاعية هجومية؛ و من ثم فنحن هنا امام بدايات ردود الفلسفة الاسلامية المعاصرة، على الفلسفة الاوروبية في استمرارها للفكر اللاتيني ـ الوسيطي.

يحمل الافغاني بشدة على «من و كلوا انفسهم الى التوكل الكاذب.» فذوو «البطالات و من رفضوا الاسباب» مرفوضون (فلسفة الصناعة، ص ٨٧ـ٨٨)؛ و يبدو جليا انه فسّر الوضع الحضاري الحالي للانسان بالتطور من حال بدائية (٨١ـ٨٤). كما انه بيّن واثبت ان «الانسان نوع من انواع الحيوانات الارضية .... [وكان] يتفيأ ظلال الاشجار، ويستكن في الحجر و الاوكار» (م.ع. ص ٨١). يعني هذا القول التاريخي في الانسان، عند جمال‌الدين، ثقة بالعقل البشري و قدرته على ترويض البيئة و تثمير الظروف من اجل تعزيز حريته النسبية و تكيفه الاسهامي المنفتح...

اما رفض رافضي الاسباب، اي قول الافغاني بالسببية و من ثم بالتفسير تبعا للسنن الكلية او القوانين، فيستدعي رد ابن رشد على مقولة الغزالي في اعتبار السببية مجرد عادة او اقتران، و تجاور غير ضروري و غير حتمي بين العلة و المعلول، او السبب و النتيجة. و في تلك المعمعة الفكرية، بين الاشاعرة و المعتزلة (و مع هؤلاء الاخيرين يقف الفلاسفة) يختار الافغاني / عبده الاخيرين بزعامة ابن سينا، و خطاب ابن رشد.

العقل العملي

يشدّ الافغاني، في رسائله الاخرى المتوفرة و الاشهر، الفلسفة صوب المجتمع و الالتزام بحقوق النحن، و بالتكليف الايجابي داخل العالم القوي السلاح و الفكر و الصناعة. فالعقل العملي هو الذي انتج، داخل المدرسة الفلسفية الاسلامية المعاصرة التي اسسها السيد جمال‌الدين، جديداً في تحليل الوقائع و طرح الحول الاستراتيجية. في تلك المجالات تبدي الانفصال و «القطيعة» النسبية حيال الفلسفة التأسيسية ممثلة، على نحو خاص عند الافغاني، بالفارابي /ابن‌سينا. و هنا ايضا، في «فلسفة الصناعة» (ص ٨١ـ٨٩) كما في «فلسفة التربية» تنزاح المدرسة الفلسفية

السيناوية، على يد ابرز ممثليها او منتجيها المعاصرين، نحو المنزع الواقعي و حيث التحرك بالاجتماعي و المتجذر في التاريخي و السياسي و العلاقة مع الامم القوية. لقد تحولت الفلسفة بذلك الى تفسير المجتمع و الانسان و المعرفة، و الى صياغة شمولية الرؤية للمعنى الجديد و للتغيير الاستراتيجي في الوقائع و الحقائق و القيم.

معروف جيداً، في تاريخ الفلسفة الاسلامية المعاصرة، مقال الافغاني في الدهريين. فالداروينية البيولوجية ثم، على يد هـ. سبنسر، الداروينية الاجتماعية ، فرضيتان او «نظريتان» حاربتهما الحكمة و الفسفة و الثقافة في معظم المجتمعات و حتى مدة غير بعيدة. لا تبدو لي الداحضات التي يقدمها جمال‌الدين، و الفكر العام و الذين يخشون التطور و الجديد، كافية للاقناع. فما هو «براهين» (وحجج او ذرائع) تجيّش لنقض النظرية الداروينية في الحياوة (البيولوجيا، علم الحياة)، تعجز عن ان تكون ادلة فلسفية او موضوعية التوجه.

لايفصل الافغاني بين العلمي و الايماني؛ و لذلک فهو يقدم احكاما معيارية، و رؤية ايديولوجية محكومة بالمسبق و الجاهز، بل و بالخوف اللامبرر على الايمان و الروحانيات.

العرفان المحدث

و يتضح دفعة واحدة، على نحو فوري، ان النظرية الفلسفيةعند جمال‌الدين غير موقّدة بمناهج و ثمرات العلوم الطبيعية و الانسانية التي كانت، في القرن التاسع عشر، تقدم حقائق و تعيد التصور عن المتعاليات و الوقائع، و عن معنى العلم و ثقل الفلسفة لم تكن الفلسفة عندنا متقبلة منفتحة، و لا ساعية الى التعلم و التثمير او اعادة التسميات و المعنيات. لقد بقيت المصطلحات الكبرى، في نظرية الافغاني الفلسفية، سيناوية اعتزالية؛ فهي نظرية لم تجاور الانساق التي طرحها كنط، او هيغل، او ماركس، او غيره من مدققين فرنسيين في مجال الفكر الأعمّي الاشملي. تتجلى تلک الروحية «التقليدية»، المحافظة و الاستمساكية، في العرفان «المحدث» بخاصة في تمثلات الاسد آبادي حول الصناعة، و العمل، و الدين، و تطور الوعي، و الحس التاريخي، و العقل، و الالوهية و النبوة... فما هو العلم، و لا سيما الصناعة في تلک المدرسة الفلسفية الاسلامية، و في ذلک «العرفان المحدث»، اللذين الحفنا اعلاه على ان السيدجمال‌الدين كان الحارث الباني و المؤسس المنظم؟

و هو يتسعيد ما كان، عند ابن سينا، الاطار العام، و الالفاظ التقنية بل حتى الجملة احيانا و المثل او التشبيه (را: ابن سينا، الاهيات، ج ٢، الفصل الاخير). و ليس دقيقا ان يكرر الافغاني اقسام

الصنعة و ضرورة المهن و تكاملها (فلسفة الصناعة، ٨٥ ـ ٨٩) غير مستند الى الواقع المتحرك بقدر ما كان مستنداً الى ابن سينا «رسالة في السياسة المنزلية : سياسة القوت و سياسة الولد»، و الطوسي «اخلاق الناصرية » و الدواني «الاخلاق الجلالية»...

و يبدو ان المقصود بالعقل عند الافغاني / عبده ليس مجموعة الطرائق المفسرة، و لا القوالب او الاجهزة المنتجة الحاكمة للمعارف الدقيقة و التكنولوجية... فهو ليس متنوعا تاريخيا بقدر ما قد يظهر بمثابة أيسة، او افهوم متعال يتمايز عن الشروط الموضوعية و الحقل و غير خاضع او محتاج للتعريف و النقد.

* * *

... اخيراً، ما تزال صحيحة دقيقة المحاكمة التي تقضي بان «رسائل في الفلسفة العرفان»* تشكل نهضة و اعادة نظر جديدة. و هذا، على الرغم من الروحية المعهودة الاستمرارية التي تعيدنا الى التجربة الفلسفية التأسيسية. لكأن اعادة الصياغة، او التوجهات المستحدثه، لم تفلق الوثوقي عندالافغاني. كان على الفكر ان ينتظر سيول «المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة» او تنويراتها و توتيراتها.

الدكتور علي زيعور

بيروت : لبنان**

هامش

* رسائل في الفلسفة و العرفان. ـ جمال‌الدين الحسيني الافغاني. اعداد و تقديم : سيدهادى خسروشاهى الطبعة الاولى

ـ طهران، مؤسسة الطباعة و النشر، وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي بالتعاون مع : مجمع التقريب بين المذاهب الاسلاميه ١٤١٧ هـ. ـ١٨٤ ص، ٦٥٠ تومان.

** «نهار الكتب» المحلق لجريدة «النهار» اليومية، الصادرة في بيروت. العدد ٦ ص ٦. نيسان ١٩٩٧ م

رسائل في الفلسفة والعرفان

جمال الدين الافغاني فيلسوفا

رافق الذكرى المئوية لوفاة السيدجمال الدين الحسيني الافغاني تجدد الاهتمام بتراثه الفكري والفلسفي، وقد جرى عقد مؤتمرين عن الافغاني خلال العام الحالي، واحد في طهران و الثاني في القاهرة، وتم التركيز في البحوث التي قدمت على النشاط السياسي والايقاظي لهذه الشخصية المذهلة ولم يجر تناول اعماله الفلسفية بشيء من التوسعة. وكان هناک اعتقاد بأن الافغاني لم يترک نتاجا فلسفيا مهما، سوى رسالته في الرد على الدهريين. ولكن الباحث والمحقق، حجةالاسلام السيدهادى خسروشاهى - مدير مركز البحوث الاسلاميه فى الحوزة العلمية بقم - ايران - الذي وقف جزءا كبيرا من نشاطه لسنوات كثيرة، للبحث عن تراث الافغاني وتوثيقه، عثر على رسائل فلسفية لم تنشر من قبل، تدور كلها حول الفلسفة و العرفان و قد صدرت الرسائل في كتاب بعنوان: «رسائل في الفلسفة والعرفان»، وهو يضم أيضا رسالة الرد على الدهريين. و يمثل الكتاب اضافة جديدة إلى المكتبة العربية، كما أنه يلقي الضوء على نوعية البحث الفلسفي في المدارس الدينية في القرن الماضي.

وضع العلامة الباحث، خسروشاهي مقدمة للكتاب، بيّن فيها قصة عثوره على رسالتين للافغاني: «مرآة العارفين» و «الواردات في سرّ التجليات» و ذلک أثناء مراجعته لأوراق ووثائق الأفغاني المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الاسلامى الايرانى، ولكنه لم يعثر على ذكر لرسالة الواردات في الطبعة الثانية من كتاب «تاريخ الاستاذ محمد عبده». الذى ضمّ تراث عبده و عنى به الشيخ محمد رشيد رضا، بل وجد بدلا من ذلک، قولا للشيخ رشيد، يعتذر فيه عن عدم ادراج رسالة التجليات وقد كانت موجودة في الطبعة الاولى، بأنه صعب على الناس فهمها! وقد راجع المحقق الطبعة الاولى، فوجدها و استفاد منها في عملية التحقيق.

والمشكلة التي أراد المحقق توضيحها هي نسبة الرسالة إلى الأفغاني، وقد وجد اعترافا من الشيخ عبده في مقدّمة الرسالة ذاتها، يقول فيه: «إني كنت مشغولا بطلب العلوم، فبينما أنا حول

الرياض أحوم إذ عثرت بآثار العلوم الحقيقة فشغفت بها حبا ولكن لم أجد من هي له طوية، وكلما سألت أجابوني بأن الاشتغال بها حرام، وبينما أنا كذلك إذ أشرقت شمس الحقائق فوضح لنا بها دقائق الرقائق بوفود حضرة الحكيم الكامل والحق القائم أستاذنا السيد جمال‌الدين الافغاني، فرجوناه في شيء من ذلك فأجاب والحمدلله على ذلك و كان ذلك في سنة ١٢٩٠ فنلنا بذلك طرائف التحف فأومأ إلينا بكليات هذه جزئياتها و آيات هذه بيناتها».

ونجد في احدى الواردات قول كاتب الرسالة: «و من لطائف الوقائع ما وقع للفاضل الاستاذ في الاستنبول مع جماعة من الطبيعيين..» وفي هذا دلالة على أن الشيخ عبده يقرر أقوال أستاذه وينشيء على أفكاره وأن الرسالة هي عمل مشترك إن صح التعبير، ولكن طبيعة المباحث الموجودة فيها، والتي هي مباحث فلسفيّة كلامية، فيها تفصيل لم يعهد تدريسه في الأزهر الشريف تدل على نسبة قطعية للأستاذ لا للتلميذ.

و «مرآة العارفين» عبارة عن رسالة مختصرة شرح فيها الأفغاني بعض التصورات الكلية، اعتمادا على سورة الفاتحة التي هي أم الكتاب، وضاهى بينها وبين المعرفة الانسانية وصلتها بالعالم، وصلةالله جل وعلا بالإنسان و العالم معا. و من الافكار التي تنطوي عليها الرسالة هي أن الفاتحة تضم الكتاب المنزل برمته، و أن «جميع ما في الكتاب مفصل فهو فيها مجمل، وما فيها مجمل فهو في الكتاب مفصل، والفاتحة في البسملة، والبسملة في الباء، والبا، في النقطة مندرجة، فهي في أم الكتاب وجميع الكتاب كائن فيها». وكذلك‌الله تعالى من حيث صلته بالكون، حيث «أن الحق مبدأ الكل ومعاده، وإليه يرجع كله والى‌الله عاقبة الامور، ولا بد أن يكون الكل فيه قبل كونه، ولا بد أن يكون في الكل هو «ولكن من غير حلول ولا اتحاد» لأن الإتحاد يحصل من الوجودين، وكذا الحلول والصيرورة، وأن لا وجود إلا وجود واحد». وأن آيات الكون كلها مندرجة في النفس الإنسانية على نفس المنوال الذي وصفت به سورة الفاتحة «فمن عرف نفسه فقد عرف ربه و عرف جميع الأشياء». وهذا تأصيل لعلوم العرفان وفلسفته.

أما رسالة الواردات فهي رسالة أوسع بعض الشيء، وتأخذ بتفصيل العقيدة والبحث في الوجود بتأسيس النظر إلى وجوده سبحانه وتعالى وصفاته، ثم صلته بخلقه، وبعثه للأنبياء، وطريق الوصول إليه سبحانه. وتتضمن الرسالة اعادة النظر في التعريفات الدارجة لمصطلحات علم الكلام، من ذلك رفضها لتعريف الممكن بأنه «ما يحتاج إلى غيره في الوجود» و تعريفه بأنه «المقيد» وأن «كل مقيد فهو محتاج إلى المطلق والقيد، فهو معدوم في ذاته، فلا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح، والمطلق الذي لاقيد فيه بوجه من الوجوه ليس بممكن، إذ لا يفتقر إلى موجد،

وإلا لكان قيدا له، فكل مقيد ممكن، وكل ممكن مقيد، ولاشيء من المطلق الحقيقي بممكن». وهذا واحد من الاستدلالات اللطيفة والمجددة.

ثم يأخذ بمباحث القصد منها تنزيه الذات الإلهية عن كل شرك، من حلول واتحاد، واظهار أن لا وجود حقيقي إلا وجود واحد منزه عن كل قيد. و من جملة التنزيه، القول بأن العلم الالهي هو عين الذات، و «هو علم بجميع شؤونه وأطواره، وأن جميع ما تشرف بالبروز فإنما هو على ما في العلم، ولكن لضيق الخارج عن أن يسع المراتب غير المتناهية. حصل الترتيب في تلك التجليات». وأن ارادته هي عين فعله، وأن فعله منزه عن الغرض. وأن العالم خلق وفق مراتب تتخللها حركة دائمة و «العالم في الترقي على حسب تقادمه في الوجود». وأن متطلبات الكمال الانساني هي العلة في ارسال الرسل، لأن الرسول هو «الرجل الكامل». وأن النفس الانسانية تخلد وتتحمل في العالم الآخر عاقبة أفعالها، وأما أفعال العبد في الدنيا «فالله الفاعل من حيث العبد فاعل، والعبد فاعل من حيث الرب فاعل، والوجود في جميع مراتبه مختار». وتحتاج هذه المباحث إلى توسعة ليتضح للقارىء المراد منها و بيان التقليد الكلامى الذى جاءت منه و النقاش الذي ترد في سياقه.

وقد ألفّ الأفغاني رسالة أخرى في «القضاء والقدر»، أقرّ فيها القول بها و أعتبره من مقومات الشخصية الايجابية لأن «الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد عن شناعة الجبر، يتبعه صفة الجرأة والإقدام».

كما أن هناک رسالة موجزة عن الافغانى فى «العلم وتأثيره في الارادة والاختيار» وهي ذات منحى سيكولوجي يرى فيها المؤلف أن «الإرادة هي تابعة للأثر العلمي في الروح الادراكي، أو هي صورة أخرى لذلک الأثر» وأن «الأخلاق والملكات ناشئة عن كثرة توارد الانفعال النفسي الإدراكي من نوع واحد، حتى صارت هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال الجزئية الملائمة لها».

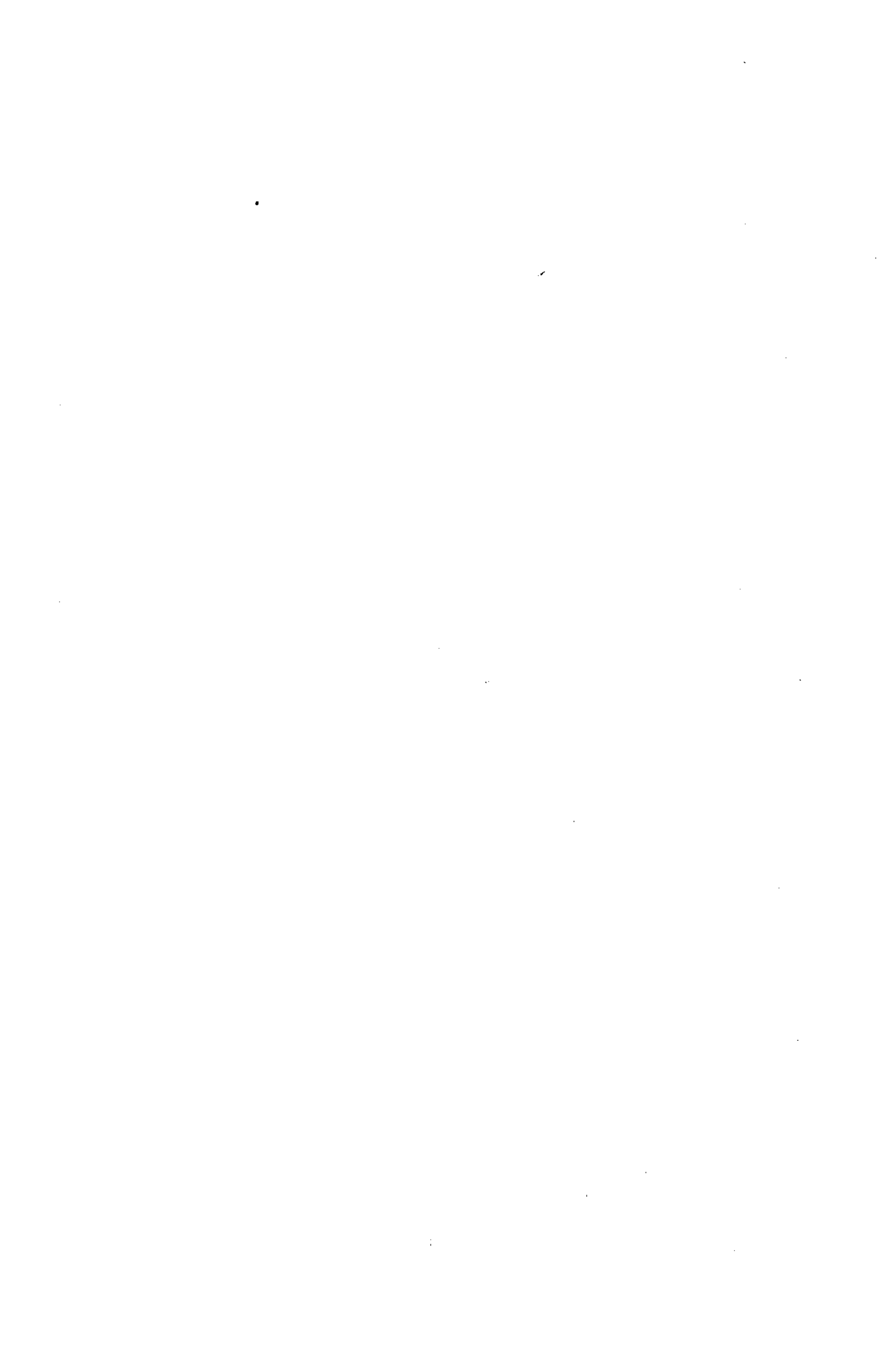
وهناک رسالتان أخريان في فلسفة التربية والصناعة، وربما كانتا مقدمتين لبحوث لم تنجز أو أنجزت ولم يصلنا خبرها بعد... والكتاب كما اشرنا، يضمّ ايضاً رسالة «الردّعلى الدهريين» مع ايضاحات من العلامة المحقق الخسروشاهى. و هذه الرسالة طبعت عدة مرأة عن قبل و ترجمت الى لغاة متعدده، منها: العربية و التركيه و الارديه و الانجيلزيه.*

الدكتور عبدالرحيم حسن ـ لندن
بريتانيا

---
*. مجلة «العالم» الاسبوعية ـ لندن.

١

مرآة العارفين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه الذي أَخرج من النون ماأُدرج في القلم، وأَبرز علىٰ الوجود بالجود ما أُكنز في العدم، وفتق مارتق، وأظهر ماكتم، وعلَّم بالقلم ـ الملقّب بأُمّ الكتاب واللَّوح المحفوظ المسمّىٰ بالكتاب المبين ـ مالم نعلم، وفصّل وقدّر في النفس مافي العقل أجمل، وقضىٰ وحكم وأخرج اللوح بيمينه من يسار القلم، كما أخرج حوّا من جنب آدم، كما قال اللّه تعالىٰ وتقدّس: (أَللّٰهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ـ وهي العقل ـ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها ـ وهي النفس ـ وَبَثَّ مِنْها رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً)[1] وهي العقول والنفوس، ففتح بالهباء الموسوم بالهُيولي والعنقاء صورة العالم، وفتق السموات من الرتق المُكنّىٰ بالعنصر الأعظم، فسبحان من عيّن الأعيان بالفيض الأقدس الأقدم، وكوّن الأكوان بالمقدّس المقدّم، وأظهر القدم بالحدوث والحدوث بالقدم، ونشر الرّقّ[2] المنشور، وكتب الكتاب[3] المسطور بمداد الوجود المُبرِز ماكمن في باطن المتكلّم عن الحروف والكلمات التامّات وأتمّ[4]، وأثبتها فيه وأرقم[5]، ورتّبها ونظّم، وكمّلها وتمّم، وفي الفاتحة مافصل في الكتاب أدرج وأدغم، وما في الفاتحة في البسملة، وما فيها ستر في الباء، وما فيها أبطَنَ في النقطة وأضمر[6] وأبهم.

---

(١) النساء: ١.

(٢) في الأصل: رقّ.

(٣) في الأصل: كتاب.

(٤) في الأصل: وأتمم.

(٥) كذا، والصحيح: «ورقم» بتشديد القاف وتخفيفها.

(٦) كذا، والصحيح ظاهراً: «أضمر» بدون العطف بالواو.

وصلّىٰ اللّه علىٰ الاسم الأعظم، والرداء المعلّم والممدّ الهمم بالقول الأقدم محمد فتح به الكتاب وختم، وميّز الباطل من الحقّ والنور من الظُّلَم، وعلىٰ آله واصحابه وسلم.

أمّا بعد، فإنّي أجبت سؤالك ـ أيّها الولد الصالح ـ لما سألتني أن أُثبت وأرقُم لك ـ في هذا المختصر ـ شيئاً ممّا قدّر اللّه لي في فاتحة الكتاب ـ التي هي أُمّ الكتاب ـ بلسان أهل اللّه وخاصّته، وسمّيته بـ«مرآة» العارفين في مُلتَمس زين العابدين، وأسأل العون من مُوجد الكون، فإنّه المستعان وعليه التكلان.

اعلم أيّها الولد الصالح المؤيّد، أنّ العالَمَ عالَمان: عالَم الأمرو عالَم الخلق، وكلّ واحدٍ منها كتاب من كتاب اللّه، ولكلٍّ فاتحة، وجميع ما في الكتاب مفصَّل في الفاتحة مجمل، فباعتبار إجمال ما فُصِّل في الكتاب فصّل فيها سُمِّيت بأُمّ الكتاب، وباعتبار تفصيل ما أجمل فيها فيما يلي مرتبتها سُمّيت مرتبة التفصيل بـ«الكتاب المبين»، وكلّ موجودٍ في العالم حرف باعتبار، وكلمة باعتبار، ومركّب باعتبار، وسورة باعتبار؛ لأنّا إذا نظرنا في ذات كلّ موجودٍ ـ من غير أن ننظر في وجوهها[1] وخواصّها وعوارضها ولوازمها ـ وجدناها مجرّدةً عن الكلّ، فباعتبار تجرّدها عن الكلّ سمّيناها حرفاً، وإذا نظرنا إلىٰ وجوهها[2] وخواصّها وعوارضها ولوازمها، وأضفناها إليها، فباعتبار إضافة الكلّ إليها سمّيناها كلمةً، وباعتبار تجرّد كلّ موجود عن المضافات والمنسوبات وتميّز بعضها عن بعض سُمِّيت حروفاً مقطّعةً مفردةً، وباعتبار عدم تجرّدها عن المضافات والمنسوبات، وعدم تميّز بعضها عن بعض، بل تداخل بعضها في بعض، سمّيته ألفاظاً مركّبة، وباعتبار تميّز كلّيات المراتب بعضها عن بعض، ووقوع كلّ موجود في مرتبته، سُمّيت سورةٍ.

فإذا علمت هذا فاعلم أيضاً: أنّ الحقّ مبدأ الكلّ ومعاده، واليه يرجع كلّه وإلى

---

(١) و (٢) يحتمل في الأصل: «وجمها»، والمناسب ما أثبتناه.

اللّٰه عاقبة الأُمور، ولابدّ أن يكون الكلّ فيه قبل كونه، ولابدّ أن يكون في الكلّ هو، وإذا ثبت أنه كان ولا شيء معه، وهو الآن كما كان، فذاتُ الحقّ سبحانه وتعالىٰ باعتبار ما اندرج[1] فيها هي أمّ الكتاب، وعلمه هو الكتاب المبين، وباعتبار تفصيل ما اندرج في الذات التي[2] قلنا فيها: انّها[3] أُمّ الكتاب وظهورها كَمَن فيها، فعلمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء؛ إذ جميع الأشياء كانت مندرجةً [فيها][4] كاندراج الشجرة في النواة، فالعلم ـ الذي قلنا فيه: إنّه هو الكتاب المبين ـ مرآة الذات التي[5] قلنا فيها: [إنّها][6] أمّ الكتاب، والذات ظاهرة[7] فيها؛ لأنّ العلم هو أوّل ما تُعيِّن به الذات، فالذات هي أُمّ الكتاب من الحقائق[8] الإلهيّة، والعلم هو الكتاب المبين من الحقائق الكونيّة، فبين الذات والقلم مضاهاة من جهة الإجمال والكلّيّة، وكونِ الأشياء فيها علىٰ الوجه الكلّي، وكذلك بين اللوح والقلم مشابهة من جهة التفصيلِ، وظهورِ الأشياء فيها علىٰ الوجه الجزئي، فالقلم من هذا الوجه في مرتبة الكونيّة مرآة الذات، فما في الذات مندرِج علىٰ الوجه الكلّي والإجمال، فهو في القلم مودَّعٌ علىٰ الوجه الكلّي والإجمال، واللوح المحفوظ أيضاً من هذا الوجه في المرتبة الكونية مرآة القلم، فما في القلم علىٰ الوجه الجزئي والتفصيل، فهو في اللوح ظاهر على الوجه الجزئي والتفصيلي.

فلمّا علمت أنّ لعالم[9] الأمر كتاباً مجملاً ملقّباً بأُمّ الكتاب، وكتاباً مفصّلاً موسوماً بالكتاب المبين، والكتاب المجمل هو العقل، والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ، فاعلم كذلك [أنّ][10] لعالم الملك كتاباً مجملاً، وهو العرش، وكتاباً مفصّلاً و[هو][11]

---

(١) في الأصل: اندراج.

(٢) في الأصل: الذي.

(٣) في الأصل: انّ.

(٤) و (٦) إضافة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل: الذي.

(٧) في الأصل: ظاهر.

(٨) في الأصل: الحقّ.

(٩) في الأصل: العالم.

(١٠) إضافة تقضيها سلامة التعبير.

(١١) إضافة يقتضيها السياق.

الكرسي، فباعتبار اندراج ما يريد أن يفصّل في الكرسي ماكان في العرش مجملاً، يقال له: أُمّ الكتاب، وباعتبار تفصيل ماكان في العرش مجملاً في الكرسي يقال له: الكتاب المبين، فبين العرش والقلم مضاهاة من جهة الإجمال وكون الأشياء فيهما علىٰ الوجه الكلّي، وكذلك بين الكرسي واللوح مناسبة من جهة مُظهريّتهما، ومن جهة تقسيم الأمر الواحد فيهما بالقسمين، ومن جهة ظهور الأشياء فيهما علىٰ الوجه الجزئي والتفصيلي، فالعرش[1] من هذا الوجه في المرتبة الحسّية مرآة القلم، فما في القلم مندرج علىٰ الوجه الكلّي والإجمالي، فهو في العرش مندرج علىٰ الوجه الكلّي والإجمالي كذلك، والكرسي ـ أيضاً ـ من هذا الوجه في المرتبة الحسّيّة مرآة اللوح المحفوظ، فما في اللوح المحفوظ ثابت علىٰ الوجه الجزئي والتفصيلي، فهو في الكرسي علىٰ الوجه الجزئي والتفصيلي، فالقلم ـ المكنّىٰ بالعقل ـ أُنموذج الذات ومرآتها ومظهرها ومنصتها ومَجْلاها، واللوح ـ المسمّىٰ بالنفس ـ أُنموذج القلم ومرآته ومظهره ومنصّته ومجلاه، والعقل نسخة الذات، واللوح نسخة القلم، والعرش نسخة القلم، والكرسي نسخة اللوح، وأمّا الإنسان الكامل فهو نسخة جامعة لجميع النسخ، وهو المستخرج والمستنبط من الكلّ، وهو الجامع بين الإلهيّة والكونيّة، [فحيث][2] إنّ ذات الحقّ كتاب جُمليّ، وأُمٌّ جامع لجميع الكتب قبل تفصيلها، وعلمه تعالىٰ بنفسه كتاب تفصيليّ، مفصَّلٌ مبيَّن فيه ماكان في الذات مضمراً، كذلك الإنسان الكامل كتاب جُمليّ، وأُمٌّ جامع لجميع الكتب بعد تفصيلها، وعلمه بنفسه كتاب تفصيليّ، مفصَّل مبيَّن فيه ماكان في الإنسان الكامل مجملاً، فعلم الإنسان الكامل بذاته مرآة لذاته، ذاته ظاهرة فيه ومميّزة به، كما أنّ علم الحقّ بذاته مرآة لذاته، وذاته ظاهرة به متعيّنة به، فبين ذات الحقّ سبحانه وذات الإنسان الكامل، مضاهاة من جهة الكلّيّة والإجمال؛ وكون الأشياء فيهما علىٰ الوجه الكلّي والإجمالي، وبين علم الحقّ وعلم

---

(١) في الأصل: كالعرش.
(٢) في الأصل: «فلمّا».

الإنسان الكامل، مضاهاة من حيث مظهريّته لتفصيل ما أجمل، فالإنسان الكامل مرآة تامّة للذات بسبب[1] هذه المضاهاة، والذات متجلّية عليه علىٰ الوجه الكلّي والجُملي، وعلم الإنسان الكامل مرآة لعلم الحقّ، وعلم الحقّ متجلٍّ[2] عليه وظاهر به، فما في الذات مندرج علىٰ الوجه الكلّي، وما في علم الحقّ ظاهر علىٰ الوجه الجزئي والتفصيلي، فعلمه علمه، وذاته ذاته بلا اتّحاد معه، ولا حلول فيه، ولا صيرورة هو؛ لأنّها محال؛ لأنّ الاتحاد يحصل من الوجودين، وكذا الحلول والصيرورة، وماثمّ إلّا وجود واحد، والأشياء موجودة به معدومة بنفسها، فكيف يتّحد من هو موجود به ومعدوم بنفسه، ولو نسمع الاتّحاد[3] الذي قلنا فيه: إنّه يحصل من الوجودين؛ إذ ليس مرادهم بالاتّحاد إلّا شهود الوجود الواحد المطلق الذي الكلُّ به موجود، فيتّحد به الكلّ من حيث كون كلّ شيء موجوداً به ومعدوماً بنفسه، لا من حيث إنّ له وجوداً خاصّاً به الكلّ، فإنّه محال، ولهذا الوجود الواحد ظهور، وهو العالَم، وبطون وهو الأسماء، وبرزخ جامع فاصل بينهما؛ ليتميّز به الظهور من البطون، وهو الانسان الكامل، فالظهور مرآة الظهور، والبطون مرآة البطون، وماكان بينهما فهو مرآة جمعاً وتفصيلاً.

وإذا تقرّر هذا فلنرجع إلىٰ ماكنا بسبيله، فنقول: كما أنّ بين ذات الحقّ وذات الإنسان الكامل وعلم الحقّ وعلمه مضاهاة، وأنّ كلّ ما فيها مجمل فهو فيها مجمل، وكلّ مافيه مفصّل فهو فيها مفصّل، كذلك بين القلم وروح[4] الإنسان، واللوح وقلب الإنسان، والعرش وجسم الانسان، والكرسي ونفس الانسان، مضاهاة، وكلّ واحدٍ منهما مرآة لما يضاهيه، فكلّ[5] ما في القلم مجمل فهو في روحه مجمل، وكلّ ما في اللّوح مفصّل فهو في قلبه مفصّل، وكلّ ما في العرش مجمل فهو في جسمه مجمل، وكلّ

---

(١) في الأصل: لسبب.
(٢) في الأصل: متجلّي
(٣) الصحيح: ولو سمعنا بالاتّحاد.
(٤) في الأصل: الروح.
(٥) في الأصل: فلكلّ.

ما في الكرسي مفصّلٌ فهو في نفسه مفصّل.

إنّ الإنسان كتاب جامع لجميع الكتب الإلهيّة والكونية، كما قلنا في حقّ الحقّ: إنّ علمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء، وإنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته؛ لأنّه هو جميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً، فمن عرف نفسه فقد [عرف][1] ربّه وعرف جميع الأشياء، ففكرك يا ولدي فيك يكفيك، فليس شيء خارجاً منك،كلا.

قال أمير المؤمنين:

دَواؤُكَ مـنكَ ومـا تشـعُرُ	وداؤُكَ فـيكَ ومـا تُـبصِرُ[2]
أتـزعُمُ أنّكَ جُـرمٌ صـغير	وفـيكَ انطوىٰ العـالَمُ الأكـبرُ
وأنت الكـتابُ المـبينُ الذي	بأحـرُفِهِ يـظهرُ المـضمرُ

فلا حاجة لك من خارج، وفكرك فيك وما تفكّر، أما تسمع لقول[3] الحقّ عزّ وجل: (إِقْرَأْ كِتابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[4]، فمن قرأ هذا الكتاب فقد علم ماكان وماهو كائن وماهو يكون، فإن لم تقرأه[5] بتمامه فاقرأ ما تيسّر منه؛ ألا ترىٰ كيف يقول الحقّ سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي ٱلآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ)[6] وكيف يقول سبحانه: (وفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبصِرُونَ)[7]، وكيف يقول سبحانه: (الٓمٓ ذٰلِكَ ٱلْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ)[8] الألف يشاربه إلىٰ الأحديّة الذاتيّة؛ أي الحقّ من حيث هو أوّلُ الأشياء في أزل الآزال، واللام يُشار به إلىٰ الوجود المنبسط علىٰ

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل:

دَاوُك فيك وما تشعروا — دواؤك منك وما تُبصروا.

والصحيح ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: بقول.

(٤) الإسراء: ١٤.

(٥) في الأصل: تقرأ.

(٦) فصّلت: ٥٣.

(٧) الذاريات: ٢١.

(٨) البقرة: ١.

الأعيان، فإنّ اللام له قائمة، وهي الألف، وله ذيل، وهي دائرة النون، والنون عبارة عن دائرة الكون، فاتّصال القائمة بالذيل دليل انبساط الوجود علىٰ الكون، والميم يشار به إلىٰ الكون الجامع، وهو الإنسان الكامل، فالحقّ والعالَم والإنسان الكامل كتاب لا ريب فيه.

وكذلك قال اللّٰه تعالى: (قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ)[1]، فهذا يا ولدي هو الكتاب، وعلم الكتاب، وأنت الكتاب كما قلت، وعلمك بك علم الكتاب، (وَلا رَطْبٍ ـ أي عالم الملك ـ وَلا يَابِسٍ ـ وهو عالَمَ المكوّنات، ولا أعلىٰ منه ـ إلّا في كِتابٍ مبين)[2] وهو أنت.

وأما الكتاب الذي أُنزل علىٰ الإنسان الكامل فهو بيان المراتب الكلّية الجُمليّة والجزئية والتفصيلية الإنسانيّة، فهو بيان الكتاب، والإنسان الكامل مرتبة وحدته وجمعيّته، وقد فصّل مراتب تفصيله؛ لأنّه يبيّن الفرق بين مقاماته ومراتبه وأطواره وأدواره وذاته وصفاته وأفعاله؛ لأنّه يحكي عن الذات والأسماء والصفات والأفعال، وعن العوالم وأهلها، ومراتب العوالم وأهلها، وأحوال العوالم وأهلها في كلّ موطن من المواطن، وعن اقتضاء أهلها إجمالاً وتفصيلاً، وهذه تفاصيل مراتب الإنسان، وهو مجموع جمعها، فثبت أنّ هذا الكتاب معرّف الإنسان، ومبيّن المراتب[3] الكلّيّة والجزئيّة.

وإذا تقرّر هذا فاعلم: أنّ هٰذا الكتاب المنزل علىٰ الإنسان الكامل فاتحة تسمّىٰ بأُمّ الكتاب وجميع ما في الكتاب مفصّل فيها مجمل، وما فيها مجمل فهو في الكتاب مفصّل، والفاتحة في البسملة، والبسملة في الباء، والباء في النقطة مندرجة، فهي في أُمّ الكتاب وجميع الكتاب كائن فيها؛ الحروف المقطّعات والمتّصلات والألفاظ والكلمات والسور والآيات، والكتاب عبارة عن انبساطها وتعيّنها بجميعها،

---

(١) الرعد : ٤٣.
(٢) الأنعام : ٥٩.
(٣) في الأصل: مراتب.

واندراج الكلّ فيها عبارة عن عدم انبساطها؛ إذا ما ثَمَّتَ شيٌ غيرها، فمن عرف ما قلنا، كقوله تعالىٰ: (أَلَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً)[1]، فمدُّ الظلّ عبارة عن انبساط النقطة الوجوديّة وتعيّنها بتعيّنات الحروف والكلمات الإلهية والكونيّة، والسكون عبارة عن عدم انبساط النقطة الوجودّية وتعيّنها بتعيّنات الحروف الإلهيّة والكونية وبقائها علىٰ بساطها المنبتة عليها في قوله تعالىٰ : (كنتُ كنزاً)، فهذه النقطة البائيّة إشارة إلىٰ النقطة الوجودية، وباء البسملة إشارة إلىٰ أُمِّ الكتاب الثاني، وهو القلم، ولا ريب أنّه كان فيها مندرجاً، والبسملة إشارة إلىٰ أُمّ الكتاب الثالث، وهو العرش، ولاشكّ أنّ العرش كان مندرجاً في العقل الذي هو القلم، والفاتحة إشارة إلىٰ أُمّ الكتاب المبين الجامع، وهو الإنسان، ولاشكّ أنّ الإنسان قبل ظهوره، كان مندرجاً في جميع المراتب كاندراج الكلّ فيه بعد ظهوره، وانبساط النقطة في ذاتها إشارة إلىٰ الكتاب[2] المبين الأوّل، وانبساط الباء بالسين إشارة إلىٰ الكتاب[3] المبين الثاني، وتفصيل حروف البسملة وتداخل بعضها في بعض إشارة إلى الكتاب[4] المبين الثالث، وتكرار ما في البسملة في الفاتحة فتناظر بعضها للبعض إشارة إلىٰ الإنسان الكامل وبيان جميع القران عين الفاتحة إشارة إلىٰ مراتب العالم وأجزائها، فافهم.

وإذا تقرّر هذا فاعلم: أنّ الفاتحة تنقسم بقسمين وتنصّفُ بنصفين، وثالثها جامعها كما روىٰ...[5] ـ رضي اللّٰه عنه ـ عن النبيّ ـ صلّى اللّٰه عليه وسلّم ـ (من صلّىٰ صلاة لم يقرأ فيها أُمّ الكتاب فهي خِداج[6]، أي غير تمام[7]، فقيل لأبي هريرة ـ

---

(١) الفرقان : ٤٥ .   (٢) و (٣) في الأصل: كتاب.
(٤) في الأصل: كتاب.
(٥) هنا بياض في الاصل، والظاهر أنه «أبو هريرة» بقرينة ما سيأتي.
(٦) أي ناقصة.
(٧) كذا، والظاهر أنها تفسير منه، والصحيح: غير تامّة.

رضي اللّٰه عنه ـ: إنّا نكون وراء الإمام. قال اقرأها في نفسك، فإني سمعتُ[١] النبيّ ـ صلّىٰ اللّٰه عليه وسلّم ـ يقول: قال اللّٰه تعالىٰ جلّ شأنه: قسّمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ماسأل، فإذا قال العبد: الحمد للّٰه ربّ العالمين، قال اللّٰه تعالىٰ: حمدني عبدي، فإذا قال: (ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ) قال اللّٰه تعالىٰ: أثنىٰ عليّ عبدي، وإذا قال: (مالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) قال اللّٰه تعالىٰ: مجدّني عبدي، وإذا قال: (إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعينُ) قال اللّٰه تعالىٰ: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (إِهْدِنا الصِّراطَ ٱلْمُسْتَقِيمِ صِراطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا ٱلضّالِّينَ) قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل من أوّلها إلىٰ (مالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) متعلّق بالحق الصرف، ومن (إِهْدِنا) إلىٰ آخر الفاتحة متعلّق بالعبد الصرف، و (إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ) فتعلق بالحقّ والعبد.

ولتحقّق هذه[٢] الأقسام الثلاثة وتبيّنها رسمنا دائرة، وقسّمناها قسمين[٣] بسبب خطّ مارّ بينهما، وجعلنا قسماً للحقّ، وقسماً للعبد، وقسماً جامعاً بينهما، وهي هذه:

جبروت

ملكوت	ملك

واعلم أنّ هذه الدائرة الكلّيّة مشتملة علىٰ جميع الموجودات: جبروتها وملكوتها وملكها وما بينهما، وما يتعلّق بالحقّ منها يسمّىٰ بالجبروت، وما يتعلّق بالعبد ينقسم إلىٰ قسمين[٤]: قسم يسمّىٰ بالملكوت، وقسم يسمّىٰ بالملك، فإنّ للعبد روحاً وجسماً؛ روحه شامل للملكوت[٥]، وجسمه شامل للملك[٦]، وما يتعلق بالحقّ

---

(١) في الأصل: «سمعت قال النبّي ...»، ولا يخفىٰ زيادة كلمة «قال» هنا.

(٢) في الأصل: «هذا».

(٣) في الأصل: «بقسمين».

(٤) في الأصل: «بقسمين».

(٥) في الأصل: «بالملكوت».

والعبد معاً سُمّي بالحقيقة الكلّيّة الإنسانيّة، والقسم الذي يتعلّق بالعبد كلّما قسم بقسمين، ويسمّىٰ كلّ بما يليق بهم؛ لذلك خصّص قسم بأهل السعادة والهداية، وهو من (إهْدِنا الصِّراطَ ٱلْمُسْتَقِيمِ صِراطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، وقسم بأهل الشقاوة والضلالة، وهو من (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) إلىٰ آخره؛ وذلك لأنّ عالم الجبروت جامع للجمال والجلال، ولابدّ أن يكون لهما مظهران؛ ليظهر بهما أحكامهما وأخلاقهما وأعمالهما، ولهما الجنّة والنار، ومجموع ذلك مندرج في القسم الذي يتعلّق بالعبد.

وأما القسم الذي يتعلّق بالحقّ والعبد معاً ـ الذي سُمّي بالحقيقة الإنسانيّة ـ فهو مرتبة أهل الكمال، ومقام المطّلع، ومنزل الإشراق علىٰ الأطراف، وموقع الأعراف، وفيه رجال، كما قال اللّه تعالىٰ: (وَعَلَىٰ ٱلْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيماهُمْ)[٧]؛ لأنّهم محيطون بالكلّ[٨]، ولهم الكمال المتعلّق بالذات، والجمال والجلال مندرجان في الكمال، وأرباب هذا الموقف العارفون الموحّدون.

فإذا تقرّر هذا فاعلم: أنّ في البرزخ يتّصف الحقّ بصفات العبد: من الضحك، والبكاء، والبشاشة، والفرح، والمكر، والاستهزاء، والمرض، والجوع، والعطش... وما أشبه ذلك، والعبدُ يتّصف بصفات الحقّ: من الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإحياء، والإماتة، والانبساط، والقبض، والتصرّف في الكون والأكوان... وغير ذلك، فهذا البرزخ هو مرتبة نزول الربّ ليتّصف الربّ فيها بصفات الربّانية، فهي العماء المذكور في الحديث المشهور، ولو لا أنّي أخاف من التطويل والإعراض عن التوجّه لبسطتُّ في هذه المرتبة البرزخيّة العمائيّة وأسرارها، فأخذتُ لذلك[٩] عنان الكلام، واكتفيتُ بما[١٠] يليق بهذا المختصر.

فثبت علىٰ ما قرّرنا: أنّ فاتحة الكتاب الجامعة لجميع المراتب والعوالم التي هي الكتاب أو الكتب، وجميع المراتب والعوالم فيها مندرجة، ولذلك سُمّيت بأمّ الكتاب.

---

(٦) في الأصل: «بالملك». (٧) الأعراف: ٤٦.

(٨) في الأصل: «علىٰ الكلّ».

(٩) يُحتمل في الأصل: «كذلك» ولكن الظاهر أنّها صُحّحت بما أثبتناه.

(١٠) في الأصل: «علىٰ ما».

وأما البسملة الموسومة بأُمّ الفاتحة، وهي ـ أيضاً ـ علىٰ قسمين: قسم منها يتعلّق بالذات، وهو «اللّٰه»، وقسم يتعلّق بالصفات وهو «الرحمٰن الرحيم»، وما بينهما وهو جامعُ القسمين وقابلُهما، وهما فيه جميع، وهو «اللّٰه».

وإن شئت أن ترسم دائرة فارسم، واجعلهن قوسين بسبب تخطيط[1] خطٍّ مارٍّ في وسطها فأثبت الـ «بسم» في القوس الأيمن، و «الرحمٰن الرحيم» في القوس الأيسر، و «اللّٰه» في البرزخ لأنها اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات والأسماء، وهي برزخ من حيث جمعيّتها[2] للقسمين.

---

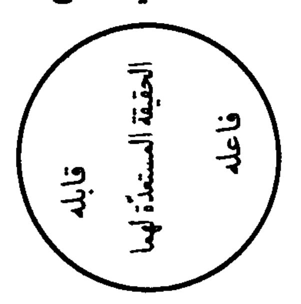
(١) كذا، والمناسب: «رَسْم».

(٢) كذا، والمناسب: «جامعيتها».

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ البسملة ـ أيضاً ـ مشتملة علىٰ ثلاثة أسماء، وهي: اللّٰه، والرحمن، والرحيم.

أمّا «اللّٰه» فهو مشتمل علىٰ جميع الأسماء الفاعلة والقابلة والحقيقة المستعدّة للفاعليّة والقابلية، فارسم فيها[1] دائرة أُخرىٰ كما قلت، وأثبت الفاعلة في اليمين، والقابلة الأيسر[2]، والحقيقة المستعدّة لهما في البرزخ، كما تراه فاشهد:



الرحمن[3]: فهو اسم للحقّ باعتبار انبساط الوجود وعلىٰ الإنسان، والرحيم اسم له باعتبار اختصاصه من كلّ عين بحصّة[4] من حصّص الوجود، فالحقّ بنفسه يرحم برحمته الامتنانيّة العامّة المخصوصة بالرحمن، وبالرحمة الوجوديّة الخاصّة المتّصلة بالرحيم يريد ظهور المرحوم؛ ليظهر به رُحْمَةُ بأعمال المرحومين عند عطاء الجزاء برحمته، فوقعت نسبة الرحميّة بين المنتسبين، وهما الرحيم والمرحوم، فافهم.

---

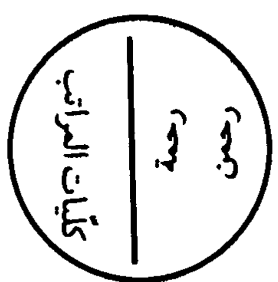
(١) كذا، والمناسب: «لها».

(٢) كذا، والصحيح: «في اليسار».

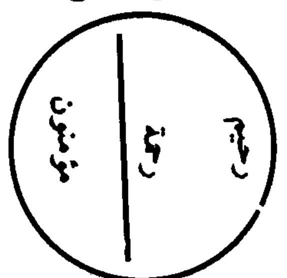
(٣) كذا، والمناسب: وأمّا «الرحمن».

(٤) في الأصل: «يخصّه».

فإذا فهمت فأدر دائرة اسم «الرحمن»، وافعل فيها ما فعلت في غيرها، وأثبت اسم الرحمن في القوس الأيمن، وكلّيّات المراتب في الأيسر؛ لأنّ رحمة الرحمن وسعت كلّ شيء، وكلّ من وسعت رحمتُه إياه[1] فهو مرحومٌ، وأثبت الرحمة في البرزخ كما تراه:



وافعل في «الرحيم» ما فعلت في الرحمن، إلاّ أنّ رحمة الرحيميّة وجوبيّة متعلّقة بالعمل، فمرحومها المؤمنون الذين يعملون الصالحات، فأثبت الاسم «الرحيم» في الأيمن، وأسماء المؤمنين في اليسار، والرحمة في البرزخ كما تراه:



وهذا باعتبار حكم الأصول سيرىٰ في الفروع لكلّ حرفٍ من حروف البسملة والفاتحة ولكلّ سورة إجمالاً، ولآياتها وكلماتها وحروفها تفصيلاً، دائـرة مـقوّسة بقوسين وبرزخ جامع بينهما، وذلك لا يسعه هذا المختصر[2] ولا جميع[3] العالم، كما قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كانَ ٱلْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفَدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي

---

(١) كذا، والصحيح: «ووكلّ من وسعته رحمته فهو مرحوم».

(٢) في الأصل: «لا تسعُ في هذا المختصر». (٣) في الأصل: «ولا في جميع».

وَلَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً)[١] فاكتفينا بما[٢] رقمنا، ووقفنا عند ما قصّينا[٣]، والله يقول الحقّ، وهو يهدي السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا محمد سيّد النبيّين والمرسلين وعلىٰ آله واصحابه اجمعين.

كتبه عبد الله جمال الدين الأفغاني الكابلي

في بلدة قندهار في يوم الأحد ٢ شهر ذي الحجّة الحرام سنة ١٢٨٣*

---

(١) الكهف : ١٠٩.　　(٢) في الأصل: «علىٰ ما».

(٣) كذا، والصحيح: «ووقفنا علىٰ ما قصصنا».

(*) في الهامش : در شهر رجب در شهر استنبول در قرب جامع فاتح در محل مكتب نشستهام. سنة ١٢٨٨.　　جمال الدين الحسيني.

در شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٢ در محروسه مصر قرب قلعه مشغول تدريس فلسفه ميباشم.



الواردات

في

سرّ التجليّات



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواجب وجوده، العامّ جوده، والصلاة والسلام علىٰ نبيّنا أحكم حكماء العالم، ومن هو للنبيّين[1] الإلهيّين خاتم، سيّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

أمّا بعد: فيقول محمد عبده بن عبده بن حسن خير الله، الناشئ بإقليم مصر بـ «خِطّة البحيرة» بقرية تسمّىٰ محلّة «نصر»، خادم خدمة الحكماء، المُعرِض عن نحو الكلام والكلمة، المتخلّي عن قيد لباس الطوائف، إلىٰ فضاء اقتناص صيد المعارف:

إنّي كنتُ مشتغلاً بطلب العلوم، فبينما أنا حول الارض[2] أحوم؛ إذ عثرت بآثار العلوم الحقيقيّة فشغفت[3] بها حُبّاً، ولكن لم أجد من هي له طويّة، فحرتُ في أمري، وأخذت أُجيل فكري، وكلّما سألت أجابوني، أنّ الاشتغال بها حرام؛ أو[4] قد نهىٰ عنها علماء الكلام، فتعجّبتُ شدّة العجب، وغفلة الناقلين أعجب، وتفكّرتُ في سبب ذلك، فرأيته أنّ من جهل شيئاً عاداه، ومَن أخلد عن العُلىٰ يأباه، فوجدتهم كمن علك بلسانه ورق العنّاب، فلا يدري مرارة الحنظل ولا حلاوة العسل، وبينما أنا كذلك إذ أشرقت شمس الحقائق، فوضح لنا بها رقائق الدقائق؛ بوفود حضرة الحكيم الكامل والحقّ القائم، أُستاذنا السيّد جمال الدين الأفغاني، لا زال لثمار المعالي[5]

---

(١) في بعض النسخ : «لأساطين».

(٢) في بعض النسخ : «الرياض».

(٣) في المخطوطة: «فَهِمْتُ» .

(٤) في بعض النسخ : «إذ».

(٥) في بعض النسخ: «العلوم».

جاني[1]، فرجوناه في شيء من ذلك، فأجاب ـ طال بقاؤه ـ علىٰ ذلك، وكان ذلك في سنة تسعين ومأتين بعد الألف، فنلنا بذلك طرائف التُّحف، فأومأ إلينا بكلّيّات هذه جزئيّاتها، وآيات هذه بيّناتها، وذلك علىٰ فترة من الحكمة، فهو غيث أُرسل لإحياء تلك النعمة، وسمّيتها بـ«الواردات في سرّ التجلّيات»، فأقول وبالله التوفيق:

(١) كذا ما تقتضيه ضرورة السجع، والصحيح: «جانياً».

واردة

كثيراً ما قرع سمعك لفظ «الممكن»، وكأنّك ما فهمت مدلوله، أو شنّفوا سمعك: بأنّ الممكن ما يحتاج إلىٰ غيره في الوجود، أو ما لا يترجّح وجوده علىٰ عدمه إلّا بمرجِّح، ونحو ذلك من الألفاظ المترادفة، لكنّك لا تدري خارج هذا المفهوم، كسامع لفظ «الماهيّة» لا يدري علىٰ أيّ الأفراد صدقت، فسفينة فكره في بحر التعيين غرقت، فاسمع قولاً قليلاً في ذلك:

لعلّك تدري أنّ المقيّد ذات مطلقة، قد ضُمّ إلىٰ تلك الذات قيد، فالمقيّد أمر مركّب من قيد وذات مطلقة قيّدت بذلك القيد، فللقيد مفهوم، وللمقيّد مفهوم، ولكلٍّ ما صدق، وللمجموع ما صدق، ولا يصحّ اتّحاد شيء منها مع الآخر في الما صدق أو المفهوم وإلّا لما صحّ التقييد؛ إذ لسنا نعني بالقيد الوصف الصادق، كالناطق في الحيوان الناطق، بل نعني به مبدأ ذلك الوصف، الذي يعبّرون عنه: تارة بمبدأ الاشتقاق، وتارة بالوصف القائم، فإذا نظرت إلىٰ نفس القيد ونفس الذات المطلقة وجدت كلّاً منهما مستقلّاً بالثبوت بالنسبة إلىٰ المجموع، أي لو قطعت النظر عن تركّبهما لوجدت لكلٍ ثبوتاً في نفسه مفهوماً وما صدقاً، وإذا نظرت إلىٰ الكلّ المركّب منهما ـ وهو الذي تسمّيه بالمقيّد ـ نظراً ذاتياً، مقطوعاً فيه النظر عن شيء من الذات والقيد، لم

يكن له ثبوت[1] في ذاته؛ إذ متىٰ قطع النظر عن شيء من الذات المطلقة وقيدها، فقد انعدم المركّب؛ لانعدام الكلّ بانعدام شيء من أجزائه، فإذن المجموع محتاج في تحقّقه إلىٰ كلٍّ من المطلق، والمقيّد وانضمام كلٍّ منهما إلىٰ الآخر، بل ليس المركّب إلّا عبارة عن هذا، فليس ثبوته إلاّ ثبوت كلٍّ مع التركيب، فليس للمقيّد في ذاته استقلال، بل هو في اعتباره مستند إلىٰ كلٍّ من الذات والقيد، بل اعتباره عين اعتبارهما، بخلاف كلٍّ منهما.

ولنضرب لك الأمثال؛ كيلا يلتبس[2] عليك المقال، فانظر فيما بين يديك من البيت المركّب من الأضلاع الأربعة، فإنّ كلّ ضلع لو بني بدون انضمام بقيّة الأضلاع إليه لكان قائماً بذاته موجوداً، وكذلك أجزاء الضلع المركّب هو منها كالأحجار والجصّ مثلاً، فإنّ كلّ واحد منهما بدون أن يُركّب مع الآخر موجود في ذاته، لا يحتاج إلىٰ تركّبه مع الآخر، وكذا الجصّ أو الحجر بالنسبة إلىٰ أجزائه التي بها قوامه، ولكن ليس للبيت وجود إلّا بالأضلاع الأربعة، ولا للضلع إلّا بالحجر والجصّ ـ مثلاً ـ ولا للجصّ بدون ما يقوّمه، فإذا وجد كلٌّ من الأجزاء منضماً إلىٰ الآخر فهو المركّب، فليس المركّب إلّا الأجزاء مع هيئة اعتبارية لتلك الأجزاء، بل ليس المركّب إلّا هذه الهيئة الاعتباريّة؛ أي فيكون اعتباراً من اعتبارات الأجزاء، ووجودها هو وجوده، لكن بقيد الانضمام علىٰ وجه خاصّ، فافهم.

ومثل هذا يقال في الأمور المعقولة، كالعقول والنفوس، فإنّها ذوات منضمّة إلىٰ مبدأ التمايز بينها وبين غيرها، فأنت إذا نظرت إلىٰ مطلق الذات وجدت ثبوته في ذاته؛ أي بقطع النظر عن كونه عقلاً أو نفساً، وكذا مبدأ التمايز لا يتوقّف ثبوته في ذاته علىٰ كونه لعقل أو نفس؛ أي يصحّ النظر إليه في ذاته بالنسبة[3] إلىٰ العقل أو

---

(١) في الأصل: «ثبوتاً»، والصحيح ما اثبتناه.

(٢) في الأصل: «يلبس»، وفي بعض النسخ: «يلبث»، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: «في ذاته بالنظر لنسبة الي»، والصحيح ما أثبتناه.

النفس، بخلاف العقل أو النفس، فليس يصحّ اعتباره وجوداً إلّا بوجود كلٍّ من الذات ومبدأ الامتياز، وليس يصحّ لك أن تقول: يجوز أن يكون مبدأ الامتياز هو الذات المطلقة، فإنّ هذا يُنافي التقييد بالقيد الخاصّ؛ إذ المطلق لا يقتضي لذاته قيداً معيّناً لاستواء القيود بالنسبة إليه، فلابدّ من انضمام شيء إليه حتّىٰ يتميّز بالمميّز الخاصّ، وذلك معلوم.

فقد علمت أنّ كلّ مقيّد فهو محتاج إلىٰ المطلق والقيد، فهو معدوم في ذاته، فلا يترجّح وجوده علىٰ عدمه إلّا بمرجّح، والمطلق الذي لا قيد فيه بوجه من الوجوه ليس بممكن؛ إذ[1] لا يفتقر إلىٰ موجد، وإلّا لكان قيداً له، فكلّ مقيّد ممكن، وكلّ ممكن مقيّد، ولا شيء من المطلق الحقيقي بممكن.

فيا أيّها المقيّد بقيد التقليد: إخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس، واخرج عن غياهب ظلمات جهلك، فَفَلَقُ الصبح قد تنفّس.

---

(١) الكلمة في الأصل غير واضحة، فأثبتناها استظهاراً.

واردة

تسمعهم مرّة يقولون: ثبوت الواجب بديهيّ لا يحتاج إلىٰ البرهان، ثمّ يعارضون منكريه[1]، ويزعمون أنهم ينبّهون عليه، ومرّة يقولون: بأنه نظريّ يحتاج إلىٰ الدليل، ويستدلّون عليه ببراهين مبنيّة علىٰ مقدّمات مسلّمة فيما بينهم يمجُّها الذوق السليم، وينبو عنها الفكر المستقيم، فاسمع[2] ما ينفعك في ذلك.

من المعلوم: أنّ الممكن يحتاج إلىٰ مرجّح[3] في الوجود؛ لما أنه ليس له من ذاته وجود، كما سمعت في الفصل السابق، ووجوب افتقاره إلىٰ الموجد مستلزم لاستحالة وجوده من العدم الصِّرف.

بيان الملازمة: أنّ صدور المعلول عن العلّة يستدعي نسبة خاصّة بين المعلول والعلّة[4]؛ حتّىٰ يصحّ صدور المعلول عن العلّة[5] إذ لو لم يكن بينهما تعلّق وارتباط، وجميع الأشياء بالنسبة إلىٰ العلة علىٰ السواء، لكان صدور هذا المعلول دون بقيّة

---

(١) في الأصل: يعارضون مع منكريه.

(٢) في الأصل : «فأنفع سمع»، الأصح ما أثبتناه من نسخة أخرىٰ .

(٣) في بعض النسخ : «المرجّح».

(٤) تجنّباً للتكرار ينبغي أن تكون العبارة هكذا: يستدعي نسبة خاصّة بينهما.

(٥) الكلمة غير واضحة، فأثبتناه استظهاراً.

الأشياء عنها ترجّحاً[1] بلا مرجّح، وهو محال، وأيضاً لو لم يكن بينهما نسبة لكانا متباينين تبايناً تامّاً، فلو وجد المعلول لوجد بدون ربط بينه وبين آخر، فقد وجد بدون موجِد. هذا خُلْف.

فلابدّ بين المعلول والعلّة من النسبة والعلاقة الخاصّة[2]، وإذا قلنا بوجوب النسبة والتعلّق فلأنّ التعلّق والنسبة لا تتحقّق إلاّ بين طرفين، لابدّ من وجود الطرفين[3] حتىٰ يتحقّق منشأ النسبة، فلا بدّمن وجود المعلول مع العلّة لتحقّق النسبة الموقوفة عليها العليّة، فقد وجد الممكن قبل تحقّق العليّة بالمرتبة، فوجد قبل وجوده. هذا خُلْف.

وبالجملة: فالبداهة قاضية بأنه لا نسبة بين الوجود والعدم الصِّرف، وأيضاً قولك: بأنّ الشيء موجود من العدم إذا كان حقيقيّاً، فلابدّ أن يكون العدم أيناً له أو متىٰ أو جوهراً، موضوعاً أو مادّة... إلىٰ آخر الوجوديّات الممكنة، فيلزم وجود العدم والمعدوم. هذا خُلْف.

فإذن حدوث شيء من العدم الصرف محال، وهذا حكم بديهيّ نبّهناك عليه.

فإذن جميع ما صدق عليه مفهوم الممكن محتاج إلىٰ علّة ليست تلك العلّة مباينة له بالمرّة، وتلك العلّة تنتهي إلىٰ مرجّح خارج عن ماهيّة الإمكان، وهو الواجب الحقيقي الذي وجود لذاته، وكلّ مقيّد فهو محتاج إليه، وهو منتهىٰ التقييدات ومرجعها، ﴿إِلَيْهِ يرجع الأمر كلّه﴾، ومع كون المعلول ليس مبايناً، كذلك ليس عين العلّة، ولكن طور من أطوارها، [و][4] شأن من شؤونها، لا وجود له إلّا وجودها.

فتبيّن: أنّ كلّ ممكن فهو اعتبار من اعتبارات علّته، ليس له وجود الا وجودها، فإذن ليس في الوجود الحقيقي الذاتي إلا ذات مطلقه واحدة، لا تعدد. فيها إلّا بتعدّد

---

(١) في الأصل: «ترجع»، والصحيح ما أثبتناه. (٢) في الأصل: «والخاصّة».
(٣) كذا، والمناسب: من وجودهما. (٣) و (٤) إضافة يقتضيها السياق.

اعتباراتها، [و][1]، لا تقيّد فيها بوجه من الوجوه، وهو واجب الوجود، فافهم.

فليس في الإمكان أوسع من هذا البيان، وتوضيح الواضح مشكل، فالحقّ بين يديك ظاهر، فلا تشغل فكرك بإبطال التسلسل، فهو يحتاج إلىٰ أوهام ملء[2] الأكوان.

---

(٢) في الأصل: «ملا».

واردة

لا تستبعد أنّ المعلول شأن من شؤون علّته، فإنّك تغفل عن كون البيت شأناً لأجزائه واعتباراً من اعتباراتها، والشجرة طور الحبّة وشأن من شؤونها، والأمواج طور للبحر وشأن من شؤونه، وهكذا جميع الأُمور، والعجب للمتكلّمين والحكماء المقلّدين (لما عجزوا عن الارتقاء إلىٰ درجة الكمال كيف اتخذوا الأعدام سُلّماً لتطلع الحقيقة)[1]، ويزعمون أنّ هذا تنزيه لحضرته، ولكن نحن نقول ليس وجود إلاّ وجوده ولا وصف إلاّ وصفه، فهو الموجود وغيره المعدوم.

قال الأُمراء الأوّلون رضي اللّٰه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ: «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت اللّٰه قبله أو بعده أو فيه أو معه». كلّ واحد ينسب إلىٰ واحد منهم، ولا يقعن في وهمك أنّ هذا قول بالحلول، فإنّ الحلول إنّما يكون بين وجودين: أحدهما حالّ في الآخر، ونحن نقول: لا وجود إلّا وجوده.

تنبيه

أظنّك في هذه الكلمات تحقّقت: بأنّ هذا الواجب واحد؛ إذ لو كان واجبان لكان كلّ منهما ممتازاً عن الآخر، وإلّا كان عينه، وامتيازه إنّما يكون بقيد ليس في الآخر، فيكون مقيّداً، فيكون ممكناً هذا خُلْف.

وقد يستدلّ علىٰ استحالة تعدّد الوجود مطلقاً، وأنه ليس إلّا وجود واحد: بأنه

---

(١) في الأصل: «كيف ركبّوا الإله له من جميع القيود العدميّة»، والأصحّ ما أثبتناه من نسخة أخرىٰ.

لو كان هناك وجودات: فإمّا لا امتياز بينها، فيلزم كون الاثنين واحداً. هذا خُلْف.

وإمّا بينها امتياز، فإمّا بوجود مغاير لها، فننقل الكلام إليه، ونطلب المميّز له عنها... وهكذا، فيتسلسل، وهو محال.

وأيضاً لو كان كذلك لزم أن يكون لشيء واحد مميزات غير متناهية، لكلٍّ منها مميزات غير متناهية، والبداهة، والبداهة مشاهدة ببطلانه[1].

وإمّا بعدم[2] فيلزم امتياز الوجود بالعدم، والعدم لا تميّز له في ذاته حتّىٰ يميّز غيره. هذا خُلْف.

فإذن ليس هناك إلّا وجود واحد حقيقي لا قيد فيه بوجه من الوجوه، والكلّ نِسَبُهُ. وهذا معلوم مما سبق.

---

(١) هنا في الأصل كلمة غير مقروءة لا تُخلّ بالمعنىٰ.

(٢) عطف علىٰ قوله قبل أسطر: فإمّا بوجود مغاير لهما.... .

واردة

كأنّك تدرك أنّ الكمال هو الوجود، وأنّ النقص هو العدم، فإنّك تعلم أنّ كلّ شيء لو بلغ غايته فيما يلزم لذاته ـ في جميع أحواله من حيث ذاته ـ فهو الكامل، وكلّما لم يكن كذلك فهو الناقص؛ على قدر درجته في عدم بلوغ غايته، فإن ترتّب علىٰ شيء نقص في آخر، فالشيء كامل، والآخر ناقص، وقيل للشيء: ناقص[1]، لا لأنه ناقص في ذاته، ولكن من حيث لزم عليه ما هو نقص، وهو العدم، وذلك سهل عليك تحصيله، فإن أوردنا المثال يطول المقال، والمقام ضيّق.

إذا تحصّل عندك هذا فقد عرفت: أنّ كمال الشيء بقدر ماله من جهات الوجود، ونقصه بقدر ماله من جهات العدم، فهلّا تحقّقت من هذا: أنّ ما هو وجود الكلّ ـ الذي لا وجود إلّا من وجوده، بل لا وجوده إلاّ وجوده، وكلّ ما سواه عدم ـ هو الكمال لذاته؛ حيث لا عدم له في شيء من جهاته، وأنّ كلّ كمال فهو بروز كماله، وكل نقص فهو عدم، والعدم غيره، فهو الكمال، وغيره النقصان (تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَام) (سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون)[2].

ولعلّك تميل إلىٰ التنزّل عن هذا المقال، فنقول: وصف شيء بشيء يقتضي أن

---

(١) في بعض النسخ: «نقص». (٢) الصافّات: ١٨٠.

يكون ذلك الشيء منشأ لذلك الوصف أو في ذاته ما هو كـذلك؛ وذلك لأنّ جمـيع الصفات بالنسبة إلىٰ جميع الذوات من حيث هي صفات وذوات مستوية، فما لم يكن في ذاته مقتضي صفة لا يتصف بتلك الصفة، وإلاّ لزم اتصافها بجميع الصـفات، أو الترجّح بلا مرجّح، وصفات الواجب وكمالاته منشؤها. إمّا ذاته أو في ذاته، والثاني باطل؛ لعدم التركيب فيه، فمنشؤها ذاته، فهو كامل لذاته، بل كمال لذاته، وحديث الغير باطل لا يُسمع؛ إذ لا غير إلّا منه، فكيف يرجع المعلول علىٰ علّته بالعلّية.

واردة

واجب الوجود عالم: لمّا أشرقت في قلبك أنوار وجوده وأنه الحقّ، وكلّ ما سواه محتاج إليه في الوجود، وكلٌّ من ظهور ذاته، فيجب لك بذلك إدراك أنه عالم، وذلك لما تراه من الإحكام والترتيب وملاحظة الدقائق ورعاية المصالح، كما هو مشاهد في كلّيّات العالم، وكما تعلمه إذا أطّلعت علىٰ علم تشريح الحيوان والنبات والأرض ممّا يطول بسطه، وفي ترتيب المسبّبات علىٰ أسبابها، فأعطِ كلّ شيء حقّه، وأنزله منزلته، إذا نقص السبب نقص المسبّب، وإذا كمل كمل، وإذا زال زال، فلا يليق بك مع شهود هذا الإحكام أن تنكر علمه.

وأيضاً هلا تبيّن لك فيما سبق: أنّ مظاهر الممكنات طلسم ذاته وصفاته، ألا إنّ العلوم من الممكنات الظاهرة، فهي طِلَسْم لعلمه الحقيقِ، فعلمك طِلَسْم، وعلمه باطنه، فهو العالم، وعلمك علىٰ ذلك شهيد، والعالم بغيره أولىٰ أن يعلم ذاته.

وأيضاً لما كان الحقّ هو الوجود من كلّ جهة، والجهل عدم محض، فيستحيل عليه الجهل، ويجب له العلم، فهو العالم بذاته لذاته وكل ما نشأ عن ذاته.

واردة

قال مقلّدو الحكماء وإليه ذهب رئيسهم: إنّ علم الباري تعالىٰ بالكلّيّات بارتسام الصور في ذاته.

فنقول: إن قلتم بأنّ العلم هو نفس تلك الصور:

أوّلاً: يلزم أن يكون علم الباري تعالىٰ زائداً علىٰ ذاته، وهو من كمالاته، فيكون الباري كاملاً بغير ذاته، والكامل بغيره ناقص لذاته.

وثانياً: لا يصحّ لعاقل ـ فضلاً عن حكيم ـ أن يقول: بأنّ مجرّد الصورة في شيء علمُ ذلك الشيء لصاحب تلك الصورة وإلّا لكان الجدار عالماً بالأسد المرسوم صورته عليه.

وثالثاً: هذه الصور أمر طارئ[1] علىٰ الذات؛ أي زائد عليه: فإمّا قديمة بالذات، وهو محال؛ لاستحالة تعدّد واجب الوجود.

وإمّا حادثة عن الذات، فيلزم أن لا يكون الذات عالماً قبل تلك الصور بالمرتبة، فقد كان الجهل جائزاً عليه لذاته مستحيلاً لغيره.

وأيضاً يلزم قيام حوادث لا نهاية لها بذاته تعالىٰ.

هذه صور علىٰ أنحاء شتّىٰ بنظام وترتيب معتبر، تستدعي علم صانعها، فيلزم أن يكون عالماً قبلها، لا بها. هذا خُلْف.

---

(١) في الأصل: «طارٍ» بالتخفيف.

علىٰ أنه لو كان عالماً قبلها:. فإمّا بصور لتلك الصور، ونـنقل الكـلام إليهـا.. وهكذا، وهو ظاهر البطلان.

وإمّا بعلمه بذاته الذي هو عين ذاته لاستدعاء العلم بـالعلّة العـلم بـالمعلول، فليكن علمه كذلك.

وإن قلتم: بأنّ علمه شيء آخر غير تلك المصور، فإن كان غير ذاته نتكلم فيه مثل الأوّل، وإن كان عين ذاته فهو علمه بذاته، فلا معنىٰ للقول بارتسام الصور في ذاته تقدّس عن ذلك.

واردة

في علمه بالجزئيّات: لمّا كان تحقيق الحقّ موقوفاً علىٰ نفي ماعداه، أردنا نقل ما وصل إلينا من المذاهب في تلك المسألة، فنقول:

كثر النقل عن الشيخ الأشعري رضي اللّٰه عنه في ذلك، ومع ذلك ماتقرّر رأي الناقلين علىٰ شيء يعتمد عليه في ذلك، بل كلّما نقلوا قولاً أكثروا فيه من القيل والقال، واختلفوا في فهم معناه، ونحن نأخذ بما اشتهر من مذهبه: وهو أنه يعلم الجزئيّات.

فنقول: إن أراد أن يعلمها بوصف الجزئيّة فذلك بما يكون بعد وجودها الخارجي؛ إذ الشيء مالم يوجد في الخارج لم يتشخّص، والصور العقليّة وإن قيّدت بألوف القيود[1] لا تمنع الصدق علىٰ الكثير، فهي كلّيّة، فإن كان علمه كذلك أزليّاً:

أوّلاً: لزم أن يكون جميع الجزئيّات الحادثة موجوداً في الأزل، وهو باطل.

وثانياً: مجرّد حضور الشيء عند الشيء لا يكفي في كونه عالماً به فلا بدّ من طروّ شيء من المعلوم علىٰ العالم حتىٰ يدركه، وذلك الطارئ هو الصورة، فتكون تلك الصور مرتسمة في ذاته، وهو مستلزم لكون ذاته ذات[2] طول وعرض؛ حتىٰ يكون محلّاً لصور الماديّات التي هي كذلك.

---

(١) في الأصل: «قيد».

(٢) في الأصل: «ذا».

وإن لم يكن علمه أزلياً، بل بعد وجود الحادث:

فأوّلاً: يلزم جهله به قبل وجوده.

وثانياً يلزم عدم إرادته في خلقه لعدم العلم؛ إذ الارادة من توابع العلم مالم يكن لم تكن.

وثالثاً: ما تقدّم من كون ذاته ذات[1] طول ... إلىٰ آخره.

وكل ذلك محال.

وإن أراد أن يعلمها لا علىٰ وصف الجزئيّة، بل يعلم أنّ في زمن كذا عند حادثة كذا يوجد ذات بصفة كذا، فهذه التصوّرات إنّما تكون[2] بارتسام الصور في ذاته، فان كانت حادثة بالحدوث الزماني، فيلزم أن لا يكون عالماً قبلها، وطروّ الحادث علىٰ ذاته، وهما محالان.

وأيضاً هي مخلوقة له مسبوقة بعلم، وتكون بصور أُخرىٰ، فننقل الكلام إليها فيتسلسل:

وإن كانت قديمة بالزمان، فإن كانت قديمة بالذات أيضاً لزم مالا يتناهىٰ واجب الوجود، وإن كانت حادثة بالذات مستندة إليه في الوجود، فيلزم قدم حوادث غير متناهية غير الذات والصفة، وهو خلاف مذهبه.

وأيضاً لابدّ في خلقها من الإرادة الموقوفة على العلم، فيكون عالماً بتلك الصور أيضاً قبل خلقها، ويكون ذلك بصور أُخرىٰ، وننقل الكلام إليها، فيتسلسل.

فإن تجاوز عن هذا كلّه، وقال: إنّ علمه ليس بالارتسام فقد قال بعلم ذاتيّ هو عين ذاته، وهو علمه بذاته، وقد برهن هو علىٰ بطلانه، واللّٰه أعلم.

وقال مقلّدو الحكماء: إنّه يعلم الجزئيّات بوجه كلّي؛ أي بمثل ما تقدّم في الترديد الثاني من قول الأشعري، ومثّلوا له بعلم المنجّم بأنه في سنة كذا في ساعة كـذا في

---

(١) في الأصل: «ذا».

(٢) في الأصل : «يكون».

درجة كذا، يحصل كسوف، وهو لا يقع إلا جزئيّاً وإن كان في تعقله كلّيّاً؛ إذ الشيء مالم يوجد في الخارج لا يتشخّص وإن قُيِّد بغير المتناهي من القيود.

ويلزم علىٰ هذا المذهب ما لزم علىٰ الشِّقّ الثاني من ترديد قول الأشعري، فإنّهم قائلون بأنه بارتسام الصور، وذهب الصوفيّة إلىٰ أنّ جميع جزئيات الممكنات حاضرة لديه في الأزل، موجودة بوجودها الخارجي، قائلين بأنّ الزمان شأن من شؤون الحقّ، وجميع الكائنات الداخلة تحت حكم الزمان موجودة في ذلك الزمان؛ بمنزلة النقاط المرسومة علىٰ الخطّ المستقيم، ولما ظهر الحقّ بهذا الشأن الواحد فقد ظهر بجميع ما فيه، فالكلّ موجود عنده حاضر لديه منكشف له.

واستشهدوا لذلك: بأنه كما أنّ[1] نسبته إلىٰ جميع الأمكنة علىٰ السواء، فكذا نسبة الأزمنة إليه علىٰ السواء، ليس عنده حال ولا ماضٍ ولا استقبال، وإنّما نحن لا ندرك ما يأتي من بعدُ أو مامضىٰ إدراك الحال؛ لقصور نظرنا، كنملة تمشي علىٰ خيط ملوّن بألوان مختلفة، فهي لا تدرك لوناً حتّىٰ تتجاوز اللون الذي قبله لقصور حاسّتها عن الاطّلاع على جميع الألوان دفعة، وهي تظنّ بأنّ هذا حادث وذاك انعدم، مع أنّا نراه دفعة، فكذا نحن.

وهذا المذهب هو الذي حمل عليه صاحب «المحاكمات» مذهب ـ الحكماء في قولهم: يعلمها علىٰ وجه كلّيّ، فقال: أي لم يعلمها معدومة ثمّ موجودة، بيضاء ثمّ سوداء، وهكذا يتجدّد في علمه، بل يعلمها علىٰ تغيّرها دفعة، ومثّل بهذا المثال، واستشهد بذلك الاستشهاد، وكأنّه قول بما يحكم صريح العقل بخلافه؛ إذ كلّ عاقل يحكم بأنّ اليومَ المستقبلَ معدومٌ الآنَ، موجود فيما بعدُ بجميع ما يحدث فيه في طرفي الوجود والعدم، وليس هذا بمنحطّ عن درجة السفسطة، مع أنه لا يسلم من القول بالارتسام والتمثيل والاستشهاد في لون بين الممثَّل والمستشهد له.

---

(١) في الأصل: «أنّه».

ولنرجع لتحقيق الحق فنقول: أنت تعلم أنه لما لم يكن وجود إلّا لذاته، فحقيقته حقيقة الحقائق، وذاته ذات الذوات، وجميع ما تتوهّمه إنّما هو من الاعتبارات لتلك الذات، فلابدّ أن نقول: إنّ علمه عين ذاته، وهو عين علمه بذاته، وهو علم بجميع شؤونه وأطواره، وأنّ جميع ما تشرّف بالبروز فإنّما هو علىٰ ما في العلم، ولكن لضيق طرف الخارج عن أن يسع المراتب الغير المتناهية ـ التي يقتضيها علىٰ حسب ما لكلّ شيء في ذاته ـ حصل الترتيب في تلك التجلّيات، فكما أنّ ذاته واحدة بالذات، والكثرة إنما وقعت في عالم التجلّيات، فكذلك علمه بالكلّ واحد بالذات، وكثرته في عالم التجلّيات، فما برز في الوجود إلاّ ما كمن في العلم الذاتي، ولا فُصّل إلّا ما أُجمل فيه، فهو العالم بكلّ شيء (لا يعزُبُ[1] عنه مثقال ذرّة)، فدقّق النظر، وإيّاك أن تحجبك الكثرة عن ذات الوحدة، فإنّ البحر لو عُلم بذاته فليس يحتاج إلىٰ علمٍ آخر يُعلم به أمواجه.

وهذا قد يوافق من وجه قول بعضهم: إنّ العلم قديم وتعلّقه حادث، ولكن قد ضلّ عن السبيل، فوقع في تيه الأباطيل.

وأيضاً يقرب ممّا يقال: إنّ للأشياء وجوداً علميّاً، ووجوداً شهوديّاً، وممّا يقال: إنّ للشيء وجوداً بحسب ذاته، ووجوداً في ذاته[2].

فتفطّن وطبّق إن كنت من أهل النظر.

---

(١) أي: لا يغيب عنه ولا يبعد ولا يخفىٰ.

(٢) في الأصل هكذا: في ذاته ت العلّة.

واردة

كأنّي بك إذا[1] التفتّ لنفسك وقد وجدت علمك بنفسك عين نـفسك، وهـذا غير عسير، ثمّ إذا دقّقت علمت أنّك لا تُدرك غير نفسك، فإنّ الإدراك: إن كان هو مجرّد ارتسام الصور فقد تكرّر غير مرّة: أنّه لا يصحّ موجباً للعلم.

وإن كان الانفعال بتلك الصور فهو هو، أو قريب منه، وحكمه حكمه.

فليس الإدراك إلّا تجلّي نفسك بـالصور عـلىٰ حسب الاسـتعداد، فـإدراكك لنفسك في تلك الحالة إدراك لتلك الصور بعينه فأدركت نفسك بنفسك وما أدركت خارجاً عنك، ولكن بالتجوّز نقول أدركت زيداً الخارجي، ولكنك ظهرت بمطابقه، فقلت: ظهرت به، وهذا دقيق فافهم.

كأنّك فيما أُلقي إليك أدركت أنّ الحقّ مريد في شأنه ولكن ليس بشتاق ويتفكّر ثمّ يوجد علىٰ حسب ما يؤدّي إليه فكره، بل إرادته عين فعله؛ أي لا تخلُّل بين الإرادة والفعل (إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[2] (إِنَّما أَمْرُهُ إذا أَرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[3] فانظر إلىٰ حصر الأُمور في الفعل في جواب الإرادة؛ أي ليس لنا شأن من الشؤون المتعلّقة بذلك الشيء إذا أردناه إلّا قولنا له: كن، وذلك كما إذا تصوّرت زيداً الذي تعرفه من قبل، فتصوّرك له فعل من أفعالك ومرضيّ لك

---

(١) كذا، والمناسب: «إذْ».

(٢) النحل : ٤٠.

(٣) يٓس : ٨٢.

ومراد، ولكن ما تعلّقت إرادتك بتصوّره، ثمّ فعلت ذلك التصوّر، بل إنّ فعلك ذلك تجلّي إرادتك، فمعنىٰ كونه مريداً: أنه لا جابر له، بل تجلّيه عن علمه مرضيّ لذاته، لا يقع في ملكه إلّا ما يريد فتامل فليس ما يفهمونه في الإرادة ينبغي[1] في حضرة الألوهيّة.

(١) كذا، والمناسب: لائقاً وصحيحاً.

واردة

الحقّ جواد: أي يعطي كلّ شَيْءٍ ما ينبغي له من حيث إنه يـنبغي؛ أي يـنزّل المراتب منازلها، (أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه)[1]، فلا يفيض في مرتبة ما تستحقّ أُخرىٰ، ولا يحجب عن مرتبة مالها في ذاتها، وذلك علىٰ حسب ما تقتضيه مراتب التجلّي في عالم التنزّلات، وهذا لا يخفىٰ عليك من المباحث السابقة، والقوم قد وقع النزاع بينهم في أنّ أفعاله تُعلّل بالأغراض أم لا، وكلٌّ من الطائفتين أيّد مايدّعيه، ولكن الجمهور علىٰ أنّها لا تعلل، وإلّا لزم أن يكون للباري غرض لا يتمّ إلّا بغيره، فـيحتاج إلىٰ الغير في إتمام غرضه، بل هو يفعل بدون غرض.

فلمّا أُورد عليهم: أنه يلزم أن يكون عابثاً.

أجابوا عن ذلك: بأنّه وإن لم يلاحظ الغرض وإن لم يكن له باعث علىٰ الفعل، لكن جميع أفعاله لا تخلو عن الحِكَم والمصالح.

والعجب لهم كيف دفعوا العبث بهذا؟! مع أنّا نعلم أنّ من لعب برجله ـ مثلاً ـ بدون قصد شيء، فترتّب علىٰ ذلك موت ثعبان مثلاً، فهو عابث لا يقال له: أحسنت وفعلت صواباً. ومن غرائب الاتّفاقات ما وقع في بعض البلدان الشماليّة: أنه اجتمع خمسة سُرّاق في محلٍّ ليسرقوا منه، فسمعوا صوت صبيٍّ داخل بيت في تـلك الدار

(١) طه : ٥٠.

فأخرجوه؛ خوفاً من أن يوقظ أهله صياحه، فوضعوه في صحن الدار، فصاح فاستيقظت أُمّه وأيقظت أباه، وخرجا لأجل الولد، ثمّ دخل السُّرّاق البيت، فأخرجوا المتاع إلىٰ الصحن ـ أيضاً ـ لياخذوه، فلمّا دخلوا لأخذ ما بقي من المتاع انهدم البيت عليهم، فهلكوا جميعاً، ونُجّي أهل المنزل مع غالب أمتعتهم، فهل يقال لهؤلاء السُّرّاق: إنهم حكماء محسنون، وهذا الفعل من جميل أخلاقهم؛ حيث أنجوا هؤلاء من هلاك الهدم، وترتّب علىٰ فعلهم هذه المصلحة الكبيرة؟! كلا، بل لا يقول به عاقل.

فليس الأمر إلّا ما سمعت، فوجود ذاته عين الحكمة والغرض لذاته، فلا تكن من الغافلين.

واردة

كيف بدأ اللّٰه الخلق؟ من القضايا الأوّليّة؛ إذ الطفرة محال؛ أي كونك في مكان لم تكن فيه لا يمكن طفرةً؛ أي بدون قطع مسافة ـ علىٰ أيّ وجه كان ـ من المكان الذي كنت فيه إلىٰ ما لم تكن فيه، وإلّا لزم عدم المسافة وكونك فيه قبل كونك فيه، وهكذا في كلّ شيء له بداية ونهاية، لا يمكن الوصول إلىٰ الغاية إلّا بقطع المراتب المتوسّطة، ومنه اللطف والتكثّف والقلّة والكثرة والإطلاق والتقييد ونحوذ لك، فإنّ الكثرة لا يمكن تحقّقها إلّا بتحقّق آحادها ولا يخفىٰ عليك مثل هذا البديهي، غاية الامر أنّه يتفاوت القطع بالسرعة والبطء، فإذن الارتقاء من مرتبة الإطلاق وإلىٰ أقصىٰ مراتب التقييد، لابدّ فيه من قطع مراتب التقييد إلىٰ أن يصل أقصاها، وإلّا لزم عدم المراتب، والفرض وجودها؛ لما علمت من ثبوت المبدأ والمنتهىٰ، ولما تبيّن لك أنّ الأكوان شؤون الوجود ودرجات تنزّله وأطواره، فاعلم أنّ تنزّله إلىٰ غاية التقييد من مرتبة غاية الإطلاق، لابدّ فيه من قطع مراتب التقييدات التي بين المبدأ والمنتهىٰ، فقد وقع التجلّي علىٰ مراتب التنزّل؛ الألطف فاللطيف.. وهكذا إلىٰ آخر مراتب التنزّل، وهو العالَم الهيولاني الطبيعي، فجميع المراتب التي قبل هذا العالم هي التي نسمّيها بالملائكة والسُّرادقات، ونسمّي البعض عقلاً والبعض نفساً... وهكذا، فكلّ مرتبه طِلَسْم وصورة للتي قبلها، والتي قبلها حقيقتها وباطنها، والقائم بها إلىٰ حقيقة الحقائق، وأقربها إلىٰ الوجود، هو المسمّىٰ بالعقل؛ لما أنّه أمام جميع المتعيّنات،

ومتلقّي فيضها من المبدأ الاوّل، وفي كلام الحكيم الإلهي صلّىٰ اللّٰه عليه وسلّم: (أوّل ما خلق اللّٰه العقل)، وباقي المراتب قبل الناسوت هي النفوس الكلّيّة، وأشعّتها المنبثّة عنها في المراتب العرضيّة هي النفوس الجزئيّة، وهذا هو المسمى بعالَم المجرّدات.

ثمّ علىٰ حسب ما وصل إليه نظرنا، وانتهىٰ إلينا من حضرة الحكيم الإلهي: أنّ النفوس الكلّيّة المربّية لعالم الناسوت الظاهرة فيه علىٰ ما تقتضيه مرتبته في التنزّل أربعة نفوس:

وهي الحاملة لعرش الربّ الذي هو هذا العالم نفس «ميكائيليّة»، وهي التي تركّب كلّ ذرّة من ذرّات الوجود مع الأُخرىٰ لأمر يقتضيه، وهذا هو الرزق العامّ، ومنه الجذبات العموميّة الكائنة بين ذرّات الوجود.

ونفس «إسرافيليّة»، وهي التي بها حصل الحياة في كلّ ذرّة من ذرّات الوجود، ومنها فيض الحياة العامّ.

ونفس «جبرائيليّة»، وهي المفيضة للإدراك في كلّ ذرّة من ذرّات الوجود.

ونفس «عزرائيليّة»، وهي القابضة روح الحياة عن بعض ذرّات الوجود لأمر يقتضيه، المحلّلة لبعض الأجزاء عن البعض، المخلّية لبعض المراتب عمّا كان له، كلّ ذلك في كلّ شيء بحسبه.

ثمّ إنّه كما يحصل ذلك في الذرّات الجزئيّة يحصل في المركّبات، ومن ذلك قبض حياة الحيوان بالنفس «العزرائيلية» ورزقها «بالميكائيليّة» وحياتها «بالإسرافيليّة» وإدراكها «بالجبرائيليّة».

والمرتبة «الجبرائيلية» كما حصل منها التعليم الباطني للجزئيّات والكلّيّات، كذلك قد يحصل منها التعليم الظاهري، كما حصل لبعض القدّيسين[1]، مثل الأنبياء، وهذه المرتبة كثيراً ماجاء ذكرها علىٰ الألسنة الإلهية خصوصاً علىٰ لسان نبيّنا ـ

---

(١) في المخطوطة: «القدسيّين».

صلّىٰ اللّٰه عليه وسلّم ـ فجاء: أنه رآه وقد سدّ الأُفُق، ومرّة أنّ له ستمائة ألف جناح، كلّ جناح منها قد سدّ الأُفق، وليس هذا إلّا رمزاً لما قرّرناه، وإشارة إلىٰ ما أوضحناه، ولا تستبعدن مثلِ هذه الأفكار، فإنه قد تكلّم قوم بالسيّال الكهربائيّ في العالم، وليس يظهر إلّا آثاره، وهو كلام حقيقيّ مبرهن، فقل أنت بالسيّال الروحي في العالم. وليست هذه المراتب متباينة متفارقة، بل كلّ شيء في كلّ شيء، ولفظة «في» ضيق عبارة.

ولنرجع إلىٰ إتمام ما نحن بصدده، فنقول:

فلمّا انتهت التجلّي إلىٰ عالم الناسوت، وقد كنت تعلم أنّ التنزّل ليس إلّا عبارة عن تنقّل الوجود في الأطوار، ولست تدرك منه إلّا الحركة، ولكن لست تعلم كيفيّتها، والباطن حقيقة الظاهر، والظاهر تجلّيه، فبرزت جميع المعنويات في الحسّيّات في هذا العالم الحسّي علىٰ ما يقتضيه مراتب التجلّي، فكانت الحركة اللاكيفية حركة كيفيّة، فبرز هذا العالم شيئاً واحداً بسيطاً ليس فيه تجزّؤ ولا تركيب، وهو الذي يسمّونه بالهيولىٰ، ثمّ بواسطة هذه الحركة اللازمة بالترتيب حصل في ذلك البسيط جزر ومدّ، وفتق بعد رتق، فمنه اللطيف والكثيف والمتفاوت في المرتبتين، ووقعت كلُّ كرة حيث أدّت بها الحركة كيف كانت ولم يزل هذا العالم متحرّكاً بهذه الحركة، لكنا لا ندرك إلّا حركة الجزئيّات الحاضرة بين أيدينا لأنّا لسنا كلّ العالم حتّىٰ ندرك حركته الكلّيّة فالحركة واحدة ونراها متكثّرة بتكثّر[1] أجزاء المتحرّك، ومن ثَمّ لا تجد إلّا متحرّكاً، ولا حادثاً إلّا عن حركة؛ وذلك لعدم توقّف الفيض في لحظة من اللحظات لعموم الجود، وكان العالم في الترّقّي علىٰ حسب تقادمه في الوجود، وهذا من مقتضيات الترتيب، وقد علمت ما يحتاج إليه العالم في نظامه العامّ من النفوس الكلّية.

(١) في المخطوطة «بتكثير».

أما النظام الخصوصي لكلّ ذرّة ـ أي المبدأ القريب لهذا ـ إنّما هو بالنفوس الجزئيّة المنبعثة عن النفوس الكلّيّة، فلا تزال الكلّيّة في تربية الكل، والجزئية في تربية الجزء، حتىٰ يقضي اللّٰه أمراً كان مفعولاً.

ولعلّك علىٰ ما تحقّقت من لزوم الترتيب في عالم التركيب تقول: إنّ أوّل ما ظهر في هذه الكرة النباتات علىٰ تفاوتها في الدرجات من متناقص الخلقة جدّاً، ثمّ يتكامل شيئاً فشيئاً حتّىٰ انتهت إلىٰ غايتها، ثمّ الحيوانات كذلك، ثم نتيجة الكلّ وغاية منتهىٰ السير هو الإنسان، ثم كذلك بتفاوت مراتبه في الوجود من غاية التوحّش إلىٰ أدنىٰ منها، ثمّ وثمّ، ولا يزال هكذا، وقد نطق بهذا كتابنا، وأشار إليه في قوله: (وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتاً) فهذا قليل تستغني به عن كثير، وإجمال يغنيك عن لبس التفاصيل.

واردة

قد تبيّن: أن الحق فيّاض مطلق ينزّل كلّ شيء، منزلته التي تنبغي أن يكون عليها في ذاته، ولما أو جد هذا النوع الإنساني جعل فيه إدراكات وأخلاقاً علىٰ حسب لوازم فيه وآلات تقتضي ذلك بحسب النوع، ثمّ إنّ الآلات الجزئية تقتضي الاختلاف في الاقتضاء علىٰ حسب اختلافها في الأشخاص بالعوارض الطارئة[1] علىٰ الحقائق الناشئة عن الأسباب الجزئية في هذا العالم، فكان اللازم علىٰ اختلاف الأخلاق وتباين الآراء ـ علىٰ حسب ما تقتضيه تلك المراتب الشخصيّة ـ أن يأخذ كلّ طرفاً غير الذي يأخذه الآخر[2]، و (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شاكِلَتِه) ومن مقتضيات هذا التنافر أن يترتّب عليه النزاع؛ إذ يناقض البعض البعض الآخر في قصده، ويذوده عمّا هو بصدده، فيلزم تغلّب البعض وقهره للبعض الآخر وهو منشأ الفساد والفتن؛ لوقوع العداوة بينهم بذلك، فنشأ عنها المحاربات والمقاتلات التي ينشأ عنها فناء هذا النوع، ثمّ الاستغراق في عالم الحسّ الذي هو مقتضي رتبة هذا العالم، يستلزم الغفلة عمّا يؤول إليه أمره بعد مفارقته هذا العالم، فيبوء بظلمة الجهل وضيق كدرة الأخلاق ورذائل الأعمال، كلّ ذلك علىٰ حسب ما تقتضيه مراتب الوجود في هذا العالم الطبيعي.

---

(١) في المخطوطة: «الطائرة».

(٢) في المخطوطة: «يأخذ من الآخر».

ولما أمدّهم الحقّ بما فيه إصلاح أبدانهم من جميع لوازم تعيّناتهم، وبما فيه بقاء هذا النوع من الاستيلاد، لزم أن يمدّهم من جوده وفيضه بما يكون سبباً في تربية عقولهم وتزكية نفوسهم، وطبيباً لبواطن أمراضهم؛ بأن يبعث فيهم منهم ذانفس قدسيّة مطهّرة عن جميع شوائب الغفلة، منكشفة لها الأسرار والحقائق علىٰ وفق الحكمة بأصل الفطرة لا يحتاج فيما يقصده إلىٰ الفكر والنظر، وحيه من نفسه، زكيّ الأخلاق، رفيع الهمّة، قد بُثّ فيه شوق خلقيّ ونور جِبِلّيّ إلىٰ تربية من أُرسل إليهم يفدي بروحه لذلك[1]، ولا يبالي في هداية شخص باقتحام المهالك، قد جلس علىٰ منصّة البلاغة حتى يحكم بالبيان إبلاغه، فيكون أخلاقه ميزاناً لأخلاقهم، وأعماله ميزاناً لأعمالهم، وذلك إنّما يكون علىٰ حسب احتياج النوع إلىٰ ذلك بقدر الاستعداد واستحكام موادّ الفساد، فهذا الشخص المتّصف بهذه الصفات هو النبيّ.

ولما بلغ العالَم إلىٰ درجة في اكتساب المعلومات ووجوه المعارضات، وجالوا في ترتيب الأفكار، وكانوا في استعداد للتنبّه والاستبصار، بعث فيهم نبيّاً كاملاً، عموميّ الفكر، صادق اللهجة، في أعلى طبقات الكمال، وختم الامر به وتمّم؛ لعدم احتياجهم إلىٰ غيره؛ إذ كلّما تقادم الزمان قويت دواعي العرفان، وقد بيّن لهم إجمالاً ينبئ عن تفاصيلهم، قد أحاط بجميع مهمّاتهم علىٰ اختلاف أحوالهم في أعصارهم صلّىٰ اللّٰه عليه وسلّم وعلىٰ آله وصحبه.

ولا يخفىٰ علىٰ عاقل أنّ مثل هذا الرجل الكامل، لابدّ منه في عالم الوجود لهذه الترقية علىٰ ما هو مقتضىٰ العالم، وترتيبه علىٰ الأسباب والمراتب.

ومن لطائف الوقائع ما وقع للفاضل الأُستاذ في الاستنبول مع جماعة من الطبيعيين، وقد كانوا يسخرون بالأنبياء، وذلك أنه قال لهم: يجب علىٰ من أنكر الأُلوهيّة ـ فضلاً عمن أثبتها ـ الاعتقاد بالنبوّة؛ وذلك لأنّ الطبيعة قد اقتضت

---

(١) كذا، والمناسب: «يفدي روحه لذلك»، أو «يفدي بروحه ذلك».

للشخص كبداً وقلباً وروحاً لأجل بقاء وجوده، واقتضت أشياء، مثل تقعير الكف وتقويس الحاجب وهدب الأشفار ونحو ذلك؛ لكماله في وجوده، واقتضت للنوع آلة تكون سبباً في بقائه، والأسباب كثيرة، فإذا لم يكن هذا الرجل الكامل لهذا العالم بمنزلة الروح للشخص، فهلّا كان مثل تقعير الكفّ وتقويس الحاجب وهدب الأشفار ونحو ذلك، فسكتوا وقبلوه.

هذا لسان الحكيم في هذا الباب.

وبلسان آخر نقول: لمّا حصل للوجود في مراتب تجلّياته بُعدٌ عن نفسه في مراتب تجرّده، تجلّىٰ من نفسه لنفسه بتجلٍّ يدعو نفسه لنفسه علىٰ ما يقتضيه اختلاف التجلّي، وليس ببعيد، بل كما يشاهد فينا من زَجْر أنفسنا لأنفسنا وحثّها إيّاها، وفيض هذا التجلّي بالالتفات إلىٰ مبدئه الحقيقي، فإذا استغرق في دعوة التجلّيات حصل له الالتفات من عالم المجرّدات، فتفكّر واستشار، ولما تنفّس صبح الحقيقة والناسوتيّون في سِنَةٍ من جهالتهم، بعث منادياً هلّموا إلىٰ النجاح، فقد طلع الصباح، فالناس في الإجابة علىٰ اختلاف درجاتهم في سِنَة الغفلة، ومن استيقظ من غفلته واستنار شمس حقيقته ناب عن الداعي في دعوته، لهذا تمّ العقد برسالته، وهو لسان النضوف. والله اعلم.

واردة

لعلّك فيما سبق لك تنبّهت إلىٰ أنّ المجرّد ليس مَحتِداً للتغير والتبدّل والكون والفساد؛ لتنزّهه عن الحركة الحسّيّة المقتضية لذلك، فالنفوس الناطقة الإنسانيّة باقية ببقاء الوجود، ولما كان الوجود في جميع مراتبه فعّالاً، فللنفس الناطقة من الأفعال علىٰ حسب رتبتها، وهو في بدنها ليس إلّا التدبير، أمّا بعد مفارقتها البدن الإنساني فافترفت الطوائف في حكمها:

فمن قائل: بأنّ النفس ليس لها حالة إلّا وهي مدبّرة لبدن الإنسان، فلا تتدنىٰ عنه إلىٰ الحيوان والنبات، ولا تفتر عن التدبير، وكلّما خَلِق ثوبٌ لبست آخر من هذا النوع بعينه، فهو مظهر خيرها وشرّها وعذابها ونعيمها.

ومن قائل: بأنها إذا تعطّل البدن ظهر لها ملكاتها وإدراكاتها، فكان لها بذلك إمّا الحزن والأسف، وإمّا الفرح والابتهاج، فلا تتعلق ببدن مادامت تلك الملكات فيها، فإذا زالت تلك، وصارت ساذجة، تعود إلىٰ تدبير النبات، وتترقّىٰ إلىٰ الإنسانية وهكذا؛ لشوقها إلىٰ مرتبتها من التدبير لهذا العالم.

ومن قائل ـ وهم الحكماء ـ: إنّ النفس قد تفارق هذا البدن إلىٰ غير النهاية، ولما كان الحقّ في جميع مراتبه فعالاً كما سبق، وكان للنفس بذلك رتبة الفعل، فتمام ظهورها يكون في عالم التعقّل والتخلّق، كولد سلطان يشتاق إلىٰ مرتبة أبيه، ولكن لقصوره ينزوي إلىٰ بعض الجهات، ويظهر سلطنته فيها، وبه يتسلّىٰ، ويكون متلذّذاً

مبتهجاً يعزل ويولّي، ويعزّ ويذلّ، فكذا النفس في عالم التعقّل والتخلّق، فإن أصلحته ورتّبته علىٰ ما هو عليه[١]، كانت بعد فراق البدن وجوداً في عالمها متلذّذة بمرتبتها مبتهجة بسلطنتها، وعلىٰ قدر النقص في ذلك يكون العذاب والألم.

ومن قائل ـ وهم الصوفية ـ: إنّ الحقّ لما نادىٰ شؤونه علىٰ لسانه النبويّ إلىٰ الدخول في حضرته، وأمرهم أن يتلبّسوا عند ذلك بملابس تليق بتلك الحضرة، وأن يتخلّوا عن غير ذلك، فمن فهم الرمز وحلّ اللُّغز وفني بالفناء المطلق، واتصل بحضرة الجود، ولم يرَ إلّا نفس الوجود، فلذّته نور الوجود، وهو لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب أحد، ومن نظر إلىٰ ظاهر الحال وعمل بما فهم من مدلول المقال غرست له في أرض نفسه أشجار النعيم، فكلّ عَمَلٍ عمله بزر له ـ عند خراب البدن ـ لذاته علىٰ حسب ما كان يعهد ويتلذّذ، وكان له من ذلك الحور والولدان والأساور والتيجان، ومن توجّه نحو الطريق، ولكن غفل عما يروم الفريق، وتقاعد عن السير، ولبس ملابس الضير، ظهرت له تلك النقائص حيّات وعقارب وسلاسل وأغلالاً، ولا يزال كذلك حتّىٰ يتقدّس، فيكون أحد السابقين، ومن أعرض عن الطريق بالمرّة، وشغل بالأغيار عن تلك الكرّة، فهو لا يزال معذّباً بظهوره متألّماً بفجوره، فإذا هبّت عليه نسمة من نسمات اللُّطف والرحمة، كان العذاب عَذْباً والرحيم ربّاً.

(١) كذا، والصحيح: فإن أصلحتها ورتّبتها علىٰ ما هي عليه...

واردة

هلا تفطنت فيما أدرجتُ لك في هذه الأقوال إلىٰ أنه وقع الصلح بين الطائفتين العظيمتين في أنّ الأفعال هل هي للّٰه خاصّة، أو بقدرة العبيد؟ فإنه لا تخالف بينهما في الحقيقة، فاللّٰه فاعل من حيث العبد فاعل، والعبد فاعل من حيث الربّ فاعل، والوجود في جميع مراتبه مختار والحمد للّٰه وحده.

* * *

كملت علىٰ يد كاتبها إبراهيم بن علي اللقاني المصري المجاور للجامع[1] الأزهر، وذلك يوم الخميس سلخ صفر سنة واحد وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبويّة علىٰ صاحبها أفضل السلام والتحية.

---

(١) في المخطوطة: «المجاور بالجامع».





القضاء والقدر

القضاء والقدر

مضت سنّة اللّه في خلقه: بأنّ للعقائد القلبيّة سلطاناً علىٰ الأعمال البدنيّة، فما يكون في الأعمال من صلاح أو فساد، فإنّما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها علىٰ ما بينّا في بعض الأعداد الماضية*، وربّ عقيدة واحدة تأخذ بأطراف الأفكار، فيتبعها عقائد ومدركات أُخرىٰ، ثمّ تظهر علىٰ البدن بأعمال تلائم أثرها في النفس، وربّ أصل من أُصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال، إذا عرضت علىٰ الأنفس في تعليم أو تبليغ شرعٍ يقع فيها الاشتباه علىٰ السامع، فتلتبس عليه بما ليس من قبيلها، أو تصادف عنده بعض الصفات الرديئة أو الاعتقادات الباطلة، فيعلق بها عند الاعتقاد شيء ممّا تصادفه، وفي كلا الحالين يتغيّر وجهها ويختلف أثرها، وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنيّة علىٰ الخطأ في الفهم، أو علىٰ خبث الاستعداد، فتنشأ عنها أعمال غير صالحة، وذلك علىٰ غير علم من المعتقد كيف اعتقد، ولا كيف يصرفه اعتقاده، والمغرور بالظواهر يظنّ أنّ تلك الأعمال إنّما نشأت عن الاعتقاد بذلك الأصل وتلك القاعدة، ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض أُصول الأديان غالباً، بل هو علّة البِدع في كلّ دين علىٰ الأغلب، وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع، منشأ لفساد الطباع وقبائح الأعمال، حتى أفضىٰ بمن

(*) من مجلّة «العروة الوثقىٰ» الصادرة من باريس.

ابتلاهم اللّٰه به إلىٰ الهلاك وبئس المصير، وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم علىٰ الطعن في دين من الأديان أو عقيدة من العقائد الحقّة؛ استناداً إلىٰ أعمال بعض السذج المنتسبين إلىٰ الدين أو العقيدة.

من ذلك عقيدة «القضاء والقدر» التي تُعدّ من أُصول العقائد في الديانة الإسلاميّة الحقّة، كثر فيها لَغط المغفّلين من الإفرنج وظنّوا بها الظنون، وزعموا أنّها ما تمكّنت من نفوس قوم إلاّ وسلبتهم الهمّة والقوّة، وحكّمت فيهم الضعف والضعة.

ورموا المسلمين بصفات، ونسبوا إليهم أطواراً، ثمّ حصروا علّتها في الاعتقاد بالقدر، فقالوا: إنّ المسلمين في فقر وفاقة وتأخّر في القوّة الحربيّة والسياسيّة عن سائر الأُمم، وقد فشا فيهم فساد الأخلاق، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض، وتفرّقت كلمتهم، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة، وغفلوا عمّا يضرّهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة، ولكن متىٰ أمكن لأحدهم أن يضرّ أخاه لا يقصّر في إلحاق الضرر به، فجعلوا بأسهم بينهم والأُمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد أُخرىٰ، رضوا بكلّ عارض، واستعدّوا لقبول كلّ حادث، وركنوا إلىٰ السكون في كسور بيوتهم، يسرحون في مرعاهم، ثمّ يعودون إلىٰ مأواهم، الأمراء فيهم يقطعون أزمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات، وعليهم فروض وواجبات تستغرق في أدائها أعمارهم ولا يؤدّون منها شيئاً. يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم إسرافاً وتبذيراً، نفقاتهم واسعة، ولكن لا يدخل في حسابها شيء يعود علىٰ ملّتهم بالمنفعة، يتخازلون[1] ويتنافرون، وينوطون المصالح العموميّة بمصالحهم الخصوصيّة، فربّ تنافر بين أميرين يضيّع أُمة كاملة؛ كلّ منهما يخذل صاحبه، ويستعدي عليه جاره، فيجد الأجنبي فيهما قوّة فانية وضعفاً قاتلاً، فينال من بلادهما مالا يكلّفه عدداً ولا

(١) يتقاطعون ويعوّق بعضهم بعضاً.

عُدّة، شملهم الخوف وعمّهم الجبن والخَوَر، يفزعون من الهمس، ويألمون من اللمس، قعدوا عن الحركة إلىٰ ما يلحقون به الأُمم في العزّة والشوكة، وخالفوا في ذلك أوامر دينهم، مع رؤيتهم لجيرانهم ـ بل الذين تحت سلطتهم ـ يتقدّمون عليهم، ويباهونهم بما يكسبون، وإذا أصاب قوماً من إخوانهم مصيبة، أو عدت عليهم عادية، لا يسعون في تخفيف مصابهم، ولا ينبعثون لمناصرتهم، ولا توجد فيهم جمعيّات مليّة كبيرة لا جهريّة ولا سرّيّة، يكون من مقاصدها إحياء الغيرة، وتنبيه الحميّة، ومساعدة الضعفاء، وحفظ الحقّ من بغي الأقوياء وتسلط الغرباء.

هكذا نسبوا إلىٰ المسلمين هذه الصفات وتلك الأطوار، وزعموا أن لا منشأ لها إلاّ اعتقادهم بالقضاء والقدر، وتحويل جميع مهمّاتهم علىٰ القدرة الإلهية،وحكموا بأنّ المسلمين لو داموا علىٰ هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة، ولن ينالوا عزّاً، ولن يعيدوا مجداً، ولا يأخذوا بحقّ، ولا يدفعوا تعدّياً، ولا ينهضوا بتقوية سلطان، أو تأييد ملك، ولا يزال بهم الضعف يفعل في نفوسهم، ويركس من طباعهم، حتّىٰ يؤدّي بهم إلىٰ الفناء والزوال ـ والعياذ بالله ـ يُفني بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة، وما يسلم من أيدي بعضهم يحصده الأجانب.

واعتقد أُولئك الإفرنج: أنّه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبريّة، القائلين: بأنّ الإنسان مجبور محض في جميع أفعاله، وتوهّموا: أنّ المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة المعلّقة في الهواء تقلّبها الرياح كيفما تميل، ومتىٰ رسخ في نفوس قوم أنه لاخيار لهم في قول ولا عمل، ولا حركة ولاسكون، وإنّما جميع ذلك بقوّة جابرة، وقدرة قاسرة، فلا ريب تتعطّل قواهم، ويفقدون ثمرة ماوهبهم الله من المدارك والقوىٰ، وتُمحىٰ من خواطرهم داعية السعي والكسب، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحوّلوا من عالم الوجود إلىٰ عالم العدم.

هكذا ظنّت طائفة من الإفرنج، وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق، ولست أخشىٰ أن أقول: كذب الظانّ، وأخطأه الوهم، وبطل الزاعم،

وافتروا علىٰ اللّٰه والمسلمين كذباً، لا يوجد مسلم في هذا الوقت ـ من سنّيّ وشيعيّ وزيديّ وإسماعيليّ ووهّابيّ وخارجيّ يرىٰ مذهب الجبر المحض، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرّة، بل كِلٌّ من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأنّ لهم جزاء اختيارياً في أعمالهم، ويسمّىٰ بالكسب، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم، وأنّهم محاسبون بما وهبهم اللّٰه من هذا الجزء الاختياري، ومطالبون بامتثال جميع الأوامر الإلهيّة، والنواهي الربّانية، الداعية إلىٰ كلّ خير، الهادية إلىٰ كلّ فلاح، وأنّ هذا النوع من الاختيار هو مورد التكليف الشرعي، وبه تتمّ الحكمة والعدل.

نعم كان بين المسلمين طائفة ـ تسمّىٰ بالجبريّة ـ ذهبت إلىٰ أنّ الإنسان مضطرّ في جميع أفعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار، وزعمت أن لا فرق بين أن يحرّك الشخص فكّه للأكل والمضغ، وبين أن يتحرّك بقفقفة[1] البرد عند شدّته، ومذهب هذه الطائفة يعدّه المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة، وقد انقرض أرباب هذا المذهب في أواخر القرن الرابع من الهجرة، ولم يبقَ لهم أثر، وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ماظنّه أولئك الواهمون.

الاعتقاد بالقضاء يؤيّده الدليل القاطع، بل ترشد إليه الفطرة، وسهل علىٰ من له فكر أن يلتفت إلىٰ أنّ كلّ حادث له سبب يقاربه في الزمان، وأنه لا يرىٰ من سلسلة الأسباب إلاّ ماهو حاضر لديه، ولا يعلم ماضيها إلاّ مبدع نظامها، وأنّ لكلٍّ منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم، وإرادة الإنسان إنّما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة، وليس الإرادة إلّا أثراً من آثار الإدراك، والادراك انفعال النفس بما يعرض علىٰ الحواسّ، وشعورها بما أُودع في الفطرة من الحاجات، فلظواهر الكون من السلطة علىٰ الفكر والإرادة مالا ينكره أبله، فضلاً عن عاقل،

---

(١) اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان من البرد. تاج العروس ٦: ٢٢٦ مادّة «قفّ».

وأنّ مبدأ هذه الأسباب ـ التي تُرىٰ في الظاهر مؤثّرة ـ إنّما هو بيد مدبّر الكون الاعظم الذي أبدع الأشياء علىٰ وفق حكمته، وجعل كلّ حادث تابعاً لشبهه كأنه جزاء له، خصوصاً في العالم الإنساني.

ولو فرضنا أنّ جاهلاً ضلّ عن الاعتراف بوجود إله صانع للعالم، فليس في إمكانه أن يتملّص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهريّة في الإرادات البشريّة، فهل يستطيع إنسان أن يخرج بنفسه عن هذه السُّنّة التي سنّها اللّٰه في خلقه؟ هذا أمر يعترف به طلاّب الحقائق، فضلاً عن الواصلين، وإنّ بعضاً من حكماء الإفرنج وعلماء سياستهم التجأوا إلىٰ الخضوع لسلطة القضاء، وأطالوا البيان في إثباتها، ولسنا في حاجة إلىٰ الاستشهاد بآرائهم.

إن للتاريخ علماً فوق الرواية، عُني بالبحث فيه العلماء من كلّ أُمة، وهو العلم الباحث عن سير الأُمم في صعودها وهبوطها، وطبائع الحوادث العظيمة وخواصّها، وما ينشأ عنها من التغيير والتبديل في العادات والأخلاق والأفكار، بل في خصائص الإحساس الباطن والوجدان، وما يتبع ذلك كلّه من نشأة الأُمم، وتكوُّن الدول، أو فناء بعضها واندراس أثره.

هذا الفنّ ـ الذي عدّوه من أجلّ الفنون الأدبيّة وأجزلها فائدة ـ بناء البحث فيه علىٰ الاعتقاد بالقضاء والقدر، والإذعان بأنّ قوىٰ البشر في قبضة مدبّر للكائنات، ومصرّف للحادثات، ولو استقلّت قدرة البشر بالتأثير ما انحطّ رفيع، ولا ضعف قويّ، ولا انهدم مجد، ولا تقوّض سلطان.

الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرّد عن شناعة الجبر، يتبعه صفة الجراءة والإقدام، وخُلُق الشجاعة والبسالة، وبعث علىٰ اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الأسود، وتنشقّ منها مرائر النمور، هذا الاعتقاد يطبع الأنفس علىٰ الثبات، واحتمال المكاره، ومقارعة الأهوال، ويحلّيها بحُلِيّ الجود والسخاء، ويدعوها إلىٰ الخروج من كلّ ما يعزّ عليها، بل يحملها علىٰ بذل الأرواح، والتخلّي عن نضرة

الحياة، كلّ هذا في سبيل الحقّ الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة.

الذي يعتقد بأنّ الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد اللّٰه يصرفها كما يشاء، كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقّه وإعلاء كلمة أُمته أو ملّته، والقيام بما فرض اللّٰه عليه من ذلك؟! وكيف يخشىٰ الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحقّ وتشييد المجد، علىٰ حسب الأوامر الإلهيّة، وأُصول الاجتماعات البشريّة؟!

امتدح اللّٰه المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحقّ: (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوانَ ٱللَّهِ وٱللَّهُ ذُوفَضْلٍ عَظيمٍ) اندفع المسلمون في أوائل نشأتهم إلىٰ الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلّطون عليها، فأدهشوا العقول وحيّروا الألباب بما دوخوا الدول وقهروا الأُمم، وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا إلىٰ جدار الصين، مع قلّة عدّتهم وعددهم، وعدم اعتيادهم علىٰ الأهوية المختلفة، وطبائع الأقطار المتنوّعة، أرغموا الملوك، وأذلّوا القياصرة والأكاسرة، في مدّة لاتتجاوز ثمانين سنة؛ إنّ هذا لَيُعدّ من خوارق العادات وعظائم المعجزات.

دمّروا بلاداً، ودكدكوا أطواداً، ورفعوا فوق الأرض أرضاً ثانية من القسطل، وطبقة أُخرىٰ من النقع، وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم، وأقاموا بدلها جبالاً وتلالاً من رؤوس النابذين لسلطانهم، وأرجفوا كلّ قلب، وأرعدوا كلّ فريصة، وما كان قائدهم وسائقهم إلىٰ جميع هذا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر.

هذا الاعتقاد هو الذي ثبتت به أقدام بعض الأعداد القليلة منهم أمام جيوش يغصّ بها الفضاء، ويضيق بها بسيط الغبراء، فكشفوهم عن مواقعهم، وردّوهم علىٰ أعقابهم.

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق، وانقضّت شُهبها علىٰ الحيارىٰ في هبوات الحروب من أهل المغرب، وهو الذي حملهم علىٰ بذل أموالهم وجميع ما يملكون من

رزق في سبيل إعلاء كلمتهم، لا يخشون فقراً، ولا يخافون فاقة.

هذا الاعتقاد هو الذي سهّل عليهم حمل أولادهم ونسائهم ـ ومن يكـون في حجورهم ـ إلىٰ ساحات القتال في أقصىٰ بلاد العالم، كأنّما يسيرون إلىٰ الحـدائـق والرياض، وكأنّهم أخذوا لأنفسهم ـ بالتوكّل علىٰ اللّٰه ـ أمـانـاً مـن كـلّ غـادرة، وأحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يـصونهم مـن كـلّ طـارقة، وكـان نسـاؤهم وأولادهم يتولّون سقاية جيوشهم، وخدمتها فيما تحـتاج إليـه، لا يـفترق النسـاء والأولاد عن الرجال والكهول إلاّ بحمل السلاح، ولا تأخذ النساء رهبة، ولا تغشىٰ الأولاد مهابة، هذا الاعتقاد هو الذي ارتفع بهم إلىٰ حدّ كان ذكر اسمـهم يُـذيب القلوب، ويبدّد أفلاذ الاكباد، حتىٰ كانوا يُنصَرون بالرُّعب، يقذف بـه في قـلوب أعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة، قبل أن يشيموا بروق سيوفهم ولمعان أسنتهم، بل قبل أن تصل إلىٰ تخومهم أطراف جحافلهم.

بكائي علىٰ السالفين، ونحيبي علىٰ السابقين، أين أنتم يا عصبة الرحمة وأولياء الشفقة؟! أين أنتم يا أعلام المروءة، وشوامخ القوة؟! أين أنتم يا آل النجدة، وغوث المضيم يوم الشدّة؟ أين أنتم يا خير أُمّة أُخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر؟! أين أنتم أيّها الأمجاد الأنجاد، القوّامون بالقسط، الآخـذون بـالعدل، الناطقون بالحكمة، المؤسّسون لبناء الأمّة؟! ألا تنظرون من خلال قبوركم إلىٰ ما أتاه خلفكم من بعدكم، وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتكم، انحرفوا عن سُـنّتكم، وجاروا عن طريقكم، فضلّوا عن سبيلكم، وتفرّقوا فرقاً وأشياعاً، حتىٰ أصـبحوا من الضعف علىٰ حال تذوب لها القلوب أسفا، وتحترق الأكباد حزناً، أضحوا فريسة للأُمم الأجنبيّة، لا يستطيعون ذوداً عن حوضهم، ولا دفـاعاً عـن حـوزتهم، ألا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبّه الغافل، ويوقظ النائم، ويهـدي الضـالّ إلىٰ سواء السبيل! (إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِليهِ راجِعونَ).

أقول ـ وربما لا أخشىٰ واهماً ينازعني فيما أقول ـ: إنه من بداية تاريخ الاجتماع

البشري إلىٰ اليوم ما وجد فاتح عظيم، ولا محارب شهير، نبت في أوسط الطبقات، ثمّ رقىٰ بهمّته إلىٰ أعلىٰ الدرجات، فذُلّلت له الصعاب، وخضعت الرقاب، وبلغ من بسطة الملك مايدعو إلىٰ العجب، ويبعث الفكر للطلب السبب، إلاّ كان معتقداً بالقضاء والقدر؛ سبحان اللّٰه، الإنسان حريص علىٰ حياته، شحيح بوجوده علىٰ مقتضىٰ الفطرة والجبلّة، فما الذي يهوّن عليه اقتحام المخاطر، وخوض المهالك، ومصارعة المنايا، إلاّ الاعتقاد بالقضاء والقدر، وركون قلبه إلىٰ أن المقدّر كائن، ولا أثر لهول المظاهر.

أثبتت لنا التواريخ أنّ كورش الفارسي «كيخسرو» ـ وهو أوّل فاتح يُعرف في تاريخ الأقدمين ـ ما تسنّىٰ له الظفر في فتوحاته الواسعة، إلاّ لأنّه كان معتقداً بالقضاء والقدر، فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول، ولا توهِن عزيمته شدّة، وأنّ إسكندر الأكبر اليوناني كان ممّن رسخ في نفوسهم هذا العقيدة الجليلة، وجنكيز خان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من أرباب هذا الاعتقاد، بل كان نابليون الأوّل بونابرت الفرنساوي من أشدّ الناس تمسّكاً بعقيدة القضاء، وهي التي كانت تدفعه بعساكره القليلة علىٰ الجماهير الكثيرة، فيتهيّأ له الظفر، وينال بُغيته من النصر.

فنعم الاعتقاد الذي يطهّر النفوس الإنسانيّة من رذيلة الجبن، وهو أوّل عائق للمتدنّس به عن بلوغ كماله في طبقته أيّاً كانت، نعم إننا لا ننكر أنّ هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامّة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر، وربما كان هذا سبباً في رزيئتهم ببعض المصائب التي أخذتهم بها الحوادث في الأعصر الأخيرة، ورجاؤنا في الراسخين من علماء العصر، أن يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ماطرأ عليها من لواحق البِدع، ويذكّروا العامّة بسنن السلف الصالح وماكانوا يعملون، وينشروا بينهم ما أثبتته ائمّتنا ـ رضي اللّٰه عنهم ـ كالشيخ الغزالي وأمثاله: من أنّ التوكّل والركون إلىٰ القضاء إنما طلبه الشرع منّا في العمل، لا في البطالة والكسل، وما أمرنا اللّٰه أن نهمل فروضنا، وننبذ ما أوجب علينا، بحجّة

التوكّل عليه، فتلك حجّة المارقين عن الدين، الحائدين عن الصراط المستقيم، ولا يرتاب أحد من أهل الدين الإسلامي في أنّ الدفاع عن الملّة في هذه الأوقات صار من الفروض العينيّة علىٰ كلّ مؤمن مكلّف، وليس بين المسلمين وبين الالتفات إلىٰ عقائدهم الحقّة التي تجمع كلمتهم، وتردّ إليهم عزيمتهم، وتُنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الأوّل، إلاّ دعوةُ خيرٍ من علمائهم، وأنّ جميع ذلك موكول إلىٰ ذمّتهم.

أمّا زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخّر، فليس منشؤه هذه العقيدة، ولا غيرها من العقائد الاسلامية، ونسبته إليها كنسبة النقيض إلىٰ نقيضه، بل أشبه ما يكون بنسبه الحرارة إلىٰ الثلج والبرودة إلىٰ النار. نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر، وثمل من العزّ والغلب، وفاجأهم ـ وهم علىٰ تلك الحال ـ صدمتان قويّتان: صدمة من طرف الشرق، وهي غارة التتر من جنكيز خان وأحفاده، وصدمة من جهة الغرب، وهي زحف الأمم الأوروبيّة بأسرها علىٰ ديارهم، وأنّ الصدمة في حال النَّشوة تذهب بالرأي، وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة، وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوّعة، ووُسِّد الأمر فيهم إلىٰ غير أهله، ووُلّي علىٰ أُمورهم من لا يُحسن سياستها، فكان حكّامهم وأمراؤهم من جراثيم الفساد في أخلاقهم وطباعهم، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم، فتمكّن الضعف من نفوسهم، وقصرت أنظار الكثير منهم علىٰ ملاحظة الجزئيات التي لا تتجاوز لذّته الآنية، وأخذ كلّ منهم بناصية الآخر، يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كلّ باب، لا لعلّة صحيحة ولا داعٍ قويّ، وجعلوا هذا ثمرة الحياة، فآل الأمر بهم إلىٰ الضعف والقنوط، وأدّى إلىٰ ما صاروا إليه.

ولكنّي أقول ـ وحقّ ما أقول ـ: إنّ هذه الملّة لن تموت مادامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم، ورسومها تلوح في أذهانهم، وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم، وكلّ ما عرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلي، فلابدّ أن تدفعه قوّة العقائد الحقّة، ويعود الأمر كما بدأ، وينشطوا من عقالهم،

ويذهبوا مذاهب الحكمة والتبصّر في إنقاذ بلادهم، وإرهاب الأُمم الطامعة فيهم، وإيقافها عند حدّها، وما ذلك ببعيد، والحوادث التاريخية تؤيّده فانظر إلىٰ العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القويّة ـ حروب التتر والحروب الصليبية ـ وساقوا الجيوش إلىٰ أرجاء العالم، واتّسعت لهم ميادين الفتوحات، ودوّخوا البلاد، وأرغموا أُنوف الملوك، ودانت لسلطانهم الدول الافرنجيّة، حتىٰ كان السلطان العثماني يلقّب بين الدول بالسلطان الأكبر.

ثمّ أرجع البصر تجد هزّة في نفوسهم وحركة في طباعهم، أحدثها فيهم ما توعّدتهم به الحوادث الأخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب، حركة سرت في أفكار ذوي البصيرة منهم في أغلب الأنحاء شرقاً وغرباً، وتألّفت من خيارهم عصبات للحقّ كتبت علىٰ نفسها نصرة العدل والشرع، والسعي بغاية الجهد لبثّ أفكارها، وجمع الكلمة المتفرّقة، وضمّ الأشتات المتبدّدة، وجعلوا من أصغر أعمالهم نشر جريدة عربيّة؛ لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم، وتنقل إليهم بعض ما يضمره الأجانب لهم، وإنا نرىٰ عدد الجمعيّة الصالحة يزداد يوماً بعد يوم، نسأل اللّٰه تعالىٰ نجاح أعمالها، وتأييد مقصدها الحقّ، ورجاؤنا من كرمه أن يترتّب علىٰ حسن سعيها أثر مفيد للشرقيّين عموماً، وللمسلمين خصوصاً.



فلسفة التربية

و

فلسفة الصناعة

فلسفة التربية

في ليلة الأحد الماضي[1] انعقد درس الأستاذ جمال الدين الأفغاني، وانتظم في سلكه جمّ غفير من نبهاء طلبة العلم وفضلائهم، وكثير من الأفندية مستخدمي الدواوين، بمحضر هؤلاء وأولئك، شنّف المسامع بمقال جليل في شأن تربية الأُمة، وما يلزم أن يُسلك من سبلها، ولما فيه من عِظَم الفائدة، رغبت في نشره في الجرائد الوطنية[2] تعمياً للفوائد، وبياناً لما انطوى عليه من حسن المقاصد، قال ما معناه:

إذا وجّه العقل نظر الاعتبار إلىٰ الاجسام الحيّة بالحياة النباتيّة أو الحيوانية أو الإنسانية، علم أنّ قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها، تفاعلاً متناسباً، بحيث لا يتميّز أحد تلك العناصر بالغلبة علىٰ باقيها، غلبةً تقضي[3] بظهور خواصّه وتسلّطها علىٰ خصائص البقيّة، فبذلك التناسب يتمّ للبدن الحيّ ما يسمّىٰ بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة، فإن غلب أحد العناصر على سائرها، واضمحلت خواصّ بقيّتها فيه، انحرف المزاج وخرج عن حدّ الاعتدال، واستولىٰ المرض علىٰ الجسم، وكما يكون الاختلال وفساد البِنْية بتغلّب بعض العناصر علىٰ ما سواه منها، كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه، كالبرد الشديد

---

(١) كان ذلك في ١١ جُمادىٰ الآخرة سنة ١٢٩٦ أوّل يونيو «حزيران» سنة ١٨٧٩ م.

(٢) نشرها في جريدة مصر التي كانت تطبع في الإسكندرية، وكانت مظهر أفكار السيد ومَجْلىٰ حكمته وميدان أقلام مريديه.

(٣) في الأصل: تقتضي.

المذهِب لروح الحرارة الغريزيّة، والحرّ الشديد الموجب للاحتراق، وتحلّل الرطوبة الضروريّة المنتهي إلى[1] اليبس، نذير الموت والفناء.

ومن ثَمّ وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطبّ البشري والبيطري؛ ليبحث في تلك العلوم عمّا به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركّب منها الجسم، ويحترز من تسلّط الحوادث الخارجيّة عليه، ويُعاد به المزاج إلىٰ حالة الاعتدال إن خرج عنها؛ لتتمّ حكمة اللّٰه تعالىٰ في بقاء الأنواع إلىٰ آجالها المحدّدة بحكم الحكمة الأزليّة.

فالنباتيّون يعيّنون الأراضي القابلة للزراعة والغراسة لكلّ نبات، ويحدّدون الفصول الملائم هواؤها لنموّه، ويوضّحون موادّ التسميد، وغير ذلك ممّا لابدّ منه في تربية النباتات.

وكذلك الأطبّاء يبحثون عن موادّ الأغذية، وماذا يجب أن يتّخذ منها لكلّ مزاج؟ ومضارّ الأهوية ومنافعها، ويقفون بتجاربهم الصادقة علىٰ الأدوية النافعة لردّ البدن إلىٰ حالة الصحّة، وآلات العلاج المفيدة حتىٰ تحفظ بذلك علىٰ البدن صحّته، ويرجع إليها إن انحرف عنها.

ولكن لا يكون الطبيب طبيباً يترتّب عليه غايته، حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعي وعلوم النباتات؛ ليعلم خواصّها، ويميز نافعها من ضارّها، وعلىٰ بصيرة من اختلاف الأمزجة ومقتضياتها، وما يلائم كلّ واحد علىٰ حسبه، وخبيراً بعلل الأمراض وأسبابها وكيفيّاتها من شدّة وضعف، وتاريخها من قدم وحدوث؛ حتّىٰ يعالج كلّاً بما يليق به.

فإن جهل من ذلك شيئاً كان فقده خيراً من وجوده؛ فإنّ الطبيب الجاهل رسول ملك الموت؛ إذ بجهله يستعمل من الأدوية ما عساه يهيج المرض، ويعيّن من الأغذية ما يساعده علىٰ قسوته، فيفضي ذلك إلىٰ هلاك المريض، وقد كان بدونه محتمل

---

(١) في الأصل: إليه.

الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه.

وكما يلزم للطبيب أن يكون عالماً بجميع ما قدّمنا، يجب أن يكون شفيقاً رحيماً صادقاً أميناً، لا يكون قُصارىٰ عمله ما يناله من جُعل المعالجة، فإنّه إن كان قَسِيّاً عديم الرأفة، أو كان خائناً، فلربّما صار آلة في أيدي أعداء المريض، يستعملونه لهلاكه بإلقائه السمّ في الأدوية مثلاً، أو إهماله في العلاج بما يقدّمونه إليه من العرض الفاني، وكذلك إن قصر همّه علىٰ ما ينال من الدينار والدرهم، فإنه إن كان علىٰ تلك الصفة لم يكترث بحال المريض مادام يُوفىٰ أجر عمله، فإن هلك فقد نال ما يزيد من مكافأته، وإن امتدّ المرض زاد الإيراد بتوارد الأوقات، فعدمه أيضاً خير من وجوده.

وكما أنّ روح الحياة البدني إنّما يستقرّ حيث تجتمع أُصول متضاربة، ينشأ من تغالبها مزاج معتدل كامل، وبغلبة أحدها يفسد التركيب ويذهب الروح الحيوي من حيث أتىٰ، كذلك روح الكمال الإنساني إنّما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادّة وملكات متخالفة، يقوم من تضادّها وتخالفها حقيقة الفضيلة المعتدلة التي هي ركن لبيت سعادة الإنسان، وعليها مدار حياته الفاضلة، فإن تغلّب أحد الخلقين علىٰ الآخر، فسد نظام الفضيلة، واستحكمت الرذيلة، وبات شقيّاً سيّئ الحال، وسقط في مهواة التعب والعناء، المفضيين إلىٰ الحين والهلاك.

ألا ترىٰ أنّ النفس الإنسانيّة لابدّ لها من خُلُق الجرأة وخُلُق المخافة، وهما متضادّان، ومن مقاومتهما علىٰ وجه معتدل بحيث يستعمل كلّاً فيما يليق به من المواقع، تتحقّق الشجاعة، التي لو فقدت بتغلّب المخافة، لكان فاقدها عرضة لتعدّي جميع الحيوانات عليه، ولم يستطع عن نفسه دفاعاً، وكانت حياته تحت خطر يتهدّده في جميع أوقاته. ولو أنّ الجرأة تغلّبت علىٰ المخافة حتّىٰ ذهب أثرها، كانت تهوّراً وعدم اكتراث بالمهالك لحقّ ولغير حقّ؛ بدون تبصر ولا مراعاة حكمة، فيلقي بروحه في مهاوي الهلكة بلا طائل يعود علىٰ نفسه أو وطنه.

وكذلك لابدّ من خُلق الإمساك والبذل، وهما متخالفان متعارضان، يتقوّم من تغالبهما في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق ـ إذا اعتدلا. ولو أنّ الإمساك تغلّب علىٰ ضدّه حتىٰ اضمحلّ فيه لأمسك عن قضاء لوازمه الضرورية، فلا يأتي باللائق من الأغذية والألبسة مثلاً، فيضرّ ببدنه، ولم يُوفِ حقوق[1] مشاركيه في المعيشة كزوجته وولده، أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده، فيقع الشقاق بينهم، ويتأذّىٰ به إلىٰ شقاء دائم، وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر. ولو تغلّب البذل لأنفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد، حتىٰ يصبح فقيراً فلا يجد ما ينفقه في ألزم لوازمه فيهلك.

وهكذا جميع الملكات الفاضلة الإنسانية، إنّما هي واسطة لطرفين متضادّين لابدّ من ظهور أثر كلٍّ منهما علىٰ نسبة معتدلة، وبغلبة أحدهما علىٰ الآخر يختلّ نظام الفضيلة، ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيويّة كانت أو أُخروية، ولا يسعنا المقام لتفصيل ذلك.

وكما يقع العناد بتغلّب أحد الضدّين علىٰ الآخر في النفس، يقع أيضاً بتغلّب أمر خارج عن مزاج الفضيلة، كغلبة التربية الفاسدة المغذية للعنصر الفاسد؛ بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والغرائز الناقصة، وانفعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لأعمالهم، وتقلّدها بعاداتهم، أو باستماع إغواء ذوي الأهواء، وتمويهات أرباب الأغراض الفاسدة الدنيئة، المذيعين للأفكار الرديئة، المؤيدين للعقائد الباطلة، التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدّي إلىٰ فساد المعيشة. فللنفوس علل وأمراض، كما للأبدان ذلك.

ومن ثمّ قد وضعت علوم التربية والتهذيب؛ لتحفظ علىٰ النفس فضائلها، وتردّها عليها إن اعتلّت وانحرفت عنها إلىٰ جانب النقص والاعوجاج، كما وُضع

(١) في الأصل: «بحقوق»، والصحيح ما أثبتناه.

الطبّ ولوازمه لحفظ صحّة البدن كما بينّا، فالحكماء العمليّون القائمون بأمر التربية والإرشاد، وبيان مفاسد الأخلاق ومنافعها، وتحويل النفوس من حالة النقص إلىٰ حالة الكمال، بمنزلة الأطبّاء، وكما لزم للطبيب أن يكون عالماً بالتاريخ الطبيعي والنباتات والحيوانات، وعلل الأمراض وأسبابها ودرجاتها من شدّة وضعف، كذلك يلزم للحكيم الروحاني طبيب النفوس والأرواح ـ إذا رقِيَ منبر الإرشاد ـ أن يكون عالماً بتاريخ الأُمّة التي قام بإرشاد أبنائها، وتاريخ غيرها من الأُمم أيضاً، وأن يكون مطّلعاً علىٰ درجات ترقّيها ودركات تدنّيها في جميع الأزمان، وأن يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة؛ ليعلم أسباب أمراضها النفسيّة، ويقف علىٰ درجات الداء وتمكّنه فيهم؛ وأنّه حديث أو قديم، قويّ في النفوس أو ضعيف، وما هو العلاج اللائق بكلّ صنّف، وكما أنه يجب علىٰ الطبيب البدني أن يكون علىٰ علم تامّ بمنافع الأعضاء وغاياتها، كذلك علىٰ الطبيب الروحاني أن يكون عالماً بمنافع الأخلاق ومضارّها علىٰ طبع ما في نفس الأمر الواقع، وكما يلزم أن يكون الطبيب شفيقاً رحيماً صادقاً أميناً، لا ينظر إلىٰ الدنايا، ولا ينحطّ إلىٰ المقاصد السافلة، كذلك علىٰ النصحاء والمرشدين أن يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم، أُولي مقاصد عالية، لا يبيعون الفضيلة بحطام الدنيا، ولا بالتقرّب والتزلّف إلىٰ الأُمراء والكبراء.

أُولئك هم المرشدون الحقيقيّون، فإن رُزقت الأُمّة بمثلهم فبشّرها بالسعادة، وإن رزئت بمتطبّبين[1] لا أطباء؛ بأن صعد علىٰ منابر النصح فيها الجهلة والأغبياء، والسفلة والأدنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فإنّ المرشد الضالّ والنصوح الجاهل يُودع النفوس رذائل الأخلاق باسم أنّها فضائل، ويغرس فيها جراثيم الشرّ باسم أنها أُصول الخير، ولربما كان مقصده حسناً ولا يريد إلّا خيراً، ولكن جهله ويعميه عن سلوك طريقه، ويبعده عن اتخاذ وسائله، فتقع الأرواح في الجهل المركب، وهو

(١) في الأصل: بمطبّبين.

شرّ من الجهل البسيط، فإنّ ذا الثاني علىٰ باب الفضيلة لا يلبث إن فتح له أن يلجه، وصاحب الأوّل قد بَعُد عن المقصد بمراحل، واستتر تحت نَقْع الرذيلة، واعتقد ذلك ظلّاً ظليلاً، فلا يمكن العدول عمّا وقع فيه إلاّ بعد مكابدة شديدة وعناء طويل، فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيراً من وجودهم.

وكذلك إن كان خائناً أو دنيئاً ينحطّ إلىٰ سفاسف الأُمور، أو عُدِم الشفقة والإنسانية، فإنّه يتّخذ النصيحة سُلّماً للوصول إلىٰ أغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتيّة، فلا يبالي أوقع الأفراد في خير أو شرّ، صفت النفوس أو تكدّرت، ارتفعت الآداب أو انحطّت، صحّت الأرواح أو اعتلّت، فيكون آلة بيد الأشرار وأُولي الأهواء، يستعملونه في فساد الأُمّة والعشيرة لقضاء أوطارهم.

ألا وإنّ القائمين بأمر الإرشاد يُحصَرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعّاظ، وقبيل الكتبة والمصنفين، ومنهم أرباب الجرائد، فإن كانوا علىٰ نحو الأوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدّم، فقد استحقوا التعظيم والاحترام والتبجيل والإجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كلّ قلب مخلص، وقاموا بخدمة أوطانهم وَبناء بلدتهم، وإلاّ استحقّوا الرفض والطرد والإبعاد، ووجب علىٰ من يهمّهم أمر الإصلاح أن يقذفوا بهم من البلاد؛ كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي، الذي لا يقتصر ضرّه علىٰ المبتلىٰ به، بل يتعدّاه بالسراية إلىٰ كلّ ما سواه.

فلسفة الصناعة

قد عاد حضرة الأُستاذ الفاضل، والفيلسوف الكامل، السيّد جمال الدين الأفغاني إلىٰ التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة، فابتدأ ـ حفظه اللّٰه ـ يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقليّة، وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أُصولاً جليلة، غُرست أُصولها في بلاد المشرق من مدّة تقرب من ألف سنة، إلّا أنّها نبتت فروعها في المغرب، واجتُنيتْ ثمارها لغير غارسيها، ولم تزل في بلادنا علىٰ كلّيّتها وإجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حيّز القوة إلىٰ الفعل، إلّا أنّ هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين، وبسط الغربيين، يجمع إلىٰ الاصول فروعها، وإلىٰ المقدّمات نتائجها، وإلىٰ المجملات تفاصيلها، بانياً جميع أقواله علىٰ البراهين الثابتة والحجج القويمة.

ولمّا كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد، جمّة الثمرات للعموم، رأيت من الواجب ـ قياماً بالخدمة الإنسانية ـ أن أُودع بعضها قوالب العبارات اللائقة بها، وأنشر طيب وفدها في صُحُف لتعمّ الفائدة، واللّٰه يتولّىٰ التوفيق.

بيّن حفظه اللّٰه وأثبت: أنّ الانسان نوع من أنواع الحيوانات الأرضيّة ـ لا كما يزعمه أرباب الأوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء، فليتذكر من له فطنة ـ وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو علىٰ مقربة منها، ينشأ نشأتها، ويسير في عيشة سيرتها، يتفيّأ ظلال الأشجار، ويستكنّ في الحجرة والأوكار، ليس

له شعار ولا دثار، ولكن خفيف أشعار، يقتات بنباتات وثمرات تحضرها له القدرة الإلهيّة، علىٰ يد القوىٰ الطبيعية، لا تمسّها يد صناعيّة، ولا تربية أجنبيّة، ليس له من المكر والتحيّل إلا ما لا يداني فيه الثعلبَ، ولا من العلم والتدبير إلّا ما يبعثه علىٰ الغُدُوّ لطلب قوته من الأعشاب وثمار الأشجار، والرواح للاستكنان في كنّ يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاره الحسّية، كما تفرّ الشاة من الذئب، والأرنب من الثعلب. ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه علىٰ كرسيّ سلطنة الوجود، ويقيمه متحكّماً في كلّ موجود، ويدعوه للحكم بأنّه خلاصة العالم ومنتهىٰ سير الحقائق وعماد عالم الكون، وأنّ جميع البسائط والمركّبات إنّما خُلقت لأجله، والكواكب السيارات إنما تتحرّك لخدمته، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً يزعجه كل حادث، وتستفزّه كلّ نبأة، ويتهيّب من كلّ شكل وهيئة، والشاهد علىٰ ذلك ما تحكيه لنا أحوال الأُمم التي كأنّها قريبة عهد بالإنسانية في جنوب أفريقيا، والقبائل المستمرّة في قمم الجبال والأُجُم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف، الذين لم تضطرّهم الحاجات ولم تَسُقْهم الضرورات إلىٰ الانتقال من مكان إلىٰ مكان، فإنّهم لم يزالوا علىٰ سذاجة الحيوانيّة وبساطة الفطرة، لا يفهمون خطاباً، ولا يُحسنون جواباً، إلاّ ما كان متعلّقاً بضرورة الحياة، كجلب قوت بسيط، ومدافعة عادٍ من الحيوانات، وجميع ما يعدّه الإنسان المتمدّن كمالاً وإنسانيّة فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بُعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم علىٰ سطح الأرض.

إلاّ أنّ مبدع الكون ـ جلّت قدرته ـ لمّا اختصّ هذا النوع من بين الأنواع الحيوانيّة بخاصّة العجز والفقر والحاجة؛ حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه، لا تحصل إلا بالتحصيل، وليس تحصيلها إلاّ بعد الكدّ والعناء؛ وهبه قوة عاقلة كلّية التصرّف، عامّة القبول، ووكل تربية هذه القوّة إلىٰ تعليم مدرسة الوجود الكلّي، فكان لكلّ نبات وحيوان بل لكلّ موجود مشهود، حقّ الأُستاذيّة وسابق الفضل

علىٰ نوع الإنسان، فاسترشد بأعمالها، واهتدىٰ بآثارها، والتقط درر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرّج في ذلك شيئاً فشيئاً، تارة يُخطئ وتارة يصيب، وطوراً ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب، مرّة تعوقه العوائق القدرية والإرادية عن إدراك الحقائق والوصول إليها، وأُخرىٰ تجذبه الجواذب اضطراراً للوقوف عليها، حتىٰ وصل إلىٰ ما تراه من أحواله الغريبة وآثاره العجيبة.

ثمّ بيّن حفظه اللّه: كيف كان يتقلّب الإنسان في سيره هذا، ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات، منقاداً في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة، يأتمر أمره ويتبع سيره، تارة يتدرّج إلىٰ الكمال فيقعده مقعد رئاسة الكون وسلطنة الوجود؛ بما يرشده إليه من التفنّن في الفنون واختراع الصنائع، وأُخرىٰ ينحطّ به إلىٰ قعر جحيم الأوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبّله بقيود الاعتقادات السخيفة. ويغلّ يديه بسلاسل العادات والأفكار الرديئة، علىٰ أنّ جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة، إنّما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره علىٰ ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته عل تفصيل طويل في ذلك، مستشهداً في تبيانه بشواهد أحواله الآنيّة المشهودة، مستدلاً بجميع اعماله المنقولة المعهودة.

وأنه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات إلاّ بدعائم الصنائع، التي هدته إلىٰ اختراعها تلك القوّة العاقلة الكلّية؛ لتكون له عوضاً عمّا سُلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكماليّة، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخافٍ علىٰ ذي شعور، فإنّ صنعة الحياكة ـ مثلاً ـ قائمة مقام القوّة السامكة للجلود الغليظة المفرزة للأشعار والأوبار، الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحر، بل القائمة مقاس ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة الحديد والأسلحة منزلة منزلة القوّة المولّدة للمخالب والبراثن والأنياب للسباع والضباع وعوادي الطيور، وهكذا بقيّة الصنائع، ومالم يقم منها مقام

ضروريّ أو حاجيّ قام مقام كمالِيّ علىٰ ما يتّضح لك بعد.

وإذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وعليها مدار بقائه في أيّ مرتبه كانت، رأينا من الواجب أن نعرّف الصناعة ونقسّمها إلىٰ أقسامها الاوّلية علىٰ ما قرّره الحكماء الأقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخّرون؛ ليتبيّن شرف كلّ صناعة علىٰ وجه الإجمال، فنقول:

الصناعة: قوة فاعلة راسخة في موضوع، مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات.

فالقوّة منشأ الأثر مطلقاً؛ فعلاً كان أو انفعالاً، فالمعلّم ـ مثلاً ـ ذو قوّة الفعل، والمتعلّم ذو قوّة الانفعال، إلّا أنّ قوّة التأثّر والقبول لاتعدّ صناعة، ومن أجل ذلك قيّدت بالفاعلة،وليست كلّ قوّة فاعلة صناعيّة مالم تكن تلك القوّة راسخة في موضوعها، تصدر عنها أعمال مستمرّة علىٰ وجه منتظم. فالقوة الحالية التي تعرض آناً وآنات ثم تزول ليست منها في شيء، وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة، كالأفعال الطبيعيّة من إحراق النار، وتمديد الحرارة، وتجميد البرودة، وما شاكل ذلك. فإن لم يكن الفكر صحيحاً، كفكر السوفسطائي المنكر لبديهيّات العلوم، أو كان نحو غرض غير محدود الذات، كأعمال الجدلي الذي أخذ علىٰ نفسه أن لا يقرّ قولاً لقائل أيّاً كان، حقّاً أو باطلاً، فليس له حدّ يقف عنده، بل قوّته متوجّهة إلىٰ معارضة مقابله، فإن كان نافياً كان هو مثبتاً، وإن كان مثبتاً كان هو سالباً، فليس بصناعة.

ثمّ إنّ من نظر في عالم الوجود الكلّي، علم علم اليقين إنه وأن وقع كثير من صوره وكمالاته تحت قوىً طبيعيّة، كقوىٰ النموّ والجذب والدفع، أو قوىٰ إحساسيّة كقوىٰ طلب الغذاء ـ مثلاً ـ في الحيوانات، أو الهرب ممّا يؤلم الجثمان، إلاّ أن عامّة أفعاله واقعة علىٰ ترتيب عقليّ محكم، ونعني بالترتيب العقلي مايكون مبنيّاً علىٰ مراعاة الغايات والحِكَم وفوائد الكمال، التي تعود علىٰ نظام الكلّ وتبقىٰ ببقائه، فإنّ

العقل علىٰ خلاف الحسّ إنّما ينظر إلىٰ الكلّي الباقي أوّلاً، ثم يتدرّج منه إلىٰ الجزئي، لا العكس.

وإنّ واضع هذا النظام العامّ قد خوّل الإنسان من قوّة العقل مالم يُخوّله غيره، وجعلها محور صلاحه وفلاحه، إن وجّهها صوب وجهتها الحقيقية، فإن استعملها لغايات طبيعيّة أو حسّيّة؛ أي قاصرة علىٰ موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه، كأن يطلب بها تنمية بدنه، أو جلب ما يلائم ذائقته أو نهامته، وما يشبه ذلك، فقد أضاع تلك القوّة العالية الشريفة، وسلخ عنها ثمرتها، وانحط إلىٰ درجات الحيوانات، بل النباتات، التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة، وأمّا من حفظ نفسه من السقوط، وأمسك عليها حقّ تلك الخاصّة ـ أعني العقل ـ فهو الذي ينظر إلىٰ كلّية العالم الكبير، فيعلم أنّ نوع الإنسان وسائر الأنواع من لوازم كماله أو متمّماته، فيتوجّه نحو حفظ ذلك الكمال، ويوقن أنّ نوع الإنسان لا يحفظ بقاؤه في عالم الوجود، إلاّ بحفظ أشخاصه علىٰ التعاقب، كما نبّأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوىٰ المولدّة والمصوّرة، ويتحقّق أنّ حفظ أشخاصه وأفراده إنّما يكون بالاجتماع والالتئام؛ لما لكلّ فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن أن يأتي عليها في الأزمنة المتطاولة، مع اضطراره إلى جميعها في الآن الواحد، كما تراه في موادّ الأغذية، التي لا تحصل إلاّ بزراعة وحصاد ودَرْس ثمّ طحن ثمّ عجن وخبز وطبخ وهلمّ جرّاً، وجميعها ـ أيضاً ـ يتوقّف علىٰ صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوهما ولوازم الاكتساء من العري، وضروريّات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات، كلّ ذلك لا يكون إلاّ بأعمال تستفرغ أَجَل الشخص الواحد في تعلّمها، فضلاً عن تحصيل غايته منها، فكيف به أن يستقلّ وهو محتاج إلى ثمرات جميعها يوماً بيوم، بل ساعة بساعة؟! فلا بدّ من التعاون في الأعمال، فيعتاض كلٌّ عن ثمن عمله بثمرة عمل الآخر، فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء؛ يعمل كلّ عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه؛ إذ لو طلب الاختصاص ـ مع أنه لا بقاء له إلاّ في ضمن المجموع ـ فقد طلب فقد نفسه

من حيث لا يشعر، فإذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقيّاً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كلّية الأفراد أوّلاً من طريق كلّيتهم، ويعود إلىٰ شخصه[١] ثانياً.

ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسمّيه بالصناعة، فمن لم يكن ذا عمل حقيقيّ يفيد المجتمع الإنساني، ويعين علىٰ انتظام الهيئة الكلّيّة، فهو كالعضو الأشّل لافائدة منه علىٰ البدن، إلاّ تكلّف حمل ثقله مع عدم التألّم من إزالته، فالأولىٰ إبانته وقطعه، بل إن كان لا يعمل ويسعىٰ الىٰ بقيّة الأفراد في عدم العمل كالإباحيّة الذين يعتقدون أنه لا ملكيّة لأحد في مالٍ ولا عِرْض؛ حيثما جاعوا أكلوا، أو شبقوا واقعوا، ويبثّون أفكارهم بين أفراد النوع ليقتدوا بأعمالهم، ويسيروا بمثل سيرهم، فيتركون الأعمال اتّكلا علىٰ ما بيد الغير حيث إنّه مباح لهم، فإن تغلّبت أفكارهم بطلت الصنائع، وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم، فيحتاجون إلىٰ الضروري من الأقوات وغيرها، ولا يجدون فيهلكون[٢].

فأُولئك كالأمراض السارية ـ مثل الجذام والزهري ـ لابدّ من قطع العضو المَؤُوف[٣] بها وإلقائه في النار؛ لئلّا يتعدّىٰ ضرر مرضه إلىٰ سائر البدن، ومن هذا القبيل الفساق والفجّار وإن لم يكونوا إباحيين، فإنّ أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتىٰ من أولئك. فينبغي أن يُعاقَبوا و يُؤدَّبوا، ويُحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكلّ ما يمكن ـ وإن كان بالتعذيب ـ حتّىٰ يستقيموا [أو يُقاموا][٤].

---

(١) في الأصل: شخصيّته.

(٢) قد ظهر بعد الحكيمين الأفغاني والمصري صنف من غلاة الاشتراكية الشيوعيّة، يُسمَّون البلاشفة، ويُسمّىٰ مذهبهم البلشفي أو البلشفية، تغلّبوا علىٰ القيصريّة الروسية، فخرّبوا عمرانها، وأفسدوا أديانها، وقضوا علىٰ أرواح الملايين من أهلها، ثمّ شرعوا يبثّون دعايتهم في العالم كلّه، وهم أولىٰ بما قاله الحكيم في الإباحية.* رشيد رضا

* ... ثمّ هلكوا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي الكامل في عصرنا الحاضر...

(٣) المصاب بآفة. اللسان ٩ : ١٦ مادّة «أوف».

(٤) في الأصل: أو لا يقيموا.

ومن الناس من مَثَله مثل الأمراض الغير السارية والأعضاء الزائـدة، كـمن أُصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الأشغال كالكسحاء والبُلْه والمعاتيه، فلا بدّ أن يتحمّل ثقلهم، إن لم يمكن استشفاؤهم؛ فـراراً مـن ألم القـلب عـند اخـتزالهـم واقتطاعهم؛ لما لهم من العذر القائم؛ إذ أنّ مدبّر الكون قد حرمهم عطاء العقل، أو عطّل فيهم آلات خدمته، فهو غير مطالِب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه، إلاّ أنّ الحقّ الأعلىٰ قد بثّ في النفوس وأودع في القلوب النُفْرة الكلّيّة من هؤلاء وأولئك، الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية، فهم مبغوضون في النفوس، مطرودون من زوايا القلوب، ساقطون عن نظر الاعتبار، بل هم ملعونون من أنفسهم أيضاً، إذ يجد كلّ واحد منهم من نفسه ـ عند ما يخلو بها ـ أنه خسيس منحطّ الدرجة رديء العاقبة، وإن كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد، فانظر إلىٰ حكمة ربّك كيف تنبّه الغافل، وتؤيّد العاقل، ولكن أكثرهم لا يعقلون.

وأمّا ذوو البطالات ومـن رفـضوا الأسـباب، ووكـلوا أنـفسهم إلىٰ التـوكّل الكاذب؛ إذ لم يتحقّقوا معنىٰ التوكّل، وظنّوا أنّه عبارة عن معارضة سُنّة اللّٰه التي قد خلت في عباده، ودعوا ذلك تبتّلاً وانقطاعاً عن عالم الظاهر، مع أخذهم لكشكول التكفّف، وخلعهم لجلباب التعفّف، فهم بمنزلة شعر الأُبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحكّ واستجلاب بعض العفونات إن لم يُتعهّد بالتطهير، ويسـتحبّ إزالتهـم وتنقية الهيئة الاجتماعية من درنهم، فإن بلغ من أمرهم أن يتّخذوا ذلك أمراً يدعىٰ إليه، وذهبوا في الناس يحوّلون وجوههم عن الاعمال، ويقلّدون أعناقهم سُبَحَ المكْر والحيلة، بسرابيل التمويه والتزوير، ويُغرونهم بتأبّط هراوة الشرّ واقتناء قدح الطمع، يُودِعون نفوسهم أخلاق الشيطان؛ من حبّ الرئاسة الكاذبة، وطلب الدنيء مـن الدنيا من كلّ وجه، والحقد، والحسد، والعداوات، وغير ذلك، ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس غير المنتظم، ثمّ يُوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الأستار، طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بثمرات اكـتسابهم بـاسم أنّهـم، وأنهـم،

وأنهم... كما ترىٰ، وجب إلحاقهم بالإباحيين، وتحتّم علىٰ كلّ ذي شعور من بني النوع أن يسعىٰ لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم؛ كيلا يُفسدوا أفكار العامّة وأعمالهم، ويعود ويل ذلك كلّه علىٰ العامّة والخاصّة معاً.

وبالجملة: حيث تبيّن أن لا قوام للانسان إلاّ بالصنعة، فمن أخلّ بوظائفها، أو رامها بالنقد، فقد عمد إلىٰ هدم بنيان الإنسانيّة، فعليها أن تطرده من أبوابها وتمحو اسمه من كِتابها:

أقسام الصنعة وشرفها:

ثمّ إنّ الصنعة علىٰ التعريف المتقدّم ـ تنقسم الىٰ أقسام: إمّا نافعة ضروريّة، أو غير ضروريّة، وإما أن تكون كثيرة النفع، أو قليلته، أو متمّمة لفعل الطبيعة، أو مزيّنة له.

فالقسم الأوّل: كالحدادة؛ لأنّها ممّا يحتاج إليه جميع الصناعات العمليّة.

والثاني: كقَصْر الثياب مثلاً.

والثالث: هو ما يكون الغاية منه نفع الإنسان لا غير، كالحكمة التي هي مقنّنة القوانين وموضّحة السبل، وواضعة جميع النظامات، ومعيّنة جميع الحدود، وشارحة حدود الفضائل والرذائل، وبالجملة: فهي قوام الكمالات العقليّة والخُلقيّة، ومن هذا القسم الحكومة العادلة.

والرابع أي الذي هو خير بالواسطة، كالزراعة والكتابة، فإنّ لها غايات سوىٰ نفس الإنسان، لكنها تؤول إليه.

والخامس: وهو الكثير النفع، كالنجارة والتجارة مثلاً.

والسادس: كصناعة الصيد وما شاكلها.

والسابع: كعلم الطبّ المتمّم لأفعال القوىٰ الحيوانية، المساعد لها على إتمام وظائفها.

والثامن: كالصباغة والنقش والتلوين وغير ذلك.

ثمّ إنّ شرف كلّ صناعة وكلّ فنّ بعموم موضوعه وشمول غايته، وإنّ أعمّ الأقسام موضوعاً هو صناعة الحكمة؛ لما بيّنّا من أنّها الباحثة عن كلّ ما يلزم للإنسان اتخاذه في أعماله وأفكاره وأخلاقه، فهي أشرف الصناعات، والحدادة وأن كانت عامّة، لكنّها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيّد الحاكم الآمر.



٥



وتأثيره في:

الارادة والاختيار



العلم وتأثيره في الارادة والاختيار[1]

سألني أحد الأفاضل عن سلطة الفكر والتعقّل على[2] الإرادة، وسلطة الإرادة عليهما؟ فلم أجد بُدّاً من المذاكرة معه في هذه المسألة، وتوضيح ما وصل إليه عقلي نقلاً عن العلماء المحقّقين، واستنباطاً من كلامهم، ولظنّي أنّ في ذلك نوعاً من الفائدة لقرّاء جريدة «الوقائع» رأيت من اللائق نشره علىٰ لسانها حكاية لآراء العلماء، وما أدّاهم إليه التدقيق في هذه المسألة.

ولابدّ قبل الكلام في الفكر والتعقّل من تقديم مقدّمة في العلم، ولا نتكلّم في العلم من جهة ما نقول ويقول المرشدون: من أنّه نور العالم الإنساني، وشمس وجوده، وروح حياته، وأنّه وسيلة التقدّم في المدنيّة، وكمال الحقيقة الإنسانية، وهو سيف القوّة، ويُنبوع الثروة، وماشابه ذلك من الأوصاف الحقة الّتي أجمع عليها العقلاء، بعد أن صدر به النطق الإلهي علىٰ لسان الرسل والأنبياء، والصدّيقين والأصفياء، فإنّ هذه الأوصاف إنّما تثبت للعلم من جهة أنّه مطابق للواقع، ومثال للحقائق الثابتة، وحاك عن الاوضاع الإلهيّة في عالمنا الوجودي.

أما كلامنا الآن فهو في مطلق الإدراك المعبّر عنه بالشعور الذهني، الذي يشمل

---

(١) نشرت في العدد ١٢٧١ الصادر في ١١ من المحرّم سنة ١٢٩٩ ـ ٣ سبتمبر سنة ١٨٨١. هذه المقالة لأحد المفكّرين المشتغلين بالعلوم العقلية.

(٢) في الاصل (عن).

جميع التصوّرات والتصديقات من حيث هي:

اختلفت كلمة العلماء في مسمّىٰ لفظ «العلم»: فمنهم من قال: إنه الصور المنطبعة في النفس آتية من طرقها المعلومة ـ الحواسّ الخمس ـ أو حاصلة من تأليف بعض تلك الصور الآتية مع بعض آخر.

ومنهم من قال: إنّه انفعال النفس بتلك الصور؛ أي التأثر الذي يحصل فيها بورود الصور عليها.

ومنهم من قال غير ذلك: من كونه نسبة بين العالم والمعلوم، مجهولة الحقيقة، أو اتّحاد العالم بالمعلوم... إلىٰ غير ذلك من الأقوال التي لا حاجة بنا إلىٰ ذكرها.

لكنّ القولين الأوّلين هما الأقرب إلىٰ العقل، والاشهر في النقل، ويكاد الخلاف[1] بينهما يكون لفظيّاً؛ لاتّفاقهما علىٰ أنّ النفس المدركة تنطبع فيها الصور، فهي متأثّرة بها، إلا أنّ الخلاف في كون العلم هل هو الصورة نفسها، أو تأثّر النفس وانفعالها بها؟ والأقرب للحقيقة هو الرأي الثاني، وهو ما يرشد إليه الوجدان الذي يدركه كلّ متعقّل من نفسه.

فالعلم ـ بناء عليه ـ انفعال في هذا الجوهر المدرك الذي تخفىٰ علينا حقيقته، لكنّا نعرف آثاره، وهو الروح الحيوي، والقوّة المودعة في المخّ والأعصاب من الحيوان، أو المعبّر عنه بالنفس الناطقة في الإنسان. فالضياء الذي قال العلماء إنّه يحمل الصور إلىٰ الباصرة مثلاً، ليس المراد أنه ينقل صور المرئيّات ـ كما ينقل أحدنا الشيء ـ من المكان إلىٰ البصر فيودعها فيه؛ إذ هذا من المحالات الأوّليّة، فإنّ صورة الشيء الذي نراه لاتفارقه بالضرورة، بل المراد أنّ الضياء للطفه عند مروره علىٰ الصور والأشكال يتشكّل بها، فيكون أيضاً بنفسه قد حدث فيه شكل يشاكل هيئة مامرّ وانطبق عليه علىٰ حسب حالة الانطباق، ولما فيه من الحركة السريعة المستمرّة،

---

(١) في الأصل: الخلف.

ينعكس إلىٰ البصر بشكله، فيؤثّر في الروح اللطيف ـ أشدّ لطفاً من الضياء بكثير ـ المودع بالحكمة الإلهيّة في مركز الإدراك، بمثل ما تأثّر الضياء من المرئيّ عند انطباقه عليه.

وهكـذا يـقال في تموّج الهـواء بـالنسبة إلىٰ المسـموعات، وفي المـلموسات والمشمومات والمذوقات يتأثّر الروح المنبثّ في الأعصاب الإدراكـية مـن نـفس الكيفيات التي تتّصل به، فيحصل فيها مثل هيئتها التي خالطته.

فالعلم والإدراك أثر في الجوهر الدرّاك يحدث فيه من المؤثّرات الأُخر المحيطة به، كسائر الآثار التي تحدث في الأشياء من اتّصال بعضها ببعض، وانفعال كلٍّ منها بما في الآخر من الكيفيّات والصفات التي يمكن أن ينفعل بها، كالحرارة يكتسبها الماء عند اقترابه منها، والماء يكتسب شكل الإناء عند وضعه فيه، وما شابه ذلك.

وهذا الأثر بحكم الوضع الإلهي ـ الذي لا تصل إلىٰ كنهه العـقول ـ يـثبت في جوهر المدرك، مستتبعاً جميع لوازمه التي لا تـفارقه، فـصورة الإنسـان ـ مـثلاً ـ يتشكّل بها الروح علىٰ هيئتها التي تشكّل بها الضياء، وهي في مكانها المخصوص، ووضعها المعيّن، فكما صارت تلك الصورة في الروح يكون فيه ـ أيضاً ـ حـيِّزُها ومكانها التي كانت حالة فيه عند الرؤية، ومقدار البعد بـينها وبـين الأشـياء التي أحاط بها الضياء وأتىٰ بها معها.

وبالجملة: فإنّ الشيء يكون في العقل كما هو في الوجود مع كافّة لوازمه وتوابعه علىٰ حسب ما اتّصف به الموصل، وما قبل الروح المدرك بحكم استعداده الفطري، حتّىٰ ذهب كثير من المحقّقين إلىٰ أنّ الحقائق بنفسها موجودة بذاتها في العقل كما هي موجودة في الخارج، لما رأوه من التماثل التامّ بين صورة العلم والمعلوم، فكأنّ عالم الإدراك وما يوجد فيه هو بعينه عالم الشهود وما احتوىٰ عـليه، وكـما أنّ حـركة الموجودات ـ في العالم الخارج عن نفوسنا ـ تدعو إلىٰ اتّصال بعضها ببعض، فيتألّف منها أجسام علىٰ نمط منتظم او غير منتظم، يكون لها من الخواص والصفات بـعد

تألفها ما لم يكن لها قبل التألّف، فإنّ حركة الأجزاء الغذائية ـ مثلاً ـ وانضمامها إلىٰ البدن الإنساني أو الحيواني، يُكسبها من صفات الحياة مالم يكن لها قبل اتّصالها بالبدن، كذلك حركة الجوهر المدرك فينا تُفضي إلىٰ انضام بعض الأشكال الإدراكية فيه إلىٰ بعض آخر، فيتألّف منها شكل ثالث يكون له من الخوّاص العقليّة في ذلك الجوهر ما لم يكن للشكلين الأوّلين، ونريد من الأشكال أنواع الحركات الحادثة في جوهر الروح، فإنّ انضمام بعضها إلىٰ بعض يُحدِث أنواعاً أُخر من الحركة.

وكما يرى في عالم الشهود أنّ بعض أجزاء العالم يجذب بعضاً، وبعضها يطرد بعضاً آخر؛ لتمام مناسبة أو تمام منافرة بينهما، كذلك بعض المعلومات في العقل إذا حصل يوجب انضمام معلوم آخر إليه أو انفصاله عنه، وفي كلا الحالين أحدث في النفس أثراً جديداً، ومن ذلك تذكّر الشيء بعد الذهول عنه لوجود ما يلائمه أو يضادّه بالكلية، وقد يكون في الحالين مع سرعة تارة، ومع بطء تارة أُخرىٰ، كما يحصل ذلك في الموجودات المشهودة بلا فرق، ومعنى هذا أنّ تأثّر جوهر الإدراك بحالة، قد يوجب تأثّره بحالة أُخرىٰ لرابطة بين التأثّرين؛ سواء كانت تلك الرابطة ناشئة عن المناسبة أو المعاكسة.

ومن المعلوم المقرّر عند كلّ عاقل: أنّ هذا الجوهر الروحي هو المتسلّط علىٰ الأبدان التي صارت باستعدادها الطبيعي مظهراً لآثاره؛ بمعنىٰ أنّ حركات هذا الروح في أجزاء الأبدان توجب مطاوعة تلك الاجزاء له، فهذه التأثرات والانفعالات التي تحدثها فيه حركات الموجودات الواصلة إليه، توجب في هذا الروح حركة مخصوصة علىٰ حسبها، شأن سائر المؤثّرات الطبيعيّة العاديّة، وبحكم حركة هذا الروح تتحرّك الأجسام والأبدان بآلاتها المخصوصة؛ علىٰ ترتيب ونظام مخصوص يشبه حركة الروح الناشئة عن تأثّرها، وهذا ما نسمّيه بالحركة الإرادية، وهي التي يندفع بها البدن إلىٰ طلب شيء أو الهروب منه عند العلم بملاءمته أو منافرته؛ أي عند انفعال الذهن بصورته مع لازمها الذي هو الملاءمة أو المنافرة،

حسب الشكل الذي حدث في الجوهر الروحي ـ المعبّر عنه بالذهن ـ يتحرّك في الأجزاء المَعَدّة لحركته فيها، فتتحرّك هي ـ أيضاً ـ بحركته، إمّا طلباً، وإمّا هرباً، جذباً أو طرداً.

وقد يتعارض أثران في الجوهر المدرك الذي هو الروح، وبعبارة أُخرىٰ: قد تختلف صورتان علميّتان في العقل: إحداهما تقتضي اندفاع الروح، وحركته نوعاً من الحركة والأُخرىٰ تطلب نوعا آخر منها، فيقف، وهي حالة التردّد، فإذا عرض من الآثار الإدراكيّة أو الصور العلميّة ما يقوّي أحد الأثرين تحرّك إلىٰ ما يوافقه، وإلاّ فهو في مركز الوقوف، ويبقىٰ أثر ضعيف في الإدراك للصورة المرجوحة عند ما يغلب علىٰ الروح أثر الصور الأُخرىٰ.

فالإرادة إنّما هي تابعة للأثر العلمي في الروح الإدراكي، أو هي صورة أُخرىٰ لذلك الأثر، بل الفعل الصادر عن الروح في البدن ـ أعني الحركة البدنية نفسها ـ إنّما هو ظهور الأثر الإدراكي في الروح، فيكون حاصل القول: أنّ المتّصل بالروح أثّر فيها أثراً ـ وهو العلم ـ أوجب حركتها في أجزاء البدن، فكان عنها حركة البدن نفسها.

وإن شئت قلت: تشكّل الروح ـ وهو في الاجزاء ـ بشكل ما اتّصل به، فظهر ذلك الشكل بعينه في الأعضاء بالحركة الفعليّة، وهذا ما يقول العلماء: «إنّ الإرادة تنزُّل العلم، والفعل تنزُّل الإرادة»، ومعناه: أنّ حقيقة الاثر واحدة ظهرت في الأشياء المتعدّدة بمظاهر مختلفة.

وقد يكون تأثير الإدراك في أعضاء البدن وآجزائه ـ والموادّ التي يتركب منها ـ خارجاً عن الطور الذي نسمّيه بالإرادة، وذلك كفعلِه في الدم عند ما ينتقش بصورة فعل منافر، وفي الإمكان دفعة، فيفور الدم ويغلي وينتشر في جميع العروق، ويدور فيها دورة غير اعتياديّة، فإذا اشتدّت الدورة تحرّك البدن إلىٰ الايقاع بمن صدر عنه الفعل غير الملائم، وهذه هي الحالة التي نسمّيها حالة الغضب، فإنّ تأثير

الأمر المُغضِب في الدم ليس في حدّ الإرادة والاختيار، وإن كان التحرّك للإيـقاع واقعاً تحت الارادة، لكن ربما إذا أمعنّا النظر نجده خارجاً عنها، وإنّما نـعدّه داخـلاً تحتها عند ما نلاحظ أنّ عندنا أثراً علميّاً آخر يدافع طلب الانتقام، ويردّ النـفس عنه، وهو صورة عاقبة الفعل الانتقامي وما يخشىٰ من خطرها، فلوجود هذا الأثر عند الغضب نحسب الحركة الغضبيّة حركة إرادية، وإلاّ فالغضبان يحسّ من نفسه أنّه مغلوب لإدراكه.

ومثل ذلك تصوّر العاشق وصْل المعشوق، فإنّه يفعل في الدم حركة وفي القلب خفقاناً، خصوصاً إذا كان المعشوق بمرأىً منه وبمشهد من أعماله، ويتبع ذلك ارتعاد خفيف في الأعصاب والأربطة البدنية ربما يُفضي إلىٰ الرعشة، وليس هـذا التأثّـر داخلاً تحت الإرادة ولا هو منها في شيء، ولكن قد يتبعه فعل إرادي مـثل الفـعل الذي يتبع الغضب، وإنّما يعتبر الفعل إرادياً ما إذا كان ناشئاً عن إدراك آخر؛ سواء كانت المنازعة علىٰ وجه المدافعة أو المقابلة، ومرادنا مـن المـقابلة تـصوّر الشيء وضدّه، وترجيح غايته علىٰ غاية الضدّ، كتفضيل الحياة علىٰ الموت عند تصوّرهما.

وقد يفعل الإدراك في الدم وقفه وانقباضاً، ربّما يؤدّي إلىٰ الجمود وفقد الحياة، كما نشهده فيمن فجع بموت ولده أو صديقه، أو تصوّر خطراً وخطباً جسيماً، فإنّ قوّة هذا الأثر الإدراكي وفعلها في جوهر الإدراك، قد تتسلّط عـلىٰ الدم فـتردّه مـن العروق بحركة جوهر الروح وشدّة انقباضه، أو توقف دورته، وربما ينشأ عن ذلك موت المفجوع والآيس، ويتبع ذلك من الأعمال الإرادية قبل ذهاب الحياة سكون أو تحرّك غير منتظم.

وقد يؤدّي إدراك من الإدراكات ـ كتصوّر أمر مخيف ـ إلىٰ ذهـاب الإدراك، وسلب الشعور بالكلّيّة، وهو ما يعبّر عنه بالإغماء والغَشي؛ وذلك لاستيلاء أثـر

الصورة المخيفة علىٰ الجوهر المدرِك في البدن، فلا يشغله[١] سواها، فتضمحلّ جميع الانفعالات المعبر عنها بالإدراكات، وتفنىٰ في نوع هذا الإدراك والانفعال الشديد.

وهذه الأحوال التي نجدها من أنفسنا ترشدنا بلا شبهة إلىٰ أنّ التأثّر الإدراكي من الانفعالات الطبيعية، التي تتأثر بها الجواهر اللطيفة من الضياء والكهرباء وغيرهما، وأنّ ما ينشأ عن التأثّر الإدراكي، إنّما هو كيفيّات تتبع الحالة التي صار عليها الجوهر المدرك بعد التأثّر الذي عرض عليه؛ أي ما نسمّيه علماً وإدراكاً.

---

(١) في الأصل: يسفله.

الملكات والعادات

إنّ هذا الجوهر الروحاني المتعلّق بأبداننا الذي يتأثّر من كلّ واصل إليه، وينفعل أشكالاً من الانفعال لكلّ متّصل به، يأخذ ـ بتوارد أنواع التأثّرات ـ هيئات مخصوصة تثبت فيه، مستتبعة لوازمها حتىٰ تصير كأنّها من أصل خلقته لكثرة ما وردت عليه، وهي التي نسمّيها ملكات إدراكية وعلوماً ثابتة في النفس لا تزايلها، ويتبعها السجايا والطبائع والأخلاق النفسانيّة، الملائمة لتلك الملكات الإدراكية، ويلزمها الافاعيل البدنية المعبّر عنها بالعادات.

فليست الأخلاق والعادات إلاّ توابع ومستلزمات للعلم والإدراك، الذي هو أثر في جوهر الروح يتبعه الأثر الفعلي، فن عرض للنفس مؤثّر، أو وقف علىٰ أبواب الإدراك وارد غريب عن ملكاتها السابقة، وبعيد عن الهيئات الإدراكية التي أخذ الجوهر شكلها، عَسُر علىٰ الذهن إدراكه، وتعسّر علىٰ النفس فهمه، ومانعت الأعضاء البدنيّة أثره، فهذه الأخلاق والملكات ناشئة عن كثرة توارد الانفعال النفسي الإدراكي من نوع واحد، حتىٰ صارت هيئة للنفس تصدر عنها الأفعال الجزئيّة الملائمة لها، كلّما عرض عليها أثر جزئي من نوع الهيئة الكلّية، فسجيّة الكرم ـ مثلاً ـ ثبتت في نفس الكريم؛ لكثرة انفعال عقله وإدراكه بصور الغايات الشريفة التي تتبع الكرم، والفوائد الجليلة التي يكتسبها باذل المال، أو باذل الهمّة في سدّ حاجات المحتاجين، فبتكرار هذه الصور والإدراكات علىٰ العقل، وصدور الأثر الإرادي

عنها، وطول الزمن علىٰ ذلك، تمكّنت في النفس هيئة مخصوصة إدراكية، وهي اليقين ـ الذي خالط الروح ـ بأنّ الكرم جميل مفيد، ويتبعها انطباع النفس بالأمر[١] التامّ لحركة الإعطاء، وإيصال الخير إلىٰ من يحتاج إليه، فاذا أُخطِر ببال الكريم وصاحب هذه السجيّة ـ التي تولّدت فيه عن انتقاش نفسه بصورة فائدتها ـ فعلٌ لبخيل منّاع للخير، رأيت عقله يبعد عن إدراك هذا الفعل، ويجد من روحه انقباضاً وتعاصياً عن الانفعال به، بل يجد جوهر عقله يطارد هذا الانفعال الذي تجلبه إحدىٰ الحواسّ، أو يذكّر به راوي العمل وحاكية، فإذا كُلّف صاحب هذا الخلق بأن يعمل عمل البخلاء، رأىٰ من نفسه ـ بعد الإباءة الإدراكية والمصادرة العقليّة ـ انحطاطاً بدنيّاً وارتباطاً في الأعضاء، حتّىٰ كأنّه يجد عاقداً يعقد كلّ طرف بآخر، ومانعاً يمنعه من نفسه عن تحريك عضلاته، بل يحسّ من ذاته كأنّ القوّة المحرّكة إلىٰ هذا العمل الخبيث، مفقودة[٢] بالكلّيّة.

وهكذا يقال فيمن تعوّدت نفسه إدراك غوائل الفقر والحاجة، وتكاثر عليها الانفعال بصورة العجز والضعف عن الكسب، وتهيّأ جوهره الإدراكي بصورة الانخذال والانهزام من صدمات الحوادث، فهذا الذي أحاط بإدراكه جميع المزعجات، تراه قد رسخ في قوّته الروحيّة اشكال من هذه الانفعالات، وانطبعت نفسه ومبادئ الحركة فيه علىٰ الميل إلىٰ ما يلائم إدراكه الثابت، فهذا الراسخ هو ملكة العلم بفوائد البخل والإمساك عنده، وهذا المنطبع سجيّة البخل، وعنهما تصدر الإرادة بالأفاعيل الناقصة التي هي عنوان هذه الملكة وتلك السجيّة، ولئن ذكر لصاحبها طرف من أحاديث البرّ والاحسان، وما ينشأ عنهما من الفوائد لمن تحلّىٰ بهما، رأيته ينفر من ذلك نفور الوحش، ويطلب سدّ أبواب الإدراك علىٰ نفسه حتّىٰ لا يتكدّر خاطره ويتألّم بهذه الصور الرديئة المستبشعة.

---

(١) في الأصل: بالنهي. (٢) في الأصل: فاقدة.

[و] من جملة هذه الملكات التي ترتكز في جوهر النفس المدركة: ملكات الصناعة كالكتابة والإدارة والرسم والحدادة والنجارة، وغير ذلك من أنواع الصنائع التي ترتسم في ذهن المدرك صورها الآتية إليه من إحدىٰ الحواسّ، مقترنة بما يلزم تلك الصنائع من الفوائد والثمرات التي يجتنيها العامل فيها، وتارة لا تأتي إليه صورة الصناعة من طرق الحاسة، ولكن يضطرّه الإحساس المؤلم العارض له من المؤثّرات الجوّية إلىٰ طلب الخلاص منه، فيندفع إلىٰ التأمّل في الموجودات المحيطة به لعله يجدمنها ملجأ، فينفعل بصور منها علىٰ هيئات مختلفة انفعالاً يلائم الانفعال الأصلي؛ أعني طلب الخلاص من الألم، فيتحرّك للعمل فيها علىٰ غير انتظام، ولا حالة تمام وكمال في مبدأ الأمر، ثمّ يلجئه ركوز الفائدة المقترنة بهذه الهيئة ـ ولزوم الحاجة لمداومة الأعمال فيها ـ إلىٰ جبر الأعضاء والآلات البدنية علىٰ حركات واهتزازات خاصّة ـ إن كانت الصناعة بدنيّة ـ حتىٰ تلين تلك الأعضاء، وتكون في غاية المطاوعة لهيئة الروح المدرك؛ أعني أنّها تكون في حركاتها مثالاً لما ارتسم في الروح من الهيئة التي رآها أو لمسها ـ مثلاً ـ مع لازمها من الفائدة والغاية الملائمة؛ حيث أثّر ارتسامها في الروح أثراً خاصّاً، وبه سرىٰ في الأعضاء علىٰ هيئة وكيفية خاصّة، ويصعب أوّل الأمر أن تكون علىٰ طبق ما ارتسم من كلّ وجه، ولكن باستحكام الأثر ومداومة العمل، تنطبع الهيئة بتمامها في الأعضاء كما انطبعت في مركز الإدراك، ومثل ذلك الهيئةُ المخترعة التي دعت الضرورة إلىٰ ارتسام الذهن بها.

فإن كان العمل غير بدنيّ كالإدارة والسياسة ـ مثلاً ـ من الأعمال الفكريّة، التي لا يراد من العامل فيها سوىٰ تأليف صور فكريّة معقولة تنطبق علىٰ الواقع، ويمكن ـ بسهولة ـ الجزئيُ[1] علىٰ مثالها، وهو ما نعبّر عنه ـ في اصطلاح الحكومة بالتنفيذ، فملكتها إنّما تثبت في العقل، وتنطبع في الروح، حتّىٰ تكون كهيئة فطريّة له ـ كما في

---

(١) في الأصل: بالسهولة الإجراء.

سائر الملكات ـ بتوارد صور كثيرة مختلفة الأنواع والأشكال من صور المضار والمنافع والمصالح والمفاسد ثمّ يوجد عنده انفعال وتأثّر[١] بغاية وداعية تبعثه علىٰ المقارنة بين تلك الصور، والحركة في تِطْلاب لوازمها الكامنة فيها. فإذا استحكمت هذه الغاية في النفس صيرت الروح كالبحر المائج والاشكال العلميّة أمواجه، أو كالضياء لا ينفك عن الحركة يؤلّف بين عدد من الصور، ثمّ يفرّق بينها، ثمّ يجمع بين المتفرقات في نقطة، ولا تسكن له حركة حتّىٰ يستقرّ في ملتقىٰ المنافع، وهي الصورة المنطبقة علىٰ غايته الملائمة له؛ أي التي تأثّر وانفعل بها، فانبعث لطلبها بحكم ذلك الانفعال.

وفي مبدأ الأمر لا تأتي هذه الحركات بالمطلوب علىٰ وجه السرعة، لكن متىٰ استحكم في الروح الأثر الباعث علىٰ هذا العمل الفكري، استمرّت الحركة العقليّة مرّة تُحاذي الغاية، وأُخرىٰ تنحرف عنها، فتحفظ للانحراف أثراً يبعدها عنه مرّة أُخرىٰ حتّىٰ يكون الاتّجاه إلىٰ وجهة الطلب كطبع جِبِلّيّ فيها. وهذا إجمال في القول ربما نأتي علىٰ تفاصيله فيما بعد.

ومن تأمّل حال سير الإنسان، بل طريق ترقّيه وتدنّيه في أعماله واختلاف عاداته وأخلاقه واعتقاداته وكافّة شؤونه، وأنّه قلّما يتّفق جيلان من الناس ـ بل قبيلتان، بل فخذان ـ علىٰ استحسان شيء أو استقباحه، بل إذا تنزّلنا إلىٰ النظر في الجزئيّات، رأينا هذا الاختلاف بين كلّ شخص وشخص حتىٰ المولودين في بيت واحد، هذا يستحسن شيئاً، وذاك يستقبحه ويستهجنه، ومن يدقّق نظره في ذلك يوافقنا علىٰ أنّ هذه الأحوال الإدراكية ـ التي تتبعها الملكات والأعمال التي نسمّيها بالعادات ـ إنّما منشؤها الانفعال من المؤثّرات الخارجيّة، التي تختلف علىٰ الشخص باختلاف موقعه، وما يحيط به من مؤثرات الطبيعة، ومن يكتنفه من أبناء جنسه،

---

(١) في الأصل: وتأثير.

وما ينشأ عليه من نوع المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وما يطرق أُذُنه من الأصوات ساذجة ولفظيّة مستعملة ومهملة، وما يراه من الصور والأشكال متعاقبة بعضها أثر بعض، وما يذهب إليه إدراكه من جميع ذلك مستعقباً ومستتبعاً لوازمه، فإنّ جميع ذلك يتشكّل به الروح المدرك، ويكون هيئة فيه، وما تكرّر منه ثبت شكله فيه؛ أي انطبع الروح بطابعه؛ أي صار الروح علىٰ ذلك الشكل، فهو في حركته الطبيعيّة يكون علىٰ ذلك المثال، وهو ما نعني، من تقرّر الملكة وثبوت العادة، وما لم يتكرّر يذهب أثره بغلبة بقيّة الأشكال عليه.

ويعرف العلماء الملكة: بهيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بدون فكر ولا رويّة، وليس مرادهم من كونها بدون فكر ولا رويّة أنها غير إراديّة بالمرّة، أو أنّها رمي بدون رامٍ، تارة يُخطئ، وتارة يُصيب، ولكن مرادهم أنّ الروح ينطبع عليها، فالإرادة موجّهة إلىٰ ما يكون علىٰ مثالها بدون احتياج إلىٰ جَوَلان بين الصور وترجيح بعضها علىٰ بعض، وبعد تمكّن الملكة في النفس وانطباع الفكر أو الأعضاء علىٰ محاذاتها في الحركة، يكون من الصعب ـ بل ربما كان من المتعذّر ـ أن يتحوّل الإنسان عنه إلاّ بقاهر تشتدّ وطأته علىٰ النفس فيوصل إليها من المؤلمات أو يخيّل لها من المخوفات ما يؤثّر فيها أثراً قويّاً يلويها عن الأثر الأوّل ويقودها إلىٰ الأثر الجديد، ثمّ يستمرّ ذلك أزماناً ـ وإن شئت قلت أجيالاً ـ حتىٰ تضمحلّ الهيئة الأولىٰ، وتثبت الهيئة الأُخرىٰ، ومن ذلك الحديث الشريف: «إذا سمعتم أنّ جبل كذا انتقل من مكانه فصدّقوا، وإذا سمعتم أنّ فلاناً تحوّل عن خلقه فلا تصدّقوا» يشير بذلك إلىٰ صعوبة الانتقال عن الأخلاق والعادات الثابتة؛ من تلقاء النفس بدون أن يضطرّها لذلك قاسر أو زاجر، وهيهات أن ينال المطلوب مع ذلك.

وممّا يرشد إلىٰ أنّ تكرّر الانفعال علىٰ النفس يُحدث فيها هيئات فكريّة وعمليّة، ما حكاه عبد الوهاب (لعله عبد اللطيف) البغدادي من حوادث سنة ٥٩٥ هجرية في مصر: أنّ شدّة القحط وفقد المطعومات في الديار المصرية بذلك الوقت، اضطرّ

بعض الناس لأكل بعضٍ آخر؛ لسدّ الرمق وإلهاء كلب الجوع، وفشا ذلك فاستبشعته النفوس ونفرت منه، حتىٰ إنّ بعض الناس انزعج لهيئة أكل الإنسان فمات من بشاعة المنظر، ثمّ لمّا عمّ ذلك غالب الأفراد زالت البشاعة شيئاً فشيئاً، حتىٰ صار من المألوفات أن يأكل الرجل أحد أقربائه، والمرأة ابنتها أو أحد أقاربها، وكانوا يطبخون لحم الآدمي بالتوابل والبهارات كما يطبخون لحم الحيوان.

فانظر إلىٰ الانفعال الذي حدث في النفس من غائلة الجوع، كيف غلب علىٰ الاعتقاد وكان في غاية الاستحكام، وانقلب القبيح حسناً، إلاّ أنّه بعد زوال العارض عاد الاعتقاد الأوّل إلىٰ مكانه؛ لارتفاع الضرورة، لكن لم يعد إلىٰ حالته الأُولىٰ علىٰ وجه الكمال إلاّ بعد أزمان.

نظنّ أنّك التفتّ ـ فيما ألقينا إليك من المقدّمات السابقة ـ إلىٰ أنّ العلم والإدراك ـ الذي يستولي علىٰ الإرادة ـ إنّما هو الانفعال بالصورة الواردة إلىٰ الروح الدرّاك إذا قارنها الانفعال بصور الغايات اللازمة لها، ملائمة لذي الروح أو منافرة، ولا يتحرّك بها الروح علىٰ هيئتها الثابتة فيه منبثّاً في الأعضاء أو ما تجافىٰ مركزه الفكري؛ لينفعل بصور مركبّة من الانفعالات البسيطة أو المركّبة، إلاّ إذا لم يعارضها انفعال يلوي الروح إلىٰ ضدّ الحركة التي تطلبها تلك الانفعالات؛ إذ عند المعارضة لايكون للهيئة الأولىٰ تمام الثبوت والركوز في النفس، ومتىٰ قوي ارتسام الصورة الإدراكيّة، وتغلّب علىٰ سائر الإدراكات الأُخرىٰ، وكان الارتسام بمطلوب أو مهروب منه، اندفع الروح إلىٰ الحركة ـ كما مرّ بك بيانه ـ وعن ذلك تكون الأعمال التي باستمرارها تثبت الملكات أو العادات.

ويوجد علوم يسمّيها أرباب الاصطلاح علوماً، وأرىٰ لهم في التسمية حقّاً لأنها نوع من التأثّرات النفسيّة الإدراكية، وإن كانت لا أثر لها في باب الإدراك يصحّ اعتباره إلا من وجه أنّها أشكال مؤلّفة من خواطر النفس لا غير، وهي ما تخيّله التعاليم والألفاظ الموضوعة بإزاء معانٍ يمثّلها المعلّمون للذهن بالتمثيل

والتشبيه، ويقربونها إلى الجوهر الدرّاك[1] بتذكير بعض المألوفات، فيحدث منها في المخيّلة أنواع من الأشكال بسائط ومركّبات؛ أي يتشكّل الجوهر الدرّاك بهيئات تناسب التقريبات التعليميّة، تحضر عنده بالتذكر وضمّ بعض المذكورات إلىٰ بعض، وذلك كما يوصف للأعمىٰ هيئة الأفلاك والكواكب وحركاتها، ويمثّل له ذلك بكُرة الصبيان موضوعة في مستديرات كمحيط الغربال، إلّا أنّها في السعة علىٰ نحو كذا، وفي التدوير علىٰ كيفية كذا... إلىٰ آخر الأوصاف.

وكما يقرب للبخيل حقيقة الكرم وكيفية بذل الحقّ لصاحبه ومنحه لمستحقّه، وصرف ثمرات الكسب فيما يؤتّل المجد، ويعلي شأن الحسب وأشباه ذلك، فإنه يتمثّل في ذهنه هيئة مركّبة من مجموع الأوصاف التي كانت بسائطها ثابتة فيه، وإنّما التعريف أحدث هيئة اجتماعها مسماّة باسم واحد هو «الكرم» مثلاً، إلّا أنّها لا تجاوز المركز الإدراكي، فهي ترتسم فيه من حيث التمثيل والتعليم، فإن توارَدت عليها الأشباه والمذكّرات من وجه التعليم والتذكّر بقيت ثابتة، ويقال لمن هي عنده: إنّه عالم بتلك الصفة، وقادر علىٰ تعليمها كما أخذها علىٰ النحو الذي حضرت به عنده.

ومن ذلك كلّ ما يتعلمه الشخص من القواعد العلميّة قصد أن يتعقّلها؛ أي أن توجد في جوهر روحه صور مؤتلفة علىٰ نوع خاصّ من الائتلاف، وترجع إلىٰ وجهة واحدة في الجنس، كعلم النحو وعلم العروض مثلاً، أو فنّ الأخلاق والسياسة.

وقد يحصل عند الشخص من ذلك شيء يسمّىٰ بالملكة، لكنّه ليس من نوع الملكات التي بيّنّا كيفيّة حدوثها عند النفس فيما سبق من الكلام، وإنّما هو نوع من رسوخ تلك الصور في المدركة؛ بحيث إذا وجد جزئيّ من الجزئيّات يرد علىٰ الذهن من الخارج، فربما ينتبه المدرك إلىٰ كون هذا من نوع بعض الصور، وليس من نوع البعض الآخر، ويكون لصاحب هذه الملكة أنّه يولد في عقله من هذه الانفعالات

---

(١) في الأصل: الدرك

انفعالات أُخرىٰ تحاكيها محاكاة تامّة أو غير تامّة، ويطابق بين الأصل وما تولّد عنه كلّ ذلك في عقله، لا يراعي فيه الانطباق علىٰ الواقع أو عدم الانطباق، فإن لاحظ ذلك فهو علىٰ شريطة أن لا يباين الأصل الذي تلقّاه، فهذا إنّما هو نوع من حركة الروح علىٰ مركز واحد حركات متشابهة أو متعاكسة. ومن تأمّل في المسائل الاختراعية التي استولدها بعض علماء الفنون العقليّة، وذهبت عقولهم خلفها، فاستحدثوا لها في أذهانهم لوازم لم يقفوا فيها عند حدّ، تبيّن حقيقة ما قلنا، فمثل هذا النوع من العلوم لا يؤثّر في الإرادة شيئاً سوىٰ أنّه يحولها إلىٰ إجابة الفكر فيه، فلا يكون له همّ إلاّ تأليف الأشكال العقليّة وتفريقها، وهذا نوع من تسلط الإرادة علىٰ الإدراك بعد تسلّطه عليها.

مثلاً: الذي درس علم التهذيب لقصد الوقوف عليه ليس إلّا، بعد أن صار كهلاً بين قوم بعيدين عن التهذّب، وتلقّفت إحساساته من أحوالهم ما انطبع عليه روحه الدرّاك، وسرىٰ به في الدم والعروق، وجرت به الأعمال العضويّة، ومرنت عليه حتّىٰ صارت في النفس ملكة وللبدن عادة، وحفظ جميع ماحوته الكتب الشهيرة في هذا الفنّ، فإنّ قواعد الفنّ وصور أُصوله تكون جاثمة في مركز الإدراك، وأشكالها ثابتة فيه، لكنها حيث لم تقترن بغاية هذا التحصيل، وهو العمل، وإنّما كان القصد مجرّد العلم حتىٰ يمكنه أن يعلّمه ويلقيه كما تلقّاه، فإنّ العقل والنفس يقفان به عند هذا الحدّ فقط، فإذا انضمّ إلىٰ ذلك غايته، وهي أن يقدر علىٰ تأليف جمل منه وفصول يعبّر عنها باللسان أو بالكتابة، تحرّك الروح في لسانه، وتضامّت الأشكال في مخيلته علىٰ الترتيب الذي يريد في عقله، فيتمكّن من ذلك بالتعويد حتىٰ يصير هذا النوع من العمل ملكة له، وتكون الإرادة تابعة للإدراك هذا النوع من التبعيّة.

ومثل هذا من يتعرّف أعمال العبادة المسيحيّة، وهو مسلم أو بالعكس، لا لقصد العمل، ولكن لقصد أن يتكلّم أو يكتب ما يدلّ علىٰ تلك الأعمال وفروعها، فالإرادة تابعة للانفعال الإدراكي بالداعية والباعث إلىٰ الحركة، فإن كانت الداعية

مجرّد التصور وقفت عنده، أو انضام الترتيب والتأليف في الالفاظ والأرقام تجاوزت إلىٰ هذه الغاية، وهي إلىٰ هذا الحدّ لاتفيد في حال الشخص وصفاته الحقيقيّة ـ التي هو بها جزء من هذا الوجود ـ شيئاً يعتدّ به، وأرباب هذه الحالة يعرفون ـ في الاصطلاح ـ باللفظيين تشبيهاً لعلومهم بأشكال الهواء والأصوات المقطّعة المسماة بالألفاظ؛ لا أثر لها إلّا بالعرض.

ومن ذلك الذين يتكلّمون كثيراً بالحكم العالية والأُصول النظاميّة الجليلة، لكنّهم في أعمالهم لا يراعون شيئاً ممّا يقولون، وما ذلك إلاّ لكون تصوّراتهم إنّما هي تأليف أشكال خيّلها هم الممثّلون والمقرّبون، فوجد لتأثّر أذهانهم بها نوع من الارتياح للطف الأشكال المؤلّفة منها في حدّ ذاتها، فانبسطت نفوسهم لاستثباتها، وانضمّ إلىٰ ذلك إحساسهم بإجلال الناس لمن ينظمها في سلك العبارات أو الأرقام، فوجّهوا الإرادة إلىٰ ذلك فلم ينالوا سواه.

وعلىٰ هذا المثال من يعرف قواعد النحو بالتمثيل والتقريب، إلاّ أنّه إذا قرأ لا يتذكّر شيئاً منها، وإذا كتب جال قلمه خارجاً عن دائرتها، وأُولئك هم المبتدئون الواقفون علىٰ عتبة التعليم، ولا يصحّ أن يقال لهم بالحقيقة: عالمون بشيء ممّا يقولون، ولو علم النحوي ـ مثلاً ـ قواعد النحو حقّ العلم، أو عرف السياسي أُصول السياسة كمال المعرفة، وانطبع بها روحه الدرّاك علىٰ النحو الذي اسلفنا، لتبع ذلك الانفعال غايته؛ فإنّ الغاية من الأصل المدرك التي ماوضع الاصل إلاّ لها من لوازمه لا تفارقه، فعدم تمكّنها في النفس دليل عدم تمكّن الأصل نفسه فيها، ومتىٰ تمكّنت الغاية انطلق الروح في الآلات العلميّة لتحصيلها، فيعوجّ في السير ويستقيم حتىٰ ينطبع شكل الأصل وغايته في الروح المنبث في كافّة الاعضاء، فتصدر لذلك الأعمال تابعة للأصل الثابت بدون عُسر، وهنا لك تمام العلم وكماله.

أفلا يرىٰ أنّ مدرّس السياسة عند ما يقبض علىٰ زمامها لإجراء العمل بما علم يلتبس عليه الحال الواحد؛ لا يدري يطبقه علىٰ أيّ أصل من الأُصول الثابتة عنده،

أليس هذا جهلاً بنفس الأصل؛ حيث لم يقف علىٰ نوع جزئياته؟! لكنه بعد التطبيق وظهور العاقبة الحميدة يجد من نفسه أنّه فُتح له باب جديد من العلم، وكذلك إن حدث منه أثر رديء، فهذا الارتباك الأول والرشاد الثاني شاهدان علىٰ نقص الإدراك قبل تمكّن الملكة النفسيّة والأعمال التعويديّة، وكمالِهِ بعد تمكّنهما.

ومن هذا القبيل أحوال كثير من الناس يزعمون أنّهم يعتقدون شيئاً، ويعلمونه حق العلم، بل ويدافعون عنه، ولكنّهم يعملون علىٰ خلاف ما يقتضيه، مع زعمهم التيقّن بأنّ النجاة في اتّباعه، والهلاك في العدول عنه، وقد تبيّن أنهم في الحقيقة لا يعلمون.

الإدراك الراسخ في النفس الذي يكون هيئة ثابتة لها، وملكة تصدر عنه الأفعال بدنية كانت أو فكرية لها أثر واقعيّ، لا مجرّد الأثر التصوّري، هو المعروف في الاصطلاح بالاعتقاد؛ لأنه بانطباعه في جوهر الروح المدرك كأنّه عقد في النفس بحيث يعسر انحلاله وزواله، والنفس بكثرة مزاولته وتكرار انفعالها به قد اعتقدته وارتبطت به، وما عدا ذلك هو المخيل والموهوم يحوك في النفس، وتظهر صورته فيها عند عروض مذكّراته، وموجبات انفعال النفس به، فإذا هبّ الروح لحركته الذاتية بورود الموجب، رأيت المعتقد قد احتوىٰ على الروح، فتحرّك به وتوجّه إلىٰ وجهته، وزال ذلك الموهوم كأنّ لم يكن، وإنّما مثل الموهوم في النفس مع المعتقد، كمثل جسم غريب حلّ في شكل الشعلة المخروطي، فأثّر في انحرافه عن المخروطيّة، فإذا قويت الشعلة حتّىٰ أحرقته عادت إلىٰ تمام الشكل، ولا يحصل انحراف الشكل إلاّ عند عروض عارض آخر، فالصور الاعتقاديّة في الروح تكون كالأشكال الطبيعية، وما دونها لا يؤثّر فيها أثراً حقيقيّاً ثابتاً، وفي ذلك يقول نبيّنا صلّىٰ اللّٰه عليه وسلّم: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن» ولست أُريد تفصيل ذلك.

تأمّل إلىٰ من جلس أمام منبر الخطابة يستمع الوعظ بكلّ إنصات، ويهزّ رأسه هزّة الهائم بجمال ما يسمع، وتارة يذرف الدمع من عينه لما حاك في نفسه من الانفعالات الروحية التي أحدثتها مذكّرات الخطيب، ويكون ذلك الوعظ في تخفيض

شأن الدنيا وتهوين أمر الحياة، وأنّ كلّ طويل فيها قصير، وكلّ سرور فيها مشوب بمكدّرات وشرور، وأن لا غنيمة فيها سوىٰ ما يقدّمه العاقل بين يديه من طيّبات الأعمال ليكسب بها نعيماً مؤبّداً، حتىٰ إذا انفضّ المجلس، وانتشر القوم لطلب الرزق، رأيت ذلك الباكي يقترب من موارد الشهوات، ويدنو من مساقط الدنيئات، ويستعمل لذلك أنواع الحيل التي طبعتها في جوهر إدراكه فواعل الاحتياطات التي ألمّت به، أو وردت عليه صورها ملمّة بغيره، مع العجز عن افتتاح طرق الكسب من وجه يلائم مقال الواعظ، ويتّفق مع إرشاد المرشد، فيكون عمله علىٰ ضدّ ما يزعم اعتقاده؛ حيث إنّ هذه الطرق لم تألف إحساساته، ولم تنتقش في مداركه علىٰ النحو الذي يبثّ الروح في الأعضاء، فيحرّكها علىٰ مشاكلة تلك الرسوم الجميلة.

فقد وضح لنا من هذه الآثار التابعة للإدراك أنّ الصور التعليمية التي تحضر الذاكرة دائماً أو في بعض الأحيان، غير مصحوبة بالغاية العمليّة، لا تعدّ في الحقيقة معتقدات، وانما هي مخيّلات تظهر في جوهر النفس عند عروض المذكّرات فقط، ثمّ لا يترتّب عليها أثر حقيقيّ في جوهر الروح يثبت فيه، ولكن ينشأ عنها أعراض وقتية.

تبيّن من هذا الذي أوردناه ـ من التقريبات في باب تأثير الإدراك في الإرادة ـ أنّه يعمّ جميع الادراكات والارادات، سواء كانت مطابقة للصواب، جالبة للسعادة الحقيقية، مانعة من الشقاء، أو لم تكن كذلك، وأنّ ذلك لتابع لما يصل إلىٰ المدرك من المؤثّرات الخارجيّة، التي تحدث فيها آثاراً تناسب هيئتها التي وصلت بها إليه، ولم يخرج في ذلك الانفعال الإدراكي عن سائر الانفعالات الطبيعيّة إلاّ من حيث الكيفيّة والنوع المخصوص، فاختلاف العادات والملكات والأخلاق والأعمال في النوع الإنساني، تشهد لنا ـ بناء علىٰ تلك المقدّمات السابقة ـ أنّ منشأها هو اختلاف الآثار الواردة علىٰ مركز الإدراك من الاكوان الطبيعية المكتنفة بالمدرك وعوارضها، وهذا الاختلاف: إمّا أن يكون لتباين الحوادث، وتخالف الطبائع الخارجة من حيث الخلقة الأصليّة والوضع الإلهي، وإمّا أن يكون لاختلاف حالة

المدركين أنفسهم في قبول التأثّرات من جهة الاستعداد المجبول عليه جوهر الإدراك.

أمّا الوجه الثاني ـ أعني اختلاف الآثار لاختلاف الاستعداد الممنوح بأصل الخلقة لجوهر الادراك ـ فهو يأتي من حيث التركيب الجسماني، والعناصر الداخلة فيه، والوضع الذي أبدعته يد القدرة الإلهيّة عليه، فعناصر التركيب البدني وجودتها ورداءتها ووضعها فيه، وكيفية تأليف الاعضاء، ونِسَب الأجزاء بعضها لبعض، مما له دَخْل في ظهور الجوهر الإدراكي بآثاره، وبعبارة أُخرىٰ: في شدّة انفعاله بالمؤثّرات الواردة عليه وضعفه، وفي قوّة استثبات الصور المنفعل بها، وضعف تلك القوّة، وغير ذلك من صفات الإدراك التي لا تخفىٰ علىٰ مدرك، وهذا الدخل ممّا لا يشكّ فيه.

وأما الوجه الأوّل ـ أعني اختلاف الآثار بواسطة تباين الحوادث، وتخالف الطبائع الخارجة عن ذات المدرك ـ فهو يظهر من اختلاف العادات والأخلاق والإدراكات باختلاف الأقطار والبقاع، وتنوّعها بتنوّع أحوال التربة والجوّ الذي تنشأ وتنمو فيه، ويمتاز بعضها عن بعض بتميّز حالة التعيّش، وطرق اكتساب الرزق، ووقاية الوجود من الخطر، والإحساس من الألم، التي تستدعيها طبيعة الأراضي، فالذي يقتضيه كسب الرزق الضروري لحفظ الحياة من طريق الصيد البرّي، وتدعو إليه المحاماة عن النفس بمدافعة الوحوش الكاسرة والسباع الضارية، أو يبعث إليه التأثّر من شدّة البرد، ويبوسة المنشأ، وجدب المكان، كلّ ذلك غير ذلك الذي يقتضيه كسب الرزق من طريق الزراعة، والفرار من المهلكات بالاستكنان في بعض الأكواخ؛ لسهولة الأرض وخلّوها من المفترسات، وبُعدها عن المؤثّرات الجوّية الشديدة، وتوسّطها في الحرّ والبرد، وما يلائم ذلك من موجبات السهولة في تطلّب الأرزاق، فإنّ تأثر الجوهر الدرّاك بالاخطار الأُولىٰ، يبلغ من الشدّة مبلغاً يحدث فيه سرعة الحركة الروحيّة التي تتبعها الحركة البدنيّة علىٰ أنحاء توصل إلىٰ المطلوب، أعنىٰ التخلّص من تلك الأخطار، وبتكرارها وكثرة تواردها علىٰ النفس تودع فيها ملكة عمليّة تصدر عنها الأعمال علىٰ ذلك النحو المتقدّم.

مثلاً: إذا نشأ الإنسان في أرض جبليّة كثيرة الغور والنجد، غزيرة الغابات، وعرة المسالك، قليلة الخصب، تسكنها أنواع الحيوانات المفترسة، ومع ذلك تكون في جوّ شديد البرد كثير الصواعق سريع التقلب، فلا ريب أنّ الانفعالات التي تعرض علىٰ إحساساته من هذه الاشياء المكتنفة به ـ وكثرة ما تدعوه الى المقاومة والمصادمة واحتمال المصاعب في دفع المصائب، وتجشّم المشاقّ ليتخلّص بها من المهلكات ونحو ذلك ـ تجعل في الأعضاء قوّة علىٰ العمل، ثمّ ترسخ منها في النفس ملكة الشجاعة والإقدام، وتتجه بذلك قوّة الإدراك إلىٰ البراعة في الكرّ والفرّ، وفنون الدفاع والهجوم، وتثبت فيها ملكة الحذر والتيقّظ، وملكة النشاط في السعي لطلب المعيشة، وملكة الثبات في العزائم، وملكة حبّ التآلف والاجتماع؛ للتعاون علىٰ دفع المضارّ وجلب المنافع المشتركة، وملكة القسوة والتهاون بالدماء، وعدم الاكتراث بإتلاف النفوس وإزهاق الأرواح، وملكة الغضب الشديد الذي يحمل صاحبه علىٰ شدّة الانتقام، وملكة الغدر التي تتولّد دائماً من الاضطراب وعدم الاطمئنان للحوادث، ويتبع هذه الملكات ملكات أُخرىٰ، ويتبع الجميع عادات وأفعال تناسبها.

وهذا بخلاف ما إذا نشأ في سهولة العيش، وخصب الأرض، وهشاشة التربة، وخلوّها من الغابات واستواء سطوحها، واعتدال هوائها، وصفاء جوّها، وخلوّها من الحوادث المخيفة، فإن ذلك لا يُحدث في النفس إلاّ صوراً لطيفة، تتبعها ملكة اللين والمساهلة والكرم وحسن الطاعة وسلامة النيّة والنزاهة عن الضغائن، والبعد عن الطمع، والرضا بالقليل، وما يتبع ذلك من الصفات التي لا تتخلّف عن مناشئها الواقعية إلاّ بالطوارئ العرضيّة التي نذكّرها فيما بعد فانتظرها[1].

---

(١) وعد الأستاذ بإتمام هذا البحث القيّم الفلسفي، والذي نشر في خمسة أعداد من «الوقائع» المصرية، وقد تصفّح مؤلف كتاب «تاريخ الأستاذ الإمام» السيد رشيد رضا، سائر أعداد الوقائع المصريّة فلم يجد فيها تتمّة البحث.

٦

الرد على الدهريين

تأليف:

السيد جمال الدين الأفغاني

ترجمها عن الفارسية:

الشيخ محمد عبده

بمساعدة : ابو تراب، عارف افندي



مقدمة

الاستاذ الإمام محمد عبده

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

نحمد اللّٰه علىٰ الهداية، ونعوذ به من الغواية، ونصلّي ونسلّم علىٰ خاتم رسله، وآله وصحبه هداة سبله.

وبعد فقد أُتيح لي الاطّلاع علىٰ رسالة فارسية في نقض مذهب الطبيعيّين، من تصنيف العالم الكامل، محيط المعرفة الشامل، الشيخ جمال الدين الحسيني الأفغاني.

أما الشيخ فله من لسان الصدق، ورفيع الذكر، ما لا يحتاج معه إلىٰ الوصف.

وأمّا الرسالة، فعلىٰ إيجازها قد جمعت لإرغام الضالّين، وتأييد عقائد المؤمنين، مالم يجمعه مطوّل في طوله، وحوت من البراهين الدامغة، والحجج البالغة، ما لم يحوه مفصَّل علىٰ تفصيله.

دعاه إلى تصنيفها حميّة جاشت بنفسه أيّام كان في البلاد الهنديّة، عندما رأىٰ حكومة الهند الانجليزية تمدّ في الغيّ جماعة من سكّان تلك البلاد، إغراء لهم بنبذ الأديان، وحلّ عقود الايمان، وأنّ كثيراً من العامّة فُتنوا بآرائهم، وخدعوا عن عقائدهم، وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ما تدّعيه تلك الجماعة الضالّة، وممّن سأله

عن ذلك حضرة الفاضل مولوي[1] محمد واصل، مدرّس الفنون الرياضيّة بمدرسة الأعزّة بمدينة حيدرآباد الدكن من بلاد الهند، فأجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه بإنشاء رسالة في بيان ما كثر السؤال عنه.

وقد حداني[2] علوّ الموضوع، وسمّو منزلة الرسالة منه، إلىٰ الاجتهاد في نقلها من لغتها إلىٰ اللغة العربيّة، فتمّ لي ذلك بمساعدة عارف أفندي الأفغاني[3]، تابع الشيخ المؤلّف، ورجونا بذلك تعميم الفائدة، وتكميل العائدة إن شاء اللّٰه.

وإنّا نذكر ترجمة الرقيمين، مبتدئين برقيم مولوي محمد واصل، وهو:

(١) المولوي: نسبة إلىٰ «المولى»، وهو هنا السيّد والزاهد والمالك والمنعم، ويطلق علىٰ ضدّ ذلك كالعبد والمعتق ـ بفتح التاء ـ والمنعَم عليه.

(٢) يقال: حداني، وحدابي، والمعنىٰ: ساقني.

(٣) ابن أُخت السيّد جمال الدين رحمه اللّٰه، وهو المشهور بأبي تراب، وكان يلازم السيّد جمال الدين أينما رحل إلىٰ أن نفي السيّد جمال من مصر في عهد توفيق إلىٰ الهند، فبقي عارف أفندي في مصر، ولكن لمّا نُفي الأستاد الإمام إلىٰ سورية، رافقه إلىٰ هناك. (عن محمود أبي ريّة).

رقيم مولوي محمد واصل

١٩ محرّم سنة ١٢٩٨ هـ، ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م بعد رسوم المخاطبة.

يقرع آذاننا في هذه الأيام صوت «نيتشر» ... «نيتشر»[1]! وإنه ليصل إلينا من جميع الأقطار الهنديّة، فمن الممالك الغربيّة والشماليّة، و «أوده» و «بنجاب» و «بنجاله» و «السند» و «حيدرآباد الدكن»، ولا تخلو بلدة أو قصبة من جماعة يلقّبون بهذا اللقب، ينمو عددهم علىٰ امتداد الزمان، خصوصاً بين المسلمين، ولقد سألت أكثر من لاقيتُ من هذه الطائفة: ما حقيقة النيتشرية؟ وفي أيّ وقت كان ظهور النيتشريّين؟ وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا أن تقوم عماد المدنية، ولا تعدو هذا المقصد، أو لها مقاصد أُخرىٰ؟ وهل طريقتهم تنافي أصول الدين المطلق، أو هي لا تعارضه بوجه ما؟ وأيّ نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في عالم المدنيّة، والهيئة الاجتماعيّة الإنسانيّة؟

فإن كانت هذه الطريقة من النحل القديمة، فلِمَ لم تُنشر بيننا؟ ولِمَ لم نعهد لها دعاة إلاّ في هذه الأوقات؟ وإن كانت جديدة، فما الغاية من إحداثها؟ وأيّ أثر يكون عن الأخذ بها؟

ولكن لم يفدني أحد منهم عمّا سألت بجواب شاف كاف، ولهذا ألتمس من جنابكم العالي، أن تشرحوا حقيقة النيتشريّة والنيتشريّن، بتفصيل يُنقع الغلّة[2] ويشفي العلّة، والسلام.

---

(١) كلمة «نيتشر» Nature معناها: الطبيعة.

(٢) الغُلّة: حرارة العطش، ونقع الماء العطش: أي اسكنه وقطعه.

جواب جمال الدين

وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني، جواباً عن الرقيم السابق:

محبّي العزيز:

«النيتشر»: اسم للطبيعة، وطريقة «النيتشر»: هي تلك الطريقة الدهـرّية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح، ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان، ووضع أساس الإباحة، والاشتراك في الأموال والأبضاع[1] بين الناس عامّة.

وقد كدحوا لإجراء مقصدهم هذا، وبالغوا في السعي إليه، وتلوّنوا لذلك في ألوان مختلفة، وتقلّبوا في مظاهر متعدّدة، وكيفما وُجدوا في أُمة أفسدوا أخلاقها، وعاد عليهم سعيهم بالزوال.

وأيّما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخرين بهذه الطريقة، تجلّىٰ له ألا نتيجة لمقدّماتهم سوىٰ فساد المدنيّة، وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الإنسانية؛ إذ لا ريب في أنّ الدين ـ مطلقاً ـ هو سلك النظام الاجتماعي، ولن يستحكم أساس للتمدّن بدون الدين البتّة، وأوّل تعليم لهذه الطائفة إعدام الأديان وطرح كلّ عقد ديني.

وأمّا عدم شيوع هذه الطريقة، وقلّة سلوكها مع طول الزمن علىٰ نشأتها، فسببه

---

(١) البُضع ـ بضم الباء ـ النكاح والمباضعة والإبضاع ـ بكسر الهمز ـ المجامعة بين الرجل والمرأة.

أنّ نظام الأُلفة الإنسانيّة ـ وهو من آثار الحكمة الإلهيّة السامية ـ كانت له الغلبة علىٰ أُصولها الواهية، وشريعتها الفاسدة، وبهذا السرّ الإلهي انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها، ومن هذا لم يبقَ لهم ثبات قدم، ولم تقم لهم قائمة أمر، ولا شأن لهم في وقت من الأوقات.

ولتفصيل ما ذكرنا، نتقدّم لإنشاء رسالة صغيرة، أرجو أن تكون مقبولة عند العقل الغريزي لذلك الصديق الفاضل، وأن تنال من ذوي العقول الصافية نظرة الاعتبار.

الفصل الاول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(فَبَشِّر عِبادِيِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولئِكَ ٱلَّذِينَ هَداهُمُ ٱللَّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُو ٱلأَلْبابِ)[١].

الدين قوام الأُمم وبه فلاحها، وفيه سعادتها وعليه مدارها.

«النيتشرية» جرثومة الفساد، وأرومة الإداد[٢] وخراب البلاد، وبها هلاك العباد. شاع لفظ «النيتشرية» حتى طبّق البلاد الهندّية في هذه الأيّام، وأصبحت هذه الكلمة دائرة في المحافل، سيّارة في المجامع، وللعامّة والخاصّة فيها مذاهب وَهْم، وطرائق وَهْم[٣]، فالغالب منهم يخبط علىٰ بُعدٍ من حقيقتها، في غفلة عن أصل وضعها.

لهذا رأيت من الحقّ أن أشرح مفهومها، وأكشف المراد منها، وأرفع الستار عن حال النيتشريّين من بداية أمرهم، وأعرض للناظرين شيئاً من مفاسدهم، وما الحقوا بالنوع الانساني من المضارّ التي خبُث أثرها، وساء ذكرها، مستنداً في ذلك علىٰ التاريخ الصحيح، آخذاً من البرهان العقلي بدليل يثبت أنّ هذه الطائفة علىٰ اختلاف مظاهرها، لم يفشُ رأيها في أُمّة من الأمم إلاّ كان سبباً في اضمحلالها

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(٢) الإداد: جمع الإدّ، وهو الداهية والويل والأمر الفظيع، والمنكر الشديد.

(٣) الوَهْم خواطر القلب والتخيّل، والوَهم الطريق الواسع.

وانقراضها.

النيتشريّة والنيتشريّين

أثبت ثقات المؤرّخين: أنّ حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح إلىٰ فئتين:

ذهبت إحداهما إلىٰ وجود ذات مجرّدة عن المادّة والمُدّة[1]، مخالفة للمحسوسات في لوازمها، منزّهة من لواحق الجسمانيّة وعوارضها، وأثبتت أنّ سلسلة الموجودات مادّية ومجرّدة، تنتهي إلىٰ موجود مجرّد واحد من جميع الوجوه، مبرّأ الذات عن التأليف والتركيب، ومحال عند العقل تصوّر التركيب فيه، وجوده عين حقيقته، وحقيقته عين وجوده، وهو المصدر الأوّل، والموجد الحقيقي، والمبدع لجميع الكائنات، مجرّدة كانت أو مادّية.

واشتهرت هذه الطائفة بالمتألّهين «الخاضعين للّه»، ومنهم: فيثاغورث، وسقراط، وافلاطون، وأرسطو ومن أهل مذهبهم كثير.

وذهبت أُخرىٰ الطائفتين إلىٰ نفي كلّ موجود سوىٰ المادّة والمادّيات، وأنّ وصف الوجود مختصّ بما يدرك بالحواسّ الخمس لا يتناول شيئاً وراءه، وعرفت هذه الطائفة بالمادّيين. ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور الموادّ وخواصّها، والتنوّع الواقع في آثارها، نسبه الأقدمون منهم إلىٰ طبيعتها، واسم الطبيعة في اللغة الفرنسية «ناتور»، وفي الانجليزية «نيتشر»، ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيّين، وعند الفرنسيين باسم «نتوراليسم»، أو «ماتيراليسم»، الأوّل من حيث هي طبيعيّة، والثاني من حيث هي مادّيّة.

ثمّ اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب، وتصوير الحيوانات، وإنشاء النباتات :

---

(١) المُدّة جمع مُدد: البرهة من الزمان قصيراً أو طويلاً، والغاية من الزمان والمكان.

فذهب فريق منهم إلىٰ أنّ وجود الكائنات العلويّة والسفليّة، ونشأة المواليد علىٰ ما نرىٰ، إنّما هو من الاتّفاق وأحكام المصادفة. وعلىٰ ذلك فإنّ إتقان بنائها، وإحكام نظامها، لا منشأ له إلا المصادفة، كأنّما أدّت بهم سخافة الفهم إلىٰ تجويز الترجيح بلا مُرجّح، وقد أحالته بداهة العقل.

ورأس القائلين بهذا القول «ديمقراطيس»، ومن رأيه أنّ العالم أجمع أرضيّات وسماويّات، مؤلّف من أجزاء صغار صلبة متحرّكة بالطبع، ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العماية المطلقة.

وذهب فريق آخر إلىٰ أنّ الأجرام السماوية، والكرة الأرضيّة، كانت علىٰ هيئتها هذه من أزل الآزال، ولا تزال، ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات. وزعموا أنّ في كلّ بذرة نباتاً مندمجاً فيها، وفي كلّ نبات بذرة كامنة، ثمّ في هذه البذرة الكامنة نبات، وفيه بذرة، إلىٰ غير نهاية. وعلى هذا زعموا أنّ في كلّ جرثومة من جراثيم الحيوانات حيواناً تامّ التركيب، وفي كلّ حيوان كامن في الجرثومة، جرثومة أُخرىٰ، يذهب كذلك إلىٰ غير نهاية...!

وغفل أصحاب هذا الزعم عمّا يلزمه من وجود مقادير غير متناهية، في مقدار متناهٍ، وهو من المحالات الأوّليّة.

وزعم فريق ثالث: أنّ سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع، كما أنّ الأجرام العُلويّة وهيئاتها قديمة بالشخص، ولكن لا شيء من جزئيّات الجراثيم الحيوانيّة والبذور النباتيّة بقديم، وإنّما كلّ جرثومة وبذرة هي بمنزلة قالب يتكوّن فيه ما يشاكله من جرثومة وبذرة أُخرى.

وفاتتهم ملاحظة أنّ كثيراً من الحيوانات الناقصة الخلقة، قد يتولّد عنها حيوان تامّ الخلقة، كذلك الحيوان التامّ الخلقة، قد يتولّد عنه ناقصها أو زائدها.

ومال جماعة منهم إلىٰ الإبهام في البيان، فقالوا: إنّ أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار، وتبدّلت عليها صور مختلفة بمرور الزمن وكرّ الدهور، حتّىٰ وصلت

إلىٰ هيئاتها وصورها المشهودة لنا، وأوّل النازعين إلىٰ هذا الرأي «أبيقور»[1] أحد أتباع «ديوجينس الكلبي»[2] ومن مزاعمة: أنّ الإنسان في بعض أطواره كان مثل الخنزير، مستور البشرة بالشعر الكثيف، ثمّ لم يزل ينتقل من طور إلىٰ طور، حتىٰ وصل بالتدريج إلىٰ ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم، ولم يُقم دليلاً، ولم يستند علىٰ برهان فيما زعمه من أنّ مرور الزمان علّة لتبدّل الصور، وترقّي الأنواع.

* * *

ولما كشف علوم الجيولوجيا «طبقات الارض» عن بطلان القول بقدم الأنواع، رجع المتأخّرون من المادّيّين عنه إلىٰ القول بالحدوث، ثم اختلفوا في بحثين:

الأوّل: بحث تكوّن الجراثيم النباتيّة والحيوانيّة، فذهبت جماعة الىٰ أنّ جميع الجراثيم علىٰ اختلاف أنواعها، تكوّنت عندما أخذ التهاب الأرض في التناقص، ثمّ انقطع التكوّن بانقضاء ذلك الطور الأرضي، وذهبت أُخرىٰ إلىٰ أن الجراثيم لم تزل تتكوّن حتّىٰ اليوم، خصوصاً في خط الاستواء حيث تشتدّ الحرارة.

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياةً نباتيّة أو حيوانية، خصوصاً بعد ما تبيّن لهم أنّ الحياة فاعل في بسائط الجراثيم، موجب لالتئامها، حافظ لكونها، وأنّ قوّتها الجاذبة هي التي تجعل غير الحيّ من الأجزاء حيّاً بالتغذية، فإذا ضعفت الحياة، ضعف تماسك البسائط وتجاذبها، ثمّ صارت إلىٰ الانحلال.

وظنّ قوم منهم: أنّ تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن كرة الشمس، وهو ظنّ عجيب، لا ينطبق علىٰ جهلهم من أنّ الأرض عند الانفصال،

---

(١) أبيقور: هو الذي وضع أُصول مذهب اللذّة والسرور، وهدفه الاستمتاع بلذّة الحياة. وقد ولد سنة ٣٤٢ قبل الميلاد، وتُوفّي سنة ٢٧٠ قبل الميلاد.

(٢) ديوجينس «٤١٢ ـ ٣٢٣ ق.م»: كان يقاوم العادات، ويحتقر اللياقات الاجتماعيّة، ولذلك سمى بالكلبي.

كانت جذوة نارٍ ملتهبة، وكيف لم تحترق تلك الجراثيم، ولم تُمح صورها في تلك النيران المستعرة؟!

والبحث الثاني من موضِع اختلافهم: صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها إلىٰ ذروة كمالها، وتحوّلها من حالة الخداج «النقص» إلىٰ ما نراه من الصور المتقنة، والهيئات المحكمة، والبنىٰ الكاملة.

فمنهم: قائل بأنّ لكلّ نوع جرثومة خاصّة به، ولكلّ جرثومة طبيعية تميل بها إلىٰ حركة تناسبها في الأطوار الحيويّة، وتجتذب إليها ما يلائمها من الأجزاء الغير الحيّة ليصير جزءاً لها بالتغذية، ثمّ تجلوه بلباس نوعه.

وقد غفلوا عمّا أثبته التحليل الكياوي، من عدم التفاوت بين نطفة الإنسان، ونطفة الثور والحمار مثلاً، وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة، فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها؟

ومنهم: ذاهب إلىٰ أنّ جراثيم الأنواع كافّة ـ خصوصاً الحيوانية ـ متماثلة في الجوهر، متساوية في الحقيقة، وليس بين الأنواع تخالف جوهريّ، ولا انفصال ذاتيّ، ومن هذا ذهب صاحب هذا القول: إلىٰ جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعيّة إلىٰ صورة نوعيّة أُخرىٰ بمقتضىٰ الزمان والمكان، وحكم الحاجات والضرورات، وقضاء سلطان القواسر الخارجيّة.

قول داروين: «إنّ الإنسان كان قردا»

ورأس القائلين بهذا القول «داروين»[1] وقد ألّف كتاباً في بيان: «أنّ الإنسان

---

(١) شارلس دارون (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ م): فيلسوف وعالم إنجليزي اشتهر بنظريّته في علم الأحياء «نظريّة التطوّر»، وقد أودعها كتابه «أصل الأنواع» الذي أصدره سنة ١٨٥٩ م، وأتبعه بكتاب «أصل الإنسان)، وفيه يؤكّد هذه النظريّة.

وقد سبق داروين في هذه النظرية العالم الانجليزي «ولاس» والفرنسي «لامارك».

كان قرداً»... ثمّ عرض له التنقيح والتهذيب في صورته بالتدريج علىٰ تتالي القرون المتطاولة، وبتأثير الفواعل الطبيعيّة الخـارجـيّة، حـتىٰ ارتـقىٰ إلىٰ بـرزخ «أوران أوتان»، ثمّ ارتقىٰ من تلك الصورة إلىٰ أوّل مراتب الإنسان، فكان صنف اليـميم[١] وسائر الزنوج، ومن هناك عرج بعض أفراده إلىٰ أُفق أعلىٰ وأرفع من أُفق الزنجيّين، فكان الإنسان القوقاسي.

وعلىٰ زعم «داروين» هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلاً بمرور القرون وكـرّ الدهور، وأن ينقلب الفيل برغوثاً كذلك.

فإن سئل «داروين» عن الأشجار القائمة علىٰ غابات الهند، والنباتات المتولّدة فيها من أزمان بعيدة لايحدّدها التاريخ إلاّ ظنّاً، وأُصولها تضرب في بقعة واحـدة، وفروعها تذهب في هواء واحد، وعروقها تُسقىٰ بماء واحد، فما السبب في اختلاف كلٍّ منها عن الآخر في بنيته وشكل أوراقه، وطوله وقـصره، وضـخامته ورقّـته، وزهره وثمره، وطعمه ورائحته، وعمره؟ فأيّ فاعل خارجيّ أثّر فيها، حتىٰ خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء؟ أظنّ [أن] لا سبيل إلىٰ الجواب سوىٰ العجز عنه..

وإن قيل له: هذه أسماك بحيرة «أُورال» و بحر «كسين» مع تشاركها في المأكل والمشرب، وتسابقها في ميدان واحد، نرىٰ فيها اختلافاً نوعيّاً، وتـبايناً بـعيداً في

= ونظريّة التطوّر أو الداروتيّة، هي التي تقول بأنّ الكائنات الحيّة جميعها نشأت من «أصل واحد» وأن الكائنات المعاصرة تسللت من كائنات أبسط منها. ولم يقل داروين: «إن الإنسان كان قرداً».

(١) اليميم: ليس بين الزنوج قبيلة ـ من أكلة اللحوم ـ تسمّىٰ بهذا الاسم. ولعلّ الأصل «نيام نيام» أو «نيمنيم»، وهم قبيلة من الزنوج، تعيش في المنطقة التي تمتدّ بين بحر الغزال علىٰ النيل الأعلىٰ ونهر الكنغو. وقد اشتهروا بأنّهم يأكلون لحوم البشر، ولكن هذه العادة بادت الآن، وهم يمارسون حالياً الزراعة والصناعات الأوّلية.

الألوان، والأشكال والأعمال، فما السبب في هذا التباين والتفاوت؟ لا أراه يلجأ في الجواب إلاّ إلىٰ الحَصَر[١]..

وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنىٰ ـ جمع بنية ـ والصور والقوىٰ والخواصّ، وهي تعيش في منطقة واحدة، ولا تسلم حياتها في سائر المناطق، أو الحشرات المتباينة في الخِلْقة، المتباعدة التركيب، المتولّدة في بقعة واحدة، ولا طاقة لها علىٰ قطع المسافات البعيدة لتجلو إلىٰ «تربة» تخالف تربتها، فماذا تكون حجّته في علّة اختلافها، كأنّها تكون كسفاً لا كشفاً؟

بل إذا قيل له: أيّ هادٍ هدىٰ تلك الجراثيم في نقصها وخِداجها[٢]؟ وأيّ مرشد أرشدها إلىٰ استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها علىٰ مقتضىٰ الحكمة، وأبدع لكلٍّ[٣] منها قوّة علىٰ حسبه، و [أناط][٤] بكلّ قوّة في عضو أداء وظيفة، وإيفاء عمل حيويّ؛ ممّا عجز الحكماء عن إدراك سرّه، ووقف علماء الفسيولوجيا دون الوصول إلىٰ تحديد منافعه؟ وكيف صارت الضرورة العمياء، معلّماً لتلك الجراثيم، وهادياً خبيراً لطرق جميع الكمالات الصوريّة والمعنوية؟ لا ريب أنه يقبع قبوع القنفذ، وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب، ويتلقّاهُ شكّ، وإلىٰ أبد الآبدين.

* * *

وكأنّي بهذا المسكين ما[٥] رماه في مجاهل الأوهام ومهامه الخرافات إلّا قرب المشابهة بين القرد والإنسان، وكأنّ ما أخذ به من الشُّبه الواهية أُلْهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة، وحسرات العماية، وإنّا نورد شيئاً ممّا تمسّك به:

---

(١) الحَصَر ـ بتحريك الحاء والصاد ـ العجز عن البرهان والكلام.
(٢) الخداج النقصان أيضاً، وأخدج الشيء نقص.
(٣) في الأصل: وإبداع كلّ.
(٤) في الأصل: ونوطها.
(٥) في الأصل: وما.

فمن ذلك أنّ الخيل في سيبيريا وبلاد الروسية أطول وأغزر شعراً من الخيل المتولّدة في البلاد العربيّة، وإنّما علّة ذلك الضرورة وعدمها.

ونقول: إنّ السبب فيما ذكرهُ هو عين السبب لكثرة النبات وقلّته في بقعة واحدة، لوقتين مختلفين، حسب كثرة الأمطار وقلّتها، ووفور المياه ونزورها، أو هو علّة النحافة ودقّة العود، في سكان البلاد الحارّة، والضخامة والسمن في أهل البلاد الباردة بما يعتري البدن من كثرة التحلّل في الحرارة، وقلّته في البرودة.

ومن واهياته ماكان يرويه «داروين»: من أنّ جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم، فلمّا واظبوا علىٰ عملهم هذا قروناً، صارت الكلاب تولد بلا أذناب، كأنه يقول: حيث لم تعد للذَّنَب حاجة كفّت الطبيعة عن هبته...

وهل صُمّت أُذُن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيّين والعرب، ومما يجرونه من الختان أُلوفاً من السنين، ولا يولد مولود حتّىٰ يُختن، وإلىٰ الآن لم يولد واحد منهم مختوناً إلاّ لإعجاز؟!

ولما ظهر لجماعة من متأخّري المادّيين فساد ما تمسّك به أسلافهم، نبذوا آراءهم وأخذوا طريقاً جديدة، فقالوا: ليس من الممكن أن تكون المادّة العارية من الشعور، مصدراً لهذا النظام المتقن، والهيئة البديعة والأشكال المعجبة، والصور الأنيقة، وغير ذلك ممّا خفي سرّه وظهر أثره، ولكن العلّة في نظام الكون عُلويّة وسُفليّة، والموجب لاختلاف الصور والمقدّر لأشكالها وأطوارها، وما يلزم لبقائها، تتركّب من ثلاثة أشياء: «متير»، و «فورس»، و «انتليجانس»؛ أي مادّة، وقوّة، وإدراك.

وظنّوا أنّ المادّة بما لها من القوّة، وما يلابسها من الإدراك، تجلّت وتتجلّى بهذه الاشكال والهيئات، وعندما تظهر بصورة الأجساد الحيّة ـ نباتيّه كانت أو حيوانيّة ـ تُراعي بما لابسها من الشعور، ما يلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع، فتنشئ لها من الأعضاء والآلات ما يفي بأداء الوظائف الشخصيّة والنوعيّة، مع الالتفات إلىٰ الأزمنة والأمكنة، والفصول السنويّة.

هذا أنفس ما وجدوا من حيلة لمذهبهم العاطل، بعد ما دخلوا ألف جُحْر، وخرجوا من ألف نفق، وما هو بأقرب إلىٰ العقل من سائر أوهامهم، ولا هو بالمنطبق علىٰ سائر أحوالهم، فإنّهم يرون ـ كسائر المتأخّرين ـ أنّ الأجسام مركّبه من الأجزاء الديمقراطيسيّة، ولا ينطبق رأيهم الجديد في علّة النظام الكوني علىٰ رأيهم في تركيب الأجسام.

وذلك لأنه يلزم علىٰ القول بشعور المادّة، أن يكون لكلّ جزء ديمقراطيسيّ[1] شعور خاصّ، كما يلزم أن تكون له قوّة خاصّة ينفصل بها عن سائر الأجزاء؛ إذ لا يمكن قيام العَرَض الواحد ـ وحدة شخصيّة ـ بمحلّين، فلا يقوم علم واحد بجزءين ولا بأجزاء، وبعد هذا فإنّي أُسائلهم: كيف اطّلع كلّ جزء من أجزاء المادة ـ مع انفصالها ـ علىٰ مقاصد سائر الأجزاء؟ وبأيّة آلة أفهم كلٌّ منها باقيها ما ينويه من مطلبه؟ وأيّ برلمان «مجلس الشورىٰ»، أو أيّ سنات «مجلس الشيوخ» عقدت للتشاور في إبداع هذه المكوّنات العالية التركيب، البديعة التأليف؟! وأنّىٰ لهذه الأجزاء أن تعلم ـ وهي في بيضة العصفور ـ ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب، فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته في حياته إليها؟! وإذا كانت في بيض الشاهين والعقاب، فمن أين لها العلم بأنها تقوم طيراً يأكل اللحوم، فلا بدّ له من منسر ومخلب يصول بهما في الصيد؛ لاقتناص ما يحتاج إليه من حيوان، ثم ينسر لحمه ليأكله؟!

ومن أين لها أن تعلم، وهي في مشيمة الكلبة، أنّها ستكون علىٰ صورة أُنثىٰ الجرو، ثمّ تكبر حتىٰ تبلغ حدّ الإدراك، ثمّ تكون حبلىٰ لوقت من الاوقات، وقد تلد

---

(١) ديمقراطيس: فيلسوف يونانيّ (٤٦٠ ـ ٣٥٧ ق.م)، اشتهر باسم الفيلسوف الضاحك، وإليه يسند أوّل قول: بأنّ حدوث العالم مصدره مجموعة ذرّات ـ لانهاية لعددها ـ تتحرّك تحرّكاً أبديّاً في فضاء لاحدّ له، وأنّ المادّة مجموعة ذرات، وأنّ كلّ شيء حدث عرضاً...!

جراء متعددة في زمن واحد، فهى تهيئ لطبيها[١] حلمات كثيرة علىٰ حسب حاجة جرائها؟!

ومن هٰذه الأجزاء المتبدّدة أن تُدرك حاجة الحيوانات إلىٰ القلب والرئة، والمخّ والمخيخ، وسائر الأعضاء والجوارح؟!

لو عقلت هذه الطائفة ما رمىٰ إليه سؤالي هذا لارتكست[٢] في أفكارها، وانقلبت إلىٰ تيهور من الحيرة، لا ترفع منه رأساً، ولا تحير جواباً، إلىٰ أن يتخبّطهم شيطان الجهل، فيقولون ولا يعون: إنّ لكلّ جزء من هذه الأجزاء الديمقراطيسيّة، علماً بجميع ما كان وما يكون، وبجميع ما في العالم من الأجزاء، عُلويّاً كان أو سفلياً، ولكلٍّ منها حرص علىٰ مراعاة نظام الكون وأركانه، فيتحرّك كلّ منها للانضمام إلىٰ الآخر، علىٰ وفق ما يريده من المصلحة؛ حتىٰ لا يقع الخلل في شيء من نظم العالم، عاماًكان أو خاصّاً، وبهذا قام العالم علىٰ ناموس واحد.

فإن أفضت بهم العماية إلىٰ هذا القول قلنا:

أوّلاً: يلزمهم أنّ كلّ جزء ديمقراطيسيّ يحتوي علىٰ أبعاد غير متناهية، وهو في صغره لا يُدرَك ولا بالميكروسكوب «النظارة المعظمة».

وبيان اللزوم: أنّ العلم عندهم، إنّما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم، وهو مادّيّ في موضوعنا، فكلّ صورة معلومة تأخذ منه بُعداً بمقدارها، والصور العلميّة علىٰ هذا الزعم غير متناهية، وكلّها يرتسم في مادّة الجزء العالم، فيكون في كلّ جزء ـ وهو متناهٍ إلىٰ غاية الصّغر ـ أبعاد غير متناهية للصور غير المتناهية، وهذا ممّا تُبطله بداهة العقل.

---

(١) الطِّبي ـ بكسر الطاء وضمّها ـ واحد الأطْباء، وهي حلمات الضرع، والضرع مَدَرّ اللبن، وهو كالثدي للإنسان، ولعلّ الأصل: «وهي تهيّئ لضرعها حلمات»، وهو الصحيح.

(٢) ركس الشيء: قلب أوّله علىٰ آخره، وأركسه نكسه، وارتكس المرء أو الشيء انتكس وارتبك، والتيهور: التيه الذي يضلّ فيه الإنسان علىٰ وزن «تنّور».

ثانياً: إن كانت الأجزاء الديمقراطيسيّة بالغة من العلم هذا المبلغ، وهي من القوّة علىٰ نحوه؛ إذ لا قوّة إلاّ بها علىٰ رأيهم، فلماذا لم تبلغ الكائنات وهي هي غاية ما يمكن لها من الكمال؟ ولِمَ تُنزِل بذواتها الآلام والأوصاب، ثمّ تعاني العناء في احتمالها أو التخلّص منها؟ ولماذا قصر إدراك الإنسان، وإدراك سائر الحيوانات ـ وهو عين إدراك هذه الأجزاء علىٰ هذا المذهب ـ عن اكتناه حالها أنفسها، وعجز عن حفظ حياتها؟

وأعجب من هذا أنّ المتأخّرين من المادّيّين بعد ما صافحوا كلّ خرافة لتأييد مذهبهم، حاصوا[1] إلىٰ الحيرة في بعض الأُمور فلم يستطيعوا تطبيقها علىٰ أصل من أُصولهم الفاسدة؛ لا أصل الطبع، ولا أصل الشعور، وذلك عندما رأوا شيئين يختلفان في الخواصّ، وعناصر هما تظهر عند التحليل متماثلة، ولم يجدوا المحيص عن الوقفة ـ بعد ما قدّموا من الترهات ـ إلاّ بالحكم علىٰ الأجزاء الديمقراطيسيّة رجماً بالغيب، بأنّها ذوات أشكال مختلفة، وعلىٰ حسب الاختلاف في الأشكال والأوضاع كان الاختلاف في الآثار والخواصّ.

وبالجملة: فهذه عشرة مذاهب اختلف إليها منكرو الأُلوهيّة، الزاعمون ألاّ وجود للصانع الأقدس، وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الإلهيين بالطبيعيّين، والمادّيين، والدهريّين، وإن شئت قلت: نيتشريّين، وناتوراليسميين، وماتيرياليسميّين.

وسنأتي علىٰ تفصيل مذاهبهم، ودحض حججها بالبيّنات العقليّة، في رسالة أوسع، ولا يظنّ ظان أنّا نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء «البياجوات[2]

---

(١) حاص عن كذا: حاد وعدل عنه. يقولون «من حاص عن الشر سلم»، و «وقع في حيص بيص»؛ أي في مشكل لا مخرج منه.

(٢) البياجو: اسم «إيطالي» اشتهر في الهند لمن يقلّد الماهر في اللعب بحركات غير منسقة =

الهنديين».. كلاّ إنّ هؤلاء لا نصيب لهم من العلم، بل ولا من الإنسانيّة، فهم بعيدون من مواقع الخطاب، ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض.

نعم لو أريد إنشاء تياترو «ملهىٰ» أو «كطبتلىٰ»[1]؛ لتمثّل فيه أحوال الأُمم المتمدّنة، مسّت الحاجة إلىٰ هؤلاء لإقامة هذه الألاعيب، وإنّما غرضنا الأصلي إعلان الحقّ وإظهار الواقع.

والآن نعتمد الشروع في بيان المفاسد التي جلبها المادّيّون «ألنيتشريّون» علىٰ نظام المدنيّة، والمضارّ التي تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعيّة، وكان منشؤها فشو «ذيوع» أفكارهم.

= لإضحاك الناظرين، ويعبّر عنه في العربيّة بالخلابيس، وأصله الشيء الذي لا نظام له. والطبيعيّون في الهند يمثّلون أحوال الدهريّين في أُوربا تمثيلاً مضحكاً. (من كلام جمال الدين الأفغاني في الأصل).

(١) نوع من اللعب يشخّصون فيه أحوال ملوك الهند الأقدمين. (من كلام الافغاني في الاصل).

الفصل الثاني

ألقاب ومزاعم

بيان المفاسد التي جلبها المادّيون علىٰ نظام المدنيّة، ومظاهر الماديين ومقاصدهم، وما أفاده الدين من العقائد والخصال.

تخالفت مظاهر المادّيين في الأُمم والأجيال المختلفة، فتخالفت أسماؤهم، فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسِمات[1] الحكماء، وينتحلون «الحكيم» لقباً لأفرادهم، وأحياناً كانوا يتّسمون بسيما: «دافع الظلم ورافع الجور»، وكثيراً ما تقدموا لمسارح الأنظار تحت لباس «عراف الأسرار وكشفة الحقائق والرموز، والواصلين من كلّ ظاهر إلىٰ باطنه، ومن كلّ بارز إلىٰ كامنه».

وقد كانوا يظهرون في أوقات بدعوىٰ السعي في تطهير الأذهان من الخرافات، وتنوير العقول بحقائق المعلومات، وتارات يتمثّلون في صور «محبّي الفقراء، وحماة الضعفاء، وطلّاب خير المساكين»، وكثيراً ما تجرّؤوا علىٰ ادّعاء النبوّة، ولكن لا علىٰ سنن سائر المتنبّئين الكذبة.

كلّ ذلك توسّلاً لإجراء مقاصدهم، وترويج مفاسدهم... كيفما ظهر المادّيون، وفي أي صورة تمثّلوا، وبين أيّ قوم نجموا، كانوا صدمة شديدة علىٰ بناء قومهم،

---

(١) في الأصل: بسيمات.

وصاعقة مجتاحة لثمار أُممهم، وصدعاً متفاقاً في بِنية جيلهم، يُميتون القلوب الحيّة بأقوالهم، وينفثون السمّ في الأرواح بآرائهم، ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم، فما رُزئت بهم أُمّة، ولا مُني بشرّهم جيل، إلاّ انتكث فتله، وسقط عرشه، وتبدّدت آحاد الأُمة، وفقدت قوام وجودها..

كان الإنسان ظلوماً جهولاً، وخُلق الإنسان هلوعاً، إذا مسّه الشرّ جزوعاً، وإذا مسّه الخير منوعاً... جُبل الإنسان علىٰ الحرص، وكأنه منهوم لشرب الدماء، لم يحرم الإنسان من لطف مبدعه، فكما أبدعه ألزم الدين وجوده، فتمسّك الناس منه بأُصول، وانطبعوا به علىٰ خصال، توارثها الأبناء عن الآباء في قرون بعد قرون. ومهما غيّروا وبدّلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق علىٰ عقولهم بأنوار من المعرفة، يهتدون بها إلىٰ سعادتهم ويُقيمون في ضوئها أساس مدنيّتهم، ولم يبطل أثرها في تعديل أخلاقهم، وكفّ أيديهم عن التطاول إلىٰ الشرور والمفاسد، وبهذا كان للأقدمين من أهل القرون الأُولىٰ ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء.

وطائفة النيتشريّة كلّما ظهرت في أُمة سعت في قلع تلك الأُصول، وإفساد تلك الخصال، حتّىٰ إذا لمع لها بارق من النجاح، وهت أركان الأُمّة، وانهارت إلىٰ هوان[1] الاضمحلال والعدم. وهذه الطائفة هي الآن ـ كما كانت ـ تسلك منهج أسلافها الأوّلين، وإنّا نوضّح ذلك بمجمل من البيان.

ما أفاد الدين من العقائد والخصال

أكسب الدينُ عقولَ البشر ثلاثَ عقائد، وأودع نفوسهم ثلاث خصال، كلٌّ منها ركن لوجود الأُمم، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية، وأساس محكم لمدنيتها، وفي كلٍّ منها سائق يحثّ الشعوب والقبائل علىٰ التقدّم لغايات الكمال، والرقيّ إلىٰ ذُرىٰ السعادة، وفي كلّ واحدة وازع قويّ يباعد النفوس عن الشرّ، ويردعها عن مقارفة

---

(١) في الأصل: هوات.

الفساد، ويصدّها عن مقاربة ما يبيدها ويبدّدها.

العقيدة الأولىٰ: التصديق بأنّ الإنسان مَلَك أرضيّ، وهو أشرف المخلوقات.

العقيدة الثانية: يقين كلّ ذي دين بأنّ أُمته أشرف الأُمم، وكلّ مخالف له فعلىٰ ضلال وباطل.

العقيدة الثالثة: جزمه بأنّ الإنسان إنّما ورد هذه الحياة الدنيا؛ لاستحصال كمال يهيّئه للعروج إلىٰ عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي، والانتقال به من دار ضيّقة الساحات كثيرة المكروهات، جديرة بأن تسمّىٰ «بيت الأحزان وقرار الآلام» إلىٰ دار فسيحة الساحات، خالية من المؤلمات، لا تنقضي سعادتها، ولا تنتهي مُدّتها.

ولا يغفل العاقل عمّا يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة في الاجتماع البشري، والمنافع الجمّة في المدنيّة الصحيحة، وما يعود منها بالاصلاح علىٰ روابط الأُمم، وما لكلّ واحدة من الدَّخْل في بقاء النوع، والميل بأفراده لأن يعيش كلٌّ منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة، والأخذ بهمم الأُمم للصعود في مراقي الكمال النفسي والعقلي.

لكلّ عقيدة لوازم وخواصّ

العقيدة الأُولىٰ

من البيّن أنّ لكلّ عقيدة لوازم وخواصّ لا تزايلها، فما يلزم الاعتقاد بأنّ الإنسان أشرف المخلوقات يرفع المعتقد ـ بحكم الضرورة ـ عن الخصال البهيميّة، واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية، ولا ريب أنّه كلّما قوي هذا الاعتقاد، اشتدّ به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها، وكلّما اشتدّ هذا النفور سما بروحه إلىٰ العالم العقلي، وكلّما سما عقله أوفىٰ علىٰ المدنية، وأخذ منها بأوفر الحظوظ، حتّىٰ قد تنتهي به الحال الىٰ أن يكون واحداً من أهل المدنيّة، يحيا مع إخوانه الواصلين معه

إلىٰ درجته علىٰ قواعد المحبّة، وأُصول العدالة، وتلك نهاية السعادة الإنسانيّة في الدنيا، وغاية ما يسعىٰ إليه العقلاء والحكماء فيها.

فهذه العقيدة أعظم صارف للإنسان عن مضارعة الحُمُر الوحشيّة في معيشتها، والثيران البرّيّة في حالتها، ومضاربة البهائم السائمة، والدوابّ الهاملة، والهوامّ الراشحة لا تستطيع دفع مضرّة، ولا التقيّة من عادية، ولا تهتدي طريقاً لحفظ حياتها، وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد.

هذه العقيدة أشدّ زجراً لأبناء الإنسان من التقاطع المؤدّي لافتراس بعضهم بعضاً، كما يقع بين الأُسود الكاسرة، والوحوش الضارية، والكلاب العاقرة، وأشدّ مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات، وهذه العقيدة أحجىٰ حادٍ للفكر[1] في حركاته، وانجح داعٍ للعقل في استعمال قوّته، وأقوىٰ فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل.

إن شئت فارم بنظر العقل إلىٰ قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد، بل يظنّون أنّ الإنسان حيوان، كسائر الحيوانات، ثمّ تبصّر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل، وإلىٰ أيّ حدّ تصل بهم الشرور، وبأيّ منزلة من الدناءة تكون نفوسهم، وكيف أنّ السقوط إلىٰ الحيوانيّة يقف بعقولهم عن الحركات الفكريّة.

العقيدة الثانية:

ومن خواصّ يقين الأُمة بأنّها اشرف الأُمم، وجميع من يخالفها علىٰ الباطل، أن ينهض آحادها لمكاثرة الأُمم في مفاخرها، ومساماتها في مجدها، ومسابقتها في شرائف الأُمور، وفضائل الصفات، وأن يتّفق جميعها علىٰ الرغبة في فوت جميع الأُمم، والتقدّم عليها في المزايا الإنسانيّة، عقليّة كانت أو نفسيّة، ومعاشيّة كانت أو معاديّة.

---

(١) أي: أخلق وأجدر سائق للفكر.

وتأبىٰ نفس كلّ واحد عن إعطاء الدنيّة، والرضا بالضيم لنفسه، أو لأحد من بني أُمّته، ولا يسرّه أن يرىٰ شيئاً من العزّة أو مقاماً من الشرف لقوم من الأقوام، حتّىٰ يطلب لأُمّته أفضله وأعلاه.

ذلك أنه بهذا الاعتقاد يرىٰ أبناء قومه اليق واجدر بكلّ ما يعد شرفاً إنسانيّاً، فإن جادت صروف الدهر علىٰ قومه فأضرعتهم[1] أو ثلمت مجدهم، أو سلبتهم مزيّة من مزايا الفضل، لم تستقرّ له راحة، ولم تفتأ له حميّة، ولم يسكن له جَيَشان، فهو يُمضي حياته في علاج ما ألمّ بقومه حتّىٰ يأسوه، أو يموت في أساه.

فهذه العقيدة أقوىٰ دافع للأُمم إلىٰ التسابق لغايات المدنيّة، وامضىٰ الأسباب بها إلىٰ طلب العلوم، والتوسّع في الفنون، والإبداع في الصنائع، وإنّها لأبلغ في سَوقً الأُمم إلىٰ منازل العلاء، ومقاوم الشرف، من غالب قاسر، ومستبدّ قاهر عادل.

وإن أردت فالمحْ بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين.. ماذا تجد من فتور في حركات آحادهم نحو المعالي؟ وماذا ترىٰ من قصور في هممهم عن درك الفضائل؟ وماذا ينزل بقواهم من الضعف؟ وماذا يحلّ بديارهم من الفقر والمسكنة؟ وإلىٰ أىّ هُوّة يسقطون من الذلّة والهوان، خصوصاً إذا بغىٰ عليهم الجهل، فظنّوا انهم أدنىٰ من سائر الملل، كطائفة «الدهير» و «مانك»؟

العقيدة الثالثة:

ومن مقتضيات الجزم بأنّ الإنسان ما ورد هذا العالم إلاّ ليتزوّد منه كمالاً يعرج به إلىٰ عالم أرفع، ويحلّ به إلىٰ دار أوسع، وجناب أمرع؛ ليمرع واديه وتجنى حلبه.

إنّ من أُشربت هذه العقيدةُ قلبَه، ينبعث بحكمها وينساق بحاديها لإضاءة عقله بالعلوم الحقّة، والمعارف الصافية؛ خشية أن يهبط به الجهل إلىٰ نقص يحول دون مطلبه، ثمّ ينصرف همّه لإبراز ما أودع فيه من القوّة السامية، والمدارك العقليّة،

---

(١) من الضراعة، وهي الاستكانة والمسكنة والذلّة.

والخواصّ الجليلة، وأستعمالها فيما خُلقت له، فيتجلّىٰ كماله من عالم السكون إلىٰ عالم الظهور، ويرتقي من درجة القوة إلىٰ مكانة الفعل، فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل، ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسيّة، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة، متنكّباً طريق الخيانة، ووسائل الكذب والحيلة، معرضاً عن أبواب الرشوة، مترفّعاً عن الملق الكلْبي، والخداع الثعلبي، ثمّ يُنفق ما كسب في الوجه الذي يليق، وعلى الوجه الذي ينبغي، وبالقدر الذي ينبغي، لا يأتي فيه باطلاً، ولا يغفل حقاً عامّاً أو خاصّاً.

فهذه العقيدة أحكم مرشد وأهدىٰ قائد للإنسان إلىٰ المدنيّة الثابتة، المؤسّسة علىٰ المعارف الحقّة، والأخلاق الفاضلة، وهذا الاعتقاد أشدّ ركن لقوام الهيئة الاجتماعيّة، التي لا عماد لها إلاّ معرفة كلّ واحد حقوقه وحقوق غيره عليه، والقيام علىٰ صراط العدل المستقيم.

هذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأُمم؛ إذ لا عقد لها إلا مراعاة الصدق، والخضوع لسلطان العدل؛ في الوقوف عند حدود المعاملات.

هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزليّة، تهبّ علىٰ القلوب ببرد السكون والمسالمة، فإنّ المسالمة ثمرة العدل والمحبّة، والعدل والمحبّة زَهْر الاخلاق والسجايا الحسنة، وهي غِراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور، وتنجيه من متائه الشقاء، وتعاسة الجَدّ، وترفعه إلىٰ غُرف المدينة الفاضلة، وتجلسه علىٰ كرسيّ السعادة.

وقد يسهل عليك أن تتخيّل جيلاً من الناس حرم هذه العقيدة، فكم يبدو لك فيه من شقاق، وكذب ونفاق، وحيل وخداع، ورشوة واختلاس.

وكم يغشىٰ نظرك من مشاهد الحرص والشره، والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد. وكم تحسّ من جفاء للعلم، وعشوة عن نور المعرفة.

الخصال الثلاث

وأما الخصال الثلاث[1] التي توارثتها الامم من تاريخ قد لا يحّد قـدماً، وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين.

فإحداها: خصلة الحياء:

وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمة، وينحىٰ عليها بالتوبيخ، وتأثّرها من التلبّس بما يعدّ عند الناس نقصاً، وفي الحقّ أن يقال: إنّ تأثير هذه الخَلّة في حفظ نظام الجمعيّة البشريّة، وكفّ النفوس عن ارتكاب الشنائع، اشدّ من تأثير مئين من القوانين، وآلاف من الشُّرَط والمحتسبين؛ فإنّ النفوس إذا مزّقت حجاب الحياء، وسقطت إلىٰ حضيض الخِسّة والدناءة، ولم تبالِ بمايصدر عنها من الأعمال، فأيّ عقاب يردها عن المفاسد التي تُخلّ بنظام الاجتماع، سوى القتل؟! وقد لاحظ ذلك «سولون»[2] حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كلّ عمل قبيح، حتّىٰ الكذبة الواحدة.

---

(١) الخصلة: هي الخَلّة ـ بفتح الخاء ـ سواء أكانت فضيلة أم رذيلة، وقد غلبت علىٰ الفضيلة. وقد عرّف الشيخ محمد عبده الفضائل في مقال له: بأنّها سجايا للنفس من مقتضاها التأليف والتوفيق بين المتّصفين بها، كالحياء والسخاء والعفّة.

(٢) سولون «Solon»: مشرّع يوناني، وأحد حكماء اليونان السبعة، وضع لبلاده قوانين حرّرتها من قيود كثيرة، ورفعت مستوىٰ الحياة الاجتماعيّة.

وخَلّة الحياء يلازمها شرف النفس، وهو ممّا تدور عليه دائرة المعاملات، وتتّصل به سلسلة النظام، وهو مناط صحّة العقول، والتزام أحكامها، ومعصم الوفاء بالعهود، وهو رأس مال الثقة بالإنسان في قوله وعمله.

وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الإباء، وسجيّة الغيرة، وإنما تختلف أسماؤها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شيء، أو حملها علىٰ عمل.

والإباء والغيرة: هما مبعث حركات الأُمم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف، وتسنّم قمم الشرف والرفعة، وتقوية الشوكة وبسط جناح العظمة، وتوفير موادّ الغنىٰ والثروة.

وكلّ أُمة فقدت الغيرة والإباء حرمت الترقّي؛ وإن تسنّىٰ لها من أسبابه ما تسنّىٰ، فهي تعطي الدنيّة، ولا تأنف من الخِسّه، وتضرب عليها الذلّة والمسكنة حتىٰ ينقضي أجلها من الوجود.

وخَلّة الحياء تنتهي إليها روابط الأُلفة بين آحاد الأُمّة في معاشراتهم ومخالطاتهم، فإنّ حبال الأُلفة إنّما يحكمها حفظ الحقوق، والوقوف عند الحدود، ولا يكون ذلك إلاّ بهذه الملكة الكريمة.

هذه سجيّة تزين صاحبها بالآداب، وتنفر به عن الشهوات البهيميّة، وتُفيض روح الاعتدال علىٰ حركاته وسكناته وجميع أعماله.

وهذا هو الخلق الفرد الذي ينهض بصاحبه لمجاراة أرباب الفضائل، ويتجافىٰ به عن مضاجع النقائص، ويأنف به عن الرضا بالجهل والغباوة، أو الضِّعة والضراعة.

هذا الوصف الكريم، هو منبت الصدق، ومغرس الأمانة، وهما معه في قَرَن[١].

هذا الوصف هو آلة المعلّمين والقائمين علىٰ التربية، والدعاة لمكارم الأخلاق، والمولعين بترقية الفضائل ـ صوريّة ومعنويّة ـ يستعملونها في نصائحهم، يذكّرون

---

(١) القَرَن: الحبل يُقرن به البعيران؛ أي أنّهما مقترنان به وملازمان له.

بها الغافل، ويحرّضون الناكل، ويوقظون النائم، ويقعدون القائم؛ ألا ترىٰ المعلّم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله: «ألا تستحي من تقدّم قرينك عليك، وتخلّفك عنه»؟! فإن لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ، ولا نفع للتقريع، ولا نجاح للدعوة، فانكشف مما بيّنّا: أنّ هذه الخَلّة مصدر لجميع الطيّبات، ومرجع لكلّ فضيلة، وسُلّم لكلّ ترقٍّ.

ويمكن لنا أن نفرض قوماً هجر الحياء نفوسهم، فماذا نرىٰ فيهم، سوى المجاهرة بالفحشاء، والمنافسة في المنكر، وشَوَسِ الطباع[1] وسوء الأخلاق، والإخلاد إلىٰ دنيّات الأُمور وسفاسف الشؤون، وكفىٰ بمشهدهم شناعة أن نرىٰ تغلّب الشهوات البهيميّة عليهم، وتملّك الصفات الحيوانيّة لإرادتهم وتسلّطها علىٰ أفعالهم.

والخصلة الثانية: الأمانة:

ومن المعلوم الجليّ أنّ بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الأعمال، وروح المعاملة والمعاوضة إنّما هي الأمانة، فإن فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة، وانبترت حبال المعاوضة، فاختلّ نظام المعيشة، وأفضىٰ ذلك بنوع الإنسان إلىٰ الفناء العاجل.

ثمّ من البيّن أنّ الأُمم في رفاهتها، والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها، محتاجة إلىٰ «الحكومة» بأيّ أنواعها؛ إمّا جمهوريّة، أو ملكيّة مشروطة، أو ملكيّة مقيّدة.

والحكومة ـ في أيّ صورها ـ لا تقوم إلّا برجال يلُونَ ضروباً من الأعمال، فمنهم حرّاس علىٰ حدود المملكة، يحمونها من عدوان الأجانب عليها، ويدافعون الوالج في ثغورها، وحَفَظة في داخل البلاد، يأخذون علىٰ أيدي السفهاء، ممّن يهتك

---

(١) شاسَ شَوَساً: نظر بمؤخّر عينيه تكبّراً أو تغيّظاً، أو كان شديداً جريئاً في القتال، وخطوب شُوْس: شديدة.

ستر الحياء، ويميل إلىٰ الاعتداء من فتك أو سلب أو نحوهما.

ومنهم حَمَلَة الشرع وعُرَفاء القانون، يجلسون علىٰ منصّات الأحكام لفصل الخصومات والحكم في المنازعات.

ومنهم أهل جباية الأموال، يحصلون من الرعايا ما فرضت عليهم الحكومة من خراج، مع مراعاة قانونها في ذلك، ثمّ يستحفظون ما يحصلون في خزائن المملكة، وهي خزائن الرعايا في الحقيقة، وإن كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها.

ومنهم من يتولّىٰ صرف هذه الأموال في المنافع العامّة للرعيّة مع مراعاة الاقتصاد والحكمة، كإنشاء المدارس والمكاتب، وتمهيد الطرق وبناء القناطر، وإقامة الجسور، وإعداد المستشفيات، ويؤدّي أرزاق سائر العاملين في شؤون الحكومة؛ من الحرّاس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عُيِّن لهم.

وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين علىٰ أعمالها، إنّما تؤدّي كلّ طبقة منها عملها المنوط بها بحكم «الأمانة»، فإن خربت أمانة أولئك الرجال ـ وهم أركان الدولة ـ سقط بناء السلطة، وسلب الأمن، وزاحت[1] الراحة من بين الرعايا كافّة، وضاعت حقوق المحكومين، وفشا فيهم القتل والتناهب، ووعرت طرق التجارة، وتفتّحت عليهم أبواب الفقر والفاقة، وخوت خزائن الحكومة، وعميت علىٰ الدولة سُبُل النجاح، فإن حَزَبَها[2] امر سُدّت عليها نوافذ النجاة.

ولاريب أنّ قوماً يساسون بحكومة خائنة، إمّا أن ينقرضوا بالفساد، وإمّا أن يأخذهم جبروت أُمة أجنبيّة عنهم، يسومونهم خَسْفاً[3]، ويستبدّون فيهم عَسْفاً[4]، فيذوقون من مرارة العبوديّة ما هو أشدّ من مرارة الانقراض والزوال.

ومن الظاهر أن استعلاء قوم علىٰ آخرين، انما يكون باتحاد آحاد العالين، والتئام بعضهم ببعض، حتى يكون كل منهم لبنية قومة كالعضو للبدن، ولن يكون

---

(١) زالت وتباعدت وذهبت.

(٢) اشتدّ عليها.

(٣) الخسف: الذُّلّ والنقيصة.

(٤) العَسْف: الظُّلم والجَوْر.

هذا الاتحاد، حتىٰ تكون الامانة قد ملكت قيادهم، وعمت بالحكم أفرادهم.

فقد كشف الحق أن الامانة دعامة بقاء الانسان، ومستقر أساس الحكومات، وباسط ظلال الامن والراحة، ورافع أبنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها، ولا يكون شيء من ذلك بدونها.

واليك الاختبار في فرض أُمة عطلت نفوسهم من حلية هذه الخلة الجليلة، فلا تجد فيها إلّا آفات جائحة، ورزايا قاتلة، وبلايا مهلكة وفقراً معوزاً، وذلا معجزاً، ثم لا تلبث بعد هذا كله، أن تبتلعها بلاليع العدم، وتلتهمها أُمّهات اللَّهْم[1].

الخصلة الثالثة: الصدق:

الإنسان كثير الحاجات، غير معدود الضرورات، وكلّ ما يسدّ حاجاته ويدفع ضروراته، وراء ستار الخفاء محجوب، وتحت حجاب الغيب مكنون.

قذف بالانسان من غيب يجهله، إلىٰ ظهور لا يعرفه، فقام في بدء نشأته في زاوية عمياء لا يذكر اسماً، ولا يعهد رسماً.

هذا الإنسان علىٰ ضعفه، كأنّما أَحفظ الأكوانَ قبل وجوده، فأرصدت له القتال، وهيّأت له النضال، فله في كلّ مثناة[2] منها كامنة بليّة، وفي كلّ حِنْو[3] رابضة رزيّة، وكلٌّ فوّق سهمه في قِسِيّ الأدوار الزمنيّة ليصيب مقاتل الإنسان.

مُنح الإنسان خمسة مشاعر: السمع، والبصر، والذوق، واللمس، والشمّ، ولكن لا غناء بها في هدايته لا قرب حاجاته، وإرشاده لدفع ما خفّ من ضروراته، فأحجىٰ ألاّ كفاء لها في استطلاع مكامن البلايا واكتشاق مخابئ الرزايا، ليأخذ حذره، ويحرز أمره، فهو في حاجة ـ كلّ الحاجة ـ للاستعانة بمشاعر أمثاله، من بني جنسه، والاستهداء بمعارفهم؛ ليتفادىٰ بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب،

---

(١) أُمّ اللُّهَيْم: كنية الموت؛ لأنه يلتهم كلّ أحد، أو الداهية.

(٢) الطيّ والالتواء.

(٣) أي في كلّ جانب.

ويصيب من الرزق ما فيه قوام معيشته، وسداد عَـوَزه، والاستهداء إنّما يكـون بالاستخبار، ولا تتمّ فائدة الخبر في الهداية، إلاّ أن يكون من مصدر صدق، يحدّث عن موجود، ويحكي عن مشهود، وإلاّ فما الهداية في خبر لا واقع له؟!

نعم: الكاذب يُري البعيد قريباً، والقريب بعيداً، ويُظهر النافع في صورة الضارّ، والضارّ في صورة النافع، فهو رسول الجهالة، وبعيث الغواية، وظهير الشقاء، ونصير البلاء، فعلىٰ ما تقدّم تكون صفة الصدق ركناً ركيناً للوجود الإنساني، وعماداً للبقاء الشخصي والنوعي، وموصل العلائق الاجتماعيّة بين آحاد الشعوب، ولا تتحقّق أُلفة مدنيّة أو منزليّة بدونه.

وانظر فيما إذا فقدت أُمة خَلّة الصدق، كيف يُنيخ الشقاءُ بها رواحلَه، ويُنفذ سوءُ البخت فيها عواملَه، وكيف ينتثر نظامها، ويفسد التئامها.

الفصل الثالث

أباطيل الدهريين

جَحَدَة الأديان:

هؤلاء جَحَدَة الأُلوهيّة في أيّ أُمّة، وبأيّ لون ظهروا، كانوا يسعون ـ ولا يزالون يسعون ـ لقلع أساس هذا القصر المسدّس الشكل؛ قصر السعادة الإنسانية، القائم بستّة جدران: ثلاث عقائد، وثلاث خصال[1]، أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع، وتُلقي[2] بهذا النوع الضعيف إلىٰ عراء الشقاء، وتهبط به من عرش المدنيّة الإنسانية إلىٰ أرض الوحشيّة الحيوانيّة.

لقد وضعوا مذاهبهم علىٰ بطلان الأديان كافّة، وعدّها أوهاماً باطلة، ومجعولات وضعيّة، وبنوا علىٰ هذا: ألّا حقّ لملّة من الملل أن تدّعي لنفسها شرفاً علىٰ سائر الملل؛ اعتماداً علىٰ أُصول دينها، بل الأليق بها ـ علىٰ رأيهم ـ أن تعتقد أنها ليست أولىٰ من غيرها بفضيلة، ولا أجدر بمزيّة. ولا يخفىٰ ما يتبع هذا الرأي الفاسد؛ من فتور الهمم، وركود الحركات الإرادية عن قصد المعالي، كما تقدّم بيانه.

قالوا: إنّ الإنسان في المنزلة كسائر الحيوانات، وليس له من المزايا ما يرتفع به علىٰ البهائم، بل هو أخسّ منها خِلْقة، وأدنىٰ فطرة، فسهّلوا بذلك علىٰ الناس إتيان

---

(١) هي العقائد والخصال التي تكلّم عنها قبلُ، وأطلق عليها ـ هنا ـ أسم القصر المسدّس الشكل، ونعته بقصر السعادة.

(٢) في الأصل: تلفي.

القبائح، وهوّنوا عليهم اقتراف المنكرات، ومهّدوا لهم طرق البهيميّة، ورفعوا عنهم معايب العدوان.

ذهبوا إلىٰ أنه لا حياة للإنسان بعد هذه الحياة، وأنّه لا يختلف عن النباتات الأرضيّة؛ تنبت في الربيع ـ مثلاً ـ وتيبس في الصيف، ثمّ تعود تراباً، والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيميّة.

وبهذا الرأى الفاسد أطلقوا النفوس من قيد التأثّم، ودفعوها إلىٰ أنواع العدوان؛ من قتل وسلب وهتك عرض، ويسّروا لها الغدر والخيانة، وحملوها علىٰ فعل كلّ خبيثة، والوقوع في كلّ رذيلة، وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري، وأعدموها الرغبة في كشف الحقائق، وتعرف أسرار الطبيعة.

هذا الوباء المهلك، والطاعون المجتاح ـ أعني النيتشريّين ـ لا يُصيب أهل الحياء؛ لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم، وإبائها عن وضع أقدامها في منازل الحيوانيّة المحضة، وأنفتها من الاشتراك في الأموال والأبضاع، وإباحة التناول ممّا يختصّ بالغير منها.

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون إلىٰ خَلّة الحياء ليُزيلوها أو يُضعفوها، فقالوا: إنّ الحياء من ضعف النفس ونقصها، فإذا قويت النفوس، وتمّ لها كمالها، لم يغلبها الحياء في عملٍ ما كائناً ما كان، فمن الواجب الطبيعي ـ في زعمهم ـ أن يسعىٰ الإنسان في معالجة هذا الضعف ـ الحياء ـ ليفوز بكمال القوة ـ قلّة الحياء ـ وبهذه الدسيسة يخلطون بين الإنسان والهَمَل[1]، ويعزجونه بالهامجات[2] من النَّعَم، ويوحّدون بين حاله وتصرّفه، وبين حال الدوابّ والأنعام، من إباحة كلّ عمل، والاشتراك في كلّ شهوة، ويهوّنون عليه إتيان ما تأتيه في نزواتها.

ولا يخفىٰ أنّ الأمانة والصدق منشؤهما في النفس الإنسانيّة أمران: الإيمان بيوم

---

(١) الهَمَل من الإبل: المتروك ليلاً ونهاراً يرعىٰ بلا راعٍ.

(٢) المتروكة يموج بعضها في بعض كالغنم بلا راعٍ.

الجزاء، وملكة الحياء.

وقد ظهر: أنّ من أُصول مذاهب هذه الطائفة إبطال تلك العقيدة، ومحو هذه الملكة الكريمة، فيكون تأثير آرائهم في إذاعة الخيانة وترويج الكذب، أشدّ من تأثير دعوة داعٍ إلىٰ نفس الخيانة والكذب، فإنّ منشأ الفضيلتين مادام في النفس أثر منه، يبعثها علىٰ مقاومة الداعي إلىٰ الرذيلتين، فيضعف أثر دعوته، والمؤمّن بالجزاء، المبرقع بالحياء، إن سقط في الخيانة أو الكذب مرة، وجد من نفسه زاجراً عنهما مرّة أُخرىٰ، أمّا لو مُحي الإيمان والحياء ـ وهما منشأ الصدق والأمانة ـ من لوح النفس، فلا يبقىٰ منها وازع عن ارتكاب ضدّيهما.

ويزيد في شناعة ما ذهبوا اليه، أنّ في أُصولهم الإباحة والاشتراك المطلقين، فيزعمون أنّ جميع المشتهيات حقّ شائع، والاختصاص بشيء منها يعدّ اغتصاباً، كما سيذكر، فلم يبق للخيانة محلّ، فإنّ الاحتيال لنيل الحقّ لا يعدّ خيانة، ومثلها الكذب، فإنه يكون وسيلة للوصول إلىٰ حقّ مغتصب ـ في زعمهم ـ فلا يعدّ ارتكاباً للقبيح.

لا جَرَمَ[1] أن آراء هذه الطائفة مروِّجة للخيانات، باعثة علىٰ افتراء الأكاذيب، حاملة للأنفس علىٰ ارتكاب الشرور والرذائل، وإتيان الدنايا والخبائث.

وإنّ أُمّة تفشو فيها هذه الحوالق[2] لجديرة بالفناء، جالية عن باحة البقاء[3]، فقد انكشف الخفاء ـ بما بيّنّا ـ عن فساد مشارب هذه الطائفة، وعن وجه سَوقها الأُمم والشعوب إلىٰ مهاوي الهَلَكة والدمار.

وأقول: إنّها من أشدّ الأعداء للنوع الإنساني كافّة، فإنّ ما هاج في رؤوس أبنائها من «الماليخوليا» يخيّل إليهم أنّ الإصلاح فيما يزعمون، ويصوّر لهم حقيقة النجاح في صور ما يتوهّمون، فيبعثهم هذا الفساد لإيقاد النار في بيت هذا النوع

---

(١) لا محالة ولا بدّ وحقاً.

(٢) جمع حالقة: السنة الشديدة التي تحلق كلّ شيء، المنيّة، القول السيّء، والمعنىٰ الأخير أنسب.

(٣) أي خارجة عن ساحة الوجود.

الضعيف؛ ليمحو بذلك رسمه من لوح الوجود، فإنّ من الظاهر ـ عند كلّ ذي إدراك ـ أنّ أفراد هذا النوع يحتاجون في بقائهم إلىٰ عدّة صنائع لو لم تكن لأهلكتهم حوادث الجوّ، وأعوزهم القوت الضروري، والصنائع المحتاج إليها تختلف أصنافها، وتتفاوت درجاتها، فمنها الخسيس، والشريف، ومنها السهل، ومنها الصعب.

وهذه الطائفة النيتشريّة تسعىٰ لتقرير الاشتراك في المشتهيات، ومحو حدود الامتياز، ودرْس[1] رسوم الاختصاص؛ حتىٰ لا يعلو أحد عن أحد، ولا يرتفع شخص عن غيره في شيء ما، ويعيش الناس كافّة علىٰ حدّ التساوي؛ لا يتفاوتون في حظوظهم، فإن ظفرت هذه الطائفة بنجاح في سعيها هذا، ولاق[2] هذا الفكر الخبيث بعقول البشر، مالت النفوس إلىٰ الأخذ بالأسهل، فلا تجد من يتجشّم مشاقّ الأعمال الصعبة، ولا من يتعاطىٰ الحِرَف الخسيسة؛ طلباً للمساواة في الرفعة، فإن حصل ذلك، اختل نظام المعيشة، وتعطّلت المعاملات، وبطلت المبادلات، وأفضىٰ إلى تدهور هذا النوع في هُوّة الهلاك.

نعم، إنّ أفكار المصابين «بالماليخوليا» لا تُنتج أحسن من هذه النتيجة. ولو فرضنا محالاً، وعاش بنو الإنسان علىٰ هذه الطريقة العوجاء، فلا ريب أن تُمحىٰ جميع المحاسن، وضروب الزينة، وفنون الجمال العملي، ولا يكون لبهاء الفكر الإنساني أثر، ويفقد الإنسان كلّ كمال ظاهر أو باطن، صوريّ أو معنويّ، ويعطّل من حَلْي الصنائع، وتغرب عنه أنوار العلم والمعرفة، ويصبح في ظلام جَهْلٍ، وبلاء أزْل[3]، وينقلب كرسيّ مجده، وينثلّ[4] عرش شرفه، ويُضْحِر[5] في بادية الوحشية كسائر أنواع الحيوان، ليقضي فيها أجلاً قصيراً مُفعماً بضروب الشقاء، محاطاً بأنواع

(١) أي محو الاختصاص والفروق بين الأفراد.

(٢) لاق بعقول البشر: أي ناسبهم وأعجبهم وأحبّوه ولصق بعقولهم وثبت.

(٣) الأزْل ـ بفتح الهمزة وسكون الزاي ـ الضيق والشدّة والحبس، وبكسر الهمزة: الداهية.

(٤) يسقط وينهدم.

(٥) أصحر: خرج إلىٰ الصحراء.

من المخاوف، محشوّاً بأخلاط من الأوجال والأهوال، فإنّ المبدأ الحقيقي لمزايا الإنسان إنّما هو حبّ الاختصاص، والرغبة في الامتياز، فهما الحاملان علىٰ المنافسة، السائقان إلىٰ المباراة والمسابقة، فلو سُلِبَتْهما أفرادُ الإنسان وقفت النفوس عن الحركة إلىٰ معالي الأُمور، وأغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات، واكتناه حقائق الموجودات، وكان الإنسان في معيشته علىٰ مثال البهائم البّريّة إن أمكن له ذلك، وهيهات هيهات.

مسالكهم في طلب غاياتهم

سلكوا مخالج من الطرق لبثّ أوهامهم الفاسدة، فكانوا إذا سكنوا إلىٰ جانب أمنٍ، جهروا بمقاصدهم بصريح المقال، وإذا أزعجتهم سطوة العدل أخذوا طريق الرمز والإشارة، وكنَّوا عمّا يقصدون، ولوّحوا إلىٰ ما يطلبون، ومشوا بين الناس مشية التدليس.

وتارة كانوا يحملون علىٰ أركان القصر المسدّس ليصدعوها بجملتها في آن واحد، وأُخرىٰ كانوا يعمدون إلىٰ بعضها إذا رأوا قوّة المانع دون سائرها، فيجعلون ما قصدوا منها مرمىٰ أنظارهم، ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوّة، وقد تلجئهم الضرورة إلىٰ البعد عن الأركان الستّة بأسرها، فلا يأتون بما يمسّها مباشرة، ولكنهم يدأبون لإبطال لوازمها، أو ملزوماتها؛ ليعود ذلك بإبطالها.

وقد يكتفون بإنكار الصانع ـ جلّ شأنه ـ وجحد عقائد الثواب والعقاب، ويجهدون لإفساد عقائد المؤمنين، علماً منهم بأن فساد هاتين العقيدتين ـ الاعتقاد باللّٰه، والاعتقاد بالثواب والعقاب ـ لا محالة يُفضي إلىٰ مقاصدهم ويؤدّي إلىٰ نتيجة أفكارهم.

وكثيراً مّا سكتوا عن ذكر المبادئ، وسقطوا علىٰ ذات المقصد، وهو «الإباحة والاشتراك»، وأخذوا في تحسينه وتزيينه، واستمالة النفوس إليه، وقد يزيدون علىٰ الدعوة الإقناعيّة بأي وجوهها عملاً جاهليّاً تأنف منه الطباع، وتأباه شرائع

الإنسانية وذلك أن يأخذوا معارضيهم بالغدر والاغتيال، فكثيراً ما فتكوا بآلاف من الأرواح البريئة، وأراقوا سيولاً من الدماء الشريفة، بطرق من الحيل، وضروب من الختل.

ضرر مذاهب المادّيّين

متىٰ ظهر المادّيّون في أُمّة، نفذت وساوسهم في صدور الأشرار من تلك الأُمّة، واستهوت عقول الخبثاء الذين لا يهمّهم إلاّ تحصيل شهواتهم ونيل لذّاتهم من أيّ وجْه كان؛ لموافقة هذه الآراء الفاسدة لأهوائهم الخبيثة، فيميلون معهم إلىٰ ترويج المشرب المادّيّ، وإذاعته بين العامة غير ناظرين إلىٰ مايكون من أثره.

ومن الناس من لا يساهم في آرائهم، ولا يضرب في طرقهم، إلاّ أنه لا يسلم من مضارّها ومفاسدها، فإنّ الوهن يُلمّ بأركان عقائده، والفساد يسري لأخلاقه من حيث لا يشعر؛ حيث إنّ أغلب الناس مقلّدون في عقائدهم، منقادون للعادة في أخلاقهم، وأقلّ التشكيك، وأدنىٰ الشبهة، يكفي علّة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة.

وإنّ هؤلاء الماديين ـ بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم ـ يبذرون في النفوس بذور المفاسد، فلا تلبث أن تنمو في تراب الغفلة، فتكون ضريعاً وزقّوماً[1].

ولهذا قد يعمّ الفساد أفراد الأُمة التي تظهر فيها هذه الطائفة، وكلٌّ لا يدري من أيّ باب دمر الفساد علىٰ قلبه، فتشيع بينهم الخيانة، والغدر، والكذب والنفاق، ويهتكون حجاب الحياء، وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشريّة، يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرّج، وكلٌّ منهم وإن كان يدّعي بلسانه أنّه مؤمن بيوم الجزاء، وفي نفسه أنّ ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه، إلاّ أنّ عمله عمل من يعتقد

---

(١) الضَّريع: يبيس الشِّبرِق، وهو نبات حجازيّ يؤكل وله شوك وله زهرة حمراء، فإذا يبس سُمّي ضريعاً، والزَّقُّوم: كلّ طعام يقتل، وهو طعام كريه لأهل النار.

ألاّ حياة بعد هذه الحياة؛ لسريان عقائد الماديّين إلىٰ قلبه، وهو في غفلة عن نفسه، فلهذا تغلب عليهم الأَثَرَة، وهي إفراط الشخص في حبّه لنفسه، إلىٰ حدّ أنه لو عرضت في طريق منفعته مضرّة كلّ العالم، لطلب تلك المنفعة وإن حاق الضرر بمن سواه، ومن لوازم هذه الصفة أنّ صاحبها يؤثر منفعته الخاصّة علىٰ المنافع العامّة، ويبيع جنسه وأُمّته بأبخس الأثمان، بل لا يزال به الحرص علىٰ هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف، ويمكّن منه الجبن، حتىٰ يسقط به في هاوية الذلّ، ويكتفي من الحياة بمدّها وإن كانت مكتنفة بالذلّ، محاطة بالمسكنة، مبطّنة بالعبودية، فإذا وصلت الحال في أُمة إلىٰ أن تكون آحادها علىٰ هذه الصفات، تقطّعت فيها روابط الالتئام، وانعدمت وحدتها الجنسية، وفقدت قوّتها الحافظة، وهوت عروش مجدها، وهجرت الوجود كما هجرها.

الفصل الرابع

الأُمم التي ظهر فيها الدهريون

اليونان :

شعب «الكريك» ـ وهم اليونانيون ـ كانوا قوماً قليلي العدد، وبما أُلهموا أُورثوا من العقائد الثلاث، خصوصاً عقيدة أنّ أُمّتهم أشرف الأُمم، وبما أُودعوا من الصفات الثلاث ـ خصوصاً صفة الأنفة والإباء وهي عين الحياء ـ ثبتوا أحقاباً[1] في مقاومة الأُمة الفارسيّة، وهي تلك الأُمة العظيمة، التي كانت تمتدّ من نواحي «كشغر» إلىٰ ضواحي «استانبول»، ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية في العلوم الرفيعة. وقد حملهم الخوف من الذُّلّ، والأنَفة من العبوديّة، على الثبات في مواقف الأبطال، بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال؛ حذراً من الوقوع فيما لا يليق بأرباب الشرف، وأبناء المجد، حتّىٰ آل بهم الأمر أن تغلّبوا علىٰ تلك الدولة العظيمة «دولة فارس»، وهدموا أركانها، ومدّوا أيديهم إلىٰ الهند.

وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا يرجّحون الموت علىٰ الخيانة، كما تراه في قصّة «تيمستوكليس»[2]، وهو قائد يوناني نبذه أبناء جِلْدته

(١) الأحقاب والأحقب جمع حُقُب: ثمانون سنة أو أكثر أو الدهر.

(٢) هو من قوّاد اليونان، ولد سنة ٥٣٣ (ق.م) ، وتُوفّي سنة ٤٦٥ (ق.م)، هزم أُسطول الفرس في واقعة سلامين سنة ٤٨٠ (ق.م)، ثمّ غضب عليه أبناء جِلْدته، ولكنّه لم يَخُنهم،كما ترىٰ.

وطـردوه، وأرصـدوا له القـتل، فـاضطرّ إلىٰ الفـرار مـن أيـديهم، والتـجأ إلىٰ «ارتكزيكسيس»[١] ملك فارس، فلمّا كانت الحرب بين فـارس واليـونان، أمـره «ارتكزيكسيس» أن يتولّىٰ قِيادة جيش لحرب اليونان، فأبىٰ أن يحارب أُمته، وإن كانت طردته، فلما ألحّ عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصاً، تناول السمّ، ومات أَنَفَة من خيانة بلاده.

ظهور أبيقور في اليونان

ظهر أبيقور الدهري وأتباعه الدهـريّون في بـلاد اليـونان، مـتّسمين بسـماء الحكماء، وأنكروا الأُلوهية، وإنكارُها أشدُّ المنكر، ومنبع كلّ وبال وشرّ، كما يأتي بيانه.

ثمّ قالوا: ما بال الانسان معجب بنفسه، مغرور بشأنه، يظنّ أنّ الكون العظيم إنّما خلق خدمة لوجوده الناقص، ويزعم أنه أشرف المخلوقات، وأنّه العلّة الغائيّة لجميع المكونات؟! ما بال هذا الإنسان قاده الحرص ـ بل الجنون والخرق ـ إلىٰ اعتقاد أنّ له عوالم نورانيّة، ومعاهد قدسيّة، وحياة أبديّة، ينقل إليها بعد الرحلة من هذه الدنيا، ويتمتّع فيها بسعادة لا يشوبها شقاء، ولذّة لا يخالطها كدر، ولهذا قيّد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف، مخالفاً نظام الطبيعة العادل، وسدّ في وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعيّة، وحرم حسّه كثيراً من الحظوظ الفطريّة، مع أنّه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزيّة من المزايا في شأن من الشؤون، بل هو أدنىٰ وأسفل مـن جـميعها في جِـبِلّته، وأنقص من كلّها في فِطْرته، وما يفتخر به من الصنائع فإنّما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات، فالنسج مثلاً نقله عن العنكبوت، والبناء استنّ فيه بسُنّة النحل، ورفـع القصور وإنشاء الصوامع، أخذ فيه مأخذ النمل الأبيض، وادّخار الأقوات، حذا فيه

---

(١) «ارتكزيكسيس»: اسم لثلاثة ملوك من ملوك فارس: الأوّل الملقّب بالطويل اليد (٤٦٥ ـ ٤٢٥ ق.م)، والثاني الملقّب بحسن الذاكرة (٤٠٥ ـ ٣٥٨ ق.م)، والثالث الملقّب بأوكوس (٣٥٠ ـ ٣٣٨ ق.م) الذي اجتاح مصر (٣٤٥ ق.م).

حذو جنس النمل، وتعلّم الموسيقىٰ من البلبل... وعلى ذلك بقيّة الصنائع.

فإن كان هذا شأنه من النقص، فليس من اللائق به أن يقذف بنفسه في ورطات المتاعب والمشاقّ عبثاً، ومن الجهل أن يغترّ بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات، بل ولا جميع النباتات، وليس وراءها حياة أُخرىٰ في عالم آخر، بل أجدر به أن يُلقي ثقل التكاليف عن عاتقه، ويقضي حقّ الطبيعة البدنيّة من حظّ اللذّة، ومتىٰ سنح له عارض رغبة حيوانيّة، وجب عليه تناوله من أيّ وجوهه، وعليه الّا ينقاد إلىٰ ما تُخيّله له أوهام الحلال والحرام، واللائق وغير اللائق...

لبئس ما سوّلت لهم أنفسهم ـ نعوذ باللّٰه ـ فتلك أُمور وضعيّة ـ في زعمهم ـ تقيّد بها الناس جهلاً، فلا ينبغي لابن الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلّاً.

ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء من الأُمّة، فلم تأخذ منها وساوسهم، وجدوا تلك الصفة الكريمة سدّاً دون طلبتهم، فانصبّوا عليها يقصدون محوها من الأنفس، وأعلنوا أنّ الحياء ضعف في النفس ـ على ما تقدّم ـ وزعموا أنّ من الواجب علىٰ طالب الكمال أن يكسر مقاطر[1] العادات، ويحمل نفسه علىٰ ارتكاب ما يستنكره الناس حتىٰ يعود من يسهل عليه أن يأتي كلّ قبيح بدون انفعال نفسيّ، ولا يجد أدنىٰ خجل في المجاهرة بأيّة هجينة كانت.

ثمّ تقدّم الأبيقوريّون إلىٰ العمل بما يرشدون إليه فهتكوا حجاب الحياء، ومزّقوا ستاره، وأراقوا ماء الوجه الإنساني المكرّم، فاستحلّوا التناول من مال الناس بغير إذن، وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها، سواء طُلبوا أو لم يُطلبوا، حتّىٰ سمّاهم القوم بالكلاب... فإذا رأوهم رموهم بالعظام المعروفة، ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الإنسيّة عن دعوىٰ الحكمة، ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها، وكانت تنبح في الأسواق منادية: المال مشاع بين الكلّ، وتهجم علىٰ الناس من كلّ

---

(١) جمع مقطرة: وهي خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين.

ناحية، وهذا سبب شهرتهم بالكلبيّين.

فلمّا ضربت أفكار الدهريّين في نفوس اليونان، بسعي الأبيقوريّين، ونشبت بعقولهم، سقطت مداركهم إلىٰ حضيض البلاد، وكسد سوق العلم والحكمة، وتبدّل شرف أنفسهم بالذُّلّ واللُّؤم، وتحوّلت أمانتهم إلىٰ الخيانة، وانقلب الوقار والحياء قِحّة وتسفّلاً، واستحالت شجاعتهم إلىٰ الجبن، ومحبّة جنسهم ووطنهم إلىٰ المحبّة الشخصيّة.

وبالجملة: فقد تهدّمت عليهم الأركان الستّة التي كان يقوم عليها بيت سعادتهم، وانتقض أساس إنسانيّتهم، ثمّ انتهىٰ أمرهم بوقوعهم أسرىٰ في أيدي الرومانيين، وكُبِّلوا في قيود العبوديّة زمناً طويلاً، بعد ما كانوا يُعَدّون حكاماً في الأرض بلا معارض.

الأُمّة الفارسيّة

الأُمّة الفارسيّة بلغت فيها الأُصول الستّة، أعلى مكانة من الكمال أحقاباً طويلة، فكانت لها أُصول السعادة، وموارد النعيم، حتىٰ بلغ اعتقاد الفارسيّين من الشرف لأنفسهم، إلىٰ حدّ أنهم كانوا يزعمون أنّ السعداء من غيرهم إنّما هم الداخلون في عهدهم، المستظلّون بحمايتهم، أو المجاورون لممالكهم.

كان الصدق والأمانة أول التعليم الديني عندهم، ووصلوا في التحرّج من الكذب إلىٰ حيث كانوا إذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم، لا يتقدّم للاقتراض؛ خوف أن يضطرّه الدَّين إلىٰ الكذب في مواعيد وفائه، فارتفعوا بهذه الخصال إلىٰ درجة من العزّة، وبسطة الملك، يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامة[1].

---

(١) الشاهنامة: هي الملحمة العظمىٰ التي تشتمل علىٰ ستّين ألف بيت من الشعر الفارسي، ألّفها الفردوسي، الشاعر الفارسي الذي احتُفل بمرور ألف سنة علىٰ مولده في آسيا وآوروبا وأمريكا سنة ١٩٣٤ من الميلاد.

قال المؤرخ الفرنسي «فرنسيس لونورمان»: إن مملكة فارس علىٰ عهد دارا الأكبر كانت إحدىٰ وعشرين ايالة: واحدة منها تحتوي مصر وسواحل القلزم «البحر الاحمر»، وبلوخستان، والسند، وكانوا إذا ألّم الضعف بسلطانهم في زمن من الأزمان، بعثتهم تلك العقائد القويمة والصفات الكريمة علىٰ تلافي أمرهم، فخلصوا ممّا ألّم بهم في قليل زمن، ورجعوا إلىٰ مكانتهم الأُولىٰ ومجدهم الأعلىٰ.

مزدك الدهري(١)

ظهر فيهم «مزدك» الدهري علىٰ عهد «قباد» وانتحل لنفسه لقب «رافع الجور ودافع الظلم»، وبنزعة من نزعاته، قلع أُصول السعادة من أرض الفارسيّين، ونسفها في الهواء وبدّدها في الأجواء، فإنه بدأ تعاليمه بقوله: «جميع القوانين والحدود والآداب ـ التي وضعت بين الناس ـ قاضية بالجور، مقرّرة للظلم، وكلّها مبنيّ علىٰ الباطل، وإنّ الشريعة الدهريّة المقدّسة لم تنسخ حتّىٰ الآن، وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم...».

أيّ عقل وأيّ فهم يصل إلىٰ سرّ ما شرّعته «الطبيعة»؟! وأيّ إدراك يحيط بمثل ما أحاط به، وقد جعلت الطبيعة حقّ الماكل والمشرب والبضاع، مشاعاً بين الآكلين والشاربين والمباضعين بدون أدنىٰ تخصيص، فما الحامل للإنسان علىٰ حرمان نفسه من بضاع بنته وأُمه وأُخته، ثمّ تركهن لغيره يتمتّع بهنّ انقياداً لما يخيّله له الوهم، ممّا نسميه شريعة وأدبا؟!

وأيّ حقّ يستند إليه من يدّعي ملكية خاصّة في مال يتصرّف فيه دون سواه،

---

(١) «مزدك»، ظهر بعد «زرادشت»، وكان ذلك في عهد «خسرو قباد» من ملوك فارس، وزعم أنّ اللّه بعثه ليأمر بشيوع النساء والأموال بين الناس كافّة؛ لأنّهم كلّهم أُخوة وأولاد أب واحد، وانقاد «قباد» إلىٰ مذهب هذا المضلّل، وأباح له أن يخلو بالملكة زوجته، إلاّ أنّ أبن «قباد» وهو «كسرىٰ أنو شروان» حسم الأمر بقتل «مزدك» وأصحابه.

مع أنه شائع بينه وبين غيره؟!

وأيّ وجه لمن يحجر علىٰ أمرأة دخلت في عقده، ويحظر علىٰ الناس نيلها، وقد خُلق الذكر للأُنثىٰ والأُنثى للذكر؟!

وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم: بأنّ المال الشائع إذا تناولته يد مغتصب ـ بما يسمّونه بيعاً وشراء أو إرثاً ـ يكون مختصّاً بذلك المغتصب، ثمّ يحكم علىٰ الفقير المحروم ـ إذا احتال لأخذ شيء من حقّه والتمتّع به ـ بأنّه خائن أو غاصب؟!

فإن كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة، فعلىٰ الإنسان أن يفكّ أغلالها من عنقه، ويطرح كلّ قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب، التي لا واضع لها سوىٰ العقل الإنساني الناقص، وليرجع إلىٰ سُنّة الطبيعة المقدّسة، ويقضي حق شهوته من اللذائذ التي أباحتها له بأيّ الوجوه، ومن أيّة الطرق، ويأخذ في ذلك مأخذ البهائم، وعليه أن يقاوم الغاصبين المتحكّمين في الحقوق قسراً ـ أي المالكين للأموال والأبضاع ـ فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور؛ أيّ حقّ التملك!

فلمّا ذاعت هذه النزعات الخبيثة بين الأُمّة الفارسيّة، تهتّك الحياء وفشا الغدر والخيانة، وغلبت الدناءة والنذالة، واستولىٰ حكم الصفات البهيميّة علىٰ نفوسهم، وفسدت أخلاقهم، ورذلت طباعهم.

نعم، إنّ «أنو شروان» قتل «مزدك» وجماعة من شيعته، ولكنّه لم يستطع محو هذه الأوهام الفاسدة بعد ما علقت بالعقول، والتبست نفايتها بالأفكار، فكان علّة في ضعفهم، حتىٰ إذا هاجمهم العرب لم تكن إلاّ حملة واحدة فانهزموا، مع أنّ الروم ـ وهم أقران الفارسيّين ـ ثبتوا في مجالدة العرب ومقاتلتهم أزماناً طويلة.

الأُمّة الإسلاميّة

الأُمّة الإسلاميّة جاءتها الشريعة المحمدية السماوية، فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة، ومكّنت في نفوسها تلك الصفات الفاضلة، وشمل ذلك آحادهم، ورسخت بينهم تلك الأُصول الستّة؛ بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها.

فكان من شأنهم، أن بسطوا سلطانهم علىٰ رؤوس الأُمم؛ من جبال الألب إلىٰ جدار الصين في قرن واحد، وحثوا تراب المذلّة علىٰ رؤوس الأكاسرة والقياصرة، مع أنهم لم يكونوا إلاّ شِرْذِمة قليلة العُدّة، نزرة العدد، ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسطوة في السلطان، إلاّ بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة، هذا إلىٰ ما جذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون، دخلوا في دينهم في مدّة قرن واحد من أُمم مختلفة، مع أنّهم كانوا يخيّرونهم بين الإسلام، وشيء زهيد من الجزية لا يـثقل علىٰ[1] النفوس أداؤه.

هكذا كان حال هذه الأُمّة الشريفة من العزّة ومَنَعة السلطان.

ظهور الباطنيّة في القرن الرابع

فلمّا كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر «الطبيعيّون» بمصر تحت اسم الباطنيّة وخَزَنة الأسرار الإلهيّة، وانبثّ دعاتهم في سائر البلاد الاسلاميّة، خصوصاً بلاد إيران.

علم هؤلاء الدهريّون، أنّ نور الشريعة المحمّديّة ـ علىٰ صاحبها أفضل الصلاة، وأتمّ التسليم ـ قد أنار قلوب المسلمين كافّة، وأنّ علماء الدين الحنيف قائمون علىٰ حراسة عقائد المسلمين وأخلاقهم، بكمال علم، وسعة فضل، ودقّة نظر، فلهذا ذهب أولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم، وبنوا تعليمهم علىٰ أُمور:

أوّلاً: إثارة الشكّ في القلوب، حتّىٰ يتفكّك عقد الإيمان.

ثانياً: الإقبال علىٰ الشاكّ وهو في حيرته، ليمنّوه بالنجاة منها، وهدايته إلىٰ اليقين الثابت، فإذا انقاد لهم أخذوا منه مواثيقهم، ثمّ أوصلوه إلىٰ مرشدهم الكامل.

ثالثاً: أوعزوا إلىٰ دعاتهم أن يلبسوا لرؤساء الدينَ الإسلامي لباس الخدعة، وجعلوا من شروط الداعي أن يكون بارعاً في التشكيك، ماهراً في التلبيس، مقتدراً

---

(١) في الأصل: عن.

علىٰ إشراب القلوب مطالبه.

فإذا سقط الساقط من المغرورين في حبالة مرشدهم الكامل، فأوّل ما يُلقّنه المرشد قوله: إنّ الأعمال الشرعيّة الظاهرة، كالصلاة والصيام ونحوهما، إنّما فُرضت علىٰ المحجوبين دون الوصول إلىٰ الحقّ، والحقّ هو المرشد الكامل، فحيث إنّك وصلت إلىٰ الحقّ، فإيّاك أن تُلقي عن عاتقك ثقل الأعمال البدنيّة، فإذا مضىٰ عليه زمن في عهدهم، صرّحوا له، بأنّ جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، وكذلك سائر الحدود والاعتقادات، إنّما أُلزمت فرائضها بالناقصين، المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول، أمّا وقد صرت كاملاً، فلك الاختيار في مجاوزة كلّ حدّ مضروب، والخروج من أكنان التكاليف إلىٰ باحات الإباحة الواسعة.

ما الحلال؟! وما الحرام؟! ما الامانة؟! وما الخيانة؟! ما الصدق؟! وما الكذب؟! ما هي الفضائل؟! وما هي الرذائل؟!

ألفاظ وضعت لمعان مخيلة، وما لها من حقيقة واقعيّة في زعم المرشد، فاذا قرّر المرشد أُصول الإباحة في نفوس أتباعه، التمس لهم سبيلاً لإنكار الأُلوهيّة، وتقرير مذهب النيتشريّة «الدهريّين»، فأتىٰ إليهم من باب التنزيه، فقال: اللّٰه منزّه عن مشابهة المخلوقات، ولو كان موجوداً لأشبه الموجودات ولو كان معدوماً لأشبه المعدومات، فهو لا موجود ولا معدوم.

يعني أنه يقر بالاسم، ويُنكر المسمّىٰ، مع أنّ شبهته هذه سفسطة بديهيّة البطلان، فإنّ اللّٰه منزّه عن مشاركة الممكنات في خصائص الإمكان، أمّا في مطلق الوجود فلا مانع من أن يتّفق إطلاق الوصف عليها وعليه، وإن كان وجوده واجباً، ووجودها ممكناً.

وقد جدّت طائفة الباطنيّة في إفساد عقائد المسلمين، زماناً غير قصير أخذاً بالحيلة، ونفاذاً بالخُدْعة، حتّىٰ انكشف أمرهم لعلماء الدين، ورؤساء المسلمين، فانتصبوا لدرء مفاسدهم، وتحويل الناس عن ضلالاتهم، فلمّا رأوا كثرة معارضيهم،

شحذوا شفار الغيلة، ففتكوا بكثير من الصالحين، وأراقوا دماء جمّ غفير من علماء الأُمة الإسلامية، وأمراء الملّة الحنيفية.

وبعض أولئك المفسدين عندما أمكنته الفرصة، ووجد من نفسه ريح القوّة، أظهر مقاصده علىٰ منبر «الموت» ـ قلعة في خراسان ـ وجهر بآرائه الخبيثة، فقال:

إذا قامت القيامة حُطّت التكاليف عن الأعناق، ورفعت الأحكام الشرعيّة؛ سواء كانت متعلّقة بالأعمال البدنية الظاهرة، أو الملكات النفسيّة الباطنة، والقيامة عبارة عن قيام القائم الحقّ، وأنا القائم الحقّ، فليعمل عامل ما أراد، فلا حرج بعد اليوم، إذ رُفعت التكاليف، وخَلُصت منها الذمم؛ أي أُغلقت أبواب الإنسانيّة، وفتحت أبواب البهيميّة.

وبالجملة: فهؤلاء الدهريّون من أهل التأويل؛ أي «الناتوراليسم» من الأجيال السابقة الإسلاميّة، عملوا علىٰ تغيير الأوضاع الإلهيّة بفنون من الحيل، ودعوا كلّ كمال إنسانيّ نقصاً وكلّ فضيلة رذيلة، وخيّلوا للناس صدق ما يزعمون، ثمّ تطاولوا علىٰ جانب الأُلوهية، فحلوا عقود الإيمان بها، وبالسفسطة التي سمّوها تنزيهاً، ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب، وفي محوه محو سعادة الإنسان في حياته، وسقوطه في هاوية اليأس والشقاء.

فأفسدوا أخلاق الملّة الإسلامية شرقاً وغرباً، وزعزعوا أركان عقائدها، وساعدهم مدّ الزمان علىٰ تلويث النفوس بالأخلاق الرديئة وتجريدها من السجايا الكاملة، التي كان عليها أبناء هذه الملّة الشريفة، حتّى تبدّلت شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور، وجرأتهم بالخوف، وصدقهم بالكذب، وأمانتهم بالخيانة، ووقع المسخ في هممهم، فبعد أن كان مرماها مصالح الملّة عامّة، صارت قاصرة علىٰ المنافع الشخصيّة الخاصّة، وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيميّة، وكان من عاقبة ذلك: أنّ جماعة من قزم الافرنج، صدعوا أطراف البلاد السوريّة، وسفكوا فيها دماء آلاف من أهاليها الأبرياء، وخرّبوا ما أمكنهم أن يخرّبوا، وثبتوا بها نحو

مائتي سنة، والمسلمون في عجز عن مدافعتهم، مع أنّ الإفرنج كانوا ـ قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين، وطروء الفساد علىٰ أخلاقهم ـ في قلق لا يستقرّ لهم أمن علىٰ حياتهم وهم في بلادهم؛ خوفاً من عادية المسلمين. وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيزخان، واخترقوا بلاد المسلمين، وهدّموا كثيراً من المدن المحمّديّة، وأهدروا دماء ملايين من الناس، ولم تكن للمسلمين قدرة علىٰ دفع هذا البلاء عن بلادهم، مع أن مجال خيولهم في بدء الإسلام ـ على قلّة عددهم ـ كان ينتهي الى أسوار الصين.

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلاّت والإهانات، ولا رزئوا بالتخريب في بلادهم، والفناء في أرواحهم، إلّا بعد ما كلّت بصائرهم ونغلت نيّاتهم، ومازج الدَّغَل قلوبهم، وخربت أماناتهم، وفشا الغشّ والإدهان[1] بينهم، ودار كلّ منهم حول نفسه لا يعرف أُمّة، ولا ينظر إلىٰ ملّة، وأصبحوا بقناة خوّارة، بعد أن كانت قناتهم لا تلين لغامز، إلّا أنّ بقيّة من تلك الأخلاق المحمّديّة، كانت لم تزل راسخة في نفوس كثير منهم، كامنة في طيّ ضمائرهم، فهي التي أنهضتهم من كبوتهم، وحملتهم علىٰ الجدّ في كشف السطوة الغريبة عن بلادهم، فأجلوا الأُمم الافرنجيّة بعد مئين من السنين، وخلّصوا البلاد السورية من أيديهم، وطوّقوا الجنكيزيين بطوق الإسلام، وألبسوهم تيجان شرفه، ولكنّهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف، وإعادة ما كان لهم من الشوكة إلىٰ المقام الأوّل، فإنّ ما كان من شوكة وقوّة إنّما هو أثر العقائد الحقّة، والصفات المحمودة، فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسّر عود السهم إلىٰ النزعة.

ولهذا ذهب المؤرّخون إلىٰ أنّ بداية الانحطاط في سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب، والأليق أن يقال: إنّ ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيتشريّة «الدهريّة» في صورة الدين، وسريان هذه السموم

---

(١) الادهان: هو الاستسلام.

القاتلة في نفوس أهل الدين الإسلامي.

وليس بخافٍ أنّ فئة ظهرت في الأيّام الأخيرة ببعض البلاد الشرقيّة، وأراقت دماء غزيرة، وفتكت بأرواح عزيزة، تحت اسم لايبعد عن أسماء من تقدّمها لمثل مشربها، وانما التقطت شيئاً من نفايات ما ترك دهريّو «الموت» وطبيعيّو «كردكوه» وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيّين، فعلينا أن ننظر ما يكون من آثار بدعها في الأُمّة التي ظهرت بها.

الشعب الفرنسي

الشعب الفرنسي شعب كان قد تفرّد بين الشعوب الاوربيّة بإحراز النصيب الأوفر من الأُصول الستّة، فرفع منار العلم، وجبر كسر الصناعة في قطعة أوربا بعد الرومانيّين، وصار بذلك مشرقاً للتمدّن في سائر الممالك الغربيّة.

وبما أحرز الفرنسيّون من تلك الأُصول، كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب إلىٰ القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي، حتّىٰ ظهر فيهم «فولتير» و «روسو» يزعمان حماية العدل، ومغالبة الظلم، والقيام بإنارة الافكار، وهداية العقول، فنبشا قبر أبيقور الكلبي، وأحييا ما بلي من عظام «الناتوراليسم» الدهريين، ونبذا كلّ تكليف ديني، وغرسا بذور الإباحة والاشتراك، وزعما أنّ الآداب الإلهية جعليّات خرافيّة، كما زعما أنّ الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني، وجهر كلاهما بإنكار الأُلوهيّة، ورفع كلّ عقيرته بالتشنيع علىٰ الانبياء ـ برّأهم اللّٰه ممّا قالا ـ وكثيراً ما ألّف «فولتير» من الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم، والقدح في أنسابهم، وعيب ما جاؤوا به، فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنسيّين، ونالت من عقولهم، فنبذوا الديانة العيسويّة، ونفضوا منها أيديهم.

وبعد أن أغلقوا أبوابها، فتحوا علىٰ أنفسهم أبواب الشريعة المقدّسة «في زعمهم» شريعة «الطبيعة»، وزاد بهم الهوس في بعض أيّامهم حتىٰ حمل لفيفاً من

عامّتهم، أن يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم، ويحملوها إلى محراب الكنيسة، ففعلوا، ونادى زعيم القوم: أيّها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد، ولا التماع البرق، ولا تظنّوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من إله السماء، يرسله عليكم ليعظكم به، ويزعجكم عن مخالفته... كلاّ فهذه كلّها آثار الطبيعة «الناتور»، ولا مؤثّر في الوجود سوىٰ «الناتور»، فحلّوا عن أعناقكم قيود الأوهام، ولا تقيموا لأنفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم، فإن كانت العبادة من رغائب شهواتكم، فها هي ذي «مدموازيل» ـ أي العذراء ـ قائمة في المحراب علىٰ مثال الدمية، فاسجدوا لها إن شئتم...

والأضاليل التي بثّها هذان الدهريّان «فولتير» و «روسو» هي التي أضرمت نار الثورة الفرنسيّة المشهورة، ثمّ فرّقت بعد ذلك أهواء الأُمّة، وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها، فاختلفت فيها المشارب، وتباينت المذاهب، وأوغلوا في سبل الخلاف زمناً يتبعه زمن، حتّىٰ تباين صدعهم، وذهب كلٌّ فريق يطلب غاية لا يرىٰ وراءها غاية، وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة، وانحصر سعي كلّ قبيل في التماس ما يواتي لذّته، ويوافق شهوته، وأعرضوا عن منافعهم العامّة، وأعقب ذلك عروض الخلل لسياستهم الخارجيّة شرقاً وغرباً.

نعم إنّ نابليون الأوّل بذل جهده في إعادة الديانة المسيحيّة إلىٰ ذلك الشعب استدراكاً لشأنه، لكنّه لم يستطع محو آثار تلك الأضاليل، فاستمرّ الاختلاف بالفرنسيّين إلىٰ الحدّ الذي هم عليه اليوم.

هذا الذي جرّ الفرنسيّين للسقوط في عار الهزيمة، بين يدي الألمان، وجلب إليهم من الخسار ما تعسّر عليهم تعويضه في سنين طويلة.

هذه الأباطيل الدهريّة قام عليها مذهب «الكمون» ـ أي الشيوعيّين ـ ونما هذا المذهب بين الفرنسيّين، ولم تكن مضارّ الآخذين به ومفاسدهم في البلاد الفرنسيّة

أقلّ من مضارّ الألمان.

ولو لم يتدارك الامر أرباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة، لنسف الشيوعيّون كلّ عمران علىٰ أديم فرنسا، ومحوا مجد الأُمّة تنفيذاً لأهوائهم، وجلباً لرغباتهم.

الأُمّة العثمانيّة

الأُمّة العثمانيّة إنّما رقّت[1] حالتها في الأزمنة المتأخّرة بما دبّ في نفوس بعض عظمائها وأمرائها من وساوس الدهريّين، فإنّ القواد الذين اجترحوا إثم الخيانة في الحرب الأخيرة بينها وبين الروسية، كانوا يذهبون مذهب النيتشريّن «الدهريّين»، وبذلك كانوا يعدّون أنفسهم من أرباب الافكار الجديدة «أبناء العصر الجديد».

زعموا ـ بما كسبوا من أوهام الدهريّين ـ: أنّ الإنسان حيوان كالحيوانات، لا يختلف عنها في أحكامها، وهذه الأخلاق والسجايا ـ التي عدّوها فضائل ـ تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة الناتور، وإنما وضعها تحكّم العقل، وزادها تطرّف الفكر.

فعلىٰ من بصر بالحقيقة ـ علىٰ زعم أولئك المارقين ـ أن يستنهج كلّ طريق إلىٰ تحصيل شهواته، واستيفاء لذّاته، ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذّه، وقوفاً عند خرافات القيود الواهنة، والموضوعات الإنسانيّة الواهية.

وحيث إنّ الفناء حتم علىٰ الأحياء، فما هو الشرف والحياء؟! وما هي الامانة، والصدق؟! وأيّ شيء هو العفّة والاستقامة..؟!

ولهذا خان أولئك الأُمراء ملّتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة، ورضوا بالدنيّة، واستناموا إلىٰ الخِسّة، ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب وجلبوا المذلّة علىٰ شعوبهم بعرض من الحُطام قليل.

---

(١) ضعفت.

السوسياليست «الاجتماعيّون» والنهيليست «العدميّون» والكمونيست «الشيوعيّون»

هذه الطوائف تتّفق في سَلوك هذه الطريقة «الدهرية»، زيّنوا ظواهرهم بدعوىٰ أنّهم سند الضعفاء، والمطالبون بحقوق المساكين والفقراء، وكلّ طائفة منها، وإن لوّنت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لمقصد الأُخرىٰ، إلّا أنّ غاية ما يطلبون إنّما هو رفع الامتيازات الإنسانية كافّة، وإباحة الكلّ للكلّ، واشتراك الكلّ في الكلّ.

وكم سفكوا من دماء، وكم هدموا من بناء، وكم خرّبوا من عمران، وكم أثاروا من فتن، وكم أنهروا من فساد، كلّ ذلك سعياً في الوصول إلىٰ هذه المطالب الخبيثة، وجميعهم علىٰ اتّفاق في أنّ جميع المشتهيات الموجودة علىٰ سطح الأرض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها، والأحياء في التمتّع بها سواء، واختصاص فرد من الإنسان بشيء منها دون سائر الأفراد، بدعة في شرع الطبيعة سيّئة، يجب محوها والإراحة منها.

ومن مزاعمهم: أنّ الدين والملك عقبتان عظيمتان، وسدّان منيعان، يعترضان بين أبناء الطبيعة، ونشر شريعتها المقدّسة: الإباحة والاشتراك، وليس من مانع أشدّ منهما، فإذن من الواجب علىٰ طلّاب الحقّ الطبيعي، أن ينقضوا هذين الأساسين، ويُبيدوا الملوك ورؤساء الأديان.

ثمّ يعمدون إلىٰ الملّاك وأهل السعة في الرزق، فان دانوا لشرع الطبيعة، فخرجوا عن الاختصاص، فتلك، وإلاّ أخذوا بأعناقهم قتلاً، وبأكظامهم[1] خنقاً؛ حتّىٰ يعتبر بهم من يكون من أمثالهم، فلا يلوون رؤوسهم كبراً علىٰ الشريعة المقدّسة ـ شريعة الطبيعة ـ ولا تَزْورّ أعناقهم عصياناً لأحكامها.

نظر أبناء هذه الطوائف في وجوه الوسائل لبثّ أفكارهم، والإفضاء بما في

---

(١) الكَظَم جمعهُ أكظام وكِظام: مخرج النَّفَس.

أوهامهم إلىٰ قلوب العامّة، فلم يجدوا وسيلة أنجح في زرع بذور الفساد في النفوس، من وسيلة التعليم؛ إما بإنشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف، أو بالدخول في سلك المعلّمين في مدارس غيرهم؛ ليقرّروا أُصولهم في أذهان الاطفال، وهم في طور السذاجة، فتنتقش بها مداركهم بالتدريج.

فمن أُولئك الدهريّين من همّه بناء المدارس، ودعوة الناس إليها، ومنهم متفرّقون في بلاد أوربا، يطلبون وظائف التعليم، وينالون من ذلك طلبتهم، وجميعهم يتعاونون علىٰ إذاعة خيالاتهم الباطلة، وبهذا كثرت أحزابهم، ونمت شيعتهم في أقطار المالك الأُوروبيّة، خصوصاً مملكة الروسية.

لا جرم أنّ هذه الطوائف إذا استفحل أمرها، وقوي ساعدها علىٰ المجاهرة بأعمالها، فقد تكون سبباً في انقراض النوع البشري، كما تقدّم ذكره. أعاذنا اللّٰه من شرور أقوالهم وأعمالهم.

مورمون

هذا النبي الأخير، والرسول الممتاز بالبعثة من قِبَل الناتور «الطبيعة» نشأ في انجلترا، ثمّ هاجر منها الى امريكا، وأعلن ما أُلقي اليه بإلهام الطبيعة: من أنّ النعمة العظمىٰ ـ يريد الإباحة والاشتراك ـ إنّما يؤتاها من كان مؤمناً بالطبيعة، وليس لغيره من الكفَرة بها حقّ التمتّع بتلك النعمة، واجتمع إليه عدد من ضعفة العقول، فألّف منهم جمعيّتين: أحداهما من المؤمنين، والأُخرىٰ من المؤمنات، وقال: لكلّ مؤمن حقّ التمتّع بكلّ مؤمنة، حتىٰ كانت إذا سُئلت إحدىٰ المؤمنات: زوجة من أنت؟ تجيب: أنّها زوجة جماعة المؤمنين، وإذا سُئل أحد أبنائهنّ: من أنت؟ أجاب: أنه ابن الجمعيّة، إلّا أنّه إلىٰ الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوّة الويل «هوّة جمعيتهم».

دهريّون الشرقيين

أما منكرو الأُلوهية؛ أعني الدهريّين الذين ظهروا في لباس المهذبين، ولونوا

ظواهرهم بصبغ المحبّة الوطنيّة، وزعموا أنفسهم طلّاب خير الأُمة، فصاروا بذلك شركاء اللّصّ، ورفقاء القافلة، ثمّ تجلّوا في أعين الأغبياء حَمَلة لاعلام العلم والمعرفة، وبسطوا للخيانة بساطاً جديداً، وتولاّهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامّة الإفادة، مسروقة من الاوهام المُبْطلين، وفتلوا سبالهم ـ شواربهم ـ كِبْراً وعُلُوّاً، ولقّبوا أنفسهم بالهادين والأدلّاء، وهم في أطباق جهل وأرتاق غباوة، وفي أُهُبٍ ـ جلود ـ من دنس الرذائل، ومسوك ـ جلود ـ من قَذَر الذمائم، فأُولئك قوم قوي فيهم الظنّ، بأنّ العقل وثمرته من المعرفة، ينحصران في تبيّن وجوه الغدر، وتعرّف طرق الاختلاس.

وإنّني لفي خجل من ذكرهم، يدافعني الحياء عن رواية سيرهم، وحكاية أعمالهم، فإنّ مقاصدهم من الدناءة بحيث لا تخرج عن جيوبهم، يسعون في اقتلاع أساس أُمّتهم لشهوة بطونهم، يحدّدون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم، لا يبتغون بذلك عوضاً، سوىٰ حشو مِعَدهم، وما أضيق مجال افكارهم، إلىٰ الآن لم يخطُ أحدهم خطوة خارج كرشه، ولم يمدّ واحد منهم رجله لأبعد من فرشه، وليس في وسع القلم أن يتحرّك في هذا المجال الضيّق، غير أنّه يمكن أن يقال: إنّهم «بياجو» لغيرهم من أهل الضلالة ـ أي سيّئو التقليد لهم ـ وما بقي من أوصافهم لا يخفىٰ على فهم القارئين.

الفصل الخامس

العقيدة الإلٰهيّة وموقف الدهريّين منها

إنكار الأُلوهيّة :

تبيّن ممّا أسلفنا: أنّ طائفة النيتشريّين «الدهريّين» كلّما نجمت في أُمّة أفسدت أخلاقها، وأوقعت الخلل في عقولها، وتخطّفت قلوب آحادها، بأنواع من الحيل، وألوان من التلبيس، حتىٰ تصبح تلك الأُمة وقد وهىٰ أساسها، وتفطّر بناؤها، واغتالتها رذائل الأخلاق: من الأَثَرة، وعبادة الشهوات، والجرأة علىٰ ارتكاب الخيانات، ولا يزال الفساد يتغلغل في أحشائها حتّىٰ تضمحلّ ويُمحىٰ رسمها من صفحة الوجود، أو تضرب عليها الذلّة، ويخلد أبناؤها في الفقر والعبودية.

إلّا أنّ قبيلاً من هذه الطائفة، عملوا علىٰ إخفاء مقصدهم الأصلي، وهو الإباحة والاشتراك، واكتفوا في ظاهر الأمر بإنكار الأُلوهيّة وجحود يوم الدين؛ يوم العرض والجزاء، وقد يظنّ بعض ضَعَفة العقول، أنّ في ذلك بسطة الفكر، وسعة الحرية؛ لهذا أحببت أن أُبيّن أنّ هذه النزعة وحدها كافية في إفساد الهيئة الاجتماعيّة، وتزعزع أركان المدنيّة، وليس من ضروب الباطل ما هو أشدّ منها تأثيراً في محو الفضائل، وإثارة الخبائث والرذائل، وليس من الممكن أن يجتمع لشخص واحد، وهمُ الدهري، وفضيلة الأمانة والصدق، وشرف الهمّة وكمال الرجولة.

ذلك أنّ كلّ فرد من نوع الإنسان قد أُودع ـ بحسب فطرته، وبناء بنيته ـ شهوات تميل به إلىٰ مشتهيات، فشهواته تدفعه إلىٰ تحصيل مشتهياته، ولا يستطيع

تسكين هواه، ولا كسر سورة نفسه، إلاّ بنيل ما يمكنه من تلك المشتهيات، كأنه يعالج ألم الطلب بما يصل إليه من المطلوب، ولم تحدّد الطبيعة طريقاً معيّنة يسلكها الراغبون للوصول إلىٰ رغائبهم: فسبيل حقّ، وسبيل باطل، وسبيل الفتنة والفساد، وسبيل الهدىٰ والرشاد، وسبيل سفك الدماء، واغتصاب الحقوق، وسبيل الإجمال والتعفّف، وكلّها ميسّر للطالب غير ممتنع علىٰ السالك.

فقصر النفوس علىٰ طريقة محدودة وتوقيف أهوائها عند حدود معيّنة، ومنعها من تجاوز حدّ الاعتدال في آثارها وأعمالها، وإرضاء كلّ ذي شهوة بحقّه، وكفّه عن الاعتداء والإجحاف بحقوق غيره، هذا كلّه إنّما يكون بأحد أمور أربعة:

١ ـ إمّا أن يحمل كلّ ذي حقّ آلة حربه، فيخترط سيفه، ويعتقل رمحه، ويرفع ترسه، ويقوم ليله ونهاره، يقدّم إحدىٰ رجليه، ويؤخّر الأُخرىٰ، دفاعاً عن حقّه.

٢ ـ وإمّا شرف النفس، كما يزعمه أرباب الأهواء.

٣ ـ وإمّا الحكومة.

٤ ـ وإمّا الاعتقاد بأنّ لهذا العالم صانعاً قادراً، محيط العلم، نافذ الحكم، وأنه يوفي كلّ عامل جزاء عمله، (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ)؛[1] ثواباً جزيلاً، أو عقاباً وبيلاً، في حياة بعد هذه الحياة.

١ ـ المدافعة الشخصيّة:

أمّا الأوّل: فبراز وضراب، ونضال وقتال، وجلاد تسيل به الأودية مُهَجاً، وتخضلّ به الرُّبىٰ دماً، وتتفانىٰ به النفوس طلباً للحقوق أو دفاعاً عنها، وتكون الدائرة للأقوياء علىٰ الضعفاء، حتى إذا قوي الضعفاء يوماً مّا ثاروا علىٰ الأقوياء، فلا يزال صاحب القوّة يطحن الضعيف، والأقران يسحق بعضهم بعضاً، إلىٰ أن يعمّ جميعهم الفناء، وينقرض النوع الإنساني من وجه البسيطة.

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ـ ٨.

٢ ـ شرف النفس:

أمّا الثاني: فتقدّم الكلام فيه ببيان شرف النفس، فهي صفة تنكب بصاحبها عن إتيان ما يذمّ عند قبيلته، وغشيان ما يقبح في نظر عشيرته، وتقابلها خسّة النفس، وهي صفة لا يتأثّر معها صاحبها من التشنيع، ولا تنفعل نفسه من التقبيح.

فتلك الصفة ـ أعني شرف النفس ـ ليست لها حقيقة معيّنة، ولاهي في حدود معروفة عند جميع الأمم حتىٰ يمكنهم ـ بالمحافظة عليها ـ أن يقفوا بالشهوات عند حدّ الاعتدال.

ألا ترىٰ أنّ كثيراً من الأُمور، يعد ارتكابه عند بعض الأُمم خسّة ودناءة، وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يستتبع المدح والثناء، علىٰ أنه في الحقيقة شرّ الشرور وأعظم الفجور.

تبيّنْ ذلك من حال سُكّان البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدّية، فإنّهم يعُدّون الغارة والفتك بالأرواح، وانتهاب الاموال، واسترقاق الأحرار من فعال المجد، وبلوغ الغاية منها بلوغ إلىٰ نهاية الشرف، وهذه الفعال بعينها، يعدّها سكان المدن وأهل الحضارة، من لواحق الدناءة، وعلائم خسّة النفس، وكذلك الحيلة والمكر يحسبهما قوم خِسّة وخُبثاً، ويحسبهما آخرون حكمة وعقلاً.

* * *

وإذا أمعنت النظر في المسألة، وجدت أنّ لكلّ كائن في عالم الإمكان علّة غائيّة، والعلّة الغائيّة لأعمال الإنسان إنّما هي نفسه، فهو لا يطلب شرف النفس، ولا يسعىٰ للتجمّل به، إلاّ لطمعه في توفير رزقه، وتوسيع سبل معيشته، وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه، فإنّه يعلم أنّ شرف النفس يردّ إلىٰ صاحبه شوارد القلوب، ويجعله مكان ثقتها، ويظهره في بهاء الصدق والأمانة، فيعظم الركون إليه، وتكثر أعوانه، وفي ذلك توفّر أسباب المعيشة، واتّساع طرقها.

بخلاف من تلتاث نفسه بالخِسّة، فذلك مقذوف القلوب، منبوذ الطباع، لا

ينبسط إليه النظر، ولا يحوم عليه الخاطر، فهو قليل الأعوان، عديم الإخوان، ومن كان هذا حاله، سُدّت عليه أبواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة، فيكون ميل الإنسان إلىٰ شرف النفس، ودرجته من القوّة والضعف، وتمكّنه من نفسه، وعدم تمكّنه، ومراتب أثره في كبح الشهوات وردّها عند تخوم العدالة، إنّما هو علىٰ حسب أحوال الطبقات في معائشهم؛ بمعنىٰ أنّ كلّ طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ما ينفعها في معيشتها، ويحفظها من طارقة السوء، بل لا ترىٰ كلّ طبقة أنّ شيئاً يُعدّ من الشرف، إلاّ تلك الصفة التي تحفظ بها المنزلة، وتصان بها موادّ المعيشة، وما زاد علىٰ ذلك فلا يعدّ فقدانه نقصاً، ولا الخُلُوّ عنه انحطاطاً، فلا تسعىٰ لاستحصاله، وإن عدّه قوم آخرون من جوهر الشرف، ومن مقوّمات الكمال.

وإنّ لنا عبرة في أغلب السلاطين والأُمراء، فإنّهم مع أخذهم بمذاهب الشرف، لا يبالون بنقض العهود، وخَفْر الذِّمم[1]، خصوصاً مع من دونهم في السلطان، ومن لا يضارعهم في القوةّ، ولا يأنفون الظلم، ولا ينكرون الغدر، ولا يتجافون مذمّة من تلك المذامّ، ولا يعدّون شيئاً منها خسّة، ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة، مع أنّ واحداً من هذه الفعال، لو صدر من آحاد الرعيّة ـ بعضهم مع بعض ـ لعُدّ من دنيّات الفعال، ورُمي فاعله بخسّة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف.

ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض لنظام المعيشة؛ حيث إنّ سائر الطبقات لا ينظرون إلىٰ ما يصدر عن أمرائهم ورؤسائهم نظرهم إلىٰ ما يصدر عن آحادهم، فهم يذهبون مذهب التأويل في أعمال الرؤساء والكبراء.

وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها ـ طبقة بعد طبقة ـ أي إنّ كلّ طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب، محفوظة من الشنائع، ومنزلتها ممّن دونها تَحمِل الأدنين علىٰ الإقرار لها بما تزعم.

---

(١) خفر الذمم: نقض العهود.

فلو كان قوام النظام في العالم الإنساني بشرف النفس، لانطلقت أيدي العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها، وتفتّحت أبواب الشرّ والفساد في وجه هذا النوع الضعيف.

هذا كلّه إذا فرضنا وقوف كلّ طالب لشرف النفس عند ما يظنّه شرفاً، لا يخالفه إلىٰ سواه؛ لا خُفْية، ولا جهرة، لكن حيث كان الباعث علىٰ التجمّل بهذا الوصف إنّما هو الرغبة في تحسين المعيشة، والفرار من مضانكها[١]، فقلّما يستوي ظاهر الإنسان وباطنه في هذه الصفة، فهو في معلنات أُموره يسلك سبل الشرف؛ لينال حظّه من ميل القلوب إليه، ثمّ لا يمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفيّة، وغمس يده في قذر العدوان من وراء حجاب التستّر، وبسط كفّه لتناول الرشوة في زوايا المحاكم؛ لأنّ طالب خفض العيش يعرف أنّ هذه الخبائث الخفيّة، تصل به إلى مقصده من السعة علىٰ أمن من الاشتهار بصفة الدناءة، وذلك معروف من أحوال المذاعين الظاهرين في ثياب الشرف والعفّة، والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيولهم، وما يضمرون دون جيوبهم، وما يختزنون من الأموالِ في زوايا بيوتهم.

فإذن لا يليق بذي عقل أن يجعل شرف النفس ميزاناً للعدل، ولا مكانَ للظنّ بأنّ هذه الصفة تقف بكلٍّ عند حدّه، وترضيه بحقّه، وتكفّ النفوس عن غصب الحقوق، وتدفعها عن الجور، وتمنعها عن الحيف ما ظهر منه وما بطن.

فإن قال قائل: إنّ حبّ المحمدة ممّا أُشربتْه قلوب البشر، وهو باعث علىٰ الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حُسن الحمد، فكلّ ذي فِطْرة إنسانيّة يسعىٰ لكسب المحمدة، لابدّ له أن يطلب الغاية من خَلّة الشرف النفسي، وينزّه نفسه عن جميع الرذائل، ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس، ويبتعد بها عن مخالج الحيف والعدوان، فنقول في جوابه:

---

(١) عيشة ضَنْك: ضيّقة.

أوّلاً: إذا تعارض موجب المدح والثناء، ومقتضىٰ الشهوات البدنيّة، فقليل من الناس من يختار الأوّل علىٰ الثاني، والجمهور الأغلب مغلوب للشهوة، مأسور للّذّة، والنظر في طبقات الناس وأحوالهم علىٰ اختلافهم يثبت لنا ذلك.

ثانياً: أنّ صاغة المدائح، ونساج المحامد، صنف من الناس أشباه إنسان، وأسناخ حيوان، أُولئك المعروفون بالمؤرّخين والشعراء الكاذبين، ولا باعث لهؤلاء علىٰ نثر المحامد ونظم القصائد، إلاّ نضارة الثَّرْوة في الممدوحين، ورونق الجاه والجلالة في المحمودين؛ من غير نظر إلىٰ مناشئ الجاه، ولا موارد الثروة.

فمناط الحدّ إحدىٰ البسطتين، وإن حُفّت بالمظالم، وأُحيطت باللوائم، ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول إلىٰ هذه المظاهر، فيطلبون الغنىٰ والثروة والجاه والعظمة، ولو كان ذلك من وجوه الغدر، وطرق الحَيْف والظلم؛ لينالوا بذلك حظّهم من اللذائذ البدنيّة، كما يُصيبون سهمهم من المدائح علىٰ ألسنة أولئك المدلّسين، وليس بكثير في الناس طلاّب المحمدة الحقّة، اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل، وساحات المكارم، المرتادون للحمد بين حدود الحقّ، وأُولئك الحافظون لشرف النفس، وقليل ما هم.

فلم تبقَ ريبة في قصور هذه الخَلّة ـ أعني شرف النفس ـ عن الكفاية في تعديل الأخلاق، وتحديد الشهوات، وحجْب العدوان، وحفظ النظام الإنساني، اللّهمّ إلاّ أن تكون مستندة إلىٰ عقيدة في دين، وتكون حقيقتها محدودة في ذلك الدين، فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الإنسانية، ومعقداً لروابط الأُلفة، وسبباً لانتظام سلسلة المعاملات؛ لاستنادها علىٰ الدين، لا بنفسها مجرّدة، كما مرّت الإشارة إليه في صفة الحياء.

٣ ـ الحكومة:

ليس بخافٍ أنّ قوّة الحكومة إنّما تأتي علىٰ كفّ العدوان الظاهر، ورفع الظلم

البيّن، أمّا الاختلاس، والزور المموّه، والباطل المزيّن، والفساد الملوّن بصبغ من الصلاح، ونحو ذلك ممّا يرتكبه أرباب الشهوات، فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه، وأن يكون لها الاطّلاع علىٰ خفيّات الحيل، وكامنات الدسائس، ومطويّات الخيانة، ومستورات الغدر؛ حتىٰ تقوم بدفع ضرره؟!

علىٰ أنّ الحاكم وأعوانه قد يكونون ـ بل كثيراً ماكانوا ـ ممّن تملكهم الشهوات، فأيّ وازع يأخذ علىٰ أيدي أصحاب السلطة، ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلّطة علىٰ عقولهم؟ وأيّ غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المسكنة منهم، من شرّ أُولئك المتسلّطين وحرصهم؟

لا جرم قد يكون الحاكم في خفيّ أمره ـ رئيس السارقين، وفي جليّ حاله قائد الناهبين، وأعوانه آلات يستعملها في الجور، وأدوات يستعين بها علىٰ الفساد والشرّ، فيعطّلون من حقوق عباد اللّٰه ، ويهتكون من أعراضهم، ويغنمون من أموالهم، يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء، وينقشون قصورهم بمُهَج الفقراء، وبالجملة: يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد، ودمار البلاد.

٤ ـ الاعتقاد بالأُلوهية:

فإذن لم يبقَ للشهوة قامع، ولا للأهواء رادع، إلاّ الأمر الرابع؛ أعني الإيمان بأنّ للعالم صانعاً، عالماً بمضمرات القلوب، ومطويّات الأنفس، سامي القدرة، واسع الحول والقوة، مع الاعتقاد بأنه قدر للخير والشرّ جزاء يوفاه مستحقّه في حياة بعد هذه الحياة.

وفي الحقّ أنّ هاتين العقيدتين وازعان قويّان يكبحان النفس عن الشهوات، ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيّه، وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر، ويستأصلان مادّة التدليس، وهما أفضل وسيلة لإحقاق الحقّ والتوقيف عند الحدّ، وهما مجلبة الأمن، ومتنسّم الراحة، وبدون هذين الاعتقادين، لا تقرّر هيئة للاجتماع الإنساني، ولا تلبس المدنيّة سربال الحياة، ولا يستقيم نظام المعاملات، ولا تصفو

صلات البشر، من شائبات الغِلّ، وكدورات الغشّ.

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين، لسكنتها شياطين الرذائل، وسدّت عليها طرق الفضائل، ومن أين لمنكر الجزاء أن يكفّ نفسه عن خيانة، أو يترفّع بها عن كذب، وغدر، وتملّق، ونفاق؟!

وقد تقرّر: أنّ العلّة الغائيّة لأعمال الإنسان، إنّما هي نفسه ـ كما سبق ـ فإن لم يؤمن بثواب وعقاب، وحساب وعتاب، في يوم بعد يومه، فما الذي يمنعه عن ذمائم الفعال، خصوصاً إذا تمكّن من إخفاء عمله، وأمن من سوء عاقبته في الدنيا، أو رأىٰ منفعته الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة، والعدول عن سنن الفضيلة، وأيّ حامل يحمله علىٰ المعاونة والمرادفة، والمرحمة والمروءة، وعلوّ الهمّة، وما يشبه ذلك من الأخلاق التي لا غنىٰ للهيئة الاجتماعيّة عنها؟!

ولئن وجد في أحد الجاحدين شيء من مكارم الأخلاق بمقتضىٰ الغريزة لكان عرضه للفساد، أو كان أبتر ناقصاً، لفقد ما يمدّه من سائر صفات الكمال.

وقد تبيّن: أنّ أوّل تعاليم النيتشريّين «الدهريّين» إبطال هذين الاعتقادين: الاعتقاد باللّٰه، والاعتقاد بالحياة الأبديّة، وهما أساس كلّ دين، وآخر تعاليمهم الإباحة والاشتراك، فهؤلاء القوم هم الساعون في نسف بناء الإنسانيّة، وتذريته في ذيول السافيات[1]، يطلبون ضعضعة أركان المدنيّة، وفساد الأخلاق البشريّة، ويقوضون بذلك ما رفعه العلم، وشادته المعرفة، فيهلكون الأمم بإطفاء حرارة الغيرة، وإخماد ريح الحميّة.

هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة، وأرومات الرذالة والدناءة، وأحلاس[2] الخسّة والنذالة، وأعلام الكذب والافتراء، ودعاة الحيوانيّة العجماء، محبّتهم كيد، وصحبتهم صيد، وتودّدهم مكر، ومواصلتهم غدر، وصداقتهم خيانة، ودعواهم للإنسانيّة

---

(١) سَفَتِ الريحُ الترابَ: ذرّته أو حملته، فهي سافية، وجمعها: سافيات وسوافٍ.

(٢) حِلْس جمعه أحلاس: الملازم الذي لا يبرح، كأنّهم لا يصلحون إلاّ للخسّة والنذالة.

حِبالة[١]، ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة.

يخونون الأمانة، ولا يحفظون السرّ، ويبيعون ألصق الناس بهم، بأدنىٰ مشتهياتهم.

عبيد البطون، وأُسراء الشهوات، لا يستنكفون من الدنيّة، إذا أعقبتها عطيّة، ولا يخجلون من الفضيحة، اذا تبعتها رضيخة[٢]، لا علم عندهم بالوقار، ولا إحساس لهم بالعار، ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر، ولا وصل إليهم عن الهمّة عبارة معبّر، أو تفسير مفسّر، الابن فيهم لا يأمن أباه، والبنت لا أمان لها من كليهما.

نعم، أيّ حدّ تقف دونه حركات طبع «الطبيعيين»؟

قد يوجد بين الناس من تغرّه نعومة لمس هذه الأفاعي، وتروقه رَقْطة جلودها، وانتظام الرقْش فيها، فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم فيُصغي لزخرف قولهم، ويظنّ أن هؤلاء القوم من طلّاب التمدّن والأعوان علىٰ الاصلاح، أو من الراغبين في بثّ المعارف، أو المنقّبين عن الحقائق، أو يتخيّل أنّ منهم من يكون عوناً عند الضيق، أو عوناً في الشدّة، أو مخزناً للأسرار عند الحاجة، فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يُبكىٰ عليه، ويُضحك منه، فالضحك عجباً من غروره، والبكاء حزناً علىٰ ضلاله.

فتبيّن ممّا قرّرناه: أنّ الدين وإن انحطّت درجته بين الأديان، ووهىٰ أساسه، فهو أفضل من طريقة الدّهريّين، وأمسّ بالمدنية، ونظام الجمعيّةالإنسانيّة، وأجمل أثراً في عقد روابط المعاملات، بل في كلّ شأن يفيد المجتمع الإنساني، وفي كلّ ترقٍّ بشريّ إلىٰ أيّة درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الأُولىٰ.

ولمّا كان نظام الأكوان، قد بُني علىٰ أساس الحكمة، ونظام العالم الإنساني جزء من النظام الكوني، ألهم اللّه نفوس البشر أن تفزع إلىٰ مقاومة أولئك المفسدين

---

(١) الحِبالة: المصيدة.

(٢) الرَّضيخة: العطيّة القليلة، ومثلها الرَّضاخة، ورضخ: أعطىٰ قليلاً.

«الدهريّين» في أيّ زمان ظهروا، ومدافعة ما يعرض من شرّهم، كما ألهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة، والنفرة من الأغذية السامّة، وأنهض حُفّاظ النظام المدني الحقيقي ـ وهو الدين ـ لبذل الجهد، وإفراغ الوسع في محو آثارهم، واستئصال ما يغرسون من[1] تعاليمهم.

لا جَرَمَ أنّ مزاج الإنسان الكبير ـ يعني عموم النوع ـ بما أودع اللّٰه فيه من الشعور الفطري ـ وهو أثر الحكمة الإلهيّة العامّة ـ يمجّ هؤلاء الخَوَنة، ولا يحتمل وجودهم في باطنه، فيدفعهم كما تُدفع الفضلات من المعدة، أو الذُّنانة[2] من المنخر، أو النخامة من الصدر. لهذا تراهم، وإن حَلُّوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد، وأيّدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوي الشوكة لأغراض سافلة، إلاّ أنّهم لم يثبتوا، ولم يتمّ لهم أمر، بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف، كلّما ظهر تقشّع، والنظام الحقيقي لنوع الإنسان ـ وهو الدين ـ لم يزل مستقرّاً راسخاً، في جميع الأجيال، وعلىٰ أيّ الأحوال.

فلم تبقَ ريبة أنّ الدين هو السبب الفرد لسعادة الإنسان، فلو قام الدين علىٰ قواعد الأمر الإلهي الحقّ، ولم يخالطه شيء من أباطيل من يزعمونه، ولا يعرفونه، فلا ريب أنّه يكون سبباً في السعادة التامّة والنعيم الكامل، ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال الصُّوري والمعنوي، ويصعد بهم إلىٰ ذِروة الفضل الظاهري، والباطني، ويرفع أعلام المدنيّة لطلّابها، بل يفيض علىٰ المتمدّنين من دِيَم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين..

واللّٰه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

وهذا آخر ما دعت إليه الحاجة؛ من المقابلة بين مذهب الدهريّين وبين الدين علىٰ وجه عامّ، وأثر كلٍّ من الأمرين في بنية الاجتماع الإنساني.

---

(١) في الأصل: «في».

(٢) ذنّ المخاط: سال، الذُّنان: المخاط.

الفصل السادس

الدين وسعادة البشر

الإسلام يحقّق السعادة البشرية، والدهريّون يهدّمونها ويهدّمون النظام البشري.

أُقيم الإسلام علىٰ أساس من الحكمة متين، ورفع بناؤه علىٰ رُكن لسعادة البشر رَكين؛ ذلك أنّ عروج الأُمم علىٰ معارج الحقّ الأعلىٰ، وتدرّج الشعوب في مدارج العلم الأجلىٰ، وصعود الأجيال علىٰ مراقي الفضائل، وإشراف طوائف الإنسان علىٰ دقائق الحقائق، ونيلهم السعادة الحقيقيّة في الدارين، كلّ ذلك مشروط بأُمور لا يتمّ إلّا بها.

الأُمور التي تتمّ بها سعادة الأُمم

الأوّل: صفاء العقول من كَدَر الخرافات وصَدَأ الأوهام، فإنّ عقيدة وهميّة لو تَدنّس بها العقل، لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع، ويمنعه من كشف نفس الأمر، بل إنّ خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكريّة، وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المِثل علىٰ مثله، فيسهل عليه قبول كلّ وهم وتصديق كلّ ظنّ؛ وهذا ممّا يوجب بُعده عن الكمال، ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يُخرق، وفوق ذلك ما تجلبه الأوهام علىٰ النفوس، من الوحشة وقرب الدهشة، والخوف ممّا لا يُخيف، والفزع ممّا لا يُفزع.

ترىٰ الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب، يتطيّر من طيران الطيور وحركات البهائم، ويضطرب من هبوب الرياح، وينزعج لقصف الرعد والتماع البرق، ويسلك به الوهم طرق الخيفة ممّا لا أثر له في الإخافة، وبهذا يسجّل عليه الحرمان من أغلب أسباب السعادة، ثمّ يكون أُلعوبة في أيدي المحتالين، وصيداً في حبائل الماكرين والدجّالين.

وأوّل ركن بني عليه الدين الإسلامي صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، فمن أهمّ أُصوله الاعتقاد بأنّ اللّٰه متفرّد بتصريف الأكوان، متوحّد في خلق الفواعل والافعال، وان من الواجب طرح كلّ ظنّ في إنسان أو جماد ـ عُلويّاً كان أو سُفليّاً ـ بأنّ له في الكون أثراً بنفع أو ضُرّ، أو إعطاء أو منع، أو اعزاز أو إذلال، ومن المفروض خلع كلّ عقيدة بأنّ اللّٰه ـ جلّ شأنه ـ ظهر أو يظهر بلباس البشر أو حيوان آخر لصلاح أو فساد، أو أنّ تلك الذات المقدّسة نالت في بعض أطوارها شديد الآلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق، فضلاً عمّا يحفّ بذلك من خرافات، كلّ واحدة منها كافية في اعمال[1] العقول وطمس نورها.

وأغلب الأديان الموجودة لا يخلو من هذه الأوهام، إن شئت فاضرب بنظرك إلىٰ ديانة براهما في الهند، ودين بوذا في الصين، ودين زرادشت، وكثير من أديان أُخرىٰ...

* * *

الأمر الثاني: أن تكون نفوس الأُمم مستقبلة وجهة الشرف، طامحة إلىٰ بلوغ الغاية منه؛ بأن يجد كلّ واحد من نفسه أنّه لائق بأيّة مرتبة من مراتب الكمال الإنساني، ما عدا رتبة النبوة، فإنّها بمعزل عن المطمع، وإنّما يختصّ اللّٰه بها من شاء

---

(١) كذا، والمناسب: في إخماد..

من عباده، ولا يذهب وَهْم أحد من الأُمّة إلىٰ أنه ناقص الفطرة، منحطّ المنزلة، فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات، فإذا أخذت نفوس الناس حظّها من هذه الصفة ـ أعني الإقبال علىٰ وجوه الشرف ـ تسابق كلٌّ مع الآخر في مجالات الفضائل، وتمادت بهم المجاراة إلىٰ محاسن الأعمال، فبلغ كلّ واحد ما أتىٰ عليه سعيه من عاليات الأُمور وشرائف المراتب.

ولو أنّ قوماً أساؤوا الظنّ بأنفسهم، واعتقدوا أنّ نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسّة المنزلة، وأن لا سبيل لهم إلىٰ الوقوف في مصافّ غيرهم من طبقات الناس، فلا ريب يسقط من هممهم علىٰ مقدار ما ظنّوا في أنفسهم، وبذلك يتولّىٰ النقص أعمالهم، ويملك الخمود عقولهم، فيحرمون معظم الكمالات البشريّة، وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيويّة، وتكون جولتهم في دائرة ضنكة، محيطها دون ما ظنّوا بأنفسهم.

إنّ دين الإسلام فتح أبواب الشرف في وجوه الأنفس، وكشف لها عن غايته، وأثبت لكلّ نفس صريح الحقّ في أيّ فضيلة، وأنبأ كلّ ذي نطق بوفرة استعداده لأيّ منزل من منازل الكرامة، ومَحَق امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف، وقرّر المزايا البشريّة علىٰ قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير.

فالناس إنّما يتفاضلون بالعقل والفضيلة، وقد لا نجد من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة، فلديك دين «براهما» قسّم الناس إلىٰ أربعة أقسام: أحدها «برهمن»، وثانيها «جهترى»، وثالثها «ويش»، ورابعها «شودر»، وقرّر لكلّ منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها، فأعلى منازل الكمال للبرهمن، ويليها منزلة الجهترى، والصنف الرابع أخسّها وأدناها في جميع المزايا الإنسانيّة.

وكان هذا التقسيم سبباً في انحطاط المتدينين بهذا الدين، وقصور خُطاهم عن الرقيّ في مدارج المدنيّة، وانحسار أفكارهم دون الوصول إلىٰ ما يطلبه استعدادهم

من المعارف الصحيحة والعلوم الحقّة، مع أنّهم أقدم الأُمم وأسبقها نظراً في الكـون وشؤونه.

ومن الأديان ما يغلب اليوم علىٰ أُمم من البشر، وفي أُصول[1] تفضيل شـعب خاصّ علىٰ بقيّة الشعوب، كشعب اسرائيل مثلاً، وكتابه المعروف يخاطب ابناء ذلك الشعب بالكرامة والإجلال، ويذكر غيرهم بالتحقير والإهانة. نعم جاء رؤساء ذلك الدين وانسلّوا من هذا الحكم، وأُغفل فيما بينهم؛ حتىّٰ كأنه لم يكن من دينهم، إلاّ أنّ ما سلبوه من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لانفسهم، فارتفع امتياز الجنسيّة من بين أهل الدين، وخلفه امتياز الصنفيّة، فسمت منزلة الرؤساء الروحـانيّين في قـلوب الآخذين بدينهم، حتىّٰ صار من عقائدهم أنّ صنفاً من الناس علىٰ منزلة القرب إلىٰ اللّٰه ؛بحيث لا يردّ اللّٰه له طلبة، ثمّ الحجاب بين اللّٰه وبين سائر الأصناف؛ لا يقبل اللّٰه من أحد صَرْفاً ولا عدلاً، ولا يُعتدّ له[2]، ولا يغفر له ذنباً بتوبة، حتىٰ يتوسّط له أهل طبقة الرئاسة، فعندهم أنّ كلّ نفس ـ وإن بلغت من الكمال ما بلغت ـ ليس فيها ما يؤهّلها لعرض ذنوبها علىٰ أبواب العفو الإلهي، ولا أنّ تَـرفع إليـه طـلب المـغفرة لخطيئاتها، بل لابدّ في قبول ذلك منها أنّ يكون بواسطة الرئيس الديني، ومن آمن باللّٰه ، وصدّق به، وأخذ بأحكامه، لا ينظر اللّٰه لإيمانه، حتى يـنظر إليـه الرئـيس الديني، ويعتدّه إيماناً، واستندوا في هذه العقائد علىٰ نصوص من كتابهم؛ تفيد أنّ ما يحلّونه في الأرض يكون محلولاً في السماء، وما يعقدونه في الأرض يُعقد في السماء، وقد جلبت هذه العقيدة علىٰ أهل هذا الدين شقاء طويلاً، وألقت بهـم في جـهالة عمياء وذلة خرساء زمناً مديداً، حتىّٰ ظهر فيهم مجدّدون نقضوا ذلك العقد، وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب، وقلّدوا في ذلك الدين الاسلامي وسموا مذهبهم

---

(١) كذا: والمناسب: وفي أُصوله..

(٢) كذا، والمناسب: ولا يُعتدّ له بعمل صالح..

الاصلاح، ونشروه في ممالك متعدّدة، فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشّفت عنهم جَهلات[1]، وحلّت من أعناقهم رِبق، ونهضوا من حضيض ذلّة إلىٰ ذِروة رفعة، فنطقوا بعد ما صمتوا، وعلموا بعد ما جهلوا، وحَكَموا بعد ما حُكِموا، وسادوا بعد ما سيدوا.

* * *

الأمر الثالث: أن تكون عقائد الأُمة ـ وهي أوّل رقم ينقش في ألواح نفوسها ـ مبنيّة علىٰ البراهين القوية والأدلّة الصحيحة، وأن تتحامىٰ عقولهم مطالعة الظنون في عقائدها، وتترفّع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها، فإنّ معتقداً لاحت العقيدة في مخيّلته بلا دليل ولا حجّة، قد لا يكون موقناً، فلا يكون مؤمناً.

هذا، والأخذ في عقائده بالظنّ ينصب عقله علىٰ متابعة الظنون، والقانع بأنّ آباءه كانوا علىٰ مثل عقيدته فأولىٰ به أن يكون عليها، يلتقي مع سابقه في مضارب الوهم وفِجاج[2] الظنّ، وأُولئك المتّبعون للظنّ القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عندما تعوّدت إدراكه، فلا يذهبون مذاهب الفكر، ولا يسلكون طرائق النظر، وإذا استمرّ بهم ذلك تغشّتهم الغباوة بالتدريج، ثمّ تكاثفت عليهم البلادة حتّىٰ تعطّل عقولهم عن أداء وظائفها العقليّة بالمرّة، فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشرّ، فيحيط بهم الشقاء، ويتعثّر بهم البخت، وبئس المآل مآلهم.

فإن كان لابدّ من الاستئناس لما نقول بقول أُوربي، فهذا «كيزو» الفرنسي صاحب تاريخ «سيفيليزاسيون» ـ أي التمدّن الاوروبي ـ قال: إنّ من أشدّ الأسباب أثراً في سَوق أُوربا إلىٰ تمدّنها ظهور طائفة في تلك البلاد، قالت: إنّ لنا حقّاً في البحث

---

(١) جمع جهلة: بمعنىٰ الجهل.

(٢) الفَجّ جمعه فِجاج: الطريق الواسع بين جبلين.

عن أُصول عقائدنا وطلب البرهان عليها، ولو كان ديننا هو الدين المسيحي، وعارضها كثير من رؤساء الدين، ومنعوها ما ادعت من الحق، محتجّين عليها بأنّ بناء الدين علىٰ التقليد، فلمّا أخذت تلك الطائفة قوّتها، وانتشرت أفكارها، نصلت[1] عقول الأُوربيّين من علّة الغباوة والبلادة، ثمّ تحرّكت في مداراتها الفكريّة، وتردّدت في المجالات العلميّة، وكدحت لاستحصال أسباب المدنيّة.

إنّ الدين الإسلامي يكاد يكون متفرّداً من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتّبعين للظنون، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية والقدح في سيرتهم، هذا الدين يطالب المتديّنين أن يأخذوا بالبرهان في أُصول دينهم، وكلما خاطب خاطب العقل، وكلّما حاكم حاكم إلىٰ العقل، تنطق نصوصه بأنّ السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأنّ الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة، وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة، وبرفع أركان الحجّة لأُصول من العقائد؛ كلٌّ منها ينفع العامّة ويفيد الخاصّة، وكلّما جاء بحكم شرعي أتبعه ببيان الغاية منه في الأغلب، راجع القرآن الشريف.

وقلّما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه في هذه المزيّة، وأظنّ غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصّة الجليلة.

ومن الأديان الظاهرة ما بنىٰ اعظم أركانه علىٰ أصل الكثرة في الواحد، أو الوحدة في الكثير، وأنّ الواحد يكون أكثر، والكثير يكون واحداً ممّا تنبذه بداهة العقل فلّما أنكر العقل أصله هذا، أجمع أهل الدين علىٰ أنه فوق نظر العقل، فلا ينال الكفر دركه؛ لا بالكنه ولا بالوجه، ولايهتدي لدليل عليه ولا مرشد أليه، يريدون أنه لا بدّ من تنكّب طريق العقل ونبذ أحكامه، حتّىٰ يمكن الايمان بهذا الأصل، مع أنّ العقل مشرق الايمان فمن تحوّل عنه فقد دابر الايمان، وإنّ فرقاً بين ما لا يصل العقل إلىٰ كنهه، لكنه يعرفه بأثره، وبين ما يحكم العقل باستحالته. فالأول معروف عند

---

(١) خرجت .

العقل يقرّ بوجوده، ويقف دون سرادقات عزّته، أمّا الثاني فطروح من نظره، ساقط من اعتباره لا يتعلق به عقد من عقوده، فكيف يصدّق به وهو قاطع بعدمه؟!

وأمّا أُصول دين براهما، فمن البيّن لكلّ ناظر فيها أنّ أغلبها مخالف لصريح العقل، وذلك من جليّات المسائل؛ سواء اعترف اهل هذا الدين بثبوته، أو كابروا بإنكاره.

* * *

الرابع أنّ يكون في كلّ أُمة طائفة يختصّ عملها بتعليم سائر الأُمّة لا يَنُونَ في تنوير عقولهم بالمعارف الحقّة وتحليتها بالعلوم الصافية، ولا يألونَ جُهْداً في تبيين طرق السعادة لهم والسلوك بهم في جوادها، ثمّ طائفة أُخرىٰ تقوم علىٰ النفوس تتولّىٰ تهذيبها وتثقيف أَوَدها[1]، وتكشف عن الأصاوف الفاضلة وحدودها، وتمثّل للمدارك فوائدها ومحاسن غاياتها، وتفضح مستور الرذائل، وتشقّ الحجاب عن مضارّها وسوء منقلب المتدنّسين بها، وتشتدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تلهيها عنها غفلة، ولا تردّها عنها صعوبة؛ وذلك أنّ بداهة العقل حاكمة بأنّ جُلّ المعارف الشريّة والعقائد الدينيّة مكتسبة، فإن لم يكن في الناس معلّم قصرت العقول عن دَرْك ما ينبغي لها دَرْكه، وانقطعت دون الكفاية ممّا يلزم لسدّ ضرورات الحياة الأُولىٰ والاستعداد لما يكون في الأُخرىٰ، وساوىٰ الإنسان في معيشته سائر الحيوانات، وحُرِم سعادة الدارين، وفارق هذه الدنيا علىٰ أتعس الأحوال.

* * *

فإذن من الواجب الديني إقامة معلّم، والشهوات النفسيّة ليس لها من ذاتها حدّ تقف عنده، ولا لرغائب الأنفس غاية تنقطع عنده، فإن فُقِد من بين الناس مقوِّم النفوس ومعدِّل الأخلاق، طغىٰ سُلطان الشهوة، واندفع إلىٰ الحَيْف والإجحاف، ومن طغت بهم شهوتهم سلبوا راحة غيرهم وهتكوا ستر أمنهم، ثمّ هم لا ينفلتون

---

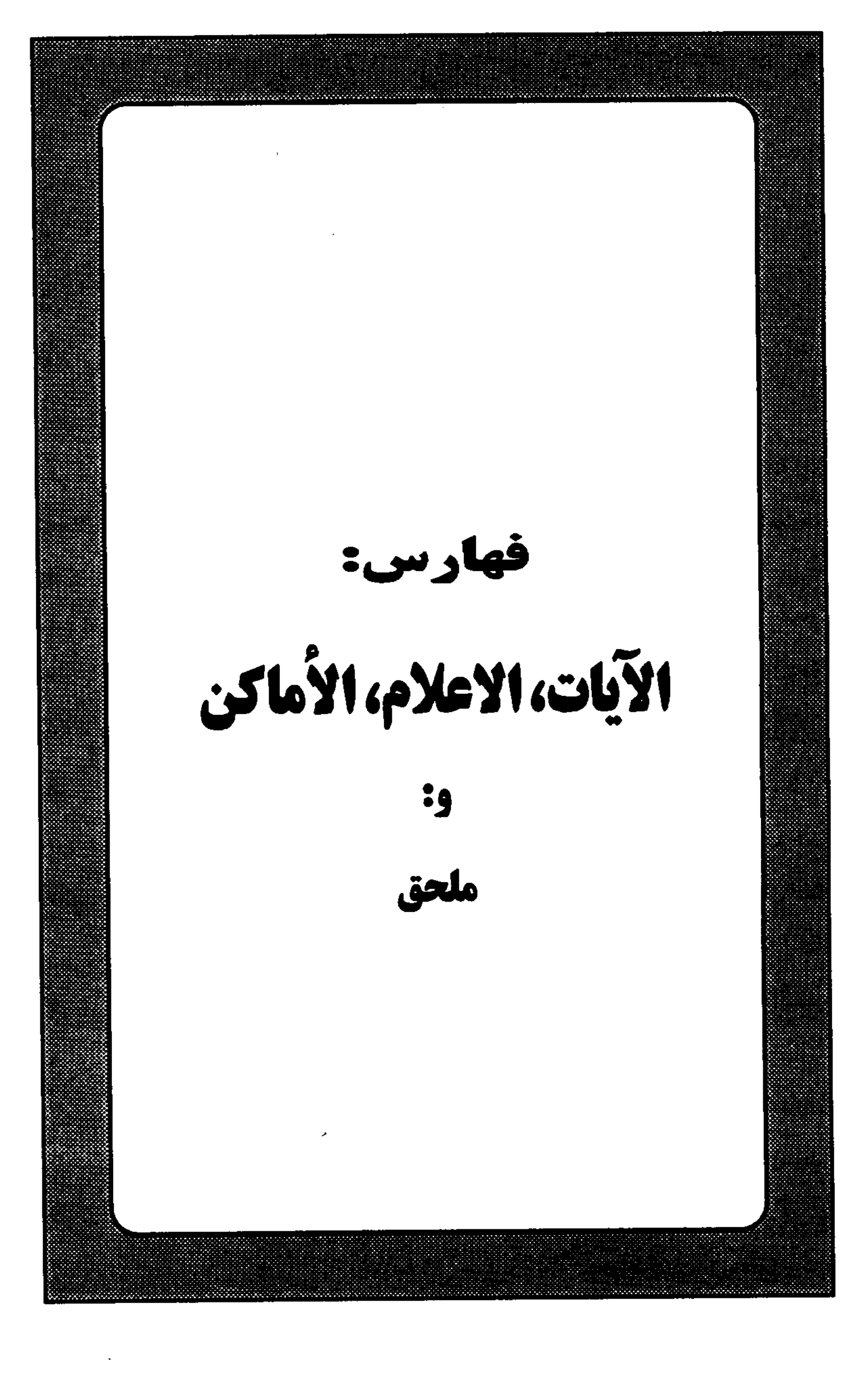
(١) أي تقويم اعوجاجها.

من غائلة أعمالهم، بل يحترقون بنيران شهواتهم، فيرافقون الدنيا على عناء، ويفارقونها إلىٰ شقاء.

فإذن لابدّ من الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر القائم بتقويم الأخلاق، وإنّ من أهمّ الأركان الدينيّة في الديانة الإسلاميّة هاتين الفريضتين «نصب المعلّم ليؤدي عمل التعليم وإقامة المؤدّب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر»، راجع القرآن الشريف : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّة يَدْعُونَ إِلىٰ الْخَيْرِ وَيَأْمُرُون بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر)[1] وغير هذه الآيات كثيرة : (فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون)[2] وسواها آيات، وقد برز دين الإسلام علىٰ غالب الأديان في العناية بهذين الأمرين.

---

(١) آل عمران : ١٠٤.
(٢) التوبة : ١٢٢.


فهارس:
الآیات، الاعلام، الأماكن
و:
ملحق

فهرس الايات

الاعلام

الاماكن

دربارهٔ این مجموعه
و: رسالهٔ مرآةالعارفین

در مقدمهٔ عربی این کتاب نوشته‌ام که این‌جانب متجاوز از چهل سال است که آثار و نوشته‌های سیدجمال‌الدین حسینی اسدآبادی معروف به «افغانی» را به هر نقطه‌ای از جهان که رفته‌ام، جمع‌آوری نموده‌ام و در همین رابطه، مقالات و کتابها، عکسها و اسناد بسیاری به دستم رسیده که متأسفانه بخش عمده‌ای از آنها تاکنون در اختیار عموم قرار نگرفته است و بی‌تردید اگر قرار بگیرد، تاریخ‌نگاری دربارهٔ سید و شناخت مقام علمی، فلسفی و سیاسی وی، آسانتر خواهد شد و بسیاری از نکات «تاریک شده»! روشن خواهد گردید...

برای رفع این نقیصه، نگارنده «مجموعهٔ آثار» و اسناد سید را در ده مجلد ــ حدود ۲۰۰۰ صفحه ــ و آثار دیگران را دربارهٔ سید ــ در ده مجلد و حدود ۳۰۰۰ صفحه ــ جمع‌آوری و آماده نشر نموده‌ام که با تحقیقات و توضیحات این‌جانب، قرار بود در یکصدمین سال میلاد وی و به مناسبت «انعقاد کنگرهٔ بین‌المللی جمال‌الدین» در تهران (۱٤۱۷ هـ. ق) چاپ و نشر گردد که متأسفانه به‌علت خلف وعدهٔ بعضی از دوستان فرهنگی مسئول! این آرزو جامهٔ عمل به خود نپوشید و فقط دو جلد از مجموعه آثار عربی سید: «العروة‌الوثقی» و «رسائل فی‌الفسلفه و العرفان» به چاپ رسید که آن هم بصورت محدودی توزیع گردید.

واکنون همان دو کتاب، با تجدید نظر و اضافات ــ مثلاً افزودن ۳۲ صفحه به «رسائل فی الفلسفة و العرفان» ــ همین کتاب ــ برای بار دوم چاپ می‌شود، به‌امید آنکه این بار

در سطح وسیع‌تری توزیع گردد و در اختیار عموم علاقه‌مندان در ایران و کشورهای اسلامی دیگر، قرار گیرد.

***

... در این کتاب، برای نخستین بار دو رسالهٔ خطی سید ـــ موجود در کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی ـــ تحت عنوان «مرآة‌العارفین» و «الواردات فی سرّالتـجلیات» پس از تحقیق و افزودن توضیحات لازم در پاورقی‌ها توسط این‌جانب، همراه چند رساله دیگر وی، به چاپ رسید که مورد توجه علاقه‌مندان قرار گرفت... و خوشبختانه در استمرار همان تحقیق و بررسی دربارهٔ آثار سید، نسخهٔ خطی دیگری از رسالهٔ «مرآة‌العارفین» در «مرکز اسناد وزارت امور خارجه» به‌دست آمد که جز «مخطوطات» این مرکز است و از سوی نمایندگی دولت ایران در هند ـــ حیدرآباد ـــ در دهها سال پیش، به تهران ارسال شده و خوشبختانه در بین اسناد وزارتی، محفوظ مانده است.

این رسالهٔ خطی، در ضمن مجموعه‌ای «تجلید» شده، که شامل سه رساله است:

۱. تحفة‌السفرة، الی حضرة‌البررة ۲. مـرآة‌العـارفین فی مـلتمس زیـن‌العـابدین ۳. حقیقة‌الموافقة للشریعه‌ا. رسائل این مجموعه که به زبان عربی است و از نمایندگی ما در «حیدرآباد» به «تهران» ارسال شده است با جلد مقوائی و روکش آبی‌رنگ در ابـعاده ۱۵×۲۳ سانتیمتر، دارای ۹٤ صفحه است. عناوین و اشکال با مرکب قرمز تحریر شده است ... این رساله‌ها، بطور اجمال معرفی می‌شود:

۱. تحفة‌السفرة تا الی حضرة‌البررة

تألیف: ابی‌الفضل محمدبن عبدالحمید بسطامی

این رساله در فلسفهٔ عملی و عرفان در ۲۲ صفحه و ۱۰ باب تدوین شده است. باب اول دربارهٔ «توبه» است: «... ان التوبة فی‌اللغة الرجوع و الانابة و هی قسمین: توبة‌العوام و توبة‌الخواص... توبة خاص‌الخاص توبتهم عن اشتغال القلوب بغیر ذکرالله (تع) و هی مقام‌الانبیاء و الاولیاء...»

ابواب دیگر رساله عبارت است از: الاعتقاد، الاخلاص، المحـبّة، الشـوق، العشـق، تزکیة‌النفس، اطوار القلب، الخلوة و شرایطها و آدابها. المقام و الحال.

۲. مرآةالعارفین فی ملتمس زین‌العابدین

این رساله در ١٤ صفحه تنظیم شده و مؤلف آن ـ‌که به‌نظر ما سید جمال‌الدین حسینی است ـ آن را به خواهش شخصی به نام «زین‌العابدین» نوشته است. این رسالهٔ عرفانی: «فی تحقیق فاتحةالکتاب التّی هی امّ الکتاب بلسان اهل الله» است! و مؤلف، در توضیح مطالب خود برخی اشکال هندسی را برای تقریب ذهن خواننده و تفهیم بهتر موضوع، ترسیم نموده است.

۳. حقیقةالموافقة للشریعة

تألیف: محمدبن فضل‌الله

این رساله از صفحه ٤٠ تا پایان مجموعه را شامل است و در تشریح عقاید صوفیه، در باب جهان، وحدت وجود و شریعت تألیف شده است...

***

... رساله «مرآةالعارفین» که ما آن را از روی نسخهٔ خطی موجود در کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی ـ‌به‌خط خود سید جمال‌الدین ـ چاپ کرده‌ایم و او را مؤلف آن نامیده‌ایم، در این نسخه که در «مرکز اسناد وزارت امور خارجه» (به شماره ۹-(۲-٤۷)، ثبت شده است، به‌نام سید جمال‌الدین نیست، بلکه با خطی غیر از خط متن، و در قسمت بالای صفحهٔ اول رساله، تألیف آن را به امام زین‌العابدین (ع) نسبت می‌دهد و می‌نویسد: «رسالة مرآةالعارفین مصنّفه حضرت سیدنا امام زین‌العابدین رضی‌الله تعالی عنه»! (به سند شماره ۱ این موخره رجوع شود). در آخر رساله هم به خط استنساخ کننده آن، می‌نویسد: «تمت هذه الرسالة مرآةالعارفین فی ملتمس امام زین‌العابدین عن ابیه المؤلف امام الهمام ـ امیرالمؤمنین ـ الحسین‌الشهید ابن اسدالله الغالب کل غالب و مطلوب کل طالب، مظهرالعجائب و الغرایب امیرالمؤمنین علی‌ابن ابیطالب کرم الله وجهه»! (به سند شماره ۲ رجوع شود.)

بی‌تردید این رساله، نه تألیف حضرت امام حسین(ع) و نه تألیف امام زین‌العابدین(ع) است. زیرا: ... اولاً: در هیچ یک از کتب و مدارک شیعه تاکنون نامی از

این رساله، که تألیف یکی از آن دو بزرگوار باشد، ذکر نشده است و نسخه‌ای هم در هیچ کتابخانه‌ای در جهان شیعه از آن وجود ندارد، که نام یکی از آن دو امام بزرگوار داشته باشد!

ثانیاً: شخصی در اول رساله ــ با خطی جدا از خط متن ــ آن را به امام زین‌العابدین (ع) نسبت می‌دهد و استنساخ‌کننده، آن را در آخر رساله به امام حسین (ع) نسبت می‌دهد که خود عدم صحت این دو نسبت را اثبات می‌کند.

ثالثاً: محتوای عرفانی ــ فلسفی ــ وحدت وجودی رساله، به‌خوبی نشان می‌دهد که تألیف آن مربوط به یکی دو قرن اخیر است و اصطلاحات به کار رفته در آن، بی‌تردید در هزار و دویست سال قبل مورد استفاده نبوده است!...

رابعاً: به نظر می‌رسد سید این رساله را به درخواست شخصی به‌نام «زین‌العابدین» نوشته است، همانطور که رساله «نیچریه» را به درخواست «مولوی محمدواصل» تألیف کرده و یا مطالب رسالهٔ «الواردات» را ــ طبق نوشته محمدعبده در مقدمهٔ آن ــ به در خواست وی بیان داشته است... ولی ظاهراً استنساخ‌کنندهٔ نسخه، با دیدن نام «زین‌العابدین» ــ و افزودن نام امام بر آن ــ تألیف آن را به امام حسین (ع) نسبت داده است که بدون شک صحیح نیست...

و در نسخه‌ای که به خط خود سید جمال‌الدین است (نسخهٔ کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی) جملاتی که در صفحهٔ آخر نسخه دوم (نسخه مرکز اسناد وزارت امور خارجه) آمده است، وجود ندارد و ظاهراً استنساخ‌کننده، با توجه به محتوای عرفانی رساله و نام «زین‌العابدین» ــ که مؤلف او را فرزند خود می‌خواند! ــ تألیف آن را به امام حسین (ع) نسبت داده است...

به هرحال: ما نمونه دو صفحهٔ اول و آخر نسخهٔ دوم این رساله خطی را در آخر کتاب می‌آوریم و در اول این کتاب هم صفحهٔ آخر آن را که با خط سید و امضای وی است، نقل کرده‌ایم و این نسخه، جز در یکی دو مورد ــ ترسیم اشکال هندسی ــ هیچ فرق با نسخهٔ موجود به خط سید ندارد.

امیدواریم که خداوند این خدمت را از ما بپذیرد و اگر دوستان و محققان عالی‌مقام اطلاع خاصی در این زمینه داشته باشند، انتظار می‌رود که ما را از معلومات خود محروم نسازند!

***

... این کتاب در این چاپ، شامل دو مقدمهٔ مشروح از دکتر علی زیعور استاد دانشگاه بیروت و دکتر عبدالرحیم حسن، محقق عراقی مقیم لندن می‌باشد که دربارهٔ رسائل سید بحث ویژه‌ای را مطرح ساخته‌اند... و با این «ملحق» و فهرست آیات و اعلام و اماکن، در اختیار علاقه‌مندان قرار می‌گیرد.

سید هادی خسروشاهی
ـ مدیر مرکز بررسیهای اسلامی قم ـ
والسلام ـ تهران، ربیع‌الاول ۱۴۲۱

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي [illegible] وابرز ماهيات الموجود

[illegible]

صفحه اول و دوم نسخه موجود در مرکز اسناد وزارت امور خارجه ایران



سید: فلسفه و عرفان

«... سید برای فلسفه الهی ـ اسلامی ارزش قائل بود. فلسفه تدریس می‌کرد و پیروان خویش را به آموختن حکمت الهی ـ اسلامی تشویق می‌کرد. شاگرد وفادارش محمد عبده را به مطالعه فلسفه وادار نمود. گویند عبده دو دستنویس از «اشارات» بوعلی را به خط خود نوشته و یکی را به ستایش از سید پایان داده است. ظاهراً در اثر همین تشویق سید بود که عبده به چاپ و نشر برخی کتب فلسفی پرداخت... «احمد امین» در کتاب «ظُهر الاسلام» می‌گوید: در زمان فاطمیان شیعی، فلسفه در مصر رواج داشت، بعد فلسفه از مصر رخت بربست... در عصر اخیر سید جمال که گرایش شیعی داشت و به مصر آمد، بار دیگر فلسفه در مصر رواج یافت.

... سید علوم عقلی را از مرد بزرگ ـ حکیم متأله، فیلسوف عالیقدر و عارف بزرگ ـ آخوند ملا حسینقلی همدانی که خود از شاگردان برجسته مرحوم حاج ملا هادی سبزواری بوده فرا گرفته است و به علاوه در محضر این مرد بزرگ که ضمناً همشهری سید نیز بوده با مسائل معنوی و عوالم عرفانی آشنا شده است...

کسانی که شرح حال سید را نوشته‌اند به علت آنکه با مکتب اخلاقی و تربیتی و سلوکی و فلسفی مرحوم آخوند همدانی آشنایی نداشته‌اند، از آن بسرعت گذشته‌اند و توجه نداشته‌اند که شاگردی سید در محضر آخوند همدانی چه آثار عمیقی در روحیه سید تا آخر عمر داشته است.

این بنده از وقتی که به این نکته در زندگی سید پی بردم، شخصیت سید در نظرم بُعد دیگر و اهمیت دیگری پیدا کرد...»

شهید مرتضی مطهری



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.
چاپ دوم (با اضافات) قیمت: ۱۵۰۰ تومان



السيدجمال الدين الحسيني

-بالاشتراک مع الاخرين-



اعدادو تقديم :

سيدهادى خسروشاهى

بسم الله الرحمن الرحيم



السيدجمال الدين الحسينى (الافغانى)
ــ بالأشتراک مع الاخرين ــ

ضياء الخافقين

ــ جريدة فى العلوم و السياسة و
الاخبار الصحيحة ــ

السنة الاولى ــ الاعداد ١ ـ ٥
لندن ــ ١٨٩٢ م

اعداد و تقديم:
سيدهادى خسروشاهى

الآثارالكاملة

(٣)

خسروشاهی، هادی، ١٣١٧- ، گردآورنده.
ضیاءالخافقین، جریده فی‌العلوم و السیاسه و الاخبار الصحیحه /
جمال‌الدین الحسینی (الافغانی)، بالاشتراک مع الاخرین: اعداد و تقدیم هادی خسروشاهی. ــ تهران: کلبه شروق، ١٣٧٩.
ج. : مصور، نمونه. ISBN 964-92729-3-3
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
عربی.
١. ضیاءالخافقین (روزنامه). ٢. ایران ــ تاریخ ــ انقلاب مشروطه، ١٣٢۴ ـ ١٣٢٧ ق. ــ نشریات ادواری. الف. جمال‌الدین، اسدآبادی، ١٢۵۴؟ ـ ١٣١۴ ق. ب. عنوان.
٩ ض ۵ خ / DSR ١   ٩۵۵/٠٠۵
کتابخانه ملی ایران   ٧٩-۴٧٧٢ م





ناشر: کلبهٔ شروق   مرکز البحوث‌الاسلامیه

نشانی مرکزی، تهران: مقابل دانشگاه. شماره ١٣٧٨ (صندوق پستی ١٩۶١۵/۴٩٣)
نشانی‌واحدقم: خیابان صفائیه ساختمان مرکزبررسیهای‌اسلامی. (صندوق پستی ٣٧١٨۵/۴۴٣٣)

ضیاء الخافقین

ــ جریدة فی العلوم و السیاسة و الاخبار الصحیحة ــ

السید جمال‌الدین الحسینی(الافغانی)

ــ بالأشتراک مع‌الاخرین ــ

اعداد و تقدیم: سیدهادی خسروشاهی
لیتوگرافی، چاپ و صحافی: الهادی ـ قم
چاپ اول: ١٣٧٩
تعداد: ٣٠٠٠ نسخه
قیمت: ١۵٠٠ تومان

شابک: ٣ - ٣ - ٩٢٧٢٩ - ٩۶۴

الفهرست

مقدمه

ضياء الخافقين

استمرار مبارزه با استبداد

سيد هادي خسروشاهي



ضیاء الخافقین

و :

استمرار مبارزه با استبداد

... به دنبال توقیف سید جمال‌الدین اسدآبادی و سپس تبعید وی از ایران که همراه با اهانت وآزار بود، نشر اکاذیب و تهمت‌های بیشرمانه توسط رژیم ناصرالدین شاه آغاز شد... اما این امر نه تنها سید را از ادامه مبارزه باز نداشت، بلکه پس از شناخت ماهیت واقعی رژیم شاهی، به افشای چگونگی نظام استبدادی حاکم بر ایران پرداخت و در «بصره» ضمن تماس با علمای بزرگ، خواستار استمرار مبارزه تا سرنگونی ناصرالدین شاه گردید...

بطور طبیعی گزارش کامل فعالیتهای سید در بصره به ایران رسید و ناصرالدین‌شاه به قصد انتقامجوئی، به دربار عثمانی نامه نوشت که سید چون تبعه ایران و از مردم اسدآباد همدان است، باید به ایران بازگردانده شود!

«هدایت پاشا» استاندار بصره، تلگرافی از باب عالی دریافت نمود که در آن از اصل و نسب و محل تولد سید جمال‌الدین، سئوال شده بود... «هدایت پاشا» از «عبد الحمید رافعی طرابلسی» که قاضی بصره بود خواست که در این زمینه بدون اطلاع سید، تحقیق بعمل آورد! ولی سید گویا از چگونگی سئوالات قاضی مزبور، متوجه حقیقت ماجرا شده بود، به او می‌گوید : من عضو انجمن عالی

معارف اسلامبول در دوران وزارت «صفوت پاشا» بودم و در آنجا قید شده که من «افغانی» هستم!... هدایت پاشا، گزارش تحقیق را به اسلامبول فرستاد.

در این موقع، سید که از خستگی و آسیب‌های دوران تحصّن در حضرت عبدالعظیم، و رنج سفر دردناک راه تهران و قم تا بغداد و بصره بیرون آمده بود، از «متصرف» اجازه خواست که به شبه جزیره عربستان سفر کند، اما تحصیل اجازه چون میسر نشد، سید پیش‌بینی خطر کرده، درخواست سفر به اروپا نمود و این بار با سفر او موافقت شد و سید بی‌درنگ از بندر بصره خارج و رهسپار اروپا گردید... اما دیری نگذشت که از اسلامبول دستور تلگرافی برای جلوگیری از حرکت سید و اعاده او به بغداد، برای متصرف رسید، ولی سید دیگر درون کشتی از دسترس مأمورین عثمانی دور و در امان بود!... و در واقع این سرآغاز مبارزه‌ای بی‌امان، علیه رژیم استبدادی شاه ایران بود.!

مرحوم استاد سید محمد محیط طباطبائی، چگونگی فعالیت‌های سید را در این سفر اجباری، که از جمله نشر مجله «ضیاء الخافقین» در لندن بود، شرح می‌دهد که ما به مناسبت نشر دورهٔ کامل این مجله با بهره‌گیری از تحقیق استاد محیط طباطبائی و استفاده از اسناد و مدارک جدید، به شرح چگونگی آن می‌پردازیم:

... سید مستقیماً به لندن رفت و همین که بدانجا رسید، به تحریر مقالات و ایراد خطابه و نشر اوراق چاپی بر ضد ناصرالدین‌شاه مشغول شد. سید جمال‌الدین نامه‌ای به ملکه ویکتوریا نوشت و او را از جانبداری سیاست مستبدانه ناصرالدین‌شاه برحذر داشت. از قرار معلوم در آغاز ورود به لندن، بر «میرزا ملکم‌خان» سفیر معزول ایران در انگلیس وارد شده بود و او را در نشر منظم جریده «قانون» کمک می‌کرد.

روزنامه قانون مقالاتی دارد که گرچه انشاء فارسی آنها ریختهٔ کلک «ملکم» بود، ولی معانی و افکار همه زادهٔ فکر سید جمال‌الدین است.

سید مکاتیبی به زبان عربی در لندن چاپ کرده برای علمای عتبات می‌فرستاد که در برخی از آنها امضای: سید ـ سید حسینی یا رمز به کار می‌برد و عین این مکتوب‌ها نیز در مجله ضیاء الخافقین (عربی) که به مساعی او انتشار یافته بود، درج می‌شد. سید در مدت کوتاهی توانست رابطهٔ میان دربار ناصرالدین‌شاه و حوزه‌های علمیه سامرا و کربلا و نجف را تیره کند.

داستان انحصار دخانیات پس از مدتی کشمکش بالاخره به نفع اهداف سید جمال‌الدین و موافق منظور او به پایان رسید. فتوای مرحوم میرزای شیرازی که بدون شک محصول تمهید مقدمات سیاسی سید بود، «شاه» و «امین‌السلطان» را در مقابل هیئت روحانی عتبات و تهران مغلوب ساخت و در ضمن میزان نفوذ روحی علما و تأثیر دخالت مستقیم آنها در امور ملکی به تجربه ثابت گشت. این نکته توجه کامل سید را در تبلیغات بر ضد «ناصرالدین‌شاه» به سوی علمای روحانی معطوف ساخت. نامه‌هایی که او به علما نوشته و سواد بعضی از آنها باقی مانده است، درست به هدف منظورش اصابت می‌نمود و علمای بزرگ را با ذکر دلایل منطق متوجه اهمیت وظیفه‌ای می‌کرد که حفظ دین و مذهب در برابر ظلم و خیانت و اجحاف و اسراف ایجاب می‌کرد.

این وضع تا آغاز مشروطیت دنباله پیدا کرد و کسانی که در تهران یا عتبات از روحانیون و یا طبقات دیگر مردم پرچمدار مخالفت با دستگاه استبداد قجری می‌شدند، به طور مستقیم یا غیر مستقیم تحت نفوذ تبلیغات سید قرار گرفته بودند. بیگانگانی که در این مبارزه سیاسی و اقتصادی شریک شکست شاه و صدراعظم شد و خدمتگزار مؤثری همچون امین‌السلطان را به عذر عدم حمایت وی هنگام خطر از دست داده بودند، تیغ تیز تبلیغ خود را متوجه سید کردند، چنان که مرحوم میرزا ابوالقاسم طباطبائی نقل می‌کرد و بعدها هم این قضیه را از آقایان سید هبة الدین شهرستانی و سید محمد صادق طباطبایی برادر آن مرحوم شنیدم: مرد بیگانه‌ای، بلند قد و سفیدرو و موبور و درویش مآب! در لباس

جهانگردی همان ایام از هندوستان به عراق عرب آمد در مجالس علما و طلاب عتبات حاضر می‌شد و از سابقهٔ علاقهٔ خود در سفر دریا با سید جمال‌الدین داستانها می‌گفت و سید را بی‌دین و باده‌نوش! و بی‌مبالات در مسائل مذهبی معرفی می‌کرد؟!

این گونه تبلیغات دامنه‌دار بر ضد سید جمال‌الدین در حوزه علمیه سامرّا علاوه بر شهادت برخی از نوکرهای درباری ـ که سید از بست حضرت عبد العظیم بیرون آورده و گویا جامه را بر اندام او پاره کرده یا بیرون کشیده بودند ـ در مورد ختنه نشدن! سید، اثر ضمنی خود را بخشید...

سید جمال‌الدین وقتی از «بصره» به «لندن» رفت در نخستین مقاله‌ای که در مجله «قرن نوزدهم» انتشار داد، نوشت که او اینک از «ایران» می‌رسد و بیش از هر کسی با اوضاع کشور خود آشنایی دارد و به انگلیسها با دلیل و برهان حالی کرد که در شناختن ایران از راه مقامات سیاسی و کنسولی خود دچار اشتباه شده‌اند. سید جمال‌الدین به انتقاد صریح، انگلیسیها را متوجه این نکته کرد که سودجویان سیاسی و ارباب مصالح خصوصی در انگلیس، نمی‌گذارند حقیقت اوضاع ایران به استحضار اشخاص نوع پرست و آزادی دوست و خیرخواه برسد. فرصت از قول گراهام نقل می‌کند که در یکی از مجالس خطابه سید «که گزارش مجملی از آن را نماینده سیاسی ایران به تهران هم فرستاده بود» سوز سخن سید حضار را به گریه درآورد.

سید در غالب نوشته‌های این دوره خود هدفی جز درهم شکستن ناصرالدین‌شاه و امین‌السلطان ندارد و از آن افکار بلند مربوط به اتحاد اسلام و مطالب عالی اجتماعی و فلسفی کلی دیگر، کمتر نشانی در تحریرات و تقریرات این دوره او دیده می‌شود. دولت ایران از یک طرف سانسور شدیدی برای جلوگیری از ورود آثار سید «ملکم‌خان» به ایران برقرار کرد و به وسیله مأمورین سیاسی خود منظماً گزارش فعالیتهای سیاسی این دو تن را از لندن

می‌گرفت و روزنامه‌های فارسی تهران و اسلامبول را به جوابگویی دشنام ملکم و سید وادار می‌کرد. روزنامه اختر اسلامبول که دو سال بعد از این عمل، خود کاملاً تحت نفوذ فکری سید و یارانش درآمد، در سال ۱۳۰۹ فوق العاده مفصلی در حمله به سید و ملکم‌خان چاپ کرده و هر دو را به باد ناسزا و تهمت گرفته بود...[۱].

استاد محیط طباطبائی، در بخش دیگری از کتاب خود، باز در این باره می‌نویسد:

یکی از فضلای اصفهانی که مدتی را در کلکته با مرحوم مؤید الاسلام مأنوس و مربوط بوده از قول او نقل میکرد که سید جمال‌الدین را هنگام آخرین تبعید از ایران و عراق در یکی از بنادر خلیج فارس بر کشتی دیدم و با او سخن گفتم، مرا تشویق کرد که در هندوستان روزنامه تأسیس کنم و از راه قلم به آزادی مردم خدمت نماید و خود هم به او وعده داده بود که به لندن می‌رود و روزنامه می‌نویسد.

وقتی سید در آستانهٔ حضرت عبد العظیم متحصن بود دوستانش شب نامه‌هایی انتشار می‌دادند که در آن به کارهای امین‌السلطان ایراد می‌شد تا آنکه موضوع انحصار داد و ستد تنباکو پس از تبعید سید پیش آمد، باز همان شب‌نامه‌پراکنی موجب تولید دغدغه و هراس مسئولین امر گردید. وقتی عده‌ای در طهران دستگیر شدند که از جمله میرزا رضای کرمانی دلال بازار و مرید سید جمال با حاجی سیاح مهماندار سید در اصفهان و چند تن دیگر از دوستان سید در میان آنها بودند با مرحوم مستشار الدوله میرزا یوسف خان تبریزی صاحب رسالهٔ یک کلمه، اهمیت مطبوعات و نوشته‌های سِیاسی در نظر اولیای حکومت مطلقه ناصرالدین‌شاه معلوم شده بود. سید بعد از تبعید نتوانست در بغداد بماند و به بصره رفت. سید در بصره به وسیله سید علی اکبر فال اسیری منسوب میرزای شیرازی که قوام الملک او را از شیراز تبعید کرده بود و به سوی سامره می‌رفت

مقدمات صدور فتوای تحریم دخانیات را سبب‌سازی کرد و همین که توانست به کمک مادی هدایت پاشای طرابلسی و مساعدت برخی از سران عرب بصره «طالب نقیب» خود را به لندن برساند بر ملکم وارد شد که روزنامهٔ قانون را بر ضد امین‌السلطان تازه تأسیسَ کرده بود. ملکم از بیانات و راهنمایی‌های سید در کشف اسرار ظلم و استبداد در روزنامه خود منتفع می‌شد. سید از راه شرکت در نشر مجله‌ای عربی ضیاء الخافقین و ایراد سخنرانیها و نشر مقالات در مطبوعات انگلیسی و مکاتیب چاپی و ارسال آنها برای مقامات روحانی و سیاسی شیعه در عراق و ایران، ایشان را بر ضد امین‌السلطان بر می‌انگیخت. در این موقع بود که مساله ایران در مطبوعات خارج و بخصوص در انگلیس مورد بحث و توجه قرار گرفت.

مقارن همین زمان مقالهٔ معروف سید جمال در نشریه «قرن نوزدهم» انگلیسی دایر بر تشریح اوضاع داخلی ایران انتشار یافت و افکار عمومی را نسبت به دستگاه حکومت ایران بدبین ساخت.

در صورتی که «درومونددُلف» سفیر انگلیس در طهران امین‌السلطان را زیر نفوذ منافع انگلیس قرار داده او را از وابستگی به دستگاه حکومت تزاری جدا ساخته بود ابداً رضایتی به حضور سید در لندن و استفاده از مطبوعات و مجامع آزاد آنجا بر ضد حکومت ایران نبود.

انتشار نامه‌های عربی چاپی خطاب به علمای بزرگ شیعه مقیم عراق و ایران در انتقاد از کارهای شاه و وزیرش، امین‌السلطان را به تکاپو انداخت و...[۲].

واکنش‌های انتشار ضیأ الخافقین

در واقع سید پس از خروج از عراق و اقامت در لندن، ضمن ملاقات و مصاحبه با بعضی از مدیران جراید انگلیس، سخنرانیهائی نیز در لندن ایراد

می‌نمود وسپس به همکاری با نشریه‌ی «ضیاءالخافقین» پرداخت. این‌نشریه به‌دو زبان انگلیسی و عربی چاپ می‌شد و در هر شماره چند مقاله درباره مفاسد حکومت و خرابی اوضاع ایران با امضای «السید» یا «سید الحسینی» و یا رمز و نام مستعار انتشار می‌داد. نخستین شمارهٔ این نشریه در شباط ۱۸۹۲ م ـ یکصد و پنج سال پیش ـ انتشار یافت و سید نامهٔ خود را که در بصره برای میرزای شیرازی فرستاده بود، در شماره دوم آن چاپ نمود و نامه دوم خود را در شماره سوم آن با رمز: ک، ه ف، ق، س، ط. (کهف، قسط) منتشر ساخت.

البته با توجه به سبک نگارش و محتوای مقالات و امضاهای متعدد موجود در ذیل آنها می‌توان بطور قاطع گفت که اغلب مقالات ضیاءالخافقین، بقلم سید جمال‌الدین نبوده است.

توزیع این مجله در اروپا، و سپس ارسال آن به ایران، توسط پست، واکنش‌های گوناگونی را ایجاد کرد... بعضی از افراد ترسو و بزدل و یا وابسته به دربار، با فحش و ناسزا! از آن استقبال! نمودند، و بعضی دیگر، از وصول نشریه به نام آنها دچار ترس و سرگیجه شدند!

در مجموعه نامه‌های موجود در خانه امین الضرب، که در کتاب اسناد و مدارک منتشر شده درباره سید، درج شده است، نامه‌هائی در این زمینه وجود دارد که برای شناخت چگونگی واکنش‌ها! یکی دو نمونه را نقل می‌کنیم:

آقا محمدبن حاج عبدالمجیداصفهانی، نمایندهٔ حاجی محمدحسن در مارسیل **Marseile**، در نامه مورخ ۳ جمادی الأولی ۱۳۰۹ ه. می‌نویسد:

«... عرض دیگر از قرار روزنامه‌جات فرانسه که یوم قبل جناب جلالت مآب نظر آقا یک دانه روزنامه فرستاده بود شرحی از خیالات فاسد بی‌معنی نوشته بودند، اینست که عرض می‌شود. در روزنامهٔ چاپ لندن نوشته‌اند که سید جمال‌الدین افغانی به لندن رفته است و با ملکم‌خان نمک بحرام همدست و همعهد شده‌اند. شرح مزخرفی در مذمت ایران و وزرای ایران من‌جمله وزیر اعظم

نوشته‌اند و در روزنامه چاپ کرده‌اند من جمله آقا سید جمال‌الدین هم بعد از عزیمت از طریق بغداد و بصره به برلن پای‌تخت آلمان رفته است و در مجلس بیزمارک گفتگوها نموده است حالا هم در لندن با ملکم به هم‌بسته‌اند و به این مزخرف‌گویی اقدام دارند و خیال می‌کنند که این مقولهٔ مزخرف را کسی اعتنا خواهد کرد. در برلن جواب آقا سید جمال‌الدین را بوضع بی‌اعتنائی داده‌اند. ولی در مقابل جناب جلالتمآب نظر آقا وزیر مختار شرحی از خیالات فاسدهٔ آقا سید جمال‌الدین در روزنامه‌جات فرانسه گذاشته از بدو ورود مشارالیه به طهران و خیالات فاسد او و اخراج نمودن او را و مذمت زیاد ازو و ملکم بیک نحو خوشی مضامین خوش در روزنامه‌جات فراسنه چاپ نموده که بگوش اهل فرانسه این بیانات وزیر مختار خیلی ملیح و مطبوع است. خداوند انشاءالله بحق تمام انبیاء و اولیای بر حقش که وجود مبارک بندگان اعلیحضرت اقدس شهریاری روحی وروح العالمین له الفداه را از جمیع بلیات محفوظ فرماید. این کلمات لاطائل این مردمان بی‌معنی مثل ذره است در مقابل خورشید و باید باطن هر کس که بهر لباس است بروز کند و نتیجهٔ اعمال و عقاید او معلوم گردد. اطلاعاً عرض شد. از فخر الملک هم اشاره‌ای کرده بودند که در لندن است و این روزها خیال عزیمت ایران را دارد. ولی بنظرم می‌آید این هم پلتیک باشد و فخر الملک هم تبعیت داشته باشد. خدا عالم است، العلم عندالله در اینکه فخر الملک از ملکم‌خان خبیث‌تر و مردودترست حرفی نیست. خداوند انشاءالله این‌جور آدمها را به غضب خود بسوزاند.»(!!)[۳]

سوزش مزدوران رژیم از نشر حقایق، توسط سید از سخن رذیلانه این نامه بخوبی آشکار است، و اکنون به نامه دیگری توجه بفرمائید: این نامه را آقا سید عبدالرحیم معین‌التجار کرمان در تاریخ ۱۵ شوال ۱۳۰۹ نوشته است:

«... راستی چند چاپارست خواسته‌ام شرحی از آن آشنائی که حال در لندن است بنویسم. احتیاط می‌کردم. حال عرض می‌کنم انتشاراتی باز به کرمان

از او رسیده. یقین سرکار دیده‌اید. کاغذی که از بصره به جناب میرزا نوشته، باز کاغذی از زبان ملت به تمام علما این‌ها را چاپ زده‌اند. جائی که کرمان رسیده یقین همه جا رسیده! متفکرم اینها به چه دردی می‌خورد؟ چه خیالی این مرد بر سر دارد! خواستم نسخهٔ آنرا برای سرکار بفرستم، همین یقین کردم سرکار دیده‌اید، همین احتیاط کردم، خداوند انشاءالله عاقبت همه را به خیر نماید و شر این جنس دو پا را هم دور نماید! خداوند انشاءالله حفظ نماید ما را. من که چنان از این مرد می‌ترسم که اصلاً در کرمان اسم او را نمی‌برم. با وجود این یکی از انتشارات در پست خانه باسم من بود، تا باز کردم دیدم، پنهان کردم که دور سر خودم هیچ ندیدند. این از کجا فهمید من آمده‌ام کرمان؟ باری خداوند انشاءالله حفظ نماید.»![۴]

آری! سید به مبارزه ادامه می‌دهد و محمدبن حاج عبدالمجید ناسزا می‌گوید و جناب معین‌التجار! می‌ترسد که نام سید را ببرد... اما هیچیک از این واکنش‌ها، مانع ادامه مبارزه نیست... و سید علاوه بر نشر ضیاء الخافقین، به نشر جداگانه بعضی از مکتوبات خود می‌پردازد ـ یعنی سید برای آنکه صدای خود را به همه برساند، نامه‌های خود، به «میرزای شیرازی» و علمای مشهور دیگر را غیر از درج در «ضیاء الخافقین» به صورت نامه‌های مستقل هم به چاپ رسید[5] و برای شخصیتهای طهران و سرشناسان سایر شهرهای ایران و برخی از کشورها می‌فرستاد.

سفیر انگلیس در طهران، پس از انتشار نامهٔ سید، خطاب به میرزای شیرازی، گزارش ذیل را جهت وزیر امور خارجهٔ انگلیس می‌فرستد:

نامهٔ شمارهٔ ١٤ مورخهٔ ١٩ ژانویهٔ ١٨٩٢ از «فرانک لاسل» سفیر انگلیس در طهران به «مارکیز اف سالیسبوری» وزیر امور خارجهٔ انگلستان.

«عالی جنابا

با کمال افتخار به پیوست نامه بسیار عجیب که خطاب به حاجی میرزا

العدد ١ السنة الاولى

ضياء الخافقين

قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد)
في انكلترة:—
عن سنة — عن ستة اشهر
١٠ شلينا ٧ شلينات
في الخارج:—
١٥ شلينا ٨ شلينات
(تدفع سلفاً)
الاعلانات
بالغروش الانكليزية
عن كل صفحة ١٠
.. نصف .. ٥
.. ربع .. ٣ ½
(تدفع سلفاً)
(والاعلانات يصير ترجمتها في الانكليزي)
يجب ان تخابر الادارة راساً لم وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

Dia-ul-Khafikain.

(THE LIGHT OF THE TWO HEMISPHERES.)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والاخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة

الاثنين في ١ شباط سنة ١٨٩٢

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج وا ترد اصحابها أدرجت اولم تدرج . وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالاشغال .

واما التلغرافات فيكون عنوانها
"ضياء - لندن"
"Dia, London."

فهرسة

ضياء الخافقين

ان للشرق على الغرب ديوناً كان اولاه اياها ايام كان الشرق مشكاة لمصباح العلم ومعرضاً تعرض فيه العقول بضائعها والافكار بدائعها وكان الغرب مظروفا في ليل الجهالات وحندس الضلالات • ولما ظهر مصداق قوله تعالى "وتلك الايام نداولها" والقى العلم مقاليده في ايدي رجال الغرب وفتحوا به كنوز كل شيء وابواب كل ثروة ووجب تأدية تلك الديون للمميسرة بعد النظرة قامت عاصمة العلم المتمدن ومطلع شمس الحرية مدينة لوندره ففكت الرقاب من حبال الاسر والاستعباد ونشرت الامن والامان • ولولا الغرب لبقي الشرق صبحه تزار فيها الضواري على ضفاف الفساد فاخذ الانكليز يطوفون اركان الارض بمشعل الحرية ومنجل الانتقام حتى استأصلوا جمهور تلك

ش ۲۶
نمونه‌ای از صفحهٔ اول نخستین شمارهٔ نشریهٔ ضیاءالخافقین

مورخ فوریه ۱۸۹۲ میلادی

حسن شیرازی رئیس و نماینده مذهب شیعه در سامره است و به وسیله حسنعلی‌خان نواب ترجمه شده است برای ملاحظه آن جناب تقدیم می‌دارد.

این نامه از بصره و احتمالاً در ماه گذشته پس از تبعید جمال‌الدین از ایران نوشته شده و اخیراً چند نسخه از آن از لندن که شیخ حالا در آنجا اقامت دارد به تهران رسیده و بین عده‌ای توزیع گردیده است.

امین‌السلطان در چندین مورد نظر مرا به اقدامات و فعالیت‌های جمال‌الدین معطوف داشته است و مکرر موضوع جنبشهای سیاسی اخیر ایران را گوشزد نموده مشارالیه عقیده‌اش بر این است که این تحریکات با پول و کمک روسیه به عمل می‌آید و احتمال قوی دارد تلگرافی که از طرف حاجی میرزا حسن شیرازی به شاه مخابره شده و در آن از شاه تقاضا کرده‌اند که مملکت را از چنگ اجنبی‌ها خلاص نماید در اثر تحریک جمال‌الدین بوده که در مکتوب خود احساسات مذهبی مجتهد مزبورا برانگیخته است.

امین‌السلطان گفت: با این تبعید جمال‌الدین از ایران به علت خصومت و دشمنی او با انگلستان بود، او نمی‌فهمد چگونه به جمال‌الدین اجازه داده شده که در انگلستان اقامت نموده و با کمال اطمینان خاطر در آنجا زندگی کند و حملات خود را به ایران ادامه دهد.

من به امین‌السلطان شرح دادم که تقریباً غیر ممکن است دولت امپراطوری انگلستان بر علیه هر فردی که در آن کشور مقیم می‌باشد قدمی بردارد مگر اینکه به موجب قدرت قانون. من باید عرض نمایم که نتوانستم عالی جناب را قانع نمایم، زیرا عقیده وی بر این است که هر گاه دولت انگلستان نسبت به ایران حسن نیتی داشته باشد و احساس روابط حسنه را بنماید البته می‌تواند اقداماتی نموده و مانع از این بشود که دشمنان ایران از لندن به دولت ایران حمله نمایند.

من به امین‌السلطان وعده داده‌ام نامهٔ جمال‌الدین را که به مجتهد معروف نوشته است حضور مبارک تقدیم بدارم اصل این نامه به عربی است پس از اینکه به فارسی ترجمه شده تبدیل به انگلیسی گردیده است.

130

Translation of a communication from His Highness, the Amin-es-Sultan to the Minister in London.

Again the Sheikh Jamal-ed-Din has written and published in Arabic an article which he has sent to Erak-Arab and other parts where it has been circulated. A few days ago some copies of these were taken and sent to His Imperial Majesty the Shah. On this occasion he has practiced boundless impudence and made use of the most illicit and calumnious language beyond all limits. From the beginning to end it is one piece of shameful slander touching His Majesty. Not content with this he even incites the Mullas to pass a decree on serving the Shah to the effect of rendering such services unlawful (Haram) and further to dethrone His Majesty, and such like nonsense too shameful to quote. I am forwarding you a copy to read and take to Lord Salisbury and communicate the contents to him, and as the text is purely personal touching

His

صفحه اول از ترجمه نامه سید به انگلیسی (اسناد وزارت خارجه انگلیس)

If you protectors of the faith oppose him with righteousness, and men know that to obey this (wicked man) is unlawful according to the religion of God, and that if he is left reigning there is a danger for the — Mussalman, they will all hasten and upset the throne of his deceit and will depose him from the chair of his madness.

You are the protectors of the Nation and the Supporters of the Faith, who will defend the religion except you! and who will beside you guard the party! .... to War!.... to War! before we fall into humiliation and smallness.

You are answerable for the inhabitants and the country before God the High...... The people are not to blame, because they still await your orders, and will rise when you rise, what then are you waiting for! Dethrone him! dethrone him! there is no other remedy. I speak as an experienced man who foresees the future. That to defend the honour of Islamism and to guard the kingdoms, and preserve the rights of Mussalman depend now on one word, which the tongue of righteousness will utter through jealousy for the faith and its followers..... and that is (Dethrone him).

He who utter this word first among the pure guides and the good leaders, will obtain perfect honour and will be victorious with the greatest happiness in this world and the one to come.... - -

...... This is our aim ....

And peace be on you, and the mercy of God and His Blessings.

(Elsayed Elhussayni)

صفحه آخر از ترجمه نامه دوم سید به انگلیسی (اسناد وزارت خارجه انگلیس)

من در روزنامه خبر پذیرائی از جمال‌الدین را در ناشینال لیبرال کـلوب لندن خواندم مشارالیه در آنجا خطابه‌ای راجع به «بحران کنونی در ایران» ایراد نموده است ولی سید در آن نطق عقل خود را بکار برده و از ذکر مطالبی که بـه انگلستان و سیاست خارجی آن برمی‌خورد احتراز نموده است در صورتی که در نامه‌ای که به حاجی میرزا حسـن شـیرازی نـوشته است شـدیداً بـه سـیاست انگلستان حمله نموده است.

البته بطور یقین شیخ جمال‌الدین و نامه وی معروف حضور آن عالیجناب می‌باشد.

موقعی که من افتخار نمایندگی رسمـی دولت انگـلستان در قـاهره را در سالهای ۱۸۷۸ و ۱۸۷۹ داشتم راجع به او شرحی عـرض و خـاطر مـبارک را مستحضر داشتم که احتمال داده می‌شود جمال‌الدین از روسهـا پـولی دریـافت می‌دارد و مأمور است فعالیت‌هائی بر علیه انگلستان بنمایند و آقای کندی در نامه شمار ۱۱ و ۲۰ ماه ژانویه ۱۸۹۱ خود گزارش کارهای او را به آن عالی جناب تقدیم نموده و بطور تفصیل جریان تبعید وی را حضورتان عرض کرده است.
با تقدیم احترامات ـ فرانک لاسل»[۶]

خشم شاه از نامه سید

نامه‌ای را که سید برای میرزای شیرازی نوشته و شخص ناصرالدیـن‌شاه را مورد حمله قرار داده بود و ترجمهٔ آن نامه به وسیلهٔ اعتمادالسلطنة به شاه رسید، ولی شاه از آن نامه چندان ناراحت نشد ولی نامهٔ سید به علمای ایران، او را بـه شدت خشمگین ساخت. وقتی شاه این نامه را دید به عنوان گله، دولت انگلیس را مقصر قلمداد کرده، و بطور کتبی و شفاهی توسط سفیر خود در لنـدن و سـفیر انگلیس در تهران می‌خواهد که جلوی فعالیتهای سید گرفته شده و به مجـازات برسد و دو نامه در همین رابطه برای امین‌السلطان می‌فرستد که ترجمهٔ آن دو نامه

به تناسب نقل می‌شود:

«جناب اشرف امین‌السلطان ـ ما پشت سر هم چه به وسیله سفیر خودمان در لندن و چه توسط سفیر انگلستان در طهران راجع بـه مـزخـرف گـوئی‌ها و نوشته‌های مفسدانه میرزا ملکم، بطور کتبی و شفاهی اعتراض و تقاضا نموده‌ایم مشارالیه را از لندن و همچنین از کلیه ممالک تابعه امپراطوری انگلستان اخراج نمایند و یا لااقل از او التزام بگیرند که از این عملیات فتنه‌انگیز بر ضد کشـور ایران و توهین به مقام سلطنت دست بردارد ولی ابداً نتیجه حاصل نشد تا اینکه ما شیخ جمال‌الدین را که یکی از شریرترین مردمان روی زمین است و در ایـران تولید اخلال و مزاحمت‌هائی می‌نمود تبعید کـردیم، او نـیز بـه لنـدن رفت و بـه ملکم‌خان پیوست و به وسیله انتشار روزنامه به زبان عربی شروع به تحریکات نمود وی چندین شماره روزنامه نوشته و آنها را در قفقاز و ایـران پـخش نـموده است.

نامبرده اخیراً چند نسخه از آخرین شماره آن را که به زبان عربی انتشار یافته، برای توزیع بین مردم ایران فرستاده است اینک یک شماره از آن را برای ملاحظه و تعقیب امر فرستادم این مرتبه او بطور آشکار شروع به تحریکات نموده و علما و مردم ایران را تشویق به اخلال و شورش نموده و حتی نسبت به شخص ما حمله نموده است.

بدینوسیله او خودش را مانند یک نفر قاتل معرفی کرده و طبق قانون هر مملکتی چنین شخصی که مستقیماً به مقام سلطنت درصدد اسائهٔ ادب برآمده و علناً نسبت به مقام سلطنت خیانت نموده(!!) محکوم به اعدام است و سزای او مـرگ است یا لااقل او باید در یکی از نقاط دوردست تا ابد حبس شود.

شما باید از سفیر انگلیس بخواهید که شما را ملاقات نماید و رسماً نظریات ما را به او ابلاغ نمائید این دستخط ما را بدهید بخواند و یک نسخه از آن را بـه او بدهید و نیز ترجمه نامه عربی جمال‌الدین را به او تحویل داده و از او بخواهید که

همه اینها را برای وزراء انگلستان بفرستد و حتی به نظر نمایندگان پارلمان آنها نیز برساند تا هرگاه حق با ما است او را به حبس ابد محکوم نمایند وگرنه چگونه ما باید باور نمائیم که دولت انگلستان حامی مقام سلطنت و وجود شخص ما است در حالیکه چنین شخص مفسد و بی‌شعوری با کمال آزادی در انگلستان اقامت کرده و این گونه مطالب را انتشار می‌دهد»[۷].

سفیر انگلیس، نامهٔ شاه را (که در تاریخ ۲۸ اوریل ۱۸۹۲ به سفارت انگلیس تسلیم شده بود) به ضمیمهٔ نامهٔ محرمانهٔ خود که ترجمه آن نقل می‌شود، برای وزیر امور خارجهٔ انگلستان می‌فرستد:

«نامه محرمانه شماره ۸۲ مورخ ۱۱ مای ۱۸۹۲

از سرلاسل سفیر انگلیس در تهران ـ به مارکیزآف سالیسبوری

عالی جنابا عطف به نامه شماره ۱٤ مورخ ۱۹ ژانویه با ارسال رونوشت دستخط شاه ایران خطاب به امین‌السلطان اشعار می‌دارد به وسیله سید جمال‌الدین نامه خطاب به علماء ایران صادر گردیده است و در آن نامه مستقیماً به مقام سلطنت توهین و بشدت حمله شده است.

ترجمه نامه جمال‌الدین نیز که موجب تغییر و اعتراض شاه گردیده ارسال می‌گردد. نظر شاه بر این است که نویسنده این نامه مستحق مرگ یا حداقل حبس ابد می‌باشد.

من به امین‌السلطان گفته‌ام که این نامه‌ها را برای ملاحظه جنابعالی تقدیم خواهم داشت ولی در عین حال به آن عالی‌جناب (امین‌السلطان) یادآوری کردم که برای دولت امپراطوری انگلستان غیر ممکن خواهد بود بر علیه شخصی که در لندن زندگی می‌کند قدمی بردارد مگر به موجب مقررات قانون.

با احترامات سر ـ ف ـ لاسل»[۸]

وقتی که نسخه‌های نامهٔ سید خطاب به «بعضی از علمای ایران» به وسیلهٔ یکی از یاران او به سفارت ایران در روسیه فرستاده می‌شود؛ «میرزا محمودخان

بسم الله الرحمن الرحيم

حملة القرآن . وحفظة الإيمان . ظهراء الدين المتين . ونصراء الشرع المبين . جنود الله الغالبة في العلم . وحججه الدامغة لضلال الأمم . جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي . وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي . وجناب الحاج الميرزا أبي القاسم الكربلائي . وجناب الحاج الميرزا جواد آقا التبريزي . وجناب الحاج السيد علي اكبر الشيرازي . وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي . وجناب الميرزا حسن الآشتياني . وجناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء . وجناب الحاج آقا محسن العراقي . وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني . وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي •

وسائر هداة الأمة . ونواب الأئمة . من الأحبار العظام . والعلماء الكرام •

أعز الله بهم الإسلام والمسلمين . وأرغم أنوف الزنادقة المتجبرين آمين •

طالما تاقت الأمم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصاً عليها وشرها . ولكن سولت لها أمانيها حدها تمثلها من الولوج في أرجائها وتمهد فيها سلطاتها على غرة من أهلها تحاشيا من المفارط التي تورث الفشل فتبعث النفوس على الثورة كلما سنحت لها الفرص وتفسد بها التفرقة . ولكنها علمت أن بلوغ الأرب والعلماء في عز سلطانهم ضرب من المحال لأن النفوس تهوى اليهم طراً . والناس جميعاً طوع يدهم بأمرهم كيفما أمروا ويقودهم حيثما شاؤوا لمجرد انقيادهم وأتباع لحكمهم . وأنهم البرازون بداءبهم في حفظ حوزة الاسلام . لا تأخذهم فيه هوادة ولا تمر بهم غرة ولا تصيد بهم شهوة . فلبثت وهي تتربص بهم الدوائر وتترقب السوانح لعلم الله أنها قد أصابت فيما رأت أن الأمة لولا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لتجاوزت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصاً من هذه الدول الخائنة الجائرة الغرقى التي قد هدمت الثروة وتلذذت الصفقة وأنفقت الجبايات فلا حازت منها شرفا ولا صانت بها لنفسها حقا ولا انشرح منها صدرها فرحا •

ولذا كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة من الافرنج ومحت اسمها وطمست رسمها . إن سلاطين الهند وأمراء ما وراء النهر جنت في إذلال علماء الدين فساد الوبال عليهم سنة الله في خلقه . . . وإن العثمانيين ما صانوا بلادهم من أطماع الأجانب وما دحروا هجمات الانجليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت في قضاياها •

ولما تولى هذا الشاه (الحارثة الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا ويخفض شأنهم ويقلل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد بإبطال أوامره ونواهيه وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره . فطرد جمعاً من البلاد بعزل ونهنه فرقة عن إقامة الشرع بصغار وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والغرق (طهران) وقهرها على الاقامة فيها

صفحه اول از متن نامه عربی سید به علمای بزرگ عراق وایران

(اسناد وزارت خارجه انگلیس)

علاءالملک» سفیر ایران در روسیه، به «موریر» سفیر انگلیس متوسل می‌شود، تا بلکه جلوی اقدامات سید را بگیرد. سفیر انگلیس هم، نامهٔ محرمانه‌ای را به شمارهٔ ۸۷ مورخ ۲۷ اپریل ۱۸۹۲ از «سنت پترزبورگ» برای وزیر امور خارجهٔ انگلستان می‌فرستد. مضمون این نامهٔ محرمانه هم با قدری اختلاف، تقریباً به نامهٔ فوق «سر لاسل» شبیه است.

شاه پس از نوشتن نامه مورد اشاره به امین‌السلطان باز از شدت خشم و ناراحتی در همان روز، نامهٔ دیگری به وی می‌نویسد:

شرحی را که این پدرسوخته شیخ جمال‌الدین نوشته است در واقع چیزی نیست جز اینکه از سر تا ته همه‌اش فحش و تحریک و اخلال بر علیه مقام سلطنت با این دلیل روشن در مقابل آنان هرگاه چنین شخصی را لااقل به زندان نیندازند دیگر چه نوع دوستی را دولت انگلستان نسبت به ما ادعا می‌کند چگونه می‌توانم اظهارات دوستانه آنها را باور نمایم.

باید همین امروز از سفیر انگلیس بخواهید که از شما دیدن نماید این دستخط را برای او بخوانید و رونوشت آنرا به انضمام نامه عربی به او بدهید با این دلیل محکمی که در مقابل خود دارند و جمال‌الدین به مقام سلطنت فحش گفته است او را باید بدون معطلی به حبس ابد محکوم نمایند وگرنه ما باید از دوستی انگلستان به کلی نامید شویم»[۹].

امین‌السلطان هم، این دستخط را به ضمیمهٔ نامه خود که نقل می‌شود*

* ـ وی این نامه را به «محمدعلی‌خان» سفیر ایران در انگلستان می‌نویسد:
«بعد العنوان مجددا شیخ جمال‌الدین مقاله به عربی انتشار داده و برای توزیع بین مردم عراق عرب و سایر نقاط تعدادی از آن را فرستاده است. چند روز پیش آن مقاله به نظر اعلیحضرت همایونی رسید.
این دفعه جمال‌الدین بیشرمی را به اعلیٰ‌ترین درجه رسانیده است چنان عبارات زننده و تندی بکار برده است که هرگز سابقه ندارد از اول مقاله تا آخرش تمام مطالب یک‌پارچه تهمت و توهین به مقام سلطنت است حتی به این عبارات رکیک قناعت ننموده و علما را تحریک نموده است که نه تنها خدمت به شاه را برای مردم ایران تحریم نمایند بلکه او را برای همیشه از مقام سلطنت خلع کنند. این مزخرفات را طوری ادا نموده است که از تکرار آن شرم دارم.
من یک نسخه از آن مقاله را برای شما به پیوست فرستادم که پس از خواندن آن را نزد

همراه با نامهٔ سید، خطاب به علمای مشهور، برای «حسنعلی‌خان‌نواب» می‌فرستد:

«پنجشنبه نیز رسید با اینکه از ظهر گذشته است هنوز خبری نرسیده من نمی‌دانم چکار باید کرد واقعاً دچار سرگیجه شده‌ایم اعلیحضرت دستخطی نوشته و نامه اخیر جمال‌الدین خطاب به علماء را برای من فرستاده‌اند، من، هم دستخط شاه، و هم نامهٔ مزبور را فرستادم که برای جناب آقای سفیر ترجمه نمائید هرگاه ایشان خواسته باشند نامه سید جمال‌الدین و رونوشت دستخط را به لندن بفرستند مانعی نخواهد داشت من نمی‌دانم سفیر راجع به این موضوع چه فکر می‌کند البته جمال‌الدین به خود من حمله ننموده است ولی تمام مندرجات نامه اخیر او بر علیه اعلیحضرت همایونی می‌باشد.

امین‌السلطان»[۱۰]

سفیر انگلیس، باز پس از وصول نامهٔ امین‌السلطان و دستخط شاه، نامهٔ محرمانهٔ دیگری را در همان روز، برای وزیر امور خارجهٔ انگلیس می‌نگارد:

«نامهٔ محرمانه سرلاسل شماره ۸۳ مورخ ۱۱ مای ۱۸۹۲ به مارکیز اوف سالیسبوری وزیر امور خارجه انگلیس.

عالی جنابا

عطف به نامهٔ قبلی این جانب مورخ همین روز اینک با کمال افتخار ترجمهٔ یادداشتی را که امین‌السلطان به عنوان حسنعلی‌خان نوشته و در ضمن دستخط

«لردسالیسبوری» ببرید و مفاد آن را برای او شرح دهید چون در این مقاله، خود شاه مستقیماً مورد هدف تهمت و افترا قرارگرفته لذا از جانب شاه نزد لردسالیسبوری رسماً شکایت نمائید و به او بگوئید که چنین بنظر می‌رسد که کشوری که خودتان را دوست ما قلمداد می‌کنید شماها باعث این همه فتنه و آشوب شده‌اید و همان بلوائی را که در مسئله رژی تنباکو راه انداختید باز هم دارید ادامه می‌دهید. چگونه ممکن است نام این جزوهٔ عادی را روزنامه گذاشت و گفت که «روزنامه‌ها آزاد باشند» آنهم جزوه‌ای که علناً در مملکت فتنه و آشوب برپاکرده و صلح مردم را بهم زده است. خلاصه چاره‌ای برای این کار باید کرد یا باید او را به حبس بیاندازند یا اینکه به جای دوردستی تبعید نمایند تا اینکه اعلیحضرت همایونی به دوستی و حسن نیت دولت انگلستان اعتماد نماید.

امین‌السلطان

Copy

Gulhek
June. 6. 92

A.C.

"I have not failed to communicate to H.M. Principal Secy. of State for Foreign Affairs the wish which H.M. The Shah had expressed that measures should be taken to put a stop to the writings of Djemal ud Din in London, and I have now received a Telegram from His Lordship in which he instructs me to inform Y.H. that H.M.G. will be prepared to advise the Persian Minister in London with regard to any publication which he thinks ought to be prosecuted but as a rule H.L. does not advise any foreign power to take proceedings against the Press in England even when there is good cause for doing so. The verdicts depend..

H.H.
The Amin-es-Sultan

نامه‌ای از امین السلطان . . . (اسناد وزارت امور خارجه انگلیس)

دیگر شاه را درباره جمال‌الدین ضمیمه نموده است تقدیم می‌دارد البته جای تعجب نیست که شاه از اتهاماتی که بر علیه او به وسیله سید جمال‌الدین به عمل آمده بشدت عصبانی و متغیر گردیده است و از نتایج سوئی که نوشته‌های او در ایران ایجاد خواهد کرد بیمناک می‌باشد عصبانیت شاه بیشتر از این لحاظ است که سید جمال‌الدین حقایق را درباره اوضاع فعلی کشور ایران فاش نموده است که کمترین شکی را باقی نمی‌گذارد گرچه مقداری از مطالبی را که اظهار نموده اغراق‌آمیز به نظر می‌رسد.

امضاء سرلاسل»[۱۱]

وقتی که ناصرالدین‌شاه از نامه‌های خود به امین‌السلطان نتیجه نمی‌گیرد، بر خشم وی افزوده می‌شود و مجدداً نامه زیر را به وی می‌فرستد:

«جناب امین‌السلطان خیلی جای تعجب است که سفیر انگلستان درباره شیخ جمال‌الدین هنوز جوابی نداده است اگر او چیزی برای شما فرستاده به من اطلاع دهید والا این دستخط مرا به او نشان داده و جواب بخواهید.

در این تردیدی نیست که این شخص شرور و متقلب باید به موجب مقررات قانون تنبیه شود معنی ندارد که او در لندن نشسته و این مزخرفات را علناً بر علیه ما و مقام سلطنت در همه جای دنیا انتشار دهد و نیز در مجله‌ای که به راه انداخته است مردم را برای اختلال و شورش تحریک نماید ما هرگز نمی‌توانیم این مطلب را قبول کنیم که دولت انگلستان دوست ما می‌باشد یا حامی مقام سلطنت ما است با اینکه هیچ کاری را نمی‌خواهند صورت بدهند به این شخص اجازه می‌دهند این همه مزخرفات بنویسد باز هم ادعا می‌کنند انگستان کشور آزادی است»[۱۲]

امین‌السلطان در تعقیب دستخط شاه، نامه‌ای به حسنعلی‌خان‌نواب می‌فرستد:

«بعد العنوان ـ امیدوارم حال شما خوب است. یادداشت شما دربارهٔ مطالبی

که در نامهٔ شمارهٔ ۹۹ لاسل قید شده است در شهر قم به دستم رسید راجع به مسائل مربوط به گمرک دستور لازم به جناب آقای امین‌الملک داده‌ام او کارها را روبراه خواهد کرد من همچنین نامه و جواب جناب آقای سفیر را راجع به جمال‌الدین دریافت داشته‌ام ولی اعلیحضرت منتظر وصول جواب از طرف دولت انگلستان می‌باشند بهتر این است به هر نحوی است جوابی تهیه و برای من بفرستید تا بتوانم به عرض او برسانم.

نظر من این است جواب بدین مضمون تهیه شود دائر بر اینکه «دولت انگلستان آنچه از دستشان برمی‌آید در این مورد اقدام مساعد خواهند کرد».

گرچه آنچه که انگلیسیها می‌گویند صحیح به نظر می‌رسد ولی با این ترتیب این مرد را ـ ناصرالدین‌شاه ـ نباید زیاد مایوس نمود راه عاقلانه این است که درباره کاررژی او به کمک انگلیسیها امیدوار باشد بالاخره برای باز کردن حساب برای مطالبات کمپانی تنباکو به اعتبار کمپانی و وصول اموال رژی سعی خواهیم کرد که به نحو مطلوب عمل نمائیم ... امین‌السلطان»[۱۳].

سفیر انگلیس هم، نامهٔ امین‌السلطان را به ضمیمهٔ نامهٔ ذیل، برای وزیر امور خارجهٔ انگلیس ارسال می‌دارد:

«نامهٔ شمارهٔ ۹۹ مورخ اول ژوئن ۱۸۹۲ سرلاسل به عنوان وزیر امور خارجه انگلستان با کمال افتخار ترجمه نامه خصوصی امین‌السلطان خطاب به حسنعلی‌خان‌نواب را به پیوست تقدیم می‌دارد.

عالی جنابا قسمت اول این نامه راجع به شکایتهائی است که دولت ایران از مأمورین گمرک دارد و تصور می‌کنم لزومی ندارد که در آن مورد زحمتی به آن عالی‌جناب داده شود فقط مطلبی را که از نواب خواسته بودم که به امین‌السلطان بگویم به نظر مبارک می‌رسانم جناب امین‌السلطان اظهار داشته است که شاه مجدداً راجع به شکایتی که از جمال‌الدین دارد در صدد مطالبه جواب از دولت انگلستان برآمده است آنها هنوز در این امید هستند که بلکه کمپانی توتون و

تنباکو بتواند مساعدتهائی به دولت ایران بنماید ضمناً امین‌السلطان در آخر نامه‌اش اظهار کرده که شاه به حاکم جدید شیراز برای توقیف و تنبیه قوام‌الملک که بدون اجازه اعلیحضرت صورت گرفته سخت متغیر گردید است در نامه بعدی سعی خواهم نمود که گزارش جامع این جریان را به عرض برسانم.

از حسنعلی‌خان‌نواب تقاضا کرده‌ام از امین‌السلطان برای این اطلاعاتی که در اختیار ما گذاره است از جانب من تشکر بنماید و به ایشان بگوید که موضوع جمال‌الدین را به نظر جنابعالی رسانیده‌ام ولی من باید یادآور شوم که دولت امپراطوری انگلستان راجع به حفظ و حراست اموال و تأسیسات کمپانی تنباکو جز با مراجعه به مقامات قضائی نباید راه دیگری را در نظر بگیرد امضاء لاسل»[۱۴]

وزیر امور خارجهٔ انگلیس، با توجه به نامه‌های شمارهٔ ۸۲ و ۸۳ سفیر خود در طهران، تلگراف زیرا را می‌فرستد:

«عطف به نامه‌های ۸۲ و ۸۳ شما باید با در نظر گرفتن مفاد تلگراف ۴۹ سپتامبر گذشته اینجانب با امین‌السلطان تماس بگیرید»[۱۵].

سفیر انگلیس، پس از وصول تلگراف فوق، این نامه را برای امین السلطان می‌فرستد:

«رونوشت نامه مورخه ٦ ژوئن ۱۸۹۲ سفیر انگلیس در تهران به عنوان امین‌السلطان.

(پس از تعارفات) این جانب به وزیر امور خارجه انگلستان شرحی نوشته و خواسته‌های اعلیحضرت شاه ایران را دایر بر اینکه جلو نوشته‌های جمال‌الدین را باید گرفت بطور مشروح اطلاع داده‌ام من هم اکنون از جناب آقای وزیر امور خارجه به موجب تلگراف دستوری دریافت داشته‌ام که به جنابعالی اطلاع بدهم راجع به اینکه دولت انگلستان حاضر است به سفیر ایران در لندن درباره تعقیب جراید در محاکم رسمی انگلستان نظریات خود را بدهد.

F. O.
June 3. 1892.
5. 40 p.m.

Draft.
Sir F. Lascelles

Telegram.

No. 34

[Djemal - ed - Din].

Your despatches 82 & 83. You should make a communication to the Amin - es - Sultan in accordance with my Tel. to Kennedy No. 49 of Sept. 25 last.

متن تلگراف، عطف به نامه‌های شماره ۸۲ و ۸۳

ولی قبلاً عرض می‌کنم مطابق سوابق موجوده حتی اگر برای این کار دلیل محکم و قابل قبولی ارائه شود دیوان عالی کشور هرگز اجازه نخواهد داد که یک قدرت خارجی قدمی بر علیه جراید انگلستان بردارد. دفاع هیئت منصفه و افکار و احساسات عمومی در انگلستان چنان قوی است که به ندرت اتفاق می‌افتد در این موارد قضات رأی موافق بر له مدعی بدهند. امضاء لاسل»[۱۶]

«لاسل» پس از ارسال نامهٔ مذکور، در ۹ ژوئن نامهٔ محرمانه‌ای برای وزیر امور خارجهٔ انگلیس می‌فرستد:

«قلهک ۹ ژوئن ۱۸۹۲ نامهٔ محرمانه، شمار ۱۰٤.

«عالی جنابا با کمال افتخار رونوشت یادداشتی را که با اطاعت از دستوری که ضمن تلگراف شماره ۳٤ داده بودید برای امین السلطان به وسیله اینجانب نوشته شده تقدیم می‌دارد.

من به امین السلطان تذکر داده‌ام که امپراطوری انگلستان حاضر گردیده است که به سفیر ایران در لندن درباره مطالبی که جمال‌الدین در لندن بر علیه دولت انتشار داده است نظریات خود را اعلام بدارد اینک رونوشت شرحی که برای امین السلطان نوشته شده به پیوست تقدیم می‌دارد. «لاسل»[۱۷].

به دنبال این همه مکاتبات و مذاکرات، از مفاد نامهٔ ٦ ژوئن سفیر انگلیس بر می‌آید که وزارت امور خارجهٔ انگلستان برای جلوگیری از فعالیتهای سید به وجود مدرک نیاز دارد و به همین لحاظ «میرزامحمدعلی‌خان» سفیر ایران در لندن، مدارکی به وزارت امور خارجهٔ انگلستان ارائه می‌دهد، تا دیگر سید فعالیتی برعلیه ناصرالدین شاه نکند. این امر از نامهٔ سفیر ایران که به شرح زیر است معلوم می‌شود:

«نامهٔ مورخه ۲۲ ژوئن ۱۸۹۲ میرزا محمدعلی‌خان سفیر ایران به عنوان مارکیز اوف سالیسبوری.

عالی جنابا با کمال افتخار اسنادی را که دیروز راجع به آن با جنابعالی

مذاکره شد حضورتان تقدیم داشتم امیدوارم آن عالی‌جناب هرچه زودتر ترتیبی دهند تا بدان وسیله بنده بتوانم خاطر مبارک ملوکانه را از حیث آسوده نمایم.
با تقدیم احترامات ـ محمد علی»[۱۸].

در اثر اصرار ناصرالدین‌شاه، برای جلوگیری از نشر مقالات سید در ضیاءالخافقین و ایراد سخنرانی در لندن که به موقعیت شاه لطمه زده بود، سفیر ایران به دیدار وی رفته و از وی تقاضای کمک می‌کند.

«ادوارد براون» در کتاب خود، در این زمینه می‌نویسد:

«در مقالات مربوط به ایران از هیچ‌گونه ناسزا به حکومت و شاه دریغ نمی‌کرد تا حدّیکه سفیر دولت ایران در لندن به نزدش شتافته و کوشش به تسلی و آرامش او نموده که اگر خودداری از نوشتن و گفتن از این موضوع نماید حاضر است یک مبلغ هنگفتی به او تقدیم دارد. ولی سید جواب منفی داد و گفت نه، راضی نخواهم شد مگر اینکه شاه کشته و شکمش دریده و جسدش به گور عرضه شود. این گفتار که از او سرزده ما را معتقد می‌سازد که قاتل شاه یکی از پیروان سید بوده است...»[۱۹].

نگرانی و حساسیت رژیم ناصرالدین شاه در قبال استمرار مبارزه سید جمال‌الدین اسدآبادی در لندن، از تشبثات حقیرانه و رذیلانه آن، برای سرکوب حرکت و تعطیل نشریه ضیاءالخافقین، که نقشی اساسی در افشای رژیم استبدادی قجری داشت، کاملاً روشن و آشکار است... اما دولت انگلیس برای حفظ مصالح خود، بظاهر برای تعطیل آن نشریه، دنبال «مدرک» می‌گردید! ولی سرانجام با روشی غیر اخلاقی به تعطیل نشریه، اقدام نمود.

آقای صدر واثق می‌نویسد: «... چنین بنظر می‌رسد که طلوع و افول این نشریه در فاصله کمی انجام گرفته باشد، زیرا تا آنجا که اطلاع در دست است، بعد از انتشار دو شماره، دیگر از شماره‌های بعدی آن، خبری در دست نداریم[۲۰]. البته



June 22. 1892

My Lord

I have the honour to enclose the documents of which I spoke yesterday — and I hope that Your Lordship may soon enable me to send a tranquilising message to my August Sovereign, the Shah.

I have the honour to be My Lord, with the highest consideration —

Your obedient Servant

M. Ali

The Right Honble
The Marquis of Salisbury
K.G.

متن نامه سفیر ایران در انگلستان که همراه ترجمه نامه‌های سید جهت اقدام لازم به وزیر خارجه وقت انگلیس ارسال شده است

مقالات این نشریه درباره اوضاع و احوال ایران بوده است، اگر نگوئیم که‌فعالیت‌های شاه و امین السلطان و سفیر ایران در لندن، در تعطیل آن مؤثر بوده، بی‌دخالت هم نبوده است...»[۲۱].

در مورد چگونگی به تعطیل کشاندن نشریه توسط دولت انگلیس، «سید حسن تقی‌زاده» که خود آشنائی با نیرنگ‌های سیاسی داشت، چنین می‌نویسد:

«... مشارالیه از بصره پس از چندی اقامت برای بهبود حالش که علیل‌المزاج شده بود به لندن رفت و در ماه رجب سنهٔ ۱۳۰۹ یک روزنامهٔ عربی و انگلیسی موسوم به «ضیاء الخافقین» در لندن بنا کرد و در هر شماره از این روزنامه وی یک مقاله می‌نوشت در خصوص اوضاع ممالک اسلامی.

مقاله شماره اول راجع به خرابی اوضاع ایران بود و در شماره ۲ مورخ غرّه شعبان، صورت مکتوبی راکه خود سید خطاب به همه علمای بزرگ ایران، با اسم آنها نوشته و آنها را به خلع «ناصرالدین شاه» تحریک کرده بود، نشر کرد.

دولت انگلیس به وسائل عجیبی برای تعطیل این جریده متوسل شد وبالاخره وزارت خارجه انگلیس، به آن مطبعه که حروفات عربی داشت و آن جریده را چاپ می‌کرد (در یک قصبه‌ای در حوالی لندن) گفت که اگر روزنامه «ضیاءالخافقین» مداوت کند، دولت انگلیس سفارش‌های خود راکه مبلغ کلی در سال می‌شد، از آن مطبعه قطع خواهد کرد و به چاپخانه دیگر خواهد داد. با این تهدید روزنامه خوابید...»[۲۲].

... البته علاوه بر تعطیل نشریه، سلطان عثمانی هم به درخواست ناصرالدین شاه، با نیرنگ‌های دیگری سید جمال‌الدین را از لندن به اسلامبول دعوت نمود و با یادآوری ضرورت حضور سید در اسلامبول، برای ایجاد وحدت بین مسلمانان، او را به این «قفس زرین» کشید... که به چگونگی آن در مقاله‌ای دیگر، همراه اسناد باید پرداخت.

... و اینک برای آگاهی نسل معاصر از محتوای مقالات «ضیأ الخافقین» که خشم استعمارگران و شاه ایران را برافروخت و سرانجام به تعطیلی آن اقدام نمودند، متن کامل شماره‌های پنجگانهٔ آن را که چند سال پیش از تنها نسخهٔ موجود در کتابخانه «بریتش موزیوم» لندن کپی‌برداری کرده‌ایم، یکجا منتشر می‌سازیم.

***

یادآوری این نکته در پایان مقدمه ضروری است:

ناشر مجلهٔ «ضیأالخافقین» خود سیدجمال‌الدین نبود و همهٔ مقالات مندرج در آن هم به‌قلم خود سید نیست، بلکه این نشریه در واقع تریبونی آزاد برای نشر اندیشه‌های مختلف بود و روی همین اصل، ناشران آن، حتی مقالاتی را از دیگر جرائد ــ مانند روزنامه «المقطم» مصر ــ نقل می‌کردند و مقالاتی را به زبان اردو در آن منتشر می‌ساختند تا بتوانند گروههای بیشتری را به خواندن آن جذب کنند...

به‌هرحال بعضی از مقالات سید با نام و امضای مشخص او است و بعضی دیگر با امضای مستعار ــ مثلاً: السید و یا: کهف و قسط ــ منتشر شده است. و در مجموع با توجه به محتوای مقالات، به‌هنگام مطالعه، بخوبی می توان دریافت که کدام مقاله از سیدجمال‌الدین حسینی است و کدام یک از دیگر نویسندگان...

والله ولی التوفیق

تهران: سیدهادی خسروشاهی

یادداشتها

۱. «سیدجمال‌الدین اسدآبادی و بیداری مشرق زمین» از استاد مرحوم، سیدمحمد محیط طباطبایی، چاپ تهران، ۱۳۷۰، صفحه ۶۳ تا ۶۶.

این کتاب با مقدمه و کوشش اینجانب بارها در قم و تهران چاپ شده است. چاپ اول آن در تهران، شامل سی مقاله از استاد محیط است که در طول نیم قرن آنها را به‌رشتهٔ تحریر درآورده است و کتاب می‌تواند یکی از منابع اصیل در رابطه با سید باشد... (چاپ‌های قبلی، فقط شامل ۱۴ مقاله بود و آخرین چاپ، در واقع جامع‌ترین آنها است و بیاری حق، بزودی با اضافاتی، مجدداً منتشر خواهد شد).

۲. همان مدرک، صفحه ۱۲۸ و ۱۲۹.

۳. روزنامهٔ اعتمادالسلطنة، صفحه ۳۷ و ۱۴۷.

۴ تا ۱۶. مجلهٔ «خواندنیها» چاپ تهران، سال ۲۴، شماره ۹۷، صفحهٔ ۲۰ و سال ۲۵، شمارهٔ ۵، صفحهٔ ۲۳ـ۲۵ و سال ۲۵ شمارهٔ ۶ صفحهٔ ۲۱ تا ۲۳.

ترجمهٔ این اسناد و گزارشهای وزارت خارجهٔ انگلیس را مرحوم «علی مشیری» به‌عهده داشته و در سالیانی پیش در مجلهٔ «خواندنیها» چاپ و منتشر شده است.

خوشبختانه مجموعهٔ کامل و متن اصلی گزارشها و اسناد وزارت امور خارجهٔ انگلیس، همراه ترجمهٔ گزیده‌ای از این اسناد، به کوشش اینجانب اخیراً در ضمن مجموعه آثار مربوط به سیدجمال‌الدین، از سوی نشر «شروق» در تهران منتشر شده است.

علاقمندان به تاریخ معاصر ایران حتماً این مجموعه را مطالعه نمایند.

۱۷. کتاب: «انقلاب ایران»، تألیف: ادوارد براون، ترجمهٔ فارسی، چاپ تهران، صفحهٔ ۲۳.

۱۸. نشریه ماهانهٔ «ضیاٴالخافقین» برخلاف نظریهٔ نویسندهٔ مطلب فوق، نه بعد از دو شمارهٔ بلکه پس از انتشار پنج شماره توسط مقامات انگلیسی تعطیل گردید و خوشبختانه نگارنده ــ پس از کاوشی مستمر و علیرغم

اینکه در هیچ‌یک از کتابخانه‌های لندن نسخه‌ای از آن نیافتم ــ سرانجام هر پنج شماره را چند سال پیش در کتابخانه «بریتیش موزیوم» بخش مخطوطات!، پیدا کردم و فتوکپی آنها را تهیه نمودم که بیاری خدا جزء مجموعه آثار سید ــ الاعمال الکامله ــ اخیراً از سوی نشر «شروق» تهران ــ مانند دورهٔ کامل نشریه «العروةالوثق» چاپ پاریس ــ منتشر شده است.

۱۹. «سیدجمال‌الدین حسینی، پایه‌گذار نهضتهای اسلامی»، چاپ تهران، شرکت انتشار ۱۳۴۸، صفحهٔ ۲۴۳. البته مؤلف در کتاب خود از ترجمه‌های آقای مشیری در مجلهٔ «خواندنیها» استفاده کرده است و ما، همان‌طور که اشاره شد، مجموعهٔ کامل متن اصلی اسناد و ترجمهٔ گزیدهٔ آنها را به‌طور مستقل در اختیار علاقمندان قرار داده‌ایم.

۲۰. «سیدجمال‌الدین اسدآبادی، رهبر نهضت آزادیخواهی ایران». به‌قلم: سیدحسن تقی‌زاده، چاپ دوم قم، ۱۳۵۰، صفحهٔ ۲۷ـ۲۸.

این اثر یکی از قدیمی‌ترین مقالات تحقیق درباره سید است که نخست در مجله «کاوه» چاپ آلمان، منتشر شده و سپس با مقدمه و توضیحاتی از اینجانب، به‌طور مستقل در تبریز، از سوی نشر سروش و سپس قم توسط انتشارات شفق به‌چاپ رسیده است.

البته امیدواریم که این رساله تحقیق، همراه دو کتاب تألیفِ: لطف‌الله اسدآبادی ــ خواهرزاده سید ــ و صفات‌الله جمالی اسدآبادی ــ فرزند میرزا لطف‌الله ــ در ضمن مجموعه آثار مربوط به سید، منتشر گردد.



ضياء الخافقين

و

استمرار النضال

سيد هادي خسروشاهي

ضياء الخافقين

و

استمرار النضال

... بعد اعتقال السيد جمال‌الدين الأسدآبادي والتطاول عليه ثم نفيه من ايران، بدأ نظام ناصرالدين شاه بنشر الأكاذيب والتهم الوقيحة... إلا ان ذلك لم يفل في عضد السيد عن مواصلة النضال، فبعد ان عرف طبيعة نظام الشاه قام بفضح النظام الاستبدادي الحاكم في ايران، حيث اتصل بكبار العلماء في «البصرة» وطلب منهم مواصلة النضال حتىٰ اسقاط ناصرالدين شاه.

ومن الطبيعي ان يصل التقرير الكامل عن نشاطات السيد في البصرة الىٰ ايران، فأراد ناصرالدين شاه ان ينتقم منه اذ بعث خطاباً الىٰ الباب العالى يقول فيه: بما ان السيد من رعايا ايران ومن اهالي اسدآباد همدان، لذلك يجب ان يعاد الىٰ ايران!

بعد فترة قصيرة تلق «هدايت باشا» متصرف (محافظ) البصرة برقيةً من الاستانة تتضمن اسئلة عن اصل ونسب ومحل ولادة السيد جمال الدين... .

فطلبت «هدايت باشا» من «عبدالحميدالرافعي‌الطرابلسي» قاضي البصرة حينذاك ان يقوم بدون علم السيد بالتحقيق في هذا المجال! ولكن يبدوا ان السيد كان قد انتبه الىٰ حقيقة الأمر اذ قال له: اني كنت عضواً في المجلس الأعلىٰ للمعارف في اسلامبول في عهد حكومة «صفوت باشا» وقد ثبت في سجلات المجلس بأني

«افغاني»! ... ارسل هدايت باشا تقريراً عن التحقيق الىٰ اسلامبول... في هذا الوقت، طلب السيد الذي كان قد استراح من التعب والمشقة اللذان لاقاهما في مقام عبدالعظيم ومعاناة السفر في طريق طهران ـ قم ثم بغداد ـ البصرة، طلب من «المتصرف» الأذن بالسفر الى شبهالجزيرة العربية، لكنه اذ لم يفلح في استحصال الأذن، استشف الخطر المحدق وطلب الأذن بالسفر الىٰ اوربا حيث تمت الموافقة علىٰ طلبة هذه المرة، فلم يتأخر السيد في الخروج من البصرة متجهاً نحو اروبا... لكن لم يمض وقت طويل اذ وصلت الأوامر برقياً من اسلامبول الىٰ المتصرف وكانت تقضي بمنع السيد من الرحيل واعادته الىٰ بغداد الا ان السيد كان حينها في الباخرة آمناً وبعيداً عن متناول ايدي السلطات العثمانية! وكانت تلك بداية النضال بلا هوادة ضد النضام الاستبدادي لشاه ايران... .

... ذهب السيد مباشرةً الىٰ لندن وما ان وصلها حتى قام بكتابة المقالات والقاء المحاضرات واصدار المنشورات ضد ناصرالدين شاه حيث وجه خطاباً الىٰ الملكة فيكتوريا حذرها فيه من مغبة التحيز لصالح سياسة ناصرالدين شاه الإستبدادية. ويبدو ان السيد التق لدىٰ وصوله لندن سفير ايران المُنّحي في بريطانيا ومساعدة في اصدار صحيفة «قانون» (بالفارسية) بصورة منتظمة.

وقد وردت في صحيفة قانون مقالات كانت صياغتها الفارسية لـ «ملكمخان» الا ان معانيها وافكارها كانت جميعاً بنت فكر السيد جمالالدين. كما كان السيد يطبع خطاباته بالعربية في لندن ويرسلها الىٰ علماء العتبات المقدسة مستخدماً توقيع سيد ـ سيد حسيني او الرمز، وكانت تلك الخطابات ذاتها تدرج ايضاً في مجلة ضياءالخافقين (بالعربية) التي كانت تصدر هناك بفضل جهوده الحثيثة. تمكن السيد في فترة قصيرة من تعكير الجو بين بلاط ناصرالدين شاه والحوزات العلمية في سامراء وكربلاء والنجف الأشرف.

اما قضية التنباك، فقد انتهت، بعد فترة من الصراع. لصالح السيد جمالالدين ووفق ما اراد. اذ ان فتوىٰ المرحوم الميرزا الشيرازي التي كانت بلا شك حصيلة

الديباجات السياسية للسيد، هزمت «الشاه» و «امين السلطان»* في مواجهة علماء الدين في العتبات المقدسة وطهران، كما اثبتت هذه التجربة الفريدة مدىٰ النفوذ المعنوي الذي يتمتع به العلماء وتأثير تدخلهم المباشر في شؤون البلاد. اثارت هذه النقطة اهتمام السيد بالعلماء في نضاله ضد ناصرالدين شاه، اذ اصابت الخطابات التي كتبها السيد للعلماء والتي لايزال سواد بعض منها موجوداً في الوقت الراهن ـ الهدف الذي توخاه، فعبد ان ذكر الادلة الدامغة حث السيد العلماة الكبار الىٰ النهوض بما يمليه واجب حفظ الدين بمقارعة الظلم والخيانة والاجحاف والأسراف.

استمر هذا الوضع حتىٰ بداية الثورة الدستورية، وكان الذين يرفعون لواء مناهضة الجهاز الإستبدادي القاجاري من علماء الدين والفئات الأخرىٰ قد وقعوا تحت تأثير النشاط الأعلامي للسيد بصورة مباشرة او غير مباشرة. اما الاجانب، الذين اصبحوا شركاء الشاه ورئيس الوزارء في هزيمتهم في هذا الصراع السياسي والإقتصادي حيث فقدوا عميلهم امين السلطان بسبب عدم ودعمهم له اثناء الخطر، فقد شنوا حملة دعائية شرسه ضد السيد حيث يذكر المرحوم الميرزا ابوالقاسم الطباطبائي: ان رجلاً غريباً طويل القامة، ابيض الوجه، اشقر الشعر ودرويش المظهر قَدِم في تلك الأيام من الهند الىٰ العراق في لباس السوّاح وحضر في مجالس العلماء وطلاب العلوم الدينية في العتباب المقدسة حيث قام بسرد القصص عن علاقته بالسيد ورحلاتها عبر البحار ناعتاً اياه بانه بلا دين وشارب خمر ولا ابالي في القضايا الدينية! هذه الحملة الدعائية المغرضة ضد السيد جمال الدين في الحوزات العلمية في سامراء والشهادات التي ادلىٰ بها نفر من وعاظ السلاطين الذين اخرجوا السيد من اعتصامه في مقام عبدالعظيم ومزقوا ثيابه أو جردّوه منها، كان لها اثرها النسبي في التموية بكفران السيد...

حين غادر السيد جمال الدين «البصرة» باتجاه لندن، ذكر في اول مقال له في مجلة القرن التاسع عشر، انه قد وصل توّاً من «ايران» وانه علىٰ علم باوضاع ايران

* ـ لقب رئيس الوزراء ابّان العهد القاجاري في ايران.

اكثر من أي شخص آخر، كما اوضح للانجليز بالدليل والبرهان بانهم اخطأوا في معرفة اوضاع ايران عن طريق بعثاتهم السياسية والقنصلية. وقد اثار السيد جمال‌الدين بتعرضه الاعلامي انتباه الانجليز الىٰ ان المتأجرين بالسياسة واصحاب المصالح الخاصة في بريطانيا يحولون دون وصول حقيقة الاوضاع في ايران الىٰ الناس الخيّرين المحبين للانسانية. ويذكر «فرصت» عن لسان جراهام: بان الحاضرين اجهشوا بالبكاء لدي استماعهم لخطاب السيد وحديثه الشجي «الذي ارسل سفير ايران تقريراً مجملاً عنه الىٰ طهران». ان السيد في معظم مقالاته في هذه الفترة لم يستهدف سوى تحطيم ناصرالدين شاه وامين‌السلطان حيث لم يتطرق في مقالاته وخطاباته الىٰ تلك الأفكار السامية حول اتحاد المسلمين والموضوعات الإجتماعية الفلسفية القيّمة. ومن جهتها، فرضت الحكومة الايرانية آنذاك رقابة صارمة للحؤول دون وصول مقالات السيد و «ملكم‌خان» الىٰ ايران حيث كانت تتلق ـ بصورة منتظمة ـ تقريراً سياسياً عن نشاطاتهما السياسية من بعثاتها، وكانت الحكومة الإيرانية تُرغِم الصحف الفارسية الصادرة في طهران واسلامبول بالرد علىٰ شُباب ملكم والسيد. وقد نشرت صحيفة اختر (النجم) في اسلامبول في ١٣٠٩ ه‍. ش ملحقاً تفصيليا في مهاجمة السيد وملكم‌خان مليئاً بالشتائم والتهم الا انها مابرحت بعد سنتين ان انضوت كليةً تحت النفوذ الفكري للسيد وانصاره...[1].

ويذكر الاستاذ محيط الطباطبائي في فصل من كتابه: ان احد علماء اصفهان كان مرافقاً للمرحوم مؤيد الإسلام في كلكته وينقل عنه انه شاهد السيد جمال‌الدين اثناء نفيه من ايران الىٰ العراق آخر مرة في احد موانئ الخليج الفارسي راكباً الباخرة وتحدّث اليه حيث شجعه السيد علىٰ تأسيس صحيفة في الهند لخدمة الحرية عن طريق الكتابة. كما وعده بانه سيذهب الىٰ لندن للكتابة في احدىٰ الصحف.

وعندما اعتصم السيد في مقام عبدالعظيم كان رفاقه يوزعون المنشورات السريّة التي كانت تأخذ على امين‌السلطان الجرائم التي كان يقترفها بحق الشعب الىٰ ان حدثت قضية التنابك بعد نفي السيد فكانت تلك المنشورات تشكل مصدر قلق

وأرق للسلطات الإيرانية.

وحينما اعتقل عدد من انصار السيد في طهران ومن بينهم الميرزا رضا الكرماني دلال السوق واحدِ مريدي السيد جمال‌الدين مع الحاج سيّاح مضيّف السيد في اصفهان وعدد آخر من رفاق السيد مع المرحوم الميرزا يوسف‌خان التبريزي (مستشارالدولة) صاحب رسالة يك كلمة (كلمة واحدة) بدت اهمية اصدار الصحف والمقالات السياسية لأولىٰ الأمر في حكومة ناصرالدين شاه الإستبدادية.

ولم يتمكن السيد بعد نفيه من المكوث طويلاً في بغداد فغادرها الىٰ البصرة حيث كان يذهب الىٰ سامراء بمساعدة السيد علىٰ اكبر فال السيري المنتسب من قِبَل الميرزا الشيرازي والذي كان قوام الملك قد نفاه الىٰ شيراز، هناك قام السيد بالتمهيد لاستصدار فتوىٰ تحريم الدخانيات. وما ان تمكن، بدعم مادي من هدايت باشا الطرابلسي ومساعدة بعض الشيوخ العرب في البصرة المدعو «طالب نقيب»، من الوصول الىٰ لندن حتىٰ التقىٰ بملكم الذي كان قد أسّس حديثا صحيفة قانون المناوئة لأمين‌السلطان. كان ملكم يستفيد من معلومات وارشادات السيدت من فضح النظام الاستبدادي الظالم الجاثم علىٰ صدر ايران، بينما كان السيد يحرض رجال الدين والسياسة الشيعة في العراق وايران ضد امين‌السلطان وذلك باصدار مجلة «ضياء الخافقين» بالعربية والقاء المحاضرات ونشر المقالات في الصحف البريطانية. في هذا الوقت بالذات كانت قضية ايران تستأثر باهتمام الصحف الأجنبية خاصة في بريطانيا. وتزامناً مع ذلك نُشرت مقالة السيد جمال‌الدين المعروفة في صحيفة القرن التاسع عشر البريطانية حيث شرح فيها باسهاب اوضاع ايران الداخلية محرضاً الرأى العام ضد اجهزة الحكم في ايران.

وبينما كان «درومond ولف ـ سفير بريطانيا في طهران ـ الذي وضع امين‌السلطان في دائرة المصالح البريطانية مبعداً اياه عن التبعية لجهاز الدولة القيصرية ـ غير راضٍ أبداً عَن حضور السيد في لندن واستخدامه للصحف والمجامع

الحرة لمناوئة حكومة ايران، كان نشر الخطابات العربية الموجهة الىٰ علماء الشيعة الكبار المقيمين في العراق وايران وانتقادها لتصرفات الشاه ووزيره قد اثار حفظية امين‌السلطان فاخذ بالتحرك...[٢]

ردود الفعل تجاه صدور ضياء الخافقين

الحقيقة ان السيد بعد ان خرج من العراق واقام في لندن، بادر بالقاء المحاضرات في لندن والتق ببعض رؤساء تحرير الصحف البريطانية، ثم اشترك في مجلة «ضياء الخافقين» التي كانت تصدر في نسختين باللغتين الانجليزية والعربية وتنشر مقال واحد علىٰ الاقل حول مفاسد الحكم وخراب اوضاع ايران بتوقيع «السيد» او «السيد الحسيني» وقد صدر اول عدد من هذه المجلة في شباط ١٨٩٢ ـ قبل مائة عام ـ حيث نشر السيد الخطاب كان قد ارسله من البصرة الىٰ الميرزا الشيرازي ـ في العدد الثاني بينما ادرج الرسالة الثانية في العدد الثالث. كانت خطابات السيد الىٰ «الميرزا الشيرازي» والعلماء المعروفين الآخرين، التي اخذت طريقها الىٰ النشر، تطبع بصورة خطابات مستقلة وترسل الىٰ شخصيات طهران ورموز سائر المدن الايرانية وبعض الدول.

بُعيد نشر رسالة الميرزا الشيرازي، بعث سفير بريطانيا في طهران التقرير التالي الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريطاني.

الرسالة رقم ١٤ بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٨٩٢

من «فرانك راسل» سفير بريطانيا في طهران الىٰ «الماركيز اف ساليسبوري» وزير الشؤون الخارجية البريطاني.

معالى الوزير

يسعدني ان ارفق لكم طياً الخطاب العجيب جداً المرسل الىٰ الحاج الميرزا حسن الشيرازي رئيس وممثل الطائفة الشيعية في سامراء وقام حسنعلي‌خان‌نواب بترجمته الىٰ الانجليزية.

يبدو ان هذا الخطاب قد كتب في الشهر المنصرم بعد نفي جمال‌الدين من ايران

وقد وصلت في الآونة الأخيرة نسخ منه من لندن حيث يـقيم الشـيخ الآن ـ الىٰ طهران وتم توزيعها علىٰ بعض الأشخاص.

وقد نوّه امين‌السلطان في عدة مناسبات بالإجراءات والنشاطات التي يقوم بها جمال‌الدين واشار مراراً الىٰ موضوع الحركات السياسية الأخيرة في ايران، اذ يعتقد المومأ اليه ان هذه الإستفزازات تتم بمساعدة واموال روسيا واغلب الظن ان البرقية التي ارسلها الحاج الميرزا حسن الشيرازي الىٰ الشاه والتي طلب فيها مـن الشاه انقاذ البلاد من هيمنة الأجانب كانت نتيجة تحريض جمال‌الدين الذي اثار في خطابه العواطف الدينية للمجتهد المذكور.

ان امين‌السلطان يقول: مع ان نفي جمال‌الدين من ايران كان بسبب عدائـه لبريطانيا، لا ادري كيف يُسمح له بالإقامة فيها والعيش هناك بطمأنينة لكي يواصل هجماته المناوئه لايران.

وقد شرحت لامين‌السلطان انه يكاد يكون من غير الممكن ان تقوم حكومة بريطانيا باتخاذ اجراء ماضد شخص يقيم فيها الا بموجب القانون. ويجب ان اقول اني لم افلح في اقناعه لانه يعتقد لو كانت الحكومة البريطانيا تمتلك نوايـا حسـنة وطيبة تجاه ايران يمكنها طبعا ان تتخذ اجراءات لمنع اعداء ايران من اتخاذ لنـدن قاعدة للهجوم ضد الحكومة الايرانية.

وقد وعدت امين‌السلطان بتقديم خـطاب جمـال‌الديـن المـوجّه للـمجتهد المعروف الىٰ سعادتكم. ان النص الأصلي للخطاب بالعربية وقد تُرجم الىٰ الفارسية ثم الىٰ الأنجليزية.

قرأت في احدىٰ الصحف نبأ استقبال جمال‌الدين في النادي الوطني الليبرالي في لندن حيث القي المومأ اليه محاضرة تحت عنوان «الازمة الراهنة في ايران»، بيد ان السيد في محاضرته استخدم عقله اذ لم يمس بريطانيا وسياستها الخارجية بسوء في حين انه حمل بشده، في خطابه الموجه للحاج الميرزا حسن الشيرازى، علىٰ السياسة البريطانية.

طبعا اني علىٰ يقين انكم علىٰ علم بالشيخ جمال‌الدين وذلك الخطاب عندما كان لي شرف التمثيل الرسمي لحكومة بريطانيا في القاهرة خلال العامين ١٨٧٨ و ١٨٧٩ بعثت الىٰ معاليكم شرحا حول السيد مبيّناً انه قد يتلقىٰ اموالاً من روسياً ليقوم بنشاطات مناوئه لبريطانيا، كما ان السيد كندى قدم تقريراً، عما يقوم به السيد، الىٰ معاليكم في الخطاب رقم ١١ بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٨٩١ شارحاً تفاصيل نفيه الىٰ خارج ايران.

تقبلوا فائق الاحترام ـ فرانك راسل(٤)

رسالة السيد تثير حنق الشاه

لم ينزعج الشاه كثيراً من الخطاب الذي وجهه السيد للميرزا الشيرازي والتي كان هاجم فيها شخص ناصرالدين شاه ووصلت ترجمته الىٰ الشاه عن طريق اعتمادالسلطنة، ولكن خطاب السيد الموجّه الىٰ علماء ايران اثار حنقه بشده.

عندما قرأ الشاه الخطاب عاتب الحكومة البريطانية وحمّلها القصور في الأمر طالباً من سفيره في لندن وسفير بريطانيا في طهران وضع حد لنشاطات السيد ومعاقبته اذ بعث بخطابين الىٰ امين‌السلطان، ترجمتها كالآتي:

«حضرة امين‌السلطان ـ اننا ابلغنا مراراً احتجاجنا كتباً وشفاهاً سواء بواسطة سفيرنا في لندن او سفير بريطانيا في طهران ضد الأباطيل والمقالات المغرضة لميرزا ملكم وطلبنا طرد المومأ اليه من لندن ومن كانة البلدان التابعة للامبراطورية البريطانية، او ان يأخذوا منه التزاماً بالكف عن هذه التصرفات الاستفزازية وامتهان عرش السلطان ولكن لم نصل الىٰ اية نتيجة، ثم قمنا بنفي الشيخ جمال‌الدين وهو واحد من اسوء الخلق علىٰ وجه البسيطة وكان يقوم بالإخلال وتعكير الاجواء، حيث ذهب الىٰ لندن والتحق بملكم‌خان وبدأ استفزازاته بواسطة اصدار صحيفة بالعربية ووزّع اعداداً منه في القفقاز وايران.

وها قد ارسل اخيراً نسخاً من العدد الأخير الذي صدر بالعربية ليوزّع بين الناس في ايران واليكم نسخة منه لمتابعة الأمر. انه هذه المرة بدأ بالاستفزازات

السافرة مشجعاً وداعياً العلماة والناس في ايران للقيام بالشغب والإخلال حتىٰ انه هاجمنا نحن شخصياً.

وهكذا كشف عن نفسه كجاني وطبقاً لقانون اى بلد فان شخصا كهذا يسئ الىٰ العرش مباشرةً ويخون السلطان علنا محكوم بالإعدام وجزاءه الموت الزوّام او علىٰ الأقل يجب ان يحكم عليه بالسجن المؤبد في احدىٰ المناطق النـائية. يجب ان تطلبوا من سفير بريطانيا الحضور وتبلّغوه رسمياً بآراءنا وان تعطوه كتابنا هذا ليقرأه وتسلموه نسخةً منه بالإضافة الىٰ الترجمة العربية لرسالة جمال‌الدين ليبعثها جميعاً الىٰ وزراء بريطانيا بل يرسلها الىٰ نواب البرلمان ايضاً. فاذا ظهر لهم ان الحق معنا عليهم ان يحكموا عليه بالسجن المؤبد والا كـيف يمكـننا ان نـصدق ان الحكـومة بريطانيا تدافع عن عرشنا ووجود شخصنا في حين ان شخصاً مفسدا واحمقا كهذا يمرح ويسرح في بريطانيا ويقوم بنشر امور كهذه»[٥].

ارسل سفير بريطانيا خطاب الشاه (التي ارسلت بتاريخ ٢٨ ابريل ١٨٩٢ الىٰ سفارة بريطانيا) مرفق بخطاب سرّى الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريطاني.

«الخطاب السري رقم ٨٢ بتاريخ ١١ مايو ١٨٩٢

من السير لاسل سفير بريطانيا في طـهران الىٰ المـاركيز آف سـاليسبوري اشارةً الىٰ كتابكم رقم ١٤ المؤرخ ١٩ كانون الثاني نرسل لكـم طـياً نسـخةً مـن خطاب شاه ايران الموجّه الىٰ امين‌السلطان، هذا ونعلمكم بأن السيد جمال‌الديـن ارسل خطاباً الىٰ علماء ايران حمل فيه بشده علىٰ الشاه. كما نـرسل لكـم تـرجمـة خطاب جمال‌الدين الذي أثار حنق واحتجاج الشاه اذ ان الشاه يعتقد ان كاتب هذا الخطاب يستحق الموت او السجن المؤبد كحد ادنى.

اني اخبرت امين‌السلطان بارسال هذه الخطابات الىٰ معاليكم لتطلعون عليها ولكن في نفس الوقت نوهّت بانه سيكون من المستحيل لحكـومة الامـبراطـورية البريطانية ان تتخذ اي اجراء ضد شخص يقيم في لندن الا بموجب القانون.

مع احتراماتى ـ السير ـ ف ـ لاسل

حينما وصلت نسخ من خطاب السيد الموجه الىٰ «بعض علماء ايران» بواسطة احد انصاره الىٰ سفارة ايران في روسيا، توسّل «ميرزا محمودخان عـلاء المـلك» سفير ايران في روسيا الىٰ «موريز» سفير بريطانيا لعله يقف بوجه اجراءات السيد حيث ارسل السفير البريطاني كتاباً سرياً يحمل رقم ٨٧ بتاريخ ٢٧ ابريل ١٨٩٢ من «سان بطرزبورغ» الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريـطاني. وكـان مـضمون هـذا الكتاب مشابهاً تقريبا لخطاب «سرلاسل» المذكور اعلاه مع اختلاف طفيف.

بعد كتابة الخطاب الأوّل الىٰ امين‌السلطان قام الشاه في نفس اليوم بكـتابة خطاب آخر وذلك من شدّة غيظه واستياءه:

ان ماكتبه هذا اللعين الشيخ جمال‌الدين ما هو في الحقيقة ـ من الألف الىٰ الياء ـ سوى شتم واستفزاز واخلال ضد العرش، بهذا الدليـل الواضـح اذا لم يـزجـوا بشخص كهذا في السجن علىٰ الأقل فأني صداقه يمكن ان تدعيّها بريطانيا تجاهنا، كيف يمكنني ان اصدق مايبدونه من صداقه ينبغي عليكم ان تطلبوا اليوم من سفير بريطانيا ان يأتي لقاءكم، واقراءوا له هذا المكتوب وسلموه نسخة منه مع الخطاب المكتوب بالعربية، فبهذا الدليل الدامغ الذي يرونه امامهم حيث امتهن جمال‌الدين عرش السلطان يجب ان يحكموا عليه بالسجن المؤبد بدون تأخير وبعكسه يجب ان نيأس كليةً من صداقة بريطانياً[٧].

ارسل امين‌السلطان هذا المكتوب مرفقاً بكتابه التالي مـع خـطاب السـيد الموجه الىٰ العلماء المعروفين ـ الىٰ «حسنعلي‌خان‌نواب»:

«ها قد جاء يوم الخميس ومع ان الظهر انقضى لم يصل بعد اى خبر لا ادري ما العمل اني حقا اصبت بالذهول، جلالة الشاه كتب مكـتوباً وارسـله لى مـرفقاً بخطاب جمال‌الدين الأخير الموجه الىٰ العلماء، لقد ارسـلت لكـم مكـتوب الشـاه الخطاب المذكور لكي تترجمونهما للسيد السفير ومتىٰ ما اراد السفير ارسال خطاب السيد جمال‌الدين ونسخة من المكتوب الىٰ لندن لا مانع في ذلك لا ادري كيف يفكر السفير حول هذا الموضوع طبعا سيد جمال‌الدين لم يهاجمني انا شخصياً ولكن جميع

ماورد في خطابه الأخير مناوئ لجلالة الشاه.

امين‌السلطان»[٨]

قام سفير بريطانيا، بعد وصول خطاب امين‌السلطان ومكتوب الشاه، مرة اخرىٰ بارسال خطاب سرى آخر في نفس اليوم الشؤون الخارجية البريطاني:

«الخطاب السري للسير راسل برقم ٨٣ بتاريخ ١١ مايو ١٨٩٢ الىٰ الماركيز اوف ساليسبوري وزير الشؤون الخارجة في بريطانيا.

سعادة الوزير

الحاقاً بخطابي السابق المؤرخ في نفس هذا اليوم ابعث اليكم بكل اعتزاز المذكرة التي كتبها امين‌السلطان الىٰ حسنعلي مرفقةً بمكتوب آخر من الشاه حول جمال‌الدين، طبعاً لاغرو في ان الشاه قد استشاط غضباً من الإتهامات التي نسبها اليه السيد جمال‌الدين وانه يخشىٰ النتائج الوخيمة التي ستحدثها خطابات السيد في ايران. ان جل حنق الشاه هي ان السيد جمال‌الدين كشف حقائق حول الأوضاع الراهنة في دولة ايران لا تبقٰ ادنىٰ شك الا ان قدراً مما قاله السيد يبدو مبالغاً فيه.

التوقيع السير لاسل»[٩]

عندما لم يحصل ناصرالدين شاه من خطاباته الىٰ امين‌السلطان علىٰ ادنىٰ نتيجة، ازداد غضباً فارسل له من جديد الخطاب التالي:

«حضرة امين‌السلطان انه لمن دواعي العجب ان سفير بريطانيا لم يقدم جواباً بعد. اذا كان قد بعث اليكم بشيء ما اعلموني بذلك واذا لم يفعل سلموه هذا المكتوب وطالبوه بالجواب.

لاشك في ان هذا الشخص الشرير والمزوّر يجب ان يعاقب بموجب القانون اذ ما معنىٰ ان يجلس في لندن وان ينشر هذه الأباطيل علنا ضدنا وضد العرش في كافة انحاء العالم كما يحرض الناس في المجلة التي يصدرها علىٰ الإخلال والشغب، اننا لا يمكن ان نقبل ابداً ان تكون حكومة بريطانيا صديقةً لنا او مدافعةً عن عرشنا مع انهم لايريدون ان يفعلوا شيئاً يسمحون لهذا الشخص بأن يكتب كل هذه الأباطيل

ثم يزعمون ان بريطانيا بلدٌ حر»[١٠]

بعث امين‌السلطان خطاباً الىٰ حسنعلي‌خان‌نواب معقباً علىٰ مكتوب الشاه:

«بعد العنوان ـ ارجو ان تكونوا بصحة جيدة. استسلمت في مدينة قم مذكرتكم حول المواضيع المدرجة في الخطاب رقم ٩٩ للاسل، حول القضايا المتعلقة بالجمارك اصدرت الأوامر اللازمة الىٰ السيد امين المُلك وهو سيسوىّ الأمور كما استلمت خطاب وجواب سعادة السيد السفير حول جمال‌الدين الا ان صاحب الجلالة. بانتظار وصول جواب من جانب حكومة بريطانيا والأفضل ان تعدّوا وتبعثوا جواباً بأى طريقة ممكنة لكي يتسنى لى تقديمه اليه.

اني اعتقد ان الجواب يمكن ان يكون بهذا المضمون وعلى النحو التالي:

«ان السلطات البريطانية ستتخذ ما بوسعها من اجراءات في هذا المجال».

ومع ان ما يقوله الأنجليز يبدو صحيحاً الا اننا يجب ان لا نخيّب امل هذا الرجل ـ ناصرالدين شاه ـ بهذه الطريقة، السبيل الأمثل هو ان يكون علىٰ امل مساعدة الأنجليز وسوف احاول فتح حساب لمطالبات شركة التنباك برصيد الشركة وتحصيل اموال الريجي علىٰ النحور المنشود...

امين‌السلطان[١١]

بادر سفير بريطانيا بارسال خطاب امين‌السلطان مرفقاً بالخطاب التالي الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريطاني:

«الخطاب رقم ٩٩ بتاريخ الأوّل من حزيران ١٨٩٢ من السير لاسل الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريطاني.

يشرفني ان ارسل لكم طياً ترجمة للخطاب الخاص لأمين‌السلطان الموجّه الىٰ حسنعلي‌خان‌نواب.

معالي الوزير الجزء الأول من هذا الخطاب حول شكاوي حكومة ايران من مأموري الجمارك واعتقد انه لاتوجد ضرورة لكي اثقل علىٰ معاليكم في هذا المجال فقط اعلمكم بالموضع الذي طلبت من نواب ان ينقله الىٰ امين‌السلطان. حضرة

امين‌السلطان يقول ان الشاه يحاول من جديد استحصال جواب من الحكومة البريطانية حول شكواه من جمال‌الدين انهم مازالوا يأملون عسىٰ ان تقدم شركة التبغ والتنباك مساعدات لحكومة الايرانية كما صرح امين‌السلطان في آخر خطابه ان الشاه ابدي امتعاضه الشديد من الحاكم الجديد لشيراز بسبب اعتقال وتوبيخ قوام الملك بدون اذن صاحب الجلالة. سأحاول في الخطاب القادم ارسال تقريراً شامل حول الموضوع.

طلبت من حسنعلي‌خان‌نواب ان يشكر نيابةً عني امين‌السلطان علىٰ المعلومات التي وضعها تحت تصرفنا وان يقول له انى اخبرت معاليكم موضوع جمال‌الدين ولكني يجب ان انوّه ان الحكومة الامبراطورية ينبغي ان لا تسلك سبيلاً آخر في مجال حفظ وصيانة اموال وممتلكات شركة التنباك سوىٰ الرجوع الىٰ السلطات القضائية.

التوقيع لاسل»[١٢]

ارسل وزير الشؤون الخارجية البريطاني، بناءاً علىٰ الخطابين رقم ٨٢ و ٣٨ لسفيره في طهران، البرقية التالية:

«اشارةً الىٰ الخطابين رقم ٨٢ و ٨٣ عليكم الاتصال بامين‌السلطان مع الأخذ بعين الاعتبار مفاد البرقية ٤٩ التي ارسلتها في سبتمبر الماضي.»[١٣]

ارسل سفير بريطانيا، بعد وصول البرقية اعلاه، هذا الخطاب الىٰ امين‌السلطان:

(بعد التحيات) لقد كتب شرحاً مُسهباً لوزير الشؤون الخارجية البريطاني وابلغته تفصيليا بمطالب صاحب الجلالة شاه ايران القاضية بمنع مقالات جمال‌الدين من الصدور وقد تلقيت الآن من وزير الشؤون الخارجية أمراً برقيا باحاطتكم علماً بان الحكومة البريطانية مستعدة لتقديم آراءها حول مقاضاة الصحف في المحاكم الرسمية البريطانية الىٰ سفير ايران في لندن.

لكني اود ان اعلمكم بانه طبقاً للسوابق الموجودة حتىٰ اذا قُدّمت ادلة دامغة

ومقبولة فإن محكمة النقض والابرام لن تسمح ابداً ان تقوم احدى القوىٰ الأجنبية بخطوةً ضد الصحف البريطانية. ان دفاع هيئة المحلفين والرأى العام والمشاعر العامة قوّىٰ لدرجة انه نادراً ما يبدي القضاء رأيهم لصالح المدّعي.

التوقيع لاسل»[14]

بعد ان بعث الخطاب المذكور، ارسل «لاسل في ٩ حزيران الخطاب السري التالي الىٰ وزير الشؤون الخارجية البريطاني:

«قلهك ٩ حزيران ١٨٩٢ الخطاب السري رقم ١٠٤

«معالى الوزير يشرفني اذ ارسل لكم نسخةً من المذكرة التي قمت بكتابتها لامين‌السلطان وذلك امتثالاً لامركم الذي كنتم قد اصدرتموه في البرقية رقم ٣٤.

اني نوّهت لامين‌السلطان بان امبراطورية بريطانية اعربت عن استعدادها لابداء رأيها لسفير ايران في لندن حول المواضيع المناوئة للحكومة التي قام جمال‌الدين بنشرها في لندن. اقدم لكم طياً نسخة من الخطاب الموجه الىٰ امين‌السلطان.

لاسل»[15]

اثر كل هذه المكاتبات والمباحثات، يظهر من فحوىٰ خطاب ٦ حزيران للسفير البريطاني ان وزارة الشؤون الخارجية في بريطانيا كانت بحاجة الىٰ مستند لمنع نشاطات السيد، لذلك قدم «الميرزا محمدعلي‌خان» سفير ايران في لندن مستندات الىٰ وزارة الشؤون الخارجية في بريطانيا، لكي يكف السيد عن القيام بنشاطات مناوئه لناصرالدين شاه. ويظهر هذا الأمر جليّاً في الخطاب التالي لسفير ايران:

«الخطاب المؤرخ ٢٢ حزيران ١٨٩٢ من الميرَزا محمد علي‌خان سفير ايران الىٰ الماركيز اوف ساليسبوري.

معالى الوزير يشرفني ان ابعث اليكم بالوثائق التي بحثنا بشأنها بالامس ارجو من معاليكم ان تتخذوا الترتيبات اللازمة باقصى سرعة لكي اتمكن من

اراحة بال صاحب الجلالة من جميع الجهات.

مع فائق الاحترام ـ محمدعلي»[١٦]

على اثر اصرار ناصرالدين شاه على منع نشر مقالات السيد في ضياء الخافقين والقاء المحاضرات في لندن التي كانت وجهت ضربة لمكانة الشاه، سارع سفير ايران الىٰ لقاءه طالباً منه المساعدة.

يتحدّث «ادوارد براون» في كتابه عن هذا الموضوع فيقول:

«كان السيد في مقالاته حول ايران لايتواني عن سب الشاه وحكومته الىٰ الحدّ الذي سارع فيه سفير الحكومة الايرانية في لندن الىٰ لقاءه محاولاً تهدئته عارضاً عليه مبلغا كبيراً من المال إن هو كف عن الكتابة والمحاضرة حول هذا الموضوع. لكن السيد اجاب بالنفي وقال لا، لن ارضى الا اذا قتل الشاه وبقرت بطنه ودفنت جثته في القبر. هذا الكلام الذي ادلى به يجعلنا نعتقد ان قاتل الشاه كان من اتباع السيد...»[١٧]

ان قلق وحساسية نظام ناصرالدين شاه اذاء استمرار نضال السيد جمال‌الدين الأسدآبادي في لندن يبدو واضحاً جلياً من خلال التشبثات الحقيرة والدنيئة لقمع الحركة وتوقيف مجلة ضياء الخافقين التي كان لها دور رئيسي في فضح النظام الاستبدادي القاجاري... اما الحكومة البريطانية كانت تبحث في الظاهر عن «مستند»! حفظاً لمصالحها واخيراً قامت بتوقيف المجلة بطريقة غير اخلاقية. يقول السيد صدر واثق: «... يبدو ان طلوع وغروب هذه المجلة قد؟ تم في مدىٰ قصير، فحسب المعلومات المتوفره لدنيا، بعد صدور عددين ليس لدينا علم بالاعداد التالية الأخرىٰ[١٨]. وطبعاً كانت مقالات هذه الصحيفة حول اوضاع وقضايا ايران، واذا لم نقل بان نشاطات الشاه وامين‌السلطان وسفير ايران في لندن كانت ذات تأثير في اغلاقها فانها كانت ذات دخل في ذلك...[١٩].

حول كيفية اغلاق الصحيفة بواسطة الحكومة البريطانية، يتحدث «السيد حسن تقي‌زاده» الذي كان على علم بالألاعيب السياسية فيقول:

«... سافر الموماُ اليه، بعد فترة قضاها في البصرة، الىٰ لندن لعلاج من الوعكه التي المّت به وفي شهر رجب عام ١٣٠٩ اسس صحيفةً بالعربية والأنجليزية تدعى «ضياء الخافقين» في لندن وكان يكتب في كل عدد منها مقالة حول اوضاع البلدان الاسلامية.

كانت مقالة العدد الأول حول خراب الأوضاع في ايران وفي العدد الثاني المؤرخ غرة شعبان، نشر نسخةً من الخطاب الذي بعث به الىٰ جميع علماء ايران الكبار وحرضهم فيه علىٰ تنحية «ناصرالدين شاه».

استخدمت الحكومة البريطانية طرق عجيبة لاغلاق هذه الصحيفة واخيراً ابلغت وزارة الخارجية البريطانية المطبعة التي كانت تمتلك الحروف العربية وتطبع الصحيفة (في احدىٰ القصبات في ضواحى لندن) انه اذا استمرت الصحيفة في الصدور فأن الحكومة البريطانية ستوقف تعاملها مع المطبعة وستعامل مع مطبعة اخرىٰ مما سيلحق اضراراً فادحة بها. بهذا التهديد احتجبت الصحيفة عن الصدور...»[٢٠].

طبعاً بالاضافة الىٰ اغلاق الصحيفة، فان السلطان العثماني استجابة لطلب ناصرالدين شاه وبالاعيب اخرىٰ دعىٰ السيد جمال‌الدين من لندن الىٰ اسلامبول حيث نوّه بضرورة حضور السيد الىٰ اسلامبول لأيجاد الوحدة بين المسلمين مستدرجاً ايّاه الىٰ هذا «القفص الذهبى»... حيث سنتناول كيفية ذلك في مقال‌خاص مع الوثائق الخاصة.

و من الضرّورى أن نشير الى انّ الناشر للمجله، لم يكن السيد جمال‌الدين نفسه كما انّ كلّ‌المقالات المندرجه ايضاً ليست بقلمه و هذا ما يفهمه القارئ الباحث. و يتفطّن به‌العارف العالم باهدافه السامية... والسلام.

سيدهادي الخسروشاهي
مدير مركز البحوث الاسلامية ـ قم: ايران
محرم‌الحرام ١٤٢١ هـ.

مراجع البحث

١ ـ «سيد جمال‌الدين اسد آبادي و بيداري مشرق زمين» تأليف: الأستاذ محمد محيط طباطبائي، أعدّة وقدّم عليه: سيد هادي خسرو شاهي، طبعة تهران، ص ٦٢ ـ ٦٦.

٢ ـ نفس المصدر، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣ ـ «روزنامه اعتماد السلطنة» ص ٢٧ ـ ١٤٧.

٤ ـ ١٦ ـ مجلة «خواندنيها» العدد ٩٧، السنة ٢٤ ص ٢٠ والعدد ٥. السنة ٢٥ ص ٢٣ ـ ٢٥ و العدد ٦ السنة ٢٥ ص ٢١ ـ ٢٣ ترجمة الوثائق الىٰ الفارسية بواسطة السيد علي مشيري ـ لندن.

١٧ ـ انقلاب ايران ـ تأليف: ادوارد براون، الترجمة الفارسية، ص ٢٣.

١٨ ـ مجلة ضياء الخافقين قد طبعت منها، خمسة اعداد فقط.

١٩ ـ سيد جمال‌الدين الحسيني، تأليف: سيد صدر واثقي، ص ٢٤٣.

٢٠ ـ سيد جمال‌الدين اسدآبادي، رهبر نهضت آزاديخواهي ايران، تأليف: سيد حسن تقي‌زاده، الطبعة الثانية، ص ٢٧ ـ ٢٨.

السيد جمال الدين الحسينى (الافغانى)
ـ بالأشتراك مع الاخرين ـ

ضياء الخافقين

ـ جريدة فى العلوم و السياسة و
الاخبار الصحيحة ـ

السنة الاولى ـ الاعداد ١ ـ ٥
لندن ـ ١٨٩٢ م



العدد ١

ضِيَاءُ الخَافِقَيْن

السنه الاولى

Dia - ul - Kharikain
(TEH LIGHHT OF THE TWO HEMISPHERES)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والأخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة
الأثنين في ١ شباط سنة ١٨٩٢

الاشتراك

قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد)

في انكلترة:

عن سنة	عن ستة اشهر
١٣ شليناً	٧ شلينات

في الخارج:

١٤ شلينا	٨ شلينات

(تدفع سلفاً)

الاعلانات:

عن كل صفحة ١٠ ليرة انكليرية
عن نصف صفحة ٦ ليرة انكليزية
عن ربع صفحة ٣/٥ ليرة انكليزية
(تدفع سلفاً)

(والاعلانات يصدر ترجمتها في الانكليزي)

يجب ان تُخابر الادارة راساً ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

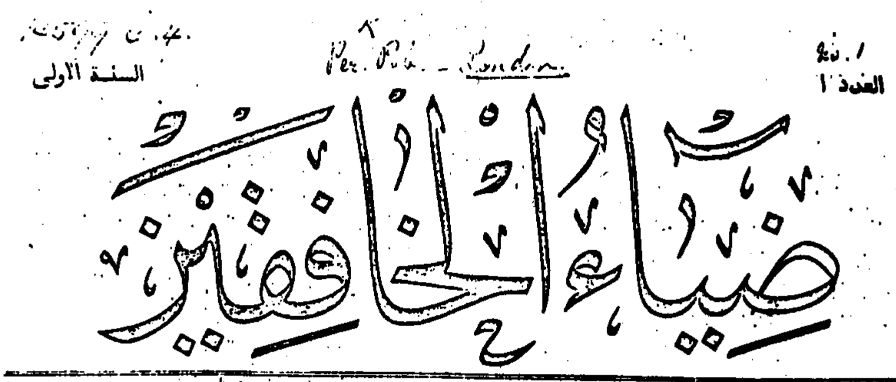
مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج و لا تُرَدّ لاصحابها أدرجت او لم تدرج. وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلّق بالإشغال.

واما التلغرافات فيكون عنوانها «ضياء ـ لندن». Dia, london

فهرسة

العدد ١ | السنة الاولى



قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد)

في انكلترة :—
١٣ شلينا (في سنة) ٧ شلينات (في ستة اشهر)
في الخارج :—
١٤ شلينا ٨ شلينات
(الدفع سلفاً)

الاعلانات (بالشلين)
عن كل صفحة ١٠
« نصف « ٦
« ربع « ٣½
(الدفع سلفاً)
(والاعلانات يصير ترجمتها في الانكليزي)
يجب ان تخابر الادارة راساً او وكلاؤها في الجهات بامر الاعلانات

Dia-ul-Khafikain.

(THE LIGHT OF THE TWO HEMISPHERES.)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والاخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة

الاثنين في ١ شباط سنة ١٨٩٢

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج ولا ترد اصحابها أُدرجت ام لم تُدرَج . وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالاشغال .

ولما التلغرافات فيكون عنوانها "ضياء - لندن"
"Dia, London."

فهرسة

ضياء الخافقين

ان للشرق على الغرب ديوناً كان اوله اياها ليهم كان الشرق مشكاة لمصباح العلم ومعرضا تعرض فيه العقول بضائعها والافكار بدائعها وكان الغرب مطروحا في ليل الجهالات وحندس الضلالات • ولما ظهر مصداق قوله تعالى "وتلك الايام نداولها" والقى العلم مقاليده في ايدي رجال الغرب وفتحوا به كنوز كل شيء وابواب كل ثروة ووجب تأدية تلك الديون للميسرة بعد النظرة قامت عاصمة العالم المتمدن ومطلع شمس الحرية مدينة لوندره ففكت الرقاب من حبال الاسر والاستعباد ونشرت الامن والامان • ولولا الغرب لبقي الشرق مسبعة تزأر فيها الضواري على ضعاف النقاد فاخذ الانكليز يطوفون اركان الارض بمشعل الحرية ومنجل الانتقام حتى استأصلوا جمهور تلك

ضِيَاءُ الْخَافِقَيْنْ

ان للشرق علىٰ الغرب ديونا كان اولاه اياها ايام كان الشرق مشكاة لمصباح العلم ومعرضا تعرض فيه العقول بضائعها والافكار بدائعها وكان الغرب مظروفا في ليل الجهالات وحندس الضلالات . ولما ظهر مصداق قوله تعالى «**وتلك الايام نداولها**» والقى العلم مقاليده في ايدي رجال الغرب وفتحوا بـه كـنوز كـل شيء وابواب كل ثروة ووجب تأدية تلك الديون للميسرة بعد النظرة قـامت عـاصمة العالم المتمدن ومطلع شمس الحرية مدينة لوندره ففكّت الرقاب من جـدال الاسر والاستعباد ونشرت الامن والامان. ولولا الغرب لبقي الشرق مسبعة تـزأر فـيها الضواري على ضعاف النقاد فاخذ الانكليز يطوفون اركان الارض بمشعل الحرّية ومنجل الانتقام حتى استأصلوا جمهور تلك الفضائع والبرهان عـلى ذلك في قـوَّة المحسوس فاننا لم نر في الشرق قوما قاموا فحَّلوا ربقة الاسر والذلّ بايديهم مع ما نراهم فيه الآن من شمول الامن على ارواحهم واعراضهم واموالهم فتعيَّن ان ذلك الخير جآءهم بسعي غيرهم ولاشك ان رجال الانكليز في مقدَّمة هذا الغير .

ولمَّا كان من الضروري ان يتواصل الشرقي بالغربي فيعرف الشرقي ان معظم خيره نتيجة عمل الغربي فيشكره علىٰ اعادة حقّه اليهَ بفوائده من غير مـا طـلب ويعلم الغربي ان الشرقي عرف ذالك الفضل فيزداد نشاطا ويسعى دائبا في خـير الشرق وجب ان يقوم جماعة من احد الجانبين بنشر جريدة تكون باللسان العربي لانه اهمّ لسان في الشرق ولكونه لسان الدين الاسـلامي وبـاللسان الانكـليزي

لتكون واسطة هذا التعارف والتواصل. ولقد مضى على هذا الوجوب زمن ولم ينتبه للقيام به احد لأن الانسان كثيرا ما يشتغل بغير الضروري ويهمل الضروري حتى تنبّهه الحوادث عليه فيتقّظ له. فلهذا قد تَشَكَّلت شركة انكليزية في مدينة لوندره لنشر ضِيَاء ٱلخَافِقَيْن علىٰ اساَس متين ونظام دائم بهذا البيان ومن الله التوفيق .

موضوع الجريدة ـ حصول التعارف والتواصل بين الغربيين والشرقيين .

الشرق والغرب

الشرق في ذهوله عن قوامه وغفوته عن شئون يدعو اليهما عزّ بقائه قد عدم الاستبداد بأمره وفقد الاستقلال في وجوده. حتّى افتاق فى رمقه ان يسنده الغرب بعز أنمه. واضطرّ ان يركن الى سقطات خُوانه في بقية حيوته.

أقطار قد دانت له عنوةً وحملتْ ألوية سلطانه. أرجاءٍ قضى مرّ الحـاجة ان تلتفّ به خشية هلاكها. أنحاءٍ خلست تحت جلبابه اتّقاء كوارث كشرت عن نابها (عياذاً به منه).

فصار للغرب برهان ظاهر وسلطان قاهر ويد طولى لايشذّ عنه شارد او لا يسبقه مبادر.

فان أنف الشرق الآن وشمخ بأنفه ان يجثو بفناء الغرب مستمدّا به راجيا طوله وقد فرّط من قبلُ فى حرز سيادته ألا وهو العلم والعدل فمازاد الاّ كمداً ونكدا.

نعم انّ سوء اختياره في مباديه قد انخرط باستمراره فى سلك الطبيعة. وهي لا تنسلخ عن كيانها فجأة فعليه اذا أثارته النَغَره ان يتدرّج في احالتها باتّباع محـجّة حقّ بها للغرب ان يفوز بسامى مقامه. اصول فاضت بمظاهر مـبهجة تـبهر اللّب ويحار فيها خِرِيّت الحدس ويقف دونها وغول الخيالَ.

ومن له بهذه. وقد ضرب الحجاب فلا يرى من الغرب الاّ هياكل وصورا تجول فى ارجاء المشرق بقوة. وهو فى جهل عما حتم عليه بسلطان لا محيص له عنه ولا يذال فى حاجة اليه وان كان مرًّا فى مذاقه كلاًّ طبعه. ولا تيسّر له مابه يخفّف على

نفسه عذاباً يورثه التناكر ولا قصدَ فيدعوا بالويل والثبور .

ثم ان الغرب قد نضخ بالكيس وانفجرتْ فيه عيون الحذق وسالتْ اودية العرفان فطمى فطفح ففاش سيلاً عرمرماً أطبق الشرق وكظّت به شعابه وغيرانه. ونفذ فى زوايا الاخصاص وصعد الى شواهق القصور. وتمثل فى اوعية حاجاته اشكالا وبرز فى مرايا أمانيه صورا وألوانا فتشابكا وتلاصقا وامتزجا حتّى صار كلّ عنصراً لا يتقوّم الآخر فى كيانه الا به ولا يستوى فى بقائه الاّ عليه الاّ انّ الغرب فى سلطانه قيّوم يقسره الطبع ان يدفع آثاراً يُطاوعه الشرق فيها على اختلاف سليقته وتنوّع صيغته وهو فى تململ حسرةً علىٰ استقلاله وكيف لا وانّ التبجّح يتبع الرضى وقد عدمه المضطّر فى اطوارٍ ماسبقها فى تلبّسه اختيارٌ ينزح به ... وان الغرب فى حثيث سيره لايفاجئه فى اكناف الشرق الاّ تماثيل متقطبّة تجبهه بفظاظتهاواشباح متعبّسة تنخسه بغلظتها فيستشيط حنقاً ويتوقّد غيظا زعماً منه ان قد حمل اليه خيراً كثيرا فعليه ان يتلقّاه بالبشروالبشاشة.فيستبدل الرفق بالقسوه واللين بالخشونه وجميل الصنع بالقهر... وليس لتلك الغلظة وتيك القسوة من علّة الاّ الجهل بأسباب قضت على كلٍ بما يحقّ له ماداوم طوره ولازم شأنه. وضلّ كلّ عن الوسائل التى ترضى بها النفوس فى مزاجها وقد ساقتها شؤنها اليه وقسرتها فواعل الطبيعة عليه فهى لاتزال فى رباطها هذا فى تضارب وتنافر وتشاجر. لا الرئاسة تُرضى السائدة منها ولا ضرورة الحاجة تُريح الأخرى .

وان الامة الأنجليزية لما وشجت عروقها بأرومات الشرق اكثر من الآخرين كان ضجرها أشدّ والنكير عليها اعظم. فساقتها التدا فعات العنيفة الى وسيلة بها وحدها تهدأ الخواطر وتطمئنّ القلوب. واليها ترفع الافكار تناقضاتها ابتغاء لوجهة الحقّ الذي بها يخلص عن شرب الباطل ويتقشع دونه أوهام تنبثق من الرجل والشره فتبعث على السخط .... وتلك الوسيلة ان يُبين كل من الشرق والغرب ماطوته سريرته فتبعتها سيرته ويكشف كلّ عن علل دفعته الى التواصل واضطرته عليه. ويعرض جلياً على الآخر دواعى النفور والحنق فى رباط حكمتْ به الطبيعة فى

سيرها .... فقامت جماعة فى الأمّة الانجليزية بانشأ جريدة باللغة العربية او الانجليزية (ضياء الخافقين) كى تكون ترجمانا أميناً يفى بهذا المقصد الأقصى. ويسكّن بكشفه عن الحقائق القارّة روع القَلِق الذى لولاه لأثارته ظلمات الأوهام مرّةً وأفزعته أخرى. (لمكاتبٍ)

كشف النقاب
عن حالة مصر العمومية

لم تزل المسالة المصرية موضوعاً للبحث والمحاورات بين الجرائد وخطباء السياسة وكثر فيها الخلط وتعددت الاقوال وتخالفت فيهاالافكاروعمد كل فريق الى ما يوافق هواه ويرتبط بغرضه وينعقد بفائدته واخترع لاقواله انواع الاسانيد وحاول لتاييد افكاره توضيح الادلة والبراهين على علاتها وشوائبها وكل دائب في مسلكه ذاهب في طريقه مجتهد في تعزيز كلمته وتاييد حجته غير ملتفت الى فحص الامر وكشف الحقيقة بل همة الجميع ان يطعن هذا الجانب في اقوال الجانب الاخر بما يستطيعه من المغالطات والتمويهات حتى حفيت الاقلام وملّت الآذان فخرج المتفرج من هذا الميدان ميدان تسابق الكتّاب وارباب التحرير لم يع حرفاً ولم يفهم خطاباً ولم ير اثراً لسابق او خبراً عن متاخر بعد ان تأزر الميدان والتفّ بغبار الآهواء وقسطل الأغراض فحُجبت شمس الحقيقة وتساوى الناظر اليه والمحتجب عنه. وكانه قد تقرر في جداول السياسة لعمومية ان هذا الملعب يتجدد وينعقد في كل سنة مرة ثم ينتهي على غير فائدة وبدون نتيجة وبعد ذلك تنحلّ تلك الأفكار والاقوال كما تنحلّ احرف الصحف التي نقشتها بعد طبعها فتعود الى خاناتها.

وانّا بعون الحق لانريد دخولاً في مثل هذا الباب ولا اشتراكا في أسهم هذا الميدان ولا يجمل بنا ان نختلط بتلك الفرق او نميل الى احداها بعد ان جعلنا مركزنا في جانب الحق الفاصل والعدل الساطع.

فيتعين علينا اولا ان نبسط الشرح في احوال مصر بسطاً عاما وننظر بوجه الاجمال الى فروعها ومتعلقاتها ثم نستنتج اوفق الطرق الموصلة الى تحسين الاحوال وحفظ الحقوق والمنافع. ولأجل ذلك نبحث في اربعة وجوه ـ(الوجه الاول) علاقة مصر بالدول. (الثاني) علاقتها بالدولة العلية. (الثالث) علاقتها بانكلترا. (الرابع) حالتها الداخلية الحاضرة .

علاقتها بالدول

ان بعد موقع القطر المصري عن مركز اوروبا وعدم التصاقه باملاك الدول الاوربوية وعدم دخوله في حصول التوازن الاوروباوي لم يجعل له من العلاقات المرتبطة بمصالح الدول المقام الاول منها. فاكبر ماتهتمّ له الدول بشأن مصر ثلاثة اشياء ـ(اولا) وجود حكومة كافلة لدوام الامنية العمومية على رعاياها وحفظ حقوقهم وارواحهم ـ(ثانياً) حرية التجارة وتبادل المواصلات ـ(ثالثا) انتظام المالية على وجه يضمن تسديد اقساط الديون في مواعيدها. فاذا توفرت لها هذه الامور لم يبق للمسألة المصرية كبير شأن ولا عظيم اهمية. لكن ربما اتخذتها بعض الدول العوبة في اليد تعاكس او تستميل بها دولة اخرى على مقتضى ظروف السياسه انما لا يتعدى ذلك صفحات الجرائد وبطائق السفرآء والسنة الوزرآء فاذا نيل الغرض او حصل اليأس من نواله سكنت تلك الاقوال وانخفضت الاصوات ولم يتغير في المسالة شيء مطلقاً .

هذا هو مبلغ المساله المصرية من الاهمية في سياسة الدول وهي احرص من ان تولد منها اسباباً يتوقف عليها امر حرب وسلم.

ولديها من المشاكل التي تهمها مباشرة من هذا القبيل جمهور عظيم. واصغر بلدة في اصغر مملكة من ممالك البلقان لها عندها من الشان و جليل الخطب ماليس لعموم القطر المصري وسودانه لما يتوقف على ذلك من خلل التوازن الاوروباوي او قوامه. ومع ذلك فقد راينا بعض الدول قد رضخت لحكم الضرورة في كثير من الاحوال التي مست صوالحها وخُرقت لاجلها المعاهدات في تلك الجهات وتدرعت

بالصبر على هذا المضض تفادياً مما عساه ان يجرّ الحرب التي تتحاشاها عموم اوروبا. فما بال البلاد التي هي اصغر اهمية في هذا الباب والدليل القاطع على صدق ماتقدم انه لم تبق دولة من الدول الاّ وصرحت او لمحت برضاها عن الحال الحاضرة في مصر. وهذه المانيا قد اشار مشيرها سابقاً على انكلترا بضمها الى بلادها فلم تلتفت الى ذلك. وهذه اوستريا اعلنت مرارا ان ليس لها علاقة سياسية بمصر تمنعها من الموافقة على الحالة الحاضرة. وهذه ايطاليا لا تخرج تصريحاتها وتلميحاتها عن راي هاتين الدولتين. ودولة الروسيا اقامت زمناً لا تتحرك بكلمة في المسالة حتى دعاها اليوم داعي السياسة ان تتحد بفرنسا لنوال بعض الاغراض ورأت من ضمن ذلك جلب الدولة العلية الى جانبها ودخل في سياستها وجوب هذا. فشرعت تستميل الدولة نحوها وتجذبها بحبال الآمال التي من ضمنها حلّ المسالة المصرية. فاذا تم لها هذا الغرض وتورطت الدولة في الدخول معها ماطلتها حتى تنال مأربها من ذلك الاتحاد.

فلم يبق من الدول العظيمة الا دولة فرنسا التي تدّعي بحق في مصر وبارتباط علاقات متينة قديمة لا يليق الاقدام على مسّها وليست تستطيع السكوت عليها. ثم يتفرع على ذلك وجوب تأييد نفوذها ومحبتها لمصلحة المصريين وحقوق الدولة. فاما من جهة علاقاتها المتينة فهي لاتمتاز في شيء عن علاقة بقية الدول التي بيّناها ولسنا نعلم لنفوذها في مصر تكييفاً او تحديداً. أهو عبارة عن انتشار اللغة الفرنساوية في القاهرة وتعليم بعض شبان المصريين في مدارسها او لوجود موظفين فرنساويين في الادارة المصرية. فان كان الامر كذلك ونشأت عنه حقوق مقدسة لها واننا ننبهها ان تطالب بمثل هذه الحقوق كلا من الروسية واليونان والسويسرا لان اللغة الفرنساوية منتشرة في تلك البلاد اكثر من مصر والتمدن الفرنساوي مشتهر فيها ولايخلو الامر من وجود موظفين فرنساويين هناك.

اما ان كان الغرض من تأييد النفوذ الفرنساوي في مصر هو علو شأن رعاياها فيها وتقديمهم على سواهم وطاعة اولي الامر للكلمة الفرنساوية والاشارة

التي تصدر من القنصل بما تهوى افراد رعيته فيهتضم حق الوطني ويضحى فريسة لظلم الوالي ووطأة النفوذ الاجنبي كما حصل له في ايام بعض الولاة السالفين فيصل الحال الى ما وصل اليه من ذل الوطني وضياع حقوقه واثقال كاهل الحكومة بالديون فذلك مضرّ بمصلحة المصريين التي تهواها فرنسا. ومعاكستها لما يجري من الاصلاحات الحالية مضرّ بتلك المصلحة ايضاً. بقي حبها لمصلحة الدولة العلية وتأييد سلطتها المقدسة على مصر فاذا صدقت هذه المحبة ينبغي عليها ان تبدأ باخلاء الجزائر اولاً وتونس ثانياً ثم ترفع اطماعها عن الشام ثالثاً حتى تستقيم وتصدق تلك الدعوى.

نعم ان ارباب الغايات يتخيلون لفرنسا حقاً وهو حق الفاتح لبلدة افتتحها ثم خرجت عن يده فهو يترصد الفرص لنوال ذلك الحق الذي ضاع منه ويشمئز ممن يقف سدًّا امامه يمنعه من الحصول على ما فاته. غير ان سياسة الفتوحات قد انطوى امرها في فرنسا وانقضى نحبها مع الملوك والامبراطورات الذى كان من سياستهم افتتاح البلاد الشرقية لتأسيس دولة عربية تكون تحت حماية فرنسا. وليس ذلك الان من مشرب الحكومة الجمهورية التي لا همّ لها الاّ حفظ مركزها المهمّ في اوروبا واجرآء الاصلاحات اللازمة لداخليتها حتى تصل الى عرش السعادة المنقوش عليه بحروف النور (الاخاء والمساواة والحرية) وتصير مثالاً لبقية الامم تتبعه لا انها تلتفت الى الفتوحات والحروب التي ينشأ عنها خراب العالم المتمدن.

وان ما نسمعه من الضوضاء بخصوص المسالة المصرية فهو ناشئ عما يصدع به الرعايا الفرنساويون قنصلهم في مصر لفزعهم من الحالة الحاضرة واسفهم على الزمان الماضي فيخابر القنصل وزارته فيظهر اثر ذلك في الجرائد.

علاقتها بالدولة العليّة

ان الدولة العلية هي صاحبة الحق المقدس في مصر ولها السيادة عليها واننا اذا نظرنا بعين الانصاف الى الحالة الحاضرة نرى ان نفوذ الدولة لم ينقص شيئا عما كان عليه في الزمن السالف فانه بعد ان افتتحها السلطان سليم كانت مصر في يد

المماليك في حالة الفوضى يعيشون فيها فساداً كيف شاءوا ولا تنال الدولة من منافعها شيء سوى مايتيسر للوالي الذي يرسل في كل سنة جمعه من بقية ما في ايدي المماليك الى ان تولاها محمد علِي فمال في سياسته الى اتباع اشارات فرنسا وقبول نصائحها وحاولت ان تستعمل قوته ونفوذه في نوال اغراضها من تأليف دولة عربية فافتتح لاجل ذلك البلاد الشامية والحجازية والسودانية وكاد الامر يتم وتنسلخ مصر وما والاها من حوزة الدولة العثمانية لو لا انه قد تأسس في سياسة الانكليز ومنافعها منذ القديم وجوب المحافظة على الدولة العليه وتأييد سلطتها فاستدرك الامر ودفع الخطب وخرجت مصر من تلك الحوادث مستقلة استقلالا داخلياً وانحصرت حكومتها في عائلة محمد علي وذرّيته بعد ان لم يتمكن من الاستقلال التام لكن بقي مبدأ الاستقلال كامنا في النفس تنتظر لأجله الفرص. ولم تزل الولاة من بعده يتوارثونه كابرا عن كابر دائبين في السعي للحصول عليه لحد ايام الخديوي السابق فكان هو أشدّهم تمسكاً بهذا المبدأ وانهضهم عزيمة لقضائه واعظمهم تلهفا للوصول اليه فلم يمض يوم من ايام ولايته الا وهو يشتغل لاجله حتى اثقل مصر بالديون لتكاليف تجهيزاته لهذا الامر وخفض نفوذ الدولة في مصر بما كان يرفعه من سطوة الاجنبي وهمّ مراراً ان يجاهر بما اضمره ودبره لكن الظروف لم تساعده على ذاك وارتبكت عليه موارد صوره ومصادرها حتى خلع من منصبه .

هذا حال نفوذ الدولة العلية في مصر سابقاً. كانت سلطتها مهددة في كل حين بالزوال معرضة في كل آن للاضمحلال. اما الآن فانها اثبت قدماً واقوي دعامة والكل يعترفون بها لايخشى عليها ادني خطر ولايخاف عليها من انحلال واحكام الفرامين الم يُنقَضْ منها حرف ولم تخترق لها حرمة والسلطة الدينية والسياسية مؤيدة ولها الان مندوب سياسي في مصر مطلع علي ماكبر وصغر. في داخلية البلاد اذا وجد مايخل بشأن الدولة فلا يسكت عنه. فسلطة الدولة اليوم في مصر احسن مما كانت عليه في السابق .

علاقتها بانكلترا

ان علاقة انكلترا بمصر هي كعلاقة بقية الدول لكنها تفضل عليها بامرين مصلحتها في قنال السويس الذي هو الطريق الوحيد لاملاكها الشاسعة في الهند وارتباطها بما تعهدت به من اصلاح احوال مصر الداخلية على نمط يضمن للجميع حفظ حقوقه وصوالحه حيث اضطرتها المصلحة العمومية والخصوصية لاجابة حاكم البلاد لما استدعاها لاطفاء الفتنة التي استفحلت فكادت تذهب بجميع الحقوق فلبّت دعوته بسفك دماء رجالها وبذل اموالها بعد ان استدعت الدولة العلية صاحبة السلطة للقيام بتلك المهمة واستعانت بعدها بفرنسا فتقهقرت عن مساعدتها. ثم تقدمت انكلترا فاطفأت الفتنة وباشرت الاصلاح ولزم لاستيفاء ذلك وجود جيش احتلال لها في مصر وتوظيف بعض رجالها في الادارات للسعي في طريق تنظيمها واعلنت للكافة انها تنسحب بعساكرها من مصر بعد ان يتالف لها جيش يحميها من الطوارئ الداخلية حتى تصير مصر حكومة منتظمة قادرة على حماية نفسها داخلاً وخارجاً مع حفظ امتيازات الدولة العلية فيها. فقامت في وجهها قيامة اصحاب الاهواء والاغراض الذين لايسرّهم وصول مصر الى تلك الدرجة بل لا يروق باعينهم الا ما كانوا فيه من انتزاف ثروة البلاد واستعباد اهلها وجعلها معرضة لنفاذ اغراضهم في كل وقت. واخذوا يطالبونها منذ مباشرتها لاصلاح الاحوال المصرية بالجلاء عن مصر واقاموا امامها جسراً من المعاكسات في كل صغيرة وكبيرة داخلا وخارجا وكثرت شكواهم من توظيف رجال الانكليز وتداخلهم بيستطيعون اجراء الاصلاح وهم في بلادهم بدون ان يحضروا الى مصر ويتوظفوا في ادارتها على ان عدد اولئك الرجال الآن لم يبلغ عدد المتوظفين في الحكومة المصرية من بعض الدول الاجنبية. وقد عمدت انكلترا الى تخفيض عدد جيش الاحتلال كلما تم تشكيل فرقة للجيش المصري الذي تؤلفه حتى وصل الىٰ ثلاثة آلاف وهو غاية مايمكن تخفيضه .

ولو اننا سلمنا للمعارضين في طلباتهم وانسحبت العساكر الانكليزية اليوم

قبل ان تصل الحكومة المصرية الى النظام المطلوب في القاهرة وثبات الحال والاستعداد الكافل لحفظ بلادها فمن يضمن لانكلترا سلامة طريقها للهند وحفظه من التعدي؟ فسيقولون ان معاهدة القنال تضمن ذلك. لكن من نظر الى شأن المعاهدات في اوروبا بخصوص الشرق والتفت الى ما اخترقته ايدي المطامع من معاهدة برلين في وقت السلم فضلاً عن وقت الحرب ومعاهدة باريس من قبل وما نراه اليوم من تمحل الاسباب لجواز السفن الحربية الروسية من الدردنيل علم ان عقد المعاهدات وحده لايحفظ شيئاً ما لم تكن هناك قوة تدافع عن حرمتها. ثم من يضمن من جهة اخرى تحسين المالية ودوام ثقة اوروبا والمداينين بها. وهذا خطاب مستر غلادستون ما كاد ينطق به لبعض اغراضه في الانتخابات الجديدة من وجوب اخلاء القطر المصري قريباً حتى انخفضت اسعار القراطيس المصرية انخفاضاً مؤثراً مع علم الناس بمقدار ما يتفوه به مستر غلادستون من هذا القبيل وانه تعود ان ينطق بمثل ذلك عند قرب الانتخابات ليعارض به الوزارة الحالية فاذا سقطت واستبدلت بوزارته لم ينحرف ادنى انحراف عن اتباع سياستها في مصر.

حالتها الداخلية الحاضرة

ليس ينكر المعاند ولا يجحد الجاحد ان مصر اليوم سالكة في طريق النظام والحرية مسلكاً لم تسلكه الامة المصرية في اي دهر من الدهور منذ عهد الفراعنة الى اليوم. فالاهالى آمنون على ارواحهم واموالهم وقد غلت ايدي حكام الاستبداد عنهم حتى تساووا بهم في الحقوق والمزايا. وتخففت الضرائب تخفيفاً مهماً عن كواهلهم وتمتّعوا بحرّية الافكار والجرائد وذاقوا لذة المساواة في القانون وانتظمت الاحوال المالية فنمى الايراد وزاد عن المنصرف بمبلغ نصف مليون جينية في الميزانية الجديدة وقد احسن الجميع بتباشير التقدم والنجاح ولم يبق الا الاستمرار على سلوك هذا الطريق حتى تصل مصر الى منتهى نظامها المطلوب.

وان لنا افكار جمة وملاحظات كثيرة فيما يختص بالاحوال الداخلية لاصلاح ما بقي من الخلل وما يوجد من الفساد سنأتي على تسطيرها في الجريدة بالاسهاب

متتابعة.

جملة القول

من حيث ان دولة الايام ودورة الازمان قضت على الشرقي ان يستعين بالغربي في نظام اموره وحسن احواله وان يرد الغربي اليه ماكان اقترضه من التمدن والمعارف والعلوم ايام كان الغرب في جاهليته وغياهب ضلالته فيجب على المصريين ان يتقبلوا هذه المساعدة والمعاونة بقبولٍ حسن ويصبروا لحكم الضرورة التى حكمت عليهم و على انكلترا بالتداخل في امورهم وان يستفيدوا لانفسهم منها حتي يصلوا الى نقطة الكمال في التمدن والتقدم وتصير حكومتهم موسسة على دعائم الوطنية والحرية فتنسحب انكلترا من بينهم بعد ان تتركهم مثالاً للشرق يحتذيه في التقدم والنجاح. وهم احزم رأياً من ان يميلوا الى ارباب الاغراض والاهوآء الذين لا يريدون بهم خيرا. وانّا نجلّهم عن ان يكونوا بمنزلة الصبي الذي يفزع ويشمئزّ من تلقي العلوم في المدرسة و يحاول الانقطاع او الهروب تفادياً من ثقل الدراسة فاذا بلغ اشدّه ذاق لذّة العلم وحلاوته فاستقبح ما فرط منه .

فينبغي ان يعاونوا الانكليز ويساعدوهم في طريق اصلاحهم فيذوقوا حلاوة التقدم وفائدته اولاً فاولاً . (ب)

❊❊❊

[ان جريدتنا هذه مستعدة لنشر كل مايرد اليها من المقالات التي تشير الى سدّ خلل او دفع ضرر او رفع مظلمة او ترشد الى اصلاح فاسد ومداركة خطاء في الاحوال المصرية الداخلية فيتنبه القوم الى وجوه الاصلاح وتفوذ المصلحة العمومية بذلك والله يهدينا الى ابلغ صواب. (رئيس تحرير الجريدة] .

معاهدات الدول

لما علمت هيئة الاتحاد الثلاثي انه لا قبل لها بالظفر علىٰ فرانسا والروسيا اذا اشتبكت الحرب بين الفئتين ورأت ان دوام اشتغال الدولتين المذكورتين بزيادة التجهيزات الحربية يقضي عليها بالمقابلة بالمثل وان دولة اوستريا التي هي احد اركان تلك الهيئة وصلت الى درجة العجز عن السير في هذا الطريق كما ان دولة ايتاليا صرحت عند تجديد التحالف الثلاثي بان ماليتها اصبحت لاتقوىٰ على دوام احتمال اعباء النفقات الحربية نظرا لما اصاب اهل بلادها من الفقر المدقع الذي اضطر الكثير منهم الي الهجرة ومفارقة الاوطان بسبب ماتحملوه من أثقال الضرائب والرسوم وما ألم بتجارتهم من الكساد العظيم بعدم امكان الاتفاق بين فرانسا وايتاليا على المعاهدة التجارية وتحققت دولة آلمانيا انها ليست اقل افتقارا من حليفتيها الى الاقتصار في امر التجهيزات المذكورة فلهذا اختارت تلك الهيئة مسألة الحرب المالي حيث ظنت انها تضعف بواسطة ماتجريه فيها من الخدع قوة فرانسا المالية فينعكس هذا الضعف بالطبع الى الروسيا فتتهادى اركان الدولتين المذكورتين الى السقوط ويقع الهرج والمرج في فرانسا اولا فتضعف ماليتها فلا تستطيع مساعدة الروسيا بقوة المال فتقف عندما هي عليه ولا تجد سبيلا لزيادة التجهيزات الحربية ولذلك امتنعت بيوت المانيا التجارية عن قبول الاوراق التي اصدرتها دولة الروسيا في مقابلة القرض الاخير وحيث كانت منافع الحكومة الانكليزية تقضي عليها بالسعي في اضعاف قوة الروسيا وقد صادف هذا الاوان زمن اشمئزاز بيت روشلد

وغيره من بيوت المالية العظيمة فى لوندره واعتراضها على دولة الروسيا لداعي قسوتها واعتدائها على الاسرائيليين وطردهم من بلادها امتنعت تلك البيوت عن المداخلة فى امر القرض المذكور وتنحت عن قبول اوراقه فقابلت بيوت التجارة الفرانساوية والروسية هذا الامر بالامتناع عن ابتياع اوراق المانيا وانكلتره واوستريا وايتاليا وسعت في بخسها كل السعي حتى نشأ عن ذلك تعطيل كثير من المعاملات وارتبك العالم المالي في كل جهة اشد ارتباك عادت أهم خسائره على الفرانساويّنالان الشق الاخر عاكسهم بصورة مهمة كاد أن يقضى مفعولها على بيوتهم التجارية بالخراب والدمار لولا قوةدعائم تلك البيوت واستعداد ماليتها لمقابلة الخصم بمثل ماجاء به فاشترت البيوت الفرانساوية اوراق القرض الروسي وهي غير مكترثة بما اصابها من الخسائر في هذا الامر الذي فيه تاييد شركة الروسيا واعلاء شأنها .

اما توجه المسيو غيرس الى باريس فهو وان كان ظاهره يدل على ان القصد منه احكام الولاء بين الروسيا وفرانسا وابدآء الشكر لفرانسا على ما اظهرته من الهمة والمساعدة الاّ اننا علمنا من بعض الاخبار الحقيقية انه حصلت المذاكرة بشأن الاعمال التى تتخذها حكومة انكلترة ليرسخ بها قدمها في مصر واستقر الرأى على فتح الكلام في المسألة المصرية بصورة جدية حتى اذا تيسر اخراج الانكليز من مصر قويت كلمة فرانسا واستظهرت الروسيا على انكلتره وامكن بهذه الواسطة ضم الدولة العلية الى الاتحاد الثنائي فتقوى شوكته ويعتز جانبه وتتحقق له الغلبة والفوز على الشق الاخر فقد تبين ان قوة الحزبين اصبحت متوازية متكافئة وثبت ان الظفر والنصر لايقترنان الا بالحزب الذي يتماوج بين جيوشه اللواء العثماني وهذا هو السبب الذي اضطر جميع الدول الاوروباوية الى المسابقة في التهافت على محبة الدولة العلية والتزلف اليها وحمل رئيس هيئة الاتحاد الثلاثي وغيره من اكابر الرؤساء واعاظم الحكماء وفطاحل رجال السياسة في الكون ان يجعلوا دار السلطنة العثمانية محطا لرحالهم وكعبة لآمالهم فهم يعدونها بالمنافع الجمة والفوائد

العظيمةوكل منهم يخطبها للقرب من حكومته والاتحاد مع دولته ولكن فات على الجميع ان جلالة السلطان عبد الحميد يعلم ان هذا التزلف لم يكن الا لقصد الاستظهار والاعتزاز بقوة دولته العلية فهو لا يصغى الى تلك المواعيد ولا يغتّر بزخارف الاقوال ولذلك لا يحيد عن جادة الحيادة والتخلي عن الميل والانحياز الى جهة مخصوصة بل يعامل الجميع على نسق واحد من المساواة في كافه الامور والشؤون ولا يعتمد في كل حال الاّ على الحكمة وملازمة السكون حرصاً على منفعة دولته وتأملا في العواقب وحفظا للسلم العام ولايتصور ان جلالته يستعين بفرانسا على انكلتره فى حل المسالة المصريه واخراج الانكليز من مصر لانه خبير باحوال الجمهورية الفرانساويه لايخفى على حكمته مايكنّه ضميرها من سوء النية متى خرج الانكليز بواسطتها ولايقال انه يغفل طرفة عن مصر وانما هو ينتظر في امرها حلول الوقت الذي يمكن جلالته من حلّ اشكال المسألة على وجه يوافق مصلحة الدولة العليّة .

هذه خطة السياسة المتخذة لدى الدولة العليّة ولاريب في انّها أحكم سياسة تضمن حسن الحال وشرف المكانة وجليل الفوائد في الاستقبال وعلى هذا يحق للدولة العثمانية ان تفتخر بوجود زمام امورها في يد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني فهو الذي انقذها بهمته العلية وتدابيره الصائبة من وهدة السقوط وجدد مجدها واعاد عزها ولا شك انها ستصل في عهد خلافته العظمى الى اعظم ماكانت عليه في ايام اجداده الكرام فان الحال دليل الاستقبال. (لمكاتب)

الخلافة

ان مؤرخي الشرق يخصّون صفائح تـواريخـهم بـذكر السـلاطين والوزراء وقوّاد الجيوش والحوادث الّتي لهم بها علاقة تامّة ويهملون عامّة الناس وشئونهم غالباً سعدوا او شقوا. وتراهم يطرون في أوصاف قصور الملوك ونـعوت خـيولهم وطرز موائدهم والوان اطعمتهم وأزياء القائمين بالخدمة ويطوون جيلاً عظيماً تحت طيّ كلمةٍ واحدة حتّى انّ الحريص على كشف احـوال الامـم الراغب الى مـعرفة سيرها فى معالم المدنيّة ومدارج العلوم الطالب لاكتناه صعود الشعوب وهـبوطها لايزيده خوضه في اوراق تلك الكتب الاّ حسرة وندامة يتبعها دوار وحيرة .

لاريب ان لذلك الاهتمام وذاك الأهمال أسباباً شتّى وأعظمها العقيدة الدينية. وانّها هي الّتي تسري في جميع خـطرات النـفوس وفـزعات القـلوب وحـركات الجوارح وبها تتهّيأ الأمّة وعليها تقوم العائلة ان خيراً فخيراً وان شرّا فشرّا. وقد التزمت جريدة "ضياء الخافقين" ان تذكر تاريخ القرن التاسع عشر خصوصاً مايتعلق بالشرّق.لذلك وجب ان نبيّن عقائد المسلمين في السلطنة والسلطان ، لانهم لشدّة تماسّهم بالمغرب وتشابك مصالحهم به يكون ذكر احوالهم أهمّ من الأمم الشاسعة التي لازالت تواريخها محتجبةً تحت ستائر الخرافات .

انّ السلطنة عند المسلمين كافةً هي انفاذ احكام شرعّها الله لتنوير العـقول وتهذيب النفوس وتعديل الأعمال بعد القدرة على استنباطها من القـرآن والسـنّة المحمديّة. وللاشعار الى هذه الرئاسة الروحانية والجسمانية يعبّرون عـن السـلطنة

بالأمامة والخلافة ويحسبونها في السمّو والنقاوة تلو رتبة النبوّه.

والسلطان (او الامام او الخليفة) من يتحقق بالشرع في باطنه ويقوم بانفاذه في ظاهره.

ثم أن طائفةً من الخوارج (وهم الذين حاربوا عليّا كرم الله وجهه في نهروان ويقطنون الآن في سواحل عمان وزنجبار وجروه وشنكيت) ذهبت الى عدم وجوب الخليفة مستدلاً بانّ الشرع فريضةً على كلّ ذمّةٍ ويجب على كـل انسـان ان يـأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبغي. وهذا الحق المشاع كافلٌ لصون الشرع وبثّه في العالم وبه يقوم النظام العامّ فلا ضرورة لتسليم الزمام الى يد رجلٍ واحدٍ يستغويه الشيطان ويقعد به عن اقامة الحق ضعف الجنان.

وطائفةٌ اخرى منهم حكمت بوجوب نصب امام عادل عالم بمدارج الدين من ايّ قبيلة كان وفي ايّ ارضٍ نبغ حرماً على نظام الشرع وتجنّباً عن الفوضى ووجلاً من الهرج والمرج.

وانّ الشيعة أطبقت على انّ الأمامة في عليّ واولاده الى يوم القيمة وانّه حقّ على الله لطفاً منه ان يختار من تلك السلالة اماماً معصوما يصون به الدين عن الزيغ والخلل اقامة للحجّة على الخلق. الاّ ان الزيدّية منها (وهم سكّان بلاد اليمن) زعمت ان الامام لابدّ ان يكون من سلالة زيد بن عليّ بن حسين بن علي. وانّ الاسماعيليّة (قاطني النجران وبعض سواحل الهند) حصرته في ذريّة اسماعيل بن جعفر الصادق (وهو من احفاد عليّ) وانّ الاثنى عشريّة اعتقدت انّ الامامة في اولاد موسى بن جعفر وان عدد الخلفاء الحقّة أثنى عشر اوّلهم عليّ وآخرهم محمد المهدي وهو غائب عن انظار الناس منذ الف وخمسين عاماً وسيظهر ذاك الأمام الحقّ ويملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجورا.

وانّ أهل السنة والجماعة قد اجمعت على ان الخليفة لابد انّ يكـون قـرشياً عادلاً عالماً باحكام الشرع قادراً على استنباطها من القرآن والسنّة المحمدية عارفاً بفنون السياسة مقداما في الحروب قوياً في الشدائد حافظاً للحدود الشرعية ومع كل

هذا انّ صحة خلافته انّما هي باجماع أهل الحلّ والعقد. واذا عدم القائم بأمر المسلمين شرطاً من هذه الشروط فهو متغلب لا طاعة له على الناس البتّة. هذا هو خلاصة عقائد المسلمين في السلطنة والسلطان وسنشرع في اصل المقصود في العدد القادم ومن الله العناية.

(الشيخ محسن)

احوال فارس الحاضرة

انّ لصراخ الفارس دويّاً في آفاق الأرض. قد أقفرت البلاد وبارت الاراضي وغارتْ الأنهر وتبدّد الناس في شاسعات الأقطار شذر مذر. انّ سواد العراق ومُدن القفقاز وامصار ماوراء النهر وقُرى الخوارزم وقصبات بين النهرين غصت بوجوه غبرة. ذرارى الأماثل وسلالة الأفاضل يكدّون آناء الليل واطراف النهار في أعمال خسيسة وحرف دنيئة تأنف منها النفوس وتعاف منها الطباع. انّ الايران بسعتها قد ضاقت على أبنائها. ونبت باهلها وليس في تلك البسيطة الرحبة الاّ أخصاص حقيرة واكنان صغيرة ودور حرجة يستكنّها شعث غبر رثّ الثياب كانّهم ينازعون الموت ويراقبون الأجل. الجور قد تمثّل في تلك البلاد سلطاناً قاهراً لا يُحدّ طوره ولا يُسبر غوره. والقسوة برزت بصورة بشعة وهيئات شنيعة تقشعّر منها الجلود. جدع الأنوف وقطع الآذان وشقّ البطون وجزّ الرؤوس اعمال عاديّة وافعال يومّية لا يستغرب منها السامع ولا يستبشعها الرائي. ودونها فظائع تأبي النفوس البشرية عن استماعها وتجم دون ذكرها وتضطرب حياءاً وخشيةً كلّما خطرت في لوح خيالها. الحكومة قهرت الشرع فأبادَته وكرهت النظام المدنى فمجّته وازدرت بناموس العقل والفطرة فطمسته. فلا يسود فيها الاّ الهوس ولا يأمر الاّ الشره ولا يقوم بالأمر الاّ القهر والزور ولا يحكم الاّ السيف والكيّ والسوط. يلذّها سفك الدماء وتباهى بهتك الأعراض وتعجب باستلاب اموال الأرامل والأيتام. فلا أمان في تلك البلاد. وانّ قاطنيها لا يرون وسيلةً لصون الحيوة من انياب الظلم القاهر الاّ الفرار. قد

هرب خُمس الايرانيين الى الممالك العثمانيّة والبلاد الروسيّة وتراهم يجولون في الأزقة والأسواق بين حمّال وكنّاس وزبّال وسقّا. وهم برثة ثيابهم وكلوحة وجوههم وخساسة حِرفتهم يستبشرون بالنجاة ويشكرون الله على بقية الحيوة ... لا حَدّ في الأقطار الايرانية للضرائب والجبايات والخراج والمكوس. انّ الجرائم ليست لها حقائق أحرزها الشرع وحكم بها العقل. والجزاء لايحده حصر. كلّ هذه تحت سلطان الهوس والشره والقهر. لا دستور للحكومة ولا نظام ولا قانون. كلّ يفعل ما يقدر عليه وتدعو شهوته اليه ولا رادع لقضاء الحاكم ولا مانع لحكمه. يأخذ الجار بالجار ويدمّر قريةً بذنبٍ يدّعيه على رجلٍ (ولا ذنب له) كلٌّ مسؤول لديه عن الكل ..... الحاكم يقدّم للشاه على حسب عظم الحكومة وصغرها تقدمةً (بيش كش) ويلتزمها على نفسه كلّ سنة شكراً لتوليته (ولا شهريّة له) ثم انّه يأخذ من كل من يستصحبه لخدمة الحكومة او خاصّة شخصه من مدير و كاتب ومعاون وشُرطي وجلاّد و طبّاخ وفرّاش وسائسٍ وبغّال مبلغاً جزاءاً لاستخدامه (ولا شهريّة لهؤلاء أبدا). وهذه القطيعة الضارية والضباع الجائعة تثب فجأةً على البلاد فتفترس وتنهش وتبلع وتدمّر ولاشفقة تكفّ ولا عقل يزجر. فالويل كلّ الويل لقوم قضتْ الأقدار عليهم بحكومة جائرة وحشيّة كهذه... وانّ الحاكم واتباعه للاستحصال على مانقدوه اولاً وما التزموا على ذمّتهم لا يدعون في مدّة الحكومة وهي غير معلومةٍ عملاً شنيعا وفعلاً فظيعاً وأمراً بشعاً الاّ ويرتكبونها .. يعلّقون النسأ بشعورهن ويضعون الرجال مع الكلاب العقور في الجوالق ويسمّرون الأذان على الواح من الخشب ويدخلون زماماً في العرنين ويديرون ذاك المظلوم بتلك الهيئة المحزنة في الأزقة والأسواق وانّ أهون العذاب عندهم الكيّ والضرب بالسياط .

وانّ الحكومة الايرانيّة لا تمون العساكر وليس لهم لا شهريّة ولا جراية فانّما تكلهم الى قدرتهم في الغصب وحذقهم في السرقة. تدبّر فيما يكابده الأهالي ويقاسيه من هذه الحكومة الجائرة الحمق. اليست هذه هي الأمّة الأيرانيّة الّتي سادت الأمم في زمانها. أليست هذه هي الأمّة الفارسيّة التي أحيت العلوم في العالم الأسلامي

وأقامت الديانة على دعامة الحق بقوّة براهينها وقوّمت اللغة العربيّة بعالي تصانيفها. أسفاً على هذه الأمّة كيف أبادها الجور وبدّدها الظلم حتّى سقطت عن عداد الأمم العظيمة وكاد ان يندرس رسمها وينطمس اسمها. اين العلماء واين حملة القرآن واين حفّاظ الشرع والقائمين بأمر الأمّة واين نُصراء الحق والعدل. (السيّد).

ترجمة ما في القسم الانكليزي

انكلترا لدي المحافل الأجنبية

بقلم الجنرال سير فريدرك كولدسمد

[انه نظرا لضيق المقام واهمية المقالات الاخرى لا نستطيع في هذا العدد ان نأتي بترجمة كلّ المقالات الانكليزية مستوفياً ولكننّا ندرج لقرّائنا ملخصها]

قال: ـان العاقل البصير يعلم ان من واجبات السفير او نائب الأمة لدى دولة اجنبيّة الاطلاع على اخلاق سلطان البلاد التي يتعيّن سفيراً فيها وأن يكتنه آرآئـه وارآء الرعيّة فيه وفي دولته وأبناء جنسه ولكن من سوء الحظّ نرى انّ سفراء الدولة الانكليزية وسائر مستخدميها في الخارج يقصرون في هذا الامر المهمّ ويهملون هذه الفريضة العظيمة. وانما مبلغهم من العلم ما يبلغ أسماعهم من الاجانب وما رأوه في اوراق الكتب وطي السجلات. ويزعم بعضهم انّ معرفة شيء من اللغات الاجنبية كاف بواجبات خداماته وانه يقدر بها على استنباط خفيات الأمور وحلّ المشاكل ودفع المضارّ. ويحسب انّه يمكنه القيام بوظيفته بأعانة المترجمين وسائر بطانته ايًّـا كانت مع انّ البطانة كثيراً ما توجب اضراراً باهظة اذا لم تكن من اهـل الصـلاح والقدرة. فيمكنني ان أقول بناءً على هذا انّ الانسان اذا لم يكن بنفسه قادراً على اداء وظائفه هذه فلا يليق للحكومة ان ترفعه الى هذه المنزلة الرفيعة. وانّ الذين نجحوا من سفرآء الانكليز في خدمتهم هم الذين كانت لهم خبرة تـامّة بـأحوال البـلاد واخلاق الاهالي وكانوا يعرفون طبائع الشعب واميالهم وما تطمح اليـه نـفوسهم

ومن عدم منهم ذلك فقد خاب أمله وضلّ سعيه واضرّ بالأمة الانكليزية وجعل كلمتها هي السفلى وذهب بسطوتها التي كانت راسخة في تلك البلاد من قبل. فاذا قلنا بوجوب الخبرة والنباهة لسفرائنا الذين في عواصم اوروبا فيجب علينا ان نعترف بانّ سفرائنا في الاستانة وطهران أحوج الى الخبرة وكثرة الاطلاع باحوال الامم الشرقية ودولها منهم. لانّ هاتين العاصمتين أهمّ المراكز بالنظر الى السياسة الانكليزية من سائر العواصم لانّ مطامع الدول الافرنجية متوجهة نحوهما. هذا هي بلاد فارس التي تترقب الروسية ان تثب عليها فجأة وانّها قد اعدّت جيشاً عظيما من التركمان ومدت قضبان الحديد في اطراف بلاد خراسان ولو لم يهتم سفير الانكليز في طهران لقضي الامر. ولا يخفى ان مباراة الروسية لانكلترا لا تنحصر في انفاذ كلمتها ونشر قوتها بل تجاريها في التجارة ايضا. ما فتحتت انكلترا باب التجارة في نهر كارون الاّ سعت الروسية في تسهيل طرقها في طرف خراسان وزد على ما تقدّم انهّا قد اجبرت الشاه على اعطاء امتياز السكك الحديدية لها وكل هذه ترشدنا على أنّ سفيرنا في بلاد فارس يجب ان يكون يقظاً عارفاً مقدماً قادراً على دفع المضار عن تلك البلاد التي هي متجر لبلادنا وباب من ابواب الهند .

خلاصة مقالة

الاستاذ فامبري في تقدّم العلوم عند المسلمين

قال العلامة الشهير الاستاذ فامبري في مقالته ان العلوم في قاطبة العالم الاسلامي قد تقدمت تقدّماً عظيماً عمّا كانت عليه سابقاً وقد علم ابنآء الشرق ضرورة اكتساب العلوم والفنون التي هي بغية الانسان وقد جدّوا لأسترجاع ما فاتهم من المجد في الزمن القديم حين كانت بلاد الشرق محور التقدم ومهد سعاده الجنس البشري ومَنبت أرباب القلم وقد خلصت الامم الشرقية انفسها من ظلمات التعصب وسطع ضيآء العلم في ارجاء البلاد العثمانية خصوصاً في ايام جلالة السلطان عبد الحميد وشُيّدت المدارس وأُنشئت الجرائد وترجمت الكتب الأفرنجية. واما الفارسيوّن فانهم وان كانوا فطرةً يرغبون الى اكتساب العلوم والمعارف ولكن الشاه لشدّة حرصه على جمع المال لا يساعدهم على مرغوبهم ولذا لا يسود في اقطارهم الاّ الجهل والناس يئنون تحت هذا الغلّ القمل. وقد حان للغربيّ ان يعامل الشرقيين بعد ترقياتهم العظيمة هذه في غالب الاقطار ويكلمّهم بالقلم والقرطاس بدلاً عن السيف والترس ويجب عليه ان يعاونهم على اكتساب وسائل المدنيّة ونشر الفنون كما هو اللائق بالكمّل من اهل الخير في القرن التاسع عشر. ولما كان الشعب الانكليزي اول من جدّ لسعادة الشرق فيسرّنا جميعاً ان قد بزغ في مدينة لوندن ضياء لأنارة الخافقين ونرجو له الفوز والنجاح .

قوة الروسيا في اسيا

ملخص ماقاله الماجور ولف ماري هو ـ اذا نظرنا الى مواقع الاراضي في افغانستان وتعمّقنا في حالة الافغانيين علمنا انّ العسكريّة الروّسية في اسيا وان كانت قوّية لا توجب لنا خطرا في البلاد الهندية. نعم انها تطمع في خراسان منذ مدة مديدة ولكنها لا تقدم الاّ بعد موت الشاه فلا صحة لقول المرجفين الذين يزعمون ان الروسية ستهجم على الافغانسان قريباً فانها تعلم انْ خطوة منها نحو تلك البلاد تبعت القبائل على الاتحاد مع الجيش الانكليزي لمكافحتها. والذي يجب علينا ان لانذهل عنه هو انّ الروسية لاتالوا جهدًا في القاء الفتن في اوروبا ولا تزال تجدّ في اضعاف الدولة العثمانية فيجب على الدولة الانكليزية ان تسعى في حفظ حقوق تلك الدولة وتؤيد حلفائها سدًّا لمطامع الروس وكفًّا لشرهها .

ادبيات عثمانية

ادبياتسز ملت دلسز انسان قبيلند ندر

زمان سابقده عثمانلی ادبای مشهوره سی وار ایدی لكن شو صوك سنة لرده سايۀ فيضوايۀ جناب پادشاهيده عثمانلیارده اون سنه دن بری ادبيات بز ترقئ فوق العاده كوستروب عثمانليجه پك چوق كتب ادبيّه وحكميّه وتاريخيّه وعلميّه وفنّيه طبع ونشر اولندی. اسلاف ومعاصرين ادبای عثمانيه نك آثار جليله سی جداً شايان اعتنا اولد يغندن بعض بی خبر اوروپاليلری ايقاظ ايچون ادبيات مبحوث عنها مطالعه سنی توصيه ايدرم. (ويلسن)

مراسلات

مصر

(لمكاتبنا الخصوصي)

القاهرة في ٦ جانيوري سنة ١٨٩٢

اعظم المنافع التي اشتهرت في الديار المصريّة بعد احتلال الجيوش البريطانية لها اصلاح الري وتوسيع نطاقه حتى كثر انتفاع الزارعين بماء النيل الذي كان ينصبُّ في البحر المتوسّط فيذهب الكثير منه سدى ولا تروى به الاراضي. امّا الآن فقد كثرت الترع المتوزعة في اراضي مصر السفلى واصلحت القناطر الخيرية المبنيَّة اعلى رأس الدلتا فصار الفلاح يزرع الارض هناك صيفاً وشتاءً وعُمِّقت الترع ووسعت في مصر العليا فلم يعد يخشى على الاراضي من القيظ والظما اذا لم يتعال فيضان النيل ولا تجدب الارض هناك من الشرق كما كان يحدث بها في السنين السالفة حين كان الجوع يشتد على الاهالي الذين تجدب ارضهم. وقد جادت الارض جوداً لم يعهد في السنين السالفة فانهم يقدرون حاصلات القطن بنحو اربعة ملايين ونصف مليون قنطار في هذا العام وذلك اعظم ماجنته مصر من القطن من اول ابتدائها بزرع القطن الى الآن. لكن اسعار القطن قد هبطت هبوطاً فاحشاً لم يعهد له مثيل في سالف الاعوام فان قنطار القطن يباع اليوم ارخص مما كان يباع في العام الماضي بنصف ليرة استرلينية. وكان في العام الماضي رخيصاً جداً بالنسبة الى الاعوام السابقة. والسبب في هذا الرخص العظيم كثرة الحاصلات هنا وفي الولايات المتحدة

باميركا وكثرة الموجود منه في اسواق انكلترا. وقد صدرت بلاد مصر في هذا العام نحو ٦٢٠ الف اردب من القمح الى الخارج واصدرت في العام الماضي ٢٧٩ الف اردب فقط وزاد الصادر من كل حاصلاتها في هذا العام عمّا كان في العام الماضي. ولو كانت اسعار القطن اليوم كما كانت في سني الحرب الاهلية بالولايات المتحدة لأمكن مصر ان تغتني غنى وافراً قبل مضي عشر سنين.

قد استعفى فخري باشا ناظر الحقانية لخلاف وقع بينهُ وبين عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر. وقد عيّن ابرهيم باشا فؤاد رئيس محكمة الاستئناف ناظراً للحقانية وهو من الرجال الممدوحين ويؤمل ان تجري احوال الحقانية والمحاكم الأهليّة مجرى حسناً في ايامه باتفاقه مع مستشار الحقانية على تحسين احوال المحاكم. وقد سرَّ تعيينهُ قوما وساء آخرين لوجود غيره من اهل الكفاءة الذين كانوا أسمى منه منصباً وأقرب الى منصب النظارة وأقدم عهداً منه في خدمة الحكومة ولكن قيل بانّهم منعوا من هذه الوظيفة لكونهم ليسوا من المسلمين.

تذكرون ان المستر غلادستون خطب خطبة عندكم منذ شهرين او اكثر وقال فينا انهُ يجب على انكلترا الاهتمام بالجلاء عن القطر المصري. وقد اثّر كلامهُ هذا تأثيراً غريباً هنا وحرك خواطر الاهالي فباتوا ينتظرون خروج الانكليز قريباً من هذه الديار ولاتزال الجرائد عندنا في حجاج وجدال علىٰ هذه المسالة وخصوصاً لمّا ظهر من تقرّب فرنسا من روسيا انهما تقصدان مقاومة انكلترا في هذه البلاد. ومع ان اللورد سالسبري خطب خطبة ردَّ بها على المستر غلادستون فكلامهُ لم يمح تأثير كلام غلادستون في الاذهان حتى الآن. والحق يقال ان الفرنسويين يقاومون الانكليز هنا اشدَّ مقاومة حتى لايتغلّب نفوذ الانكليز على نفوذهم ويبذلون جهدهم في الكتابة وفتح المدارس والتعليم واستعمال كل الوسائط التي تمكّن قدمهم في البلاد وتعظّم نفوذهم فيها. ومع ان الانكليز قابضون على زمام كثير من الوظائف المهمّة في الحكومة المصريّة فالفرانسويون لا تفوتهم فرصة في التعويض عما يعوزهم من ذلك بالتماس الوسائط الاخري. ولا ندري ما تكون عاقبة هذا الجهاد الشديد والصراع

المديد بين الأمّتين في هذه الديار. ولا ريب ان مصر تخسر كثيراً من المنافع باعتراض الواحدة لما تجريه الاخرى لخير المصريين.

صادق مجلس نظار مصر على ميزانيتها لسنة ١٨٩٢ وتبيَّن من هذه الميزانية ان مربوط ايراداتها يزيد على مربوط مصروفاتها ٥٥٠ الف جنيه وذلك بعدما تتجاوز الحكومة للاهالي عن ٩٠ الف جنية تقريباً من الضرائب. وقد تحسَّنت المالية المصرية تحسّناً عجيباً في هذه السنين حتى قال الخبيرون بماليات الدول ان الماليّة المصرية تفوق كل ماليّة سواها في حسنها ماعدا ماليّة الولايات المتحدة باميركا. ومع ان واردات الجمارك وصادراتها تزيد في هذا العام عمّا كانت في الاعوام السالفة فالناس يشكون من كساد التجارة ووقوف حركة الاشغال.

كثر التعدي من قتل ونهب وسلب وسرقة في هذه الديار منذ اعوام حتى اضطرَّت الحكومة ان تهتم اهتماماً خصوصيًّا بحفظ الامن العام وعيّنت الخفراء واختارت الاكفاء من الضباط وجعلتهم ضباطاً للبوليس وقد ظهرت نتيجة ذلك قليلاً فان عدد القتلي قَلَّ الى النصف منذ ثلاثة أشهر عمّا كان عليهِ في مثل هذه الأشهر من السنة الماضية وكذلك عدد السرقات. ويؤمّل انهُ لايمضي زمان طويل حتى يستتب الامن في انحاء هذه البلاد.

جعل السيَّاح يتقاطرون الى هذه البلاد حتى اوشكت الفنادق ان تمتلي بهم منذ اليوم. وقد زارتنا منذ مدَّة امبراطورة النمسا متنكرة فأعجب الناس ببساطة معيشتها وسذاجة زيّها وكان عندها قرينة ولى عهد اسوج ونروج واحد برنسات النمسا وكثيرون من سُراة اوربا ويسرّنا انّ عدد السياح آخذ في الازدياد بهمة الخواجات كوك الذين يسهلون هم السياحة ولكن معظم الربح من هؤلاء السيَّاح لا يزال يذهب الى جيوب الاجانب والقليل منهُ الى جيوب الاهالي لعدم استطاعة الأهالي على مناظرة الاجانب في التكسّب من السيَّاح الاوروبيين.

هذا وانّي سأرسل اليكم في المرّة الاتية رسالة اغزر مادَّة واوفي شرحاً راجياً ان اطلعكم على حاجات اهالي هذه البلاد وآرائهم وآمالهم حتى تتحقق امانيهم في

جريدة ضياء الخافقين التي وقع اسمها موقعاً عظيماً عندهم قبل ان ينظروها .

مصر في ١٢ كانون الثاني

لقد انكسفت شمس سعدنا ووقع ظلام الحزن في قلوبنا بوفاة وليّ امرنا سمو الخديوي توفيق باشا فما من احد الاّ وادمعت عينه حين بلغه خبر هذا المصاب العظيم ولا بد ان تفاصيل هذا الرزية بلغتكم تلغرافياً وسأرسل اليكم بعض معلومات لنشرها في العدد الثاني من ضياء الخافقين .

[ونحن نشارك مكاتبنا في هذا الاسف العظيم والرزية الكبرى فان الخديوي توفيق كان سليم النفس محبّاً للخير ولو ان الزمان ما ساعده على ما يبتغيه وما سعفه على ما يرتضيه .

ونهنئ المصريين بالخذيوي الشاب الذي قد تربّي تربية حسنة في البلاد الافرنجية واعترف بحذقه وسلامة طويّته اولو الحذق من الغربيين ونهنئ جلالته بهذه الرتبة السامية التي ورثها كابراً عن كابرٍ ونرجوا ان تسعد مصر وتفوز بكل الخيرات في زمن الخديوى عباس باشا وفقه الله لكل خير].

الاستانة

(لمكاتبنا الخصوصي)

الآستانة في ١٢ كانون الثاني

ان الناس هنا يشتغلون في المحافل السياسة باتحاد دولة الروسيا بالحكومة الفرنساوية مع التباين الحاصل بين امبراطورية مطلقة وحكومة جمهورية ويرون ان المقصود من هذا الاتحاد هو معاكسة انجلترا في مقاصدها وارباب الافكار الدقيقة في السياسة ينظرون الى هذا الاتحاد بعدم الاكتراث لانهم يعلمون ان جلالة السلطان قد تقلبّت عليه أساليب السياسة ووقف على جميع الحقائق وعلم ما تكنّه الدول وما تظهره وصار لا يميل الى هذه الظواهر لعلمه ان كل دولة لاتنظر الا في منفعة ذاتها ورواج اعمالها ولو كان في ذلك خسارة كل الدول ولهذا ترى دائماً من اوامر جلالة السلطان وارادته ومنهجه السياسي الميل والركون الى الحيادة والوقوف موقف التأمّل والتبصّر لأقتطاف ثمرات المنافع والفوائد لممالكه وبسياسته هذه الحكيمة قد حفظ في يده مفاتيح السلام الاورباوى ولولا حكمته وتبصره وعدم جنوحه الى رأي اى دولة لانصدع باب السلم مراراً عديدة في هذه المدة الأخيرة لان امكان انفصام عرى السلم تكرّر وقوعهَ ومع كل هذه المشاكل التي حدثت في عالم السياسة قد ابان بافكاره الذاتية وتدابيره الخاصة عن اتصافه بالحكمة البالغة والسياسة الدقيقة وانّ الواقفين على حقائق الاحوال هنا يرون ان الدول مهما بذلوا الجهد في ترويج مقاصدهم ووضعوها في ظروف محكمة الاتقان

وسحروا بها أعين الناس في مسرح سياستهم فان جلالة السلطان يراها على حقيقتها ولا تلفته تلك الظواهر عن منهجه في المحافظة على السلم وانتهاز الفرصة لمنافع ممالكه والحيادة للسلامة من هذه الاخطار وان كان يوجد في السراى السلطانية بعض من يميل الى حكومة كذا ودولة كذا فان هذا لا يؤثر مطلقا على سياسة جلالة السلطان لوقوفه على حقايق الامور.

قد انعم جلالة السلطان على حضرة اسماعيل باشا الخديوي السابق بدار واسعة في الاستانة تساوي اكثر من ستين الف ليراً فألتمس أن يحسن عليه بعد ذلك بعشرة الاف ليراً يصرفها في فرش تلك الدار قولاً بانه أصبح فقيراً وانّ ثروته نبضت وان لا قدرة له على صلاح الدار المذكورة ولما كانت الاقتصادات المالية لاتساعد على صرف هذا المبلغ الجسيم صرف له خمسة الاف ليرا فاخذها وهو غير راضٍ كان له على الدولة دين يطالبها به.

قد تاسف الجميع على وفاة الخديوي توفيق باشا وقد صدرت الارادة السنية بتعيين البرنس عباس مقام ابيه وسأرسل اليكم ما لزم في هذا الشان للعدد الآتي.

اخبار

* لقد حزن الناس عموماً واستولى الشجن على الافئدة وكادت الاكباد ان تتفتت من هذه الرزية الكبرى والمصيبة العظمى التي عمَّت البلاد البريطانية وطمَّت اقطارها وهي فقد البرنس البرت نجل ولي العهد في ريعان عمره وعنفوان شبابه. ومما زاد الناس كمداً وأسفاً انهم حينما كانوا يجدون في تجهيز لوازم التهاني لزفافة في ٢٧ فبريوري فاذا رأوا أن قد تحوّلت حجلة العرس بمحفّة الجنازة ولا ترى احداً الاّ وهو يندب هذا الفقيد باكي العينين متحسراً على هذا التبدل العجيب وكان عمر المرحوم ٢٨ سنة رحمة الله عليه رحمة واسعه .

* سرّنا ما بلغنا من مكاتبنا في بيروت ان جريدة (لسان الحال) قد صدرت ثانيا فنتمنى لها الخير والنجاح ونثني على صاحب امتيازها ومحررها البارع كل الخير لخدمتها لبلاد سوريا والشرق، قد صدرت جريدة جديدة في بيروت اسمها (الاحوال) ومحررها حضرة الفاضل خليل افندي البدوي وهي في غاية الاتقان كتابة وطبعاً وقد رأينا في صفحاتها فوائد شتى لابد ان تاتي خيراً لمطالعيها فنرجوا لها التوفيق.

* قد حضر الى مدينة لوندن منذ اربعة اشهر العلامة الشهير والسيد النبيل والفاضل الجليل الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني وكان حصل له من الشاه اهانات تانف الاسماع من ذكرها والقي القبض عليه وارسل من بلاد فارس مقيد اليدين والرجلين الى بغداد فمنها ذهب الى البصرة ثم اتى الى هذا الطرف فرحب به الشعب الانكليزي واكرموا مثواه وكتبت عنه كل الجرائد والقى خطباً في المحافل

العظيمة بخصوص احوال العجم الحاضرة .

* اننا بعونه تعالى ندرج في العدد الاتي شطراً من تاريخ القرن التاسع عشر .

منزل الغرباء الشرقيين

قد رسمنا في جريدتنا هذه صورة الفندق الذي ليس له مثيل في اوروبا تماماً. ولا يخفى ماله من المنافع للشرقيين القادمين الى هذه البلاد خصوصاً الفقراء وارباب الحرف والنوتية. وكان اول من اسسه البرنس البرت زوج الملكة سنة ١٨٥٦ وان مهاراجه دولب سنج اول من اعطى ٥٠٠ جينيه لتاسيس هذا الفندق، وعدد عظيم من وجهاء هذه البلاد اعطوا مبالغ جسيمة للنفقة عليه. وقد عدّ الواردون الى هذا المنزل المنيف في مدة ٣٣ سنة فبلغ عددهم ثلاثة عشر الف. ولا شك ان فندقاً كهذا في مدينة لوندن جدير بكل مدح ويستحق الاسعاف من الاغنياء واهل الخير رحمة بالفقراء وشفقه علي الغرباء .

اعلان

اننا نعلن لحضرة القرّاء بان ادارة ضياء الخافقين قد عزمت على نشر القسم العربيّ وحده منفرداً عن القسم الانكليزي في الاعداد الآتية وعدد صفحاته يكون ستة عشر. وقيمة النسخة تكون نصف شلين وبدل الاشتراك في مصر وفي كافة البلاد الشرقية عن سنة ٧ شلينات خالصة اجرة البريد ومن اراد اشتراء القسم الانكليزي فليطلب ذلك من وكلائنا ام يكاتب الادارة راساً والقيمة تكون عن سنة ١٤ شلين. وسينشر في العربي ملخص جميع ما كتب في الانكليزي .

كيلبرت و ريفنكتن ـ ليميتد ـ سينت جانس هاوس ـ كليركينويل ـ لندن .

العدد ٢ | السنه الاولىٰ

ضِيَآءُ الْخَافِقَيْنْ

Dia - ul - Kharikain
(TEH LIGHHT OF THE TWO HEMISPHERES)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والأخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة
الأثنين في ١ اذار سنة ١٨٩٢

الاشتراك

قيمة الاشتراک (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزى في انكلترة:

عن سنة	عن ستة أشهر
١٣ شليناً	٧ شلينات

في الخارج:

١٤ شليناً	٨ شلينات

(تدفع سلفاً)

الاعلانات:	ليرة انكليزية
عن كل صفحة	١٠
عن نصف صفحة	٦

(تدفع سلفاً)

(والاعلانات يصدر ترجمتها في الانكليزى)
يجب أن تُخابر الادارة راساً ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج و لا تُرَدّ لاصحابها أدرجت او لم تدرج. وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالإشغال.
واما التلغرافات فيكون عنوانها «ضياء ـ لندن». Dia, london

فهرسة

انّ جريدة (ضيآء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكسندر وشبهرد في محل ادارة الجريدة ـ ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت ـ لندن و تُطبَع في مطبعة الخواجات
كيلبرت و روبنكتن ـ ليميتد ـ سينت جانس هاوس ـ كليبركينويل ـ لندن
GIIIBERT & RIVINGTON, LIMITED, ST. JOHN'S HOUSE, CLERKENWELL, LONDON.

السنة الاولى — العدد ٢

THE

Eastern and Western Review.



قيمة العدد الواحد — ست بنسات

قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزي

في انكلترة :—

عن سنة	عن ستة اشهر
١٢ شلينًا	٧ شلينات

في الخارج :—

عن سنة	عن ستة اشهر
١٤ شلينًا	٨ شلينات

(تدفع سلفاً)

الاعلانات

	ليرا انكليزية
عن كل صفحة	١٠
« نصف «	٦

(تدفع سلفاً)

(والاعلانات يصير ترجمتها في الانكليزي)

يجب ان تُخابر الادارة راساً ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

Dia-ul-Khafikain.

(THE LIGHT OF THE TWO HEMISPHERES.)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والاخبار الصحيحة

تصدر في مدينة لندن

في كل شهر مرة

الاثنين في ١ اذار سنة ١٨٩٢

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج ولا تُرد لاصحابها أُدرجت ام لم تُدرج . وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالمال .

واما التلغرافات فيكون عنوانها "ضياء - لندن"

" Dia, London."

فهرسة

جريدة (ضياء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكساندر و شبرد في محل ادارة الجريدة — ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت — لندن . وتطبع في مطبعة الخواجات —

جلبرت و ريفنكتن — ليمتد — سينت جانس هوس — كلاركنول — لندن .

Gilbert & Rivington, Limited, St. John's House, Clerkenwell, London.

حيرة الحكماء

كلّت القريحة وونى الحذق ووهنتْ الكياسة وعجز الحدس فتضاربت الافكار وتعارضت الحجج وتناقضتْ الآراء. قد اكفهرتْ آفاق الشرق واظلمتْ أقطاره فضلت سكّانه عن الرشد وتاهتْ في بيداء الجهاله ففاجاها الفقر من كمينه واستلب قويها وتركها أشلاء لاحراك لها. اوّه كيف هبط الشرق من ذروة مجده الى حضيض الذلّ ولِمَ انكسفت شمس نهيته التى طالما أضاءتْ العالم بانوار العرفان وبمَ اندرستْ معالم عقوله الساميه وعلام انطمست بدائع صنائعه واين الثروه التي كانت بهرجتها تبهر العيون وتدهش الألباب وكيف اضمحلتْ تلك القوّة القاهرة التي ساد بها الأمم وفتح الأرجاء ودوّخ البلاد.

قد اعتركت آراء الحكماء في استنباط اسباب قضتْ عليه بالدمار والوبال كلٌّ سلك مذهبا وأرى لصدق الرأى منزعاً بنى عليه الوسائل التي يجب اتخاذها للعلاج.

فمن ذاهب ان الأستبداد في الحكومة والسلطان في الولاية الأستقلال في الأمر والنهي هي التّي نزفت قوى الشرقين وأوهنتْ هممهم العالية وعزائمهم الماضية وقعدت بهم عن معالى الأمور واقنعتهم بخساسة العيش ووطّنتْ نفوسهم للذلّ والصغار.

ومن ذاعم انّ الدين لمّا تلاعبتْ به النفوس الدنسة وتواردت عليه الآراء الركيكة التي نزحتْ بها العقول السخيفة أظلم المشاعر فوقفتْ عن استهداء مسالك خيرها وأفتر نزعات النفوس الى معارج سعدها وسقطت به الأمم الشرقية عن عداد الأمم الغربية وتساوى عندها الجهل والعلم والعزّ والذلّ والفقر والغنى.

ومن ظانّ انّ تخالف الأديان وتباين المذاهب وتغاير الطرق والمسالك هي

التي اوجبتْ التقاطع وألقتْ الشقاق بين الشرقين فاهتّم كلّ بنفسه وجدّ في الذود عن حوزته غير مبال بما يعرو جاره ويمسّ مساكنه من الدواهي والبلآيا. وانّ الخير عزيزٌ قدره جليل مقامه لاتناله الأيدى الاّ بالتكافوء و التعاضد فلمّا تفرقت الكلمة وتشتّت الشمل عجز كلّ عن استجلابه فاستخلفه الشرّ وعمّ جميع أقطار الشرق.

ومن راجم انّ الحرارة أرختْ الأعصاب وأوهتْ الجوارح فتثاقلت لأبدان وفشلت القوى وخنست الهمم وساعدها على أثارها خصب الأراضي ووفير النعم فعدم الشرقيّ ملكة النشاط والاجتهاد عقم عقله عن أجالة الافكار لنيل الأوطار ففاته السعد والشرف. هذه هي آراء الحكماء في سقوط الشرق. ولكلّ فيما رآه وجهه ولكن ليست تلك الأمور التي سردناها عللاً تامّة للسقوط وان كان لكلّ تأثير ما فان الشرق قد تلبّس بها منذ نجم في بسيط الوجود وذكر أسمه في الواح التاريخ وقد كانت له معها السعادة العظمى والكلمة العليي والشأن الرفيع والمقام المنيع. ونحن نعرض العلّة الحقيقيّة على الرغبة في عرصتها.

وامّا الآن فنكتفي بهذه الجمل الوجيزة. انّ الفضائل هي الروابط التي تجعل متكثرات الأحاد فى هيئة جامعة وصورة وحدانية بها تتشكل العائلة وعليها تقوم الامّة. وهي قد انعدمت من الشرق.

وان الرذئل هي حقيقة التقاطع وماهيّة التلاشى. ولقد تمكّنت في الشرق من النفوس حتى لا تسع غيرها ترى كُلاً يدور على محوره وهو في مركزه لا يتبع الاّ هوسه ولا ينظر الاّ الى نفسه.

ومهما يكن السبب لهذه الخيبة والخذلان فالعلاج حصر في عزائم نفوس أبيّة فدت ذواتها وتجردت عن شؤونها لاتقوم الا لخطبة ولا تقعد الاّ للوعظ ولا تمشي الاّ جهادا في سبيل الأمّة وذودا عن حقوقها حبّا في اسعادها. ومن لنا بهذه النفوس وكيف الوصول اليها. آهً من الحرمان ايم الله لقد ابيضّت الأعين من الانتظار وبلغت القلوب الحناجر وكاد القنوط ان يرخى ستاره وأوشك ان يقضي عدل الحق بالموت الأبدي انا للّه وانّا اليه راجعون ولا حول ولا. (خليل).

* (قد وردت الينا الرسالة الاتية من مكاتبنا في بغداد كما ذكر في المراسلات):

بلاد فارس

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حملة القرأن. وحفظة الأيمان. ظهرأ الدين المتين. ونصراء الشرع المبين. جنود اللّه الغالبة في العالم. وحججه الدامغة لضلال الأمم. جناب الحاجّ الميرزا محمد حسن الشيرازي. وجناب الحاجّ الميرزا حبيب الله الرشتي. وجناب الحاجّ الميرزا أبي القاسم الكربلائي. وجناب الحاج الميرزا جواد الأقا التبريزي. وجناب الحاج السيّد علي اكبر الشيرازي. وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي. وجناب الميرزا حسن الآشتياني. وجناب السيّد الطاهر الزكيّ صدر العلما. وجناب الحاجّ آقا محسن العراقي. وجناب الحاجّ الشيخ محمد تقي الاصفهاني. وجناب الحاجّ الملاّ محمد تقي البجنوردي.

وسائر هداة الأمّة. ونوابّ الأئمّة. من الأحبار العظام. والعلماء الكرام.

أعزّ الله بهم الاسلام والمسلمين. وأرغم انوف الزنادقة المتجبرين آمين.

طالما تاقتْ الأمم الافرنجيّة الى الاستيلأ على البلاد الأيرانيّة حرصاً منها وشرها. ولكم سولّت لها امانيها خدعاً تمكّنها من الولوج في أرجائها وتمهّد فيها سلطانها على غرّة من أهلها تحاشياً من المقارعة الّتي تورث الضغائن فتبعث النفوس على الثورة كلّما سنحت لها الفُرص وقضت بها الفترات. ولكنّها علمت انّ بلوغ الأرب والعلماً في عزّ سلطانهم ضرب مى المحال لأنّ القلوب تهوى اليهم طرّا. والناس جميعاً طوع يدهم يأتمرون كيفما أمروا ويقومون حيثما قاموا لامرّد لقضائهم

ولادافع لحكمهم. وانّهم لا يزالون يدأبون في حفظ حوزة الأسلام. لا تأخذهم فيه غفلة ولا تعروهم غرّة ولا تميد بهم شهوة. فخنست وهي تتربّص بهم الدوائر وتترقّب الحوادث أيم الله انّها قد أصابتْ فيما رأتْ لانّ العامّة لو لا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لالتجأت بطَيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصاً من هذه الدول الذليلة الجائرة الخرقي الّتي قد عدمتْ القوة وفقدت النصفة وأنفت المجاملة فلا حازتْ منها شرفا ولا صانت بها لنفسها حقا ولا انشرح منها صدرها فرحا.

ولذا كلّما ضعفت قوّة العلما في دولة من الدول الاسلاميّة وثبت عليها طائفة من الافرنج ومحتْ اسمها وطمست رسمها. أنّ سلاطين الهند وأمراء ماوراء النهر جدّت في أذلال علماء الدين فعاد الوبال عليهم سنة الله في خلقه... و انّ الافغانين ما صانوا بلادهم عن أطماع الأجانب وما دفعوا هجمات الأنجليز مرّة بعد أخرى الاّ بقوّة العلماء وقد كانت في نصابها.

ولمّا تولّى هذا الشاه (الحارية الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا ويخفّض شأنهم ويقلّل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد بباطل أوامره ونواهيه وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره. فطرد جمعا من البلاد بهو ان ونَهَنَهَ فرقة عن أقامة الشرع بصغار وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والخرق (طهران) وقهرها على الأقامة فيها بذلّ. فخلاله الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلّب في اطوار الفظائع وتجاهر بانواع الشنائع. وصرف في اهوائه الدنيّة وملاذّه البهيميّة ما مصّه من دماء الفقراء والمساكين عصرا. ونزح من دموع الأرامل والأيتام قهرا (ياللاسلام).

فاذا اشتدّ جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغداً خسيساً ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه. وهذا الماق ماقعد على دسته الاّ وقام بأبادة الدين ومعاداة المسلمين. وساقته دنائة الأرومة ونذالة الجرثومة الى بيع البلاد الأسلامية بقيم زهيده. فحسبت الأفرنج انّ الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الايرانية بلاكفاح ولا قتال وزعمت انّ العلماء الذين كانوا يذّبون عن حوزة الاسلام

قد زالت شوكتهم ونفد نفوذهم. فهرع كلٌّ فاغراً فاه يبغى ان يسرق قطعة من تلك المملكة.

فغار الحق وغضب على الباطل فدمغه فخاب مسعاه و ذلّ كلّ جبّار عنيد. اقول الحقّ انكم يا ايّها القادة قد عظمّتم الاسلام بعزيمتكم وأعليتم كلمته وملأتم القلوب من الرهبة والهيبة. وعلمت الأجانب طرًّا انّ لكم سلطاناً لا يقاوم وقوّة لا تدفع وكلمة لا تردّ. وانكم سياج البلاد وبيدكم ازمّة العباد. ولكن قد عظم الخطب الان وجلّت الرزية لأن الشياطين قد تألبّت جبراً للكسر وحرصاً على الوصول الى الغاية وازمعت على أغراءٍ ذاك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة من البلاد. وأبانت له انّ أنفاذ الأوامر أنّما هو بانقياد قوّاد الجيوش وانّ القوّاد لا يعصون للعلماء أمرا ولا يرضون بهم شرّا فيجب لاستتباب الحكومة استبدالهم بقوّاد الأفرنج. وأرثْ لذاك البليد الخائن رآاسة الشُرطة وقيادة فوج الغزّاق نموذجاً (كنت واضرابه). وانّ ذاك الزنديق وزملائه في الالحاد يجدّون الآن في جلب قوّاد من الأجانب والشاه بجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتزّ به طربا.

لعمر الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد العته والشره على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسليم دار الأسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مناقره.

يا هداة الأمّة انّكم لو أهملتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وأمهلتموه على سرير جنونه وما أسرعتم بخلعه عن كرسيّ غيّة لقضى الأمر فعسر العلاج وتعذر التدارك.

انتم نصراء الله في الأرض. ولقد تمحصّت بالشريعة الالٓهية نفوسكم عن أهواء دنيّة تبعث على الشقاق وتدعوا الى النفاق ويئس الشيطان بقذفات الحقّ عن تفريق كلمتكم. فأنتم جميعاً يد واحدةٌ يذود بها الله عن صياصى دينه الحصينه ويذبّ بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة. وانّ الناس كافّة (الاّ من قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طرع امركم. فلو أعلنتم خلع هذا (الحارية) لأطاعكم الأمير والحقير وأذعن لحكمكم الغنيّ والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الازمان عيانا

فلا أقيم برهانا) خصوصاً وانّ الصدور قد حرجت وانّ القلوب قد تفطّرت من هذه السلطنة القاسية الحمق الّتي ماسدت ثغورا ولا جنّدت جنودا ولا عمّرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزّت كلمة الأسلام ولا اراحت يوماً ما قلوب الأنام بل دمّرت وأقوت وأفقرت واذلّت ثم بعدَ ضلّت وارتدّت. وانّها سحقت عظام المسلمين وعجنتها بدمائهم فعلمت منها لبنات بنت بها قصورا لشهواتها الدنية. هذه آثارها في هذه المدّة المديدة والسنين العديدة تعسا لها وتبت يداها.

واذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبص بها لسان الحقّ غيرةً على دينه) فلا ريب انّ الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الحيدان عن أوامركم الآلهيّة ولا يسعه الاّ الخضوع بعتبتكم عتبة الشريعة المحمدية. كيف لا وهو يرى انّ مالكم من القوّة الربانيّة الّتي تقلبون بها الطغاة عن كرسى غيّها وانّ العامّة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولعاً وحلمت حولكم هياما وصارتْ جميعاً جنداً للّه وحزباً لأوليائه العلماء.

ولقد وهم من ظنّ انّ خلع هذا (الحارية) لا يمكن الاّ بهجمات العساكر وطَلَقات المدافع والقنابر. ليس الأمر كذلك. لانّ عقيدةً ايمانيّة قد رسختْ في العقول وتمكّنت من النفوس. وهى انّ الرادّ على العلما رادٌّ على الله (هذا هو الحقّ وعليه المذهب) فلاذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله فى هذا الغاصب الجائر وأبنتم أمره تعالى في حرمة أطاعته لانفضّ الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال ولا قتال.

ولقد أراكم الله فى هذه الأيام أتماماً لحجته ما اولئكم من القوّة التامّة والقدرة الكاملة وكان الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل. اجتمعت النفوس بكلمة منكم على أرغام هذا الفرعون الذليل وهامانه الرذيل (مسئلة التنباك) فعجبت الامم من قوّة هذه الكلمة وسرعة نفوذ هاوبُهتَ الذى كفر. قوّة انعمها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الأسلام. فهل يجوز منكم أهمالها وهل يسوغ التفريط فيها حاشا ثم حاشا.

قد آن الوقت لأحياء مراسم الدين واعزاز المسلمين. فاخلعوا هذا (الطاغيه)

قبل ان يفتك بكم ويهتك اعراضكم ويثلم سياج دينكم. ليس عليكم الآ ان تعلنوا على رؤوس الأشهاد حرمة أطاعته فاذاً يرى نفسه ذليلاً فريدا يفرّ منه بطانته وينفر منه حاشيته وينبذه العساكر ويرجمه الأصاغر.

أنّكم يا ايّها العلماء والذين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم. قد كسرتم قَرَن فرعون بعصى الحق وجدعتم أُنف الحارية بسيف الشرع فهو يتربّص فُرصاً تساعده على الانتقام شفاءاً لغيظه ومرضاة لطبيعته التّي فطرت على الحقد واللجاج فلا تمهلوه أيّاماً ولا تمكّنوه ان يقبض زماما. اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه.

وحاشاكم أيّها الراسخون في العلم ان ترتابوا فى خلع رجل سلطانه غصب وأفعاله فسق واوامره جور وانّه بعد أن مصّ دماء المسلمين ونهش عظام المساكين وترك الناس عراةً حفاةً لا يملكون شياءً حكم عليه جنونه ان يملّك الأجانب بلادا كانت للأسلام عزّا وللدين المتين حرزا وساقته سورة السفه الى آعلاء كلمة الكفر والاستظلال بلواء الشرك.

ثم اقول انّ الوزراء والأمراء وعامّة الأهالى وكافة العساكر وابناء هذا (الطاغية) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفذ جَلَدهم) كلمة واحدةً حتّى يخلعوا هذا الفرعون الذليل ويريحوا العباد من ضرّه ويصونوا حوزة الدين من شرّه قبل ان يحلّ بهم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(السيد الحسيني)

العلم والمال

العلم وما ادراك ما العلم كنز يحرس صاحبه والمال كنز يحرسه صاحبه والعلم يزكو على الانفاق والمال ينفد على الاطلاق والعلم يعطيه صاحبه متّلذذا والمال يعطيه من يعطيه متألما قال احد العلما لو أعطى لى العلم والحكمة على شرط ان لا انشرهما ما قبلتهما والعلم فوق سلطان الدهر يبق على حدثائه والمال تحت سلطان الدهر وحكم الصدفة ينتقل من مكانه ولقد استولى احد الملوك على بلد ما وكان بها عالم فقد في القتلى زوجته واولاده واحترق بيته وماله فرأى العسكر عليه خلاف مايرونه على وجه من أصيب بمصيبة فاخذوه الى الملك فسأله عما فقد فقال ما فقدت شيأً انّ مالى بتمامه معى فعجب الملك بهذا الكلام واخذ ويتشكك فى انتصاره وما نفعه أن غلب أمّة اذا عجز ان يغلب واحدا. والعلم محفوظ لصاحبه بعد موته والمال تحت حكم الضياع في حياته وكم من قهّار طار صيته في المشرق والمغرب وغيّر بفتوحاته الالسنَ والعواته وتألّه بجبروته واستعبد الناس برهبومة لم يبق في صحيفة الدهر من اسمه الاّ بعض ما تركته أَرضَة الفنأ من نقاط واسم ابى حنيفة والغزالي يسطعان ويلمعان على جبهة الزمان لايفنيان ولو شاب الفتيان وان بقيت تلك النقاط من اسم ذلك القهار فهى ايضا من بعض فضل العلم والعلم اذا زاد افاد والمال اذا زاد اهلك واباد والعلم باعث على الخير والمال باعث على الشر كلاّ انّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى ويتصف بالعلم من ملك القليل منه ولا يتصف بالغنى من ملك جبالا من الذهب وفضل العلم بديهى يجل عن اقامة البرهان ولو وُجِد انسان وخالف في ذلك وروّج اقاويل في تفضيل شيء عليه فقد فضّل العلم وهو لا يدرى.

(ستأتي البقية)

ممَّ تشكون وماذا تبغون

نقلا عن جريدة (المقطم)

[ان اهمية المقالات الاخيرة في المقطم تستوجب التفات ذوي الالباب وارباب السياسة فرايْنا لزوم طبعها في جريدتنا حتى يطّلع عليها من فاته ذلك من اهل الشرق والغرب]

يتصفح القراء الجرائد فيجدون في احداها ذمّ ما تمدحه الاخرى وفي هذه استهجان ما تستحسنه تلك فيقتصر جمهورهم على مطالعة الأخبار اليوميّة ويقولون ما لنا وللمناقشات السياسيّة وآراء الجرائد الخصوصيّة فانّها مهامه يضلّ السائر فيها ولجج يضيع الغائص على لآليها. او ينحازون الى هذه الجريدة لمشاركتها لهم في الاهواء ويعرضون عن تلك مراعاةً لزيد وعمرو وينسون ان القول الحق أحق بالاتباع وان سلطان البرهان والقياس اولى بان يطاع. قال لنا بعض العقلاء الواسعي الاطلاع اني وجحدت طريقة بسيطة مختصرة لمعرفة الغث من السمين والزائف من الصحيح من المقالات الّتي أتصفحها في جرائدنا المحليّة وذلك انه اذا كانت الجريدة من الجرائد المعارضة وضعت نصب عيني ثلثة امور قبل مطالعة مقالاتها أولها ما هي دعوى صاحب المقالة وثانيها ما هي ادلته على صحة دعواها وثالثها ماهو الامر الذي يشير به لمنفعة البلاد. واذا كانت الجريدة من غير الجرائد المعارضة أقتصرت على الأمرين الاولين اذ الامر الثالث معروف. فاذا وجدت في المقالة ما يفيد تلك الامور أُبقيتها عندي قصد الاستعلام عن حقيقة ما قيل فيها والاّ

علمت انها كلام في كلام ولم أعِرها جانب الاهتمام. وقد اغياني ذلك عن عناء كثير اذ لم اجد بين جرائدنا ما يستوفي هذه الشروط غير النزر اليسير.

ولقد طال الجدال والنضال بين الجرائد في حقيقة ما ينفع مصروما يعود بالخير على المصريين حتى صفرت وطاب المقصرين فانقلبوا من البحث العقلي والنقلي الى المجافاة والمعاداة بالعربدة والتقريع في الكلام. ولكن ما الفائدة من الشقشقة وتكثير الكلام وما المنفعة من النزاع والخصام. فالقصد من مقالات الجرائد ان يظهر كتّابها لقرّائها حقيقة ما ينفعهم. وما ينفع البلاد وذاك يتّم بايراد الحقائق واقامة الدليل والبرهان على صحة الآراء لا بشقشقة اللسان واغلاظ الكلام ولا بالتهويل والايهام.

وقد مضى على هذا القطرسنون والمعارضون يندّدون وينتدون ويدعون ان البلاد صائرة الى البوار والدمار ويسترون الامور عن عيون البسطاء ويكابرون في الحق الصريح الواضح. فهب ان ما يقولونهُ صحيح وانّ النظام الحاضر يجرُّ الشرّ والضرر على البلاد فما بالهم يقتصرون على القعنيف والتنديد ولا يظهرون للناس النظام الذي يرقي البلاد وينفع العباد. وما بالهم يكتفون بالذّم والطعن على كل ماهو موجود ولا يظهرون لنا ما هو خير منه وابقى لمصلحة البلاد واهلها. فلقد فرغت جعاب المنددين وهم يرشقون النظام الحاضر بسهام الملام ويسلقون رجالهُ بألسنة حداد. ولكن هل قام فيهم رجل أشار بما هو خير لمصر وانفع لاهلها ـ هل استطاع أحد منهم ان يصف لمصر نظاماً اصلح من نظامها الحالي. لا لعمر الحقّ وكتاباتهم اعظم شاهد عليهم.

ولا يخفى ان بعض المعارضين هم من الاجانب وبعضهم منّا نحن رعيّة الحكومة المصرية. امّا الاجانب فغايتهم معروفة ولو كانوا لا يعترفون بها والنظام الذي يرومونه معلوم ولو كانوا يستحيون ان يقرُّوا به فهم يطلبون ان تعود الاحوال الى ما كانت عليه قبل الاحتلال اي ان تعود المراقبة الانكليزيّة والفرنسويّة على البلاد وان يطلق باع الاجانب في هذه الديار حتى يجتنوا المنافع منها كما كانوا

يجتنونها قبلاً. ولا عبرة بما يقولونه ويدعونه. غير ذلك فانّ هذه هي غايتهم وهذه هي منيتهم لانها لم يهبّوا الى المعارضة وذمّ الاحوال الحاضرة الاّ بعدما حرموها ومنعوا منها. واما المعارضون من رعيّة حكومتنا المصرية فلا يدري الاّ الله ما هي غايتهم ولا ماهي منيتهم لانهم يرفضون ما طلبوه أمس ويذمّون غداً مامدحوهُ اليوم ولا يعينون علة حقيقية يشكون منها ولا يجاهرون بغاية واضحة يسعون اليها. هذا وما تبوّأ الجناب العالى عرش الخديويّة حتى بتنا جميعاً نرجي تحقيق الاماني وبلوغ الآمال. فلو فرضنا ان سموّهُ سأَل الشاكين من رعيته ممّ تشكون وماذا تريدون وايّ نظام غير النظام الحالي تطلبون فماذا يجيبون وماذا يطلبون.

يقول لهم ان المغفور لهُ والدي سنّ لأصلاح بلاده ورعيّته نظاماً جرى عليه في حكمه فأتمّ اموراً وأبقي لي اموراً أتمّها بعده اتّباعاً لنظامه وجريا على خطته. وقد وغدت امتّي باتباع نظامه والجري على خطته فماذا تبغون غير ذلك وممّ تشكون.

ان هذا النظام أُلغي السخرة عن فقرائكم وأبطل الكرباج فآمنتم الجلد بالسيّاط وقلّل الرشوة حتى كاد يلاشيها فهل تشكون من ذلك وهل تبغون عود تلك المظالم والمغارم اليكم.

ان هذا النظام حسّن ماليّتنا المصرية حتى انها بعد ما باتت على شفا الافلاس منذ بضع سنين اصبحت اليوم من احسن ماليّات الدول العظيمة الاوربّية وبعد ما كان العجز يتعاظم فيها كل سنة زاد دخلها عن خرجها في السنة الماضية نحو الف الف جنيه ننفقها لخير البلاد والرعّية أُمن هذا تشكون او غير هذا تبغون.

انّ هذا النظام زادنا بحمد الله يسراً فبعد ما كانت حكومتنا تستدين كل سنة القناطير المقنطرة من الاموال حتى استدانت في اقل من ١٥ سنة مئة الف الف جنيه اصبحت مستغنيةً عن الاستدانة مع ايفاء فوائد تلك الدَيون في حينها بل لديها الآن ما يقارب مليوني جنيه من المال احتياطاً لصروف الزمان. أمن هذا تشكون او غير هذا تبتغون.

ان هذا النظام خفّف عن رعيتي وسكان بلادي اثقال الضرائب واحمال

الاموال فتنازل لهم المرحوم والدي عن ٦٠٠ الف جنيه في السنة وترك لهم اكثر من مليون جنيه من المتأخرات وأبطل الاموال عن اطيانهم التالفة وقد تغازلت لكم بالامس عن ٨٥ الف جنيه كل سنة من ثمن الملح و ٦٠ الف جنيه كل سنة من عوائد الباطنطة. أمن هذا تشكون او غير هذا تبغون.

ان هذا النظام حسّن الري ووسع نطاقه في بلادي حتى تساوي بنعمته الرفيع والوضيع وآمنوا ضرّ الغرق وشرّ الشرق واغزر لهم الماء للزرع الصيفي حتى شهد الكبير والصغير انّ مصر لم تَر في زمانها ما رأته من اتقان الري في هذه الايام. أمن هذا تشكون او غير هذا تطلبون.

ان هذا النظام انشأ لكم جيشاً مصريّاً شهدت بحسن انتظامِه البلاد القاصية والدانية وأعترف بشجاعته ابطال السودان ورجال النجومي ودقنه ولا نستحيي ان نقابله بالجنود الانكليزية وان نفاخر به الجيوش الاوربية ومن بعد ما كان عدده في اوائل نشأته ٥ آلاف زدناه شيئاً فشيئاً حتى أبلغنا نحو ١٤ الفاً وكلمّا تيسّر لنا المال بلاتثقيل على الرعّية زدنا عدده حتى نبلغه الثمانية عشر الفاً التي عينّتها لنا دولتنا العليّة. أمن هذا تشكون او غير هذا تبغون.

انه في عهد هذا النظام أُنشئت لكم محاكم يتحدث بتقدمها وارتقائها الخاص والعام فرفعت الظلم وأُبطلت الاستبداد عنكم وساوت في الحق والعدل بين صعلوككم وأميركم وصغيركم وكبيركم وهي كل يوم في افتراح جديد واصلاح مفيد والمأمل لها في المستقبل اكثر ممّا تمّ في الماضي. أُمن هذا تشكون او غير هذا تبتغون.

ان هذا النظام حوّل لكم حكومتنا من حكومة استبدادية مطلقة الى حكومة دستورية مقيدة وأقام لكم مجلس شورى ينوب عنكم في ترويج مصالحكم والدفاع عن رغائبكم ويكاد يشبه مجالس النواب في بلدان اوربا وكلمته تزيد كل يوم نفوذاً ورأيه يزداد كل عام اعتباراً وأنتم ترون انّ حكومتنا تعرض كل امر يختص بكم عليه وتبرمه بالاتفاق معه فيه. فقولوا لنا ممَّ تشكون وما ذا تبتغون.

فهذه حقائق لا تردُّ ولا تبقي وجهاً لشكوى. نعم ان كل الاصلاحات الّتي ذكرت لاتزال بعيدة عن الكمال ولكن المثابره على النظام الجارى تؤدي الى اتمامها كلّها بعون الله. على انه لابدَّ من امر آخر معها وهو زيادة الاعتناء بالتعليم وتعميم المعارف ولا نقصد بذلك لوم القائمين بأعباء المعارف اذ هم على قدر بساطهم يمدون أرجلهم ولكن لاغنى لهم عن زيادة كثيرة في المال والرجال حتى يهذّب احداثنا التهذيب الذي يصيّرهم رجالاً يديرون مهام الامة ويرفعون راية الوطن. وهذا ما علقت به الآمال فى ظل اميرنا الظليل الذي ربي في مهد المعارف واغتذى بألبان العلم منذ نعومة اظفاره فحكى الكهول علماً وادراكاً وتوّلى المهام بالحزم والحكمة.

ورُبّ قائل يقول ان النظام حسن ولا شكوى لنا منه وانما الشكوى من المحتلين الذين اعانونا عليه فنحن نشكو منه ونندّد عليه ليس كرهاً له في الحقيقة ولا لانّ لدينا نظاماً اصلح منهُ بل لان المحتلين احتلو بلادنا فاخمدوا الغيرة الوطنيّة فينا واماتوا الحياة الادبية والعواطف الاستقلالية منّا وأُخربوا قلاعنا وحصوننا وما قصدهم الاّ امتلاك بلادنا وابطال سيادة الدولة العليّة علينا. فالاستقلال أُحبّ الينا وأعزّ لدينا من كل ما سواه ولا خير في المنافع الّتي تمت لنا ايّام الاحتلال ان كان من ورائها فقد الاستقلال. فلهذا تنكر الاصلاح ولو كان مشهوراً ونذّم نفعهُ ولو كان ممدوحاً حتى يمحي كل اثر للاحتلال.

سياسة السخافة وسياسة الحصافة

ان مرقاً يصرّون على انكار معظم الاصلاحات الّتي نالتها مصر ايام الاحتلال ويذمون الحسنات الّتي تأتت لها منه ليس انكاراً لها في الحقيقة بل كرهاً منهم للاحتلال وتوهماً بانهّم اذا أعترفوا بتلك الاصلاحات ومدحواهاتيك الحسنات لزمهم الاعتراف بوجوب دوام الاحتلال وهان عليهم فقد الوطن والاستقلال. فهم لا يفرقون بين الاصلاحات الّتي تمت على يد المحتلين وبين مسألة دوام الاحتلال مع ان الفرق بينهما كالبعد بين الثريّا والثرى والتسليم باحد الامرين لايستلزم التسليم بالاخر بوجهٍ من الوجوه . فالخلط بينهما خلط في التميز وخطأً في

الادراك ولذلك كانت السياسة المبنّية على هذا الخلط سياسة سخيفة يضحك منها ذوو الحجى والحصافة.

والاعتراف بانّ الاحتلال عاد على هذه البلاد بالنفع والاصلاح هو اعتراف كلّ الذين لا مأرب لهم في أخفاء الحق وانكار الواقع ولكن شتان بين هذا الاعتراف بين التسليم بوجوب دوام الاحتلال. فجمهور الاهالي الذين يعترفون بالمنافع الّتي أحرزتها مصر في زمان الاحتلال والذين يسعون في افادة البلاد منه على قدر الامكان لا يوافقون على دوام الاحتلال الى ما لا نهاية لهُ ونحن نجاهر بذلك في مقدمتهم جميعاً. ولو بحثت عن الاسباب الّتي تحملنا وتحمل غيرنا على ذلك لوجدتها مختلفة باختلاف المذاهب والمصالح. ففريق يقول ان العالم ميدان جهاد وكفاح فالسابقون السابقون واذا طال احتلال الانكليز لهذه الديار الي ما شاءالله كثر النازحون منهم الى بلادنا والمستوطنون فيها والمستثمرون لاموالهم. بنتاجها وخيراتها. والانكليز قوم يفوقوننا نحن الشرقيين علماً وتهذيباً وهمة وعزيمة ومالا واقداما فاذا جاورونا وجارونا سبقونا الى خيرات بلادنا فلا يطول الزمان حتى يصبحوا هم الاغنياء ونمسي نحن الفقراء وهم السادة والامراء ونحن الصعاليك الأدلاء طبقاً لمقتضي السنة الطبيعية وهي انه حيث تناظر جنسان او نوعان او صنفان وتزاحما على بقعة واحدة ابتلع اقواهما اضعفهما او اباده ولا شاء. فاذا جاءنا الانكليز ونحن على مانحن عليه من الضعف والقصور وقلة الاستعداد عاد الامر علينا وبالاً في آخر الأيّام ولذلك نودُّ ان لا يكون احتلالاً دائماً كما نودُّ انهم لا يجلون عن بلادنا الاّ ونحن بمأمن من احتلال غيرهم لها. ولعلّ هذا هو السبب الذي يلتفت اليه كلّ الذين ينظرون الى بعيد ويقدرون لعواقب الامور ويعتمدون على حكم العقل.

وفريق يقولون انّ بلاد مصر بلاد اسلامّية فلا يهون علينا ان تكون ملكاً لدولة غير اسلامية. نعم انّ الفوائد الّتي حصلت لنا من الاحتلال كثيرة ولكنّا لانودُّ ان يكون احتلالاً دائماً لئلا تخرج البلاد من قبضة المسلمين الى قبضة سواهم. وهذا

عذر يقبله المنصفون ولو لم يكن لهم فيه مصلحة خصوصية. وقد حادثنا كثيرين من أيمة الامة وعلمائها الاعلام واعيانها العقلاء في هذا الشأن فوقفنا لهم على اقوال في غاية الحكمة والسداد ولا تطابق آراء العامة ورغائبهم في شيء من هذا القبيل.

وفريق يقول اننا عثمانيون ومنيتنا ومصلحتنا هما ان تبقى سيادة الدولة العليّة مستحكمة على الدّيار المصرّية فاذا دام الاحتلال وتقرّرت سيادة الانكليز على هذه الديار بطلت سيادة الدولة العلية ولذلك لانوافق على دوام الاحتلال ولو كنّا لا ننكر المنافع والاصلاحات الّتي تمت لهذا القطر في ايّامه. وهذا القول ايضاً قول مقبول ومحمود لانّه صادر عن اخلاص وولاءٍ.

وفريق يقول انّنا مصريون ومنيتنا أن تكون مصر للمصرّيين فاذا دام الاحتلال حرمنا بلادنا وعدمنا الاستقلال. وهو قول يدلّ على حميّة ومحبة وطنيّة وهو في الحقيقة فرع من القول السابق ذكره.

فهذه اشهر الاسباب التي توجب علينا نحن العثمانيين رعيّة الحكومة المصريّة عدم الموافقة على دوام الاحتلال البريطاني لهذه الديار وهي اسباب يقبلها الانكليز أنفسهم ويسلّم بصحتها ذوو الالباب. ومهما قلناها واعدناها فلا يسع منصفاً ان ينكر تكرارها علينا ولما يعيبنا الناس جميعاً اذا سكتنا عن ذكر هذه الاسباب الحقيقية وتشبثنا بالباطل وانكرنا الحق الصريح.

فاتضح مما تقدَّم ان الانسان يمكن ان يمدح كل ماتمَّ من الاصلاح في زمان الاحتلال وان يعترف بكل الفوائد الّتي استفدتها مصر منه في الماضي والّتي تستفيدها في المستقبل وهو مع ذاك اشد الناس معارضة لدوام الاحتلال في الديار. وعندنا انه اذا رام المصريون تقصير زمان الاحتلال في بلادهم وجب ان يجروا على هذه الخطة وان يقابلوا الاصلاحات الّتي يجريها المحتلون بالقبول والاقبال عليها ويتشبهوا بهم في السعي والاجتهاد والسهر على مصالحهم وترقية بلادهم. فهذه هي الوسائط الّتي تقصر زمان الاحتلال وتعجل يوم الجلاء وهذه هي الخطّة الّتي جرى عليها المغفور له الخديوي الماضي والّتي جاهر سموّ الخديوي الحالي بالجري

عليها مع رجال حكومته علماً منهم بانّها ترقي البلاد في مراقي الاصلاح والنجاح فتعجلّ جلاء الانكليز عن هذه الديار. وقد مضى على الاحتلال تسع سنين وذوو المآرب والاغراض يوهمون البسطاء والسذّج بان الاحتلال ينتهي اليوم والجلاء يتم في هذا العام وهذه الدولة طلَبت كذا وكذا وتلك الدولة قالت كيت وكيت. فماذا افاد الايهام وماذا نفع القول والتهويل. أأجلى الانكليز عن البلاد ام اخرجتهم فرنسا بحكمتها وسياستها وسيفها وصولتها.

والانكليز لا يقولون في كل تلك السنين الاّ قولاً واحداً وهو انّا دخلنا البلاد بمشيئتنا ونخرج منها بمشيئتنا متى أكملنا عملنا فيها وتقارير السِر بارنج وغيره من رجاله تُعد المصريين وَعْدا واحداً وهي انّا نخرج من بلادكم متي تأصلت الاصلاحات الّتي غرسناها فيها.

الم يئن لنا ان نتأمل حقيقة الاحوال ولا نغتّر بزخارف الاقوال وان نسعى الى تقصير الاحتلال في الطريق الذي يوّدي الى تقصيره فماذا يجدي تعليق الآمال باهداب المحال والاصغاء الى اشاعات وخرافات يتسلى بها البهّال. الأنرى ان الذين اشاعوها بادروا الى انكار شيوعها عند ماكذبناها والى الحمق والجهالة عزوناها. أولا ترى من خلال خطبة اللورد سالسبري ما يشفُّ لك عن حقيقة الحال حيث قال ان المغفور لهُ الخديوي السابق كان حليفاً لنا وأعزّ اصدقائنا وان كل الدلائل الّتي نعلمها تدلّنا على ان سموّ الخديوي الحالي يكون منّا كما كان والده رحمه الله وطيّب ثراه. أتريد قولاً افصح من هذا واوضح على بقاء المسألة في نصابها بكل مسبباتها واسبابها. وما لك تصدّق قول المرجفين بتعاظم الخلاف بين دولتنا العليّة والمحتلين. ألا ترى من خلال كلام اللورد سالسبري وميضاً يدلّ سناهُ على ماهج الناس منذ مدّة بمعناه فمدح سالسبوري للحزم التركي والثبات التركي والحكمة التركيّة والدراية التركيّة لا يخلو من معنى مقصود يفهمه ذوو البصائر الثاقبة الجليّة.

ولا يخفي انّ مسألة الجلاء عن هذه الديار لا علاقة لها بسياسة مصر المحليّة الا

من وجه واحد قال جناب السياسي الشهير السِر بارنغ في تقريره انّ مسألة الاحتلال تحلّ بالنظر الى اعتبارات شتّى بعضها خارج عن سياسة مصر المحلية وامّا ما يتعلق منها بمصر فهو اتهام الاصلاحات الّتي شرع فيها بعد الاحتلال. ومن رأي جناب السر المذكور ان يدوم الاحتلال حتى تتأصل تلك الاصلاحات في البلاد ورأيه يطابق رأي دولته واُمتّه فالمحافظون والاحرار جميعاً متفقون الآن على احتلال البلاد حتى تتّم الأُصلاحات الّتي أُشار بها السربارنغ. ومادام الانكليز انفسهم متفقين على ذلك فلا تثنيهم دولة أُخرى عن عزمهم. فسياسة الحكمة والحصافة هي ان نسعى جميعاً سعي أولي الجد والعزائم في اتمام تلك الاصلاحات وادارة مهامنا بالاقدام والاحكام في ظل سمو الامير الخطير الناشر راية التقدم في طيلعتنا العاقد لواء العزيمة والهمة في مقدمتنا هذه هي السياسة الّتي تنيلنا المنى وتحقّق لنا الآمال وتقصّر زمان الاحتلال والآ فانّ الاركان الى اراجيف المرجفين واشاعات المخرّفين تعلّق بحبال الهواء وتعلّل بالمحال.

خروج الانكليز من مصر

نقلاً عن جريدة (المقطم)

كتب الينا لوذعيّ ألمعيّ من أفاضل مصر وأعيانها يطلب في وصف المقالتين الاخيرتين اللتين أنشاناهما في المُقَطَّم تحت عنوان «ممَّ تشكون وماذا تبغون» «وسياسة السخافة وسياسة الحصافة» ويشهد انّا «أفرغناهما في قالب قوي الحجة محكم البرهان تام الاقناع» الى ان يقول «ولكن كلّ ما اوردتموه فيها مبنيّ على تقدير ان الاحتلال غير دائم وانه ينتهي بعد مدة من الزمان.

فلو صحّ هذا التقدير ما بقي وجه للرّد عليكم ولا للاعتراض على اقوالكم. ولكن هذه هي القضية الّتي ننازع فيها ولا نسلم بها فانه لو كان المحتلون يريدون الجلاء فعلاً لا قولاً لوجدوا الى الجلاء سبلاً او عينوا لاحتلالهم حداً اوأرونا من دلائل الجلاء دليلاً. وما سمعنا انهّم هم او غيرهم احتّلوا بلاداً ثم رحلوا عنها من انفسهم وتركوها لاهلها بارادتهم واختيارهم بل بأكراه غيرهم لهم على تركها او بطرد اهلها لهم منها.

وعليه فالمحتلون يقصدون احتلال البلاد احتلالا دائماً وامتلاكها كما امتلكوا غيرها. وقد قلتم صريحاً انكم في مقدمة الذين لا يوافقون على الاحتلال الدائم مع اعترافكم بما تمّ على يد المحتلين من النفع والاصلاح لهذه الديار فلزمكم بهذا القول معارضة هذا الاحتلال بما عهدناه في يراعكم من الادلة القاطعة والشواهد المفحمة» انتهى.

وقد تلقينا هذا الاعتراض بالبشر والسرور علماً منّا ان حضرة المعترض من العقلاء الذين ينظرون في الاقوال الى الحجة والبرهان ولا ينطقون من الهوى ولا تضله الاوهام عن محجة الهدى. وقبل الشروع في الرّد عليه نذكر اعتراضاً آخر لبعض الاصدقاء وهو ان المقصود من سياسة فرنسا في هذا القطر تقصير زمان الاحتلال في مصر حتى لا يكون احتلالاً دائماً فسياستها موافقة لغايتنا الّتي جاهرنا بها في آخر مقالاتنا وعليه فليس لنا وجه لشكوى من سياستها المصرية والواجب ان نؤيدها بمانكتبه في جريدتنا كما يؤيدها غيرنا وسنردُّ على هذا الاعتراض الثاني بعد الفراغ من الرد على الاعتراض الاول.

اما من حيث الاحتلال فنحن واثقون انه لا يكون احتلالاً دائماً وانّه لا بد للمحتلين من ترك هذا الديار آجلاً ان لم يكن عاجلاً وانهم يبقونها لاهلها مصداقاً لقولهم ان مصر للمصريين ولا ينسخون سيادة الدولة العلّية عنها على ممر السنين. واعتقادنا هذا مؤيد بأدلة عقليّة ونقليّة وأقيسة تمثيليّة مبنيّة على شواهد تاريخية لايشوبها ريب ولا مين.

فاولاً ان انكلترا تعهدت بالجلاء عن هذا القطر تعهداً ثابتاً محفوظاً عليها وأيذت هذا التعهد بوعود وعدتها وزارة الاحرار وكرّرتها ثم اعادتها وزارة المحافظين مراراً ولم تقل قولاً ينكث عهودها ولم تأت فعلا يخلف وعودها. ولم نعهد انّ انكلترا نكثت عهداً مثل هذا العهد او أخلفت وعداً مثل هذا الوعد من يوم ابتداء دولتها الى هذا اليوم الذي اصبحت فيه من أعظم الدول شأناً وأوسعها سلطاناً.

أفمن الصواب والعقل ان ننزل الظن منزلة اليقين فنُكذّب تلك الوعود ونستخف بها تيك العهود لمجرّد انّ الاحتلال قد طال عما كان يقدّر له في بادى الامر او لسبب انّ انكلترا تأبى اليوم ان تعيّن له حداً.

وثانياً. ان انكلترا جاءتنا بأقطع دليل على انّها لا تبغي ضم هذه البلاد الى املاكها ولا ابطال سيادة الباب العالي عنها وقد كان ذلك في العام الماضي حين تعهّدت مصر بدفع خراج الدولة العليّة فائدة للدين العثماني الذي حوّلته الدولة

العليّة حتى يستهلك ذلك الدين بعد ستين سنة. وبعبارة أخرى انّ مصر تعهدّت تعهداً جديداً بدفع الخراج للدولة العلية مدّة ستين سنة أخرى.

وكفى بذلك دليلاً على انِ سيادة الدولة العلية باقية على هذا القطر ستين سنة على الاقل لا يعتورها ضعف ولا يشوبها نقصان. فلو كانت انكلترا تقصد احتلال هذه الديار الى ما شاء الله او لو كانت تقصد أن تنسخ سيادة الباب العالي عنها وتبسط ظلّها عليها أكانت توافق على تعهّد مصر بدفع الخراج للدولة بستين سنة أخرى او ما كانت تفرغ جهد المقل المكثر في منع هذا التعهد او طلاق مصر من هذا التقيد. فتأمّل ايّها العاقل وأحكم ايّها المنصف أليس هذا دليلاً قاطعاً من انكلترا على انّها لا تبغي دوام الاحتلال ولا ابطال السيادة العثمانية عن هذه الديار. هذا ولم يبرح من الاذهان انه لمّا عرضت الدلة الفرنسوّية وضع مصر بمعزل عن الدول كما فاه به وزير خارجيتها منذ أشهر قليلة رفضت انكلترا ذلك بلسان اللورد سالسبري وزير خارجيتها وقالت انّا احتللنا مصر وهي تحت سيادة الدولة العلية وسنخرج منها وهي تحت سيادتها ايضاً خلافاً لما تبتغيه الدولة الفرنسوّية.

وثالثا. انّ انكلترا مشهورة بالمحافظة على سياسة آبائها واجدادها وهو المعبَّر عند ارباب السياسة بتقليداتها السياسيّة ولم تخرج عن مقتضى هذا التقليدات في جهة من الجهات ولا مع دولة من الدول حتى تخرج عن مقتضاها في الديار المصريّة مع الدولة العليّة. وربّ معترض يقول اغتراراً باقوال الجرائد الفرنسوّية انّ انكلترا أخذت قبرس من الدولة العلّية غيلة وغنيمة باردةً ولم تحفظ على تقليداتها السياسّية وقد طمحت أبصارها الى اخذ مصر كما اخذت قبرس قبلها. نقول انّ هذا اعتراض من لا يدري شيئاً عن مسألة قبرس. فانّ انكلترا احتلتها وتوّلت ادراتها بسماح من الدولة العلية وبموجب معاهدة دفاعية معقودة برضى الدولة العليّة ايضاً و ذلك انّه لما استولى الروس على باطوم واردهان و قرص بعد حربهم الاخيرة مع الدولة العليَّة باتت أملاك الدولة في آسيا في خطر منهم وخافت انكلترا على مصالحها في الشرق فعقدت معاهدة دفاعية مع الدولة العليّة سنة ١٨٧٨ فحواها ان خراج

قبرس يبق للدولة وانّ انكلترا تحتلها ما دام الروس في باطوم واردهان وقرص وتتعهد بان تتحد مع الحضرة الشاهانيّة على محاربة الروس اذا ارادوا الاستيلاء على اراض من اراضي الدولة العلية في آسيا وان تردهم عنها قوّةً واقتداراً والمعاهدة المذكورة مشهورة ومأثورة وقد أوردنا طرفاً منها في العام الماضي فاحتلال انكلترا لقبرس مطابق لتقليداتها السياسية تمام المطابقة ولا غبن ولا حيف فيه على الدولة العلية فانها سمحت به مقابل تعهد الانكليز بمعونتها على محاربة الروس اذا اعتدوا عليها في آسيا.فتأمل هذه الحقيقة الثابتة واحكم بعدها على صدق الذين يعدون احتلال قبرس اكبر الاوزار ويدّعون انّ فرنسا حليفة الدولة العلية بعد امتلاكها للجزائر واحتلالها لتونس على غير رضى من أهلها ولا من الدولة ويصدّقون خرافات جرائدها مع انّ جرائدها تنكر تعهد دولتها بالجلاء عن تونس على حين تعهدت فرنسا بذاك مرتين في معاهدتين رسميتين ثابتتين.

ورابعاً. نعم انّ احتلال الانكليز لمصر قد طال عمّا كان ينتظره المصريون والمحتلّون أنفسهم وقد شهد لذلك جناب السِرافلن بارنغ في تقريره حيث ابان الاسباب الّتي أوجبت طول هذا الاحتلال. وهي اسباب واضحة مقبولة ولكن مجدد طول الاحتلال عما كان ينتظر لايفيد انه يكون احتلالاً دائماً. واماقول المعترض الفاضل انّا ما سمعنا بأن المحتلين او غير المحتلين تركوا بلاداً باختيارهم وارادتهم بعد احتلالهم لها وانما تركوها بقوّة غيرها او باخراج اهلها لهم منها فهو قول مردود بشواهد كثيرة تاريخية سمعناها وتحققناها.

فلا يخفى انّ انكلترا أحتلت الجزائر اليونانية المعروفة بالجزائر الايونيّة وهي اربعون جزيرة سبع كبار والبواقي صغار وبقيت مستولية عليها من سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨٦٤. ولمّا رأت انّ اهاليها راغبون عنها ميّالون الى الانضمام الى قومهم اليونان ووجدت فرصة مناسبة لذلك سنة ١٨٦٤ عقدت لهم معاهدة وضمتهم الى بلاد اليونان في تلك السنة. وتمَّ ذلك بسعي غلادستون وبمشيئة انكلترا ورغبتها بعد ما احتلت تلك الجزائر ٥٥ عاماً فتأمل. ولا يخفى ايضاً انّ انكلترا احتلّت جزيرة

هليغولند في البحر الشمالي سنة ١٨٠٧ ثم تركتها لآلمانيا بأرادتها واختيارها في العام الماضي عند تعيين مناطق نفوذ الدول في افريقية فخرجت منها بعد ما احتلتها ٨٤ عاماً. ولا يخفى ايضاً انّ انكلترا حاربت الافغان سنة ١٨٧٩ واحتّلت كابول وقندهار عنوةً وبقيت فيهما مدة ثم اجلت عنهما بارادتها واختيارها. ولا يخفى ايضاً انّ انكلترا حملت على الحبشة بعشرة آلاف جندي من جنود الهند في ايام النجاشي تيودورس واوغلت في بلاد الاحباش حتى دخلت عاصمتهم مجدلة سنة ١٨٦٨ واستخلصت من كان بها من الاسرى الاوربيين ثم رحلت عنها بارادتها واختيارها ولم تقم بها.

فهذه شواهد تاريخية تمّت في ايآمنا تشهد انّ انكلترا احتّلت بلاداً مختلفة ثم أجلت عنها بارادتها واختيارها بعد ان دام الاحتلال ازماناً متفاوته في القصر والطول من ايام تعدُّ بآلاحاد الى اعوام تعدّ بالعشرات. فان كانت انكلترا قد فعلت ذلك بلا وعد ولا عهد فهل يعقل انها تمتنع عن فعله في هذه البلاد بعد ما تقيدت بالوعود والعهود. (ستاتي القية)

ابطال عادة الثار في بلاد الارنوّد

(لمكاتب)

الآستانة في ١٢ فابريوري ١٨٩٢

من المآثر المشكورة ماصدرت به ارادة جـلالة السـلطان في هـذه الايـام بخصوص اجراء الصلح بين ذوى الثارات من الارنؤد وهي عادة قديمة مستحكمة بين اهالى اشقردره وغيرها من بلاد الارنؤد. وقد تسبّب عن هذه العادة هجرة كثير من العائلات وخراب جملة من البيوتات العظيمة وفي تلك العادة من الظلم مـا لا يحّد. فانّ زيداً بسبب قرابته لعمرو القاتل،يؤخد به ويقتل فيه على غير ذنب صدر منه ويزر وزره بخلاف حكم الدين وحكم العقل فان الله يقول ولا تزر وازرة وزر اخرى. وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدماء في خطبة الوداع تحت قدمه وجاء الاسلام باحكامه فأبطل هذه العوائد البربرّية ومع انْ هؤلاء الارنـؤد مـن المسلمين وتحت حكم مقام الخلافة الاسلامية فقد أقاموا على هذه العادة القـبيحة المخالفة لدينهم أُزمانا متمادية لا ينتهون عنها ولا يجدون وازعايزعهم عن ارتكاب تلك المعصية الجاهلية حتى صدرت ارادة جلالة السلطان، بمحو هذه العادة واحكام عرى الصلح بين ارباب الدماء على وجه ينحسم به هذا الامر الشنيع. فاخذ الوالى والمتصرفون في ترتيب مجلس وتشكيل هيئة من اهالى البلاد لتدارك هـذا البـلاء وهم الان يشتغلون باصلاح ذات بينهم. ولا ريب انّ هذا العـمل الذي قـصر في تداركه من مضى مما يشهد لجلالة السلطان عبد الحميد بشدة المحافظة على احكام

الشريعة وزيادة العناية في اصلاح العباد والبلاد وبغاية التحرّى والتنقيب عن الاحوال. ولا نشك انّ جميعة الصلح الاريادّية تقدر هذا العمل الذي تمادى لهذا الوقت وماتكلم فيه أحد ولا نبّه عليه منبّه احسن تقدير وتشكر جلالة السلطان عليه ابلغ شكر.

مراسلات

بغداد في ١٥ كانون ثاني سنة ١٨٩٢

(لمكاتبنا الخصوصي)

قد بلغكم بلا ريب ما حدث في البلاد الفارسية في هذه الايام من القلق والهيجان وعلمتم انّ الناس قد هجموا على قصر الشاه ودمّروا بيت نائب السلطنة وزير الحرب واجبروا الشاه على ابطال حكر التنباك وانّهم يطلبونه الآن بابطال سائر المقاولات التي عقدها مع الافرنج كالبنك وغيره. وربّما يتعجب الناس من هذه الهياج فأبيّن لكم اسبابه وهي انّ للعلمآء كلمة نافذة وقدرة كاملة في تلك البلاد وانه قد انتشر بينهم منذ مدة رسائل دينية أثارت نعرتهم فقاموا مع احزابهم من العامة على القدم وارغموا الشاه ونخشى من هذه المقاومات المستمرة خلعه عن كرسيه وها انا ارسل اليكم رسالة من تلك الرسائل التي انتشرت خفية وانها تستوجب النظر وتجلب الدقة.

(قد نشرنا المقالة المذكورة في صفحة اخرى فليطالعها القاريء).

مصر في ٩ فبراير (شباط) ١٨٩٢

(لمكاتبنا الخصوصي)

اصبحت اليوم فاذا العدد الأوّل من ضياء الخافقين وارد عليّ مع البريد الاخير ففضضت ختامهُ بعد طول الانتظار وعكفت على مطالعته حتى تصفحت جميع مقالاته وفكهت النفس بطلاوته وحسن روائه وروايته وثقفت العقل بحقائقه

وفوائده. ولم تمهلني البوستة ريثما استعلم أيّ وقع عند الجمهور ولكني اطلعت الساعة على المقطمّ الذي صدر الان فاذا هو مصدر بفصل من مقالتكم الرنّانة في مصر وقد علّق شرحاً وافياً على العدد كله في اخباره المحلية وأسهب في خلاله وأطنب في مدح الضياء بما هو أهله.

لا اجدّد احزان قرّاء الضياء بذكر وفاة المرحوم توفيق باشا خديوي مصر السابق لئلا يكون ذلك مني كالتعزية بعد حين لتحريك الحزن وتجديد الانين. وانما أذكر طرفاً في اوصاف نجله وخلفه سمو الخديوي عباس باشا حلمي فانه هو موضوع حديث الناس عموماً في هذه الايام وهو محط آمالهم وكعبة اميالهم وقد تشرفت بمقابلته خصوصاً منذ مدة حتى يكون ما ارويه عن مشاهدة وعيان ولا يقتصر على السماع.

فالخديوي عباس باشا يبلغ في العمر ثماني عشرة سنة ويعرفه المصريون ايام صبوته ولا يعرفون عنه الّا القليل ايّام صبائه لانهُ ربّي منذ سنين في اوربا ولم يكن يأتي هذه الدّيار الاّ لقضاء فسحة المدرسة او نحوها فيها. وقد كثر ذكر ترجمته في الجرائد فلا اتعرّض لها بل أتحرى ذكر مالم يذكر الاّ في قليل منها.

كان الناس ينتظرون ان يروا اميرهم الجديد اشبه بالصبيان منهُ بالرجل حتى رآه راكباً في مركبته الخديوية بملابسه الرسمية يوم وصوله الى العاصمة وهو يحييهم وهم يدعون له بالعزّ والنصر ويعجبون بسمات الرجوليّة التي تلوح على وجهه مع حداثة سنه. فهو ربعة في الرجال قويُّ البنية ممتلي البدن عريض الكتفين مستدير الوجه جميل الجبهة والعينين صغير الشاربين مخضر العارضين يشبه المرحوم والدهُ في ملامحه وربّما كان مثله طويل الجذع بالنسبة الى الساقين. وقد جمع مع حسن الهية عذوبة النطق وعدم التكلف في المقابلة. وسمعت كثيرين من الذين قابلوه وحادثوه غيري يقولون قولاً واحداً وهو انه يقدّر منازل الناس حق قدرها فيخاطب كلاًّ بما يناسب مقامه ويراعي معه قرائن الاحوال وذلك يدل على انه ربّي التربية المستوفية الشروط لمن كان في رتبته ومقامه. وهو أحرص من المرحوم والده على حفظ

الرسوم في بلاطه ومعيته ولذاك بادر الى التغيير والتبديل في حاشيته ورجال معيته ويقال انهُ عازم على استبدال اكثر الباقين منهم وعلى تعيين حرس خاص به يحف به في خروجه ودخوله وقد امر ان لا يقابله احد الاّ بعد الاستئذان وبيوم او ايّام وصدور الاذن له كتابة بالمقابلة في يوم معيَّن وساعة معيّنة. والظاهر انه اقل من والده تنازلاً الى الرعية وأشدّ منه ترفعاً عنها.

ولا يعرف الا القليل عن طباعه واخلاقه حتى الآن ولم ير الناس منهُ غير دلائل الحلم وحسن المعاملة للرعيّة. فانهُ لم يستوِ على عرش الخديوية اياماً حتى ابطل عن الاجانب والاهالي ضريبة جديدة تعرف بضريبة الباطنطة وابطل ضريبة السخرة وانزل عن الملح اربعين في المئة وعفا عن جميع الذين لم يعفُ عنهم والدهُ من الذين اشتركوا في الفتنة العرابية ماعاد عرابي ورفّاقه الذيّن نفوا الى سيلان وأُمر بأن يطلق سراح جمع غفير من المسجونين. فالجمهور لم ير منه الا ما هو خليق بالمدح والشكر ويُقال انه شديد الأَنفة قويّ الارادة لا يذعن الى غير ما يوافق رأيه وانّ حضرة والدته اوصتهُ يوماً بان يشاور آلهُ وذويه وينقاد الى مشورة من كان اكبر منهُ منهم فاعرض عن كلامها مغضباً وانه قليل التردُد على دار الحرم. والشائع عنه كثير من هذا القبيل ولكن هذا الشائع لا يعول عليه قبل مضي مدّة يعرف فيها الصحيح من الكذب.

وهو يقضي كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة الثالثة بعد الظهر في سراي عابدين حين ينظر في اشغال الحكومة ويقابل الزائرين الذيّن يزورونهُ لأَغراض مختلفة. ولهُ جلد على الاشغال وحرص على استعمال وقته في ما منه فائِدة وقد شهد الذين يكلمّونه في الاشغال انّه على جانب عظيم من النباهة والذكاء وانه يدرك مصلحة بلاده ادراك الذي هم اكبر منه سنّاً. ويقضي ما بقي من وقته في سراي القُبّة في ضواحي العاصمة حيث لا يستقبل احداً في اشغال الحكومة او غير الحكومة.

اما علاقاتهُ مع الدولة العليّة والدول الاوربّية فهي حسنة فان الرسائل

البرقيّة التي يراسل بها فخامة الصدر الاعظم مستوفية عبارات الوداد والصفاء. وقد علمتم ولا بد انّ الباب العالي أبلغ قنصلهُ الجنرال في تريستا ان يعرب لسمّو الخديوي قبل مجيئه منها الى هذه المدينة عن رغبة الحضرة السلطانية في مروره بالآستانة وزيارته لجلالة السلطان فأجابه الخديوي بانّ احزاني واحزان امتّي تضطرني الى الأسراع اليها على اني أُؤمل تأدية واجب الزيارة بعد ذلك. ثم تكررت الرسائل بينه وبين الصدر الاعظم في هذا المعني بعد عودته الى هنا ويحتمل انه يزور الحضرة الشاهانية في فصل الربيع القادم. وقد علمت ان علاقاته حسنة مع دولتي انكلترا وفرنسا فقد اعرب لرجال الانكليز عما في ضميره من الشكر الخالص لهم والثقة التامّة بهم وأمّل أن يكونوا له سنداً وعوناً كما كانوا للمرحوم والده من قبله ولا ريب عندي انّ علاقات السِرافلن بارنج قنصل جنرال انكلترا ووكيلها السياسي هي معه كما كانت مع والده وانه يشاوره في مهام اموره كما كان ابوه ـ يشاوره من قبله. ولم يتكدر كاس الصفاً بينه وبين فرنسا حتى الان الاّ اذا صحّ ما سمعته منذ يومين وهو انهُ طلب من قنصل جنرال فرنسا ووكيلها السياسي المركيز رفرسو ان يقنع حكومته بالموافقة على ان تستعمل الحكومة المصريّة الاموال الّتي اقتصدتها بتحويل ديونها فرفضت الحكومة الفرنسوّية ذلك وقالت اني لا اوافق عليه ما لم تعيّن انكلترا يوماً للخروج من مصر. ولمّا كانت مصالح انكلترا وفرنسا على طرفي نقيض في هذا القطر فلا أرى كيف يستطيع سمّو الخديوي ان يرضيهما كلتيهما. وقد ترجح ميله الى انكلترا منذ الآن فلا يمضي زمان طويل حتى يمسي مع فرنسا كما كان ابوه قبله. ولا جرم ان مركب الخديوية المصرية مركب خشن ولا أظن انّ لهُ مثيلاً في المصاعب والمتاعب الاّ ان يكون مركز السلطنة العثمانية في معاملة الدول الاوربية.

وقد تسابقَت أساطيل الدول في هذه الايام الى تقديم التهاني والنياشين من دولها الى سمّو الخديوي الحالي في الظاهر والى التهويل بصولتها واقناع مصر بسطوتها في الباطن فان الأسطول الانكليزي كان ينتظر قدوم الخديوي قبل وصوله

الى الاسكندرية فحيّاه وهنّأه وانثنى راجعاً. وبعد ايّام حضر أسطول روسي وأسطول فرنسوي الى الاسكندرية ثم أتى اميراهما العاصمة وأهدت فرنسا نيشانها باحتفال عظيم. ولم يبرح الاسطولان مياه الاسكندرية حتى جاءتنا الانباء بقدوم أسطول ايطاليانى قصد التحّية والتهنئة. وانّ ملك اليونان عازم على اهداء النيشان. والظاهر ان الدول الاوربّية تحسب ان مجرّد روئية اساطيلها تلقي الهابة في نفوس الناس والواقع انّ الناس هنا لا يعبأون بقدوم الاسطول ولا بذهابه وانما يذكرونه من باب التحدث باخبار النهار.

الشكوى هنا عامّة من هبوط اسعار القطن ووقوف حركة الاشغال والمناظرة بين انكلترا وفرنسا في ازدياد واشتداد. والاراجيف متكاثرة ومتواترة.

الاستانة في ١ فابريوري ١٨٩٢

(لمكاتبنا الخصوصي)

قد هدأت ريح الفتنة وخمد سمومها وسكنت تلك القلاقل فى اليمن واخذت الراحة الآن تستتب في انحائه بعد ان احتدم ضرامها واضطرم أوامها واستحق العُصاة أن ترفع عليهم الحكومة عصا التاديب. ولمّا علمت انّ الأناة والحلم لا محل لهما من اعراب تلك الجملة وان موضع الندى في موضع السيف مضرّ بالعدل والحكمة خاطبتم بلسان السيف وهو القائل غرايب الموت ارتجالا وفم المدفع وهو الناطق بآخر حجة الملوك فاسمعتهم وما كانوا بغيره يسمعون فندموا على مافرّط منهم من خلع الطاعة الواجبة عليهم ووقف كثير منهم موقع القنوع والضراعة يسألون العفو ويلتمسون الرَّحْمَة. ولقد ظن بعض الناس انّ في أُثارة هذه الفتنة يدا اجنبيّه وهو مزعم باطل بعيد ان يأخذه في حسبانه ذو بصيرة لان صاحب تلك اليد الاجنبيّة لا يجوز في العادة ان يقصد اهراق هذه الدماً حَبا في فناء الانسان لما يعلمه من انه لا نجاح البتة لقوم يقفون باجسامهم امام قوة الحكومة المؤسّسة على الترتيبات العسكرية والنظامات الحربّية والآلات المحكّمة والادوات المنتظمة تحت قيادة القادة الماهرين. وانما تولدت تلك النَّعَرة في رؤوسهم من نفخ بعض كبرائهم

الذين أضلوهم السبيل لجهالتهم وحماقتهم وضيق فكرهم عن معرفة حقيقة القوى فجهلوا انّ الحكومة لا تؤخران تبعث بالجحافل والجيوش الجرّارة لابعد مكان من الارض لحفظ شرفها وناموسها واحترام بنودها واعلامها. ولا ريب ان الحكومة بحكمتها ستمعن النظر الآن في انتخاب المأمورين الذين تسلمهم مصالح تلك البلاد الشاسعة ولا تبعث هناك الاّ من جرّبته وتحققت رأفته وحبّه لأنصاف حكومتنا بالعدل والانصاف في القرب والبعد. ومن تأمّل في هذه الحادثة وقوّة احتدامها وسرعة خمودها علم ما لجلالة السلطان عبد الحميد خان من دقيق السياسة وثبات العزيمة وانه لا يشغله عظيم عن حقير ولا حقير عن عظيم.

الاستانة في ١٨ شباط

* زعمت بعض الجرائد الاوروباوية ان ثورة اليمن شبّت نارها بعد الخمود وان رئيس الثائرين كتب الى كثير من أعيان جهات عسير وتعز يستنهض همتهم نحو معاضدته وموازرته وانهم أجلوا سؤله وبعثوا اليه بمن يعينه على اعماله وان حكومة اليمن أحسّت بذلك فشرعت في اطفاء هذا اللهيب الجديد بقوّة العساكر والحال ان هذا الخبر مختلق لا اصل له البتة فان الاخبار الرسمية والخصوصية الواردة الى الآستانة في هذه الايام من جهات اليمن أثبتت انّ الراحة مستتبة في تلك الجهات وانّ معاملات الحكومة والتجار متواصلة بين انحاء الولاية على احسن انتظام حتى ان الدولة خصّصت مبالغ عظيمة لانشاء بيوت مشيّدة للحكومة في تعز وعسير وقنفده والحجة وغيرها، من الجهات التي ذهبت تلك الجرائد الى تجدد الثورة فيها هذا فضلا عن رجوع قسم جسيم من العساكر التي سبقت قبل الأن الى اليمن الى محلاتها الاصلية وحيت انه لابد ان يكون لما ذكرته هذه الجرائد طنين في الآذان يوشك ان يستميل العقول الى التصديق وجب اظهار الحقيقة دفعا للارجاف وتطهر الازهان من شوائب الارجاس.

* حصل في هذه الايام خلف وجدال بين طائفتي الروم والبلغار الموجودين بجهات الروم ايلى والسبب في ذلك انهّم كانوا قبل ماوقع في العام الماضي من تفريق

مذا هبهم وقسسهم يتعبّدون ويصلّون في كنيسة واحدة الّا أن طائفة الروم تغلبت على البلغاريين ومنعتهم الأن من الدخول الى الكنيسة واستعانت تلك الطائفة في تغلّبها هذا بقوّة النقود التي بذلتها لبعض الرؤساء من حكّام هذه الجهات فاضطرّت البلغاريون وعرضوا شكواهم على كثير من المقامات العالية بالآستانة واوضحوا وخامة عواقب هذ الامر ولكن لم تظهر نتيجة تلك الشكوي.

* جرت عادة جلالة السلطان ان يحسن في كل سنة عند حلول فصل الشتاء بالفي ليراً يشترى بها فحم وحطب يوّزع بواسطة لجنة مخصوصة على الفقراء والمحتاجين من أهل الآستانة بغير تفريق ولا استثناء في الديانات والاجناس وقد كان انعم في هذه السنة ايضاً بمثل هذا المبلغ ولكن علم لجلالته ان كثيرا من الفقراء اصبحوا في حاجة شديدة الى لوازم الدفء فاحسن بالف وخمسمائة ليراً وامر أن تشتري بها تلك اللوازم وتوّزع على اولئك الفقراء وقد نفذّت اللجّنة المذكورة ذلك الامر فرفع الناس أكف الدماء لجلالته بطول العمر والبقاء.

* علمت الحكومة ان بعض الارمن الذين امتلأت رؤوسهم بالفساد يسعون في احداث حركة مليّة جديدة وانّهم يتخابرون في امر ترتيبها وانتشارها مع بعض المفسدين من الارمن الموجودين بالولايات العثمانية وببعض جهات اوروبا فالقت القبض عليهم.

* شاع في الآستانه ان الفرمان السلطاني المؤزن بتوجيه الخديوّية المصرّية الى حضرة عباس باشا سيرسل الى مصر بواسطة وفد يرأسه حضرة دولتلو شاكر باشا ولكن تبيّن الأن انّ جلالة السلطان لا يريد أن يكلنف الجناب الخديوى بتحمل المصاريف العظيمة التي جرت العادة منذ القديم بانفاقها عند ارسال فرمانات التولية الى الخديويين على يد وفد مخصوص وهي تقرب مَن عشرين الف ليراً بين هدايا وعطايا ولذلك أقتضت الحكمة الملوكية ارسال هذا الفرمان الى حضرة دولتلو مختار باشا مندوب الدولة في مصر ليسلّمه الى حضرة الخديوى المشار اليه والغالب على الظّن انّه سيرسل بعد ايّام قلائل ولا عبرة لما تشيعه بعض الجرائد من ان حكومة

فرانسا أشارة على الدولة العلية بأن تتأنى في اصدار هذا الفرمان الى ان تتفق من انكلترا على تعيين الوقت الذي تنجلي فيه عساكرها عن مصر لتتأيّد بذلك سيادة الدولة العليّة على القطر المصري فانّ هذا الكلام لا يعيره جلالة الخليفة أذناً واعية ولا يلتفت اليه لانه يعلم انّ الاحتلال الانكليزي ما أثّر ولن يؤثر ولو طالت مدّته على سيادة الدولة بشيء قطّ وانْ تتعيين وقت خروج الانكليز من مصر أمر فرعي لانسبة بينه وبين ارسال الفرمان خصوصا وقد ثبت لدى جلالته انّ الجناب الخديوى فضلا عن كونه من أصدق الصادقين لمقام الخلافة العظمى فانّه متدرع بالحزم والحكمة وحسن التدبير والثبات.

* لما علم الايرانيّون ان حكومتهم قد أصرّت على تنفيذ قضية حصر التنباك أجتمع جمّ غفير من تجاّرهم وافرادهم القاطبين بالآستانة وجاؤا الى السفارة الايرانية يريدون اخراج السفير واهانته غير ان ذلك السفير كان قد احس بالامر فالتمس من الحكومة العثمانية ان تحفظه من هذا الشرّ بقوّتها المسلحة فأرسلت اليه قوّة عسكرّية حالت بينه وبين من يريدون الايقاع به وبقيت تلك القوّة تحرس السفير والسفارة الى أن انتهت مسألة التنباك على ما انتهت عليه مما شاع امره وذاع الا انّ الايرانيّين عرفوا بعد ذلك ان السفير قد حقد على رؤسائهم الذين أسسوا هذه الحركة وجمعوا ضدّه الجموع وانّه عزم على اغتيا لهم واحداً بعد واحد فكتبوا عريضة عمومية أرسلوها في هذه الايام الى حضرة الشاه يطلبون بها عزل السفير المذكور ويحذرون الشاه من وخامة عواقب الامتناع عن عزله.

* التمس اسماعيل باشا الخديوي السابق بواسطة بعض اصدقائه من رجال المابين ان يأذن جلالة امير المؤمنين بقرآة الفرمان السلطاني المؤذن بتوجيه الخديوية الى حضرة عباس باشا في بيته الكاين على ساحل البوغاز قبل ارساله الى مصر ليحوز بذلك شرفاً وسروراً يهوّنان عليه ما ألمّ به من الحزن الشديد بسبب وفاة نجله توفيق باشا الاّ انّ جلالة السلطان الاعظم علم بقوّة ذكائه وحدّة فكره ماوراء هذا الامر من المقاصد التيّ يراد التوصل به اليها فلم يجب ذلك الالتماس.

اخبار

ادارة حصر التبغ العثمانية

* بلغنا بانّ دخل ادارة حصر التبغ العثمانية بلغ في شهر كانون الاوّل من السنة الماضية نحو ١٦٧ الف ليرة عثمانية وكان في العام الذي قبل قد بلغ ١٥٠ الفاً فزيادة الربح ١٧ الف ليرة فرقاً على حساب شهر واحد.

* انّ جلالة السلطان قد تكرَّم بمنح عشرة آلاف فرنك اعانة للمدرسة التي تُشيدَّ للطائفة المارونية في رومية فعلمنا بان الاعانة الشاهانية المذكورة قد صار قبضها.

* بلغنا بان دولة فرنسا تريد ارسال بعض بوارجها الحربية (الله أعلم لماذا) للبقآء في سواحل البحر المتوسط بالقرب من ولايات الدولة العلية وذلك لربما (نظراً لصداقتها للدولة العثمانية) لوقاية تلك الممالك وقد أُصدرت اوامرها الى الاسطول الذي تحت قيادة الاميرال دورلودود ان ينفصل عنه ثلاث مدرّعات وطرّادان او ثلاثة طرّادات تنتقل في البحر المتوسط من مكان الى مكان فترسو تارةً في بيريوس وأخرى في ازمير وأخري في الاسكندرية واخري في خليج بسيكا.

الحرير في سورية

قَرَأنا في (الاحوال) ما يأتي انّ حاصل سنة ١٨٩٠ من الشرانق فاق حاصل السنة التي قبلها في سورية بمقدار ٨٠٩ آلاف و ٥٩٠ اقة اي قد بلغ ٣ ملايين و ٢١٣ الفاً و ٧٧٠ اقة مع انه في ١٨٨٩ وفي عام ٧٨٠ مليونين و ١١٦ الفاً و ٧٠٠ اقة اما

النقف فقد سبق السنين السابقة بعشرة ايام في سواحل بيروت اي انه قد بدأ من ١٥ الى ٢٠ آذار ولكنه في لبنان لم يبدأ الاّ في اوائل شهر نيسان.

على ان باعة البزر قد اقلوا من اذخاره عام ١٨٩٠ لفرط ما خسروا في السنة التي قبلها ولذلك ارتفع سعر البزر فبيعت العلبة بثمانية فرنكات وهي ضعفا ثمنها في الاعوام السابقة ثم ان انجاح الحاصل الحريري انجاحاً عجيباً انما هو نتيجة صفاء الطبع والهواء وقوّة نماء التوت الذي كان للدود غذاءً صالحاً قوياً.

فاذا طرح مقدار ١٤٥ الف كيلو غرام ذخرت التبذير من مجمل الحاصل الذي بلغ ٣ ملايين و ٦١٣ الفا و ٧١٠ اقة من الشوانق الطريئة كان ما تبق ليبعث الى معامل الخيوط ٣ ملايين و ٤٦٨ الف كيلو غرام يعدِّل محلولها بمقدار ٣٩٠ الف كيلوغرام لسنة ١٨٩٠ مقابلة لثلاثمائة واربعة وعشرين الفاً عام ١٨٨٠ ولمائتين واحد وثلاثين الفاً عام ١٨٨٨.

الكتب العربية في برتش مزيوم

نعلن لحضرات محبى العلم خدمة للأدب وحبّاً في المعارف انّنا قد عزمنا بمنّه تعالي ان ندرج في جريدتنا اسماً الكتب العربية المحفوظة في برتش مزيوم دار التحف في مدينة لوندن ولاشك ان المشرق يطير فرحا بجناح ضياء الخافقين لعناية المغرب على حفظ مالم يعرف ابناؤ لغته من آثار العلماء الأعلام من اهل المشرق وهذا دليل على احترامهم للعلم وآثار المؤلفين من ايّ ملة وايّ امة وايّ لسان وايّ فن. ومن دخل في الدار المعدّة لحفظ هذه الكتب رأى من النظام والترتيب وسهولة التناول واستعداد الحفظة لاجابة الطلب وتهيئ الادوات للكتابة والنقل وعدم التشويش على كثرة الموجودين و المتردّدين مالاينساه طول حياته من جلال العلم واحترام المعارف عند الافرنج وسنجتهد بعونه تعالى على جمع دفاتر الكتب العربيّة الموجودة فى خزائن العواصم الاوروباوية كاسبانيا والمانيا وفرانسا والنمسا وننشر اسماً المهمّ النادر منها حتى لا يجهل المشرق ما حُفِظَ له من مُخَلَّفات بنيه فيشكر من حفظ ويعتب على من اضاع والله المعين على صالح العمل.

ضِيَاءُ الْخَافِقَيْنَ

انه نظراً لمرض كثيرين من مكاتبينا وكتّابنا لم نقدر في هذا العدد أُن نـاتي ببعض الرسائل والمكاتبات في امور مهمّة التي كان في عزمنا ادراجها انمّـا بـعونه تعالى سندرج ذلك في عددنا آلاتي كما وترجمة المقالات الانكليزية وملخص تاريخ القرن التاسع عشر من ابتدائه. ثم اننا سنضع في القسم العربي الرسوم والصور التي تظهر في القسم الانكليزي.

قد وردت الينا مقالات ورسائل عديدة في المسألة المصرية وغيرها سنأتي انشاالله علي نشرها في الجريدة بالأسهاب متتابعة انما نرجو من حضرات مراسلينا أن تكون جميع الكتابات بالخط الواضح وعلى الوجه الواحد فقط تيسيراً للطبّاعين ومن لم يرد وضع اسمه في المقالة فيجب ان يصرّح عن ذلك في كتاب خصوصي الى رئيس تحرير الجريدة.

اعلان

اننا نعلن لحضراةالقرّاء بانْ ادارة ضياء الخافقين ستنشر القسم العربيّ وحده منفرداً عن القسم الانكليزي دائماً في المستقبل وعدد صفحاته يكون سـتة عـشر وقيمة النسخة نصف شلين وبدل الاشتراك في مصر وفي كافة البلاد الشرقية عن سنة ٧ شلينات خالصة أجرة البريد ومن اراد اشتراء القسم الانكليزي فليطلب ذلك من وكلائنا ام يكاتب الادارة رأساً والقيمة تكون عن سنة ١٤ شلين وسينشر في العربي ملخص جميع ماكتب في الانكليزي.

مكاتبات الجريدة ـ ينبغي أُن تكون جميع الرسائل المـتعلّقة بـالاشتراكـات والاعلانات وامور الادارة معنونة باسم مديرية جريدة ضياء الخافقين.

The Manager,
The Eastarn and Wcstcrn Reuiew,
21 and 22, Furniual Strect,
London, E.C.

ويجب ان تكون المكاتبات والاشغال المختصة بالتحرّير معنونة بأُسم رئيس تحرير الجريدة ـ

The Editor,

The Eastarn and Wcstcrn Reuicw,

21 and 22, Furniual Strect,

London, E.C.

اما التلغرافات فيكفي في عنوانها ذكر هذه العبارة «ضياء لوندره»

"Dia, London"

اعلان

محل كيلبرت وريفنكتن ـ ليمتد

سينت جونس هاوس كليركنويل ـ لندن

اننّا نعلن لحضراة قرّآء جريدة (ضيآء الخافقين) باننّا نطبع كلّ ما يُـراد مـن الكتب والاوراق في اللغات الشرّقية وفي كلّ لغة في العالم. واننّا نجلب ونُرسل الى ایّ من شآء حروف مُصَبّة عربّية وفارسّية وهندّية وغير لغات شرقية وكافة ما يلزم من الآت الطبع وغيره.

واننا نطبع في محلّنا طبع حجر وطبع نقر ونجلّد الكتب وغيرها في كل الانواع ونقوم بما يلزم في كافة امور الطبع وما أشبه ذلك.

وانّ محلنا من المتشارطيّ مع سكك الحديد في كل اللوازم من هذا الباب.

والاسعار متهاورة ـ فكلّ من يرغب ان يشرّفنا بـأُوامـره نـبذل جـهدنا لارضائه.

العدد ٣ — السنه الاولىٰ

ضِيَآءُ الْخَافِقَيْنْ

Dia - ul - Kharikain
(TEH LIGHHT OF THE TWO HEMISPHERES)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والأخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة
الأثنين في ١ نيسان سنة ١٨٩٢

الاشتراك

قيمة الاشتراک (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزى في انكلترة:

عن سنة	عن ستة أشهر
١٣ شليناً	٧ شلينات

في الخارج:

١٤ شليناً	٨ شلينات

(تدفع سلفاً)

الاعلانات:	ليرة انكليزية
عن كل صفحة	١٠
عن نصف صفحة	٦

(والاعلانات يصدر ترجمتها في الانكليزي)
يجب أن تُخابر الادارة راساً ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

مكاتبات الجريدة

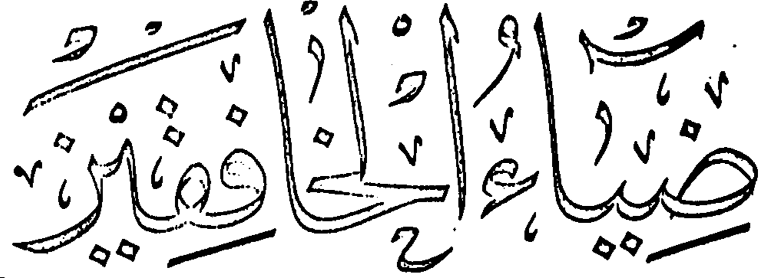
جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج و لا تُرَدّ لاصحابها أدرجت او لم تدرج. وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالإشغال.
واما التلغرافات فيكون عنوانها «ضياء ـ لندن». Dia, london

فهرسة

انّ جريدة (ضيآء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكسندر وشبهرد في محل ادارة الجريدة ـ ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت ـ لندن و تُطبَع في مطبعة
كيلبرت و رويفنكتن ـ ليميتد ـ سينت جانس هاوس ـ كليركينويل ـ لندن
GIIIBERT & RIVINGTON, LIMITED, ST. JOHN'S HOUSE, CLERKENWELL, LONDON.

العدد ٣   THE   السنة الاولى

Eastern and Western Review.



قيمة العدد الواحد   ست بنسات

Dia-ul-Khafikain.

(THE LIGHT OF THE TWO HEMISPHERES.)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والاخبار الصحيحة

تصدر في مدينة لندن

في كل شهر مرة

الاثنين في ١ نيسان سنة ١٨٩٢

الاشتراك

قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزي

في انكلترة :—

عن سنة	عن ستة اشهر
١٣ شلينًا	٧ شلينات

في الخارج :—

١٤ شلينًا	٨ شلينات

(تدفع سلفًا)

الاعلانات

	ليرا انكليزية
عن كل صفحة	١٠
« نصف «	٦

(والاعلانات يصير ترجمتها الى الانكليزي)

يجب ان تخابر الادارة راسًا ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج ولا تُرَدّ لاصحابها أُدرجت ام لم تُدرَج . وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلّق بالاشغال .

واما التلغرافات فيكون عنوانها "ضياء - لندن"

"Dia, London."

فهرسة

ان جريدة (ضياء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكسندر و كبمرد في محل ادارة الجريدة - ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت - لندن •

وتطبع في مطبعة

كمبلبرت و ريفنكتن - ليميتد - سينت جانس هاوس - كلركينويل - لندن •

الفقه الاسلامي

كشف الحقائق صعب. والحكم بالحق عسر. تغرّ الانسان نظرتُه الأولى. ويحيد به عن محجة البرهان اتّباع الهوي. يعارض الحقيقه القارّة بمسلّماته. ويحسب أوهامه الزائفة من بديهيّاته. لا تُثقفه الحكمة. ولا يعصمه المنطق من الزّله. ولذا استحكم الحجاج وأزمن اللجاج بين العلماء والحكماء. فما من موضوع الاّ وتري فيه أراء متباينة واقوالاً متخالفة وحججاً متضاربة حتّي في الوجدانيات والمحسوسات. فالتبسلت الفلسفة بالسفسطه. وقامت المشاقبات مقام البيّنات. انّ حكماء الافرنج مع سعة العلم قد ضلّوا عن الرشد وحسبوا انّ الشريعة الأسلاميّة بما لها من الأحكام المتقنة والاحاطة التآمة بالوقائع التى بها تستّقر روابط أبناء البشر في معاملاتهم وعليها يفصلون الدعاوي في منازعاتهم لا يمكن ان تكون نتيجة جادت.بها القرائح التي رئمت البداوة منذ قرون عديده... فذهب بعض الى انهّا نسخةٌ من قانون الروم الأولى... وتوهّم الأخرون انّ الايرانيّين حينما قلبوا عرش أميّه وأقاموا أبناء عبّاس على كرسيّ الخلافة صاغوا هذه الصيغة وأبدعوا هذه الطريقة ... وأيّدوا هذه الأوهام بظنون توارثتها النفوس حبّاً بالعصبّيه جيلاً بعد جيل ... وهي انّ الحكمة بجميع فنونها من خاصّة (يافث) (آري). ولا خطّ (لسام) فيها الاّ قبسات يستمنحها منه ويمنّ بها عليه.

ولمّا نظروا الى المسائل الّتى سردها الفقهاء في كتبهم ازدادوا تصلّباً وحكموا جهلاً منهم بانّ لها ادّلةً تبتني عليها واصولاً ترجع اليها بانّها عوارٍ تلقّفها ائمة الاسلام

من الامم العريقة في الحضارة ولا يمكنها لضيق نطاقها أن تنطبق على الوقائع الّتي يقضي بها الزمان وتتجدّد في كل آن هذه هي زلّةُ النظرة الأولى وهفوةُ اتّباع الهوى.

فلو استكنهوا مبانى الشريعة الأسلاميّة وعرفوا كيفيّة تفرّعات المسائل منها وأحاطوا علماً بنظريات الفقه واصوله لعصموا أنفسهم من الزلّة في الأفكار والحيف في الأحكام ولكن لاملام لآنّ الجهل باللغة وصعوبة اصطلاحات العلوم قد أقامت لهم عذرا.

ولو لا كتابٌ أتي بايآت بيّناتٍ أبان بها الحقّ وأظهر الصدق وأزاح الأوهام التي كانت فلاسفة الغرب تتشبّث بها في احكامها لَحَلّ بنا (نحن المسلمين) اللوم ولا عذر لانّ عرض الشريعة على الأمم وأقامة البرهان عليها ورفع الشبه عنها فريضة.

(كتاب ألفّه ساواس باشاوبيّن فيه مباني الفقه الاسلامي وكيفيّة استنباط مسائله من اصول صحيحة استخرجها العلماء من الكتاب والسنّة).

(ساواس پاشا) هذا الحاذق البارع قد خاض في أعماق الشريعة الأسلامية وتوغّل في لجج الدّيانة المحمدّية وعرف أصولها وفروعها ومباديها ومقاصدها ونظريّاتها والأحكام الناتجة منّها فألفّ كتاباً باللغة الفرنساويّة خدمة للعلم وغيرة على الحقّ. وأنّه بعد ان قدّر فيه الشارع الأعظم واصحابه حقّ قدرهم قد أقام أدلة واضحة دفعاً للشُبه على أنّ أحكام الفقه كلّها مبنيّة على الوحى والألهام ولا مأخذ لها سوى كلام الله وسنّة نبيّه. وأنّ العلماء العظام من أبناء (سامٍ) قد استنبطوها باصول متقنةٍ أرشدهم اليها عقولهم الصافية منها من غير امتنانٍ من يافث (ارى) وأولاده. واستشهد على هذا بتأليفات الأُمام محمد رضى الله عنه... ثم أنّه بيّن بحكمة أنيقة تطوّرات الشريعة من الأجمال الى تفصيلها في أزمان الخلفاء الراشدين ومن اقتفى إثرهم من آل عباس... وبسط القول في الأصول الأربعة التي يبتني عليها المسائل الفقهية (القرآن والسنّة والاجماع والقياس). وشرح انّ الشريعة الأسلامية بهذا الركن الرابع (القياس) المبنّى على الحسن والقبح سواء نشئا من ذات الشئ او اعتريا عليه لغيره منضماً الى أحكام الضرورات التي اتّفقت الأمة على وجوب

اتّباعها تسع كلّ حادثة وتنطبق على كلّ واقعة مهما كـانت وأنّى وجـدت وفي أىّ زمان حدثت وأزاح توّهم ضيق نِطاق الشريعة بشرحه هذا متأسّفاً على سدّ باب الاجتهاد.

وذكر هذا الرجل الفاضل في طيّ كتابه مناقب أئمة الدين وفضائل المحدّثين وأوصاف الفقهاء المتأخرين. ونعت الامام الاعظم رضى الله عنه بما خصّه الله به من القريحة العالية والغريزة الساميّه. وفصّل ما أبدعه الامام من الفلسفة الدينية مقابلة لحكمة اليونان. وأنّه كيف قسّم موضوعات الأحكام الى جواهرَ (اصولٍ) واعراضٍ (لواحق) جعلها أساساً لكلّ الأوامر الآلهية ونواهيها.

اقول الحقّ إِنّ (ساواس) قد ألّف كتاباً جمع فيه كلّ محاسن الاسلام وجدّ في ردع المنكرين بالبراهين القوّية والأدلة الثابتة. وكنّا في حاجة الى مثل هذا الكتاب في هذه الازمان.

ولا شكّ أنّه من أعظم حسنات خليفة العصر.

وأحبّ أن يُدرّس هذا الكتاب بعد تصحيح بعضٍ من مـوادّه التـاريخية في مدارس المسلمين.

(جمال الدين الحسيني الأفغاني)

خروج الانكليز من المصر

نقلا عن (المُقَطَّم)

تابع لما قبله

هذه ادلتنا على صحّة اعتقادنا بانّ المحتلّين لايبقون في بلاد مصر دواماً وعلى اقتناعنا بأنجازهم لوعودهم وعلى تصديقنا لقولهم انهّم يخرجون من هذه البلاد متى أتمّوا عملهم فيها. ويعلم قُرّاء المقطم الكرام انّا لم نحل عن هذا الاعتقاد وعن المجاهرة به من اول عدد من اعداد المقطمّ الى هذا العدد.

والامل وطيد انه متى اطّلع حضرة اللوذعي الأَلمعي على ادلتّنا الّتي دفعنا بها اعتراضه يحكم بمكانة الاساس الذي بنينا عليه مقالتينا السابقتين ويعلم ان مَن كان الدليل نبراسه والحقّ ضالته اهتدى اليهِ ولم تضله ترهات الباطل ودياجير الاوهام.

واما قول حضرة صديقنا بانّ القصد من سياسة فرنسا في هذه البلاد تعيين حدٍّ للاحتلال حتي لا يكون احتلالاً دائماً فيجب والحالة هذه ان نؤيّدها ولا نعارضها فهو قول في غير محله. نعم انه لو كان المقطمّ يعارض سياسة فرنسا لمجرّد معارضتها لانكلترا لكان لصديقنا وجه ان يعترض علينا بما تقدم. ولكن كلّ من يطالع مقالات المقطمّ بامعان يعلم ان المُقَطَمّ يعارض سياسة فرنسا في مصر لانها تمسّ مصالح مصر والحكومة المصرّية لا لانّها تقاوم الانكليز في مصر. فانّ مدار سياسة فرنسا في مصر هو على امرين الواحد وجوب تمييز الاجانب على الوطنيين

مراعاةً لامتيازات الاجانب والآخر منع الحكومة المصرية من استعمال اموالها لنفع بلادها وكلا الامرين مضرٌّ بمصالح مصر والمصريّين لامحالة. نعم ان فرنسا تقصد بهذه السياسة مقاومة انكلترا وتعيين حدّ للأحتلال ولكنّها سياسة اكيدة الضرر بمصر والمصريّين وعقيمة من حيث تعيين حدّ للاحتلال. لان غاية ما نأتي عنها انّها قصَّرت باع الحكومة المصريّة عن معاملة الاجانب معاملة الرعايا في بلادها وعن استعمال اموالها لخير بلادها وأخّرت المحتلّين عن اتمام عملهم والجلاء عن هذه الديار. فالواجب يقضي على كل جريدة وطنيّة أُنشئت للمدافعة عن حقوق البلاد واهلها ان تعارض هذه السياسة الّتي تضرُّ بالبلاد ولا تنفعها وان كان احدٌ في ريب ممّا نقول فليأتنا بدليل واحد على انّ سياسة فرنسا ومعارضتها في هذه الديار بعد الاحتلال عادت بنفع حقيقي على هذه البلاد او قللت نفوذ المحتلّين وأضعفت عزائمهم عن الاحتلال في امر من الامور. فهذه الباطنطة الّتي طنطنت الجرائد الفرنسويّة بالغائها حتي بلغت طنطنتها السبع الطباق اي فائدة جَنتها مصر من ألغائها غير استثناءِ الأجانب من معاملة الوطنيين وايّ خسارة خسرها المحتلّون بالغائها غير اعفاء رعاياهم من دفعها وزوال حقد الاجانب الّذين كانوا حاقدين عليهم بسببها. وايّ تأثير لالغائها في تقصير الاحتلال وتعجيل الجلاء. فان كانت هذه عواقب الغاء الباطنطة الّتي منَّت فرنسا على الوطنيين بالغائها الف منّة وستعيد منها بعدُ الف مرّة فما قولك في عواقب سواها والاضرار الّتي نالت مصر منها.

فالمُقطّم يعارض سياسة فرنسا لانّها مضرّة بمصالح مصر لا لانّها مقاومة لسياسة انكلترا وقد قلنا ذلك مراراً واعدناه تكراراً ولو كان قصد المقطّم معارضة فرنسا والانتصار لانكلترا لالمصر لالتفت الى مسائل الخلاف العديدة الّتي بين انكلترا وفرنسا وانتصر لانكلترا في كلّ مسألة منها وأطنب في وصفها ومدحها وجعل كلّ الفضل في هذا القطر لها كما تفعل الجرائد المتشيّعة لفرنسا في كلامها عن فرنسا والمتشيّعة لسواها في كلامه عن سواها. ولو كانت فرنسا تقتصر على معارضة انكلترا رأساً بلا تعرُّض لمصر ومصالح المصرّيين لكنّا لا نعرّض ابد الدهر لاستهجان افعالها بل كنا ربّما سبقنا سواها الى مدح معارضتها اذا وجدناها مبنيّة

على مبادئ العدل والصواب.

اما الآن فانه لايوجد في مصر الاّ سياسة واحدة وهي سياسة الاصلاح وتخفيف الاثقال عن عاتق الرعّية وهذه السيّاسة هي السيّاسة الّتي يجري عليها الجناب العالي والسياسة الّتي تتبعها الحكومة المصرّية والسيّاسة الّتي يجب على كل مصريّ حرّ صادق اتبّاعها ونصح قومه بقبولها والاقبال عليها لانها هي السياسة الكافلة لمصر الخير في الاستقبال والضامنة للمصريين الارتقاء والاستقلال. فلتكفّ فرنسا يدَها عن معارضة هذه السيّاسة ولتنافش انكلترا ما شاءت على الجلاء والاحتلال فلا تجد من المصريّين الاّ الشكر والأجلال.

(هذه رسالة اخرى قد وصلتنا من مكاتبنا فى بغداد و
قد توزّعت فى البلاد الايرانيّة خفية)

ضُلامةُ الأمّة ... وضراعة الملّة

بسم الله الرحمن الرحيم

حُماة الاسلام. وسُراةُ الانام. ودُعاة دار السلام. وأئمة الدّين المتين. وأركان الشرع المبين.

لازالوا عزّاً للمسلمين آمين.

انّ الطُغاة قد استضعفوا نصراء الدّين وهتكوا سياج الشرع في ذرارى طـه ويس. فانتقم الله منهم وأحلّ بهم الخزى وجعلهم أذلّه في العالمين.

الشاه في زمن سلطانه قد جدّ حرصاً منه على الدراهم والدنانير في اختلاس اموال الأرامل وا ستلاب أملاك الايتام وانتهاب أقوات الفقراء واغتصاب ارزاق المساكين.

وارتكب لجمعها كل فظاعة وشُنعةٌ. عامل الناس بأشدّ انواع القسوةٌ. والتمس لنيلها وسائل خسيسة تأبى عنها نفوس الأوغاد وتعافها طباع الأوباش .... فما ترك للجور شِرعة الآ ووردها. ولا ثقبة من ثقب الدنايا الآوولجها.

ولما أفقر المساكن وأفقر السكان ودمّر البلاد وبدّد العباد ساقته سورة الخنون الى بيع حقوق المسلمين وأملاك المؤمنين للأجانب .. وزوقّت له (الحاده هذا) زندقةُ وزيره المارق.

فبادر سريعاً وهلع مستعجلاً فعقد مع الافرنج عـقودا. و عهد عـلى نـفسه

عهودا.. وهو لا يكترث بما فيها من الخيانة الفاضحة. ولا يبالي بما يعقبّها من الخسارة الفاحشة.. كانّه عزم أن يفارق البلاد من يومه الى الأبد.

فاذاً أرغمه الله غيرة على دينه بيد العلماء العظام والأحبار الفخام. وألبسه لباس الخزى والفضيحة وجعَله مُثلةً في العالم. وأحدوثة بين الأمم.

فأستكلب وكشر عن نابه وهو يتشبّث بأسباب تمكّنه من افتراسهم واحداً بعد واحد.

ثم انه الآن قد التزم على نفسه [غرامةً لجنونه وجريةً لزندقة وزيره] ان يقدّم الشركات الافرنجيه (كمپانى) ست كرورات تومان (ثلث ملايين تومان).. ثلث للشركة الاولى (كمپانى التنباك) .. وثلث للشركة الثانية التي أشترت منها حقوق بيع التنباك في البلاد العثمانية.

ما هذا الشنار والعار. ماهذا الذّل والصغار.

كم هتكت الجلاوذة في جمع هذه القناطير المقنطرة اعراض المؤمنين. وكم دمرّت الأوباش في جبايتها بيوت المتقين. وكم خفقت في استلابها قلوب الموحدّين وكم جرت في اقتنائها عَبرات الفقراء والمساكين. وكم سالت في اكتنازها دماء المسلمين. وكم خطفت الجُباةُ القُساة المعاجر من رؤوس النساء. وكم صعد صُراخ العجزة الى عنان السماء. وكم بات الرجال بعد الرفه بلا وطاءٍ ولا غطاء.

هذا رهن خوفاً من السوط داره. وذاك باع وجلا من الكيّ عقاره. وذلك استدان فزعا من الحبس جاره. والآخر سلم خشية من المُثلة دثاره وشعاره. هذه الفظائع قد طمّت البلاد وعمّت العباد حتى تجمّعت هذه القناطير من الدنانير.

ثم حكم الجنون وقضت الزندقه على تسليمها صرّةً واحدةً الى أعداء الدين ... وا اسلاماه. واحمداه. يا اركان الدين. ويا قادة المتقين. لا علاج لهذه المصيبة الكبرى والبلية العظمى. ولا دافع لهذه الفضيحة الشنعى والدنّية البشعى الا خلع هذا (الحضاجر) صيانة لحوزة الاسلام وحراسة لحقوق الأنام. وانقاذاً للدين واهله من هذه الورطة المهولة التي يتبّعها الزوال. ويتلوها الوبال لان هذه الغرامة الباهظة التى

التزمها الشاه بجنونه على نفسه تُثير احقاد الروسية فتبعثها مضادة للانجليز على استملاك الخراسان... ولا يتقاعس الانجليز اذاً من مياراتها خوفاً من الاستيلاء على الكل. وحذراً من متاخمتها للاراضى الهندية.

فتقسمان البلاد. وتسترقان العباد ولا نرث (نحن المسلمين) من ثورات هذا الجنون ونزعات هذه الزندقة الا الحَسرة والعَبرة.

ولا عذر لنا وقتئذ وقد كان التدارك ممكنا من قبل.

لا تدفع هذه الغرامة الا الخلع. لا ترفع هذه الجريمة الا الخلع.

لانّ عقود الدول المستبّدة (كدولة ايران وأضرابها) شخصيّة تنحلّ بزوال القائم بها... فاذا وقع الخلع فلاحقّ للشركات (كمپانى) اذاً ان تطالب الخلف بغرامةٍ التزمها على نفسه السلف. هذا هو القول الحق. انّ الخلع هي الوسيلة الوحيدة لأنقاذ بلاد المسلمين من هذه التهلكه (لو كانت للشاه نعرة وطنيّه او نزعة ايمانيه او نهية كاملة لتنازل من الملك حفظا لحوزة الاسلام ولكن هيهات هيهات).

فاذا صدعتم ياحماة الدين بالحق. وعلم الناس انّ أطاعة هذا (الطاغية) حرام في دين اللّه. وانّ بقائه على الملك خطر على الاسلام وحوزته هرعوا كافة وقلبوا عرش غيّه وخلعوه عن كرسى جنونه.

انتم حُماة الأُمة. وأنتم نَصراء الملّة. فمن يصون الدين غيركم ومن يحرس الحوزة سواكم... البدار البدار قبل حلول الذّل والعار.

.... انتم المسؤولون عن العباد والبلاد أمام الله تعالى.. ولالوم على الناس... لانهّم لا يزالون يأتمرون ما تأمرون ويقومون حيث تقومون فماذا بعد هذا تنتظرون.

الخلع الخلع ولا علاج سواه.

اقول قول خبير بصير. انّ صيانة شرف الاسلام وحراسة الممالك وحفظ حقوق المسلمين قد نيطت الآن بكلمة ينطق بها لسان الحق غيرة على الدين واهله... الآ وهي (الخلع).

فمن فاه بها اولاً من الهُداة الأبرار. والقادة الأُخيار فقد حاز الشرف الاتمّ

وفاز بالسعادة العظمي في هذه الدنيا و فى العقبى
هذا هو البلاغ ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد الحسيني

سلطان محمد دوم اور قسطنطنية كي فتح

تركي يورپ مين اسطرح واقع هي جيسى بتيس دانتون كي بيچ زبان ـ عيسائي سلطنتين اسكى چارون طرف واقع هين ابتدا سي جملہ شاهان يورپ كي يہى سعي اور كوشش رهي كه جيسي هو سكي سلطنت عثمانيه كا استيصال كيا جائي اور يورپ مين اسلام كا نام نشان باقي نه رهي الغرض وه بر ايك كى نظرون مين خارهي ـ مكرواه ري ترك كه اپنى تلوار كى زور سي يورپ مين ذٹى هوئى هين اوريه امر قرين قياس هي كه اخير وقت هرايك بہادر ترك شمشير بدست مثل قسطنطين يا زدهم كى اپنى ملك كي حفاظت مين جان ديتا نظر آئيكا ـ اغلب هي كه فتح قسطنطنية اور فاتح محمد دوم كا حال سب لوگ عموماً اور مسلمان خصوصاً دلچسپى كى ساتهه ملاحظه فرماوينكى هذا هم قلمبذ كرتى هين.

محمد دوم اكيسى برس كي عمر مين سنه ١٤٥١ع مين تخت عثمانية پر جاوه ارا هوا ـ شجاعت دلاوري ملك گيرى رمد بري مين همعصرون مين لاثاني تها ـ ابتدا سي اسي خيال تها كه استحكام هملك مقبوضه يورپ كى لئي شهر وبندر قسطنطنية پر تسلط كرنا امر ضروري هي اورجب يهه سنتا تها كه اسكى پدر بزرگوار اور جدا مجد كي يهه بڑي ارزو تهي تو خونَ عثماني جوش كرتاتها تهوڑي دنون اسي كوئي موقع چڑمائى كا نمد اور ايشيائي اور يورپى صوبونكى فسادات فروكر نيمين مشغول رها ـ اسي اثنا مين قسطنطين يازدهم شاه قسطنطنيه في غلطي سي سلطان كوه مُنكسر المزاج اور صلح كل سمجهكر ايك نامه اسمضمون كا

لكها. كه سلطنت عثانية كا ايك دعو يدار هماري دربار مينت موجودهي اور جو
روپيه كه تم اوسي نظر بند ركهني كي لئي همكو ديتى هو اوسمين اگر اضافه نكروگي
توهم شهزادۀ مذكور كو رها كر دين كى اور اوسي دعويدار تخت بنا ئنگى جب
يهه نامه سلطان محمد كي پاس پهنچا تو وه كسيقدر برهم هوا اور همكن تها كـه
خط كى حواب مين اعلان جنگ پهنچى پر خيريت گذرى كه سلطان اس مـهم
غظيم كي لئي كامل طورسي طيارنه تها لهذا اوسني دوستانه الفاظ مـين مـعمولي
جواب ديار اور بات تال دى ـ ساتهه هي خليل وزير اغظم ني جو نهايت عقيل
وفهيم تها قسطنطين كو متنبه كيا كه وه اس خبط سي باز رهي اوراس قسم كـى
تحريرات سي سلطان كامور دعتاب نه بني اسي مين اوسكي خيريت هي ـ مگـر
چند ايام بعد قسطنطين كا سفير پهر وهي درخواست ليكر پهنچا ـ اب سلطان فوج
كشي كو مستعدتها اور جمله سامان جنگ مهيا كر چكاتها ـ كوئى بات مانع نه تهي
اور موقع بهي هاته لكا صاف جنگ كا اشتهار ديد يا ـ يه سـفر قسـطنطين اور
اوسكى اركان سلطنت بهت گهبرائي اور چاها كه تدبير سى كام نكالين اور صلح
كرلين مگر اونكى سب ذر يعى معطل كل تد بيرين بيكار هوئن اب تو سب كى
سب نهايت شش و پنج مين پزى كرين تو كيا كرين نه پائى رفتن نه جائي مندن
قسطنطين سي دو بهت بزي بهاري غلطيان سرزد هوئين اور جو اوسكـي تـاج
وتخت وسلطنت اور نيرجان جا نيكى موئد هوئين ـ اول تو اوسني كوشش بيجا
يهه كي كه گر يك چرخ چرخ آف روم سي ملا ديا جاوي اور جسكا يه نـيتحه
نكلا كه جمله فريق گريك عيسائي اس سي برگشته هوگيا يهانتك كه جب تركون في
اعلان جنگ ديار اور قسطنطين نى علما وروسا شهر سي مدتد كي درخو است كى
توصاف جواب پايا كه ره سچا عيسائي نهين اسلي مدد كاكسيطرح مستحق نهين
گرنيذ ذيوك نوثارس ني توكهلم كهلا اور علانيه كهد يا كه مين هزار درجه سلطاني
نشان ديكهني سي محطوظ هو نگابه نسبت اسكي كه چرچ اف روم هماري چرچ
سي ملحق كرد يا جائي اور مين پوپ كانشان ديكهون العرض قسطنطين كو يقين

هوگيا كه رعا يا مين تو حب الوطنى كا نام نهين اور دلسي حامي ومدكار نهين درسري يه بهى ظتاهر تها كه خزانه پر نهين سپاه نهين سخت مترد دو مشوش هوا مگر اوسكي طبيعت مين هراس وخوف كا مطلقاً اثر نهين هو تا تها جو كچه بن پزا كيا اور حفاظت ملك كا كوئي دقيقه فرو گذاشت نهين كيا ـ رعا يا سي تو كيا خاك مدد ملي ايك لا كه باشند كان شهر مين سى صرف چه سوادمي مدد كو آئى مگر جو بيروني مدد قسطنطين كو ديگر ممالك سي ملي وه كم نه تهي پوپ ني سپاه وزرسي مدد كى ـ اطا يه اور هسپانيه كي بهت سي شهرون ني امدادي فوج بهيجى ـ جوق كى جوق مردمان كارزار ارگن گتيلا وسا اور ديگر موبون سي اپنى هم مذهبونكى حفاظت كو نكلي ـ جنيوا ني چند جنگى جهاز اراسته وپيراسته بزير حكم گياستيناني روانه كلى اورانكى آينسى قسطنطين كى فوج مين جان پڑ گئي ـ يهه سب تخميناً دس هزار منتخب سپاه شاه قسطنطنيه كي گرد شهركى محافظ كو جمع هوئي ـ شهر كي ديوار «شهرپناه» دقيانوسي وقتونكى بني هوئي تهي بُرجونپر نو ايجاد توپونكا چزها سخت دشوار امرتها اور طرح طرح كي مشكلات كا سامنا تها مگر شاه اور اوسكي معاون ومددگار هر طرحسي شهركي محافظت كـي كـا مونمين مشغول تهي ـ اهاليان شهر كوجو گريك چرچ كي پيرو تهـي تـركونكى چزهائي كا اتنا غم نه تها جتنا كه اوس فوج كي آينكا جو پوپ ني انكي اور انكى شهركي حفاظت كي لئي بهيجي تهي ـ اصل تو يه هي كه جو قوم اپنى اپ مدد نكر سكي تو چند ادمي ملكر اوسكي كيا اعانت كرسكتى هبن اورايك فرمان روا كى شجاعت وبهادري بيكار هي ايسي رعا ياكى محافظت مين جـنگو خـود اپـنى حفاظت كي پروانهو.

سنه ١٤٥٣ع كى اوائل موسم بهار مين تركون كي فوج ظفر موج ني شهر كا محاصره كيا ـ انيك سپاه كا كيا كهنا افسر بهادر سپاهي جري سپهدار رستم ـ كسكى مجال تهي كه تركون كى حمله كي تاب لاسكي ـ محمد ني چو ده توپ خاني ديوار منهدم كر نيك لئى متعين كئى اور تو پون نى اگ برسانا شروع كيا اور كئى

جگه سرنگ کی ذریعه سي دیوار شق کی کئ علاوه بری کی ترکونکي بحری قوة بهی کم نه تهي تين سوبيس حهاز قُسطنطينه کي قريب لنگر انـداز تهـي ـ ابـناء قسطنطينه تو عيسائي جنگي جهازون في پهلي هي بند کر رکهی تهـی اور ابـناء مذکور اسطرح واقع هوئی هي که دوتين جنگی جهاز اوسي بالکل بند کرسکتی هين اورغنيم کی جهاز کتنی هي زده کيون نه هون او نهين کوئي نقصان نهين پهنچا سکتي ـ اسلئي ترکي جهاز في الجمله بيکار تهي ـ چهتوبن اپريل کو ترکون ني شهر پر حلّه کيا مگر کارگر نهوا شاه قسطنطنيه نی اس شجاعت اور دلاوري کی ساته روکا که خود تُرك تك اوسکا لوها مان کئي ـ چند دنون تك ترکونيك کوئی تدبير کارگرنه هوئي اور عيسائي تو پون ني بهت نقصان پـهنچايا ـ اسي زمـانه مـين جنيواکي جنگي جهاز ترکي جهازون سي بچکر سامان رسد وغيره لاني نکل کئ واپسي هر چند ترکي جنگی جهازون نی او نهين روکنا چاه اور حمله اور هوئي ـ ليکن انکا بال بهی بيکا نکر سکي يه جهاز ترکي جهازون سی سازو سامان جنگ مين بهت بز هي هوئي تهي ـ رسد کي آنيسی محصورين کي دل بهت بره کئي ادهر سلطان بهت خشم الوده هوا اور سپه سالار افواج بحری کو سخت سزادي ـ اخر کار ٢٩ مئ کي صبح کو محمد نی اخيرد هاواکيا عيسائي بهی جان دينی کو مستعد هوکر شهر کی درواز دنپر کهزي هو کلی ـ سلطان ني خود مورچه بندي گلي اور ايسا انتظام کيا که اگر سو کتين تو معا دوسو اونکي جاپر پنج جاوين ـ العرض عساکر سلطاني نی نعرۀ «الله اکبر» بلند کيا اور سلطان خود آگی بزها کجه دير تو طرفين کی بندوقون اور توپون نی غضب ذها يا اور بهت ادمي کام آئي اور پهر تلوار جو ملك گيري کا قطعی فيصله کرتی هي ميان سي نکی اور شپاشپ چلی لکی دوتين کهنتي عيسائي نهايت ولاوري اور بهادري کی ساته لڑي مگر گـها ستياني کی۔ماري جانيسی انکی دل توت گلی قسطنطين ني جو يه حال ديکها اور اوهر بهادر جان نثار يونکي غول کی غول اُمنڈ تی نظر پزي تو جانا که مـيدان هاته سي گيا شهرکي خيريت نهين فاتح کو کوئي روکـنی والا نهـين اور مـفتوح

كاكهين تهكانا نهين اب صرف عزت باقي هي وه تا دم مرگ كيون جائي يه سو چكر شير ببركى طرح تركون مين گهس گيا داد شجاعت ودلاوري دي اورايك بهادر سپاهي كي مانند جنگ مين كام آيا.

ترك شهر مين داخل هوئي ـ فتحمند فوج كادشمن كي شهر مين داخل هونا قهر الهي كا نازل هوناهي ـ تهوزي ديرتك جو ادمي ملائه تيغ بيد ريغ هـوا اور پهرلوت كهسوت كا بازار گرم هوا ـ سه پهر كو سلطان محمد فاتح قسطنطينه كـي كشت كو مع وزرا وخدم وحشم نكلا پهلى «سينت سوفيا» كي مشهور كرجا مين اذان دلوائى اور نماز شكرانه ادا كي پهر محل شاهي مين داخل هوا اوسي جنگل سي زياده ويران بيابان سي زياده وحشت ناك پايا يه ديكهكر سلطان كا دل بهر آيا اور بيساخته يه اشعار پزهي ـ چشم عبرت بين كشاو حال شاهان را نگر ـ تا چسان از گردن گردون گردان شد خراب ـ پرده داري ميكند بـر قـصر قـيصر عنكبوت . چغد نوبت ميزند بر گنبد افراسياب ـ فتح كي بعد تركون ني بهت سي خون ناحق كئي جو پراني زمانو نمين ايشائى مملك تودر كنار يورپ تك مين فتح كا ايك ضميمه سجهى جاتي تهي جنكى بهت سي نظيرين موجود هـين ـ بـعدة سلطان ني امن وامان كا اشتهار ديار اور عسيا يئونكو اجارت دي كه اپنى اپنى كهرون اوت ايئن اور دنياوي كاروبار مين مشغول هون اونكى مذهب ملت مين كوئي مداخلت يا مزاحمت نه هوگي اور اونكى جان مال و غربت كي حفاظت كي جائيكى ـ اوسنى مثل ديگر عيسائى سلطنتونكى رعايائى عيسائى كـى لئي ايك «پيتري ارك» (بزاپادري) مقرر كيا اونكى جمله عبادت خاني قائم ركهي اور خود اونكا «پروتيكتر» (محافظا) بنا ـ اس سي عيسائي بى حد خوش هوئي يهانتك كه محمد كي حكومت كو خاص اپنى سابق بادشاه كى فرمانروائى پر ترجيح ديـني لكى ـ اور باطمينان كلى اپني مشاغل دينوي مين مشغول هوئى سلطان كي دلي ارزو پوري هوئي يعنى قسطنطينه ممالك محروسه سركار عـثمانـيه كـا پـايه تخت قرارديا كيا ـ سلطان ني نئى دارا دسلطنت كي ابادي اور باشند كـان كـى فـلاح

بهبودي مين سعي بليغ كي مختلف پيشون كى ادمي اور كاريگر وهان آباد هوئى
اور قسطنطنيه يورپ كي بهترين اور خوبصورت شهرون مين شمار هوني لكا ـ
واضح هو كه مسلمانون ني كئى دفعه قسطنطنيه پر حملى كئي مگر سوائى محمد كي
اور سب نا كامياب هوني ـ مسلمان جزلون كي نام جوناكامياب هوئى ذيل مين
درج هين سنة ٦٥٤ ماويه ـ سنه ٦٦٧ يزيد عرب ـ سنه ٦٧٢ ابو سفيان سنه ٧١٥
مسلم وعبد العزيز ـ سنة ٧٣٩ سليمان بن عبد الملك سنه ٧٨٠ هارون الرشيد سنة
٧٩٨ عبدالملک سپه سالار خليفه هارون الرشيد سنه ١٣٥٦ سلطان بجازت سنة
١٤٠٢ ايضاً سنة ١٤١٤، موسى ١٤٢٢ سلطان مراد دوم سنه ١٤٥٣ سلطان محمد
دوم فاتح قسطنطينه ـ باقي اينده.

س ـ س ـ ح . مقام لندن

الحَقّ المُرّ

يا ايّها الّذين آمنوا كونوا قوامّين بالقسط شهداءلله ولو على انفسكم

قد استفحلت اليوم المناقشات والمجادلات وتكاثرت المنازعات والمحاورات بين ارباب الاقلام في الجرائد المصرّية بشأن الاحتلال الاجنبي وعظم القال والقيل في المجالس وانحصر حديث الخاص والعام في ذلك وكل فريق يتشيع لرأيه ويشيد فكره لا يطاوع الاّ فيمايمليه عليه لسان الغرض الكامن في النفس ويشير به مشير الهوى المتسلط على الضمير فالحجّة الدامغة عندهم والبرهان الساطع لديهم والقول الفاصل في مسائلهم التقريع واللّوم والتندّيد بما يأتي به احد هم في اقواله حتى اشكل الامر واختلف الشأن فانخذل سلطان الحقيقة وضلّت الاحلام وتخبّط سير العقول وظلّ المصرى بينهم حيران مبهوتاً لا يدرى على اىّ طريق يعرج وبأىّ نجم يهتدى واىّ سبيل يقصد. فوجب اذن على الوطنى الصادق فى وطنيّته ان يغض النظر عن تلك المنازعات ويطرح الاغراض الذاتية برهة وان يضع بينه وبين حرب الاهوأ هدنة وينظر الى ضوه الحق فيقرّره ويهدى اليه من لم يمل كل الميل الى تلك المنازعات ومن كانت في نفسه بقية من حب الحق وان كان مُرّا فنقول.

فاول واجب طبيعي يسعى نحوه الانسان ان أراد ان تنطبق عليه صِفة الانسانية هو الحصول على حرّية اللسان الذي هو ترجمان الضمير المفصح عن الأغراض وأُعدام العوارض والمؤثرات التي تحول بينه وبين هذه المزية وبخلاف ذلك يكون الانسان في درجة ساقطة عن درجة الانسانيّة والحيوانيّة ايضا.

ولما لهذه الحرية من الشأن الجليل والمقام الاول قد وجدنا صحف التـاريخ مشحونة بذكر من مضى شهيداً فى ميدان الحصول عليها ومازالت الأنفس الشريفة تعرض نفسها للأخطار وتلق بارواحها فى نيران المهالك لاهَمّ لها الاّ أن تعيش حرّة بين قوم احرار حتى تأصل هذا الفكر في كثير من افراد الامم على توالى الدهـور فقاموا على الظَلَمة الذين يفلقون امامهم ابواب تلك الحرية فانتصروا يوما وانهزموا آخر وسفكت الدمأ وهلكت النفوس الى ان وصلت الامم الغربية الى ماهى عليه الآن من نوال تلك الحرّية والتمدّن بعد ان تصارعت ارواحها مع جـيوش الظـلمة قرونا عديدة ثم تدرّعت بعد ذلك بدروع التهذيب والعـلوم وتحـصنت بـالاتحاد والتآلف والاتفاق والتحالف بين افرادها لحماية مافى يدها من الحرية أن تعبث به ايدي روسائها وحكاّمها فقيّدتهم بقيود النظام والقانون ووقفت امامهم بالمرصاد وتيقّنوا منها القوّة والعزم والشهامة والثبات فغلبت أيديهم ومحي هول هذا الموقف ماتركب في النفوس من حبّ الاستبداد والاستئثار حتى صارنسياً منسيّا.

وبق الشرق مندمجا في جهالاته منغمسا في ضلالاته لا يدرى ما تلك المزية وما مقدارها حتى اختلطت الامم العربية باهله فـلحظوا مـن خـلال اخـتلاطهم وتداخلهم شعاع تلك الحرّية فانبهرت عيونهم واندهش لبّهم ولم يقفوا على حقيقتها وحقيقة الطرق التي توصل اليها فعظم شأن الاجنبي في أعينهم وصار بالنسبة اليهم فى درجة ارقى من درجتهم (لانه توصل الى تلك المزية التي تجعل الانسان انساناً كاملاً كما تقدم) فاهملو البحث عن الاسباب التي ارتقت بها تلك الامم الى مراكزها والطريقة التي انالتهم تلك الحرية لما في ذلك التكاليف وتعريض الانـفس للـتلف فاستسهلوا تقليد الاجنبي فيما لا تثقل تكاليفه عليهم فعمدوا الى ظـواهـر التمـدن فتحلّوا به واحسنوا التقليد له في الزىّ والمعاملات البسيطة والتكلم بلغاته والتمسك بتقاليده حتى صار الاجنبي عندهم الامام الذى يهتدون به ويقتدون فتعالت مرتبته بينهم وانتهز هذه الفرصة لسلب اموالهم واستعبادهم وتـنفيذ اغـراضـه ومآربـه مستبشراً مسروراً بكونهم تتعلقوا بظواهر التمدن دون بواطنه وانهم لم يـلتفنوا الى

سلوك الطريق التي اوصلته الى الحرية والتمدن الحقيقي واهتداؤهم لذلك مما يعطل عليه اغراضه واطماعه فامتلأ الاجنبي ثروة من جهة ما ينتزفه من دم الاهالى بسطوة وعلوّ كلمته ومن جهة ما يسحبه من ثروة الحكاّم المستبدّين جزأ معاونة لهم على ظلمهم بالاهالي.

وقد مضى على مصر خاصة زمن ليس عهده ببعيد منّا كان فيه اهلها اسوأ اهل الشرق حالاً لم تنبئنا بذلك صحف التاريخ ولا تلقينا علمه عن افواه الرُواة بل شاهدنا تلك الحال باعيننا وقاسينا أهوالها بأنفسنا ويكفي لأحدنا ان يرجع النظر كرّة الى الحال التي كنّا فيها قبل اليوم بمقدار سن المراهق فيرى الاموال منهوبة والاعراض مهتكة والبيوت مخرّبة ومكان الانفس بين السيف والنطع والشنق والصلب والنفي والضرب والتعذيب واهوالاً ولا كأهوال القيامة. واطمأنت على ذلك النفوس واستأنست به وكانت تخلو فما تتناجى بالامانىّ حتي تخيلّت انّ هذا هو من موجبات نظام الهيئة الاجتماعية ومقتضيات المدنية. كل ذلك والاجانب عون عليهم لا يرشدونهم الى طريق نجاتهم ولا يهدونهم الى معرضة حقوقهم.

وكانت امنيّة الوطني الوحيدة ان ينسلخ عن جنسيّته ووطنيّته ليخلع عليه الأجنبي خلعة الحماية بعد ان يستفرغ منه جميع ثروته في سبيل الحصول على ذلك حتى يمكنه أن يعيش متحفّظاً على هذه الحياة الدنيئة بين اولئك الذئاب الطلس ثم ينظر من جهة اخرى الى الحكومة فيرى شرّما رأته عين يرى السلطان والقوّة فيها للاجنبي والرياسة والادارة في يد قبضة من الرجال قد سبكتهم يد الاستبداد فاخلصتهم جسماً طائعاً متحركاً تديره كيف شأت ليس له فكر يخشى منه التبصر في عواقب مايصفه من الفظائع ولا علم يهذّب من قبيح افعالهم بل هو مُسَخر آلة لجمع المال فيدلى دلوه في بئر ثروة الاهالي فيستنبط منها اموالهم معكرة بدمائهم واحشائهم ثم يصب بها فى حوض الاستبداد المتخرق فاذا نضب البئر ولم يمتلئ ذلك الحوض بالطبع اخذ الظالم ما في يد المستقي مما اختلسه من المال اثنأ انتهابه من الاهالى فاستوفاه منه ثم أمر به فقتل او نفي او طرد اوالزم بيته.

اين كانت تصرف هذه المبالغ. هل كانت تصرف في تنظيم نظام او تأسيس مدنّية او نشر للعلوم وتقدّم العمران. هل صرفت في حروب للمدافعة عن الوطن او فى فتوحات لتوسيع البلاد او في اصلاح للاراضي وتعميم للرّي لتنصلح المزارع وتتزايد ثروة البلاد. هل أُنفقت في تنظيم للمحاكم او تأييد للشرع او في انشأ فابريقات ومعامل وغير ذلك من المنافع العموّمية. كلّا ثم كلّا. كانت تصرف هذه القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة في سبيل الشهوات خاصة وقفاً محتبساً عليها دون سواها فيبذل جانب منها لأرضأ هذه الدولة ورفع غضب الاخرى وترتيب الدسائس للوصول الى غرض معلوم مضرّة بمصر ومداراة ارباب الجرائد الا وربوّية خيفة أن تنشر شيئا مما يصل اليها من انواع تلك المظالم. وكان يكفي لمن رام الغني والثروة من الاجانب ان يشهل عزمه على تأليف كتاب في حالة مصر فتنتثر امامه الالوف من الدنانير وتهال عليه فيسقط القلم من يده وربما عمد الى عكس ما اراده فينشر تأليفه محتوياً على انواع المفتريات التي تشهد بحسن الحالة المصرية. ثم ينفق جانب آخر منها لتشييد القصور التى تضل في ساحاتها الصافنات الجياد فيفترشونها من السندس ويموهون بنيانها بالذهب يجعلون فيها لأنفسهم سقفا من نضة ومعارج عليها يظهرون. ثم يستجلب لسكناها الآلاف من الحواري الكاعبات والقيان المعزفات من اقاصي البلدان وشاسع الاقطار فيتقلدن الجواهر ويطأن الدرّ والمرجان يوتي لهن بالعبيد الخصى حراساً ورقبا فلا يلبثون ان يصيروا ساداتنا واشرافنا وأمرأنا حتى كانّما كان الشاعر ينعى عليها تلك الحال بظهد الغيب في قوله:

سادات كل اناس من نفوسهم وسادة المسلمين الاعبد القزم والعزيز الكريم فينا صاحب الهمة الشامخة والنظر العالي من كان متصلا بحبل من عبيد اولئك الخصى. ولم يقنع طائر الشهوات بمالديه من الآلاف المؤلفة من الغواني بل كان يترّقب الدقائق والساعات للوقوع على الزانية الفاجرة والورهاء العاهرة فيكال لها الذهب كيلا في مبيت ليلة ويهدي اليها العقد من اليواقيت تجمّعت قيمته مما انتزع من اقوات مئات اُلوف من المصريين. وايم الله لو علمت الفاجرة بشناعة الطرق

والوسائل التي استعملت لجمع ثمن ذلك العقد وبكمّيّة الأنفس التي هلكت جوعا والتي سفك دمها وان ذلك الياقوت الاحمر انما هو الدم المتجمّد من أنفس الضعفاء والمظلومين والدمع القانئ المنسكب من أعين الارامل واليتامي لعافته وأنفته ولأحست به منظوما من رؤوس الافاعي واذناب العقارب.

كيف كان شان الوطنيين اذ ذاك وحالهم. هل كانوا ساخطين على تلك الهيئة. هل فزع منهم فازع يطلب رفع الظلم ونوال الحقوق الطبيعية. هل قام قائم منهم في وجه الاستبداد يدفعه او يخفض من سورته. هل اظهر احد منهم شكواه. هل تألفت لهم قلوب يتعاونون بها على احتمال المظالم. كلا. بل كانوا بُكماً لا ينطقون ولا يتحرّكون. كانوا ظالمين مظلومين عوناً للظالم على انفسهم يتهلّلون بمظاهر الاستبداد المزخرفة كأن ذلك لم يكن مأخوذا من دمائهم واموالهم. وكانت ألسنتهم لا تنطق الآ بالثنأ واقلامهم لا تطرز الآ المدائح وأشاراتهم لا تصدر الا بالاستحسان وأمعنوا في هذا الباب حتى سئمت نفوس المستبدين ذاتهم من ذلك واسترذلوه وأنزلوهم منزلة من لا يقبل منه صرف ولا عدل. فحدثنا محدّث انّ أحد الولاة السابقين زار مدينة طنطا في مولدها فتشرف عمد الغربية بالمثول بين يديه وخطر له ان يسألهم عن احوال مديرهم وادارته للاعمال فاطنبوا وأسهبوا كعادتهم في امتداحه وافرغوا جعبة الثنأ واقسموا ان المديرّية لم تتزّين فى دهرها بمثل عدله ورأفته وحسن ادارته وخرجوا من عنده فتشرّفوا بحضرة المدير فنقلوا اليه ما حصل تزلفاً له وتقرّباً منه فتركهم ودخل على الوالى مكتئباً حزينًا يغيض من دمعه فوقع على اقدامه يقبّلها فاندهش الوالي لذلك وسأله عن حاله فقال له وهو مختنق بالدمع هل بلغ من هوان أمري على مولاى وازدرائه بى ان يسأل العمد عن احوالى وكيف يتسني لي ان احكمهم وأدير شؤونهم وقد رأوا انهّم صاروا اهلاً في نظر مولاي للسؤال منهم عن اعمالى ... بخ بخ ...

وقد كان من ضمن الوسائل التي تفنّن فيها الاستبداد انه اتخذ من العمد واعيان المديريات مديرين وحكاّما لأجل أن يتوصل بهم الى سلب مابقي لدي

الاهالي من ثروة اوقوت لكونهم أدرى باحوالهم من بقية الحكاّم وأعلم بمواضع الثروة فرأيناهم أشدّ وطأ على المصريّين وأنفذ سلاحاً في جلوردهم واجرأ يداً في استلاب اموالهم من سواهم. ولم تقصرّوا على نزع أقوات الاهالى واملاكهم واهدائها للحاكم وابتلاع جانب منها لأنفسهم بل كان اكبر همّهم الايقاع والبطش بافراد عائلتهم وايذأ اهلهم فكان فهم الضارب لابنه والسالب لابيه والقاتل لاخيه والمانع مأ الريّ عن اطيان اهله ليموت زرعهم وتخرب بيوتهم ثم هُم بعد ذلك معزولون مسلوبون.

فكانت رجال الحكومة والادارة عبارة عن سلسلة من النهب والتعدّى تظلم الحلقة الكبرى منها الحلقة الصغرى بالتدريج وهكذا الى ان تصل الى الفلاّح المسكين فتنطبق على عنقه حتى تسوخ اقدامه في الطين ليستخرج لهم منه ما يريدونه من ذهب الارض ممزوجاً بدمه ودمعه وعرق جبينه فينتقل ذلك من الحلقة الصغرى الى الحلقة الكبرى وهلّم جراحتى يصل الى يد الحاكم القابض على اطراف السلسلة.

ولو استرسلنا في هذا الباب لما وسعته المجلدات التي لا نسعها الكتبخانات وانّما أردنا أن نذكر قطرة من بحور تلك المظالم وسوء الاحوال لينتبه اليها المصريّون وليتذكروا ماكانوا فيه. انّ الذكرى تنفع المؤمنين فيخجل بعض اولى الاغراض منهم من التبّجح بامتداح تلك الحال الماضية والتأسف من تجاوزها الى ما نحن فيه اليوم وتسميتها بايّام الرواج وأزمان السعادة ويتمّنون ان لوعادوا اليها وعادت لهم. ولهم شبه العذر بأن يعدّوها ايّام رواج لان تداول مائتين مليون جنيه تقريباً في مدى ثمانية عشر سنة وتنقلها من اجزا تلك الحلقات حتى خرجت عن مصر يعده البسيط الساذج وذو الغرض رواجا فضلا عن مبلغ المائة مليون جنيه من الدّين التى استدانته الحكومة من الاجانب وما لبث ان عاد اليهم وما سلّم على مصر حتى ودّعها. فان صح ان الصرّاف الذي تتداول على يده الالوف من الجنيهات يوميا فيقبضها ثم يصرفها انه غنى وذوثروة من اثر ذلك صح ان تلك الايام كانت ايام

سعادة ورواج.

وما الذى يؤمنهم ان عادت لهم تلك الحال ان يكونوا هم اول مسلوب واول مقتول. هل اتخذوا عقداً وميثاقاً من الظالم ان يكونوا سالبين غير مسلوبين مرتفعين غير متضعين فالظالم لاعهد له. وقد رأوا بأعينهم من كان اعظم منهم مرتبة واعلى منزلة لم يحلموا بنوالها في نومهم كيف اخذ في ليلة واحدة فقتل ثم سلب وكان أعّز صديق واكبر معين. فأولى لهم ثم اولى لهم ان يحمدوا الخالق على خروجهم من تلك الحال سالمين وليتمّتعوا بما بقى لهم من ثروتهم وليخفضوا على انفسهم ويتركوا هذه الاوهام والخيالات ولا يكونوا حجة للاجنبي علينا.

تلك كانت حالنا في الزمن الماضي أقمنا عليها نقبّل اليد التي تذبح ونلثم الذيل الملوّث بدمائنا حتى غاضت ثروة البلاد واثقلت بالديون فوجد الاجانب لهم حقا شرعّياً للتداخل في امورنا وادارة شؤونا حفظاً لاموالهم الّا انهّم كانوا مقتصرين على هذا الباب فقط ليس من غرضهم ولا من مأربهم اصلاح حال المصرى ونواله للحرّية وارتقائه في المدنّية بل كان عامة سعيهم في ازدياد نفوذهم ونوال حقوقهم فاشتّد الضنك ووصلنا للنتيجة الناشئة عن ذلك الاسراف في الظلم والتبذير في الاموال واستجيبت دعوة المظلوم والضعيف.

خف دعوة المظلوم فهى سريعة. طلعت فجأت بالعذاب النازل.عزل الامير عن البلاد وماله الّادعأ ضعيفها من عازل.وما كدنا نخطو خطوة في طريق التنبه لاحوالنا والنظر في لمّ شعثنا وماكاد اولو النباهة منّا يجرؤن على الحاكم فيلتمسون منه اجرأ الاصلاح وتشييد الحرّية كأن ذلك هو الطريق الوحيد لنوالها وكأنّ حاكماً مطلقا يعطي الحرّية للأمة من تلقأ نفسه انمأ تتشيد الحرّية بيد الأمة لابيد الحاكم كما قدّمناه ومازال ذلك ديدننا حتى قامت الثورة العرابية.

ومن وقف على حقيقة تلك الثورة علم انها لم تكن من الثورات المرتبة على طلب الحرية وتنظيم الحكومة وانما ودفع اليها اربابها اندفاعا على غير استعداد لها ولا ترو في امرها. وكان منشاؤها ان جماعة من الضباط غضبوا لما استحسوا

بوجوب توفير في الجيش وفقد مراكزهم فيه وتقديم خلافهم عليهم فساعدتهم ظروف تلك الاحوال على المجاهرة بنفورهم فطلبوا عدم التوفير في الجيش اولا فردعتهم الوزارة وضيقت عليهم ولكنهم وجدوا معينا لهم من طرف آخر يحاول ان ينتفع من حركتهم فطلبوا عزَل الوزارة ثانيا ثم تورّطوا في الامر واحبّوا ان تدخل الاهالى في زمرتهم فطلبوا تشكيل مجلس للنواب ثالثا. وما زالت دسائس اولى الاغراض وسيال الحوادث ومجراها واحكام الصدفة تدفع بهم وتجذبهم باصابعها حتّى عظم امرهم وقويت شوكتهم فاجتمع عليهم الجانب العظيم من المصريين بعضهم لغرض شخصي وبعضهم لملل من تلك الحالة وبعضهم لمجرد الميل الى الجانب الاقوى والبعض الآخر لاملهم في حصول ايّ تغيير في الاحوال كما يتولع بذلك اكثر افراد الامم. و ساروا في طريقهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى لا يعلمون لهم مبدأ يحاولون تأييده ولا ترتيباً هم عازمون على حصوله ولا شكلاً للحكومة التي يريدون اقامتها على انفسهم وكلّهم لايدرون ماذا يفعل بهم. فتارة يطلبون والياً مكان آخر و تارةً يرومونها جمهوريّة مركبة من ارباب السلاح قائمة على ذباب السيف وطورا يبتغونها حكومة مقيّدة وحينا يجعلونها ولاية عثمانية وآخر يريدونها مستقلة. فلم يكن لهم رأى ثابت ولا مقصد معيّن بل كانت اعمالهم وافكارهم بِنْت الساعة و رَبيبة الدقيقة. و لم يكونوا يعرفون للحرية التي يصيحون بطلبها تحديداً ولا يعلمون لها تكييفا وانما كان بينهم فئة قليلة من المصريين قد احسنت تربيتهم وعلموا ماهية الحرّية ومادة الحقوق الوطنية وتحلّوا بالعلوم والفضائل وحلب الدّهر أشطرهم وصقل التهذيب افكارهم بما كانوا يتلقونه ويدرسونه من ذلك على امام استاذ فاضل اقام بينهم مدّة من الزمن كان مَشربه رفع الظلم عن المسلمين وبسط العدل فيهم وإحياً السُنَّة وإماتة البدعة واعادة المجد القديم للاسلام ولم يزل مشرّداً في البلاد مطرداً لاينثنى عن عزمه ورأيه فانتهزوا فرصة تلك الحادثه هم ومن استفاد منهم واختلط بهم لنوال الحقوق الوطنية وانضموا الى تلك الحركة ولكن لم يكن ليتيسّر لهم انتصار رأيهم وتعزيز مبدائهم في لجج ذلك التهوّر وتيّار تلك السطوة فانتصرت دولة الاحلام وفازت صولة الخرافات والاوهام

ورفع السيف فوق الاعناق فخضعت الرقاب واسلست في القياد وذلّت النفوس والتوت الالسن فكان حال المصريين انهّم يطلبون الحرّية بواسطة الاستبداد ويحاولون نوال الرحمة من طريق القسوة كمن يحاول استخراج الاري من الحنظل والشهد من العلقم. وكان شأن تلك الفئة في تورطها كشأن كانون الروماني وهو فيلسوف وطني حرّ كان اوقف حياته على نوال حرّية وطنه وكانت انقسمت الامة الرومانية الى قسمين قسم يحاول قلب الحكومة الى ملكية تحت قيادة قيصر وقسم يريد بقأها جمهورية تحت رياسة بومبية فانضم كاتون الى القسم الاخير مع علمه بانّ بومبية واشياعه لهم اغراض خصوصّية وليس يُرجى منهم نوال الحرية التي يطلبها لبلاده أن هم انتصروا فخرج مع ذلك في حزبهم متسلحاً للحرب فقال له بعض اصحابه كيف حالك ورأيك في نفسك قال له شرما قال: ان انتصر قيصر قتلني وان انتصر بومبيه قتلت نفسى قال له صاحبه وكيف ذلك ولك من علّو المكان بين حزب بومبية مايضمن لك ان تكون في منزلة عظيمة اذا انتصروا فأجابه الفيلسوف ان غرضى ان اعيش حرّاًبين قوم أحرار لا ان اعيش عزيزاً بين قوم ازلاّ.

ثم انحاز قسم من المصرين الى الحاكم تعلقاً باسباب حفظ الحالة التى كانوا عليها والتمسك بمراكزهم التي نالوها وطلب من دولة الانجليز ان تساعد على إطفاً الثورة فحضرت عساكرها وحصلت الحرب التي ليس هنا موضع تفصيل احوالها فهزمت العساكر المصرية وفرّ رئيسها من ساحة الحرب استبقاً للحياة مع عدم الثقة بذلك. ودخلت الانجليز بعد ان سفكت دمأها وانفقت اموالها ولم تفعل ذلك انجلترا محبّة في سواد عيون المصرّيين بل لأغراض لها دفعتها اليها.

ولما دخلت رجال الانجليز حقنت الدمأ وأغمدت سيف الانتقام واخذت تباشر ما في نيتها من الاصلاح وأقامة منار الحرّية على مقتضى ما نالته امم اوروبا باتعاب جسيمة وتكاليف شاقة في مسافة قرون عديدة كما تقدم في صدر المقدمة. ولكنها وجدت المصريين مختلفى الرأى متفرقى الكلمة ووجدت بينهم علّو كلمة

الاجنبي والدخيل ووجدت مصر أشبه شيء بمدينة بابل يوم تبلبلت الالسن فلم تتمّكن من الوقوف على حالة المصرّيين واستعدادهم ولياقتهم بالنسبة لما تقدم وبالنسبة لجهل رجالها بلغة البلادِ وعوائدها وأُشتبه عليها الأمر فلم تجد امامها رجالاً تنشر الاصلاح بواسطتهم الاّ من وجدتهم قابضين على أُزمة الادارة والحكومة ولم تجد من المصرّيين نفوراً منهم او انحرافا عنهم وهم من علمت لم تسلم يد أحد منهم من انغماسها في غمار الازمان السابقة أزمان الظلم والاستبداد شبوا عليها وشابوا فيها وذاقوا لذتها ونالوا من فائدتها. فلم تر الانجليز بدا من مباشرة الاصلاح على أيديهم ولم يوقفها المصريّون على طريقة أخرى سوى هذا السبيل فكانت تسعطهم اسباب الاصلاح في أنوفهم كما يتسعط المريض الدوأ وكانوا ينتقمون لانفسهم فما كان من خير واصلاح جبروا على فعله وقهروا عليه نسبوه امام المصرّيين لأنفسهم وماكان من شرّ وخلل وتقصير تمكنّوا من ابقائه ودوامه نسبوه الى الانجليز والمصريون يسلمون ذلك لهم ببساطتهم وبما بقى في نفوسهم من اثر الطاعة العمياأ لاولئك الحكام ويشتركون معهم في التسخط من هذه الحالة حتى توهّم المصريون في حكامهم وفى أنفسهم استعداداً كافلًا لاجرأ الاصلاح وتأييد الحرّية وتخّيلوا انهم نالوا بانفسهم ما هم فيه اليوم من الحرّية الشخصية واصلاح المالية وتحسين احوال الرّى وسلطة القانون وحفظ الاموال والارواح وتنظم الجيش وحرية الجرائد والافكار حتى بلغت مصر في مدى تسع سنوات مالم تبلغه اُمّة اجنبية في مسافة مائة عام مع سفك الدماء وبذل الأرواح. ومال المصريون الى جانب الاجانب الذيّن لا يهمّهم من حال المصرى الا ان يكون فريسة نفوذهم وقربان سلطانهم كما تعوّدوا عليه من زمان بعيد يمتّصون دمه بأُنبوبة الامتيازات الاجنبية. وكلما حاولت انجلترا ان تساوى بين المصرى والاجنبي وتخفض شيئا من سورة تلك الامتيازات قامت قيامة الاجنبى الذي يموّه على المصريين أن لا غرض له الا مصلحتهم خدمة للانسانية وان بقأ حالته متمّتعا بانتزاف ثروة البلاد خارجاً عن حكم القانون غير متساو بالمصرى في شيء من تكاليف الحكومة التي تحفظ له

ماله وروحه مطلق اليد في هدر دم المصرى لا يتكلف لذلك اكثر من ان يتغيب عن مصر مدة يتمتع في اثنائها برؤية وطنه واظهار اثر النعمة التي نالها من المصريين بواسطة الامتيازات ثم يعود الينا ثانية في زىّ غير زيّه وتمويه لهيئته ويقم بيننا على ما كان عليه كل ذلك ضامن لراحة المصريين وحسن مستقبلهم كما يزعمون. ثم يطلب منا بعد ذلك ان نتابعه على رأيه ونسايره في طريقه ونعضد شوكته ونفوذه لثبات تلك الحالة حتى لا تبتلعنا الدولة الانجليزية. ليت شعرى واىّ ابتلاع يكون ابلغ من ابتلاعه لنا. مثال ذلك ان تجتمع جماعة من الذئاب وقع بين ايديهم ظبى في طريقه اسد وله طريق آخر للنجاة من الفريقين فيقولون له بعد ان يخفوا عليه طريق النجاة ان الأصلح لك والأنفع ان نقطعك اقساما ونتقسمك ارباً ونشترك بأجمعنا في افتراسك تحفظا عليك من ان يبطش بك الاسد دفعة واحدة فيسّره ذلك ويساعدهم عليه وقدم لهم اعضاءه واحداً فواحداً تسهلًا لهم وفراراً من الاسد ويضل عن طريق نجاته من الطرفين وان يسلّط الاسد على الذئاب.

فخفى على بعض النبهأ منا طريق النجاة للمصريين وأخذوا يصيحون مع الاجنبى المشروح امره وانتهزوا فرصة حرية الجرائد للقدح والطعن والصراخ والعويل. وكل ذلك ينحصر في امرين طلب الجلأ وتقصير الانجليز في مباشرة الاصلاح. اما الجلأ فهو اول واجب على كل مصرى وطنى ان يسعى في الحصول عليه من أبوابه وفي أوقاته ولا ينثنى عنه الأكل ساقط النفس في مراتب الاجتماع البشرى بل هو من الامور الطبيعية ان لا يقبل احد حكومة الاجنبي عليه. ولكن ينبغى ان نسعى لذلك بالوسائل الفعالة المؤدية اليه بدون ان ينشأ عن ذلك ضرر وان يكون في الوقت المناسب فانّ الامور مرهونة باوقاتها. والبرهان قائم باننا لم نبلغ درجة الحرية التي نتمتع بها الآن وما تبعها من الاصلاح الابواسطة الانجليز دون سواهم وهم لم يستطيعوا ذلك الا بوجود جيش الاحتلال بيننا ولو لاه لما رضخ حكامنا لأشارة الانجليز في اجرأ الاصلاح المذكور ولو لا دخول الانجليز لما تيسّر لنا ان ننال شيئا من ذلك بانفسنا بدليل اننا اقمنا نحتمل الهوان والذل ولم

نتفارى منه فضلا عن اننا كنا مساعدين للظالم على انفسنا كما تقدم ونحن نحن لم تتغير ارواحنا ولا اجسامنا ولم تدخل في انفسنا يد المعجزات فتغير نقصها كمالاً وجهلها علماً في مدّة تسع سنواتٍ والنبهاً المهذبون فينا جزء ليس بعظيم. غاية الامر يمكن لنا ان نقول ان الذين لم يتربوا على الظلم ولم تدخل في نفوسهم سجيّة الامتثال والهوان ولم يدركوه ولم يتفرجوا في ملاعب الجبروت والعظموت هم صبيان الآن في سن التعلم الابتدائي .

ستأتي البقية

قيصر الروسية

أتانا المستر جونستون بمقالة لطيفة بها يصف مزايا القيصر الروسي ويمدح حسن اخلاقه وبأسه وقوته وهذا ملخص ما قاله: ـ ان اسكندر الثالث ويبلغ في العمر ٤٨ سنة وهو طويل القامة قليل الكلام شديد العزيمة قوي البنية مقدام على العمل جسور في الشدائد والملمّات. ثم انه يحبّ تشييد المعارف والعلوم في البلاد ولا يميل بنفسه الى الحروب والفتوحات بل جلّ قصده عمران الممالك التي في حوزة يده ولا صحّة لما يقال بان القيصر ظالم. هذا وان الشعب اجمع يحبّونه محبّة الولد لأبيه ومع ذلك الامبراطور لا يقبل عذراً ممن يخالف القوانين ويأمر بطاعة الروساء طاعة تامة وندر وقوع الخلل في حفظ الاوامر خصوصاً في العسكرية ومن وقع منه قصور عوقب عقاباً شديدا:



قيصر الروسيه

مُلَخَّص تاريخ القرن التاسع عشر
(سنة ١٨٠١ الى ١٨٠٣)

مقدمة

من اهمّ الامور التي تستوجب النظر في أواخر القرن الثامن عشر فهي وقوع المناظرة والمجاهدة فيما بين انكلترا وفرنسا بالاخص في البلاد الشرقية فكان كلّما أقدمت الواحدة مانعتها الاخرى ولكن في آخر الامر عاد نتيجة ذلك خيراً على الانكليز قويت شوكتهم ومدّت سلطتهم فطردوا الفرنساويين من أراضي الهند ومن كاندا وكانت قوّة الآمة الانكليزية البحرّية عظيمة جداً وعدد سفنها يفوق عدد سفن بقية الامم الغربيّة حتى في ذلك الحين كانوا ينعتونها بسيدة البحار انما حالة انكلترا المالية كانت سيّئة وفي غاية من الضعف حتى انّ البنك الانكليزي توقف عن دفع الديون مدّة.

ثم انه في تلك الايّام اقدمت الروسيّة على الفتوحات في عهد الامبراطورة كاترينا ولكن في ايامها ما توصلت الروسيّة الى درجة عظيمة من الترقي.

انما شمس بونبارط النابوليون الاول كان بزوغها في ذلك فحجبت عن الانظار الاخرين من عظام الرجال والدول وهو الذي القى الرعب في قلوب اهل الغرب لِما اظهره من البأس وشدّة العزيمة والاقدام في الحروب. اما اسبانيا ابتدأت بالتاخر في ذلك الوقت برّاًوبحراً ولم يَبْقَ عندها الاّ عدد قليل من السفن الحربية. ثم انّ ما خصّ بقية الدول فبروسيا لم يكن لها حينئذ اسم يذكر والنمسا كانت في ضيق

ماليّ شديد واُضطرّتها الحاجة غالباً الى طلب الاسعاف من انكلترا.

اما المملكة العثمانية فبعد توفي السلطان سليم الثالث وقع بها القلاقل والثورات الداخلية وبقي الحال على هذا المنوال مدة من الزمان الاّ ان لمّا افتتحت فرنسا بلاد مصر اتحدّت الدولة العثمانية مع روسيا واشهرت الحرب ضد فرنسا. وكانت هذه هي المرّة الوحيدة التي تحالفت وتعاضدت الدولتين المذكورتين في ميدان القتال ضد العدو. انّ اول من تولى الملك في بلاد فارس من آل القجر كان الآغا محمد شاه وذلك في سنة ١٧٩٤ وكان ظالماً جباراً سفّاكاً للدّماء وفي ايّامه فتحت بلاد جورجيا وخراسان وضُمّت الى بلاد فارس وبعد وفاته سنة ١٧٩٨ خلفه ابن اخيه فتح علي شاه.

ان اول من شيّد صولة الانكليز ووطّد قدمهم في الهند كان اللورد كليف المشهور وتبعه ورين هَيتنجس واللوردمورنجنتن ولكن لمّا أقدم نابوليون الاول على مصر قام تيبو صاحب وجدّ في مقاومة الانكليز وذلك لاْعادة قوّة فرنسا في الهند انّما خاب سعيه وتغلّب عليه الانكليز.

ثم ان اُدْققنا النظر في احوال العالم الغربي في ابتداء هذا القرن فنرى على انّ فرنسا كانت قوتها برّاً أعظم من قوّة باقي دول اوروبا وانّ قوّة انكلترا كان معظمها بحراً. وفي سنة ١٨٠١ اتحدت دول فرنسا وروسيا والسويد والدانمارك وبروسيا ضد انكلتره ولكن لم تدم المحاربة طويلاً بل انتهت بعد تغلّب الاميرال نلسون في مقاتلة كوبنهاجن في ٢ من شهر نيسان في تلك السنة وعندما تولّى الامبراطور اسكندر الروسى عرش اسلافه أنفضت المحالفة ضد الانكليز وكان قبل ذلك وقع حرب الاسكندرية بحراً وانتصرت الانكليز على الفرنساويين وآل ذلك بعدها الى ترك الفرنساويين لمصر.

ثم انه في ٢٧ اذار عقدت روابط الصلح في اميانس فيما بين الدولة الانكليزية ودول فرنسا واسبانيا وهولاندا. انما كلّ من امعن النظر في تاريخ تلك السنين السالفة فيعلم بانّ اُهمّ الحوادث التي حصلت كان منبعها بونوبارط الاول فهو الذي اراد

التغلب على بلاد الخافقين بالاخص افتتاح بلاد الشرق وزعم انه بالاستيلاء على مصر يسترجع الهند من يد الانكليز ولكن بعد ما فتحت جيوشه في مصر وجّه نظره الى سوريا وسار عليها قاصداً حلولها انما لم ينجح في مرامه واجبرته الجنود العثمانية على رفع الحصار عن عكا فرجع عن سوريا خذلاناً وعاد الى فرنسا وكان اسم بونبارط اشتهر في كافة اقطار العالم فافتخر به اهل بلاده ورفعوه الى مقام سام ولقبوه بقنصلهم الاول وبالحقيقة انّ بونبارط توصل الى مالم يصل اليه احد قبله ونال مجداً رفيعاً واكتسب فتوحات عديدة وجعل اسم فرنسا مهاباً آينما ذكر. هذا مالزم وضعه الآن مختصراً وسنأتي انشاالله في شرح ما وقع في اوائل القرن التاسع عشر بالتفصيل في اعدادنا الاتية وعلى الله الاتكال.

ترجمة ما في القسم الانكليزي

الدسائس الروسية في البلقان

قال الفاضل البارع الموسيو مياتوفش وزير خارجية الصرب سابقاً بمقالته في (ضياء الخافقين) ما ملخصه : ـ انّ ارباب السياسة لا يـرفعون انـظارهم عـن البلقان اذ انّ تلك البلاد هي الآن محور مساعيهم وبها يتعلق حلّ عـقدة المـعاسر الدولية والمصاعب السياسية وفيها تناط آمال اصحاب المقاصد الافتتاحية وطالما انّ الامّة الروسّية تزعم بان لابد من ضمّ جميع البلاد الاسلافونية الى حكم القيصر الروسي لتيئيد شوكة تلك الامّة في العالم فطمعها في احتلال الاستانة يتزايد من يوم الى يوم وهذا الطمع مؤسّس في قلوب الروسّيين منذ ايام الامبراطورة كاترينا وبناءً على هذا الأمل ترى انّ الروسيين يحتملون المشاق والظلم من حكامهم واستبداد روسائهم وذلك لأعتقادهم انّ هوانهم وشقاهم امر مقدر ووقتّي فقط وانّه حـالما تملكت الروسّيه على الآستانه فيتغّير الحال ويتمّتعون بالحرّية التامة وترفع عـنهم المظالم ثم انه بعد ذلك يقدم الروسيون ويقهرون الهند من الانكليز ويمتلكون آسـيا الوسطى ومصر وما جاور تلك البلاد (ايّم الله لقد تحالف الجهل مع الطمع). ويزعم الروس ايضاً بان بمجرّد ادّعاهم في انّهم حُماة الديـن الارثـودوكسي يسـتميلون قلوب اهالي البلاد البلقانية وانهم يلتجئون الى تلك الامة لتنصرهم في احتياجاتهم المادّية والادبّية انمّا نرى على ان كثيرين من وجهآء الناس في الصرب يجدّون في مقاومة مساعي الروس ومعاكسة دسائسهم كما وان الموسيو ستانبلوف في البلغار

ينتهز الغرص لمضاضدة روسيّه. وبالاختصار نقول بان كيفما سعت الروسيه ومهما فعلت وجدّت واجتهدت لضمّ الصرب والبلغار الى املاكها فلا يجديها ذلك نفعاً وستجد انّ فيما بين مطامعها في تلك البلاد ونجاح مساعيها جبال عالية يصعب مرقاها اذ انّ الحزب المضاضد لها في البلقان هو اقوى نفوذاً واكثر عدداً من حزبها ولربما لا تنحلّ هذه المسألة والمشاكل الاّ في ميدان القتال وذلك في كلاسيا.

بلاد بلوجستان

قال الاديب المسترن هيزلمون في مقالته ـ انّ بلاد بلوجستان قد ترقت ترقياً عظيماً في السنين الاخيرة خصوصاً في ايام الحاكم السار ساندمان وسبب هذا التقدم هو بمجرّد مطاوعة الحكومة بما ترغبه اهالي البلاد ونظراً لتمتعهم بالحرّية التامّةدينيّة كانت ام مدنيّة والشعب قاطبة يميلون الى الانكليز لما بلغهم من المنافع الجمّة التي تحصلوا عليها بواسطتهم ولذلك (يظن المستر هيزلمون) بانّه ان اُضرمت نار الحرب فيما بين انكلترا والروسية فاهل البلوجستان يسعفون الانكليز اسعافاً مُهّماً وانّ مستقبل هذه البلاد جيْدة فقط يلزم انشاء خطوط حديدْية في الداخل بالاخص من كراشي الى سيستان في بلاد فارس للمنفعة العموّمية.

مراسلات

مصر في ١٥ آذار ١٨٩٢

(لمكاتبنا الخصوصي)

بلغنا ان الباب العالي قد ارسل الى الحكومة المصريّة رسالة يعيّن فيها المال الذي يلزم أن تدفعه الى حاملي الفرمان وهو ستة آلاف ليرة اي نصف المبلغ الذي دفعتهُ عند ورود الفرمان للخديوى السابق.

انّ سُموّ الخديوي في نيتّه أن يصلح المدرسة الحربّية في مصر وأن يجلب اليها بعض الضباط الاوربيّين ليقوموا فيها التدريس واجراء النظام.

قرأت في احدى اعداد الاهرام ما يأتي ـ «انـتخب اثـنان مـن القـبرصيين عضويين لمجلس الشورى فأبطل انتخابهما بناءً على طلب موظف انكليزي هو من المترشحين للانتخاب وعلى قرار قض انكليزي كان منه ان وضع غرامة على اسقف سيرين ورئيس اساقفة فيلوتيروس فـهاج القـبرصيّون المسـيحين لذلك وعـظم استياؤهم وعقدوا في ليماسول اجتماعاً حافلاً قرّروا فـيه الاحـتجاج عـلى اعـمال الانكليز واجراءاتهم الاستبدادية» ـ [فيظهر لنا بانّ اصحاب الاهرام يعتقدون بانّ قُرّاءُ جريدتهم يصدقون كلما يطالعونه بها من الاخـبار صـحيحة كـانت ام غـير صحيحة فلذلك لايرون ضرورة للاتيان ببراهين لاثبات مايتوهمونه وينشروه].

قد منع سُموّ الخديوي أعطاء معلومات عمّا يحدث في قصره ولا يؤذن لأي مكاتب جريدة كان او محّرر ان يدخل القصر للاستعلام عن الاخبار ونشرها.

الاستانة في ١٥ آذار

(لمكاتبنا الخصوصي)

أمرت الحضرة الشاهانيّة ان يفتح معرض للخيل في هذه العاصمة وان تعطى النياشين والشهادات والجوائز لاصحاب الخيول الّتي تفرق غيرها في جودة الاصل وحسن الخلق. وينتظر أن يفتح المعرض المذكور في شهر تموز الآتي وقد صدرت الاوامر بالاستعلام عن عدد الخيل الّتي تصلح للعرض.

ان الاهتمام بتحسين احوال العسكريّة العثمانية كل يوم في ازدياد والسعي في تجنيد قبائل الاكراد متواصل فقد تمّ الى الآن تشكيل خمسة واربعين الايّاً من السواري والمأمول قريباً ايصال ذلك الى الستين الاياً والترغيبات جارية بكل نشاط في بقية الولايات من العراق والجزيرة والشام والان قد حضر الى هنا زعماء قبائل بادية الشام وحلب فنعهم نزلاء الحضرة السلطانية والمأمول أن يترتب على حضور هولاء الامراء فائدة كبيرة وان لا يجعلوا الاكراد يسبقونهم في خدمة لوطن فانّه يمكن بسهولة تنظيم اربعين الف فارس اي ثمانية الاياً من عرب الشام فقط.

صدر تلغراف اخيراً من مقام الصدر الاعظم الى جميع الولاة العثمانية ماله انه من المفروض على اهل الاسلام ايفاء احكام الفروض الدينية والابتعاد عن المحارم وان الذيّن يراعون هذه الفرائض ينالون النجاة في الدارين واما المتقاعدون عنها فيحلّ بهم الجزاء وانه لذلك يوصيهم بموجب الارادة السلطانية ان يجروا التنبيهات والاخطارات الصادرة على عموم ماموري الملكية بان يوفوا الفروض الدينّية تماماً مثل الصلوات في الاوقات الخمس واجتناب المناهي.

قد احسنت الحضرة السلطانية بمدالية الامتياز على غبطة البطريرك نيوفيتس على طائفة الروم الارثذكس وقد حملها الى غبطته حضرة سعادلتو احمد جلال‌الدين باشا. وكان غبطة البطريرك قد ذهبت الى المابين الهمايوني لزيارة حضرة عطوفتلو الحاج على بك سرقرناء الحضرة السلطانيّة فلما بلغ ذلك مسامع

جلالة السلطان أرسل ياور الى غبطة البطريرك المشار اليه انّه يأذن له بالمثول على الأعتاب السلطانية فبادر الى ذلك ونال التلطف والالتفات وأحسنت اليه الحضرة العليّة بعلبة سعوط مرصعة.

بغداد في ٢٠ شباط

(لمكاتبنا الخصوصي)

اني ارسل اليكم برسالة اخري التي قد انتشرت خفية كما صار نشر الرسائل الدينية السابقة وموضوعها كالتي أرسلتها المرّة الاخيرة حثّ العلما والشعب على خلع الشاه وقدأقلقت الخواطر بمجرّد توارد هذه الرسائل المثيرة. ولا يخفى انّ علماء الدين لهم نفوذ عظيم في البلاد الايرانية بما ان معظم اهالي البلاد هم من المسلمين (من الشيعة) ولا يعلمون قانوناً ولا حكماً بل يطيعون ما يأمرهم به العلما واهل الدين وان الحالة الحاضرة ذات اهمّية عظمي اذ المظنون انه سيحصل عن قريب ثورة دمويّة هائلة وأصل سبب الهيجان الحاضر هو عدم وجود القوانين الشرعّية لتأمن الاهالي على ارواحها واموالها بواسطتها وأن تقوم باجراء العدل والقانون على الرعايا من ايّ ملّة كانوا وليس باهل الدين والعلماء وما يأمرون به انباذ الناس ولا بالقهر والظلم والاستبداد.

اخبار

* وردت الينا رسائل عديدة من سورية ولبنان مضمونها ان الدروز هناك يستعدّون ويتأهبون لحركة قريبة ولكن الي الآن لم يرد لنا تثبيت هذا الخبر.

* أنبأنا مكاتبنا في سوريه بانّه قد ظهر الجراد في اقليم الخرنوب من قضاء الشوف في لبنان فأصدرت الحكومة الأوامر ببذل العناية واستعمال الوسائل الفعّالة لدفع المضار.

* قرأنا في المَقطَّم ما يأتي «زاد عدد ركاّب سكة الحديد المصريّة في شهر فبراير هذا العام ١٣٢ الفاً عمّا كان عليه في شهر فبراير من العام الماضي وزاد ايراد سكة الحديد ثمانمئة جنيه عمّا كان عليه في العام الماضي وذلك دليل قاطع على انّ رخص الأُجرة يزيد الايراد. فعسى أن تقوى عزيمة مجلس سّكة الحديد على اُعادة طلبه لترخيص أُجرة الركاب بحسب ما طلب قبلاً وان لا تتأخر الماليّة عن اُجابة هذا الطلب فانّ أُجور سكة الحديد في القطر المصري لم تزل أُغلى ممّا هي عليه في كل البلدان».

* قد وصلنا كتاب من مصر وهو في (الرقّ في الاسلام) تاليف احمد شفيق بك السكرتير الخصوصي لسعادة ناظر الخارجيّة وترجمه الى اللغة العربيّة وحلاه بحواشٍ علميّة و فوائد تاريخيّة و جغرافيّة حضرة الفاضل احمد ذكي بك مترجم مجلس النظار. وسناتي بالكلام عنه في العدد الآتي من ضياء الخافقين ونختصر بقولنا الآن انّ هذا الكتاب يحتوي على فوائد شتّي علميّة ودينيّة وتاريخيّة فنثني على

حضرة كاتبه وعلى جناب مترجمه الفاضل الذّي أضاف اليه حواش عديدة ومفيدة ونرجو بان المصرّيين لا يتأخرون عن الاقدام في اتباع اثر هولاء الفضلاء بل يقدّموا في الكتابات ونشر الكتب ومباراة ابنآء الغرب في العلوم والتقدم.

* قد طالعنا في جريدة «لسان الحال» المنشور الآتى من محل شزير وشميل وشركاهم في ليفربول واذ انه يستوجب التفات تجار الشرق الذيّن لهم علاقات تجارّية مع هذه البلاد بالأخص الذين في بلاد سورّيه رأينا لزوم وضعه في جريدتنا وقد استصوبنا المشروع المذكور أدناه كونه يأول بالخير الدائم على كافة ابنا سوريه ويجديهم نفعاً عظيماً ولقد آن اوان الاقدام فيجب على أبناء الشرق خصوصاً اهل سوريه أن يبارون الامم ويسابقونهم لنيل المجد الرفيع ولا يتّم ذلك فقط بجمع المال بل بواسطة الغيرة الوطنية والاتحاد والمعاونة على الاعمال لتكن الفائدة عامة ليس خصوصيّة فقط فانه بذلك تقوم الامةفنحثّالسوريين على اغتنام هذه الفرص ونرجو لهم النجاح في كل آن وكل عمل؛

«انه منذ سنين وقع اختلاف بين اهالي مانشستر وبين ادارة مينا ليفربول والسكك الحديدية الموصلة بين مانشستر وليفربول على مصروف البضائع التي تفرغ هنا ثم تنقل على قطر السكك الحديدية او الاقنية الصغيرة الى مانشستر فرفض ذووا الامر من اهل ليفربول تخفيض الضرائب عن المنقولات وأصرّوا على اجراء القديم على قدمه على انّ اهل مانشستر اضمروا في قلوبهم التخلّص ولو مهما كلّفهم الامر من الدرّهم فاخذوا للحال في اشهار مشروع خطير وهو فتح معبر لماء البحر من جانب نهر ليفر بول الى مدينتهم تسير فيه السفن بقصد الاستغناء عن ليفر بول اصلا فتنقل البواخر اليهم ما يحتاجون اليه وتوسق من عندهم ماكانوا يشحنونه من مينا ليفربول بعد تكبد مصاريف النقل في السكك الحديدّية وغيرها وهكذا تتوفر عليهم عاقبة التاخر فيالاصداروالايراد مع وفر في المصروف وتخليص البضائع من غوائل العطل الناتجة من جراء كثرة التداول واستأذنوا المجالس فنالوا بغيتهم اخيراً بعد ان صرفوا في المدافعة نحو من مائة وخمسين الف ليرا ولما تم لهم الاذن بدأوا في

مشروعهم هذا منذ بضع سنين وينتظر فتح هذا المعبر بعد مدة خمسة عشر شهراً الى سنة ونصف صالحاً اميناً للبواخر والكلفة المبذولة في سبيل انشائه لاتقصر عن عشر ملايين ليرا استرلينية وقع عليها على مدينة مانشستر.

ولما كان المعبر المذكور قريب النجاز فاحد أُصحابنا ممن لهم الخبرة التامة في اعمال الفابورات وعارف حق المعرفة افتقار البلاد السورية الى مواصلات بخارية بينها وبين اوربا عموماً وانكلترا خصوصاً رأى تاليف شركة سفن بخارّية مساهمة لعمار اربع او خمس سفن متوسطة الحجم معتدلة السرعة تسير بين مانشستر والمواني السورية عموماً راسلاً على نسق دائم في مدات معلومة ولا يخفى على ذوي الخبرة ما ينجم عن ذلك من الفائدة وكم يتوفر من المصاريف ذهاباً وايابا فضلاً عن عطل المال الملق على الشطوط فبوجود عمارة مخصوصة في شطوطهم يتمكنون من البيع والشراء على التسليم في اوقات معلومة امنين شرّ الانتظار فعرض هذا الصاحب فكره علينا طالباً منا أن نطلع عليهابناء الوطن حتى يتقدموا للأكتتاب حالاً والمظنون انّ مبلغ مأية وعشرين الى مأية وخمسين الف ليراً يكون كافياً في البداية ويخرج اسهماً بقيمة ٢٠ ـ ١٠ السهم فان أمكن نوال اكتتابات لحدّ عشرين الف ليرا من الوطنين يتدّبر الباقي هنا وهذه القيمة وان تكن طفيفة بنفسها نسبة الى المبلغ المفروض فهي تكون كعربون لنا من السوريين على عضد الشركة وحينئذ تخرج لائحة بهذه الشركة يتعيّن فيها رأس المال والمديرون والاعضاء العاملون وانّا نؤكد ربحاً للمساهمين يفوق ١٢ الى ٢٠ في المـاية بحسب الاوقات ولا شك مع التمادي يزيد هذا الربح اذ يكون تمدّ السكك الحديدية المشروع بها في سوريا الان.

وقد جعلنا هذا العرض مقدمة للَائحة الرسّمية قاصدين فيه الوقوف على نوايا ابناء الوطن عموماً وقاطني المواني السورية من أُصحاب الاعمال خصوصاً وعلى الله الأتكال تحريراً في ٢٤ شباط سنة ١٨٩٢ ».

اعلان

محل كيلبرت وريفنكتن ـ ليمتد سينت جونس هاوس كـليركنويل ـ
لندن

انّنا نعلن لحضرة قُرّآء جريدة (ضيآء الخافقين) بانّنا نطبع كلّ ما يُـراد مـن الكتب والاوراق في اللغات الشرقية وفي كل لغة في العالم. واننا نجلب ونرسل الى ايّ من شآء حروف مَصَبَّة عربيّة وفارسيّة وهنديّة وغير لغات شرقية وكافة ما يلزم من آلات الطبع وغيره.

واننا نطبع في محلّنا طبع حجر وطبع نقر ونجلّد الكتب غيرها في كلّ الانواع ونقوم بما يلزم في كافة امور الطبع وما أشبه ذلك.

وان محلنا من المتشارطيّ مع سكك الحديد في كل اللوازم من هذا الباب.

والاسعار متهاورة ـ فكلّ من يرغب أن يـشرّفنا بـأوامـره نـبذل جـهدنا لأرضائه.

العددان الرابع والخامس

السنه الاولیٰ

ضِيَآءُ الْخَافِقَيْنْ

Dia - ul - Kharikain
(TEH LIGHHT OF THE TWO HEMISPHERES)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والأخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة
الجمعه في ١٥ تموز سنة ١٨٩٢

الاشتراك

قيمة الاشتراک (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزى في انكلترة:

عن سنة	عن ستة أشهر
١٣ شليناً	٧ شلينات

في الخارج:

١٤ شليناً	٨ شلينات

(تدفع سلفاً)

الاعلانات:	ليرة انكليزية
عن كل صفحة	١٠
عن نصف صفحة	٦

(والاعلانات يصدر ترجمتها في الانكليزي)
يجب أن تُخابر الادارة راساً ام وكلائها في الجهات بامر الاعلانات

مكاتبات الجريدة

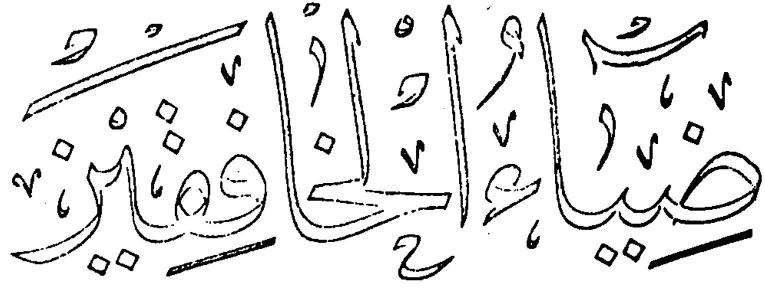
جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج و لا تُرَدّ لاصحابها أدرجت او لم تدرج. وباسم مدير الجريدة أن كانت تتعلق بالإشغال.
واما التلغرافات فيكون عنوانها «ضياء ـ لندن». Dia, london

فهـــرســـة

انّ جريدة (ضيآء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكسندر وشبهرد في محل ادارة الجريدة ـ ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت ـ لندن و تُطبَع في مطبعة
كيلبرت و رويفنكتن ـ ليميتد ـ سينت جانس هاوس ـ كليركينويل ـ لندن
GIIIBERT & RIVINGTON, LIMITED, ST. JOHN'S HOUSE, CLERKENWELL, LONDON.

العددان الرابع والخامس | THE | السنة الاولى

The Eastern and Western Review.



قيمة العدد الواحد | سنة بنسات

الاشتراك

قيمة الاشتراك (خالص اجرة البريد) في القسم العربي والانكليزي
في انكلترة :—
في سنة ١٣ شلينا — في ستة اشهر ٧ شلينات
في الخارج :—
١٤ شلينا ٨ شلينات
(تدفع سلفاً)

الاعلانات — ليرة انكليزية
عن كل صفحة ١٠
" نصف " ٦
(والاعلانات يصير ترجمتها في الانكليزي)
يجب ان تُخابر الادارة راساً ام كلها في الجهات بامر الاعلانات

Dia-ul-Khafikain.

(THE LIGHT OF THE TWO HEMISPHERES.)

جريدة في العلوم والفنون والسياسة والاخبار الصحيحة
تصدر في مدينة لندن
في كل شهر مرة

(ايار وحزيران)
الجمعة في ١٥ تموز سنة ١٨٩٢

مكاتبات الجريدة

جميع الرسائل يجب ان تكون خالصة اجرة البريد باسم رئيس تحرير الجريدة ان كانت بقصد الادراج ولا تُرَدّ لاصحابها أُدرِجت ام لم تُدرَج . وباسم مدير الجريدة ان كانت تتعلق بالاشغال .

واما التلغرافات فيكون عنوانها " ضياء - لندن "
" DIA, LONDON."

فهرسة

ان جريدة (ضياء الخافقين) ينشرها الخواجات اليكسندر و شبهرد في محل ادارة الجريدة — ٢١ و ٢٢ فرنفال ستريت - لندن .
وتطبع في مطبعة
كيلبرت و ريفنكتن - ليميتد — سينت جانس هاوس — كلاركينويل - لندن .
GILBERT & RIVINGTON, LIMITED, ST. JOHN'S HOUSE, CLERKENWELL, LONDON.

الرقّ في الاسلام

ان الأباطيل متى أتّسمت في النفوس حال سذاجتها بوسمة العقائد أظلمت العقول وأعشت البصائر. فلا يتميّز في ساحة ظلماتها البراهين الواضحة وتتئذ من الأغاليط الفاضحة ... والحجة القاطعة عندها ما يمكن بـه ان تسـند أبـاطيلها التي سكنت اليها وعقدت نزعاتها الى اكتناه خفيّات الحقائق عليها... هذا هـو ديـدن الأنسان .. وعلى هذه الوتيرة قد سلك منذ البدء آحاد الناس في مضالّ عقائدها... ولا غرابة .. وانّما العجب انّ الانسان يرى من الواجب عليه ان يقيم على عقيدته ادّلة مموّهة يجزم بفسادها ويحكم باستحالة منازعها. ويفرض على نفسه ان يغالط خصمه بواهي اقواله دفاعاً عن باطله. ويبهته بأراجيف قدوجد في اختلاقها هضماً لحقّه وتشويهاً له في أنظار العامة وتنفيراً للنفوس عن الأذعان به والاصغاء اليه.

هذا هو الكردينال (لافيجرى) قد التزم على نفسه أن يبهت الديانة المحمدّية في استرقاق (الزنوج) بالحيف في احكامها قائلاً انّ نصوص هذه الشريعة هي التي تبعث المسلمين على شنائع الاسترقاق وتبيح لهم قبائح النخاسة. وانّهم يـعتقدون اذعاناً لها بانّ الزنجى ليس من جنس البشر... هل كان هذا المتكلّم جاهلاً بالقرآن المجيد وقد تُرجم بجميع اللغات الأفرنجية،كـلاّ... انّـما سـاكـن المسـلمين وعـاشر الموحدّين في الجزائر وتونس سنين عديدة بلى... فما هذا الهُجر.. فريةٌ دفعته اليهـا تلك الجبّلة العجيبة عمداً.. ولمّا كان لشقشقته تأثير في نفوس لا تميّز صحيح الاقوال من فاسدها وانّما تُذعن لها ثقة بقائلها وجب على المسلمين ان يدحضوا هذه الفرية

التي تعمدّها الكردنيال على شريعة قامت بالعدل والحق وأتت بمكارم الأخلاق ودعت الى معالى الصافات...

فألّف الفاضل المتفنّن شفيق بك رسالة بديعة بالفرانساويّة ذكر فيها اسباب نشأة الاسترقاق بين الأمم ومعاملتهم الأرقّاء جيلاً بعد جيل. وبيّن انّ الديا نة العيسويّة التي هذا الكردنيال حِبرها مانصّت على حرمة الرقيّة بل الحواريّون قد قرّروها في وصاياهم وأقرّوا بها في رسائلهم وعدّوا أطاعة الارّقاء لمواليهم تمجيداً للمسيح وتعظيماً لاوأمره. وانّ الأساقفة حينما كان هم السلطان الأعظم على الآفاق والانفس قد جدّوا في أباحة الاسترقاق وأقاموا على صحّته حججاً دينيّة وادلّة طبيعية. وحسبوا الرقيّة من تمام نظام الكون... وانّ الرغبة الى فكّ الرقاب ماهاجت في نفوس الامم الافرنجية الاّ بعد ان سقطتْ كلمةُ الأساقفة وتجردّت النَهـيّة عن وثاقها واستبدت الفطرة بأوامرها...

ثم انّ هذا البارع الحاذق قد أبدع في بيان نزاهة الديانة المحمديّة السمحة عن الحيف والجور قائلاً انّ النفوس قبل ظهور هذه الشريعة الحقّة قد ولعت بالاسترقاق في كافّة آرجاء العالم. وكانت الشعوب والقبائل تحسب الأرقّاء من حاجيّات المعيشة وضروريّات الحيوٰة. فلو فاجئتها بما يشقّ عليها لأستنفرت منها وأعرضت عن قبولها وخسرت خيراً كثيرا. فقضت الحكمة ان تكبح برفق شرهها وتقودها الى فضائل السجايا بعرف...

(ستاتى البقية)

كذَبَة التاريخ

انّ ما يتجشمه المورّخ من المصاعب في ايراد الحوادث وضبط اوقاتها وذكر ذوي اليد فيها والاسباب التي دعت اليها والنتائج التي نجمت عنها لما يفوق حد الوصف حتى انه قلّما يسلم مورخ مهما بالغ في التدقيق والتنقيب من معائب واغلاط بعضها مهم في نفسه غلطه غير متجاوز الى ما سواه ومنها ما يكون ذا علاقة مع ما جاوَره او ما تعلق عليه من غير امور فيفسد اكثرها ويحطْ من قيمها الى حدّ انها تصبح في حيّز الا غفال لا يعبأ بها لكثرة ماتعاورها من الاختلافات ومثل هذا الشطط كثير لا يحصى واكثر ما يكون في كتب الأُقدمين الذين لم تكن لديهم حجة يستندون اليها في رواياتهم الاّ ما جرت به أُلسنة المحدثين بالتقليد المتعارف ومن تطلع الى كتب التاريخ بعين الناقد رأى ان كل أُمة نالت نصيباً من الاكاذيب التي ياتي بها المورّخون وما من قوم يفاخر آخر بصدق مورخيه واما الاسباب الداعية الى تلك الاختلافات التاريخية فكثيرة فمنها ان المورخ ليجعل لروايته قدماً راسخة في أذهان سامعيه او قَرآئه يذهب الى ماوراء عالم الامكان فيأُخذ يسرد قصصاً خارقة الطبيعة لا يمكن حدوثها ولكي يتسنى له ذلك يأتي على ذكر اسماء اماكن واشخاص تباعد عهدها عن قومه فياخذ يخبر متشدقاً ومتفيهَقاً بما لا يصدقه هو نفسه بادى بدءٍ ثم عندما يرى انّ القوم قد اصاخوا السمع له وعَجبوا من حديثه وتلذّذوا بما انطوى عليه سوّلت له نفسه الزّيادة على ذلك الحديث وتأييده بما يعنّ له من الخرافات والأُعجوبات الوهميّة وسامعوه يزدادون عجباً كلما ازداد كذباً. ومنها ان

المورخ يضطر الى تلقن قصص بالسماع كما سبق عن الاولين واللسان كثير العثرات والذهن ـ قبّحه الله قائداً ـ ميّال الى الاختلاق والادهاش فيأخذ يزيد ويكبّر ويعظّم الحوادث الى حدّ ان رُواتها الاول اذا سمعوها ظنوها اخباراً جديدة لم يعرفوها من قبل وان توسموا فيها بعض ما ذكروه انفسهم لذاك الراوي حسبوا ان ما زيد عليها انما هو زبدة الحق لاتتم القصّة الاّ به فلم يعرفوه هم من قبل فياخذون يتناقلون ويزيدون ومن اكثر المورخين تطاولاً في الزيادة والنقصان المورخون الدينيّون ـ والعياذ بالله ـ وهم اكثر المورخين أضراراً بالحقيقة واشدّهم تطاولاً عليها وادعى الى التيه في فيافي الضلّال فقد ظنّوا ان الاله لا يكون الهاً الاّ اذا خرجت اعماله عن ناموس هو سُنّة وان القدّيس لا يكون رجلاً بارّاً الاّ اذا فتح عيني الاعمى وطهّر الأبرص واحسن الخياطة وأقام الموتى وانّ رجل الله لا يكون مُحَبّباً لديه تعالى الاّ اذا دخل جب الاسود وخرج سالماً معافى وان القوي باذن الله لا يكون ذا عظمة الاّ اذا قتل المئات بسلاح لم يستعمل من قبل وان من رضي الله عن اعماله لا يكون كبيراً في أعين الناس الاّ اذا اشتدّ صوته الى حدّ دويّ الرّعد او ان يعبر الأنهار على جبة منسوجة او يطير في الهواء في مركبة تجرها أفراس ناريّة وان من كان من الالهة لا يسوغ له ان يكون الهاً الاّ اذا كان ذا شكل غريب كأن يكون نصفه سمكة ام ثوراً ام تيساً ام اسداً والنصف الاخر انساناً ومثل هذا كثير من ضروب الاختلاقات الصبيانية والافكار القديمة التي تضحك الثكلى ونحن دائبون في البحث فيها وتطبيقها على مقتضى الناموس الطبيعي ونعم التطبيق هو.

واذا نظرنا الان الى المحدثات المطوّلة في فن التاريخ وبحثنا في ما يواخذون به المورّخين الأقدمين رأينا انّ كلّ أمة من الامم كانت ذات يد قوية في اختلاق الحوادث التخيلية فاليوناني والرومي والشرقي والغربي كلهم واحد عند البحث وان يكن كل منهم ذهب في قصصه الى مالم يذهب اليه الآخر وتصوّر العظم في صور غير التي يخطر في بال الآخرام تصغر في عينه فما قول مطالعي التاريخ في رواية بليني عند كلامه عن التنانين التي كانت مرصودة على جنائن الهسبريد تذب عنها وتدفع

الاعداء عن اقتحامها بنفثات من نار متلهبة تخرج من افواهها كانها الاتن الموقدة فاذا تباعدت المسافة لديها طارت محلقة بالجوّ وانقضت على فريستها وقال عنها آخرون انهّا اذا رضيت عن ملك تحولت ذهبا بين يديه ام كشفت له عن مناجمه وهلم جرّا ولا قيد للسان الفصيح وكذلك قل عن بروسوس المورخ الارمني الشهير الذي يستند المحدثون الى اقواله كانها صادقة فاين الصدق من تلك الاشخاص اليونانية التي تدخل بابل عابرة اليها من البحر ياخرة فيه وهي اشكال نصفها الواحد غير نصفها الآخر وماذا عسى ومَأى فى اعمارهم وقد ملك كل منهم الوفاً من السنين وماذا يرى الطلاب في رواية التوراة عن موسى عند رجوعه باللوحين وخاطب قوماً لا يقلّ عديدهم عن الوف الالوف وكلهّم سمعوه وخشعوا لما قاله مرتعدين خوفاً اوفى رواية شمشون وقتله المئات بفك الحمار وتهديمه هيكل بقوة ذراعيه الاّ ان قوة شعره أربت على قوة جسمه كلّه وما قول المحققين في روايات العرب كالاصمعي وابن بطوطه وغيرهما عن مدينة النحاس وجزائر الوقواق وطير الرخ وبيضه وما قول المنصفين في عالم من علماء هذا القرن قد نتجت له قريحته ومعارفه ان يكيل جهنم فذكر قياسها في قاموس عربي له مفصلاً طولها وعرضها اعمقها غير تارك قرنة منها. يعلم الله لولا ضيق المكان والاملال لامكن سرد الوف من الروايات التي يستحيل حدوثها.

فلا يفخرن احد بمورخيه لانّا مع ما نحن عليه من غزارة المادة في الحوادث المتأخرة وكثرة المنتقدين الواقفين بالمرصاد لا نزال نرى المتأخرين يملأون الصحف بالحوادث المختلقة ويناقضون بها رواية الاخرين كل ذلك ناتج عن الغرض والعصبية والميل المنحرف. (طالب علم)

الفيلولوجيا

ليس من العبث محاولة بعض علماء اللغات ردّ الالفاظ المستعملة في كل لغة من اللغات الى جذور تتفرع منها فقد تمكنوا بعد العناء في البحث والتنقيب من ردّ الفاظ كثيرة الى اصول قط ما خيّل لأمرء انها تكون فرعاً لاصل مفرد يمكن ان ينشأ عنه عدد عديد من الالفاظ التي تفيد معاني متباعدة في نفسها كثير التباين حتى يظن لاول وهلة ان لا علاقة بينها من حيث المعنى واللفظ فمن كان يظنه ان اللغات الاوروبية مع ماهي عليه من الاختلاف ووجود حروف في بعضها لاتوجد في الاخرى ترد بموجب نواميس لفظية الى لغة لم تكن في حسبان اهل المغرب انها تكون ام لغتهم بل قد ظنّ كثير منهم انها لغة بربرية مولفة من اصوات لم ينزل احد بها من قانون اعني بها لغة الهنود القديمة المعروفة بالسنسكريتية وقد قال بعض العارفين فيها ممن توّغلوا في درسها انّها من أغزر اللغات مادّة وأدّقها ترتيباً فهي تعد ام اللغات الاوروبية البائدة والباقية المعروفة تحت اسم آريّة فلم يَدُرْ قط في خلد احد قبل معرفة تلك اللغة ان اللغة اليونانية مع ماهي عليه من الفصاحة اللفظية والاوضاع الافرادية الدقيقة تكون مشتقة منها خلافاً لما قال فيها احد آباء الكنيسة الرومانية انها لو قرأت (اي اليونانية) معكوسة اي برد عجز الكلمة على صدرها لجاءت بنفس الالفاظ العبرانية ومن الغريب انه لم يعالج هذه الفعلة هو نفسه ليرى في صحتها بل استند في رأيه الى الزعم ان اللغة العبرانية هي اُمّ اللغات لان التوراة نزلت بها ولما كانت العبرانية تكتب من اليمين الى اليسار واليونانية من اليسار الى

اليمين وجب ـ في زعمه ـ ان تكون اليونانية معكوس العبرانية.

ولما توصّل علماء اللغة الى هذا الحد اي تفكيك المفردات في اللغات الاوروبية واشراك جذورها بجذور اللغة السنسكريتية ونجحوا في كل لفظة عالجوها تقريباً مع مراعاة الشرائط المسنونة التي يجب الاستناد اليها عند هذا التحليل تطرقوا منها الى البحث في غير لغات على البحث يوصلهم الى رابط بين عموم العائلات الاربع والتوحيد بينها فوقف قوم منهم حياته على التجوال في اكناف الارض بين قوم اختلفت عندهم هيئات المدنية والعمران يدرس لغاتهم ويقابل بينها في كل قسم من البلاد دخله واخذ آخرون بدرس اللغات السامية فاحيوا ما اندرس منها واَلفوّا فيها الكتب واقاموا الفحص في اصولها وفروعها وقرّبوا بين مفرداتها ومركباتها حتى استهلكوا دقائقها ووقفوا على حقائقها ولم ينظروا في فرع واحد منها بل بحثوا فيها عامة فاحيوا العربية والعبرانية والسريانية والاثورية ولا يزالون دائبين في معالجة الأرَمّية والحِمْيَرّية وغيرهما كلّ ذلك حباً بالحقائق علها تظهر وما من احد ينكر على الاوروبيين مبدأ السعي فهم عرفوا فائدة هذا البحث وما نتج وينتج عنه من المنفعة العامة لانه يكشف عن حقيقة المعاني الموضوعة لها مفردات كل لغة اذ يمكن والحالة هذه تجريد كل لفظة من مزيداتها وعرضها علي كل لغة فحيثما وجدت اصلاكان هناك مفادها وضعا وما صارت اليه بعدئذ انما هو توسع فيها وتحويل عن مفاد الجذر ومن فوائد هذا البحث التعريف عما اذا كان الانسان من اصل واحد مبدأه آدم اليهودي كما قالت التوراة أم هو من اصول متفرقة تفرق الاجيال كما قال بعض علماء الاميركان الذين قد ظنوا ان في نسبة البشر الى اب واحد ما يعود على البيض بالخزي اذ يكون الزنجي الاسود اخاً لهم وخلاصة القول ان البحث في اللغات كثيرة الفائدة جليل العائدة حتى انّ قوماً ممّن تفرّغوا له اخذوا في درس لغة الحيوان وقيد الاصوات التي ياتي بها ابّان الشبع والجوع والعطش والري والخوف والانبساط وغير ذلك من الاحوال التي تنتابه في اطوار حياته كل ذلك امل الوقوف على حقيقة معاني تلك الاصوات وهل هي منطوق بها عفوا من

غير ما معنى ام هي معنوية في ذاتها كل لفظ منها يشير الى معنى يقتضيه المقام ثم مقابلة تلك الالفاظ مع الالفاظ البشرية فقد ورد في احدى الصحف الفرنسية ان احدهم اخذ يبحث في لغة الدجاج وقال انهُ توصل الى فهم كثير منها وتمكن من مخاطبة الدجاج وافهامها مرادَه وجاء عن رجل اميركاني انه تزوّد، بالمصدي (الفونغراف) وقفص من حديد للوقاية وتوجه الى حيث تسكن القرود لينسخ عنها اصواتها ويقرب فيما بينها ليرى اذا كانت افرادها موضوعة لمعان تفيد الواحدة غير الاخرى بمجرد اختلاف اللهجة.وقد وضع حديثاً كتاب في لغة القرود اَلفَته احدى السيدات وذكرت فيه ما وقفت عليه بالاختبار وسمعت باذنيها من افواه جماعة من القرود كانت ربّتها عندها فان صحَّ ذلك صحَّ القول بمذهب درون وتوحيد اصل الانسان والحيوان وكيف كان الامر فالبحث في مفردات اللغة من اجلّ الابحاث وأدقّها ويقتضي لهُ شرائط وقوانين يستند اليها والاّ فسدت غايته وما يتوصّل اليه كان مبنيّاً على الظواهر غير متجاوز الى ماوراء ما ترمقه العين ويتبادر الى الذهن من تقارب الاصوات والالفاظ وهذه حال أفيد منها الاغضاء عنها فالبحث في اللغات الآريّة وحدها ام الساميّة وحدها واجب عليه اتباع سنن غير التي يتبعها فيما لو شاء التقريب بين الآريّة والساميّة مثلاً وردّ كلمات سامية الى اصول آريّة وبالعكس ويجب النظر في نفس تلك الالفاظ والحروف المزادة عليها لان من الكلام ما ينقل برمته من لغة الى اخرى مع بعض تغيير لا يتعدى حروف الزيادة وهذا غير خطير في نفسه ويمكن الوقوف عليه لاول وهلة وليس هو على شي مما يتعلق بحقيقة علم اللغة المعروف بالفيلولوجيا ومثل هذا كثير الوقوع بين عموم اللغات قلّما تخلوا لغة منه واكثر ما يكون في الالفاظ الوضعية لمسميّات محدثة او مختصة بلغة دون أخرى ام لأفادات وضعيّة كالالفاظ العملية التي استعملت في احدث اللغات اولا فنقلت عنها برمتها اما الاشياء الصحيحة التي يجب النظر اليها في الفيلوجيات فهي البحث عن جذور تلك المفردات اولا اي تجريد اللفظ من كل حرف زائد وكلما يمكن الاستغناء عنه والنظر بعدئذ في هل الجذر موجود في لغة اخرى لفظاً ومعنى هذا

هو الاهم ومن الامور التي يجب مراعاتها امر جدير بالاهمية وهو عند الوقوف على جذر مشترك يجب النظر في تخصيصه والبحث في تخصيصه بلغة دون اخرى ولمعرفة ذلك يقتضي التعمق في مباني كل لغة حتى يمكن الوصول الى رأى بات في هكذا قضايا ولابدّ لهذا العلم ان يكون يوماً ما ذا امرمهم وشأن خطير في محافل العلم لما فيه من الكف عن اسرار كثيرة بخل التاريخ بها والاشتراك فيما بين الجذور قد يكون بين العائلات كما يكون بين افراد كلّ عائلة فواجب الاعتناء بفصل كل عائلة من هذه العائلات على حدة وتعيين اللغات التي تختص بكل واحدة منها وفي الامر عقبة اخرى ذات شأن يراها من تتبع درس هذا العلم لان من اللغات ما تشبه الواحدة الاخرى بكثير من الفاظ حتى ان كثيرين ظنّوا في هذه المشابهة وجود ما يدّل على اشتقاق الواحدة من الاخرى ومن ثم جعل الاثنتين من عائلة واحدة كما قد يمكن ذلك في لغة القبائيل مثلاً وهم قوم مقيمون في جزائر الغرب على مقربة من تونس ولغتهم تحتوي على كثير من الالفاظ العربية والفرنسية لمخالطتهم العرب مالكي تلك المنقطة اولا والفرنسيين المتولين عليها حالاً ولهم الفاظ أخرى مختصة بلغتهم الاصلية لاترد الى اصل عربي ام فرنسي فهذه اللغة وان تكن قد حوت حالاً كثيراً من الالفاظ العربية والفرنسية فلا تزال عند التقسيم لاتعدّ من العائلة السامية او الآرّية والى هذا ذهب رنان وغيره. ولا عبرة في هذا التشابه انما ينظر الى القواعد التي تقوم عليها اللغة والضوابط المقيدة بها ومجمل الكلام ان هذا البحث طويل لا يستوفي الاّ بالمطوّلات العديدة وحسبنا بالاشارة اليه ايضاحاً ودلالة.

(احد ابنآء الشرق)

الحجّة البالغة

[قد وردت الينا هذه الرّسالة من بغداد بانّها قد وزّعت في بلاد فارس خفية كما صار توزيع الرسائل السابقة].

بسم الله الرحمن الرحيم

حُماة الدين. وقادة المؤمنين. حزب الله في العالم. وجنوده الغالبة على الامم.

نصَر الله بهم الاسلام. وخذل بعزائمهم أعداءه الطغام آمين.

كلّت البصائر ووقفت المشاعر. وشخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ـ ها انّ بلّية شوها قد حامت حول الاسلام واحاطت به من جميع جوانبه وكادت (لو لا عون الله تعالى) ان تطمس شعائره وتمحق معالمه.

الشاه في تقلبّات جنونه قد جلب على الديانة المحمدية واهلها انواع المصائب واصناف الرزايا. وفتح عليها هوسا منه وعتها ابواب المهالك والبلايا ـ ومهّدت زندقة وزيره سبلها. وازاحت العوائق التي كانت تدافعها في سيرها (وا محمداه).

قد غدا الاسلام بين ثورات الجنون ونزغات الزندقة في خطر عظيم.

اين حَملة القرآن اين القائمون بأعلاء كلمة الله وأين الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا يخشون الجبابرة في الحق والسيف قائم.

ان الدول الافرنجية في اغتصابها البلاد يزاحم بعضها بعضاً ويدافع كل منها الأخرى. والقوى غالباً متكافئة ـ وليس لدولة أن تهجم على قطعة من قطعات الارض الاّ بحجّة تقيم لها عند سائر الدول حقّا على استملاكها.

ولذا تكدح هذه الدول آناء الليل واطراف النهار في ابداع الوسائل التي تسوّغ لها ان تسبق في مضمار فتوحاتها وتدحض بها حجج اكفائها في مباراتها.

كل منها تتعرض نفسها على الحكومات الشرقية كيداً منها ومكراً. هذه تقدّم لها دنانيرها ديناً. وهذه تلتزم مكوسها وضرائبها على ذمتها نقدا. وتلك تشترى منها حقوق العباد في متاجرهم سلفا. والاخرى تعهد ان تستخرج لها المعادن وتنشئ الجوادّ والمسالك وهلّم جرّا.

هذه كلها خدع. وانما الغرض منها ان تُثبت لنفسها حق استملاكها. وعلى هذه الوتيرة قد جرت سنة الافرنج في اغتصاب جزائر الغرب وتونس والهند وبلاد ماوراء النهر ومصر وسائر ممالك المسلمين.

وكانت الاقطار الايرانية في أمن من عراقيل هذه الغوائل الى ان بدا سلطان الجنون والزندقة. ففتح عليها ابواب المحن والمصائب وجلب الاخطار على الاسلام وحوزته من كل جانب.

اتّفق جنون الشاه وزندقة وزيره على بيع حقوق المسلمين واملاك المؤمنين مجازفة. فاغتمنت الامم الافرنجية هذه الفرصة لاستحصال الوسائل التي تمكّنها من بثّ سلطانها في ارجاء البلاد. وكانت الامّة الانجليزية في مقدمتها.

ولما أرغم العلماء انوف الزنادقة المتجبّرة وكفّوا بقوّة الحق يد الجور عن التطاول على اموال المسلمين واغتصابها وزالت غائلة التنباك جاش الشاه واختبط فالتزم للشركة الانجليزية على نفسه (غرامة لجنونه وجريمة لزندقة وزيره) خمسماية الف ليرة قبل ان يطالبها بفسخ العقود التي عقدتها مع الشركة الفرنساوية لبيع التنباك في البلاد العثمانية ـ وفتح بسفهه هذا على البلاد الايرانية ابواب غرامات لا يمكن لأغنى الدول ان يقوم بها (كغرامة القرعة وغرامَة البانك وغرامة المعادن وغرامة السكك والجوادّ وغرامة سائر العقود الباطلة التي عقدها مع الافرنج وهم يطالبونه بها وهو يعجز عن أنفاذها فيضطر جرياً على سنّته السيئة التي سنّها بجنونه ان يقتبل غرامتها).

ثم زاد شراً على شره (نستجير بالله) وترك المكوس (الكمرك) وهو في سكرته للدولة الانجليزية الى اربعين سنة عوضا عن الغرامة التي التزمها على نفسه.

ها هى الاخطار الهائلة التي كنّا نحذّر منها قبلا. ولقد جلبها على الاسلام ادلاّء الكفر سفها وعمدا.

ان الدولة الانجليزية قد أنشبت بهذه المعاهدة الجديدة اظفارها في سواحل البحر وانالة الفارس وبلاد الأهواز - وستُلزِم الشاه بعد آونة بغرامة باهظة عن عقود باطلة اخرى يتعذر قيام المسلمين بها وتُجبره أن يترك لها جباية تلك الاقطار وضرائبها عوضاً عنها فتستملكها بلا جدال كما فعلت بالهند من قبل.

وان الروسية قد حنقت من أعطاء المكوس للانجليز مجازفة وثارت وهي الآن تقيم الحجة على الشاه في فعاله وتطالبه بحقوق سبقت وعهود تجدّدت. وتبتغى ببطشها أن تكون حصّتها أجزل وأوفى لانها أشدّ وأقوى وأمامها الخراسان والاذربيجان والمازندران.

هذه هى الاسباب التي قدعجّلت بالبلاد الايرانية وأغرت الدول على مقاسمتها.

هذه هي الدواهى التي قد جلبها الجنون والزندقة على الاسلام (وا محمداه).

كيف بنا (نحن المسلمين) اذا نظرنا بأعيننا انّ اراذل الافرنج تهتك اعراضنا وتنتهب اموالنا وتغتصب حقوقنا تُهين ديننا وتزدرى بشريعتنا ـ كل هذا واقع لامحالة ان لم تدفع حُماة الدين سريعاً هذه الداهية التي قد أُحدقت بحوزة الاسلام. ولم تنزع البلاد بقوّة الشرع من براثن الجنون ومخاليب الزندقة.

ماذا تجيب قادة الأمة أمام الله تعالى عن العباد والبلاد اذا وقع الأمر المرّ (أُستجير بالله) وقد كان التدارك ممكنا من قبل ـ و ايّ عذر لعلماء الملّة اذا تقاعسوا عن صيانة الدين عن هذه الاخطار الهائلة وحاجّهم العامّة يوم القيمة وقدّمت حسن امتثالها ودوام طاعتها حجّةً عليهم.

هل لنا الشريعة فريضة اعظم من حفظ حوزة الاسلام ـ أليس العلماء أحقّ

بهذه الفريضة من عامّة الناس.

هذا هو الوقت ـ وليس بعده الّا اللوّم في الدنّيا والسخط في العُقبى ـ هذه المقاولات التي ألقت البلاد في المهالك في عقود شخصية تنحلّ بزوال القائم بها ـ فاذا زال الشاه عن كرسى الملك سقطت هذه الحقوق الباطلة كلّها ـ واذاً كل دولة من الدول الافرنجية التي لا حظّ لها في هذه الغنيمة او ترى في اقتسامها حيفاً في سهمها تحاجّ الأُخر بهذه الحجّة ـ وتكفّها عن اعتدائها حرصاً علي منافعها الخاصّة وحفظاً للموازنة العامّة ـ فتبقى البلاد الايرانية سالمةً من شرّها بلا قتال ولا جدال.

فعلى العلماء العظام ان يجمعوا أمرهم على خلع هذا (الحارية) صيانة لحوزة الاسلام وحفظا لحقوق الأنام (ولا علاج سوى الخلع).

ولو لاحظ الانسان الفظائع التي تكّبدتها طبقات الأُمّة الايرانية من هذه الحكومة القاسية الحزقى وما جلبت عليها من الهلاك والدمار ـ وأمعن النظر في العساكر وسوء احوالها وان كلّا منها يجهد نفسه في الاعمال الشاقّة طول يومه لان ينال كِسرةً لسدّ رمقه ـ وتأمّل اضطراب احوال الأمراء وشدّة قلقهم في حيوتهم خوفاً من استلاب اموالهم وخشية من أراقة دمائهم ـ ثم نظر الى نفوذ كلمة العلماء في النفوس كافة وانقياد العامّة لهم جميعا لحكم بانّ خلع الشاه عن كرسيّ جنونه أسهل من خلع النعال.

ان البواعث الدينية قد قضت ـ وان الدواعى الدنيوية قد حتمت ـ وان النفوس قد هاجت من مضض الجور ومرارة الضنك واستعدّت ـ فاذا صدع أحبار الأمّة بالحقّ لخَلَعه الناس ولا يناطح فيه عنزان ولا تراق في نزعه عن الملك محجمةُ دم.

ولربما يحسب الجاهل انّ الخلع وان كان سهلاً لكنّه يوجب الفوضي ويقضى بالهرج والمرج (لا ولا) انّ الايرانيّين لا يعصون للعلماء امراً خصوصاً لو علموا ان الغرض حفظ حوزة الاسلام وصيانة بلاد المسلمين عن اطماع الأجانب.

وفي كل بلد طائفة من العلماء قد اتّخذهم الناس ملاذاً في الدين والدنيا ـ فاذا

عزم أحبار العتبات المقدسة (سيّد الطائفة وشيخ العصابة وفقيه القوم) على أنقاذ الاسلام من شرّ جنون الشاه وزندقة وزيره فليعلموا علماء الاقطار والمتديّنين من امراء البلاد حتى يبلّغوا العامّة أوامرهم السامية وأحكامهم الآلهية. ويعلم كل ان الأسلام وحوزته في خطر عظيم ولا يمكن رفع الخطر الاّ بخلع الشاه وتبديل هذه الحكومة القاسية المارقة بدولة عادلة شرعيه ـ وبعد هذا فليأمروا قوّاد الجيوش وأمراء العساكر ان يختاروا للملك من أبناء الشاه واخوته عفيفاً ديّناً مِقداماً يرضى به رٌوساء الدين ولا تنفر منه قلوب المؤمنين ـ ويحلف في محضر علماء طهران على مشهد من النّاس أن لا يميل اذا تولّى المُلك عن صراط الحق في أحكامه ـ ولا يحيد عن سبيل الشرع في الجبايات والجنايات وما يتعلق باحوال الرعيّة ومعاملاتها ـ وان لا يتصرّف في بيت المال (اعنى الخزانة) الا بما حكم الله به في كتابه وبينّه أئمة الدين ومضى عليه أحبار الأمة ـ وان لا يعقد امراً ولا يحلّ عقدةً الا برأى العلماء العاملين ومشورة العارفين بالسياسة الآلهية من أفاضل الأمة وأبرارها ـ حتى يكون (وهو على كرسى الملك) خادماً للشريعة المحمدية ومنفّذاً لأحكامها ـ فلو صدر الحكم من الأحبار العظام بخلع الشاه على هذا النمط المحكم وبهده الطريقة السديده لوقع الخلع لا محالة بلا قلق ولا اختلال ـ وامنت البلاد من شرّ الأجانب وصارت حوزة الدين حريزة وكلمة الاسلام عزيزة ـ وخلص الناس من اجحاف المارقين واعتساف الضالين ـ وبدت طليعة دولة محمد وآله (عليهم الصلوة والسلام) على دعامة القسط والعدل ـ

ولان فرطّوا في هذه الفريضة وتراخوا عن خلعه وفاتتهم هذه الفرصة لوقع الأمر وحلّت الداهية وتبددّت حوزة الاسلام شذر مذر وليس يومئذٍ المفّر (هذا هو الحق اليقين) لقد أغار الكفر والغواية على محتد الرشد والهداية ـ اما الحمّيّة واما الدنيّة ـ وانما الفوز بقوّة الايمان والخيبة في ضعف الجنان ـ والقنوط من عون الملك الديّان ـ ونحن نجلّ العلماء الربّانيين عى هذه الوصمة.

هذه حجّتنا عند الله على الناس اذا حلّت القارعة وانقضّت الداهية وظهر

الكفر على الاسلام وزاغت عن الحق قلوب الأنام ـ

هذه حجّة للذين لا يخشون في الحق لومةَ اللائمين وفرية المارقين على الذين يقعدون عن امر الله ولا يذبّون عن دينه القيّم وهم قادرون.

حجّة قائمة لا يأتى عليها مرّ الدهور ـ وبيّنة ثابتة لا يطمسها كرّ العصور ـ

(ولقد أنذرنا فهل من مدكّر) هذا هو البلاغ المبين ـ

والسلام علينا وعلى عباد اللّٰه الصالحين ـ

* ك هـ ف * ق س ط *[1]

١ـ ان التوقيع: كهف ـ قسط، يساوى الرقم ٣٠٧ فى الحساب الابجدى، كما انّ: جمال الدين الحسينى يساوى ٣٠٧. و هذا نوع الاستعاره... خسروشاهى.

لغة الجنّة

ما من امّةٍ نُسبت اليها لغة الاّ تباهت بان تلك اللغة انما هي اللغة التوقيفية التي جري الحديث بها منذ عهد خلق العالم وكلّهم موقن بصدق دعواه يسندها الى حجج يعدها راهنة وهي اضعف من خيط العنكبوت ولما كان في زعمهم هذا جواز استخراج النهاية من البلادة حَسبَ كلّ منهم ان لغتُه انما هي اللغة التي يعوَّل عليها في الجنة وكلّ يضطرّ الى النطق بها وما سواها من اللغات يكون فضلة لا يُنظَر اليها ولا يعبأ بها وكل فتاة بابيها مَعجبة.

ذكر كَتْرمَرَ يزعم اليهود ان اللغات كلّها مشتقة من العبرانيّة بدعوى ما جاء في سفر التكوين من انّ لغة سكان الارض كان لغة واحدة وهاته اللغة الواحدة هي العبرانبة مؤيّدين قولهم هذا وبطريقة غايتها ردّ حروف الهجاء الى قيمتها اعداداً وابدال كلمة من كلمة حتى يتمّ لهم غرضهم وهذا كما يري تطاول غير مقبول وقد جاراهم كثيرون في هذا الرأي فمنهم من قال انّ اليونانية مبدأها العبرانية بل هي نفس العبرانية بدعوى انّه لما كانت العبرانية تكتب من اليمين الى اليسار واليونانية عكس ذلك فاذا قرئت اليونانية مقلوبة عكسا لطردٍ جاءت بنفس الالفاظ العبرانية.

وقد نهج الاسوجيون هذا النهج في اصل اللغة اذ قال احد كتبتهم في كلامه عن لغة الجنّة ان الله خاطب آدم باللغة الأسوجيّة فأُجابه آدم بالدنمركية اما الحيّة لما طغت حواء فكان خطابها لها بالفرنسيّة وقس على ذلك مظنة الفُرس انّ لغات الجنّة كانت ثلاثاً عند سقوط آدم فالحيّة خاطبت حواء بالعَربيّة وكانت الفارسّية المتداولة

بين آدم وحواء اما الملَكِ جبرئيل فكانت لغته التركية وقال صاحب كتاب العـالم الاولي ان اللغة البسكيّة كانت لغة آدم.

اما اللغة العرّبية فقد كثرت الشحناء بين علمائها واختلفت آراءهم في تحديد اللغة عموماً هل توقيفية هي أم اصطلاحية ولكلّ من هذين المبدأين انصار يعززون آراءهم بادعاءات كثيرة غير انّ بعض القائلين بالتوقيف وهم النفر القليل يدعون بأسبقيّة العربيّة ولا يسعنا الآن ذكر قول كل فريق انما نؤدي رأي القائلين بالاسبقية والافضليّة اذ هو مدار البحث الآن فقد روي عن ابن عبّاس انّ آدم كانت لغته في الجنّة العربية وقال عبد الملك بن حبيب كان اللسان الاول الذي نزل به آدم من الجنّة عربّياً الى ان بَعُد العهد وطال فَحُرِّف وصار سريانيّا وكان اللسان السرّياني لسان جميع من وَجد في سفينة نوح الاّ رجلاً واحداً يقال له جُرهُم فكان لسانه اللســان العربي الاول وقال السيد محمد صديق حسن خان مخالفاً رأى القائلين باولية اللغة العربّية انّه يؤكد أفضليتها على اللغات لانّ القرآن نزل بها وسـينطق بهـذه اللـغة الشريفة اهل الجنّة وقد روى ابن عساكر في تاريخه وابو احمد الغطريف في جزئه عن عمر بن الخطاب انه قال يا رسول الله مالكَ أفصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد دُرست فجاء بها الي جبريل عليه السلام فحفظنيها فحفظتها.

اما اسمعيل هذا فهو على قول البيهقي عن ابي عمرو بن العلا جدّ العـرب الاَحمـَر وبقايا جُرُهم. غير انّ هذه النسبة غير صحيحة فقد جاء في البلغة ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس واميم وجُرهُم وغيرهم.

هذا بعض ما وقفت عليه من هذا القبيل أورده فكاهة للمطالِع يُشْتَشَفُّ منها سرعة خاطر الاول فى قطع آرائهم و مبادئهم

(طالب علم)

ملخص تاريخ القرن التاسع عشر

(تابع لما قبل)

يستهل هذا الزمن من التاريخ الذي نحن في سياق حوادثه الآن باعمال ووقائع ذات شأن تناوبت انكلترة ولمن تكن هذه الدولة دخلت بعد في حرب مع نابوليون انما كان مجرد سياستها تعزيز اعدائه عليه ومدهم بالمساعدة الادبية الا ان كل هذا لم يكن ليؤخر ظفر نابوليون حينئذٍ اذ كان لا يزال نجم سعده منيراً فتمكن من استمالة بعض محالفي انكلترة اليه وتحويل مخاصمتهم اياه اليها وحدث في خلال هذه المدة ان اللرد غرنفل خلف بت في منصب الوزارة الخارجية فكان رجلاً حُنُكا في الامور نقاداً لها فعمد الى تعزيز القوة العسكرية فنجح بعد الجهد واصبحت انكلترة وجنودها تبلغ نصف مليون عداً الا انه بينما كان يحسن الادارة الداخلية دلت اتصالاته مع بقية الدول على ضعف فيه اذ قد رفض عن الروسية مبلغ ستة ملايين ليرة فاحنقها ذلك وانفصلت عن موادة انكلترة وقفي ذلك بان البعثة التي ارسلت جنوبي اميركا في طلب الفتح والمكسب عادت خاسئة خاسرة في موقعتين كبيرتين فنتج عن ذلك ان اللورد غرنفل خلع عن منصبه وذلك اثناء قبول المتمذهبين بالكثلكة الرومانية في مصاف الجندية البحرية والبرية وخلفه في مقامه دوق بورتلند وضم اليه آخرون ممن يحذون حذوه وخالفوا في سياستهم مبادىء من سبق بتقربهم الى دول اوروبا فأرسلت نجدة الى مساعدة الروس والبروسيين في بومرانيا على الفرنسيين الا ان تلك النجدة لم تتجاوز شواطىء البلطيك الا والروس

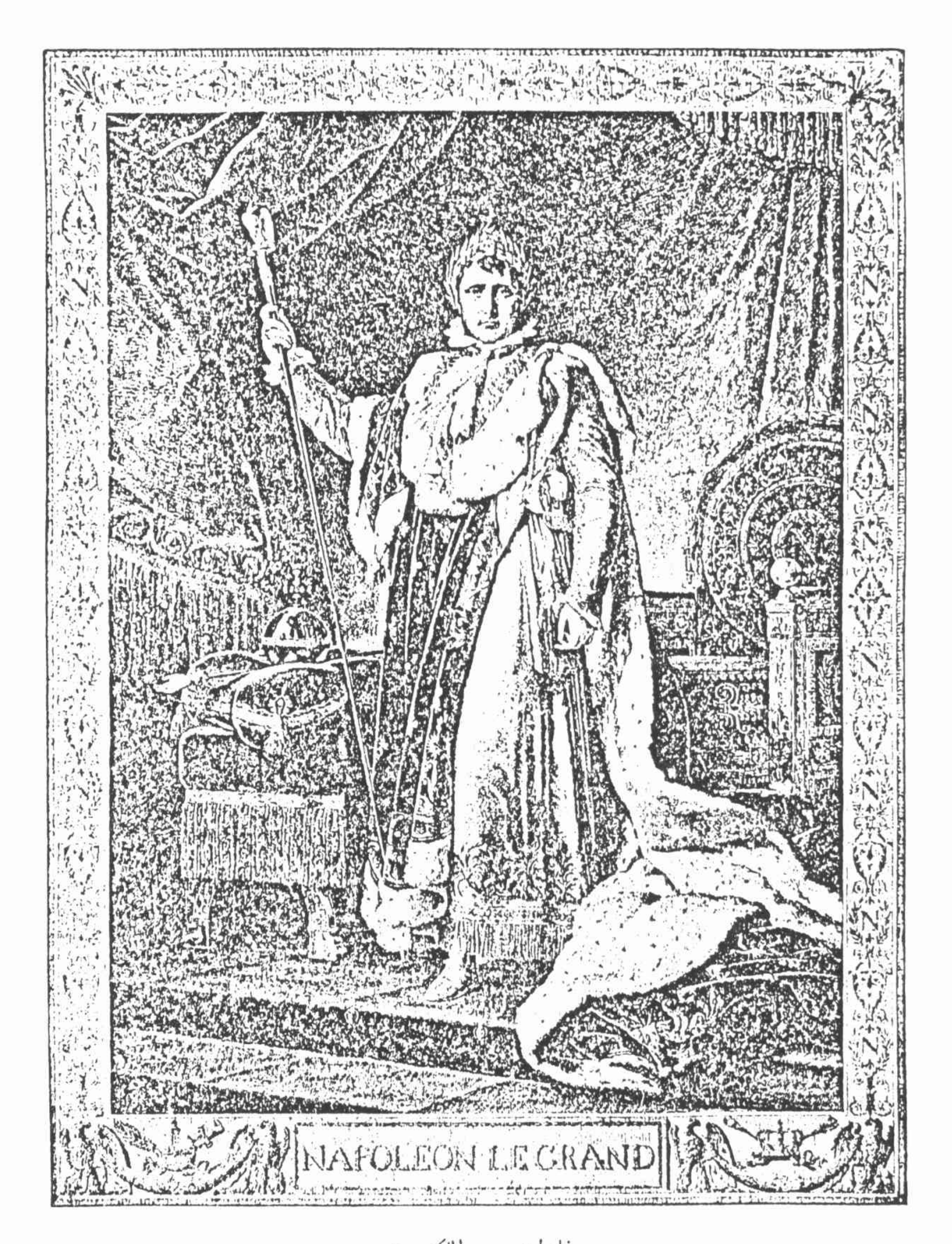
والبروسيان قد تمزّقوا كل ممزّق.

اما نابوليون فكان جل مقصدة تدويخ انكلترة واعدامها الاّ انه بعد ان رأى ماحلّ به في موقعة ترافلغار عمد الى أبادة تجارتها وفي ١٨٠٦ قرّرت معاهدة برلين منع الدول البرّية عامة عن متاجرة انكلترة والتعامل بسلعها فكان من منطوق تلك المعاهدة ثمانية بنود تلخص بما يأتي اولاً تعتبر الجُزر البريطانية جُزراً منفصلة لاعلاقة لها بايّ دولة من دول اوروبا ثانياً تمنع كل مواصلة شخصية كانت ام كتابية بين انكلترة والدول الاخرى وواجب حجز كل تحرير مرسل الى بريطانيا او مكتوب باللغة الانكليزية ثالثاً يلقى القبض على كل بريطاني وُجد في اي مكان تقيم فيه الجنود الفرنسية ومقامه مقام اسير حرب رابعاً تعتبر السلع والبضائع الانكليزية حلالاً طيباً ومشاعاً لمن تمكن من الاستيلاء عليها خامساً يمنع الأتجار بالسلع الانكليزية حتماً سادساً ان نصف الامتعة الانكليزية المقبوض عليها هكذا تحفظ على حدة لتدفع الى ايّ من الفرنسيين ام محالفيهم فقد مالاً بحجز الانكليز عليه سابعاً لا يسمح للمراكب الواردة من انكلترة ام من مستعمراتها أن تدخل الموانى الاوروبية للقسم البرّي ثامناً اي مركب ورد من احدى الموانى المذكورة وانكم ربّانه ذلك حجز على ذلك المركب وصار ملكاً للدولة الحاجزة.

فمن هنا اتضح جليّاً مراد نابوليون فقابله الانكليز بامر صدر في سابع كانون الثاني ١٨٠٧ ماله تجويز الحجز على كل مركب ذاهب ام آت من الموانى التي حظر على المراكب الانكليزية دخولها ثم قفّوا ذلك بان اجازوا الحجز على كل مركب ذاهب الى احدى الموانى الفرنسّية أم التي تحت حماية فرنسا ما لم يكن مصدر ذاك المركب من مينا انكليزية فاجاب نابليون على هذا بالامر الصادر من ميلان في سابع عشر كانون الاول ١٨٠٧ مؤداه انّ كل المراكب التي تمكنت انكلترة من القبض عليها للبحث فيها والمراكب التي دفعت جزية للحكومة الانكليزية عدّت مخالفة وعدوة وكل مركب ذاهب الى الموانى الانكليزية أم الاماكن التي احتلّتها الجيوش الانكليزية ام صادر من تلك الموانى ساغ ضرب الحجز عليه وكان ملكاً حلالاً لمن



سر جون مور
(قائد قوّاد الجيش الانكليزي)



نابولـيـون الاكبر *

قبض عليه على ان هذه الشرائع له تطلع مدتها اذا قد رأى نابوليون ان ضرب رسم على البضائع الانكليزية يعود عليه بكسب المال فبينما كان يشدّد النكير على الاخذ والرد مع انكلترة اخرج تذاكر يسمح فيهابالأتجاربالسلع الانكليزية على دفع رسم مقابلة ذلك ولما رأت انكلترة ذلك عمدت الى نفس الرأي حتى لم يعد عاملاً غير حب المال والسعي وراءه.

وكانت بروسيا اذ ذاك في اسواء حال بعد موقعتي جينا وارستدت في تشرين اول ١٠٨٦ واصبحت اشد اماكنها تحصناً في يد الفرنسيين فذهب الملك وليم الى شرقي بروسيا وانضمّ الى القوّة الروسّية المعهود في قيادتها الي الجنرال بننسن وتواطاتاعلى منازلة نابوليون فكانت موقعة هائلة قتل فيها نحو ثلاثين الفاً من الجنود الفرنسّية واندكّت قوتهم ولو تبع القسم المتحالف أثرهم لأ هلكهم جميعاً الاّ ان الحاجة الى الذخيرة ألجأتهم الى الكف عن القتال تاركين وراءهم فرصة نصر لا ترد فلما رأى نابوليون ما حلّ بجنوده طربت نفسه الى المسالمة فعرض ذلك على ملك بروسيا الاّ ان هذا اجاب بالرفض طالباً اشراك امبراطور الروسّية في تلك المعاهدة فلم يكن نابوليون ليرضى بمثل ذلك فأخذ الفريقان بحشد الجنود وتعزيزها مدّة ثلاثة شهور فزحف حينئذٍ المعسكر الفرنساوي على مقيل العدو فنازله وألجأ القائد الروسي بعد اضناك قواه الى التقهقر الى ماوراء مقاطعة نيمن (١٤ حزيران ١٨٠٧) ولما توسّم الروس ضعفهم أزاء الفرنسيين طلب القائد الصلح من بونابرت فاجتمع هذا بالامبراطور الروسي وعقدت معاهدة تلصيت فى ثامن تموز وكان من مؤداها ان الروسية تعترف بملك يوسف ولويس وبونابرت على نابولي وهولندة ووستفالية وتعّهد نابوليون بالتدّخل بين روسيا وتركيا مصالحاً وكذلك يتدخل الامبراطور الروسي بين فرنسا وانكلترة وارتبط بعهد سري ان يكون حليف فرنسا على انكلترة فيما لو رفضت انكلترة مسالمة فرنسا اما بروسيا فباتت تئن تحت خسائرها اذ قد فقدت نحو ثلث ارضها وقضي عليها بان تدفع خمس مائة مليون فرنك غرامة حربيّة وان توصد موانيها في وجه المراكب الانكليزية وان ترضى باحتلال الجنود

الفرنسية اقوى قلاعها واحصنها وان تقوم بجراية ١٥٠ الف جندي الى ان تفي قيمة الغرامة فلما رأت بروسيا ما صارت اليه رضيت به على الرغم منها وعمدت الى اصلاح داخليتها وسعت وراء كل ما يؤول الى تعزيزها الى ان اصبحت دولة تضارع اقوى دول اوروبا بجندها وترتيبهم.

وكانت الدانمرك من جملة الدولة الاوروبية التي حالفت نابوليون على تدويخ انكلترة ووقفت عمارتها الجرية على أوامره الاّ انّ هذا الامر لم يخفَ عن انكلترة فشيعت للحال اسطولاً متيناً الى مياه كوبنهاغن وطلبت الى ولي عهد تلك الدولة ان يسلّم عمارته الى انكلترة وهي تتعهد له بان تردّها عليه بعد توطّد السلام فأبى فاوعزت حينئذ الى قائد بواخرها ان يضرب كوبنهاغن فعمل وبعد ثلاثة ايام سلمت حكومة الدانمرك عمارتها صاغرة وقيدت الى انكلترة فأثار هذا نار الغضب في قلب نابوليون فطالب امبراطور الروسى بانجاز وعده فاخذ هذا اولاً يسعي فى التوفيق بين الدولتين الاّ انه لما رأى من انكلترة رغبتها في الوقوف على المعاهدة السرّية التي جرت بينه وبين فرنسا اشهر الحرب عليها في اوائل تشرين الثاني.

ووقع اختلاف بين انكلترة وتركيا ومصر في اوائل عام ١٨٠٧ كانت عاقبته وخيمة على انكلترة وكانت الحرب قد اشتهرت بين تركيا وروسيا فاخذ الجنرال سبستياني يسعى لدى الباب العالي فى احداث ما يكون ذا فائدة لفرنسا مضراً في صالح انكلترة فاضطرت انكلترة الى ارسال اسطولها الى الدردنيل قصد التهويل على السلطان وارجاعه الى محالفتها فذهبت المساعي ادراج الرياح وكانت الاستانة أبّان ذلك قد تحضرت للدفاع فبعد ان هدّم الانكليز قسماً من العمارة التركية رأوا ان لا سبيل الى ضرب الأَستانة فولّوا الادبار آمّين ديارهم.

(ستأتي البقية)

السرّ المنتظر

[هذه صورة كتاب قد أرسل من مكّة الى علماء المسلمين في الاقطار بأمضاء (آل محمد) ووصلتنا نسخة من الهند فأدرجناها لغرابة وضعها وبداعة أسلوبها ولا يعلم المقصد الاّ العارفون باسرار الأدوار]:

لقد احتجبت الأضواء. فضلّت الأراء. وسادت الأهواء. وغمر البغى بسيطة الغبراء. فبرز الغيّ ناشر اللواء. وبسط سلطانه على الأرجاء. وظهر الضلال على الهُدى. ومحق أعلام التُقى. وطمس على الأفئدة والنهى. وتهلّل الشيطان بما رأى. واستضعف اهل التقوّى وسخر بآية الله الكبرى.

فوجفت القلوب وعاد الأبرار بذروة اليقين. فمنّ الله على الذين يرتقبون نصره وهم لأمره ينتظرون. أتى أمر اللّه وأشرقت الآفاق بنور ربّها واستبشر المؤمنون. داعى اللّه يدعو الى الرشد ولا يتبع هداه الاّ العالمون. الم يأن للذين يتلون الكتاب ان يصدعوا بالحقّ ويعرضوا عن الضالّين ـ سرّ منتظر. ويل لمن أدبر واعتذر. ثم استكبر وكفر. ولقد شهد من القى السمع وأبصر. وسيأتيك الخبر. والسلام على من دان وتبع الأثر. (آل محمد)

- ترجمة من القسم الانكليزى -

السلطان عبد الحميد الثاني وولايات البلقان

ان من الاحاديث التقليدية ما يكون طبق طباع اصحابها فان ساكني القسم الشمال الغربي من ولايات البلقان يذكرون خرافة يتعلق ظاهرها بامر الخلق انما هي حقيقة مثال ترددهم في امور وعدم ثباتهم على حال من الاحوال: قيل انه لما اتمّ اللّٰه خلق البريّة سُرّ من عمل يديه فجمع اليه القبائل والامم واخبرهم انه عازم على منح كل منهم ما يريد فتقدّم اليه اهل البندقيّة اولا وطلبوا ان يكون اسطولهم اقدر العمارات البحرية في العالم ففعل وتمنّى عليه اهل نابولي ضياء شمس مستمراً وازهاراً عطرّية وطلب الاسبانيول لجنودهم قوة في الحرب وبسالة وسأل الانكليز صوفاً لنسج الاثواب ورغب الاتراك اليه في السيادة والروس في ما كبر من مساحة الارض وشاء الجرمان ان يكون نصيبهم من العلم قدر نصيب الشيطان غزارة وكان عز وجلّ يمنح كلاّمن هاته الاُمم متمنّاها الى ان انتهى الدور الى اهل البلقان فسألهم عمّا يتمنّون عليه قالوا امهلنا اللّهم ريثما نتفق على امر نتقدم به اليك ففعل ثم عاودهم ثانية بلسان رسول من لدنه فاجابوا قائلين مُدّنا اللهمّ بأجل طويل يتسنّى لنا أبآنه التخابر بشأن ما نطلب وهم الى الان يتشاورون.

ان من نظر الى هذه الحكاية وتمعّن بعين البصير النّاقد في امور اهل البلقان رأى انهم مع ما دال عليهم من الزمان وشؤونه لا يقفون عند امر ولا يثبتون على حال الاّ انه بحمد اللّٰه قد ظهر في هذه السنين المتأخرة انهّم نظروا الى شؤونهم وهي لما بها وعرفوا كيف مداواتهم رغماً عما بين اهل البلغار والسرب من الغيرة وما ينجم عن

امور اكريت من التوهمات التي تكدر صفاء سياسة اليونان فقد كان رجال السرب قبل المؤتمر البرليني ينظرون الى الاتراك حاسبين انهم هم اعداؤوهم الالدّاءِ وكان اهل الجبل السود لا يذكورن إلمسلم الاّ وفي صدرهم نار تتأَجّجُ غيظاً وحنقاً وكان البلغاريون ينظرون اليهم نظرة تشف عمّا يخالجهم من الضغينة والحقد امّا الآن فقد تغيّر كل ذلك عندما تذكّر اهل السرب ان قد مرّت عليهم خمسة قرون متوالية وهم تحت ولاية الاتراك ولم يروا في بحر تلك المدة ما يمسّ معتقدهم او مذهبهم او حرّيتهم المدنّية أو شيئاً من اشيائهم وقد ثبت لهم بالاختبار ان التركي انما هو محب للوطن عفيف الذيل مستقيم المشرب حافظ للعهد وقد كانوا ينظرون اليه ايّام توليه عليهم كعدّو عاد امّا الآن فقد شاهدوا فيه جاراً ودوداً وصديقاً مخلصاً وقد عرفوا تمام المعرفة ان بقاءَ حرّيتهم موقوف على بقاء سلطان الاتراك في الاستانة فاذا فُقِدَ هذا هلكت تلك وهذا القول يعمّ كلّ الاقسام البلقانية غير محصور في واحد منها ويثبت ذلک ما يجيء في الجرائد السربّية من تحببها الى الاتراك وتشببها بايّامهم الغابرة واذا نظرنا الى الجبل الاسود ايام كان اهله تحت الرعاية العثمانية رأيناهم اذ ذاك يتعوّذون باللّه من الاتراك ويرجمونهم بكل عيب ومظنة فبعد أبرام المؤتمر البرليني بمدة توجه امير الجبل الاسود نيقيطا الى زيارة الاستانة محيياً جنود الاتراك على بسالتهم شاكراً من همّة ودراية جلالة السلطان حتي انه تطرق الىعرض رئاسة التحالف البلقاني على جلالته عندما يحين وقت الـذين بانعقاد هذا التحالف. فهلاّ في ذلك دليل على تقدير هذا الامير سلامة طوية الاتراك حق قدرها. ومن تطلع الى بلغارية رأى ان روسيا قد بذلت ما في الوسع لتشق هذه الولاية والروملي عن حماية تركيا فبعد ان تسنّى لها ذلك حسبت ان عملها هذا يوجب لها حق السيادة على بلغارية ولأمر عريق في الغرابة أن نرى قوماً سعوا في تخليص قوم من يد عدّوهم كما زعموا فنزعوا ثمة الى استرقاق ذلك القوم وجعله تحت نير مشيئتهم ولهذا السبب نرى بلغارية مجدة في تخليص حريتها من مخالب الروس.

انما اذا رأينا بلغارية حتى الآن لا تزال في استقلالها عن روسية فليس هذا

بناتج عن مدافعة التحالف الثلاثي او انكلترة عنها بل هو ناتج عن دراية وهمّة السلطان عبد الحميد الثاني الناظر بعين الرأفة والعدل الى هولاء القوم وقد علم اهل البلقان قاطبة انّ في دوام عرشه وسلطانه دوام حرّيتهم وهو الناظر الى تأييد استقلالهم وتثبيت راحتهم وما نسب اليه والى رجاله من الظلم والاعتساف انما كان اختلاقاً وتزويراً اذ قد تأكد بعد الاختبار الآن انّ غايته تعميم السلام وتوطيد الحرّية في ولايات البلقان. اما الآن وقد باشرت ولايات البلقان تاليف تحالفها واخذت تخوض في جمع شتيتها وضمّ قُواتها الى بعضها فقد مدّ هذا السلطان اليها يد العون والمساعدة وغاية مراده وجُلّ سياسته مبنّي على تحرير البلقان ولو كره المخالفون والمسستقبل يشف عمّا يطويه الحاضر بعون اللّه ومن حسب انّ عدم مجاهرة تركيا الآن في استهجان اعمال روسيا برهان على تهاونها عن البلقان كان وحرمة الحق جاهلاً ما يحف بتركيا من المصاعب وغير عالم انّ التحالف الثلاثي مع ما هو عليه من القوّة لا يجسر على مفاتحة روسيا بهذا الشأن الاّ بما يشف عن تساؤل محض دون تهويل وترهيب.

«عن القسم الانكليزي بتصرف بقلم شادوميل مجا كوفتش»

ارمينيا وعاصمتاها الروحيتان

(بقلم الفاضل العالم المستر ثيودور بينت)

الارمن قوم تقادم عليهم العهد ودالت بهم الايام فأَلجئوا الى الترحال في طلب الكسب فأصبحوا وفي كل ارض منهم نفر. اما بلادهم فلكثرة ما انتابها من التقلب وما اصابها من شقاق ايام تملك ملوك بيزنطية وسلاطين تركيا وغيرهم عليها لم يعد في حيّز الجغرافي امكان وضع حدّ لها ولجيل الارمن الان بلدان يدعي كل واحد منهما بالاولية على الآخر في الحقوق الدينية وان بطاركته متسلسلون توّاً من الارمن الاول منذ سالف ايامهم وهذان البلدان هما صيص في تركيا وكانت قديماً عاصمة ارمينيا الصغرى القائمة شمال شرقي سهل سلوقيا حيث اقام ملوك الدولة الروبينية الى اواخر القرن الرابع عشر اما البلد الاخر فهو مدعو اتشميازين وهناك دير بناه القديس غريغوريوس المنوّر على مقربة من آني احدى مقاطعات روسيا وبين بطريركي هذين المحلّين نفار وشقاق كلّ منهما يدعي بالاولية والاصالة ويرجم الآخر بالحرمان واللعنات وقد زار هذين المكانين احد السياح الانكليز وذكر مسهباً ما رآه في القسم الانكليزي من هذه المجلة نأتي على خلاصته افادة!

قال:كانت زيارة صيص من قبل محفوفة بالمخاطر من جرّاء ملاقاة قاطعي الطُرق العائثين بتلك الديار اما الان وقد قطع دابرهم فلم يعد في وجه الزائر غير صدمات المناخ فيمكن معالجة ذلك بالذهاب اليها في فصل الربيع وهو اعدل الفصول هواء. اما صيص الحالية فهي بقية مدينة كانت في مامرّ من الايام ذات ثروة وبهاء لم يبق

منها غير آثار مدثورة وهناك القلعة المدعوّة قلعة الحيّة المعروفة بلغة البلاد ايلاد قالع وفيها يمرّ نهر جيحون ونهر آموس وغيرهما اما مُلوك تلك الرقعة فينتسبون الي روبين وكان سبب تملكه مساعدته الصليبيّين على المرور الى انطاكية في طريق هي اقرب ممّا لو ساروا في غيرها ونودى بِخَلَفِهِ لاون ملكاً بامر البابا والامبراطور ومرّ على هذه العائلة ثلاثة قرون وهي تطلب الى ملك اوروبا المساعدة وفي الوقت نفسه تمدّ كثيرين بالقلاع والاماكن الحصينة وفى عام ١٢١٥ بنى الملك لاون شارعاً في طرسوس وأقام كنيسة وحمامات وفرناً وغرَس بستاناً وجعل كلّ ذلك وقفاً على مدينة جنوى الاّ انّه بانقضاء الوقائع الصليبيّة تزعزع ركن ملوك ارمينيا وتهدم وكان آخر من ملك عليهم لاون السابع هجر مملكته وذهب الى فرنسا وبقي فيها الى أن مات في باريس وله هناك قبر تحج اليه ارمن تلك المدينة في كل عام.

وعادات القوم في صيص لاتزال تشف عن بساطة الاول ملبساً ومسلكاً ولهم في كلّ اسبوع يوم سوق تتزاحم الاقدام فيه للبيع والشرّاء ولم يبق لديهم من لغتهم لاستغراقهم في الجهالة غير شكل حروفها اما الفاظها فتُركيّة ولهم اسماء يشتقونها غريبة في معناها فنها توفنكيان ومعناه ابن البندقية وشيطانيان اي ابن الشيطان وذنانيان اي ابن السمآء وقس على ذلك اما بطريرك هذا المكان فمقامه في مرعش وقلّما تراه رعيّته الاّ عند تِجواله في جمع الدراهم ناقلاً معه ذخيرة يزعم انها تحوي ذراع القديس غريغوريوس المنوّر ولهذا السبب يلقب هذا البطريرك بحافظ الذراع المقدسة. والكنيسة هناك مزيّنة بالصور والرسوم القديمة والآجرّ الاخضر وفيها كرسى البطريرك موشحة بالذهب يقوم فيها عند سيامة الاساقفة وفي هذه الكنيسة خزانة فيها كأس فضية مذهّبة فيها زيت الميرون ويزور هذه الكأس كثيرون من الأرمن من كلّ فج في أجل مضروب اذ تغطس حينئذ ذراع القديس في الزيت وتداف فيه وترّنم التسابيح وترش الزهور فيسخن الزيت ويجوش في الكأس على حسب زعمهم اما رفع الغطاء عن الكأس فيكون بأن يعرض على الحضور بالمزايدة فايهّم دفع اكثر نقوداً كان له الحق بذلك وهو بعدئذ يبيع الزيت نقطاً لمن يريد فيربح

اموالاً عزيزة. وفي جانب الكنيسة متحف البطريرك فهناك كتب مصفحة بالفضة وذخائر وكؤوس فضيّة عديد عددها والى جانب الكنيسة غرفة يقيم فيها المعدّون للدخول بدرجة الرهبانية مدّة اربعين يوماً منقطعين عن مرأى العالم والطعام على زعم من قال وقداشاد البطريرك هناك مدرسة يتردّد اليها الطلبة مجاناً فنعم العمل. والاكليروس عندهم قسمان القسم الاول وهو الاعلى موقوف على التبتّل والآخر ومنه خوارنة القُرى مطلق لهم امر الزواج فيكسبون معاشهم بالصلوات عن نفس الموتى وتبريك البيوت واخراج الشياطين ودفع الحشرات مستعملين ما عنّ لهم من الخزعبلات في طلب الرزق.

قال صاحب الرسالة دُعيت يوماً الى مشاهدة عادتهم في طرق الخطبة وهي لديهم كثيرة الاهمية اذ يجتمع المدعوّون في بيت الشاب على ليلتين متواليتين ويأخذون يتساءلون عن سبب استدعائهم متجاهلين ويقام في الوسط كرسي معدّ للخطيبة الى ان تقدم في الليلة الثالثة فيقدّم لها راغبها هديّة هي عربون عقد الانفاق ومن عوائدهم في الجبال في الاعراس أن يذهب العروس ورجاله والمشاعل في ايديهم الى بيت العروسة لاحضارها ففي عودتهم يقف اثنان ذكر وانثى عن جانبي العروسين مدعَيين انهّما هما العروسان مقلدين حركات الاصليّين ومن عادتهم قبل عقد الزواج أُن يصعدوا بالعروس الى السطح ويعروه من اثوابه ويغسلوه على مرأى من كل عين ولا يبالون بالخجل من هذا الأمر اذ كثيراً ما تشاهد النساء عُراة يغتسلن في الانهار والمارّة ينظرون اليهنّ. امّا المرأة فلا يسوغ لها مجالسة الناس ومحادثتهم الى ان تنقضى السنة على زمن اقترانها فيسوغ لها بعدئذ بعلها حلّ عقدة لسانها. ومساكنهم صغيرة قذرة ولما كان الحرّ والذباب من اشدّ عذاباتهم فيلجأون الى النوم في ايّام الصيف في خيم يبنونها طابقين الطابق الأعلى للرّجل وامرأته وبنيه والاسفل لدوابّه ومواشيه اما ايام البطالة عندهم فكثيرة لكثرة القديسّين واعيادهم ومما يخلق بالذكر من عاداتهم ايضاً انهّم في عيد الفصح يقيمون الصلاة ويخضعون لتمثال من الشمع شكله شكل المسيح مصلوباً. وهم طبعا قسمان احذقهم واذكاهم

رجال الجبال ولا تزال الحرّية نموزجهم وغايتهم اما قاطنوا القرى فهم في غاية من الذّل ونفاد الهمة لما تولا هم من قسوة الذين تملكوهم تباعاً غير انهم اجمع قادرون على الاتجار والتفنن في ضروب المكسب اذا توفرت لديهم الوسائل فمنهم قوم في الاستانة وغير محلات كلهم سائرون في طريق النجاح والتقدم. ولوعرة مكانهم وقلة المكسب فيه تهيج ببعض اشقيائهم عواطف السلب والنهب وقد نشأ بينهم كثيرون من قاطعي الطرق واشهرهم بربيك كان انضمّ اليه عدد من الاهلين سوّلت لهم أنفسهم الخروج عن طاعة الدولة العثمانية الاّ انه لم يطل الامر حتى حدث ما وّفق بين رئيس عصاباتهم وحاكم تلك البلاد بعد مناوشات الى ان طوت الايّام قوّتهم واقتدارهم.

امّا اتشميازين فبلد قاطنوها قوم محببون الى امبراطور روسيا يرتعون في ظلّ حمايته والتمدن بينهم ناشر أطنابه خلعوا عنهم الاسترقاق وانضمّوا في سلك الحرّية والمساواة الاّ انّه لا تزال لديهم من الاعتقادات القديمة والتقاليد ما لا يمحوه كرور الايام وتوالى السنين ففي بلدهم وقف فلك نوح بعد الطوفان وهم ينتسبون الى احد حفداء يافث بن نوح قالوا انه كان ذايد في بناء برج بابل ويدعون ان النصرانية اول ما بُشّر بها في ارمينيا وقد ذكر موسى الخوريني احد مورخيهم تفصيل الكتاب الذي ارسله الملك الابجر الى المسيح وجوابه عليه وقدم ارمينيا تداوس الرسول وشفى الملك المذكور من برصه وتبعه برتلماوس ويهوذا الرسولان يبشّران فيها الى ان قضيا نحبهما اما غريغوريوس المنوّر فهو ذو شأن خطير لديهم فقد خطّوا على جدران كنائسهم قصة حياته والحوادث التي جرت له: قيل انه سليل اسرة كريمة تركها وهرب الى كبد وكية ثم عاد الى بلاده مبشّراً عندما رأى توغل الاهلين في عبادة الاوثان فقبض عليه ابن عمه وهو الملك حينئذ وطرحه في العذابات الهائلة فلجأ الى جبّ في اسفل جبل آراراط وقامت بخدمته هناك امرأة عجوز ثم انقلب ابن عم هذا القديس ورجال حاشيته خنازير برّية بارادة الربّ لنظرهم خبثاً الى ابنتين جميلتين الاّ ان القديس تضرّع الى اللّه من اجلهم فعادوا

اناساً يتكلّمون وأقام تذكاراً لهذا الحادث صوم خمسة ايام حفظه الارمن حتي اليوم شديد الحفظ وقيل ان هذا القدّيس رأى الروح القدس مرة متهافتاً من السماء فبنيت كنيسة في المكان الذي رآه فيه وفي ارمينيا قرية تدعى مرندة قيل انها سُمّيت باسم امرأة نوح المقبورة فيها وهي قرية كثيرة المياه ينبت فيها العنّاب ويكثر ثمره.

ووراء نهر الاراكسيس مدينة تدعى نشطوان اي مدينة نوح زعموا ان نوحاً بناها وسكنها قبل الطوفان وبعده وهي في مركز من الارض جميل غزير المياه حسن التربة كثير الاشجار يقول الارمن ان هناك جنة عدن ولما توفي نوح رحمة اللّٰه عليه قبر فيها وهناك قبره (وله قبر آخر في سوريا في قرية تدعى الكرك جنب زحلة) وهو على شكل غرفة مقبية مرتفعة على عمود واحديَد عمها من وسطها وامام هذا العمود مذبح يحرق الزوار البخور عليه وهناك كثير من المدافن مكتوب ومرسوم على كل منها حرفة واسم الشخص المدفون فيها وفي تلك الناحية مغائر كثيرة كانت مأوى الارمن في ايام مذّلتهم اما الآن وقد أثروا فبنوا الدور وهجروا تلك المغائر فغدت مقطناً لفقراء الاعجام.

اما جبال آراراط فهي خير ما توجه اليه البصائر ثبتت في الارض اوتاداً وعممها الثلج ومن حولها يشاهد شتيت بقايا المدن وآثار الديار وهي قائمة بين روسيا وتركيا والعجم ولسان الكل قائل برسو سفينة نوح عليها بعد الطوفان وعلى مقبرة منها مدينة تدعى اريوان كرومها كثيرة قيل ان نوحاً أكل من عنبها واكثر فسكر!اما هذه المدينة فهي مجتمع الاضداد ترى فيها المآذن والجوامع والكنائس والابنية القديمة الرثة والحديثة الحسنة كل ذلك دلالة على خمولها الاول ونهوضها من مذلة الفقر بعد ان انتقلت من ايدي الفرس الى ايدي الروس فاصبح اهلها يضارعون اهلَ اوروبا في مبادئهم وعوائدهم ومما يشاهد هناك قلاع الفرس ايام عظمتهم وهناك صخر شاهق كان المجرمون يُطرحون من اعلاه الى هاوية عمقها نيف ومائة قدم.

ومن اريوان الى مسكن البطريرك مسافة اثني عشر ميلاً وهناك كنيسة شفيعها القديس وبسيا الشهيد يتألب اليها كثير من الراغبين في الانخراط في سلك

الرهبانية يقضون مدة اربعين يوماً صائمين على حسب ما شاهدنا في صيص تتلى عليهم التعاليم اللازمة توطئة لفحص يؤدونه قبل قبولهم في الدرجة الكهنوتية اما اتشميازين نفسها فهي مجمع ثروة الارمن وقوتهم وفيها متحف يحوي كنوزهم من كتب وذخائر دالة على سالف ايامهم ومجدهم وفي الدير مدرسة زاهرة جمعت كلما تتطلبه ندوات العلم من كتب وغيرها وفي منتصف الدير كنيسة القديسة مريم مبنية في النقطة التي رأى فيها غريغوريوس الروح القدس منسكباً عليه والى جانب هذه الكنيسة بقية بناء متهدم قيل انه من عهد الكنيسة التي بناها الملك يتريداتس ابن عم غريغوريوس بعد خلعه جسم الخنزير وعودته انساناً! وقبة الكنيسة منقسمة الى اثني عشر قسماً على كل منها صورة رسول من رسل المسيح اما داخل الكنيسة فمزيّن بالنقوش والثقب الذي نزل منه الروح القدس مغطىً بلوح حجري والى جنب الكنيسة غرفتان فيهما الذخائر والتحف مجموعة من عهد الملوك الارمن الاولين ومما يخلق بالذكر من هذه الذخائر قطعة حديد قيل انها بقية من فلك نوح أُعطاها احد الملائكة الى القديس يعقوب النصيبي الذي عالج الصعود الى جبل آراراط مدة ثلاث سنوات متوالية فلم يتمكن منه فاعطاه الملاك هذه القطعة تذكاراً ولا يزال بطريرك تلك الناحية وبطانته يصدّقون بانه منذ نزل نوح من جبل آراراط لم يصعد الى قمته انسان وما جاء عن صعود بعض السياح الى قمته فهو عندهم محض اختلاق وفي هذا الدير محفوظة ذراع تداوس الرسول وذراع القديس غريغوريوس الاخرى لان الواحدة في صيص اما رأسه فهو في ايطاليا وبقية جسمه مدفونة في أعلى الجبال وهنا ايضاً الحربة التي طعنت بها جنب المسيح وهو على الصليب يطاف بها وببقية حديدة الفلك فيما لو اصاب المدينة مرض وبائي.

وهناك جزيرة لا تبعد كثيراً فيها ثلاثة اديار يرسل اليها الرهبان ليطهّروا من خطاياهم منقطعين عن كل آنسة ولا يسمح لغير صيادي السمك بدخول تلك الجزيرة كأنّ الحياة لم تكن الا لانّ الانسان قادر على الخطاء فيا للتيه.

وقد نظر قيصر روسيا الى بطريرك تلك الناحية بعين الرضى فأهداه من الرتب انفسها وهو عنده في مكانة عليا ومركز رفيع.

الرسالات

(بقلم الوجيه الفاضل المستر هارولد فريدرك)

واريد بالرسالات تلك الشركات التي وقفت نفسها على الضرب في انحاء الارض والتجوال في فيافيها داعية الى الدين الذي تنتمي اليه منادية بالتمدن والعمران بأذلة النفس والنفيس في سبيل تهذيب وتثقيف من لا يزالون حتى الآن في ظلال التوحش وقيد الضلال ونعم الغاية هي.

هذه هي المبادىء التي عليها نشأت هذه الرسالات والغاية التي لأجلها تألفت والاّ لما مدّت يد المساعدة الى عضدها وتعزيزها ولما انتصرت لها الحكومات مدافعة عنها حيثما اقتضت الحال ودعا الامر الى الدفاع عنها وما من منكرٍ على تلك الرسالات في حين نشأتها ما جاءت به من الخير العميم والفائدة الجزيلة ولاغرو فقد كان مبدأها اذ ذاك الحبّ الانسانى لا اكثر اما الآن وقدأصبحت ميداناً تتلاعب فيه عواصف الاهواء والغايات وواسطة لبث الاميال السياسية فقد فسدت المبادىء الصحيحة وانقلبت تلك الحسنات سيّئات وبعد ان كان سلاح «المبشّر» رقّة لسانه وسلامة طويته يتوكأُ على عصا الحكمة مهتدياً بمصباح التقوى والحبّ غدا الان والخنجر رفيقه وانقلبت عذوبة لسانه جفوةً وطعناً على مبادىء غيره تقوده عصا الشقاق والجهالة ديدنه الدعاء الى التحزبات السياسية والانقسامات الدولية باثّاً الحقد والضغينة ولا عجب والحالة هذه اذا انقلبت المنفعة العامة الى منافع شخصية لوقوع تلك الرسالات في أيدى مَن هُم أحقّ بأن يدعوا الى التمدن من ان

يُدعوا اليه لانّ كلّ مبشر يدعو سامعيه الى مشاطرة مبادئه وقتل من لا يواطئه عليها والانضمام الى طاعة دولته وحمايتها فالكاثوليكى يدعو البَربرى الى الخضوع الى كرسى رومّية قاذفاً بحق البروتستاني حاكماً عليه بنار جهنم والبروتستاني يوسع ذاك سبّاً وشتيمةَ ناسباً اليه عبادة الاوثان والخرافات التقليدية وما شاكل من ضروب الامتهان والاحتقار وبعد ان كان الاثنان قد خرجا ونصب أعينهما الدعاء الى التمدن والدين باتا وجلّ ما يفعلان التَشاتم والتَلاكم مظهرَين ما أنطوى عليه لَبّاهما من نار الحقد لدى قوم كان من الواجب استلفاتهم الى ماهى حقيقة قواعد النصرانية وتمدّن اوروبا.

ها قد توالت الرسائل البرقية والانباء تباعاً من يوغنده في افريقيا تشير الى مواقع هائلة بين الكاثوليك والبروتستان هناك انجلت عن قتل كثيرين من الفريقين فهذا وعَمر الحقّ الطريق المودّى الى التمدن والسبيل الموصل اليه فماذا عسى يُرتأى فى حوادث مثل هذه كان للقوّات العسكرية والاهلين فيها يد عاملة وماذا يكون ياتُرى رأى اولئك البرابرة أنفسهم في رجال انتُدبوا الى الهداية فكانوا نموزجاً للضلال بل ماذا عسى يظنّ في قول الاسقف تكر البروتستانى عندما رجع من يوغنده في العام الماضي قصد جمع الاكتتابات المالية والقوات لطرد الكاثوليك من تلك النقطة منادياً بوجوب اخراجهم من تلك البلاد عَنوةً وقسراً.

علم اللّه اذا كانت هذه هي نتيجة المعارف التي وصل اليها رجال القرن التاسع عشر فيا حبّذا القرون السالفة الموسومة بالتوّحش وما أحلى تذكار حوادثها وما أحوجنا الى رُسُلٍ يدعوننا الى صدق السبيل ويقولون لذاك الاسقف الخطير انّ النصرانية والتمدن في غنىً عن مثل مبادئه وعن رجالٍ مثله دعاة الى الهدى لاوحرمة الحق ليست هذه هى الغاية التي تسعى وراءَها دول اوروبا لانهنّ في مثل هذه الحال بدلاً من اقامة حدود اللّه يَبثثَن روح الشقاق والقلق ومن الغريب انهنّ كلهنّ مظهرات غير ما ابطنّ ولو لا ذلك لما جَرت هذه الحوادث التي تكدر كأس الراحة وتعوث بمبادئ العمران وبينما نرى الحكومة البريطانية آخذة العدل والتمدن

والمساواة ديدناً لها في مستعمراتها كالهند ورأس الرجا الصالح ومصر حتى اصبحت نموذجاً يقُتدى به ومثالاً يجرى عليه يظهر ان ممثليها في قلب افريقيا يعمدون الى الجفوة والقسوة ومعاذالله ان تكون اعمالهم هذه مبّنية على ارادات ذوى الامر والنّهى فانهّم أرفع من أن يتنازلون الى مثل هذه المستهجنات ولنا في الاماكن التي امتدّت اليها ادارتهم اكبر برهان على مراعاتهم جانب العدل وبذلهم الوسع في توطيد الأمن مثبطين لاهلين الراحة والسلام وحيثما خفق علمهم بَشّر بالطمأنينة واستتاب الراحة.

ولا بدّ انّ ما جرى في يوغنده يكون ناتجاً عن مآرب شخصيّة لا علاقة لها بالدولة لان من العار عليهّن معاملة البَرابرة والمتوحّشين بالقسوة وأثارة نار الحرب والقتال بينهم كلّ ذلك في سبيل التمّدن المزعوم اذ التمدن والنصرانية في غنىً عن مثل هٰذا الاصلاح القائم بحدّ السيف واهراق الدماء.

النبلآء في الهند

كتب رجا الهند رسالة مؤداها البحث في الحال التي صاد اليها نبلاء الهند من ضيق ذات اليد تلقاء المصاريف الفادحة التي يقتضي على كل منهم صرفها في سبيل خدمه وحشمه وليس له سوى غلة ارضه يصرف من نتاجها وبعد ان كانت احياؤهم زاهرة بهم زاهية أصبح قسم منها ملكاً لارباب المصارف والمرابين وقسم آخر باق مثقلاً بالدَين رهينة امر الدائن كل ذلك نتيجة الجهل لان هولآء النبلاء أُميّون تناهي اليهم التقليد الابوي في انّ العلم انما هو غاية يسعى ومن ورآها ذوو الفاقة والحاجة ومن كانوا ادني منهم منزلة ولا يزال ارباب الدواوين وساسة الاحكام طمعاً بكسب المال وحرصاً على مراكزهم يهمسون في اذانهم احاديث التيه ويبثّون في قلوبهم نفثات الخيلاء وعنفوا ن الكبرياء قائلين لهم ان العلم يحطّ من قدرهم ويقلّل من منزلتهم الآ انّ هذه الاراجيف باتت ضعيفة القوّة لديهم عندما رأو رأى العين انّ في جهلهم يزداد أمرهم فساداً فأقاموا للعلم دوراً يتردد اليها أبناؤهم. ولمّا كان صبيانهم لا يزالون قاصرين عن القيام بمهام الادارة ومقتضيات

الاحكام والدَين قد اهلك اراضيهم واستنزف ثروتهم ارتأى الرجا اصلاحاً للحال وتلافياً للخطب عرض بعض شرائع لو أتبعت اتت بما يصلح شيئاً من الامر فقال بوجوب منع بيع اي عقار من عقارهم لوفاء دَين صاحبه وعدم السماح برهنه على مال ثم اذا شاء احد المالكين المديونين فيما لو كان غير قادر على ادارة عقاره انه يكل الى الحكومة في امره ووفاء دينه فعلى الحكومة ان تنظر في اجراء كل ما يؤول الى مساعدة ذاك المالك ثم تخطى الى الكلام عن الطرق التي تدعو الى استنزاف مال النبلاء قال: بينما المالك الانكليزي مثلاًيستدينالمال على ملكه ليحرث ارضه ويحسن حالها نرى الهندي يستدين المال على ارضه ليقوم بمصاريف عرس بناته ودفن موتاه وأقاتة الكهنة البرهميين ومجازبنات الهوي الراقصات ومجازاة ذوي الخزعبلات والملاعب وهلّم جرّاً فاذا أحجم عن البذخ والاسراف قال له مديرو اعماله وارباب ديوانه انه من العار التوقف عن بذل المال في سبيل الرفاهية اذ على هذه الامور وحدها يتوقف فخره ومجده.

اهل مشونه

هم قوم لا يزال التوحش الافريقي متسلطاً عليهم لتباعدهم عن عالم التمدن ورجالهم ونساؤهم كثيرو التيه مولعون بالتزيّن بما لديهم من أدوات الزينة والتأنق قيل ان الرجل اذا خرج الى زيارة بذل الجهد في سبيل التحسن فياخذ في فرك بدنه بنوع من الثمر يدعى جوز السعدان فلا يدع رقعة من بدنه الا ويدلكها به وكثيراً ما يستعين بجاره على الاطراف التي لاتصل اليها يده حتى يصبح براقاً لا معاً واذا اصاب قطعة من التنك ضمّ اطرافها الى بعضها ورققها بالتطريق وعلقها بجديلة شعره فتكون له من افضل الحلي واكثر ما يستعملون الخرز الاحمر لما بين الاحمر وسواد جلدهم من الملائمة اما نساؤهم فشديدات الولعَ بالرقص والخلاعة ولكل قبيلة او قرية طبل في مكان تجتمع اليه النساء فيأخذن بالدقّ والرقّص وفي اليد الواحدة ضرب من الفأس يهزّزنه ويترنّمن بالقصائد الحماسية ضاربات بطونهنّ واثداؤهنّ باليد الاخرى طبقاً لبعض النغم وهنّ في كرّ وفرّ واقبال وادبار الى ان

يغمى على واحدة منهنّ تعباً فيقفن عن الرقص حالتئذ.

الزواج في بكونلند

بكونلند مكان في افريقيا قال احد السائحين اليه اذا اراد شاب التزوّج من بنت ذهب الى بيت ابيها واخذ من الثيران ما يظنّه كافياً لسداد ثمن العروسة وكثيراً ما يضطر الى ابقاء ثور ام ثورين على مقربة من المكان لانّ الأب غالباً طمعاً بالكسب يطلب قيمة ما صرفه على ابنته في صباها كما وان تطالب بحق الامومَية امّا العروس فلا يقدر على بيع أمراته كما أشتراها بل هي متاع لا يتعامل به فاذا وقع طلاق رُجِعَ الى العريس قيمة ما دفع مَهراً أمّا الاولاد فيكونون حصّة ابوي الامْ فاذا اراد ابوهم تملكهم وَجب عليه مشتراهم.

حسن الرعاية

ان في بلد بامَنوطو شيخاً هو كبير قبيلته يحكم في الاهلين ولا مرّد لأُحكامه يدعو عموم القبيلة في كلّ يوم احد الى استماع الصلاة وهو يقوم بالاحتفال بها منتصبا بين شجرة العدل وقبة السماء وقد أقام الرقباء والارصاد يأتونه باسماء من لم يحضروا الصلاة فيقتص من المجرمين وحدث مرّة انّه قاصص فرقة من عسكره تبلغ المائتين عداً لهذه الذلّة وكان قصاصهم أن يحرثوا الارض للمصلحة العامة فلبوّا غير مستنكفين. وهو في كلّ يوم يركب فرسه ويتجوّل في الحقول زائراً الفعلة ومتفقداً الاهراء ناظراً في كل شي متحبّباً الى الجميع حاثّاً كلّ فرد من افراد رعيتّه على الجدّ والعمل كأنه الاب الشفوق على بنيه.

عرس الشياطين وقصر الجنّ

ان في الهند قوماً يدعون بالدرديين كثيرو الخرافات والعقائد يـروون عـن الشياطين قصصاً اقلها كاف لان يظهر الى ايّ حدّ تناهي البشر في التقاليد الوهمية اما الشيطان فلكي يكون مخيفاً وَجب ان تكون هيئته من اقبح ما يتصور للانسان يزعمون انه ذو عين واحدة مركزها في متوسط جبينه وهو عدو ابن الانسان روي عن احد هولاء الدرديين ـ ومن شاء صدّق ـ انهّ كان يصطاد في البرّيّة فاشتدّ عليه الحرّ ونفد منه الزاد فاصبح جائعاً عطشاناً يتجّول على غير هُدى فأخذ يتطلع الى كل النواحي ليرى شجرة يأكل ثمرها او عشبة يمضغها او مجرى ماء يروي أو امه حتى أعياه البحث وامسى عليه المساء فعالج النوم فأبت عيناه الاّ الأرق فشخص بباصرتيه الي الافق واذا بنار مشبوبة ففرح لها قلبه واطمأن بها خـاطره فـاطلق ساقيه للريح في طلبها حتى قاربها فاذا هو يسمع غناء وغوغاء ومن حـول النـار شبّاح قيام وقعود رواقص روافل فانخلع قلبه خوفاً واضطربت فرائه وهَـمّ عـلى التقهقر واذا بواحد من تلك الاشباح صوّب اليه اقدامه وكان ذاهباً في طلب الماء فلما قاربه سأله فيما اذا كان ابن انسان فلم يسع الصيّاد الّا الاقرار فآمنه الشبح وأو عز اليه ان يلحق به ففعل ولما اتمّ الشياطين فرحهم على وجه الارض اقتلع احدهم عشبة واذا بثقب ظهر مكانها فاخذ كل من الشياطين يضمّر نفسه ويضمّ اطرافه الى بعضها ويتضيق ويتصغّر الى أن مرّوا جميعهم مـن ذلك الثـقب فـتقدّم حـينئذ ذاك الشيطان الى رفيقه الصيّاد وأومأ اليه أن يتبعه ففعل مكرهاً واذا هو قد دخل غرفة

كبيرة مُدّ السماط فيها وفاحت رائحة الأطعمة فأجلسه الشيطان في مكان لا يُرى فيه وقدم له من الطعام ما كفاه وبينماهو يأكل بانت لأعينهامرأة وهي امّ العروسة ـ اذ كانت حفلة عرس لأحد الشياطين ـ وابنتها متكأة على صدرها باكية على فراقها وانتقالها من حجرها الى بيت زوجها الّا انّ الصّياد لم يكن ليسمح له بالبقاء فاخذه الشيطان بيده وأعاده الى وجه الارض من نفس الثقب الذي دخل منه وكان اثناء خروجه تطلع الى ما حواليه فوجد انّ جبته التي يلبسها في بيته وصحون مائدة وادوات طعامه وكثيراً من مقتنيات جيرانه قد اعدّت لمهام تلك الحفلة فانخلع قلبه حزناً على فقدان أثاث بيته وعندما قارب باب الثقب اعطاه الشيطان ثلاثة ارغفة زاداً للطريق فأكل اثنين منها وعندما وصل بيته قصّ على ابيه حكايته واخذت امّه الرغيف الثالث واودعته في هري المؤونة تبرّكاً به لان في زعم هولآء الجماعة ان الشياطين لا يؤذون احداً ما لم يعاملهم بسوء وتفقد الصياد ادوات بيته وسأل جيرانه عما اذا كانوا فقدوا شيئاً من اثاثهم فاذا كل شيء في مكانه وعلى ما ترك عليه.

وعلى مقربة من مقطن الدرديين جبل شاهق يقولون ان على قمّته قصراً من البلور تأوي اليه الجنّ لا يجسر احد على اقترابه زعموا انّ صيّاداً سوّلت له نفسه الذهاب الى ذاك القصر ليرى مافيه فأخذ يصعد الجبل درجة درجة ولا مانع يصدّه حتى وصل القصر فرأى باباً فرفسه ودخل واذا هو في غرفة فسيحة فيحآء من البلوّر تطلّع من خلالها فرفع له بستان فسيح فيه شجرة واحدة أغصانها من اللؤلؤ واوراقها من المرجان فخالجه شيطان الطمع ان يملأ جرابه منها فبعد ان ملأه تأهب للخروج واذا بطائفة من الافاعي انسابت في اثره فارتعد خوفاً واخذ يرميها باللآلئ ليردّها عنه وصار كلّما رمى لؤلؤة التقطها افعى وسار بها الى ان فرغ جرابه وبقيت أفعى تطارده وهو يجد السير من أمامها ولا لؤلؤة عنده حتى قارب بيته فرماها بالجراب واذا بلؤلؤة فَرَّت منه فتناولها الافعى ورجع الى قصرها امّا الصّياد فمرض مرضاً ذهب بحياته لان الجنّ لا تسمح لاحد بالوقوف على اسرارها.

وقيل ان جنيّة تعشّقت صيّاداً فكانا يجتمعان في كل يوم يتطارحان الغرام ويتباثان مكنونات الفؤاد فلمّا كان فصل الصيف طلبت اليه ان ينكفّ عن زيارتها مدّة سبعة ايّام هي ايّام يكثر حرّها فان خالف أمرها مات لا محالة فأجاب مطيعاً الّا انه في اليوم الرابع ثارت فيه نار الوجد ولم يكن لها مطيقاً فاخذ بندقيته وسار الى البرّية في طلب الصيد آملاً أن يرى موضوع حبّه وقاطنة لبه فلما تبطّن البر رأى قطيعاً من الوحش وشاهد حبيبته تحلب واحدة منها وتستلقي اللبن في قصعة من الفضّة الاّ ان الحلوبة اجفلت عندما رأته فرفست القصعة واندلق اللبن فاستشاطت الجنّية غيظاً والتفتت الى ماوراءها لترى ما بدا واذا بحبيبها أمامها فاستشاطت حنقاً وتميزّت غيظاً ودَعت عليه بالموت بعد أربعة ايّام وهكذا كان بلّل غيث الرحمة ثرى قتيل الغرام.

[انگريزي خط کا ترجمه]

اسلام پر حملۂ بیجا

بخدمت سامی مدیر جریدۂ ضیاء الخافقین

تو یوسف معنی را در چاهِ بُلا دیدی   او را بشهنشاهي در مصر کجا دیدی

مهربانم سلمه

مجهی امید قوی هی که آنمهربان براهِ عنایت وکرم اپنی گران بها جریدۂ کی صفحات مین اس کمترین کی مضمون کو جو عنوان مذکورۂ بالا پر مشتمل هي ـ جکهه عطا فرماکر ـ بنده کو ممنون فرما وینگی.

یون نظر آتا هی که اکثر انگریزي سیّاح جو ممالك مشرقیه مین کچهه دنون رهکر انگلستان واپس آتی هین بسا اوقات اپنی سیر وسیاحت کا نفع اٹهانا چاهتی هین ـ جو کچه اوپری اور سرسری نظر سی دیکها بهالا هی ـ اوسکی کاه کو کوه بناکر ـ یهان انگلستان مین ـ جهان لوگ حقیقت حال سی ناواقف ـ او نهین کی لائی هوئی خبرون پر بهروسا رکهتی هین ـ معلم الملکوتی کاذنکا بجاتی هین ـ خصوصاً جب اهل اسلام کی رسوم ورواج ـ عادات وخصائل طرز معاشرت ودیگر اندروني حالات پر لکچر دیتی هین تو پهر کیا پونهچنا هي ـ جو کچهه جی مین آتا هی اناپ شناپ هانکدیتی هین ـ اور جب اسلام کی بابت بیان کرتی هین ـ تو صرف وهم کی تراشی هوئی ایرادات ـ اور دل سی کهڑی هوئی اعتراضات کی بهر مار کردیتی هین ـ بهلا کوئی اون سی پونهچی که حضرت ـ آپ کتنی دنون ـ اورکس اسلامی خاندان مین قیام پذیر رهی ـ بهلا آپنی ـ قلی ـ نفر ـ اور اگوئی

راہ بتانی والی کی سواکس کی اندرونی وبیرونی نشست وبرخاست دیکھی؟ تو تمہین پھر کیا مجاز ھی کہ بدون دیکھی بہالی ـ آلّم غلّم ـ بکدو؟ بلبی ـ تیری افترا! کہ مسلمانون کایہہ اعتقاد ھي کہ محمد کا جنازہ آسمان وزمنی کہ در میان معلّق ھی! بلبی تیرا بہتان! کہ مسلمانون کی اعتقاد مین یہہ مسئلہ داخل ھي کہ عورتون کو روح یعنی نفس ناطقہ ھی نہین! ایسی اڑن چھو افواھون کا بُرا اثر انگلستان کی باشندون پر یہہ ھوتا ھی کہ وہ اھل اسلام کو قابل ترحم ـ بلکہ لایقِ نفرین ـ اور تہذیب کی دربار مین سزاوار صفّ نعال سمجھتی ھین ـ اور ان لوگون کی اڑائی ھوئي خبرون کوسند ٹھراکر ـ نا انصافانہ اھل اسلام کا خاکا اڑاتی ھین ـ چنانچہ لارڈ بائیرن - باوجود اتنی سیرو وسیاحت کی ـ کہتا ھی مسلمان اگر ھین نہین بیوقوف تو کیون روح کی زن مین قائل نہین ـ عجیب! بـاین ریش وفش! اس قابلیت پر یہہ جھالت زیبا نہین.

تواب ـ ریورنڈ ـ ای . جی . بیوان نی اسلام پر گریشیم کالج مین چار روز پی در پی ۹ ـ ۱۰ ـ ۱۱ اور ۱۲ فبروری گذشتہ کو لکچر دیتی ھوئی ـ جو جو غلطیان فاحش کین ـ کوئي انوکھی بات نہین! اوسکی تفصیل محض طول لاطائل ھی ـ مگر اونکی چند اعتراضات پیش کرنا خالی از منفعت نہین.

اعتراض اول ـ لونڈی ـ غلام بنانی کا رواج جو عالم مین موجود ھـی ـ اوسکی جوابد ھی فزان کی ذمی ھی.

کیا خوب! کانچ کی مکان مین رھکر دوسرون کو پتھر مارنا!

قرآن کی جوابدھی اوسی قسم کی ھی جو تورات کی جوابـدھی ھـی ـ نہین ـ نہین ـ اسلام نی تو اس وحشیانہ رواج کو ـ جو صدیون سی ملك عرب اور اوسکی نواح مین بدرجۂ کمال شائع تہا ـ اور اوسکا دفعةً استیصال کرنا ممکن ھی نہ تہا ـ عاقلانہ طور سی بصیغۂ امر واجب الاذعان کاتِبُوھم اِنْ عَلِمْتُم فِیھِم خَیْراً ـ یعنی اونہین آزاد کردو جب تم اونہین بھلی مانس اور اپنا کام آپ چلانی جیسا سمجھو ـ بیخ وبن سي برکندہ کردیا ـ اس آیت مین جو شرط ھی وہ امـر کـی

فرضیت کو کھٹا نہین سکتی ۔جیسا کہ فَلَیْسَ عَلَیْکُم جُنَاحٌ اَنْ تَقصرُوا مِنَ الصَّلوٰۃ اِنْ خِفتُم أنْ یَفْتِنَکُم الذِیْنَ کَفرُوا ۔یعنی اسمین کچھہ حرج نہین کہ تم چار رکعت کی عوض دوھی پڑ ھو ۔جب تمکو ڈر ھو کہ کافر ستاوینگی ۔اب نماز قصر بدون خوف بہی سفر مین روا ھی ۔مملوك کی سانہہ اچھار برتاؤ کرنا اسلام کابڑا تاکیدی حکم ھی ۔اس سی بہتر کیا برتاؤ ھو سکتا ھی ۔اِخْوَانکم خَولَکم ۔ جَعَلَهُم اللّٰه تَحتَ اَیْدیِکُم ۔فَمَن کَانَ اَخوَهُ تَحتَ یَدَیْهِ فَلْیَطعِمْه مِمَّا یَاکُل وَلیَلبسْه مِمَّا یَلبِس (بخاری) تمھاری غلام تمھاری بھائی ھین ۔تقدیری امر سی تمھاری قبضی مین آگئی ۔ھر مالك کو اپنی غلام کی ساتھہ بھائی کاسا برتاؤ چاھئی ۔اپنی کھانیسی اوسکو کھلاوی اور اپنی کپڑون سی اوسکی پھناوی ۔لونڈیون کو بی بی بنانی کی ترغیب قرآن مین موجود ھي ۔في، زَمَانِنا ۔غلامون کی خرید وفروخت اگر بلاد اسلام مین پائی جاوی تو اوسکا اسلام کاھی کو جوابدہ تہیرا ۔اندھا دھندہ کی دنون مین عیسائی لوگون نی بہی اسمین کوتاھی نہین کی ۔مریکا مین تو ابہی توڑی مدت کی قبل تمك اسکارواج تہا.

(۲) مسلمان اپنی بی بی کو محض اپنی خوشی کیلئی بلا سبب وبدون وجہ وجیہ طلاق دیسکتا ھی ۔ریورنڈ پادری کا یہہ کھنا ۔اونکی لا علمی محض مسائل اسلامیة سی ظاھر کرتا ھی ۔اِنَّ اَبْغَضَ الحَلاٰلِ عِنْدَ اللّٰهِ الطَّلاَق.یعنی خدا کو سب سی زیادہ ناپسندیدہ چیز ۔طلاق ھی مگر محض ضرورت کیلئی جائز رکھا گیاھی ۔جسنی اسلام کی دینی کتابین دیکھین ھین اس مسئلی مین وہ بجای اعتراض کی تعریف وتوصیف کئی بغیر نہین رھسکتا ۔جسٹس سید امیر علی ھائی کورٹ آف کلکتہ کی انگریزي تصانیف اسبار یمین نہایت عمدہ ھین ۔ انگلستان مین بہی ابہی ابہی اسبار یمین اصلاح شروع ھوئی ھی ۔عورتون کی حقوق اسلام مین جیسی ھین وہ شاید کوی دین مین نہین.

(۳) اسلام ایك سي زیادہ عورتین کرنا جائز رکھتا ھي. پادری صاحب کایہہ اعتراض بہی کوتاہ فھمی پر مبنی ھی قرآن مین ھي فَاِنْ خِفتُم اَن لاَ تَعدِلُوا

فَوَاحِدَةً ۔اگر تم انصاف سی اون کو برابر نرکهه سکو ۔ تو ایك هي کرو ۔ عدل حقیق کا پایا جانا من قبیل محال هی ۔است بنا پر زیاده عورتون کا کرنا بهی نا درست ثهرا ۔علم اصول کا مسئله هی که کنایه صراحت سی زیاده ابلغ هي.

(٤) مسلمان لوگ رمضان مین گودن کو کهاتی پیتی نهین ۔ مگررات کوتو طبق کی طبق صاف کرتی هین ۔اور ایسی کاری په جمتی هین جیسی بهوکا بنگالی ثوث پڑتا هی.

یهه بهی اونکی خام خیالی هی ۔مسلمانون کی هان هر چیز مین اعتدال کا بڑا خیال هی ۔بلکه روزه اسکا خود ثبوت هی که وه شکم بندی نهین ۔روزمرّه کی بول چال مین کها جاتا هی معده از طعام خالی دار تا درو نور معرفت بینی ۔ رمضان المبارك ایسا مهینه هی که اوسمین تو لچی لپنگی تك تائب ونکوکار هوجاتی هین چه جا که پرهیزکار لوگ ۔اونکا تو ایك ایك پل حسنات وعبادات وخیرات مین صرف هوتا هی ۔ بلکه احادیث سی بنت هي که کهانی پینی سی پرهیز کرینکا نام روزه نهین هی ۔بلکه صوم کی معنی ۔ هر قسم کی لغویات وسیئات سی اجتناب کرنا هی.

(٥) مسلمان لوگ شراب صرف سی هی باز رکهی گئی هین ۔مگر اونهین باقی اور نشی شیر مادر هین.

اس بارىمین تو پادری صاحب نی چمکتی سورج پر خاك ڈالنا چاها ۔اور اونکی جهالت کی قلعی کهل گئی ۔کیا خمرکی معنی ۔ما خَامَرَ العَقْلَ (عقل کو ڈهانکنی والی) نهین؟ ۔اور کیه کُلّ مُسْكِرٍ حَرَام کامسئله هر هر بچه تك کو معلوم نهین؟

(٦) اسلام علوم وفنون کی ترقی کا سنگ راه هی ۔اور فلسفه کو کفر ثهراتا هي.

یهه محض غلط هی ۔کیا اُطْلُبوا العِلْمَ وَلَوْ كَانَ بِالصِّين ۔مدرسی کی بچون کو معلوم نهین؟ ۔کیا بوس ورتهه اسمتهه في نهین کها ته جن دنون یو رپین لوگ

جهالت کی ظلمت اور تعصب کی دهندلکی مین پنهان تهی ان دنون صرف عرب لوگ هی پانسو برس تك عالم کو نور سی مشعل لیکر راهنمائي کرته رهـی ـ وه کونسا علم وفن هي که جسکی خازن یا موجد و مربی مسلمان لوگ نهین هي.

وه تاری جو تهی شرق مین لمعه افکن
یه تها اونکی کرنون سی تا غرب روشن
نوشتون سی هی جنکی ابتك مزّین
کتب خانهٔ پیرس وروم ولندن
بڑا غلغله جنکا تها کشورون مین
وه سوتی هین بغداد کی مقبرون مین

کیا اندلس سی اس نئی روشنی کی پو نهین پهوٹی جسنی تمام عالم کو آج چاندنا بنادیا! کیا قرطبه ـ غرناطه - بلنسیه ـ شبیلیه سی پهلی موج اس آزادگی کی نهین نکلی که جسنی آج باغ گیتی کو هرا کردیا؟

المختصر ـ جس شخص کو علم عربی سی بهره نهین ـ مسلمانون کی ساتهه معاشرت کا موقع نهین ملا ـ اور اونکی حالات سی کامل طور پر واقف نهین ـ اوسکو هرگز مناسب نهین که اسلام کی بابت کچهه رای دی ـ یا مسلمانون کـی اوپر حرف گیری کری ـ مین آپکا ته دل سی شکریه کرکی امید کرتا هون که آپ اسکو درج جریده فرماکر بنده کو زیربارِ منت کرینگی.

آپکا نیازمند
سید عبد الحلیم الموسوی

مراسلات ضياء الخافقين

ان لائحة السير أقلن برنغ في حالة مصر أتت بما يشف عن رضى الجمهور عنها فقد عربت ونشرت في جريدة المقطم المصرية ثم وزعت في شكل كراس أقبل كثيرون من الاهلين على قراءته فكان من ذلك دليل على انّ المصريين يودّون حقيقة الوقوف على ماهم عليه واليه سائرون ولما لم يكن لديهم من الموارد غير الجرائد الوطنية يفزعون الى اخبارها فكان السواد الاعظم منهم على غير هدى من امورهم لا يرون في تلك الجرائد غير اخبار متناقضة واكثرها ناهج منهج الاختلاق يأتي على نشر ما يلوح له من انه طعن في الانكليز غير مبال صدق ام كذب أضرّ بلاده أم نفعها كل ذلك حبًا بغايات شخصية ومنافع افرادية وربما كانوا هم المنتفعين بنوال بعض دريهمات ربّما نالوها ممن يطيب لهم اختلاق مثل هذه الاخبار وبئس من ضحى نفع بلاده في سبيل مصلحته الخاصة ولما رأوا انه ما من ينظر الى اقواهم ويردّ عليها ظنوا انهم صدقوا او كادوا وَصَدّقهم كثيرون من الاهلين متغافلين عن استطلاع الحقائق مرتضين بالظواهر فقالوا لهم انّ في عبوسة وجه الانكليز الدليل على احتقارهم للوطنيين وان جلّ مرادهم الاستيلاء على مصر واستنزاف ثروتها وامتهان ديانتها بل السعي في افنائها على ان الانكليزي اذا قطب وجهه فغايته حفظ كرامة نفسه ومن حفظ كرامة نفسه حفظ كرامة سواه ومن لم يوقّر نفسه لم يوقّر جيرانه واذا جدّ وراء الكسب فلانّ هذا واجب على كل انسان على انه قط ما عمل في سبيل افقار سواه حبًا بصالحه واما القول في انه يرغب في تهديم المذهب

الاسلامي فهذا محض اختلاق لاصدق فيه ويشهد به التوددّ الكائن بين انكلترة وجلالة السلطان خليفة رسول رب العالمين واكبر شاهد على عدم تدخل انگلترة في مسالة الاديان مسلموا الهند وماهم عليه من الامن والطمأنينة والمساعدة من لدن الانكليز.

ومن نظر الى حالة مصر الان وما كانت عليه من قبل رأى ما صارت اليه من الاصلاح بعد الاحتلال من سقاية الاراضي واصلاح شؤون الجند والمجالس والاحكام والتجارة وغير ذلك كثير على انّ الاهلين لا تزال من امانيهم اثنتان يقولون ما زلنا لا ننالهما فالحق بيّن ان انكلترة انما غايتها من احتلال مصر منفعتها الشخصيّة والّا فلماذا لا تبني دوراً للعلم وهي معوزة ليتلقى الاهلون فيها الفوائد ثم ولماذا لا يعهد بالمراتب ذات الاهمية الى قوم وطنيين يديرون شؤونها اليس لانّ انكلترة تخاف بالاولى تقدّمنا بالمعارف وبالثانية تملكنّا زمام الاعمال وادراتها حسبما تقتضيه المصلحة الوطنية فنجيب على هاتين المسألتين انّ الاولى ضرورية ولا شك ان السيراقلن بارنغ ناظر الى ذلك بعين الاهمية انما لا يمكن التوفق اليه فجأة اما الثانية فنقول انه كان من الواجب تقليد الامور الجليلة رجالاً وطنيين على ان الانكليز غير مسؤلين في ذلك بل المصريّون انفسهم مازال الكبار منهم لا ينظرون الى ذويهم ويرقون من كان اهلاً للترقية ولا يسع الانكليز فعل ذلك وهم اغراب عن البلاد لا يعرفون اي الاهلين احق بالوظائف وأولى.

❊ كتب الينا من فيّنا ان صدور مجلتنا ضياء الخافقين كان في حين انتظار جريدة تقوم بهذه الخطّة وقد قال المكاتب ان ما ذكر فيها من المقالات السياسية قد اهاج خواطر ارباب السياسة هناك وعجبوا بها ولا عجب فان اهل النمسا من اللائي ينظرون الى الحوادث السياسية من حيث هي وكثيرو التزلف الى المسائل الشرقية يودون سبرها لمعرفة غثها من سمينها ويرجون للشرق الحرية والفلاح فنتقبل شكر حضرة صاحب الرسالة عاقدين النيّة علي تتبع خطتنا التي اختططناها من البحث في صحة الحوادث ونشرها وابداء ما نعرفه نافعاً للشرق غير مراعين مصلحة خاصة.

* كثرت مظنات الجرائد وتنوّعت افكارها في تاخر الفرمان السلطاني الآذن بتسمية صاحب السمو عبّاس باشا خديوياً على مصر على انه صدر بعد تلك الفترة وقطعت جهينة قول كل خطيب امّا ما دعا الى تلك العقبة فلم يكن ناتجاً الاّ عمّا يبيّن لارباب السياسة من وراء حجاب الغيب والظنون من الاوهام والتخيّلات التي يعدّونها ممكنة بل قريبة الوقوع وان لم يكن شيء من ذلك ولا شك ان ما دعا جلالة السلطان الى التردد كان امّا من هذا القبيل او صدر عن مشورة بعض ذوي الاراء العوجآء على ان العهد بجلالته انه ذو أُذن لا تصغى الا الى ما كان منه نفع للبلاد والعباد ودليل ذلك ترقى البلاد العثمانية في زمن خلافته الى درجة لم تكن فيها من قبل مع ما يلوح من المصاعب التي هي عقبة في وجه الفلاح.

* ذكرنا في العدد الاول من المجلة تشكيكنا في صدق ما ينسب الى الاتراك من الظلم والقساوة في حق الارمن ونزيد القراء الان ان كل ما ذكر من هذا القبيل انما كان اختلاقاً وان تكن الجرائد التي ذكرته استندت في ما كتبت الى قول مكاتبين ادعوا انّهم شهدوا كلّ ذلك باعينهم فيا للّه من ذوي الكذب الذيْن باخبارهم هذه يفرّقون بين المسيحيين والمسلمين وربّما أدّت الامور الى وقوع مثل هذه الحوادث على ممّر الايام على الضغنآء وتمكن ذات البين.

* كثيراً ما اشير الى ان الحوادث الاجنبية عموماً وما يتلعق منها بالشرق خصوصاً لما قد اغمض الانكليزي عنه عين الحث مع ما هي عليه من الاهمية ولا غرو اذا كانت المسائل الداخلية هي التي شغل بها قلبه وامدت اليها ابحاثه فهي حيثما انقلب نصب عينيه وكيفما توجه عثر بها او بنتائجها الا انه من اكبر العار على الامة اذا أغضي عن الاحوال الخارجية وحجب مجراها عن قوم لاسبيل لهم الى معرفتها الا اذا لقنوها ممن يدأبون في ادارتها ويبحثون في دورانها.

* ولما كانت بريطانيا من الدول الفاتحة التي امتدت صولتها واحكامها الى اكناف المعمورة كان من الواجب اعطاء هذا المقام حقه وايقاف كل من يهمه معرفة ذلك على ما يتعلق به من الامور والخطوب. اما السبب في تغافل عامة الامة عن

الحوادث الاجنبية فليس بناتج عن جهل منهم او عدم ميل الى استطلاع اخبار تلك الديار التي ناخت لهم وآختهم بل هو تيجة سكوت لزمه ذوو الامر والشأن في هكذا امور مؤثرين الوقوف في المنابر والتشدق بالاراء التي لا طائل تحتها ولا منفعة وراءها فيما لو قوبلت بالصالح الناجم عن المسائل الخارجية التي قلما يذكرها ذاكر وما ذكر منها كان نزرا قليلاً وغايته مخصوصة في اماكن ليست من الاهمية الا على الثانوي منها.

فهل ياتري في هذه الحال ما يكتفي به والشؤون في كل يوم تختلف حسبما تقتضيه الاحوال الحاكمة فَهَلاّ من واجبات كلّ وطني ان ينظر في هذه الامور ما دامت الملايين من الذهب تصرف في كل عام على الجنود البرية والبحرية والنواب الذين يمثلون الدولة في اطباق المستعمرات وكلّ منا شريك مساهم في دفع هذه الاموال الغزيرة انّهُ وحرمة الحق لمن اكبر الواجبات ان ننظر الى هذه الحوادث بعين الناقد البصير غير مكتفين بما ينقله البرق من يوم الى آخر من الحوادث العاجلة بل يقتضي البحث في مبادئ تلك الحوادث وكيف صارت الى ماهي عليه والى ماذا يؤول امرها.

*ها بلاد فارس قد اضطربت اضطراباً لا مزيد عليه قام علماؤها على سلطانها واوقدت نار الحقد على الحكومة وانتصب دعاة الدين فيها يطالبون بحقوقهم ونحن هنا لم ننظر الى هذا الامور الاّ بعين التغاضي وقد شغلنا بحوادث خير منها عدم سماعها واغفالها ولا يظن رجال سياستنا ان مسألة العجم ليست ذات شأن فانّ في نقض معاهدة التنباك خسارة على المساهمين في شركته وفي حلّ المعاهدة حلّ عروة من العرى المثبطة صولة انكلترة في الشرق كلّ يعلم انّ ظاهر هذه المسألة هو دخول شاه العجم في معاهدة مؤدّاها حصر تجارة التنبک في ايدي شركة محتكرة فخالف ذلك رجال الدين في بلاده والجأوه بالتهويل والتهديد الى نقض تلك المعاهدة ولا يخفى ما في باطن هذه العملة من غلّ يد الاجانب وتقهقر صوالحهم فهلّا يا ترى عرف رجال الحكومة قبل الدخول في هذه المعاهدة ما ينجم عنها وهي لم تكن

سرية ولم يكن اساسها الرّشوة بل كان للسياسة فيها يَد قوية ومن المعلوم ما لروسيا من الاغراض في بلاد فارس وكلّها أُعين شاخصة ساعية وراء واسطة للدخول في تلك البلاد وعندما تبيّن لها ان الشاه في حاجة الى الدراهم عرضت عليه قرضاً تمدّه به فتدخلت حينئذ انكلترة ووعدته بسدّ احتياجه داعية اياه الى التنحي عن روسيا على انه لم يكن من الواجب التغافل الى حد وقوع الخلل لان قطع سبب العلة خير من مداواتها وان ثبَت شفاؤها وها قد اصبح الشرق ينظر الينا شذرا وكلّ يوّد الوقوف علي ما يكون من حركاتنا هناك ومن الواجب التيّقن انّه كلّما قويت شوكة سفير انكلترة لدى جلالة الشاه تمكنّت شوكتنا في الهند وتوطدّت دعائمها وفيما مضى اكبر دليل واصدق رشيد.

* لا يمضي عام الاّ ونسمع بمُؤَلَف جديد لأحد السيّاح يقص فيه ما عرض له وما وقع تحت نظره اثناء مروره في البلاد التي صوّب اليها اقدامه وقد تقرر لدى كل فرد من افراد السياح تقريباً انه كلما كثرت في كتابة الاخبار الغريبة والادعاءات الكبرى وما اشبه ذلك من ضروب الخوارق كثر اقبال القوم على كتابه ونتج له نفاق في سوق البيع غير مبال بما ينتج ثمة من الاضرار في حق الروايات صدق فيها ام لم يصدق ومن الغريب في هذه الكتب توقد قرائح كاتبيها وسرعتهم الى الحكم في ما يرون والقضاء في كل ما يعن لهم معالجته والبحث فيه.

نقول ذلک ولدينا كتاب حديث وضعه المستركرزن احد رجال الحكومة الانكليزية في الهند جاء فيه على الكلام في بلاد العجم والاعجام وخاض في البحث في الامور التي هي مدار الشقاق والمصاعب الحالية واتى على وصف بلاد فارس وما شهد فيها من الانهار والجنائن والمدائن وذكر عوائد القوم واميالهم وطبائعهم كل ذلك بقلم لا يعرف كللاً يخيل للقاري لاول وهلة انه تناهي في الاجادة والوصف الا انّ من وقف على اعتراف تكاتب بجهله اللغّة الفارسّية وان مدّة أُقامته في تلك البلاد لم تتجاوز ستة اشهر لابد ان يخالجه شيطان التشكيك في صدق جوابة ولا غرو فكثرة التناقض في كتابه برهان ضعفه في ارائه لان من كانت هذه ذخرته من العلم لم

يأمن العثار ومما يُرى انه استند في كثير من رواياته ـوهي عادة اكثر السَيّاح ـالى ما تناقلته الالسن او ذكره من سبقه من ذوي التجوال او عَنّ له عفواً اثناء سيل القريحة وفيض الجوارح بالانفعالات الصادرة عن رؤى جنّات فارس وانهارها.

خلاصة تاريخ القرن التاسع عشر

(تابع ما قبله وجه ٥٦)

١٨٠٤ ــ ١٨٠٦

وكان منتهى عام ١٨٠٣ على انكلترة زمن اضطراب وقلق اذ كان اتصد باهلها خبر حشد الجنود الفرنسية في بولونيا غاية غزو انكلترة فاعملوا الفكرة في درء الشر ورفع البلاءِ ودام الحال مدة عامين متواليين الى ان اصاب العمارة الفرنسية ما شتّت قوتها وفرّق مجتمعها فرأى حينئذ نابوليون قصوره عن نيل مراده فوجه ابصاره الى غير غزوات هي خير لهُ وافيد لمطامعه وفي بحر السنة ١٨٠٤ توجهت انظار الانكليز الى اهلاك الاسطول الفرنسي الذي كان وقتئذ في بولونيا فانبتت لهم فكرتهم بعد بحث وجدال طويلين استعمال تلك الآلة الخرابة وهي مبدأ التوربيل المشهور مبنيّة على شكل قارب طولها عشرون قدماً وحشوها البارود معزّزة بالكلاليب من جهاتها حتى اذا قاربت مركباً علقّت به الكلاليب وانفجرت القنابل تشقه وتدّكه دَكاً وسار الاسطول الانكليزي في بدء شهر تشرين الاول في جملة من هذه القذافات وعددٍ من السُفن كبير معقود لواؤه اللورد كيث فلمّا قارب الاسطول الفرنسي تمازحت السفن بالسفن ولجأ الانكليز الى ما أُعدّوه من آلات التخريب الا انها لم تأت بالرغوب بل ذهبت ادراج الريح مشتّتة الشَمل فكان ذلك موجبة لكف انكلترة عن مصادمة فرنسا حينئذ وبقيت العمّارة الفرنسية مقيمة في بولونيا الى ان عقد نابوليون النيَّة على منازلة النمسا والروسية فتفرق شمل تلك السفن حالتئذ.

وكانت اسبانيا ابّان ذاك الوقت لا تبدي حراكاً حتّى سوّلت لها النفس مواخاة فرنسا ضد انكلترة فأخذت تمدّها بالدرهم وسيّرت قسماً مب سفنها الى مياه فرول لتستقبل الاموال الواردة للفرنسيين من اميركا فتدافع عنها فاجاش ذلك غضب انكلترة وشيعت للحال اسطولاً مؤلفاً من سبعه وعشرين مركباً معقودة اللواء للبطل نِلَسُن وضرب عمارتي فرنسا واسبانيا وكانتا ملفتين من اربعين سفينة فهدّم اكثرها وربح موقعة ترافلغار الاّ انه اصيب برصاصة فسقط قتيلاً والنصر والظفر يحفان به وكانت عاقبة هذه لنازلة مودّية الى انكفاف نابوليون عن غزو انكلترة اذ فقد قسماً كبيراً من سُفنه وهكذا اصحجت انكلترة ذات شوكة ومنزلة في عيني من دانت له رقاب الغرب قاطبة واهتزّ لصولته العالم اجمع.

وفي تلك السنة وقع شقاق ونزاع في داخلية انكلترة السياسيّةاذمات كبير ساستها حينئذ ولما استقرت الرئاسة بالسياسي پت اسْتُشِفّ من خلال اعماله قوة وعزم ودراية في مهام السياسة وخصوصاً في المسألة الهندية وضمّ ارلندة وانكلترة معا ضماً نهائياً وكان معظم غايته الاصلاح في مجلس الامّة وإبطال النخاسة (تجارة الرقيق) مراعياً في كل ذلك جانب الاعتدال.

وفي عام ١٨٠٦ وقع النزاع بين الولايات المتحدة وانكلترة بدعوى انّ تلك تعدّت الشرائط المبرَمة بأرسالها سفنها الى شواطيء الدول المعادية انكلترة فاقامت هذه الارصاد واخذت تقبض على كل بحري انكليزي في مركب اميركاني وزادت بان أخذت تفتّش كلّ مركب معاملة ايّاه معاملة عدوّ لها فاحنق ذلك الولايات المتّحدة ووقع النزاع بين الدولتين فَوُلِّجَ بعد الشحناء مندوبون من قبل الطرفين لقطع النزاع وحسم الشقاق فبعد اتفاق المندوبين معاً أبت الولايات المتحدة الخضوع لما قرّ الرأى عليه وظلّ الخرق غير ملتئم بين الدولتين وفي نفس السّنة استولت انكلترة عنوةً على رأس الرجا الصالح وبيانوزيرس فَسُر الانجليز لذلك الاّ انّه ما طال الامر حتى أقهرت انكلتره على ترك هذين المحلين ومما تخلق بالذكر ايضاً منازلة الانكليز الفرنسيين في كلبرة بناءً على رجاء ملكة نابلس وتبديل شملهم مع صغر قوة الانكليز وقلة عددهم لقاء عدد هولاء.

وكان نابوليون اذ ذاك يزداد قوّة ومجداً فسوّلت لهُ نفسه الخروج من حيّز الجمهورّية الى ما هو أعلى مركزاً ومقاماً وواطأهُ على ذلك رجال حزبه الاّ انّه لم يكن موقنا بالنجاح فتجسّس الامر بأشاعة بغيته فلما لقي أن لامعارض له وانّ كثيرين غايتهم من الدنيا رضاه عمد الى انفاذ امنيّته وبدأ باخفاض جناح من خاف معاكستهم له فأمر بشنق الدوك دنكيان (١٥ آذار ١٨٠٤) لانه كان ذا صولة ومقام نسبي ونودي بنابوليون بعدئذ امبراطوراً وقد توّجه بيوس السابع في كنيسة نوتردام في ثاني كانون الاول لذاك العام وصوّت القوم يدعو له بالظفر وطول البقآء.

وغزا نابوليون هانوفر بعد رضائه في الاغضاء عن معاهدة اميان ففتحها وتنازل عنها بعدئذ الى بروسيا ولمّا كان ذافطنة متوقدة وعلم في دروب السياسة غريب رأى انّه لابد له يوماً ما من مقابلة دول اوروبا الثلاث فأعمل الفكرة فانتجت له مراضاة بروسيا حتي يتمّة له فتح النمسا وأخذ يملّق روسية ويعيدها بالحسنى ليخفظها بعيدة الى ان يتسّنى له منازلتها بالجنود التي يحصل عليها بعد قهر اعدائه وهكذا وفق بين مقاطعات الرين حتى أفرد النمسا وحيدة وبعد طويل نزال الجاء امبراطورها بعد علّو منزلته الى ان يحصر لقبه بالامبراطور النمساوي لاغير (١٨٠٥) وكانت ابصار نابوليون لا تزال متجهة الى غزو انكلترة فينما كان يدير مهماته في بولونيا تحركت الحمّية في اوستريا لثأر وقامت للحرب وكانت الروسية قد هاجت بها عامله الحسد من قوته وعلّو منزلته فاتفقّت الدولتان على سحقه فلمّا اتصل به الخبر علم انّ خير الامر عاجله فعبر نهر الرين وجمع اليه الجنود واندفع الجنرال ناي اكبر قوّاده حينئذ لمنازلة النمساويين فقهرهم وكان في مقدمتهم القائد ماك مرأساً على ٢٣ الفاً فألجئوا الى التسليم والخضوع لنابوليون (٢٠ ت ١ـ١٨٠٥) وظل نابوليون يعمل في النمساويين الى ان اهلك رجالهم وسحق قوّتهم ودوّخ مدنهم وبعد كسبه موقعة اوسترلتز ونهاء الامر نودي بالسلام وحصلت حينئذ معاهدة برسبرج فسنّ فيها من الشرائط على النمسا ماشاء فكانت من أثقل الاحمال عليها ودامت جنوده مثابرة في الظفر الى ان استولى على ارمستاد (١٤ ت ١) وبعد مضي

ثلاثة عشر يوماً دخل برلين فلم يرض بابرام الصلح الاّ على أُظلم نمط فالتجأ ملك بروسيا الى الفرار ومثابرة الحرب.

وبعد اخلاء الفرنسيين مصر وَكلّ أمرها الى محمد خسروق باشا وقد اضطّر هذا الى الهرب بعد تخلّي الانكليز عنه بتالي هيجان وقع في الجنود لتأخر رواتبها فانقسم اهل البلاد شطرين وقامت بينهم القيامة الى أن تولى منصب الادارة محمد علي وهو ارنئوطي الاتمل سنأتي على ذكر قسم من سيرته مفصلاً ان شاء اللّه. وقد نُودي به باشا عام ١٨٠٦ بعد اَن لقي من المماليك شديه العناء والمقاومة الاّ انه قهرهم رغماً عن مساعرة انكلترة لهم وبقي زمام الادارة في يده بحوا لى اربعين سنة وقد تولّى منصبه من بعده رجال أسرته ولا يزالون المالكين الى ايآمنا هذه.

ومما يخلق بالذكر من حوادث ١٨٠٥ قيام الاميركان لكبح جماح القرصان الايطاليين الذين كانوا قد عاثّوا في مياه البحر المتوّسط فقهروهم واقتفي اثرهم في هذه الخطة الحسنة رجال اوروبا فقطعوا دابرهم وصفا البحر للعابرين فيه ذهاباً واياباً في اَمن وطمأنينة.

وفي خلال المدّة التي كرّت بين ١٨٠٢ و ١٨٠٦ استولت الروسية على قسم من اراضي فارس وساعد اسطولها مصطفى خان على دفع الجنود العثمانية عنه ودخل جنود الروسية أنـزلي متقدمين الى الرشت فدفعهم عنها قوم من غيلان وكانت اعمال انكلترة سائرة على قدم النجاح في الهند بعد انقضاء موقعة مهراتا الاّ انّ هَلكار احد أمراء تلك المحلّة طربت نفسه الى الهيجان فنازل جيوش الانكليز فرأت منه قوة وبأساً وبينما كان متقهقراً على عقبه خاسئاً انضمّ اليه احد الكبار في طريقه وقاوموا صدمات الجنود الانكليزية اشدّ مقاومة الى ان رأى حليفه ان لا خير في الوثق به فسلّم لانكلترة متطوعاً وما فتئ هلكار يخاصمهم الى أن عقد بينهم وبينه الصلح في ٢٣ تشرين اول ١٨٠٥ بعد ان تنازلوا له عن قسم من الأراضى التي كانوا قد افتتحوها.

(ستأتي البقية)

كتاب تذكار العالم الأسلامي

شموس الحقايق تُشرق على النفوس كافّة ولا تحاكيها الاّ القرائح الصافية عن اكدار الأهواء انّ العلاّمة (ميسمر) ذاك الموحّد الكامل قد الّف في معالم الديانة الاسلامية وشعائر الشريعة المحمدّية كتاباً جليلاً بيّن فيه بفصيح عباراته وبليغ معانيه حكماً بالغة تبهر بصائر أرباب الوجدان. و تبتهج بها قلوب ذوي العرفان. و يذعن الجاحد بسمّو مقامها و حُسن نظامها قسراً عمّا فُطرت عليه من الجحود و النكران. و أسهبت الجرائد في الثناء عليه بما يليق به و يحقّ له. و كانت الجرائد الاسلامية اولى بهذا وأحرى. لانّ هذا الموحّد الكامل هو الذي قام وحده أمام الأمم الافرنجية منذ عهد قديم و هو يدافع عن الديانة الاسلامية بحجج قويمه. و يعرض محاسنها الفائقة و حكمها البالغة على فلاسفة الغرب ببيانات شافيه ـ (مسامرات الاستانة على ما اقوله برهان قاطع. و تذكار العالم الاسلامي لدفع ظلمات الشبه نور ساطع) و لاريب انّ آية الايمان وسياج القرآن خليفة عصرنا الاعظم سيشكر هذا الفاضل قياماًبواجب الحق و قضاءاً لفريضة الدفاع عن الاسلام و أهله جميعاً. و شكره على الله تعالى.

جمال الدين الحسيني الأفغاني.

سياحت اصمعى

بوبر سياحتنامه در هم ده انكلتره يه وانكليز اخلاق وعاداتنه دائر تركچه يكى بر سياحتنامه در. اسكى عثمانليلر سياحت ايدرلردى. لكن بر مانوفاتوره دنكى كبى سياحت ايدرلردي. يعنى كورد يكى شيلرى وكزديكى يرلري عود تلرنده وطند اشلرينه بيلدره صزلردى. يكى عثمانليرا ايسه بالعكس سياحتلريني كتاب صورتنده نشر ايدوب وطنداشلرينى هر شيدن خبردار ايديورلر. ايشته بو جمله دن اوله رق بوكچن صوك بهارده عثمانلي ادباسندن ومصر حكومتي مأمولرندن «اصمعى» افندى سياحت ايچون انكتره يه كلمشيدي. حتى «برايتون» شهرينه كلد يكى قت بزى دخى زيارت ايلمشيدى. بو ذات محترم بو كره قاهره يه عودتنده حكمل بر انكلتره سياحتنامه يى نشرينه باشلا مش. حتى برنجى جزئنى دخى هدية طرفه كوندر مشدر. مطالعه ايلدم. طرز تحريري پك ساده وپك عاليدر. عالم مدنيته خدمت ايچون بو كبى قلم صاحبى يكى عثمانليلرك چوغا لمسنى مدنيت نامنه ايسترم كه: انسانلغه دخى خدمت ايدرلر. چارلس ولس

الحقّ المرّ

«تابع ما قبله»

فاذا اجابت الانجليز اليوم من يطلب منها الجلأ وخرجت بعساكرها فما الذي أعددناه لانفسنا لنحفظ به هذه الحرّية التي نلناها والتي لا تنطبق صفة الانسانية على الانسان الا بها. هل تحفظها لنا ايدي الذيّن ضرب على أيديهم حتى قبلوها. هل تحفظها لنا ايدي الخمسة آلاف عسكرى الذين ينقصون من الجيش المصري الآن حتى يبلغ العدد المقرّر في الفرمانات. هل يحفظها لنا انشأ المراكب المزخرفة او تصليحها متابعة للسرف والتبذير او انشأ المراكب الحربّية خلافا للفرمانات. كلاّ. هل تحفظ لنا ذلك يد الحاكم واننا نعلم ان ليس من خاصية الحاكم ان يحفظ الحرّية للأهالي ويقوردهم اليها وانما غاية ما يرجى من الحاكم العادل المهذب ان لا يعاكس ولا يعارض في نوال الحرية وربما ساعد عليها. وقد انعمت المقادير علينا والحمد للّه بحاكم هو مثال في التهذيب والفضائل الطاهر الذيل نقي اليد من ملك الشوائب. وهذا وان كان يساعد كثيرا على نوال الحرية لكنه لا يكفي لحفظها الى آخر الابد وحفظ الشيء أصعب من نواله. فلم يَبق الا طريق واحد وهو ان يحفظ المصريون حريّتهم بأيديهم كما فعلته الأمم الغربّية وَشرحناه ويشترط لذلك تعميم التهذيب والتعليم وانتشار المبادى الشريفة وحصول الاتحاد والاتفاق بين الافراد وائتلاف القلوب وارتباط النفوس بعد طرح الحسد والشقاق واسباب البغض والتنافر وهذا الشرط بأجمعه مفقود فينا او هو ضعيف لا يُعتّد به ولا يُعتمد عليه

الآن. فالواجب اذن على النبهاء والمحررين من المصريين أن لا يلتفتوا الى غير هذا الطريق وان يصرفوا همتهم نحو بلوغ هذا المقصد بنشر المقالات الداعية الى الاتحاد والتالف وان ينبهوا افكار المصريين بكلّ الوسائل الى هذه اللذة الجليلة ويذكروهم كيف انّ طائفة قليلة العدد من بينهم تيسّر لها ان تسودهم مدة من الزمن وتتقدم عليهم وتدير شؤنهم ببركة اتحادها وعدم تنافرها فكان المصريون متيقظين لحسدها نائمين عن بلوغ مرتبتها وسلوك الطريق التي اوصلتها لذلك مع انّ افرادها ليسوا باكثر استعداد منّا ولا أرقى درجة فيالتهذيبمن عموم المصريين.

والاّ فمادام المصريون غافلين عن سلوك هذا الطريق الذي يحفظ لهم حرّيتهم ويضمن لهم دوام الترّقي في نظام الهيئة الاجتماعية فليس من مصلحتهم اليوم ان تنجلي العساكر الانجليزية وهم بهذه الحالة ليعودوا فريسة لمثل الاحوال الماضية.

وصراخهم اليوم لطلب الجلاً لا يفيدهم شيئاً البتة لأن امر الجلاً معلّق على مجرى السياسة العمومية وسياسة الدولة العليّة صاحبة الشأن مع الدول وليس ذلك بأيدي المصرّيين ولا يؤثر كلامهم وطعنهم في الانجليز بشيء سوى وقوع النفرة والبغضاء بين الفريقين على غير طائل. بَل اللازم في هذه الحالة ان ننتظر الحوادث ونلتفت الى اتمام الاصلاح بارشاد الانجليز الى طرقه باللين والرفق ومعاونتم عليه. اما اذا كان المقصود من هذا الصياح رفع الانجليز عما يتوجسه المصريون من دوام احتلالهم لهذه البلاد فهذا ليس بدافع لهم ايضا ولا مؤثر فيهم. وانما الدواء الوحيد لدينا في كلتا الحالتين ان نكون يداً واحدةً متحدّين متعاونين في كل امورنا نابذين لسفاسف الامور التي يتولد منها الحقد والحسد فاذا تمّ لنا هذا كان ذلك في يدنا سلاحاً نحفظ به حرّيتنا ان خرجت الانجليز وندفع به اطماعها واغراضها ونكون سدّاً امامها ان حاولت غير ما تجاهربه وابطنت خلاف ما تظهره ورامت الاستيلاً على هذه البلاد. هذا هو الذي ينبغى علينا الالتفاتاليهوالنظر نحوه لا انّنا نحوّل جميع أنظارنا نحو حركات الدول التي ليس في يدنا من أمر هاشيء. امّاما يتفوه به بعض الناس من انّ الذي يحفظ مالدينا من الحرّية بعد خروج الانجليز هو أن تصير مصر

مثل دولة البلجيك تحت رعاية الدولة فانّه أُمر يفوق معلوماتنا ونلتمس منهم ان يبيّنوا لنا كيفيّة حصول ذلك بالتفصيل حتى نقتنع وننضم الى رأيهم.

بقي ما نشكوه من تقصير الانجليز في الاصلاح وهو اغفالها واهمالها للرقّية المستعدين منّا المقيمين في الزوايا واغضاؤها عن تعميم المعارف. اما الامر الاول فليس عليهم فيه كبير لوم لانه تقدم ان القوم غرباً بيننا لا يعرفون اشخاصنا واستعدادنا وهم محتاجون للارشاد في ذلك ولم يرشدهم احد اليه ولم يَقدّم لهم كشفا ببيان المستعدّين منا وليس في قدرتهم ان يستعرضوا الأُمة المصرّية فردا فردا ويمتحنوهم او يسألوهم عن المستعدين فيهم. ولو حصل ذلك ما اتفق اثنان منا على واحد لما بيننا من التباغض والتحاسد.

[محمد]

اعتذار

نعتذر الى حضرات المشتركين والقرّاء الكرام عن تأخير اصدار المجلة في حينها اضطراريّة لم يكن في اليد دفعها فانعهده من كرم اخلاقهم وما أتينا على نشره من المواد الجزيلة الفائدة كل ذلك يشفع لنا لديهم اما الأجل المضروب لصدور الجريدة من ادارة الطبع فهو الخامس عشر من كل شهر تباعاً.

اعلان

محل كيلبرت وريفنكتن ـ ليمتد

سينت جونس هاوس كليركنويل ـ لندن

انّنا نعلن لحضرة قرآء جريدة ضياء الخافقين باننا نطبع كلّ ما يُراد من الكتب والاوراق في اللغآت الشرقية وفي كل لغة في العالم. واننا نجلب ونرسل الى ايّ من شآء حروف مُصَّبَة عربّية وفارسّية وهندّية وغير لغات شرقيّة وكافّة ما يلزم من الآت الطبع وغيره.

واننا نطبع في محلّنا طبع حَجَر وطبع نَقر ونُجلّد الكتب وغيرها في كلّ الانواع ونقوم بما يلزم في كافة امور الطبع وما أشبه ذلك.

وانَ محلنا من المتشارطيّ مع سكك الحديد في كل اللوازم من هذا الباب.

والاسعار متهاورة ـ فكلّ من يرغب أن يشرّفنا بأوامره نبذل جهدنا لارضائه.

ورامت الاستيلآء على هذه البلاد . هذا هو الذى ينبغى علينا الالتفات اليه والنظر نحوه لا اننا نحول جميع انظارنا نحو حركات الدول التى ليس فى يدنا من امرها شيء . اما ما يتفوه به بعض الناس من ان الذى يحفظ ماديننا من الحرية بعد خروج الانجليز هو ان تصير مصر مثل دولة البلجيك تحت رعاية الدول فانه امر يفوق معلوماتنا ونلتمس منهم ان يبينوا لنا كيفية حصول ذلك بالتفصيل حتى نقتنع وننضم الى رايهم *

بقي ما نشكوه من تقصير الانجليز فى الاصلاح وهو اغفا لها واهمالها لترقية المستعدين منا المقيمين فى الزوايا واغضا وها عن تعميم المعارف . اما الامر الاول فليس عليهم فيه كبير لوم لانه تقدم ان القوم غرباً بيننا لا يعرفون اشخاصنا واستعدادنا وهم محتاجون للارشاد فى ذلك ولم يرشدهم احد اليه ولم يقدم لهم كشفا ببيان المستعدين منا وليس فى قدرتهم ان يستعرضوا الامة المصرية فردا فردا ويمتحنوهم او يسألوهم عن المستعدين فيهم . ولو حصل ذلك ما اتفق اثنان منا على واحد لما بيننا من التباغض والتحاسد .

[محمد]



اعــتـذار

نعتذر الى حضرات المشتركين والقراء الكرام عن تاخير اصدار الصحيفة في حينها لدواعي اضطرارية لم يكن في اليد دفعها فنا لنفيدة من كرم اخلاقهم وما اتينا على نشره من المواد الجزيلة الفائدة كل ذلك يشفع لنا لديهم اما الأجل المضروب لصدور الجريدة من ادارة الطبع فهو الخامس عشر من كل شهر تباعاً *





آخر صفحه لآخر عدد من المجلة

الفهارس

الآيات

الاعلام، الاماكن



فهرس الايات

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن





واکنش ناصرالدین شاه در قبال نشر «ضیاءالخافقین»

«جناب اشرف امین السلطان
...ماشیخ جمال الدین راکه یکی ازشریرترین مردمان روی زمین است ودر ایران تولید اخلال ومزاحمت هایی می نمود، تبعیدکردیم ...اوبه لندن رفت وبه وسیله انتشار روزنامه به عربی: ضیاءالخافقین. شروع به تحریکات نموده وعلماومردم ایران راتشویق به اخلال وشورش نموده وحتی نسبت به شخص ماحمله نموده است.
... طبق قانون هرمملکتی چنین شخصی که مستقیماً به مقام سلطنت در صدد اسائه ادب برآمده و علناً نسبت به مقام سلطنت خیانت نموده محکوم به اعدام است و سزای او مرگ است یا لااقل و باید در یکی از نقاط دور دست تا ابد حبس شود.
...ازانگلیس بخواهیدتاهرگاه حق باماست اورابه حبس ابدمحکوم نمایندو گرنه چگونه ما باید باورنماییم که دولت انگلستان حامی مقام سلطنت ووجود شخص ما است ...».

ناصرالدین شاه

شاه بازدرنامه دیگری به امین السلطان، چنین می نویسد: «...شرحی که این پدر سوخته نوشته است درواقع تحریک واخلال علیه مقام سلطنت است ... جمال الدین به مقام سلطنت فحش گفته است. اورا بایدبدون معطلی به حبس ابدمحکوم نمایند وگرنه مابایداز دوستی انگلستان به کلی ناامیدشویم.»

ناصرالدین شاه

« **ادوارد براون** » می نویسد:
«... سیددرمقالات مربوط به ایران ازهیچگونه حمله به حکومت وشاه دریغ نمی کرد. سفیردولت ایران درلندن به نزدوی رفت واز اوخواست اگرازادامه این امرخودداری کند مبلغ هنگفتی به اوتقدیم داردولی سیدضمن پاسخ منفی گفت: راضی نخواهم شد مگراینکه شاه کشته شودوجسد ش به گورعرضه شود» !
(کتاب انقلاب ایران)



مرکز پخش: کلبه شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شماره ۱۳۷۸.
قیمت: ۲۰۰۰ تومان



از: سید جمال الدین الحسینی
-اسدآبادی-

نامه‌ها و اسناد سیاسی - تاریخی

بکوشش وتحقیق:
سیدهادی خسروشاهی

بسم الله الرحمن الرحیم



مجموعهٔ آثار
۴

سیدجمال‌الدین حسینی (اسدآبادی)

نامه‌ها و اسناد

سیاسی - تاریخی

تهیه، تنظیم، تحقیق و ترجمه:

سیدهادی خسروشاهی



مجموعه آثار ـ ۴

جمال‌الدین اسدآبادی، ۱۲۵۴ ـ ۱۳۱۴ ق.
نامه‌ها و اسناد سیاسی ـ تاریخی سیدجمال‌الدین حسینی (اسدآبادی) / تهیه و تنظیم، تحقیق و ترجمه: هادی خسروشاهی. ــ تهران: کلبه شروق؛ قم: مرکز بررسیهای اسلامی، ۱۳۷۹.
۳۲۰ ص.: نمونه. ــ (مجموعه آثار؛ ۴)
ISBN 964-92729-5-x
۲۲۰۰۰ ریال.
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
۱. جمال الدین اسدآبادی، ۱۲۵۴ ـ ۱۳۱۴ ق. ــ نامه‌ها. الف. خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷ـ ۱۳۷۶، گردآورنده. ب. مرکز بررسیهای اسلامی. ج. عنوان.
۲ ن ۸ ج / DSR ۱۴۴۲ ۹۵۵/۰۷۵۰۹۲
۱۳۷۹
کتابخانه ملی ایران ۹۴۱۸-۷۹م





نامه‌ها و اسناد سیاسی ـ تاریخی
سید جمال‌الدین حسینی (اسدآبادی)

تهیه، تنظیم، تحقیق و ترجمه: سیدهادی خسروشاهی
چاپ اول: ۱۳۷۹
حروفچینی و صفحه‌آرایی: دفتر ویرایش
چاپ قم: چاپخانه الهادی
تعداد: ۵۰۰۰ نسخه
قیمت: ۲۲۰۰ تومان

شابک: ۹۶۴ - ۹۲۷۲۹ - ۵ - x

نشانی دفتر مرکزی، تهران: مقابل دانشگاه، شمارهٔ ۱۳۷۸ (صندوق پستی ۱۹۶۱۵/۲۹۳)
دفتر قم: خیابان صفائیه ـ ساختمان مرکز بررسیهای اسلامی، (صندوق پستی ۳۷۱۸۵/۲۴۲۳)

فهرست

نامه‌ها و اسناد

مقدمه

از حدود تقریباً نیم قرن پیش و تا کنون، که بیاری حق در جستجوی اسناد و مدارک و مقالات و آثار سیدجمال‌الدین حسینی ــ اسدآبادی ــ بوده‌ام، همواره نامه‌ها و اسناد تاریخی ـ سیاسی جدیدی در کشورهای مختلف، به دست آورده‌ام که نشر آنها برای روشن شدن حقایق تاریخ معاصر ایران، یک ضرورت اجتناب ناپذیر تاریخی است.

مجموعه‌ای از این نامه‌ها و اسناد سیاسی سید را که شامل ۱۲ نامه بود، برای نخستین بار و در سال ۱۳۵۰، به عنوان ملحقات کتاب «سیدجمال‌الدین و بیداری مشرق زمین» اثر ارزشمند مرحوم استاد محیط طباطبایی، منتشر ساختم، و این نامه‌ها، بارها بضمیمهٔ آن کتاب چاپ شد...

چاپ چهارم آن نامه‌ها و اسناد، در سال ۱۳۵۲، تحت عنوان: «نامه‌ها و اسناد سیاسی سیدجمال‌الدین اسدآبادی» در قطع رقعی در ۱۲۰ صفحه، بطور مستقل از قم منتشر گردید... و سالهای بعد، چاپ پنجم و ششم آن، در قطع جیبی که شامل ۱۶ نامه از سید بود، منتشر شد و مورد استقبال اهل تحقیق، طلاب و دانشجویان قرار گرفت.

اینک، و پس از مرور بیش از یک ربع قرن!، چاپ هفتم آن کتاب، با اضافات بسیاری، و در قطع وزیری، شامل ۶۰ نامه و سند تاریخی ـ سیاسی در اختیار علاقمندان قرار می‌گیرد.

البته تردیدی نیست که مجموعه نامه‌ها و اسناد سید، همین ۶۰ نامه نیست، ولی آنچه را ما در تفحص و کاوش نیم‌قرنی، به دست آورده‌ایم و در شرایط کنونی آماده چاپ و نشر گردید، همین نامه‌ها و اسناد است که امیدواریم مورد قبول حق و مورد استفاده علاقمندان تاریخ معاصر قرار گیرد.

* * *

در این مقدمه، نخست قصد داشتیم که منابع این نامه‌ها و اسناد را تک تک، همراه اسناد معرفی کنیم، اما متاسفانه «سرقت ادبی و رسمی!» بعضی از دوستان و چاپ نامه‌ها و مطالب ما، با نامهای دیگر، و حتی بدون ذکر مأخذ اصلی؟ ما را بر آن داشت که در این مقدمه، از ذکر نام آن مدارک خودداری کنیم، به امید آنکه همهٔ منابع و مأخذ را، در کتاب مستقل مربوط به آثار سید، یکجا نقل کنیم...

* * *

یادآوری این نکته نیز ضروری است که تهیه این مجموعه از اسناد و نامه‌ها، فقط «گردآوری» و به «کوشش»! نیست، بلکه شامل: تحقیق، تنظیم، ــ و در مواردی ــ ترجمه از متن عربی، ترکی و یا انگلیسی است (مانند نامه‌ها به علمای شیعه، نامه به سلطان عثمانی و یا نامه به ریاض پاشا) که ما ضمن ترجمه آنها، توضیحات لازم را هم در پاورقی‌ها و یا در پایان نامه‌ها، آورده‌ایم.

البته انتخاب عناوین برای نامه‌ها ــ بویژه در بخش نامه‌های سید به امین الضرب که شامل چگونگی تبعید وی از ایران و حوادث بعدی است ــ از ما است که از متن خودنامه‌ها، استخراج شده است و از سوی دیگر، ما با افزودن علائم: تعجب، ویرگول، خط تیره، پرانتز و غیره، خواندن این نامه‌ها و اسناد یک قرن پیش را، برای خوانندگان امروز، آسان‌تر ساخته‌ایم.

ناگفته نماند که برای چاپ حروفی این نامه‌ها، نخست به «استنساخ» آنها از روی خطوط گاهی غیرخوانا، پرداخته‌ایم که کوشش و دقت ویژه‌ای را لازم داشت. در واقع خواندن و استنساخ این دستخط‌ها ــ که حدود چهل نمونه از آنها را در آخر همین کتاب می‌بینید ــ وقت زیادی را می‌خواست و دقت در حد وسواس ما هم‌کار و کوشش زیادی را می‌طلبید و پشتکار خاصی را لازم داشت که بیاری خدا، توفیق آن نصیب گردید...

نشر این نامه‌ها و اسناد، در عصر کنونی که متأسفانه «دوران کتابسازی»! است و عده‌ای به عنوان مورخ یا محقق!، به آن مشغول هستند و با نقل چند نامه و یا چند صفحه از فلان کتاب و فلان روزنامه عصر قجری! و پهلوی درباره سید به تحریف حقایق می‌پردازند و عناصری مانند: ولی الله یوسفیه و ابراهیم صادقی‌نیا! و چند روشنفکرنمای دیگر با استناد به کتابها و مجله‌ها و نشریات قلم بمزدان اجاره‌ای مورخان عصر قجری ـ پهلوی!، مانند: اسماعیل رائین، ابراهیم صفایی، دکتر میمندی‌نژاد و امثال آنان، بزرگترین خیانت را بر ضد تاریخ معاصر ایران و در واقع بر آگاهی و شناخت صحیح نسل امروز و آینده ایران، مرتکب شده‌اند...

* * *

... مطالعه دقیق این نامه‌ها و اسناد تاریخی ـ سیاسی، چگونگی اندیشه سید، ژرف‌نگری و نوع دوستی و آزادیخواهی و قانون‌گرایی وی را به خوبی روشن می‌سازد و درواقع اثبات می‌کند که مخالفان سید یا عناصری ناآگاه و غیر مطلع از اسناد و حقایق تاریخی هستند و یا افرادی مغرض و هواداران زر و زور و تزویر و عملهٔ ظلمهٔ دوران ستم شاهی قجری ـ پهلوی می‌باشند و متأسفانه قلم و وجدان خود را به ارباب قدرت فروخته‌اند، و گرنه چگونه می‌توان باور داشت که محقق و مورخی با ملاحظه این همه اسناد، از کشف حقیقت عاجز باشد؟ و اگر «عاجز» است، چگونه به خود اجازه می‌دهد که به «نوشتن تاریخ!» بپردازد؟!

... ما شما را به مطالعه این نامه‌ها و اسناد سیاسی، و دیگر آثار سیدجمال‌الدین حسینی ــ که در ضمن «مجموعه آثار» وی اخیراً از سوی ما چاپ و منتشر شده‌اند ــ دعوت می‌کنیم و یقین داریم که با مطالعه دقیق و منصفانه این آثار اجتماعی، سیاسی و فرهنگی، و این اسناد و نامه‌های تاریخی ـ سیاسی، در بینش شما نسبت به سیدجمال‌الدین حسینی و اهداف و افکار او، تحولی بوجود خواهد آمد و همین آرزوی ما است و همین یک، ما را بس!... قل لاأسئلکم علیه أجراً الاّ المودّة فی‌القربی.

تهران: تیرماه ۱۳۷۹

سید هادی خسروشاهی

۱

پنج نامه

به

ناصرالدین شاه، امین السلطان
و رکن الدوله

دربارهٔ

بداندیشیها و کوتاه نظریها
و اوضاع ایران



حقوق عامه، عدل و قانون

پطرزبورغ - غره ژانویه فرنگی

جناب جلالتماب أجلّ أفخم، حبیب‌الرحّمن، أمین‌السلطان، اجل‌الله قدره و جعله فی حرزمنه را سپاسها و درودها باد.

مکالمه‌ئی که در طریق حضرت عبدالعظیم درمیان رفت و آنچه گفتم و آنچه فرمودید، البته در خاطر باشد، پس اگر کسی به توهم مزاحمت و یا به تخیل مسابقت سر به‌زانوی خلسه نهاده در لوح محفوظ دیده باشد که خدا رحم کرد والا من در توده خاکستر ایران آتش میزدم و ویرانه‌های آن مرز و بوم را زیرو زبر میکردم و در آن عالم هرج و مرج خلل می‌افکندم، البته در مکاشفهٔ خویش خطا کرده است.

بایران آمدم (بخواهش همایونی) و از خلیج فارس تا ساحل بحر خزر پیمودم و چون قدم بکشتی نهادم و غبار آن بیت‌الحزن را از دامن ستردم، بغیر از هدیه آنجناب اجل و مهمانیهای حاج محمدحسن ولله الحمد بر ذمه خود چیزی از دیگری نیافتم، پس اگر غولی ناهنجار ژاژخوائی کند (چنانکه کرد و در روزنامهٔ فرانساوی ایران چندماه مقدم نوشت)، و بگوید که قطعاً و عیاناً دین و عبادت من درهم و دینار است!، بلاشک مشاهدهٔ او را در نزد اسافل طبقات انسانها وقعی نباشد، تا اعالی درجات آنها را چه رسد (بلی سگ دیوانه را چه دوست چه بیگانه)!

پس باید از این دو مطلب درگذشت، آنکه در آنجا است از مستعصم عباسی‌اش برتر نمیدانم و اینکه در اینجا است از هلاکویش[1] پستر نمیشمارم ولی در این عالم نیستم البته من میخواهم که جمیع کافران عالم را برانگیزانم و برین دارم که این متلبسین بلباس اسلام را مجبور کنند که اقلاً در یک جزء از دین که متعلق بحقوق عامه است که میزان عدل و قانون حق باشد، مسلمان باشند و در جزء دیگر باشند آنچه

---

۱. ظاهراً مراد سید سلطان عثمانی و تزار روس است.

باشند، الی نار جهنم، چون از خاصهٔ خود آنها است و ضررش بخود آنها راجع است و مرا جز این مقصدی نیست!.

پس اگر ضعیف‌العقلی مرا حزب فلان نامد و یا دشمن فلان داند، از خود خبر داده است، مطلب مجمل است تفصیل هم برهان می‌خواهد، پس اگر سخن بطول انجامد عفو خواهید نمود: استواری مملکت (یعنی حکومت) موقوف بر انتظام ادارات قُری و مُدن است، و انتظام ادارهٔ آنها بدون صلاح‌بینی صورت نپذیرد و اساس صلاح‌بینی استقامت اطوار و اعتدال اخلاق آحاد است، این سلسله‌ئی است که نظام ممالک بر استحکام حلقات آن بسته و استقامت اطوار آحاد و همت و اعتدال اخلاق آنها را اسباب متعدده است، یا باید فطرتاً نفوس آنها آنقدر شریف بوده باشد که بالطبع از دنایای امور و خسائس اشیاء نفرت کنند و برحسب سرشت از جور و حیف و تعدی در حقوق و درشتخوئی دوری گزینند و یا باید آنها را عقلی بوده باشد که بتواند بواسطهٔ ادراک منافع جوهریه ثابته. نفوسها را مقهور ساخته از اغراض زائله و هوسهای باطله‌شان بازدارد و یا اعتقادی بسیار محکم که بواسطه سلاسل و اغلال رغبات و رهبات، هریک آنها را به‌حدود حق و عدل مجبور نماید و اساس روابط بیتیه را محکم سازد.

و چون هیچیک از این سه نباشد، لامحاله خلل در اجتماعات بیتیه واقع خواهد شد و خلل آنها موجب فساد انتظام ادارات مدن و قری و فساد انتظام ادارات باعث تزعزع ارکان مملکت و بالاخره سبب زوال آن خواهد گردید.

و چون زوال معلول، برهانی است قاطع بر زوال علت، پس هر عاقلی از ضعف دول اسلامیه و خرابی مملکت آنها و پریشانی حال مسلمانان میتواند حکم کند که غالب نفوس مسلمانان از آن علل سه‌گانه خالی است و لهذا جمیع محذورات را مباح و تمامی منهیات را جایز میشمارند و همیشه شنایع و قبایح را امور عادیه حساب می‌کنند.

افتراء و دروغ‌گوئی را فطنت گمان می‌کنند و بر جور و ظلم فخر می‌نمایند، مثل اهرمن که خدای شرّ بود در نزد زرتشتیان، از هر خیری دور و منبع همه شرورند. مثلاً

اگر کسی از یکی از این مسلمانان آخرالزمان دوری گزیند و بدو سلام ندهد و یا کرنش نکند، آن مسلمان آخرالزمان جائز میشمارد که در حق آن بیچاره هرگونه افتراء بزند و هرگونه آتش فتنه برانگیزد، بلکه تا قتل و خرابی خانمان آن نیز آتش غیظش فرونشیند، بی آنکه اندکی متأثر شود، بلکه فخر کند و هر دفعه بزبان آورد که دیدی که با فلان چه کردم و چسان با آتشش سوختم و خانه‌اش را خراب کردم، برای آنکه یکروز چنانچه لایق بود بمن کرنش نکرد! البته خاطر داشته باشید که برای اندک نزدیکی بدان جناب اجل، صنیع‌الدوله و امثال آن چه‌ها برای من بافتند و گفتند با غایت افتخار.

* * *

پس از این مقدمهٔ طویله شاید جایز است مراکه بگویم که این مرآة مثلثةالزوایا که در این مملکت هیکل ایران را بر عالم عرضه می‌کند، بسبب تقصیر ذاتی، بواسطه انکسارات عدیده که در اوست، جمیع صور را معکوس و مشوّه جلوه می‌دهد و چون در عالم سیاست مجالی ندارد از برای اظهار حسن خدمت بافتعالات و اکاذیب می‌پردازد. چندماه قبل چنانچه‌بسمعم رسید بعضی افتراءها بمن بسته در دارالخلافه شیوع داده بود، ولی در آن هنگام نخواستم برائت ذمه نمایم، چون در نزد مدنسین باوهام و وساوس و اباطیل، دم از طهارت نفس‌زدن لغو است و در این روزها هم چنان شنیدم که پارهٔ اراجیف باز منتشر نموده است، چون اسم آنجناب جلالتمآب اجل درمیان است، لذا لازم دانستم حقیقت را بیان کنم:

آنچه در این مسئله حاضره متعلق بمنافع عامه و سیاست کلیه بوده است البته مرا در آن نوعی مداخله بوده، اما اموریکه باشخاص تعلق داشت به هیچوجه مرا در آنها دستی نیست، خصوصاً شخص جناب جلالتمآب اجل که او را بواسطه حاسات فطریه خویش معظم‌ترین شخصی میدانم که در لوح ذاکره ثبت نموده‌ام، یکنوع محبتی از آن هیکل نورانی در دل جاگرفته است که گمان نکنم بجفا هم توان زدودن، خود هم سبب و باعث آنرا نمیدانم و چون این سخن از دلی بی‌نیاز سرزده است، گمان میکنم که خود برهان صدق خود باشد و چون این نوچه‌های زورخانه پلیتیک لساناً و کتابتاً

(اختر) چنان انتشار داده‌اند که اعلیحضرت شاه و جناب اجل دولت روسیه را عدو الّد دولت ایران میشمارند و بلاشک این باعث حقد و عداوت روس خواهد شد و نتایج وخیمه آن خود ظاهر است وِ لهذا من در هر جا مداخله نمودم، خصوصاً از جناب اجل؛ و در هرجا گفتم: نه ذات همایونی شاه را این فکر است و نه رجال دولت او را، مخصوصاً شخص امین‌السلطان که احکم از آن است که بدین اراجیف راضی شود و الحاصل بجهت بچه‌گی و خودنمایی، این فکر نحس را در دل روسها کاشتنند، خدا خیر کند.

در تعلیقهٔ خویش مرقوم فرموده بودید که میرزا ابوتراب ساوجی را مشمول نظر عنایت خود خواهند نمود. هزارها شکر و سپاس باد شما را، و من قول شما را حق ثابت میدانم، لهذا مطمئن‌الخاطرم، امیدوارم که جواب این نامه را ارسال فرمائید.

والسلام علیکم و علی‌اللائذین بولائکم والسلام.

دوست حقیقی شما و بلکه بیک حساب شهید ولای شما

جمال‌الدین الحسینی

ظهور حق در خلق!

هو

۲۷ مارس فرنگی

جناب جلالت‌مآب اجّل أفخم امین‌السطان و حبیب الرحمن ادام‌الله بقائه را سپاسها و درودها باد!

برسیدن نامه، خیال رقعهٔ شعوذه خود را برچید. و واهمه، با خیل أباطیلش پای از میدان جدال کشید، و غیوم مکفهرّهٔ وساوس متقشّع شد. و آن تمثال همایون با همهٔ زیور و کمال و زیب فضائل چنانچه هست بر روی منّصهٔ کیاست و حصافت در علیهٔ عقل ظاهر گردید ـ مسرور شدم ـ و با وجود این، از طرف دیگر تأسفها و اندوهها از هر جانب دل را فراگرفت، چون که معلوم شد که قلم در حین نوشتن آن نامه گرامی بین اصابع اقدام و أحجام بوده، و در طیّ سطور چه بسا خطوط منکسره را پیموده و از هر جمله از جُمل آن کتاب کریم چنان ظاهر می‌شود که از معبرهای سهمناک با هزار هول و هراس گذشته، و لهذا اجزائش چنان مضطربست که بجز از أیما و اشاره دم نیارد زدن (لاحول ولا).

دوست داشتم که فضائل در آن مرز و بوم از افق نفوس کامله، چون جناب اجل بلامزاحمت شُحُب مُظلمه، و بدون غبارهای تیره و تار طلوع نماید، و پرتو اشراق خود را برهمه چیز منتشر سازد، نه آنکه مانند جواهرات گران‌بها در کانها بماند. اگرچه فضائل در هر حال که باشد کمال است، ولی چون اثرش به دیگری رسد، آن وقت به ذروه رسیده، و اداء حق واجب کرده است. ظهور حق را در خلق جز این سببی نبوده. گویا جز اراده و ثبات چیز دیگری نخواهد. چه خوش سعادتیست اگر کسی باعث

سعادت قومی گردد. عجب مسیحیست که بتواند میلیونها زنده کند. بزرگ شهیدیست که جانی داده، و جان جهانی را آزاد کند. شگفت معجزه‌ای است که از سنگ خارا آب حیات جاری سازد. عظیم کرامتیست که کودنی را افلاطون و ابوجهلی را محمد نماید.

همه اینها دون قدرت انسانیست. انسان را مرتبه‌ای است بس عالی. انسان مظهر حق مطلق است. آنچه این است او راست.

خداوند تعالی همیشهٔ اوقات شما را مظهر عدل و قدرت خود نماید، آمین. والسلام علیکم و علی مَن والاکم.

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی

در بادکوبه

۲۴ ربیع‌الاول

آثار خیریه شما، محمودآباد

جناب جلالت مآب أجلّ امجد أرفع وزیر أعظم أمین‌السلطان أیده‌الله بالحق را سپاس‌ها باد

وارد بادکوبه شدم، و در آنجا با جناب حاجی امین‌الضرب ملاقات حاصل شد، و ایشان نیابتاً از جناب امجد ارفع آنچه شایان آن مقام رفیع بود، بالنسبه به من بجا آوردند، و با هم به محمودآباد آمدیم و پس از سه روز دیگر که از برای رفع خستگی دریا درینجا توقف خواهیم نمود، عازم طهران خواهیم گردید و چون جناب حاجی را نایب حقیقی شما دیدم، نخواستم که از بادکوبه و یا مازندران بدان جناب أرفع أمجد تلگراف کنم و امیدوار آنم که به ملاقات شما مسرور گردم و آن جناب اجل نیز خوشنود گردد والسلام.

دوست حقیقی شما

جمال‌الدین الحسینی

(روی پاکت): دارالخلافه طهران

جناب جلالتمآب أجّل أمجد أرفع وزیر أعظم امین‌السلطان ایده‌الله بالحق ملاحظه فرمایند.

سفر به پطرزبورغ و بداندیشیها!

عرضه داشت به سده سنیه عالیه و عتبهٔ سامیهٔ اعلیحضرت شاهنشاه اسلام‌پناه!.
در «مونیک»[1] وقتی که از شرف وعد احترامات و اجازه مصاحبت موکب همایونی در زمره طرب بودم، در همان محضر اسنی جناب امین‌السلطان چنان پسندید که این عاجز برای اصلاح بعضی امور ضروریه اولاً به «پطرزبورغ» رفته، پس از انجام آنها به ایران بیایم.

اعلیحضرت اقام‌الله به دعامةالمدن[2] استحسان فرمودند. در شب همان یوم‌الشرف، پنج ساعت جناب وزیر با این عاجز مکالمه نمودند، خلاصه‌اش آنکه

اولاً: دولت روسیه رجال و ارباب جراید آنرا حق نیست که ایشان را بر جلس[3] و نشانه سهام ملام نمایند و از در معادات و معاندت برآیند، چونکه ایشان یعنی جناب وزیر، مالک و صاحب ملک نیستند و رتق و فتق امور به یدقدرت ایشان نیست. دیگر آنکه مسئله کارون و بانک و معادن قبل از ارتقاء ایشان به رتبه وزارت عظمی انجام پذیرفته است، نهایت این است که اجراء آن از سوءبخت در زمان وزارت ایشان شده است. پس حین ورود پطرزبورغ باید در نزد وزارت روسیه ابراء ذمه و تبرئه[4] ساحت ایشان را بنمایم و تبدیل افکار فاسدهٔ وزراء روس را در حق ایشان داده و حسن مقاصد و نیات ایشان را درباره دولت روس مسجل کنم.

ثانیاً: از این عاجز خواهش نمودند که به «مسیو گیرس» رئیس‌الوزراء و وزیر دول خارجه و مستشارهای ایشان: «ویلنکالی» و «زینوویب» شفاهاً بگویم که ایشان، یعنی

---

۱. مونیخ
۲. العدل
۳. جلس: زمین مرتفع سخت، صخره بزرگ
۴. تبریز

جناب وزیر، از برای اثبات حسن مقاصد خود، در هر حال حاضرند که اگر از طرف روس طریق سهلی ارائه شود، در ظرف چند روز مسئله کارون و بانک و معادن را حل نموده به حالت سابقه اعاده نمایند.

این عاجز چون نجاح مقاصد جناب وزیر را عین رضایت پادشاه و خیر ملت اسلام می‌دانستم به پطرزبورغ عود نمودم و چندنفر راکه در سیاسیات مشرق زمین با خود هم مشرب می‌دانستم، چون جنرال «ابروچف» در حربیه و جنرال «ریختر» در وزارت دربار و جنرال «اغناتیف» سفیر سابق روس در اسلامبول و مادام «نودیکف» که از خواتین نافذالکلمه و غالباً در مسائل سیاسیه که مابین روس و انگلیس است می‌کوشد، با خود متفق کردم و در ظرف دوماه بیست‌بار با مسیو «گیرس» و با مستشارهای ایشان ملاقات کردم و پیش از آنکه در مقاصد جناب وزیر شروع نمائیم، اولاً در این سعی نمودم که به ادله و براهین سیاسیه و به اعانت هم‌مشربهای خودم ثابت کنم که صلاح دولت روس در مشرق‌زمین آنست که علی‌الدوام با دولت ایران از در مسالمت و مواده و مجاملت برآید و سختگیری و مخاصمت ننماید و درضمن همه‌وقت منح و سماح اعلیحضرت را در اترک و اراضی ترکمانیه و جاهای دیگر خاطرنشان ایشان می‌نمودم.

چون دیدم که این مطلب اصلی مسجل شد و مقبول گردید و از برای ایشان انحراف رأی روی داد و آتش غضب‌شان فرو نشست و در آن وقت مقاصب جناب وزیر را پیش نهاده گفتم که: وزیر اعظم به نفس خود در مونیک به من گفتند به شما تبلیغ کنم که ایشان حاضرند اگر شما طریقی نشان دهید که موجب حرب و سبب غرامت نگردد، مسئله کارون و بانک و معادن را حل نمایند و موازنهٔ سابقه که درمیان دولت روس و ایران و انگلیس بود، دوباره برقرار کنند و در تلواین مطلب آنقدر که ممکن بود، در تبرئه ذمه جناب وزیر و حسن مقاصد ایشان در حق دولت روسیه کوشیدم، چنانچه دوبار هم این مطلب اخیر را از پطرزبورغ بایشان نوشتم.

مسیوگیرس و مستشارهای ایشان پس از آنکه مکرراً از حسن مقاصد و ثبات عزم جناب وزیر پرسیدند گفتند که ما باید در این مسئله با وزیر جنگ و وزیر مالیه اولاً

مشورت کنیم و به امپراطور حاصل مشورت خود را عرضه نمائیم، بعد از آن اگر طریق مناسبی یافت شد که بدان توان حل مسئله را نمود، به شما شفاهاً خواهیم گفت که به نهج جواب به جناب وزیر برسانید. البته اگر این مسئله به نهجی حل شود که موجب مخاصمه درمیان دولت ما و دولت ایران نگردد بهتر است.

پس از چندین‌بار مشورت، دو مسلک پلتیک یکی از برای خود و یکی از برای جناب وزیر تعیین نموده به من گفتند که اگر جناب وزیر می‌خواهند ابواب خطرهای آینده را ببندند، در جواب رسالت این دو مسلک را بدیشان از طرف ما تبلیغ کن و چون هریک از ما خط حرکت پلتیک خود را بر آن دو مسلک معین قرار دهیم، مسئله به‌خودی‌خود بلاغرامت و بلاجدال حل شده سبب رضایت همه خواهد گردید. این عاجز شادان و خرسند شدم که به قوت الهیه به تنهائی توانستم پس از اطلاع تام از مسالک سیاسیه خفیه روس در مشرق‌زمین، خدمتی به دولت اسلام نمایم و وزیر اعظم را از خود خوشنود کرده باشم.

چون به طهران رسیدم، خارج شهر توقف نموده بجناب وزیر اطلاع دادم. جناب ایشان خانهٔ حاج محمدحسن امین‌الضرب را معین نمودند که در آنجا فرود آیم و نجل ایشان را مهماندار مقرر نمودند و این عاجز مدت سه ماه تمام، از جای خود حرکت نکردم به غیر از یکبار آنهم بعد از یکماه که عزشرف حضور حاصل شد و بدان نویدهای ملوکانه مفتخر گردیدم. و در این مدت جناب وزیر هیچگونه از این عاجز سؤال نکردند که در پطرزبورغ چه واقع شد؟ و جواب آن مسئله که تو را برای آن بدانجا فرستادم چه شد؟

بلی در این مدت چندبار بعضی از حاشیه خود را برای احوال‌پرسی فرستاد و وعدهٔ ملاقات مفصل می‌دادند چون مدت طول کشید از کیفیت مسئله سؤال شد، در جواب گفتم که هنوز از طرف وزیر اعظم استفسار نشده و سبب را هم نمی‌دانم، در وقتی که اهمال جناب وزیر بوزارت روس معلوم گردید، با همه آن محاجات و مجادلات و تبلیغات ملحانهٔ من در پطرزبورغ، ایشان این امر را بمجرد ملاعبه و بازی و اهانت و تحقیر و یا خود حیلهٔ سیاسیه که مقصود کشف افکار طرف مقابل است (کاش سؤال

میشد و کشف افکار می‌کردند) شمرده بسفارت خود در دارالخلافهٔ طهران تلگراف نمودند که سیدجمال‌الدین از طرف وزیر اعظم شفاهاً بعضی تبلیغات نمود، اگر وزیر اعظم می‌خواهند که در آن مسائل وارد شوند رأساً بنهج رسمی با سفارت روس در تهران یا با سفارت ایران در پطرزبورغ مکالمه نمایند و سیدجمال‌الدین که بنهج غیررسمی بعضی تبلیغات نمود اگر پس از این سخنی بگوید مقبول نیست (لاحول ولاقوةالاباالله) راه رفته رنج کشیده باید برجوع قهقرا، به نقطهٔ اولی برگشت و عقده حل شده را دوباره محکم کردن (شگفت). اعلیحضرت شاهنشاهی نتایج اینگونه حرکات را بخرد خداداد دیپلوماسی از هر کس بهتر می‌دانند. جناب وزیر اعظم چون از مضمون آن تلگراف مطلع شدند، بخلاف عادت سیاسیین جهان بجای آنکه تأسف نمایند که چرا افکارْ وزراء روس را در این مسائل استکشاف ننموده و جوابهای ایشان را استماع نکردند (بعرب صاحب) گفته بودند که من چیزی بسیدجمال‌الدین نگفته بودم که بوزارت روس تبلیغ نمایند! و من ایشان را به پطرسبورغ نفرستادم (انّالله و انّاالیه راجعون). اینک لعب معکوس، اینک فکر عقیم[1]، اینک نتیجه فاسده.

با این مسلک چگونه توان راه اخطار را بست و از مهالک دوری جست (بلاسبب شبهه در دلها افکندن و قلوب را متنفرکردن، و آتش مخاصمه را مشتعل نمودن) خداوند تعالی مگر بقدرت کامله خود ما را از آثار وخیمهٔ این حرکات حفظ کند...

و اعجب از این واقعه این است: پس از آنکه وعد احترامات و ستایش خود را از لسان مبارک اعلیحضرت شاهنشاهی شنیدم، حاج محمدحسن امین‌الضرب تبلیغ نمودند که رضایت اعلیحضرت شاهنشاهی آن است که این عاجز طهران را ترک نموده مجاور مقابر شهر قم بشوم! هرچه در خبایای ذهن خود تفتیش نمودم سبب را ندانستم.

آیا بجهت آن بود که دولت روس را ببراهین و وسائط دعوت بمسالمت و مودت دولت ایران نمودم، یا برای آن است که به خواهش وزیر اعظم به پطرسبورغ رفته در تبرئه ذمه و حسن مقاصد ایشان با دولت روس کوشیدم؛ یا بدین جهت که طرق حل

---

۱. مشکل عظیم

مسائل را چنانچه خواهش وزیراعظم بود بقوه کد و جد بدست آوردم؟ سبحان‌الله.

اگرچه بر مجرب ندامت رواست آنچه بپاداش مهمانی اول بمن گذشت مرا کافی بود که دیگر خیال ایران را نکنم. اما لفظ شاهنشاه را مقدس! شمردم خواستم آنچه خلاف گفته بودند معلوم گردد که هم خیرخواهم هم مطیع، دیگر این چه نقش است که باز ژاژخایان کوازه‌پسند... بالله علیکم، اگر خدا نخواسته ظهورات اخیره مرا از مسلک خیرخواهی منحرف و منصرف کند، بر من چه ملامت خواهد بود، سبحان‌الله، توهم مزاحمت در مناصب، هروقت این صاحبان عقول صغیره و نفوس حقیره را بر این میدارد که ذهن وقاد نقاد اعلیحضرت شاهنشاه را درباره این عاجز مشوب گردانند.

اینک در حضرت عبدالعظیم نشسته تا امر از مصدر عزت صادر شود.

و أسئل‌الله تعالی أن یمدّکم بالعدل والحق و ینصرکم بالحکمة و یشیّد دولتکم بقدرته و یحرسه من کید الخائنین.

آمین

العاجز، جمال‌الدین الحسینی

حبّ عدالت

حضرت والا مدّالله ظلّه علی رئوس الأنام کافةً

فطرت پاک و همت عالی و رأی ثابت و حبّ عدالت جز در آن وجود عالی شریف در کجا جستجو نمایم. افراد در هیجان و نفوس مستعّد و احزاب همه با هم دست داده مخالفت نموده‌اند و علماء عظام قلم بدست گرفته مستعد ایستاده‌اند. ازین وقت بهتر هیچوقت نیامده و نخواهد آمد. اگر اطلاع فرمایند تفصیل آن عرض خواهد شد، سعادت چشم براه ایستاده است اگر این فرصت فوت شود ندامت و پشیمانی زیاده از آن است که متصور شود، دیگر آنحضرت والا مختارند. وظیفه اخلاص را بجای آوردم.

والسلام علی حضرتکم ـ العلّیة ـ

جمال‌الدین الحسینی





هجـده نامـه

به

حاج محمدحسن امین‌الضرب

دربارهٔ

مسائل ایران، چگونگی دستگیری و تبعید



منزلی، به نهج کرایه!

جناب نزیه‌النفس طاهر السریره امین‌الضرب السلطانی همیشه در عون حق بوده باشند.

در اصفهان چنان مقرر شده بود که آنجناب رنج کشیده در قرب جوار خویش منزلی از برای من بنهج کرایه معین فرمائید ـ نمیدانم آیا کرایه فرموده‌اید یا نه ـ و اگر کرایه نموده‌اید در کجاست ـ اینک در شهزاده عبدالعظیم نشسته منتظر جوابم لازلت قائماً بقضاء حاجات العباد

والسلام

المحب

جمال‌الدین الحسینی

داوری عجولانه، خلاف عدل و مروّت

مسکوف ۲۰ ژوئیه

سالک مسلک حقّ و راستی جناب حاجی محمدحسن أمین لازال محفوظاً عن سوء القضاء

در تلغراف خبرداده بودید که جواب در مکتوبست - پست خطا نمیکند و نمیخواهم در شما بغیر از راست‌گفتاری گمان دگر کنم - مکتوب نرسید - بچه باید حمل کرد - مسلکی که با میرزاده نعمت‌الله پیمودید از راه عدل و انصاف بسیار دورست. اگر در حق ایشان شبهه دارید و یا یقین در هر حال نباید از سنت الهیّه منحرف شوید - خداوند تعالی با احاطه علم ازلی‌اش تا در محضر ملائکه و انبیاء وضع میزان و بسط حساب و اقامهٔ شهود از جوارح و اعضاء جانی نکند معذبش نمیکند - از سنت الهیّه سرباززدن در هیچ حال خوب نیست - ولیس بعدالحق الاّ الضلال - شما معصوم نیستید شاید خطاکرده باشید - با خلق خدا آن کن که چشمداشت از خدا داری = و اگر مقصود شما اینست که این منفعت بخویش شما برسد چرا بیگانه از آن متمتع شود - این خلاف مروتست که شخصی سالهای دراز شما را خدمت کرده باشد و شما حقوق آنرا ملاحظه نکنی و یکبار بملاحظه منافع خویشانت در خرابی آن بلاسبب بکوشی.

البته باید دانست که بالای این قدرتهای ضعیف، قدرت غیرمتناهی خداست پس ممکن است که آن قدرت کامله بجهت دل‌شکستگی شخصی خانهٔ چندین‌ساله‌ای بر باد فنا بدهد = و اگر از برای اینست که نمیخواهی که کسی منتفع شود جز خودت (چنین گمان در حقیقت ندارم) البته در آنوقت باید بدانی که خود را هدف تیر انتقام

الهی خواهی ساخت (استجیر بالله) ـ مخرج نفس طماع همیشه در قبضه قدرت خداست = اگر بر دست‌پروردهٔ خودت حسد میبری (استعیذ بالله) باید خود را علاج کنی پیش از آنکه مورد سخط گردی (هیچگونه این گونه توهم در حق شما نمیکنم)

در هر حال بمن در شهر مسکوف قول دادی و نقض میثاق کردی ـ بشما این گونه امید نداشتم ـ بسیار رنجیده شدم ـ و اگر از عزم خود منصرف نشوی رنجش بر دوام خواهد بود ـ بلی محاسبه کن اثبات غش و اختلاس را بنما پس از آن هرچه خواهی کن ـ در آنوقت در نزد خدا و خلق بری‌ءالذمه خواهی بود ـ والاّ نه در آنجا ترا عذری خواهد بود و نه درین‌جا از ملامت خلق خواهی رست ـ

باکاتکوف ملاقات کردم بسیار مسرور شدند و مرا تکلیف آن کردند که پیش امپراطور بروم بعد از چند روز خواهم رفت. ـ و در روزنامه‌های مسکوف و پطرسبورغ ترجمهٔ حالم ثبت شد و بجرائد پاریس هم بنهج تلغراف ذکر شد۰

والسلام

دوست حقیقی شما

جمال‌الدین الحسینی

جناب فاضل کامل آقامیرزا جعفر را سلامها باد.

و آقا میرزا جواد را سلام باد.

شاخ زورگو را می‌شکنم!

طیّب‌السریره حسن‌السیره جناب حاجی محمدحسن أمین لازال محفوظاً بعون‌الله عن غدر کل لئیم و مکر کلّ رجیم آمین

رقعهٔ (کانژیه ما) شما رسید - خداوند تعالی گنج شما را از شر موش طبیعتان خسیس‌النفس که می‌خورند و می‌برند و می‌درند و پس از آن بر باقی‌مانده می‌ریند همیشه صیانت نماید. - از پرخونی دل سخن رانده بود - اگر از دست خویش است چاره جز پیراهن دریدن نیست - و اگر بیگانهٔ ناتوانست - نتوانم بگویم که حق دارید چونکه قوی ممکن نیست که با ضعیف در موازنهٔ حقوق حَکَم عدل واقع شود مگر آنکه بپایه او تنازل کند - البته درآنوقت واجبات ذمه را دانسته تأسفها خواهد نمود.... - و اگر زبردست است البته من حاضرم که شاخ آنرا بقوّت الهیه بشکنم در هرجا باشد - و هرجا باشم - و آنحقوق چند روزه را فراموش نخواهم کرد - اگر عقدهٔ در پیش است بیان کن - از مضامین مکتوب شما چنان ظاهر شد که گمان کردید که میرزا نعمت‌الله مرا بر آن داشت که چنان مکتوب سختی بشما بنویسم - بسیار کم‌حافظه شده‌اید. همان مضامین را بتمامها در غیاب میرزا نعمت‌الله لساناً بشما گفتم - من برای خیر شما گفتم - مکتوب عربی‌العبارهٔ فاضل را خواندم بسیار خوشحال شدم خداش نگاه دارد و بمراتب بلندش برساند - و من یک مکتوب ده روز قبل بدو نوشته بودم - و امیدوار آنم که دوست من آقای میرزاجعفر همیشه در ظل عنایت شما مسرور باشند - و سلام دوستانه بدیشان میرسانم و فردا به (بطرسبورغ) خواهم رفت.

والسلام

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی الافغانی

یکشنبه ۲۴ ذی‌القعده [۱۳۰۴]

همین روز در خانه آقای محمدجواد به‌ناهار میهمانم و فردا خواهم رفت.

قوه واهمه، شیطان عقل!

پطرسبورغ ۹ فبریهٔ فرنگی

جناب محتشم حاجی محمدحسن امین دارالضرب السلطانیه
همیشه در حالات نفسانیّه و بدنیه در کمال اعتدال بوده باشند

خیر باشد، چه میشود شما را ـ سپر اسلام بر روی دست و شمشیر ایمان از نیام کشیده‌اید ـ خداکند که در مقابل حق نباشد ـ قوّهٔ واهمه اگرچه از ظلّ عقل و اشتغال آن به ترتیب و تربیهٔ اجساد بوجود آمده است ـ ولی او را قدرتیست بسیار شدید که در غالب نفوس بشریه با عقل در نبرد آمده بروفائق می‌گردد ـ و جمیع ضلالات عالم انسانی ازو نششت نموده است ـ و اوست که حق را مشوّه نمود بصورت باطلش ظاهر میسازد ـ و باطل را مزوّق ساخته بهیکل کمالش بر عالم جلوه می‌دهد ـ اوست که در خیر مطلق بوساوس خود هیئآت بشمهٔ شرور را بابصار نمایش داده بیچارگان را محروم مینماید ـ و شرّ را بزیب و زینت دلربائی آرایش نموده نفوس را بر آن ترغیب میکند ـ

و حکما این قوهٔ واهمه را شیطان عقلش می‌نامند ـ ولکن فرق بعید است میان آن دو ـ چونکه شیطان بیچاره اگرچه انسان را از سلوک سُبُل حق و حقیقت بازمیدارد ولکن او را در تمتعات و لذات دنیویه و شهوات بدنیه مساعدت مینماید ـ و اما قوهٔ واهمه انسان را از سعادت دنیا و آخرت هر دو بازمی‌دارد ـ در عین غنی وجود توانگران را از خوف فقر میکاهد ـ و در حین شادمانی ابواب احزان گذشته و اکدار آینده را بروی باز مینماید ـ و از برای تلخ‌کردن زیست انسانی در اعوان و اصدقا و اهل

و عیال و خدم و حَشَم شخص شبهه‌ها القا میکند تا آنکه همیشه معذب بوده باشد ـ از دست این دشمن دیوانهٔ باطنی درین عالم ابدان که حتی کُملّین را هم بسیار دشوار است که بالمرّه خلاصی و نجات حاصل شود ـ و با وجود این امید آن نداشتم که تا بدین درجه واهمه بر شما چیره شود ـ

من شما را بهمّت و غیرت و جسارت و اقدام ستودم ـ و این اوصاف همان اوصافیست که از نهایت شرف انبیا و اولیاء با آنهمهٔ مدارج عالیه و جنبهٔ لاهوتیت بدانها فخر مینمودند ـ و اگر در اعدای ایشان همان صفات یافت می‌شد از ستایش آنها بدان سجایای کریمه استنکاف نمیکردند ـ و شما را قوهٔ واهمه بر آن داشت که آنها را بر اخس اوصاف عَجَزه (یعنی دروغ‌گوئی) حمل نمودید ـ این یکی ـ دوم آنکه چنان گمان کردید که من با شما و یا غیر شما بکنایات و تعریضات سخن میگویم ـ من چرا با شما بکنایه چیزی‌را بیان کنم ـ و من چرا بشما دروغ نسبت بدهم؟ عجیب ـ سبحان‌الله ـ بلی عقائدیکه از وهم آید از وهمی زائل شود ـ خطرات قلبیه وهّام را هیچ اعتباری ـ من این سفر شما را بفرنگستان و آن نیّت خیر شما را از آثار همت و جسارت شمرده بودم ـ دل خود را اصلاح کن ـ چرا باید وهم تو را بخیالات فاسده باز دارد ـ

شما بمن نوشته بودید که من در پطرسبورغ از برای استحصال اذن سعی کنم بالچی خبر فرستادم ایشان جواب دادند برای شما نوشتم ـ پس چرا باید توهم کنی که با تو بکنایه سخن میگویم ـ جناب حاجی دل خود را اصلاح کن ـ من هرچه میخواستم با شما بنهج صراحت بیان میکردم ـ اگر آسمانها تغییر بیابد من همانم... ـ و اما میرزانعمت ـ من با میرزانعمت‌الله مخالف نیستم ـ من میخواستم که جمیع افعال شما بر نهج حکمت بوده باشد ـ از آنجهت بشما لساناً و کتابةً گفتم اولاً باید حساب کرد ـ حالا خوب تصور کن چون اولاً حساب نکردی اگر حق هم بطرف شما باشد هیچ‌گونه اثبات نتوانی کرد ـ اگر دست برداری خواهند گفت که خواست ظلم کند ولکن عاجز شد و نتوانست دست برداشت ـ و اگر مطالبه نمائی و او را برای حساب بطهران بکشی خواهند گفت بجور و ستمکاری بیچارهٔ نعمت‌الله میخواهند خراب کند ـ اینست نتیجهٔ آنکه از اول نصیحت مرا پیروی نکردید ـ من میرزانعمت‌الله را در

خانهٔ شما دیدم و معاشرت من با شما بدرجات بیشتر است از معاشرت با او ـ و با این همهٔ اوهام باز من شما را اکمل از بیشتر ایرانیان میدانم ـ خیال فاسد نکن ـ شما خارج نیستید ـ ازین درگذریم ـ

اما فاضل بسیار عجیب است که چرا هر هفته مکتوبی نمیفرستد بلکه خدای نخواسته درین جوانی او را هم وَهْم غلبه کرده است ـ باید هروقت مکتوب بنویسد گاهی عربی و گاهی فارسی ـ و بدعا و سلام تنها اکتفا نکند بلکه بعضی تفصیلات بنویسد تا آنکه قوهٔ کتابت و انشأاش افزون گردد و فکرش وسعت گیرد و منتظر آن نباشد که من مکتوب را جواب بدهم ـ البته من گاه‌گاه برای تشویق او جواب خواهم نوشت ولی در وقتیکه مضامین مکتوبش عالی بوده باشد ـ

جمیع متعلقین و وابسطه‌ها و احباء خود و مرا سلامها برسانید ـ باز بشما میگویم دل خود را اصلاح نمائید ـ و واهمه را برخود چیره نسازید ـ خداوند عون شما باد در کارهای خیر.

والسلام

دوست شما جمال‌الدین الحسینی

کمال عقل

پطرسبورغ | ۳۰ اوریل فرنگی
شعبان

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن امین از مصائب غیرمنتظره مصون باشند

سطریکه در حاشیهٔ مکتوب سابق نوشته بودید گویا از خاطر محو شده بود ـ شخص چون جوان باشد همیشه مقهور حاسات طبیعیه است ـ نه عقل را بر فرحت و حزن و غضب آن حکمیست نه دین را ـ کمال عقل و تدین حقیقی که انسان را در شیخوخت حاصل میشود باید از سطوت طبیعت‌اش رهائی بخشد و حاسات طبیعیه را مضمحل گرداند ـ تا آنکه فرحت و اندوه و خشم آن همه در دائرهٔ عقل و دین بوده باشد ـ ازین راه میتوانم بگویم که شما را پس ازین نمی‌سزد که از موت والده و فوت کریمه اندوهناک شوید ـ بلکه باید درین عمر پس از همه تجربه‌ها و معاشرت با اصناف عالم از صالح و طالح اندوه شما بر ارتکاب رذیلهٔ و یا ترک فضیلتی باشد ـ و فرحت شما باصلاح ذات خود و تحلیهٔ آن بصفات حسنه و اخلاق کریمهٔ که اعاظم افراد انسان بدانها فخر میکردند بوده باشد ـ نه بغیر آن ـ و اصلاح ذات خود (چون تجارت) بعد از عطیه آلهیه موقوف بسعی و اجتهاد است ـ و فکر شبانه روز میخواهد ـ و حساب باید کرد ـ و همیشه باید در خوف و وجل بود که مبادا در حساب خطا شده باشد ـ و افکار عقلیه و اخلاق نفسانیه را (چون بضاعت تجارت) باید تجربه‌ها کرد و باهل خبره نشان داد و سؤال کرد و تفتیش نمود ـ البته اهتمام انسان در قوام ذات خود اشرفست از سعی آن در خارج از خود ـ و چنان گمان نشود که باید از کار جهان دست کشید ـ نه نه ـ بلکه باید کار جهان را بر نهج حق و عدل از برای (خدا) کرد و چنان که (خدا)

میخواهد ـ و خداوند تعالی میخواهد که در عوالم سفلیه چون عوالم علویه همهٔ کمالات و زیب و زینت خود را در همه چیز در همه‌جا مشاهده نماید ـ و همهٔ برومندی و قدرتش در فرد انسانی و صنایع و آثار آن ظاهر گردد ـ و انسان در همه حالات خود مظهر کمال حق باشد تا آنکه در هر طوری شاهد کمالات غیرمتناهیه او باشد ـ و بدین لسان از جوهری که لسان کمال است تمجید کرده نه تنها بلسان قال که بغیر از تقطیع اصوات و موج هوا چیز دیگری نیست ـ خداوند یاری کند ـ و همهٔ پاک‌سرشتان را جلوه‌گاه کمال و جمال خود نماید. آمین ـ

و اما میرزانعمت‌الله در مکتوب خود سه شق بر شما عرضه کرده بود ـ البته شما بر نهج حق و عدل یکی از آن سه را قبول خواهید نمود ـ و امیدم چنان است که هیچگاه شما بتعدی و اجحاف که صفت جبّاران است راضی نخواهید شد ـ جواب جناب جلالتمآب اجل أمین‌السلطان را در جوف مکتوب شما بعنوان خود شما روانه طهران نمودم ـ اگر مرا دوستی پرسد سلام‌اش ـ همیشه شما و اهل خانه و متعلقین شما سلامت بوده باشند

والسلام

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی

انسان کامل، مظهر کمال حق

پطرسبورغ ژوئیه فرنگی ۱۰

جناب محتشم محترم حاجی محمدحسن أمین‌دارالضرب السلطانیه مظهر عنایات خاصه الهیه بوده باشد

چند هفته است که میخواهم جواب مکتوب شما را بنویسم ولکن بعضی خطرات مانع میشود و این از آن طرف باشد ـ جود مطلق الهی در هر طبیعت و ماهیتی بنوعی جلوه میکند ـ آب زلال خوش گوار در هر تخمی برحسب سرشت آن بطعم دیگری در مذاق ظاهر میشود ـ هر انسانی در عالم أفاضه و استفاضه بمنزلهٔ دو کفهٔ میزان است ـ معاملهٔ حق با انسان بر وفق معاملهٔ اوست با خلق ـ پس باید همیشه عنایات غیرمتناهیه حق و قصور بی‌اندازهٔ خویش را در پیش نظر داشته با خلق خدا همان‌گونه معامله کرد ـ از خداوند تعالی علی‌الدوام بلااستحقاق نِعَم عظیمهٔ دنیویه و اخرویّه خواستن و همیشه طلب غفران ذنوب صغیره و کبیره‌نمودن با وجود این خلق را از خوان نعمت خود راندن و بر زلّات حقیره بانهایت خشم عقاب‌کردن بسیار جای شگفت است ـ

انسان باید مستمراً در دعوات خود بگوید که ـ ای خداوند من ـ من بدین عجز و ناتوانی بر زیردستان رحم میکنم و گناهان آنها عفو میکنم ـ پس اگر تو با آن قدرت مطلقه و رحمت نامتناهی برین عاجز رحم کنی و از ذنوبم درگذری و مورد عنایات خاصه‌ام سازی چه عجب باشد ـ اینست عدل ـ و خداوند تعالی عین عدل است ـ برای صدتومان یا بیش و یا کم در حالت توان‌گری نباید عاجزی را حبس کرد ـ باید انسان خواهان کمال سعی کند که خود را مظهر صفات کمالیه حق نماید ـ انسان طالب رشاد

را نباید که خود را بازی دهد ـ اگر زلّه در طبیعت آن قابل غفران نیست از خدای خود چگونه میخواهد ـ اگر کسی احسان صرف را مکروه شمارد و بدون سابقهٔ عملی واثقی بکسی ندهد و در آنوقت از خداوند تعالی طالب احسانها صوری و معنوی بوده باشد البته درین خواهش یا خدا را میخواهد بازی بدهد و این عین نقص است و یا خود را و این جای خنده است ـ

میرزانعمت‌الله از اطاعت شما سرنخواهد پیچید و شما هم نباید کاری بکنید که باعث تباهی آن شود ـ میرزامحمدرضا اگر مجذوبست و اگر مجنون در هر حال بستهٔ بشما است ـ نباید سخت‌گیری کرد ـ در حالتیکه که خداوند تعالی شما را در مملکت ایران مظهر یکی از صفات خود کرده است شما هم بشکرانهٔ همین نعمت همیشه در کار روائی بنده‌گان او بکوشید ـ با خلق خدا آن کن که میخواهی از خدا ـ فاضل را چه شده است ـ ماشاءالله ـ ماشاءالله ـ هیچ کاغذ نمینویسد

حاجی محمدابراهیم و سایر خاصّه و متعلقان خود را همگی سلامها باد والسلام

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی

قرض الحسنه

پطرسبورغ　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　۵ سبتامبر فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن أمین همیشه درین آخرالزمان (که زمان تباهی و فساد اخلاق متلبّسین بلباس اسلام است) مظهر عجائب قدرت حق بوده باشند.

درین مکتوب جز چند کلمهٔ آتیه نخواهم نوشت ـ اگر دل را تغییری و فکر را تبدیلی حاصل نشده است برسیدن این مکتوب با قرب وسائلی که ممکن است همان پنجهزار منات راکه بمیرزاعلی حواله کرده بودید که بمن بدهد و در آنوقت من قبول نکردم ـ اکنون همان پنجهزار منات را به آقای محمدجواد حواله کنید که در پطرسبورغ بمن بدهند و من آن مبلغ را باز بشما خواهم داد لامحاله ـ و میگویم اگر شما را درین حواله قلق و یا اضطراب حاصل شود و چنان گمان کنید که وجه شما از دست رفت هرگز حواله نکنید ـ مقصود آنست که با غایت انشراح صدر و مسرت بوده باشد.

والسلام

دوست شما جمال‌الدین الحسینی

سیر و سلوک، در آفاق و انفس

پطرسبورغ کران‌هوتیل ۳ نوامبر فرنگی

جناب همیم غیور و مِقدام جسور حاجی محمدحسن امین سلامت بوده باشند

مکتوبهای شما همه رسید ـ و از سیر و سلوک عقل فطری شما در عالم آفاق و أنفس و از آن ملاحظات دقیقه شما در تطورات وجود بسیار خوش شدم ـ البته نباید که انسان با وصف انسانیت درین جهان چون حیوان از همه غفلت نموده زیست نماید و هیچ کلمهٔ از کتاب الهی که عالم است نخواند ـ و اما آنچه در حق میرزانعمت‌الله نوشته بودید همه را قبول میکردم اگر قول مرا شنیده اوّل محاسبه میکردید و اما الآن هیچکدام را قبول نخواهم کرد ـ و اما کیفیت اسباب راه‌آهن، سفیری که در پطرسبورغ است میگوید که بهیچوجه حاجی امین چیزی از برای راه‌آهن نخریده است و ناظر داخلیّهٔ روس این مسئله را از بلجیک تحقیق کرده است بسیار تعجب نمودم.

فاضل را بسیاربسیار سلام میرسانم و همچنین حاجی محمدابراهیم و سائر وابستگان را.

والسلام

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی الافغانی

طبیعت بشر ـ دینی بر ذمّه

پطرسبورغ غره ژانویه فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن أمین همیشه مظهر عنایات خاصهٔ حق بوده خورسند باشند

هیچکس در هیچ امری از امور نتواند دعوی آنکند که بر جمیع حقوق آن چنانچه باید و شاید قیام نموده است و یا مینماید مگر در آنوقتیکه از اهمال در آنها ضیاع رنج سابقی و یا تصور ضرر لاحقی بخاطرش خطور کند ـ اینست فطرت انسان ـ بی‌بها را اگرچه ماءالحیاة باشد در نفوس بهائی نیست ـ شخص امین هرقدر متدین باشد در صیانت امانت آنگونه اهتمام نخواهد نمود که در حراست مال خویش مینماید ـ و از فقدان آن بر انسان محزون نمیگردد که از خاصّه خود ـ اینست طبیعت بشر ـ خادم هرچه صادق باشد نتواند چون مولای خویش در حفظ اموال و حقوق آنکوشد ـ بلی اگر ضامن خسارت باشد همان‌گونه در وقایت آنها خواهد کوشید که گویا از آن خود است ـ اینست سرشت بنی آدم ـ

پس اگر کسی بخواهد که خود را از نقائص اهمال و تفریط در حقوق مبرا و منزه سازد و طبیعت را بر قیام بواجبات آنها مجبور نماید و نفس را بر مسابقت و مسارعت باز دارد ـ باید رهنی ـ تقدیم کند ـ اینک شما از برای اینکه در تمهید سُبُل حق کوتاهی نکنید و در واجبات تهیّهٔ اسباب آن تساهل نورزید مبلغ پنجهزار منات بنهج رهن تقدیم نمودید ـ والحاصل مبلغ دوهزار منات هم چنانچه نوشته بودید از آقامحمدجواد گرفتم شکر شما با خداست ـ این دین است برذمه من بشما خواهد

رسید ـ

تفصیل امر میرزانعمت‌الله در مکتوب سابق نوشتم البته بشما رسیده باشد. فاضل را در مکتوب خود مبارک باد گفته بودم باز شما از طرف من مبارک‌باد بگوئید و امیدوارم که خیر و مبارک باشد ـ حاجی محمدابراهیم را سلام باد

والسلام

دوست شما جمال‌الدین الحسینی

جناب جلالتماب اجل امین‌السلطان نوشته بودند که هروقت میرزا ابوتراب ساوجی بیایند نظر عنایت بجانب ایشان خواهند نمود ـ من به میرزا ابوتراب کاغذی نوشته بودم گویا بایشان رسیده است اگر بیکی از خدام خود بگویند که در خانهٔ آقاکوچک پسر حاجی سیدصادق مجتهد مرحوم ازو استفسار نموده بدو خبر دهند بسیار ممنون میشوم و شما را شکرها خواهم گفت.

دوست نادر!

پطرسبورغ — ۱۰ مای فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن أمین دارالضرب السلطانیه همیشه خورسند و از مصائب و آلام فجائیه مصون و محفوظ باد

اگر شما را دوست بشمارم گویا آنقدر خطاء عظیمی نکرده باشم (انسان از خطا خالی نیست) و محبت را لوازم بسیار است ـ و حقیقةً چون ملاحظه شود اگر کسی دوست خود را چون خود نخواهد و مراعات حقوق آنرا نکند نتوان او را دوست شمرد ـ بلکه آنگونه شخص را باید آشنا گفت ـ و دوست دوست است ـ

لهذا میگویم که جناب آقامیرزا جعفرخان قنصل (مکاریه) دوست من است و زیاده بر سیادت نسبی قلبش مطهر و اخلاقش مستقیم است و میدانید که اینگونه شخص درین آخر زمان نادر است ـ و درین روزها عازم طهران است ـ چون برسد البته او را احترام خواهید نمود ـ جواب مکتوب جناب جلالتمآب اجل افخم أمین‌السلطان راکه درضمن مکتوب شما روانه نمودم گرفته، خواهید روانه نمود ـ

فاضل مکتوبی مفصل خواهد نوشت سلام بر شما و اهل بیت و متعلقین خُلّص شما باد والسلام

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی

باخت، عین برد

شوال ۲۴

نیّرالفواد جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن امین نجاه‌الله من شَرکِ الأوهام
آمین

چنانچه در مصالح خاصه دنیویه هرکس نهایت حذق خود را به‌کار می‌برد و هیچگاه در تدبر و تفکر و ملاحظات اطراف و جوانب کوتاهی نمینماید و خویشتن را از برای جلب منافع و یا دفع مضارّ هدف اصناف مصائب و بلایا میسازد و انواع اهانات و تحقیرات را متحمل میشود چه بمقصود برسد یا نه.

همچنین انسانیکه از زلال ایمان چشیده است و بحق حقیقت یقین دارد بجهت فروض الهیه و واجبات دینیه گونه‌گونه آلام و اسقام را بر خود گوارا سازد و از برای تأدیه کلمه حق و قیام بأوامر خداوند تعالی بهیچوجه از صور تامّه نکبات و هیئآت بَشِیعه‌کوارث دهر اندیشه نکند. پس اگر در اول تفویض شود و ثانی را به قضا و قدر حواله کند البته از صراط مستقیم انحراف... (ان‌الله أشتری من‌المؤمنین انفسهم و أموالهم...). چون بنور بصیرت نظر شود باخت در این رقعهٔ شطرنج عین برد است و خسارت عین ربح (بِیَر انبیا و اعلام هدی در دست است). اِنشاءالله الرحمن پس از این بهتر از سابق در کلمات بزرگان گذشته غور خواهید نمود.

سپس این اشقیاء ایران نگذاشتند که در بغداد أقامه کنم. اکنون در بصره می‌باشم. طریق نجد و مدینه و مکه مفتوح است. عربان نجد خواهش منداننده که به نجد بروم و دم از طاعت میزنند ولی مشورت و ملاحظه اوقات لازمست. روحیه و احوال خودتان

را بنویسید و بدانید که کلمة‌الله هی العلیا.

جناب حاجی در همهٔ این غموم، مسرور میشدم اگر کار معین‌التجار را اصلاح مینمودید و نظر عنایتی بجناب ملاعلی میانداختید. امیدوارم که در جواب همین مکتوب این خبر خوشحالی بمن برسد.

جناب ملک‌التجار را سلام میرسانم. احوال خود را بنویسید و افکار خویش را بیان کنید. اگر انسانی در طهران هست افکار او را هم بنگارید.

فاضل را فراموش نمی‌کنم والسلام.

راههای سایر بلاد هم مفتوح است. بعضی هم چنان خواهش دارند که بطرف غرب بروم.

نامه‌ای به فرزند امین‌الضرب درباره:

ابوتراب ساوجی

غرّه مارس فرنگی

اگر از تو شکوه کنم گویا از خود سخن رانده باشم زیرا بخود خواهم اندیشه کرد که شاید در تربیت چندماهه و در آن اندرزهای متعالیه قصوری بوده است و اگر دم درزنم بدین راضی شده باشم که تو هم در اخلاق و عادات چو سائر ایرانیان باشی و من نمیخواهم، چون آرزویم آنست که ترا در ایران مصدر امور عظیمه ببینم چرا کاهلی ـ مکتوب فرخنده بالی بتو نوشتم جوابش تا هنوز نرسید. خجالت کشیدی در سنن طبیعت و قانون شریعت شرمندگی نباید ـ

باری میرزاابوتراب ساوجی را بتو میسپارم معنی این بسیار بزرگ است (البته فهمیدی) باید اثر سفارش من و نتیجهٔ امتثال تو در مکتوب او بمن برسد ـ و خواهش دارم که کاغذهای او را همیشه خودت بتوسط آقامحمدجواد از برای من بفرستی ـ و جواب این‌مکتوب را بزودی روانه نمائی بی‌تساهل و بی‌کاهلی

و جناب حاجی محمدابراهیم را سلام بگو ـ و والدهٔ مکرمه محترمه خود را ازطرف من سلام و احترامات برسان و در ارضای خاطر ایشان بکوش.

والسلام

جمال‌الدین الحسینی

هدف:
نصیحت و اصلاح نه صدارت!

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن امین دارالضرب‌السلطانیه همیشه خورسند و مسرور بوده باشند.

مکتوب شما که آرزوی حصول فرصت از برای گله گذاری (جای التماس دعا را گرفته بود) رسید. جناب حاجی، من آنچه گفته‌ام و میگویم و کرده‌ام و می‌کنم، همه محض و صرف از برای خیر امت محمدیه بوده است و خواهد بود، و بهیچوجه انانیّت مرا درو مدخلی نبوده است و اگر منافقان ایران در نزد کوران و کران که نه چیزی شنیده‌اند و نه دیده‌اند، انکار نمایند امید آن دارم که شما در پیش نفس خود اعتراف کنید که راست می‌گویم. و چون خداوند تعالی از حقیقت کنش و روش من مطلع بود، لهذا دولت عثمانی را پس از شش ماه که از در مخالفت با من درآمد، گوش و دماغش را بریده کمرش را شکست و خدیویت مصر را پس از آنکه مملکتش را پارچه‌پارچه کرد، پای سنگین انگلیز را بر گلوی آن نهاده که نزدیک است که نفسش قطع شود و شیرعلی‌خان و عائله آنرا تار و مار کرد.

اکنون می‌گویم اگر ایران بر گناه خود اصرار نماید و توبه نکند، خداوند تعالی چون به‌جهت گناهان سابقش گوش و دماغ کنده است، حالا سرش را خواهد برید و گوشتش را طعمهٔ نسرها و عقابها خواهد نمود و بسیار زمان طول نخواهد کشید.

خداوند تعالی بیزار است از این اعمال جاهلیت و رسوم وحشی‌ها که بر سر آنها عمامه اسلام‌ودین‌نهاده‌اند، اینک من جهاراً می‌گویم و عالم در این نزدیکی خواهند دید.

نوشته بودید که پس از ورود من به‌طهران همه چیز آماده و حاضر بود،

حاجی جان! چه حاضر بود و کدام چیز آماده بود؟ من صدراعظم نمی‌خواهم بشوم؛ من وزیر نمی‌خواهم بشوم؛ من ارکان دولت نمی‌خواهم بشوم، من وظیفه نمی‌خواهم؛ من عیال ندارم، من ملک ندارم و نمی‌خواهم که داشته باشم.

پس چه حاضر بود و چه آماده؟ جناب حاجی بسیار اشخاصها بواسطه من به رتبهٔ بیگی و پاشائی رسیده‌اند و بسیار اشخاص بتوسط من به مواجب‌های باهظه رسیده‌اند ولکن خود من همیشه به یک حالت بوده و خواهم بود جز نصیحت و اصلاح مقصد دیگری ندارم و آن که دل شاه را تغییر داد اگر قلندر اصفهانی است و یا ناقلندر تهرانی، زنیمی‌که راضی شد و آن عتیلی[1] که تهاون ورزید، خداوند تعالی از همه کس بهتر می‌داند (انسان چون حق کشف حقایق نتواند بکند) جزاء همه در اینجا و در آنجا در دست حق است.

نگاشته بودید که جناب جلالت‌مآب اجل افخم به اوج اقتدار رسیده‌اند! اگر در آن نفع خلق است باعث مسرت و خشنودی است. اگر چشم من درو خیر عموم عبادالله نباشد، کور باد بهتر است و اگر دستم برای سعادت مخلوق نکوشد، از حرکت بازماند و اگر پایم در راه نجات امت محمدیه قدم نزند شکسته شود. اینست مذهب من و اینست مشرب من و امید آن دارم که جناب جلالت‌مآب اجل، به قدر اقتدار خود در خیر ایرانیان بیچارهٔ مسکین فلک‌زده بکوشد.

و اما میرزا نعمت‌الله، سواد مکتوبی که از برای شما روانه کرده بود، پیش من فرستاد و البته شما یکی از آن وجوه ثلاثه راکه بشما عرضه کرده بود، قبول خواهید کرد و از راه عدل و انصاف منحرف نخواهید شد.

از فاضل چیزی ننوشته بودید، جمیع اهل خانه و متعلقین خود را و حاجی محمدابراهیم را از طرف من سلام بگوئید و آتش سوزان برزخ این جهان را بر خود بملاحظه قیمومیت الهیه بَرد و سلام نمائید و جناب آقامیرزا خلیل را مخصوصاً سلام بگوئید. عبدالغفور حالش چگونه است؟ والسلام.

جمال‌الدین الحسینی

---

۱. زنیم، پست و فرومایه. عتیل مزدور، نوکر.

علم در میان مردم جاهل؟

جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن امین همیشه مورد عنایت خاصه الهیه و مظهر فیوضات ربانیه بوده خورسند باشند، آمین.

پس از آن که مکتوبی به شما روانه نمودم کاغذی از طرف شما رسید و فاصلهٔ بین صدور آن و ورود این بیش از پنج ساعت نبود ـ صدق است این مملکتها جامه و دهن و معده را نجس می‌کند و لکن آن بلاد، عقل و روح و نفس ناطقه انسان را ملوث می‌گرداند، چونکه بیچاره‌ها بجهت تضارب آراء فاسده و تلاطم اطماع فاسده و هیجان اخلاق رذیلهٔ ابالسه محتاج می‌شوند که دروغ گویند و تزویر و مکر و خدعه بکار برند و از طریق مستقیم منحرف گردند و برضد فطرت طاهرهٔ خویش عمل نمایند و جناب حاجی در نفس خود ملاحظه کند (با آنکه طالب صلاح و فلاح و در اصل فطرت از همه ایرانیانی که از نظر گذشته است برترند) همین امور را خواهند یافت (چاره نیست چه باید کرد) و لکن ممکن است که اندک‌اندک حقیقت حال بر خود انسان ملتبس گردد و زشت را زیبا شمارد (نعوذ بالله)...

نوشته بودید که به مشهد مقدس بروم و خلق را علم بیاموزم (بسیار خوب است) ولی در مملکتی که افتراگفتن را هنر دانند و دروغ‌گوئی را کاردانی و نمیمه را پیشهٔ خود شمارند و بدین صفات شیطانیه در محافل و مجامع مباهات و مفاخرت نمایند و خویشتن به زیرکی ستایند؛ چقدر دشوار است سخن از حق راندن و حقیقت علم را آموختن، خصوصاً با جاهلی که خود را دانا شمارد و کوری که خویش را بصیر انگارد.

با همهٔ اینها چنان گمان می‌کنم که شما در آن چند ماه، که شب و روز و در هر

ساعت باهم بودیم بفطانت فطریه و بنور ایمانی اندکی مرا شناخته باشید و دانسته باشید که مرا در این جهان چه در غرب باشم و چه در شرق مقصدی نیست جز آنکه در اصلاح دنیا و آخرت مسلمان بکوشم و آخر آرزویم آنست که چون شهدای صالحین خونم در این راه ریخته شود؛ ولی در حرکات خودم مجبورم و از اراده الهیه سرباز نزنم.

از این مسئله درگذریم... (در وقت ورود موکب همایونی) برسم فرنگستان به هریک از آشنایان کارت خود را فرستادم و با امین‌الدوله و مخبرالدوله و اعتمادالسلطنه چنانچه میدانید ملاقات حاصل شد، چونکه وقت معین کردند و کاغذی بامین‌السلطان نوشتم و خواهش نمودم که وقتی از برای ملاقات معین کنند و در ضمن مکتوب بیان کردم که میخواهم در این فرصت کذب کذابین را به برهان واضح بیان کنم. ایشان رافع ورقه را سه ساعت معطل کردند. و در هر نیم ساعت که از حجرهٔ خود بیرون آمدند برای کاری، به رافع ورقه گفتند که اکنون جواب خواهم نوشت (آخر رافع مأیوس شده بازگشت) و سبب یاکثرت اشغال و یا دسایس شیطانیه، هرچه باشد هیچ باید شمرد (دست خدا بالای دستهاست).

نوشته بودم که یک دوره‌ائی خواهم زد از غرب بشرق و از شرق بغرب، ولی بعضی از رجال دولت روسیه از من استدعاء نمودند که چندی توقف نمایم تا آنکه نتیجهٔ سفر همایونی بلندن معلوم گردد و لهذا چند دیگر هم درین شهر خواهم ماند و جواب اگر بنویسید در اینجا (یعنی پطرسبورغ) بمن خواهد رسید در هر حال سلامت و خورسند باشید والسلام.

دوست شما: جمال‌الدین الحسینی

حاجی سیاح مکتوبی مجمل نوشته بود که نمیدانم با شما چه کرده است و چه گفته است بیقین «جفر جامعه» میخواهد که یک‌یک جمل آنرا در تحت سؤال و جواب نهاده و مستحصلهٔ آنرا گرفته تا آنکه معلوم شود چه می‌خواهد بگوید.

انسان را اگر یک هزار سال عمر بودی از برای صیانت آن نبایستی اینقدر بترسد،

تا کجا که بیش از شصت و هفتاد نیست و آنهم همه‌اش گذشته است. وای بر حال ما با اینگونه زندگانی. ولی من امیدوارم شما اینگونه نباشید و همیشه بیاد آورید که خداوند تعالی تمنی موت را علامت صدق ایمان قرار داده است.

والسلام

رفتار سلاله اشقیاء کوفه و شام

جناب نیّرالفؤاد حاج محمدحسن امین ثبت‌الله قلبه علی‌الحق را سلام باد

این واقعه مهوله محض از برای آن بود که مسلمانان ایران بدانند که من تا هر درجه بجهت اصلاح حال صوری و معنوی ایشان ثابت و پایدار بودم (و انشاءالله الرحمن تا رسیدن بمقصود نیز ثابت خواهم بود) و دیگر آنکه ضعیف‌الایمان‌ها عدل‌الهی را در ظالمان فیما بعد ملاحظه کنند و سزای ستمکاران را بچشم خود در آتی بنگرند، شاید ایمان ایشان قوی گردد و بحق بازآیند.

تفصیل واقعه را و اصناف ستم سلالهٔ اشقیاء کوفه و شام را فیما بعد خواهم نوشت.

دیگر جناب حسام‌الملک والی کرمانشاه آنقدر مهربانی کرد با آنکه اسم مرا هم نمی‌دانست که می‌توانم بگویم که یک سرشت پاک دیگر هم‌چون شما در ایران دیدم.

جناب ملک‌التجار را سلام و فاضل را هرگز فراموش نخواهم کرد. حالا همینقدر کافی است والسلام.

جمال‌الدین الحسینی

الحق ـ الحق آقاملاعلی از روز ورودم در خدمتگزاریست. خدایش توفیق دهد و شما را برو مهربان کند.

چگونه مرا تبعید کردند؟

جناب نیّرالفؤاد حاجی محمدحسن امین لازال ثابتاً علی سبیل‌الرشاد را سلامها باد.

روز پنجشنبه در حضرت عبدالعظیم که از بیماری قدرت بر حرکت نداشتم بیست نفر جلاد (فراش) عمر سعد (مختارخان) ریختند به منزل (معین‌التجار هم بودند) مرا بغایت غضب و حدت که نمونه‌ئی از حقد و کینه عساکر ابن‌زیاد بود کشیدند، چون خوف آن داشتند که مبادا اندک اسلامی در قلوب اهل شهزاده عبدالعظیم مانده بسبب غیرت دینی از من حمایت کنند (و حال آنکه این خیال باطل و فکر محال بود، چونکه اسلام و دین و غیرت و حمیت مدتیست که از آن ولا هجرت نموده و چنانچه همیشه می‌گفتم) آنقدر مرا بسرعت می‌بردند و بشتاب می‌کشیدند که دکمه‌های قبا و پیراهن، گلوی مرا چنان فشار داد که نفسم قطع شده بزمین افتادم.

پس از آن به هیچگونه ندانستم که مرا به چه نوع به دارالاماره عمر سعد رسانیدند و تا مدت چهار ساعت هیچ نفهمیدم که در کجا هستم، چون به خود آمدم و عمر سعد و شمر را (حسن‌خان قزوینی سرتیپ سوار کشیک‌خانه) در حضور خود دیدم، و مدت سه ساعت هم بی‌عمامه بی‌رداء نشسته علی‌الاتصال آب می‌نوشیدم، چون که بسبب حبس نفس حرارت شدیده را در جگر حاصل شده بود (حتی تا کرمانشاه این باقی بود و می‌بایست روزی چهل‌بار آب بنوشم) پس از آن شمر گفت دو ساعت بیش بغروب نمانده باید سوار شد، در این بین بمختارخان گفتم بگوئید کیف مرا که در آن اندکی پول است بیاورند، ایشان بر خواسته رفتند و کیف را هم که در آن بعضی مبلغ و پاره‌ای اوراق و کتب بود، ندادند، و هرچه گفتم بدیشان خبر دهید کسی هم بدیشان خبر نداد، آخرالامر شمر گفتند وقت میگذرد، ما کیف را برای شما به قم روانه

خواهیم نمود!

پس یک بقچه لباس مرا آورده با قلمدان و اسباب چپق ولکن یکی قلمدان را برداشت و دیگری اسباب چپق را و الحاصل در محضر خودم آن چیزهای حقیر را هم نهب کردند، همان عبا و لباده و دو قبا در جوالی گذاشته مرا بیک یابوی لکنتی سوار نموده تا یک نیمساعت سی سوار با من آمدند، پس از آن مرا در حالت بیماری و تنگ‌نفس و حرارت کبد به پنج سوار که رئیس ایشان سنان‌بن عنس ـ که حمیدخان سرهنگ باشد ـ سپردند.

دیگر در بین راه بی‌بالاپوش بی‌شلوار با همهٔ آن برفها و آن سرماهای شدید و آن خشونت اخلاق و عدم ایمان حارسین و در منزل‌گاهها بطویل‌ها فرود آمدن، آن دودها، دیگر خود شما تصور کنید که چه گذشته است. و از همه شگفت‌تر آنکه چند قران که در جیب بود لشکر ابن سعد بدر بردند.

از حضرت عبدالعظیم تا کرمانشاه یکبار گوشت خوردم و آنهم در منزل دستگرد که در آنجا از عجائب اتفاقات، با حاجی ناصر اتفاق ملاقات افتاد و الحق ایشان کمال صفا را بجا آورده اسبی داشتند و خواستند از برای خلوص نیّت بمن بدهند، ولی من قبول نکردم خداش یار باشد.

اینهمه را نوشتم، تا آنکه بدانید این مصائب بر بدن من وارد آمد، ولی در همه اینحالات روح من مسرور بوده و هست و خواهد بود و بلاشک بعضی ایرانیان خواهند دانست که من برای اصلاح احوال صوری و معنوی ایشان تا هر درجه ایستادگی دارم آنچه می‌گفتم نه از برای امرار وقت و گرمی مجلس بود و از خداوند تعالی خواهانم که این واقعه مهوله را یکی از اسباب فوزمن قرار دهد و بدین مقصد عالیم برساند و دلهای پاک منور به ایمان را شاد گرداند، آمین.

* * *

کاغذی به آقامحمدعلی نوشته بودید، خواندم هیچوقت در صفای روح و نقاوت نفس و علو سجایای شما از یوم اول ملاقات، شبهه نکرده بودم، شکر شما با خدا است و جزای شما از اوست. آقامحمدعلی الحق چون ملاعلی همیشه در خدمتگزاری

حاضرند و البته آنچه لازم باشد از ایشان گرفته خواهد شد. جناب حسام‌الملک تا امروز بسیار مجاملت می‌نمایند الحق اینهم عجیب است.

اکنون بیمارم و لهذا از رفتن و ماندن سخنی بمیان نیاورده است و امیدوار آنم که نه در عزم شما وهن و نه در حرارت ایمانیه شما نقصی حاصل شود، بلکه باید سپس این واقعهٔ مهوله مترقب آن باشید که علی‌الدوام عجائب قدرت الهیه را در اعداء دین و دولت مشاهده کنید و بر مراتب ایمانیه خود بیفزائید و عدل خدا را بدیده تحقیق بنگرید.

وکیل‌الدوله هم پیش من آمدند و اظهار نمودند هرچه بخواهید از اسب و نقدیه حاضرم، تشکر نمودم. آقامحمدعلی میگفت که امین‌الدوله بسرهنگ پستخانه نوشته است که هرچه مرا لازم باشد کارسازی کنند، ولی تا حال کتابت، نزد من نیامده است؛ حاج ملک و فاضل خودم را درود می‌رسانم والسلام.

جمال‌الدین الحسینی

تهمتهای ناروا بر سلالهٔ علی(ع)

نیّرالفؤاد جناب محتشم مکرم حاجی محمدحسن امین جعله‌الله ظهیراً للحق حیث ظهر وأتی...

ابن‌زیاد کی بآل رسول رحم کرده بود؛ آنکه سر انسانی را میبرد، آیا پس از آن بکفن و دفن آن مشغول می‌شود؟ آنکسیکه سلالهٔ علی (ع) را ارمنی و نامختون شهرت میدهد، آیا زاد و راحله‌اش عطا می‌نماید؟ الا لعنةالله علی‌الکاذبین.

بلی باید وقایع زمان گذشته و حال در هر چیز مشابه باشد، چونکه اشرار همگی، اگرچه در أزمنهٔ مختلفه بعالم وجود قدم نهند، از یک شجره خبیثه می‌باشند و اعمال و اقوالشان همیشه مشاکل و مماثل بوده است و سنت الهیه هم در عالم خلق علی‌الدوام بر نهج واحد بوده و خواهد بود. اکنون باید منتظر عجایب قدرت الهی شد من حق نصیحت دینیه را بجا آوردم و در سلوک طریق حق، خوف و جزع که لازمه غالب نفوس است، بخود راه ندادم و بسبب اوهام باطله از انذارات دم نبستم و اشقیاء هم آنچه توانستند کردند، اکنون باید دید که خدا چه می‌کند.

البته هرکس که نفس او ضعیف و ایمانش سست است، هرگونه خیال می‌تواند بکند و هرگونه سخن می‌تواند که بزند و هرنوع نسبت می‌تواند بدهد، چنانکه سابقین کردند و زدند و دادند، ولکن واجب است بر خداوند عالم که باطِل را زائل و حق را ثابت و بحجت قاطعهٔ خویش آشکار و ظاهر سازد.

نعم، علی‌الدوام فتن و امتحانات در این طرق بوده و هست والاتمییز خبیث از طیب چگونه خواهد بود و همیشه مصاعب و خطرها و مهلکه‌ها در سبیل تقویم و تعدیل بشر بوده است وگرنه معدلین را چه فضیلتی باشد.

البته آن اشخاص که از ایمان بالفاظ قناعت کرده‌اند و قلبشان را از حقیقت آن خبری نیست و بجز ظاهر حیات دنیا و لذائذ آن بچیز دیگر توجه ندارند، اینگونه اعمال را سفه و جنون می‌شمارند، ولی اگر یکروزی نور عقل بدیشان بتابد و ایمان حقیقی جوهری خانهٔ دل ایشان را منور سازد، خواهند دانست که آن خیال جز از خطرات نبود.

بلی ابولهب و ابوجهل تا وقت موت همینگونه خیال داشتند امیدوارم که ملاقات دست دهد. جناب ملک‌التجار را و سایر بستگان همگی را سلام باد، والسلام.

جمال‌الدین الحسینی

اکنون دربغداد در «باب‌آلاغا، عقد صفافیر» در خان حاج عبدالصمد اصفهانی می‌باشم.



شـــش نامـــه

به

علمای بزرگ شیعه

دربارهٔ

فساد شاه و رژیم قجری ایران



نامه‌ای به:

رهبر شیعیان

بسم‌الله الرحمن الرحیم

حق را بگویم، من دوست داشتم این نامه را ـ اگرچه بنام شخص خاصی عنوان شده است[1] ـ بهمه علماء و دانشمندان تقدیم کنم، چون دانشمندان در هر نقطه‌ای طلوع نموده و بهر نحوی که رشد کرده و هرکجا یافت شوند، جانی هستند که در پیکر دین محمد صلی‌الله علیه و آله و سلم دمیده شده است. این نامه درخواست عاجزانهٔ ملت اسلام است که به پیشگاه رهبران عظیم‌الشأن خود، نفوس پاکیزه‌ای که زمام ملت را در کف گرفته‌اند، تقدیم میدارد.

پیشوای دین، پرتو درخشان انوار ائمه، پایهٔ تخت دیانت، زبان گویای شریعت، جناب حاج میرزا حسن شیرازی ـ خدا قلمرو اسلام را باو محفوظ بدارد و نقشه شوم کفار پست‌فطرت را بواسطهٔ وجود او بهم زند ـ خدا نیابت امام زمان را بتو اختصاص داده و از میان طایفهٔ شیعه تو را برگزیده و زمام ملت را از طریق ریاست دینی بدستت داده و حفظ حقوق ملت را بتو واگذارده و برطرف ساختن شک و شبهه را از دل‌های مردم، جزء وظایف تو قرار داده، چون تو وارث پیغمبرانی، سررشته کارهائی را بدستت سپرده که سعادت این جهان و رستگاری آن جهان بدان وابسته است.

خدا کرسی ریاست ترا در دل‌ها و خردهای مردم نصب کرده تا بوسیله آن ستون عدل محکم شود و راه راست روشن گردد و درمقابل این بزرگی که بتو ارزانی داشته حفظ دین و مدافعه از جهان اسلامی را نیز در عهده‌ات نهاده است، تا آنجاکه بروش پیشینیان به فیض شهادت نائل شوی.

---

۱. این نامه بعنوان مرجع تقلید وقت مرحوم آیةالله حاج میرزا حسن شیرازی از بصره به سامره نوشته شده است.

ملت اسلام، کوچک و بزرگ، شهری و روستائی، دارا و ندار؛ باین عظمت خدائی اقرار نموده و درمقابل این بزرگی زانو بزمین زده سر تعظیم خم میکند!

ملت اسلام در هر پیش‌آمدی بتو متوجه شده و در هر مصیبتی چشمش را بتو دوخته، سعادت و خوشبختی، رستگاری و رهائی خود را دردست تو میداند، آرزوهایش بتو بسته است و آرامشش توئی، با اینحال اگر (برای مدتی که از یک چشم بهم‌زدن بیشتر نبوده و از گردش بیک پهلو تجاوز نکند) ملت را بحال خود گذاشته و بآنها توجه نداشته باشی، افکارشان پریشان میشود و دلهایشان از بیم بلرزه درمیآید و پایه ایمانشان سست میگردد.

چرا؟ چون توده نادان در معتقدات خود جز استقامت و ثبات قدمی که طبقه دانا در عقایدش نشان میدهد، دلیلی ندارد، هرگاه طبقه علماء در انجام وظیفه‌ایکه برعهده دارند سستی کنند، یا در نهی از منکر کوتاهی نمایند، توده عامی دچار تردید و بدگمانی شده و هرکسی از دین بیرون رفته و به عقائد اولیه خود برمیگردد و از راه راست منحرف میشود.

پس از این مقدمات، متذکر میشود که ملت ایران با همهٔ مشکلات سختی که دامن‌گیرش گشته، مشکلاتی که سبب شده است کفار بر کشور اسلامی دست یافته و بیگانگان بحقوق مسلمانان دست بیاندازند، و با این حال تو را ساکت دیده و می‌بینند، با مسئولیت بزرگی که در عهده داری بیاری آنها برنمی‌خیزی، از خرد بیگانه شده و مشاعرش را از دست داده و در سر دوراهی شک و یقین، انکار و قبول مانده، نمیداند چه بکند و راهش از کدام سمت است؟ مانند مسافری که در شب تاریک خط سیر خود را گم کرده گاهی از چپ و گاهی از راست میرود، در وادی پهناور خیالات گوناگون متحیر مانده، چنان دچار یأس و نومیدی شده و چنان راه چاره برویش بسته است که نزدیک است گمراهی را بر رستگاری ترجیح دهد و از شاهراه سعادت منحرف شده اسیر هوا و هوس گردد!

ایرانیان همگی مات و مبهوت مانده، از هم میپرسند: چرا حضرت حجة‌الاسلام در مقابل این حوادث سکوت نموده؟، کدام پیش‌آمد ایشان را از یاری دین بازداشته،

چرا از انجام وظیفه شانه خالی میکند؟ چه‌شده که دین و اهل دین را از نظر انداخته و آنها را زیردست کفار رها نموده تا هرطور که دلخواهشان هست، با آنها بازی کنند و بهرچه میخواهند فرمان دهند؟

برخی مردم سست عقیده دربارهٔ شما نیز بدگمان شده، خیال میکنند هرچه بآنها گفته‌اند دروغ بوده، و دین افسانه‌های بهم آمیخته و دام‌گسترده‌ایست که مردم دانا بوسیله آن نادانان را صید میکنند!، چرا؟ چون آنها می‌بینند (و همین است) همه مردم دربرابر تو تسلیم‌اند، همه فرمان‌بردارت هستند، امر تو در جامعه مسلمانان نافذ است، هیچکس در مقابل حُکمت گردن‌فرازی نمیکند، اگر بخواهی، میتوانی با یک کلمه (کلمه‌ای که از دل مرد حقیقت بیرون آمده و بر سینه اهل حقیقت می‌نشیند) افراد پراکنده را جمع کنی و با متفق ساختن آنها، دشمن خدا و دشمن مسلمانان را بترسانی و شر کفار را از سرشان برطرف نمائی و این رنج و مشقتی راکه دامنگیرشان شده است از آنها دور کنی و از این زندگانی سخت نجاتشان داده بزندگانی گوارا و دلپذیری نائل سازی، تا دین در نظر اهل دین بزرگ و ارجمند جلوه نموده و اسلام با داشتن چنین پیشوائی در دیده ملت محبوب گشته و مقام شامخی داشته باشد.

حق را باید گفت: تو رئیس فرقه شیعه هستی، تو مثل جان در تن همه مسلمانان دمیده‌ای، هیچکس جز در پناه تو نمیتواند برای نجات ملت برخیزد و آنها نیز به غیر از تو بکسی اطمینان ندارند. اگر برای گرفتن حق قیام کنی، همه به پشتیبانی تو برخاسته؛ آنگاه افتخار و سربلندی نصیب‌شان خواهد شد، ولی اگر بجای خود بنشینی مسلمانان هم متوقف شده و زیردست و زبون میشوند، ممکن است وقتی کار باین صورت بماند و مسلمانان رئیس خود را خاموش دیده و ببینند وی آنها را چون گلهٔ بدون شبان و حیوان بی‌سرپرست رها کرده این خاموشی را برای خود عذری پندارند، بخصوص وقتی مشاهده کنند که رئیس مذهب در یک اقدامی که همه مسلمانان آنرا واجب دانسته و خطر حتمی در پرهیزش میدانند سستی مینماید، (حفظ دین، دینی که آوازهٔ آن تا دورترین نقاط رفته و نام نیکش بگوش همه رسیده) ـ آیا چه کسی برای این کار سزاوارتر از مردی است که خدا در قرن چهاردهم از میان همه او را انتخاب کرده و

برهان دین، و حجت بر مردمان قرار داده؟

* * *

پیشوای بزرگ! پادشاه ایران سست عنصر و بدسیرت گشته، مشاعرش ضعیف شده، بدرفتاری را پیش گرفته. خودش از اداره کشور و حفظ منافع عمومی عاجز است، لذا زمان کار را بدست مرد پلید بدکردار پستی داده که در مجمع عمومی به پیغمبران بد میگوید، بمردم پرهیزکار تهمت میزند، به‌سادات بزرگوار توهین مینماید، با وعاظ مثل مردم پست رفتار میکند، از اروپا که برگشته، پرده شرم را پاره کرده و خودسری را پیش گرفته بی‌پرده باده گساری مینماید، باکفار دوستی میورزد، با مردم نیکوکار دشمنی میکند. این کارهای خصوصی اوست...

اما آنچه بزیان مسلمانان انجام داده این است که قسمت عمده کشور و درآمد آن را به دشمنان فروخته که به تفصیل عبارت است از:

۱ـ کانها و راه‌هائیکه به کانها منتهی میشود و هم‌چنین خطوطی که از معادن به نقاط مهم کشور متصل است.

۲ـ کاروانسراهائیکه در اطراف خطوط شوسه بنا میشود (در تمام کشور) بانضمام مزارع و باغستانهائیکه در اطراف این راه‌ها واقع است.

۳ـ رود کارون و مسافرخانه‌هائیکه در دو طرف این رود (تا منتهی‌الیه آن) ساخته میشود و هم‌چنین مراتعی که تابع این رودخانه است.

۴ـ راه از اهواز تا طهران و آنچه از ساختمان‌ها و مسافرخانه‌ها و باغستانها و مزارع در اطراف آن واقع است.

۵ـ تنباکو و آنچه لازمه این محصول است (از مراکز کشت‌زارها، خانه‌های نگاهبانان و متصدیان حمل و نقل و فروشنده‌ها، هر کجا واقع شده و هرجا ساخته شود).

۶ـ جمع آوری انگور بمنظور ساختن شراب و هر چه از دکان و کارخانه لازم دارد (در تمام کشور).

۷ـ صابون، شمع و شکر و کارخانه‌هائیکه لازم آنهاست.

۸ـ بانک (چه میدانی بانک چیست؟) بانک عبارت از این است که زمام ملت را یک‌جا بدست دشمنان اسلام داده و مسلمانان را بندهٔ آنها نموده و سلطنت و آقائی کفار را بر آنها بپذیرند.

آنوقت این خائن احمق برای اینکه ملت را راضی نماید، دلیل پوچی برای کردار زشت خود اقامه کرده و میگوید این‌ها معاهده موقتی است که مدتش از صدسال! تجاوز نخواهد کرد! چه برهانی برای رسوائی خیانت‌کاران از این بهتر؟

نصف دیگر مملکت را هم به‌عنوان حق‌السکوت بدولت روسیه داده (اگر ساکت شود) آنهم عبارت است از:

۱ـ مرداب رشت و راه انزلی تا خراسان و آنچه از خانها و مسافرخانه‌ها و باغستانها تابع این راه است. ولی دولت روسیه به دماغش! خورده و این هدیه را نپذیرفته، او درصدد است اگر این معاهده‌ای که به تسلیم کشور منتهی میشود بهم نخورد، خراسان را مستعمرهٔ خود کرده و بر آذربایجان و مازندران نیز دست بیاندازد. این اولین نتیجه‌ای است که بر سیاست این احمق مترتب میشود.

خلاصه: این مرد تبه‌کار کشور ایران را این‌طور بمزایده گذاشته و خانهای محمد صلی‌الله علیه و آله و سلم و ممالک اسلامی را باجنبی میفروشد، ولی از پست‌فطرتی و فرومایگی که دارد، به قیمتی کم و وجه اندک حاضر بفروش میشود. بله وقتی پست‌فطرتی و حرص با خست و دیوانگی آمیخته شود، چنین خواهد شد.

* * *

تو، ای پیشوای دین، اگر به کمک ملت برنخیزی و آنها را جمع نکنی و کشور را با قدرت خود از چنگ این گناهکار بیرون نیاوری، طولی نخواهد کشید که مملکت اسلامی زیر اقتدار بیگانگان درمیآید، آنوقت است که هرچه میخواهند میکنند و هر حکمی دلشان خواست میدهند. اگر این فرصت از دست برود و این معاهده‌ها در حیات تو صورت بگیرد، در صفحه روزگار و صفحات تاریخ نام نیکی نخواهی داشت.

تو میدانی علمای ایران هم، سینه‌هایشان تنگ شده و منتظر شنیدن یک کلمه از تو

هستند (کلمه‌ایکه سعادت و نجات‌شان در آن میباشد) چطور جایز است کسی که خدا این قدرت را باو داده، کشور و ملت را باین حال بگذارد؟.

باز بنام یکنفر مطلع، به حجةِالاسلام میگویم:

دولت عثمانی هم از قیام تو خوش‌حال شده و در مبارزه با این تبه‌کار بتو کمک خواهد کرد. زیرا دولت عثمانی میداند مداخله فرنگیان در نقاط ایران و نفوذشان در این کشور، بزیان کشور او نیز خواهد بود. از طرف دیگر وزراء و فرماندهان ایرانی هم با این نهضت موافق بوده و خوش‌حال می‌شوند، زیرا طبعاً آنها نیز از این مقاولاتی که جدیداً بناست صورت بگیرد ناراضی هستند، با نهضت تو فرصتی خواهند یافت که این مقاوله‌ها را بهم بزنند.

علماء اگرچه از فشار این مرد احمق خائن بشدت انتقاد کرده‌اند، ولی وضع طوری نیست که بتوانند در یک آن مقاصد خود را یکی کنند، و چون این‌ها از حیث مایه علمی و ریاست و وجهه بین مردم در یک درجه هستند، حاضر نمیشوند بعضی با بعض دیگر پیوسته و باهم هم‌آهنگ شوند، تا یک اتحاد حقیقی و قدرت اجتماعی که بتواند دفع ضرر دشمن را نموده و کشور را حفظ نماید تولید گردد، هرکس به محور خودش میچرخد! و به تنهائی یا باهم مبارزه میکنند، این تشتت آراء علت اصلی عدم قدرت بر مقاومت و موجب پیشرفت کارهای نامشروع میباشد.

ولی تو نظر بتوانائی و نفوذکلمه‌ای که داری، در همه آنها مؤثر خواهی بود، دلهای پراکندهٔ آنها را متحد خواهی کرد. این اختلاف کلمه را از میان برخواهی داشت و بواسطه تو قدرت‌های اندک جمع خواهد شد. یک کلمهٔ تو سبب ایجاد وحدتی میشود که این بلاهای محیط به کشور را برطرف سازد و دین اسلام را حفظ نموده و جامعه دینی را نگاه بدارد، پس همه طبقات با تو هستند و تو نزد خدا و مردم مسئول خواهی بود.

باز میگویم: علماء و پرهیزکاران درنتیجه دفاع منفردی که از دین نمودند، از این مرد سرکش سختی‌هائی کشیدند که در تاریخ نظیر ندارد، چون میخواستند بلاد

مسلمین را از شر اجانب حفظ کنند، هرگونه تحقیر و رسوائی را متحمل شدند.

مسلماً پیشوای مذهب از رفتار زشتی که جاسوسان کفر و یاران مشرکین با دانشمند پرهیزکار واعظ حاجی ملافیض‌الله دربندی نمودند، مطلع است و قریباً هم از بدرفتاری که نسبت به دانشمند مجتهد و نیکوکاری حاجی سیدعلی‌اکبر شیرازی مرتکب شده‌اند مطلع میشود، هم‌چنین از کتک و حبس و کشتار پیشوایان ملت آگاه خواهی شد که از جملهٔ آنها جوان پاکدامن میرزامحمد رضای کرمانی است، و این مرد خارج از دین، او را در زندان تا پای مرگ برد. و از جمله آنها فاضل ارجمند حاجی سیاح و میرزا فروغی و میرزا محمدعلیخان و فاضل قانون‌گذار اعتمادالسلطنه میباشد.

* * *

اما فجایعی که این پست‌فطرت نسبت بخودم مرتکب شده طوری است که جگرهای اهل ایمان را پاره ساخته و دل‌هایشان را قطعه‌قطعه میکند و حتی موجب وحشت کفار و بت‌پرستان می‌گردد. این مرد پست‌فطرت موقعیکه من با حالت بیماری در حضرت عبدالعظیم پناهنده بودم، دستور زندانی نمودنم را داد، از حضرت عبدالعظیم تا طهران مرا روی برف (با اهانتی که مافوق آن متصور نیست) حرکت دادند و البته این‌ها پس از غارت اموالم بود (اناالله و اناالیه راجعون).

از طهران هم باز یکدسته از کوچک ابدال‌های دربار، مرا سوار اسب بارکشی کرده و خودشان سوار اسب‌های راهوار، من بیمار را در زمستان سخت با این حال تا خانقین حرکت دادند و از... والی درخواست کردند مرا به‌بصره تبعید نماید، زیرا میدانست اگر مرا در عراق آزاد و بحال خود بگذارد، نزد تو رئیس مذهب خواهم آمد و گزارش او و اوضاع کشور را بتو گفته و بدبختی‌هائی را که این مرد زندیق برای ملت ایران آماده کرده شرح خواهم داد، و تو را بکمک دین و فریادرسی مسلمانان خواهم خواند. او میدانست اگر من و تو یک جلسه باهم مصاحبه کنیم، دیگر نمی‌تواند وزارت ملت‌کش خراب کن خود را نگاهداری نموده و کفر را ترویج کند.

باز از جمله کارهائیکه کرد و بر پست‌فطرتی و دنائت خود افزود، اینکه برای

فرونشاندن هیجان احساسات عمومی، من و هواخواهانم راکه فقط روی غیرت دینی (بقدر استطاعت) درمقام مدافعه ازکشور و حقوق مردم برآمده بودیم، به طایفهٔ بابی‌ها نسبت داد! همچنانکه زبان بریده ابتدا شهرت دادکه من ختنه نشده‌ام، ـ واسلاما ـ این ناتوانی چیست، این سستی برای چه؟، چگونه ممکن است دزد بی‌سروپا و فرومایه‌ای مسلمین وکشور اسلام را به اندک بهائی بفروشد و به دانشمندان و سادات اعتنا نکند و به فرزندان مرتضی بهتان بزرگی ببندد و یکدست قوی نباشد تا برای تسکین‌خاطر مؤمنین این ریشه‌گندیده راکنده و انتقام آل پیغمبر را بگیرد؟.

بعلت اینکه از شما دور هستم، مفصلاً شکایت نمیکنم و چون مجتهد و عالم حاجی سیدعلی اکبر عازم بصره بود، بمن گفت نامه‌ای برئیس مذهب بنویسم و این مقاصد زا متذکر شوم. من هم گفته او را پذیرفتم و این نامه را مینویسم و میدانم خدا بدست توگشایشی خواهد داد.

والسلام علیکم و رحمةالله و برکاتة

جمال‌الدین الحسینی

نامه‌ای به:

علماء ایران

بسم‌الله الرحمن الرحیم

ای قرآنیان، ای نگهبانان ایمان، ای پشتیبانان دین، ای یاوران شرع مبین، ای لشکریان پیروز خدا و سرکوب‌کنندگان گمراهان، **جناب حاج میرزامحمدحسن شیرازی، و جناب حاج میرزاحبیب‌الله رشتی، و جناب میرزا ابوالقاسم کربلائی، و جناب حاج میرزا جوادآقا تبریزی و جناب حاج سیدعلی اکبر شیرازی و جناب حاج شیخ هادی نجم‌آبادی، و جناب میرزاحسن آشتیانی و جناب سیدطاهر زکی صدرالعلماء و جناب حاج‌آقا محسن عراقی و جناب حاج شیخ محمدتقی اصفهانی و جناب حاج ملامحمدتقی بجنوردی** و سایر رهبران ملت و رؤسای دین و علمای بزرگوار که نایبان ائمه طاهرین هستند. (خدا اسلام و مسلمین را بوجودشان عزیز کرده، دماغ کفار سرسخت را بخاک بمالد ـ آمین).

از مدتها پیش دول اروپا با اشتیاق و حرص وافری میخواهند کشور ایران را زیر نفوذ خود درآورند، این‌ها هروقت فرصتی یافته و مجالی پیدا نموده‌اند، با نیرنگ و دسیسه (بطوریکه موجب ایجاد تنفر و تهییج احساسات عمومی نشود) کوشیده‌اند در نقاط مختلفه کشور برای خود نفوذی تولید و زمینه حکومت نمودن بر آنجا را فراهم سازند، ولی ضمناً هم میدانند علماء فریب‌شان را نمی‌خورند و درمقابل اراده آنها تسلیم نمیشوند، زیرا که توده، دل‌بسته به علماء و گوش بفرمان رؤساء دینی است، هرچه بگویند می‌پذیرد و هرکجا بایستند درنظر توده فرمان علماء ردشدنی نیست و هرچه بخواهند تغییرپذیر نخواهد بود. علماء هم پیوسته همت خود را صرف نگاهبانی دین نموده، نه غفلت میورزند، نه فریفته میشوند؛ نه مغلوب هوا و هوس خواهند شد،

اروپائیها نیز از موقعیت علماء مطلع بوده و پیوسته منتظر تحول و مراقب فرصتند، راستی هم اروپائی‌ها خوب پیش‌بینی کرده‌اند.

زیرا هرگاه علماء، با ابهتی که درنظر عوام دارند، نباشند، توده عامی با میل و رغبت به کفار پیوسته و برای اینکه خود را از چنگ این دولت نجات بدهد، زیر پرچم آنها درمی‌آید: از چنگ دولت ورشکسته‌ای که قدرت خود را از دست داده، از چنگ دولتی که انصاف را فراموش کرده و سازش با ملت را پشت گوش انداخته، دولتی که از اقتدار و نفوذ خود نه شرافتی تحصیل کرده و نه جانی را حفظ نموده، نه باری از دوش ملت برداشته است.

روی همین موازنه است: در هر نقطه‌ای که علماء کم شده، قدرت اروپائیان در آنجا بیشتر گردیده، بحدیکه شوکت اسلام را درهم شکسته، نام دین را از آنجا محو ساخته‌اند. پادشاهان هند و فرمانفرمایان ماوراءالنهر کوشیدند تا علماء را کوچک کنند، ولی روی قانون طبیعی و خداداده نتیجه شومش بخودشان برگشت. افغانی‌ها هم کراراً جز به نیروی علماء نتوانستند کشور خود را از دستبرد اجانب و هجوم انگلیس‌ها حفظ کنند.

حالا از وقتیکه این شاه بی‌قیمت روی کار آمده، در تحقیر علماء و سلب اختیارات آنها میکوشد و از فرط علاقه‌ای که باستبداد و توسعه دائرهٔ ظلم و تعدی و جور دارد، نفوذ کلمه علماء را با امر و نهی‌های خود کم نموده آنها را با خواری تمام از شهرستانها تبعید کرد و نگذاشت بترویج دین قیام نمایند. دسته‌ای را از مراکز اقامت خودشان به طهران (کانون فتنه و ستم) آورد و آنها را مجبور بسکونت در این شهر نمود و همین که میدان برایش خالی شد، بندگان خدا را مقهور ساخت، شهرها را ویران نمود، از هیچ سیاهکاری خودداری نکرد، هر گناهی را علناً مرتکب شد، آنچه از خون فقرا و بیچارگان مکیده بود، صرف هوا و هوس خودساخت، و اشک از چشمان یتیمان جاری کرد (ای اسلام بی‌یاور) حالا دیگر جنونش گل کرده و طمع پستش به هیجان آمده، نه دینی دارد که جلوگیرش باشد نه عقلی که سرزنشش نماید، نه شرافت نفسی که مانعش شود. پست‌فطرتی و ناپاک طینتی وادارش نموده که کشور اسلامی را

به بهای اندکی بفروشد، اروپائی‌ها هم فهمیدند حالا وقت آن است که بدون جنگ و نزاع مالک ایران شوند، فهمیدند علمائی که از اسلام و قلمرو دین دفاع می‌کردند، قدرت خود را از دست داده و نفوذشان کاسته شده است، از این رو هر دولتی به طمع یک قطعه از این آب و خاک دهان گشود، ولی باز حق بر باطل یورش برده و مغلوبش ساخت و کوشش‌های دشمن را باطل کرد و ستمکاران ذلیل شدند.[1]

حق را باید گفت: شما پیشوایان با تصمیمی که گرفتید، اسلام را بزرگ نمودید و نام دین را بلند ساختید و دل‌ها را از هیبت خود پرنمودید، بطوریکه بیگانگان عموماً فهمیدند درمقابل اقتدار شما، درمقابل نیروی شما، مقاومت ممکن نیست، دانستند شما دیوار کشور هستید و زمام ملت بدست شما است. ولی مصیبت بزرگ اینجا است که شیطان برای اینکه شکست خود را در این نبرد جبران نماید، به دماغ این مرد تبه‌کار خارج از دین انداخته است که علماء را از شهرستانها تبعید نماید. او فهمیده است، انجام اوامرش جز از طریق اطاعت افسران ارتش ممکن نیست و افسران هم مخالفت علماء را نمیکنند وبد آنها را نمی‌خواهند، لذا درصدد برآمده است افسران ارتش را از کشور بیگانه تعیین کند و بهمین منظور ریاست شهربانی و فرماندهی هنگ قزاق را به کنت (و امثال او داده)، آن زندیق و دوستان او هم میکوشند فرماندهان ارتشی را از کشور بیگانه بخواهند. شاه هم از فرط دیوانگی از این کار خوشحال شده و بآن میبالد. بخدا شاه با جنون و زندقه هم عهد گردیده، و متعهد شده است با خودسری و شرارت تمام دین را نابود سازد و شریعت را مضمحل کند و کشور اسلام را بدون چون و چرا به بیگانگان تسلیم نماید.

* * *

ای رهبران ملت، اگر این فرعون را بحال خودش بگذارید و جلو دیوانه‌بازی او را نگیرید و او را از تخت گمراهی پائین نکشید، کار می‌گذرد و علاج مشکل می‌شود و چاره غیرممکن میگردد. شما یاوران خدائید؛ جان‌های شما که از شریعت خدائی

---

۱. اشاره به واقعهٔ رژی و حکم مرحوم میرزا بحرمت استعمال تنباکو است که موجب برچیده‌شدن بساط خارجی‌ها و لغو امتیاز آنها گردید.

سرشار است، شما را از هر هوا و هوسی که موجب دوتیرگی و اختلاف کلمه باشد نگاه میدارد، شیطان نمیتواند بین شما را بهم بزند، شما چون دستی هستید که خدا با آن از قلعه‌های محکم دین خود دفاع مینماید، و با این دست است که ارتش کفر و یاران زنادقه را دور میسازد. تمام مردم (به غیر از آن کسی که بنا است زیان کار و بدبخت باشد) فرمان‌بردار شمایند، اگر شما خلع این نادان را اعلان کنید بزرگ و کوچک، بینوا و توانگر، اطاعت خواهند کرد (خودتان همین روزها دیدید؛ بنابراین محتاج نیست که من دلیل بیاورم) بخصوص اینموقع که دراثر این سلطنت جابرانه آمیخته بجهالت، سینه‌ها به تنگ آمده، سلطنتی که نتوانسته ارتشی آماده کند و نه شهری را آبادان نموده، فرهنگ را توسعه داده، نه نام اسلام را بلند ساخته، نه یک روز دل ملت در پناهش راحتی دیده، بلکه درعوض کشور را ویران و توده را ذلیل کرده و ملت را بگدائی انداخته و سپس گمراهی دامنگیرش شده و از دین بیرون رفته، استخوان مسلمانان را خرد ساخته و با خون‌شان خمیر کرده تا از آنها برای ساختن کاخ شهوت پست خود، خشت تهیه کند!

و در این مدت دراز، در این سالیان متمادی نتیجه‌ای که بر چنین حکومتی مترتب شده همین است. نابود باد این پادشاهی، واژگون باد این سلطنت، اگر این پادشاه خلع شود (و خلع وی هم با یک کلمه، کلمه‌ای که روی غیرت دینی از زبان اهل حق خارج میشود) آنکه جانشین وی خواهد بود، نمی‌تواند از فرمان شما سرپیچی کند و جز خضوع در پیشگاه شما مقدورش نیست، زیراکه او قدرت الهی شما را بچشم خود می‌بیند، قدرتی که بآن سرکشان را از تخت گمراهی پائین میکشند. ملت وقتی زیر سایه دین از داد برخوردار شود، رغبتش بشما زیادتر خواهد شد و گرد شما خواهد گردید، آنگاه همه در پناه خدا و حزب علماء که دوستان خدا هستند درمی‌آیند. هرکس خیال کند خلع این پادشاه جز با قشون و توپ و بمب ممکن نیست، خیال بیهوده‌ای کرده، این‌طور نیست، چون یک عقیده و ایمانی در مغز مردم رسوخ نموده و در دل آنها جاگرفته و آن عقیده این است که مخالفت علماء مخالفت خدا است. راستی هم همین‌طور است و پایه مذهب هم روی این عقیده میباشد.

* * *

ای قرآنیان، اگر شما حکم خدا را درباره این مرد غاصب ستمکار اجرا کنید، اگر بگوئید بحکم خدا اطاعت این مرد حرام است، مردم از گردش پراکنده شده و خلع وی بدون جنگ و کشتار صورت میگیرد.

خدا برای اتمام حجت، قدرتی راکه بشما ارزانی داشته نشانتان داد، آنهائیکه ایمانشان محکم نبود تا پیش از این واقعه در نفوذ کلمه و قدرت شما تردید داشتند. ملت مسلمان با شنیدن یک کلمه از شما در سرکوبی این فرعون و هامان او (صدراعظم) متحد شدند (مسئلهٔ تنباکو).

ملل دیگر هم از این قدرت و نفوذ کلمه و سرعت تأثیر این فرمان متعجب گردیدند و کفار مبهوت ماندند، این قدرتی است که خدا بشما داده تا با آن دین و حوزهٔ اسلام را نگهداری کنید، در این صورت، آیا سزاوار است با داشتن چنین نیروئی دین را واگذارده، یا در کمک‌نمودن بشریعت سستی نمائید؟، ابداً ابداً.

حالا وقت زنده‌نمودن مراسم دینی و گرامی ساختن مسلمانان فرارسیده است، پیش از اینکه این ستمکار سرکش شما را ترور کرده و ناموستان را برباد بدهد و قبل از آنکه در دیوار محکم دین رخنه کند او را خلع نمائید. شما وظیفه دشواری ندارید، فقط بمردم ابلاغ کنید اطاعت این ستمکار حرام است، او هم وقتی خود را ذلیل و تنها ببیند، اطرافیانش از گردش پراکنده شده ارتشیان وی را میرانند و کودکان سنگ‌بارانش میکنند.

ای علماء! شما و پیروانتان از حالا در خطر بزرگی هستید، شما به نیروی حقیقت شاخ این فرعون را شکستید و با شمشیر دین بینیش را بریدید، ولی او منتظر است فرصتی یافته و انتقام خود را از شما بگیرد، از این رو نباید یک روز مهلتش بدهید، نباید بگذارید زمام کار را بدست بگیرد؛ پیش از اینکه جراحتش بهبود پذیرد، او را خلع کنید. ای مردان علم، مبادا در خلع این مرد تردید داشته باشید، مردی که غاصبانه سلطنت یافته، مردی که کارش فسق و فرمانش ستم است، مردی که پس از مکیدن خون‌های مسلمانان و خردکردن استخوان فقراء و برهنگان و تهیدست نمودن ملت، جنونش گل کرده و درصدد برآمده است کشوری راکه مایه عزت اسلام و پایگاه دین

است، به اجانب بدهد.

مردی که از فرط نادانی درصدد برآمده است نام کفر را بلندساخته و زیر پرچم شرک درآید.

باز میگویم: وزراء، فرماندهان، عموم طبقات ارتش و پسران این ستمکار سرکش منتظر دستور شما هستند، دیگر کاسه صبرشان لبریز شده، منتظرند یک کلمه از شما بشنوند و این فرعون را خلع نموده بندگان خدا را از زیان او آسوده کنند و پیش از آنکه دین را بباد داده و لکه ننگ را به پیشانی آنها بچسباند، خویش را از شرش حفظ نمایند.

والسلام علیکم و رحمة‌الله و برکاته

جمال‌الدین الحسینی

آخرین نامه از بصره:

سکوت شگفت آور؟!

بصره — سلخ ذی‌القعده

شرعةالهدی

زمامدار رستگاری، ناموس پرهیزکاری، جامهٔ دین، پناهگاه مسلمین، پیشتاز علمای عامل، خداوند بوسیلهٔ او سخن حق را برتر گرداند.

اینک کفر از همه سو یورش برده است، و نصاری گرداگرد سرزمینها حلقه زده‌اند و بی‌دینان دون‌صفت برای گشودن دروازه‌ها به یاری‌شان برخاسته و موانع را از سر راه برداشته، راه‌ها را برای دشمنان دین خدا هموار کرده‌اند، اکنون اسلام، در پی سرفرازی، در معرض سرافکندگی و خواری قرار گرفته است، نزدیک است که مشرکان حوزهٔ آن را به تصرف درآورند، حال آنکه پیش از این در پناه نگهبانان خود تسخیرناپذیر بود، اینک اهانت به علمای پاسدار شریعت رواج یافته و طرد آنان از میهن، کار روزمره و عادت همیشگی تجاوزگران و گمراهان گشته است.

تمام اینها، برای آن است که علمای امت و صالحان ملت در همبستگی و در آنچه خداوند بر آنان واجب گردانیده، یعنی تعاون در اعلای کلمةالله و همیاری در حفظ حوزهٔ اسلام، کوتاهی و سستی ورزیده‌اند. شگفت‌آور این که کوشندهٔ برای ویران‌سازی پایه‌های اسلام و و راهبر کافران به سرزمین اهل ایمان، نزد مردم کمترین پشتیبان و بیشترین دشمن را دارد. و شگفت‌آورتر از این، سکوت شما است! ای دژ نفوذناپذیر دین، اینک که بنیاد شریعت متزلزل گشته به انتظار چه نشسته‌ای؟، آیا تو که مرد حق هستی به حیات دنیوی خرسند شده‌ای؟ و آیا بجای مرگ، خواری را برگزیده‌ای؟، حال آنکه خدا تو را بر دیگران رجحان داد و برای خویشتن برگزید و در راه اعتلای سخن خویش جانبازی و بی‌باکی را بر تو واجب گردانید، پرهیزکاری

نیکوکاران گرامی، تنها برای فرازمندی سخن خدا و صیانت از فرودمندی آن بوده است و همواره تیغ‌های آخته و خونهای ریخته، مانع از به‌خواری کشیده‌شدن آن بوده است، نه ترس و احتیاطِ کاری!...

سرورم... جانهای مردم از آنچه بر سر دینشان رفته و ضررهای دنیوی، در تب و تاب است. اگر برای یاری حق قیام کنید، همگی گرد شما می‌آیند و ریاست تامّه شما بر آنان تثبیت می‌شود و به یاری خدا به اعتلای کلمهٔ اسلام و سرکوب یاران کفر و خاموشی سخن بی‌دینان نائل می‌شوید، فرصت را از دست ندهید که دلها اکنون در جوش و خروش، جانها در آشوب و التهاب، زخمها خونین و مردم در تنگنا و پریشانی هستند، با یک سخن به‌سوی شما روی می‌آورند و گرد شما جمع می‌شوند، به آستانه شما پناه می‌برند و من گمان نمی‌کنم شما از جمله کسانی باشید که اوهام آنان را دلسرد کند و وسوسه‌ها آنان را از حرکت بازدارد، چه شما نیک آگاهید (همچنانکه بارها خود به من می‌گفتید) که شکست عالِم پیروزی اوست، خواری و سرافکندگی رهبر دین مایهٔ سرافرازی اوست و رسوائی‌اش باعث شرف و افتخار.

اینک زمان فرارسیده و فرصت در دسترس است. شما از آنچه سرکردگان کفر بر سرِ آن مرد نیکنام پرهیزکار، حاج سیدعلی‌اکبر شیرازی آورده‌اند، اطلاع یافته‌اید، اما آنچه بر سر من آورده‌اند، من به خدا واگذار می‌کنم. من برخلاف افتراهای دروغ‌پردازانه، نه پشیمانم و نه خسته شده‌ام و نه در راه اعتلای کلمهٔ خدا، فترتی در من ایجاد شده و نه در تصمیمم سستی‌ای راه یافته است، و بزودی دماغ هر بازدارنده و هر دروغگوی ستمگر و هر گناهکار فرومایه را به‌خاک خواهم مالید و شما انشاءالله خواهید دید.

ولاحول ولاقوّةالاباللهِ العلّی القهّار الجبّار.

سلام و رحمت و برکت‌های الهی بر شما و بر همهٔ کسانی باد که برای یاری دین و اعتلای کلمهٔ مسلمانان، همراه شما قیام کنند.

آمین

جمال‌الدین الحسینی

شکایت ملت

بسم‌الله الرحمن الرحیم

پاسداران اسلام، رهبران تودهٔ مردم، خواستاران دارالسلام، پیشوایان دین استوار، پایه‌های شرع آشکار همواره مایه افتخار مسلمانان باشند (آمین). ستمکاران تجاوزکار، یاوران دین را ضعیف و ناتوان ساخته و حیثیت و آبروی دین را با حمله به اولاد «طه» و «یس» مورد هتک قرار دادند. آنگاه خداوند از روی عدل و داد انتقام خود را از آنان گرفت و بدبختی و زبونی را در هر دو جهان، نصیب آنان ساخت!

ناصرالدین شاه در دوران قدرت خود، بخاطر حرص و طمعی که به جمع‌آوری پول و ثروت داشت، به اختلاس اموال بیوه‌زنان و مصادره املاک یتیمان و نهب و غارت قوت و غذای ناتوانان و بیچارگان پرداخت و در این راه از هیچ عمل زشت و پستی خودداری نورزید و با شدیدترین وضع با مردم رفتار کرد و برای رسیدن به این مقصود، از پست‌ترین وسایل ضدانسانی که موافق با سرشت افراد رذل و فرومایه بود، استفاده کرد و درواقع برای اجرای ظلم و ستم، پستی و رذالت، هرگونه راهی که وجود داشت، او از آن عبور کرد!

او نخست تودهٔ مردم را فقیر و بی‌نوا ساخت و مملکت را به ویرانی کشانید و بندگان خدا را نابود کرد، سپس رذالت و دیوانگی او را به‌فروش حقوق مسلمانان و املاک مردم با ایمان به بیگانگان، واداشت و این الحاد و بی‌دینی او را، کفر و بی‌ایمانی وزیر حیله‌گرش، یاری داد!

او به‌سرعت و باعجله تمام، پیمانها و قراردادهائی با فرنگیها بست و تعهداتی را درقبال آنان پذیرفت، بدون آنکه به آثار این خیانت رسوا، اهمیتی قائل شود و یا از زیانهای آشکار آن بیمی بخود راه دهد، گوئی که او تصمیم گرفته است که برای

همیشه مملکت را ویران سازد.

اما ناگهان خداوند بخاطر نگهداری دین خود و بدست علماء بزرگ و روحانیون عالیقدر، او را سرکوب نمود و جامه شکست و رسوائی را بر او پوشانید، و در انظار جهانیان بی‌آبرویش ساخت. ولی او هم مانند حیوان درنده‌ای، دندانهای خود را تیز کرده و بهر وسیله‌ای متوسل شد تا آنان را یکی پس از دیگری دریده و نابود سازد.

او در سایه همین دیوانگی خود و به خاطر کفر وزیرش هم‌اکنون خودرا ملتزم کرده که سه میلیون تومان به شرکتهای خارجی ـ کمپانی ـ بعنوان غرامت تقدیم دارد. سه به کرور شرکت نخستین ـ کمپانی تنباکو ـ و سه کرور به شرکت دومی که حقوق خرید و فروش تنباکو را در سرزمین عثمانی از او خریده است.

این رسوائی و بی‌آبروئی، این پستی و فرومایگی چیست؟.

این فرومایگان در جمع‌آوری این پولها، به نوامیس مردم باایمان تجاوز کرده‌اند. این اوباش، بخاطر این پولها خانه‌های مردم پرهیزکار را ویران ساخته و دلهای مردم خداپرست را بدرد آورده و هستی مردم فقیر و بیچاره را به یغما برده و خون بسیاری از مسلمانان را بناحق ریخته‌اند.

این سیاهدلان بخاطر پول، روسری را از سر زنان مسلمان برداشته‌اند که فریاد دادخواهی آنان بآسمان برخواسته است و بسیاری از مردان هم پس از این ماجرا، همه‌گونه آرامش و راحتی خود را از دست داده‌اند...

یکی از ترس تازیانه خانه‌اش را بگرو گذاشته و دیگری از خوف داغ کردن، زمینش را فروخته و آن یکی برای نجات از زندان از همسایه‌اش قرض گرفته رها ساخته و دیگری از ترس مثله‌شدن هستی و دارائی خود تسلیم نموده است! این فجایع همهٔ سرزمین را فراگرفته و شامل همهٔ بندگان خدا گشته تا این پولها را جمع‌آوری نموده‌اند.

سپس جنون و دیوانگی بهمراهی کفر و زندقه، چنین حکم کرده که همه این پولها را بعنوان غرامت یک‌جا به دشمنان دین بپردازند... وا اسلاماه! وامحمداه!

* * *

ای پایه‌های استوار دین و ای پیشوایان پرهیزکار! شما برای دفع این مصیبت بزرگ و بلای سترک، نه علاجی و برای دفع این رسوائی ننگ‌آور و پستی رذالت‌بار راهی پیدا نخواهید کرد، مگر آنکه فرومایه را از قدرت و سلطنت خلع و دور سازید تا حوزه اسلام را حفظ کنید و حقوق توده را نگهبانی نمائید و دین و پیروان آن را از این ورطه هولناکی که جز سقوط پی‌آمدی ندارد، نجات دهید. بدون شک وضع موجود موجب نابودی مملکت، می‌شود، زیرا این غرامت زیادکه شاه از روی جنون و دیوانگی پرداخت آنرا پذیرفته است، باعث می‌گردد که کینه‌های روسیه هم تحریک شود و به بهانه دشمنی با انگلیس ناگهان بفکر تصرف استان خراسان بیافتد و انگلیس هم از ترس استیلاء آن بر همهٔ سرزمین و برای حفظ منافع خود در اراضی هند، سستی نورزد و پابه میدان بگذارد.

آنگاه به تقسیم سرزمین ایران می‌پردازند و مردم را ببردگی می‌کشانند و ما مسلمانان از آثار این جنون و انگیزه‌های این زندقه، جز حسرت و بدبختی، بهره‌ای نمی‌بریم. البته آن وقت دیگر از ما عذری پذیرفته نخواهد بود، چون پیش‌بینی و پیش‌گیری از آن، امکان‌پذیر بود.

اثر این غرامت را فقط «خلع» جبران می‌سازد.

لکه این جنایت را فقط «خلع» دور می‌نماید.

زیرا که پیمانها و تعهدات دولتهای خودکامه و مستبدی مانند دولت ایران و نظایر آن، از جانب «شخص» پذیرفته شده و مربوط به «ملت» نیست و با کنارگذاشتن مسئول آن، آثار آنها از بین می‌رود، و اگر «خلع» انجام یابد، دیگر شرکتها و کمپانیها حق نخواهند داشت آنچه را که حکومت قبلی بعنوان غرامت پذیرفته است، از حکومت بعدی و جدید مطالبه کنند.

* * *

آری! این تنها سخن حق است: خلع یگانه راهی است که می‌توان بوسیله آن سرزمین مسلمانان را از شر این خطر بزرگ و نابودی حتمی نجات داد. البته اگر خود شاه کوچکترین علاقه ملی و انگیزه دینی داشت، حتماً خود استعفا می‌کرد تا استقلال

و عظمت حوزهٔ اسلام محفوظ و پایدار بماند، ولی او اهل این کار نیست ـ هیهات! هیهات!.

اگر شما حامیان و یاوران دین، سخن حق را اعلام کردید و مردم دانستند که اطاعت این ستمکار متجاوز، از نقطه نظر دینی حرام است و ادامه سلطنت او خطری بر اسلام و عظمت آن بشمار می‌رود، همگی بسرعت او را از عرش فساد سرنگون می‌سازند و از تخت دیوانگی پائین می‌کشند.

شما نگهبانان ملت و یاوران توده مردم هستید، چه کسی غیر از شما از دین حمایت می‌کند و از استقلال آن نگهبانی می‌نماید؟ زود. زود! پیش از آنکه زبونی و خواری دامن همه را آلوده سازد...

... شما همگی درمقابل پروردگار توانا درباره سرنوشت مملکت و مردم آن مسئول هستید و مردم هرگز گناهی ندارند و نباید مورد سرزنش قرار گیرند، زیرا که آنان همچنان آماده خدمت هستند و هرچه دستور دهید، اجرا میکنند، پس شما منتظر چه چیزی هستید؟، فقط «خلع» باز هم «خلع» راه درمان است و علاج دیگری وجود ندارد. من بمثابه یک فرد آگاه و آشنا به اوضاع می‌گویم:

صیانت و نگهداری شرف اسلام و نگهبانی سرزمینها و حفظ حقوق مسلمانان، اکنون منوط به یک کلمه حقی است که از زبان حق، برای دفاع از دین و پیروانش خارج شود و آن: «خلع» است.

هرکدام یک از رهبران ارجمند و پیشوایان بزرگوار که برای نخستین‌بار این سخن را بر زبان راند، شرف و عزت کامل و سعادت بزرگ و حتمی، در دنیا و آخرت، نصیب او خواهد شد.

این یک آگاهی و هشدار بود...

والسلام علیکم و رحمة‌الله و برکاته

السیدالحسینی

نگهبانان دین

بسم‌الله الرحمن الرحیم

نگهبانان دین! پیشوایان مردم با ایمان! حزب‌الهی در جهان! و سربازان پیروزمند خداوند در بین ملتها!... خداوند اسلام را بوسیله آنان یاری دهد و با اراده آهنین آنان، دشمنان رذل را سرکوب سازد. آمین!.

چشمها تیره و تار شده و مشاعر و ادراکات ازکار افتاده و چشمها خیره گشته است. آری بلائی بزرگ اطراف اسلام را فراگرفته و از همه جهات آنرا احاطه کرده است تا آنجاکه اگر یاری خداوند نبود، نزدیک بودکه همهٔ شعائر اسلام را از بین ببرد و آثار آنرا پایمال سازد!

ناصرالدین شاه باکارهای جنون‌آمیز خود، برای دین محمد(ص) و مردم مسلمان، همه نوع ناراحتی وگرفتاری فراهم آورده و از روی هوی و هوس، درهای همه عوامل نابودی و بیچارگی را بر روی مسلمانان بازکرده است.

البته زندقه و بی‌دینی وزیرش هم راهها را هموار ساخته و موانعی راکه در راه پیشرفت این بدبختی‌ها بود از سر راه برداشته است (وامحمداه)!.

و هم‌اکنون اسلام دراثرکارهای دیوانه‌وار و انگیزه‌های بی‌دینی؛ درمقابل خطری بزرگ قرارگرفته است.

پس نگهبانان قرآن و مشعلداران برتری نام خدا، کجا هستند؟

وکسانیکه در راه خدا از سرزنش هیچ کسی باکی ندارند و از جباران و ستمکاران، بخاطر حق، و در راه حق ـ اگرچه شمشیر ستم بر بالای سر آنها هم باشد ـ نمی‌ترسند، کجا رفته‌اند؟

در عصر ما دولتهای اروپائی در اشغال و استعمار کشورها، با همدیگر به رقابت برخاسته‌اند و هرکدام از آنها، دیگری را طرد می‌کند و توازن قوا هم در بینشان برقرار است!.

هیچ دولت استعمارگری حمله خود را بر نقطه‌ای از جهان آغاز نمی‌کند، مگر آنکه دلایلی برای لزوم اشغال آن، در نزد دولتهای دیگر ارائه می‌دهد!.

و روی همین اصل، دول استعماری شب و روز در پیدا کردن راه‌هائی می‌کوشند که به آنها اجازه دهد در مسابقه فتح و اشغال سرزمینها، پیشقدم شوند و دلایل رقبای خود را در این فتوحات!، بتوانند رد کنند!. هر کدام از این دولتها خود را با نیرنگ و دسیسه، به حکومتهای مشرق زمین عرضه می‌دارند: یکی بعنوان وام بآنها پول می‌دهد. دومی ملتزم پرداخت نقدی مالیاتها و حقوق گمرکها می‌گردد و آن یکی حقوق مردم را در سودهای بازرگانی، بطور پیش‌خرید، خریداری می‌کند و چهارمی قرارداد می‌بندد که معادن زیرزمینی آنها را اکتشاف و استخراج نماید و راهها و جاده‌ها برای آنها بسازد و همینطور... و همه اینها نیرنگ و حیله است. هدف اصلی از همه این نقشه‌ها آنست که حق استعمار و استثمار آن سرزمینها را به این بهانه‌ها بدست آورند و روی همین نقشه، برنامه اشغال و استعمار جزائر غرب و تونس و هند و کشورهای ماوراءالنهر و مصر و دیگر سرزمینهای مسلمانان بوسیله اروپائیها اجرا شده است.

بلاد ایران از مشکلات این نیرنگها و دامها در امن و امان بود، تا آنکه قدرت جنون و زندقه کار خود را آغاز نمود و درهای بدبختی و گرفتاری را بر روی ایران باز کرد و خطرها و مشکلات را از هر طرف بسوی اسلام و مرکز آن جلب نمود.

دیوانگی شاه و بی‌دینی وزیرش دست‌به‌دست هم دادند تا حقوق مردم مسلمان و دارائی و املاک مردم با ایمان را بناحق بفروشند و ملتهای اروپائی هم این فرصت را غنیمت شمردند، تا وسایل ایجاد قدرت و نفوذ را در سراسر ایران فرآهم آورند...

و مردم انگلستان در پیشاپیش این ملتها بودا!...

و هنگامیکه علماء رهبران دینی، دماغ این افراد خودخواه بی‌دین را بخاک مالیدند و با نیروی حق، دست ظلم و ستم را از تجاوز به اموال مسلمانان و غارت آن، کوتاه

کردند و غائلهٔ تنباکو پایان یافت، شاه به هیجان و خروش درآمد و دیوانه‌وار غرامتی راکه پانصدهزار لیره است، پذیرفت، تا به شرکت انگلیسی بپردازد (و این درواقع غرامت دیوانگی او و جریمه زندقه وزیرش بود) بدون آنکه از شرکت انگلیسی بخواهد تا قراردادهائی راکه برای فروش تنباکو در سرزمینهای عثمانی، با شرکت فرانسوی بسته است، لغو کند!!.

او دراثر این حماقت خود، راه پرداخت غرامت‌هائی را بر روی ایران بازکرده که ثروتمندترین دولتهای جهان هم از پرداخت آن عاجز هستند (غرامت قرعه؛ غرامت بانک، غرامت معادن، غرامت راه‌آهن و جاده‌ها و غرامت قراردادهای باطل دیگری که با فرنگیها بسته است و آنها اجرای آنها را مطالبه می‌کنند و چون او بر اجرا و تنفیذ آنها توانائی ندارد، ناچار، طبق روش غلط و دیوانه‌وار گذشته‌اش، غرامتهای آنها را می‌پردازد).

سپس او بدبختی دیگری بر بدبختی‌های گذشته افزود (پناه بر خدا) و در حال مستی، گمرک را به‌مدت چهل سال، درقبال غرامتی که پرداخت آنرا تعهدکرده بود، به دولت انگلیس واگذار کرد!.

آری اینها خطرهای بزرگ و وحشتناکی است که ما قبلاً درباره آنها هشدار داده بودیم، ولی همه آنها را پیشقراولان کفر، از روی عمد و حماقت، بسوی اسلام جلب کرده‌اند.

دولت انگلیس با این قرارداد جدید، چنگال خود را بر بحر سواحل دریا و خلیج فارس و بلاد اهواز فروبرده و پس ازگذشت زمانی، شاه را مجبور خواهد ساخت که غرامت سنگین دیگری بابت قراردادهای باطل دیگری بپذیرد که مسلمانان از پرداخت آنها سرباز خواهند زد و آنوقت بیگانگان او را مجبور خواهند ساخت که درعوض این غرامتها، جمع‌آوری مالیاتهای بلاد ایران را بعهده بگیرند و درنتیجه سرزمینهای ایران را بدون جنگ و خونریزی تحت سیطره خود درخواهند آورد، چنانکه قبلاً نیز هند را اشغال کرده‌اند.

روسیه نیز از بخشش بیجای گمرک به انگلستان، به سختی خشمگین شده و هم‌اکنون با ناراحتی بر کارهای شاه اخطار کرده و خواستار اجرای حقوق گذشته و

قراردادهای تجدید شده است. و با جبروت خود می‌خواهد که سهم او بیشتر و بالاتر از انگلستان باشد، زیرا که روسیه نیرومندتر است و دربرابر او هم خراسان و آذربایجان و مازندران قرار دارد!.

اینست عواملی که بسرعت سرزمینهای ایران را از پای درآورده و دولتها را برای تقسیم آن ترغیب کرد.

اینست بدبختی‌هائی که دیوانگی و زندقه، آنها را بسوی اسلام جلب کرده است (وامحمداه)!.

بر ما مسلمانان چه خواهد گذشت اگر نگاه کنیم و به‌بینیم که فرومایگان فرنگ، ناموس ما را هتک می‌کنند و اموال ما را غارت می‌نمایند و حقوق ما را غصب می‌کنند و دین ما را مورد اهانت قرار می‌دهند و شریعت ما را تحقیر می‌نمایند؟

همه اینها سرانجام عملی خواهد شد، اگر پشتیبانان و حامیان دین، بسرعت این خطری را که بر حوزه اسلام مسلط شده است، برکنار نکنند و سرزمین ایران را با نیرو و قدرت شرع، از چنگ دیوانگی و چنگال زندقه نجات ندهند. رهبران امت دربرابر خداوند متعال درباره بندگان خدا و سرزمین آنها، چه پاسخی خواهند داشت اگر این واقعه تلخ و دردناک رخ دهد؟ (پناه بر خدا) در حالیکه جلوگیری از آن مقدور و عملی بود؟

برای علمای ملت چه عذری خواهد بود اگر از نگهبانی دین دربرابر این خطرهای مهلک کوتاهی کنند و توده مردم در روز قیامت با آنها به مجادله برخیزند. زیرا که حسن فرمانبرداری و دوام اطاعت را بعنوان حجت و مدرکی برضد آنها، دراختیار دارند!

آیا از نظر شریعت، برای ما فریضه‌ای بزرگتر از حفظ حوزه اسلام وجود دارد؟ آیا علماء برای ادای این واجب، از دیگر مردم سزاوارتر نیستند؟

هان! که وقت فرارسیده است ـ و پس از گذشت وقت، جز شرمندگی و سرزنش در دنیا و خشم و سخط در آخرت نخواهد بود ـ اگر ناصرالدین شاه از کرسی مملکت به پائین آید، همهٔ این حقوق و غرامتهای بیجا خودبخود لغو می‌شود. و آنگاه هریکی از دولتهای غربی، که بهره‌ای از این غنیمت! ندارد و یا فکر می‌کند که سهم آنها در این

تقسیم‌ا کمتر شده است، با این حجت و دلیل با دیگری به مجادله خواهد برخاست و آنرا بخاطر منافع ویژه خود و یا برای حفظ موازنه عمومی، از تجاوز بازخواهد داشت و در اینصورت است که سرزمین ایران، بدون جنگ و خونریزی از شر بیگانگان دراما‌ن خواهد ماند.

پس بر علمای بزرگوار است که نظر خود را بخاطر حفظ حوزه اسلام و نگهداری حقوق مردم در لزوم خلع این اژدهای خطرناک، یکی کنند ـ و هیچ علاج و چاره‌ای جز خلع وجود ندارد ـ اگر انسان فجایع و جنایاتی راکه توسط این حکومت ستمکار ویرانگر بر همه طبقات ملت ایران وارد آمده و عوامل بدبختی و بیچارگی مردم را بررسی کند و درباره وضع ناگوار سربازان و ارتش دقت نماید و ببیند که چگونه آنان برای سد رمق و رفع گرسنگی، سراسر روز را با رنج و درد، کارهای سختی را انجام می‌دهند تا لقمه نانی بدست آورند، آنگاه در تشویش و اضطراب امراء و بزرگان و شدت ناراحتی آنان تأمل کند که چگونه از ترس مصادره اموال و ریخته‌شدن خونشان، زندگی آرام خود را از دست داده‌اند و سپس به نفوذ کلمه علماء در بین توده مردم بنگرد و ببیند که همه مردم ـ بطور عموم ـ تابع و پیرو و سرسپرده آنان هستند، بطور قطع نظر می‌دهد که پائین‌آوردن این ستمکار از کرسی دیوانگی آسانتر از درآوردن لنگهٔ کفش است.

هم‌اکنون همه عوامل دینی و انگیزه‌های دنیوی باجرای این امر حکم می‌کند و توده مردم نیز در سایه ظلم‌ها و سختی‌ها و فشارها، آمادگی کامل دارند و اگر بزرگان و رهبران ملت فرمان حق را صادر کنند، مردم او را سرنگون می‌سازند و آب از آب تکان نمی‌خورد[1] و در برکناری او از این مقام، حتی یک قطره هم خون ریخته نمی‌شود.

شاید بعضی از مردم غیرآگاه خیال کنند که «خلع» اگرچه آسان هم باشد، موجب آشوب و منشاء هرج و مرج می‌گردد! هرگز! هرگز! مردم ایران از هیچ‌یک از دستورهای علماء سرپیچی نمی‌کنند، بویژه اگر بدانند که هدف حفظ حوزه اسلام و

---

۱. در اینجا سید یک ضرب‌المثل عربی آورده تحت عنوان «ولاینطاح فیه عنزان» ـ دو بُز درباره آن نزاع نمی‌کنند ـ

نگهداری سرزمینهای مسلمانان از تجاوز و مطامع بیگانگان است.

در هر نقطه‌ای گروهی از علما وجود دارند که مردم آنها را پناهگاه دین و دنیای خود قرار داده‌اند. پس اگر بزرگان و رهبران عتبات مقدسه ـ بزرگ مذهب و رئیس گروه و فقیه قوم ـ تصمیم گرفتند که اسلام را از شر جنون ناصرالدین‌شاه و زندقهٔ وزیرش نجات دهند، به علمای همه استانها و امرای باایمان همه نقاط دستور دهند که اوامر عالی و احکام الهی آنان را به توده مردم ابلاغ کنند تا همه آگاه شوند که اسلام و مرکزیت آن در معرض خطر بزرگی قرار گرفته و رفع این خطر، بدون برکناری ناصرالدین شاه و تبدیل این حکومت ستمکار و تبهکار به یک حکومت مشروع و عادلانه امکان‌پذیر نیست. سپس به پیشقراولان سربازان و امرای آرتش دستور دهند که برای اداره امور مملکت، یکی از فرزندان یا برادران او را که پاکدامن و متدین و در کارهای نیک پیشگام است، انتخاب کنند که مورد رضایت رهبران دینی باشد و مردم با ایمان از او متنفر و بیزار نباشند و او در پیشگاه علماء طهران و در یک اجتماع عمومی مردم، سوگند یاد کند که پس از نشستن بر اریکه حکومت، از راه راست و احکام حق منحرف نگردد و در اخذ مالیات و امور مربوط به زندگی و اوضاع توده مردم، از راه شرع خارج نشود و در بیت‌المال ـ مرادم خزانه دولتی است ـ کوچکترین تصرف و دخالتی نکند، مگر بآن نحوی که خداوند در کتاب خود دستور داده و ائمه دین هم آنرا بیان داشته و بزرگان ملت هم طبق آن رفتار نموده‌اند. و هیچ‌کاری را بدون اجازه علماء پرهیزکار و مشورت نیکان و پاکان ملت، که آشنا با سیاست الهی هستند، انجام ندهد. تا آنکه او در اریکه حکومت خدمتگزار شریعت محمدی و اجرا کننده احکام آن باشد.

پس اگر دستور خلع ناصرالدین شاه از طرف بزرگان علماء بهمین شکل محکم و باین طریق استوار صادر گردد، بدون‌شک مسئلهٔ خلع بدون هیچگونه آشوب و اضطرابی انجام می‌یابد و ایران‌زمین از شر بدبختی‌های بیگانگان نجات پیدا می‌کند و حوزه دین محفوظ می‌ماند و کلمه اسلام عزیز و سربلند می‌گردد و مردم از زورگوئی بدعت‌گذاران و کجروی گمراهان رهائی می‌یابند و طلیعهٔ دولت محمد و آل او علیهم‌الصلاة والسلام، بر روی پایه‌های عدل و داد آغاز می‌گردد.

ولی اگر آنان در انجام این فریضه کوتاهی ورزند و در خلع او سستی بخرج دهند و این فرصت از دستشان خارج شود، خطر حتمی است و بدبختی دامنگیر عموم گشته و مرکزیت اسلام متلاشی شده و پراکنده خواهد گردید. و در این هنگام هیچ راه فراری نخواهد بود. لیس یومئذالمفرّ ـ هذا هوالحق الیقین! ـ

هم‌اکنون کفر و گمراهی بر ستاد دین و هدایت حمله‌ور گشته و جز یکی از دوراه درپیش نیست: یا شجاعت و غیرت، یا پستی و بدبختی، یا پیروزی با نیروی ایمان و یا شکست در سایه ترس و ضعف قلب!. و ناامیدی از یاری خدای قهار و ما علما الهی را از این آلودگی پاک و دور می‌دانیم.

البته اگر فاجعه رخ داد و بدبختی دامنگیر شد و کفر بر اسلام پیروز گردید و دلهای مردم از نور حق خالی گشت، این حجت و مدرک ما در پیشگاه الهی، دربرابر مردم است و همچنین این نامه، حجتی است بر کسانیکه در راه حق از ملامت سرزنش‌کنندگان نمی‌ترسند و از نیرنگ دربرابر کسانیکه درقبال امر خداوند ساکت می‌نشینند و از دین استوار و ارجدار او ـ در حالیکه قدرت هم دارند ـ دفاع نمی‌کنند.

حجتی است استوار که گذشت زمان آنرا باطل نمی‌سازد.

و مدرکی است پایدار که مرور قرن‌ها آنرا از بین نمی‌برد.

ما اخطار کردیم، پس آیا کسی هست که یادآور شود؟

این یک هشدار آشکاریست.

و درود بر ما و بر همه بندگان صالح خداوند. ـ

ولقد انذرنا فهل من مدّکر. هذا هوالبلاغ المبین. والسلام علینا و علی عبادالله الصالحین.

جمال‌الدین الحسینی [1]

---

۱. این نامه با امضای ک هـ ف، ق س ط (کهف. قسط) در صفحه ۵۲ مجله ضیاءالخافقین درج شده است. حروف فوق با حساب ابجد مساوی با ۳۰۷ است که جمال‌الدین الحسینی نیز با همین حساب ۳۰۷ می‌شود... و نامه قبلی سید نیز در همین مجله با امضای «السیدالحسینی» نقل شده است و بهمین دلیل ما پس از ترجمه نامه، امضای اصلی سید را بجای امضای رمزی نقل کردیم. خسروشاهی

نامه‌ای به:[1]

آقا کوچک
ـ سیدمحمد طباطبائی ـ

از لندن به سامرة

عالم آگاه و فاضل بینا و محقق دانا جناب آقا کوچک، خداوند وجودش را پایدار سازد.

همانا امت چشم خود را به اشخاص بزرگواری دوخته است که بیاری آن بشتابند و از این سراشیبی سقوط آن را نجات بخشند. و چه کسی سزاوارتر از تو برای اقدام به‌این وظیفه است و تو مردی هستی خردمند، هوشمند، والا همت و دارای دودمانی شریف.

من تو را آگاه می‌سازم که ثبات و استقامت علماء در بلاد ایران موجب سربلندی و نیرومندی اسلام و آشکارشدن دلیل و برهان آن گشته است. و تمام اروپا از این قدرت و نیرو، دچار هراس شده‌اند، در حالیکه آنها مدتها تصور می‌کردند که این نیرو بطورکلی از بین رفته است و اکنون اروپائیان اطمینان یافته‌اند که در اسلام امیدی هست که موجب می‌گردد مسلمانان در راه آن از قدرت جباران نمی‌ترسند.

خداوند علماء اسلام را پاداش نیک دهد.

والسلام علیکم

جمال‌الدین الحسینی

نامه‌ای که از بصره به جناب میرزا فرستاده بودم، در لندن چاپ شده و اینک شماری از آن را برای شما می‌فرستم و امیدم بخدا است که برسد.

---

۱. این نامه به عربی نوشته شده و متن آن توسط ناظم‌الاسلام کرمانی، استنساخ و در کتاب تاریخ بیداری ایرانیان (مقدمه) نقل شده است که ما در اینجا ترجمه فارسی و در بخش نامه‌های عربی، متن عربی آن را می‌آوریم. خسروشاهی

توضیحی کوتاه دربارهٔ:

زندقه وزیر اعظم!

چنانکه در نامه‌های سید به علماء شیعه خواندیم، او از «زندقه» و «کفر» وزیر اعظم! هم ناله‌ها دارد و شکایتها می‌کند. جالب آنکه، سرانجام این ناله‌ها و فریادها کار خود را کرد و میرزا علی‌اصغرخان ـ امین! السلطان و اتابک اعظم! ـ از طرف مراجع بزرگ نجف اشرف «تکفیر» شد و حکم «ارتداد»ش صادر گردید.

چون این حکم در کتب مربوط به زندگی اتابک که عمدتاً از سوی هواداران وی مانند ابراهیم صفائی و مهراب امیری ـ تألیف گردیده، نقل نشده است و از سوی دیگر از نظر تاریخی اهمیت دارد و در برکناری و سرکوبی او نقش مهمی را ایفا کرده است، برای تکمیل تاریخ زندگی وی، متن تکفیرنامه مراجع را در اینجا می‌آوریم:

بسمه تبارک و تعالی

بر قاطبه اهل اسلام سیما ساکنین ایران مخفی نماند که تسلط کفر و استیلاء اجانب بر نفوس محترمه اسلامیه و بخشیدن حریّت بفرقه ضالّه بابیّه، خذلهم‌الله و اشاعه منکرات و اباجه بیع مسکرات در ایران، بحدی رسیده که جای توقف و مجال تأمل باقی نمانده و یوماً فیوماً در تزاید و از آنچه در مقام تدبیر و رفع این عوامل هائله شده اثری ندیدیم و این نیز بر ما ثابت و محقق گردید که تمام اِین مفاسد مستند به شخص اول دولت علیه ایران، میرزاعلی اصغرخان، صدراعظم است. و پادشاه اسلام اعلیحضرت مظفرالدین شاه ایران خلدالله ملکه در نهایت دین‌داری و رعیت‌پروری رغبت و اهتمام را در حفظ حدود مسلمین داشته و تمام این مفاسد را این شخص خائن ملت و دولت اسلام بر آن ذات اقدس اعمال نموده، چاره‌ای جز اظهار،

فی‌الضمیر ندیدیم.

لهذا به حسب تکلیف شرعی و حفظ نوامیس اسلامی که بر افراد مسلمین فرض عین است، به خباثت ذاتی و کفر باطنی و ارتداد ملی او حکم نمودیم تا قاطبهٔ مسلمین و عامه مؤمنین بدانند که از این به‌بعد مس به رطوبت با میرزا علی‌اصغرخان جائز نیست و اطاعت اوامر و نواهی او مثل اطاعت اوامر و نواهی جبت و طاغوت است. و در زمرهٔ انصار یزیدبن معاویه محشور خواهد بود. قوله تعالی: لن یجعل‌الله للکافرین علی‌المؤمنین سبیلا. اللهم انا نشکو الیک فقد نبینا و غیبت ولینا.

به‌تاریخ ۲۱ جمادی‌الثانی سنه ۱۳۲۱.

الاحقر الجانی محمدکاظم الخراسانی

الاحقر محمدحسن المامقانی، الجانی نجل

المرحوم میرزا (حاج میرزا حسین خلیلی).

* * *

بعد از انتشار این نامه که ضربهٔ سختی بر قدرت و نفوذ امین‌السلطان ـ اتابک اعظم ـ زد و او از کار برکنار گردید، هوادارانش شایع کردند که «تکفیر» اتابک صحت ندارد و یا حکم نامه منتشره، نسخ شده است!! و بدنبال آن، نامه دیگری از طرف آقایان منتشر گردید که در آن، حکم اولی را تأیید کرده‌اند و اینک متن نامه دوم:

بسم‌الله الرحمن الرحیم

مخفی نماند، بعد از آنکه عقاید فاسده و مقاصد کاسده **میرزا علی‌اصغرخان** صدراعظم سابق دولت علیه ایران باخبار متواتره، باین داعیان رسید و اعمال و افعال مخربه و مضیعه دین و دولت صادره از آن وجود غیرمحترم از حد احصا گذشته برحسب تکلیف شرعی حکم بارتداد او نمودیم و این ایام مسموع شد که نسبت ناسخ باین خدام شریعت مطهره داده‌اند و لهذا ثانیاً تاکیداً و تذکاراً می‌نویسیم که اسناد این ناسخ باین داعیان جعل محض و محض کذب است. حکم همان است که در تاریخ ۲۱ جمادی‌الثانیه نموده‌ایم اگرچه بعض اغلاط غیرمضره به مقصود در نسخهٔ چاپی دیده شد، از سهو کاتب است. والله هوالعالم الحاکم.

الاقل محمدحسن المامقانی، الراجی عفو ربه نجل المرحوم میرزاخلیل، الاحقر الجانی محمدکاظم الخراسانی.

* * *

ما در این کتاب، متن دستخط و حکم آقایان مراجع را برای ثبت در تاریخ، و بعنوان سندی انکارناپذیر می‌آوریم. (به صفحه ۹۲ همین کتاب مراجعه شود) و البته همانطور که ملاحظه می‌فرمائید، متأسفانه بعلت مرور زمان، دو سند پیوستی فاقد کیفیت لازم است. و بعضی قسمت‌ها در آن متن‌ها، تقریباً خوانا نیست ولی به یاری خدا ما متن حروفی آنها را نقل کردیم تا استفاده از آنها برای اهل تحقیق آسان گردد.

خسروشاهی

بسم الله الرحمن الرحیم

[illegible]

متن دستخط مراجع و مهر آنان درباره اتابک!



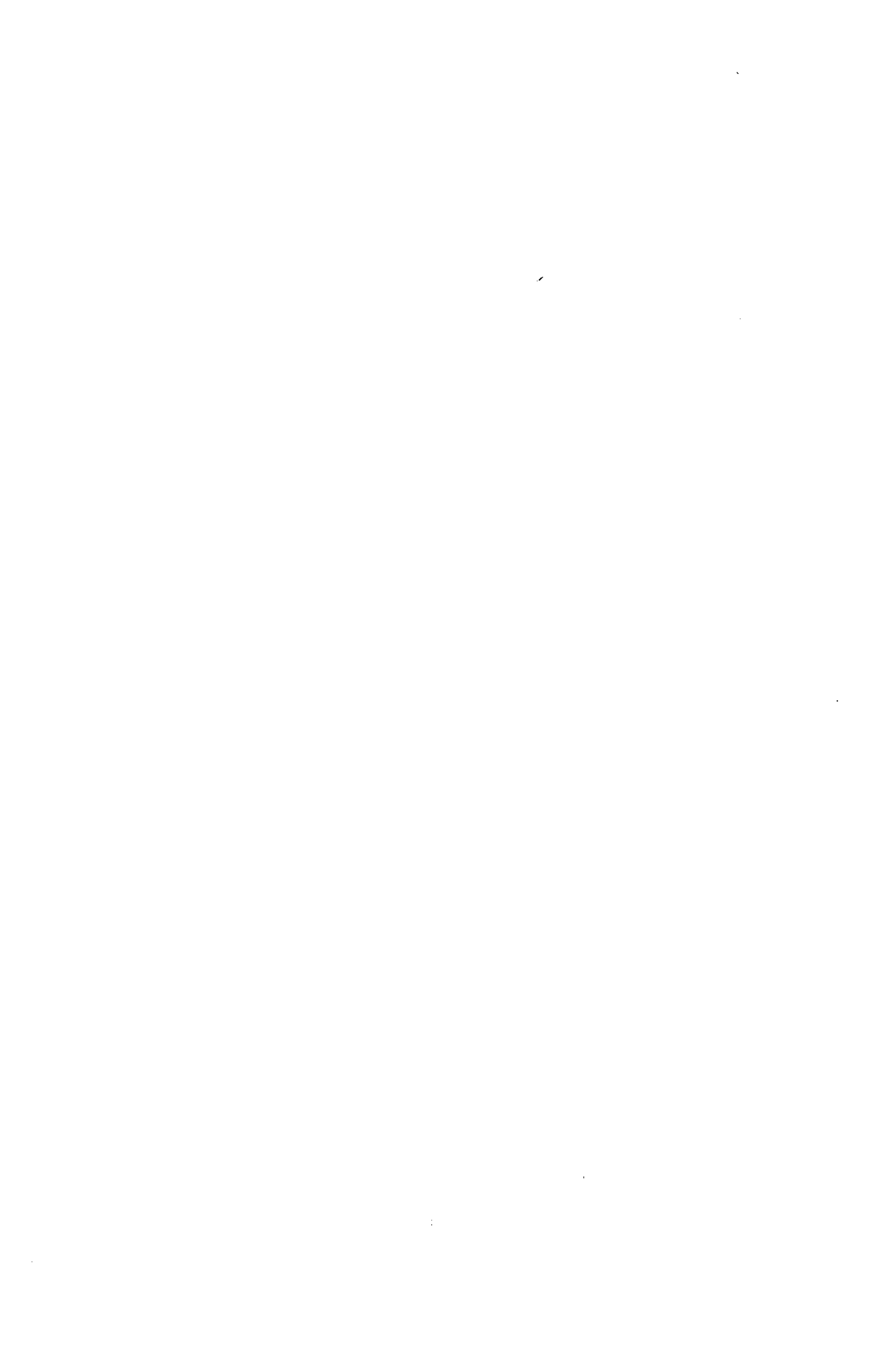
چهـار نامـه

به

حاج مستان مراغه‌ای، ملکه ویکتوریا
ریاض پاشا و جوانان مصر

دربارهٔ

اوضاع ایران و مصر



مسئول اوضاع ایران کیست؟

دوست عزیز محترم سیدحاج مستان داغستانی

از مراسله مورخه ۱۵ نوامبر شماکه از وضع کنونی ایران اشارتی در آن رفته بود آگاه گردیدم، تصور کرده بودید که علت محرومیت ملت و دولت ایران از ترقیات امروزه، مخالفت علماء با سیاست و اداره مملکت است چون عقیده این عاجز را در این باب خواسته بودید،*[1] عقیده شخص خودم را بعرض رسانیده و تمنای قبول عذر می‌نمایم.

آنچه درباره علماء ایران تصور کرده‌اید دور از دائره عدل و انصاف است، زیرا پوشیده نباشد هر وقت که قدرت بدون قید و بدون بازپرس باشد، رجال دین نمی‌توانند از اجراء ارادهٔ آن قدرت مسلط جلوگیری کنند[2] و در عصر حاضر هیچ قوه‌ای نمی‌تواند از اجراء احکام دولت در ترقی ملت ممانعت نماید.

کی دولت ایران خواست در مملکت راه‌آهن بسازد و علماء دین مقاومت کردند و او را از نیل باین مقصود که هم برای دولت و هم برای وطن مفید است بازداشتند؟[3]...

کی دولت خواست مکاتب و مدارس را انشاء نماید و برای تهذیب نسل و انتشار تعلیم، کاخ علم را بنا کند و علماء ایران این نوری که قلوب را منور می‌سازد و تاریکی جهل را فراری می‌دهد، خاموش ساختند و گفتند علم صحیح با شرع مقدس مغایرت دارد؟[4]

کی دولت ایران خواست عدالت را درمیان مردم استوار کند، محاکم دادگستری را تأسیس نماید، مجلس شورا را ایجاد کند تا تمام احکام با عدالت و موافق

---

* این شماره‌ها در این نامه، مربوط به توضیحاتی است که در آخر آن خواهد آمد.

احتیاجات عصر حاضر جریان پیدا نماید و علماء درمقابل اراده دولت قیام نموده با عدالت و قانون آغاز ستیز کردند؟

کی دولت خواست مریضخانه جدید تأسیس کند و آنرا برای پرستاری بیماران مهیا سازد و هرچه در تخفیف آلام مردم لازم است، موافق اقتضای فنی حاضر کنند و آسایشگاه‌ها و پرورشگاه‌ها تأسیس نماید و علماء از این کارهای جدید خشنود نشدند و یا گفتند این کار تازه بدعت است و هر بدعتی باعث هلاکت؟

کی دولت ایران خواست قوای خود را بیفزاید، ارتش خود را منظم کند و عده آنرا به دویست هزارنفر رسانیده برای دفاع از مملکت موافق علم امروزه و مطابق اقتضای زمان ما با اسلحه جدید مسلح سازد و علماء مخالفت نمودند؟[۵]

اما آنچه راجع به بعضی از علماء ذکر کرده بودید که تکالیف خودشان را از حیث تعالیم شرع مقدس و نشر آداب صلاح و تقوی واگذارده و در تمام ایران به چیزهائی که برای شخص خودشان دارای منفعت است پرداخته‌اند و این‌ها باعث قحط و غلاء امروز و هزاران نفوس بندگان خدا گردیده‌اند؟[۶] تا حدودی صحیح است، ولی این مطلب عمومی نیست و به چندنفری انحصار دارد که سعی کرده‌اند تمام منافع را برای شخص خودشان منحصر ساخته و از این راه مشئوم بطریق نامشروع نصف بلاد آذربایجان را مالک شوند!

چنین عملی در تمام علماء ایران که از میان آنان بسیاری اشخاص برای خدمت بحق و فضیلت قیام نموده و از حطام دنیا به اندکی قناعت کرده‌اند، عمومیت ندارد[۷] البته این کار زشت بیش از این، در همه‌جا و در هر زمان بعمل آمده است، ولی حسن اداره و قدرت عدل و صمیمیت و دانائی حکمفرمایان توانسته است آنان را بجلوگیری از احتکار و نشر عدل و مساوات درمیان مردم و آسان‌نمودن وسائل انتقال، موفق سازد.

دولت دانا و عادل برای ملت چون پدر مهربان است که ملت را از هر ظلم و اجحافی، چه داخلی و چه خارجی، حفظ می‌کند و مقدس‌ترین تکالیف حکمفرمایان این است که نگذارد به هیچ‌یک از افراد ملت ظلمی شود. اگر دولت در این کار

مسامحه را جایز شمرد و خود نیز بوسایل عدیده از هیچگونه ظلم و تعدی بی‌حساب درباره ملت فروگذاری نکند، ظلم رواج می‌گیرد و جور و ستم منتشر می‌شود و مشاهدات کنونی ما در ایران بیانات مرا تأیید می‌کند.

هیچ حاکمی برای هیچ ناحیه‌ای تعیین نمی‌شود مگر بعد از آنکه مبلغ هنگفتی برای بدست‌آوردن آن منصب خرج بکند و رشوه بدهد و همینکه بآن منصب نائل شد، طلیعهٔ اعمال او ظلم بمردم و غارت مملکت و جلب ننگ برای دولت و ملت است. مسئله فتنه اکراد و خرابی‌ها و خونریزیهائیکه در دهات حوالی ساوجبلاغ و مراغه و رضائیه واقع شد، سببش ظلم بود. کسیکه نه علم حقوق خوانده و نه از قواعد حکومت اطلاع دارد، مال و جان و ناموس چهل پنجاه هزار نفوس را درمقابل پانصدتومان فروخته و آتش ظلمی برمی‌فروزد که خود دولت با همه زحمات و مخارج گزاف نمی‌تواند نایره فساد آنرا خاموش سازد. در ایران گمان می‌کنند حکومت سهل و آسان است. و هر جوان بی‌مایه‌ای می‌تواند در ولایات و ایالات حکومت نماید![8]

البته هرکس در علل طغیان کنونی عقیده‌ای اظهار می‌کند، بعضی می‌گویند انگشت انگلیس در کار است و بعضی روس را متهم ساخته می‌گویند که آتش فتنه را روشن کرده و اکراد را مسلح نموده تا نسبت به شاه یاغی شوند، بعضی دیگر تصور می‌کنند دست عثمانی در این کار دخالت دارد، زیرا اکراد از پیش خود جسارت چنین کاری را ندارند، ولی من جسارت نموده و می‌گویم دستی که فتنه را در مملکت به جنبش می‌آورد و فساد را منتشر می‌سازد یک سلسله مظالمی است که دست ظلم آنرا ایجاد نموده و لازم بود ما نگذاریم دشمنان نیرومند ما راهی بما باز کنند. بر فرض اگر انگشت همسایگان هم در کار باشد، در آنصورت نیز چرا باید وسیله و اسباب بهانه بدست دشمن بدخواه و کینه‌جو داد؟. در هر حال اجرای عدل و مساوات در تمام طبقات لازم است، والا دو لنگه دروازه وطن برای واردشدن دشمن گشوده خواهد ماند[9].

اگر دولت عثمانی در بوسنه و هرسک و بلغار به عدالت و انصاف رفتار می‌کرد،

طغیان و خونریزی از آن ملل اسلاوی ظهور نمی‌کرد و آن بلاد در حوزه سلطنت عثمانی باقی می‌ماند و دنیا در سال ۱۸۷۷ از مصائب جنگ ترک و روس نجات می‌یافت.[۱۰]

تاریخ صحیح این عقیده صحیح را ثابت که هرجا ظلم بوجود آمد آسایش معدوم شد و از دولت اثری باقی نماند دولت به عدل استواربوده و ملت به علم زنده می‌شود.

هرگاه تصور شود که دولت ایران چندهزار سال است که بهمین‌طورها برقرار بوده و باز خواهد بود، اشتباه بزرگی است، زیراکه دوره طوایف ملوک در ایران گذشت، در آنوقت ملل دیگر نمی‌خواستند درازدستی بمملکت بنمایند، ولی اکنون بجزئی تغییر وضع و بهانه دست مداخله درازدستان بمملکت ایران باز است و ممکن نیست با این وضع کنونی، دولت ایران بتواند زیست کرده و خود را مصون نگهدارد.[۱۱]

ثلث بیشتر نفوس ایران از کثرت ظلم حکام و فقر و پریشانی و بیکاری باطراف عالم متفرق و پراکنده شده بانواع ذلت و حقارت بکار فعلگی و نوکری و آبفروشی مشغولند و دولت هیچ نمی‌پرسد که این همه رعیت من در ممالک خارجه چه می‌کنند؟ سهل است، هر قدر بیشتر از مملکت خارج می‌شوند همانقدر بیشتر دولت بجهت رواج یافتن امر گذرنامه و ملاحظه منافع کوچک آن، ممنون می‌شود! و دیگر فکر نمی‌کند که هرگاه عوض جلب این منفعت، اسباب امنیت و آسایش آنها را در مملکت فراهم آورده آنها را بکار زراعت و فلاحت وادارد، غیر از آنکه موجب تکثیر نفوس و تقویت قشون در هنگام لزوم و عمران مملکت و نیکنامی دولت در انظار دول و ملل دیگر می‌گردد، صدمقابل وجه گذرنامه هم از بابت مالیات و بهرهٔ دیوانی اینهاکه بخارج می‌روند، بخزانه عاید می‌شود.[۱۲]

همه مساحت خاک فرانسه بقدر یک‌سوم ایران نیست علت اینکه قریب چهل میلیون نفوس در خاک مزبور بوده و پانصد کرور تومان از آن قطعه کوچک بجمهوریت عاید می‌شود و ایران با همه وسعت خاک صاحب هشت میلیون نفوس (بقول فرنگیها) و دارای هفت کرور تومان درآمد هم نیست، چه چیز است؟ غیر از

آنکه در فرانسه عدل و مساوات و اخوت و آزادی و قانون هست و در ایران نیست، جهتی دارد؟.

و باید فهمید جمیع این ترقیاتی که در اروپا بظهور رسیده همه در نتیجهٔ علم است و اطلاع، که ملل اروپا به حسن مواظبت خودشان بدون اینکه متوقع و منتظر یاری از دولت خودشان باشند، آنرا بدست آورده و بدان واسطه بر شأن دولت و شکوه ملت و آبادی و ثروت مملکت افزوده، حرفه و صنایع را نیز در سایه همان امر، بنوعی پیش برده‌اند که جمیع ملل مشرق زمین را در کافه اسباب زندگانی محتاج بخود کرده‌اند.

از دولت امنیت‌دادن بجان و مال مردم است و بس، مابقی بعهده خود ملت است که احتیاجات خود را پیش چشم خود آورده بطور جدی به تهیه اسباب راحت و ثروت و سعادت خود به‌پردازد و آن هم امکان ندارد مگر باگشودن مدارس و مکاتب و تربیت و تعلیم کودکان.

پادشاه ایران را در حسن نیت و عقل و کفایت نسبت بوکلای خود ناپلئون عصر! می‌توان خواند[۱۳] لیکن چه فایده! یک نفر درمیان وکلای[۱۴] باغیرت ایران یافت نمی‌شود که افکار اصلاح‌طلبانه او را تقویت نموده و اسباب حصول منظورات مقدسه را بهر تدبیر که باشد فراهم بیاورد و اسمی بدین جهت درمیان ملت خود به‌یادگار گذارد. آن اقتدار و تسلطی که اعلیحضرت پادشاهی بهریک از امنای دولت خود در تمشیت امور می‌دهند، به هیچ‌یک از وزرای مستقل فرنگستان از جانب دولتشان داده نمی‌شود.

معهذا در هیچ شعبه از اموریکه به ید اقتدار و کفایت حضرات وکلای فخام ایرانی سپرده می‌شود، هیچ‌گونه آثار ترقی و انتظام مشاهده نمی‌گردد و بلکه روزبروز بدتر می‌شود و بعد از آن باکمال تأسف می‌گویند آزادی و اختیار نداریم[۱۵] شاید آزادی و اختیار در صرف‌نظرکردن از اجرای اغراض شخصیه و جلب منفعت ذاتی خود ندارید وگرنه شاه از اعطای هیچ‌گونه اختیار بشما و تحمل هرنوع فداکاری در راه ترقی دولت و ملت کوتاهی نمی‌کند.[۱۶]

در وقت حرف، حضرات رجال دولت دربارهٔ امور پولتیکی و وسایل انتظام چنان

نطق می‌کنند که عقل ازکفایت آنها حیرت می‌کند، ولی درمقام عمل هیچ‌یک از آن حرفها در خاطرشان نمی‌ماند. هرگاه صدیک نیروئی راکه وکلا در اقوال دارند، در اعمال نیز می‌داشتند، هرآینه ایران یکی از دول بزرگ و متمدن محسوب می‌شد.

عاقلترین وزرای ایران شخصی است[۱۷] که به جهت خراب‌کردن دشمن خود در حضور همایونی، خود واسطهٔ کار او شده شغل بسیار عمده و مهمی راکه ابداً آن بیچاره قالب آن کار نیست، برای او تحصیل نمود و برای اجرای نفسانیت و اثبات کفایت خود، موجب بسا خرابیها و مضرات برای ملک و ملت می‌گردد. حیف نیست آدمی با آن هوش و ذکاوت و فطانت همه را درپی کسب نام و شهرت بیمعنی بوده و حقیقتاً کاری انجام ندهد که باعث نفع و صلاح دولت و مایه خیر و فلاح آخرت خود باشد؟![۱۸]

ما همه تصدیق می‌کنیم که شماها! در عقل و تدبیر تالی بیسمارک[۱۹] و در فنون لشگرکشی استاد مارشال مولتیک[۲۰] هستید، ولی قدری هم باید باصداقت بوطن خدمت کرد. اشتهار و افتخار را مانند: کونت کاور ایتالیا، تیر فرانسه، نسلرود روس، پالسمرستون انگلیس باید تحصیل کرد که هر کدامی برحسب موقع دولت و اقتضای وقت بچه تدبیر تشبث کرده و دولت و ملت خود را بچه ترقیات رسانیده‌اند و مع‌ذالک پس از مردن ترکه آنها بصورت اموال افراد بی‌چیز و فقیری فروخته شد.

* * *

بعید نیست همین ذات! اگر از این فقره استحضار بهم رساند، در پیش خود بگوید که نویسنده این مطلب عجب جاهل از وضع و حالت ایران است که دولت ایران را هم بر دول بزرگ و متمدن قیاس می‌کند و همچو گمان می‌برد آن تدابیری که وزرای مستقل فرنگستان تا حال بکار برده و می‌برند، در ایران هم با وضع کنونی ممکن است، عرض خواهم کرد در زمان صدارت مرحوم میرزا تقی‌خان اتابک اعظم همین ایران بود و همین شاه و بقول شما همین موانع، چرا در زمان صدارت او که دوسال بیش طول نکشید، آن همه ترقیات از قبیل قراولخانه، انشاء مدرسه در طهران، وضع سفراء در خارجه، پارهٔ صنایع و بدایع، بخصوص رواج کالاهای خود مملکت و رونق

تجارت ظهور کرد؟ و در زمان صدارت و اقتدار چندین ساله شماها که اختیار کامل درکلیه امور داشتید، هیچ‌گونه آثار خیر و علامت ترقی از شماها بروز نکرد، سهلست اقلاً باحداثات جدید حاضر و تشثبات فوق‌العاده مزبور نتوانستید انتظامی داده و آنها را بدرجه مطلوبه برسانید.

ادارات دولتی همه حکم تعطیل شده پیداکرده و نتیجه‌ای که از وجود آنها منظور است، برای دولت و ملت حاصل نمی‌شود. اگر بفرمائید آن تشبثات و اقدامات فوق‌العاده بوده که بالاخره سبب قتل او گردید، در جواب می‌گویم که آن نیز نبود مگر از نتایج اعمال و اغراض شخصیه شماها که دو روزی نتوانستید ایران را بطوریکه مطلوب خیرخواهان وطن است، ببینید و هزار اسباب فراهم آوردید تا بمقصود خود رسیدید [۲۱] و آنگهی یک روز زندگانی بشرف و غیرت برای مردمان با حمیت بصدسال عمر توأم با ذلت و خواری ترجیح دارد: (یک مرده بنام به که صد زنده به ننگ).

* * *

بالجمله یکی از اسباب ترقی ملل اروپا آزادی مطبوعات است که بدان وسایط نشر محاسن و معایب مردم بلااستثنا مجاز است تاکسانیکه صاحب صفات حمیده و خصایل جمیله هستند، بحسن اخلاق خود افزوده و آنهائیکه آلوده بغرض نفس و نفسانیت و افعال مذمومه می‌باشند، ترک آنها را نمایند و احدی قدرت تعرض به نویسنده یا مدیر روزنامه ندارد، مگر اینکه اسم کسی به بی‌احترامی در آنجا برده شده یا عیبی بر او نسبت داده شود، آنوقت شخص متهم حق محاکمه با مدیر روزنامه را داشته و او را رسماً دعوت به محکمه می‌نمایند، هرگاه مدعی علیه خود را محکوم کرد، بموجب قانون مجازاتی که در آن باب معین است در حق مفتری از جانب حکومت بعمل می‌آید وگرنه بر راستگو هیچگونه مجازاتی از نظر قانون روا نیست.

معنی روزنامه این است که حقیقت را باید بنویسد و فصلهائی که نافع بحال ملت است باز کند؛ عیب را بگوید و علاج معایب را بنویسد نه آنکه روزنامه را پر از اغراقات و مملو از مبالغات کراهت‌انگیز کند. بهتر است که این جور روزنامه را هیچ‌کس طبع و نشر نکند و خود را ذلیل و رسوای خاص و عام نسازد. [۲۲]

همچنین است وضع و حالت خارجه ایران که سالیانه دولت مبالغ گزاف بر سفارتخانه‌های خود خرج می‌کند و نمی‌خواهد حسن نتیجه بردارد، گویا مقصود از داشتن سفارتخانه‌ها این است که بگویند: «شاه بوداغون باغیده‌وار»*. هرگاه کسی در ایران بپرسد که وجود سفیر در خارجه برای چه چیز است؟ شاید چندنفری پیدا شوند که بگویند: بلی سفیر صورت پادشاه و چشم و گوش دولت است که باید آنچه ببیند و بشنود و بفهمد، از روی صدق و راستی، راپورت نماید، ولی کو آن دولتی که وظایف مزبور را از سفیر خود بخواهد و راپورتهای او را بنظر دقت مطالعه نموده بمیزان عقل بسنجد و اجرا بکند و آنچه راکه باید بکند؟ علاوه بر چند نفر مأمور بزرگ که دولت ایران از قبیل «آژان دیپلماتیک» و «ژنرال گونسل» و «گونسل» در ممالک خارجه دارد، قریب پانصدنفر نیز هر طبقه گونسل و ویس گونسل در نقاط مهم و یا جاهائی که ابداً لازم نیست دارد، معهذا از هیچ‌کدام اینها راپورتی به سفارت و یا بوزارت خارجه خود نمی‌رسد و کسی هم متوقع این خدمات از آنها نمی‌شود، زیراکه مقصود از مأموریت اینها، که نه مواجب دارند و نه معاش، تحصیل امنیت تبعه و کسب اطلاع از وضع و حالات آنجاها نیست. اغلب این مأمورین که ذکر شد، جهال و الواط و اشرارند، تصور نمائید از این قبیل اشخاص که حقوق خود را نمی‌دانند و مأموریتشان حفظ حقوق دولت است، چه منفعتی بحال دولت و یا طبقه‌ئی مقیم آن ولا است عاید تواند شد؟

بیچاره تبعه که از ظلم و تعدی حکومت ایران فرار کرده و آمده در مملکت خارجه می‌خواهد به فراغت و آسودگی مشغول کسب و داد و ستد خود باشد، در آنجا هم دچار اینگونه مأمورین ایرانی گردیده و آنچه دارد و ندارد! باید فروخته صرف معیشت و گذران مأمورین مزبور نماید تا بدان واسطه بتواند از غضب و سخط مأمورین ایران آسوده و ایمن[۲۳] بماند!...

* * *

این مختصری بود که نوشتم و نمونه‌ای بود از جمیع کارهای داخله و خارجه

---

*. ضرب‌المثل ترکی است.

دولت ایران، هرگاه اندک تعقل کنید، خواهید دانست که سبب همه این خرابیها ظلم است و چیز دیگر نیست که دولت بر خود ملت می‌کند و چاره آن منحصر بـه‌علم است و تهیه اسباب آن بسته به همت و غیرت خیرخواهان وطن است که بطور جدی و بدون فوت وقت، اقدام به افتتاح مدارس کنند و ملت را از ورطه فنا به ساحل نجات برسانند. وگرنه چندی نخواهد گذشت که نامی از دولت و نشانی از ملت ایران در روی زمین باقی نخواهد ماند.

خداحافظ!

۲۵ دسامبر ۱۸۸۱م

جمال‌الدین الحسینی

توضیحات راجع به مطالب نامه

۱. معلوم است حاجی «سیدمستان داغستانی» که از مردم مراغه بوده، سید را در دوره اقامت هفت‌سالهٔ مصر می‌شناخته و او را نسبت به ایران و قضایای مخصوص بدان طوری واقف و علاقمند می‌دانسته که از او استفسار می‌کرده است...

۲. اقدامات بی‌نظیر و فداکاریهای مرحوم سیدمحمد طباطبائی و شرکت مرحوم سیدعبدالله بهبهانی با مرحوم حاجی آقا نورالله اصفهانی و مرحوم ثقةالاسلام تبریزی و نهضت مرحوم حاجی سیدعبدالحسین لاری برضد استبداد در بنادر و حمایت و ارشاد مرحوم آخوند خراسانی و مازندرانی و تهرانی در عتبات از جنبش مشروطه‌خواهان، ثابت کرد که تشخیص سیدجمال‌الدین و اظهار عقیده سید درمورد علمای ایران صحیح و از روی وقوف کامل و اطلاع دقیق بوده است.

۳. پس از آنکه میرزا حسن‌خان سپهسالار امتیاز راه‌آهن را از ناصرالدین شاه گرفت، دسایس سیاست خارجی و افساد و تحریک درباریان و رجال سیاسی مخالف سپهسالار مانع از انجام این امر شد.

۴. در تأسیس دارالفنون تهران و تبریز و مدرسه همایونی اصفهان شنیده نشده که عکس‌العمل نامطلوب و کارشکنی از طرف روحانیان عصر شده باشد و تنها مدرسه‌ای که بعد از این تاریخ تأسیس شد و با مخالفت و مقاومت علماء و مردم مواجه گشت، همانا مکتب نوآموزان مرحوم میرزاحسن رشدیه در تبریز بسال ۱۳۰۷ قمری بود که بیشتر بمناسبت رسمی‌کردن تدریس زبان ترکی از روی کتاب «آنادیلی» ـ زبان مادری ـ بمخالفت عامه مردم از علماء و غیرعلما برخورد.

و شکی نمی‌توان آورد که این اظهار مخالفت یک تظاهر ملی محکم از طرف تبریزیان برضد تدریس زبان ترکی و الغاء زبان فارسی در آذربایجان بوده که اصولاً این فکر زایدهٔ سیاست کشورستانی روسیه در قفقاز بوده و بدست خدمتگزار زبردست ایشان که قضا را نویسنده و ادیب زبردستی بوده یعنی (پالگونیک میرزا فتحعلی آخوندف مترجم نایب‌السلطنه قفقاز) صورت عمل پیداکرده بود، ولی مورد قبول وطن‌پرستان ایرانی قرار نگرفت.

۵. در دوره فتحعلی‌شاه که مسأله تبدیل قشون قدیم به نظام جدید پیش آمد، میرزابزرگ قائم مقام که درحقیقت مؤسس نظام جدید در ایران اوست، فتاوی موافقت علما را بدست آورده بعدها نیز که در زمان محمدشاه تجدید اساس شد و همچنین در دوره ناصرالدین شاه که معلم و مشاق از خارج آوردند ـ هیچ وقت کسی از روحانیان با این تغییر وضع مخالفت نکرد.

۶. قحط و غلای آذربایجان که در اواخر قرن سیزدهم هجری بواسطه حدوث اغتشاش و زد و خورد متوالی در آن سامان بچندنفر عالم‌نمای ملاک تبریز مجال گرانفروشی غله انبار خود را داده بود، در این نامه مورد استناد و استشهاد سیدمستان داغستانی مراغی قرار گرفته، نشان می‌دهد حاجی سیدمستان هم مانند سیدجمال‌الدین ایرانی و نسبت باوضاع ایران دلسوختگی داشته است.

۷. سید خوب پاسخ داده و درحقیقت بین علمای ملاک و روحانیون حقیقی فرق گذارده و نشان داده است که اینان اول از طبقه مالکین و سپس در لباس روحانیان درآمدند، تا از این راه بهتر بافزایش مال و حفظ منافع خود مسلط باشند...

۸. این نتیجه مطالعات و مشاهدات طولانی سید بود... کارها و حکومت شاهزادگان خردسال، که هنوز از دهنشان بوی شیر می‌آمد در آذربایجان و فارس و غالب ولایات و ایالات گواه صدق این مدعی است.

۹. معلوم است سید پیش از آنکه از اروپا بایران سفر کند (۱۳۰۳) دلبستگی خاصی باوضاع سیاسی ایران داشته و از جزئیات امور اتفاقیه مطلع بوده است و کسی که در ایران زندگی نکرده و نمونه آن زندگانی پر از رنج و آسیب و ظلم و تعدی را ندیده و مزه تلخ حکومت جابره قاجاریه را نچشیده باشد، از کجا می‌داند که طریقهٔ عزل و نصب حکام چگونه بوده و رشوه و عشوه آنان از چه قرار بوده است؟

۱۰. جنگ روس و عثمانی در سال ۱۸۷۷ میلادی خسارت جانی و مالی و ارضی زیادی بر عثمانی تحمیل کرد.

۱۱. این اوضاع همواره ادامه داشته، زیرا طبقه حاکمه امروز همان نوکرزادگان دیروز دربار قاجاریه بوده‌اند و خوی گرگ‌زادگی را در لباس میشی حفظ کرده و در صیانت فضیحت‌انگیز سعی وافی بکار می‌برند!...

۱۲. سیدجمال‌الدین در موارد متعددی از این آوارگی ایرانیان و ماجرای بدبختی ایران سخن می‌راند، ولی گوش شنوا کجا بود؟. ناصرالدین شاه جز تمتع از مال و ناموس ملت اشتغالی نداشت و اطرافیان و وزرای او جز جلب منافع شخصی و افزایش ثروت خانوادگی و ویران‌کردن آبادی‌های دیگر، منظوری نداشتند ولی سیدجمال‌الدین آواره از وطن، مزه این بدبختی و دورافتادگی از بوم و بر را چشیده و سیدمستان غریب که از مراغه بمصر افتاده بود و از تعدی مأمورین سیاسی ایران ناگزیر از استعمال نسبت مستعار شده بود، معنی حرف یکدیگر را می‌فهمند.

۱۳. علت این حسن نظر سید به ناصرالدین‌شاه معلوم نیست؟ حقیقتاً در اثر دوری چندساله تا این درجه بر او خوشبین بوده و یا نظر تشویق و ترغیب او را بکار خیر داشته است؟.

چون نامه خصوصی بوده قطعاً از روی برخی آثار و نوشته‌ها که در خارج از ایران انتشار می‌یافته تصور خیری از وجود او داشته و قبول دعوت اعتمادالسلطنه در چهارسال بعد برای عزیمت بتهران و

تلاشی که در ایام توقف کوتاه خود در تهران برای استقرار اساسی عدالت و قانون داشت، همه گواه این معنی است که سید پیش از آن روزی که غلامان پارکابی شاه او را به فضیحت از بست حضرت عبدالعظیم کشان‌کشان بیرون آوردند، این مرد مستبد خودخواه و ستمگر را نمی‌شناخته و بیجهت به او حسن‌ظن داشته است...

۱۴. وکلا یعنی وزرا و معاونین وزرا، و این اصطلاح را از عرف مصری اختیار کرده‌اند.

۱۵. این همان حرفی است که همواره وزیران ایران بعنوان عذر بیغرضگی و عدم لیاقت و اغراض شخصی خود می‌آورند.

۱۶. اکنون که وزرا درمقابل مجلس و افکار عمومی علی‌الظاهر مسئولیت پیدا کرده‌اند، باز بجای عمل، اعلامیه می‌دهند و از کفایت و لیاقت و حسن‌نیت خود لاف می‌زنند، ولی نتیجه کارهای ایشان همین وضع پریشانی است که نظیر آن در زنگبار و تبت هم دیده نمی‌شود!.

۱۷. گویا اشاره به مستوفی‌الممالک (میرزایوسف) می‌گذرد، زیرا میرزاحسین‌خان دیگر در کار نبود و بطور کلی این بیان حقیقت یک صورت کلی است که بر هیولای سیاسی همه وزرای قدیم و جدید ایران متناسب درمی‌آید.

۱۸. تشریح این علل و اسباب و اوضاع تنها برای کسی میسر بوده که از زمان میرزاتقی‌خان تا سال ۱۲۹۹ هجری با جریان تاریخ ایران معاصر و مرتبط بوده است. و آنچه راکه ما امروز با آزادی فکر، از روی بحث و مقایسه کارهای این رجال دولت می‌توانیم دریافت و گفت، او در همانروز سنجیده و فهمیده و گفته است. این ایراد و اعتراض که بر میرزا یوسف و وزرای دیگر شاه داشته همان ایرادی است که امروز هم بر قوام‌السلطنه* و دوستداران دولتی او مردم خردمند و باریک‌بین داشته و دارند و زیرا اینان هنوز نتوانسته‌اند اثبات لیاقت و کفایت خود را برای عمران و آبادی کشور بمنصه ظهور درآورند.

۱۹. بیزمارک صدراعظم آلمان که درنظر نمونه کامل حسن سیاست قرار گرفته بود.

۲۰. مولتک صاحب‌منصب پروسی که اطریشها را شکست داد و شهرت جهانی یافت.

۲۱. سید دربین رجال سیاسی ایران بمرحوم میرزاتقی‌خان نظر خاصی داشته و در شب‌نامه‌هائی که هنگام توقف تهران از طرف دوستان او برضد شاه منتشر می‌شد، همیشه قتل مرحوم امیر را بعنوان مثال تاریخی ذکر می‌کردند.

۲۲. در متن عربی المقتطف و ترجمه‌ای که از آن در مجله آینده سال دوم بچاپ رسید، این قسمت را اضافه بر متن مجله چهره‌نما و صورت منقول در مجله محیط دارد:

«ولی جرائد ما در ایران برضد این مطلبند، از کار خوب خوب می‌گویند و از کار زشت هم

---

* در تاریخ نشر نامه در مجله محیط بسال: ۱۳۲۶...

خوب. این دو نزد آنها تفاوت ندارد و میان خوب و بد تمیزی نیست و سراسر آنها اغراق است. و علت این کار مایل‌نبودن حکام و امراء باصلاح جراید است. صاحب جریده مظلوم است، زیرا این حال برای حیات جرایدی که باید کارهای مفید و عقائد صائب و حوادث با حقیقت را نشر دهند، مناسبت ندارد.

در زمان فتنه آذربایجان قحطی در مملکت منتشر و ظلم حکم‌فرما بود، بهمین جهت اکراد طغیان کردند و اضطراب عمومی ظاهر شد. مردم متوحش و متحیر بودند و عاقبت کار را نمی‌دانستند، با وجود این مصائب، جراید ایران در ستونهای خود می‌نوشتند که شهر تبریز و نواحی آن در بهترین! حال و در پرتو مساعی خدمتگزاران حضرت اقدس عالی، امنیت! برقرار و اهالی بدعاء ذات صاحب‌البرکات اقدس همایون عالی شاهنشاهی ارواحنافداه مشغول می‌باشند.»!!!...*

۲۳. این قسمت از مکتوب سید بخوبی سبب انتساب او را به افغانی و احتراز از تظاهر بایرانی‌بودن نشان می‌دهد و برای گریز از این گرفتاریها و رفع شر مأمورین وزارت خارجه که باتکای کاپیتولاسیون بر جان و مال تبعه ایران در خارج حکومت می‌کردند، ناگزیر در عدم اظهار اصل و نسبت بوده است وگرنه جز یک ایرانی بصیر مطلع، هیچ‌کس دیگر از عهده تشخیص دقیق جهات پریشان روزگاری، برنمی‌آید.**

---

* جملات، شباهتی به نوشته‌های سید ندارد... بویژه جمله «ارواحنافداه» نشان می‌دهد که از ساخته‌های نویسندگان وطنی، برای مصالح خاص خودشان بوده است. (خ).

** توضیحات نامه از شادروان استاد محیط طباطبائی است که در شماره ۱۱ دوره دوم مجله محیط پس از نقل اصل نامه سید، درج شده است و ما برای استفاده عموم توضیحات ایشان را هم پس از متن نامه، در این کتاب نقل کردیم. (خ).

نامه‌ای سرگشاده به:

ملکه ویکتوریا!
و مردم انگلیس

مقدمه

جمال‌الدین مردی است پنجاه‌ساله و نسبت به سن خود بنیه قوی دارد و از ظلم و تعدیاتی که در ایران می‌شود و اغتشاشات وضع آنجا دل‌سوزی کلی دارد و در راه نجات ملت کوششهائی می‌کند، از جمله فعالیت او در عمل نسخ و بطلان امتیاز دخانیات است، که باهالی اروپا داده شده بود.

بطلان این امتیاز فقط بواسطه اعمال متفقه و حرکات شجاعت‌آمیز ملاها و علماء بوده است که پادشاه را مجبور به بطلان آن نمودند و مردم را مشوق و محرک گردیدند که دربرابر آخرین حرکت و اقدام پادشاه، که بسرقت ملت شباهت دارد مقاومت سخت نمایند. و کار را بجائی رسانیدند که اعلیحضرت اقدس همایون! پادشاه ملتفت شدند که اگر بخواهند بیش از این دربرابر مردم و ملت مقاومت و ایستادگی کنند، نه تنها از سیاست دور است بلکه اقدامات خودشان را در انجام این امتیازنامه و متداول‌نمودن آن محال و غیرممکن می‌سازد.

هانری هاویس [1]

---

۱. «هانریس هاویس» همان «لارنس هاوس‌من» شاعر و نویسنده معروف انگلیسی است و چند نمایشنامه و پیس دربارهٔ ملکه ویکتوریا نوشته که مجموعه آنها سکهٔ زرین نام دارد... او این سطور را در مقدمه نامه سید که در آن دوران در جراند لندن منتشر گردید، نوشته است (خ).

سلطنت و استیلای خوف و وحشت در ایران

مملکت من بحالت خرابی افتاده است و از جمعیت آن کاسته شده و کارهائیکه متعلق بزراعت و آبادی است، خراب شده و زمین‌ها، لم‌یزرع افتاده و صنایع بحال عدم باقی مانده است. مردم ایران متفرق شده‌اند، بهترین افراد این مملکت در زندان‌ها بسر برده و پادشاه و وزراء، آنها را آزار داده و اموال آنها را بدون رحم نهب و غارت کرده و بدون آنکه استنطاقی دربارهٔ آنها بعمل آید، آنها را به‌قتل می‌رسانند.

اما دربارهٔ وزیر پادشاه؛ این مرد که پسر آشپز سابق پادشاه است، اکنون کسی است که اختیار مطلق بر مال و جان اشخاصی دارد که زنده مانده‌اند، یا چیزی از آنها باقی است.

دولت انگلیس که از پادشاه با تشریفات تمام پذیرائی نمود، تصور می‌کرد که ایشان مایل به ترقی و تمدن هستند، ولی باید از این اشتباه بیرون آید و هرچه این مسئله زودتر معلوم شود بهتر است.

حقیقت‌گوئی از دروغ بنظر غریب‌تر می‌آید. هرچه از تعدیات و وضعی که اکنون در ایران متداول است گفتگو شود، کم گفته شده است.

مردم در زندان‌های زیرزمینی و اطاقهائیکه برای انواع شکنجه‌ها آماده است، دچار زجرهای سخت بوده و در دست اشخاص طماع و حریص و خسیس گرفتار هستند و خود پادشاه بحالت بی‌اعتنائی، این چیزها را تماشا می‌کنند، یا آنکه خود او با میل و رغبت مرتکب بدترین گناهان می‌شود.

من از ایران می‌آیم، رفقا و دوستان من در آنجا در زندان‌ها محبوسند، آنچه را که می‌گویم از روی اطلاع است. من کسی نیستم که مطالبی که می‌گویم از روی عدم

بصیرت باشد. لقب من که پسری پیغمبر است، برای تمام اهل فرنگ دلیل خواهد شد که بدانند من فرد معروفی هستم. پادشاه ایران و جمیع وزرای ایشان و سفراء و رؤسای مذهب مقدس ما، مرا در مقام بلندی که در مذهب دارم، می‌شناسند و مرا معلم و راهنمای عمده برای مردم می‌دانند.

من باینجا آمده‌ام که بجمیع اهالی فرنگ که در ایران منافعی ملاحظه کرده و باحوال اهالی آن دل‌سوزی دارند، اطلاع بدهم که صدماتی‌که به‌اهالی مملکت من وارد می‌آید طوری است که دیگر نمی‌توان مخفی داشت.

کار اهالی این مملکت راجع به دولتین روس و انگلیس است. چونکه ایرانی‌ها بطرف روس‌ها و انگلیس‌ها گرویده و می‌دانند که این دو ملت بزرگ منافع و فوائد در ایران دارند و هیچ‌یک از این دو ملت بزرگ طالب نیستند که مملکت ایران روبه‌خرابی گذارده و ساکنین و جمعیت آن تلف شوند، از آنجائیکه هیچیک از دولتین روس و انگلیس، مجاز نیستند که ایران را مسخر نمایند، روی این اصل این دو ملت بزرگ باید در ترقی و پیشرفت، ایران را تقویت و همراهی بنمایند.

لازم است اطلاع داده شود که در زمان سلطنت پادشاه فعلی، بهیچوجه قانونی نداریم، و بلکه می‌توان گفت که هیچ حکومت و دولتی درمیان نیست. در سوابق ایام رسم بر این بود که صدراعظم واسطه بین پادشاه و ملت بود و او تا حدودی صلاح پادشاه و ملت، هر دو را طالب بود. و او از نجبا و بعضی اوقات از وزرای بزرگ بود و با نجبای ایران یک نوع موافقت و همراهی داشت و نجبا نفودی در بین مردم داشته و در زمین‌ها و املاک آنها که همه آباد بود سمت ریاست داشتند، ولی اکنون تمام این تفاصیل تغییر یافته، پادشاه تمام نجبا را پریشان کرده و اموال آنها را تصرف نموده نفوذ آنها را از میان برده و مردم و رعایای آنها را متفرق کرده است.

وزیراعظم کنونی مردی است که هیچیک از نجبا حاضر نیستند که با او در سر یک میز بنشینند. او از پست‌ترین مردم است و احترام هیچ‌کس را ملاحظه نمی‌کند و هیچ کس نیز ملاحظه او را نمی‌نماید، او آشکارا مردم را به خاطر نفع پادشاه و شخص خود، غارت می‌کند!.

این تفاصیل حالت صدراعظم است:

باز وزیر دیگری هست که بقدری بی‌سواد و بی‌دانش است که اسم خود را با دست خود نمی‌تواند امضاء کند.

این است وضع کنونی دولت ایران. رشته قدیم سلسله نجبا بکلی از بین رفته، عدهٔ قلیلی از آنها مخفی هستند و بعضی از آنها را تبعید کرده‌اند و برخی در زندان‌ها بوده و بعضی مرده و بطورکلی همه آنها از مقام و اعتبار سابق خود افتاده و اغلب را مضمحل کرده‌اند و دولت ایران از وجود این قبیل اشخاص که موجب ترقی آن بودند؛ محروم گردیده است.

در این صورت، چگونه می‌توان گفت که قانونی باشد؟ یا می‌توان آن دولت را متحمل شد، یا آنکه او را جزء دولت محسوب داشت؟

آری! در صورتی‌که نه قانونی و نه حکومتی باشد و مبنای ظلم و تجاوز و همه‌گونه اجحافات دربین باشد، البته نمی‌توان آن را متحمل شد و چگونه می‌توان او را جزء دولت محسوب داشت؟ با این حال، گویا آنچه که قسمت ما شده، همین است!!

ایرانیها خیلی دچار صدمات شده و متحمل همه‌گونه تعدیات گردیده‌اند. اغلب ملل مشرق زمین به رفتارهای سخت و تعدیات عادت کرده‌اند، ولی این سختی به منتها درجه رسیده و آنها طالب اصلاح وضع هستند و حالت مردم از تجاوزها و سختی‌ها بدرجه‌ای رسیده است که در تمام ایران همگی مستعد انقلاب و شورش هستند. وضع مردم هم‌اکنون طوری است که همواره تقویت و حمایت از دول اروپا را می‌خواهند.

و از این حالت می‌توان استنباط کرد که بزودی در ایران شورش خواهد شد. کلمه عدالت از جمیع دهن‌ها همواره برمی‌آید، محض اینکه عدالت درباره آنها جاری شود، و ایرانی‌ها می‌گویند برای ما مرگ بهتر است از اینکه زنده بمانیم و همواره دچار همه‌گونه تعدیات و نهب و غارت باشیم.

* * *

چندی قبل یکنفر ایرانی که بواسطه پریشانی وضع دیوانه شده بود، خود را به هر نحوی بود جلو پادشاه رسانید و در حضور ایشان خودکشی نمود.

هرگاه عموم مردم شکایت نداشته باشند، بواسطه این است که تقریباً با این وضع عادت کرده‌اند و یا نمی‌توانند ابراز کنند. و این اواخر مسئلهٔ دیگری نیز بمیان آمده و

آن این است:

از وقتیکه از پادشاه در اروپا پذیرائی شده است، دولت ایران شهرت داده است که دولتین روس و انگلیس ثبات و اقتدار شخص پادشاه و وضع نامناسب دولت ایشان را کاملاً تحسین نموده‌اند. و ایرانی‌ها می‌گویند هرگاه این ملل مقتدر در موضوع قتل و غارت از پادشاه ما تقویت نمایند.

بدون شک از نهب و غارت ما حصه‌ای می‌برند! از قبیل امتیازنامه‌هائی که درباب بانک و دخانیات داده شده است، پس برای ما چه ثمر خواهد داشت که شورش نمائیم؟.

و اگر دولت انگلیس در عمل چوب زدن‌ها، دستگیریها و صدمات و قتل بدون استنطاق و محاکمه و سرقت بدون دادخواهی ایرادی نگیرد، بلکه با پادشاه و رژیم او همراهی کند، در این صورت کار ما تمام است و ما به هلاکت خواهیم رسید!...

و در چنین صورت معلوم می‌شود که ممالک بزرگ و ملکه انگلیس و امپراطوری روس طالب ترقی ایران و عدالت و آزادی نیستند، و آنها نیز مانند پادشاه مایل به تعدی و تجاوز می‌باشند.

ایرانی‌هائی که از وزرای پادشاه فریب خورده‌اند می‌گویند: پادشاه مسئول اعمال خود نیست! و اتفاق عجیب آنکه پادشاه وزیری انتخاب کرده که او نیز مسئول هیچ‌کاری نیست. پست‌ترین زنها و مردها کار خود را کرده‌اند.

اکنون باید پادشاه معزول بشود و این لفظ عزل در تمام مدت سلطنت پادشاه بزبان مردم جاری نشده بود، ولی اکنون برای نخستین‌بار است که مردم ایران این مطلب را می‌گویند.

علت اینکه این مطلب را اکنون می‌گویند و قبل از این نمی‌گفتند، می‌گویم و آن اینکه: سالهای متمادی مردم مملکت امیدوار بودند که پادشاه بعضی از وعده‌های بسیار خود را بانجام خواهد رسانید و برای مردم ایران قانونی ایجاد کرده و اساس عدالت را درمیان آنها برقرار خواهد نمود.

و این مطالب را چندین سال «پرنس ملکم‌خان» به پادشاه عرضه داشت و پادشاه ظاهراً جمیع افکار سفیر بزرگ خود را کاملاً پسندیده و امضاء نموده بود، و این سفیر

در مدت سی‌سال تقریباً در تمام دول اروپا مقامات عالیه سفارتی داشته است.

من که جمال‌الدین هستم همینکه از اروپا مراجعت کردم، اهتمام نمودم که آمال و آرزوهای اصولی مردم را بهمان طریق و معنائی که «ملکم» اظهار داشته و پادشاه پسندیده بود، بیان نموده و خواستم اقدامی بنمایم و همینکه من به ایران رفتم، مردم دور من جمع شده از هر طرف زمزمه می‌کردند که ما قانون می‌خواهیم.

این قانون هرچه باشد باز خوب است همین‌قدر قانون باشد برای ما کافی است، بجهت آنکه ما بهیچ‌وجه قانون نداریم و عدالتی درباره ما اجرا نمی‌شود و جان و مال ما، در امنیت نیست.

اگر بما تحمیل می‌شود و صدمه وارد می‌آید اقلاً از روی ملایمت باشد! نه سختی واگر قانون باشد که کارها از روی آن باشد، هرقدر تحمیل بشود، ماقبول خواهیم کرد.

پادشاه از مسئله ایجاد قانون نخست خوشوقت شد، وزراء و مجتهدین و صاحب‌منصبان و تجار هم همگی باستشمام رایحه مطبوع آمدن آزادی خوشوقت بودند، ولی این مطلب خوابی بود که دوامی نداشت. ناگهان پادشاه از این فکر منصرف شد، برای اینکه دید اگر قانونی ایجاد شود، موانعی در سر راه ظلم مطلق ایشان فراهم خواهد آمد. روی این اصل تغییرکلی که بدواً برای ایجاد قانون بظهور رسیده بود، از بین رفت و خیال ایشان بکلی از این مسئله منصرف گردید...

من که جمال‌الدین و پسر پیغمبر هستم، غفلتاً دستگیر شدم، و علت دستگیرشدن من فقط بواسطه این بود که مطالبی را اظهار داشتم که نخست خود پادشاه هم پسندیده بود، و مقصود ایجاد افکاری بود که بدواً خود پادشاه قبول نموده بود، ولی چون این مطالب برخلاف نفع خصوصی و وضع شخصی پادشاه و وزرای ایشان بود، لهذا هم ایشان و هم وزرای کنونی، بکلی از آن صرف‌نظر نمودند.

* * *

لازم است بنظر عموم برسانم که ما تا این اواخر نجبائی داشتیم که همت آنها مصروف به آبادکردن زمین‌ها و رفاه و آسایش مردم بود و همچنین اشخاص معلم و واعظ داشتیم که فکر آنها مصروف به تعلیم‌دادن مردم و موعظه کردن بود.

بعلاوه بعضی امکنه مقدسه‌ای بود که محل بست برای اشخاصی بود که دچار

صدمه بوده یا طرف غضب دولت واقع می‌شدند، و محض امنیت خود به آن امکنه مقدسه پناه برده و در آنها سکنی می‌گرفتند. حکام ما همیشه از این‌گونه امکنه مقدسه احترام می‌نمودند، ولی پادشاهِ کنونی این رسم مقدس قدیم را هم موقوف نمود.

یکی از این اماکن مقدس در نزدیکی طهران واقع است و محل بست بود و من چون شنیدم که پادشاه نسبت به من بی‌لطف و مرحمت شده است، به مکان مزبور رفتم، ولی درمقابل این پادشاه، که صاحب اقتدار مطلق است، هیچ‌جا نمی‌تواند مقدس باشد.

وقتیکه من در آن مکان بودم سیصدنفر از اشخاصی که شاگرد و مرید من بودند و با کمال اخلاص نسبت به من رفتار می‌کردند، همراه من بودند و ما همگی در این مکان مقدس زندگی کرده و اوقات خود را به نماز و عبادت و دانش مصروف می‌نمودیم.

شبی در نیمه‌شب گماشتگان دولتی پاس احترام این مکان مقدس را نداشته و بهیچ‌وجه ملاحظه اینکه این مکان بست است، ننموده و داخل آن شدند و مرا دستگیر نموده و در وسط زمستان لباس‌های مرا درآوردند و به عجله تمام مرا بطرف سرحد ایران بردند.

تمام اهل ایران از این امر ناراحت شدند، برای اینکه این کار اسباب وهن برای اصلاحاتی بود که می‌بایستی در وضع ایران به‌میان آید و اسباب شکست عدالت و نقض امید و آمال افراد ملت بود. پادشاه ترسید ولی وزیر ایشان فوراً همه‌جا منتشر نمود که مرا بواسطه میل خودم، با تشریفات تمام! که مقتضی وضع من بود، تا سرحد همراهی کردند، و پس از عازم‌شدن من، آذوقه و ملزومات لازم برای من فرستاده شده است! تا از هر بابت برای من آسایش باشد!!.

ولی این مطلب که بتوسط وزیر پادشاه شهرت یافته بود دروغ محض بوده است: مرا نیمه‌عریان کردند و در حالتی که از گرسنگی صدمه می‌کشیدم، به‌زنجیر بسته می‌بردند، تا اینکه من از چنگ اشخاصی که مرا باین وضع می‌بردند، فرار کرده خود را به بغداد رسانیدم، و بعد به انگلیس آمدم و مصمم شدم که این سرگذشت را که اسباب خجلت بود، حکایت کنم.

و البته نقل این حکایت نه بجهت خودم بود، بلکه برای خاطر ملت من بود؛ من زبان شما را بخوبی نمی‌دانم ولی بزبان فرانسه که بطور شکسته تکلم می‌نمایم، با بعضی از افراد ملت شما صحبت کرده‌ام.

حال مطلب را می‌نویسم و کسانیکه با من دوست هستند، مرا کمک می‌نمایند که مطالب و احوال خودم را در روزنامه‌های شما بطبع برسانم.

* * *

رفقای من که بعضی از آنها از بهترین و عالم‌ترین و محترم‌ترین مردمان ایران هستند، به زندان افتاده‌اند. آنها نه سرکشی نموده و نه کاری کرده‌اند که مستوجب این عقوبت باشند و کاری که آنها کرده‌اند این است که پادشاه را به انجام وعده‌های اصلاحی سابق خود یادآور گردیده‌اند.

سیصدنفر از رفقای من، هم‌اکنون در زندان‌ها در وضع سختی بسر می‌برند و هرچندی یکبار آنها را از زندان بیرون آورده چوب می‌زنند، پای آنها را کنده و خلیلی گذارده‌اند.

این اشخاص که مردمان با فهم و کمال می‌باشند: بعضی از آنها را سر می‌برند، چشم بعضی را بیرون می‌آورند، یا دماغشان را بریده و دست آنها را از مچ قطع می‌نمایند و با این وضع آنها بسر می‌برند تا آنکه بسختی جان تسلیم کنند.

اکنون که من مشغول نوشتن این مطالب هستم، بمن خبر رسیده که سر یکنفر از عزیزترین و قدیمی‌ترین دوستان مرا از تن جدا کرده‌اند و این کار در صورتی انجام شده است که او بهیچ‌وجه متهم نبوده و هیچ‌گونه تحقیقی قبل از قتل، دربارهٔ او بعمل نیامده است.

همان وضع اسیرنمودن غلام و کنیز که در افریقا معمول بوده و همان تعدیات سختی که در افریقا برای بردن غلام و کنیز می‌شود، همان‌ها به‌عین در ایران انجام می‌شود. و سفارتخانه‌های انگلیس و روس هم حضور دارند و می‌نگرند!!.

ای مردم انگلیس! که طالب قانون و ایجاد آن می‌باشید. بدانید که در ایران تابحال بهیچ‌وجه یک سطر قانون نوشته نشده که موجب راهنمائی باشد. هیچوقت

از روی عدالت و درستی حکمرانی نشده است و همه قدرتها در شخص پادشاه جمع شده است!.

و در صورتیکه او دیوانه یا دائماً مست باشد ـ یا اینکه هر دو حالت در او وجود داشته باشد ـ پس وضع و احوال ملت چه خواهد بود؟.

هیچ چیز او را راهنما نیست، جز خیالات بوالهوسانه‌ئی که از او موقتاً بظهور می‌رسد. هرچه او خیال کند، همان می‌شود و حکام و وزراء و قائم‌مقام‌ها و مدیرهای او کورکورانه روش او را پیروی می‌نمایند، بنابراین عدالت درمیان نیست.

وزیری که امروز در اوج قدرت است، ممکن است که فردا چوب بخورد یا او را داغ کنند! یا اینکه دچار صدمات دیگر بشود.

برای اتهامهائی‌که ممکن است تصور شود، انواع شکنجه‌ها معمول است و اعضای گوناگون بدن را بوضع عجیبی قطع می‌نمایند. و این نوع شکنجه، وضع معمول آنجا است. بنابراین هیچکس نمی‌تواند از گوش و دماغ و دست و پا و سر خود اطمینان داشته باشد!

این است مفهوم سلطنت وحشت در چنین اشخاصی که سمت خداوندگاری بخود گرفته‌اند! و بر من لازم است که پیشگام شده بزرگترین اغتشاشات را دفع نموده و معایب را اصلاح بنمایم، ولی در جائیکه افرادی پیشوا باشند که مقامشان از مقام انسانیت کمتر باشد ـ مانند اشخاص مست و دایم‌الخمر و دیوانه و عیاش و هرزه ـ در چنین صورت نتیجه این نوع حکومت که سلطنت وحشت است، چه خواهد بود؟ ما در ایران بواسطه اغتشاش که نتیجه استبداد است، از حیث بدن دچار رنج و صدمه هستیم و این اغتشاش نتیجهٔ بلاواسطه ایجاد قدرت مطلقه است.

* * *

وضع حکومت در ایران به تفصیل ذیل است:

اگر مردی طالب باشد که حکومت ولایتی ـ فرض می‌کنیم آذربایجان یا خراسان ـ را بدست آورد، اول اقدامی که می‌نماید پیشکش پادشاه را تقدیم می‌کند و این پیش‌کشی به اعتبار وضع آن حکومت اختلاف دارد، مثلاً از سی الی صدهزار تومان

تفاوت دارد ـ یک تومان ایران تخمیناً هفت شلینگ پول انگلیس است ـ پس از آن، حاکم! باید ضامن بجهت تنخواه بدهد که مقابل است با واردات سالیانه آن ولایت و از واردات سال قبل باید بیشتر باشد، (البته حاکم سابق آن ولایت هم مسئول واردات سال قبل بود) همینکه پیشکشی پادشاه تقدیم شد، اگر پادشاه چیزی بیشتر نخواهد، شخص حاکم، رضایت پادشاه را با کلمه (بلی صحیح است)! تحصیل می‌نماید.

همینکه حاکم این کلمه را از لب‌های ظل‌الله! می‌شنود، تکلیفش این است که وزراء را راضی کند و تحسین و رضایت وزراء فقط منوط باین است که قدری بیشتر به آنها تنخواه نقدینه برسم پیشکشی بدهد، و همینکه در منصب خود بمقصود نایل می‌گردد، بطور ناگهانی حالت او بحالت یکنفر ظالم و تعدی‌کنندهٔ غیرمسئول، مبدل می‌گردد.

و اکنون نوبت اوست تا از مردمانی که در پرتو او طالب مشاغل و حکومت هستند، پیشکشی دریافت کند؛ حاکم یک ولایت عموماً سیصدنفر اعضاء لازم دارد، از قبیل منشی و پیشخدمت و قهوه‌چی و فراش و سایر خدمه و میرآخور و جلودار و مهتر و آشپز و چماق‌دار و قاپوچی و غیره که همه همراه او هستند.

تمام این اشخاص باید بحکمران جدید باج بدهند تا شغلی در حکومت برای خود تحصیل کنند، و حکمران نیز بهرکسی که پول بیشتر بپردازد کار بهتر را می‌دهد!.

پس از آنکه کارها با این وضع، بطوریکه مورد نظر آنهاست، معین شد، هریک از اشخاصی که مأموریت مخصوصی دارند به محل مأموریت خود عازم می‌شوند، و ولایتی که صاحب حکمران جدید می‌شود، باید به همه گونه سرقت‌ها و تعدیات جدید تن بدهد. و همه اجزای حکومت، همیشه بفکر مداخل خود و نهب و غارت و دست‌اندازی به اموال و عیال و اولاد مردم هستند.

آری در جائیکه یکنفر وزیر عاقل روی کار نباشد که کارها را منظم کند و از شرفا و نجبا هم چیزی باقی نمانده باشد و کسی هم نباشد کهِ دفع طمع حکام را نموده یا مانع از طمع پادشاه بشود، کارها غیر از این، نخواهد بود و نتیجه همان چیزهائی است که ذکر شد.

هیچیک از حکام و هیچیک از گماشتگان حکومت، دیناری برسم مواجب

دریافت نمی‌نمایند، این رسم از زمانیکه بخاطر نمی‌آید، در مشرق زمین متداول بوده است و شاید مردم هم به آن عادت دارند، ولی وقتیکه حاکمی در ایالتی مستقر می‌شود، اهالی آن ولایت تکلیف خود را می‌دانند و حاکم البته خیالش این است که آنچه را برسم پیشکشی به شاه داده است، از مردم بگیرد و تا آنجاکه بتواند اجحاف کند تا خوشگذرانی نموده و ضمناً تنخواهی پس‌اندازکرده باشد که بتواند در موقع دیگر، برای حکومت جدید! بدهد.

این اشخاص از حاکم کل گرفته تا حکام جزء، مطمئن نیستند که چه مدتی در حکومت خود باقی خواهند بود، زیراکه اگر کسی پیدا شود که پیش از آنچه او به حاکم کل تعارف و پیشکش داده است، بدهد، فوراً حاکم منصوب با اتباع خودش معزول می‌شوند. در این باب هرگز ملاحظه شایستگی شخص حاکم و رفاه حال مردم نمی‌شود.

حکمران کل محض آنکه مدت حکومت خود را طولانی نماید درمواقع معینه تنخواه اضافی برسم پیشکش! برای وزراء و پادشاه می‌فرستد، و از آنجائیکه قاعده و قانون برای گرفتن مالیات و عشر و جریمه‌کردن نیست، لهذا حکمران و اتباع او، بقدریکه ممکن شود از رعایا و مردم بزور می‌گیرند.

* * *

وضع احوال درباب حکام جزء و نواب و مدیر و غیره، بهمان ترتیبی است که درباب حکمران کل ذکر شد و آنها نسبت به حکمران کل، باید بهمان قسم پیشکش و تعارفی بدهند. مبلغی که به پادشاه و وزراء از بابت حکومت پیشکش می‌شود، منوط به اهمیت ولایتی است که حاکم به آنجا می‌رود، ولی در هر صورت در همه‌جا اجحاف و تعدی متداول است.

ترقی درمیان افسران ارتش هم بهمین وضع است، یعنی برای تحصیل مناصب باید پیشکش بدهند، و درباب وصول مواجب خود اطمینان ندارند. سربازان اگر بتوانند در عرض سال مواجب یک ماهه یا دوماهه خود را تحصیل کنند، خود را خیلی خوش‌بخت می‌دانند، تنها راه معاش و زندگی آنها این است که از مال مردم سرقت

بنمایند.

البته تمام این تحمیلات که نسبت به ایرانی‌ها می‌شود در صورتی است که اطاعت نمایند، ولی اگر آنها جرئت و جسارت کرده و ابراز مطالبی نمایند، کار آنها بدتر شده، دچار صدمات شدیدتری می‌شوند.

وزیری نیست که از روی عدالت بکارهای مردم رسیدگی نماید؛ و پادشاه عاقل نیست!، نجباء و شرفاء هم باقی نمانده‌اند که بتوانند بنابه‌خاطر مردم و رعایا و آسایش و احوال آنها، وساطت و اقدام کنند.

در این صورت جای تعجب نیست که ملت ایران که دچار چنین تعدیات و ظلم‌ها می‌باشد، و روزگاری جزء باعظمت‌ترین ملل روی زمین بود، ظاهراً ملتی ذلیل و پست شده باشد؟!.

کسانی که از نسل جنگجویان بزرگ و فاتحین بوده‌اند، اکنون فقط شایسته این هستند که زمین را شیار کرده و هیزم بریده و آب از چاه بیرون بیاورند، تازه اگر بتوانند این کارها را بکنند ـ و در صورتی‌که به آنها اذیت و آزاری نشود ـ خود را خیلی خوش‌بخت و خوشوقت می‌دانند. پیرهای نجبا و شرفای ما برای اینکه معاش روزانه خود را تحصیل کنند، حاضر هستند که به پست‌ترین کارهای مملکت ما مشغول شوند، در صورتیکه، همان زمین‌هائیکه باید در آنها بکارهای پست مشغول بشوند، زمانی متعلق بخود ایشان بوده است.

و اغلب، این کارها را نیز بزحمت می‌توانند تحصیل کنند. و بیشترشان بواسطه گرسنگی و فلاکت بیرون می‌روند و اگر عده قلیلی از اشخاص باقی مانده باشند که صاحب ملک و دارائی خود می‌باشند، همواره در کمال تزلزل هستند که مبادا از آن محروم شوند.

زنها و دختران ما در تحت اختیار پادشاه و اشخاصی هستند که مورد لطف پادشاه می‌باشند. پلیس دخترهای ما را بزور می‌برد، بدون اینکه کسی بتواند به مقام بازخواست برآید!

پدرها می‌ترسند که به پسران خود بگویند جواهر یا پول خود را در کجا نگهداری

نموده‌اند. برای اینکه مبادا این مطلب معلوم شده و به‌زور تنخواه و جواهری که دارند از دست آنها گرفته شود. و حتی ناگهان دیده می‌شود که دکاکین را شکسته و هرچه مال‌التجاره در آنها یافت می‌شود، به نهب و غارت برده‌اند.

زنان و کودکان، مانند فقراء، در جاده‌های بزرگ می‌گردند و درواقع آنچه از ایرانی‌ها باقی مانده است، کمال بدبختی و پریشانی بوده و همگی همواره دچار ترس و تشویش هستند.

آیا این تقصیر ایران است که زمین آفتاب می‌باشد؟. در این سرزمین خرما و انار و جو و گندم خوب بعمل می‌آید، ایران دارای معادن خوب ذغال‌سنگ است، ولی کسی نیست که در این معادن کار کند. آهن در این مملکت بحد وفور وجود دارد، ولی کسی نیست که آنرا عمل بیاورد. مس و فیروزج یافت می‌شود؛ چشمه‌های نفت هست، و زمین آن بقدری حاصلخیز است که در صورت کاشتن و زراعت‌کردن، همه چیز عمل آمده و متوالیاً محصول آنچه راکه کاشته‌اند برمی‌دارند. و صحرای آن طوری است که اگر آب کافی تهیه شود، همه چیز را می‌توان در آن زراعت نمود.

ولی اکنون تمام این مملکت بشکل ویرانه‌ای درآمده است. به‌هیچ‌وجه به آبادی زمین‌ها اقدام نمی‌شود و همواره از جمعیت این مملکت کاسته می‌شود، روستاهائی که یک وقت آباد بوده‌اند، اکنون تقریباً بی‌جمعیت شده و بحالت خرابه درآمده‌اند، هزاران نفر از مردم ما در این سالهای آخر سلطنت پادشاه، مجبور شده‌اند که از مملکت خود جلای وطن کرده بممالک قفقاز و ماوراء قفقاز رفته و در آنجا برای خود ملجأ و پناهی اختیار نمایند. و چندین هزار نفر دیگر ببلاد مختلفه آسیائی عثمانی و آناتولی و خاک اروپای عثمانی یا عربستان مهاجرت کرده‌اند.

در اسلامبول ایرانی‌هائی را ملاقات کردم که با دست‌های ظریف خود به پست‌ترین کارها مشغول هستند، از قبیل: آب‌فروشی، جاروکشی در کوچه‌ها و عراده‌کشی و غیره...

اگر ملاحظه شود معلوم می‌گردد که تعداد ایرانی‌هائی که از وطن مهاجرت کرده‌اند متجاوز از یک پنجم تعداد کل نفوس ایران است.

مطلب دیگری که می‌توانم بگویم تا اسباب تعجب هزاران مرد و زن انگلیسی گردد که از پادشاه با فریادهای شادی استقبال نمودند، اینست که شاه پس از مراجعت بکشور بر ظلم و تعدیات نسبت به رعایای خود افزوده است. افزایش ظلم و ستم برای آنست که او خود را مغرور به قدرت شخصی می‌بیند و چون ملاحظه کرده که در اروپا آنقدر با تجلیل از او پذیرائی شده است و پذیرائی‌های تملق‌آمیز نسبت به او بعمل آمده است، از این جهت خود را شخصیتی مهم و پرقدرت دانسته و به غرور خود افزوده است.

نتیجه این موضوع آنست، که مردم ایران چون ملاحظه کرده‌اند که هر وقت پادشاه از سفر فرنگستان! برگشته بر قدرت و تجملات خود افزوده است، لهذا چنین استنباط نموده‌اند که این قدرت و تجملات بواسطه اثری است که از پذیرائیهای اروپائیان به‌ایشان رسیده است. به این واسطه مردم ایران نسبت به مردم اروپا بدبین گردیده و بواسطه شدت نفرت از آنها دوری می‌کنند، و این دوری در وقتی است که ممکن است بین طرفین قرب و اتحادی به‌میان آید یا آنکه قوه نفوذ و عقل وزرای با بصیرت انگلیس، برای ایران کمال لزوم را داشته باشد.

دولت انگلیس نمی‌داند که در مشرق چه وهنی به حیثیت و اعتبار آن حاصل شده است و تاکنون کار مثبتی نکرده است که خاطر ایرانی‌ها را از بعضی استنباط‌هائی که بمیان آمده است، بیرون بیاورد.

چون روزنامه‌های انگلیسی از وضع و احوال حقیقی ایران اطلاع صحیحی ندارند؛ روی این اصل کسانی راکه طالب ترقی و آسایش ایران هستند به اشتباه می‌اندازد. به بعضی تلگرام‌هائی که از طرف طهران می‌رسد شما اعتماد می‌نمائید، ولی اکنون این تلگرام‌ها اسباب اشتباه شده است؛این تلگرام‌ها از طرف بانک شاهنشاهی می‌رسد و مقصود بانک فقط سود شرکاء و صاحبان سهام است.

سفارت انگلیس و بانک شاهی همان منظورات وزرائی را تبلیغ می‌نمایند که در اطراف پادشاه هستند. البته به‌اعتقاد وزرای مزبور و برای سود شخصی آنها، این وضع که در حکومت است شایسته و مناسب است و می‌گویند وضع خوب است و

حکومت در ثبات کامل است، و عموم رعایا راضی هستند و پادشاه پدر رعایای خود می‌باشند! و امتیازاتی که به مردم اروپا داده می‌شود، اقداماتی است دوستانه! و محض این است که به اهالی اروپا راه آمد و رفت بازگردد و بین ملت ایران و ملل اروپا، که آنقدر ازیکدیگر دور هستند، اتفاق و اتحاد به‌میان آید! و اگر در بعضی جاها بعضی از مردم ناراضی هستند، با آرامش و ملایمت نمی‌توان آنها را راضی کرد و باید به زور و جبر اسباب سکوت آنها را فراهم آورد؟!.

و با این تفصیل، باید دانست که شورش سختی طبایع مردم را آماده کرده و همه حاضرند که شورش کنند و این شورش از حالا دز شمال و جنوب و مشرق و مغرب ایران بظهور رسیده ولی عمال دولت آنرا حمل بر این نموده‌اند که بعضی برخوردها! با پلیس بمیان آمده است!

به روزنامه‌های خودتان نظر افکنید و ببینید که بخاطر عکس‌العمل آنها در مورد امتیاز دخانیات و تغییری که مردم ایران از این بابت داشته‌اند، چگونه با آنها رفتار نمودند؟... بررسی نتیجهٔ فتوای فوق‌العاده مجتهد بزرگ که به مسلمانان ایران دستور داد دخانیات استعمال نکنند، برای آنکه معلوم نماید که ایرانی‌ها از امتیازی که در مورد دخانیات به کمپانی انگلیسی داده شده است چقدر متنفر هستند، کافی است.

و این امتیاز از طرف پادشاه داده شده بود، فقط بخاطر آنکه دخانیات را بمبلغ بیشتر بفروشند. و بنظر چنین می‌آید که روزنامه‌های انگلیس نمی‌دانستند! که امتیاز مطلق چه معنی دارد؟!. و مجتهد بزرگ که در کربلا و تاجر بزرگی که در تهران هست واقعاً چه قسم مردمی باشند و چه کارها می‌توانند انجام دهند؟ پادشاه برای بقای این امتیاز، به اقدامات سختی از قبیل تبعید و تهدید و غیره دست زد، ولی نتیجه‌ئی نبخشید.

درباب فروش تنباکو و امتعه دیگر، باید دانست که وقتیکه پادشاه این امتیاز را داد و دخانیات را فروخت یا آنکه مقرر نمود وزرای ایشان دخانیات را به یکنفر خارجی بفروشند، این تخطی و تعدی بحقوق ملت بود.

پادشاه خیلی زود از خطای خود آگاه شد، ولی چون به اجنبی قول داده بود،

جرئت نکرد که کمپانی فرنگ را از خود برنجاند.

اکنون که این مطالب را می‌نویسم از طهران برای من خبر رسیده که بعضی قرارها داده شده و پادشاه که آنقدر در اقدامات سخت گرفته بود از حرکت مجتهد بزرگ در کربلا متوحش شده و عمل امتیاز دخانیات باطل گردیده است. دربارهٔ مجتهد بزرگ در کربلا اشاره به این نکته کافی است که درحقیقت پاپ ایرانی‌ها می‌باشد، و احترام او به تنهائی، بالاتر از احترامی است که (پیوس نهم) به پادشاه ایطالیا نمود.

* * *

خلاصه به‌اعتقاد جمیع اشخاصی‌که از وضع ایران بااطلاع هستند، معلوم می‌شود که پادشاه بدست خود در زوال رژیم خود اقدام می‌نماید و اعمالی که متوالیاً بطور غفلت از طرف ایشان سرمی‌زند موجب تعجیل در زوال ایشان است و در صورتی پادشاه می‌تواند دفع زوال از خود بنماید که متوجه اوضاع باشد و در جمیع مطالب دقت مخصوص بنماید.

اکنون باید دانست چه سبب شده که ایرانی‌ها معتقد شده‌اند که دولت انگلیس مقصودش کمک و تقویت آنها می‌باشد. دلیل این مطلب، آن است که یک یا دو سال قبل از این، سفرای شما به پادشاه ابرام نمودند که فرمانی بدهد و بموجب آن جان و مال مردم ایران از تجاوز در امان باشد.

آیا پادشاه چنین فرمانی داده یا نه؟ و پس از مباحثات طولانی و ابرامات زیاد و تأمل بسیار، مضمون فرمان مزبور به دول ابلاغ شده یا نه؟ آیا ملکه انگلیس وقتیکه این مطلب را شنیده نسبت به «ملکم‌خان» اظهار رضامندی نموده یا نه؟ و آیا سفیر شما در طهران در قرار صدور این فرمان شرکت داشت یا نه؟

جمیع ایرانی‌ها معتقدند پس از اینکه چنین فرمانی صادر شده و به دول ابلاغ گردیده است، دول اروپا حق دارند در اجرای مضامین و شروط فرمان مزبور ابرام کنند یا اینکه بشروط آن تجاوز بشود، از پادشاه توضیح بخواهند! ـ با این تفصیل ـ اما نتیجه شد؟!...

من که سیدجمال‌الدین هستم، پس از آنکه به ایران وارد شدم، مردم مرا اسباب

انجام آرزوهای خود دانسته و از این بابت اظهار خوشوقتی می‌نمودند، و پادشاه هم از روی لطف مرا پذیرفتند، و افکار و مطالب مرا تحسین نمودند، از قرار این وضع چنین استنباط می‌شد که بزودی دولت ایران زنده خواهد شد، و برای آن قانونی وضع شده و جان و مال مردم در امنیت قرارگرفته و زنها و دختران ما از بی‌ناموسی که نسبت به آنها می‌شود، آسوده خواهند بود و توده مردم از تعدیات ظالمانه آسایش پیداکرده و همه کارها از روی قاعده و قانون انجام خواهد گرفت.

ولی در این بین ناگهان مرا دستگیر و تبعید نمودند، دوستان مرا زندانی کردند و بدون استنطاق، آنها را صدمات زدند؛ پس از این مطلب، چشمهای مردم بازشده و بر آنها روشن گردید که دیگر نباید بوعده‌های پادشاه اعتمادی بنمایند؛ (ولی) چشمهای آنها بطرف دول، خصوصاً بطرف انگلیس متوجه گردیده است. آیا سفیر دولت انگلیس در طهران یک کلمه اظهار خواهد کرد که توضیح بخواهد چرا فرمان مزبور زیرپا گذاشته شده است؟ یقین است که هیچ مطلبی در این مورد اظهار نخواهد کرد!

مملکت ایران در اینموقع اغتشاش هنوز منتظر پیغامی است، ولی شماها از منافع جیب خودتان می‌ترسید! اگر بین وزرای پادشاه و سفرای شما، نفاق و اختلافی بروز کند ممکن است که اسباب وهن منافع بانک شود، بنابراین سفرای شما همگی در طهران سکوت محض اختیار نموده‌اند و پارلمان شما هم به هیچوجه اعتنائی به این چیزها ندارد. با این حال مردم ایران معتقدند که دولت انگلیس قصدش این نیست که اقدامی نکند، علت آن می‌دانند که دولت انگلیس در کمک‌نمودن به «کاری با اری» آنقدر حاضر و مستعد بود و قدرت گزاف صرف می‌نماید که تجارت غلام و کنیز را در آفریقا موقوف بدارد، با اینکه ایرانیها این اعتقاد را دارند، معهذا دولت انگلیس ـ با اینکه پاره فرمان مزبور دربرابر چشم آن دولت اتفاق افتاده است و در قرار آن فرمان خود فی‌نفسه شرکت داشته است ـ مضایقه می‌نماید که در این باب به دولت ایران یک کلمه تهدید یا نصیحتی ابراز نماید.

من به اینجا آمده‌ام و از ملت شما خواهش می‌نمایم که در اینموقع که اغتشاش برای دولت ایران پیش آمده است، اقدام کنید تا در جلسهٔ پارلمان درباب تعدیاتی که

می‌شود و درباره فرمان پادشاه ایران، سؤالاتی بنمایند و در صورتیکه واقعاً این مسائل بمیان آید، به سفیر شما در دربار ایران تعلیمات داده شود، که وزرای پادشاه ایران را ملاقات کرده و از طرف دولت ملکه انگلیس درباب این مطالب از آنها توضیح بخواهد. اثر معنوی چنین اقدامات زیاد خواهد بود، ولی پادشاه معتقد است که شما در کارهای ایشان دخالتی نمی‌نمائید و بهرقسمی که میل ایشان باشد رفتار خواهید کرد!.

البته اگر شما بما ایرانیها کمک ننمائید، یا جرئت اینکار را نداشته باشید، دولت روس آماده این کار هست زیراکه دولت روس اگر بخواهد که مستقیماً به هندوستان برود، مجبور است که از سواحل دریای ایران بگذرد و برای انجام خیال خود، البته تأملی نخواهد کرد که ولو بخاطر منافع خود، بملت ایران کمک نموده و آنرا تقویت بنماید ولی شما ایستاده‌اید و تماشا می‌کنید و همین‌قدر بواسطه سهام دخانیات و بانک، برای خود فایده تصور می‌نمائید، شما نه دوست آشکار و نه دشمن آشکار هستید؟!.

البته ملت ایران که نمی‌تواند شما را دشمن خود بداند بلکه دوست خود می‌پندارد، همینقدر منتظر است که اعتراضی از طرف شما ابراز شود و این اعتراض برای شما ضرر مادی‌ندارد و درحقیقت اسباب خطر برای بانک و تجارت شما نخواهد بود!.

ملت ایران که دچار صدمات بوده و در قید اسیری گرفتار است و مردمان آن شریف و چالاک و قابل هستند، فقط منتظرند که اعتراضی از طرف یک ملت آزاد و مقتدری ابراز شود. آنچه راکه ما اکنون می‌خواهیم همین است، ولی این اعتراض که از طرف ملت انگلیس باید ابراز شود؛ باید هرچه زودتر بعمل آید تا افراد بسیار دیگری در زندانها از بین نروند و قلوب دیگری شکسته نشود و هزاران افراد بی‌گناه دیگر تبعید نگردند، پس این اعتراض باید قبل از آنکه این حِوادث بیشتر از این بظهور برسد، ابراز گردد.

تغییرات در وضع ایران لازم است و هرگونه تغییری که بعمل آید، بهتر از وضع کنونی خواهد بود.

ملت ایران چیزی که می‌خواهد همین تغییرات است.

فریاد و فغان از میان هزاران خانهٔ ویران‌شده بیرون می‌آید و صدای آن مانند رعد بگوش می‌رسد و آن صدا بالاخره به انگلیس رسیده است و آن صدائی که هم‌اکنون از همه‌جا برخاسته است، براساس این است که یا تغییری در وضع حکومت ایران داده شود، یا پادشاه ایران معزول گردد...

سیدجمال‌الدین *

* چنانکه در مقدمه اشاره شد، ترجمه این نامه را آقای ابوالحسن جمالی برای نگارنده فرستاده‌اند که از روی نسخهٔ متعلق به «امان‌الله خان شهاب‌الممالک» نوشته شده است... ولی چون عبارات آن ترجمه خیلی قدیمی بود، من پس از اصلاح و تغییر جملات و عبارات آن ـ که درواقع ترجمهٔ جدیدی شد! ـ متن کامل آنرا در اینجا آوردم (اصل نسخه خطی اهدائی عبدالحسین بیات هم ضمن اسناد، نقل می‌شود). (خ).

نامه‌ای به:

ریاض پاشا
درباره ماسون‌های مصر

آقای من!، امروز من در کانال هستم، و به لندن می‌روم و از آنجا به پاریس، شما حقیقت را خواهید دانست و خود شما حقیقت مجسمی هستید...

من می‌خواهم حقیقت را بشما بگویم و می‌گویم: قبل از آنکه او به تخت خدیوی بنشیند، مرا دوست می‌داشت و محبتش واقعی بود، و من نیز دوست دوستانش و دشمن دشمنانش بودم. و باکسانیکه او صلح داشت من هم صلح داشتم و باکسانیکه در جنگ بود، در جنگ بودم و باکسانیکه مخالف او بودند مخالف بودم. (اول شیخ‌البکری سپس ثمین‌پاشا که تحت تأثیر اسماعیل‌پاشا قرار گرفته بود، و این هر دو می‌خواستند شورشی راه بیاندازند و در مصر مصیبتی ایجاد کنند...) خدیو هر روز منشی مخصوص خودش کمال‌بیک را می‌فرستاد، در حالیکه می‌گفت:

«من برای مساعدت و کمک شما آماده‌ام» و همهٔ این امور با اطلاع خدیو و به تقاضای او بود.

گروهی از ماسونهای اروپائی... تحت رهبری عبدالحلیم‌پاشا که رئیس شورای ماسونها در قاهره بود، از عبدالحمید پشتیبانی نمی‌کردند، من به‌جهت محبت به خدیو، مخالفت خودم را با آنها اعلام کردم و با آنها به معارضه برخواستم. من و افرادی امثال من که تحت تأثیر محبت خدیو هستیم ارتباط خود را با آنها قطع کردیم، و من با رهبری آنها برای «لژ» مخالف بودم و آنها را ترک گفتم. گو اینکه آنها مرا دوست می‌داشتند و من آنها را!.

ولی من این اقدام را محض خاطر خدیو انجام دادم. سرانجام او را تهدید کرده و

گفتند:

«ماسونها قصد دارند شما را بکشند بجهت اینکه شما برای ادامه حکومت این ظالم فعالیت می‌کنید».

او ترسید... و گفت: هیچگاه و به‌هیچ صورتی، دیگر برای اسماعیل‌بیک کار نخواهد کرد.

پس از آن ماسونهای اروپائی و پیروان آنها نزد تریکو (TRICOU) کنسول فرانسه رفتند و به او گفتند که مصریها طرفدار سلطنت عبدالحلیم‌پاشا هستند و او را می‌خواهند و اگر دیگری انتخاب شود، شورشی روی خواهد داد. وقتیکه این خبر به من رسید، من و افرادی مانند من که خدیو را دوست داشتیم، برای اعتراض نزد کنسول رفتیم و آنچه به او گفته بودند تکذیب نمودیم آنگاه حقیقت مطلب را برای او بیان کردیم و پرده را برداشتیم. همهٔ این جریان در مطبوعات وطنی اعلام شد و خدیو نمی‌تواند کارهائی راکه من انجام داده‌ام انکار کند و منکر علاقهٔ من بشود بلکه او باید آنچه راکه من برای او انجام داده‌ام قدرشناسی کند.

سایر برادران ماسونی من!، که با آنها روابط خوبی داشتم، دیدند که من دیگر با آنها همراه نیستم و از اعتماد به موفقیت حلیم مأیوس شدند، آنگاه تهمتهائی به من زدند و مرا یکروز جزء «نهیلیست‌ها» معرفی کردند، و روزی به «سوسیالیست‌ها» منسوب دانستند. و دروغهائی راجع به من نشر دادند و گفتند که من قصد داشتم خدیو را بکشم و کنسولها را به قتل برسانم! البته من یک فرد غریب و بدون سرباز بودم و تصور نمی‌کردم کسی چنین حرف یاوه‌ای را قبول کند، ولی برخی قبول کردند. پس از آنکه خدیو (توفیق) به تخت حکومت نشست، گروهی از ماسونهای حزب حلیم نزد خدیو رفتند، تا بوسیله این افسانه‌ها، انتقام بگیرند.

من به‌خوبی می‌دانستم که آنها گروه نیرومندی هستند، من تکذیب داستانهای آنها را در همهٔ جرائد و روزنامه‌های عربی مصری و روزنامه‌های غربی‌زبان نوشته بودم و مقاصد حقیقی آنها را برای دولت تشریح کرده بودم و گفته بودم که باید علیه بدکاریهای آنها اقدام کرد. ماسونها بوسیلهٔ همهٔ حمایت‌کنندگان حلیم تقویت می‌شدند

ـگو اینکه با یکدیگر اختلافاتی داشتند ـ و همچنین بوسیلهٔ «عثمان‌پاشا مغلوب» که در آن روزها رئیس پلیس بود. یکی از شاگردان من علیه او در یکی از روزنامه‌ها چیزی نوشت (به این عنوان که: او بیگناه نیست) ولی او غضبناک بود و با ماسونهای «حلیم» همکاری می‌کرد و نسبتهای ناروائی به من می‌داد و به آنها کمک می‌نمود. شریف‌پاشا این داستان را شنید و آنها را توقیف کرد. پس از آنکه شریف از نخست‌وزیری استعفا داد، این مرد بی‌ارج و کوچک (عثمان‌پاشا) تصور کرده بود که من از او به شریف‌پاشا شکایت کرده‌ام، در صورتیکه این امر حقیقت نداشت، من فقط وقتی از این مطلب آگاه شدم که او مرا توقیف کرد و آنوقت بمن گفت: «شریف می‌کوشید مرا فقط به‌خاطر شما اخراج کند»! او همچنین از قول من به خدیو نیز دروغهائی می‌گفت.

آنها خدیو را اقناع کرده بودند به اینکه من دشمن او هستم و قصد خرابکاری! داشته‌ام، من به‌تصور اینکه خدیو از حمایت من غفلت نخواهد کرد، به این جریان بی‌اعتنائی کردم ولی او تصور کرده بود که من مخالف او هستم، و امر کرده بود که مرا از مصر اخراج کنند.

من از این امر اطلاعی نداشتم، و در ساعت ۲ بعدازظهر ششم رمضان باکمال تعجب از آن مطلع شدم و پس از آنکه از علت جویا شدم یکبار به من گفته شد که علماء نمی‌خواستند که من در مصر باشم، بار دیگر گفتند که کنسولهای بیگانه از من خائف بودند و بار دیگر گفتند: افندی ما (توفیق) سه شب از ترس من نخوابیده است!.

علت حقیقی امر که مخفی مانده بود، مربوط به مخالفت او بود باکسانیکه از شریف‌پاشا حمایت می‌کردند. او (عثمان) به من گفت: «من درباره شما مبالغه کردم، اما شما باید به جهنم بروید، یا از راه ایران، یا از راه هند»! به هر حال من زیاد کوشیدم که مرا به استانبول یا پاریس یا حجاز بفرستند، ولی او اصرار داشت که مرا به جهنم بفرستد!. او حتی دو روز هم به من مهلت نداد تا تحت مراقبت پلیس آنچه راکه داشتم بفروشم. او گفت: «ما این کار را برای شما خواهیم کرد. وقتیکه شما به سوئز برسید. احمدبیک این کار را برای شما انجام خواهد داد!» همهٔ این جریانها، بدون هیچ

جهتی، ناشی از خشم بود و علت اصلی آن بدگمانی بود. سپس این مرد پست و بی‌ارج، مرا همراه یک دسته پلیس به سوئز فرستاد و من در آنجا ۲ روز توقف کردم و به من اجازه غذاخوردن نداد. رئیس پلیس آنچه پولی که در جیب من و همراهان من بود گرفت. حتی چند عدد تسبیح و دستمالی که در جیب داشتیم، گرفتند و گفتند: «افندی ما اینطور امر کرده است»!.

پس از این اعمال شرم‌آور، وقتی که بطرف قایق رفتم و از آنها پرسیدم چرا بمن غذا ندادند؟ او گفت این نیز دستور بوده است. او حاضر نشد هیچ چیزی از وسائل زندگی ما را پس بدهد و می‌گفت افندی بما امر کرده است که همه‌چیز را بگیریم، ولی این دستور هم از مصر صادر شده بود که کتابها و پول مرا قبل از آنکه به بوشهر برسم، برگردانند! همهٔ این پیشامدها ناشی از اقدامات حزب حلیم و اکاذیب آنها بود (من باو گفتم این یک نیرنگ پلیسی ترکی بود) من از او پرسیدم: چرا پولهائی راکه از جیب ما درآورده‌اند پس نمی‌دهند تا ما بتوانیم در یکی از این بنادر از کشتی خارج شویم؟» او گفت: «نه! پس‌دادن پول خلاف دستورات افندی است؟! افندی به من دستور داده است که آنچه دارید بجز لباسهای شما، همه‌چیز را بگیرم»!.

بالاتر از هر چیزی، بنظر می‌رسد که طرفداران «حلیم» به من خواهند خندید، زیرا که من از خدیو حمایت می‌کردم و آنها حقیقت را می‌دانستند.

من اکنون با علم و حکمت و عدالتی که دارید از شما می‌خواهم که در این‌باره از عبدالله پاشا فکری، فخری پاشا کامل‌بیک، (دبیر خدیو) و شریف پاشا بپرسید. آنها همه عقیده و رفتار مرا، وقتی آنجا بودم، می‌دانستند و استقامت و عدالتخواهی من، از ایمان ثابت من برای آنها آشکار بود. آنها همه‌چیز را درباره من می‌دانند، پس شما می‌توانید چگونگی همه این حوادث را برای خود روشن سازید.

شما خواهید دید که سازمانها و تشکیلات و افراد وابسته به این حکومت بد هستند و بدرد نمی‌خورند. آنگاه شما خواهید پرسید آیا چنین حکومت ظالم و جاهلی می‌تواند باقی بماند و خدمت کند؟.

شما فکر می‌کنید یزید، حجاج و تیمور مرده‌اند؟ آنها نطفه‌هائی که از یکی

بدیگری منتقل شده است، باقی گذاشته‌اند و هیچ دولت اسلامی در این قرون از آثار میراث آنها آزاد نمانده است. آنها در هر کشوری که بر تخت ظلم نشسته‌اند، امر به منکر و نهی از معروف می‌کنند.

و اگر مردم بدانند که عدالت چیست، افراد باهوش خواهند دید که بقای این حکومت یعنی ظلم هرچه بیشتر و عدالت هرچه کمتر!.

آنچه که بروزگار دولت مصر آمده است حق بوده است و این گرفتاریها، عدل آسمانی و انتقام الهی است.

ای عدالت خواهان قاهره! اگر شما با چشم عدالت به امور بنگرید و این ظلمی را که بوسیلهٔ دولت مصر بر من وارد شده بررسی کنید ـ در حالیکه من هیچ تقصیری نداشتم و هیچ گناهی مرتکب نشده بودم، جز اینکه قلبی پاک داشتم و همهٔ مصائبی که در محیط حکومت انگلستان در هند بر من وارد آمده نتیجهٔ همینگونه مظالم بوده است ـ خواهید دانست که براثر عدالت حق بوده که دولت مصر دچار چنین حوادث خونینی شده و این حوادث خونین گلوی او را گرفته است!

من می‌گویم که آسمان و زمین برپایه عدالت استوار است و عدالت یعنی انتقام الهی و تقاص...[1] این حوادث مرا دچار حزن و اندوه می‌نماید، و سپس بخنده می‌اندازد.

* * *

و اما آنچه که در روزنامه رسمی *Official Gazette* ـ پست‌ترین روزنامه‌های جهان و دائرةالمعارف زشتیها ـ نوشته شده است حاکی از آن است که گویا دولت مصر یک سازمان زیرزمینی را کشف کرده است که تحت ریاست **سیدجمال‌الدین افغانی** بوده است و او می‌خواسته است که دین و دنیا را خراب کند!

تکفیرکردن فردی، اسلحهٔ مسلمانان ضعیف است و من نمی‌دانستم که فرمانروایان آنها هم چنین حربه‌ای را بکار خواهند برد تا خود را تقویت کنند.

---

۱. بطوریکه در متن ذکر شده سید یقین دارد حوادثی که دامنگیر دیگران شده براثر مظالمی است که بر او وارد آورده‌اند و این را انتقام‌الهی می‌داند. و این مطلب را در نامه‌های دیگر خود، درباره دیگر ستمگران، از جمله در نامه به حاج امین‌الضرب، آورده است... (خ).

پس از آنکه قلب شما را با آنچه در مصر اتفاق افتاده است رنجور ساختم، از آنجائیکه شما تنها کسی هستید که توجهی به اوضاع دارید، خلاصه‌ای از آنچه را که در هندوستان اتفاق افتاده است، به اطلاع می‌رسانم:

من روزی که به بندر کراچی وارد شدم خبر کشته‌شدن کنسول انگلیس را در کابل، شنیدم و در همان وقت مرا توقیف کردند و من زیرنظر پلیس بودم. و هر ساعت از من استنطاق می‌کردند. آنها جوابهای مرا بررسی می‌کردند و مجدداً بازجوئی آغاز می‌شد و هر افسری مرا نزد افسر دیگر می‌فرستاد. آنها همیشه سؤالات یکنواختی می‌کردند و بمن اجازه ملاقات با هیچ‌کس را نمی‌دادند. ولی آنها دستمال و تسبیح مرا بطوریکه در مصر گرفتند، از من نگرفتند تا اینکه ایوب‌خان (یکی از رهبران افغانی مخالف انگلیس) به تهران رفت و آنوقت انگلیسی‌ها آرام شدند و مرا تنها گذاشتند...

پس از آن من به دکن رفتم در حالیکه پولی نداشتم، و در این شرایط بود که حوادث خونین عرابی‌پاشا روی داد و پس از آن سوءظن انگلیسی‌ها دوباره شروع شد.

انگلیسیها از قیام و شورش هندوستان می‌ترسیدند و یقین داشتند که من فرستادهٔ عرابی‌پاشا هستم و به هند آمده‌ام تا مسلمانان هند را علیه حکومت انگلیس به‌شورانم!، بدین‌جهت مرا به کلکته آوردند و هر روز مرا مورد بازجوئی قرار دادند و من هر روز خود را در معرض تهدید می‌دیدم و آنها زندگی را بر من مشکل کرده بودند.

پس از آنکه صدا «عرابی» بلندتر شد، دولت انگلیس بر فشارش افزود، مخصوصاً وقتی که آن مرد انقلابی (عرابی) گفته بود که من مسلمانان هند را علیه بریتانیا به شورش وادار می‌کنم و چون دولت نسبت به من سختگیری داشت بجوابهای من اعتنائی نمی‌کردند و بلکه بر خشم آنها می‌افزود لهذا از آنها خواستم که مرا نزد «خدیو» بفرستند.

من این درخواست را نزد نایب‌السلطنه هند، به شهر سملا Simla (پایتخت تابستانی هند) فرستادم و هنگامی که او درخواست مرا دریافت کرده بود و منتظر جواب بودم دولت بر سختگیری و آزار من می‌افزود تا اینکه شورش عرابی‌پاشا پایان رسید و مرا

رها ساختند، ولی روز و شب کارهای مرا تحت نظر داشتند. پس از آنکه دیدم بدبختی هر روز اضافه می‌شود و درهای گرفتاری هر روز بروی من گشوده می‌شود و بطور روزافزون بیشتر می‌گردد، مصائبی را که برای من روی آورده بود، مورد توجه قرار دادم و نمی‌دانستم چه بکنم؟

ولی همینقدر می‌دانستم که اگر به وطن خود برگردم ـ با چشم‌های اشک‌آلود و صدای پر از شکایت و قلب سوزان ـ در آنجا حتی یکنفر مسلمان را نخواهم یافت که نسبت به‌من ابراز همدردی بکند و من بتوانم همه این داستانها را برای او بازگو کنم.

زیرا که مسلمانهای ما! برضد ستمگر قیام نمی‌کنند و به ستمدیدگان هم توجه ندارند! بنابراین، در آنوقت حتی بدون داشتن پول، تصمیم گرفتم به سرزمینهائی مسافرت کنم که مردم آن افکاری سالم و گوشهای شنوا و دلهای پراز محبتی دارند تا من به آنها داستان خودم را بازگو کنم و به آنها بگویم که در شرق چگونه با انسانها رفتار می‌شود و حقوق بشر چگونه پایمال می‌گردد...

بدین‌ترتیب آتشی که اینهمه رنج در دلم برافروخته است و جان مرا می‌گدازد، خاموش خواهد شد و قلب شکستهٔ من از بار این سختیها و مشکلات آزاد خواهد شد.

* * *

آقای عزیز! من مستخدم خود عارف را نزد شما فرستادم تا همهٔ کتابهائی را که در مصر از من گرفته‌اند جمع کند و به محبت شما امیدوارم که عارف بتواند چندماه حقوقی را که به او پرداخت نشده است (از روزی که از مصر حرکت کرده‌ام) بگیرد.

من که به همکاری شما اعتماد دارم، از شما می‌خواهم که به عارف کمک کنید و نسبت به شاگردان عزیز من مخصوصاً شیخ محمدعبده و سیدابراهیم لقانی ابراز لطف بفرمائید و اگر آنها در هنگام شورش عرابی مرتکب کاری شده باشند، آنها را مورد لطف و عفو خود قرار دهید زیرا اشتباه آنها ناشی از عدم آگاهی بوده است.

من ضمناً نامه‌ای به «شریف‌پاشا» و نامهٔ دیگری به «عبدالله پاشا فکری» می‌نویسم و از آنها می‌خواهم که به حقیقت گواهی دهند... با درود و سلام!

جمال‌الدین الحسینی

مکتوبی سرگشاده خطاب به:

جوانان مصر

از زمان قدیم مردم کلمهٔ «بهلول» را سمبول حماقت و تمسخر می‌دانستند تا اینکه نام او ضرب‌المثل گردید، ولی امروز با بودن احمقی مانند توفیق‌پاشا مردم دیگر بیاد بهلول نمی‌افتند، او پای انگلیسی‌ها را بمصر کشانیده و کسانی راکه هدف‌شان تقویت مقام شامخ خدیوی و جلوگیری از نفوذ بیگانگان بود، تبعید و دربدر کرده است. مخصوصاً همه کسانی راکه مخالف انگلیسی‌ها بودند، بی‌خانمان نموده است (انگلیسی‌ها هروقت به کشوری تسلط می‌یابند مردمان را ذلیل، آشیانه‌شان را خراب، سکنه را متواری، اجتماعات را پراکنده، شخصیت‌ها را پایمال، زعماء و برجستگان قوم را مقتول و محبوس و یا به فساد معتاد می‌کنند).

خدیو ما از کثرت حماقت و نادانی سخنان پوچ و دروغ آنان را باور کرده و مصر را دربست به چنگال انگلستان انداخته است. و با این ابلهی و خودخواهی ما را دچار چنان مصیبت و بدبختی عظیمی کرده که حتی در جنگهای صلیبی نیز سابقه نداشته است. مصر مرکز ایمان و علم و دانش برای مؤمنین عالم اسلام بود و برای کسب معلومات دینی از اطراف جهان از قبیل: عراق، یمن، سوریه، ترکیه و هندوستان به آنجا رو می‌آوردند، و اکنون با اینکه هنوز یک سال نشده که انگلیس‌ها پابه سرزمین مصر گذارده‌اند درهای الازهر را بروی مردم بسته علماء را به سودان تبعید، مراسم مذهبی را متوقف، ایراد وعظ و خطابه را در منابر قدغن، نماز جماعت را در روزهای جمعه موقوف کرده‌اند، چنانچه نظیر این رفتار را در تمام کشورهای اسلامی که تحت سلطه و نفوذ آنان درآمده، انجام داده‌اند.

هرگاه نظری به جزایر فیلیپین و اندونزی و استرالیا بیندازید، خواهید دید که چگونه

پر از علمای اسلام است که انگلیسیها آنـان را از هـندوستان بـه آن مـملکت تـبعید کرده‌اند. کسان دیگر وقتی که این معامله را با برادران و هم‌دینان خود مشاهده کرده و متوجه شدند که دیر یا زود آنها نیز بهمان سرنوشت گرفتار خواهند شد، از هند به شهر مقدس مکه پناه بردند. شکی نیست که شما از جریان فرار مولانا رحمت‌الله و مولانا نوال افغانی و سایر علماء بزرگ که هند را ترک و به مکـه پـناه آورده‌انـد، بـخوبی مستحضر بوده و می‌دانید که چه بلائی بر سر آنان آورده‌اند.

ما «توفیق» را خیلی پیش از نزول این بلا و وقوع این مصیبت خبردار کردیم، ولی او از شدت حماقت چیزی راکه به نفع خودش بود نخواست بفهمد. مصر دروازه مکه است و او با دست خودش درب آنرا به روی انگلیس‌ها باز نمود، علاجی نیست مگر اینکه خدا به داد ما برسد وگرنه دیری نخواهد گذشت که حجاز را نـیز از دست مـا بگیرند، آنوقت آیا دیگر برای ما مذهبی خواهد ماند؟

این فاجعه بزرگ که توفیق‌پاشا به عالم اسلام وارد کرد، شامل حال باب‌عالی نیز می‌شود، زیرا دولت عثمانی درمیان قدرتهای اروپائی از اینکه مصر را در دست داشت همیشه بخود می‌بالید، ولی حالا دراثر نادانی و جـهل تـوفیق آن قـدرت و عـظمت اسلامی را دچار فلاکتی کرده که بهیچوجه نمی‌شود از آن جلوگیری نمود مگـر بـا توسل با اسلحه و تحمل خسارت و زیان فوق‌العاده...

* * *

وای بر سرزمین مصر! از بلائی که بدست خود، خودش راگرفتار آن کرده است و دراثر جهل «توفیق» پس از اینکه انگلیس‌ها همه‌جا را تصاحب کردند، حتی خود از گزند آنان مصون نماند، انگلیس‌ها به‌نامه‌ها و اسناد شـخصی تـوفیق دست یـافتند و درمیان آن اوراق رونوشت احکامی راکه به عمرپاشا لطفی صادر کـرده بـود، پـیدا کردند و در آنجا توفیق دستور می‌دهد که در اسکندریه ایجاد شورش و قیام مصنوعی بنماید! عمرپاشا نیز آن دستور را عیناً انجام داده است، حالا انگلیس‌ها برای رسیدگی به این جریان در لندن کمیسیون مخصوصی را تشکیل داده و درنظر دارند این موضوع را بهانه کرده و توفیق‌پاشا را خلع و پسرش عباس را بجای او بگمارند و پس از اینکه

کمی گذشت، او را به‌نام تحصیل به انگلستان ببرند، تا اینکه با فراغت بال زمام تمام امور مصر را بدست گرفته و برای همه آقائی کنند و هرچه دلشان می‌خواهد بلامانع انجام دهند.

حال ای مردم! شما را بخدا آیا باید گفت که بهلول احمق است؟ یا توفیق! یعنی کسی که ظلم و تعدی را بجائی رساند که حجاج را روسفید نمود و بجای دل‌جوئی از عرابی‌پاشا (کسیکه بر علیه استیلای انگلیس قیام نمود) یاران او را که می‌خواستند کشور مصر را از شر انگلیس‌ها رهائی دهند، آنها را از مصر تبعید نمود و حتی کسانیکه بی‌گناه بودند از خانه و زندگی‌شان آواره کرد و پیش از اینکه آنان را دربدر نماید بیچاره‌ها را طوری شکنجه و عذاب داد که حتی دل سخت کافران نیز بحال آنان سوخت. خداوندا! آخر ما چه گناهی کرده‌ایم که مستوجب این همه عذاب شدیم و چرا این احمق را بجان ما مسلط کردی که ما را گرفتار این همه زجر و بدبختی بنماید؟!

ای دادرس بیچارگان، بداد ما برس، ما در حال زار و نکبت‌باری قرار گرفته‌ایم. بارالهی! آیا ممکن است ما مرگ را با پول خریداری نموده و خود را از این عذابی که هرگز در زندگی سابقه نداشت، خلاص نمائیم؟ آخر تا کی خدیو خوب بخورد و بنوشد و در حال عیش و نوش در بستر راحتی و رفاه بسر ببرد، ولی سایرین در حال فلاکت و ذلت شبها سرشان را روی سنگ بگذارند؟.

... بلی قدرت بدست اروپائیان افتاده است، آنها جان و مال و ناموس ما را از خائنین خریداری کرده و ما را مانند چهارپا به هرجا که دلشان می‌خواهد می‌رانند!.

ما در کوچه‌ها سرمان را از خجلت نمی‌توانیم بلند کنیم، رجال و زعمای قوم ما دست انگلیسی‌ها را می‌بوسند!... ای خواننده اگر از وضع سپاه و لشکر ما بپرسی همین کافی است که بگویم ژنرال وود انگلیسی رئیس کل قوای مملکت اسلامی مصر می‌باشد و او را برای اضمحلال و محوکردن ما فرستاده‌اند. دست فرزندان مصری را در قاهره و اسکندریه از کارها کوتاه و بجای آنان افراد انگلیسی گمارده‌اند.

* * *

ای جوانان مصر! باید گفته‌های جمال‌الدین را در دل خود حک نمائید.

به برادران مصری بگوئید که چگونه این مظلوم محروم از وطن را، ادبا و شعرای فرانسه در شهر پاریس با آغوش باز استقبال کردند و موقعیکه در لندن بود، قدرت انگلستان را در هند و کشورهای اسلامی متزلزل نمود. و به‌مردم فهمانید که فقط با اتحاد و یگانگی و با اشاعه افکار و عقاید آزادی‌خواهی و وطن‌پرستی روح تازه‌ای در جسم ناتوان وطن عاجز دورافتاده و نیمه‌مرده خواهید توانست به‌وجود بیاورید و در قلب ما افتخارات ملی را جای دهید تا اینکه بفضل خداوند متعال بلکه با این فداکاریها بتوانیم خودمان را از چنگال این ظالمان خونخوار رهانیده و این بردگان را از زنجیر اسارت خلاصی دهیم.

جمال‌الدین الحسینی



۵

ســـه نامــه

به

رئیس دولت عثمانی
و
دوستان ایرانی



نامه‌ای به:

رئیس دولت عثمانی

رکن رکین ملک و ملت و حصن حصین دولت علیه ابدمدت، فخر عثمانیان و روح کالبد جمله مسلمانان، دولت مدار، ابهت شعار را عرض می‌شود:

اگرچه از اهل آسیا بدین عاجز غدر نمودند و راه ستمکاری پیمودند ولکن از ملت ظلمی ندیدم و از اسلام مراره‌جوری نچشیدم، البته سعادت آن ملت را از دل و جان خواهان و بافتخار و عزایشان شادان و نازانم و چون پارچه‌ای از آن ملت و بضعه‌ئی از آن امت محسوب می‌شوم، اگر چشم‌زخمی بدانها رسد و یا خار حقارتی بپای آنها خلد؛ هیچ‌شک نیست که در جان‌بازی پایداری خواهم ورزید و موت خود را بر حیاتی چنین بیدریغ خواهم گزید و بنابراین چون احوال دولت علیه عثمانیان را در این اوان بنظر اعتبار گرفته و شئون ملت اسلامیه را بمثقبه افتکار سفته پیرهن اصطبار و شکیبائیم درید و از هر طرف وساوس و خیالات برین حقیر مستولی گردید و مانند مرد سودانی روز و شب در آغاز و انجام این کار اندیشه و کیفیت اصلاح و چگونگی نجاح این ملت را ورد و پیشه خود ساخته‌ام و دائماً از برای چاره‌جستن و از این تنگنای هولناک رستن، احوال ملل سابقه و دول لاحقه و سبب صعود و نزول و باعث طلوع و افول آنها را ملاحظه و کارهای بزرگی که از افراد انسانیه صادر شده است ـ که فی‌الحقیقه معمرالبشر و سحر مستمر را باشد ـ مطالعه می‌نمودم تا آنکه نظر اعتبار در حین گذار به احوال ابومسلم آن شاب خراسانی، که به علو همت و کاردانی، دولتی چون دولت بنی‌امیه که در غایت قوت و نهایت متانت (محکمی) بود، از بیخ و بنش زد و چهره افتخارش بخاک مذلت افتاد.

در حین جولان فکر در این میدان، احوال پطرراهب از نظر بصیرت گذران شد و

غیرت آن راهب معلوک و همت آن فقیر مفلوک که چگونه صلیبی به دوش کشید و بیابانها و کوهها را برید و شهر فرنگیان را پانهاد و در هر مملکت ندای حی علی‌القتال داد تا آنکه موجب محاربهِ صلیب و ایقاذ آن لهیب گردید، آتش غیرت در نهادم افروخت و همت و کارگزاری آن شاب خراسانی؛ زندگانی و راحت را بر من حرام ساخت، دانستم که دشوار شمردن کارها نیست مگر از دنائت همت و خست طبیعت و پستی فطرت.

و البته هر مشکلی در نزد ارباب همت سهل و آسان و هر معضلی در پیش صاحبان غیرت لبیک‌گویان است و چون آن دولت مدار ابهت شعار به‌کمال همت در همه اقطار معروف و بکل غیرت در تمام السنه اهل امصار موصوفند و حب ملت را هر چه نه آنست، گزیده و افتخار خود را در بقاء شوکت این امت مقدسه دیده‌اند لهذا در کمال آزادی و حریت اندیشه و افکار خود را بدان حضرت بیان می‌نماید، بی‌ملاحظه آنکه من شخصی هستم گمنام و حقیر و آن حضرت امیریند شهیر؛ چون دانایان جهان درمقام خدمت ملت و حب... امت نظر بر مراتب ننمایند، بلکه دائماً دیده بر جانب مقاصد گشایند از هر طرف که شاید و از هرکه باید، و آن افکار این است:

اولاً: چون مسلمانان هند با کثرت عددشان غالباً اصحاب مکنت و ارباب غنی و ثروت می‌باشند و در اسلامیت بغایت ثابت و پایدار و در حمایت دین و ملت با ضعف اجسادشان، جان‌نثار و با وجود این، توانگران آنها دائماً از داد و دهش دم زنند و از سخی و بخشش خورسندند، خصوصاً در راه دین و برای تأیید کیش و آئین مدح و استشهاد را خواهان وضیت و افتخار را جویانند ولکن در خواب غفلت آسوده و در بستر جهالت غنوده منافع اتحاد و وفاق را نفهمیده و مضار اختلاف و نفاق را بعقل دوربین ندیده لهذا این عاجز می‌خواهم که حُبّاًفی‌الملة راه آن مملکت را پیموده و با جمیع نواب و امراء و علماء و عظماء آن بلاد ملاقات نموده و آثاری که از اتحاد و یگانگی در امر عالم ظاهر و هویدا و مضاریکه از اختلاف و بیگانگی پیداشده است، یکایک بدانها بیان سازم و گوشهای آنها را باسرار حدیث «المؤمنون اخوة» بنوازم و کلمات شورانگیز و سخنان مصلحت‌آمیز آغاز و علماء و سخنوران را با خود یار انباز

نمایم.

روح جدید حب ملیت را بر آنها دمیده و پرده غفلت آنها را دریده مقام سلطنت سنّیه را در اسلامیت بدانها بیان و بقاء دیانت و دوام این دولت منوط و مربوط بوده را بدان جماعت ظاهر و بیان سازم و در جمیع جوامع بلدان مشهورهٔ آنها با وعظهای دلنشین و احادیث خیرالمرسلین در کانون درون آنها آتش افروزم و یکسره اصطبار و شکیبائی ایشان را سوزم و بعضی از علمای زبان‌آور آنان را به بعضی از بلدان دوردست ایشان روان کنم و عموم مسلمانان هند را به اعانهٔ مالی دعوت نمایم و بغیر از این راه دیگر نپیمایم، بدون آنکه متعرض سیاست طائفه انگلیزیه شوم و یا خود سخنی برضد آنها زنم؛ بلکه اساس کلام را بر مقاصد روس خواهم نهاد و داد سخن در این معنی خواهم داد.

و شبهه‌ائی نیست که طائفه انگلیز از این حرکت حکمت‌آمیز، که موجب نفرت هندیان از روسیان است، خوشحال و مسرورالبال خواهند شد و ممکن است که آنها چون این حرکت را موافق سیاست خود نگرند، اهالی را نیز به اعانه مالیه تشویق و یا در این مطلب رفیق صدیق گردند و چون چنین حرکتی در هند واقع شود، از چند فائده خالی نخواهد بود:

اول: آنکه هیچ‌شک و شبهه ندارم که اعانه مالیه مُعتّد بها بدست خواهد آمد.

دوم: آنکه الفت و معارفه قویه بلکه اتحاد تام اسلامیه در میانه مسلمانان خواهد بهم رسید.

سیم: آنکه چون اتحاد تام مسلمانان مفهوم طائفه انگلیز گردد، البته پلتیک خود را دائماً با دولت علیّه مستحکم خواهد داشت.

چهارم: نکته‌ایست باریک که بر ارباب بصیرت مخفی نیست.

ثانیاً: می‌خواهم بعد از تمام امر هندوستان، روانه دارالایمان افغان شوم و اهالی آن بلاد را که مانند شیر بیشه؛ از خون‌ریزی اندیشه ندارند و از آهنگ جنگ؛ خصوصاً جنگ دینی درنگ را روا نشمارند، بمحاربه دینیه و مجاهده ملیه دعوت کنم و مقاصد روسیه را در پیش نهم و بزبان بلیغ تبلیغ نمایم، که اگر خدای نخواسته بر دولت

علیه عثمانیه چشم‌زخمی برسد، نه مکه مکرمه را قراری و نه مدینه منوره وقاری، بلکه نه از اسلام اسمی و نه از دین رسمی خواهد ماند و بعد از آن نه صوت اذانی خواهند شنید و نه قرآن‌خوانی خواهند دید[1] مانند یهود بخارا، خار و چون گوسفندان بی‌صاحب شکار گرگ ستمکار خواهند شد. و بر آن ابطال ندای «حی‌القتال» در زنم و صدای «یا لثارات الاسلام» بلند کنم و علماء زبان‌آور خبیر را از برای دعوت اهل آن بوادی و جبال روان و خود با امراء و عظماء و سردارها و خان‌ها، عهد و پیمان درمیان آرم و در امر وعظ‌ها دینی اجرا و منافع غیرت و حمیت هویدا سازم و از پیر و برنا و ضعیف و توانا، همه را به جنگ ملی دعوت عمومی کنم و بعضی از علمای بحاردیده[2] خبیر و مکیر را خفیه به جانب قوقند و بخارا ارسال که از برای اهل آن دیار بیان حال را نمایند و منتظر وقت و ساعت و حلول مدت بوده باشند.

و بعد از تمام دعوت در افغانستان بسرعت هرچه تمامتر روانه بلوچستان شوم و اهالی آن بلد را که دائماً به قزاقی و ترک‌تازی گذران و به نهب و غارت تازانند، به تشویق دینی و ترغیب منافع دنیوی به محاربه عمومیه دعوت کنم و «لطائف‌الحیل» سابقه را بکار برم و بعضی از علماء افغان را در آن دیار؛ به اطراف و اکناف سیار نمایم.

و از آنجا عطف عنان بجانب ترکمان کنم و آن بدبختان را که در هر زمان به شجاعت و جسارت معروف و در هر زبان به خونریزی و فتنه‌انگیزی موصوف بودند ولکن در این اخیرزمان کلاه عار بر سر و پیراهن ننگ دربر کرده‌اند و شهر چندین ساله خود را برباد و بر امر روس سر انقیاد نهادند، به اخذ ثار دعوت و عرق جنسیت ترکیه را حرکت و علم اتحاد اسلامیه را بر دوش و به محاربه دینیه در آن ولا نیز خروش برآورم و کمافی‌السابق دقیقه‌ای از لطایف‌الحکم را فرونگذارم و دائماً باتفاق علماء

---

۱. پیش‌بینی‌های سید جمال‌الدین درست بود و اکنون ما ناظر بدبختی ملل اسلامی جهان هستیم که در سایه تفرقه و جدائی و فقدان مرکزیت صحیح، دچار آن شده‌اند و هم‌اکنون در مرکز خلافت اسلامی سابق، اذان‌گفتن بزبان عربی هم ممنوع است! و فلسطین و مسجد اقصی در اشغال صهیونیسم و یهودیها است و آنان در فکر اشغال اراضی بیشتری هستند و مکه و مدینه هم طبق برنامهٔ! «دولت بزرگ یهوده ـ من‌النیل الی الفرات ـ باید روزی در اشغال آنها درآید!!... (خسروشاهی)

۲. دریادیده یا دنیادیده، اصطلاح معروفی است... (خ).

اعلام تخم حمیت و غیرت در درون آنها بکارم. و نیز داعیان تیززبان بجانب کاشغر و یارکند روان تا مؤمنان آن دیار را به اتحاد اهل ایمان دعوت کنند و معلوم است چون اهالی شروع جنگ نمایند، امراء بیدرنگ قهراً در میدان آیند. و چون به امزجه و عادات آن اهالی دانا و به طبیعت و اخلاق آنها بینا می‌باشم، هیچ‌شک و شبهه‌ای ندارم که جمیع مسلمانان از دل و جان بر سر روس هجوم خواهند کرد و روسیه را در آن طرف اشغال، بلکه بالقطع پایمال خواهند نمود و بر منافع عاجله این، کسی را انکار نشاید و فوائد آجله‌اش راکه اتحاد اسلامیه و اتفاق امت بوده باشد، ارباب بصیرت درک نماید.

و معذالک چون اهالی افغانستان که فی‌الحقیقه سد و بند هندوستان است؛ با روس دراندازند، طائفه انگلیس قهراً و قسراً به تمام اجتهاد، به محاربه پردازند و تا به حلقوم به گل فرو رود و خیال سیادت را از سر و آرزوی فرعونیت را از دل بدر برد.

و اگر معترضی بر این مقصد اعتراض کند و بگوید که اهالی قوقند و بخارا و شهر شیبر و ترکمان همانها نیستند که تاب مقاومت روس را نیاورده و گوی نیکنامی از میدان نبرده و زندگانی غیرفاضل را بر موت فاضل اختیار و مرتکب آن‌گونه عار شدند؟ پس از استعانت بدانها چه فایده‌ای عاید خواهد شد؟

جواب گویم که آن محاربه‌هائی که واقع شد، تماماً از برای خاطر امیری ستمکار و یا خود حاکمی ظلم شعار بود و انسان جان خود را از برای حظ نفس این‌گونه امیر و حاکمی کی دهد؟ و پای ثبات و مردانگی در میدان چرا نهد؟ و اما اگر آنها از برای حمایت دین و حفظ کیش و آئین، محاربه نمایند، البته یا تاج شهادت بر سر و یاکالای فخر دربر خواهند نمود؛ چون در آن هنگام هر کسی از برای محض دلخواه خویش پای در میدان و به‌جهت اعلای کیش، رزمجویان خواهند بود.

* * *

و بعد از بیان مقصد، عرض می‌شود که این عاجز در این بابت به هیچ وجه من‌الوجوه، نه درهمی از دولت خواهانم و نه دیناری جویان، بلکه حباً للاسلام به این امر خطرمند قیام خواهم نمود.

بلی بعد از حصول اعانه مالیه در هندوستان، این حقیر را می‌رسد که چند نشان از

برای افغان و بلوچ و ترکمان بخواهم. ولکن ارتکاب اینگونه امری خطیر بلااذن و بی‌مستمسک از قبیل فضول و عمل غیرمقبول شمرده می‌شود.

و دیگر آنکه چون آن بلاد از مرکز سیاست به غایت دور و اهل آنجا از اخبار عالم و احوال دولت علیه در این زمان بغایت مهجورند، اگر بی‌مستمسک بدین‌کار متمسک شوم، ربما امرای آن دیار را خوش نیاید و از این طلب اتفاق، نفاقی زاید، لهذا بر آن ابهت شعار عرض می‌نمایم که این مکتوب را به‌نظر دوربین خودگذرانیده و مضامین یک‌یک بدیده عقل اصابت قرین دیده، بدون آنکه ملاحظه شود که نویسنده این شخصی است حقیر و یا مردی است ناچیز و فقیر و یا خود مراتب عالیه ندیده و به مناصب متعالیه نرسیده!.

زیرا بر آن دولت مدار ظاهر است که در هر زمان امثال این فعل‌های سترک و عمل‌های بزرگ از چون منی خانه‌بدوش خش‌پوش که سرد و گرم جهان را دیده و تلخ و شیرین زمان را چشیده و چندین کوهها و بیابانها را پیموده و احوال جهانیان را آزموده، بظهور رسیده است. و اصحاب مناصب دائماً بر مناصب خود هراسان و خداوند مال و جاه، بر جاه و مال خود لرزان بوده‌اند و دارایان نعمت، تاب نهضت و مشقت نداشته‌اند.

پس اگر این استدعا قبول مقبول رأی رصین و خردخورده بین آن خداوند دانش و هوش افتد، بامر نامه‌ای از دولت مفتخرم سازند و باذن صریحی این حقیر را بنوازند؛ تا آنکه بتعجیل تمام قبل از فوت وقت بکار پردازم و در این میدان بهواخواهی ملت جان خویش را بازم و اگر از برای دستورالعمل گرفتن، آمدن خود این عاجز به آستانه علیه لازم است، نیز از دل و جان تابع فرمانم.

باقی امر و فرمان آن خداوند امر و فرمان را است.[۱]

---

۱. متن دستخط سید که فاقد «عنوان» و «امضاء» است ـ ولی از القاب سطور اول آن معلوم است که به سلطان عثمانی نوشته شده ـ در «اسناد و مدارک چاپ نشده درباره سیدجمال‌الدین اسدآبادی» آمده است و ما برای سهولت خواندن، بنقل حروفی مطالب آن پرداختیم و متن اصلی دستخط را در ضمن اسناد آخر کتاب می‌آوریم. (خسروشاهی).

آخرین نامه به:[1]

سلطان عبدالحمید

درباره حقوق اسلامی که از هر طرف بوسیله دشمنان مورد حمله و هجوم قرار گرفته، قلب من مطمئن بود که توسط مقام اقدس خلافت حمایت خواهد شد، ولی اکنون این قلب، با ستم و تحقیر شکسته شده است.

فکر و اندیشه من، که مشغول تسبیب اسباب بود تا به همه جهانیان این عقیده مرا ثابت کند که سرزمینهای اسلامی در سراسر روی زمین، می‌تواند بوسیله حمایت و پشتیبانی مقام خلافت از تجاوز مصون بماند، اکنون با غبار غرض‌ورزیها، تیره و تار گشته است.

و چشمان مشتاق من که همیشه امیدوار بود تا درخشان‌شدن ستاره اقبال مقام خلافت عظمی را در سراسر جهان به‌بیند، اکنون با رفتار توهین‌آمیزی روبرو شده است و هیچ‌یک از این امور را، بهیچوجه نمی‌توان به نحو مناسبی، مورد توجیه و تفسیر قرار داد.

من که بخاطر نجات و بهتربودن اسلام، از تحمل سنگین‌ترین بارها و تلخ‌ترین شرایط لذت می‌برم، هرگز نمی‌توانم حتی کوچکترین و ناچیزترین توهین‌ها و تحقیرها را تحمل کنم. زیرا اگر کسی بخاطر روش مردانه و فضائل ذاتی و انسانی خود، در همه جای دنیا مورد احترام و حسن استقبال عموم قرارگیرد، نمی‌تواند در مرکز خلافت عظمی، تحقیر و اهانت را بپذیرد و این وِضع را خود مقام خلافت نیز

---

۱. این نامه بدون تاریخ و بزبان ترکی، با امضای خود سید از استانبول به سلطان عبدالحمید فرستاده شده است. و از محتوای آن پیداست که در دوران اسارت در بابعالی نوشته شده است... البته سلطان عثمانی، مانند دیگر شاهان!، به عهد خود وفا نکرد و سید تنها و غریب در دارالخلافه عثمانی، به شهادت رسید. متن نامه در ضمن اسناد آمده است. (خ).

بهیچ‌وجه نمی‌تواند تجویز کند!

زیرا قبل از آنکه کمترین فکری درباره آمدن به استانبول داشته باشم و پیش از آنکه جمال نورانی را زیارتِ کرده و بدانوسیله گرفتار شده باشم، یکی از وظایف مذهبی من، دفاع از ذات همایونی و تقدیر از اصل مقام خلافت بود.

مقالاتی که من در زمان توقف خود در اروپا برای روزنامه‌های پاریس و روسیه نوشته‌ام ـ علاوه بر مجله مرتب العروة‌الوثقی که من خودم آنرا منتشر می‌ساختم ـ سند محکمی هستند بر اینکه من مقام خلافت را همیشه از دل و جان احترام می‌گذاشته‌ام.

اما علت اینکه من این مقالاتی را که با تقدیر از مقام شوکت‌مآب افندی زینت بخشیده‌ام، هرگز به شما تقدیم نکرده‌ام، این بوده که مانند پاره‌ای از افراد کوتاه‌فکر و ناپاک‌دل، سعی نکرده باشم که یک وفاداری ساختگی و دروغین به شخص شما نشان دهم و اهمیت آنها را در چشم جنابعالی بالا ببرم و یا شما را بوسیله اموری تخیلی و موهوم، مانند غول بیابانی تحت تأثیر قرار دهم. من دوست دارم که از همه این اعمال کوچک و پست بدور باشم و علاوه، میل دارم که از راه موقعیت شخصی و فضایل مادی و معنوی خودم ثابت کنم که من یکی از دوستداران راستگو و از مخلصین واقعی و از خیرخواهان صمیمی شما هستم، اما افسوس که من در این راه توفیقی بدست نیاوردم.

من همیشه خود را مانند شمشیر برنده‌ای نظیر ذوالفقار حیدر کرار در تأیید مقام خلافت شما نهاده‌ام، تا برضد دشمنان داخلی و خارجی بکار رود اما این امر، مورد قبول واقع نگردید!.

وقتی من فرمان مقام خلافت را دریافتم که در آن نتیجهٔ مطالعه و نظر مخلصانه مرا درباره امکانات ایجاد وحدت نیرومند در جهان اسلام را خواسته بود، آنچنان احساس سرور و خوشبختی کردم که گوئی هشت در بهشت بروی من باز شده است. آنگاه خلاصه‌ای از اندیشه‌ها و مطالعات خود را دراین باره، برحسب فرمان شما، یادداشت کرده و به آستان مقام خلافت تقدیم داشتم.

چون تاکنون حتی یک کلمه هم در این‌باره بزبان نیامده است، من متأسفانه به این

نتیجه رسیده‌ام که این طرح به بوته فراموشی افتاده و یا آنکه با آتش بدخواهی افراد کینه‌توز و دسته‌های متعصب سوخته است.

یا محتوای آن بوسیله عقلای آخر زمان! طوری وارونه و معکوس تعبیر و تفسیر شده که از هدف عالی خود دور افتاده است و درنتیجه، درمیان اوراق باطله قرار گرفته است.

وقتیکه اخیراً خبرنگاران «تایمز» به دیدن من آمدند و غاراچینو مطالبی راکه درباره خلافت جنابعالی از سفیر انگلستان شنیده بود در حضور من بیان کرد، بشهادت محمدبیگ ـ که حضور داشت ـ من مطالب موسیو غاراچینو را که می‌گفت از سفیر شنیده است، رد کردم و صمیمانه به‌دفاع برخواستم و لابد محمدبیک این بیانات را بخاطر دوستی، بحضور عالی رسانده است.

اما این موضوع در سایه پاره‌ای توطئه‌ها وضع معکوسی بوجود آورد و برخلاف سیر طبیعی امر، چنین بنظر می‌رسد که با دفاع خالصانه و بزرگ خود، گناهی مرتکب شده‌ام! در صورتیکه دفاعی بهتر از آن، حتی در حق فرزند صالح و دلبند هم نمی‌توان انجام داد، ولی پاداش من توهین بازجوئی و بازپرسی بود!.

خدا را شکر، سرانجام وقتی غاراچینو با محمدبیک در حضور راغب‌بیک مواجه شد، معلوم گردید که من چگونه با دل و جان از حقوق مقام خلافت عصر دفاع کرده‌ام. و این حقیقت برای جنابعالی هم معلوم گردید.

از بدخواهی و کینه‌توزی و حرص رسوای غاراچینو و همچنین احتمالاً از دستور پنهانی و مضرانه او و به‌مناسبت اینکه او انگلیسی است، دشمنی انگلیسی‌ها علیه دولت و ملت، بطور عموم، و علیه شخص من، بطور خصوصی، آشکار گردید.

اگر غاراچینو به تنهائی احضار شود، آیا در اینکه گفته‌های خود را، انکار نموده و گزارشهای رذیلانه خود را بدیگری نسبت خواهد داد، جای تردید و شبهه وجود دارد؟.

آیا برای روشن ساختن فوری این مسائل بهتر نبود که مواجههٔ اخیر را در مرحله اول انجام می‌دادند؟ تا بجای تقدیر و تحسین، در معرض کیفر بازجوئی قرار نگیرم و

فرصتی به ارباب اغراض و دسایس در مورد اشاعه اکاذیب داده نشود که بگویند: جمال‌الدین مورد بازجوئی قرار گرفته و نسبت به او چنین و چنان شده است؟!.

من هرچه بیشتر فکر می‌کنم که چگونه این مطلب بصورت نادرستی گزارش شده است، هرگز نمی‌توانم این اقدام ناروای تحقیرآمیز را به کاردانی آن مهبط الهامات الهیه و عقل روشن خلیفه رسول خدا، نسبت دهم.

اما من دربرابر دسیسه‌سازان و تهمت‌تراشان که بر هر قلب و مغزی راه یافته‌اند، چه می‌توانم انجام دهم؟ خداوند بمن صبر و شکیبائی مرحمت کند، لاحول ولاقوة...

من کمترین تردیدی ندارم که این یزیدهای غدار و این شمرهای جبار مانند اشقیاء کوفه و شام تا آخرین لحظه به بافتن صدها نیرنگ و دسیسه خویش، برضد من ادامه خواهند داد.

البته بیاری خدا برای من بسیار آسان است که هرگونه نیرنگ این توطئه‌گران دسیسه‌ساز را مانند زنجیر محکومیت و طوق ملعنت برگردن آنها بیاویزیم. چون خداوند توانا دل مرا از آرزوهای جاه و مقام خالی ساخته و از عشق به زرق و برق دنیا آزاد نموده است.

و از طرفی، چون خداوند قادر مرا با این اوصاف، فقط برای خدمت به جهان اسلام خلق کرده، آشکارا بر من حرام است که وقت خود را با اینگونه توهمات و هذیان‌های افراد فرومایه، هدر دهم و تلف سازم.

در نزد هر صاحب عقل سلیمی مسلم و قطعی است که از نظر دینی و حکمت ملوکانه، مقام خلافت اجازه نمی‌دهد که من وقت و انرژی حیاتی خود را برای رد افتراهای این و آن هدر دهم و درنتیجه رفتن مرا مناسب‌تر خواهند دانست و تأیید دلنواز و لطف‌آمیز خود را برای رفتن من تسریع خواهند کرد.

چون هرگز مقدور نیست درمیان مردمی زندگی کرد که از خدا نمی‌ترسند و از حق شرم ندارند و در پستی و رذالت فرو رفته‌اند و از جعل و دروغ و تحریکات، بخاطر بی‌ثمرساختن خدمات و کارهای فداکارانهٔ کسانی که واقعاً و بدون خودخواهی، خود را وقف مقام خلافت کرده‌اند، خودداری نمی‌کنند.

از طرف دیگر، من البته می‌دانم که مقام خلافت شما با این اوضاع موافق نیست و من هم نمی‌خواهم طوری شود که مقام خلافت ناخودآگاه همیشه مورد زحمت واقع شود. زیرا من کاملاً می‌دانم افراد مغرض، که کاملاً با هم متحد هستند، نه تنها مرا از انجام هرگونه خدمتی بازمی‌دارند، بلکه همچنین از رنجانیدن شما در هر وقتی، بخاطر من، شرمنده نخواهند بود.

چندروز پیش، پاره‌ای از مقاصد شاهانه از طریق خادم شما راغب‌بیگ به‌من رسید و شما به‌من بشارت داده بودید که اجازه مسافرت به‌من خواهید داد و من با استناد به‌همان بشارت و با توجه به مراحم معتاد ملوکانه، تقاضا دارم که اجازه مسافرت من بیدرنگ صادر گردد.

زیرا شما باتوجه به اینکه از حقایق و دقایق امور آگاه هستید، بخوبی می‌دانید که در شرایط کنونی، ماندن من در اینجا کاملاً محال است، چون در معرض اتهامات دروغ و شایعات بی‌اساسی قرار گرفته‌ام که اذهان مردم را مشوش می‌سازد و بعلت سیاهکاریهای اهل باطل، قلبم آتش می‌گیرد و در معرض اهانت و تحقیر قرار می‌گیرم.

البته هروقت فرمانی برسد، بدون تردید امتثال امر خواهم کرد و در خارج، هرکجا که توقف کنم، همواره درکسب رضای خلیفه آماده خواهم بود. من یقین دارم که اگر خلیفه اعظم اعمال افراد مغرض و دسایس اهل نیرنگ را بدقت مورد توجه قرار دهد و کارهای یزیدوار این اشخاص پست توطئه‌گر را در مدنظر بگیرد، از روی حکمت و شفقت مسلمه و وجدان انصاف بنیان شاهانه، بدون یک لحظه توقف، اجازه مسافرت مرا خواهند داد.

رجاء کامل من از خلیفه اقدس آنستکه اذن دهند من اینجا را ترک گویم تا گوشهایم چیزهائی راکه در هیچ‌کجای عالم نشنیده است، نشنود و قلبم از این تهمتها و دسایس بالکلّ شکسته نشود و بتوانم خالصانه خلیفه اعظِم را دعاکنم.

ذات اقدس خلافت، نور دیدهٔ عالمیان راکه وظیفه دارد از حقوق بندگان خدا درمقابل هر تجاوزی نگهبانی کند، به خداوند می‌سپارم و تودیع و خداحافظی می‌کنم.

الداعی، جمال‌الدین الحسینی

آخرین نامه از زندان بابعالی، اسلامبول به:

هم‌مسلک‌های ایرانی

دوست عزیز

من در موقعی این نامه را به دوست عزیز خود می‌نویسم که در محبس محبوس و از ملاقات دوستان خود محرومم، نه انتظار نجات دارم و نه امید حیات، نه از گرفتاری متألم و نه از کشته‌شدن متوحش، خوشم بر این حبس و خوشم بر این کشته‌شدن. حبسم برای آزادی نوع، کشته می‌شوم برای زندگی قوم، ولی افسوس می‌خورم از اینکه کشته‌های خود را ندرویدم، به‌آرزوئی که داشتم کاملاً نائل نگردیدم، شمشیر شقاوت نگذاشت بیداری ملل مشرق را ببینم، دست جهالت فرصت نداد صدای آزادی را از حلقوم امم مشرق بشنوم، ایکاش من تمام تخم افکار خود را در مزرعه مستعد افکار ملت کاشته بودم. چه خوش بود تخم‌های بارور و مفید خود را در زمین شوره‌زار سلطنت فاسد نمی‌نمودم، آنچه در آن مزرعه کاشتم به نمو رسید. هرچه در این زمین کویر غرس نمودم فاسد گردید، در این‌مدت هیچیک از تکالیف خیرخواهانه من به گوش سلاطین مشرق فرو نرفت، همه را شهوت و جهالت مانع از قبول گشت، امیدواری‌ها به ایرانم بود اجر زحماتم را به فراش غضب حواله کردند. با هزاران وعد و وعید، به ترکیا احضارم کردند، این نوع مغلول و مقهورم نمودند؛ غافل از اینکه انعدام صاحب‌نیت اسباب انعدام نیت نمی‌شود؛ صفحه روزگار حرف حق را ضبط می‌کند.

باری من از دوست گرامی خود خواهشمندم این آخرین نامه را بنظر دوستان عزیز و هم‌مسلک‌های ایرانی من برسانید و زبانی به آنها بگوئید: شما که میوه رسیده ایران هستید و برای بیداری ایرانی دامن همت به کمر زده‌اید از حبس و قتال نترسید، از

جهالت ایرانی خسته نشوید، از حرکات مذبوحانه سلاطین متوحش نگردید. با نهایت سرعت بکوشید باکمال چالاکی کوشش کنید، طبیعت بشما یار است و خالق طبیعت مددکار، سیل تجدد به‌سرعت بطرف مشرق جاری است، بنیاد حکومت مطلقه منعدم‌شدنی است، شماها تا می‌توانید در خرابی اساس حکومت مطلقه بکوشید، نه به قلع و قمع اشخاص، شما تا قوه دارید در نسخ عاداتی که میانه سعادت و ایرانی، سد سدید گردیده کوشش نمائید نه در نیستی صاحبان عادات. هرگاه بخواهید اشخاص مانع شوید وقت شما تلف می‌گردد. اگر بخواهید به صاحب عادت سعی کنید باز آن عادت دیگران را بر خود جلب می‌کند، سعی کنید موانعی راکه میانه الفت شما و سایر ملل واقع شده رفع نمائید. گول عوام‌فریبان را نخورید.

جمال‌الدین حسینی[1]

---

۱. این نامه در تاریخ بیداری ایرانیان، بخش مقدمه، چاپ جدید، آمده و متأسفانه اصل دستخط خود سید، بدست نیامد. (خ).



۶

دوازده نامه

(عربی)

خطاب به:

شیخ محمد عبده، ریاض پاشا، فکری پاشا،
سید محمد طباطبائی، ادیب اسحق،
محمد المویلحی، خلیل غانم،
سدید السلطنة، فاضل، بلنت و...



كتاب الى:

الشيخ محمد عبده

۲۳ سبتمبر   برط سعيد

الشيخ الفاضل الكامل الشيخ محمد عبده أطال‌الله بقاءه

الابتهاج بجميل الصنع جزاء تفيض به جامعة الكون على‌النفوس، كلّما قامت بوظائف الوجود، والمحمدةُ شهادةٌ تبعث ملكوتُ وحدانيّة الهيئة على بثها متشخصات الطبيعة فى مشهدالعالم، تخليداً للجزاء و تعظيما للأجر، فلك بجميل صنعك مع (العارف)[1] الجزاء الأوفى. و ها أنا أحمدك على‌البّر و المعروف أداءً للشهادة، و أشكر صنوك الفاضل الكامل الشيخ عبدالكريم، و أثنى على‌الشابين الأديبين السيد ابراهيم اللقّانى والشيخ سعد الزغلول[2] والافندى الكريم الذى أنسانى أسمه‌الزمان، وأذكر كلاً بألخير فى مشهدالعالم قياماً بفريضة الشكر على‌الصنع الجميل والعمل الصالح -

و أنا الان في (برط‌السعيد) أذهب الى لندره - ترسل جواب هذا الكتاب إلى إدارة جريدة (الشرق و الغرب) أو إلى (مستر بلنت) - ان أخبار العالم و حوادثه كانت انقطعت عني مدة سبعة أشهر، ولذا لاأدري مستقّر (العارف) الان، أخبره بسفري. والتفصيل في مكتوب آخر يصلك من لندرة إن شاءالله.

سلّم على كل من عرفنا و عرفناه، واعترف بنا و سلّمنا له، والسلام

جمال‌الدين الحسينى الافغانى

---

۱. هو عارف أبوتراب خادم‌السيد الذى جاءمعه من بلاده و كان بقى فى مصر بعد نفيه منها و كان السيد يحبه حبّا جماً و لقّبه بالفيلسوف الامّى.

۲. كان‌السيد كثيراً ما يحلى الاعلام بالالف واللام كأكثر علما الاعاجم.

(حاشيتان)
تسلّم على صاحب‌النّفس الزّكية، و الهمة العلّية، دولتلو رياض باشا أيدّه‌الله تعالى.
أرسلت مضمونا[1] الى صديقنا الحاج المرزا علي‌اكبر والغرض درجه فى الجرائد المصرية بعبارة فصيحة. و أرجوالاهتمام في هذا الامر لانه ضروري جدّاً
البدار البدار

---

۱. أي كتابا أو مقالا مضمونا، يعنى مسجلا.

رسالة الى:

جناب آقا كوچك
السيدمحمد الطباطبائى

من لندن الى سامرة

العالم الخبير والفاضل البصير والمحقق النحرير جناب آقاكوچک ادام‌الله وجوده ان الأمة قد أحدقت بصرها الى نفوس عظيمة تقوم بنصرتها و تنقذها من ورطة مهالكها. و من يكون اليق بهذه الوظيفة منك و أنت عزيز العقل، ذكى الفطره عالى الهمّة، نامي النسب؟

اخبرک ان ثبات العلما فى‌البلاد الايرانية قدأعلى كلمة‌الاسلام و عزّز شأنه و أنار برهانه و كلّ‌الافرنج قدهابوا من هذه القوّة التى طالماكانو يزعمون انّها قدزالت كليّة و أيقنوا انّ للدّين أملاً لايخشون فى سبيله شوكة الجبابرة.

جزاهم الله عن‌الاسلام خيراً

والسلام عليكم

جمال‌الدين الحسينى

ولقد طبع المكتوب الذى أرسلته الى جناب الميرزا من البصرة، فى مدينة لندن و ارسلت اليک منه نسخاً، أرجو من‌الله الوصول.

رسالة الى:

سديدالسلطنة

صفوة اولى الهمم و قدوة ارباب الشمم السرتيب الحاج احمدخان لازال مصوناً بعناية‌الرحمن.

انّی قدحللت الآن ببلدة أنت ساكنها و منک بهجتُها و بک محاسنها فكتبت اليک هذه الوريقه زعماً منّی انّک بتقلبّک بين اطوار الزمان و اختبارک اجناس‌الانسان، ترغب ان تلاقی کلّ من دَعَکَ‌الدهّر و حنّكه العصر ولو كان فی كنّ حقير متربعاً على حسير، فان كان الأمر كما رأيت فيا لحظّی الأوفر والّا فلست اول من غرّه القمر.

و انّی جهلاً بمحلّات الاقامة فی هذه البلدة نزلت فی خانٍ خَرِب عَفِن لايسكنه الّا الصعاليک والاوباش يسمى (بكاروانسرای كربلای عِوض) والسلام،

جمال‌الدين الحسينى الافغانى

رسالة الي:

رياض باشا

مولاى،

ها أنا ذا اليوم في القنال أذهب إلى لندن، و منها إلى باريس مُسَلِّما عليكم، و مُمجِّداً إيَّاكم تمجيدا يكُون إذا وجهته مقامكم، وكفاء لعلو شأنكم، و يعادل عظيم درجتكم في نزاهة النفس و طهارة السريرة و نقاوة السيرة، و يوازي جليل زينتكم من عقائل الصفات وكرائم الخلائق التي تدثرتم بها، مؤديا مدارج كمال صعدتم فيها بالعقل المطبوع، و قَصَّر الآخرون حقها ـ و بما فطرتم عليه من جبْلَة تأبى أن تقف على الطوية دون أن تبطنها، و تستنكف إلَّا أن تخوضها و تكتنهها. لاشك أن المصيبة العظمى التي رمتني، والبلية الكبرى التي أصابتني، قد أحطتم بها علما، وانكشف لكم باطنها عن ظاهرها، و سرها عن علنها، وظهرت لديكم خفيتها، و رفعتم عن ظل أستارها حقيقتها، و علمتم أنها كانت حَيْفاً على بريء، جلبت التهمة على نقي، و مابقيت إلى الآن تحت حندس الخفاء محجوبة عن بصيرتكم الثاقبة، ولا أكنتها عن بصرك النافذ في أطباق الحجب المظلمة أستار العمى ـ فإن عقلاً محضا، ولبا صرفا، مثلكم، لاتغرَّنه الظواهر، ولايصغى الى نعق ناعق، ولايعير سمعه قول مجازف، ولاتحركه عواصف التقولات، ولاتنزغره هبوب الافتعالات، بل لايمشي في الحوادث إلابنوره و هداه، ولاينقاد في الوقائع إلا إلى سلطان برهان أوضح له سبيل الحق و أراه ـ لأنه يعلم أن من يأخذ بالظاهر يغتر و يغر، والذى يتبع كل ناعق يغر نفسه...[1]

وكم أُلبس الحقُّ لِباسَ الباطل، وكم ظهر الباطل بدثارالحق، وكم تَرَدى الجور برداء العدل، وكم عُلِّم العدل بعلامة الجور ـ و حوشيت أن تكون من الذين عقولهم في آذانهم، و ألبابهم في حاشيتهم و بطانتهم، يعتقدون ما يقولون، و يقولون ما يسمعون،

---

١. عبارات غيرواضحة لاتؤثر في السياق.

ثم يجلسون على منصة الحكم، فيقضون، لاعقل فيرشدهم...[1] ولاخشية من سوء فتقدعهم[2] ـ ولا أرتاب أنكم بما جبلتم عليه من الفطرة النقية والطينة الرحيضة[3]، بعد ما ظهر لكم جَليُّ الأمر، قد استعظمتم الرزية التي غشيتني، والداهية التي مَعكتْني بلا جنحة اقترفتها، ولاجناية اجترحتها ـ فإن من لايَستعظم مصيبة العدوان، ولابلية الحيف لايأبى أن أتى بها ولا يبالي أن يكون مصدرها. وليس في الحيف صغيرة ولاكبيرة، فإنه منشأ سخافة العقل و قسوة القلب. و إذا اجتمعت هاتان الخلتان في رجل فقد استوت عنده صغيرته وكبيرته ـ و أنت العدل حقاً والنِصْفة صدقاً...[4]

بل أنا موقن بغريزة عقلكم الثاقب قد علمتم حقيقة هذه المصيبة و أسبابها و دواعيها و بواعثها. ولو اكفهرت سحب التلبيس، و قول الزور، على سماء عقول كثير من الناس، و بطهارة نفسكم الزكية قد استعظمتم هذا الجور و استوحشتم من هذا الضيم، الذي جنته على يد قلوب الذين لايعقلون، لأن الحنانة على المظلومين واللهف عليهم، إنما تكون بمقدار العدالة، وحب النصفة، والنفار من العدوان و كراهة الجور. و أنت تعالى مقامك، لك القدم الأعلى في العدالة والقدم المُعَلىَّ في النصفة.

و مع هذا و هذا وذاك أريد أن أخبركم بحقيقة هذه البَليَّة المفجعة، حتى يكون سمعها كعيانها، وسترها كإعلانها، فأقول إن الخديو كان يحبني قبل أن ينال الملك محبة صادقة. و أما أنا فقد كنت وليا لمن ولاّه، وعدوا لمن عاداه، و سَلاماً لمن سالمه، و حرباً لن عاداه، ولا أزال أقدَع من يعاديه و أكف من يناويه، حتى إن الشيخ البكري[5] كان يريد أن يثير الناس بتحريك اسماعيل باشا[6] والإفرنج (فذهب إليه ناصحاله مهددا إياه قائلا إن الماسونيين عزموا على قتلك غيلة، لأنك تسعى في إدامة حكومة هذا الظالم، فاصفر لونه، وغلب عليه الخوف، و خاف ان لايعين اسماعيل باشا في شيء، و أن لايمتثل لأمره[7] (و كل هذا بعلم الخديو وطلب منه) و كان الخديو كل يوم يرسل

---

۱. عبارة غير واضحة لاتؤثر في السياق.
۲. تمنعهم.
۳. النظيفة.
۴. عبارة غيرواضحة.
۵. شيخ الطرق الصوفية.
۶. الخديو اسماعيل.
۷. بين القوسين جاءت في هامش المسودة تصحيحا لعبارة أخرى مشطوبة. ولكنها واضحة و منها: «و إن الشيخ البكري أولا و شاهين باشا ثانيا كُلّ منهما يريد أن يثير فتنة و يجلب على مصر بلية عمياء. و انا هددت كلا بالماسونيين حتى كف هذا و انقدع (بمعنى كف أو امتنع) ذاك».

إلى كاتبه كمال بك قائلا: إن أفندينا يسلم عليكم، و يقول ليس لنا في هذا سواك معين.

و إن جماعة من الإفرنج الماسونيين و أذنابهم من حثالة الأمم الغابرة و ثفالة الشعوب الماضية، و بقايا السريانيين المتنخرةالذين كانوا تحت رياسة عبدالحليم باشا حينماكان رئيسا على مجلس الماسون في القاهرة ما قَصَرُّوا أن سعوا لعبد الحليم باشا. و أنا حبا في الخديو جابهتهم بالعدواة، و قابلتهم بالخصومة، و رفضت مجلسهم، أنا و من كان مثلي مغرورا بحب الخديو، و نبذت رياسة محفلهم، و تركت ودادهم و مججت ألفتهم، و أنا المُؤسِّسُ عليهم من سنين. و كانوا يحبونني، و أحبهم، و أقرهم، و يعظمونني. و كل هذا ما فعلته إلّاثقة بحب الخديو ـ حتى إن المسونيين من الإفرنج، و أذيالهم ذهبو إلى (تريكو)[1]، و بَلَّغوه أن صَغْوَ[2] المصريين مع عبدالحليم باشا، وضلعهم معه (و ميلهم إليه). وروعوه من وقوع الفتنة إن عدل عنه إلى غيره. ولما بُلِّغْتُ هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديو من حزبي إلى القنصل فكذبت ما بلغوه، وأظهرت له جلية الأمر و كشفت القناع عما أضمروه. و قد أعلن كل هذا في الجرائد الوطنية.

وليس للخديو أن ينكر ما فعلته، و يجحد هذهالمساعي، و غيره و غيره، إلا أن يفقأ عينالفتوة، و يكفأ أُذُنَ المروة. و لما أحس أخوانى الماسونيين مني الرجوع إليهم والاتفاق معهم...[3] و قنطوا من فوز عبدالحليم باشا نصبوني عرضا لسهام افتعالاتهم، وأطلقوا عليّ ألسنتهم السلاط، فبهتوني واتهموني، و نسبوني إلى طائفة النهليست مرة، و إلى السوساليست أخرى، و أشاعوا كذبا و بهتانا أني عازم على قتل الخديو و القناصل جميعا ـ يا للعقل والعاقل! من أين الجيوش التي تقوم بهذه الأمور الصعاب، و أنا رجل غريب في مصر. و ماكنت أظن في عميقات فكري أن يوجد في أولاد آدم شخص يعير سمعه إلى هذه الأباطيل، ولوكان أفيناً، ولكن قد وجد ـ

و بعد ما نال الخديو الملك تَأَلَّبَ هؤلاء الماسونيون أحزاب عبدالحليم باشا، و دفعوا إلى الخديو، و ألقوا إليه ما ألقوا تشفيا بغيظهم ـ و أنا ما عاديتهم، ولا رفضت رياسة مجلسهم مع علمي بكثرتهم و قوتهم إلاّ اتكالا علىالخديو وثقة به ـ و ماكنت أدري أن الخوف من حيث الثقة ـ و قدكتبت ردا لتقولاتهم في جميع الجرائد المصرية و العربية و الإفرنجية، و أظهرت للحكومة فيها مكنون نياتهم، واستعنت بها على دفع ـ

---

۱. قنصل فرنسا في القاهرة.

۲. ميْل

۳. عبارة غير واضحة

شرهم ـ و قد أتاني الشر منها ـ و قد أعان الماسونيين أحزاب عبدالحليم باشا على اختلافاتهم و ساعدهم على افتعالاتهم، و نمق تعديهم و بهتانهم، الشخص المعكوس، والهيكل المركوس، والرجل المعيوب عثمان باشا[1] المغلوب، الذي كان ضابط البلد في ذلك الوقت، لضغينة اتقدت في أحشائه، و هي أن شابا من تلامذتي كتب في جريدة من الجرائد في ضمن مقالة ما معنا أن عثمان‌باشا ضابط البلد مثلا ليس بمعصوم، يخطيء و يصيب، فغضب ذلك المركوس و تَمَعَّر، و آخذ الأستاذ بذنب التلميذ، وزاد على إرجاف حزب عبدالحليم إرجافا...[2] و بهتانهم بزوره و اختلاقهم بافترائه.

وسمع (بتقولات هذا النذل) أذ ذاك الشريف باشا[3] فنهنهه، و كفكفه، وَزَجره، و نهره، فكَفَّ لسانه كاتما حقده و ضغينته. فلما استعفى الشريف باشا قام ذلك اللئيم متوقداً ملتهبا. ظنا منه أني شكوته إليه، لا وحقك علي، ما رفعت شكوى إلى أحد. بل ما علمت أن الشريف باشا زجره و عاتبه إلّا من لسانه في ليلة مصيبتي قائلا لي: إنك الان في قبضتي، إن شئت أحرقك بالنار و إن شئت أغرقك في الماء جزاء لشكايتك، فإن الشريف باشا زجرني، و توعدني بالعزل لأجلك.

و بالجملة، إن ذاك اللئيم بهذه‌العلل الداهية، و بإغراء أحزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم أكذوبة و يختلق أرجوفة، و يبلغها إلى مسامع الخديو. و أنا لثقتي و اعتمادي عليه ماكنت مباليا بهذه الإرجافات، عِلماً مني بأنه عاقل لمّا يسمع هذه الأكاذيب في حق رجل قد جاهر بولائه، و دافع عنه في وقت ألجم الخوف أصدقاءه. ولكن خاب‌الظن، وظهر خلاف ماكنت اعتقد ـ و نسى الخديو محاماتي له، و دفاعي عنه، و محبتى إياه (و ما واجهني به يوم تبركه قائلا إن لسانه عن أداء شُكرك عاجز، و زعم زعما من غير رَوِيَّة، و ظن ظنًّا لاعن تَدَبُّر و أجالة فكرة أني عدوله، و أريد الغدر به، فأمر بتبعيدى عن‌الديار المصرية ـ ظلما و جورا، و أنا في غفلة عن ذلك، فما راعني إلا انثيال الضابط ألىّ في‌الثانية من الليلة السادسة من رمضان لدى العتبة الخضراء[4]، و أنا

---

۱. عثمان باشا غالب (۱۸۳۰-۱۸۹۳) كان محافظ القاهرة في ذلك الوقت و من رجال الخديو توفيق. و هوالذي قام بتنفيذ امر اعتقال الافغاني و إبعاده، و إن كان الأفغاني يعتقد أنه هو سبب طرده لضغينة شخصية.

۲. كلمة غير واضحة.

۳. محمدشريف رئيس الوزراء و قتذاك.

۴. ميدان العتبة الخضراء بالقاهرة.

آت من بيت محمود بك العطار [1]. فأخذونى بكل غلق و اضطراب إلى الضبطية، فإذا ذاك اللئيم جالس على منصة الظلم. فلما سألته عن سبب هذه الفظيعة، و علة هذه الفعلة الشنيعة تَعْتَعَ و مَجْمَجَ، فمرة قال إن العلماء لايرضون بإقامتي في مصر، و مرة قال إن قناصل الدول في وَجَلٍ منك، و مرة قال إن أفندينا ما ذاق النوم ثلاث ليال بأيامها من خوفك.

و بعد هذا الخَبْط و الخَلْط ما صبر حتى كشف عن مكنون سريرته، و جاهر بما ستره من ضغينة، و أظهر عليَّ من عتاب شريف باشا قائلا: إني تجاوزت عن اَغراقك. ولكن يجب عليك أن تذهب إلى جهنم، إمَّا من طريق بلاد العجم، و إمَّا عن بلاد الهند. و كلما طلبت تسفيري إلى الاستانة أو إلى باريس أو إلى الحجاز تَأَبّى إلّا إرسالي إلى جهنم. و طلبت إلى ذلك اللئيم أن يمهلني يومين و أنا في الضبطية، حتى أعد للسفر عدته، و أبيع ممّا أملكه ما لاينقل و أحمل معي ما يجب أن أستصحبه. فأبرز بطنه منتخبا و قال: نحن نكفيك مؤنة هذا و أنت فيالسويس. كن مطمئنا و هاهو أحمد بك (وكيل الضبطية) تكفل لك جميع ذلك.

و كل هذا كانت منه نكاية فيّ و تشفيا من غيظ ما كان له سبب سوى و هم باطل ـ ثم أرسلني ذلك النذل إلى السويس مع جمع من الضباط. و بقيت فيه يومين محبوسا محاطا بالعساكر، لاقدموا لي الطعام، ولاتركوني حتى أجلب منالسوق ـ و في آخر الوقت جاء رجل من طرف الأحمق الذي يتصرف في السويس لظلمه، و أخذ ما كان في جيبي و جيب خادمي من الدراهم والأفراش [2] و قلم الرصاص والسبحة المنديل والسكين، قائلاً إن أفندينا قد أمر بذلك. و بعد هذا الفصل الشنيع قادني إلى مراكب الظالم قَوْدَ الجمل المخشوش، فلما مثلت بين يديه قلت له بصوت... [3]: يا أيها الباشا، إن كنت مأمورا بقتلي فَلِمَ التأخير والتواني؟ و إن لم تكن مأمورا بذلك فلم منعتني عن جلب الطعام من السوق، ولا قدمت ما يقتات به من عند نفسك (في هذين اليومين بل أمرت أن تصليني جوعا)، فانكمش وجهه الصلد الوقح كأنه يستحي، و قال: ما عليَّ. أنا

---

١. احد نواب مدينة القاهرة الثلاثة في البرلمان، و كان شيخ التجار.

٢. القروش. و في النص كلمات كثيرة من هذاالنوع الذي يتصرف فيه الافغاني عند تعامله مع العربية. و مع ذلك فهو جمع صحيح على وزن افعال.

٣. كلمة غير واضحة.

مأمور و معذور. ثم فغر فاه قائلاً: أنت الان تذهب الى وابور الأركط (إن شاءالله يصير طيب. طيب) و ترسل قبل وصولك أموالك و كتبك إلى بندر كراجي أو بندر أبوشهر أو البصرة، و ترى كل خير من أفندينا إن شاءالله (هذه سياسة معوجة تركية) فقلت له إن أمرت أن ترد إلينا الأقراش التي أخذت من جيبنا حتى نقدر على النزول من الوابور الى بندر من هذه البنادر التي ذكرت. فتعبس، وتجهم، و قال رافعا صوته: أما هذه فلا يمكن. لأني أخاف أن أخالف أفندينا. فإن أفندينا قد أمر أن أسلب جميع ما عندك و عند خادمك سوى الثياب.

و جملة الأمر (أنني) قد ذهبت من مصر (بيزبال و سروال...) إلى بندر الكراجي ـ وزاد جميع هذه الآلام و المصائب تأثر النفس الذي حصل لي من خجل استولى علي وتبيغ[1] به دمي عندما تصورت أن حزب عبدالحليم باشا سيستهزئون بأفعالي، ويسخرون من محاماتي عن الخديو، و محبتي له، وقد جرى منه ما جرى، لأنهم كانوا عارفين بحقيقة الأمر ـ فأسألك الآن يا عقل مصر، و يا عدل القاهرة، بما حزت من مزايا الكمال في عميقات إدراكاتك، و دقيقات أفكارك، و بمانلت من فضيلة التمام في ساحة طهارة نفسك و ثقتها و ذرى أخلاقها الذكية و شواهق سجاياها الرحيضة، أن تسأل هنا عليّ، و قياما بواجب حق العقل، و أداء الفريضةالعدل، عن أفعالي و حركاتي مع الخديو و غيره من عبدالله باشا فكري و فخري باشا و كمال بك كاتب سر الخديو و الشريف باشا الذي بحمايته صوت فريسة للكلاب، فإن كُلًّا كان عالما بصدري و وردي، عارفا بأعمالي و أفعالي، عندما كنت في بلاد الإفرنج، ما خفيت عليهم خافية من أموري، حتى تقوم على ما أحطت به علما بنور عقلك من استقامتي و اعتدالي شواهِدُ العدل و براهين الصدق ـ فيكون حكمك في قضيتي أيها الحاكم العدل عن بيِّنة ـ ثم تدبر يا عقل مصر بنافذ بصيرتك في هذه الحكومة التي تبكي الفرح الجذبذن[2]، و تضحك الكئيب الحزنان، و تأمل بناقدإدراكك في دعائمها و القوامين على...[3] (يا ترى تدوم حكومة بهؤلاء الظلمة الجَهَلة، و تقوم دولة بأولئك العمي الصمم، ترجو أن

---

۱. تبيغ ـ بتشديد الياء: هاج و فار.
۲. الجذبذن: السعيد
۳ و ۴. كلمات غيرواضحة.

تعمر البلاد...[٣] أتظن أن (يزيد مات و الحجاج توفى)؟ إن الحجاج و تيمور قد ماتوا... جراثيم يتناسخون من صلب إلى صلب و ينتقلون من بطن إلى بطن. لا تخلق حكومة من حكومات المسلمين في هذه القرون... على منصة الجور، يأمرون بالفحشاء والمنكر و ينهون عن المعروف والبر.

و حق العدل، وعظم شأنه، لو تأمّل البصير في هذه الحكومات و ما فيها من الحيف والعسف، لرأى أن بقاءها في العالم لايكون إلالتزيد خزيا متتاليا وافتضاحا متواليا، نكالا من العدل، و خذلانا من النصفة، و قصاصا لما جنت على أنفسها من الجور والظلم...

فيا عدل القاهرة، لو نظرت بنظارة إنصافك دقائق المصيبة التي أصابتني من الحكومة المصرية، و أنا طاهر القلب نقي السريرة، بريء من كل جنحة و جناية، و رأيت بمرآة عدالتك ما تواردت عليّ لأجلك تلك الرزية من البلايا المتتابعة في الهند، لحكمت حكما عادلا أن الداهية الدهياء التي نزلت بالحكومة المصرية، و أخذت بمخنقها دون كفارتها ـ حقا أقول إن بالعدل قامت السماوات والأرض و ما بينهما، و بالجزاء قام العدل على مركزه، و على محوره استدارت رحاه ـ والذي أضحكني بعد ما أبكاني ماكتبته أضحوكة الجرائد و فهرست الأفعال السيئة و دفتر الأعمال الشنيعة، الوقائع المصرية، من أن «الحكومة الخديوية قد اطلعت على جميعية سرية رئيسها جمال‌الدين الأفغاني قد أسست على فسادالدين والدنيا».[١]

نعم، قد صدقت في قولها هذا من تكون عونا للحمق، و عضدا للخرق، فقد أفسد الأديان لادينا واحدا ـ و شكرا للعدل الذي قد أشاع بألف لسان و أضاع بألف قلم كفر من نسبني إلى إفساد الدين ـ و أما الدليل الذي أقامته من جور الدولة العلية من قبل على صحة ظلم الحكومة الخديوية من بعد فهو دليل طبيعي لايرد ولاينكر، لأن بذرالعسلوج[٢] من تلك الدوحة التي ساخت أسنانها في كثبان القسوة، لا تورق إلّا حيفا ولا تزيد إلا عَسْفا، ولاتثمر إلا خَسْفا ـ وأعجب من كل هذا و أدل أن ذلك اللئيم

---

١. يبدو انه كانه على علم بما نشره الوقائع المصرية بعد ابعاده من مصر.

٢. النبات الأخضر أو الكرم اول ما ينبت.

المعيوب أعطى كتبي و أنا حي ميراثا، سبحانه من رجل يرث كل...[1] و يا للعدل و يا للانصاف! و حقك عليَّ، إن هذا لشيء يستفرغ ماء الشئون و يقضي على العاقل بالجنون.

و بعدما، يا مولاي، تؤلم قلبك الشفيق الرحيم بعد استماع تفصيل المصيبة التي دمغتني في مصر. فالان أسألك بسماحة أخلاقك أن تعيرني سمعك، حتى أقص عليك مجملا من تفصيل ما نزل عليَّ في الهند من البلايا التي على نتائج البلية المصرية، لأنك وحدك منتهى شكواي، فأقول إني من يوم وصولي إلى بندر الكراجي كان ثاني يوم من بلوغ خبر قتل (كيوناري) قنصل الانكليز في كابل، كنت تحت الحفظ كل ساعة متهيأ لاستماع سؤال ثم جواب، و كل يوم مستعدا للذهاب من عند حاكم إلى آخر لتجدد الفحص و التمحيص، و كل شهر مشمرا للانتقال من بلد إلى بلد لاستنطاق جديد، و استماع خطاب عنيد. و كانوا يمنعون الناس من معاشرتي، و يحظرونني من لقائهم، و لكنهم ما سلبوني ولا أخذوا المنديل والسبحة من جيبي بأمر الملكة خلافا للحكومة الخديوية، إلى أن ذهب أيوب‌خان[2] الى طهران، فحينئذ اطمأنت خواطر الانكليز من طرفي، و تركوني...[3] ثقيل الظهر، كسيرالعظم، من الضنك والضيق والقلق والاضطراب، أخبط خبط عشواء، لاأعرف الضلالة من الهدى، فذهبت إلى الدكن، و أنا لا أملك نفيرا ولا فتيلا، ولا أجد لنفسي بيتاً ولا مُقيلا ـ و بينما أنا ضال عن رشدي، و حائر في قصدي، و أتأمل في‌المصائب التي تبادرت على، و أتفكر في حالي و ما يئول إليه أمري، فإذ قامت الداهية العرابية، على ساقها، واستولى الألم على الحكومة الانكليزية، واشتدت وساوسها، خوفا من وقوع الفتنة في الهند، واعتَقَدَتْ بأني مرسل من طرف عرابي باشا لتحريك المسلمين و تحريضهم، ضدالحكومة الانكليزية، فجلبتني من الدكن إلى كلكتا، واشتدت عليّ في السؤال والجواب، و كنت كل يوم متهما في تهديد تحذير. ولقد ضيقت علي مسالك الرحمة. وكلماكان صوت العرابي يزداد اعتلاء كانت الحكومة الانكليزية تزداد علي شدة، خصوصا عندما قال ذلك

---

۱. كلمة غيرواضحة.

۲. زعيم افغاني معاد للانكليز ترک بلاده في ذلک الوقت و ذهب الى ايران.

۳. كلمة غيرواضحة.

القوال المجازف: أنا أثير مسلمي الهند على الانكليز، حتى أني من شدة تضييق الحكومة و عدم إصغائها إلى ما ألقي عليها من الأجوبة، طلبت منها اضطراراً (و فرارا من البلية... إلى بلية أخرى) أن ترسلني الى الخديو، و رفعت مسألتي هذه إلى حاكم الهند، و هو وقتئذ في السّمْلة [1]، فظللت منتظرا للجواب. و ظلت الحكومة في الخطاب والعتاب الى أن إنطفت الفتنة، فأطلقتني مع مراقبة أفعالي و حركاتي، ليلا و نهارا...

فلما رأيت أن المصائب كل يوم تكشر عليَّ عن أنيابها، و أن البلايا تفتح كل ساعة بابها، تفكرت في الرزايا التي جلبتها على الغباوة والقسوة، و ترويت في أمري، و علمت أني لو أذهب إلى بلدي، و في العين قذى، و في الحلق شجى، و في الكبد أوار و في القلب نار مما أصابني، لا أجد فيه بين أهله، وكلهم مسلمون، من إذا قصصت قصتي، و كشفت عن غصتي، يئن علي، و يتوجع لي، و يأسف على مصابي، لأن المسلمين فطروا على جبْلة واحدة، و خلقوا من طينة متماثلة بلا اختلاف في الطبيعة، ولا تغاير في السجية، لا يستعظمون الضيم، ولا يستوحشون من الظلم ولا يرون الحيف فظيعا ولا العسف شنيعا... [2] فعزمت أن أذهب ـ و إن كنت صفراليدين خالي الراحتين ـ إلى بلاد فيها عقول صافية، و آذان واعية، و قلوب شفيقة، و أفئدة رفيقة، حتى أقص عليهم ما يجري على ابن آدم في المشرق. (و هذا هو سبب ذهابي الى بلاد الافرنج) [3]، و أخمدالنار الملتهبة في قلبي من هذه البلايا، وأضع حمل هذه الهموم التي انقضت ظهري. و أنا إن مُتُّ فعلى الدنيا بعدي العَفاء، و إن بقيت فلا أعدم عقلا يرفق بي، ولا أفقد عدلا يحن علي ـ و هذا هو سبب ذهابي إلى بلاد الافرنج.

و قد أرسلت يا مولاي إلى رفيع جنابكم خادمي (العارف) لقبض أموالي و كتبي التي تخلفت عني في مصر، بعد ما شردتني اليد الظالمة، و أخذ شهريتي الباقية على الحكومة، والثقة في كل هذه بعد لكم، والاعتماد على انصافكم، والشفقة و سماحة أخلاقكم أن تُظِلوا العارف بظلال شجرة رحمتكم، و تؤوده في فناء عاطفتكم إلى أن يقبض أموالي و يلحق بي في لندن.

---

۱. العاصمة الصيفية للاقليم.

۲. كلمات غيرواضحة.

۳. عبارة مشطوبة.

ثم أرجو بضراعة و استكانة، رجاء معتقد لكم، آمل لِكُلٍّ فضيلة تتباهى بها الأمم، أن تنظروا إلى تلامذتي بنظر العناية، خصوصا الشيخ محمد عبده والسيدابراهيم اللقاني. ولو صدرتْ عنهم في هذه الفتنة الشوهاء فلتة عن جهالة، فاعفوا عنهم بواسع رحمتكم، و تجاوز عن سيئاتهم بكريم أخلاقكم. ولا تؤاخذهم يا مولاي بخطيئاتهم فإنك أنت العفو الكريم، والبر الرحيم.

ولقد أرسلت مكتوبا إلى الشريف باشا و مكتوبا آخر إلى عبدالله باشا فكري، و دعوتهما إلى أداء الشهادة. والسلام.

رسالة الي:

عبدالله فكرى باشا

مولاى ان نسبتک الى هوادة فى‌الحق و انت تقدست جبلتک فطرت عليه و تخوض الغمرات اليه فقد بعت يقينى بالشک و ان توهمت فيک حيدانا من الرشد و جورا عن القصد و أنا موقن انک لازلت على‌السداد غير مفرط فقد استبدلت علمى بالجهل ولو قلت انک من‌الذين تأخذهم فى‌الحق لومة لائم و تصدهم عن‌الصدق خشية ظالم و أنت تصدع به غير و ان ولا ضجر ولو ألب الباطل الكوارث المردية و أضرى عليک الخطوب الموبقة، لكذبت نفسى، و كذبنى من يسمع مقالتى، لان العالم والجاهل والفطن والغبى كلهم قد اجمعوا على طهارة سجيتک و نقاوة سريرتک و اتفقوا على ان الفضائل حيث انت ـ والحق معک اينما كنت ـ لاتفارق المكارم ولو اضطررت ـ و انت مجبول على‌الخير، لايحوم حولک شر أبدا، ولا تصدر عنک نقيصة قصدا ـ ولاتهن فى قضاء حق، ولاتنى عن شهادة صدق، ـ و مع هذا و هذا و ذاک، انک مع علمک بواقع امرى، و عرفانک بسريرتى و سرى، أراک ما ذدت عن حق كان واجبا عليک حمايته، ولا صنت عهدا كانت عليک رعايته، و كتمت الشهادة، و انت تعلم انى ما اضمرت للخديو ولا للمصريين شرا، ولا أسررت لأحد فى خفيات ضميرى ضرا، و تركتنى و انياب النذل اللئيم عثمان باشا الضابط حتى نهشنى نهش السبع الهرم ضغينة منه على‌السيد / ابراهيم اللقانى، و اغراء من اعدائى أحزاب عبدالحليم باشا، ـ و ما هكذا الظن بک ولا المعروف من رشدک و سدادک، ـ ولا يطاوعنى لسانى، و ان كان قلبى مذعنا بعظم منزلتک فى‌الفضائل، مقرا بشرف مقامک فى‌الكمالات، ان أقول عفاالله عما سلف، الا ان تصدع بالحق، و تقيم‌الصدق، و تظهر الشهادة، ازاحة للشبهة، و ادحاضا للباطل، و اخزاء للشر و أهله، و أظنک قد فعلت اداء لفريضة الحق والعدل ـ

ثم انی یا مولای اذهب الآن الی لندن، و منها الی باریس، مسلما علیکم و داعیا لکم، ـ و ارسلت (العارف)* الی صاحب‌الدولة ریاض باشا لقبض أموالی و کتبی التی بقیت فی مصر، و أرسلت الی جنابه مکتوبا أظهرت فیه تفصیل ما جری علی فی مصر، و ما ابتلیت به فی‌البلاد الهندیة ـ و ارجو من عمیم فضلك و واسع کرمک ان تنظر الی (العارف) بنظر العنایة، و ان تساعده فی‌الامر الذی ارسل لاجله،

والسلام علیکم و علی أخی الفاضل البار أمین بک.

۸ الصفر سنة ۱۳۰۰ (سنة ۱۸۸۳ م)

جمال‌الدین الافغانی

---

* هو العارف، ابو تراب

الرسالة الاولى*

مولای،

أنت الحق، و أنت مع الحق أينما كان، لاتحيد عن الرشد، ولاتميد عن السداد، ولاتتهاون في فريضة العدل، ولاتقصر في واجبات كمال النفس و طهارتها. و تصدع بالصدق، و تقول الحق، لاتأخذك فيه لومة لائم، ولاتلويك عنه معيبة ظالم، ولاتسدك خشية غاشم. ولاتكتم الشهادة خوفا من الجائرين واسترضاء للخائنين ـ و أنت كنت تعلم حقيقة مجلسنا و أساسه، و سبب وقوع الفساد فيه. ما خفي عليك شيء. و كنت عارفاً بواقع أمري، مطلعا على سريرتي و سري ـ فكيف صبرت، مع كونك مجبولا على الحق، مقسورا على حمايته، أن ينسب إلى عثمان باشا[1] الضابط ما نسب من الأكاذيب و الافتعالات. و قال إفتراء و كذبا أني كنت رئيسا على مجمع قد وضع أساسه على فساد الدين والدنيا، حتى أذعن الخديو بغير روية إلى قوله فأمر بنفيي بأشنع صورة.

ـ أمثلك يهاب أن يقول الحق، و يخشى أن يصدع بالصدق؟

ـ أمثلك يكتم الشهادة؟ أمثلك يرى الظلم، و يتهاون في دفعه، و يتقاصر في دفعه، حاشاك، حاشاك، ما هكذا الظن بك. ولكن...

ـ ثم يا مولاي أرسلت (العارف) الى صاحب الدولة رياض باشا لقبض أموالي و كتبي التي بقيت في مصر، فأرجو رجاء من يعتقد أنك أمل لكلٍّ أن تنظر إليه بنظر عنايتك كما هو من سجيتك و عادتك ـ و أنا الان في القنال أذهب إلى لندن، و منها إلى باريس. مسلما عليك سلام المشتاق إليكم.

---

* يحتمل ان تكون الرسالة موجهة الى محمد شريف باشا، رئيس الوزراء المصرى

١. عثمان باشا غالب مدير الأمن في ذلك الوقت الذي اعتقد الافغاني انه اوعز الى الخديو بطرده.

المسودة الثانيه*

مولاى،

المدح إبانة مكتوم. والوصف إظهار خلق غير معلوم. و أنت بكل فضيلة موصوف، و بكل مكرمة معروف، فلا أكدح في ثنائك، ولا أدأب في مدحك. كيف، و قد وقف دون مقامك منطق الفصحاء - و إنما أقول انك في القطر المصري أمان لكل البرايا. و بكِ قامت فيه دعائم العدل و أساطين النصفة. تحب كل خير بجبلتك و تسعى إليه، ولا يأتي منك الشر و إن أجبرت عيه. وليس في عدلك و نصفتك أدمان، وليس لك من الظالمين أخذان. و أنت الفرد الذي لاترضى بالظلم أينما حلَّ، و تأبى الجور والأجل والأقل. ولكن مهما أنت فيه يا مولاي و عليه من حب الإنصاف و بغض الحيف والاعتساف، قد سطا علي في زمان عدلك الظلم بسيفه، و أراق العدوان دمي، وليس لي ناصر ولامعين. يا للعدل، و يا للانصاف، أهكذا يفعل بالبريء في بلد أنت الرئيس عليه. لا، لا و حقك، إن هذا ليس من النصفة في شيء. إن عدلك، يا مولاي، نهر عثمان باشا حماية عن الحق، و نهاه عن التهمة والافتراء و التجني على هذا المسكين البريء[1]. ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر، فاختلق أقوالا، وافتعل أكاذيب، و بلغها سمع الخديو. والخديو بلاتدبر و رَويَّة، ولا إجالة فكرة، أمر بطردي من الديار المصرية[2]. بأشنع وجه و أقبح صورة، ظلما و عدوانا. فإن أنت يا مولاي بعدلك لا تأخذ ثأر الحق من ذاك الخبيث المفتري، مع علمك بأني كنت بريئا من تلك

---

* يظهر من سياق الرسالة انها موجهة الى شريف باشا.

١. هناك عبارة في هامش المسودة موازية لهذه العبارة. و نصها: «و حقك، إن الرجيم لايطيق أن يسمع كيفية طردي و معاملة عثمان باشا معي».

٢. تلي هذه العبارة عبارة مشطوبة، هي: «ظلما و عدوانا».

التقولات التي نَسَبها إلى، كذبا و افتراء، خصوصا بعد ما اغتاظ من زجرك إياه، فما أديت فريضة عدلك، ولا قضيت حق نصفتك ـ و حاشاك أن تكون متهاونا في الحق، متقاصرا في العدل ـ

المسودة الثالثه*

مولاى،

المدح إبانة خلة كريمة مكتومة، والوصف إظهار خليقة غيرمعلومة. و أنت بكل فضيلة موصوف، و بكل مكرمة معروف. فلا أكدح في ثنائك، ولا أدأب في مدحك. كيف، وقد وقف في مقامك منطق الفصحاء. و إنما أقول أنك في القطر المصري لكل البرية أمان، و بك قامت دعامة الحرية، تحب كل خير بجبلتك، و تسعى اليه، وليس لك من الظالمين أخدان. و أنت الفرد الذي لاترضى بالظلم أينما حل، و تأبى الجور الأقل و الأجل. ولكن، مع ما أنت فيه يا مولاي و عليه من حب الإنصاف، و بغض الحيف والاعتساف ـ أنت الذي بِعدلك و ترتني، و أنت الذي قتلتني نصفتك[1]...

إن عدلك نهر عثمان باشا حماية عني ـ و نهاه و زجره عن تهمتي ـ ولكن أبت النفس الخبيثة إلا الشر، فاختلق أقوالا، و افتعل أكاذيب، و بلغها سمع الخديو ـ والخديو بلا روية، ولا إجالة فكرة، أمر بطردي من الديار المصرية ظلما و جورا ـ فإن، أنت يا مولاي بعدلك لا تأخذ ثاري، مع علمك بأني كنت بريئا من كل تلك التقولات التي نسبها إلي عثمان باشا، خصوصا بعد ما اغتاظ من زجرك إياه، فما أديت فريضة عدلك، و ما قضيت حق نصفتك ـ و حاشاك أن تكون متهاونا في الحق، متقاصرا في العدل.

ـ ثم يا مولاي، ها أنا ذا اليوم في القنال أذهب، صفر اليدين، إلى لندن، و منها إلى

---

* مسودة منقحه، للرسالة السابقه و فيها كثير من الشطب و التعديل...

١. كلمة غيرواضحة.

باریس. و أرسلت خادمي (العارف) إلى جنابكم، جناب الرحمة والعدل، و إلى صاحب الدولة رياض، لقبض أموالي و كتبي و شهريتي التي بقيت علىالحكومة. والثقة بكم و به، والاعتماد عليكم و عليه ـ ولاتنس يا مولاي أني مقتول بسيف حمايتك. ولا تَذْهَل عن فضلك و عدلك.

والسلام

هامش:

ولاتنسی يا مولاي أن ديتي عليك، لأن ذاک الخبيث ما قتلني بسيف عدوانه إلا لأجل حمايت عني و زجرک إياه.

رسالة الى:

فاضل

من مسكوف

٢١ يوليو

أيها الفاضل النجيب،

بعد السلام عليک و على معوانک الحاج محمدابراهيم، و علی الحافين حولک، القائمين بخدمتک بصدق و خلوص ـ إن کتابک الظريف قد وصل. و سررت بما شف عنه من صفاء القلب و نزاهة السجايا ـ وزاد فرحي ما أخبرني به ميرزا نعمةالله من قيامک بإدارة أشغال التجارة و ترتيب المعاملة، و حل مصاعبها، والنظر في دقائق نکاتها، کأنک خلقت لها، و صرفت عمرا طويلا في إصلاحها ـ هکذا أملي فيک و رجائي منک ـ بارک‌الله عليک

ـ و أنا في مدينة مسکوف. و بعد أيام أذهب إلى (بطرسبورغ). و إن جناب الوالد في مدينة باريس ـ و بلغ سلامي و احتراماتي إلى والد المحترمة.

والسلام

جمال‌الدين الحسيني

حبيبي الفاضل

۳۰ افرنجي

۵ شعبان

جاءني منك كتاب سلك فيه المسلك القديم ـ كأنك أخذت على نفسك أن لاتغير عادة ولا تبدل مشربا ـ أفما كان عليك أن تبث فيه خطرات قلبك، و تنوعات حالات نفسك. و تحولات قوى عقلك، حتى يكون كتابك مرآة تحاكي ما تمثلت به في طيِّ قناطر الحوادث التي طرأت عليك في مدارج السن ـ أفما كان عليك أن تبسط ما ترى عليه عالم دهرك بعد رشدك ـ بعد تغير نظرك ـ بعد ما رأيت من الناس ماكان مخفيا عليك من قبل

ـ و كيف ذهلت عن بيان أفكار ساكنيك في موطنك ـ ولم صمتَّ عن ذكر وقائع الدهر و حوادث الزمان ـ و أنا كنت أعلمك طرز تحرير الوقائع ليوم كهذا ـ ولابد أن تكتب إلي بعد مفصلا، مشبعا، تبين فيه ما أنت عليه و ما عليه عالم دهرك. و تسلم على والدتك المحترمة.

والسلام

جمال الدين الحسيني

رسالة الی:

محمد المويلحي

حبيبى الفاضل

تقلبك فی شؤون الکمال يشرح الصدور الحرجة من حسرتها و خوضک فی فنون الآداب يريح قلوباً علقّت بک آمالها و ليس بعد الأرهاص[1] إلّا الأعجاز ذلک يومئذ التحدّی و لقد تمثلت اللطيفة الموسوية في مصر کرة أخری و هذا توفيق من الله تعالی، فاشدد أزرها و أبرم بما أوتيت من الکياسة و الحذق أمرها حتی تکون کلمة الحق هی العليا.

ولاتکن کالذّين غرَّتهم أنفسهم بباطل أهوائها و ساقتهم الظنون إلی مهواة شقائها، و حسبوا أنهم يحسنون صنعا و يصلحون أمرا. و کن عونا للحق ولو علی نفسک ولا تقف فی سيرک إلی الفضائل عند عُجْبک. لانهاية للفضيلة، ولاحدّ للکمال، ولا مُوقف للعرفان، و أنت بغريزتک السامية أولی بها من غيرک والسلام.

جمال الدين الحسينی الافغانی

۱۹ ربيع الثانی[2]

---

۱. الارهاص. الخالق يظهر من النبی قبل البحثة.

۲. الرسالة ارسلها السيد الی «محمد المويلحی» مؤلف کتاب: «حديث عيسی بن هشام» و کان قد بعث اليه الکتاب ليطلع عليه... والسيد اراد من الرسالة، تشجيع المؤلف لاستمرار الموقف و نشره للأدب المفيد، لما فیالکتاب من النصائح الغاليه و العظات النفيسه... (خ).

رسالة الى محرر جريدة التجارة المصرية:

اديب اسحق

جناب الأجلّ المحترم

لقد اطلعت في بعض الجرائد التي تطبع في القطر المصري على نبذ تتعلق بأمر زيارتي لجناب المحترم الموسيو تريكو قنصل دولة فرنسا الفخيمة، و جنرالها في مصر. فرأيت أن أكتب العبارة الاتية بيانا للحقيقة، و إصلاحا لما وقع من الشطط في تلك النبذ، راجيا من حضرتكم نشرها في جريدتكم الوضيئة. و هي:

إن المصريين عموما، و الحزب الحر خصوصا، الذي من ضمنه جماعة الماسون من أبناء الوطن، قدكانوا غير راضين عن هيئة حكومتهم السابقة. و كانت جميع أمانيهم حصر الخلافة الخديوية في سمو ولي العهد. ولأجل إيضاح هذه الأماني التي من شأنها أن تولي الشرف لكل وطني حقيقي، قدكلفت بالذهاب إلى سعادة الجنرال المشار إليه. فأبنتها له، صريحة بدون مواربة. على أني الان مع مستنيبي نعلم أننا نأخذ على أنفسنا تبعة ما قمت به من بيان تلك الأماني لدى سعادة الجنرال.

ثم إنه تبين، مما تقدم، أنني لم أذكر قط المحافل على وجه العموم، ولا خصصت واحداً منها بالذكر، ولا ادعيت النيابة عنها مطلقا.

هذا، و من المعلوم أن سياستنا الداخلية، من حيث هي لاتهم الأجانب، ولا من انتمى إليهم، فلا توجه الخطاب إليهم. و أما الوطنيون فمن كانوا مشاركين لنا في أمانينا التي أبنّاها، فليس لهم أن ينتقدوا علينا فيما فعلنا. و من كانوا منهم معارضين لنا فيها، و متخذين سياسة مخالفة لسياستنا فهم أحرار في أفكارهم. إنما يلزمنا أن نحسبهم حزبا مقاوما للهيئة الوطنية القانونية الرسمية. فعلى الحكومة حينئذ أن تراقب حركاتهم و سكناتهم، حفظا للراحة العمومية، و سدا للخلل.

و على الله الاتكال في الحال والاستقبال.

جمال الدين

رسالة الى محرر جريدة البصير:

خليل غانم

سيدى الخليل، بما فطر عليه من العقل الغريزي الذي دلت عليه عقائل أفكاره، و أنبأت دقائق أفكاره عن فسيح مجاله وسعة مضماره، كان الواجب عليه قبل الخوض في أحوال الشرق والسلوك في بيداء سياسته، و هتك الستر عن قبائح رعاته و شنائع ساسته، أن ينظر ببصيرته الوقادة الى ما أَلَمَّ بالشرقيين من البلايا، و ما أحاط بهم من الرزايا، فإنهم لتفريطهم في إصلاح شئونهم من قبل قد أشرفوا على الهلاك، وصاروا بعجزهم عن صيانة حقوقهم غرضا لكل نابل، و طمعة لكل آكل، تستملك الأباعد بلادهم و تستعبد رجالهم، و تستلب أموالهم.

لاريب أن الأمة الخاضعة للأجانب لايمكنها العروج الى مدارج الكمال التي لاتنال إلا بهمّة عالية تأبى العبودية، ولانجاة لهم من هذه المصيبة التي تقهر النفوس، و توجب الذّل و الخمول، إلا بالتفافهم تحت راية واحدة علىالذود عن حقوقهم، من دون ملاحظة الاختلاف في الجنسية، لأنهم بتقارب أخلاقهم، و تلاؤم عاداتهم، و توافق أفكارهم، صاروا كأنهم جنس واحد، و إن اختلفت لغاتهم. فخضوع بعضهم لبعض مع تناسب طبائعهم لايبعث علىالذل والاستكانة، ولايزيل النخوة التي هي الداعية الى كل فضيلة وكمال، و اذا تفرقت كلمتهم، و تشتت قوتهم، لايمكنهم الخلاص من مخالب الذين ينتهزون الفرصة لاسترقاقهم، فيجب على كل شرقي دفعا لهذه النازلة، وصيانة لأمته عن ذل العبودية، أن يسعى جمعا للكلمة في تشييد مباني الحكومات الباقية في الشرق، فإن الأجانب ما وضعوا أيديهم على بلد إلا عاملوا أهله معاملة الآلة.

ولهذا يمكنني أن أقول إن سيدي الخليل في مقالاته التي حررها إنهاضاً لهمم الأمة العربية، و إن كان ما أراد منها إلّا خير أبناء جنسه، قد حاد عن صراط السياسة القومية

بتعرضه للدولة العثمانية، و كان عليه أن يفقه أن هذه الدولة في هذه الأيام، بمنزلة نظام لأجناس مختلفة من الشرقيين يحفظها عن‌التفرق و الضياع، و يمكن كل جنس منها أن يسعى رويداً رويدا في إصلاح شئونه و يرتقي الى مدارج عزه، على حَسْب كده وجده. و اذا انقطع هذا النظام و تفرقت الكلمة، و تشتت الجمع، و استقلت كل طائفة بأمرها، فإنها لاتستطيع وقتئذ صون نفسها عن تطاول الأجانب، ولاتطيق مقاومة الأباعد الذين لايريدون إلا استعبادهم، فيصبح كل هذه الأجناس عبيداً أذلاء لايملكون من أمر أنفسهم شيئا، فلا ينتظر لهم إذاً كمال، ولا يرجى لهم فلاح أبدا، و ربما اضمحلت جنسيتهم التي نيطت ببقاء لغتهم. و هذا هوالموت الذي لابعث بعده ما دامت الأرض دائرة.

ولا شك أن سيدي الخليل لولمح ببصره لرآني محقا في مقالتي هذه، و رجائي منه بعدالاغماض عما جرى به قلمي أن يتخذ لكبح شَرّه الأجانب اتفاق كلمة العثمانيين مسلكاً لجريدته الغراء، و يبني خدمته لعموم الشرق على أساس سياسته، لازال هادياً للعباد إلى سبيل الرشاد.

جمال‌الدين الافغاني

رسالة الى:

بلنت

باريس فى ١٢ مايو ١٨٨٥

بعدالتحيات،

أعرفك بأني لست وحدى الشاكر لجهودك المرموقة التى أجبرت الحكومة (الانجليزية) على اجلاء قواتها عن السودان. بل أؤكد لك أن جميع المسلمين، ولا سيما العرب، سيشكرونك على صنيعك هذا أبدالدهر، و سينقشون اسمك على لوحات مرصعة بالأحجار الكريمة و ألقاب المجد والشرف لقاء حماسك و شجاعتك.

غير أن ثمة شيئا واحدا مازال عليك أن تصنعه، و هو أن تقول للحكومة: كيف تتركون هذا البلد (السودان) هكذا دون معاهدة مع المهدى، و على من ستقع تبعة صد هجمات المهدى؟ كيف يمكن للحكومة أيضا أن تدع طرق التجارة مغلقة؟ أم هى تريد القضاء على التجارة؟ أليس من الواجب على الحكومة حين تقرر الجلاء عن السودان أن ترسل رجلا مسلما موثوقا فيه الى المهدى حتى يتباحث معه فى أمر التوصل الى صلح يحمى مصر من هجماته و يغلق أبواب النزاع و يعيد فتح ابواب التجارة.

أعتقد أن هذه المسألة لو عرضت على البرلمان لاجتمع الرأى بالموافقة عليها.

و أرى أيضا أن هذا أمر ميسور، حتى بغض النظر عما تقوم به، فحين ينتهى حساب المسألة لن يحتاج منكم الا إكمالها. ولكن لا يمكن الوصول الى خاتمة نهائية للموقف كله بدون معاهدة صلح مع المهدى.

هذا ما رأيت من الضرورى أن أذكره اليك

مع تحياتى اليك و الى حرمك

صديقك

جمال الدين الحسينى الأفغانى



پنج نامه

-(عربی)-

خطاب به:

بزرگان علماء شیعه



مكتوب من البصرة الى السامرة:

الحاج ميرزا محمدحسن الشيرازى
حبرالأمة، النيابة العظمى، عن الحجةالكبرى

بسم‌الله الرحمن الرحيم

حقًا أقول: ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية أينما وجدت، و حيثما حلت، و ضراعة تعرضها الأمة على نفوس زاكية تحققت بها و قامت بواجب شؤونها كيفما نشأت، و في أي قطر نبغت، الا وهم العلماء فاحببت عرضه على الكل و ان كان عنوانه خاصاً،

حبرالأمة، و بارقة أنوار الأئمة، دعامة عرش الدين، واللسان الناطق عن الشرع المبين، جناب الحاج الميرزا محمدحسن الشيرازي صان‌الله به حوزة الاسلام، ورد كيدالزنادقة اللئام،

لقد خصك‌الله بالنيابةالعظمى، عن الحجةالكبرى، واختارك من العصابة الحقة، وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة باشريعة الغراء، و حراسة حقوقها بها، و صيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها، و أحال اليك من بين الأنام (و انت وارث الانبياء) مهام امور تسعد بهاالملة في دارهاالدنيا، و تحظى بالعقبى، و وضع لك أريكة الرئاسة العامة على الافئدة والنهى، اقامة لدعامة العدل و انارة لمحجة الهدى، و كتب عليك بما أولاك من السيادة خلقه حفظ الحوزة والدود عنها والشهادة دونها على سنن من مضى،

و ان الأمة قاصيها و دانيها، و حاضرها و باديها، و وضيعها و عاليها، قد أذعنت لك بهذه الرئاسةالسامية الربانية، جاثية على‌الركب، خارّة على الاذقان، تطمح نفوسها اليك فى كل حادثة تعروها، تطلّ بصائرها عليك في كل مصيبة تمسها، و هي تري ان خيرها و سعدها منك، و ان فوزها و نجاتها بك، و ان أمنها و أمانيها فيك،

فاذا لمح منک غض طرف، أو نیت[1] بجانبک لحظة، و أمهلتها و شأنـها لمـحة، ارتجفت أفئدتها، و اختلت مشاعرها، و انتکثت عقائدها، و انهدمت دعائم ایمانها، نعم لابرهان للعامة فیما دانوا، الا استقامة الخاصة فیما أمروا، فان وهن هؤلاء في فریضة، أو قعد بهم الضعف عن اماطة منکر، لاعتورا أولئک الظنون والاوهام، و نکص کل علی عقبیه مارقا من‌الدین القویم، حائدا عن‌الصراط المستقیم،

و بعد هذا و ذاک أقول ان الأمة الایرانیة بما دهمها من عراقیل الحوادث التي آذنت باستیلاء الاضلال علی بیت‌الدین، و تطاول الأجانب علی حقوق المسلمین، و وجوم الحجة الحق (ایاک أعني) عن‌القیام بناصرها و هو حامل‌الامانة، والمسؤول عنها یوم‌القیامة، قد طارت نفوسها شعاعاً، و طاشت عقولها، و تاهت أفکارها و وقفت موقف الحیرة (و هي بین انکار و اذعان و حجود و ایقان) لاتهتدي سبیلا و هامت في بیداء الهواجس، في عتمة الوساوس، ظالة عن رشدها لاتجد الیه دلیلا و أخذ القنوط بمجامع قلوبها، و سد دونها أبواب رجائها، و کادت ان تـختار إیـاساً مـنها الضـلالة علی‌الهدی، و تعرض عن محجة الحـق و تـتبع الهـوی، و ان آحـاد الأُمـة لایـزالون یتساءلون شاخصة أبصارهم عن أسباب قضت عـلی حـجة الاسـلام (ایـاک أعـني) بالسبات والسکوت، و حتم علیه ان یطوي الکشـح عـن إقـامة‌الدیـن عـلی أسـاطینة، واضطره الی ترک الشریعة و أهلها، الی أیدي زنادقة یـلعبون بـها کـیفما یـریدون، و یحکمون فیها بما یشاؤن، حتی ان جماعة من الضعفاء زعموا أن قد کذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء، و حسبواالامر أحبولة الحاذق، و أسطورة‌المذق، و ذلک لانها تری (و هوالواقع) ان لک الکلمة الجامعة، والحجة‌الساطعة، و ان أمرک في‌الکـل نـافذ، ولیس لحکمک في‌الامة منابذ، و انک لو أردت تجمع آحاد الامة بکلمة منک (و هي کلمة تنبثق من کیان‌الحق الی صدور أهله) فترهب بها عدوالله وعدوهم، و تکف عنهم شر الزنادقة، و تزیح ماحاق بهم من‌العنت و الشقاء، و تنشلهم من ضنک العیش الی ماهو أرغدوأهنی، فیصیرالدین بأهله منیعا حریزا، والاسلام بحجته رفـیع المـقام عزیزا،

---

۱. النیت هو التمایل من ضعف.

هذا هوالحق، انک رأس العصابةالحقة[1]، و انک الروح الساري في آحادالأمة، فلا يقوم لهم قائم الابک، ولاتجتمع كلمنهم الاعليک، لوقمت بالحق نهضوا جميعاً و لهم الكلمة العليا، ولو قعدت لثبطوا، و صارت كلمتهم هيالسفلى، ولربما كان هذاالسير والدوران حينما غض حبرالأمة طرفه عن شؤونهم، و تركهم هملا بلاراع، و همجاً بلا رادع ولا داع، يقيم لهم عذرا فيما ارتابوا. خصوصاً لمارأوا أن حجةالاسلام قدونى فيما أطبقت الامة خاصتها و عامتها على وجوبه، و أجمعت على حظر الاتقاء فيه[2] خشية لغوبه، الا و هو حفظ حوزةالاسلام الذى به بعدالصيت و حسنالذكر والشرف الدائم و السعادةالتامة. و من يكون أليق بهذه و أحرى بهاممن اصطفاهالله فيالقرن الرابع عشر، و جعله برهانا لدينه و حجة علىالبشر.

أيهاالحبرالأعظم، ان الملک قدوهنت مريرته، فساءت سيرته، و ضعفت مشاعره فقبحت سريرته، و عجز عن سياسةالبلاد، و ادارة مصالحالعباد، فجعل زمام الامور كليها و جزئيها بيد زنديق أثيم، غشوم ثم بعد ذلک زنيم. يسب الانبياء فيالمحاضر جهرا، ولايذعن لشريعةالله أمرا، ولايرى لرؤساءالدين و قرا، يشتم العلماء، و يقذف الاتقياء، و يهينالسادة الكرام، و يعامل الوعاظ معاملة اللئام، و انه بعد رجوعه منالبلاد الافرنجية قد خلعالعذار، و تجاهر بشربالعقار، و موالاة الكفار، و معاداة الأبرار، هذه هي أفعاله الخاصة في نفسه.، ثم انه باع الجزء الأعظم منالبلاد الايرانية و منافعها لأعداءالدين ـ المعادن، والسبل الموصلة اليها، والطرق الجامعة بينها و بين تخوم البلاد، والخانات التي تبنى على جوانب تلک المسالک الشاسعة التي تتشعب الى جميع ارجاء المملكة و ما يحيط بها من البساتين والحقول... نهرالكارون والفنادق التي تنشأ على ضفتيه الى المنبع و مايستتبعها منالجنائن والمروج... والجادة منالاهواز لى طهران و ما على أطرافها منالعمارات والفنادق والبساتين والحقول... والتنباک ما يتبعه من المراكز و محلات الحرث و بيوت المستحفظين و الحاملين و البائعين اني وجد و حيث نبت، و حكرالعنب للخمور و ماتستلزمه من الحوانيت والمعامل والمصانع في جميع

---

۱. الحقةالثابتة القوية والمراد طائفة العلماء، لاسيما المجتهدين منهم.

۲. التقّية

أقطارالبلاد، والصابون والشمع والسكر و لوازمها من‌المعامل، والبنک و ما أدراک ما البنک هو اعطاء زمام‌الأهالي كلية بيد عدو الاسلام و استرقاقه لهم و استملاكه اياهم و تسليمهم له بالرئاسة والسلطان.

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي العامة بواهي برهانه فحبق قائلا ان هذه معاهدات زمانية، و مقاولات وقتية، لاتطول مدتها أزيد من مائة سنة!! يالله من هذاالبرهان الذی سوله خرق‌الخائنين، و عرض الجزء الباقي على الدولة الروسية حقاً لسكوتها (لو سكتت) مرداب رشت و أنهر الطبرستان والجادة من أنزلی الی الخراسان و ما يتعلق بها من‌الدور والفنادق والحقول... ولكن الدولة الروسية شمخت بأنفها و أعرضت عن قبول تلک‌الهدية، و هي عازمة على استملاک الخراسان والاستيلاء على الاذربيجان والمازندران ان لم تنحل هذه المعاهدات ولم تنفسخ هذه‌المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاک العدوّ الالد، هذه هي النتيجة الاولى لسياسة هذا الاخرق.

و بالجملة ان هذا المجرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على‌الدول ببيع المزاد، و انه يبيع ممالک الاسلام و دور محمد و آله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لخسة طبعه و دناءة فطرته لايبيعها الا بقيمة زهيدة و دراهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت اللئامة والشره بالخيانة والسفه)

وانک أيها الحجة ان لم تقم بنصر هذه‌الأمة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرع من يد هذاالأثيم لاصبحت حوزةالاسلام تحت سلطة الأجانب (يحكمون فيها بما يشاؤن و يفعلون ما يريدون)، و اذا فاتتک هذه‌الفرصة أيها الحبر و وقع الامر و أنت حي لما أبقيت ذكرا جميلا بعدک في صحيفةالعالم و أوراق التواريخ... و أنت تعلم أن علماء الايران كافة والعامة بأجمعهم ينتظرون منک (و قد حرجت صدورهم و ضاقت قلوبهم) كلمة واحدة و يرون سعادتهم بها و نجاتهم فيها... و من خصه‌الله بقوة كهذه كيف يسوغ أن يفرط فيها و يتركها سدى،

ثم أقول للحجة قول خبير بصير، ان الدولة العثمانية لتبجح بنهضتک على هذا الامر و تساعدک عليه لانها تعلم أن مداخلة الافرنج في‌الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها

تجلب الضرر الى بلادها لامحالة، و ان وزراءالايران و أمراءها كلهم يبتهجون بكلمة تنبص بها في هذا الشأن لانهم بأجمعهم يعافون هذه المستحدثات طبعاً، و يسخطون من هذه المقاولات جبلة، و يجدون بنهضتك مجالا لابطالها، و فرصة لكف شرالشره الذى رضى بها و قضى عليها.

ثم ان العلماء و ان كان كلٌّ صدع بالحق و جبه هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن ردعهم الزور و زجرهم عن الخيانة و نهرهم المجرمين ما قرت كسلسلة المعدات قرارا، ولاجمعتها وحدة المقصد في زمان واحد.

و هؤلاء لتماثلهم فى مدارج العلوم و تشاكلهم في الرئاسة و تساويهم في الرتب غالباً عندالعامة لاينجذب بعضهم الى بعض ولايصير أحد منهم لصقاً للآخر ولا يقع بينهم تأثير الجذب و تأثرالانجذاب حتى نتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفعالشر و صيانة الحوزة. كل يدور على محوره، و كل يردع الزور و هو في مركزه، (هذا هو سببالضعف عنالمقاومة و هذا هو سبب قوة المنكر و البغي).

و أنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت منالدرجة السامية والمنزلة الرفيعة علة فعالة في نفوسهم، و قوة جامعة لقلوبهم، و بك تنضم القوى المتفرقة الشاردة، و تلتئم القدر المنشتتة الشاذة، و ان كلمة منك تأتي بوحدانية تامة يحق لها أن تدفع الشر المحدق بالبلاد، و تحفظ حوزةالدين و تصون بيضةالاسلام... فالكل منك و بك و اليك... و أنت المسؤول عنالكل عندالله و عندالناس.

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عنالدين و حوزته قد قاسوا من ذاك العتلّ شدائد ماسبق منذ قرون لها مثيل، و تحملوا لصيانة بلادالمسلمين عنالضياع و حفظ حقوقهم عنالتلف كل هوان و كل صغار و كل فضيحة.

ولاشك أن حبرالامة قد سمع ما فعله أدلاء الكفر و أعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيضالله الدربندى و ستسمع قريباً ما صنعه الجفاة الطغاة بالعالم المجتهد التقي البار الحاج السيد على أكبر الشيرازي و ستحيط علما بما فعله بحماةالملة والامة من قتل و ضرب و كيّ و حبس. و من جملتهم الشاب الصالح الميرزا محمدرضا الكرماني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج

سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاريب النجيب الميرزا محمدعلي‌خان والفاضل المتقين اعتمادالسلطنه و غيرهم.

و أما قصتي، و ما فعله ذاك‌الكنود الظلوم معي، فممّا يفتت أكباد أهل الايمان، و يقطع قلوب ذوي الايقان، و يقضي بالدهشة على أهل الكفر و عبادالاوثان، ان ذاك اللئيم أمر بسحبي و أنا متحصن بحضرة عبدالعظيم عليه‌السلام في شدة المرض على‌الثلج الى دارالحكومة بهوان و صغار و فضيحة لايمكن أن يتصور دونها في الشناعة (هذاكله بعد النهب و الغاره) «انالله و انا اليه راجعون»

ثم حملني زبانيته الاوغاد و أنا مريض على برذون مسلسلا في فصل الشتاء و تراكم الثلوج والرياح الزمهريرية و ساقتني جحفلة من الفرسان الى خانقين و صحبني جمع من‌الشرط... ولقدكانب الوالي من قبل والتمس منه أن يبعدني الى البصرة علما منه أنه لو تركني و نفسي لاتيتك أيها الحبر و بثث لك شأنه و شأن الامة و شرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق، و دعوتك أيها الحجة الى عون‌الدين، و حملتك على إغاثة المسلمين،... وكان على يقين اني لو اجتمعت بك لايمكنه ان يبقي على دست وزارته المؤسسة على خراب البلاد، و هلاك العباد، و اعلاء كلمة‌الكفر...

و مما زاده لوءماً على لوءمه و دناءة على دناءته أنه دفعا لثورة العامة و تسكيناً لهياج الناس نسب تلك العصابة التي ساقتها غيرةالدين و حمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام و حقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البابية...كما أشاع بين‌الناس أولاً (قطع‌الله لسانه) أني كنت غير مختون (وا إسلاماه) ما هذا الضعف؟ ما هذا الوهن؟ كيف أمكن أن صعلوكاً دني النسب، و وغدا خسيس الحسب، قدران يبيع‌المسلمين و بلادهم بثمن بخس دراهم معدودة و يزدري بالعلماء و يهين‌السلالة المصطفوية و يبهت‌السادة المرتضوية البهتان العظيم، ولايد قادرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء الغيظ المؤمنين، و انتقامالآل سيدالمرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام.

ثم لمارأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرةالعالية أمسكت عن بث الشكوى... و لما قدم‌العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر الى البصرة طلب مني ان اكتب الى

الحبر الاعظم کتاباً أبث فيه هذه الغوائل والحوادث والکوارث فبادرت اليه امتثالاً، و علمت أن‌الله تعالی سيحدث بيدک أمر، والسلام عليکم و رحمة‌الله و برکاته

السيد الحسيني [۱]

۱. تاريخ الاستاذ الامام، الشيخ محمدعبده تأليف: محمد رشيد رضا، ج ۱، ص ۶۲ـ۵۶. ط القاهره.

(يقول محمد رشيد): إن هذا الکتاب نفخ روح‌الحماسة والغيرة في ذلک العالم العظيم صاحب‌النفوذ الروحي في‌الامة الفارسية فأفتي بحرمة استعمال التنباک و زراعته و اذاع‌العلماء فتواه بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتی قيل ان الشاه طلب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوی الی طهران المارجيله (الشيشة) فقيل له انه ليس في‌القصر تنباک لاننا اتلفناه فسأل عن‌السبب مبهوتا فقيل له: فتوی حجة‌الاسلام!.فقال لم‌لم تستأذنوني؟ قيل انها مسألة دينية لاحاجة فيها الی الاستئذان!! واضطر بعد ذلک الی ترضية‌الشرکة الانکليزية علی أن تأخذ نصف مليون جنيه و تبطل الامتياز. و بهذا انقذ السيد جمال‌الدين بلاد ايران من احتلال الانکليز لها بابطال مقدمته و هو ذلک الامتياز أو الامتيازات التي قرأت شرحها فی کتابه فهکذا تکون الرجال و هکذا تکون‌العلماء

هکـــذا هکـــذا او الا فـــلا لا　　　ليس کـــل الرجـــال تـدعي رجـــالا

و قد ظهر الان تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس اتم‌الظهور بما کان قلب نظام الحکومة و تحويلها عن الاستبداد المطلق الی الشوری. ولعل تلک الحادثه هي المنبه الاول للعلماء الی ان الامر في ايديهم. فالسيد جمال‌الدين علي هذا هو العامل الاول في هذا الانقلاب کما أنه سبب الانقلاب الذي حدث في مصر فان عمل جمعيته کان اول سعي في مقاومة سلطة اسماعيل باشا و تقويضها و في نفخ روح الاصلاح في توفيق باشا حتی واثق السيد و خاصته بأنه اذا آل الامر اليه ليوسسنّ مجلس نواب وليعملن وليعملن. ولکن تداخل الجند في‌السياسة أفسدالعمل بعد ذلک

ولم يکن نجاح العلماء بسعيه و ارشاده في ابطال تداخل الاجانب في بلاد فارس هو المنبه وحده لکون سلطة‌العلماء والامة فوق سلطة الملوک بل کان تمام التنبيه قتل‌الشاه بعد ذلک و ما قيل من ان قاتله من اتباع السيد جمال‌الدين

لم يکتف السيد بتحريض کبيرالمجتهدين و سائرالعلماء علی‌الشاه و وزيره ولا بنجاحه في ندبهم له بل ذهب من‌البصره الی أوربا وطفق بطعن فيهما بالقول والکتابة و قد أسس هناک مجلة شهرية تصدر باللغتين العربية والانکليزيه باسم (ضياء‌الخافقين) و کان يکتب فی کل عدد منها مقالة فی أحوال فارس بتوقيعه المعروف (السيد) أو (السيدالحسينی) و کان الکلام فی مصر من أهم مباحثها

و قد فضح فی مقالته عن بلاد فارس حکومتها و شاهها شر فضيحة حتی جاءه سفيرالعجم في لندره يستميله و يسترضيه ليکف عن‌الکلام والکتابة فی ذلک و عرض عليه مالأکثيراً فقال له السيد «لاأرضی الا أن يقتل الشاه و يبقر بطنه و يوضع فی‌القبر» فکان هذا القول من الشبه علی کون القاتل له من أتباع السيد. واننا نورد هنا بعض ما کتبه فی ضياء الخافقين عن بلاد فارس تخليداً له في التاريخ. و هاک ما کتبه فی‌العدد الثاني تحريضاً للعلماء علی خلع الشاه والقيام بشؤون الامة. و هذا العدد صدر في أول مارس (آذار) سنة ۱۸۹۲: حملة القران.

رسالة الى:

حملة القران

بسم‌الله الرحمن الرحيم

حملةالقرآن، و حفظةالايمان، ظهراء الدين المتين، و نصراء الشرع المبين، جنودالله الغالبة في العالم، و حججه‌الدامغة لضلال الأمم، جناب الحاج الميرزا محمدحسن الشيرازى، و جناب الحاج الميرزا حبيب‌الله الرشتي، و جناب الحاج الميرزا أبي‌القاسم الكربلائي، و جناب الحاج الميرزا جواد الأقا التبريزى، و جناب الحاج السيد علي‌اكبر الشيرازي، و جناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي، و جناب الميرزا حسن الأشتياني. و جناب السيد الطاهر الزكّي صدرالعلماء. و جناب الحاج آقا محسن العراقي، و جناب الحاج الشيخ محمدتقي الاصفهاني، و جناب الحاج الملاّ محمدتقي البجنوردى. و سائر هداةالامة و نواب الأئمة من‌الاحبار العظام، و العلماء الكرام، أعزالله بهم الاسلام والمسلمين، و أرغم أنوف الزنادقة المتجبرين، آمين.

طالما تاقت الامم الافرنجية الى الاستيلاء على‌البلاد الايرانية حرصا منها و شرها. ولكم سولت لها امانيها خدعا تمكنها من الولوج في ارجائها و تمهد فيها سلطانها على غرة من اهلها تحاشيا من‌المقارعة التى تورث الضغائن فتبعث النفوس على‌الثورة كلما سنحت لها الفرص و قضت بها الفترات. ولكنها علمت ان بلوغ الارب والعلماء في عز سلطانهم ضرب من‌المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا، والناس جميعا طوع يدهم يأتمرون كيفما أمروا، و يقومون حيثما قاموا، لامرد لقضائهم، ولا دافع لحكمهم، و انهم لايزالون يدأبون في حفظ حوزة الاسلام لاتأخذهم فيه غفله، ولاتعروهم غره، ولاتميد بهم شهوه، فخنست و هي تتربص بهم الدوائر، و تترقب الحوادث، ايم‌الله أنها

قد اصابت فيما رأت، لان العامة، لولا العلماء و عظيم مكانتهم في النفوس لالتجأت بطيب النفس الى الكفر و استظلت بلوائه خلاصا من هذه الدول الذليلة الجائرة الخرقى التى قد عدمت القوة، و فقدت النصفة، و انفت المجاملة، فلاحازت منها شرفا، ولا صانت بها لنفسها حقا، ولا انشرح منها صدرها فرحا.

ولذا كلما ضعفت قوةالعلماء في دولة من الدول الاسلامية و ثبت عليها طائفة من الافرنج و محت اسمها، و طمست رسمها.

إن سلاطين الهند و أمراء ماوراءالنهر جدت في إذلال علماء الدين فعاد الوبال عليهم، سنةالله فى خلقه... و ان الافغانيين ما صانوا بلادهم عن أطماع الأجانب و ما دفعوا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت فى نصابها.

و لما تولى هذا الشاه ـ الحارية[1] الطاغية ـ الملك طفق يستلب حقوق العلماء تدريجا و يخفض شأنهم و يقلل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد بباطل أوامره و نواهيه، و حرصاً على توسيع دائرة ظلمه و جوره، فطرد جمعاً من البلاد بهوان، و نهنه فرقة ممن اقامةالشرع بصغار، و جلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والخرق (طهران) و قهرها على الإقامة فيها بذّل، فخلاله الجو فقهرالعباد و أبادالبلاد و تقلب في أطوارالفظائع و تجاهر بأنواع الشنائع و صرف فى أهوائه الدنية و ملاذه البهيمية مامصه من دماء الفقراء والمساكين عصرا و نزح من دموع الأرامل والأيتام قهرا (يا للاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر و غدا خسيساً ليس له دين يردعه ولاعقل يزجره ولاشرف نفس يمنعه و هذا المارق ماقعد على دسته الا وقام باءِ بادة الدين و معاداة المسلمين و ساقته دناءة الأرومة و نذالة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيده.

فحسبت الأفرنج ان الوقت قدحان لاستملاك الاقطار الايرانيه بلاكفاح ولاقتال و زعمت ان العلماء الذين كانوا يذبّون عن حوزة الاسلام قدزالت شوكتهم و نفد نفوذهم فهرع كلّ فاغراً فاه يبغي أن يسرط قطعة من تلك المملكة

فغار الحق و غضب على الباطل فدمغه فخاب مسعاه و ذل كل جبار عنيد.

---

۱. هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه سمها و هي أخبث الافاعي.

أقول الحق، إنكم يا أيهاالقادة، قد عظمّتم الاسلام بعزيمتكم و أعليتم كلمته و ملأتم القلوب من الرهبة والهيبة. و علمت الأجانب طرّا ان لكم سلطاناً لايقاوم و قوة لاتدفع وكلمة لاترد و انكم سِياج البلاد و بيدكم أزمة العباد ولكن قدعظم الخطب الآن و جلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبرا للكسر و حرصا على لوصول الى الغاية و أزمعت على اغراء ذاك المارق الأثيم على طردالعلماء كافة من البلاد. و أبانت له ان انفاذ الأوامر انما هو بانقياد قواد الجيوش و ان القواد لايعصون العلماء أمرا ولايرضون بهم شرا فيجب لاستتباب الحكومة استبدالهم بقواد الأفرنج. و أرت لذاك البليد الخائن رآسة الشرطة و قيادة فوج[1] القزاق نموذجاً (كنت) واضرابه. و ان ذاك الزنديق و زملاءه فيالالحاد يحزون الان في جلب قواد منالأجانب. والشاه بجنونه المطبق قداستحسن هذا و اهتز به طربا.

لعمرالله لقد تحالف الجنون والزندقه و تعاهد العته والشره على محقالدين و اضمحلال الشريعة و تسليم دارالاسلام الى الأجانب بلامقارعة ولامناقرة.

يا هداة الأمة! انكم لوأهملتم هذا الفرعون الذليل و نفسه و أمهلتموه على سرير جنونه و ما أسرعتم بخلعه عن كرسي غيه لقضي الأمر فعسرالعلاج و تعذرالتدارك.

أنتم نصراءالله فيالارض. ولقد تمحصت بالشريعة الالهية نفوسكم عن أهواء دنية تبعث على الشقاق و تدعو الى النفاق و يئس الشيطان بقذفات الحق عن تفريق كلمتكم. فأنتم جميعاً يدٌ واحدة يذود بهاالله عن صياصي دينه الحصينة و يذب بقوتها القاهرة جنودالشرك و أعوان الزندقة. و انالناس كافة (الامن قضيالله عليه بالنحيبة و الخسران) طوع أمركم. فلوأعلنم خلع هذا (الحارية) لأطاعكم الأمير والحقير و أذعن لحكمكم الغني والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الأزمان عيانا فلا أقيم برهانا) خصوصاً و انالصدور قد حرجت و انالقلوب قد تفطرت من هذه السلطنة القاسية الحمقى التي ماسدت ثغورا ولاجندت جنودا ولاعمرت بلادا ولانشرت علوما ولاأعزت كلمةالاسلام ولا أراحت يوماً ما قلوبالأنام، بل دمرت و أقوت و أفقرت و أذلت ثم

---

۱. كان يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من العسكرية التي يطلق عليها الترك لفظ طابور (و صوابه بالعربية تابور) و يطلق عليها في مصر لفظ أورطه و هي أعجمية.

بعد ضلت و ارتدت و انها سحقت عظام‌المسلمين و عجنتها بدمائهم فعملت منها لبنات[1] بنت بها قصورا لشهواتها الدنية. هذه آثارها في المدة المديدة والسنين العديدة تعساً لها و تبت يداها.

و اذا وقع الخلع (و تكفيه كلمة واحدة ينبص بها لسان الحق غيرة على دينه) فلاريب ان الذي يخلف هذا (الطاغية) لايمكنه الحيدان عن أوامركم الالهية ولايسمعه الا الخضوع بعتبتكم، عتبة الشريعةالمحمدية كيف لا و هو يرى عيانا مالكم من‌القوة الربانية التي تقلبون بها الطغاة عن كرسي غيها. و ان العامة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولعا وحامت حولكم هياما و صارت جميعاً جندالله و حزباً لاوليائه العلماء.

ولقد وهم من ظن ان خلع هذا (الحارية) لايمكن الابهجمات العساكر و طلقات المدافع والقنابر. ليس الامر كذلك. لان عقيدة ايمانية قدرسخت في العقول، و تمكنت من‌النفوس، و هي ان الراد على‌العلماء راد على‌الله (هذا هو الحق و عليه المذهب) فاذا أعلنتم (يا حملةالقرآن) حكم‌الله في هذا الغاصب الجائر و أبنتم أمره تعالى في حرمة إطاعتة لانفض الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال ولاقتال.

ولقد أراكم‌الله في هذه الأيام اتماماً لحجته ما أولاكم من القوة التامة، والقدرة الكاملة، وكان‌الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل. اجتمعت النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون الذليل و هاماته الرذيل (مسألةالتنباك) فعجبت الامم من قوة هذه الكلمة و سرعة نفوذها و بهت الذي كفر. قوّة أنعمهاالله عليكم لصيانة الدين و حفظ حوزة الاسلام. فهل يجوز منكم اهمالها و هل يسوغ التفريط فيها؟ حاشا ثم حاشا.

قد آن‌الوقت لاحياء مراسم الدين، و اعزاز المسلمين، فاخلعوا هذا (الطاغية)[2] قبل أن يفتك بكم، و يهتك اعراضكم، و يثلم سياج دينكم، ليس عليكم الا أن تعلنوا على رؤوس الاشهاد حرمة اطاعته فاذاً يرى نفسه ذليلا فريداً، يفرمنه بطانته و ينفر منه حاشيته و ينبذه العساكر و يرجمه الأصاغر.

---

۱. جمع لبنة من‌اللبن الذي يبنى به

۲. الطاغوت.

انکم یا أیها العلماء! والذین قاموا معکم لتأییدالدین بعدالیوم في خطر عظیم. قد کسرتم قرن فرعون بعصاالحق و جدعتم أنف الحاریة بسیف الشرع فهو یتربص فرصاً تساعده علی‌الانتقام شفاء لغیظه و مرضاة لطبیعته التي فطرت علی الحقد واللجاج فلا تمهلوه أیاما ولاتمکنوه أن یقبض زماما، اعلنوا خلعه قبل اندمال جرحه.

و حاشاکم أیها الراسخون فی‌العلم أن ترتابوا في خلع رجل سلطانه غصب و أفعاله فسق و أوامره جور و انه بعد ان مص دماء المسلمین و نهش عظام المساکین و ترک‌الناس عراة حفاة، لایملکون شیئاً حکم علیه جنونه ان یملک الأجانب بلاداکانت للاسلام عزا وللدین المتین حرزا و ساقته سورة السفه الی اعلاء کلمة الکفر والاستظلال بلواء الشرک.

ثم أقول ان الوزاء والامراء و عامة الاهالي و کافة العساکر و أبناء هذا (الطاغیة) ینتظرون منکم جمیعاً (و قد فرغ صبرهم و نفد جلدهم) کلمة واحدة حتی یخلعوا هذا الفرعون الذلیل و یریحوا العباد من ضره و یصونوا حوزةالدین من شره قبل أن یحل بهم العار ولات حین مناص

والسلام علیکم و رحمةالله و برکاته [۱]

السیدالحسینی

---

۱. یقول محمد رشید رضا فی کتابه، حول قوةالعلماء و احترامهم: ان للعلماء من‌الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأعاجم ما لیس لهم في البلاد العربیة و ان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه فی سائر بلاد العجم فان الحکام لیس لهم علیهم من‌السلطة هناک مثل مالغیرهم من حکام المسلمین و ما أزال الملوک والأمراء احترام العلماء و محو نفوذهم ـ حاشاما کان منه مؤیدا لهم و معینا لاستبدادهم ـ الابما اخترعوه لهم من الرتب العلمیة و کساوي‌الشرف الوهمیة و بما جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم. فصار رزق العالم وجاهه الدنیوي بیدالأمیر أوالسلطان و هما الرسنان اللذان یقودون بهما طالب المال والجاه من العلماء الی حیث شاؤا. فاذا أمکن لطلاب الإصلاح الاسلامي أن یبطلوا هذه الرتب العلمیة و مالها من‌الشارات و یخرجوا أرزاق علماء الدین من أیدي الحکام فإنهم یحررون العلماء من رق یکون مقدمة لاصلاح الامة کلها.

رسالة اخری الی:

شرعة الهدی

بصره

سلخ ذی‌القعده

شرعة‌الهدی و ناموس التقوی و رداءالدین و جُنّة‌المسلمین و صدرالعلماء العاملین
جعل‌الله به کلمة‌الحق هی‌العُلیا

قد زحف الکفر من جمیع الجوانب و أحاطت النصاری بأطراف البلاد و انّ الزنادقه الأُخساء قد ساعدوها علی فتح‌الأبواب و اماطوا العوائق عن‌المسالک و سهلّوا لأعداء دین‌الله السبل حتی صارالاسلام عُرضةً للهوان والصغار بعدالعزّ و کاد أهل الشرک أن یستولی علی حوزته بعد ماکانت منیعة بحُماتها و فشت أهانة العلماء القائمین بصیانة الشریعة و غدا طردهم من الأوطان دیدناً لاصحاب البغی و شنشةً لنُصراءِ الضلال.

و کلّ هذا لانّ علماء الامّة و صلحاءِ الملّة تقاعدوا عن التعاضد و تهاونوا فیما فرض‌الله علیهم ألا و هو التعاون علی أعلاءِ الکلمة والتناصر فی حفظ الحوزة و ممایقضی بالعجب هو ان المُجدّ لهدم ارکان‌الاسلام و قائدالکفّار الی بلاد اهل الایمان هو أقّل الناس ناصراً و أکثرهم اعداءً و أعجب من هذا سکوتک یا حصن‌الدین الحصین، ماذا تنتظر بعد زعزعة أرکان الشرع؟ أرضیت بالحیوةالدنیا و أنت رجل‌الحق و هل أخترت الدّنیّة علی المنیة ولقد أثرک‌الله و ارتضاک لنفسه و فرض علیک بذل‌النفس والنفیس دون کلمته و ما کان أتقاءِ البررةالکرام الاّ لأعلائها و صونها عن‌الخفض و امّا مسّها بالهوان فلقد کان دونه سلّ‌السیوف و أراقةالدماءِ لاالحذر والأتقاء.

سیدی! انّ‌النفوس فی أمیاج مما أصیبوا فی دینهم و أضرّهم فی دنیا هم فلوقمت بنصر الحق لأجتمعت علیک کلمتهم و صارت لک الرئاسة العظمی علیهم و فزت بعون‌الله تعالی باعلاءِ کلمةالاسلام و دخص انصارالکفر و خفض کلمةالزنادقة لاتفتک الفرصة والقلوب مائجه والنفوس فی اضطراب و هیاج و الجروح دامیة والناس فی ضنک وارتباک فلاتکون منک الاّ کلمة واحدة الاّ و تریهم ینسلون الیک و یجتمعون علیک و یلوذون ببابک و یلتجئون لأعتابک ولا أظّنک من‌الذین یُثبطهم الأوهام و یُقعدهم الوساوس و أنت تعلم (کماکنت تقوله لی مرات) انّ فی هزیمةالعالِم غلبته و انّ فی هوان رئیس‌الدین و ذلّه، عزّه و ان فی فضیحته، مجده و شرفه.

هذا هوالوقت و هذه هی الفرصة و قد علمتَ ما فعل ادلّاء الکفر بالبّارّ النقی الحاج السید علی‌اکبر الشیرازی و اما ما صنعوا بی فانی علی‌الله أحتسبه ولست أنا بنادم ولا واهن ولاحصّل بی‌فتور فی أعزاز کلمةالله ولا وهن فی عزائمی ما افتراه الخراصون و سأُرغم أنفوف کلّ عتّل و کل أفّاکٍ غشوم و کل أُثیم زنیم و أنت تری انشاءالله. ولاحول ولاقوة الا بالله العلیّ القهّار الجبار.

والسلام علیکم و علی کل من قام معکم بنصرالدین و
اعلاء کلمةالمسلمین و رحمته و برکاته آمین

جمال‌الدین الحسینی[1]

---

۱. هذه آخر رسالة کتبها السید من البصره ـ و نثبت الاصل فی آخر الکتاب ـ و بعدها مسافر الی لندن و نشر رسائل اخری فی الصحف و بعثها الی البلاد... دفاعاً عن‌الحق و تخلیداً لکفاحه‌المستمر، ضد ناصرالدین الشاه، طاغوت عصره... و نجح فی النهایة... رضی‌الله عنه. (خسروشاهی).

ضُلامةُ الأمّه... و ضراعة الملّه

بسم‌الله الرحمن الرحيم

حُماة الاسلام. و سُراةالأنام. و دعاة دارالسلام. و أئمةالدين المتين. و أركـان الشـرع المبين.

لازالوا عزا للمسلمين آمين

ان‌الطغاة قد استضعفوا نصراءالدين و هتكوا سـياج‌الشـرع فـى ذرارى طـه و يس. فانتقم‌الله منهم بعدله و أُحل بهم الخزى و جعلهم أذلّةً فى‌العالمين

الشاه فى زمن سلطانه قد جد حرصاً منه على الدراهم والدنا نير فى اختلاس اموال الأرامل و استلاب أملاك الأيتام و انتهاب اقوات الفقراء و اغتصاب ارزاق المساكين.

و ارتكب لجمعها كل فظاعة و شنعه. و عامل‌الناس باشد انواع القسوه. والتمس لنيلها وسائل خسيسة تأبى عنها نفوس الأوغاد و تعافها طباع الأوباش... فـما تـرك للـجور شرعةً الاووردها. ولاثقبةً من ثقب الدنايا الاوولجها.

و لما أفقرالمساكن و أفقرالسكان و دمرالبلاد و بددالعباد ساقته سورةالخنون الى بيع حقوق المسلمين و أملاك المؤمنين للأجانب ... وزوقت له (ألحاده هذا) زندقةُ وزيره المارق.

فبادر سريعاً و هلع مستعجلاً فعقد مع‌الافرنج عقودا. و عهد على نفسه عهودا... و هو لايكترث بمافيها من‌الخيانة الفاضحه. ولا يبالى بمايعقبها من‌الخسارةالفاحشه... كانه عزم ان يفارق البلاد من يومه الى الأبد.

فاذاً أرغمه الله غيرةً على دينه بيد العلماء العظام و الأحبار الفخام. و ألبسـه لبـاس الخزى و الفضيحه و جعله مُثلةً فى‌العالم. و أحدوثةً بين‌الأمم.

فاستكلب و كشر عن نابه و هو يتشبّث بأسباب تمكّنه من افتراسهم واحداً بعد واحد.

ثم انه الان قد التزم علي نفسه [غرامةً لجنونه و جريمةً لزندقة وزيره] ان يقدّم الشركات الأفرنجيه (كمپانی) ست كرورات تومان (ثلث ملايين تومان)... ثلث للشركة الأولى (كمپانی التنباك)... و ثلث للشركة الثانيه التی اشترت منها حقوق بيع التنباك فی البلاد العثمانيه.

ما هذا الشنار و العار. ما هذا الذل والصغار.

كم هتكت الجلاوذة فی جمع هذه القناطير المقنطرة اعراض المؤمنين. وكم دمّرت الاوباش فی جبايتها بيوت‌المتقين. و كم خفقت فی استلابها قلوب الموحدين و كم جرت فی اقتنائها عبراتُ الفقراء والمساكين. وكم سالت فی اكتنازها دماءِالمسلمين. و كم خطفت الجُباةُ القُساة المعاجر من رؤُوس النساء. وكم صعد صُراخ العجزة الى عنان السماء. و كم بات الرجال بعد الرفه بلاوطاءٍ ولاغطاءٍ.

هذا رهن خوفاً من السوط داره. و ذاك باع و جلاً من الكيّ عقاره. و ذلك استدان فزعاً من‌الحبس جاره. والاخر سلم خشية من‌المُثله دثاره و شعاره. هذه الفظائع قد طمّت البلاد و عمّت‌العباد حتی تجمعت هذه القناطير من الدنانير.

ثم حكم الجنون و قضت الزندقه على تسليمها صرةً واحدةً الى أعداءالدين... وا اسلاماه. وامحمداه. يا اركان‌الدين. و يا قادة المتقين. لاعلاج لهذه المصيبة الكبرى والبلية العظمى. ولادافع لهذه الفضيحة الشنعى والدنية البشعى الاخلع هذا (الحضاجر) صيانة لحوزة الاسلام و حراسةً لحقوق الأُنام. و انقاذاً للدّين و اهله من هذه الورطة المهولة التی يتبعها الزوال. و يتلوها الوبال لانّ هذه الغرامة الباهظة التی التزمها الشاه بجنونه على نفسه تُثير احقاد الروسية فتبعثها مضادةً للانجليز على استملاك الخراسان... ولايتقاعس الانجليز اذاً من مياراتها خوفاً من الاستيلاء على‌الكل. و حذراً من متاخمتها للاراضی الهنديه.

فتقتسمان البلاد. و تسترقان العباد ولانرث (نحن المسلمين) من ثورات هذا الجنون و نزغات هذه الزندقه الا الحسرة و العبره.

ولاعذر لنا وقتئذٍ و قدكان التدارک ممكنا من قبل.

لاتدفع هذه الغرامة الا الخلع. لاترفع هذه الجريمة الاالخلع.

لان عقودالدول المستبدّة (كدولة ايران واضرابها) شخصيّة تنحلّ بزوال القائم بها... فاذا وقع الخلع فلا حق للشركات (كمپانى) اذاً ان تطالب الخلف بغرامةٍ التزمها على نفسه السلف.

هذا هوالقول الحق. ان الخلع هىالوسيلة الوحيدة لأنقاد بلاد المسلمين من هذه التهلكه (لوكانت للشاه نغرةٌ وطنيه او نزعةٌ ايمانيه او نهيةٌ كامله لتنازل من‌الملک حفظاً لحوزة الأسلام ولكن هيهات هيهات).

فاذا صدعتم يا حماةالدين بالحق. و علم‌الناس ان أطاعة هذا (الطاغيه) حرام فى دين‌الله. و ان بقائه على‌الملک خطرٌ على الأسلام و حوزته، لهرعواكافةً و قلبوا عرش غيّه و خلعوه عن كرسى جنونه.

انتم حُماة الأُمه. و انتم نصراء الملّه. فمن يصون‌الدين غيركم و من يحرس الحوزة سواكم... البدار البدار قبل حلول الذل و الصغار.

... انتم المسؤولون عن العباد والبلاد أمام‌الله تعالى... ولالوم على‌الناس... لانهم لايزالون يأتمرون ما تأمرون و يقومون حيث تقومون فماذا بعد هذا تنتظرون؟

الخلع الخلع ولاعلاج سواه.

اقول قول خبير بصير. ان صيانة شرف‌الاسلامُ و حراسة الممالک و حفظ حقوق المسلمين قدنيطتْ الان بكلمةٍ ينطق بها لسان‌الحق غيرةً على‌الدين و اهله... الا و هى (الخلع).

فمن فاه بها اولاً من الهداة الابرار والقادة الاخيار فقد حاز الشرف الأتمّ و فاز بالسعادة العظمي فى هذه الدنيا و فى‌العقبى. هذا هو البلاغ...

والسلام عليكم و رحمةالله و بركاته.

السيدالحسينى[1]

---

۱. هذه الرسالة قد نشرت فى مجلة ضياءالخافقين و جاء فى اولها من‌الناشر، مايلى: هذه رسالة اخرى قد وصلتنا من مكاتبنا فى بغداد و قد توزعت فى البلاد الايرانية، خفية.

الحجّة البالغه*

بسم‌الله الرحمن الرحيم

حُماة الدين و قادةالمؤمنين، حزب‌الله فی العالم. و جنوده الغالبة علی‌الامم.

نصرالله بهم‌الاسلام. و خذل بعزائمهم اعداءَهُ الطغام آمين.

كلّت البصائر و وقفت المشاعر. و شخصت الابصار و بلغت القلوب الحناجر ـ ها ان بليّةٌ شوها قد حامت حول الاسلام و أحاطت به من جميع جوانبه. و كادت (لولا عون‌الله تعالی) ان تطمس شعائره و تمحق معالمه.

الشاه فی تقلبات جنونه قد جلب علی‌الديانة المحمدية و اهلها انواع المصائب و اصناف الرزايا. و فتح عليها هوسا منه وعتها ابواب المهالك والبلايا ـ و مهدّت زندقة وزيره سبلها. و ازاحت العوائق التی كانت تدافعها فی سيرها (وامحمداه).

قد غدا الاسلام بين ثورات‌الجنون و نزغات‌الزندقة فی خطر عظيم.

اين حملة القرآن اين القائمون باعلاء كلمةالله، و اين الذين لايخافون فی‌الله لومة لائم ولايخشون الجبابرة فی الحق والسيف قائم.

ان‌الدول الافرنجية فی اغتصابها البلاد يزاحم بعضها بعضا و يدافع كل منها الأُخری. والقوی غالبا متكافئه ـ وليس لدولة ان تهجم علی قطعة من قطعات الارض الاّ بحجّة تقيم لها عند سائرالدول حقاً علی استملاكها.

و لذا تكدح هذه‌الدول آناء الليل و اطراف النهار فی ابداع الوسائل التی تسوّغ لها ان تسبق فی مضمار فتوحاتها و تدحض بها حجج اكفائها فی مباراتها.

---

* قد وردت الينا هذه الرسالة من بغداد و بلغنا بانها قد وُزعت في بلاد فارس خفيةً كما صار توزيع الرسائل السابقة. (ضياءالخافقين)

كل منها تعرض نفسها على الحكومات الشرقية كيداً منها و مكرا. هذا تقدّم لها دنانيرها ديناً. و هذه تلتزم مكوسها و ضرائبها على ذمتها نقدا. و تلك تشترى منها حقوق العباد فى متاجرهم سلفا. والاخرى تعهد ان تستخرج لها المعادن و تنشئى الجوادّ والمسالك و هلّم جرّا.

هذه كلها خدع. و انما الغرض منها ان تُثبت لنفسها حق استملاكها. و على هذه الوتيرة قد جرت سنة الافرنج فى اغتصاب جزائرالغرب و تونس و الهند و بلاد ماوراءالنهر و مصر و سائر ممالك المسلمين.

و كانت الاقطار الايرانية فى أمن من عراقيل هذه الغوائل الى ان بدا سلطان الجنون والزندقه. ففتح عليها ابواب المحن والمصائب و جلب‌الاخطار على الاسلام و حوزته من كل جانب.

اتّفق جنون الشاه و زندقة وزيره على بيع حقوق المسلمين و املاك المؤمنين مجازفة. فاغتنمت الامم الافرنجيّة هذه الفرصة لاستحصال الوسائل التى تمكّنها من بثّ سلطانها فى ارجاء البلاد. و كانت الامة الانجليزية فى مقدمتها.

و لما أُرغم العلماُ انوف الزنادقة المتجبّره و كفّوا بقوةالحق يدالجور عن التطاول على اموال المسلمين و اغتصابها وزالت غائلة التنباک جاش الشاه واختبط، فالتزم للشركة الانجليزية على نفسه (غرامةً لجنونه و جريمةً لزندقة وزيره). خمسماية الف ليرة قبل ان يطالبها بفسخ العقود التى عقدتها مع‌الشركة الفرنساوية لبيع التنباک فى‌البلاد العثمانية ـ و فتح بسفهه هذا، على البلاد الايرانية ابواب غرامات لايمكن لأغنى الدول ان يقوم بها (كغرامة القُرعة و غرامة البانک و غرامة المعادن و غرامة السكک و الجوّاد و غرامة سائرالعقود الباطلة التى عقدها مع الافرنج و هم يطالبونه بها و هو يعجز عن انفاذها، فيضطر جرياً على سنّته السيئة التى سنّها بجنونه، ان يقتبل غرامتها).

ثم زاد شراً على شره (نستجير بالله) و ترک المكوس (الكمرک) و هو فى سكرته، للدولة الانجليزيّة الى اربعين سنةً عوضاً عن‌الغرامة التى التزمها على نفسه.

ها هى الأخطار الهائلة كنّا نحذّر منها قبلا. ولقد جلبها على الاسلام ادّلاء الكفر

سفهاً و عمدا.

ان‌الدولة الانجليزية قد أنشبت بهذه المعاهدة الجديدة اظفارها فی سواحل البحر و أثالة الفارس و بلاد الأهواز ـ و ستُلزِم الشاه بعد آونةٍ بغرامة باهظة عن عقود باطلة اخرى يتعذر قيام‌المسلمين بها و تُجبره ان يترک لها جباية تلک الاقطار و ضرائبها عوضاً عنها فتستملکها بلاجدال کما فعلت بالهند من قبل.

و ان الروسية قد حنقت من أعطاء المکوس للانجليز مجازفة و ثارت و هی الان تقيم الحجّة على الشاه فی فعاله و تطالبه بحقوق سبقت و عهود تجددت. و تبتغی ببطشها ان تکون حصّتها أجزل و أوفی، لانها اشدّ و اقوی و امامها الخراسان والاذربيجان و المازندران.

هذه هی الاسباب التی قد عجّلت بالبلاد الايرانية و أغرت الدول على مقاسمتها.

هذه هی الدواهی التی قد جلبها الجنون والزندقه على‌الاسلام (وامحمداه).

کيف بنا (نحن المسلمين) اذا نظرنا بأعيننا انّ اراذل الافرنج تهتک اعراضنا و تنتهب اموالنا و تغتصب حقوقنا تُهين ديننا و تزدری بشريعتنا ـ کل هذا واقع لامحالة ان لم تدفع حماةُ الدين سريعاً هذه الداهية التی قد أحدقت بحوزةالاسلام ولم تنزع البلاد بقوّةالشرع من براثن الجنون و مخاليب الزندقه.

ماذا تجيب قادةالأمّة امام الله تعالى عن العباد والبلاد، اذا وقع الأمر المّر (استجير بالله) و قد کان التدارک ممکناً من قبل.

و ایّ عذر لعلماء الملّة اذا تقاعسوا عن صيانةالدين عن هذه الاخطار الهائلة و حاجّهم العامة يوم‌القيمة و قدّمتْ حسن امتثالها و دوام طاعتها حجّة عليهم.

هل لنا فی الشريعة فريضة اعظم من حفظ حوزةالاسلام؟ اليس العلماء احقَّ بهذه الفريضة من عامّة الناس.

هذا هوالوقت ـ وليس بعده الاّ اللوم فی‌الدنيا والسخط فی العقبی ـ هذه المقاولات التی ألقت البلاد فی‌المهالک عقود شخصية تنحّل بزوال القائم بها ـ فاذا زال الشاه عن کرسی الملک سقطت هذه الحقوق الباطلة کلها ـ و اذاً کل دولة من الدول الافرنجية التی لاحظّ لها فی هذه الغنيمة او ترى فی اقتسامها حيفاً فی سهمها تحاج الأُخر بهذه

الحجّة ـ و تكفّها عن اعتدائها حرصاً على مدافعها الخاصّه و حفظاً للموازنة العامّه ـ فتبقى البلاد الايرانيه سالمةً من شرّها بلاقتال ولاجدال.

فعلى العلماء العظام ان يجمعوا امرهم على خلع هذا (الحاريه) صيانةً لحوزة الاسلام و حفظاً لحقوق الأنام (ولا علاج سوى الخلع).

ولو لاحظ الانسان الفظائع التى تكبّدتها طبقاتُ الامة الايرانية من هذه الحكومة القاسية الحزقى و ما جلبتْ عليها من الهلاک والدمار ـ و أمعن النظر فى العساكر و سوء احوالها و ان كلاً منها يجهد نفسه فى الاعمال الشاقّة طول يومه لان ينال كسرةً لسدّ رمقه ـ و تأمّل اضطراب احوال الأمراء و شدّة قلقهم فى حيوتهم خوفاً من استلاب اموالهم و خشيةً من أراقة دمائهم ـ ثم نظر الى نفوذ كلمة العلماء فى النفوس كافة و انقياد العامّة لهم جميعا، لحكم بان خلع الشاه عن كرسىّ جنونه أسهل من خلع النعال.

ان البواعث الدينيّةَ قد قضتْ ـ و ان الدواعى الدنيوية قد حتمتْ ـ و ان النفوس قد هاجتْ من مضض الجور و مرارة الضنک و استعدّتْ ـ فاذا صدع أحبار الامّة بالحقّ لخلعه الناس ولايناطح فيه عنزان ولاتراق فى نزعه عن الملک محجمةُ دم.

و لربما يحسب الجاهل ان الخلع و ان كان سهلاً لكنه يوجب الفوضى و يقضى بالهرج والمرج (لا ولا) ان الايرانيين لا يعصون للعلماء امرا خصوصاً لو علموا ان الغرض حفظ حوزة الاسلام و صيانة بلاد المسلمين عن اطماع الأجانب.

و فى كل بلد طائفة من العلماء قد اتّخدهم الناس ملاذاً فى الدين والدنيا ـ فاذا عزم أحبار العتبات المقدسة (سيّد الطائفه و شيخ العصابه و فقية القوم) على أنقاذ الاسلام من شرّ جنون الشاه و زندقة وزيره فليعلموا علماء الاقطار ولامتديّنين من أمراء البلاد حتى يبلّغوا العامّة أوامرهم اساميه و أحكامهم الآلهيّه ـ و يعلم كل ان الأسلام و حوزتة فى خطر عظيم ولايمكن رفع الخطر الاّ بخلع الشاه و تبديل هذه الحكومة القاسية المارقة بدولةٍ عادلةٍ شرعيه ـ و بعد هذا فليأمروا قُوّادَ الجيوش و امراءَ العساكر، ان يختاروا للمُلک من أبناء الشاه و اخوته عفيفاً ديّناً مِقداماً يرضى به رؤساء الدين ولاتنفر منه قلوب المؤمنين ـ و يحلف فى محضر علماء طهران على مشهدٍ من الناس ان لايميل اذا تولّى المُلک عن صراط الحق فى أحكامه ـ ولايحيد عن سبيل الشرع فى الجبايات

والجنایات و ما یتعلق باحوال الرعیة و معاملاتها ـ و ان لایتصرّف فی بیت‌المال (اعنی الخزانةَ) الا بما حکم‌الله به فی کتابه و بینه أئمةالدین و مضی علیه أحبارالأمّه ـ و ان لا یعقد امراً ولایحلّ عقدةً اِلا برأی العلماء العاملین و مشورة العارفین بالسیاسة الآلهیّة من أفاضل الأمة و أبرارها ـ حتی یکون (و هو علی کرسیّ الملک) خادماً للشریعة المحمدیة و منفّذاً لأحکامها ـ فلو صدر الحکم من الأحبار العظام بخلع الشاه علی هذا النمط المحکم و بهذه الطریقة السدیده لوقع الخلع لامحالة بلا قلق ولا اختلال ـ و امنت البلاد من شرّ الأجانب و صارت حوزة الدین حریزه و کلمة الاسلام عزیزه ـ و خلص الناس من اجحاف المارقین و اعتساف الضالین ـ و بدتْ طلیعة دولة محمد و آله (علیهم الصلوة والسلام) علی دعامة القسط والعدل.

ولان فرطّوا فی هذه الفریضه و تراخوا عن خلعه وفاتتهم هذه الفرصة لوقع‌الامر و حلّت الداهیه و تبدّدت حوزةالاسلام شذر مذر ولیس یومئذٍ المفّر (هذا هوالحق الیقین)

لقد أغار الکفر و الغوایه علی محتد الرشد والهدایة ـ اما الحمیه و اما الدنّیه ـ و انما الفوز بقوّة الأیمان والخیبة فی ضعف الجنان ـ والقنوطِ من عون الملک الدیّان ـ و نحن نُجّل العلماء الربّانیّین عی هذه الوصمه.

هذه حجّتنا عندالله علی‌الناس اذا حلّت القارعه و انقضّت الداهیه و ظهرالکفر علی الاسلام وزاغت عن الحق قلوب الأنام.

هذه حجّةٌ للذین لایخشون فی‌الحق لومة اللائمین و فِریة المارقین، علی الذین یقعدون عن امرالله ولایذبّون عن دینه القیّم وهم قادرون.

حجّةٌ قائمةٌ لایأتی علیها مرّالدهور ـ و بیّنة ثابتة لایطمسها کرّ العصور.

(ولقد أنذرنا فهل من مدّکر) هذا هوالبلاغ المبین.

والسلام علینا و علی عبادالله الصالحین.

ک هـ ف. ق س ط*

---

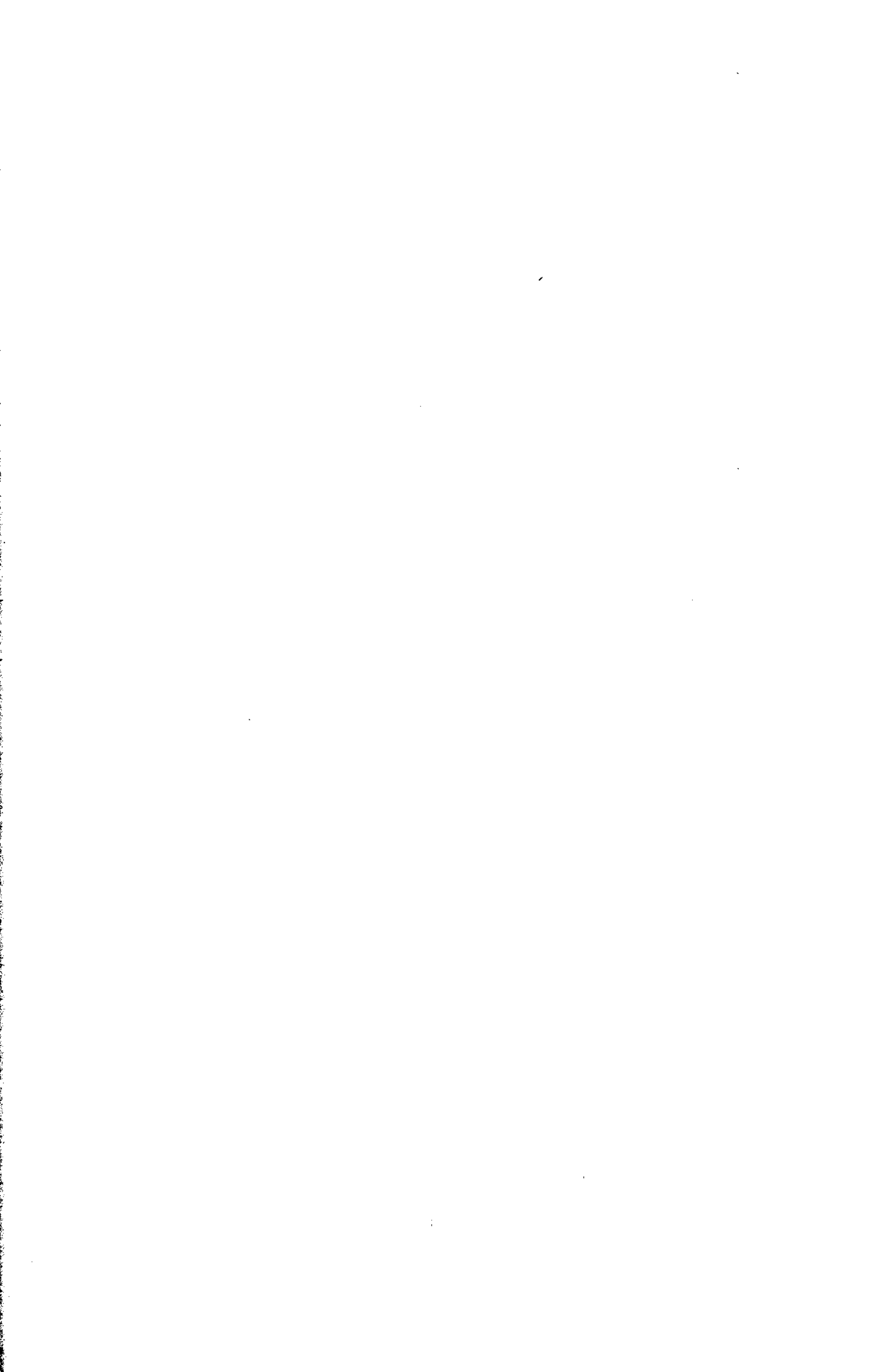
* «کهف» و «قسط» فی‌الحساب الابجدی، یساوی مع ۳۰۷، و کما انّ «جمال‌الدین الحسینی» ایضا یساوی ۳۰۷... فالرسالة للسید، نشرها فی مجلة «ضیاءالخافقین» من دون ذکر الاسم. (خ).



شش نامه

به:

سیدهادی روح‌القدس،
میرزالطف‌الله اسدآبادی،
ناصرالدین شاه، بلنت و
مولوی محمدعضدالدین



نامه
به‌حاج سید هادی روح‌القدس اسدآبادی

سیدهادی جان من

مکتوب تو به سمّو معانی و رشاقت الفاظش حقیقتاً چون بُستانی بود که عیدان اشجار ملتفه‌اش به انواع ازهار مرصّع باشد، ولی صد حیف که مسالک بین اشجار همه مملو بود از قبور خاویه وعظام بالیه وجثث قتلی و سیل دماء که نگاه کردنش موجب کراهت و تصورش سبب نفرت می‌گردید و نتن رائحهٔ این‌ها قوهٔ شامّه را از استشمام آن انوار و ازهار، باز می‌داشت.

والسلام

جمال الدین الحسینی

نامه به میرزا لطف الله

پاریس: ۱۳۰۱ هـ

نور دیده میرزا لطف‌الله

مکتوب تو که کاشف بر حسن طویّت و طهارت سریرت و لیاقت و استعدادات فطریّه بود رسید، بسیار خوش شدم. خصوصاً عبارات آن که در نهایت انسجام و غایت ارتباط بود، بامراعات تشبیهات عنیقه و استعارات بدیعه. آفرین برتو باد.

جوانان را ادب زیب و زیور کمال است. معهذا نباید بدین اکتفا نمود، چون قناعت به حدی از درجات کمال، با وصف اینکه او را حد و پایانی نیست، از دون همتی و پست‌فطرتی است.

نوشته بودی برای زیارت من می‌خواهی به پاریس بیایی ، چنانچه جهت زیارت من می‌آیی، باید مطیع امر شده صبر نمایی. حال موقع نیست، زمان مناسب دیده ترا خواهم طلبید والاّ هرگاه خلاف امر نموده بیایی، به عظمت حق سوگند است که مرا در شهر پاریس نخواهی دید.

یاران زنده را سلام برسان، مکارم اخلاق ناصری را مطالعه کن.

جمال الدین الحسینی

رونوشت نامه‌ای به ناصرالدین شاه
ـ و پاسخ وی ـ [1]

عرضه داشت بسده سنّیه و عتبه عالیه اعلیحضرت شاهنشاهی رفع‌الله لواء فخاره علی هامات ملوک العالم و مجدّ به کلمة الاسلام بین‌الامم.

چون این عاجز به‌قصد رفتن نجد به بندر بوشهر وارد شدم، اعتماد السلطنه (صنیع الدوله) برحسب ارادهٔ سامیه اعلیحضرت شهریاری، به‌دارالخلافه الهیه‌ام دعوت نمود، امتثال نموده حاضر شدم ولله الحمد شرف مثول حاصل شد و مورد نظر عاطفت ملوکانه گردیدم و اکنون می‌خواهم به‌فرنگستان بروم و اجازه و رضایت اعلیحضرت جهان پناه را این عاجز اعظم واجبات ذمّهٔ خود می‌داند و برای استحصال اذن همایونی، که جزآنم مقصدی دیگر نیست به عرض این عریضه جسارت شد.

و البته هرجا باشم خود را خادم به مقاصد مقدسه اعلیحضرت شاهنشاهی که حفاظت دین و صیانت حوزهٔ مسلمین است می‌دانم.

اللّهم أیّد بآرائه الصائبة هذه الملّة البیضاء و شیّد بعز ائمه الثابتة اساس سلطنة هذه الأمة الغرّاء

والسلام

جمال‌الدین الحسینی

---

۱. پاسخ شاه:

جناب آقای سید جمال‌الدین. مقصود ما از ملاقات شما حاصل شد و از آن خوشوقت شدیم حالا هم‌که بازمیل بفرنگستان رفتن دارید بسیار خوب است و البته هرجا باشید دعای مارا فراموش‌نخواهیدکرد ماهم مرحمت لازمه را در حق شما را منظور داریم و محض اظهار و نمایش آن یک قوطی انفیه‌دان الماس نسبت به‌شما مرحمت فرمودیم که همیشه وجود همایون را در نظر داشته باشد. شهر رجب المرجب ۱۳۰۴ ـ ناصرالدین شاه

میرزا علی اصغر خان نخست‌وزیر وقت حامل این نامه بوده‌و قوطی انفیه را با هزار تومان و یک حلقه انگشتر از جانب خود، در منزل حاج محمد حسن امین‌الضرب برده تقدیم سید نموده، سید عیناً وجه را پس داده انگشتر را در همان مجلس به حاج محمد حسین آقا فرزند امین‌الضرب می‌بخشد. قوطی انفیه‌دان را نیز بعد از چند روز به یکی از آشنایان خود اعطاء نموده، پایتخت کشور خویش را ترک و از راه روسیه به اروپا مسافرت می‌کند. رونوشت این سؤال و جواب که به خط پدر نگارنده در همان تاریخ نوشته شده، فعلاً در نزد نویسندهٔ این سطور موجود است. صفات‌الله جمالی

نامهٔ دیگر به ناصرالدین شاه
ایده الله بالعدل و الانصاف

۱۳۰۷ هـ

به عهد خود وفا نموده مطالب مرجوعه انجام یافته و اکنون به ضرابخانه وارد شده‌ام، این است قبل از اینکه تشرف جویم و وارد شهر شوم اظهار می‌دارم: می‌دانم مغرضین دست از اغراض خود برنمی‌دارند و همه روزه سعایت خواهند نمود و شهریار هم در دفع شبهات و سعایت خائنین اقدام نخواهند فرمود و متعذر به عذر و در عهد خود استوار نخواهند ماند.

چنانچه در عهد خود ازروی حقیقت‌باقی و استوارید، اجازه فرمائید وارد شده تشرف حاصل نمایم. هرگاه این عهد و دعوت هم مثل دعوت سابق است، از همین‌جا اذن و معاودتم دهید که نه مغرضین اعادهٔ سعایت نمایند و نه اعلیحضرت به خلف عهد و میثاق در عالم مشهور شوند.

جمال‌الدین الحسینی[1]

---

۱. جواب ناصرالدین شاه:

جناب آقای سیدجمال‌الدین. از آمدن شما مسرور، زحمات شما را منظور و نهایت اعتقاد و اعتماد را به عهد و وطنخواهی شما دارم ما نیز در عهد خود برقرار و باقی می‌باشیم ازهر جهت آسوده خاطر وارد شوید. منزل درخانهٔ جناب صدراعظم کرده همه روزه با ایشان به حضور ما نائل گردید.

ناصرالدین شاه

یادداشت بعدی سید به شاه:

بعدالعنوان ـ از باقی‌بودن در عهد و مراحم ملوکانه نهایت متشکرم. نزد صدراعظم منزل نخواهم کرد، منزل متعدد دارم، چون حاجی محمد حسن امین‌الضرب از دوستان من است و سابق هم آنجا منزل داشته‌ام، میل دارم باز در همانجا باشم. جمال‌الدین الحسینی

جواب ناصرالدین شاه

جناب آقای سیدجمال‌الدین. حال که میل دارید خانهٔ حاجی محمد حسن منزل کنید، بسیار خوب. شاه

دربارهٔ
ترجمه رساله به اردو

جناب صدّیق فاضل مولوی محمد عضدالدین ابومعین منجر محالات نظامت مرشدآباد.

ترجمهٔ رسالهٔ حقیقت مذهب نیچری را بشما مفوض نمودم باید که آنجناب، چنانچه حمیّت اسلامیه شما اقتضا می‌کند، در طبع آن رساله سعی نمایید و در تصحیح و تهذیب آن کوشش کنید و اگر کسی خواهد که او را محرفاً و مصّحفاً طبع کند، باید که آن را منع کنید و بالجمله امر طبع رساله را به هر جهت به شما تفویض کردم.

شهر ذیحجه‌الحرام ۹۹

جمال‌الدین الحسینی [1]

---

۱. رساله نیچریه، به زبان اردو، چاپ کلکته، ۱۸۸۳ م ـ چاپ اول، ص ۸۰.

نامه‌ای به:
بلنت

پاریس ۱۲ مارس ۱۸۸۵ م

پس از تحیات

باید بگویم که من تنها کسی نیستم که از کوششهای عالی شما که دولت انگلیس را مجبور به بیرون بردن نیروهایش از سودان نمود، سپاسگزار باشم. بلکه باید تأکید کنم که همه مسلمانان بویژه اعراب، برای همیشه از این اقدام، از شما سپاسگزار خواهند بود و در آینده نام شما را بر روی تابلوهایی از سنگ‌های گرانقیمت همراه با القاب مجد و افتخار، بخاطر این شجاعت و شهامت، نقش خواهند نمود!

ولی نکته‌ای همچنان باقی‌مانده که باید آن را انجام دهید و آن این‌است که به دولت بگویند: چگونه این سرزمین ـ سودان ـ را بدون هیچگونه معاهده‌ای بامهدی ترک می‌کنید؟ و مسئولیت آینده حملات بعدی به عهده چه کسی خواهد بود؟ و همینطور، دولت چگونه می‌خواهد راههای تجارت را بسته نگهدارد؟ آیا هدف آنست که تجارت نابود شود؟ آیا وظیفه دولت این نیست که بهنگام تصمیم برای ترک خاک سودان، یک فرد مسلمان مورد اعتماد مهدی را به سوی وی اعزام کند تا با او درباره رسیدن به صلحی که مصر را از حملات نگهدارد و راههای نزاع را به بندد و راههای تجارت را باز کند، به گفتگو بنشینند؟

من فکر می‌کنم که اگر این موضوع را در پارلمان مطرح کنید، با آن موافقت خواهند کرد.

باز من فکر می‌کنم که این امر کاملاً مقدور است، حتی بدون توجه به آنچه که شما انجام می‌دهید. وقتی که موضوع خاتمه می‌یابد. باید آن را کامل کنید ولی در کل نمی‌توان به یک راه حل نهایی رسید، بدون آن که معاهده صلح بامهدی منعقد گردد. این مطلبی بود که من لازم دیدم آن را به شما تذکر دهم. درود به شما و همسرتان.

دوست شما

جمال‌الدین الحسینی

۹

متن اصلی بعضی از:

نامه‌ها و اسناد سید

ـ ۴۰ سند ـ



غره ژانویه فرنگی

بندر سیورنی

جناب جلالتمآب اجل افخم حبیب الرحمن آیتی سلطان اجل دامت قدرته وجود عزیزه

سپاس و درود و دعا

مکاتبه‌ای که در طی حضرت عبدالعظیم در میان رفت و آنچه گفتم و آنچه فرمودید البته در خاطر هست
- پس اگر کسی ترحم و مرحمت و تجلیل سابقت سر از زوایای خلق نهاده در لوح محفوظ
خود دیده باشد که خدا رحم کرد و الا من به توده خاکستر ایران آتش میزدم و در زبانه‌های
آن میرفتم + زیر و زبر میکردم و در آن عالم هرج و مرج خلق میافکندم البته بیاد
در ملک شفقت خویش خطا کرده است ــــ باری آمدم (بخواهش همایونی) و از
هیچ و پس تا ساحل بحر خزر پیمودم - و چون قدم بکشتی نهادم و غبار آن بیت الحزن را
از دامن ستردم بغیر از هدیه انگلیس باشتر و بهاء بهای حاجی محمد حسن و الحمد برفرمه
چیزی از دیگری نیافتم - پس اگر حوصله اینجا را از خواهی کنید (چنانچه کرده و بعد روزنامه
فرنگ و ایران چند ماه مقدم نوشت) و گر نه که قطعاً دعیانه‌ای دین و عبد و شاه و ستاره و هم
و دنیا رست بولنگ شایده‌اند در نزد رسائل طبقات انسان هیچ وقعی نباشد تا اهالی
درجات آنها را چه رسد (بهر ملک ویرانه چه دولت چه بیگانه) - پس باید از این دو
مطلب درگذشت ــــ آنکه در آنجاست که مستقیم عباسی اش برتر نمیدانم
و آنکه در اینجاست از ملاکریش بیشتر نشمارم - ولی من در این عالم نیستم
- البته من میخواهم که جمیع که خوان عالم را برانگیزانم و برین دارم که این متلبسین
ملبس اسلام را مجبور کنند که اقلا در یک جزء از دین خود که متعلق بحقوق عامه است
که میزان عدل و قانون حق باشد مسلمان باشند - و در جزء دیگر باشند آنچه باشند الی ما نعلم
چون آن از خاصه خود آنها است و حسابش بخود آنها راجع است ــــ و مراد از این مقصودم

مقصود نیست ـ پس اگر ضعیف العقلی در روزنامه بخواند پادشاه فلان دولت خود خبر داده است
ـ مطلب بعبارات تفصیلیه بیان نموده ـ پس اگر سخن بطول انجامد معذور بدارید ـ استواری مملکت
(یعنی حکومت) موقوف بر انتظام ادارات قوی و تمدن است ـ و انتظام ادارهٔ آنها بدون صلاح حقیقی
صورت نپذیرد ـ و اساس صلاح حقیقی استقامت اطوار و اعتدال اخلاق آحاد است ـ و این مسلّم است
که نظام ممالک بر استحکام حلقات آن است ـ و استقامت اطوار آحاد بیت و اعتدال اخلاق آنها را اسباب
متعدده است ـ یا باید فطرت نفوس آنها آنقدر شریف بوده باشد که بالطبع از دنائت امور و خسائس اشیاء
نفرت کنند و بر حسب سرشت از جور و حیف و تعدی و فسق و دنائت خود دوری گزینند ـ و یا باید آنها را
عقلی بوده باشد وسیع که بتواند بواسطه ادراک منافع حقیقیه ثابته نفوس آنها مقهور ساخته از هواهای زائله و میلهای
باطله‌شان باز دارد ـ و یا اعتقادی بسیار محکم که بواسطهٔ سلاسل و اغلال رغبات و رهبات
هر یک آنها یکدیگر در حق و عدل مجبور نماید و اساس روابط بینیه را محکم سازند ـ و چون هیچیک از این سه ناحیه
ملاحظه نشود در اجتماعات بینیه واقع حاصله نشود ـ و عدم آنها موجب فساد انتظام ادارات تمدن و قوی و فساد
انتظام ادارات باعث تزعزع ارکان مملکت و بالاخره سبب زوال آن خواهد گردید ـ و چون زوال
معلول برهانیست قاطع بر زوال علت پس باید از ضعف دول اسلامیه و خرابی ممالک آنها و پریشان حالی مسلمانان
میتوان حکم کرد که غالب نفوس مسلمانان از آن عقیدهٔ محکمه خالی است ـ و لهذا جمیع محذورات مباح
و تمامی منهیات جایز میشمارند و همه شنایع و قبایح امور جاریه حساب میکنند افترا و دروغها فقط
گمان میکنند و بر جور و ظلم فخر مینمایند ـ مثل زردشتی (که خدای شر بود در نزد زردشتیان) از بد خیری
دور و منبع همه شرور زده ـ فلذا اگر کسی از یک تن مسلمان آزرده آن دوری گزیند و یا به وی سلام
ندهد و یا گرامی نکند آن مسلمان آزرده جایز میشمارد که در حق آن بیچاره هرگونه افترا بزند و هرگونه
آتش فتنه برانگیزد بلکه تا قتل و خرابی خانمان آن نیز آتش غیظش فرو ننشیند ـ و آنکه وقتیکه متأثر نمود
بلکه فخر کند و هر دفعه بزبان آرد که دیدی که با فلان چه کردم و چگونه با تمش اش سوختم و خانه‌اش
خراب کردم برای آنکه یک دفعه چنانچه لایق بود مرا گرامی نکرد ـ البته خاطر داشته باشید که برای اندک
نزدیکی بدان جناب بعضی منبع حسد شده و امثال آن چه‌ها برای من بافتند و گفتند با این افتخار)

بیرون این [illegible] بذات [illegible] که این مرآة [illegible] که در این مملکت [illegible] ایران

بر عالم عرضه میکند بسبب تغییر ذاتی و بواسطه آنکه [illegible] که بعدالت جمیع صور منعکس نشوند

جلوه میدهد — و چون در عالم سیاست [illegible] از برای اظهار حسن خدمت با قلت مدت و اکاذیب [illegible]

— چند ماه قبل خبری که بسمعم رسید بعضی افترا [illegible] در دارالخلافه شروع داده بود و لهذا در آن هنگام

نخواستم برائت ذمه نمایم — چون [illegible] و ساوس و اباطیل [illegible] نخواستم

— و در این روزها هم چنان شنیدم که پاره اراجیف منتشر نموده است — چون اسم [illegible] حضرت اقدس

همایونی است — لهذا لازم دانستم حقیقت را بیان کنم — آنچه در این مسئله [illegible] منافع عامه و سیاست کلیه

[illegible] است البته [illegible] آن [illegible] و آن امر که [illegible] خصوصاً

شخص جناب جلالتمآب اشرف که او را بواسطه صفات فطریه خویش معظم‌ترین شخص میدانم که در روی [illegible]

— دیگر نوع محبتی از شیفتگی [illegible] در دل جای گرفته است که گمان نمیکنم که بتوانم آن را زدودن — خود هم سبب و جهت

آنرا نمیدانم — و چون این سخن از دلم بی‌اختیار سر زده است گمان میکنم که خود برهان صدق خود است — و چون

این نوشته‌های روزنامه‌ها پلیتیک [illegible] (اختر) چنان اشتهار داده که [illegible] جناب اشرف

دولت روسیه [illegible] دولت ایران میشمارند و بلاشک این باعث حقد و عداوت روس خواهد شد و نتایج

وخیمه آن هویدا است و لهذا من در هر جا [illegible] خصوصاً از جناب اشرف — و در هر جا گفتم که ذات

همایونی [illegible] خصوصاً شخص [illegible] که [illegible]

[illegible] این فکر [illegible] (خدا رحم کند) [illegible] در تعلیقه خویش

مرقوم فرموده بودید که [illegible] — هزاران شکر

و سپاس [illegible] — [illegible] امیدوارم که جواب

این نامه را ارسال نمائید و السلام علیکم و علی [illegible] مسدود

دوست حقیقی شما بلکه عبد شیفته و شیدای شما جمال الدین الحسینی

۲۷ مارس فرنگی

هو

جناب مستطاب اجل اکرم افخم امین السلطان دحبیب الرحمن ادام الله بقائه

سپاسی معدود ونا باد

رسیدن نامه خیلی بقعه مشحونه خود که برچیده — دو ایمه بحیل اباطیل ها

از میدان جدال کشیده — وغیوم مکفهره وساوس منقشع شد — وآن تمثال

همایون با همه زیور کمال وزیب فضائل چنانچه است بر روی صفحه کیاست

وحصافت در علیه عقل ظاهر گردید — مسرور شدم — وباوجود آن از طرف دیگر

تأسف واندوه از هر جانب دل را فرا گرفت — چونکه معدوم شد که قلم در حین

نوشتن آن نامه گرامی بین اصابع اقدام واحجام بوده ودر طی سطورها خطوط

منکسره را پیموده — وهر جمله از جمل آن کتاب کریم چنان ظاهر میشود که از

معبرهای پر سهمناک با هزار هول وهراس گذشته ولهذا اعراضش

چنان مضطرب است که بجز از ایما واشاره دم نیارد زدن (لا حول ولا)

دوست داشتم که فضائل در آن مرز وبوم از افق نفوس کامله چون

جناب عالی بدون زحمت سحب مظلمه وبدون غبارهای تیره وتار طلوع نماید

وبه نور اشراق خود هر برهه در همه چیز منتشر سازد — نه آنکه مانند

جواهرات گران بها در کانها بماند — اگر چه فضائل مدبر حالکه بتامه کمال است

ولی چون اثرش به دیگری به اندک قدر رسیده وادا حق واجب

کرده است — ظهور حق را در خلق جز این سببی نبوده — گویا جز اراده

پاسخ سید به نامهٔ امین‌السلطان

۲۹ ربیع‌الاول

[illegible] محمودآباد

جناب جلالتمآب اجل امجد ارفع وزیر اعظم امین‌السلطان ایده‌الله تعالی

[illegible]

وارد بادکوبه شدم و [illegible] جناب جلالی [illegible] ملاقات

حاصل شد و [illegible] نیابة از جناب امجد ارفع آنچه شایان [illegible] مقام رفیع

بود نسبت به من بجا آوردند و باهم به محمودآباد آمدیم و پس از سه

روز دیگر که از برای رفع خستگی [illegible] توقف خواهم نمود عازم طهران

خواهم گردید و چون جناب جلالی [illegible] را دیدم نخواستم که از

بادکوبه و یا [illegible] به آن جناب ارفع امجد تلگراف کنم و امیدوارم

[illegible] که به ملاقات شما مسرور گردم و آن جناب اجل نیز خوشنود گردید

والسلام دوست حقیقی شما [illegible]

[illegible]

جناب جلالتمآب اجل امجد ارفع وزیر اعظم امین‌السلطان ایده‌الله تعالی [illegible]

[illegible]

نامه‌ای از بادکوبه، به امین‌السلطان

صفحه اول از نامه معروف سید به ناصرالدین شاه.
(نسخه موجود درمیان اسناد مجلس شورای اسلامی، به خط خود سید نیست.)

حضرت والا [illegible] ظله [illegible]

[illegible] پاک و همت شما در [illegible] وجود [illegible] شاهزاده

در کل جستجو نمایم افکار در بیان و نفوس مستعده و احزاب [illegible]

دسته‌[illegible] نموده‌اند [illegible] قلم بدست گرفت مستعد ایستاده

ازین وقت بهتر هیچ وقت نیامده و نخواهد آمد اگر اطلاع فرمایید

تفصیل آن عرض خواهد شد سعادت چشم براه ایستاده است

اگر این فرصت فوت شد ندامت و پشیمانی زیاده از آنست که

تصور شود دیگر الحضرة والاء مختارند وظیفه اخلاص بجا آوردم

والسلام مع حضرتکم العالیة

جمال‌الدین الحسینی

نامهٔ جمال‌الدین به محمدتقی میرزا (ظل‌السلطان؟!)

جناب نزیه النفس طاهر السریره امین الضرب هستند

همیشه در عون حق بوده باشند — در اصفهان چنان

مقرر [illegible] بود که آنجناب رنج کشیده در قرب جوار خویش

منزلی از برای من بنا کرده معین فرمائید — نمیدانم

آیا آنکه به فرموده‌اید یا نه — و اگر کرایه نموده‌اید در

کجاست — اینک در شهزاده عبدالعظیم نشسته

منتظر جوابم لازم است فانا [illegible] [illegible] والسلام

المحب جمال‌الدین الحسینی

مسکوف ۳۰ شهر ذیقعده

سالک مسلک حق پرستی جناب حاجی محمد حسن امین لازال محفوظاً عن سوء القضا

در تلگراف خبر داده بودید که جواب در مکتوب است - پست خط نمیکشد و نمیخواهم
در شما بغیر از راستی گفتار گمان دیگر کنم - مکتوب نرسیده - بچه باید همه کس
- مسلکی که با هر نوع نعمت الهیه پیموده اید از راه عدل و انصاف بسیار دور است
= اگر در حق ایشان شبهه دارید و یا یقین در هر حال بنا بر سنت الهیه
معروف شود - خداوند تعالی با احاطه علم ازلی اش تا در محضر ملائکه
و انبیا وضع میزان و بسط حساب و اقامه شهود نمیکند جوارح
و اعضا جانی را تعذیبش نمیکند - از سنت الهیه سر باز زدن
در هیچ حال خوب نیست - و لیس بعد الحق الا الضلال - شما معصوم نیستید
شاید غلط کرده باشید - با خلق خدا آن کن که چشم داشت از خدا
دارید = و اگر مقصود شما اینست که این منفعت بخویش نارسد
چرا بیگانه از آن متمتع شود - این خلاف مروت است که شخصی سالهای
دراز شما را خدمت کرده باشد و شما حقوق آنرا ملاحظه نکنید یکبار
بملاحظه منافع خویش است و در غرامت آن بلاسبب یکدستی البته باید دانست
که بالای این قدرتهای ضعیف قدرت غیر متناهی خدای است
پس ممکن است که آن قدرت کاملا بجهت دلشکستگی شخصی خانه
سالها بر باد فنا بر بد = و اگر از برای اینست که نمیخواهم که کسی

احمد را از من سلام برسانید [illegible]

[illegible]

منتفع شود جز خفت (چنانچه گمان در حقیقت ندارم) البته در آنوقت باید بدانی که خود
هدف تیر انتقام الهی خواهی شد (استجیر بالله) - مخرج نفس طامع همیشه در
قبضهٔ قدرت خداست - اگر بر دوست پروردهٔ خفت حسد میبری (استعیذ بالله)
باید خود علاج کنی پیش از آنکه مورد سخط گردی (هیچگونه این گونه توهم در حق تو
نمیکنم) ——— و در این حال من در شهر مسکوف قول دادی و تلفظ [illegible]
کردی - حاشا این گونه امید نداشتم - بسیار رنجیده شدم - و اگر از عزم
خود منصرف نشوی رنجش بر دوام خواهد بود - بلی محاکمه کن اثبات
غش و اختلاس [illegible] بنما پس از آن هرچه خواهی کن - و در آنوقت در نزد خدا
و خلق بری الذمه خواهی بود - والا نه در آنجا شمارا عذری خواهد بود و نه در اینجا
از ملامت خلق خواهی رست — با کاتکوف ملاقات کردم بسیار مسرور شد
و همان تکلیف را کرد که پیش امپراطور بروم بعد از چند روز خواهم رفت
— و در روزنامه‌های مسکوف و پطرسبورغ ترجمهٔ حالم ثبت شد و بجرائد
پاریس هم بتوسط تلغراف ذکر شد والسلام

دوست حقیقی شما

جمال‌الدین حسینی

طبیب الاسرار حسن السیره جناب حاجی محمد حسن امین مدظله محفوظاً

بعون الله تعالی من عند حق سلیم و شکر بر جمیع ایشان

رقعه (کاغذ شما) شرف رسید — خداوند تعالی کنج نجات از شر مرض طبیعت خسیس نفس

که میخورند و میبرند و میدرند و پس لذات بر جانها میرسند همیشه صیانت —

— لذا پرخوبند دل حق را نه بعد — اگر از دست خویش است چاره جز صبر

در این نیست — و اگر بکلی ناتوانست — نتوانم بگویم که حق پدر

برکات قوه ما ممکن نیست که با ضعیف مدعی رزق بدهد حقوق حکم عدل و انصاف

مگر آنکه بپایه او تنزل کند — البته بعد از وقت واجبات ذمه ما را رسته

تا سعادتمند بود ...... — و اگر زبردست است البته من بی حاصلم

که شاخ انزوا بقوت الهیه بشکنم در هر جا باشد — و هر جا باشم

ـ والحقوق چند روزهٔ شما را فرامُش نخواهم کرد ـ اگر عقدهٔ پیش رفت بیاکن

ـ در مضامین مکتوب شما چنان ظاهر شد که گمان کردید که میرزا نعمت‌الله

محل برای ارزش کند چنان مکتوب سخنی [illegible] بنویسم ـ بسیار کم حافظه شده‌اید

همان مضامین را که بنده [illegible] در غیاب میرزا نعمت‌الله [illegible] گفتم

من برای خیریت گفتم ـ مکتوب عربی العبارهٔ [illegible] خواهم [illegible]

خوشحال شدم هرکس نگاه دارد و بمراتب بلندش برساند ـ و من یک مکتوب

ده روز قبل به [illegible] نوشته بودم ـ و امیدوار آنم که دوستان میرزا جعفر

همیشه در ظل عنایت شما مسرور باشند ـ و سلام دوستانه بر [illegible] میرسانم

و فردا به (بطرسبورغ) خواهم رفت والسلام

دوست شما جمال‌الدین الحسینی الافغانی

یک شنبه ۲۴ ذی‌القعده [۱۳۰۶]

همین روز در خانهٔ [illegible] مهمانم

و فردا [illegible]

بطرسبورغ

۹ فبریه فرنگی

جناب محتشم حاجی محمد حسن ایلچی در دربار سلطانیه

همیشه در حالات

نفسیه و بدنیه در کمال اطمینان بخوانید

خبر تازه چه میشود شما را - مسیر عالم بر روی است و شمشیر ایمان از نیام کشیده اید
- خدا کند که در مقابل حق نباشد - قوه واهمه اگرچه از تکمیل عقل و اشتغال آن
به ترتیب و تربیه اجداد بوجود آمده است - ولی او را قوتیست بس رشیده
که در غالب نفوس بشریه با عقل به نبرد آمده بر وفاق میکردد - و جمیع ضلالت
عالم انسانی از وحشت نموده است - و اوست که حق را مشتبه نموده بصورت باطلش
ظاهر میسازد - و باطل را از رونق ساخته بهیکل کمالش بر عالم جلوه میدهد - اوست
که در خیر مطلق بوساوس خود سیئات تشبه شرور را بابصار نمایش داده بیچارگان را
محروم مینماید - و شر را بزیب و زینت دلربا آرایش نموده نفوس را بر آن ترغیب میکند
- و حکما این قوه واهمه را شیطان عقلش میخوانند - ولکن فرق بعید است میان
آن دو - چونکه شیطان بیچاره اگرچه انسان را از سلوک سبل حق و حقیقت
باز میدارد ولکن او را در تمتعات و لذات دنیویه و شهوات بدنیه مساعده مینماید
- واما قوه واهمه انسان را از سعادت دنیا و آخرت هر دو باز میدارد - در عین
غنی وجود توانگران را از خوف فقر میکاهد - و در حین شادمانی ابواب احزان
گذشته و اکدار آینده را بروی باز مینماید - و نیز برای تلخ کردن زیست انسانی
در اعوان و اصدقا و اهل و عیال و خدم و حشم شخص شبهها القا میکند تا آنکه همیشه
معذب بوده باشد - از دست این دشمن دیوانه باطنی در این عالم ابدا راحت
کملین را هم سبب رد شده است که بالمره خلاصی و نجات حاصل شود

ـ و با وجود این امید آن نداشتم که تا بدین درجه واهمه بر شما چیره شود ـ من شما را
بهمت و غیرت و جسارت و اقدام ستوده‌ام ـ و این اوصاف آن اوصافیست
که از نهایت شرف انبیا و اولیا با آنکه معارج عالیه و جنبهٔ لاهوتیت داشتند بدانها
فخر مینمودند ـ و اگر در اعدای ایشان همان صفات یافت میشد از ستایش آنها بدان
سجایای کریمه استنکاف نمیکردند ـ و شما قوهٔ واهمه را آن داشت که آنها را بر اخس
اوصاف مجرده (یعنی دروغ گوئی) حمل نمودید ـ این یکی ـ دوم آنکه چنان
گمان کردید که من با شما و یا غیر شما بکنایات و تعریفات سخن میگویم ـ من
چرا با شما بکنایه چیزی را بیان کنم ـ و من چرا به شما دروغ نسبت بدهم عجیب
ـ سبحان الله ـ بلی عقائدیکه از وهم آید از وهمی زائل شود ـ خطرات قلبیه
و تمام را هیچ اعتباری ـ من این سفر شما را بفرنگستان و آن نیت خیر شما را از آثار
همت و جسارت شمرده بودم ـ دل خود را اصلاح کن ـ چرا باید وهم تو را الحال
فاسده باز دارد ـ شما بمن نوشته بودید که من در بطرسبورغ از برای تحصیل اذن
سعی کنم با ملکی خبر فرستادم ایشان جواب دادند برای شما نوشتم ـ پس چرا باید تو همی
که با تو بکنایه سخن میگویم ـ جناب میرزا دل خود را اصلاح کن ـ من هرچه میخواستم
با شما بنهج صراحت بیان میکردم ـ اگر آنها تغییر یابد من همانم ... ـ و اما
میرزا نعمت ـ من با میرزا نعمت الله مخالف نیستم ـ من میخواستم که جمیع افعال
شما بر نهج حکمت بوده باشد ـ از جهت شما آن نامه و کتابه گفتم اولاً باید حساب کرد
ـ حالا خوب تصور کن چون اولاً حساب نکردی اگر حق هم بطرف شما باشد هیچ گونه
اثبات نتوانی کرد ـ اگر دست برداری خواهند گفت که خواست ظلم کند ولکن
عاجز شد و نتوانست دست بردارد ـ و اگر مطالبه نمائی و او را برای حساب بطهران
بکشی خواهند گفت بجور و ستمکاری بیچاره نعمت الله میخواهند خراب کند ـ اینست

بنده آنکه از اول نصیحت‌های مرا پیروی نکردید — من میرزا نعمت‌الله که در خانهٔ شما دیدم و مباشرت م

با شما در جمیع جهات بیشتر است از معاشرت باد — و با این همه او تمام شما با زمن شده

اکمل از بیشتر ایرانیان میدانم — خیال فاسد مکن — شما خارج نیستید — از این

درگذریم — اما فاضل سبب عجیب است که چرا در هفته مکتوبی نمینوشته بلکه

خدای نخواسته در این جوانی او سوء هم و تشم غلبه کرده است — باید هر وقت مکتوب

بنویسید گاهی عربی و گاهی فارسی — و بدعا و سلام تنها اکتفا نکنید بلکه بعضی تفصیلات

بنویسید تا آنکه قوهٔ کتابت و انشاءش افزون گردد و فکرش وسعت گیرد و منتظر

آن نباشد که من هر مکتوب را جواب بدهم — البته من گاه گاه برای تشویق او جواب

خواهم نوشت و ... در وقتیکه مضامین مکتوبش عالی بوده باشد — جمیع متعلقین

و دوستان و احباء خود و مرا سلامها برسانید — باز شما میگویم میل عمو را

اصلاح نمائید — و دائماً بر خود چیره نسازید — خداوند عون شما باد در کارهای خیر

والسلام

دوست شما جمال الدین الحسینی

بطرسبورغ

۲۰ اوری فرنگی
شعبان

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن از مصائب دهر بنظر الله مصون باشند

سطری که در حاشیهٔ مکتوب سابق نوشته بودم که باز خاطر محزون شده بود ــ شخص مردان آن
همه مقهور حادثات طبیعیه است ــ نه عقل را بر فرحت و حزن و غضب آن
حکمیت نه دین را ــ کمال عقل و تدین حقیقی که انسان را در شناخت حاصل میشود
باید از سطوت طبیعت رستگاری بخشد و حادثات طبیعیه را منهضم گرداند ــ تا که
فرحت و اندوه و خشم آن همه در دایرهٔ عقل و دین بوده باشد ــ ازین راه میتوانم
بگویم که شما را بس لایق نمیسزد که از موت والده و فوت کریمه اندوهناک شوید
ــ بلکه باید درین عمر پس از همه تجربه‌ها و معاشرت با اصناف عالم از صالح و طالح
اندوه شما بر ارتکاب رذیلهٔ و یا ترک فضیلتی باشد ــ و فرحت شما باصلاح ذات خویش
و تحلیهٔ آن بصفات حسنه و اخلاق کریمه که اعاظم افراد انسان بر انها فخر میکرده‌اند
بوده باشد ــ نه بغیر آن ــ و اصلاح ذات خود (چون تجارت) بعد از عطیهٔ الهیه
موقوف بسعی و اجتهاد است ــ و فکر شبانه روز میخواهد ــ و حساب باید کرد
ــ و همیشه باید در خوف و رجا بود که مبادا در حساب خطا شده باشد ــ و افکار
عقلیه و اخلاق نفسیه را (چون بضاعت تجارت) باید تجربه‌ها کرد و با اهل خبره
نشان داد و سؤال کرد و تفتیش نمود ــ البته اهتمام انسان در قوام ذات خود
اشرف است از سعی آن در خارج از خود ــ و چنان گمان نشود که باید از کار
جهان دست کشید ــ نه نه ــ بلکه باید کار جهان را بر نهج حق و عدل
از برای (خدا) کرد چنانکه (خدا) میخواهد ــ و خداوند تعالی میخواهد

که در عوالم سفلیه نیز چون عوالم علیه همه کمالات و زیب و زینت خود را در همه چیز و در همه جا ظاهر نماید

— و همه بزرگواری و قدرتش را در موجودات و صنایع و آثار آن ظاهر گرداند — و انسان را در همه

حالات مظهر کمال خویش قرار داد تا اینکه در هر طوری شاهد کمالات غیر متناهیه او باشد — و بدین انسان را

جوهری که انسان کامل تعبیر کرده نه نهایات انسان فانی که بغیر از تقطیع اصوات و مضغ مواد چیز دیگری

نیست — خداوند یاری کند — و همه پاک پرستان را جلوه‌گاه کمال و جمال الهی نماید آمین

— و اما مسئله نعمت که در مکتوب خود شکایت بر شما عرضه کرده بود — البته شما بر نهج

حق و عدل کلمه‌ای را از آن شخص را قبول خواهید نمود — و امیدم چنان است که هیچگاه شما به تعدی

و اجحاف که صفت جباران است راضی نخواهید شد — جواب جناب جلالتمآب آقای

امین السلطان هم در جوف مکتوب شما بعنوان خودشان روانه طهران نمودم — اگر کما

دوستی برسد سلام برسانید — همیشه شما را در هر حال و متعلقین شما سلامت بخواهم والسلام

دوست شما جمال الدین الحسینی

۱ هو سبحانه [illegible] ۱۰

جناب مخشم محترم حاجی محمد حسن امین دارالضرب دام اقباله مظهر عنایات حضرت الهیه باشد ـ

چند مدتی است که میخواهم جواب مکتوب شما را بنویسم ولکن بعضی عوارض مانع میشود
و این لذت آن طرف باشد ـ جود مطلق الهی در مراتب طبیعت و ماهیات جزئیه جلوه میکند
ـ ات زلال فرش کرده و در هر تجلی بر حسب سرشت آن لطف دیگری در مذاق
ظاهر میشود ـ چرا که در عالم افاضه و استفاضه بمنزله دو کفه میزان است
ـ معامله حق با انسان بر وفق معامله او است با خلق ـ پس باید همیشه عنایات
غیر متناهیه حق و قصور به اندازه خویش را در پیش نظر داشته با خلق خدا مانند [illegible]
معامله کرد ـ از خداوند تعالی علی الدوام با استحقاق نعم عظیمه و [illegible] خود را
خواستن و همیشه طلب غفران ذنوب صغیره و کبیره نمودن با وجود این
خلق را از خوان نعمت خود راندن و بر زلات حقیره با نهایت خشم
عقاب کردن بسیار جای شگفت است ـ انسان باید مستمراً در دعوات خود
بگوید که ـ ای خداوند من ـ من بدین عجز و ناتوانی بر زیردستان
رحم میکنم و گناهان آنها عفو میکنم ـ پس اگر تو با آن قدرت مطلقه و رحمت
نامتناهی برین عاجز رحم کنی و از ذنوبم درگذری و مورد عنایات خاصه‌ام
سازی چه عجب باشد ـ [illegible] ـ و خداوند تعالی [illegible] عدل است
ـ برای صد فرمان [illegible] در حالت [illegible] نباید عاجزی را
حبس کرد ـ باید از [illegible] خواهان کمال سعی کنند که خود را مظهر صفات

بماند [illegible] خوب است — این مطالب را شاید [illegible] که [illegible] اگر [illegible] طبیعت آن

قابل غفران نیست نه خدای خوب چگونه میخواهد — اگر کسی [illegible] بکند [illegible]

و بدون سابقه عملی دانشی بکسی بدهد در آنوقت نه خداوند [illegible] مطالب [illegible]

و معنوی [illegible] البته [illegible] خودش [illegible] میخواهد [illegible] این [illegible] بعض [illegible]

[illegible] خبر است — [illegible] نعمت [illegible] اطاعت [illegible]

[illegible] آن [illegible] — [illegible] اگر [illegible]

و اگر مجنون [illegible] در هر حال بسته شده است — نباید سختگیری کرد — در حالیکه [illegible]

[illegible] مملکت ایران منظره [illegible] صفات [illegible] کرده است [illegible] شکرانه همین نعمت

همیشه [illegible] آن [illegible] — با حق خدا [illegible] آن کس که میخواهی از خدا

[illegible] شده است — ان شاء الله — ان شاء الله [illegible] هیچ کاغذ [illegible]

حاجی محمد ابراهیم و [illegible] مستعد [illegible] سلام [illegible]

دوستت جلال [illegible]

پطربورغ

۵ سپتامبر فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین همیشه دین آخر زمان

(که زمان تباهی وفا و اخلاق متلبسین بلباس اسلام است)

مظهر عجائب قدرت حق بوده باشند — دیگر مکتوب جز چند کلمه

اینها نخواهم نوشت — اگر دل را تغییری و فکر را تبدیلی حاصل نشده است

برسیدن این مکتوب باقرب وسائل که ممکن است زمان

پنجهزار منات را که بمیرزا علی حواله کرده بودید که بمن بدهد

و در آنوقت من قبول نکردم — اکنون همان پنجهزار منات را

به لامحاله حواله کنید که در پطربورغ بمن بدهند زیرا

آن مبلغ را باز پس خواهم داد لامحاله — دیگر هم اگر شما

در حواله قلق و یا اضطراب حاصل شود و چنان گمان کنید که وجه شما

پطرسبورغ کران [illegible] ۳ نوامبر فرنسا

جناب فهیم غیور و مقدام جسور حاجی محمد حسن امین [illegible]

مکتوبهای شما همه رسید – و از سیر و سلوک عقل فطری شما در عالم

آفاق و انفس و لذات آن ملاحظات دقیقه شما در تطورات

وجود بسیار خوش شدم – البته نباید که انسان با وصف انسانیت در این

جهان چون حیوان از همه عقل بی‌بهره زیست نماید – و هیچ کلمه

از کتاب الهی که عالم است نخواند – و اما آنچه در حق میرزا ملکم

نوشته بودید همه را قبول میکردم اگر قول مرا شنیده اول

محاسبه میکردید – و اما از هیچکدام هیچ قبول نخواهم کرد – و اما کیفیت

رسید برای امین سفیری که در پطرسبورغ است میگوید که بهیچوجه

حاجی امین چیزی بلند برای من نخریده است و ناظر دولت علیه

نمره ۸ زاویه فرهنگ

مظفر بیوک

بما

جناب محترم مکرم حاجی محمد حسن امین همیشه مظهر عنایات خاصه حق بوده
خورسند باشند

هیچکس در هیچ امری که امروز نتواند دعوی آن کند که بر جمیع حقوق آن
چنانچه باید و شاید قیام نموده است و باید بداند مگر در آن دقیقه که از اهمال و در آنها
ضایع رنج سابقی و یا قصور ضرر لاحقی بخاطرش خطور کند - اینست فطرت
انسان - بنابراین اگر چه ما امروز ... در نفوس بهائم است - شخص امین
هر قدر متدین باشد در صیانت امانت آنگونه اهتمام نخواهد نمود که در حراست
مال خویش خواهد - و از فقدان آن بر انسان محزون نمیگردد که از خاطر خود
- اینست طبیعت بشر - خادم هر چه صادق باشد نتواند چون مولای خویش
در حفظ اموال و حقوق اهتمام نماید - بلی اگر ضامن خسارت باشد چون که در وقایت
اهتمام خواهد کوشید که گویا از آن خود است - اینست سرشت بنی آدم - پس
اگر کسی بخواهد که خود را از نقائص اهمال و تفریط در حقوق مبرا و منزه سازد
و طبیعتش بر قیام بواجبات اهتمام نماید و نفس را بر مسابقت و مسارعت
وا دارد - باید ... - تقدیم کند - اینک شما از برای آنکه
در تمهید سبل حق کوتاهی نکنید و در رواجبات تهیه اسباب آن تساهل
نورزید مبلغ چهار هزار منات بنام رهن تقدیم نموده - و الحاصل
مبلغ دو هزار منات هم چنانچه نوشته بودید از ... خواهد گرفتم شکر شما
با خداست - این وجه است بزودی بشما خواهد رسید - تفصیل
از میرزا نعمت الله ... در مکتوب قبل نوشتم البته بشما رسیده باشد

[illegible]

بطرسبورغ

۱۰ مای فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین دارالضرب السلطانه

همیشه خورسند و از مصائب و آلام دنیویه مصون و محفوظ

اگر شما را دوست بدارم که با آنقدر خطاء عظیمی نکرده باشید

از خطاء خائنیت) و محبت را لازم بسیار است ـ

چون ملاحظه کنید اگر کسی دوست خود را چون شخص

حقوق آنرا نکند نتوان او را دوست شمرد ـ بلکه آنگونه شخص

باید آشنا گفت ـ و دوست دیگر دوست است ـ لهذا میگویم که

جناب الامیر جعفرخان قنصل (مکاریه) دوست من است

و زیاده بر سیادت نسبی قلبش مطهر و اخلاقش مستقیم است

[illegible]

غرهٔ مارس فرنگی

اگر از تو شکوه کنم گویا از حق سخن رانده باشم زیرا لحظه

خواهم اندیشه کرد که شاید در تربیت چنین نامه و رد آن از فرزندی

قضای قصوری بوده است و اگر هم در زمره این را ضی شده باشیم

که تو هم در اخلاق و عادات چو سایر ایرانیان باشی و من نمی‌خواهم

چون آرزومند آنست که ترا در ایران مصدر امور عظیمه ببینم

چرا که ... مکتوب فرخنده بالی بتو نوشتم جوابش تا هنوز نرسید

خجالت کشیدی در نزد طبیعت و قانون شریعت شرمنده گشته

باری میرزا ابوتراب با دو جلد بتو میسپارم معنی این

[illegible]

۲ مارس فرنگی

جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین دارالضرب السلطنه رحمه

خورسند و مسرور همیشه باشند

مکتوب شما که در آرزوی حصول فرصت از برای گله‌گذاری (جای التماس دعا را گرفته بود)
رسید ـ جناب حاجی من آنچه گفته‌ام و میگویم و کرده‌ام و میکنم همه محض و صرف
از برای خیر امت محمدیه بوده است و خواهد بود ـ و بهیچوجه انانیت را در او
مدخلی نبوده است ـ و اگر منافقان ایران در نزد کوران و کران که نه چیزی
شنیده‌اند و نه دیده‌اند انکار نمایند ـ امیدوارم که شما در پیش نفس خود
اعتراف کنید که راست میگویم ـ و چون خداوند تعالی از حقیقت کنش
و روش من مطلع بود لهذا دولت عثمانی را پس از شش ماه که از دربار خلافت
بان در آمده گوشش و دماغش را برید و کمرش را شکست ـ و خدیویت مصر را
پس از آنکه مملکتش را پارچه پارچه کرد پای سنگین انگلیز را بر گلوی
آن نهاده که نزدیک است که نفسش قطع شود ـ و شیرعلی خان
و عائله‌اش تار و مار کرد ـ اکنون میگویم اگر ایران بر گناه خود
اصرار نماید و توبه نکند خداوند تعالی چون بجهت گناهان سابق اش
گوشش و دماغ کرده است حالا سرش را خواهد برید و گوشتش را
طعمهٔ نسرها و عقابها خواهد نمود ـ و بسیار زمان طول نخواهد کشید
ـ خداوند تعالی بیزار است از این اعمال جاهلیت و رسوم وحشیها
که بر سر آنها عمامهٔ اسلام و دین نهاده‌اند ـ اینک هم جهارا
میگویم و عالم هم در این نزدیکی خواهند دید ـ نوشته بودید

که پس از ورود من بطهران همه چیز آماده و حاضر بود   حاجی جان چه حاضر بود و کدام چیز آماده بود
— من صدراعظم نمیخواهم بشوم — من وزیر نمیخواهم بشوم — من ارکان دولت نمیخواهم بشوم
— من مواجب نمیخواهم — من وظیفه نمیخواهم — من عیال ندارم — من ملک ندارم و نمیخواهم
که داشته باشم — پس چه حاضر بود و چه آماده — جناب حاجی بسبب رشحها بواسطه طی برتبه‌ها
بلکی بپایه‌ها رسیده‌اند — و بسبب رشحات بتوسط همه بمرجعهای بامنظر رسیده‌اند — ولکن خودم
همیشه بیک حالت بوده و خواهم بود — جز نصیحت و اصلاح مقصد دیگر ندارم — و آنکه دل شما
تغییر داد اگر قلندر اصفهانیست و یا قلندر طهرانی و آن زنیکه را طلب شده و آن عنایتکه
تهاون وزیر خداوند تعالی انتقام‌کش بهتر میداند — ان شاء الله چون کشف حقایق نتواند بکند
جزا همه در اینجا و در آنجا در دست حق است — نگاشته بوده که جناب علامات ز علم
با وج اقتدار رسیده‌اند اگر در آن نفع خلق است باعث مسرت و خشنودی است — اگر خیر
من بود و خیر عموم عباد اینکه بگور باد بهتر است و اگر دستم برای سعادت مخلوق بکوشد
از حرکت باز ماند و اگر پایم در راه نجات امت محمدیه قدم نزند شکسته شود — اینست
مذهب من و این است مشرب من — و امید آن دارم جناب علامات اخیر بقدر اقتدار رحم
بر حال ایرانیان بیچاره مسکین فلک زده بکوشند — فرمایند — نعمت همه سود دیگر
که از برای شاه روانه کرده بودید پیش حاجی فرستاد — والبته شکر ملی از آن وجوه ثلثه که اشتباه
عرضه کرده بودید قبول خواهید کرد و ذره عدل و انصاف منحرف نخواهید شد — از قاضی
چیزی ننوشته بودید — جمیع اهل خانه و متعلقین شما و حاجی محمد ابراهیم را
از طرف حقیر سلام بگوئید و آتش سوزان برزخ این جهان را برطرف
بملاحظه قیومیت الهیه برداشته سلام نمائید — و جناب ... خلیل ... سلام بگوئید

والسلام

جمال الدین الحسینی

عبدالغفور حاجی ... است

پطرسبورغ ۳ ژوئیه فرنگی

جناب مستطاب محترم مکرم حاجی محمدحسن امین همیشه مورد عنایات حضرت باری
الهیه و مظهر الطاف ربانیه بوده خورسند باشند آمین

پس از آنکه مکتوب بشما روانه نمودم کاغذی از طرف شما رسید و فاصله
بین صدور آن و ورود این بیش از پنج ساعت نبود ـ صدق است
این مطلب را جامه [illegible] و [illegible] تجسس میکند ولکن آن بلاد
عقل و روح و نفس ناطقهٔ انسان را دگرگون میگرداند چونکه
بیچاره‌ها بجهت تفاوت آرای فاسده و تندطبعی اطوار کاسده
و هیجان اخلاق رذیلهٔ اوباش محتاج میشوند که دروغ گویند
و تدلیس و تزویر و مکر و خدعه بکار برند و از طریق مستقیم
منحرف گردند و برضد فطرت بیچارهٔ خویش عمل نمایند و جناب
حاجی اگر در نفس خود ملاحظه کنند (با آنکه طالب صدق و فلاح و در
اصل فطرت اند همهٔ ایرانیان که اند [illegible] گذشت است بر می‌خیزند)
میل این امر را خواهند یافت (چاره نیست چه باید کرد) ولکن
ممکن است که اندک اندک حقیقت حال بر خود آن ملتبس گردد
و زشت را زیبا شمارد (نعوذ بالله).. نوشته بودید که بمشهد مقدس
بروم و خلق را علم بیاموزم (بسیار خوب است) ولی در مملکتی
که افتراء گفتن را هنر دانند و دروغ گفتن را کار دانا

و نمودی به شده خود شاه را بدین صفات شیطانیه در مجالس و مجامع مباهات و مفاخرت
نمایند و خویشتن را بزرگ می ستایند چه قصد شهرت سخن از حق راندن و حقیقت
علم و آنچه [illegible] خصوصا با جاهلی که حق و ادا نشایند و کری که خویش به بصیرت انگارند
— و به اینها چنان کمال مسکینی که شاه در آن چند ماه که شب در روز و در [illegible]
با هم بودیم به لطفات فطریه و نور ایمانی او به کمال شناخته باشید و دولت باشیه
که مرا در این جهان چه در غرب باشم و چه در شرق مقصودی نیست جز آنکه در اصلاح
دنیا و آخرت مسلمان بکوشم و اخوان یقین هم است که چون ستمدیده از صاحبان
خونم در این راه ریخته گردد و [illegible] در حرکات خود مجبورم و از اراده الهیه سرمایه ترم
[illegible] در گذرانم... (در وقت ورود به [illegible]) بر رسم فرنگستان بهر
یک از ایشان یک (کارت) خود فرستادم و با آتش الدوله و فخر الدوله
و اعتماد السلطنه چنانکه میدانید ملاقات حاصل شد چونکه وقت ملاقات کردند
— و کاغذی با امین السلطان نوشتم و خواهش نمودم که وقتی از برای ملاقات
معین کنند و در ضمن مکتوب بیان کردم که میخواهم در این فرصت کمیسیونی از ایشان
به برهان واضح بیان کنم ایشان به رافع ورقه ساعت مطلع کردند
و در هر نیم ساعت که از حجره خود بیرون آمدند برای کاری به رافع ورقه گفتند
که اکنون جواب خواهم نوشت (آخر رافع مأیوس شده بازگشت) و سبب با کثرت
اشتغال دنیا و مسالک شیطانیه هر چه تا [illegible] باید بشود (دست خدا بالای دستهاست)
— نوشته بودم که یک دوره [illegible] زند از غرب بشرق و از شرق بغرب.
و بعضی از رجال دولت روسیه از من استدعا نموده که چندی توقف
نمایم تا از نتیجه سفر [illegible] بلند معلوم گردد و لهذا چند روزی هم دیگر

مشهور خواهم [illegible] و جواب اگر [illegible] (یعنی [illegible]) [illegible]

در هر حال سلامت و خورسندی [illegible]

دوستت جمال الدین الحسینی

[illegible]

همه اینها گذشته است

وای بر حال ما با این گونه زندگانی

[illegible] امیدوارم که شما این گونه نباشید

و همیشه بیاد آورید که خداوند تعالی

ثبات مودت را علامت صدق ایمان

قرار داده است

جناب [illegible] حاجی محمد حسن امین [illegible]

سلام الله

این واقعه مهوله محزن از بزرگترین عبرتی بود که مسلمانان ایران
بدانند که هر گاه تا هر درجه بجهت اصلاح حال صوری و معنوی ایشان
ثابت و پا برجا هستم (و ان شاء الله الرحمن تا رسیدن بمقصود نیز ثابت
خواهم بود) و دیگر نکته ضعیف بودن ما ها در مقابل ظالمان
در ظالمان فیما بعد ملاحظه کنند و سزای ستمکاران
بچشم خود در آتیه بنگرند شاید ایمان ایشان قوی گردد
باز اینکه — تفصیل واقعه و اصناف ستم [illegible]
رسیده [illegible] فیما بعد خواهم نوشت

با

جناب برادر بزرگوار حاجی محمدحسن امین لازال ثابتاً علی سبیل الرشاد

سلام مهابا

روز پنجشنبه در حضرت عبدالعظیم که از بیماری قادر بر حرکت نبودم بیست نفر جلاد (فراش) عمر سعد (اکبر خان) ریختند منزل (معین التجار برده) مرا با غایت غضب و حدت که نمونه‌ای از حقد و کینه عساکر ابن زیاد بود کشیدند — چون خوف آن داشتند که مبادا از رگ اسلامی در قلوب اهالی شهزاده عبدالعظیم مانده بسبب غیرت دینی از من حمایت کنند (و حال آنکه این خیال باطل و فکر محال بود چونکه اسلام و دین و غیرت و حمیت مدتی است که از ایران هجرت نموده چنانچه همیشه میگفتم) آنقدر مرا با سرعت میبردند و شتاب میکشیدند که دکمه‌های قبا و پیراهن گلوی مرا چنان فشار داد که نفسم قطع شده بزمین افتادم — پس از آن بهیچگونه ندانستم که مرا چگونه برای هر کاره عمر سعد رسانیدند و تا مدت چهار ساعت هیچ نفهمیدم که در کجا هستم چون بخود آمدم و عمر سعد و شمر (احمد خان قزوینی سرتیپ سوار کشیک خانه) در حضور خود دیدم و مدت سه ساعت هم بی عمامه بی ردا نشسته همه اتصال آب مینوشیدم چونکه بسبب حبس نفس حرارت شدیده‌ای در جگر حاصل شده (حقیقتاً تا کنون که فی این تاریخ بیست روز است روزی چند بار آب مینوشم) پس از آن شمر کثیف در ساعت بیش بغروب نمانده با پنج سوار شده در زیر برف بسمت رحال کشانیدند کیف کلاه که در آن زمستان لازم است نیاوردند ایشان برخورده

رفتند و کیف هم که در آن بعض مبلغ و پارۀ اوراق و کتب بود نقد بردارند
هرچه گفتم در این خبر رسید کسی هم در این خبر ندارد آخر الامر مشیر گفتند وقت
میکنند و ما کیف برای شما نقد روانه خواهیم کرد - پس یک بقچه لباس ملا را از درد
با قلمدان در سبد چیق و لکن یک قلمدان هم دزدی شد و دیگر اسباب چیق
و سینی چوب بست و الحمد در صفر عدم این چیزهای حقیر هم نهب کردند همان
عبا و لباده و دو قبا در چمدان گذاشته ملا بیک با بی کلتش سوار نمیده تا یک ساعت
مستی سوار با ما آمدند - پس از آن ملا در حالت بیماری و تنگ نفس و حرارت تب
به پنج سوار که رئیس ایشان سنان بن عیسی که حمید خان سرهنگ باشد سپردند
دیگر در این راه به بالا پوش بد شد و ما همه از برفها و آن سرما نشد به و آن خشونت
اخلاق و عدم ایمان فارسیان و در منزل کاهها یعنی طویلها فرود آمدن آن عفونتها
آن دودها دیگر خود شما تصور کنید که چه گذشته است و از همه شگفتر اینکه چند قران
که در جیب بود لشکر ابن سعد نبردند از حضرت عبدالعظیم تا کرمانشاه یکبار گوشت خریدیم
و انهم در منزل دستگرد که در دنیا از عجایب اتفاقات با حاجی ناصر اتفاق ملاقات افتاد
و الحق ایشان کمال صفا هم بجا آورده اسبی درشکی و خوراکی بعد از بدی خلق هم داشت
بسی بد بود و دیگر هم قبول نکردم عذرش را بپذیرد - اینهمه هم گذشتم تا اینکه این مدت مصائب
همه بر ما می وارد آمد دلی در همۀ این حالات روح ما مسرور و بوده است
و حق به جانب بود و ملاحظه بعضی ایرانیان خوبند و ایشان که می برای اصلاح احوال
صوری و معنوی ایشان تا هر درجه ایستاده کی دارم آنچه میکنم نه از برای اهرار وقت
و گرمی مجلس بود از خداوند تعالی خواهانم که این واقعه مهوله هم یکی از اسباب فرج
قرار دهد و بدین مقصد عالیم برساند و دلها پاک منور با ایمان هم شما کرد از امی
- کاغذی که لا محمد علی نوشته بوده خواندم هیچوقت در صفای روح و نفاق و تنفس
و علو سببی باشد از یوم اول ملاقات شبهه نکرده بعدم شکر شما با خدمات و عزای شما
از دست ملا محمد علی الحق چون ملا علی همیشه در خدمت شما ابرار حاضرند و البته آنچه

لازم باشد ازاین کار گرفته خواهد شد جناب حسام‌الملک تا امروز بسیار مجالست
ننموده‌اند الحق از اینهم محجوبات ـ اکنون بیمارم و به عذر از رفتن و مانده سخن بمیان
نیاورده است و امیدوارم که نه در عزم استاد من و نه [illegible] شکل
نقصی حاصل شده بلکه باید بسبب این واقعه مهوله مترقب آن باشید که علی‌الدوام
جذب قدرت الهیه و در اعدا دین و دولت شاه [illegible] و بر مراتب [illegible]
بیفزاید و عدل خدای بدیده تحقیق بنگرید ـ وکیل‌الدوله هم پیش من آمده
و اظهار نمودند که هرچه بخواهید از اسب و نقدینه حاضرم تشکر نمودم لامحاله
مسافت [illegible] سه منزل بیشتر نگذشته است که هرچه لازم باشد
کارسازی کنند و تا حال کتابت نزد من نیامده است حاجی ملک [illegible] سلام و دعا
[illegible] والسلام

جمال‌الدین الحسینی

۲۰ رجب

[illegible]

نیز گفتار جناب محتشم مکرم حاجی محمد حسن امین جعله الله مظهر الحق

از بن زیاد که آن رسول را هم کرده بود [illegible] آیا پس [illegible]

بکفن و دفن آن [illegible] آنکه [illegible]

میدهد [illegible] الا لعنة الله علی الکاذبین [illegible]

وقایع [illegible] چونکه [illegible]

[illegible] بعالم [illegible] و زوال [illegible]

[illegible] خلق [illegible]

[illegible] الکون [illegible] قدرت [illegible]

[illegible]

[illegible]

آنچه [illegible] اکنون [illegible] چه میکند [illegible]

ضعیف [illegible] هرگونه [illegible] بکند و هرگونه سخن [illegible]

که [illegible] نسبت [illegible] کرده [illegible]

ولکن واجب است بر خداوند عالم که باطل را زائل و حق را ثابت [illegible]

[illegible] خویش [illegible]

[illegible] و الله [illegible] چگونه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حقیقت [illegible] دنیا [illegible]

است که در راه حفظ بیضه اسلام و اسلامیان و استقلال
ایران وازادی ایرانیان آنی انفکاك نفرموده اند —
و همه منتظرند که این کشتی طوفانی شده ایران که از تلاطم
امواج دسایس دول همجوار مادر شرف غرق است از
تمام مجاهدات خدا وخلق پسندانه مقام مقدس روحانیه
بساحل نجات وفلاح برسد .

از طرفی مقام مقدس روحانیه محیطند که در ادوار
سالفه ولاحقه همیشه در ظهور این قبیل حرکات وتبدلات
اشخاص مغرض جاهل خائن بوده اند که خود را بلباسهای
گوناگون جلوه داده ومقاصد خبیثه دیگران را بوسیله
قلم وبیان وکردار ورفتار بشکلهای رنگارنگ آشکار نموده
ولی طولی نکشیده که همه مکشوف وحقیقت هویدا شده
وخود نزد خودی وبیگانه شرمنده ومخجل زده شده اند
همچون ناشر جریده شمس . . لاکن این خادم صمیمی
اسلام و اسلامیان میداند که هیچوقت حضرات اینگونه
هذیانهای جعلیه واباطیل مفتریه در بنیان ثابت العزم مقام
مقدس روحانیه تزلزلی نخواهد انداخت واز جهتی یگانه
علام فهام مجتهد العصر والزمان آقای حاجی شیخ اسدالله
ممقانی که صیت خدمات خیره ایشان ولوله در سیاست
اوروپا انداخته در اسلامبول آنچه لازمه تادیب وتنبیه
بوده باناشر روزنامه شمس معمول داشته اند وترضیه
خاطر منیر مقام مقدس روحانیه را مجذوب کرده اند .

کسانیکه واقف بدقایق تاریخ زمان ومطلع بوده اند
میدانند که همواره علمای حقه همچون حضرات آیات الله
خراسانی ومازندرانی حامی اسلام و اسلامیان بوده اند
ودر پیشرفت اصلاح امور مسلمانان وترقیات مقتضیه
از هیچگونه مجاهدات حقه دریغ نداشته چنانچه حکیم
شهیر وشهید راه حریت وایران واسلامیان مرحوم (سید
جمال الدین) اسدابادی همدانی الشهیر بافغانی مکتوبی
مفصل در این خصوص بیکی نوشته که از حسن تصادف
این هفته باداره مارسیده اینك ذیلاً مندرج میداریم
تا بیانات الحکیم شهیر مؤید عرایض ماباشد .

﴿ مکتوب ۲۹ سال پیش شهید اعظم ﴾

﴿ فیلسوف شرق آقا سید جمال الدین ﴾

(اسد آبادی همدانی الشهیر بافغانی)

« که بیکی از دوستان خود نوشته »

دوست عزیز من . درضمن مراسله مورخه ۱۵ نوامبر
شرحی از احوال ایران نگاشته قدرت ونفوذ علمای اعلام را
در ایران مجرد وسیله ضعف دولت ومحرومیت ایران از
ترقیات حاضره پنداشته . واز برای علماء در آن باب خواسته
بودید . اگرچه رتبه بنده عرض میکنم که این تصور بی محل
واز دایره حق وانصاف خارج است . زیرا در هیچ عهد وزمان
پیشوایان دین با وجود قدرت وسطوت دولت مانع پیشرفت
خیالات دولت . ومدعی ترقی وتربیت ملت نشده ونخواسته
اند بلکه حصه در این عصر که درمقابل احتیاجات دولت قدرتی
نمی بینند که بتوانند اقامت دولت وترقیات ملت را [illegible] . والگهی
کی دولت خواست درمملکت خود راه آهن بسازد
علمای ایران مانع شدند . کی دولت خواست مکاتب
ومدارس بجهت تربیه وتعلیم جوانان مستعد ملت نشد
نموده اهالیرا از جهل وظلمت خلاصی دهد حضرات
علما گفتند منافی شریعت مطهره است . کی دولت
خواست محاکم عدلیه ومجالس ملی تشکیل کرده کارهای

نامهٔ سید به حاج مستان مراغه‌ای، مندرج در مجلهٔ «چهره‌نما» چاپ قاهره به سال ۱۳۳۱ هجری ـ قمری

عرفیرا از روی قوانین جاریه حاضره بطور حقانیت رؤیت وتسویه نماید حضرات علما مدعی شدند . کی دولت‌خواست مریضخانها وای عجزه ومساکین بنانموده اطبا وماموریں بجهته معالجه وپرستاری مرضی در انجا بگمارد حضرات علما از این معنی خشنود نشدند . کی دولت خواست قشون خودرا بدویست هزار بالغ نموده . اسلحه انرا موافق اسلحه عصر حاضر بسازد حضرات علما مخالفت کردند .

اینکه نوشته بودید (حضرات علما بجای ترویج امر شریعت مسئله متعه را درایران رواج داده موجب انقطاع نسل و [illegible] وسبب اتلاف چندین هزار نفوس درایران میگردند) درست است ولی این فقره اولاً

چند نفری که اجتهادشان منحصر برهمین [illegible]



﴿ یگانه بهادر رشید نامی ایران . وفرزانه اولاد دلاور ایران وسرافراز کننده بزرگان . که بر اساس مشروطیت همه ﴾
﴿ وحفظ برابری وحریت . آقای (محمد نصیرخان سردار جنگ) بختیاری حکمران [illegible] ﴾

بوده وواقعاً درسایه این عمل صاحب نصف مملکت ایران شده‌اند وسایرین که بی بضاعت وفی الحقیقه اهل حقند شمول ندارد .

(چهره‌نما انصافاً درفلسفه بیانات عالیه این حکیم مشرق زمین قرن (۱۳) بیمه برخورد که در حق طبقات [illegible] حقه وملاقات‌این جه فرمایشان حکمت ملامت‌میفرمایند) ثانیاً چه شده برخود نما معلوم است این قاعده منسوبه پیش از این درهمه جا معمول بجه بس از انکه بحسن همت ولطف تدبیر . دولت بتعمیر طرق وتکمیل وتنظیم وسایط نقلیه پرداخته شده [illegible]

این تدابیر بی‌فرمایند و احدی گرد این کار نگردید .

دولت پدر وغمخوار ملت است هرظلمی که از داخل وخارج بملت وارد بیاید وظیفه دولت است که باتمامی قدرت خود بمقام رفع ظلم از اولاد خود برآید - درصورتیکه دولت اعتنا باین حالات نکرده خود نیز بوسایل عدیده از هیچ گونه ظلم وتعدی وبی‌حسابی درباره اولاد خود فرو گذاری نکنند همین حالت ظهور میکند که مشاهده میشود .

کدام [illegible] است در ایران که حکمرانی اخذ [illegible] شود [illegible] نصب نماید کدام حکمرانیست که بمجرد ورود در صدد خرابی مملکت وپریشانی رعیت وصرح افتضاح دولت بر نیاید . مگر فقره شورش اکراد که منتج اینهمه قتل ونهب وحرق وخرابی دهات در حوالی ساوجبلاغ ومراغه وارومیه گردید سوای اینعمال سبب داشت .

کسیکه نه علم حقوق خوانده . ونه از تواریخ حکومت اطلاع دارد مال وجان وناموس چهل پنجاه هزار نفر را درمقابل پانصد تومان باو فروخته آتش ظلمی برمیفروزد که دولت خود باهمه زحمت ومخارج گزاف نمیتواند تسکین نماید فساد نماید در ایران سیلطر و آسان تر از حکومت چیزی نمیدانند وچنان می پندارند که هرچه از عهده حکومت ممالک بزرگ میتواند برآید .

سبب وقوع این شورش را هریک بطوری بیان میکنند . یکی میگوید انگلیس [illegible] در این میان است . دیگری میگوید روس [illegible] صد [illegible] بعمیان نموده آن یکی میگوید خیر اطلاع ندارید عثمانی اکراد جسارت باینهمه تجاوزات نمیتوانند کرد خلاصه عرض میکنیم .

که هیچ کدام اینها نیست محرك همه فتنه وفساد وهیچ سلسله اختلال در ممالک مذبور نیست مگر انگشت ظلم !! بالفرض انگشت همسایگان هم باشد درانصورت نیز چرا باید وسیله واسباب بهانه بدست دشمنان قوی. وحریص . وموذی . وبدخواه . وکینه‌جو . داد . وبارعیت که بمیل طبیعه صادقه دولت میباشند جز ملاطفت وعدالت رفتار نمود وبعد آن از آن درخانه‌را باز گذاشت واین از دزد نشست . هرگاه خود عثمانی بحسن اداره معروف بود وبا اهالی مسیحیه (بوسنه وهرسك) وبلغارستان بعدالت وحقانیت رفتار میکرد بی‌شبهه اینهمه تحریکات واختلالات درایالات وسیعه مذبوره بوقوع نرسیده بود وبالاخره هیچکدام آنها ازدستش نمیرفت . وبربلیه این جنگ آخری دوچار نمیشد .

متون کتب وتواریخ اثبات اینمعنیرا میکنند که درهرجا که ظلم بوده سعادت وسلامت ازانجا دور بوده وبلکه درأندك زمان اثری ازدولت وملت باقی نمانده . دولت بمنزله بدن قائم است . ملت بمنزله جان زنده است . هرگاه تصور شود که دولت ایران چند هزار سال است که بهمین طور ها برقرار بوده وبازهم خواهد بود خبطی است عظیم !! زیرا که وقت طوایف ملوك درایران گذشت که ملل سایره نمیخواستند درازدستی بممالك ایران نمایند حالا بجزئی تغییر وضع وبهانه دست مداخله دراز دستان بممالك ایران بازاست وممکن نیست باین حالت حاضره دولت ایران بتواند زیست کرده خود را مصون کند (چهره‌نما گویا این اولین شهید آزادی واستقلال ایران‌ است چشمان مبارکش ازحدقه دیدگان بحال پرملال ایران اشك ریز ودرصورت دیدن حالت حاضره

این عبارات حکیمانه‌را تقریر میفرماید رحمة الله علیه رحمة واسعه)

[illegible] بیشتر نفوس ایران از کثرت [illegible] وفقر و پریشانی [illegible] متفرق [illegible] انواع ذلت [illegible] بکار فعلگی و نوکری و آبفروشی مشغولند — و دولت [illegible] نمیرسد که این همه رعیت [illegible] در ممالک خارجه چه میکنند [illegible] هرقدر بیشتر از مملکت خارج میشوند همانقدر بیشتر [illegible] ترویج [illegible] وملاحظه منافع قلیله [illegible] میشود دیگر خیب نمیکنند . که هرگاه عوض جلب این جمعیت اسباب امنیت و آسایش آنها را در مملکت فراهم آورده وآنها را بکار زراعت وفلاحت وادارد غیر از آنکه موجب تکثیر نفوس [illegible] میگردد ، [illegible] [illegible] در [illegible] دول ومال [illegible] میگردد . [illegible] [illegible] ماشود .

[illegible] ایران [illegible] [illegible] چون مابین نفوس [illegible] بوده و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] میشود [illegible] [illegible] نفوس [illegible] [illegible] [illegible] چه حوالت . [illegible] وآزادی [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خود [illegible] [illegible] [illegible] وآزادی [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (بقیه دارد)

﴿ مکتوب یکی از محترمین هواخواه از تبریز ﴾

نظر بدوستی دیرینه لازم بلکه واجب میدانم که درخصوص تغییر مسلك یا بعبارت اصح در عدم تدقیق حضرتعالی در تعیین وقایع نگار طهران [illegible] اگر تمام مراسم معموله ایرانی وتعارف گوئیهارا کنار بگذاریم وجان کلام را پوست کنده بگوئیم (با اعتماد دوستی که با حضرتعالی دارم یقین دارم [illegible] صمیمی مرا انکار نفرمائید) امروز مخبر اداره در طهران از احترامات فائقه روزنامه مقدسه (چهره‌نما) بسیار کاسته زیرا مطالب خود غرضانه بسیار درباره تقی زاده می نویسد تقی زاده که تمام ایران غیر از چند نفر [illegible] خائن و وطنفروش خدمات شایان ورا تصدیق دارند ودر راه استقلال ایران از مال وجان گذشته وباتفاق تصدیق کلیه منصفین و شخاص بیغرض [illegible] [illegible] ایران ومایه افتخار تاریخ ایران [illegible] که در حق او این حرفهای سراپا مغرضانه [illegible] [illegible] گردد [illegible] دارد [illegible] [illegible] که چون بر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وتقی زاده [illegible] زور آورد که [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] این حرف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] که کتبا نوشته از [illegible] تصدیق بخواهید [illegible] [illegible] ممکن بود نوشته از خود او تحقیق بفرمائید کلیه آنها که نسبت به (تقی زاده) داده شده افتراء [illegible] ودروغ صرف است . در شمارهای اخیره تلگراف [illegible] مندرج بود درصورتیکه هیچ یك از جرایدبعرض

(مستبد) کسیکه از مواجب وتیول یا دزدی ومسخره‌گی یا راپورت‌چی‌گری یا جندگی یاهیزی یا کیمیاگری یا کوش بری یا بسنگی بدیوان یا ریش‌خند مفت میخورد چون حالا پول در مملکت قحطی شده است گریش زیاد خیالش از مشروطه است.

(مشروطه‌خواه) کاسب‌هنرمندیکه جز سك میکند روزی چهارده ساعت کار میکند آخرشب نان برای زنش ندارد وهرچه پیدا کند باید بدهد بظلم.

(نجیب) کسیکه جیب ندارد واز کیسهٔ مردم مفت میخورد.

(دکتر) طبیب نانی را گویند که با عزرائیل شراکت نامچه نوشته. زنهار ایی شوهر کند.

—﴿ چهره‌نما ﴾—

الحق بیانات تمکین هم‌قلم ما (نسیم شمال) درعالم مطبوعات اولین نصائح حکیمانه واندرز عاقلانه است که جهال را بهترین سرمشق تادب وتنبه خواهد بود درجا مندیم نامه نامی (خیر الکلام) بدین گرامی نامه‌ تاسی جسته تادرجه باقتضای زمان ومکان قلم‌فرسائی نماید ؟؟

﴿ مکتوب ۲۹ سال پیش شهید اعظم ﴾

﴿ اولین فیلسوف شرق آقا سید جمال‌الدین ﴾

﴿ اسد آبادي همداني (بقیه از شماره قبل) ﴾

از دولت امنیت دادن بمال وجان مردم است وبس. مابقی بعهده خود ملت است که احتیاجات خود را به پیش چشم خود آورده جداً بتهیه اسباب راحت وثروت وسعادت خود بپردازد وآن امکان ندارد مگر بگشودن مکاتب وتربیه وتعلیم اطفال؛

پادشاه ایران درحسن نیت وعقل وکفایت بالنسبة بوکلای خود نابوارون عمر میتوان خواند (حکمت تمجید آن پادشاه مستبد یعنی ناصر الدین‌شاه درآنوقت معلوم ارباب حقیقت است)

لیکن چه فایده یکنفر درمیان وکلای باغیرت ایران یافت نمیشود که تقویت بخیالات اقدس همایون نموده اسباب حصول منظورات مقدسه همایونیرا بهر تدبیر که باشد فراهم بیاورد واسمی بدین جهت درمیان ملت خود بیادگار گذارد آن اقتدار وتسلطي که اعلحضرت پادشاهي بهریك از امنای دولت خود درتمشیت امور میدهند بهیچیك ازوزرای مستقل فرنگستان از جانب دولتشان داده نمیشود. معهذا درهیچ‌شعبه از اموریکه بیداقتدار وکفایت حضرات وکلای نظام ایران سپرده میشود هیچگونه آثار ترقی وانتظام مشاهده نمیگردد وبلکه بدتر میشود وبعد از آن با کمال تاسف میگویند آزادي واختیار نداریم. آزادي واختیار درصرف‌نظر کردن از اجرای اغراض شخصیه وجلب منفعت ذاتي خود ندارند والاشاه ازاعطاي هیچگونه اختیار بشما وتحمل هرنوع فداري درراه ترقی دولت وملت مضایقه نفرموده ونمیفرماید.

دروقت حرف حضرات رجال دولت ازهرگونه امور پولتیکی ووسایل انتظام چنان نطق میکنند که عقل از کفایت انها حیرت میکند ولي درمقام فعل هیچیك از آن حرفها درخاطرشان نمیماند — هرگاه صدیك قوانیرا که وکلا دراقوال دارند دراعمال نیز میداشتند هرآینه ایران یکی ازدول معظمه متمدنه محسوب میشد.

بافطرترین وزرای دولت ایران شخصی است که بجهت خراب کردن خصم خود درحضور همایون‌خود واسطه کار اوشده شغل بسیار عمده ومهمیرا که ابداً آن بیچاره قابل آنکار نیست برای او تحصیل نموده محض بجهت اجرای نفسانیت واثبات

کفایت خود موجب بسا خرابیها ومضرات براي ملك وملت میگردد حیف نیست آدمي باینهوش ذکاوت وفطانت همه‌را درپی کسب نام وشهرت یعنی خود بوده حقیقتاً کاري نکنند که باعث نفع وصلاح دولت ومایه خیر وفلاح آخرت خود باشد . ماهمه تصدیق میکنیم که‌شمادرعقل وتدبیرتالي بسمارق ودرفنون لشکرکشی استاد مارشال مولتیك هستید ولي قدري هم باید بصداقت خدمت بوطن کرد اشتهار وافتخاررا مانند کونت کاوواتالي. تیرفرانسه . تسلرو. روس. وپالمرستون. انگلیس باید تحصیل کرد که هرکدامي برحسب موقع دولتخود واقتضاي وقت چه تدبیر تشبث کرده ودولت وملت خودرا بچه ترقیات رسانیده‌اند ومعذلك پس ازمردن ترکه‌انهابصورت ترکه افقرفقرا فروخته شد (چهره‌نما ایا وزراي دولت ووکلاي ملت اندکی توجه باین بیانات حکیمانه ملت ووطنخواهانه این فیلسوف شرق میفرمایند وترقیات محیر العقول دول متمدنه اوروپارا میدانند سبب از چه‌وچه‌اشخاص بوده .

دونیست همین ذات (امین السلطان آتش‌روان) گر ازاین فقره استحضار بهم‌رسانده درپیش‌خودگوید که نویسنده این مطالب عجب نادان وبی‌اطلاع از وضع وحالت ایرانست که‌دولت ایرانرا هم مانند دول معظمه متمدنه قیاس میکند وهمچوگمان میبرد آن تدابیرکه‌وزراي مستقل فرنگستان تاحال بکار برده ومیبرند درایران‌هم باخلاف حالیه ممکن است عرض خواهم کرد .

درزمان صدارت مرحوم (میرزا تقیخان اتابك اعظم)همین ایران‌بود وهمین‌شاه‌وبقول شماهمین‌مردم چرادرزمان صدارت اوکه دوسال بیش طول نکشید اینهمه ترقیات ازقبیل قراولخانه . انشاء مدرسه درطهران . وضع سفرا درخارجه . پاره صنایع وبدایع وبخصوص رواج امتعه خود مملکت ورونق تجارت ظهور کرد ودرزمان صدارت واقتدارچندین‌ساله شماها که اختیار کامل درکلیه امور داشتید هیچگونه آثار خیري وعلامت ترقی ازشماهابروزنکرد سهلست فقلاباحداثات جدیده حاضره‌وتشبثات فوق‌العاده مذبوره نتوانستید انتظامي داده وانهارا بدرجه مطلوبه برسانید .

ادارات دولتی همه‌حکم عطالت بهم‌رسانیده ونتیجه که از وجود انهامنظورواست براي دولت وملت حاصل نمیشود اگر بفرمائید آن تشبثات واقدامات فوق العاده بوده که بالاخره سبب قتل اوگردید درجواب میگویم که آن نیز نبود مگر از نتایج اعمال‌واغراض شخصیه شماها که‌دوروزي نتوانستید ایرانرا باطوریکه مطلوب خیرخواهان وطن است ببینید . وهزاران اسباب‌فراهم آوردید تبمقصود خود رسیدید وسکهی یکروز زندگانی بشرف وغیرت براي مردمان باحمیت مرجح بصدسال عمر باملالت وخاکساري است. (یکمرده بنام به که صدزنده بننگ)

بالجمله‌یکی ازاسباب ترقی ملل اوروپ آزادیمطبوعاتست که‌بدانوسایط نشر محاسن ومعایب مردم‌ لاستثنا محرزاست تاکسانیکه صاحب صفات حمیده وخصایل جمیله هستند بحسن اخلاق خود افزوده وانهائیکه آلوده بمرض نفس وخست وافعال مذمومه میباشند ترك انهارا نمایند واحدي قدرت تعرض بمحرر ومدیر روزنامه ندارد مگراینکه اسم کسی‌بدون احتیاط درانجا برده ویانسبتي باو اسناد شده باشد انوقت شخص‌متهم حق‌دارد که بامدیر روزنامه‌دانشنداورا رسماً دعوت بمحکمه مینمایند هرگاه مدعی علیه خودرا محکوم کرده بموجب قانون مجازاتی که‌درآن باب معین است درحق مفتري ازجانب حکومت بعمل میاید والا برایشان گو هیچگونه مجازاتی شرعا وقانونا روا نیست (چهره‌نما اگر جراید شرق طهران وزاینده رود اصفهان وجمالیه همدان ونجف نجف دروغ میگفتند ودروغمي نوشتند کسی انهارا توقیف نمیکرد چنانچه‌راست گفتند وبسته‌شدند) زیرا تمام احکامات

وقوانین دنیا در مملکت قانونی ایران حالیه باشتباه کاری برخلاف معمول میشود)

معنی روزنامه این است که حقیقتاً باید بنویسد و فساد [illegible] نفع بحال ملت است درج کند عیب را بگوید و علاج معین بنویسد نه که روزنامه را پراز تمرقت و تملق و مبالغت کراهت انگیز کند مثل این است که اینجور روزنامه را هیچ طبع ونشر نکند و خود را ذلیل ورسوای خاص و عام نسازد هم چنین است وضع وحالت خارجه ایران [illegible] دولت [illegible] بسفارتخانه‌ای خود خرج میکند [illegible] بیچه دارد کو مقصود از داشتن سفارتخانه که بکویند ما دولت ایران باشیم دول [illegible] هرگاه کسی در ایران [illegible] خارجه ایران چه چیز است [illegible] شوند که کویشان سفیر صورت [illegible] وچشم وگوش دولت است [illegible] ببیند وبشنود [illegible] راپورت [illegible] خود بخواهند [illegible] دقت [illegible] عقل بسنجد واجرا کنند [illegible] هر مامور بزرگ موثق که دولت ایران از قبل [illegible] دیپلوماتیت [illegible] کونسل [illegible] خارجه دارد [illegible] هر طبقه کونسلها [illegible] مهمه وواجبه [illegible] لازم [illegible] دارد . معهذا [illegible] راپورتی بسفارت و یا بوزارت خارجه دولت متبوعه خود [illegible] از مامورین [illegible] تبعه وکسب اطلاع از وضع و حالات [illegible] این مامورین که ذکر شد جهال و الواط و اشرار [illegible] قبیل اشخاص که حقوق خود را نمیدانند و ماموریت [illegible] حقوق دولت است چه منفعتی بحال دولت و تبعه که مقیم آن ولایت باشد توانند [illegible] تبعه که از ظلم و تعدی حکومت ایران فرار کرده آمده در ممالکت خارجه میخواهد بفراغت و آسودگی مشغول کسب وداد وستد خود باشد در انجا هم در چار اینکونه مامورین ایران گردیده انچه دارد و ندارد باید فروخته صرف معیشت و گذران مامور مذبور نماید تا بتواند از غضب وسخط مامور ایران آسوده وایمن باشد (چهره‌نما فرمایشات این شهید راه آزادی که در سی سال قبل گفته گویا حالیه زنده شده ونطق خود را اعاده میکند زیرا از سی سال پیش تا کنون نه از تظلمات رعایا کاسته شده ونه از ظلم حکام و مامورین خارجه تخفیفی حاصل آمده مگر بفراست کافیه وزارت خارجه حالیه به بعد امورات ترتیبی گیرد)

این مختصری بود که نوشتم ونوشتنی [illegible] از جمیع [illegible] داخله و خارجه دولت ایران [illegible] [illegible] دانست که [illegible] [illegible] که دولت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] کهنه [illegible] از دولت [illegible] از ملت ایران [illegible] خواهیم [illegible] ۲۵ [illegible] سنه ۱۸۸۸

﴿ تعلیقات از ونشنه اهل ﴾

ای . . . . چهره‌نما ملاحظه در این دستخط حضرت شهید اعظم وطن ومطالب عالیه آن نمائید اگر فی الحقیقه مثل نیاکان نصائح واندرزهای آنها را خوانده حقیقت وطن را مثل ایشان را که در این قرن معارف از فوق مشرق طالع شده می شنیدیم وبمقصودشان پی می بردیم از دولت وملت مانند شیر و شکر بهم آمیخته و از علم بهره کامل برده بودند امروز دولت ایران یکی از دول معظمه مشهوره عالم بود وباین حال پر ملال گرفتار وبه پنجه ظلم روس دوچار نمیکشتیم از ماست که بر ماست صد هزار افسوس

مقاله سید جمال الدین افغانی

سلطنت و استیلای خوف و وحشت در ایران

شخص معروف پرنس ملکم خان که مدبّر و خطیب بزرگ است و استعداد آن دارد که
باصلاح وضع ایران آید مقاله‌ای بعنوان سلطنت و استیلای وحشت در ایران
نوشته و آنرا بخواهش جناب فضایل مآب ماتزی حادیس بزبان فرانسه بحضور
اعلیحضرت ملکه انگلیس این اواخر تقدیم نمودیم منصف آن یکی از طوایف
زرفامیه تعلق دارد و اخیراً تمام دنیا سیاحت کرده و اند زمانیکه او در جنگلهای بین
پدر امیر عبدالرحمن خان و شیر علیخان شرکت کرده است هم خود را مصروف
بر این داشته که جدید و جدیدی بعمل آورده هم در طهران هم در اسلامبول اصلاحات
وضع بمیان آورده و محض همین فقره مدتها در اروپا سیاحت و تفرج کرده است
محض آنکه از اساس تمدن با بصیرت شده و اطلاع کامل بدست آورده
و تعلیمات لازمه را ضمناً بعمل آورد و تا خیالات جدیده را که مقتضی حوایج اهالی
آسیا میباشد منتشر شده میان آنها متداول کند این شخص که اطلاعات
کامل دارد فطرةً مردی است مخلوق مستعد بوده و میتواند مقاصد و عقاید
خود را بچندین زبان بیان کند و از همه چیز بالاتر مردی است که مستعد حرکت است
چندی با او از اجزای شورای مجلس علوم در اسلامبول بوده و در آنجا چون خیالات و
بلند بوده او دلیل بر مودت بنی نوع انسانی بود بالاخره کار او با حکام و جهال
اسلامبول بنفاق کشید از آنجا او به ایران آمد و در ایران نسبت یکی از علما چون
سید است لهذا مقام بزرگی پیدا کرده و بواسطه شان سیادت خود ذکی بود
که در حضور پادشاهی جلوس نماید چندی اعلیحضرت نسبت باو کمال التفات را
مبذول نموده

ترجمهٔ نامهٔ سرگشادهٔ سید به ملکه ویکتوریا و مردم انگلیس.
این نسخه هدیهٔ «عبدالحسین بیات» به انجمن آثار ملی است. متن اصلی نامه به فرانسه و با امضای سید، به‌دست نیامد.

میفرمودند ولی باز چون ذوق و شوق بجهة اصلاح وضع طلوع کرد
و از انجائیکه ضمناً مردم نیز با و احترام میگذاردند و با آنها کلام او یکنوع نفوذ داشت
کار بجائی رسید که با من وزرای دولت ایران وا و اشکالات بمیان آمد
پس از آنکه کماشتکان دولتی او را بوضع وحشیانه دستگیر نمودند او را
نفی کرده و محبوس کردند این اواخر از حبس فرار کرده خود را بلندن رسانید
مهمان محترم پرنس ملکمخان سفیر سابق دولت علیه ایران در دربار انگلیس گردید
از کاغذ او و شرح احوال او معلوم میشود او در لندن اقدامات مینماید که دولت
ملتی را مشهود خاطر نماید که دچار همه گونه ظلم و تعدیات میباشند با همین ملت است
که ما انگلیسها روابط پلتیکی و تجارتی عمده داریم و نظر بملاحظات بعضی از مذاکرات
عمده اروپا که صاحب بصیرت و دارای عقل و فطانت هستند معلوم میشود
که پاس شرقیه دولت بهیه انگلیس در مشرق زمین بیشتر منوط با منیت و قوه
و استقلال دولت ایران است این مسئله از ملاحظات عالیه وزرای مزبور
مشهود و معلوم گردیده است شیخ جمال الدین مردیست بسن پنجاه ساله و نسبت
بمتن خود بنیه قوی دارد و از ظلم و تعدیاتی که در ایران میشود و اغتشاشات
وضع آنجا دلسوزی کلی دارد من جمله حل نسخ و بطلان امتیاز دخانیات است
که با هالی اروپا داده شده بود و بطلان این امتیاز فقط بواسطه اعمال
متفقه و حرکات شجاعت آمیز ملاها و علما بوده است که پادشاه را مجبور
به بطلان آن نمودند و مردم را مشوق و محرک گردیدند که در برابر آخرین حرکت
و اقدام

با اقدام پادشاه که بسرقت رعیت شباهت دارد مقاومت سخط نمایند و کار را
بجائی رسانیدند که اعلیحضرت همایون پادشاه ملتفت شدند که اگر بخواهند بیش از این
در مقابل رعیت مقاومت و ایستادگی کنند بنا از پولتیک دور بود بلکه اقدامات خود را نیز
در انجام این امتیازنامه و متداول نمودن آن محال و غیرممکن دیدند فسخ شد تفصیل فوق
بتوسط ازی هاویس امضا شده ازی هاویس همان کسی است که بنا بخواهش
او مطالب ذیل که بتوسط سید جمال الدین نوشته شده است بزبان فرانسه
تمنا به اعلیحضرت ملکه انگلیس تقدیم شده است تفصیل ذیل مطلبی است که سید جمال
الدین نوشته و آخر آنرا امضا کرده است در باب سلطنت خوف و وحشت می
این سلطنت آمده است مملکت من ایران کاسته شده کارهائیکه متعلق به عبادت
و آبادی است خراب شده و زمین لم یزرع افتاده صنایع بحالت عدم با فضیلت
مردم ایران متفرق شده اند اشرف ساکنین این مملکت در محبسها بسر برده و پادشاه
دو ثلث آنها را صدمه زده و اموال آنها را بدون رحم نهب و غارت کرده و بدون آنکه
استنطاقی درباره آنها بعمل آید بقتل میرسانند اما درباب وزیر پادشاه این مرد که پسر
آشپز سابق پادشاه است الحال کسی است که اختیار مطلق بر مال و جان اشخاصی
دارد که زنده مانده اند یا چیزی از آنها باقی است دولت انگلیس که از پادشاه با نهایت
تمام پذیرائی کرد تصور مینمود که ایشان مایل بترقی و تمدن هستند ولی باید از این اشتباه
بیرون آید هر چه این مسئله زودتر معلوم شود بهتر است حقیقت گوئی از دروغ بنظر غریب می آید
هر چه از تعدیات وضع که الحال در ایران متداول است گفتگو شود کم گفته شده است مردم
در حبسخانه های زیرزمینی و اطاقهائیکه برای انواع صدمات مقرر است دچار شکنجه های سخت

بوده

بوده در دست اشخاص طماع حریص و خسیس گرفتار هستند و خود پادشاه بحالت
بی‌اعتنائی این چیزها را تماشا میکند با آنکه خودشان بنفسه مرتکب بدترین معاصی
میشوند من از ایران می‌آیم رفقا و دوستان من در آنجا در جمعیتها مجبورند آنچه را میگویم
از روی اطلاع است من کسی نیستم که مطالبی را که میگویم از روی عدم بصیرت باشد لقب
من که پسر پیغمبر است برای تمام اهل فرنگ دلیل خواهد شد که من شخصی هستم معروف
در همه ممالک پادشاه ایران صاحب اعتبار و نفوذ بوده و خود پادشاه و جمیع وزرای
ایشان و سفراء و رؤسای مذهب مقدس ما مرا در مقام بلندی که عمل به مذهب اسلام میشناسند
و مرا معلم عمده برای مردم میدانند من باینجا آمدم که بجمیع اهالی فرنگ که به ایران صرفه
ملاحظه کرده و باحوال اهالی آن دلسوزی دارند اطلاع بدهم که صدماتیکه با اهالی مملکت
من وارد می‌آید طوری است که دیگر نمی‌توانم مخفی داشت کار اهالی این مملکت راجع
به دولتین روس و انگلیس است چونکه ایرانیها بطرف روسیها و انگلیسیها گرویده
و میدانند که این دو ملت بزرگ صرفه و فواید در ایران دارند و هیچیک از این دو ملت
بزرگ طالب نیستند که مملکت ایران رو بخرابی گذارده و ساکنین و جمعیت آن تلف
شوند از آنجائیکه هیچیک از دولتین روس و انگلیس مجاز نیستند که ایران را مسخر نمایند
لهذا این دو ملت بزرگ باید در ترقی دولت ایران تقویت و همراهی نمایند لازم است
اطلاع داده شود که در زمان سلطنت پادشاه حالیه بهیچوجه قانونی نداریم و بلکه میتوان گفت
که هیچ حکومت و دولتی در میان نیست در سوابق ایام رسم براین بود که صدر اعظم
واسطه مابین پادشاه و رعایای ایشان بود و او تا یکدرجه و اندازه صرفه پادشاهی
و رعیت هر دو را طالب بود و او از اینجا بعضی اوقات از وزرای بزرگ بود و با

ایران

ایران یکنوع موافقت و همراهی داشت و نجبا اقتداری بر مردم داشته و دهات
و املاک آنها که آباد بود و قسمت سیاست داشتند حال تمام این اشخاص تغییر یافته و سلسله
تمام نجبا را پریشان کرده و مکنت آنها را تصرف نموده و اقتدار آنها را از میان برده
و هر مردم و هر علمای آنها را متفرق کرده است وزیر حالیه مردی است که هیچیک از نجبا
اعتنائی نمیکنند که با او و هر یک نیز میشنید او از پست ترین ناس است او ملاحظه احترام
هیچکس را نمیکند و هیچکس نیز ملاحظه احترام او را نمی نمایند او آشکارا مردم را مجبور خادم
پادشاه خود قلمداد میکند این اشخاص حالت صدر اعظم است ایضا وزیر دیگری که بجهت
که تعدی به سلطنت نموده و اهلش است که اسم خود را از زبان خود نمیتواند امضا کند این
وضع احوال دولت ایران رشته قدیم سلسله نجبا بکلی از میان رفته بعد قلیلی از آنها
مخفی هستند و بعضی از آنها را نفی کرده اند و برخی در حبس تنها بوده و بعضی وفات
کرده اند تمام آنها از درجه اعتبار سابق خود افتاده و اغلب را مضمحل کرده و دولت
ایران را از این قبیل اشخاص که موجب ترقی آن بودند محروم گردیده است در اینصورت
چگونه میتوان گفت که قانون باشد اگر دولتی باشد که بجز رئیس داشته و قانون
نداشته باشد میتوان آندولت را متحمل شد یا اینکه او را جزء دولت محسوب داشت
ولی در صورتیکه نه قانون و نه حکومت باشد و مبنای خیال ظلم و تعدی و همه گونه
اجحافات باشد البته نمیتوان آنرا متحمل شد و چگونه میتوان او را جزء دولت محسوب
داشت معهذا اقتضا همین است ایرانیها خیلی دچار صدمات شده و متحمل همه
گونه تعدیات گردیده اند اغلبی از ملل مشرق زمین عادی برفتارهای سخت و تعدیات
هستند ولی از سختی کار بنتها رسیده و آنها طالب اصلاح وضع دولت و حالت

مردم

مردم از تعدیات و سختیها بدرجه رسیده است که در تمام ایران همگی مستعد شورش هستند
حالت مردم در این ساعت بطوریست که همواره تقویت و حمایت از دول اروپ
میخواهند و از این حالت میتوان استنباط کرد که در ایران شورش خواهد شد غربا
عدالت از جمیع دنیا همواره بر می آید محض آنکه عدالت از جمیع درباره آنها جاری شود
ایرانیها همواره میگویند برای ما مرگ ارجح است از اینکه زنده بوده و همواره دچار همینگونه
نهب و غارت باشیم چندی قبل یکنفر ایرانی که بواسطه پریشانی وضع دیوانه شده بود
خود را بهر نحو بود جلو پادشاه رسانید و در حضور ایشان خود را بقتل رسانید هرگاه شکایت عموم
نداشته باشند بواسطه این است که مردم عادی باین وضع هستند و این اواخر جهتی
دیگر نیز بمیان آمده است و آن این است آنوقتی که از اعلیحضرت پادشاه ولیعهد ایرانی
شده است دولت ایران شهرت داده است که دولتین روس و انگلیس وضع [illegible] را
شخصی پادشاه و وضع نامناسب ایشان را کاملا تحسین نموده اند و ایرانیها میگویند هرگاه
این ملل مقتدر در باب قتل و غارت از پادشاه تقویت و کمک نمایند مملکت نهب
و غارت یا حصه ببرند از قبیل امتیازات راهها که در باب آنها مذاکرات پادشاه شده است ولی
برای ما چه ثمر خواهد داشت که شورش نمائیم هرگاه دولت انگلیس در محل [illegible]
و صدمات و قتل بدون استحقاق و سرقت بدون دادخواهی آزادی [illegible] پادشاه
همراهی کند در اینصورت کار ما تمام است و ما بهلاکت خواهیم رسید و در چنین صورت معلوم
میشود که ممالک بزرگ ملکه انگلیس و امپراطور روس طالب ترقی و عدالت
و آزادی نمیشوند و آنها نیز مانند پادشاه مایل بتعدی میباشند ایرانیها که از [illegible]
پادشاه فریب خورده اند میگویند پادشاه مسئول اعمال خود نیست اتفاق عجیب اینکه
پادشاه

پادشاه وزیری انتخاب کرده که او نیز مشغول هیچ کاری نیست و پست‌ترین مردمان نیز
کار خود را کرده‌اند پادشاه هم از حیثیت عقل هم از حیثیت بدن خراب شده پادشاه باید معزول
بشود و این لغلغه در تمام مدت سلطنت پادشاه بزبان مردم جاری نشده بود ولی حال
دفعهٔ اول است که مردم ایران این مطلب را میگویند چه اینکه این مطلب را الحال میگویند و قبل
نمیگفتند بشما خواهم گفت که سالهای شادی مردم امیدوار بودند که پادشاه بعضی
از وعده‌های کثیر خود را بانجام خواهد رسانید و برای مردم ایران قانونی ایجاد کرده و اساس
عدالت را بمیان آنها برقرار خواهد نمود و این مطالب را چندین سال قبل پرنس ملکم خان
بپادشاه عرضه داشته بود و پادشاه ظاهراً جمیع خیالات سفیر نیک خود را کاملاً پسندیده
و امضا فرموده بود و این سفیر در مدت سی سال تقریباً در تمام دول اروپ مقامات عالیه
سفارتی داشته است من که شیخ جمال‌الدین هستم همینکه از اروپا مراجعت کردم نیز اهتمام
نمودم که آمال بلند و مقاصد مردم را بهمان طریق و معانی که ملکم اظهار داشته و پادشاه
پسندیده بود بیان نموده خواستم اقدامی نمایم همین که با ایران رسیدم مردم دور من
جمع شده از هر طرف زمزمه میکردند که ما قانون میخواهیم این قانون هر چه باشد باز خوبست
همینقدر قانون باشد برای ما کافی است بجهت اینکه ما قانون بهیچوجه نداریم و عدالتی درباره
ما نمیشود نه جان و نه مال ما در امنیت نیست اگر با تحمیل میشود و صدمه وارد می‌آید اقلاً
از روی ملایمت باشد نه سختی و اگر قانون باشد که کارها از روی آن باشد ما اطاعت خواهیم
کرد پادشاه از مسئله ایجاد قانون ابتدا خوشوقت بود وزراء و مجتهدین و صاحب منصبان
و تجار همگی استشمام رایحه مطبوع آمدن آزادی خوشوقت بودند ولی این مطلب خیالی
بود

... می‌داشت یکمرتبه پادشاه صرف نظر از این خیال فرمودند بجهة آنکه ملتفت شدند
... قانونی باشد سبب خانقه بجهة ظلم مصلحت ایشان فراهم خواهد آمد لهذا تغییر کلی
... داده برای ایجاد قانون انبساط داشت بظهور رسید و خیال ایشان بکلی
... منصرف گردید من که شیخ جمال الدین و پسر پیغمبر هستم غفلةً دستگیر شدم
... بجهة دستگیر شدم و جهة دستگیر شدن من فقط بواسطه این بود که من مطالبی را
... اظهار داشتم که خود پادشاه فرموده بودند ولی چون این مطالب برخلاف وضع
پادشاه و وزرای ایشان بود لهذا هم ایشان هم وزرای حالیه بکلی از آن صرف نظر
نمودند لازم است بنظر مطالعه کنندگان برسانم که ما تا این اواخر نجبا داشتیم که هم
آنها مصروف به آباد کردن زمینها و رفاه و آسایش مردم بوده و همچنین اشخاص
معلم و واعظ داشتیم که خیال آنها مصروف بتعلیم کردن مردم و موعظه کردن بود
بعلاوه بعضی امکنه مقدسه بود که محل بست برای اشخاصی بود که دچار صدمه بودند
... طرف غضب دولت واقع میشدند محض امنیت خود بآن امکنه فرار کرده و در آنها
... میامدند حکام ما همیشه از اینگونه امکنه مقدسه احترام مینمودند ولی پادشاه این
مقدس قدیم را موقوف فرموده مقبرهٔ مقدسی نزدیکی طهران واقع و محل بست است من چون
... شده که پادشاه نسبت بمن بی لطف و بی مرحمت شده‌اند بمقبرهٔ مزبوره رفتم ولی در مقابل آن
پادشاهی که صاحب اقتدار مطلق است هیچ جا نمیتواند مقدس باشد وقتی که من در این مکان
مقدس بودم سیصد نفر از اشخاصی که شاگرد و مرید من بودند با کمال اخلاص نسبت بمن رفقاء
... همراه من بودند و ما همگی در این مکان مقدس زندگی کرده اوقات خود را بنماز و عبادات
مصروف مینمودیم شبی در نیمه شب گماشتگان دولتی پاس احترام این مکان مقدس را نداشته

وبهیچ وجه

و بهیچ وجه ملاحظه که اینمکان بست است ننموده داخل شده مرا دستگیر نموده و در وسط زمستان
لباسهای مرا بیرون آورده و مرا بعجله تمام بطرف سرحد ایران بردند تمام اهل ایران از این مطلب متنفر شدند
بجهة آنکه اینکار بست و بدن برای اصلاحاتی بوده که میبایستی در وضع احوال ایران بعمل آید و اسباب
شکست عدالت و بغض و کینه تمام افراد ملت بود پادشاه ترسیدند وزیر ایشان خود را بجا نمیشمرد
که مرا بوسیله سیل خود با تشریفات تمام که مقتضی حالت من بود تا سرحد همراهی کرده و پس از خاتمه شدن
من نخواه و آذوقه و ملزومات لازم برای من فرستادند محض آنکه از هر بابت بهترین آسایش باشد و این مطلب
که بتوسط وزیر پادشاه شهرت یافته بود دروغ محض بود مرا نصفه شب عریان کرده در حالتی که از ناخوشی
صدمه میکشیدم مرا بزنجیر بسته میبردند تا آنکه من از چنگ اشخاصیکه مرا باین وضع میبردند فرار کرده خود را
ببغداد رسانیدم و بعد بانگلیس آمدم مصمم شدم که این سرگذشت را که اسباب خجلت بود حکایت کنم
و اینحکایت نه بجهة خودم بود بلکه بجهة خاطر ملت من بود من زبان شما را نمیدانم ولی بزبان فرانسه که بطور
شکسته تکلم میکنم بعضی از اشخاص ملت شما صحبت کردم حال بمطلب میرسیم و کسانیکه با من دوست
هستند مرا کمک مینمایند که مطلب احوال خود را در صفحه نامه شما بطبع برسانم خلاصه شرح احوال یاران
سؤال میکنم رفقای من که بعضی از آنها از بهترین و عالم‌ترین مردمان ایران هستند و محترم‌ترین
مردمان مملکتند آنها نه سرکشی نموده و نه کاری کرده‌اند که مستوجب این عقوبت باشند و کاریکه آنها کرده‌اند
این است که پادشاه را بوعده‌های سابق او یادآور کرده‌اند سه نفر از رفقای من الحال در محبس بحالت
سختی بسر میبرند و هرچندی یکمرتبه آنها را از محبس بیرون آورده چوب میزنند پای آنها را در کنده و زنجیر کرده‌اند
این اشخاص مردمان باکمال بودند و بعضی از آنها از شرفا و بنده‌های سابق و از نجیب‌ترین اشخاص
ایران هستند گوش بعضی از آنها را میبرند و چشم بعضی را بیرون میآورند و دماغشان را بریده و دست
آنها را از مچ قطع مینمایند با این حالت آنها بسر میبرند تا آنکه بسختی جان را تسلیم کنند که اعمال که من مشغول
نوشتنش

بست تن آنجا لب بستم بمن خبر رسیده که هر یکی از عزیز من و قدیم ترین دوستان هزار هزار تن جدا کرده‌اند
نمایند و مصادره شده است هر بار به هیچ وجه متهم نشده و به هیچگونه استنطاق قبل از قتل درباره او عمل
نیامده است همان حالت اسیر بودن خدم و کنیز که در ازمنه قدیما معمول بود و همان تعذیب و سختی که سابقاً در ازمنه
قدیمه در بدن خدم و کنیز میشد همانها بعین در ایران میشود در صورتیکه سفارتخانه‌های انگلیس و روس چند سالند
برای تحصیل مطالب قانون و ایجاد آن میشنیدند مثل اینکه تا کنون به هیچ وجه یک سطر قانون نوشته نشده
و در حقیقت هیچ یک هیچ وقت اندری عدالت و درستی حکمرانی نشده است و همه مطالب در شخص خود پادشاه منتهی
است و در صورتیکه عمو نامت باشد یا که اینجا مثل اینکه خلع شود پس احوال هر خواهد به هیچ چیز او را
منع جز خیانت و بوالهوسی [illegible] و او موقع بظهور برسد هر چه او خیال کند همان خواهند و حکام و دزدان قائم مقامها
در برابر او و غیره یکی لیق العین بالعین رویش را در آورد مینمایند بنابراین عدالت در میان نیست و در دیگر
امروز حکام ایران [illegible] ممکن است هر فردا چوب بخورد یا او را داغ کنند یا شکنجه و چار صدمات
دیگر بشود برای خلافهائیکه ممکن است مرتکب شود انواع سیاستها معمول است و اعضاء مختلفه بدن را
بوضع عجیب قطع مینمایند این قسم سیاستها وضع معمول آنجا است بنابراین هیچکس از گوش و دماغ و
و دست و پا و سر خود اطمینان ندارد در اینصورت چگونه میتوانند در امنیت و مال و آزادی خود اطمینان
داشته باشند این است سلطنت جابرانه وحشت در چنین اشخاص در سمت الاهمیت دارای مقام است
هر را انتها شده و رفع بزرگترین اغتشاشات و وضع معایب را نمایند ولی پس از آنکه مخلوق اینها
باشند که مقامشان از مقام نیابت کمتر باشد از قبیل اشخاص پست و دائم الخمر و [illegible]
و غیره در چنین صورت نتیجه این نوع حکومت که از سلطنت وحشت است چه خواهد بود
ما در ایران بواسطه اغتشاشی که در اقتدار است از حیثیت [illegible] و چاره [illegible] و صدمه میبینیم
و این اغتشاش نتیجه بلا واسطه ایجاد قدرت در ایران بتفصیل ذیل راجع بوضع حکومت است

مثلا

مثلاً مردی طالب حکومت ولایتی فرض میکنیم آذربایجان یا اصفهان را بدست آورد اول اقدامی
که میکند پیشکشی بپادشاه تقدیم میکند و این پیشکش بر حسب اعتبار آن حکومت اختلاف دارد مثلاً
از سی الی صد هزار تومان تفاوت دارد یک تومان پول ایران تقریباً هفت شلینگ پول انگلیس است
پس از آن آدمی باید ضامن بشود که تعهد بخواهد که مقابل است با واردات سالیانه آن ولایت واردات
سال قبل هر چه باشد چنانچه حاکم سابق آنولایت مسئول واردات سالیانه آن ولایت واردات
سال قبل بود همین که پیشکش پادشاه تقدیم شد که پادشاه چیزی بیشتر نخواهد شخص حاکم رضایت داد تا حاکم
که عمل بلی صحیح است تحصیل نماید چونکه حاکم بکلی از بلای خلق آسوده میشود تکلیفش این است که وجه اداء اراضی
و همچنین مضافات دیگر مقرر بنماید با این است که قدری بیشتر بخواهد خصوصاً برسم پیشکش بدهد همین
که اضافه منصب خود را بمقصود برساند و مدت ایالت او بحالت یکنفر ظالم و تعدی کننده غیر
مسئول اقبال میکرد و حال ببینید او بهمت کاردانی که از برای او طالب شاغل حکومت هستند پیشکش
ملاقات کنند حاکم یک ولایت عموماً سیصد نفر اجزاء لازم دارد از قبیل منشی و مستوفی و نهرچی
و فراشی و سایر عمله و میرآخور و جلودار و مهتر و آشپز و غیره مثل چاپقدار و قاپوچی همه
معتبر اولاد هستند تمام این اشخاص با حکمران جدید مخارجی بدهند که شغلی در حکومت
برای خود تحصیل کنند و حکمران نیز بهر کس پول بیشتر بدهد کار بهتر میدهد پس از آنکه کارها
باین وضع بطوریکه مطابق میل آنها است معین شد هر یک از اشخاص که ماموریت
مخصوص دارند بمحل ماموریت خود عازم میشوند ولایتی که صاحب حکمران جدید میشود
بلیه بهمه کس میرسد قتلها و غارت جدید بدهد و همه اجزاء حکومت بخیال دخل و نهب
و غارت و دست اندازی بعیال و اولاد مردم هستند پس از آنکه یکنفر وزیر عاقل نباشد
که کارها را منتظم کند و از شرفا در کارشان تقویت نماید و از شرافت و نجابت چیزی باقی نمانده
باشد.

باشد که کسی نباشد که دفع طمع حکام را نموده یا مانع از طمع پادشاه بشود کار را غیر از آن چیزی نخواهد بود
و نتیجه همان چیزها است که ذکر شد هیچیک از حکام و هیچیک از کماشتگان حکومت دیناری برسم
مواجب دریافت نمینماید این رسم از زمانی که بخاطر نمی‌آید در مشرق زمین متداول بوده است تا یک اندازه
مردم راضی هستند ولی وقتی میتوان متحمل وضع شد که کارها اندکی قاعده داشته باشد وقتی که حاکم
بحکومتی برقرار میشود اهالی آن ولایت تکلیف خود را میدانند و حاکم البته خیالش این است که آنچه را
برسم پیشکش داده است از مردم گرفته و بعلاوه بقدری اجحاف کند که بتواند بطور تجمل رفتار کرده
و ضمناً تنخواهی پس انداز کرده باشد که بتواند در موقع دیگر بجهت حکومت جدید بدهد این اشخاص از حاکم
کل گرفته تا حکام جزء مطمئن نیستند که چند زمان در حکومت خود خواهند بود زیرا که اگر کسی پیدا شود
که بیش از آنچه حکمران کل تعارف و پیشکش داده است بدهد فوراً حاکم منصوب با اتباع خود معزول
میشوند در این باب ملاحظه هیچ شان و شخص حاکم و رفاه حال رعایا نمیشود حکمران کل محض اینکه
حکمرانی خود را معزول ننماید در مواقع معینه تنخواه علیحده برسم پیشکش برای صدراعظم
و پادشاه میفرستند از آنجائیکه قاعده و قانونی برای گرفتن مالیات و عشر معین
کردن نیست لهذا حکمران و اتباع بقدری که ممکن شود از رعایا بجبر میگیرند وضع
احوال در باب حکام جزء و نواب و مدیر و غیره همان ترتیبی است که در باب
حکمرانان کل ذکر شد و تنها نسبت بحکمران کل باید همان قسم پیشکش و تعارف
بدهند مبلغی که به پادشاه و وزرا از بابت حکومت پیشکش میشود منوط
باهمیت ولایتی است که حاکم آنجا میرود در حقیقه در همه جا وضع اجحاف
و تعدی متداول است ترقی میان صاحب منصبان قشون بهمین وضع است
و بجهت تحصیل مناصب باید پیشکش بدهند و در باب وصول مواجب خود هم اینها
مانند

ندارند مزارعین اگر بتوانند در عرض سال مواجب یک یا دو ماه به خود را تحصیل کنند خود را خیلی خوشبخت
میدانند و بسیاری از مردم معاش و زندگی آنها این است که از مردم سرقت نمایند تمام این مخلوق
نسبت باین بیچاره‌ها [illegible] ظلم که [illegible] نمایند و اگر آنها جرأت و جسارت که [illegible] بنمایند آنها در شدائد
و صدمات [illegible] وزیری نیست که [illegible] عدالت [illegible] آنها اقدام نماید و پادشاه [illegible] نیست که
[illegible] بتواند [illegible] مردم [illegible] احوال آنها رسیدگی کند در این صورت [illegible] تعجب نیست
[illegible] ظلم و تعدی [illegible] عظمت [illegible] روی زمین [illegible]
[illegible] که [illegible] اینها [illegible]
[illegible] و اگر بتوانند [illegible]
[illegible] برای تجدید [illegible] کارهای [illegible]
[illegible] معاش [illegible] تحصیل نماید [illegible]
[illegible] تحصیل کنند
اغلب بواسطه گرسنگی و فلاکت بیرون بروند و اگر عده قلیلی اشخاص باقی مانده باشد که صاحب
آب و املاک باشند همواره در کمال تزلزل هستند که مبادا از املاک خود محروم شوند [illegible] در تحت
اختیار [illegible] پادشاه میباشند [illegible] بدون آنکه کسی [illegible]
[illegible] برای خود [illegible] که جواهرات خود را [illegible] دفن [illegible]
[illegible] شود [illegible] جواهری که دارند از دست آنها گرفته شود [illegible] دیده میشود [illegible]
شکسته [illegible] نهب و غارت برده میشود [illegible] اطفال [illegible]
[illegible] آنچه [illegible] باقی مانده است بحالت [illegible] در کمال سستی [illegible]
و همواره [illegible] ترس [illegible] هستند آیا این تقصیر ایران است [illegible] آفتاب [illegible]

و این

این زمین خراب و داغان و چوکنده خوب حاصل می‌آید ایران جاهای معادن خوب نیز دارد مثل سنگ ذغال

نیست که این معادن را کار کند آهن در این مملکت وفور دارد ولی کسی نیست که این را عمل بیاورد مگر فرنگی

یافت میشود چشمه‌های نفت هست زمین آن بعضی جاها حاصلخیز است بعضی جاها [illegible] کردن هم هیچ

نشده و [illegible] آنچه را که کاشته‌اند حاصل برمیدارند و صحراهای آن طوری است که از آب کافی مشروب میشود

همه چیز ایران از آن به عمل می‌آید ولی تمام این مملکت کاشته نمیشود [illegible] حال تقریباً

بی جمعیت شده و بسیاری خراب افتاده‌اند و چندین هزار نفر از اهالی این مملکت [illegible] مجبور شده‌اند

که از ممالک خود جلای وطن کرده و به ممالک [illegible] آنجاهای خود [illegible]

نامیده و چندین هزار نفر که به بلاد مختلفه خاک آسیائی عثمانی و [illegible]

عثمانی جلای کرده‌اند در اسلامبول ایرانیها را ملاقات نمودم که با دستهای ظریف [illegible]

مشغول هستند از قبیل سقائی و جاروب کشی [illegible] وقتی [illegible]

که همه ایرانیها هم جلای وطن کرده‌اند [illegible] خود ایران است بطبیعی

می‌نویسم اسباب تعجب [illegible] از اهل انگلیس [illegible] خواهد شد که [illegible] پادشاه [illegible]

نموده پس از مراجعت به ممالک خود ظلم و تعدیات نسبت به رعایای خود افزوده [illegible]

خود را مغرور به قدرت شخصی دیده‌اند و چون ملاحظه کرده‌اند که در اروپا [illegible] از ایشان

شده است و [illegible] آمده است از همه شخص خود را [illegible]

نفرت خود افزوده نتیجه این فقره این است که اهالی ایران چون ملاحظه کرده‌اند که [illegible] پادشاه

از سفر فرنگستان مراجعت نموده‌اند به قدرت و تحمیلات خود افزودند لهذا چنین استنباط نموده‌اند

که این قدرت و تحمیلات به واسطه اثری است که از فرنگستان بایشان رسیده است بنابراین

اهالی ایران نسبت به اهالی اروپا منفور گردیده و به واسطه شدت نفرت از آنها دوری میکنند و این دوری

در دقیق است

موقعی است که ممکن است با این طرفین قرب و مکاتباتی بمیان آمده با آنکه قوه و نفوذ عقل
آن فضا مملو به صحبت انگلیسیهای ایران کمال لازم به برابر نشود باشد. دولت انگلیس شنیده‌اند که شرف
نتیجه چنین بجهة اختیار آن حال شده است و اهمال کاری کرده است که خاطر ایرانیها را از بعضی
[illegible] اختیاراتی که بنیان [illegible] بیرون آمده چون مخابرات انگلیسی تا مدتی احوال حقیقی ایران
[illegible] صحیح [illegible] کسانی که ملت ترقی و آسایش ایران هستند باشتباه بیاندازند بعضی
[illegible] از طرف طهران [illegible] مشغول اهمال این [illegible] اسباب اشتباه هستند
[illegible] از طرف [illegible] شاهنشاهی [illegible] معتقد [illegible] صرف [illegible] میان ابهام است
[illegible] انگلیس و [illegible] مبنائی ابتلیغ مبالغه کرده طرف پادشاه هستند این
[illegible] اول آنها این وضع که در حکومت ایران است شایسته و مناسبت
[illegible] وضع [illegible] و انتظام حاصل است عموم رعایا راضی هستند و پادشاه به دره عدالت
[illegible] که با [illegible] داده میشود اقداماتی است لطف آمیز محض این است که با
[illegible] آمده هستند مفتوح شده ما بین ملت ایران و ملل اروپا که ابعد از یکدیگر دور هستند
اتفاق و اتحاد بمیان آید و اگر در بعضی جاها بعضی از مردم ناراضی هستند چون اراضی و ولایت
نمیتوان آنها را راضی کرد بلکه بقوه جبریه اسباب اسکات آنها را فراهم آورد ولی این
تفصیل [illegible] نیست که شورش سخت طبایع را [illegible] است و همه حاضرند که بمقام شورش
برآیند و این شورش از حالا در شمال و جنوب مشرق و مغرب بظهور رسیده و از جمله امور
که بعضی اشکالات با انگلیس بمیان آمده است بروزنامه جات خودتان نظر بکنید و ببینید
که بجهة وضع آنها در باب امتیاز دخانیات و غیره که مردم ایران از این بابت اشاره
اظهار نموده اند شما از وضع احوال [illegible] نیستید روزنامه نگارهای شما در باب حرکت

فوق

خوفوق العاده مجتهد بزرگ در کربلا نوشته و این مجتهد بمسلمین قدغن کرده است که دخانیات
استعمال نشد محض آنکه معلوم نماید که ایرانیها از خطره امتیازیکه بابت دخانیات
بکمپانی انگلیس داده شده است چقدر متنفر هستند و این امتیاز از طرف پادشاه
داده شده است محض آنکه دخانیات را بمبلغ بیشتر بفروشند بنظر چنین می‌آید
که روزنامجات انگلیس حقیقتاً نفهمیده‌اند که امتیاز مطلق چه معنی دارد مجتهد
بزرگ که در کربلا و تاجر بزرگی که در طهران هست واقعاً چه قسم مردمان میباشند پادشاه
درباب این امتیاز اقدامات سخت از قبیل نفی بلد و تهدید وغیره بعمل آورده اما درباب
فروش تنباکو و سایر امتعه دیگر اولاً باید دانست که وقتی که پادشاه این امتیاز را دادند
دو دخانیات را فروختند یا آنکه مقرر فرمودند که رعایای ایشان تمام دخانیات را بکمپنی خارجی
بفروشند اینکار تعدی و تخطی بحقوق ملت بود پادشاه خود خطای خود را ملتفت شدند
ولی چون قول داده بودند جرئت نکردند که کمپانی فرنگ را از خود برنجانند الحال که من
این مطالب را مینویسم از طهران برای من خبر رسیده که بعضی قرارها داده شده و پادشاه
که آنقدر اقدامات سخت بود نموده از حرکت مجتهد بزرگ در کربلا متوحش شده و امتیاز عمل
دخانیات باطل گردیده است اما درباب مجتهد بزرگ در کربلا او در حقیقت پاپ ایرانیهاست
تکفیر او بالاتر از تکفیریست که پیوس نهم بپادشاه ایطالیا نمود خلاصه باعتقاد جمیع
اشخاصی که از وضع ایران اطلاع دارند معلوم میشود که پادشاه بوضع اعمال تعجیل
در زوال خود مینماید و اعمالیکه متوالیاً بطور غفلت از طرف ایشان سر میزند موجب تعجیل
در زوال ایشان است درصورتیکه پادشاه میتوانند رفع زوال از خود بنمایند
که متوحش شده و در جمیع مطالب دقت مخصوص بنمایند حال باید دانست که چه
سبب

می‌شد که ایرانیها معتقدند که دولت انگلیس مقصودش کمک و تقویت آنها می‌باشد
ولیکن این مطلب واضح است بجهت آنکه یک دو سال قبل این سفرای شما با پادشاه
ابرام نموده‌اند که قانونی بدهند که بموجب آن جان و مال رعایای ایشان در امنیت [illegible] آیا پادشاه
چنین قانونی داده‌اند پس از آن شما مکتوبات طولانی و اظهارات زیاد و تأمل بسیار مضمون فرمان
[illegible] به اطلاع عموم رسانیدید [illegible] علیحضرت ملکه انگلیس وقتی که این مطلب را شنیدند نسبت
به ملکم خان اظهار کمال رضامندی فرموده بودند آیا سفیر شما در طهران در قرار و عهد این فرمان
شرکت داشته است [illegible] جمیع ایرانیها معتقد بودند که پس از اینکه چنین فرمان صادر شده
[illegible] گردیده است [illegible] خصوصاً دولت انگلیس حق دولتی
دارند [illegible] اجرای مضامین و شروط فرمان ابرام کنند یا آنکه اگر تخطی از شروط آن
بشود [illegible] توضیح بخواهند [illegible] این تفصیل آیا نتیجه چه شد من که شیخ جمال‌الدین هستم
[illegible] مردم [illegible] انجام آرزوهای خود دانستند و از این بابت
اظهار خوشحالی می‌نمودند [illegible] لطف را پذیرفتند و کلمات و مطالب در تحسین
[illegible] از قرائت [illegible] استنباط [illegible] دولت ایران زنده خواهد شد بجهت آنکه
بواسطهٔ آن قانونی [illegible] جان و مال مردم در امنیت بوده و زنها و دختران ما از دست
بی‌ناموسی که نسبت به آنها می‌شود آسوده خواهند بود و مردمان ما از تعدیات ظالمانه آسایش حاصل
کرده و همه کارها [illegible] خواهند شد ولی در این بین [illegible] مرا دستگیر و نفی بلد و حبس نمودند
دوستان مرا محبوس نموده بدون استحقاق آنها را دچار صدمات کردند پس از این
مطلب چشمهای مردم باز شده و بر آنها معلوم گردید که دیگر نباید بوعده‌ای پادشاه اعتمادی
نمایند ولی چشمهای آنها بطرف دول خصوصاً بطرف دولت انگلیس گردیده است

آیا

آیا سفیر دولت انگلیس در طهران یک کلمه اظهار خواهد کرد که توضیح بخواهد از اینکه چرا این نحو
تحقیر نسبت بفرمان مزبور شده است یقین است هیچ مطلبی در اینباب اظهار نخواهد کرد مملکت
ایران هنوز در اینموقع اعتنایش منتظر پیغامی است ولی شما از چه خودتان میترسید اگر
مابین وزرای پادشاه و سفرای شما در طهران نفاق و شقاق شهرت کند ممکن است که اسهامات این
شعبه بانک [illegible] بشود بنابراین شما همگی در طهران سکوت محض اختیار نموده یا در پارلمنت شما بهیچوجه
اعتنائی باین چیزها نمیکنند یا در باب ایران کی اطلاع دارد و کی اعتنا مینماید معهذا اهل ایران
معتقدند که دولت انگلیس قصدش این نیست که اقدامی نکند بجهة آنکه میدانند که دولت
انگلیس در کمک نمودن به اهالی افریقا حاضر و مستعد بود که دولت گزاف صرف نماید که تجارت
غلام و کنیز را در افریقا موقوف بدارد با اینکه ایرانیها این اعتقاد را دارند معهذا دولت انگلیس با اینکه
پاره کردن فرمان مزبور در برابر چشمهای خود آن دولت اتفاق افتاده است و حال آنکه در قرار فرمان
خود نفس نفیس شراکت داشته است مضایقه مینماید که در اینباب بدولت ایران یک کلمه تهدید یا
یا نصیحتی ابراز نماید من در اینجا آمده از ملت شما خواهش مینمایم که در اینموقع که اعتنایش برای
دولت ایرانست وادار بید در مجلس پارلمنت در باب تعدیاتی که میشود در باب فرمان پادشاه
ایران سئوالات نمائید و در صورتیکه واقعاً این مسائل بمیان آید بسفیر شما در دربار ایران
تعلیمات داده خواهد شد که وزرا و پادشاه ایران را ملاقات کرده و از طرف دولت انگلیس
در باب این مطالب از آنها توضیحات بخواهند اثر معنوی چنین اقدامات زیاد خواهد بود
بجهة اینکه اسباب اعتبار و اقتدار دولت انگلیس خواهد شد ولی پادشاه معتقدند
که شما در رفتارهای ایشان اعتنائی نمائید و بهر قسمی که میل ایشان باشد رفتار خواهند کرد
هرگاه شما با ایرانیها کمک ننمائید یا آنکه جرئت اینکار را نکنید دولت روس آماده این کار
هست

است هرگاه مجال شما دولت انگلیس آماده ملعبه سیاست نخواهد هر استیفا هند و هندوستان نزدیک فعلاً ... است
معادل ... ایران برباد و بجهت انجام البته تامل نخواهد که در محض صرفه خود دولت ایران کمک
و تقویت نماید و شما ایستاده اید و تماشا میکنید و همیشه بواسطه آن سهام و دخانیات و بانک برای خود
فایده تصور مینمایید شما نه دوست آشکارا و نه دشمن آشکار ایستید و ایران هم نمیتواند شما را دشمن
خود بداند بلکه دوست خود میداند و همچنین منتظر است هر یک کلمه از طرف شما ابراز شود و انگلیس از طرف شما
نفعی پولی دارد و نه اسباب این است هر شکستهای مرتب دارید در حقیقت سبب ضرر تجارت
و تجارت شما خواهد شد ملت ایران دوچار مصائب ... در قید اسیری گرفتار است و مردمان آن شریف
و چالاک و قابل هستند همیشه منتظر است هر یک کلمه از طرف یک ملت آزاد معتدلی ابراز شود آنچه
را ما میخواهیم همین است ولی اینکه صدا از طرف ملت انگلیس باید ابراز شود باید بدون ... شود قبل از آنکه آتش
کشیده دیگر در مجلس ... نشوند و قلوب دیگر شکسته شده باید آن ملت ... دیگر تلف نشوند ...
دیگر فرق ... نکنند پس اینکه باید قبل از آنکه اضطراب بیشتر از این بظهور برسد ابراز گردد تغییر است در وضع
احوال لازم است و ... باشند ... افغان از میان ... خانه خراب شده ...
آن مانند ... برسد و ... بالاخره ... انگلیس ... است ...
هر تغییری در وضع حکومت ایران ... ایران منوال گردد ... از وضع حالیه خواهد ... ایران
چیزیکه میخواهند تغییر است.

شیخ جمال الدین

Appendix II

Draft of an Arabic letter from Jamāl ad-Dīn to Riyaḍ Pasha in Cairo, November or December 1882.[1]

MY MASTER:

I am today in the Canal, and I am going to London, and from there to Paris. You will recognize the Truth, and you are True Justice. . . . [followed by lengthy and fulsome praise and honorifics].

I want to tell you the truth, and I say that before he acceded to the throne the Khedive [Taufīq] loved me with a true love, and I was a friend to his friends and an enemy to his enemies, and in peace with those with whom he was at peace and at war with those who opposed him. (Shaikh al-Bakrī first and Samīn Pāshā second, instigated by Ismā'īl Pāshā, both wanted to cause an uprising and bring great disaster to Egypt out of hate for the foreigners. I was then with the masons.)[2] The Khedive used to send me his secretary Kamāl Bey every day, saying, "I have only you for help." All this was with the knowledge of the Khedive, and on his request.

A group of European masons . . . under the leadership of 'Abd al-Ḥalīm Pāshā, who was the head of the Council of Masons in Cairo, did not cease supporting 'Abd al-Ḥalīm. I, out of love for the

---

1 The translation is approximate in some places owing to the faintness and difficulty of the original draft in the Majlis Library collection.

2 The parenthetical phrase is crossed out in the draft. Some other crossed-out phrases are not included in the translation.

صفحهٔ اول و دوم ترجمه انگلیسی نامه سید به ریاض‌پاشا که در کتاب بانونیکی کدی آمده است. ترجمهٔ ما از روی نسخهٔ انگلیسی انجام گرفته است.

Khedive, declared my enmity to them and opposed them. I and those like me quit their group, moved by love for the Khedive, and I relinquished the leadership of their lodge and left them, although they used to love me and I them, and I had been with them for many years—all this I did out of love of the Khedive. [On the side is added:] And he went to him advising and threatening him, saying, "The masons intend to assassinate you, because you are working for the continuation of the rule of this tyrant." He became afraid . . . and said he would not work for Ismā'īl in any way.

Then the European masons and their followers went to Tricou, the Consul of France, and told him that the Egyptians were for 'Abd al-Ḥalīm Pāshā's accession and desired him, and if another were chosen there would be an uprising. When this [news] reached me, I and those like me, moved by love for the Khedive, rushed to the Consul and gave lie to what they had told him, and explained to him the truth of the matter and removed the veil. All this was announced in the patriotic newspapers, and the Khedive cannot deny what I did, or my zeal, and he must recognize what I did for him.

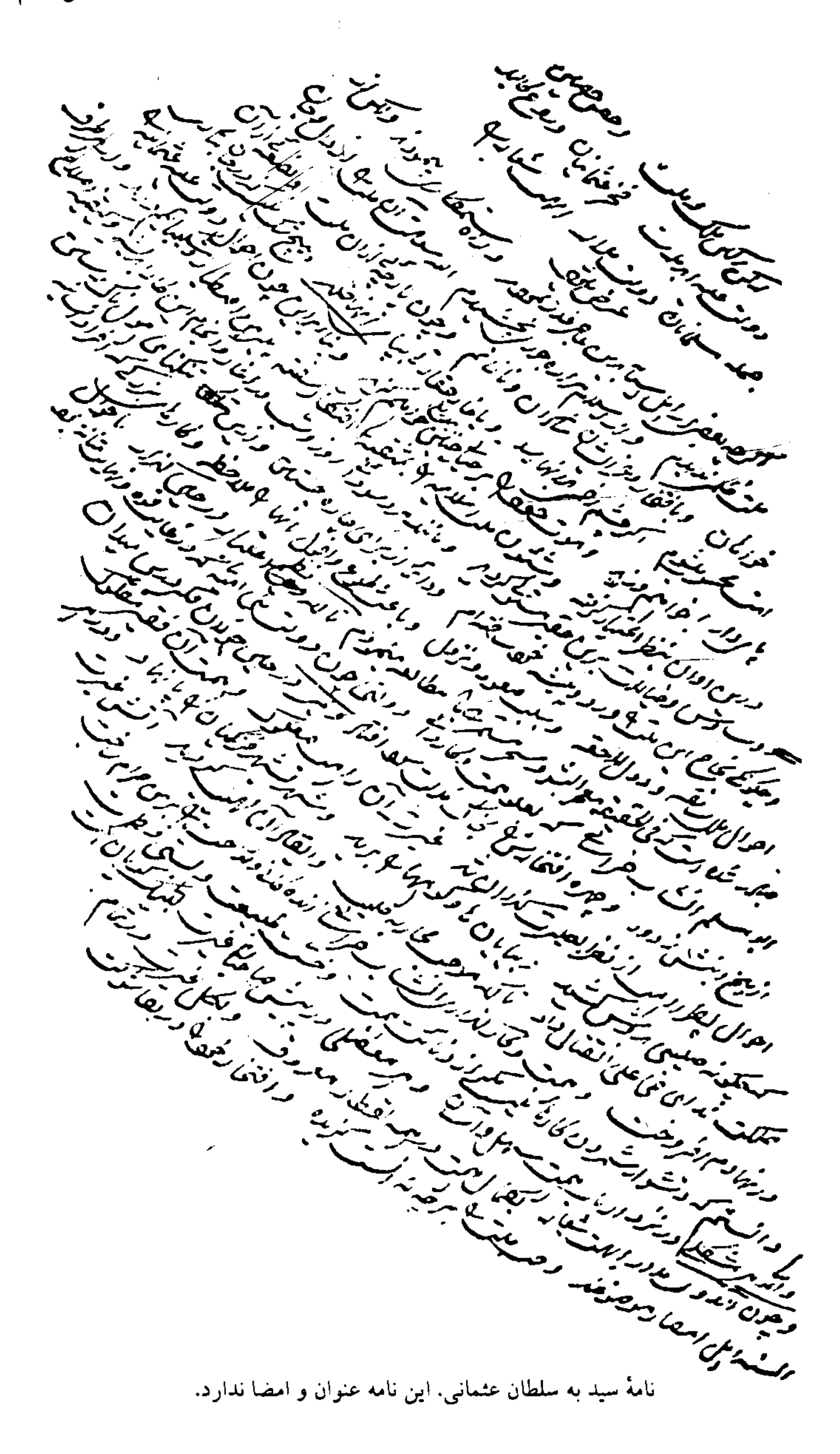
My ex-brother masons, with whom I was on good terms, saw that I was no longer with them, and they lost confidence in the success of Ḥalīm. They accused me and associated me with the *Nihilists* one time, and to the *Socialists*[3] another, and spread lies about me, saying I aimed at killing both the Khedive and the consuls. I was a foreigner, without any army, and did not think anyone would believe such nonsense, but some did.

After the Khedive [Taufīq] took the throne, a group of masons of Ḥalīm's party went to the Khedive with this [story] to get revenge. I knew they were numerous and strong. I had written refutations of their stories in all the Egyptian Arabic- and Western-language newspapers, and I explained to the government their true aims, and I said to take action against their evil. The masons were helped by all supporters of Ḥalīm, despite their differences, and by the evil 'Uthmān Pāshā al-Maghlūb,[4] who was chief of police at that time. One of my pupils wrote against him in a newspaper (saying only that he was not sinless), and he was angry and worked with Ḥalīm's masons, slandering me and helping them. Sharīf Pāshā heard of it and stopped

---

[3] Transliterated from the French forms of italicized words into Arabic script.

[4] *al-Maghlūb* is a passive participle meaning "the conquered." It is a play on the man's real appellation, the active participle of the same verb, *al-Ghālib*, "the conqueror."



نامهٔ سید به سلطان عثمانی. این نامه عنوان و امضا ندارد.

[illegible]

[illegible]

9/11/1 14/1103

٩

[illegible]

آخرین نامهٔ سید به سلطان عثمانی، به زبان ترکی و با امضای: الداعی، جمال‌الدین الحسینی.

كيفيت بعض اغراضه بناءً عكس ترتيبي التزام ايلدكلري معلومات سير طيبي عند قادارلرده داعيلرينك برولد صالح محبوب القلوب
پدري ايچون ايده بيله جكي ارمغانه نظيره خالصانه‌مي كويا بر كوناه ايتمش كبي حقارت استطاعه ايله مكافات اولندم . ناله الحمد كه
نتيجه سنده راغبلري قوللري حضوريمزه غازيجيونك محببكه مواجه اولندقلرنده بنم نقل خليفه نصرتي حضورني جان و دلدن
مدافعه ايتديكمي معلوم اولمشدر حقيقت ذات خلافتپناهيلرينه ظاهر اولدي . غازيجيونك معلوم اولديغي احتساد وامثالي
ويكرده تعليمات خفيه‌لرده سن وانكليزلرله نهايتده انكليزلري دينلدي عموما وداعيلرينه خصوصا اوزني عداوتدن چيره تحقيرلرندن
كچيرلر ايدي . غازيجيه بويله يالكز اولارق طلب اولندقلرنده سويلديكلريني انكار . وملعونه سوزلري ديكره اسناد ايده جكده
شبهه وارمي ايدي ؟ و بو حقيقت بر ميدانه كيرلسي ايچون مثلا سير طيبي بوزماده جولان ايله مواجهه ايدلمه اولماندرلر
سوزلكلري ايدي ؟ تا كه بو داعيلري مكافات تحقيره بربنه مجازات مستوجب مستطاعده ساعي كورلماسي اولديم . وبابا غازيه‌ربكي
جمال الدينه منتظرانه اوزري سويلدكلري بوبرقاچي ديه نشر اشاعه‌لرينه برترتيب ايله احداث اولنمش اولدي . مثلا تابعي
بوبله عكس ترتيبده التزام اولندقلريني دوشندكجه بنده بو عكس ترتيبلرستانجي هيچ بر وقت . او رهبطالرلرماتا اولدقده عقل
نور خليفه رسول الله نسبت ويره مام ولكن هر بر بوري و هر بر عقد بولنديغي او وسواس وخناسلره قاپيلوب باهمه مسئوللردر
بوعقد ابريدلري وجبار شرلري كوزدشام استقبالري ملو تا آخر نقطه‌ده علياهده بوزرجه طوزقده القدري
وسنبريه علم اليقينه بيليورم . كرچه بدقديه الهاميه خناسلري هركوبا كيدمكرلرني طوز الفتكلري جونلرينه ظاهرح
بنم ايچون ملهال امور داده‌لري ، ايه تباري ويلكه بنم قلبي جاه وجلال ارزوسنده وهرديو زخارف دنياك محبتنده ازاره قلبم ،
ايه نباري نعلكه بني بر اوصاف ايله فقط عالم اسلاميه خدمت ايچون خلق ايتمش . بنم ايچون بوكره الحمدلري جزئيات
وضعيانده بر صرف اوقات ايتمكلك كبا حرام اولديغي آشكاردر . خليفه رسول الله اقسم بنم بوراده بونلري
بوبر ديري قولري امور صغيره وحقيره ايله اوقات وجوهر حياتي ضايع ايتمكلكن نظر ديانت وحقيقت ملوكانه‌لري
اصلا جواز ويرميه جكلري وبوقانيا . كتمكلكن انسب كوروب ساعده لطفانه ودلغوا ايلرلرني نسبع جويده مقدري هر
عقل سليم عنده مسلم اولوردر . ذات حضرت خلافتپناهيلرينه جدا صادق وطمعسز اولنلرك خدمتلرني وسعيلرني تمره‌لر ايله‌
غرضيه بلديكليه وزيري متوشلكي دنيانلر چكنيان وحقده‌وتمنيات اسانيه آراسنده حكالي لرندن بطرفيه خلافتپناه
افزوده‌لرك شو احوال راهي اولدقلريني بيليكم كبي بطرفه‌مرك عليهلرينه سفه‌ارلري الهي اغراضل وجدانلقلريني تمامله الكلديلريدير بوغرضلر مبادا
داعيلرني خليفه رسول الله افزوده‌لرينه برقدر اوبيك پر اولديغلر ندرمعا يوزرين هربار ايرضللرني هاديلرني اولماز ايمكدي حكمنه جكرده
بوبر هرونق فضولي تصديقه تبعيل اولونمتم . برقاچ كون اوادم دعق راغبلري قوللري ولطفيه بعضه تقاصد شاهانه‌لري اداره تبليغ
بوريغه‌لره كتمكلكه ساعده بوبرجق تبشير بوييورمه بيكر بنا علي تبشير اولندقلرجه ساعده مرحمت شاهانه‌لري
ازاله بيورلقدر بوداعيلري برآنه اول تسرب وقند ايدلسي استرحام ايدرم . چونكه هر آن كوروبر تولماينده تشويش هايلري
حتى عانه كاذبه وبالحديث شايعه قدرنا ايتره ايجاب حقارانه معرض اولدقده بوراده فالتقيم محاكمه‌يندن اولاجقه حقانكوم
ردقانقمپرو خيفه الحمدعندنه جوني حفظايد تسليم اوله جق موادرد . وشبه هرنه وقت فرمان بيوريلو . امير المؤمنينه امتثال ايدرلركلوم
دفايجه هرزه‌م برنسم جبور زمانده ايضاك امير المؤمنينه حضرم . اكرخليفه اعظم برباره بوباره اهل اغراض ورسيله مسكين نظرده آلورلرر
وبونلرك كارلري هيچ بر زيدعذات دوشنمسم وقي دنسه لرده عبادتا اوليغ نظرده آلورلرايسه . حكمت وسفقت ستدرلري
ووجداندار انصاف نبات شاهانه‌لري برآن اول كتمكلكه قابل اولمقدرند هيچ شبهم يوق . خليفه اقدمدن ارفده يه كوجيلهم تو
ايه عنف اولسون برقدم اقدم بطا اوزن ويرلسونكه هيچ عالمه انشاسله بو كبي شيلري قوللرم اشتمسون وقلبم بونلري دسيسه مستور تنكسرا اولسونده
امير المؤمنينه خليفه اعظم خلعاكه دعايه كيه‌ثم حفوة عبادالهي انوضدني حفظ رسمه طوراه ماولديغي نوريده عالميان ذات اقدس خلافتپناهيلرني
الده حفظ وامانه توديع ايدرم فرمان

الداعي جمال الدين الحسيني

۴۳

الشيخ الفاضل الكامل الشيخ محمد عبده دام بقاه

ان همتين بحيث لسمع جزءً تفيض به جامعة الكون على النفوس كلها
قامت برهان على العرفان والجريدة شهادة تبعث ملكوت وحدانية الهية
مع شهادات العبيد في مشهد العالم تحقيقاً للجزاء وتعيينا للأجر
فلك بحيث شئت مع (المعارف) الجرائد الأخرى وها أنا أحمدك على البر
والمعروف أداءً للشهادة وأشكر صنوك الفاضل الكامل الشيخ عبد الكريم
وأثني على حث بين المؤدبين الفاضلين السيد ابراهيم اللقاني والشيخ سعد زغلول
والافندي الكريم الذي أنشأ رسالة الزمان واذكركم بالخير في مشهد العالم
قياماً بفريضة الشكر على صنع الجميل وعمل الصالحات وانا الآن في (بورت
سعيد) اذهب الى لندره ـ ترسل جواب هذا الكتاب الى ادارة جريدة
(المشرق والمغرب) او الى (استربلت) ـ ان اخبار العالم وحوادثه
كانت انقطعت عني منذ ستة أشهر ولهذا لا أدري ما استقر (المعارف) الآن
أخبره بغرب ـ والتفصيل في مكتوب آخر يصلك من لندره ان شاء الله
سلم على كل من عرفنا وعرفناه واعترف بنا وسلمنا له والسلام

جمال الدين الحسيني الافغاني

أرسلت مصحوباً الى صديقنا الحاج ... على البر
والغرض درجه في الجرائد المصرية بعبارة فصيحة
وارجو الاهتمام في هذا الامر
لانه ضروري جداً
المعبر الحسيني

[illegible]

نامهٔ سید به شیخ عبده، از پرت سعید، بر سر راه خود به لندن

صفوة اولی الهمم وقدوة ارباب الشمم السرتیب
الحاج احمدخان لازال مصوناً بعناية الرحمن

انّی قد حللت الآن ببلدة انت ساکنها ومنک بهجتها وبک سناها
فکتبت الیک هذه الوریقة زعماً منّی انّک بتقلبک بین اطوار الزمان
واختبارک اجناس الناس ترغب ان تلاقی کل من دعکه
الدهر وحنکه العصر ولو کان فی کن حقیر متربعاً علی حصیر
فان کان الامر کما رأیت فیها لحظی الاوفر والا فلست اول
من غرّه القمر وانّی جهلاً بمحلات الاقامة فی هذه البلدة
نزلت فی خان مخرب عفن لا یسکنه الا الصعالیک والاوباش
بسمتی (بکاروان سرای کربلائی عوض) والسلام

جمال الدین الحسینی الافغانی

نامه سید جمال‌الدین به پدر سدیدالسلطنة به هنگام ورود به ایران.

متن مسودهٔ نامه مشروح سید به ریاض‌پاشا. ترجمهٔ خلاصهٔ این از روی ترجمهٔ انگلیسی آن در کتاب آمده
و متن عربی آن، در بخش عربی کتاب نقل شده است.

وكل هذه كانت [illegible] وتشفيا [illegible] — ثم [illegible] مع جمع من الضباط [illegible]

بالعساكر [illegible] الطعام [illegible] وفي [illegible] الخبز [illegible] بمعرفة [illegible]

[illegible] فامرنا [illegible] وبعد هذا الفعل الشنيع [illegible] الظالم [illegible] فلا

[illegible] ولم تكن مأمورا بذلك فلم [illegible] عن جلب الطعام من [illegible]

بين يديه [illegible] اني كنت مأمورا [illegible] ثم [illegible] قالوا [illegible]

[illegible] فانه [illegible] ثم [illegible]

[illegible] وترسل [illegible] والكتب الى [illegible]

[illegible] او البصرة [illegible] افندينا [illegible] تركيا [illegible] ان ترجع [illegible] الينا [illegible]

[illegible] البنادر التي ذكرت [illegible] وقال [illegible] ان اخالف افندينا

[illegible] سوى الثياب — [illegible] الكرجي — [illegible]

[illegible] باشا [illegible]

من [illegible] فاسئلك يا اهل مصر ويا اهل القاهرة [illegible]

[illegible] في ساحات [illegible] نفسك [illegible]

[illegible] ان تسئل [illegible] الحق والعقل [illegible] العدل عن افعالي [illegible]

[illegible] باشا [illegible] باشا الذي [illegible]

[illegible] حتى تقوم على [illegible]

من [illegible] العدل [illegible] — ثم [illegible]

في هذه [illegible] الكبرى [illegible] في [illegible]

[illegible] حكومة [illegible]

[illegible] العقول [illegible]

[illegible] المسلمين في [illegible] بالفشل

[illegible] المنكر [illegible] عن المعروف [illegible] البصيرة [illegible] الحيف والعسف

[illegible] في العالم [illegible] العدل [illegible]

[illegible] الصدق [illegible]

[illegible] من الحكومة المصرية [illegible]

[illegible] التي نزلت بالحكومة المصرية

[illegible] دون كفارتها — هذا اقول ان بالعدل قامت السموات والارض [illegible] العدل [illegible]

[illegible] والذي [illegible] للافعال [illegible]

[illegible]

[illegible]

للعدل الذي [illegible]

من [illegible] العلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ان ذلك [illegible]

[illegible] للعدل [illegible] بالانصاف [illegible] العادل [illegible]

[illegible]

مولاي إن نسبتك إلى موادة في الحق وأنت تقدست جبلتك فطرت عليه وتحوش الغرابة إليه فقد بعث يقيني بأنك
ـ وإن لوميت فيك حيدانا عن الرشد وجورا عن القصد وأنا موقن أنك لا زلت على السواد غير مفرط ولا مفرط فقد
استبدلت علمي بالجهل ـ ولو قلت أنك من الذين تأخذهم في الحق لومة لائم وتثنيهم عن الصدق خشية ظالم وأنت
تصدع به غير وان ولا ضجر وتزالت أباطيل الكوارث المردية وأضرى عليك الخطوب الموبقة لكذبت نفسي وكذبني من يسمع مقالتي
لأن العالم والجاهل والفطن والغبي كلهم قد أجمعوا على طهارة سجيتك ونقاوة سريرتك ـ واتفقوا على أن الفضائل حيث
أنت ـ والحق معك أينما كنت ـ لا تفارق المكارم ولو اضطررت ـ وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولك شر أبدا
ولا تصدر عنك نقيصة قصدا ـ ولا تهن في قضاء حق ولا تني عن شهادة صدق ـــ ومع هذا وهذا وذاك أنكرت
علمك بواقع أمري وعرفانك بسريرتي وسري أراك ما أديت من حق كان واجبا عليك حمايته ولا صنت عهدا كانت
عليك رعايته وكتمت الشهادة وأنت تعلم أني ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شرا ولا أسررت لأحد في خفيات ضميري
ضرا ـ وتركتني وأنياب النذل اللئيم عثمان باشا الضابط حتى نهشني نهش السبع الهرم العظام ضغينة منه
على السيد إبراهيم اللقاني وأخرى من أعدائي أحزاب عبد الحليم باشا ـ ما هكذا الظن بك ولا المعروف من رشدك وسدادك
ـ ولا يطاوعني لساني وإن كان قلبي مذعنا بعظم منزلتك في الفضائل مقرا بشرف مقامك في الكمالات أن أقول
عفا الله عما سلف الآن تصدع بالحق وتقيم الصدق وتظهر الشهادة إزاحة للشبهة وإدحاضا للباطل فإقرارا
للحق وإبداء ـ ولعلك قد فعلت أداء لفريضة الحق والعدل ـــ ثم إني يا مولاي أذهب الآن إلى لندن ومنها إلى
باريس مسلما عليكم وداعيا لكم ـ وأرسلت (العارف) إلى صاحب الدولة رياض باشا لتفحص أموالي
وكتبي التي بقيت في مصر وأرسلت إلى جنابه مكتوبا أظهرت فيه تفصيل ما جرى علي في مصر وما ابتليت به في البلاد الهندية
ـ وأرجو من عميم فضلك وواسع كرمك أن تنظر إلى (العارف) بنظر العناية وأن تساعده في الأمر الذي
أرسل لأجله والسلام عليكم وعلى أخي الفاضل البار أمين بك

٢ صفر ١٣٠٠

جمال الدين الحسيني

جمال الدين الافغاني

متن نامهٔ سید به عبدالله فکری پاشا.

مولای أنت الحق وأنت [illegible] الحق بنا كان لا تحيد عن الرشد ولا تبتعد عن

السداد ولا تتهاون في فريضة العدل ولا تقصر في واجبات كمال النفس

وطهارتها وتصدع بالصدق وتقول الحق لا تأخذك فيه لومة لائم

ولا يلويك عنه هيبة ظالم ولا يردك خشية غاشم ولا تميل بك همة دنية

خوفاً من الجبارين واسترضاءً للظالمين — وأنت كنت أعلم

حقيقة مجلسنا وأسباب وسبب وقوع الفساد فيه ما كان

يخفى عليك شيء وكنت عارفاً بخفيات [illegible] لو وقع أمري مطلعاً

على سريرتي وسري — فكيف صبرت مع كونك مجبولاً على الحق

مقسوراً على حمايته أن ينسب ~~[illegible]~~ إلى عثمان باشا الصالح

ما نسب من الأكاذيب والافتراءات وقال افتراءً وكذباً

إني كنت رئيساً على مجمع قد وضع أساساً على فساد الدين والدنيا

حتى أذعن المحذر [illegible] إلى قوله فأمر بنفي [illegible]

— أمثلك يهاب أن يقول الحق ويخشى أن يصدع بالصدق

— أمثلك يكتم الشهادة — أمثلك ~~[illegible]~~ يرى الظلم

ويتهاون في رفعه ويتقاصر في دفعه — حاشاك حاشاك

ما هكذا الظن بك ولكن... — ثم يا مولاي أرسلت (العارف) إلى صاحب [illegible]

لقبض أموالي وكتبي التي بقيت [illegible] فأرجو رجاء من يعتقد أنك

أهل لكل أن تتفضل [illegible] عنايتك [illegible]

وعادتك — وأنا الآن في [illegible]

إلى باريس مسلماً عليكم سلام المشتاق [illegible]

مسودهٔ اول نامهٔ سید. متن حروفچینی‌شدهٔ این نامه‌ها در بخش عربی کتاب آمده است.

مولای

المدح ابانة مکتوم ~~...~~ + والوصف اظهار خلق غیر معلوم - وانت بکل فضیلة موصوف + وبکل مکرمة معروف - فلا اکدح فی ثنائک ولا ادأب فی نعتک
کیف وقد وقف دون مقامک منطق الفصحاء - وانما اقول انک فی القطر المصری امان لکل البرایا وبک قامت فیه دعائم العدل واساطین النصفة - تحب کل خیر
بجنانک وتسعی الیه - ولا یأتی منک الشر وان اجبرت علیه - ولیس فی عدلک ونصفتک ادهان - ولیس لک لملتمس الطالبین اخدان - وانت الفرد الذی
لا ترضی بالظلم ایما حل - وتأبی الجور جلّ وان قل - ولکن مما انت فیه یا مولای وعلیه من حب الانصاف وبغض الحیف والاعتساف قد سطا علیّ فی زمان عدلک
الظلم بسیفه واراق العدوان دمی ~~...~~ وضمایة - یا للعدل ویا للانصاف اهکذا یفعل بالبریء فی بلد انت الرئیس علیه لا لادهشک ان
هذا لیس من النصفة فی شیء - ان عدلک یا مولای نهر عثمان باشا حمایة عن الحق ونهاه عن التهمة والافتراء والتجنی علی هذا المسکین البریء
الرجیم لا یطیق ان یسمع - ولکن ابت النفس الخبیثة الا الشر فاختلق اقوالا وافتعل اکاذیب وبلغها سمع الخدیو - والخدیو بلا تدبر ورویة ولا اجالة فکرة امر بطردی
من الدیار المصریة ~~...~~ باشنع وجه وافجع صورة ظلما وعدوانا - فان انت یا مولای بعدلک لا تأخذ ثار الحق من ذاک الخبیث المفتری
مع علمک بانی کنت بریئا من تلک التقولات التی نسبها الی ~~...~~ کذبا وافتراء وخصوصا بعد ما اغتاظ من زجرک ایاه فادیت فریضة
عدلک ولا قضیت حق نصفتک - وحاشاک ان تکون متهاونا فی الحق مقاصرا فی العمل -

ی ومعاملة عثمان پاشا

. آخرین مسوده از نامهٔ سید

مسودهٔ دوم و سوم نامهٔ سید

شهر مسکوف   ۲۱ ژولیه

ایها الفاضل النجیب

بعد السلام علیک و علی اخوانک الحاج محمد ابراهیم و علی الحاجیین جولک

الغالیین بخدمتک بصدق و خدمتی ـ ان کتابک الظریف قد وصل

و سررت بما شف عنه من صفاء القلب و نزاهة السجایا ـ و زاد فرحی

ما خبرنی به میرزا نعمة الله من قیامک بادارة اشغال التجارة و ترتیب المعامل

و حل مصاعبها و النظر فی دقائق نکاتها کانک خلقت لها و صرفت عمراً

طویلاً فی اصلاحها ـ حقق الله آمالی فیک و رجائی منک ـ بارک الله علیک

ـ و انی فی مدینة مسکوف و بعد ایام اذهب الی (پطرسبورغ)

و ان جناب الوالد فی مدینة (پارس) ـ و بلغ سلامی و احترامی

[illegible]

نامه‌ای از سید به فاضل پسر امین‌الضرب، از مسکو

حبیبی الفاضل — ۳۰ اوردی [illegible] شعبان ۵

جاءنی منک کتاب سلکت فیه المسلک القدیم – کما انک افرغت

علی نفسک ان لا تتغیر بالزیادة والتبدل علی شهر – اخالک ان علیک

ان تبث فیه خطرات قلبک وتنوعات حالات نفسک وتحرکات

قوی عقلک حتی یکون کتابک مرآة تحکی ما تشکلت به فی طی قناطر حوادث

التی طرأت علیک فی مدارج السن – اخالک ان علیک ان تبسط ما عری

عقله عالم ذهنک بعد رشدک – بما تغیر نظرک – بما رأیت

من الناس ما کان مخفیا عنک من قبل – وکیف ذهلت

عن بیان افکارک سالکینک فی موطنک – ولم صمت عن ذکر

پاسخ سید به یکی از نامه‌های فاضل، پسر حاجی امین‌الضرب

نامهٔ سید، خطاب محمد المویلحی

بسم الله الرحمن الرحيم

حملة القرآن . وحفظة الايمان . ظهراً الدين المتين . ونصراء الشرع المبين . جنود الله الغالبة في العالم . وحججه الدامغة لضلال الأمم . جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازى . وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتى . وجناب الحاج الميرزا أبى القاسم الكربلائى . وجناب الحاج الميرزا جواد الآقا التبريزى . وجناب الحاج السيّد على اكبر الشيرازى . وجناب الحاج الشيخ هادى النجم آبادى . وجناب الميرزا حسن الآشتيانى . وجناب السيّد الطاهر الزكىّ صدر العلما . وجناب الحاج آقا محسن العراقى . وجناب الحاج الشيخ محمد تقى الاصفهانى . وجناب الحاج الملاّ محمد تقى البجنوردى •

وسائر هداة الأمة . ونواب الأئمة . من الأحبار العظام . والعلماء الكرام •

أعز الله بهم الاسلام والمسلمين . وأرغم انوف الزنادقة المتجبرين آمين •

طالما تاقت الأمم الافرنجية الى السيطرة على البلاد الايرانية ... رصاً منها وشرها . ولكم سولت لها امانيها حدءما تمكّنها من الولوج فى أرجائها وتمهّد فيها سلطتها على غرة من أهلها تحاشيها ... ن المقارعة التى تورث الضغائن فتبعث النفوس على الثورة ... لما سنحت لها الفرص وقضت بها الفترات . ولكنّها علمت انّ ... وذ الرب والعلما لى عز سلطانهم ضرب من المحال لانّ القلوب تهوى اليهم طراً . والناس جميعاً طوع يدهم يأتمرون كيفما أمروا وينفرون حيثما قاموا لمرد لتضلكهم ولادافع لحكمهم . وانهم ليزالون يدأبون فى حفظ حوزة الاسلام . لا تأخذهم فيه غفلة ولا تعروهم غرة ولا تميد بهم شهوة . فمضت وهى تتربص بهم الدوائر وتترقب السوانح ايم الله انها قد أصابت فيما رأت لانّ العامّة لولا العلماء وعظيم مكانتهم فى النفوس لانجذبت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصاً من هذه الدول الذليلة الجائرة الهرمى التى قد عدمت القوة وفقدت النصفة وأنفت المهانة فلا حازت منها شرفاً واصابت بها لنفسها حقاً ولا انشرح منها صدرها فرحاً •

ولذا كلّما ضعفت قوّة العلما فى دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة من الافرنج ومحت اسمها وطمست رسمها . انّ سلاطين الهند وأمراء ما وراء النهر جدّت فى أذلال علماء الدين فعاد الوبال عليهم سنة الله فى خلقه . . . وانّ الافغانيين ما صانوا بلادهم عن مطامع الأجانب وما دفعوا هجمات الأنجليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد كانت فى نصابها •

ولمّا تولّى هذا الشاه (الجارية الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلما تدريجاً ويخفض شأنهم ويقلّل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد بابطال أوامرهم ونواهيه وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره . فطرد جمعاً من البلاد بهوان و نَهْنَهَ فرقة عن أقامة الشرع بصغار وجلب طائفة من أرجائها الى دار الجور والفرق (طهران) وقهرها على الأقامة فيها

بذل. فحلا له الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلّب في أطوار الفظائع وتظاهر بأنواع الشنائع. وصرف في أهوائه الدنيّة وملاذه البهيميّة ما نهبه من دماء الفقراء والمساكين عصرا. وفرح من دموع الأرامل والأيتام نهرا (والسلام).

فإذا اشتدّ جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغدا خسيسا ليس له دين يردعه ولا عقل يزجره ولا شرف نفس يمنعه. وهذا المارق ما قعد على دسته الّا وقام بإبادة الدين ومعاداة المسلمين. وساقته دناءة الروحة ونذالة الجرثومة الى بيع البلاد الاسلاميّة بثمن زهيد.

فحسبت الأفرنج انّ الوقت قد حان لا ستملاك الأقطار الايرانية بلا كفاح ولا قتال وزعمت انّ العلماء الذين كانوا يذبّون عن حوزة الاسلام قد زالت شوكتهم ونفد نفوذهم. فهرع كلّ فاغرا فاه يبغي ان يسرط قطعة من تلك المملكة.

فقام الحقّ وغضب على الباطل قد محقه فذاب مسعاه وذلّ كلّ جبّار عنيد. أقول الحقّ انكم يا ايّها القادة قد عضدتم الاسلام بهمّتكم وأعليتم كلمته وملأتم القلوب من الرعبة والهيبة. وعلمت الأجانب طرّا انّ لكم سلطانا لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة لا تردّ. وانكم سياج البلاد وبيدكم ازمّة العباد. ولكن قد عظم الخطب الى وجلّت الرزيّة لأنّ الشياطين قد تألّبت جبرا للكسر وحرصا على الوصول الى غايته وازمعت على اغرا ذلك المارق الأثيم على طرد العلماء كافّة من البلاد. وأبانت له انّ انفاذ الأوامر انما هو بانقياد قوّاد الجيوش وانّ القوّاد الجيش للعلماء أمرا لايرضون بهم شرّا فيجب لاستتباب الحكومة استبدال الهم بقوّاد الأفرنج. وأرت لذلك البليد المغفّل رآسة الشرطة وقيادة فوج القزاق نموذجا (فلست وامرابه). وانّ ذلك الزنديق وزمالئه في الالحاد يجدّون الآن في جلب قوّاد من الأجانب. والشاه بجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتزّ به طربا.

لعمر الله لقد تحالف الجهل والزندقة وتعاهد العته والشره على محق الدين والخصال الشريفة وتسليم دار الاسلام الى الاجانب بالمقامرة والمقاطرة.

يا هداة الامّة انكم لو أهملتم هذا الفرعون الذليل ونفسه وأمهلتموه على سرير جلوته وما أسرعتم بخلعه عن كرسيّ عتبه لقضى الأمر وعسر الطبّ وتعذّر التدارك.

انتم نصراء الله في الارض. ولقد تمحّضت بالشريعة النبويّة نفوسكم عن أهواء دنيئة تبعث على الشقاق وتدعو الى التفرّق وليس الشيطان بقذفات الحقّ عن تفريق كلمتكم. فأنتم جميعا يد واحدة يذود بها الله عن حياض دينه الحصينة ويذبّ بقوّتها القاهرة جنود الشرك واعوان الزندقة. وانّ الناس كافّة (الّا من تقضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع امركم. فلو أعلنتم خلع هذا (الجائر) لأطاعكم الكبير والصغير وأذعن لحكمكم الغنيّ والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الزمان عيانا فلا أفيم برهانا) خصوصا وانّ الصدور قد حرجت وانّ القلوب قد تفطّرت من هذه السلطنة القاسية الجهنمية التي ما سدّت ثغرا ولا جنّدت جنودا ولا عمّرت بلادا ولا نشرت علما ولا أعزّت كلمة ملّة ولا أراحت يوما قلوب الأنام بل دمّرت وأفنت وأمرّت وأذلّت ثمّ بعد ذلك وارتدّت وأنها سحقت عظام المسلمين وسحقتها بدمائهم فعملت منها لبنات بنت بها قصورا لشهواتها الدنيّة. هذه آثارها في هذه المدّة المديدة والسنين العديدة تبّا لها وتبّت يداها.

واذا وقع الخلع لوشايه كلمة واحدة ينطق بها لسان الحقّ غيرة على دينه) فلا ريب انّ الذي يخلف هذا (الشقيّ) لايمكنه العدول عن أوامركم الالهيّة ولا يسعه الّا الخضوع منشبكم عتبة الشريعة المحمّديّة. كيف لا وهو يرى انّا ملكم من القوة الربّانيّة التي تقلبون بها الطغاة عن كرسيّ عتوّها. وانّ الامّة متى سعدت بالعدل تحت سلطان الشرع ازدادت بكم ولعا وحفّت حولكم هياما وصارت جميعا جندا لله وحزبا لأوليائه العلماء.

ولقد وهم من ظنّ انّ خلع هذا (الجائر) لايمكن الّا بصدمات العساكر وطلقات المدافع والقنابر. ليس الامر كذلك. لأنّ عقيدة ايمانيّة قد رسخت في العقول وتمكّنت من النفوس. وهي انّ الرادّ على العلماء رادّ على الله (هذا هو الحقّ وعليه المذهب) فإذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله في هذا الغاصب الجائر وأبنتم امره تعالى في حرمة أطاعته لانفضّ الناس من حوله فوقع الخلع بلا جدال ولا قتال.

ولقد أراكم الله في هذه الأيّام أنموذجا لحصانة ما أوتيتم من القوّة التامّة والقدرة الكاملة وكان الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل. اجتمعت النفوس بكلمة منكم على أرغام هذا الفرعون

الذليل وخيانته الرذيل (لمسألة التنباك) ضهبت الشم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذ ما وجهت اليه كفر. قوة انسها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام. فهل يجوز منكم اهمالها وهل يسوغ التفريط فيها حاشا ثم حاشا •

قد آن الوقت لحمايه مراسم الدين واعزاز المسلمين. فخذلوا هذا (الطاغيه) قبل ان يفتك بكم ويهتك اعراضكم ويثلم سياج دينكم. ليس عليكم الا ان تطلقوا على رؤوس الاشهاد حرمة طاعته اذ انه يرى نفسه ذنبا فريدا يقرّبه بطانته وينفره حاشيته وينبذه العسكر ويرجمه الاصاغر •

انتم يا ايها العلماء والذين قدموكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم. قد كسرتم قرن فرعون بعصى الحق وجدعتم انف عزته بسيف الشرع فهو يتربص فرصاً تساعده على الانتقام منكم لغيظه ومرضه طبيعته التي فطرت على الحقد واللجاج فيستعملوا آلتها ويتمكنوا ان يقبض روحها. اطلقوا عليه قبل استفحال جرحه •

وحاشاكم ايها الراسخون في العلم ان ترتابوا في خلع رجل سلطانه غصب واحكامه فسق واوامره جور وانه بعد ان مصّ دماء المسلمين وخش عظام المساكين وترك الناس عراةً حفاةً لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك الاجانب بلادا كانت للاسلام عزّا وللدين المتين حرزا وساقته سورة السفه الى اعلاء كلمة الكفر والاستظلال بلواء الشرك •

ثم اقول ان الوزراء والامراء وعامة الاهالي وكافة العساكر وابناء هذا (الطاغية) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفد جَلَدهم) كلمةً واحدةً حتى يخلعوا هذا الفرعون الذليل ويريحوا العباد من ضرّه ويصونوا حوزة الدين من شرّه قبل ان يحلّ به العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

(السيد الحسيني)

شریعة احمدی و ناموس اقدس [illegible] حجة الاسلام و صدر العلماء [illegible] کلمة الحق [illegible]

قد [illegible] من جمیع الجوانب و احاطت النصاری باطراف البلاد

[illegible] فتح [illegible] الابواب و [illegible] العراق من ممالک

و [illegible] حتی صار الاسلام عرضة للهوان و الصغار

بعد عزه [illegible] ان یستولی علی عزته بعد ما کانت [illegible]

و [illegible] بغیة [illegible] و [illegible]

[illegible] الاصحاب [illegible] و [illegible] الضلال و کل هذا [illegible]

و [illegible] الامة [illegible] التعاضد [illegible]

مع العلماء [illegible] فی حفظ الحوزة و ما یقضی بالحب [illegible]

لهدم ارکان الاسلام [illegible] الناس [illegible]

[illegible] من [illegible] الدین [illegible]

بعد [illegible] ارکان [illegible] بالحیوة الدنیا [illegible]

[illegible] و لقد [illegible]

[illegible] کلمة [illegible] الکرام [illegible]

[illegible]

[illegible] سیدی [illegible]

فی دینهم و [illegible] فی دنیاهم [illegible]

و [illegible]

الاسلام و [illegible] کلمة [illegible]

متن آخرین نامهٔ سید از بصره. این سند نویافته در چندسال اخیر به‌دست آمده است.

و [illegible] ولنفو في [illegible] والجزء درمية [illegible] في [illegible] وارباك
[illegible] واحدة [illegible] يعلمون [illegible] ويعلمون [illegible] ويلودن
[illegible] الا [illegible] وقد [illegible] من كذرى [illegible] وتعديهم
الوساوس وانت تعلم [illegible] تقويه [illegible] الخ في [illegible] العالم [illegible] وتلك
في [illegible] رئيس [illegible] وذلك [illegible] وارتقت [illegible] جديده وشرفه [illegible] ومنه
[illegible] وقد [illegible] للكفر بالباشا [illegible] الحاج سيد علي اكبر [illegible]
واما [illegible] فاني [illegible] رحمته [illegible] انا بادر [illegible] وانا [illegible]
في [illegible] وتدو [illegible] افتراه المزدوج [illegible] الفوق كل [illegible]
وعلى [illegible] وكل [illegible] دانت [illegible] ~~[illegible]~~
الجبار والسلام عليكم وعلى [illegible] من قام [illegible] والسلام [illegible]
والرحمة وبركاته امين

جمال الدین الحسینی

"غلطة الشاه . . . وغرامة الملك"

بسم الله الرحمن الرحيم

حماة الاسلام . ونصراة الانام . وحماة دار السلام . وأئمة الدين المتين . وأركان الشرع المبين .

لازالوا عزاً للمسلمين آمين .

ان الطغاة قد استضعفوا نصراء الدين وهتكوا سياج الشرع في تبريز طه و يس . فانتقم الله منهم بعدله وأحل بهم الخزي وجعلهم اذلة

في العالمين

الشاه في زمن سلطانه قد جد حرصاً منه على الدراهم والدنانير في اختلاس اموال الأرامل واستلاب أملاك الأيتام وانتهاب اقوات الفقراء واغتصاب ارزاق المساكين

وارتكب لجمعها كل فظاعة وشنعة . وعامل الناس باشد انواع القسوة . والتمس لنيلها وسائل خسيسة تابى منها نفوس الأوغاد وتعافها طباع الأوباش . . . فمارثت للجبور فرصة الا وردها . ولانقبة من ثقب الدنايا الا ولجها

ولما أفقر المساكين وأفقر السكان ودمر البلاد وبدد العباد سألته سورة الجنون الى بيع حقوق المسلمين وأملاك المؤمنين للأجانب . . . وزوقت له (الصادة هذا) زندقته وزيره الخارق

فبادر سريعاً وطلع مستعجلاً فعقد مع الفرنج عقوداً . وعهد على نفسه عهوداً . . وهو لايكترث بمآليها من الخيانة الفاحشة . ولا يبالي بمايعقبها من الخسارة الفاحشة . . كانه عزم ان يفارق البلاد من يومه الى الأبد

فاذا أرغمه الله غيرة على دينه بيد العلماء العظام والأحبار الفخام . وألبسه لباس الخزي والفضيحة وجعله مثلة في العالم . وأحدوثة بين الامم

فاستكان وكشر عن نابه وهو يتشبث بأسباب تمكنه من افتراسهم واحداً بعد واحد

ثم أنه الآن قد التزم على نفسه غرامة لجنونه وجريمة زندقة وزيره ان يقدم للشركات الفرنجيه (كمپانی) ست كرورات تومان (ثلث ملايين تومان) . . ثلث للشركة الأولى (كمپانی التنباكو) . . وثلث للشركة الثانية التى اشترت منها حقوق بيع التنباكو في البلاد العثمانيه

ما هذا الشنار والعار . ماهذا الذل والصغار

كم هتكت الجبابرة في جمع هذه القناطير المقنطرة اعراض المؤمنين . وكم دمرت الأوباش في جبايتها بيوت المسلمين . وكم خفقت في لسطها قلوب الموحدين

وكم جرت في اتفاقها عبرات الفقراء والمساكين . وكم سالت في اكتنازها دماء المسلمين . وكم حطمت الجباة القساة المعاجر من رؤوس النساء . وكم صعد صراخ العجزة الى عنان السماء . وكم بات الرجال بعد الرفه بالوطاء والغطاء

هذا رهن خوفا من السوط داره . وذاك باع وجلا من الكي عقاره . وذاك لسعداني فزعا من الحبس جاره . والآخر سلم خشية من المغلة دثاره وشعاره
هذه الفظائع قد طمت البلاد وعمت العباد حتى تجمعت هذه القناطير من الدنانير

ثم حكما لجنون وتمت الزندقة على تسليمها مرة واحدة الى أعداء الدين . . . يا علماء . يا حمداه . يا اركان الدين . ويا نافذة المتقين . لا علاج لهذه المصيبة الكبرى والبلية العظمى . ولا دافع لهذه الفضيحة الشنعى والدنية البشعى الا خلع هذا (المتاجر) صيانة لحوزة السلام وحراسة لحقوق الانام . وانقذوا للدين واهله من هذه الورطة المهولة التي يتبعها الزوال . ويتلوها الوبال في هذه الغرامة الباهظة التي التزمها الشاه بجنونه على نفسه تثير احقاد الروسية لتبعتها مضادة للانجليز على استملاك الخراسان . . . وبتنافس الانجليز انها من مبارأتها خوفا من الاستيلاء على الكل . وحذرا من متاخمتها للاراضي الهنديه

فتقسمان البلاد . وتسترقان العباد . وانزت (نفس المسلمين) من ثورات هذا الجنون ونزغات هذه الزندقه الا الحسرة والعبرة

والعذر لنا ونفذ وقد كان التدارك ممكنا من قبل لتدفع هذه الغرامة الا الخلع . اترفع هذه الجريمه الا الخلع

في عقود الدول المستبدة (كدولة ايران وامثالها) شخصية تضل بزوال القائم بها . . . فانا وقع الخلع فلا حق للشركات (كمپاني) انها في تطالب الخلف بغرامة التزمها على نفسه السلف

هذا هو القول الحق . ان الخلع هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ بلاد المسلمين من هذه التهلكه (لو كانت للشاه غيرة وطنيه او نزعة ايمانيه او نهية كامله لتنازل من الملك حفظا لحوزة الاسلام ولكن هيهات هيهات)

فانا صدعت يا حماة الدين بالحق . وعلم الناس ان اطاعة هذا (التافهه) حرام في دين الله . وان بقائه على الملك خطر على الاسلام وحوزته لرموا كافة وقلبوا عرش غيه وخلعوه من كرسي جنونه .

انتم حماة الأمة . وانتم نصراء الملة . فمن يصون الدين غيركم ومن يحرس الحوزة سواكم . . . البدار البدار قبل حلول الذل والصغار .

. . . . انتم المسئولين عن العباد والبلاد أمام الله تعالى . . واللوم على الناس . . . انهم لايزالون يأتمرون ما تأمرون ويقومون حيث تقومون فماذا بعد هذا تنتظرون

الصلح الخلع ولا علاج سواه

. اقول قول خبير بصير . ان صيانة شرف الاسلام وحراسة الممالك وحفظ حقوق المسلمين قد نيطت الآن بكلمة ينطق بها لسان الحق غيرة على الدين واهله . . . الا وهي (الخلع)

فمن فاه بها اولا من الهداة الابرار . والقادة الاخيار فقد حاز الشرف الاتم وفاز بالسعادة العظمى في هذه الدنيا وفي العقبى . هذا هو البلاغ . . . . . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الحسيني

الحجة البالغة *

[قد وردت الينا هذه الرسالة من بغداد وبلغنا بانها قد وُزعت في بلاد فارس خفيةً كما صار توزيع الرسائل السابقة] *

بسم الله الرحمن الرحيم *

حملة الدين . وقادة المؤمنين . حزب الله في العالم . وجنوده الغالبة على الامم *

نصر الله بهم الاسلام . وخذل بعزائمهم اعداؤهُ الطغام آمين .

كلّت البصائر ووقفت المشاعر . وشخصت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ـ ها ان بائقةً شوهاء قد حامت حول الاسلام وأحاطت به من جميع جوانبه . وكادت (لولا عون الله تعالى) ان تطمس شعائره وتمحق معالمه *

الشاه في تقلبات جنونه قد جلب على الديانة المحمدية واهلها انواع المصائب واصناف الرزايا . وفتح عليها هوسا منه وعتها ابواب المهالك والبلايا ـ ومهدّت زندقة وزيره سبلها . وازاحت العوائق التي كانت تدافعها في سيرها (وا محمداه) *

قد غدا الاسلام بين ثورات الجنون ونزغات الزندقة في خطر عظيم *

اين حملة القرآن اين القائمون باعلاء كلمة الله واين الذين لا يخافون في الله لومة لائم و لا يخشون الجبابرة في الحق والسيف قائم *

ان الدول الافرنجية في اغتصابها البلاد يزاحم بعضها بعضا ويدافع كل منها الأخرى . والقوى غالبا متكافئة ـ وليس لدولة ان تهجم على قطعة من قطعات الارض الا بحجة تقيم لها عند سائر الدول حقًا على استملاكها *

ولذا تكدح هذه الدول آناء الليل واطراف النهار في ابداع الوسائل التي تسوّغ لها ان تسبق في مضمار فتوحاتها وتدحض بها حجج اكفائها في مباراتها *

كل منها تعرض نفسها على الحكومات الشرقية كيداً منها ومكرا . هذه تقدم لها دنانيرها ديناً . وهذه تلتزم مكوسها وضرائبها على ذمتها نقدا . وتلك تشتري منها حقوق العباد في متاجرهم سلفا . والاخرى تعهد ان تستخرج لها المعادن وتنشئ الجواد والمسالك و هلم جرّا *

هذه كلها خدعٌ . وانما الغرض منها ان تُثبت لنفسها حق استملاكها . وعلى هذه الوتيرة قد جرت سنة الافرنج في اغتصاب جزائر الغرب وتونس والهند وبلاد ماوراء النهر ومصر وسائر ممالك المسلمين *

وكانت الاقطار الايرانية في أمن من عراقيل هذه الغوائل الى ان بدا سلطان الجنون والزندقة . ففتح عليها ابواب المحن والمصائب وجلب الاخطار على الاسلام وحوزته من كل جانب *

اتّفق جنون الشاه وزندقة وزيره على بيع حقوق المسلمين واملاك المؤمنين مجازفة . فاغتنمت الامم الافرنجية هذه الفرصة لاستحصال الوسائل التي تمكّنها من بثّ سلطانها في ارجاء البلاد . وكانت الامة الانجليزية في مقدمتها *

ولما أرغم العلماء انوف الزنادقة المتجبّرة وكفّوا بقوة الحق يد الجور عن التطاول على اموال المسلمين واغتصابها وزالت غائلة التنباك جاش الشاه واختبط فالتزم للشركة الانجليزية على نفسه (غرامةً لجنونه وجريمةً لزندقة وزيره) . خمسماية الف ليرة قبل ان يطالبها بفسخ العقود التي عقدتها مع الشركة الفرنساوية لبيع التنباك في البلاد العثمانية ـ وفتح بسفهه هذا على البلاد الايرانية ابواب غرامات لا يمكن لا غنى الدول ان يقوم بها (كغرامة القرعة وغرامة البانك وغرامة المعادن وغرامة السكك والجواد وغرامة سائر العقود الباطلة التي عقدها مع الافرنج وهم يطالبونه بها وهو يعجز عن انفاذها فيضطر جرياً على سنّته السيئة التي سنّها بجنونه ان يتقبل غرامتها) *

ثم زاد شراً على شره (نستجير بالله) وترك المكوس (الكمرك) وهو في سكرته للدولة الانجليزيّة الى اربعين سنةً عوضاً عن الغرامة التي التزمها على نفسه *

ها هي الأخطار الهائلة التي كنّا نحذّر منها قبلا . ولقد جلبها على الاسلام ادلاء الكفر سفهاً وعمدا *

ان الدولة الانجليزية قد أنشبت بهذه المعاهدة الجديدة اظفارها في سواحل البحر وأيالة الفارس وبلاد الأهواز ـ وستلزم الشاه بعد

نامهٔ دیگری از سید به علمای بزرگ شیعه، مندرج در «ضیاءالخافقین»

آونةٍ بغرامة بخطة عن عقود باطلة اخرى يتعذر قيام المسلمين بها وتجبره ان يترك لها جباية تلك الاقطار وضرائبها عوضًا عنها فتستملكها بالجدال كما فعلت بالهند من قبل •

وان الروسية قد حنقت من أعطاء المكوس للانجليز مجازفة وزنارت وهى الآن تقيم الحجة على الشاه فى فعاله وتطالبه بحقوق سبقت وعهود تجددت . وتبتغى ببطشها ان تكون حصتها أجزل وأوفى لانها اشد واقوى واملها الخراسان والاذربيجان والمازندران •

هذه هى الاسباب التى قد عجلت بالبلاد الايرانية وأغرت الدول على مقاسمتها •

هذه هى الدواهى التى قد جلبها الجنون والزندقة على الاسلام (وا محمداه) •

كيف بنا (نحن المسلمين) اذا نظرنا بأعيننا انّ اراذل الافرنج تهتك اعراضنا وتنتهب اموالنا و تغتصب حقوقنا تهين ديننا وتزدرى بشريعتنا ـ كل هذا واقع لامحالة ان لم تدفع حماةُ الدين سريعاً هذه الداهية التى قد أحدقت بحوزة الاسلام . ولم تنزع البلاد بقوّة الشرع من براثن الجنون ومخاليب الزندقه •

ماذا تجيب قادة الامّة امامَ الله تعالى عن العباد والبلاد اذا وقع الشر المرّ (استجير بالله) وقد كان التدارك ممكناً من قبل ـ

واىّ عذر لعلماء الملّة اذا تقاعسوا عن صيانة الدين عن هذه الاخطار الهائلة وحاجّهم العامة يوم القيمة وقدّمت حسنَ امتثالها ودوامَ طاعتها حجّةً عليهم •

هل لنا فى الشريعة فريضة اعظم من حفظ حوزة الاسلام ـ اليس العلماء احقّ بهذه الفريضة من عامّة الناس •

هذا هو الوقت ـ وليس بعده الاّ اللوم فى الدنيا والسخط فى العقبى ـ هذه المقاولات التى ألقت البلاد فى المهالك عقود شخصية تنحلّ بزوال القائم بها ـ فاذا زال الشاه عن كرسىّ الملك سقطت هذه الحقوق الباطلة كلها ـ واذا كل دولة من الدول الافرنجية التى لاحظّ لها فى هذه الغنيمة او ترى فى اقتسامها حيفاً فى سهمها تحاجّ الاُخر بهذه الحجّة ـ وتكفّها عن اعتدائها حرصًا على منافعها الخاصّة وحفظاً لموازنة العامّه ـ فتبقى البلاد الايرانيه سالمةً من شرّها بلا قتال ولا جدال •

فعلى العلماء العظام ان يجمعوا امرهم على خلع هذا (العاريه) صيانةً لحوزة الاسلام وحفظاً لحقوق الأنام (ولا علاج سوى الخلع) •

ولو لاحظ الانسان الفظائع التى تكبّدتها طبقاتُ الامة الايرانية من هذه الحكومة القاسية الحزقى وما جلبتْ عليها من الهلاك والدمار ـ وأمعن النظر فى العساكر وسوء احوالها وان كلاًّ منها يجهد نفسه فى الاعمال الشاقّة طولَ يومه لكى ينال كِسرةً لسدّ رمقه ـ وتأمّل اضطراب احوال الأمراء وشدّةَ قلقهم فى حيوتهم خوفاً من استلاب اموالهم وخشيةً من أراقة دمائهم ـ ثم نظر الى نفوذ كلمة العلماء فى النفوس كافة و انقياد العامّة لهم جميعا لحكم بان خلع الشاه عن كرسىّ جنونه أسهل من خلع النعال •

ان البواعث الدينيّةَ قد قضتْ ـ وان الدواعى الدنيوية قد حتمتْ ـ وان النفوس قد هاجتْ من مضض الجور ومرارة الضنك واستعدتْ ـ فاذا صدع أحبار الامّة بالحقّ لخلعه الناس ولايناطح فيه عنزان ولاتراق فى نزعه عن الملك محجمةُ دم •

و لربما يحسب الجاهل ان الخلع وان كان سهلاً لكنه يوجب الفوضى ويقضى بالهرج والمرج (لا ولا) ان الايرانيين لا يعصون للعلماء امرا خصوصاً لو علموا ان الغرض حفظ حوزة الاسلام وصيانة بلاد المسلمين عن اطماع الأجانب •

و فى كل بلد طائفة من العلماء قد اتّخذهم الناس ملاذاً فى الدين والدنيا ـ فاذا عزم أحبار العتبات المقدسة (سيّد الطائفه وشيخ العصابه و فقيه القوم) على أنقاذ الاسلام من شرّ جنون الشاه وزندقة وزيره فليعلموا علماء الاقطار والمتديّنين من أمراء البلاد حتى يبلّغوا العامّةَ أوامرهم الساميه وأحكامهم الآلهيّه ـ ويعلم كل ان الاسلام وحوزتَه فى خطر عظيم ولا يمكن رفع الخطر الاّ بخلع الشاه وتبديل هذه الحكومة القاسية المارقة بدولةٍ عادلةٍ شرعيه ـ وبعد هذا فليأمروا قوّادَ الجيوش وامراء العساكر ان يختاروا للمُلك من أبناء الشاه واخوته عفيفاً ديّناً مِقداماً يرضى به روساء الدين ولا تنفر منه قلوب المؤمنين ـ ويحلف فى محضر علماء طهران على مشهدٍ من الناس ان لا يميل اذا تولّى المُلك عن صراط الحق فى أحكامه ـ ولا يحيد عن سبيل الشرع فى الحدود والجنايات وما يتعلق باحوال الرعية و معاملاتها ـ وان لا يتصرّف فى بيت المال (اعنى الخزانةَ) الا بما حكم

الله به فى كتابه وبينه ألمة الدين ومضى عليه أحبار الأمة ـ وان لا يعقد امراً ولا يحلّ عقدةً الا برأى العلماء العاملين ومشورة العارفين بالسياسة الالهية من أفاضل الأمة وأبرارها ـ حتى يكون (وهو على كرسى الملك) خادماً للشريعة المحمدية ومنفذاً لأحكامها ـ فلو صدر الحكم من الأحبار العظام بخلع الشاه على هذا النمط المحكم وبهذه الطريقة السديده لوقع الخلع لامحالة بلا قلق ولا اختلال ـ وامنت البلاد من شرّ الأجانب وصارت حوزة الدين حريزة وكلمة الاسلام عزيزة ـ وخلص الناس من أجحاف المارقين واعتساف الظالمين ـ وبدت طليعة دولة محمد وآله (عليهم الصلوة والسلام) على دعامة القسط والعدل ـ

وان فرطوا فى هذه الفريضة وتراخوا عن خلعه وفاتتهم هذه الفرصة لوقع الامر وحلّت الداهيه وتبددت حوزة الاسلام شذر مذر وليس يومئذ المفرّ (هذا هو الحق اليقين) لقد أثار الكفر والغوايه على معتقد الرشد والهدايه ـ اما الحميه واما الدنيه ـ وانما الفوز بقوة الايمان والخيبة فى ضعف الجنان ـ والفوز من عون الملك الديان ـ ونحن نجلّ العلماء الربانيين عن هذه الوصمه ـ

هذه حجتنا عند الله على الناس اذا حلّت القارعه وانقضّت الداهيه وظهر الكفر على الاسلام وزاغت عن الحق قلوب الانام ـ

هذه حجةٌ للذين لا يخشون فى الحق لومة اللائمين وفرية المارقين على الذين يتعدون عن امر الله ولا يذبّون عن دينه القيّم وهم قادرون ـ

حجةٌ قائمةٌ لايأتى عليها مرّ الدهور ـ وبيّنة ثابتة لا يطمسها كرّ العصور ـ

(ولقد أنذرنا فهل من مدّكر) هذا هو البلاغ المبين ـ والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ

• ك هـ ف • ى س ط •

لغة الجنة

ما من امة نُسبت اليها لغة الاّ تباهت بان تلك اللغة انما هي اللغة التوقيفية التي جرى التحديث بها منذ عهد خلق العالم وكلهم موقنٌ بصدق دعواه يسندها الى حجج يعدها راهنة وهي اضعف من خيط العنكبوت ولما كان في زعمهم هذا جواز استخراج النهاية من البداية حَسبَ كلّ منهم ان لغتهُ انما هي اللغة التي يعوّل عليها في الجنة وكلّ يضطرُّ الى النطق بها وما سواها من اللغات يكون فضلة لاينُظَر اليها ولايعبأ بها وكل فتاة بابيها مُعْجبة •

ذكر كَتْرمِر يزعم اليهود ان اللغات كلها مشتقة من العبرانية بدعوى ما جاء في سفر التكوين من ان لغة سكان الارض كان لغة واحدة وهاته اللغة الواحدة هي العبرانية مؤيدين قولهم هذا بطريقة غايتها ردّ حروف الهجاء الى قيمتها اعداداً وابدال كلمة من كلمة حتى يتمّ لهم غرضهم وهذا كما يرى تطاول غير مقبول وقد جاراهم كثيرون في هذا الرأي فمنهم من قال ان اليونانية مبدأُها العبرانية بل هي نفس العبرانية بدعوى انهُ لما كانت العبرانية تكتب من اليمين الى اليسار واليونانية عكس ذلك فاذا قُرئتِ اليونانية مقلوبة عكسًا لطرد جاءت بنفس الالفاظ العبرانية •

وقد نهج الاسوجيون هذا النهج في اصل اللغة اذ قال احد كتبتهم في كلامه عن لغة الجنة ان الله خاطب آدم باللغة الاسوجية فاجابه آدم بالدنمركية اما الحية لما طغت حوآء فكان خطابها لها بالفرنسية وقس على ذلك مظنة الفرس ان لغات الجنة كانت ثلاثاً عند سقوط آدم فالحيّة خاطبت حوآء بالعربيّة وكانت الفارسية المتداولة بين آدم وحوآء اما الملَك جبريل فكانت لغته التركيّة وقال صاحب كتاب العالم الاولي ان اللغة البسكيّة كانت لغة آدم •

اما اللغة العربية فقد كثرت الشحناء بين علمائها واختلفت آراؤهم في تحديد اللغة عموماً هل توقيفية هي ام اصطلاحية ولكلٍ من هذين المبدأين انصار يعززون آراءهم بادعاءات كثيرة غير ان بعض القائلين بالتوقيف وهم النفر القليل يدعون باسبقية العربيّة ولا يسعنا الآن ذكر قول كل فريق انما نورد رأي القائلين بالسبقة والافضلية اذهو مدار البحث الآن فقد رُوي عن ابن عبّاس ان آدم كانت لغته في الجنّة العربيّة وقال عبد الملك بن حبيب كان اللسان الاول الذي نزل به آدم من الجنّة عربياً الى ان بعد

فهرست اعلام

ب

پ، ت

ج، چ، ح

خ

د

ل، م

ن، و

ه، ی

الآثار الكاملة

للسيد جمال‌الدين الحسيني ـ الأفغاني ـ
دراسة و تحقيق، إعداد و تقديم:
سيدهادي خسروشاهي

١ ـ العروة الوثقى ـ بالإشتراک مع الشيخ محمد عبده. (منتشر گرديد)
٢ ـ رسائل في الفلسفة و العرفان ـ " " " (منتشر گرديد)
٣ ـ التعليقات على شرح العقائد العضدية ـ " " "
٤ ـ ضياءالخافقين ـ بالإشتراک مع الآخرين ـ " " " (منتشر گرديد)
٥ ـ تاريخ مختصر ايران و تتمة البيان في تاريخ الافغان.
۶ ـ رسائل و مقالات ـ باللغة العربية ـ
٧ ـ مجموعة مقالات ـ بزبان فارسی ـ " " " (منتشر گرديد)
٨ ـ نامه‌ها و اسناد سياسی سيد. " " " (منتشر گرديد)
٩ ـ اسلام و علم ـ به ضميمهٔ رسالة قضا و قدر، و چند بحث ديگر.
١٠ ـ مقالات و مکتوبات لم تنشر حتى اليوم.

آثاری درباره سيد

١ ـ زندگی و آثار سيدجمال‌الدين اسدآبادی. (منتشر گرديد)
بقلم: لطف الله جمالی، صفات الله جمالی، سيد حسن تقی‌زاده.
٢ ـ ترجمهٔ گزيده اسناد وزارتخارجه انگليس درباره سيد ـ بضميمهٔ متن کامل اسناد ـ (منتشر گرديد)
٣ ـ کتابشناسی توصيفی سيد ـ معرفی يک هزار کتاب و مقاله درباره سيد ـ
٤ ـ ٥ ـ يادواره سيد، مجموعه ٢٥ مقاله درباره سيد (منتشر گرديد).
۶ ـ ٧ ـ مجموعهٔ ٥٠ مقاله تاريخی ـ تحقيقی درباره سيد.
٨ ـ اسناد وزارتخارجه ايران درباره سيد.
٩ ـ اسناد و مقالاتی از ترکيه
١٠ ـ يقظة الشرق، مجموعهٔ ٣٠ مقاله بعربی درباره سيد.

* * *

تمامی کتابهای فوق بکوشش و مقدمه استاد سيدهادی خسروشاهی آماده چاپ و نشر شده است.

سید، یک «انسان» مبارز

«... حوزه‌ها خودشان را مهیا کنند برای مقاومت... «آنها» از «انسان» می‌ترسند. «آنها» که می‌خواهند همه چیز ما را به یغما ببرند، نمی‌خواهند در دانشگاههای ما یک نفر «آدم» تربیت بشود... از آن می‌ترسند. وقتی که یک آدم دَر حوزه، در مملکتی پیدا شد، مزاحمشان می‌شود. یک «سیدجمال» پیدا شد که «مصر» را می‌خواست منقلب کند، از بینش بردند...»

امام خمینی ـ نجف اشرف، آذرماه ۱۳۴۷

* * *

«جمال‌الدین مرد لایقی بود... شاه وقت او را گرفت و با وضع فجیعی تبعید کرد و... زحمات او به نتیجه نرسید.»

امام خمینی ـ پس از انقلاب

«.. سید جمال‌الدین یک انسان تعیین کننده و گشایندهٔ یک راه نو در تاریخ ملت‌های مسلمان است... بیداری ملت‌های مسلمان جزو برکات وجود سید جمال‌الدین است. این عالم بزرگ و مبارز، اولین کسی است که هیمنهٔ قدرتهای مسلط اروپایی را در میان ملتهای اسلامی، شکست و اُبهّت آنها را از بین برد...»

آیةالله سید علی خامنه‌ای



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.



از: سید جمال الدین الحسینی

-اسدآبادی-

مجموعهٔ رسائل و مقالات

بکوشش وتحقیق:

سیدهادی خسروشاهی

مجموعهٔ آثار
۵

سیدجمال‌الدین حسینی (اسدآبادی)

مجموعه رسائل و مقالات

به کوشش:

سیدهادی خسروشاهی



مجموعه آثار ـ ۵

جمال‌الدین اسدآبادی، ۱۲۵۴؟ ـ ۱۳۱۴ ق.
مجموعه رسائل و مقالات / جمال‌الدین (اسدآبادی)؛ بـه کـوشش هادی خسروشاهی .ـ تهران: کلبه شروق؛ قم: مرکز بررسیهای اسلامی، ۱۳۷۹.
۲۵۴ ص.؛ ۱۱/۵ × ۱۸/۵ س‌م: نمونه.ـ (مجموعه آثار؛ ۵)
ISBN 964-92729-4-1: ۲۲۰۰۰ ریال
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
۱. اسلام -- مقاله‌ها و خطابه‌ها. ۲. اصلاح‌طلبان. ۳. اسـلام -- تجدید حیات فکری. الف. خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷ ـ . ب. عنوان.
۳ م ۸ ج / ۷ / BP ۲۳۳ ۲۹۷ / ۴۸۲
کتابخانه ملی ایران ۷۹ـ ۹۷۳۲ م





مجموعهٔ رسائل و مقالات

تألیف: سیدجمال‌الدین حسینی
به‌کوشش: سیدهادی خسروشاهی
چاپ اول: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ هـ.
حروفچینی و صفحه‌آرایی: دفتر ویرایش
چاپ قم: چاپخانه الهادی
تعداد: ۵۰۰۰ نسخه
قیمت: ۲۲۰۰ تومان

شابک: ۱ - ۴ - ۹۲۷۲۹ - ۹۶۴

نشانی دفتر مرکزی، تهران: مقابل دانشگاه، شمارهٔ ۱۳۷۸ (صندوق پستی ۱۹۶۱۵/۴۹۳)
دفتر قم: خیابان صفائیه ـ ساختمان مرکز بررسیهای اسلامی (صندوق پستی ۳۷۱۸۵/۴۴۳۳)

فهرست

بسم الله الرحمن الرحیم

رسائل و مقالات

مقدمه

«مجموعه رسائل و مقالات» کاملترین متن از مقالات و رساله‌های سیدجمال‌الدین حسینی (اسدآبادی) به زبان فارسی است که به تناسب اوضاع و نیاز خاص جوامع اسلامی، در زمانها و مکانهای مختلف ـ از جمله: هند، افغانستان، ایران، ترکیه و فرانسه ـ آنها را به رشته تحریر درآورده است. بخشی از این مقالات برای نخستین بار و در سال ۱۸۸۲ میلادی ـ تقریباً ۱۲۰ سال پیش ـ در «کلکته» و در مجموعه‌ای در ۵۸ صفحه به قطع وزیری ـ به‌طریق طبع سنگی ـ چاپ شده است.

ناشر آن در مقدمه کتاب می‌نویسد:

«الحمدلله الجمیل، محبّ الجمال و الصلوة علی رسوله المستوی علی عرش الفضیلة و الکمال، والسلام علی آله و اصحابه اطوار مکارم الخصال. اما بعد:

این مجموعه‌ایست مسمی به «مقالات جمالیه» حاوی بر مقالات فارسیّه‌ئیکه حِبر فهامّه، فیلسوف علاّمه، استاذنا و مولانا جمال‌الدین الحسینی الافغانی المصری که یکی از أجلّ علمای مصر و أعزّ فلاسفه عصر و ماهرالسنهٔ مختلفه، مثل عربی و فارسی و ترکی و فرنساوی و هندی می‌باشد و فی‌الحال در شهر پاریس دارالسلطنه فرانس قیام دارند در حین قیام خود به هند القافرموده بودند.

چون این مقالات در بعضی جرائد هندیه طبع شده بود، لهذا نخواستیم بغیر اذن از صاحب مقالات، در طبع آن بشکل کتاب سعی نمائیم. چنانچه نامهٔ بطلب اذن پیش مولانای مشارالیه فرستادیم، در جواب تحریر فرمودند که «اگر سعی شود که مقالاتِ من بمثل کتاب طبع شود خوب است و شما از طرف من مأذونید. حاجت باذن جدید نیست».

و اراده داریم که فیمابعد، مقالات عربیّه ایشان را هم با ترجمه اردوی آن در محاذات، به پیرایه حصهٔ ثانیه طبع نمائیم. والله ولی التوفیق.

کلکته تالتا بازار استریت مورخه ۱۵ اگست سنه ۱۸۸۲ عیسوّیه.

العبد: محمدعبدالغفور شهباز البهاری». (به ص ۳۲۰ مراجعه شود). چاپ دوم این بخش از مقالات در سال ۱۳۱۲ شمسی در تهران، توسط «موسسه خاور» به مدیریت مرحوم محمدرمضانی، و با مقدمه و موخره‌ای از مرحوم صفات‌الله جمالی، تحت عنوان «مقالات جمالیه» چاپ گردید که شامل فقط ۱۸ مقاله از سید است.

یک نسخه از چاپ کلکته در کتابخانه مجلس شورای اسلامی، نگهداری می‌شود (صفحه اول و چند صفحه دیگر از آن را برای نمونه، در آخر کتاب نقل کرده‌ایم). و نسخه چاپ «خاور» که اینجانب آن را در سال ۱۳۳۲ هـ. ش به قیمت ده ریال! در تبریز خریده‌ام، هم‌اکنون در کتابخانه شخصی‌ام موجود است (به ص ۳۲۴ رجوع شود).

اما نسخه خطی و اصیل مربوط به این بخش از مقالات، که در سال ۱۳۱۱ ش توسط مرحوم صفات‌الله جمالی، از روی نسخه والد خود ـ میرزا لطف‌الله خواهرزاده سید ـ استنساخ شده است، و در مجموعه‌ای با جلد چرمی تجلید شده است، در سال ۱۳۳۸، در سفر اینجانب به اسدآباد همدان، و پس از دیدار با خانواده سید و بازدید از آثار و قبور منسوبین سید در مجله سیدان، از سوی مرحوم صفات‌الله جمالی، به‌اینجانب اهداء شد که تاکنون در کتابخانه اینجانب محفوظ مانده است. (در ص ۳۲۵ دو صفحه از آن نقل شده است).

در چاپ جدید مجموعه رسائل و مقالات سید، علاوه بر مراجعه به نسخه خطی فوق، از نسخه‌های چاپی و خطی دیگر رسائل و مقالات سید نیز استفاده شده است. و بنظر ما، این مجموعه، کاملترین مجموعه مقالات سید است، چون علاوه بر مقالات چاپ شده، اضافاتی نیز دارد که چاپهای قبلی فاقد آنها است. از جمله: رساله «نیچریه» یا ناتورالیسم که در سال ۱۲۹۸ هـ توسط حاج محمدحسن تاجر کازرونی در بمبئی چاپ شده و سپس در تهران به سال ۱۳۰۳ توسط «کتابخانه شرق» و در تبریز و به سال

۱۳۲۸ از سوی «بنگاه دین و دانش» منتشر شده است (به ص ۳۲۶ و ۳۲۷ مراجعه شود). و همچنین «قصه‌های استاد» که شامل چهار قصه است و نسخهٔ خطی آن در بین اوراق و اسناد سید در مجلس شورای اسلامی نگهداری می‌شود و به لطف استاد عبدالحسین حائری، کپی نسخهٔ آن در اختیار اینجانب قرار دارد (نمونه در ص ۳۲۸) باضافه رسالهٔ «انشاءالله و ماشاءالله» که بخشی از آن، شامل بیانات سید است و همچنین مقاله‌ای ترجمه شده تحت عنوان: فلسفهٔ تربیت (ص ۱۳۵ همین کتاب) نقل شده است.[1]

اما مقاله «چرا اسلام ضعیف شد؟» ــ که در چاپهای قبلی مقالات جمالیه نقل شده بود ــ درواقع ترجمه ناقصی از یک مقاله سید در «العروةالوثقی» است، و نخست در شماره ۳ مجله «تذکر» منتشره به سال ۱۳۰۱ شمسی، چاپ شده است، در این مجموعه نقل نشد و انشاءالله ترجمه کامل آن، به اضافه چند رساله و مقاله ترجمه شده دیگر از سید، از جمله رساله قضا و قدر، اسلام و علم (پاسخ به رنان) و مصاحبه سید با روزنامه پالمال گاز ته، و مقاله: روش ضدانسانی انگلیسی در هند و افغان، و چندین مقاله دیگر ــ نقل خواهد شد.

به هرحال: کتاب حاضر: «مجموعه رسائل و مقالات» سید که درواقع کاملترین مجموعه از آثار سید به زبان فارسی است، با شرح معانی کلمات و جملات بغرنج و مصطلح یک صدو بیست سال پیش، در پاورقی‌ها، و همچنین توضیحات لازم دربارهٔ بعضی از مقالات و یا افزودن علائم: تعجب، ویرگول، تیره، پرانتز و غیره برای تسهیل در مطالعه، در اختیار علاقمندان قرار می‌گیرد. البته امیدواریم که پیشنهادهای اصلاحی و تذکارهای تکمیلی عالمان و محققان، ما را در این کار فرهنگی، یاری نماید.

***

در پایان این مقدمه کوتاه اشاره به دو نکته بی‌مناسبت نیست:

---

۱. البته مناسب آن بود که این مقاله هم که ترجمه‌ای از یک مقاله سید است، در جلد دوم مقالات فارسی سید که همهٔ آنها ترجمه از منابع و مآخذ دیگر است، نقل می‌شد...

۱. خانم «نکی کدی» محقق و استاد معروف تاریخ معاصر در دانشگاههای امریکا، که زندگی‌نامه مفصلی از سید را منتشر ساخته است، نام خاصی بر ترجمه مقالات فارسی سید ـ «مقالات جمالیه» ـ انتخاب کرده و آنها را تحت عنوان: «پاسخ اسلامی بر امپریالیسم»: An Islamic Response To Imperialism در انگلیس منتشر ساخته است.

ظاهراً دلیل انتخاب این نام برای این مجموعه، از سوی خانم کدی (مترجم) با توجه به درک خاص ساکنان اردوگاه سرمایه‌داری و امپریالیسم غرب، از محتوای مقالات و برداشتهای اسلامی سیدجمال‌الدین، در قبال مسائل فرهنگی، اجتماعی و سیاسی روز است که درواقع، و از دیدگاه غربی‌ها، نوعی پاسخ اسلامی بر امپریالیسم تلقی می‌شود!..

اما ما، به پیشنهاد بعضی از صاحبنظران ترجیح دادیم که نام این مجموعه کاملتر را «مجموعه رسائل و مقالات» بگذاریم زیرا که اولاً شامل تقریباً همه مقالات و رساله‌های سید به زبان فارسی است و ثانیاً با توجه به اینکه بخشی از این مقالات سید، در دوران حیات خود وی هم تحت عنوان «مقالات جمالیه» چاپ شده است، مناسب‌تر خواهد بود که همان نام اصلی را حفظ کنیم!

۲. در روی جلد مقالات چاپ شده سید در کلکته (به ص ۳۲۰ و ۳۲۱ رجوع شود) ناشر محترم سید را «جمال‌الدین الحسینی الافغانی المصری» معرفی نموده است و این نشان می‌دهد که سید هرگز علاقه نداشته که خود را به «وطن خاصی» منسوب بنماید و از همینجا است که او را، مصری، افغانی، ایرانی و... می‌نامند و بهمین دلیل هم باید گفت سیدجمال‌الدین، هم ایرانی است و هم افغانی، هم مصری است و هم استنبولی و هم... و از همه مهمتر و بالاتر، اینکه، او «جمال‌الدین الحسینی» است، همانطور که خود در امضای اغلب نامه‌ها و یا مقالات «العروةالوثقی» و «ضیاءالخافقین» و... خود را با آن لقب ـ «الحسینی» ـ مفتخر ساخته است...

... ولینصرن الله من نصره...

تهران ـ تیرماه ۱۳۷۹

سیدهادی خسروشاهی

۱

رسالهٔ

نیچریه

در

حقیقت مذهب نیچری
و بیان حال نیچریان



سؤال از سید

درین روزها از تمامی هندوستان، چه ممالک مغربیه و شمالیه و چه اوده و چه پنجاب و چه بنگاله و چه سند و چه حیدرآباد دکن صدای نیچر نیچر[1] بگوش می‌رسد و در هر بلده و قصبه، معدودی چند ملقب به نیچری یافت می‌شوند و چنان ظاهر می‌شود که این فرقه همیشه در ازدیاد و افزونی است خصوصاً در مسلمانان و از اکثری[2] از این گروه پرسیدم که حقیقت نیچر چیست؟ و این طریقه از چه وقت ظاهر شده است؟ و آیا این جمعیت نیچریه[3] بدین مسلک جدید در اصلاح مدنیت می‌کوشند، و یا آنکه ایشانرا مقصد دیگریست، و آیا این طریقه منافی دین است، و یا آنکه بهیچوجه مخالفتی با دین ندارد، و چه نسبت است درمیان آثار این طریقه و آثار مطلق دین در مدنیت و هیأت اجتماعیه[4]، و این طایفه اگر قدیم بوده است پس چرا تاکنون در عالم منتشر نگردیده است، و اگر جدید است چه اثری بر وجود ایشان مترتب خواهد شد؟ و [اگرچه این سؤال از بسیاری پرسیده آمد] لکن هیچ‌یک از ایشان جواب شافی و کافی از این سؤالات من ندادند و لهذا ملتمسم[5] که آن جناب حقیقت نیچر و نیچری را مفصلاً از برای بنده بیان فرمایند.

محمد واصل
مدرس ریاضی مدرسه اعزه
حیدرآباد دکن
(۱۹ محرم ۱۲۹۸ هجری نبوی)

---

1. Nature, Nature = طبیعت

۲. اکثری: بسیاری؛ بیشتر.

۳. جمعیت نیچری و نیچریه را دربرابر Naturalists یا طبیعت‌پرستان و طبیعت‌گرایان بکار برده است.

۴. هیأت اجتماعیه = Society = جامعه.

۵. ملتمسم: خواستارم؛ التماس دارم.

حقیقت مذهب نیچری و بیان حال نیچریان

رسالهٔ مولانا جمال‌الدین الحسینی

ای دوست عزیز،

نیچر عبارت است از طبیعت، و طریقهٔ نیچریه همان طریقهٔ دهریه است که در قرن رابع و ثالث قبل از میلاد مسیح در یونانستان ظهور نموده بودند. و مقصود اصلی این طایفهٔ نیچریه، رفع ادیان[1] و تأسیس اباحت و اشتراک[2] است درمیانهٔ همه مردم. و از برای اجرای این مقصد سعی‌های بلیغ بکار برده‌اند. و به لباسهای مختلف خود را ظاهر ساخته‌اند. و در هر امتی که این جماعت پیدا شدند، اخلاق آن امت را فاسد کرده سبب زوال آن گردیدند. و اگر کسی در مبادی و مقاصد این گروه غور کند، بخوبی بر او هویدا خواهد شد که بغیر از فساد مدنیت و تباهی هیأت اجتماعیه نتیجهٔ دیگری بر آراء اینها مترتب نخواهد گردید و بلاریب[3] **که دین مطلقاً سلسلهٔ انتظام هیأت اجتماعیه است و بدون دین هرگز اساس مدنیت محکم نخواهد شد و اول تعلیم این طایفه برانداختن ادیان است.**

---

۱. رفع ادیان: برانداختن دین‌ها و آیین‌ها.

۲. اباحت و اشتراک: اباحت، مباح و حلال‌شمردن. و در اصطلاح شرعی و کلامی: اعتقادنداشتن به‌حرام و روادانستن انجام محرمات. و اباحتی و اباحی: کسی که این اعتقاد را داشته باشد. سنائی (حدیقه، ص ۶۲۱، چاپ مدرس رضوی) گوید:

نیم‌شب هر شبی بخانهٔ خویش — آمد و صد اباحتی در پیش...

و مقصود از اشتراک اینست که همه چیز مال همهٔ مردم است و چیزی ویژه کسی نیست. و این همان است که امروز به قاعدهٔ علمی و فلسفی بیان شده، و سوسیالیسم و کمونیسم نام گرفته است. اینجا نیز سید مسائل و اصطلاحات فقهی را با مباحث سیاسی و اصطلاحات اقتصادی درهم آمیخته است!

۳. بلاریب: بی‌شک، بدون تردید.

و اما سبب عدم شیوع این طریقه با آنکه از دیرزمان ظهور نموده است، اینست که انتظام عالم انسانی که اثر حکمت بالغهٔ الهیه است همیشه نفوس بشریه را برین داشته است که در ازالهٔ این طریقه سعی نمایند، و بدین‌جهت هیچوقت او را ثبات و پایداری حاصل نشده است و از برای شرح و بیان آنچه ذکر شد، رسالهٔ صغیره‌یی انشاء نمودم انشاءالله مقبول خرد غریزی آن صدیق فاضل خواهدگردید و البته ارباب عقول صافیه بنظر اعتبار بدین رساله خواهند نگریست.

و آن رساله اینست:

الدین قوام الامم و به فلاحها و فیه سعادتها و علیه ندارتها، و النیشریة جرثومةالفساد وارومةالاداد و منها خراب‌البلاد و بها هلاک‌العباد.[1]

* * *

لفظ نیچر در جمیع اقطار هندوستان درین روزها شایع و ذایع[2] گردیده است و در هر مجمع و محفلی ذکری از این لفظ می‌رود و خاص و عام هریکی برحسب دانش خود توجیهی و تفسیری از برای این کلمه می‌کند ولکن غالب آنها از حقیقت و اصل و وضع آن غافلند. لهذا[3] بر خود واجب دانستم که معنی حقیقی این کلمه و مراد اصلی او را بیان کنم و حال نیچریان را از ابتداء توضیح نمایم، و مضار و مفاسدی که ازین گروه در عالم مدنیت و هیأت اجتماعیه سرزده مفصلاً شرح و بسط دهم و به برهان عقلی وانمایم[4] که این طایفه در هر ملتی که یافت شود لامحاله[5] موجب زوال و اضمحلال آن ملت خواهدگردید.

پس می‌گویم آنچه از تواریخ صحیحه ظاهر می‌شود اینست که در قرن رابع و ثالث قبل از میلاد مسیح علیه‌السلام حکمای یونان بر دوگروه منقسم گردیدند: گروهی برین

---

۱. این جملهٔ عربی، خطبهٔ افتتاحیه است و جان این رساله نیز همین است. می‌گوید: دین، (مایهٔ) پایداری امت‌هاست، و به اوست رستگاری آنان، و بر اوست بزرگی و بی‌همتایی آنان؛ و طبیعت‌گرایی ریشهٔ فساد و بن اختلاف‌هاست. و خرابی شهرها بدوست، و مرگ بندگان.

۲. ذایع: پراکنده؛ منتشر ۳. لهذا: از برای این؛ از این رو.

۴. وانمودن: نشان‌دادن؛ بازنمودن. ۵. لامحاله: بناچار؛ ناچار.

ذاهب شدند[۱] که ورای این موجودات حسیه و سوای این مکوّنات مادیه[۲] موجوداتیست مجرد از ماده، و آن موجودات منزهند از لوازم و عوارض اجسام و مقدس و مطهرند از نقایص جسمانیات، و گفتند که سلسلهٔ این موجودات مادیه و مجرده، همه منتهی شود به موجود مجردی که از جمیع‌الوجوه[۳] بسیط است و بهیچوجه در او تألف و ترکبی متصور نمی‌گردد و وجود او عین ماهیت و حقیقت او می‌باشد و ماهیت و حقیقت او عین وجود اوست[ج] و اوست علت اولی و باعث حقیقی و موجب اصلی و خالق جمیع موجودات چه مادیات بوده باشد و چه مجردات. و این جماعت مشهور گردیدند به: **متألهین** یعنی **خداپرستان**، چون **فیثاغورس** و **سقراط** و **افلاطون** و **ارسطو** و أضراب[۴] ایشان.

و گروهی بدین اعتقاد کردند که بغیر از ماتیر[۵] یعنی ماده و مادیات، که به‌یکی از حواس خمسه مدرک می‌شود، چیز دیگری موجود نیست و این طایفه نامیده شدند به: **مادیین**. و چون سبب تأثیرات مختلفه و خواص متنوعهٔ مواد از آنها سؤال شد اقدمین[۶] این جماعت جواب دادند که جمیع تأثیرات لازمه ناشی از طبع مواد است، و طبع را در زبان فرانسوی **ناتور** و به لسان انگلیزی **نیچر** می‌نامند. و از این جهت این جماعت به **طبیعیین** نیز مشهور گشتند و طبیعی را به‌زبان فرانسوی **ناتورالیسم** می‌گویند [و] مادی را **ماتریالیسم**[۷] گویند و سپس این در کیفیت تکوّن کواکب[۸] و

---

۱. ذاهب شدند: رفتند؛ معتقد شدند.

۲. مکونات مادیه: موجودات ساخته شده از ماده؛ کائنات مادی.

۳. از جمیع‌الوجوه: از همه روی؛ از همه جهت.

ج بنظر فیلسوفان اسلامی، بویژه مشائیان، وجود خدا عین ماهیت اوست، زیرا ماهیت مایهٔ تعین وجود است و چیزی نیست که او را محدود و متعین سازد از این رو گویند: وجود خدا عین ماهیت اوست. و سبزواری (منظومهٔ حکمت ص ۱۶، چاپ ناصری) گوید:

والحق ماهیته انیته　　اذمقتضی العروض معلولیته

۴. أضراب: همانندان؛ همفکران. جمع ضرب و ضریب: أمثال.

۵. این کلمه را به انگلیسی Matter، و به فرانسه Matiere ماتیر خوانند. یعنی: ماده. ریشهٔ این کلمه از Materia لاتین است.

۶. أقدمین: پیشینیان

۷. در این دو تعبیر نیز اندکی مسامحه و بی‌دقتی بکار رفته، چه طبیعی و مادی را بترتیب Naturalist و Materialist گویند. ولی البته مقصود سید طبیعت‌گرایی و ماده‌انگاری است.

پیدایش نباتات و حیوانات، پیشینیان این گروه یعنی مادیین اختلاف کردند. برخی بر این ذاهب شدند که پیدایش هیآت[1] علوّیه و سفلیه و تکوّن این موالید محکمهٔ متقنه برحسب اتفاق بوده است و گویا اینها بسبب سخافت عقل [کم‌خردی] خود قائل به جواز ترجیح بلامرجح[2] شده‌اند و ابتداء این قول از ذیمقراطیس بظهور پیوست و او گفت جمیع عالم از ارضیات و سماویات مؤلف است از اجزاء صغار صلبه‌یی[3] که متحرک بالطبع است و از روی اتفاق بدین هیآت و اشکال[4] جلوه‌گر شده است.

و بعضی دیگر بر آن قائل شدند که سماویات و کرهٔ زمین برین هیأت خود از ازل‌الازال بوده و خواهد بود و انواع نباتات و حیوانات را ابتدایی نیست و در هر بذره‌یی[5] نباتیست مدمج[6]، و در هریکی از آن نباتات مدمجه، بذوریست پنهان و هلّم جرا[7]. و همچنین در هر یکی از آن حیوانات حیوانیست پوشیده در حالت کمال خلقت، و در هر یکی از آن حیوانات پنهانی جراثیمی است مخفی[8] و هکذا الی غیرالنهایه و از این غافل شدند که لازم می‌آید بر این قول وجود مقادیر غیرمتناهیه در مقدار متناهی.

و جماعتی اعتقاد کردند که سلسلهٔ انواع نباتات و حیوانات قدیم است چنان که نظامات و هیآت علویات و سفلیات قدیم می‌باشد،[9] ولکن جراثیم نباتات و حیوانات ازلی نیست، بلکه هر فردی از افراد آنها به منزلهٔ قالب است از برای تکوین جراثیمی که

---

۸. تکون کواکب: پیداشدن اختران.

۱. هیآت، بر وزن جلسات، جمع هیأت: شکل‌ها. و هیآت علویه و سفلیه: موجودات جهان بالا و زمین.

۲. ترجیح بلامرجح: برتری‌دادن نه در جای برتری؛ از اصطلاحات فلسفه است.

۳. اجزاء صغار صلبه: جزءهای کوچک سخت، که مقصود آتم‌ها Atoms است. در اصطلاح متکلمان و فیلسوفان اسلام جوهر فرد، و جزء لایتجزی هم گفته شده است.

۴. هیآت و أشکال: هیأت‌ها و شکل‌ها. ۵. برزه: دانه ٦. مدمج: پیچیده در چیزی.

۷. هلم جراً: همچنین؛ به همین ترتیب؛ از همین قرار.

۸. مخفی: پنهان. از نظر دستورزبان عربی مخفی نادرست و خفی درست‌تر است، اما استادان ادب فارسی و از جمله حافظ بکار برده‌اند. مثلاً خواجه می‌گوید:

عرض حاجت در حریم حضرتت محتاج نیست راز کس مخفی نماند با فروغ رای تو

۹. اشاره به قدمت یا همواره‌بودن عالم است که اعتقاد فیلسوفان است؛ و این خلاف قول ارباب ادیان است که به ابداع قائلند، و گویند: خدا همهٔ چیز را از ناچیز هستی بخشیده و به اصطلاح از عدم بوجود آورده است.

مشابه و مشاکل خود بوده باشد.[۱] و از این ذاهل[۲] شدند که بسا حیوانات ناقصةالاعضاء هست[۳] که از آنها حیوان تام‌الخلقه بوجود می‌آید.

و شرذمه‌یی[۴] گمان خود را به نهج اجمال بیان کرده گفتند که انواع نباتات و حیوانات به مرور زمان و تتالی دهور[۵] از صورتی بصورتی متبدل شده تا بدین‌صورت حالیه رسیده است و این گمان از ابیقور که از أتباع دیوجانس کلبی می‌باشد بظهور رسید و او گفت که انسان اولاً مثل خنزیرها[۶] پر از مو بوده است و رفته‌رفته بدین هیأت حسنه درآمده است و هیچ دلیلی بدین‌معنی اقامه نکرده که چرا باید مرور زمان علت تبدل صور گردد و متأخرین این گروه یعنی نیچریها چون دیدند که علم ژئولوجیا[۷] یعنی طبقات‌الارض ابطال کرد قول به عدم تناهی سلسلهٔ انواع را، لهذا از این قول نکول[۸] کردند. پس از آن اختلاف کردند اولاً در تکون جراثیم انواع نباتات و حیوانات. طایفه‌یی گفتند که جمیع جراثیم انواع در آنوقتی تکون یافت که التهاب کرهٔ زمین روی به‌نقصان نهاد و اکنون بهیچوجه جرثومه‌یی متکون نمی‌شود.[۹]

و جماعتی گفتند که اکنون هم تکّون جراثیم می‌شود خصوصاً در خط استواء به‌جهت اشتداد حرارت. و این هردو طایفه عاجز شدند از بیان اسباب حیات این جراثیم؛ چه حیات آنها به حیات نباتیه بوده باشد و چه به حیات حیوانیه. خصوصاً در وقتیکه ملاحظه کردند که حیات فاعل است در بسایط آن جراثیم، و موجب‌التئام آنهاست و اوست که اجزاء غیر حّیه[۱۰] را به تغذیه حیّ و زنده می‌گرداند و هر وقتیکه در حیات نقصانی شود در تماسک و تجاذب آن بسایط، وهن[۱۱] و سستی روی می‌دهد.

---

۱. اشاره است به رده‌های جانوران که در علوم طبیعی تفصیل آنرا می‌توان یافت.

۲. ذاهل شدند: غافل ماندند.

۳. حیوانات ناقصةالاعضاء: جانوران افتاده اندام.

۴. شرذمه: گروه اندک از بسیار؛ مقداری اندک از هر چیز. جمع: شراذم و شراذیم.

۵. تتالی دهور: گذشت و پی‌درپی آمدن روزگاران.

٦. خنزیر: خوک.

۷. ژئولوجیا = Geology یا زمین‌شناسی.

۸. نکول‌کردن: روی گردانیدن؛ برگشتن از بحث در مطلب.

۹. جرثومه: در لغت بمعنی اصل و ریشه؛ و میکرب است. و اینجا بمعنی سلول و یاخته است. و سید در اینجا بنحو کوتاهی نظریهٔ لاپلاس را در پیداشدن منظومهٔ شمسی و جهان بیان کرده است.

۱۰. غیر حیه: مرده؛ نازنده.

۱۱. وهن: سستی

معشری[1] را چنان خیال شد که این جراثیم با زمین درحین انفصال از کرهٔ آفتاب بوده است، و این بسیار عجیب است زیرا: آنها می‌گویند که زمین در آن هنگام قطعه‌یی بود از آتش. پس چگونه شد که آن جراثیم و بذره‌ها محترق گردید و اجزاء آنها از یکدیگر متلاشی نشد؟ و ثانیاً این جماعت متأخرین نیچریها یعنی مادیین اختلاف کردند در تحول آن جراثیم از حالت نقص بکمال و از عالم ناتمامی بدین صور و هیآت متقنهٔ محکمه.

برخی برین رفتند که هر نوعی را جراثیمی است مخصوص. و آن جراثیم بمقتضای طبیعت خویش حرکت نموده و اجزاء غیرحیّه را به تغذیه جزء خودکرده به لباس نوع خویشتن جلوه‌گر می‌شود.[2] و از این تغافل ورزیدند که در تحلیل کیمیاوی هیچ تفاوتی درمیانهٔ نطفهٔ انسان و نطفهٔ گاو و خر پیدا نمی‌شود و در هیچ‌یک از نطفه‌های آنها زیادتی و نقصانی در عناصر بسیطه نیست پس اختصاص و امتیاز ازکجا آمد؟

صنفی برین قرار دادند که جراثیم جمیع انواع خصوصاً حیوانات، مساویست و هیچ فرقی و تفاوتی در آنها نیست و انواع را نیز امتیاز جوهری حقیقی نمی‌باشد و لهذا گفتند که آن جراثیم به مقتضای زمان و مکان و برحسب حاجات و ضرورات و به‌موجب قواسر خارجیه[3] منتقل می‌گردد از نوعی به‌نوعی دیگر و متحول می‌شود از صورتی بصورتی اخری. و سید این طایفه داروین[4] می‌باشد و اوکتابی تألیف کرده، در آن بیان می‌کند که: اصل انسان میمون بود و رفته‌رفته در قرون متتالیه بسبب دواعی و بواعث خارجیه از صورت میمونی تبدیل و تغییر یافته به برزخ اران اوتان[5]

---

۱. معشر: گروه، معشری: گروهی؛ طایفه‌یی.

۲. تفصیل بیشتر این مطلب را درکتابهای طبیعی می‌توان یافت.

۳. قواسر خارجیه: قاسر، مانع را گویند، و اینجا بمعنی عوامل بیرونی است. ولی قاسر در اصطلاح فیلسوفان عاملی را گویند که در غیر مؤثر باشد نه از راه طبیعت آن چیز، مانند اینکه سنگی را یا آبی را به‌زور دست به‌بالا پرتاب کنند.

۴. Charles R. Darwin (۱۸۰۹ـ۱۸۸۲م)، و کتاب او به اختصار: The Oriigin of Species ـ بنیاد انواع ـ نام دارد که بسال ۱۸۵۹ انتشار یافت.

۵. به‌فرانسه Orangoutang، و به انگلیسی Orangutan میمون آدم‌نمای سواحل باتلاقی جنگلهای بورنئو و سوماترا. باهوش و قابل تربیت است. ریشه کلمه نیز مالایایی است و بمعنی مرد جنگل = Man of the wonds است.

رسیده و از آن صورت منتقل گردید و به اول درجهٔ انسانی پانهاد که جنس یام‌یام[۱] و سائر زنوج[۲] بوده باشد. پس از آن بعضی از افراد انسان عروج نموده بر افق اعلی از افق زنگیها مقام گزید و آن افق انسانِ قوقاسی است و برحسب زعم این شخص ممکن است که بعد از مرور قرون و کرور دهور، پشه‌ها فیل گردد و فیل‌ها تدریجاً پشه شود(!)[۳]

و اگر از او پرسیده شود که: انواع درختها و نباتاتی که در بیشه و جنگلهای هندوستان از قدیم‌الایام بوده و در یک بقعه از زمین پای در گل، و بیک آب و هوا تربیت می‌شود بچه سبب آنها در بنیه و طول و اوراق و ازهار و اثمار و طعم و عمر مختلف می‌باشد؟ و چه دواعی و بواعث خارجیه در آنها تأثیر کرده است با وحدت آب و هوا و مکان؟ البته بغیر از عجز، چیزی دیگر اظهار نخواهد کرد.

و اگر گفته شود که ماهیان بحیرهٔ ارال[۴] و بحر کسپیان[۵] با اشتراک آنها در مأکل و مشرب و تسابق آنها در یک جولان‌گاه، چرا اشکال و هیآت آنها مختلف گردیده است؟ بجز زبان خاییدن چه جواب خواهند داد!

و همچنین اگر سؤال شود ازو، از حیوانات مختلفة‌الصور و آن اقوامی که در یک منطقه می‌باشند و زیست آنها در سائر مناطق متعسر[۶] است؛ و یا از حشرات متباینة‌الخلقة و الترکیبی که قدرت بر قطع مسافات بعیده ندارند، سوای لکنت چه علت بیان می‌کنند؟ بلکه اگر بدو گفته شود که آن جراثیم ناقصة‌الخلقهٔ فاقدة‌الشعور را که راه‌نمایی نموده به استحصال این اعضاء و جوارح ظاهریه و باطنیهٔ متقنهٔ محکمه‌یی که حکماء از اکتناه[۷] اتقان و احکام آنها عاجز و ارباب فیسیولوجیا[۸] از تعداد[۹] منافع

---

۱. یام‌یام: نام گروهی از انسانهای ابتدایی.
۲. زنوج: زنگیان
۳. این عبارت به اغراق ادبی می‌ماند تا به یک واقعیت علمی و فلسفی. بویژه اینکه «فیل‌ها تدریجاً پشه شوند».
۴. بحیرهٔ ارال: دریاچه ارال، گویا مقصود همان رودخانهٔ ارال است در اتحاد جماهیر شوروی، که از سلسله جبال اورال سرچشمه گرفته بدریای خزر می‌ریزد. و متجاوز از ۱۹۳۸ کیلومتر طول دارد.
۵. بحر کسپین = Caspian، دریاچه یا دریای خزر در شمال ایران.
٦. متعسر: سخت، ناممکن.
۷. اکتناه: بکنه و بن رسیدن، و اکتناه اتقان و احکام: پی‌بردن به کنه و استواری و محکم‌کاری...
۸. مقصود Physiology یا علم وظایف‌الاعضاء است، و در آن از روش کار اندامهای آدمیان و جانوران و رابطهٔ آنها با یکدیگر بحث می‌کنند.

و فوائد آن‌ها قاصر مانده‌اند، و احتیاج و نیازمندی کور و اعمی چه‌گونه چنین مرشد کامل و راهبر داناگردیده جرائیم را بسوی جمیع این کمالات صوریه و معنویه، البته تا أبدالابدین[1] سر از دریای حیرت بدرنخواهد کرد.

و این بیچاره را فقط مشابهت و مماثلت ناقصه‌یی که میانهٔ انسان و میمون است در بادیهٔ خرافات انداخته است و برای تسلیه قلب خود بواهیاتی چند تمسک نموده است:[2]

یکی آنکه: اسبهای سیبریا و بلاد روسیه را موی بیشتراست از اسبهایی که در بلاد عربیه تولد می‌یابد. و سبب آن را حاجت و عدم حاجت قرار داده است و حال آنکه علت این بعینه همان علت کثرت نباتات و قلت آن‌هاست در بقعهٔ واحده در سنین مختلفه برحسب بسیاری امطار و وفور میاه[3] و کمی آنها، و همان علت نحافت و لاغری شکاّن بلاد حاره و فربهی باشندگان بلاد بارده[4] است بسبب کثرت تحلیل و قلت آن.

و دیگر آنکه او روایت می‌کند که جماعتی دمهای سگهای خود را می‌بریدند و چون چندقرن برین مواظبت کردند، پس از آن سگهای آنها خلقةً بی‌دم زاییدن گرفت وگویا می‌گویند چون حاجت بدم نماند، طبیعت نیز از دادن آن سرباز زد و این بیچاره اصم وکر بوده است از استماع این خبر که عربها و عبریها از چندین هزار سالست که ختان می‌کنند و با وجود این، یکی از آنها هم تاکنون مختون[5] زاییده نشده است.

بعضی دیگر از متأخرین این مادیین یعنی نیچریها چون بر مفاسد اقوال اسلاف خود مطلع شدند از آراء آنها اعراض نموده طرز جدیدی پیش گرفتند وگفتند ممکن نیست که مادهٔ غیرشاعره، علت و موجب این نظامات متقنه و هیأت محکمه و اشکال انیقه[6] و صور حسنهٔ عجیبه گردد، لهذا برین ذاهب شدند که باعث و سبب این انتظامات علویه و سفلیه و مقتضی تمامی این صور مختلفه سه چیز است: ماتیر، فرس،

---

۱. أبدالابدین: ابدآ؛ همیشه؛ برای همیشه.

۲. تمسک نموده است: چنگ زده؛ استدلال کرده.

۳. وفور میاه: فراوانی آبها.

۴. بلاد بارده: شهرهای سرد؛ جاهای خنک.

۵. مختون: ختنه‌شده.

۶. اشکال انیقه: شکلهای زیبا و دلپذیر و شگفت.

۹. تعداد: شماره کردن؛ شمردن.

انتلیجانس[1] یعنی: ماده و قوه و ادراک. و چنین گمان کردند که ماده بسبب قوتی که درو می‌باشد و بدست یاری شعور و ادراک خود خویشتن را بدین أشکال و هیآت محکمه جلوه داده و می‌دهد و هرگاهی که بصور اجساد حیه متلبس می‌شود: چه آن اجساد حیه نباتیه بوده باشد و چه حیوانیه، برای حفظ نوع و شخص، مراعات آلات و جوارح را می‌نماید و ملاحظهٔ ازمنه و امکنه و فصول را می‌کند. از این غافل شدند که اعتقاد خود این جماعت و سایر متأخرین مادیین به ترکب اجسام از اجزاء ذیمقراطیسیه این اصل را که بهزار جد و جهد بدست آورده‌اند و بدان دل خویشتن را راضی ساخته‌اند، مختل و بلافائده می‌سازد.

زیرا آنکه هر جزء ذیمقراطیسی را در این هنگام قوه‌یی است خاصه و شعوریست خاص، بجهت آنکه ممکن نیست قیام عرض واحد بوحدت شخصیه بر دو محل[2]. و چون چنین نباشد پس از ایشان سؤال کرده می‌گویم: این اجزاء منفصلهٔ منتشره از کجا به‌مقاصد یکدیگر آگاه شدند و به کدام آلت، تفهیم مطالب خویشتن نمودند و در کدام مجلس، پارلمان و محفل سنا[3] مشورت کردند از برای تشکیل این مکنونات انیقهٔ عجیبه؟ و این اجزاءِ متفرقه، چگونه دانستند که اگر در بیضهٔ عصفوری باشند، باید آنجا به‌هیأت مرغ دانه‌خوار برآیند و منقار و حوصله[4] را بدان‌گونه تشکیل نمایند که زیست آن را شاید؟ و اگر در بیضهٔ شاهین و عقابی باشند باید منقار و مخلب[5] او را چنان نمایند که بکار شکارکردن بیاید؟ و از کجا دانستند، قبل از وقوع، که این پرنده گوشت‌خوار خواهد شد و وقتیکه در مشیمه[6] سگی بوده بصورت بچه سگی ماده در متشکل و متصور شدند به چگونه فهمیدند پیش از حصول، که این بچه سگ فیمابعد آبستن خواهد شد و بچه‌های متعدد در دفعهٔ واحده خواهد آورد پس باید از برای او پستانهای متعدد انشاء گردد؟ و این اجزاء متلاشیه چگونه تعقل کردند که حیوانات در

---

1. Matiere, Force, Intelligence

۲. اشاره است به قاعدهٔ کلامی معروف که: العرض لایبقی زمانین فی مکان (او محل) واحد یعنی: عرض، گذرنده است، و در دو زمان در یک محل یا مکان یکسان نمی‌ماند.

۳. پارلمان Parliament به‌معنی مجلس شوری و گفتار، و Senate بمعنی مجلس شیوخ و بزرگان است.

۴. حوصله: چینه‌دان. ۵. مخلب: چنگال؛ ناخن. ٦. مشیمه: بچه‌دان.

زیست خود محتاجند به‌قلب و ریه و کبد و مخ و مخیخ[۱] و سائر اعضاء و جوارح. و البته این گروه پس از شنیدن این سؤالات سر به‌بحر حیرت فروبرده هیچ جواب نخواهند داد، مگر آنکه چشم عقل را کور کرده بگویند که؛ هریک از آنها حرکات خود را بر وفق حرکات اجزاء دیگر کرده تا آنکه خلاف انتظام حاصل نشود و بدین سبب عالم بر یک نظام و بریک وتیرهٔ واحد[۲] قائم و دائم است. پس در این وقت من خواهم گفت اولاً لازم می‌آید بر این قول که در این بعد صغیر جزء ذیمقراطیسی که به میکرسکوپ هم به‌نظر نمی‌آید ابعاد غیرمتناهیه بوده باشد، زیرا آنکه در هر صورت علمیه‌یی[۳] که در ماده‌یی از مواد مرتسم گردد لامحاله جزیی از بعد از آن را فرا خواهد گرفت و صور علمیهٔ آن اجزاء بنا بر این رأی فاسد غیرمتناهی است، پس باید در آن اجزاء متناهی ابعاد غیرمتناهیه بوده باشد و این به بداهت عقل[۴] باطل است.

* * *

و ثانیاً چون اجزاء ذیمقراطیسیه چنین شاعر و عالمند، پس چرا مکّونات خود را که عبارت از نفس آنها می‌باشد به‌کمال خود نمی‌رسانند و چرا در خویشتن احداث درد و وجع و الم می‌نمایند و چه سبب است که ادراک انسان و سائر حیوانات که عین ادراک همان اجزاء است بر این قول از اکتناه حال خود عاجز و در حفظ حیات خویشتن قاصر است. و عجب‌تر این است که متأخرین مادیین با همه جزافات* باز در بعضی امور حیران مانده آنرا نتوانستند بهیچیک از مبادی و اصول فاسدهٔ خود، چه طبع بوده باشد چه شعور، منطبق گردانند زیرا آنکه دیدند که پاره‌یی از مکونات مختلفة الخواص را چون تحلیل[۵] می‌کنند عنصر اصلیه آنها یکی است. لهذا بعد از

---

۱. مخ و مخیخ: ذهن و خداوند ذهن.

۲. وتیرهٔ واحد: طریقهٔ واحد؛ بر یک روش. قاعدهٔ واحده باید باشد. و به هرحال یکی از «یک» یا واحدة زاید است.

۳. صورت علمیه: نقش؛ و در فلسفه: آنچه از مادهٔ خارجی در ذهن می‌ماند.

۴. بداهت عقل: بی‌تأمل عقلی؛ بدون اندیشه.

*. جزافات: سخنان بی‌دلیل؛ و در فلسفه غفلت یا تغافل از علت. گفته‌اند: از گزاف فارسی تعریب شده است.

۵. تحلیل: تجزیهٔ شیمیایی و یا فیزیکی.

مجموع این خزعبلات[1] رجماً بالغیب[2] برین قائل شدند که اجزاءِ ذیمقراطیسیه را أشکالی است مختلف و برحسب اختلاف اوضاع آن اجزاء مختلفةالشکل با یکدیگر، آثار متباینه بر آنها مرتب می‌شود.

* * *

و بالجمله این ده مذهب مذهب آن گروهی است که انکار می‌نمایند الوهیت را و قائل بوجود صانع تعالی[3] نیستند و این گروه، چه در عرف خود آنها و چه در عرف متألهین، مادیین و طبیعیین و دهریین نامیده شدند. و اگر می‌خواهی بگو: نیچری‌ها و ناتورلیستها و ماتیریالیستها و مافیما بعد رساله‌ای در تفصیل مذهب اینها خواهیم نوشت و فساد اصول این گروه را به براهین عقلیه ظاهر و آشکار خواهیم نمود و چنان گمان نشود که مقصود ما اعتراض بر این پیاچوها یعنی خلبوسهای پهلوان پنبهٔ هندوستان خواهد بود[4] حاشا زیرا آنکه این‌ها را حظی و نصیبی از علم و دانش و معرفت نیست، بلکه بهره‌ای هم از انسانیت ندارند و البته این‌گونه اشخاص نه قابل سؤالند و نه قابل جواب و نه قابل خطاب. و اگر قابلیتی هم در آنها بوده باشد اینست که اگر کسی بخواهد تیاتر و یا تماشای کت پتکی[5] امم متمدنه بعمل آورد در آنوقت بکار می‌آیند؛ بلکه غرض اصلی بیان واقع و کشف حقیقت و اظهار حق خواهد بود.

* * *

و اما الان می‌خواهم فقط مفاسدی که ازگروه مادیین یعنی نیچریها در عالم مدنیت واقع شده است و مضاری که از تعلیمات ایشان به هیأت اجتماعیه رسیده بیان کنم و فضیلت و مزایا و منافع ادیان را خصوصاً دیانت اسلامیه را توضیح و تبیین نمایم.

پس می‌گویم: مادیین یعنی نیچریها در اجیال[6] و امم به اشکال متعدده و به‌صور

---

۱. خزعبلات، جمع خزعبل: سخنان بیهوده؛ سخنان خنده‌انگیز.

۲. رجماً بالغیب: به‌تاریکی سنگ انداختن.

۳. صانع تعالی: آفریدگار، که بلند است. برخی به غلط کلماتی از قبیل خدای تعالی و همین صانع تعالی را به اضافه می‌خوانند و گمان می‌کنند که ایندو کلمه صفت و موصوف است، در حالی که تعالی و تبارک و همانند آن‌ها همه فعل است و جمله معترضه، و باید جدا از کلمهٔ پیش خواند بدون اضافه.

۴. معنی دقیق پیاچو و خلبوس را در فرهنگ‌های موجود نیافتم. ولی مقصود سید، مدعیان بی‌مایه یا فرومایه است.

۵. تیاتر Theatre. کت پتکی نوعی خیمه شب‌بازی. ۶. اجیال جمع جیل: گروه‌ها و نسل‌ها.

متنوعه و به هیآت گوناگون و به اسامی مختلفه ظهور و بروز نموده‌اند. گاهی خود را به اسم حکیم ظاهر ساخته‌اند و زمانی به پیرایهٔ رافع ظلم و دافع جور جلوه کرده‌اند و وقتی به لباس عالم اسرار و کاشف‌الرموز و الحقایق[1] و صاحب علم باطن، قدم در میدان نهاده‌اند، و هنگامی ادعا کرده‌اند که مقصود ما رفع خرافات و تنویر عقل امم است، و ایامی بصورت محب فقرا و حامی ضعفا و خیرخواه بیچارگان برآمده‌اند، و ساعتی از برای اجرای مقاصد فاسدهٔ خود دعوی نبوت نموده‌اند، چون سایر انبیاء کذبه[2]؛ و گاه گاهی هم خود را مؤدب و مهذب و خیرخواه نامیده‌اند. ولکن در هرجیل که یافت شدند و در هر قوم که پیدا شدند و در هر امت که ظاهر شدند و به‌هر لباس و به‌هر اسم که برآمدند، بسبب مبادی فاسده و اصول باطله و تعلیمات مضره و آراء مهلکه و اقوال ممیتهٔ[3] خود موجب زوال آن جیل و باعث اضمحلال آن قوم و علت فناء آن امت گردیدند، و هیأت اجتماعیهٔ آن امم را اعدام نموده آحاد آنها را متفرق کردند.

زیرا آنکه انسان ظلوم و جهول و این مخلوق ختّون[4] حرص خون‌خوار را بسبب ادیان در صدر اول عقاید و خصائلی چند حاصل شده بود که امم و قبائل، آن عقاید و خصائل را بطور ارث از آباء و اجداد خود فراگرفته بدانها تعدیل اخلاق خویش را می‌نمودند، و از شر و فساد که برهم زنندهٔ هیأت اجتماعیه است اجتناب می‌کردند و از نتایج آنها عقول خویشتن را به معارفی که سبب سعادت و اساس مدنیت است، منور می‌ساختند و بدین‌جهت آنها را نوعی قوام و ثبات حاصل می‌شد. و این طایفهٔ نیچریه در هر امتی که ظهور می‌کردند در ابطال آن عقاید و افساد آن خصال می‌کوشیدند، و از آن، خلل به ارکان هیات اجتماعیهٔ آن امت راه یافته، روی به تلاشی می‌نهاد تا آنکه بالمرّه مضمحل گردد. و چنانکه اکنون هم ره‌سپر همین طریقهٔ فاسده می‌باشند. بیان این به نهجی واضح این است که انسانها را از دیرزمان بسبب ادیان، سه اعتقاد و سه خصلت حاصل شده است که هریک از آنها رکنی است رکین[5] از برای قوام ملل و پایداری

---

۱. عالم‌الاسرار و کاشف‌الرموز و الحقایق: دانای رازها و کشف‌کنندهٔ رمزها و حقیقت‌ها.
۲. انبیاء کذبه: پیامبران دروغین، چون مسیلمه و دیگران.
۳. تعلیمات مضره و...: آموزش‌های زیانبار و اندیشه‌های هلاک‌کننده و سخنان مرگ‌آفرین.
۴. بسیار خیانت کار.
۵. رکنی است رکین: پایه‌ای است استوار.

هیأت اجتماعیه و اساسی است محکم در مدنیت و ترقیات امم و قبائل و موجبی است فعال از برای دفع شر و فسادی که بربináددهندهٔ شعوب است.

نخستین آن عقاید ثلثهٔ جلیله اعتقاد است بر اینکه: انسان فرشته‌ای است زمینی و اوست اشرف مخلوقات؛ دومی یقین است بدین‌که: امت او اشرف امم است و بغیر از امت او همه بر باطل و برضلالند؛ و سیمی جزم است بدین‌که: انسان در این عالم آمده است از برای استحصال کمالات لائقه که بدانها منتقل گردد به‌عالمی افضل و أعلی و اوسع و أتمّ از این عالم تنگ و تاریک که فی‌الحقیقه اسم بیت‌الاحزان[1] را شایان است. غفلت نباید ورزید از تأثیرات عظیمهٔ این عقاید ثلثه در هیأت اجتماعیه و منافع جلیلهٔ آنها در مدنیت و فوائد کثیرهٔ هریکی در انتظامات و روابط امم و ثمرات جمیلهٔ هر واحدی از آنها در بقاء نوع انسانی و زیست افراد آن با یکدیگر به‌طریق مسالمت و موادعت[2] و نتایج حسنهٔ هر فردی از آنها در ترقیات ملل در کمالات عقلیه و نفسیه.

بجهت آنکه هر اعتقاد را بالبداهه خواص و لوازمی است که مستحیل است[3] انفکاک آنها از او، یکی از لوازم اعتقاد انسان بر اینکه نوع او اشرف مخلوقاتست، اینست که وقراً[4] استنکاف و استکبار خواهد کرد از خصلتهای بهیمیه و تنفر خواهد نمود از صفات حیوانیه. و هیچ ریبی[5] نیست که هرقدر این اعتقاد محکم‌تر گردد، آن استنکاف اشتداد خواهد پذیرفت و هرقدر آن استنکاف قوت گیرد ترقی آن انسان در عالم عقلی زیاده خواهد شد، و به‌مقدار ترقی در عالم عقلی، صعود و عروج اوست در مدارج مدنیت[6]، تا آنکه یکی از ارباب مدینهٔ فاضله شده، زیست او با برادران خود، که بدین پایه رسیده‌اند، براساس محبت و حکمت و عدالت نهاده شود و این غایت مراد حکماست و نهایت سعادت انسانی است در دنیا. پس این اعتقاد بزرگترین رادعی است[7] انسان را از این‌که در جهان چون خران وحشی و گاوان دشتی زیست کند، و در این عالم چون بهائم بیابانها تعیش نماید و راضی گردد به زندگانی أنعام و چهارپایان که

---

۱. بیت‌الاحزان: خانهٔ غم‌ها؛ کنایه از دنیاست.
۲. موادعت: پیمان ترک و فروگذاشتن جنگ؛ آشتی‌کردن.
۳. مستحیل: ناممکن؛ محال.
۴. وقراً: از برای سنگینی و وقار.
۵. ریب: شک؛ دو دلی
۶. مدارج مدنیت: نردبانهای شهری‌گری؛ مراحل تمدن.
۷. رادع: مانع، بازدارنده.

قدرت بر دفع مضار و آلام و اسقام ندارند و طرق حفظ حیات خود را چنانکه باید ندانند و همهٔ عمر را به‌وحشت و دهشت و خوف گذرانند، و سترک‌ترین زاجری[۱] است افراد انسانیه را از اینکه یکی دیگری را چون اسود کاسره[۲] و ذئاب ضاریه[۳] و کلاب عقوره[۴] پاره‌پاره نمایند، و عظیم‌ترین مانعیست از مشابهت و مماثلت به حیوانات در صفات خسیسهٔ دنیّه، و نیکوترین سائقی است بسوی حرکات فکریه و استعمال قوای عقلیه، و مؤثرترین سببی است از برای تهذیب نفوس از دنس رذائل[۵]. غور کن اگر قومی و قبیله‌ای را این‌گونه اعتقاد نباشد بلکه بالضد، آحاد آن را[۶]، چنان عقیده باشد که انسان مثل سائر حیوانات بلکه پست‌تر از آنهاست، چقدر دنایا[۷] و رذائل از آنها سر خواهد زد، و چه شرارتها از ایشان بظهور خواهد پیوست، و نفوس آنها چه‌قدر پست و دنی خواهد شد و عقول ایشان‌را چگونه وقفه حاصل شده از حرکت فکریه باز خواهد ماند.

یکی از خواص یقین بر اینکه امت او افضل امم است و بغیر آن همه بر باطل‌اند، اینست که: لامحاله صاحب این عقیده درصدد مبارات و مجارات و همسری سایر امم خواهد برآمد و در میدان فضائل با آنها مسابقت خواهد نمود بلکه در جمیع مزایای، چه عقلیه بوده باشد و چه مزایای نفسیّه و چه مزایای در معیشت، برتری و فوقیّت[۸] بر سائر اقوام را طلب خواهد کرد و هرگز به انحطاط و خست و دنائت و فرومایگی خود و امت خویش، راضی نخواهد شد و هیچ شرف و عزت و برومندی و سعادت و رفاهیتی را از برای قوم بیگانه‌ای نخواهد دید مگر آنکه اعلی و افضل از آن را بجهت قوم خود خواهد خواست. چون که بسبب این اعتقاد، خود را و قوم خویش را أحق و ألیق و سزاوارتر می‌داند بجمیع اموری که در عالم انسانی، فضیلت و مزیت و شرف شمرده می‌شود. و اگر از قواسر خارجیه قوم او را انحطاطی در یکی از مزایا و فضائل

---

۱. سترگ‌ترین زاجر: بزرگ‌ترین راننده و بازدارنده.
۲. اسود کاسره: شیرهای شکنندهٔ کمر و دنده.
۳. ذئاب ضاریه: گرگان شکارگر.
۴. کلاب عقوره: سگان گزنده.
۵. دنس رذایل: ناپاکی رذیلت‌ها.
۶. آحاد آن: یکایک آن، هر تک‌تک آن را.
۷. دنایا، جمع: دنیه و دنیئه: پستی‌ها.
۸. فوقیت: مصدر جعلی از فوق و «یت» مصدری: برتری، رجحان.

انسانیت دست داده باشد هرگز قلب او را راحت و آرام حاصل نمی‌شود، بلکه همیشه تا عمر دارد در علاج آن خواهد کوشید. پس این عقیده، فاضل‌ترین سبب است از برای تسابق امم در مدنیت و بزرگترین علت است بجهت طلب علوم و معارف و صنایع و محکم‌ترین موجب است از برای سعی امم در استحصال دواعی علوّ کلمه و بواعث شرف.[1]

تدبر نما! اگر ملتی از ملل را این یقین نباشد، چه‌قدر بطوء حاصل خواهد شد در حرکت آحاد آن بسوی ترقی؟ و چه قدر فتور در همت آن‌ها پدید خواهد گردید؟ و چه اندازه فرومایگی و بیچارگی آن امت را فراخواهد گرفت؟ و چگونه در عبودیت و ذل و خواری خواهد ماند خصوصاً اگر خود را پست‌تر از سائر ملل بداند چون قوم دهیر و مانک؟

* * *

و یکی از مقتضیات جزم بدین‌که انسان درین عالم آمده است از برای استحصال کمالات تا آنکه منتقل گردد به عالمی اوسع و أعلی، این است که: چون این اعتقاد کسی را دست دهد بر نهج ضرورت و لزوم، صاحب آن عقیده هر وقتی سعی خواهد نمود در تزیین و تنویر عقل خود به معارف حقه و علوم صدقه[2]، و خرد خویش را عاطل نخواهد گذاشت و آنچه درو ودیعه گذاشته شده باشد، از قوای فعاله و مشاعر عالیه و خواص جلیله، همه را به اجتهاد تمام از کمون به‌عالم بروز برآورده بر منصه[3] شهود جلوه خواهد داد و در جمیع ازمنهٔ حیات خود، از برای تهذیب نفس خویشتن از صفات رذیله کوشش خواهد نمود و در تعدیل و تقویم ملکات آن کوتاهی نخواهد ورزید و علی‌الدوام[4] اجتهاد خواهد کرد که اموال را از طریق لایق و سزاوار بدست آورد نه از مسالک دروغگویی و حیله‌بازی و خیانت و خدعه‌کاری و رشوت‌خواری تملق

---

۱. استحصال دواعی... بدست‌کردن انگیزه‌های بلندی و سرمایه‌های بزرگی.

۲. معارف حقه و علوم صدقه: مقصود، شناخت‌ها و دانش‌هایی است که مایهٔ بهبود زندگانی و خوشبختی آدمی‌زادگان شود.

۳. منصه: اتاق عروس، به‌فتح اول و دوم؛ و تختی که عروس را بر آن نشانند، به کسر اول و فتح دوم. و اینجا معنی دوم مناسب‌تر است.

۴. علی‌الدوام: همواره، پیوسته.

کلبی، و بدان راهی که لایق و زیبنده است صرف نماید نه بر باطل. پس این عقیده بهترین داعی است بسوی مدنیتی که اساس آن بر معارف حقه و اخلاق مهذبه می‌باشد و نیکوترین مقتضی است از برای قوام هیأت اجتماعیه که عماد[1] آن معرفت هر شخص است حقوق خود را و سلوک اوست بر صراط مستقیم عدالت، و قوی‌ترین باعث است بجهت روابط اممی که بناء آنها در مراعات حدود معاملات است از روی راستی و صداقت، و گزیده‌ترین سببی است از برای مسالمت و موادعت اصناف انسانها، بجهت آنکه مسالمت ثمرهٔ محبت و عدالت است و محبت و عدالت نتیجهٔ سجایا[2] و اخلاق پسندیده می‌باشد و اوست آن یگانه عقیده‌ای که انسان‌ها را از جمیع شرور باز می‌دارد و از وادیهای شقاء و بدبختی آنها را نجات داده در مدینهٔ فاضله بر عرش سعادت می‌نشاند.

تصور کن! اگر امتی را این عقیده نباشد چه‌قدر شقاق و نفاق و دروغگویی و حیله‌بازی و رشوت‌خواری درمیانهٔ آن امت شیوع خواهد گرفت و چه اندازه حرص و آز و غدر و اغتیال[3] و ابطال حقوق و مجادله و مقاتله شهرت خواهد پذیرفت و به‌چه مقدار تهاون[4] در استحصال معارف[5] دست خواهد داد. و اما آن خصال ثلثه که بسبب ادیان از دیرزمان در امم و شعوب حاصل شده است یکی از آنها خصلت حیاءست و آن انفعال نفس است از اتیان[6] فعلی که موجب تقبیح و تشنیع بوده باشد، و تأثیر اوست احتراز از تلّبس[7] به حالتی‌که در عالم انسانی نقض شمرده می‌شود. و باید دانست که تأثیر این خصلت در انتظام هیأت اجتماعیه و کبح[8] نفوس از ارتکاب افعال شنیعه و اعمال قبیحه از صدها قانون و هزارها محتسب و هزارها پلیس بیشتر است. زیرا آنکه چون حیا نباشد و نفس در دایرهٔ رذالت و سفلگی قدم نهد، کدام حد و کدام جزاء آن را منع تواند کرد از افعالی‌که موجب فساد هیأت اجتماعیه است سوای قتل؟ و این هم نشاید که چون سلن[9] جزاء هر عمل قبیحی قتل قرار داده شود و این صفت ملازم

---

۱. عماد: ستون. ۲. سجایا، جمع سجیه: خوی‌ها، عادت‌ها.
۳. غدر و اغتیال: بی‌وفایی، مکر، فریب. و اغتیال: بناگاه کشتن، غفلةً کشتن. ۴. تهاون: سستی و بی‌حالی
۵. استحصال معارف: بدست‌آور شناخت‌ها و دانش‌ها.
۶. اتیان فعل: بجاآوردن و انجام‌دادن کاری. ۷. تلبس: لباس پوشیدن، درآمدن به‌شکل و وضعی ویژه.
۸. کبح: بازداشتن.
۹. سلن Solon (۶۴۰ـ۵۵۸ ق. م.) یکی از قانونگذاران آتن و از حکیمان هفت‌گانهٔ یونان. وی مردی دانا و

←

شرف نفس است و انفکاک یکی از دیگری نشاید و شرف نفس مدار نظام سلسله معاملات است و اساس درستی پیمانها و استواری عهود است، و مایه اعتبار انسان است در قول و عمل و این شیمه[1] عین شیمهٔ نخوت و غیرت است که بسبب اختلاف حیثیات به دو اسم نامیده شده است. و نخوت و غیرت، موجب حقیقی ترقیات امم و شعوب و قبائل است در علوم و معارف و جاه و شوکت و عظمت و غنی و ثروت. و اگر امتی را غیرت و نخوت نبوده باشد هیچ‌وقت از برای آن ترقی حاصل نخواهد شد بلکه همیشه در خست و دنائت و ذل و مسکنت و عبودیت خواهد ماند و این ملکه یعنی ملکهٔ حیاء رشتهٔ ائتلافات و اجتماعات و معاشرات انسانیت است، چون که ائتلاف درمیان جمعی صورت نبندد مگر به‌حفظ حدود، و حفظ حدود هرگز حاصل نشود مگر بدین ملکهٔ شریفه. و این سجیه است که انسان را بـه آداب حسـنه مـزین می‌سازد، و از افعال بشعهٔ حیوانات دور می‌نماید، و به تعدیل و تقویت حـرکات و سکنات دعوت می‌کند، و بدو انسان از سایر حیوانات امتیاز یافته پا از دائرهٔ بهیمیت بیرون می‌نهد. و این، آن یگانه خلقیست که حّث[2] بر همسری ارباب فضائل می‌کند، و از نقایص منع می‌نماید، و نمی‌گذارد انسان‌ها راکه به‌جهل و نادانی و سفلگی راضی شوند، و این همان خلّه‌ای* است که تحقیق و پایداری امـانت و صـداقت بـدون او ممکن نشود، و این نخستین وصفیست که معلم و مربی و ناصح به دستیاری آن بـه مکارم اخلاق و فضائل صوریه و معنویه و شرف ظاهری و باطنی دعوت می‌کند.

→

آزموده و خوش‌ذوق بود. مردم آتن که می‌خواستند اصلاحات عمومی و لازم را به‌عهدهٔ دانشمندترین مردم بگذارند برای این کار سلن یا سولون را برگزیدند. این همان شخصی است که گویند وقتی کرزوس پادشاه لیدیه را کورش می‌خواست در آتش بسوزاند، کرزوس فریاد کشید: «آخ سلن، سلن!» کوروش سبب آن را پرسید. و او حکـایت آمدن سلن را به سارد مرکز لیدیه بیان کرده گفت: پس از اینکه او تجملات و خزائن مرا دید، از وی پرسیدم که چه کسی را خوشبخت می‌داند، و یقین داشتم که نام مرا خواهد برد، ولیکن او در جواب گفت: «دربارهٔ کسی تا نمرده است نمی‌توان گفت سعادتمند بوده!» و حالا فهمیدم که این مرد بزرگ چه حرف درستی زده است. گویند: این بیان مایهٔ تنبیه کوروش شد و از سر خون او درگذشت و دستور داد آتش را خاموش کردند. (پیرنیا، حسن: تاریخ ایران قدیم، ص ۵۴، چاپ مجلس ۱۳۱۰ هـ. ش)

۱. شیمه: نهاد، خوی، خلق.

۲. حث: برانگیختن؛ واداشتن.

*. خله: بر وزن حله، خوی، سرشت.

آیا ملاحظه نمی‌کنی هرگاه استاد خواهد که شاگرد خود را به فضیلتی بخواند، او را مخاطب ساخته می‌گوید: شرم و حیا نمی‌کنی از این که قرین تو در فضیلت از تو پیشی گرفته است؟ و اگر این خصلت نمی‌شد[1]، نه توبیخ را اثری بود و نه تشنیع را ثمری و نه دعوت را فایده‌ای. پس معلوم شد که این سجیّه، اصل همهٔ خوبی‌ها و اساس همهٔ فضائل و موجب همهٔ ترقیات بوده است و می‌باشد. فکر کن اگر این صفت در قومی نباشد چه‌قدر خیانت و دروغگویی درمیان آحاد[2] آن فاش خواهد شد، و چه اندازه افعال رذیلهٔ شنیعه و اعمال بشعهٔ[3] قبیحه جهراً از آن‌ها سر خواهد زد، و چه مقدار سفلگی و دنائت و نذالت[4] و شراست اخلاق[5] ایشان را فرا خواهد گرفت، و چگونه حیوانیت و بهیمت بر آنها غلبه خواهد کرد.

دومی: امانت است. و معلوم است هر شخصی را که: بقاء نوع انسانی و زیست آن در این عالم موقوف به معاملات و مبادلهٔ اعمال است، و روح و جان معاملات و مبادله اعمال امانت است و چون روح امانت درمیانه نباشد معاملات ازهم گسیخته، و رشتهٔ مبادلهٔ اعمال بریده خواهد گردید و در وقتی‌که نظام معاملات پاره‌پاره شود، هرگز انسان را در این جهان بقاء و زیست ممکن نباشد. و نیز رفاهیت و آسایش امم و شعوب و انتظام معیشت آنها صورت وقوع نمی‌پذیرد مگر به‌یک نوعی از انواع حکومت، چه حکومت **جمهوریه** بوده باشد و چه حکومت **مشروطه** و چه حکومت **مطلقه**. و حکومت به جمیع انواعش متشکل و متحقق نمی‌گردد و پایدار نمی‌شود مگر به جماعتی که به‌صفت **حرّاس**[6] متصف شده در حدود بلاد منع تعدیات اجانب را نمایند و در داخل مملکت در قلع و قمع قتّالین و فتّاکین و قطاع طریق و سرّاق[7] کوشند و **به گروهی که به شریعت دانا بوده باشند**، و قوانین و نظامات دول و امم را بدانند و بر منصهٔ حکم و قضا از برای فصل دعاوی **حقوقیه و جنائیه** نشسته رفع خصومات را نمایند، و **به اشخاصی که ضرایب و جبایات**[8] **را بر وفق قانون حکومت**

---

۱. نمی‌شد: وجود نمی‌داشت، موجود نمی‌گشت.
۲. آحاد: یک‌یک، یکان یکان.
۳. اعمال بشعه: کارهای بد و ناشایست.
۴. نذالت: پستی، فرومایگی.
۵. سوء اخلاق
۶. حراس، جمع حارس: پاسداران.
۷. سراق، جمع سارق: دزدان.
۸. ضرایب و جبایات: مالیات‌ها و حقوق شرعیه.

از عموم اهالی جمع نموده در خزانهٔ حکومت ــ که فی‌الحقیقه خزینهٔ عموم رعایاست ــ حفظ نمایند، و به کسانی‌که آن اموال مدّخره را بر سبیل اقتصاد[1] در منافع عمومیهٔ اهالی چون بناء مدارس و مکاتب و انشاء قناطر[2] و طرق و بنیاد دارالشفاها صرف کنند و معاشات مستخدمین ملت را چه حراس بوده باشند و چه قضات و چه غیر آنها، چنانچه مقرر است برسانند، و اداکردن این جماعتهای چهارگانه که ارکان اربعهٔ حکومت‌ها می‌باشند خدمتهای خود را، به نوعی که فساد براساس حکومت راه نیابد، موقوف است بر خصلت امانت. و اگر امانت در آنها نباشد راحت و امنیت از جمیع آحاد رعیت منسلب[3] گردیده حقوق [ها] بالتّمام باطل خواهد شد، و قتل و نهب فاش خواهد گردید؛ و راههای تجارت بسته، و ابواب فقر و فاقه بر روی اهالی گشوده، و خزانهٔ حکومت خالی و طریق نجات بر او بسته خواهد شد، و البته هر قومی که بدین‌گونه حکومت خائنهٔ غیرامینه[4] اداره شود یا بالمره مضمحل و یا بدست اجانب اسیر افتاده مرارت عبودیت را، که بدتر است از مرارت اضمحلال و زوال، خواهد چشید. و همچنین ظاهر است که سلطهٔ قومی بر سائر اقوام و نفوذکلمهٔ آن هرگز صورت وقوع نخواهد پذیرفت مگر آنکه آحاد آن قوم با یکدیگر چنان متحد و ملتئم گردیده باشند که به‌منزلهٔ شخص واحد شمرده شوند. و این‌گونه اتحاد بدون وصف امانت از جمله محالاتست. پس هویدا گردید که خصلت امانت [مایه] قوام و بقاء انسان و مقوم اساس حکومت است و راحت و امنیت بدون او حاصل نشود، و سلطه و عظمت و علّو کلمهٔ امم بغیر او صورت نبندد، و روح و جسد عدالت همین سجیّه است و بس. تبصرنما، اگر امتی را این صفت نباشد چه مصائب و بلایا و آفات، آحاد آن را فرا خواهد گرفت و چسان فقر و فاقه و بیچارگی ایشان را احاطه خواهد کرد و عاقبت چگونه مضمحل و نابود خواهد شد؟

سیمی از آن اوصاف، صداقت و راستی است. پوشیده نماند که حاجات انسانیه

---

۱. بر سبیل اقتصاد: از راه میانه‌روی و قناعت.
۲. انشاء قناطر: پدیدآوردن و ساختن پل‌ها.
۳. منسلب: بازگرفته.
۴. حکومت خائنهٔ غیرامینه: فرمانروایی نادرست و بی‌أمان، مانند حکومت خودکامگان که در کشور آنها هیچیک از مردم به جان و مال تأمین ندارد.

بسیار و ضرورات معیشت آن بیشمار است، و اشیایی که بدانها رفع حاجت‌های خود را می‌نماید و چیزهایی که بواسطه آنها ضرورات خویش را دفع می‌سازد، هریکی در جهتی، در زیر پردهٔ خفا[۱] خزیده و هر واحد در ناحیه‌ای در پس حجاب مستوری انزوا گزیده و یا به دامن بی‌نام و نشانی کشیده است و همچنین مخفی نباشد که هزارها مصائب و هزارها بلایا و هزارها زرایا[۲] و هزارها آفات در هر زاویه‌ای از زوایای عالم کمین گرفته و تیر جانکاه به‌قصد هلاک انسان در کمان ادوار و حرکات زمانه نهاده است. و انسان را به اعانت این حواس خمسهٔ ضعیفهٔ خود هرگز میسر نشود که بر جمیع موارد و منافع مطلع گشته، دفاع ضرورات خویش را نماید، و یا آنکه بر کمین‌گاههای بلایا آگاهی یافته در صیانت وجود خویشتن کوشد.

لهذا هر انسانی از برای جلب منافع و رفع مضار، محتاجست به استعانت از مشاعر سایر مشارکین در نوع، و طلب هدایت‌نمودن از آن‌ها، تا آنکه بسبب رهبری و دلالت ایشان بقدر امکان از بعضی گزندها رسته، مقداری از لوازم معیشت خویش را بدست آرد. و این استعانت هرگز مفید نخواهد افتاد مگر از دارای صفت صداقت. زیرا آن‌که کاذب[۳] است قریب را بعید و بعید را قریب وانموده، نافع را به‌صورت مضّر و مضّر را به‌صورت نافع جلوه خواهد داد. پس صفت صداقت رکن رکین پایداری نوع انسانیت و حبل متین[۴] هیأت اجتماعیهٔ شعوب است و هیچ اجتماعی، بدون آن صورت نبندد چه اجتماع منزلی بوده باشد و چه اجتماع مدنی.[۵] خوض کن اگر گروهی را صداقت نباشد چقدر شقاء و بدبختی ایشان را دست خواهد داد و چگونه سلسلهٔ انتظام آن‌ها گسیخته خواهد شد و چسان به پریشانی مبتلی خواهند گردید؟

* * *

و این منکران الوهیت یعنی نیچری‌ها در هر زمان که پیدا شدند و در هر امت که ظهور نمودند، مقصود اصلی و مراد حقیقی ایشان این بود که بواسطهٔ مبادی فاسده و اصول باطله خود آن قصر مسدس‌الشکل سعادت انسانیه را که عبارت از آن عقائد

---

۱. خفاء: پنهانی، غیب. ۲. زرایا، جمع زریه: عیب‌ها، آفت‌ها، پستی‌ها.
۳. کاذب: دروغ‌گو، دروغین، دروغزن ۴. حبل متین: رشتهٔ استوار.
۵. اجتماع مدنی: جامعه، و اجتماع منزلی: خانواده.

ثلثه شریفه و آن خصائل جلیلهٔ سه‌گانه[1] بوده باشد از بیخ براندازند، و درهای شقاوت و بدبختی را به روی این بیچاره انسان، بگشایند و از عرش مدنیتش فرود آورده بر خاک مذلت وحشیت و حیوانیتش بنشانند، زیرا که بناء تعلیمات خود را اولاً برین نهادند که: جمیع ادیان باطل و از جملهٔ واهیات و جعلیات انسانهاست. پس نشاید ملتی را بواسطهٔ دین و کیش از برای خویش شرافت و حقی بر سائر ملل اثبات کند. پس از این تعلیم فاسد، که موجب فتور همم[2] و سبب بُطاء در حرکات انسان است بسوی معالی، چنانکه پیش گزارش یافت، گفتند که انسان چون دیگر حیوانات است و او را مزیتی بر بهائم نیست، بلکه خلقتاً و فطرةً از غالب آنها خسیس‌تر و پست‌تر می‌باشد؛ و بدین قول درهای حیوانیت را به‌روی انسان‌ها گشودند، و ارتکاب افعال قبیحه و اعمال بشعه را بر مردمان سهل و آسان کردند، و عیب درندگی و افتراس[3] را برداشتند و سپس این بیان کردند که: بغیر از این حیات، زندگانی دیگری نیست، و انسان چون نباتی است که در ربیع بروید و در تابستان خشک شده بخاک عود کند. و سعید آن شخص است که بدین دار دنیا ملاّذ و مشتهیات بهیمیه[4] او را دست‌یاب گردد. و بسبب این رأی باطل بازار غدر و خیانت و تزویر و اختلاس را رواج دادند، و انسانها را به رذائل و خبائث[5] دعوت نمودند، و عقلها را از سیر بسوی کمالات و کشف حقایق باز داشتند، و چون این طاعون‌ها و وباهای انسانی یعنی نیچریها، دیدند که این تعلیمات فاسده، در نفوس ارباب حیاء مؤثر نخواهد افتاد، و هرگز خداوندان شرم پا در دایرهٔ حیوانیت نخواهند گذاشت، و به اباحت و اشتراک در مأکل و منکح[6] راضی نخواهند شد؛ از این جهت در ازالهٔ حیا کوشیدن گرفتند، و گفتند که: صفت حیا از ضعف و نقص نفس است، و اگر نفسی قوی و کامل بوده باشد هرگز او را شرم و حیا از هیچگونه

---

۱. عقاید ثلاثه و خصائل ثلاثه را پیش از این بیان کرد، و ما نیز در مقدمه اشاره نمودیم که کل این رساله برای بیان همین شش اصل نوشته شده است.

۲. فتور همم: سستی همت‌ها، سستی‌گرفتن درون‌ها. و بطاء: کندی، بکسر اول: سست گشتن.

۳. افتراس: افکندن و دریدن شکار، درنده‌خویی.

۴. ملاذّ: جمع ملَذه؛ لذت‌ها مشتهیات بهیمیه: خواست‌های جانوری؛ شهوت‌های حیوانی.

۵. خبائث، جمع خبیثه: پلیدها، ناپاکان. ولی در این جمله بمعنی مصدری است یعنی: پلیدیها و ناپاکی‌ها.

۶. مأکل و منکح: خوردنی و نکاح‌کردنی؛ خوردن و زن خواستن.

عملی حاصل نخواهد شد. پس اول واجب بر انسان آنست که در ازالهٔ این صفت بکوشد تا آنکه به‌کمال نفسی فائز گردد و بدین دسیسه عقبات و موانع طریق حیوانیت را برداشتند و **سلوک سبیل بهیمیت را که عبارت از اشتراک و اباحت بوده باشد، بر نفوس آسان کردند.**[۱]

پوشیده نماند که موجب **امانت** و **صداقت** حقیقةً دو امر است یکی: **اعتقاد به روز بازپسین**، و دیگری **ملکهٔ حیاء**، و ظاهر گردید که از جملهٔ ارکان تعلیمات این گروه نیچریها، رفع آن اعتقاد و ازالهٔ آن ملکه است. پس تأثیر تعلیمات ایشان در اشاعهٔ خیانت و کذب بیشتر است از تأثیر قول کسی‌که به نفس خیانت و کذب دعوت می‌کند. زیرا آنکه، چون موجب امانت و صداقت یعنی آن اعتقاد شریف و آن صفت جلیله در نفس بوده باشد هروقت نوعی مقاومت با قول داعی[۲] به‌خیانت و کذب خواهد کرد اگرچه مقاومت با ضعف باشد. و از این جهت در تأثیر قول او اندکی ضعف حاصل شده گاه‌گاهی صاحب آن عقیده و دارای آن صفت از خیانت و کذب اجتناب خواهد نمود، بخلاف آنکه اصل موجب از لوح نفس سترده گردد، چونکه در این هنگام هیچ باعث و داعی از برای اجتناب باقی نخواهد ماند.

علاوه براین، چون این گروه، بناء مذهب خود را بر اباحت و اشتراک گذاشته‌اند و جمیع مشتهیات را حق مشاع پنداشته‌اند و اختصاص و امتیاز را اعتصاب انگاشته‌اند،[۳] چنانکه ذکر خواهد شد، دیگر محلی و جایی از برای نسبت خیانت باقی نخواهد ماند به جهت آنکه اگر شخصی از برای استحصال حق مشاع[۴] خود حیله‌ای را اختیار کند آن خیانت نخواهد بود، و همچنین اگر دروغی را وسیله سازد قبیح شمرده نمی‌شود.

---

۱. این عبارات هم نشان می‌دهد که نیز مانند خواجه نظام‌الملک یا نویسندهٔ کتاب سیاست‌نامه، اشتراک و اباحت در مال و زن را بدین معنی می‌فهمیده که هرکس از مال دیگری بخواهد می‌تواند بخورد، و با زن هرکس بخواهد می‌تواند بخوابد و کام جوید!

۲. داعی: دعوت‌کننده.

۳. یکی از معانی اعتصاب سخت‌گرفتن است و به‌نظر می‌رسد که مقصود سید از این عبارت این است که اشتراکی می‌پندارد که شخص بسبب امتیازی که دارد مالی بخود اختصاص می‌دهد، و مایهٔ سخت‌گیری به مردم و محروم‌ماندن آنها می‌گردد.

۴. مشاع: مشترک.

پس معلوم شد که تعلیمات این گروه موجب همهٔ خیانت‌ها و دروغ‌هاست و سبب همهٔ شرور و رذائل و دنایا و خبائث است. و لامحاله اگر این‌گونه امور در امتی فاش[1] گردد مضمحل و نابود خواهد گردید. و از آن‌چه گفتیم بخوبی ظاهر شد که این طایفه چگونه سبب هلاک و دمار[2] امم و قبائل و شعوب می‌گردیدند. و الان می‌خواهم بگویم که این گروه بزرگترین دشمنان انسان بوده و هستند و بزعم اصلاحی که در مخیلهٔ پرمالیخولیای[3] ایشان مرتسم شده است می‌خواستند ــ و اکنون هم برآنند ــ که آتش فسادی افروخته، خانمان این نوع بیچاره را سوخته، اسم او را از لوح وجود براندازند. چون که هرکسی را هویداست که بقاء افراد انسان در این جهان از روی ضرورت موقوف است برصنایع و حِرف چندی که در شرف و خسّت و سهولت و دشواری متفاوت می‌باشد و غایت بغیه[4] و نهایت مقصود این جماعت این است که همهٔ انسان‌ها در جمیع مشتهیات و ملاذّ مشترک شده اختصاص و امتیاز از میانه برداشته شود، و هیچکس را افزونی و برتری در هیچ چیز بر دیگری نباشد و همگی در نهایت تساوی باهم بسر برند و چون چنین شود البته هر شخصی از ارتکاب اعمال شاقّهٔ خسیسه سرباز زده امر معیشت مختلّ و دولاب[5] معاملات و مبادلهٔ دور اعمال از حرکت باز خواهد ایستاد، و عاقبةالامر این نوع ضعیف روی به وادی هلاک آورده و کلیتاً زائل خواهد شد. بلی نتیجهٔ اصلاح ارباب مالیخولیا پیش از این نخواهد بود و اگر فرض محال کنیم که تعیّش انسان بدین طریقه شنیعه ممکن باشد، باید دانست که

---

۱. فاش: آشکار شده. کلماتی چون فاش و معاف و چندتای دیگر که در فارسی بکار می‌رود در اصل فاشی و معافی بوده است. و در زبان فارسی آنرا فاش و معاف بکار می‌برند. ابوالعلاء معری گوید:

فلما رایت الجهل فی الناس فاشیا　　　تجاهلت حتی ظن انی جاهل

(اللزومیات، ج ۲ ص ۲۶۳، چاپ‌دار صادر، بیروت)

۲. دمار امم: هلاک و تباه‌شدن امت‌ها.

۳. ملانکولی = Melancholy = Melancolia، که در کتابهای عربی و فارسی به ماخولیا و مالیخولیا ترجمه شده، در لغت افسردگی و وسواس معنی دارد، ولی در متون مذکور بمعنی خیال باطل و غرور بکار رفته است. مولوی در مثنوی (دفتر دوم، ص ۱۹۷، چاپ علاءالدوله گوید:

گفت: لاحول این چه مالیخولیاست　　　ای عجب آن خادم مشفق کجاست؟

۴. غایت بغیه: نهایت آرزو و خواست و آرزومندی.

۵. دولاب: چرخ؛ چرخ‌چوبی که با دلو و ریسمان، بوسیلهٔ آن آب ازچاه بیرون‌کشند. اصل آن: دول آب بوده‌است.

بلاشک جمیع محاسن و زینتها و تجملات او برباد فنا رفته همهٔ کمالات ظـاهریه و باطنیه و ترقیات صوریّه و معنویّه و علوم و معارف و صنایعش نیست و نابود خواهد گردید، و کرسی مجد و شرفش سرنگون گشته در بادیهٔ وحشیت چون سائر حیوانات با هزار آلام و اسقام در غایت خوف و بیم بسر خواهد برد، بجهت آن که علت حقیقیهٔ مزایای انسان حب اختصاص و امتیاز است و چون اختصاص و امتیاز برداشته شود، نفسها از حرکت بسوی معالی باز ایستاده، و عقلها در اکتناه[1] حقایق اشیاء و استکشاف دقائق امور تهاون ورزیده، انسانها چون بهائم دشتی در این جهان زندگانی خواهـند کرد، اگر ممکن باشد، ولکن هیهات هیهات!

معلوم باد که نیچریها طرق چندی را از برای نشر تعلیمات مفسدانهٔ خویشتن اختیار کردند. چنانکه در وقت امنیت و بیخونی همهٔ مبادی و مقاصد خود را بغایت تصریح و نهایت بیان[2] بعالم آشکارا نمودند، و در زمان بیم و خوف تدریج را واجب شمرده طریق اشاره و کنایه و رمز را بقدم تدلیس[3] پیمودند.

و گاهی به یکبار در هدم ارکان ستهٔ آن قصر نیک‌بختی انسان کوشیدند.

و هنگامی برحسب مقتضای حال بعضی از آن ارکان را محط[4] نظر تعلیمات باطنه قرار داده در ویرانی آن جد بلیغ[5] خود را بکار بردند.

و وقتی به‌موجب ضرورت به‌نفی ملزومات و لوازمیکه نفی آنها مستلزم نفی آن ارکان می‌شود پرداختند، و زمانی به انکار صانع و ابطال اعتقاد ثواب و عقاب اکتفاء کردند، چون دانستند که زوال این دو اعتقاد، لامحاله منتج جمیع مقاصد مضرّهٔ ایشان خواهد گردید. و ابانی[6] از ذکر مبادی دم درکشیده و به‌تزویق[7] و تزیین و تحسین اصل مقصد که اباحت و اشتراک همه در همه باشد، اشتغال ورزیدند. و گاهی هم بجهت

---

۱. ریشه‌یابی ـ درون‌نگری

۲. نهایت بیانَ: نهایت آشکاری.

۳. عوام‌فریبی ـ نیرنگ‌بازی.

۴. محط: فرودگاه؛ منزل. مسعود سعد (دیوان، ص ۳۰۸، یاسمی) گوید:

«خدایگانا! یک نکته باز خواهم راند   که هست درگه عالی تو محط رحال»

۵. جد بلیغ: کوشش آشکار و بسیار.

۶. ابانی: زمانی؛ روزگاری

۷. تزویق: آذین‌کردن. گفته‌اند اصل آن زاووق یا زیبق بوده یعنی: جیوه اندودن.

دفع معارضین اصول فاسدهٔ خود، راه اغتیال[۱] پیش گرفته خون هزارها بیگناهان را به دسیسه‌ها و حیله‌ها ریختند.

بالجمله چون تعلیمات ایشان در امتی از امم ظاهر می‌شد، جماعتی از ارباب نفوس شریره را، که غایت مقصودشان استحصال شهوات بهیمیّه بود، چه از راه حق و چه از راه باطل، آن تعلیمات پسند افتاده بدون ملاحظهٔ نتایج و عواقب، بدان آراء فاسده خرسند و دلشاد گردیده در ترویج و اشاعهٔ آنها کوششها می‌نمودند و جماعتی دیگر اگرچه بدان اقوال نمی‌گرویدند و اعتقاد نمی‌کردند، مع‌ذلک از مضار و مفاسد آنها محفوظ و مصون نمانده در ارکان عقائد نافعه و اساس صفات مفیدهٔ آنها هم خلل و فساد و تباهی راه می‌یافت؛ بجهت آنکه **غالب مردم در عقاید و اخلاق خویشتن ره‌سپر تقلید و عادت می‌باشند و از برای تزعزع[۲] ارکان تقلید و عادت، ادنی شبهه و اقل تشکیکی کافیست.** لهذا فساد اخلاق عموم افراد آن امت را فراگرفته کذب و غدر و حیله‌بازی و خیانت در آنها شایع می‌گردید، و پردهٔ حیا برداشته شده، افعال ناشایسته به مقام انسانی جهراً[۳] از ایشان بظهور می‌پیوست.

و چون بسبب آن تعلیمات فاسده هریکی را چنان گمان می‌شد که به‌غیر از این حیات، حیات دیگری نیست. وصف اگسیست[۴] بر او غلبه می‌کرد و وصف اگسیستی **عبارتست از محبت ذات بدرجه‌ای که اگر منفعت جزئیهٔ صاحب آن صفت مستوجب ضرر کل عالم گردد** دست از آن منفعت برندارد! به ضرر همه جهانیان رضا در دهد و این صفت شخصیه خود را بر منافع عامه تقدیم نموده، امت و قوم خویش را به ابخس اثمان[۵] بفروشد، بلکه رفته‌رفته بجهت این حیات دنیّه، جبانت و خوف بر او مستولی گشته از برای حفظ زندگی خویش به نذالت[٦] و سفلگی و عبودیت و خواری راضی و خرسند شود.

---

۱. اغتیال: بناگاه کشتن. پیش از این هم معنی آنرا نوشتیم. ۲. تزعزع: متزلزل شدن
۳. جهراً، آشکارا.
۴. صفتی که همه آزمندان بی‌ایمان و پراگماتیست‌ها این زمان!، به آن دچار شده‌اند...
۵. أبخس أثمان، سبک‌ترین و اندک‌ترین قیمت‌ها. ٦. نذالت، فرومایگی؛ پستی.

و در وقتی که احوال آحاد امت بدین‌پایه می‌رسد رشته اختیام[1] و ائتلاف گسیخته و وحدت جنسیت منعدم گشته و قوهٔ حافظه و علت مبقیه[2] زائل گردیده، عرش مجد و عز و شرف آن سرنگون می‌گشت.

این است تفصیل آن امم که بعد از عز و شرف بواسطه تعلیمات نیچریها یعنی مادیین، به ذل و مسکنت مبتلا شدند.

و این است شرح طرق تعلیمات مادیین یعنی نیچریها.

* * *

گرک[3] یعنی یونانیها، قومی بودند قلیل‌العدد و بواسطهٔ آن عقاید جلیله ثلثه خصوصاً اعتقاد بدین‌که قوم ایشان اشرف از جمیع امم عالمست؛ و بجهت آن صفات شریف سه‌گانه، و بویژه صفت عار و ننگی که عین حیا و یا آنکه اول نتیجه اوست، بعد از رواج بازار علوم و معارف سالهای دراز درمقابل سلطنت فارسیه که از نواحی کاشغر تا ضواحی[4] استانبول ممتد بود، ایستادگی کردند و از خوف ذلّ و بندگی که شرف را نشاید و خداوند عار و ننگ از آن ابا نماید، پای مردانگی فشردند تا آنکه آخرالامر آن سلطنت عظیمهٔ فارسیه را زیرو زبر کرده، دست تطاول به هندوستان دراز نمودند، و صفت امانت در آنها به درجه‌ای رسیده بود که مرگ را بر خیانت ترجیح می‌دادند چنانکه تموستورکلیس[5] در وقتیکه ارتکزرسس[6] او را امر کرد که عساکر فارس را

---

۱. اختیام؛ توافق، خوگرفتن.

۲. علت مبقیه: انگیزهٔ پایدار نگاه دارنده. در فلسفهٔ اسلامی می‌گوید: «خدا هم علت فاعلهٔ جهان است و هم علت مبقیه» یعنی: هم جهان را ساخته و هم آنرا نگاه می‌دارد و مانند بناء نیست که خانه‌ای بسازد و خود درکناری بنشیند.

۳. گرک، مقصود Greek ,Grecian است به انگلیسی، و Grecque ,Grec است به فرانسه.

۴. ضواحی، جمع ضاحیه؛ نواحی؛ بخش‌های آشکار و بارز هر چیزی.

۵. تموستورکلیس: نام درست وی تمیستوکلس Themitocles (۶۰-۴۶۰-۵۲۵ ق. م) است. او ژنرال و سیاستمدار آتنی بود. و رهبری حزب دموکرات را داشت، در جنگ‌های ایران استراتژی نیروی دریائی یونان را معین کرد که به پیروزی قطعی یونانیان انجامید در (سالامین ۴۸۰ ق. م.) و شکست خشایارشا. بعدها به خیانت و فساد متهم شد، در سال (۴۷۱ ق. م.) به آراء عمومی تبعید و به ایران گریخت و از سوی اردشیر درازدست به‌گرمی پذیرفته شد.

۶. ارتکزرسس (= Artakezrses) نام یونانی اردشیر درازدست پسر خشایار شاست. ولی این واقعه در روزگار خشایارشا رخ داده که یونانیان او را کزرک سس (= Xesxes I Kesrkses) می‌نامیده‌اند. و شیخ این دو نام را بهم اشتباه کرده است.

گرفته متوجه فتح یونان گردد، زهر خورده خود را کشت و راضی نشد که به امت و قوم خود خیانت نماید با وجود اینکه یونانیان او را بعد از خدمت نمایان و غلبه بر فارسی نفی کرده بودند و او ناچارِ شده بدو پناه برده بود. به تاریخ یونان رجوع شود.

و چون اپیکور (= ابیقور) ناتورالیسم و اپیکورینها (یعنی ابیقوریها) در یونان به اسم حکیم ظاهر شدند، و ایشان پس از انکار الوهیت که اسّ اساس [1] همهٔ فسادها و مایه همه شرور و خرابیهاست، چنانکه فیمابعد بیان خواهد شد، گفتند که: انسان بسبب خودپسندی و عجب و غرور، چنین گمان می‌کند که عالم بتمامه از برای وجود ناقص او خلق شده است، و او اشرف همه مخلوقات و علت غائیه جمیع مکوّنات است نه بواسطه حرص و طمع و خویشتن‌خواهی بلکه بواسطه جنونی که بر او مستولی شده است چنین اندیشه می‌نماید که: او را جهانی است نورانی و عالمی است جاودانی که پس از رحلت از دار دنیا، بدان عالم مقدس منتقل شده بی‌شایبه عیب و نقص به‌کمال سعادت فائز خواهد گردید. لهذا خود را برخلاف نیچر یعنی طبیعت بقیود و سلاسل بسیاری مقید ساخته و به‌مشاقّ و کلفتهای [2] بیشماری مکلف نموده، درهای لذایذ طبیعیه و حظوظ فطریه را به روی خویشتن بسته است. و حال آنکه او را در هیچ چیز بر هیچ حیوانی فضیلت و مزیتی نیست، بلکه بحسب فطرت و طبیعت از همه حیوانات ناقص‌تر و پست‌تر است، و آن صنایعی که او را دست‌یاب شده، و بدان‌ها فخر می‌نماید همه به نهج تقلید از سایر حیوانات گرفته شده است چنانکه نسج از عنکبوت، و بناء و عمارت از نحل، و انشاء قصور و صوامع از نمله بیضاء [3] و ادخار مؤونه [4] از مورچه، و موسیقی از بلبل و هکذا. پس باید این انسان مغرور بداند که حیات او چون حیات نباتات است و بغیر از این جهان، او را جهان دیگری نیست و جز این، زندگانی دیگری نمی‌باشد! پس [نباید] به عبث خود را در مشاق و اتعاب [5] بیندازد، و بارگران تکالیف را بیهوده بر دوش خویش ننهد، و خلاف ناتور خود را از اصناف لذایذ و

---

۱. اس اساس: پایهٔ نخستین؛ مهمترین بنیاد؛ پایهٔ پایه.

۲. کلفت؛ سختی، رنج؛ سختی‌کشیدن از برای تظاهر.

۳. مورچه سفید.

۴. ادخار مؤونه: گردکردن روزی؛ ذخیره نهادن نیازمندی(ها).

۵. مشاق: جمع شقه، زحمت و اتعاب جمع تعب، بمعنی خستگی است.

انواع حظوظ محروم نسازد؛ بلکه به هر نوع که او را ممکن شود و بهرطور که میسر گردد نصیب خویش را از ملاذ این جهان بردارد و به افسانه‌های حلال و حرام و لایق و غیر سزاوار و سایر امور جعلیه‌ای که مردم خود را مقید ساخته‌اند گوش ندهد و دل نبندد.

و چون دیدند که تعلیمات ایشان با تمکن صفت حیاء در نفوس بی‌فایده خواهد افتاد در ازاله آن خصلت جلیله، آغاز کرده گفتند که حیاء و شرم از ضعف نفس است و هر انسان را لازم است که در ازاله آن سعی نماید و قید عادات را بشکند تا آنکه قادر گردد بر ارتکاب جمیع افعالی که مردم آنها را قبیح می‌شمارند، و نفس از آشکاراساختن آن اعمال متأثر و منفعل نشود. و عاقبةالامر این ابیقوریها پردهٔ شرم را دریده و آبروی انسانی را برده، هرجا که مائده‌ای می‌دیدند، خواه و ناخواه، خود را بدو می‌رسانیدند. حتی در بسیاری از اوقات اصحاب موائد این حکمای نوبرآمده را سگ خطاب کرده به استخوانها زده می‌راندند! مع‌ذلک این سگهای انسان صورت مرتدع[1] نمی‌شدند، **والمال مشاع بین‌الکل**[2] نداکرده، از هر طرف حمله می‌نمودند.

و این یکی از آن اسباب است که اینها مشهور شدند به **کلبیّین**. و تعلیمات فاسدهٔ این نیچریهای یونان یعنی کلبیین، چون به‌مرور زمان در نفوس و عقول یونانیها تأثیر کرد، خردها روی به بلادت[3] آورد و بازار علم و حکمت کاسد شد و اخلاقها فاسد گردید و شرف نفس آن قوم به‌نذالت و لؤم، و امانت ایشان به‌خیانت، و حیا و ننگ آنها به‌وقاحت و سفلگی، و شجاعت آنها به جبانت[4]، و محبت جنس[5] و وطن آنها به محبت شخصیه مبدل شد.

و بالجمله، جمیع ارکان ستهٔ قصر سعادت آنها و همه اساسهای انسانیت ایشان منهدم گردید و لهذا سلطنت و عزت ایشان برباد رفته، بدست **روما** یعنی جنس **لاتین**[6] اسیر افتادند.

---

۱. مرتدع: رانده‌شده؛ باز ایستنده از کاری.

۲. المال مشاع بین الکل: خواسته و مال میان مردمان مشترک است؛ ثروت مال همه است.

۳. بلادت، کند ذهنی؛ کم هوشی

۴. جبانت؛ بزدلی، ترسوشدن و ترسوبودن

۵. kind Lovng

۶. لاتین Latine, Latin قومی از رومیان؛ یا نژاد رومی عموماً.

و سالهای دراز از شآمت[۱] آن تعلیمات فاسده در قید عبودیت[۲] بسر بردند بعد از اینکه در یک جزء از زمان، در این عالم حاکم بلامعارض شمرده می‌شدند.

* * *

فارس قومی بودند که در این اصول ستهٔ سعادت به درجهٔ اعلی رسیده بودند و خویشتن را چنان شریف می‌دانستند که گمان می‌کردند ارباب سعادت از امم اجنبیه آن امتی است که در حمایت آنها بوده و یا به‌قرب جوار[۳] ممالک ایشان شرفیابی حاصل کرده باشد!

و امانت و صداقت اول تعلیمات دینیهٔ آن قوم بود حتی اگر محتاج می‌شدند اقدام بر وام نمی‌کردند از خوف آنکه مبادا ناچارشده دروغی از آنها سرزند.

و بسبب این عقاید و خصائل عز و رفعت و بسطت ملک آنها بپایه‌ای ارتقاء کرده بود که بیان آن را شه‌نامه‌ای باید.

فرنسیس لنرمان[۴] مورخ می‌گوید: پادشاهی فارس در زمان دارای اکبر، عبارت از بیست و یک والی‌نشین بود و یکی از آن والی‌نشین‌ها، مصر و سواحل بحر قلزم و بلوچستان و سند بود.

و اگر زمانی در سلطنت آنها فتوری بهم می‌رسید، از تأثیرات آن اصول صحیحه در اندک زمانی آن را تدارک نموده باز به‌حالت اولی و سلطهٔ عظمای خود رجوع می‌کردند. تا آنکه در زمان غباد، مزدک[۵] نیچری یعنی طبیعی به لباس رافع جور و دافع ظلم ظهور کرد. و به یک تعلیم خود جمیع آن اساسهای نیک‌بختی قوم فارس را کنده به باد فنا داد، زیرا آنکه گفت آن قوانین و حدود و آدابی که انسانها وضع کرده‌اند همه موجب جور و همه سبب ظلم و تمامی بر باطل است.

و شریعت مقدسهٔ نیچر یعنی طبیعت تاکنون منسوخ نشده، در حیوانات و بهائم

---

۱. شآمت: بدی، بدشگونی، زشتی.
۲. قید عبودیت: رشتهٔ بندگی، زنجیر بردگی.
۳. جوار، به کسر جیم مصدر دوم مفاعله: مجاورت، همبری؛ نزدیکی.
۴. در مآخذ موجود از قبیل بریتانیکا و غیره چیزی راجع به این مورخ نیافتم.
۵. مزدک، اصلاح‌گر و بقول برخی شورشگر ایرانی که در روزگار قباد یا غباد ساسانی ظهور کرد، و قباد در دورهٔ نخستین حکومت خود (۴۸۸ـ۴۹۸) از وی طرفداری کرد. (بنگرید به کریستنسن: تاریخ سلطنت قباد و ظهور مزدک، ترجمهٔ نصرالله فلسفی و احمد بیرشگ، ۱۳۰۹ ش.)

مصون و محفوظ مانده است و کدام عقل و کدام دانش به پایهٔ نیچر می‌رسد؟ و نیچر همهٔ مأکولات و مشروبات و منکوحات را درمیانهٔ جمیع آکلین و شاربین[۱] حق مشاع قرارداده است؛ پس چرا باید که انسان بجهت جعلیات و همیه‌یی که آنها را قوانین و آداب می‌نامد از مادر و دختر و خواهر خود محروم مانده دیگران از آنها تمتع بگیرند!

و چه معنی دارد که شخصی اموال مشاع را در تحت تصرف آورده، دعوی ملکیت نماید. و یا آنکه زنی را به حبالهٔ نکاح درآورده سایرین را از آن منع کند، و چه حقانیت است در قانونی‌که غاصبین اموال مشاعه را اصحاب حقوق می‌شمارد، و آن بیچاره‌ای راکه به حیله‌ای تمتع[۲] از حق خود می‌گیرد غاصب و خائن می‌نامد؟

لهذا بر هرکس واجب است که غل[۳] ظالمانهٔ قوانین و آداب و شرایع عقل ناقص انسانی را از گردن برآورده، به مقتضای شریعت مقدسهٔ نیچر حقوق خود را در اموال و زنان به هرنوع که بتواند استحصال نماید، و غاصبین را جبراً و قسراً[۴] از فعل ناشایستهٔ غصب و جور بازدارد. و چون این تعلیمات باطله در قوم فارس شیوع یافت، حیاء از میانه برخاست و غدر و خیانت فاش گردید، و نذالت و سفلگی شیوع گرفت و صفات بهیمیّهٔ غلبه نمود و طبایع آنها بالکلیّه فاسد شد.

و انوشروان اگرچه مزدک و بعضی از پیروان او راکشت، ولکن قادر بر قلع و قمع این تعلیمات فاسده نگردید؛ و بدین‌جهت این قوم نتوانستند که یک حملهٔ عرب را تحمل نمایند و حال آنکه قرین و همسر آنها که عبارت از روم بوده باشد، قرون متعدده با عربها در مجادله و محاربه بودند.[۵]

* * *

مسلمانان، امتی بودند که بواسطهٔ دیانت الهیهٔ حقه و بسبب شریعت سماوّیه صدقهٔ

---

۱. شاربین: نوشندگان. آکلین: خورندگان. مشاع: مشترک.

۲. تمتّع، بهره‌مندی، لذت و فایده. ۳. غل: زنجیر. ۴. با زور و تهدید.

۵. شکست پارسیان فقط معلول آموزش‌های مزدک نبود، بلکه استبداد و خودکامگی و تک‌روی پادشاهان ساسانی بویژه خسروپرویز پایه‌های مجد و عظمت، و اساس اخلاق مردانه و خوی پسندیدهٔ ایرانیان را دگرگون کرده بود؛ و از این رو مردم ایران دنبال پناهگاهی می‌گشتند.

وانگهی ظهور مزدک و آیین اشتراکی او معلول بدی روزگار و تباهی معیشت مردم بوده، نه اینکه خود علت خرابی اخلاق مردم باشد.

خود، آنقدر عقاید جلیله و خصایل جمیله آحاد آن امت را حاصل شده بود، و آنقدر اساس آن ارکان ستّه در آنها استوار گردیده بود که در یک قرن، یعنی صدسال از نتایج آن عقاید و سجایا از جبالِ آلپ تا سورچین[۱] در تحت تصرف درآوردند و دماغ اکاسره و قیاصره[۲] را بخاک مذلت مالیدند؛ با آنکه شرذمهٔ قلیلی بیش نبودند. و اخلاق فاضلهٔ آنها به درجه‌ای رسیده بود که به مغناطیس آن در اندک زمانی قریب صدمیلیون غیرمسلم را به کیش خویش جذب نمودند، با وجود آنکه آنها را مخیر کرده بودند در جزیه زهیده[۳] و اسلام[۴].

و همین‌گونه غلبه و عز این امت شریفه را بود تا آنکه در قرن چهارم نیچریها یعنی طبیعیین به اسم باطنیه و صاحب‌السر[۵] در مصر آشکارا شدند، و زبانهٔ خود را در جمیع اطراف و اکناف بلاد مسلمانان خصوصاً در ایران منتشر کردند.

و چون این نیچریهای اصحاب باطن دیدند که نور شریعت محمدیه صلی‌الله علیه واله و سلم[۶] جمیع مسلمانان را منور گردانیده و علمای دیانت مصطفویه باکمال علم و سعهٔ فضل و نهایت تیقظ[۷] در حراست این دین متین و صیانت عقاید و اخلاق مسلمین می‌کوشند، لهذا از برای نشر آراء فاسدهٔ خود طریق تدلیس و تدریج[۸] را پیش گرفتند و اساس تعلیم خویشتن را برین قرار دادند که اولاً تشکیک کنند مسلمانان را در عقاید خود، و پس از تثبیت شک در قلوب، عهد و پیمان از ایشان بگیرند، و سپس عهد و پیمان ایشان را به‌نظر مرشد کامل خود برسانند.

---

۱. بلندترین سلسله کوههای اروپا. سورچین: دیوار چین.
۲. أکاسره و قیاصره: خسروان ایرانی و قیصران رومی.
۳. جزیهٔ زهیده: جزیهٔ اندک و بیمقدار.
۴. یعنی: می‌توانستند یا اسلام را بپذیرند یا جزیهٔ اندکی بدهند و بر دین خود بمانند.
۵. باطنیه و صاحب‌السر: باطنیان و رازداران. هر دو لقب اسمعیلیان و حتی قرمطیان است که به امام معصوم معتقد بودند و گروهی از آنها، که فاطمیان مصر باشند بنابر آنچه عبدالقاهر بغدادی در الفرق بین الفرق، و غزالی در فضائح الباطنیه آورده‌اند، اهل منطق و عقل بوده‌اند ولی سست دین و اباحی.
۶. درود خدا بر او و خاندان او باد. (این نوع ذکر صلوات، ویژه اهل تشیع است).
۷. تیقظ: بیداری؛ آگاهی.
۸. طریق تدلیس و تدریج: اشاره به دو مرحله از مراحل هفتگانه یا نه‌گانهٔ گفتار فاطمیان با نومریدان خود است. (بنگرید به بغدادی، عبدالقاهر: الفرق بین‌الفرق، ص ۱۹۳-۱۸۳، چاپ مصر).

و گفتند: بر معلم این تعلیمات لازم است که علی‌الدوام با رؤساء دین اسلام به نهج تدلیس رفتار نماید. و واجب است او را که قادر بر تأسیس مطالب خود بوده باشد و چون کسی را بدام مرشد کل می‌انداختند، اول چیزی‌که او را تعلیم می‌کرد این بود که بحق نرسیده است و حق: عبارت از مرشد و راهبر کامل است و چون تو به‌حق رسیدی اکنون ترا باید که خود را از این اعمال ظاهریهٔ بدنیه خلع نمایی.[1]

و بعد از زمانی او را می‌گفت که: جمیع تکالیف ظاهریه و باطنیه و همهٔ اعتقادات و قیود از برای ناقصین است که به منزلهٔ بیمارانند، و چون تو کامل گشتی لازم است که همهٔ این قیودات ظاهره و باطنه را از خود سلخ[2] کرده قدم در دایرهٔ واسعهٔ اباحت نهی. چه حلال و چه حرام و چه امانت و چه خیانت و چه صدق و چه کذب و چه فضائل و چه رذایل؟ و پس از تثبیت اباحت در نفوس تابعین خود، بجهت انکار الوهیت و اثبات مذهب نیچری دسیسهٔ دیگر بکار برده می‌گفت: اگر خدا موجود باشد؛ به‌موجودات شبیه خواهد شد، و اگر معدوم باشد، مماثل معدومات خواهد گردید، و خدا منزه است از هرگونه شبیهی پس خدا نه موجود است و نه معدوم، یعنی به اسم اقرارکن و مسمی را انکار نما.

و مدت زمانی این گروه اهل باطن بطریق خفیه بواسطهٔ این تعلیمات در فساد اخلاق مسلمانان می‌کوشیدند تا آنکه علمای دین و سایر رؤساء مسلمین بر این امر مطلع شده، درصدد معارضه برآمدند و چون آنها کثرت معارضین را دیدند، از برای نشر آراء باطلهٔ خود خون هزارها از علماء و صلحاء و امراء امت محمدیه را اغتیالاً[3] ریختند.

و بعضی از آنها آن عقاید فاسدهٔ مضره را فرصت یافته بر روی منبر الموت[4] جهاراً به عالم ظاهر ساخته گفت که: در وقت قیام قیامت هیچگونه تکلیفی، نه ظاهری و نه باطنی، بر خلق نمی‌باشد و قیامت: عبارت است از قیام قائم حق؛ و منم قائم حق. پس

---

۱. ... اعمال ظاهریهٔ بدنیه خلع نمایی: خود را از کارهایی که به‌ظاهر دین پیوند دارد چون نماز و روزه و غیره آزاد بدانی...

۲. کندن و دور انداختن.

۳. اغتیالاً: بناگاه خون ریختن، غفلة کشتن. ترورا.

۴. ألموت (از: آله و آموت، بمعنی: آشیان عقاب) قلعه‌ای است در کوههای طالقان میان قزوین و گیلان. و نیز نام قلعه‌ای است بر فراز کوه نامبرده که سالها جایگاه و مرکز عملیات حسن صباح و دیگر اسمعیلیان بود.

از این هرکه هرچه خواهد بکند که تکلیف برخاسته شده است. یعنی: درهای انسانیت بسته شده ابواب حیوانیت بازگردید!

و بالجملهٔ این نیچریهای **اهل باطن** و خداوندان **تأویل** یعنی **ناتورالیستهای** قرون سابقهٔ مسلمانان، به حیلهٔ کامل، خلق را به جمیع نقائص و رذایلی که براندازندهٔ امم و ملل است دعوت نمودند، و به دسیسهٔ تنزیه جعلی خویش اعتقاد به الوهیت را که اساس همهٔ سعادات انسانها است، در این داردنیا، از الواح عقول ستردند، و به‌مرور زمان اخلاق امت محمدیه را شرقاً و غرباً فاسد کردند و در ارکان عقاید و سجایای پسندیدهٔ آن امت شریفه تزعزع انداختند تا آنکه شجاعت و بسالت[1] آنها به خوف و جبانت، و امانت و صداقت آنها به خیانت و دروغگویی، و محبت اسلام آنها به محبت شخصیهٔ بهیمیه مبدل گردید و از آن بود که جماعتی از صعالیک فرنگ[2] در **قرن خامس** به اراضی شامیه هجوم کرده صدها شهرها[3] و قریه‌ها را خراب نمودند و خون هزارها را رایگان ریختند، و قریب دو صدسال مسلمانان از دفع آن صعالیک عاجز ماندند، و حال آنکه پیش از آن فساد اخلاق و تباهی عقاید، قوم فرنگ را در ممالک خود از دست مسلمانان راحت و آرام نبود.

و همچنین گروهی از اوباش **تاتار و ترک و مغول** با **چنگیزخان** آمده غالب شهرهای محمدیان[4] را ویران ساخته خون میلیون‌ها را بر خاک ریختند، و مسلمانان را اینقدر قوه نشد که این بلیه را از خود دور سازند با وجود اینکه در اول اسلام با قلت عدد تا سورچین جولان‌گاه اسب مسلمان‌ها بود. و آن همه ذل و حقارت و خرابی و ویرانی از برای مسلمانان حاصل نشد مگر از خیانت و دروغگویی و جبانت و گران‌جانی و ضعف و سستی که آثار آن تعلیمات فاسده بود.

---

۱. بسالت: دلیری؛ شجاعت...

۲. جمع صعلوک: دزد و فقیر. صعالیک فرنگ: درویشان فرنگ، مقصود مسیحیان جنگهای صلیبی هستند.

۳. در زبان فارسی معدود با عدد مطابقت نمی‌کند یعنی باید معدود را همیشه مفرد آورد نه جمع. مانند اینکه نمی‌گوییم: ده مجلد کتابها خریدم، بلکه می‌گوییم: ده مجلد کتاب خریدم. و از این رو، صدها شهر و قریه را خراب نمودند، درست‌تر از عبارت بالاست. گویا در زبان فارسی قدیم جمع‌بندی فوق متداول بوده است.

۴. محمدیان: پیروان محمد؛ مسلمانان.

و چون آداب و اخلاق دیانت محمّدیه از غالب نفوس مسلمانان بالمّره[1] زائل نشده بود، لهذا به هزار کوشش بعد از سالهای دراز اراضی شامیّه را از دست فرنگ گرفته چنگیزیان را به‌شرف اسلام مشرف کردند و لکن نتوانستند که آن ضعف را بالکلیّه زائل سازند، و آن سلطه و قوت خود را اعاده نمایند. زیرا آنکه آن سلطه نتیجه آن عقاید حقه و آن خصال پسندیده بود و بعد از تطرّق[2] فساد اعادهٔ آنها متعسّر گردید.[3]

و از این است که ارباب تاریخ ابتداء انحطاط سلطهٔ مسلمانان را محاربهٔ صلیب[4] می‌گیرند، و چنان لائق بود که آغاز ضعف مسلمانان و تفرق کلمه آنها را از شروع آن تعلیمات فاسده و آراء باطله بگیرند.

مخفی نماند بابیهایی[5] که در این زمان اخیر در ایران یافت شدند و هزارها خون عبادالله[6] را بناحق ریختند کوچک ابدال‌های[7] همان نیچریهای الموت و چیله‌ها یعنی کچکول‌بردارهای[8] همان طبیعیین گردکوه[9] می‌باشند، و تعلیمات آنها نمونه تعلیمات باطنیه است پس باید منتظر شد که فی مابعد چه تأثیرهای دیگر از اقوال آن‌ها در امت ایرانیه یافت خواهد شد.

* * *

---

۱. بالمره: یکسره، بکلی، و بالکلیه که در سه سطر بعد نیز بکاربرده، بهمین معنی است.

۲. تطرق: راه‌یافتن؛ زدن.

۳. متعسر گردید: سخت شد؛ ناممکن گشت.

۴. محاربهٔ صلیب؛ جنگ‌های صلیبی. و آن نام یک رشته جنگهایی است که مسیحیان اروپا میان سده‌های یازده و سیزده یعنی تقریباً از ۴۸۹ هـ. ق به‌منظور گرفتن اورشلیم یا بیت‌المقدس از مسلمین، با مسلمانان مشرق کردند.

۵. بابی‌ها: پیروان سیدعلی‌محمد شیرازی معروف به «باب»‌اند (۱۲۶۶-۱۲۳۶ هـ. ق) که نخست ادعای بابیت و ارتباط با امام مهدی را داشت و آنگاه ادعای مهدویت نیز کرد.

۶. عبادالله: بندگان خدا. در آن آغاز، با بیان به قتل‌عام مخالفان پرداختند...

۷. ابدال‌ها: افزودن علامت جمع در آخر کلماتی که خود جمع هستند فصیح و درست نیست، اگرچه برخی از استادان بزرگ نیز مانند منوچهری (معجزاتهای قوی)، و بیرونی (ازمان‌ها: اَلتفهیم) و مولوی (اسرارها: مثنوی) بکار برده‌اند. و مراد سید از أبدالها: بزرگان طبیعت‌گرای است.

۸. چیله‌ها یعنی کچکول بردارها: کچکول بردارها شاید همان کشکول بردارها باشند؛ و مراد سید احتمالاً بقیة‌السیف یا بازماندگان باطنیان باشد.

۹. گردکوه، کوهی است در ولایت مازندران، و نام دژی از آن اُسمعیلیان. مولوی در مثنوی نیز از آن نام برده، و آنرا از دژهای فرقهٔ مذکور می‌شمارد.

امت **فرانسویه** آن یگانه امتی بود که بواسطهٔ آن اساس‌های ششگانهٔ سعادت در قطعهٔ **یوروپ**[۱] بعد از رومانیین رفع عَلَم علم و دانش و کاردانی نموده، موجب تمدن همهٔ امم فرنگ گردید و بسببِ آن اصول جلیله در غالب اوقات در جمیع بلاد مغربیه، صاحب کلمهٔ نافذه شد تا آنکه در قرن هیجدهم از میلاد مسیح **ولتر** و **روسو** به اسم رافع‌الخرافات و منورالعقول[۲] ظهور کردند و این دو شخص قبر اپیکور (ابیقور) کلبی را نبش کرده عظام بالیهٔ ناتورالیسمی را احیاء نمودند، و تکالیف را برانداختند و تخم اباحت و اشتراک راکاشتند و آداب و رسوم را خرافات انگاشتند و ادیان را اختراعیات انسان ناقص‌العقل پنداشتند، و جهراً به انکار الوهیت و تشنیع انبیاء[۳] پرداختند! و حتی ولتر چندین کتاب در تخطئه و سخریه و تشنیع و ذم انبیاء تصنیف کرد.[۴] و این اقوال باطله در نفوس فرانسویها تأثیر کرده، به یکبارگی دیانت عیسویه را ترک نمودند.

و درهای شریعت مقدسهٔ نیچر یعنی **اباحت** را به روی خود گشودند، و حتی در روزی از روزها دختری را آورده در محراب **کنیسه**[۵] گذارده، زعیم آن قوم ندا در داد که: ایهاالناس، پس از این از رعد و برق مترسید، و چنین گمان مکنید که اینها از طرف اله سماء[۶] برای تهدید شما ظاهر شده است. بلکه بدانید که همهٔ اینها آثار طبیعت است یعنی **ناتور**، و غیر از **ناتور** اثر دیگری در عالم وجود نیست پس دیگر پرستش اوهام منمایید، و از روی گمان خدایی برای خود اختراع مکنید. و اگر خواهش آن دارید که چیزی را عبادت و پرستش نمایید اینک **مدموازل** در محراب چون دمیه[۷] ایستاده است!

---

۱. یوروپ = Europe = اروپا، مغرب زمین.

۲. منورالعقول: روشنفکران: روشن‌اندیشان یا روشن‌کنندگان خردها.

۳. بدگوئی و زشت پراکنی علیه پیامبران.

۴. شاید اشاره باشد به کتاب Mahomet ou le Fanatisme = محمد یا تعصبات دینی، یا نمایشنامه فناتیسم، که ولتر در رد پیامبر اسلام نوشته است. البته وی بعدها با پیامبر اسلام میانهٔ بهتری پیدا کرد، و کتابی دیگر در ستایش او نوشت. در این‌باره بنگرید به: «اسلام از نظر ولتر» دکتر حدیدی، به زبان فارسی و همچنین:

Voltaine: Lettre a Mr. de Voltaire sur sa tragedie de Mahomet, P. 10-18. Paris, 1931.

۵. کنیسه (معرب از آرامی و ارمنی = کنشت): معبد یهودیان و ترسایان. امروزه در زبان عربی معبد یهودیان را کنیس و معبد ترسایان راکنیسه، و معبد مسلمانان را جامع، و معبد بت‌پرستان را هیکل گویند. (اقرب‌الموارد)

۶. اله سماء: خدای آسمان؛ معبود آسمان.

۷. دمیه: عاج؛ مرمر (مراد تندیس مرمرین است)!.

و تعلیمات فاسدها نیچریه این دو شخص، اولاً: موجب ثورهٔ مشهورهٔ فرانسویه[۱] گردید؛ و ثانیاً: سبب آن شد که فساد اخلاق و تفرق کلمه و اختلاف مشارب، آحاد آن امت را فراگرفت تا آنکه رفته‌رفته هر طایفه از اصحاب آراء مختلفه و مشارب متباثنه بخود مشغول گردیده، به استحصال مقاصد و ملاذ خویشتن کوشیدن گرفت، و از منافع عامه اعراض کرد. و از آن سبب نفوذ خارجیهٔ ایشان، چه در غرب بوده باشد و چه در شرق، روی به‌نقصان آورد.

و ناپلئون[۲] اول اگرچه دوباره دیانت مسیحیه را اعاده نمود، ولیکن اثر آن تعلیمات از نفوس نرفت و اختلاف مشارب زائل نگردید، و عاقبت‌الامر بدان‌جا منجر گردید که از دست جرمنی شکست خورد، و زیانهایی که به سالهای دراز جبران نتوان کرد به آنها رسید، بلکه آن تعلیمات مضره باعث آن شد که طایفهٔ سوسیالیست[ها] یعنی اجتماعیین در [میان] آنها یافت شد، و ضرر و خسارات این گروه بر فرانسه کمتر از ضرر و خسارت جرمنی نبود (به تاریخ حرب فرنسا رجوع شود). و اگر ارباب آن عقاید حسنه و سجایای پسندیده تدارک این امر را نمی‌کردند، این قوم برای اجرای مقاصد باطلهٔ خود فرانسه را زیر و زبر کرده با خاک برابر می‌ساختند.

* * *

پوشیده نماناد که امت عثمانیه بسبب ظهور این عقیدهٔ فاسده نیچریان در بعضی از امراء و عظماء آن، به آن حالت محزنه[۳] افتاد و حتی آن فرقه‌های عسکری[۴] که در این محاربهٔ اخیر خیانت کرده، باعث خرابی و تباهی گردیدند، همان‌ها بودند که بطریق نیچری قدم می‌زدند و خود را اصحاب افکار جدیده می‌شمردند، یعنی بسبب تعلیم نیچری چنان گمان می‌کردند که انسان چون سائر حیوانات است و این اخلاق و سجایایی که از برای خود فضیلت می‌داند، همه خلاف ناتور و از فضول عقل است. و باید هر شخص آنقدر که بتواند، و به هر راهی که او را ممکن شود، لذات

---

۱. ثورهٔ مشهورهٔ فرانسویه: انقلاب کبیر فرانسه که به‌سال ۱۷۸۹ میلادی واقع شد.

۲. ناپلئون بناپارت = Napoleon 1 (۱۷۶۹-۱۸۲۱م).

۳. حالت محزنه: حالت دردانگیز؛ وضع غم‌انگیز.

۴. فرقه‌های عسکری: گروههای لشکری.

و شهوات حیوانیه را از برای خود استحصال کند، و به خرافات قیودات و به واهیات جعلیات انسانهای بی‌عقل، خویشتن را از ملاذ محروم نسازد.

و چون انسان فانی می‌شود چه شرف و چه حیا؟ و امانت و صداقت کدام است؟ و لهذا با رتب جلیله[1] سفلگی را قبول کرده، بقیمت زهیده، خانه شرف چندین سالهٔ عثمانیان را برباد دادند.

* * *

سوسیالیست و کومونیست و نیهلیست یعنی اجتماعیین و اشتراکیین و عدمیین.[2]

هر سه طایفه ره‌سپر این طریقه می‌باشند و خود را به اسم محب‌الفقراء و الضعفاء والمساکین[3] ظاهر ساخته‌اند، و هریک از این طوائف ثلاثه اگرچه صورةً مطلب خود را به‌نوعی تقریر می‌کنند ولیکن غایت و نهایت مقصود آن‌ها این است که: جمیع امتیازات انسانیه را برداشته چون مزدک همه را در همه شریک سازند.

و بجهت اجراء این مقصد فاسد چه بسیار خون‌ریزیها کردند، چه فسادها و فتنه‌ها برپا نمودند و چقدر عمارات و قراء[4] را آتش زدند.

و ایشان می‌گویند که: جمیع مشتهیات و ملاذی که در روی این کرهٔ زمین است، همه آن‌ها از فیوضات ناتور یعنی طبیعت است، پس نشاید که شخصی را اختصاصی بوده باشد به یکی از آن ملاذ، بدون مشارکین او در انسانیت. بلکه باید جمیع ملاذ و مشتهیات حق مشاع بوده باشد درمیانهٔ همگی افراد انسان‌ها.

و می‌گویند: بزرگترین سد و محکمترین مانع از برای نشر شریعت مقدسه نیچر یعنی اباحت و اشتراک، دیانت‌ها و سلطنت‌ها می‌باشد. پس لازم است که این‌ها را از اساس برانداخت، و پادشاهان و رؤساء ادیان را نیست و نابود ساخت. و اگر شخصی خود را به لذتی مخصوص ساخته، و خویشتن را به نعمتی و یا مزیتی ممتاز گرداند، و مخالفت شریعت مقدسهٔ ناتور یعنی طبیعت نماید، او را باید بقتل رسانید، تا آنکه

---

۱. رتب جلیله: رتبه‌های بزرگ؛ مقام‌های بلند.

2. Socialitst, Communists, Nihilist

۳. محب‌الفقراء والضعفاء والمساکین: دوستدار درویشان و ناتوانان و مستمندان.

۴. عمارات و قراء: عمارت‌ها و قریه‌ها، ساختمان‌ها و دیه‌ها.

دیگران از حکم آن شریعت مقدسه سر نپیچند و گردن‌کشی نکنند. و این گروه سه‌گانه از برای نشر افکار مفسدانهٔ خود هیچ دسیسه و حیله‌ای نیافتند مگر آنکه انشاء مدارس نموده و یا آنکه در مکاتب سایرین مدرس شده، اندک‌اندک افکار خودرا در اذهان صافیهٔ بچه‌ها جای دهند، و از این جهت بعضی دیگر متفرق گردیده، هریکی در مدرسه‌ای از مدارس بلاد فرنگ معلم گردیده، در اذاعه و اشاعهٔ خیالات باطلهٔ خویشتن کوشیدن گرفت، و بدین‌وسیله احزاب آنها بسیار شدند و در تمامی اقطار ممالک یوروپ منتشر گردیدند خصوصاً در مملکت روسیه. و بلاشبهه اگر این طوائف ثلثه قوت بگیرند، موجب انقراض و اضمحلال نوع انسانی خواهند شد، چنانکه وجه آن پیش گذشت. أجارناالله من شرور اقوالهم و أفعالهم.[1]

مُورمُند آن پسین پیمبر و گزیده وخشور[2] ناتور که اولاً در ممالک انگلیز بود، پس از آن به اراضی امریکا هجرت‌گزین شد. به الهام طبیعت یعنی نیچر چنان مصلحت دید که این نعمت عظمای اباحت و اشتراک را فقط به آنها اعطاکند که به نیچر ایمان دارند. لهذا دو کمپانی تشکیل نموده یکی از مؤمنین و یکی از مؤمنات. و گفت: هر یک از مؤمنین مطلق التصّرف است در هر یک از مؤمنات و از آن است که اگر از یکی از مؤمنات سؤال شود: تو زن کیستی؟ جواب می‌گوید: زن کمپانی. و همچنین اگر از یکی از اولاد آن زن‌ها پرسیده شود که تو بچهٔ چه کسی هستی؟ پاسخ خواهد داد: بچهٔ جمعیت!

و تاکنون لهب[3] شرّ و فساد آن‌هااز چاه‌ویل کمپانی سربرنزده، و خداوندتعالی می‌داند که چه وقت شرارهٔ آن عالم راگرفته خانمان انسان‌ها را سوخته، ویران خواهد ساخت!

و اما آن منکران الوهیت یعنی نیچری‌ها که به لباس تلبیس مهذب و دوستار امت و خیرخواه قوم برآمده‌اند و خود را شریک دزد و رفیق قافله ساخته‌اند، و در نزد اغبیاء و بلیدها[4] عَلَم دانش و کاردانی برافراخته‌اند، و از برای خیانت طرح نو در انداخته‌اند، و به دوسه کلمهٔ مسروقهٔ ناتمام بخود بالیده‌اند، و بروتها[5] را بصدکبر و ناز مالیده‌اند، و خود را با هزار جهل و نادانی هادی و راهبر نامیده‌اند، و با همهٔ اخلاق

---

۱. أجارناالله... خدا ما را در پناه خود گیرد از سرانجام بد سخنان و کارهای آنان.

۲. وخشور: پیغمبر. ۳. لهب، به فتح اول و دوم: شعلهٔ آتش، زبانهٔ آتش.

۴. اغبیاء و بلیدها: کودنان و کم‌خردان. ۵. بروت: سبیل

رذیله و صفات ذمیمه خویشتن را مهذب انگاشته‌اند، و عقل و خردمندی را فقط در غدر و اختلاس و تزویر پنداشته‌اند، بسیار خجالت می‌کشم که آنها را ذکر کنم و بغایت شرمم می‌آید از تحریر روشِ و کنش ایشان.

زیرا که مقاصد آنها بسیار پست است چونکه می‌خواهند از برای شکم خویشتن اساس امت خویش بکنند و رشتهٔ التیام آن را از هم بگسلانند و جولان‌گاه افکارشان بسیار تنگ است، و هنوز قدم از شکنبه (قالب) خود بیرون ننهاده‌اند، و قلم را در آن مجال تنگ، قدرت و یارای حرکت نیست.

اینقدر می‌توانم بگویم که اینها پیاچو یعنی پهلوان پنبهٔ دیگرانند، باقیش را خوانندگان بدانند.[1] و از جمیع آنچه پیش ذکر شد بخوبی هرکس را معلوم گردیده که: این گروه نیچریها یعنی دهریها در هر امتی که پیدا شدند اخلاق آحاد آن امت را بواسطهٔ تعلیمات فاسدهٔ خود به هزار تلبیس و تدلیس[2] فاسد کردند و اساس قصر سعادت ایشان را کندند، و خیانت و دروغگویی و گران‌جانی[3] و شهوت‌پرستی را رواج دادند؛ تا آنکه تدریجاً اسم آن را از لوح وجود محو نمودند، و یا آنکه به ذل فقر و عبودیت مبتلا کردند. معذلک چون بعضی از این گروه مقصد اصلی خود را که اباحت و اشتراک بوده باشد تدلیساً مخفی داشته و در ظاهر به انکار الوهیت و روز بازپرسی اکتفا می‌کنند، لهذا می‌خواهم بیان کنم که این تعلیم به نفسه کافی است از برای فساد هیأت اجتماعیه و تزعزع ارکان مدنیّت، و هیچ سببی مؤثرتر ازین تعلیم در فساد اخلاق یافت نمی‌شود. **و ممکن نیست که شخصی نیچری بوده باشد با وجود این مهذب‌الاخلاق[4] و صاحب امانت و صداقت و مروت و جوان‌مردی باشد!**

پس می‌گویم: هر فردی از افراد انسان را بحسب سرشت و خلقت، شهوت‌ها و خواهش‌هایی است که به ازاء آن مشتهیاتی و ملائماتی در عالم خارج گذاشته شده است، و آن شهوات بذاتها چنان اقتضا می‌کند که انسان حرکت نموده و آن مشتهیات

---

۱. پیاچو یعنی پهلوان پنبهٔ...: آلت دست دیگرانند، و از خود اندیشه و اراده‌ای ندارند، افزار کار استعمارگرانند.

۲. تدلیس: فریبکاری، عوام‌فریبی.

۳. گران‌جانی: پوست کلفتی، سخت‌جانی، ناپسندیدگی در معاشرت.

۴. مهذب‌الاخلاق: پاکیزه‌خوی.

را استحصال نماید، و بدان‌ها معالجهٔ خواهش‌های خویش کند، و سورت[۱] نفس را بشکند؛ چه تحصیل آن‌ها به نهج حق بوده باشد و یا به نهج باطل، و چه بدست آوردن آنها موجب فتنه و فساد و سفک دماء[۲] و غصب حقوق شود، و یا آنکه بدون این مفاسد او را دستیاب گردد.

این مقتضیات قویّه و بواعث فعّاله را از تأثیرات غیرمعتدله بازداشتن، و انسان صاحب آن شهوات مؤثره را بحق خود راضی کردن، و از تعدّیات و اجحافات منع‌نمودن، به یکی از این چهار چیز متصور می‌شود:

یا آنکه هر صاحب حقی شمشیری در دست گرفته، و سپری بردوش انداخته و یک پا در عقب نهاده، شب و روز در صیانت حق خود بکوشد؛ و یا **شرافت نفس** چنانکه ارباب اهواء ادعا می‌کنند؛ و یا **حکومت**؛ و یا **اعتقاد بر این که صانعی است دانا و عمل خیر و شرّ را پس از این حیات جزایی است مبین، یعنی: دین.**[۳]

اما وجه اول، موجب آن می‌شود که از برای صیانت حقوق و دفع تعدیات، سیل‌های خون جاری گردد و تلول و اودیه بدماء افراد انسانیه مخضب[۴] شود و هر قوی ضعیفی را طحن و سحق[۵] نماید.

تا آنکه آخرالامر این نوع منقرض شده، اسم او از لوح وجود محو گردد.

و اما وجه ثانی، پس باید دانست که **شرافت نفس** آن صفتی است که صاحب آن از اعمال ذمیمه و افعال قبیحه در نزد عشیره و قبیلهٔ خود اجتناب خواهد نمود.

و **خسّت نفس** آن است که: دارای آن از دنایای امور پرهیز نمی‌نماید، و از تقبیح و تشنیع متأثر نمی‌گردد. و هرکسی را واضح است که این صفت را یعنی شرف نفس را ماهیت و حقیقت معیّنه در نزد امم نیست که بتوان بدو شهوات را بحدّ اعتدال آورد، و

---

۱. سورت نفس: حملهٔ شکنندهٔ نفس، زورآوری میل‌های حیوانی

۲. سفک دماء: ریختن خونها، خون‌ریزی.

۳. یعنی مجموعهٔ اعتقاد به اینکه: عالم را آفریدگاری است، و عمل خیر و شر را پس از این زندگانی جزایی روشن و آشکار هست، دین نامیده می‌شود.

۴. تلول: تل‌ها، پشته‌های خاکی. اودیه، جمع وادی: گشادگی میان تپه‌ها و کوههای هموار؛ زمین هموار. دماء: خونها. مخضب: خضاب‌شده.

۵. طحن، سحق: ساییدن و فرسودن.

هر شخصی را بحق خود راضی ساخته، پایهٔ انتظام را محکم نمود. آیا ملاحظه نمی‌کنی بسا امور هست که ارتکاب آن‌ها پیش امتی خست و دنائت شمرده می‌شود، همان امور در نزد امتی دیگر، از آثار شرف و کمال‌نفس و از موجبات مدح و ستایش است، و حال آن که فی‌الحقیقه عین جور و ظلم و غدر است.

چنان که نهب و غارت و دزدی و راهزنی و قتل نفس پیش قبایل و اهل جبال و بوادی، غایت کمال و نهایت شرافت نفس است و اما اهل مُدن همه آنها را علامات خست و دنائت می‌دانند، و همچنین حیله‌بازی و مکاری و منافقی در نزد قومی خست، و قومی دیگر این امور را عقل و کاردانی و کمال می‌شمارند. و دیگر آنکه اگر غور کنی در این امر که: هر حادثی را علتی است، و علت غائیهٔ افعال اختیاریهٔ انسانیه، نفس اوست؛ بخوبی خواهی دریافت که طلب اتصاف به شرافت نفس و سعی در استحصال او و خوف از خست و دنائت آن؛ بجهت رغبت و میل انسانست به توسیع طُرق معیشت، و غدر اوست از تنگی مسالک زندگانی.

چونکه می‌داند از اتصاف به شرافت نفس موثوق به خواهد گردید و به امانت و صداقت مشهور شده، اعوان و انصار او بسیار خواهد شد، راهها و اسباب معیشت او فراوان خواهد گردید، به خلاف اتصاف به خست و دنائت نفس که موجب تنفر قلوب و باعث قلت یاران گردیده، ابواب معیشت را مسدود خواهد ساخت.

پس مقدار طلب شرافت نفس و قوت و ضعف و تمکن آن صفت، و درجات و مراتب و تأثیرات آن در کبح[1] ارباب شهوات از تعدیات برحسب معیشت‌های طبقات مردم می‌باشد.

یعنی طبقات ناس آنقدر در تحصیل آن صفت خواهند کوشید که معیشت ایشان را نافع باشد، و از ضرر و گزند محفوظ مانند، بلکه هر طبقه‌ای شرافت نفس را آن صفتی می‌شمارد که بدان صیانت رتبه و معیشت تواند شد. و آنچه زیاده بر این باشد هرگز فقدان او را نقص و دنائت نمی‌انگارد اگرچه در نزد طبقات دیگر نقص و خست شمرده شود، و در استحصال آن سعی بکار نمی‌برد. نظر کن در غالب سلاطین و امراء

---

۱. کبح: منع کردن، باز داشتن.

چگونه با اعتقاد به شرافت نفس از عهدشکنی پروا نمی‌کنند؟ خصوصاً با آنانکه از خود در جلالت و عظمت پست‌ترند. و از جور و ظلم و سایر افعال ذمیمه اجتناب نمی‌نمایند، و هیچیک از این امور را خست و دنائت نمی‌شمارند.

و حال آنکه اگر یکی از اینها از آحاد رعیت سرمی‌زد، خسیس و دنّی‌النفس شمرده شده بدین‌جهت در امر معیشت او خلل حاصل می‌شد؛ حتی سایر طبقات هم این امور را در حق سلاطین و امراء خود از خست و دنائت نمی‌دانند بلکه به محامل [1] دیگر حمل می‌کنند.

و همچنین است حال جمیع طبقات عالیه با طبقات سافله، طبقةً بعد طبقةٍ.

و سبب این امر، آن است که طبقات عالیه خود را از ضرر آن افعال شنیعه مصون و محفوظ می‌دانند. پس اگر مدار انتظام عالم همین شرافت نفس بوده باشد، هر طبقهٔ عالیه دست تعدی به طبقهٔ سافله گشوده درهای شر و فساد به‌روی این بیچاره انسان، باز خواهد گردید.

علاوه بر این، چون غرض از اتصاف بدین‌صفت توسیع طرق معیشت، و تحذر از تنگی مسالک زندگانی است، چنانکه معلوم شد؛ پس هرگز این خصلت مانع نمی‌شود انسان را از تعدّیات باطنیّه و خیانتهای مخفیّه و رشوت‌خواریها در زوایای محاکم، زیرا آنکه انسان طالب سعهٔ عیش خود می‌داند که بدین خیانت محضه به مقصد اصلی خود خواهد رسید بدون آنکه مشهور به‌دنائت گردد. چنانکه می‌بینی داعیان شرف نفس چگونه اعمالی در زوایای محاکم از آنها به‌ظهور می‌رسد.

پس نشاید کسی را که شرف نفس را میزان عدل قرار داده، گمان کند که می‌توان بدین صفت هرکس را بحق خود راضی کرده منع جمیع تعدیات و اجحافات ظاهریه و باطنیه را نماید.

و اگر کسی بگوید: یکی از اسباب طلب شرافت نفس حب مَحمِدت [2] است، پس می‌شود که هر شخصی بجهت استحصال محمدت، خود را به‌اعلی درجهٔ شرافت نفس متصف ساخته، خویشتن را از جمیع رذائل و تعدیات و اجحافات دور نماید.

---

۱. محامل: محمل‌ها   ۲. محمدت، بر وزن مکرمت: ستودن؛ ستایش‌کردن

جواب می‌گویم:

اولاً کمتر شخصی یافت می‌شود که مدح و ثنا را بر لذائذ و شهوات بدّنیه تقدیم نماید؛ و اگر به طبقات مردم نظر شود این بخوبی ظاهر و هویدا خواهد شد.

و ثانیاً چونکه موجب اول از برای مدح و ثناء این انسانهای حیوانْ‌منش و باعث نخستین به‌جهت ستایش این مورخین مزورین و شعراء کاذبین، غناء[1] و ثروت و جاه و جلال و شوکت است، اگر چه استحصال اینها از طرق غیرلایقه شده باشد، و در اکتساب این چیزها هزارها تعدیات و اجحافات سرزده باشد، لهذا غالب نفوس در این امر سعی خواهند کرد که خود را اصحاب غناء و ثروت و خداوندان جاه و جلال نمایند، اگرچه بطریق غدر و ظلم و خیانت بوده باشد؛ تا آنکه هم لذائذ بدنیه را بدست آرند و هم ممدوح این مدلّسین[2] گردند و کمتر شخصی یافت می‌شود که طالب مخمدت حقه بوده، از راه حق و فضیلت و شرافت نفس ثنا و ستایش حق را اکتساب کند.

و از آنچه گفته شد ظاهر گردید که خصلت شرافت نفس به هیچوجه از برای تعدیل شهوات و منع تعدیات و انتظام عالم کافی نیست.

ولی اگر مستند به دینی بوذه، و در آن دین ماهیت آن متقرر و متعین گردیده باشد، بجهت آن منشأ و بنا، موجب انتظام سلسله معاملات خواهد شد. چنانکه در بیان حیاء بدین اشاره رفت.

و اما وجه ثالث، مخفی نماند که قدرت حکومت مقصور است بر دفع ظلمها و جورهای ظاهری. اما اختلاسات و تزویرها و فسادها و تعدیات باطنیه خداوندان شهوات را چگونه منع تواند کرد و به‌کدام طور به‌حیله‌ها و دسیسه‌ها و ستمهای پنهانی مطلع می‌شوند تا به رفع آنها بکوشند: علاوه بر این حاکم و أعوان او همه اصحاب شهوتند!

و کدام چیز آن دارایان قدرت را از مقتضیات شهوات فعاله منع خواهد نمود، و رعیتهای ضعیف بیچاره را چگونه از دست شره و حرص و آز آنها خلاصی خواهد

---

۱. غناء: بی‌نیازی، توانگری.

۲. مدلسین: عوام‌فریبان؛ سیاهکاران.

بخشید، چون هیچ رادع و زاجری آنها را نباشد؟ البته آن حاکم خفیةً رئیس سُراق و جهراً رأس قطاع‌الطریق گشته[1] اتباع و اعوان او همه آلات ظلم و جور و غدر و أدوات شر و فساد و افزارهای اختلاس آن خواهند بود، و در ابطال حقوق بندگان خدا و هتک أعراض و نهب أموال[2] آنها خواهند کوشید. و عطش شهوات خود را از خون بیچارگان تسکین خواهند داد و قصرهای خویش را به دماء بینوایان منقش و مزین خواهند ساخت. و بالجمله، در هلاک عباد و دمار [آنها] کوششها و سعیها بکار خواهند برد. پس سبب دیگری از برای کف ارباب شهوات[3] از تعدیات و اجحافات باقی نماند مگر وجه رابع، **یعنی ایمان بر اینکه عالم را صانعی است دانا و توانا، و اعتقاد بدین‌که از برای عمل خیر و شر، پس از این حیات جزایی است معین.**

والحق این دو اعتقاد معاً[4] پایدارترین اساسی است از برای کبح شهوات و رفع تعدّیات ظاهرّیه و باطنیّه، و محکم‌ترین رکنی است بجهت برانداختن حیله‌ها و تزویرها و تدلیسها، و نیکوترین باعثی است برای احقاق حقوق.

و اوست سبب امنیت و رفاهیت تامه، و بدون این دو عقیده، هرگز هیأت اجتماعیه صورت وقوع نپذیرد و مدنیّت لباس هستی نپوشد، و پایه معاملات استوار نگردد و مصاحبات و معاشرات بی‌غل و غش نشود. و اگر کسی را این دو اعتقاد نباشد بهیچوجه او را داعثی بسوی فضایل و زاجری از رذایل نخواهد بود.

و هیچ چیز او را از خیانت و دروغگویی و منافقی و مزوّری منع نخواهد نمود بجهت آنکه علت غائیهٔ جمیع ملکات مکتسبه و افعال اختیاریه چنانکه گفته شد نفس انسان است؛ و چون کسی را اعتقاد به ثواب و عقاب نباشد، کدام چیز دیگر او را از این صفات ذمیمه منع نموده به اخلاق حسنه دعوت خواهد نمود؟

و خصوصاً در وقتیکه معلوم شود انسان راکه نه از اتصاف بدانها ضرری در دنیا بر او مترتب خواهد شد و نه از تخلق بدینها او را فایده خواهد رسید، و کدام امر او را بر

---

۱. خفیةً رئیس سراق و جهراً رأس قطاع الطریق: در نهان سرپرست دزدان، و در ظاهر سردستهٔ راهزنان...
۲. هتک اعراض و نهب اموال: دریدن آبرو و غارت‌کردن خواسته‌ها.
۳. کف ارباب شهوات: بازداشتن شهوت‌پرستان و جاه‌طلبان.
۴. معاً: باهم. الحق دو اعتقاد معاً یعنی: براستی اعتقاد به دو اصل: آفریدگاری خدا و وجود روز جزا...

معاونت و مناصرت[۱] و مرحمت و مروت و جوانمردی و دیگر اموری که هیأت اجتماعیه را از آنها گزیری نیست، الزام خواهد کرد.

و خواننده را معلوم گردید که اول تعلیمات طبیعیین یعنی نیچریها، رفع این دو اعتقاد است که اساس همهٔ دینهاست، و آخر تعلیمات ایشان اباحت و اشتراک است. پس این قومند که بربادده‌ندهٔ هیأت اجتماعیه‌اند و تباه کنندهٔ مذهب و مفسدان اخلاقند و خراب‌کنندهٔ ارکان علوم و معارفند؛ نمایندهٔ هلاک اممند و زائل‌کنندهٔ نخوت و غیرت و ناموسند، و جراثیم لؤم و خیانتند و ارومه‌های رذالت و دنائتند و اساس‌های خست و نذالت‌اند و اعلام کذب و دروغند و دعات حیوانیتند: محبت آنها کید است و مصاحبت ایشان مکر است و ملائمتشان[۲] غدر؛ و مجالستشان حیله است، صداقتشان فریب است و دعوی انسانیتشان دام است، بر معارف و علوم خواندنشان شست[۳] و قلاب است: امانت را خیانت کنند، و سرّ را حفظ نکنند، و دوست عزیز خود را به یک پول سیاه بفروشند، بنده‌های شکمند و عبید شهوتند، و از برای قضای شهوات خویش از ارتکاب هیچ‌گونه عمل خسیس و دنی استنکاف نمی‌کنند، ناموس و عار و ننگ را بهیچوجه نمی‌شناسند، و از شرف نفس خبر ندارند. پسران در این طایفه از پدران دراماں نیستند و دختران از هیچکدام؛ بلی حرکت طبیعت طبیعی را چه تواند کرد؟!

و اگر شخص به‌لین ملمس[۴] چون مار اینها، بازی خورد و به‌خط و خال چون افعی ایشان مغرور گردد و زخرف قول اینها او را پسند افتد[۵] و حیله‌های ایشان در دل او جای گیرد و چنان گمان کند که این قوم موجب تمدنند و باعث انتظام بلادند و یا سبب نشر علوم و معارفند، و یا آنکه خیال کند که ایشان در تنگی معین و یارند و در وقت ضرورت حافظ اسرارند، باید بر عقل او گریست و خندید، زیرا آنکه هم جای خنده دارد و هم جای گریه.

---

۱. مناصرت: بهم‌یاری کردن
۲. ملائمت و ملایمت: نرمی نشان‌دادن، مهربانی‌نمودن.
۳. شست: قلاب ماهیگیری.
۴. لین ملمس: نرمی پوست، رفتار دلپذیر و مردم‌پسند.
۵. زخرف قول: آراستگی و زیبایی سخن. این تعبیر را سید از آیهٔ ۱۱۲ سورهٔ ۶ قرآن گرفته است که گوید: «وکذلک جعلنا لکل نبی عدواً من شیاطین الانس والجن، یوحی بعضهم الی بعض زخرف القول غروراً. ولوشاء ربک مافعلوه فذرهم و مایفترون.»

پس از همهٔ آنچه بیان کردیم به نهج اوضح [1] ظاهر شد که دین اگر چه باطل و اخس ادیان بوده باشد، بجهت آن دو رکن رکین یعنی اعتقاد به صانع، و ایمان به ثواب و عقاب و بسبب سایر اصول ستهٔ که ودایع دینها و کیش‌هاست، از طریقهٔ مادیین یعنی نیچریها بهتر است. در عالم مدنیت و هیأت اجتماعیه و انتظام امور معاملات در جمیع اجتماعات انسانیه و در همهٔ ترقیات بشریه درین دار دنیا.

و چون نظام عالم بر نهج حکمت گذاشته شده است و نظام عالم انسانی جزء نظام کل است، هروقت این خلل‌اندازان هیأت اجتماعیه یعنی نیچریها ظهور نمودند، نفوس انسانیه به قلع و قمع آنها همت گماشته، و خداوندان نظام حقیقی مدنیت که [اهل] دین بوده باشند، در ازالهٔ ایشان سعی‌های بلیغ بکار بردند.

و مزاج انسان کبیر بنابر شعور خداداد خود که اثر حکمت کلیه است، اینها را قبول نکرده چون فضلات [2] دفع کرده است. ولهذا این طایفه اگرچه از دیرزمان بدین عالم پا نهاده‌اند و بعضی از نفوس خائنه ارباب شوکت هم بجهت مقاصد دنیئه [3] خود ایشان را در هر وقتی تأیید نموده‌اند، ولکن پایداری و ثبات حاصل نکرده‌اند و چون ابرهای تابستان در هر زمان که ظهور نموده‌اند بزودی متفرق و نابود شده‌اند، و نظام حقیقی عالم انسانی یعنی دین متمکن و مستقرشده؛ این مایهٔ بی‌انتظامی‌ها زائل و معدوم گردیده است.

و چون معلوم شد که دین، مطلقاً مایهٔ نیک‌بختیهای انسان است پس اگر براساسهای محکم و پایه‌های متقن گذاشته شده باشد البته آن دین به نهج اتم سبب سعادت تامه و رفاهیت کامله خواهد گردید، و بطریق أولی موجب ترقیات صوریه و معنویه شده و علم مدنیت را درمیان پیروان خود خواهد برافراخت، بلکه متدینین را به تمامی کمالات عقلیه و نفسیه فائز و ایشان را به نیک‌بختی دو جهان خواهد رسانید. **و اگر غور نماییم در ادیان هیچ دینی را نخواهیم دید که براساس محکم متقن نهاده شده باشد مانند دین اسلام.**

---

۱. به نهج اوضح: به روشی واضح‌تر، بطریقی هرچه روشن‌تر.

۲. فضلات: بازمانده‌های هر چیزی، سرگین‌ها، پلیدها.

۳. مقاصد دنیه: خواست‌های پست؛ هدف‌های ناپسندیده.

زیرا آنکه عروج امم بر مدارج کمالات[۱] و صعود شعوب بر معارج معارف و ارتقاء قبائل بر مراقی فضایل،[۲] و اطلاع طوایف انسانها بر دقایق حقایق و استحصال آنها سعادت تامهٔ حقیقیه را در دار دنیا و آخرت موقوف است بر اموری چند:

اول آنکه، باید لوح عقول امم و قبائل از کدورات خرافات و زنگهای عقاید باطلهٔ و همیّه پاک بوده باشد، زیرا آنکه[۳] عقیدهٔ خرافیه حجابی است کثیف[۴] که علی‌الدوام حایل می‌شود درمیانهٔ صاحب آن عقیده و میانهٔ حقیقت و واقع، و او را باز می‌دارد از کشف نفس‌الامر؛ بلکه چون یک خرافی[۵] را قبول کرد، عقل او را وقوف حاصل شد و از حرکت فکریه سرباز زد. پس از آن حمل مثل بر مثل کرده، جمیع خرافات و اوهام را قبول خواهد نمود. و این موجب آن می‌شود که از کمالات حقه دور افتد و حقایق اکوان[۶] بر او پوشیده ماند؛ بلکه سبب خواهد شد که جمیع عمر خود را به اوهام و وحشت و دهشت و خوف و بیم بگذراند، و از حرکت طیور و جنبش بهایم در لرزه افتد، و از هبوب ریاح[۷] و آواز رعد و درخشیدن برق مضطرب گردد، و بواسطه تطیّرات و تشاؤمات از غالب اسباب سعادت خود بازماند، و به هر حیله‌باز و مکار و دجالی[۸] گردن‌نهد و کدام‌شقاء و بدبختی و سوءعیش ازاین‌گونه‌زندگی‌بدترخواهد بود؟

و اول رکن دین اسلام این است که: عقول را بصیقل توحید و تنزیه از زنگ خرافات و کدر[۹] اوهام و آلایش و همیات پاک سازد و نخستین تعلیم او این است که

---

۱. معارج: نردبانهای کمالات، پله‌های پختگی و رسیدگی اندیشه.
۲. مراقی. جمع: مرقی: برشدن گاه‌ها؛ نردبانها. ۳. زیرا آنکه: برای آنکه، زیراکه.
۴. کثیف: متراکم، انبوه، غلیظ.
۵. خرافی، به فتح اول و ضمهٔ آن: افسانه‌وار، بی‌ریشه و اصل.
۶. اکوان: هستی‌ها، و اینجا بمعنی اسم مفعول است یعنی: مکونات یا موجودات. مانند کتاب بمعنی مکتوب...
۷. هبوب ریاح: وزش بادها.
۸. دجال: بسیار دروغگو؛ فریبکار. و در روایت‌های مذهبی مردی دروغزن که در آخرالزمان ظهور کند و مردمان را بفریبد.
۹. کدر: تاریکی، تیرگی.

انسان را نشاید که انسان دیگر و یا یکی از جمادات علویه و سفلیه را خالق و متصرف و قاهر و معطی[1] و مانع و معزّ و مذل و شافی و مهلک بداند، و یا که اعتقاد کند که مبدأ اول به لباس بشری برای اصلاح یا افساد ظهور نموده یا خواهد نمود و یا آنکه آن ذات منزّه بجهت بعضی از مصالح در کسوت انسانیت چه بسیار آلام و اسقام را متحمل گردیده است[2] و غیر از اینها از آن خرافاتی که هریک بانفراده[3] برای کوری عقل کافیست و غالب ادیان موجوده از این اوهام و خرافات خالی نیست. اینک دیانت نصرانیه و دیانت برهما و دیانت زردشت.

دوم آنکه، نفوس آنها باید متصف بوده باشد به نهایت شرافت یعنی هر واحدی از امم خود را بغیر از رتبه نبوت، که رشته‌ای است الهیه، سزاوار و لایق جمیع پایه‌های افراد انسانیه بداند و در خود نقص و انحطاط و عدم قابلیتی تصور نکند، و چون نفوس خلق بدین صفت متصف باشد هریکی با دیگری در میدان واسع فضائل مسابقت نموده در استحصال کمالات درصدد مجارات و مبارات خواهد برآمد.

و در نیل [به] عز و شرف و اقتنای[4] رتب عالیهٔ دنیویه کوتاهی نخواهد ورزید.

و اگر بعضی از نفوس را چنان اعتقاد شود که آنها خلقةً و فطرةً از دیگران در شرافت کمترند و رتبهٔ ایشان از نفوس سایرین پست‌تر است، البته در همت آنها نقص، و در حرکت ایشان فتور، و در ادراکشان ضعف حاصل خواهد شد. و از بسیاری از کمالات و رتب عالیه و سعادات دنیویه محروم مانده و در دایرهٔ صغیره‌ای جولان خواهند نمود.

دین اسلام درهای شرافت را به روی نفوس گشوده، حق هر نفسی را در

---

۱. معطی: اقدام‌کننده و انجام‌دهندهٔ کار. برخی از شاعران و ادیبان بمعنی عِطادهنده و بخشنده گرفته‌اند، در حالی که در زبان عربی به این معنی نیامده است. چنانکه شاعر گفته است:

معطی نشود مردم ممسک به تعاطی　　　احور نشود دیدهٔ ازرق به تکحل.

۲. اشاره است به عقیدهٔ برخی از فرقه‌های مسیحی که گویند: خدا برای تسکین دردها و رنج‌های بشر بصورت مسیح مجسم شد.

۳. بانفراده: به تنهایی خویش، به تنهایی.

۴. اقتنای رتب: بدست‌کردن و داراشدن رتبه‌ها و مقامات.

هـر فـضیلت و کـمالی اثـبات مـی‌کند، و امـتیاز شـرافت جـنسیت و صـنفیت را از مـیانه بـرمی‌دارد، و مـزیت افـراد انسـانیه را فـقط بـر کـمال عـقلی و نـفسی قـرار می‌دهد.

و کم، دینی یافت می‌شود که این مزیت در او بوده باشد. ملاحظه کن که چگونه دین برهما انسان را بر چهار قسم کرده یکی: برهمن و دیگری: **چهتری** و **سیمی ویش** و چهارمی **شودرو**[1] و اول درجه شرافت را فطرةً از برای **برهمن** قرار داده است؛ پس از آن از برای **چهتری**...، و قسم چهارم را در جمیع مزایای انسانیت از همه پست‌تر شمرده است.

و این یکی از اعظم اسباب شمرده می‌شود از برای عدم ترقی متدینین بدین [برهما] در علوم و معارف و صنایع چنانکه شاید و باید، و حال آنکه اقدم امم می‌باشند.[2] و دیانت عیسویه برحسب **انجیل** شرافت را از برای جنس بنی‌اسرائیل اثبات کرده، غیر آن جنس را به اسامی حقیره ذکر می‌کند و پیروان آن دین اگرچه از این حکم سرباز زده امتیاز جنسیت را برداشتند[3] ولکن صنف قسیسها[4] را آنقدر شرافت دادند که نیز موجب خست سایر نفوس گردید، زیرا آنکه قبول ایمان و غفران ذنوب را در تحت قدرت آنها قرار دادند و گفتند نفوس دیگران را اگرچه به اعلی درجهٔ کمال رسیده باشد آن قدرت نیست که عرض ذنوب خود را به درگاه الهی کرده طلب مغفرت نماید بلکه باید این امر بواسطهٔ قسیسها صورت پذیرد، و همچنین گفتند قبول ایمان در نزد خداوند تعالی موقوف بر قبول قسیس است و این حکم جنت بخش نفوس را از انجیل اخذ نمودند، چونکه در آن نوشته شده است «هرچه شما در زمین بگشایید در آسمانها گشاده می‌شود، و هرچه شما در زمین ببندید در آسمانها بسته می‌شود» و تا زمانیکه این عقیدهٔ خسّت‌بخش نفوس در امت نصرانیهٔ بلاد فـرنگ مـتمکن و پـایدار بـود،

---

۱. دربارهٔ این تقسیمات، نظرات دیگری هم گفته شده که جای بحث آن اینجایگاه نیست.

۲. أقدم أمم: کهن‌ترین ملت‌ها، دیرین‌ترین کشورها. هندیان اقدم امت‌ها نبوده‌اند.

۳. چنانکه ملاحظه می‌فرمایید این بیانات نیز از مسامحه و نقص برکنار نیست.

۴. قسیس، بکسرق: کشیش، دانشمند و روحانی مسیحی.

هیچگونه ترقیات از برای آن امت حاصل نشده بود. **لوتر[۱]، رئیس پرتستان که این حکم را برخلاف انجیل رفع نموده است به مسلمانان اقتدا کرده است.**

سیم آنکه، باید آحاد هر امتی از امم، عقاید خود را که اول نقشه الواح عقول است بر براهین متقنه و أدله محکمه مؤسس سازند و از اتّباع ظنون[۲] در عقاید دوری گزینند، و به مجرد تقلید آباء و اجداد خویشتن قانع نشوند؛ زیرا آنکه اگر انسان بلاحجت و دلیل به اموری اعتقاد کند، و اتبّاع ظنون را پیشه خود سازد، و به تقلید و پیروی آباء خود خرسند شود، عقل او لامحاله از حرکات فکریه بازایستد و اندک‌اندک بلادت و غباوت[۳] برو غلبه نماید تا آنکه خرد او بالمرّه عاطل و از ادراک خیر و شر خود عاجز ماند، و شقاء و بدبختی از هر طرف او را فروگیرد. تعجب منما گیزو وزیر فرنسا که تاریخ سیویلیزاسیون[۴] یعنی مدنیت امم افرنجیه را نوشته است می‌گوید: یکی از اعظم اسباب تمدن یوروپ این بود که طایفه‌ای ظهور کرده گفتند: **«اگرچه دیانت ما دیانت عیسویه است، ولی ما را می‌رسد که براهین اصول عقاید خود را جویا شویم.»**

و جماعت قسیسها اجازت نمی‌دادند و می‌گفتند که: بنای دین بر تقلید است؛ و چون آن طایفه قوت گرفته افکار ایشان منتشر گردید، عقول از حالت بلادت و غباوت درآمده در حرکت و جولان آمد و در استحصال اسباب مدنیت کوشیدن گرفت.

* * *

دین اسلام آن یگانه دینی است که ذمّ اعتقاد بلادلیل و اتبّاع ظنون را می‌کند و سرزنش پیروی از روی کوری را می‌نماید، و مطالبهٔ برهان را در امور به متدینین نشان می‌دهد، و در هرجا خطاب به عقل می‌کند و جمیع سعادات را نتایج خرد و بینش می‌شمارد، و ضلالت را به بی‌عقلی و عدم بصیرت نسبت می‌دهد، و از برای هریک از

---

۱. لوتر، Martin Luther (۱۵۴۶-۱۴۷۳م) از رهبران برجستهٔ اصلاح‌مذهب ترسایی و بنیادگذار مذهب پروتستان. او با گناه بخشی کشیشان و ازدواج نکردن پدران روحانی مخالفت کرد. وی برخلاف میل کلیسای کاتولیک کتاب مقدس را به آلمانی ترجمه کرد. و به‌نظر آگاهان ترجمهٔ آلمانی او از روح ادبی و شاعرانه برخوردار است. اهمیت اصلاحات وی بحدی است که حتی دهریان نیز، کم و بیش، او را ستوده‌اند.

۲. اتباع ظنون: گمان‌پرستی، پیروی گمانها.

۳. بلادت و غباوت: کندفهمی و کودنی.

4. Civilization, Civilisation

اصول عقاید به نهجی که عموم را سودمند افتد (به قرآن شریف رجوع شود)[۱] اقامه حجت می‌نماید. بلکه غالب احکام را با حکم و فواید آن ذکر می‌کند.

و هیچ دینی نیست که این فِضیلت در او بوده باشد، و چنان گمان می‌کنم که غیرمسلمین نیز بدین مزیت اعتراف خواهند کرد. و مخفی نماند که اصل دیانت عیسویه که عبارت از **تثلیث** بوده باشد، جمیع نصاری بر این معترفند که به عقل فهمیدن آن ممکن نیست؛ یعنی باید از عقل درگذشت تا آنرا فهمید. و اما اصول دیانت برهما، هرکس را ظاهر است که غالب آنها مخالف عقل صریح است، چه اصحاب آن دین بر این امر اعتراف کنند و چه نکنند.

چهارم آنکه، باید در هر امتی از امم جماعتی علی‌الدوام به تعلیم سایرین مشغول بوده باشند و در تحلیه عقول آنها به معارف حقه کوتاهی نورزند، و در تعلیم طرق سعادت تقصیر ننمایند، و گروهی دیگر همیشه در تقویم و تعدیل نفوس بکوشند، و اوصاف فاضله را بیان و فوائد آنها را شرح، و اخلاق رذیله را توضیح و مساوی و مضّار آنها را تبیین کنند، و از امر به معروف و نهی از منکر غافل نشوند، زیرا آنکه بالبداهه، جمیع معلومات انسان مکتسب است؛ و اگر او را معلمی نباشد از عقل خود بهره و فایده‌ای نخواهد گرفت، و چون حیوانات در این عالم زیست خواهد نمود، و از سعادت‌دارین محروم مانده از این دنیا خواهد رفت. پس معلم واجب شد و شهوات و خواهش‌های نفس را حدی و اندازه‌ای نیست و اگر معدل و مقومی آن شهوات را نباشد لامحاله مستلزم تعدیات و اجحافات خواهد گردید، و این خواهشها سلب راحت و امنیت دیگران را خواهد نمود، بلکه خود را هم در آتش شهوات خویشتن سوخته درنهایت شقاء به‌دارالشقاء، خواهد رفت. و در سایر ادیان آنقدر راهنمایی در این دو امر نشده است، و چون ارکان دیانت اسلامیه بسیار است و بیان فایدهٔ هریکی در مدنیت و شرح بودن هر واحدی از آنها سبب سعادت تامه، موجب آن می‌شود که

---

۱. در قرآن مجید آیات بسیاری در ضرورت تفکّر، تعقّل، عدم‌پذیرش روش باطل پیشینیان، استناد به دلیل و برهان و... آمده است و سید برای دوری از تفصیل، اهل خرد را به مطالعه قران دعوت می‌کند.

از موضوع کلام خارج شوم، بر خود واجب دانستم که رساله‌ای به انفرادها در این امر وضع نمایم و در آن بیان کنم که آن **مدینهٔ فاضله** که حکماء به آرزوی آن جان سپردند، هرگز انسان را دستیاب نخواهد شد مگر به **دیانت اسلامیه**.

اگر کسی بگوید چون دیانت اسلامیه چنین است، پس چرا مسلمان بدین حالت محزنه می‌باشند؟

جواب می‌گویم: چون مسلمان بودند، بودند چنانکه بودند، و عالم هم به فضل آنها شهادت می‌دهد؛ و اما الان، پس بدین قول شریف اکتفا خواهم کرد که:

ان‌الله لایغیر مابقوم حتی یغیّروا ما بانفسهم.[1]

اینست مجمل آنچه می‌خواستم بیان کنم در مضار و مفاسد طریقهٔ نیچریه در مدنیت و هیأت اجتماعیه، و منافع دین اسلام.

تمت. **راقم: جمال‌الدین حسینی**

۱. قرآن، سورهٔ ۱۳، آیهٔ ۱۱: خداوند وضع هیچ قومی را دگرگون نسازد، مگر آنکه خود، وضع خود را تغییر دهند.





رسالۀ

اکهوریان!

یا

رفتار و اخلاق نیچریان!



شرح حال اکهوریان
باشوکت و شأن!

الحماقة اعیت الأساة — الوقاحة لاتقبل المداواة
اللّئامة لن تزول الی المماة — فدع الاوعاد ولاترجولهم النجاة[1]

*

عجیب‌ترین امور و غریب‌ترین همه چیزها این است که جاهلی خود را دانا شمارد و کوری خود را بینا انگارد و خبیث‌النفسی خویش را مطهر و مقدس پندارد.

این «اکمهان»[2] را اگر گوش شنوا بودی، می‌شد که به‌قوت بیان و به فصاحت لسان و به عبارات واضحه و به تقریرات صریحه و به ضروب امثال و به حکایات گذشته و حال و به انواع کنایات و به اصناف اشارات، حقیقت روش و ماهیت کنش ایشان را برایشان فهمانید و از فساد طویّت[3] و تباهی نیّت آنان را خبردار کرد.

بلکه می‌شد ایشان را بر این داشت که اقرار کنند که جمیع حرکات و سکنات و همهٔ افکار و نیات ایشان ناستوده است و همهٔ افعال و اعمال آنان، موجب خرابی و تباهی است. و این کوران مادرزاد را، اگر چشم بودی ممکن بود که نقاشان بینا و رسامان دانا و پیکرتراشان توانا، به دستیاری صناعت و به نیروی فطانت قبح سیرت و شناعت سریرت و زشتی خصال و ناراستی خیال و جهالت و ضلالت و حماقت و دنائت ایشان را به‌صورتی مصوّر نموده و به هیکلی مجسم گردانیده بر ایشان نشان بدهند تا آنکه بر

---

۱. حماقت چاره‌جویان را ناتوان می‌کند و وقاحت و بیشرمی علاج‌پذیر نیست ـ بخل تا بهنگام مرگ زوال نمی‌یابد پس این احمقان فرومایه را رهاکن و امید و نجات برای ایشان مدار.

۲. کوران مادرزاد

۳. قصد و اندیشه

حال و مآل خود واقف گردند، ولی بسیار افسوس، بسیار افسوس! که نه این کران مادرزاد را گوش است و نه این کوران مادرزاد را چشم، اگر این کوران و این کران را حاسه لمس می‌شد، البته حوادث و آفات دهر و مصائب و بلیات روزگار و دشواریها و شکنجهای زمانه ایشان را بر غباوت و بی‌عقلی و خباثت و بی‌ادراکی و شرارت و کج‌اندیشی خودشان آگاه می‌گردانید، لکن صداسف که این کوران و این کران چون عضو مشلول [1] قوّت لامسه هم ندارند.

جای عجب اینجاست که با وجود آنکه ایشان بدین حالتند هریکی خود را سقراط یونانی و کنفسیوس [2] چینی و شامیلیون [3] امریکائی و میرابوی [4] فرنساوی و گاری بالدی [5] ایطالیائی می‌شمارد!! ـ بلکه ایشان را ناقص و خیالاتشان را پست و کارهاشان را حقیر و خرد دانسته خویش را تفضیل می‌دهد!! ـ و اظهار تأسف می‌نماید که قوم او حقیقت و کنه ماهیت او را نفهمیده تعظیم و توقیر لائق بجا نمی‌آورد؟ این است بیماری حماقتی که جمیع اطبا از مداوای آن عاجز شده‌اند!. یارب چه شده که این افیالتسها [6] خود را تمستوکلیس [7] و ارستید [8] می‌دانند؟ و این روباه خصلتان خود را از انیبال [9] افریقی شجاع‌تر گمان می‌کنند؟ چه روی داده است که این هبنقّه‌ها [10] دعوی ایاسی [11] می‌نمایند و

---

۱. شَل‌شده و فلج.

۲. حکیم چینی که شرع و آئین چینیان را مدون کرده. معاصر فیثاغورث یونانی و کوتم هندی بوده یعنی زائد بر پانصدسال پیش از حضرت مسیح (ع).

۳. یکی از مشاهیر سیاسیون امریکا.

۴. یکی از مشاهیر خطبای فرانسه در زمان انقلاب است.

۵. سپهسالار معروف ایطالیا

۶. نام خائن وطنی است از یونان که گزرس را در جنگ ژموبولی رهنمائی و اسباب شکست هموطنان خود را فراهم کرد.

۷. سپهسالار و محب وطنخواه معروف که معاصر ارستید بود.

۸. سیاسی معروف یونان

۹. سردار معروف کارتاژ.

۱۰. لقب ذی‌الودعات یزیدبن شروان است که مردی بود بسیار احمق و نادان و وجه مشهورشدن به اسم ذوالودعات آن است که با وجود درازی ریش قلاده از ودع یعنی خرمهره و استخوانها و خزف‌ریزها در گردن خود انداخته راه می‌رفت! پرسیدند که این چه حالت است؟ گفت تا گم نشوم! شبی آن قلاده را برادرش دزدیده در گردن خود انداخت، چون صبح شد هبنقّه حیران شده اینطور خطاب کرد: برادر تو من هستی؟ پس من کیستم! از همانروز حمق او ضرب‌المثل گردید.

۱۱. ایاس‌ابن ربیعه که در ذکاوت و طهارت نفس مشهور و معروف بود.

این گنگها خود را تیموس تنیس [۱] و سیسترن [۲] می‌انگارند؟؟ و این مادرها [۳] با معن [۴] سر همسری دارند و این خیانت‌کاران طعنه بر سموئل [۵] می‌زنند و این ابوجهل [٦] ها خود را از محمد(ص) اعقل می‌دانند و این چنگیزها نوشیروان را ظالم می‌نامند؟ و این شکم‌پرستان خسیس‌النفس ابویزید را شره [۷] می‌گویند؟؟ و این بوزینه‌ها دعوی انسانیت می‌کنند؟؟

اینک کوران دوربین و کران تیزگوش و کودنان هوشیار و بلیدان خردمند و ضعیف‌الرأیان عاقبت‌اندیش و جاهلان علامه و قسی‌القلبان باشفقت و خائنان باامانت و گمراهان راهبر و وحشی‌خصلتان مدنیت‌گستر و مفسدان مصلحت‌اندیش و بدکرداران باعصمت و تباهکاران رنجور از کج‌روشی دیگران و دوستان بنیادکن و خیرخواهان بدتر از صد دشمن و ناصحان بدسیرت. این است اجتماع ضدین؟ این است تلاقی نقیضین؟! بر این حال باید گریست ولی خنده مجال نمی‌دهد. وقاحت تا چه حد، بیشرمی تا کجا؟ اکهوریها [۸] هم بدین سخت‌روئی نیستند. اپیکوریها [۹] هم بدین درجه بی‌حیائی نرسیده بودند. این چه عجیبه‌ای است که بدکرداری رسوا و زیانکاری بی‌پروا و خیانت شعاری برملا در مقام ستایش خود را چنان ستایش کند که گویا سقراطی است از ناهنجاری جهانیان سیرویا ابویزیدیست از بدکرداری اهل زمانه دلگیر؟؟ پاپای رومانی [۱۰] هم بدین درجه دعوی عصمت ننمود؟ سبحان‌الله تأثر و انفعال نفس بالمره مفقود گردیده است!!

ای شعور! و ای ادراک، شما کجا رفتید که نفس را ملامت نموده او را از حال خود

---

۱. اسم یکی از خطبای معروف یونان است.
۲. نام یکی از خطبای مشهور و معروف بود.
۳. لقب محارق که پستی بود از بنی هلال‌بن مالک بن صعصعه
۴. معن بن زائده بن عبدالله که اجود عرب بوده است.
۵. «اوفی من السموئل»! یعنی به وفاداری او مثل می‌زنند.
٦. اسم عموی حضرت رسول اکرم است که بر کفر مرد.
۷. پرخور
۸. اکهوریها فرقه‌ای هستند در هندوستان به غایت بی‌حیا و بی‌غیرت، و آنها منسوبند به اکورناتهه که مردی بی‌دین و شهوت‌پرست بود.
۹. اپیکوریها منسوب به ابیقور کلبی هستند که نیکوکاری را در لذائذ و شهوات منحصر می‌دانست!
۱۰. مقصود پاپ، کشیش اعظم عیسویهاست که در رم ساکن است.

آگاه کنید؟ ضرر برادران را از برای نفع بیگانگان خواستن پس از آن از طرف ایشان بجهت مکافات آبرو و اعتبار و یافتن را کدام شریف‌النفسی شرف شمرده است. و کدام عاقلی این کار را خردمندی انگاشته است؟ افیالتس را کدام هوشمندی یگانه زمان دانسته است کسی که روح‌الحیات قومی را زائل کند، چرا باید آنرا خیرخواه نامید؟ بی‌دینان محض از برای سیاست در رواج آئین خود می‌کوشند، پس چرا شخصی که در زوال کیش خویش سعی می‌کند از دانشمندان شمرده شود؟ این چه جهل است؟، این چه غفلت است؟، این چه ضلالت است؟، اگر اینجا مدعی را بلادلیل دانسته در خشم خواهی شد!. اینک دلیل: اندکی غورکن اگر منفعت شخصی، در جهالت و نادانی و فساد اخلاق من بوده باشد آیا از تعلیم و تربیت من خورسند می‌شود؛ آیا استادی دانا از طرف خود برای من می‌فرستد؟ و اگر مربی و یا استادی از برای من بفرستد، آیا از برای تعدیل افکار و تقویم اخلاق من خواهد بود و یا از برای فساد و تباهی آنها؟ و اگر مرا معلمی بوده باشد آیا تعظیم و تکریم آن خواهد نمود و اگر معلّم مرا از روی صدق و راستی تبجیل و توقیر نماید، همین بر این دلالت نمی‌کند که باید معلّم من در تعلیم و تربیت طریق خیانت را پیش گرفته باشد. ندانستن این امر واضح آیا از غباوت[1] نیست؟ سبحان‌الله! آیا دزد نگهبانی خواهد کرد؟، عجب، این چه بلاهت[2] است!؟ آیا شیطان رهبری می‌کند؟ این چه غفلت است!؟ کسی که کوری من سبب بهبودی اوست، آیا سعی خواهد کرد که از برای معالجه چشم من طبیب حاذقی بدست آرد؟ این است طمع بیجا، این است خیال محال! چون در اینجا باطل چنان لباس حق را پوشیده است که شناختن آن بر اذکیا[3] هم دشوار افتاده است تاکجا بر ابلهان، لهذا می‌دانم که این دلیل را کافی نخواهی شمرد و از این جهت طرز دیگری را پیش گرفته می‌گویم:

تربیت و تعلیم شخص واحد به‌سه گونه متصور می‌شود ـ نخستین آنکه: آن شخص را جزء قومی انگاشته و مبنای تربیت و تعلیم آن را اولاً و بالذات بر منفعت آن قوم که به منزله کّل است، گذاشته شود و منفعت ذات آن شخص در درجهٔ ثانی و بالتبع ملاحظه گردد و منفعت قوم در این هنگام چون منبعی است که منافع افراد مانند جداول[4] از آن متفرع می‌شود و افراد بر این تقدیر خادمان کل‌اند که هیئت

---

۱. کندذهنی ۲. نفهمی ۳. هوشیاران ۴. جدول‌ها، جویبارها

مجموعه باشد و هیئت مجموعه که از آن به‌قوم تعبیر می‌شود، صائن[1] و حافظ افراد.
دوم آنکه: مبنای تربیت و تعلیم آن شخص بر منفعت ذات او باشد بی‌ملاحظه قوم آن.
سیم آنکه: در تربیت و تعلیم آن اولا و بالذات منفعت دیگران و فایده بیگانگان ملحوظ شود و منفعت خود آن شخص بالتبع باشد. اکنون می‌توان گفت که این تربیت ثالثه قوم را نفع خواهد بخشید؟ آیا می‌توان گمان کرد که آن شخص در این هنگام خادم ملت خویش است؟ آیا قوم آن در این صورت از ضرر و گزند آن محفوظ خواهد ماند؟ آیا جائز است که در حق مربی آن شخص گفته شود که او محب و جان‌فشان و فدوی[2] قوم و ملت آن شخص می‌باشد؟ کورباد دیده آن عقلی که چنین اندیشد! وای بر ادراک آن شخصی که امتیاز ندهد درمیانه منفعت و مضرت! خاک بر دهن آن ذی‌شعوری که چنین سخن را به زبان آرد؟ اگر یک بچهٔ از فرنسا گرفته به بلاد جرمن فرستاده شود و در آن بلاد آن بچه به‌حسب تربیت استاد، خوی و عادت جرمنیها را فراگیرد و محبت ایشان در آن او متمکن شود و قوم و ملت او در نظرش منفور و حقیر گردد، آیا می‌توان چنان گمان کرد که آن بچه خادم و جان‌فشان امت فرنساویه است؟ و آیا آن شخصی که آن بچه را بدین‌نوع تربیت کرد، می‌توان آن را محب فرنسا نامید؟ عجب حماقت است که فرق میانه محبت و عداوت هم نمی‌شود!! شگفت حالتی است، چگونه فهمیده نمی‌شود که مضرت این‌گونه تربیت از منفعت آن بیشتر است. بلکه چگونه دانسته نمی‌شود که بی‌تربیتی هزارمرتبه بهتر است از آنکه شخصی به‌نوعی تربیت یابد که به‌جای منفعت، موجب مضرت اهل وطن خود شود. سر خود را به‌دست خود بریدن؟ لاحول ولا!!

تربیت دوّمی نه رشته التیام قومیت را بریدن است و اتحاد و برادری را زائل‌کردن است. اگر در تربیت افراد منافع کل اولا و بالذات ملحوظ نشود، التیام و اتحاد چگونه متحقق می‌گردد و چون اتحاد و التیام نباشد قومیت از کجا خواهد بود؟. اگر کسی آحاد قومی را بدین‌گونه تربیت نماید دشمن آن‌قوم خواهد بود یا دوست؟ اسم آن شخص را حامی باید نهاد یا ماحی[3]، و آن تربیت نخستین را بیگانه اگر فرض کنیم که

---

۱. نگهدار ۲. فداشونده ۳. نابودکننده.

راضی شود، آیا اعانت هم خواهد کرد؟ الله الله! کدام عقل این چنین امری را تصور می‌کند که بیگانه آمده جنسیت و قومیت دیگران را قوت و پایداری بدهد، که می‌پندارد که شخصی خانه خود را خراب کرده با انقاض[۱] آن خانه دیگری را تعمیر کند؟ اگر بیگانگانِ چیره‌دست آگاه شوند که خانهٔ از برای تأسیس جنسیت و تقویت قومیت دیگری برپا شده است، آیا آن خانه را از بیخ و بن کنده به باد فنا خواهند داد و یا آنکه آن بنا را محکم و مشیّد[۲] خواهند نمود و معمار آنرا خلعت فاخره داده به رتبه عالیه‌اش سرفراز خواهند کرد؟ چه بزرگ جهالت و نادانی است آن شخصی را که چنین گمان کند. عجب بلادت[۳] و حماقت است آن کسی را که این امر را بخاطر گذراند. اگر بیگانهٔ قوی بازو شخص ضعیفی را که در جنس با او مغائر است بکاری بدارد، آیا منفعت خود را ملاحظه می‌کند و یا منفعت آن ضعیف را؟ خصوصاً در اموری که اگر منفعت ضعیف ملحوظ افتد ضعیف بر قوی مستولی گردد. بغیر از این مجمع اضداد[۴] و ملتقای[۵] نقائض، کسی این گمان را نخواهد کرد که قوی بدست خود و به سعی و کوشش خویش ضعیف را بر خود چیره گرداند. بلکه این مجمع اضداد هم‌چنین گمان نمی‌کنند، اما از روی نفاق چنین اظهار می‌نمایند.

البته معلوم شد که خیرخواه کیست و بار منت را بر دوش که می‌نهد و مدح را که می‌کند وصله آن را که می‌گیرد؟ باور نمی‌کنم که این سخنان عقول جامده را سودمند افتد. اگر این عقلها جامد نمی‌شد، خیانت صریحه را دلیل طهارت نفس قرار نمی‌داد و در مقام مفاخرت نمی‌گفت که گوشت برادران آغشته نخوردن طهارت نفس است! چونکه استحقاق این گونه عطا از طرف قاتل و مورد الطاف آن گردیدن خود دلیل بر خیانت و جنایت است. اگر به برادران خیانت نمی‌کرد، استحقاق این عطیه عظمی! او را از کجا حاصل می‌شد؟ اما ابا[۶] کردن از خوردن با وصف خیانت بغیر از جبانت[۷] چیز دیگری را اثبات نمی‌کند. آیا عجب نیست حال این مداحان که ذمائم[۸] شنیعه را به اسم

---

۱. آثار ویرانه　۲. محکم و استوار　۳. کندذهنی　۴. کنایه از نیچریان است.
۵. کنایه از جمع آمدن نیچریان است.　۶. انکارکردن　۷. ترسوئی
۸. چیزهای نکوهیده

مدائح[1] ذکر می‌کنند. اگر کسی بخواهد که شخصی را به بدترین نهجی[2] ذم نماید، از این بیش چه خواهد گفت که کشندگان برادر او در حین اشتغال به عمل شنیع قتل، هر ساعتی آن شخص را می‌نواختند چرا می‌نواختند اگر با کشندگان پرغصب در کار قتل شریک نبود و ایشان‌را راهبری نمی‌کرد و اعانت نمی‌نمود.

این‌است جانفشانی خائنان از برای قوم! این‌است خیرخواهی خبیثان از برای یاران؟ این است مدائح بلغاء آخرالزمان؟ این فصحاء و این بلغاء را نظر کن! اگر خواهند کسی را به کمال دانش بسرایند با هم اتفاق نموده و با یکدیگر اعانت کرده، بعد از فکر طویل و عریض می‌گویند که آن[3] هیچ علم نخوانده است و از هیچ چیز خبر ندارد و هیچیک از فنون را نمی‌داند، اینک علامه زمان است و اگر خواهند شخصی را به جهل نسبت دهند، بیان می‌کنند. که آن، جمیع علوم اولین و آخرین را خوانده است و هیچ چیز بر او پوشیده نیست. این عجیبه مدحی است!! این غریبه ذمی است! واه‌واه، سبحان‌الله! حقیقتاً جای خنده است، ولی گریه نمی‌گذارد.

بلی آنگونه ممدوحین راست باز را اینگونه مادحین[4] درست گفتار باید. راست‌بازی از این چه زیادی خواهد بود که از فرط عشق محمد(ص) و محمدیان تورات انجیل را بجهت تقویت نصرانیت به هزار کوشش اثبات می‌کنند! و از غایت سعی در صیانت دیانت اسلامیه قرآن را انکار می‌نمایند! و از خوف آنکه مبادا سیل آمده خانه را خراب کند، خود از بیخ و بنش کنده خاکش را به باد می‌دهند! از غایت خیرخواهی قوم و از نهایت دین‌پروری، اراده آن را دارند که دیانت و قومیت را شهید نمایند و از برای، مدفن[5] بارگاه رفیعی سازند و هریک از برای یادگار اسم خود را در آن ثبت نمایند تا آنکه آیندگان را حال ساعیان[6] در این کار خیر معلوم گردد. بشارت

---

۱. ستایشها ۲. طریق و روش

۳. اشاره است به قول نیچریان که اتفاق کرده در ردّ رساله «حقیقت مذهب نیچری و بیان حال نیچریان» دو مقاله نوشته بودند و در آن ذکر کرده بودند که مولانا جمال‌الدین الحسینی اگر این مضمونها تحریر نموده هیچ عجب نیست که جمیع علوم جدیده و قدیمه را خوانده است! پس مستحق مدح نباشد، ولکن آفرین است بر آن جنابیکه امام ماست و هیچ علم را نخوانده است ولکن با اینهمه، ماهر حقائق و دقائق است!

۴. مدح‌کنندگان ۵. اشاره است به مدرسه نیچریان ۶. سعی‌کنندگان

باد آنان را که از قوم این خیرخواهان در اندیشه بودند. مژده‌ها باد آن اقوامی را که از دین این دین‌پروران، خوف و هراس داشتند. قومیت کیفیتی است نفسانیه که در حال صغر[1] بواسطه تعلیم و تربیت درِ نفوس حاصل می‌شود، چون در تعلیم کردگان این امر ملاحظه نشود و یا آنکه ضد آن مرعی گردد، قومیت از کجا وجود خواهد پذیرفت؟ و همچنین است حالت دیانت بلکه سایر کیفیات نفسانیه و احداث کیفیت نفسانیه قومیت در نفسی از نفوس، معنیش این است که معلّم به حسن تربیت و تعلیم خود آن نفس را بعد از فهمانیدن موارد شرف قوم بر این دارد که بذل روح را از برای شرف قوم سهل انگارد و شرف خویش را فقط در شرف قوم و ملّت خود پندارد.

شرف قوم عبودیت نیست؟ عبد مؤدب و دانا سعادت مولا است. بنده را با وصف بندگی هیچکس نیکبخت نشمرده است اگر چه عالم و عارف باشد. این خانه‌زادها معنی این کلمات را نمی‌فهمند. در بندگی پرورده شده لذت آزادی را چگونه خواهند دریافت؟ اگر به‌عبودیت خو کرده معلّم شود، به غیر از سبیل عبودیت چه تعلیم خواهد نمود؟ خسیس‌النفس را با شرف چه کار؟ اکئیست[2] خود غرض عالم را فدای اغراض دنیّه خود می‌کند. لاحول ولاقوة الابالله! این دیو مردمان سیئی‌السریره[3] چگونه موجب تنفر قلوب شدند از علوم معارف و این غولان کریه‌الصورة، چسان مانع از ترقی قوم خود گردیدند و زشتی سیرت این رکسان[4] عجیبه سدّ محکمی شده پاک‌منشان را از استحصال اسباب سعادت باز داشت. نیک‌باطنان را چنان گمان شد که طرز جدید و تربیت نو باعث بیخ‌کنی قوم و ملّت است، لهذا از وضع[5] حاضر گوشه گرفتند ـ و این سبب انحطاط[6] و تأخر قوم گردید.

نه، نه! گمراهی و ضلالت و عداوت ملّت را سبب بجز بدفطرتی و بی‌تربیتی و جهل و خست نیست. علوم و معارف هرگز سبب بدبختی و شقا نخواهد شد. اگر معلّم و مربی بدفطرت و شقی نبوده باشد. بلی اگر اکهوری مربی گردد، بغیر از شقاوت و بیخ‌کنی قوم، چیز دیگری را امید نباید داشت.

---

۱. به کسر اول و فتح دوم ـ کوچکی ـ خردی

۲. لفظ فرنگی است کسی که محبت ذات خود را به درجه غایت دارد. ۳. بدباطن

۴. بلفظ هندی غول است. ۵. حال ۶. پستی ـ نزل

فساد کار این اکهوریان، هنوز به‌خوبی ظاهر نشده است. چون ظاهرش مزوق[۱] است اندکی صبر باید شراب زهرآلود اولاً مستی می‌بخشد، پس از آن، جگر و ریه را پاره‌پاره می‌کند. اکهوریان را یار و صدیقی نیست. طریقت و مذهبی هم ندارند و درمیانه ایشان تعاون و توآزر[۲] نمی‌باشد. به‌غیر از شکم پرکردن، آرزوی دیگری در دل ندارند. پس گمان مکن که ایشان باطلی را حق انگاشته جان‌فشانیها می‌کنند و جوانمردیها می‌نمایند. اینهمه خودنمائیها و اینهمه دست‌افشانیها و اینهمه نیاح[۳] و صیاح[۴] بر توهّم باطلی نهاده شده است نه برطلب فضیلت، یعنی چنان گمان می‌کنند که این قوت حیف[۵] و میل[۶] و نیروی اختلاس[۷] که ایشان را دست داده، از جای دیگر است لهذا گاه‌گاهی جان را به دندان گرفته بسط یدی می‌نمایند. و ریشی حرکت می‌دهند این امر به کسی پوشیده نیست. اگر مقصود اکتساب فضیلت بود از آن اموریکه[۸] ذکرش شرمندگی می‌آورد، اجتناب می‌کردند. اکهوری و طلب فضیلت هرگز شنیده نشده است ـ اگرچه ریش را به ریش پیوند کرده یکدیگر را ستایش می‌کنند، ولی هیچیک از دل سخن نمی‌گوید بلکه هریکی به جهت مقاصد دنیّه خود که شکم‌پرستی باشد، با دیگری نفاق می‌ورزد.

اکهوری یار و صاحب نمی‌شناسد! اکهوری به غیرشکم خود معبود دیگری ندارد. قاعده کلیه از من یاد داشته باش اسهاب[۹] و اطناب[۱۰] بی‌منافقی نمی‌شود! و منافقی بی‌اغراق و مبالغه صورت نمی‌بندد، چون شخصی منافق نباشد و غرض او استحصال مقصد خود نبوده باشد، هرگز در ستایش از حد تجاوز نمی‌کند. آن ستایشی راکه در یکساعت اکهوریی به اکهوری دیگر می‌کند، بسمارک[۱۱] و غرچیکف[۱۲] رادر تمام عمر حاصل نشده است. اگر این نفاق نیست پس چیست؟ عجب از این سخت‌روئی عجب

---

۱. آراسته ۲. معاونت ۳. فریاد سگ ۴. ناله و فریاد

۵. یعنی ظلم و ستم و جور ۶. میل از اعتدال یعنی تعدی و ظلم

۷. سلب اموال

۸. اشاره است بر شود ستانی و ارتکاب امور فواحش که صاحب مقالات در حیدرآباد از این اکهوریها یعنی نیچریان ملاحظه کرده است.

۹. پرگوئی و بسیاری کلام. ۱۰. درازی سخن

۱۱. سیاستمدار معروف آلمان ۱۲. صدراعظم سابق روس

از این بی‌حیائی! گمان مکن که باید اکهوری عریان و فقیر بوده در کوچه‌ها و بازارها بگردد، اینک اکهوریان صاحب خدم و حشم. اکهوری‌بودن به دل است نه به لباس. اکهوری‌شدن کار هرکس نیست، که می‌تواند حیا را از خود سلب کند مگر آنکه در این طریق زائیده شده باشد و یا آنکه از سرچشمه سیراب گردیده باشد. غایت تکبر را هرگز دیدهٔ که با نهایت ذلّ[1] در شخص واحدی جمع شود، اینک نظر کن در سفلگان متعالم[2] و دنّی‌النفسان متفلسف[3] و اکهوریان متصلف[4] تا آنکه بر تو منکشف گردد که اینهم ممکن بوده است و می‌شود که اخلاق متضاده و اوصاف متباینه در الواح نفوس مجتمع شود. یعنی در نفوس ادنیا و اخساء[5].

اگر در این امر غور کنی خواهی دانست که فطرت پست و طینت دنیّه نادرست را هرگز ممکن نیست که تربیت و تأدیب به اصلاح آورد. سبحان‌الله! آیا اخلاق طبیعیّه تغییر می‌یابد؟ چگونه می‌شود که سجایای[6] متوارثه[7] و منش و خوهائی که به نهج ژنرسیون[8] حاصل شده باشد، به سعی و کوشش معلم و مربی زائل گردد. مدارس و مکاتب عقول سلیمه زکیه را دانش و بینش می‌آموزد و نفوس شریفه ذکیه را به آداب حسنه و اخلاق فاضله مزین می‌سازد، اما رکاکت[9] را از عقول سخیفه[10] و دنائت را از نفوس خسیسه ستردن نتواند. بوزینه از تربیت، انسان می‌شود؟! محال است.

اگر تغییر صورت به تدبیر می‌شدی، البته تبدیل سیرت انذال[11] و لئیم‌ها جائز بودی، علم و تربیت عقول و نفوس را مانند غذاست. غذائی که صحیح‌المزاج را باعث توانائی و قوت است، همان غذا موجب ازدیاد مرض بیماران است. دنّی‌النفس سخیف‌العقل چون به مدرسه درآید و پا در دائره تعلیم و تعلم نهد، فکر آن، همه این است که مندرجات علوم را بر وفق مقاصد دنیّه خود نماید و خیالات معوّجه[12] خویش را در لباس مطالب علمیّه به عالم جلوه دهد و شب و روز در این اندیشه خواهد بود که فنون مکتسبه را همچنان آلت استحصال شهوات خسیسه و وسیله اکتساب اغراض دنیّه

---

۱. خواری
۲. مدعیان علم
۳. مدعیان فلسفه‌دانی
۴. متملق و چاپلوسی‌کننده و تکلف‌کننده در مدح
۵. مردم پست و حقیر
۶. عادت و خوها
۷. موروثی
۸. توارث
۹. سستی و ضعف
۱۰. سبکی
۱۱. فرومایگان
۱۲. کج

سازد. اسباب و آلات و وسائل چه علم بوده باشد و چه غیر آن، همه از برای استحصال خواهشهاست و چون طبیعت شر باشد به غیر از شر چه خواهش خواهد نمود؟ ضد علّت ضد دیگر چگونه خواهد شد. فاقد[۱] شیئی چسان معطی[۲] آن می‌شود، پس اگر طبیعت شر باشد و خواهش شر و اسباب مساعد[۳]، خیر از چه جهت از صاحب آن طبیعت سرزند؟ و شری که از اینگونه شخصی سرزند، چرا باید که مثل شرّ شریرالنفس، نادانی باشد که هیچگونه وسیلهٔ از برای اجراء[۴] مقاصد خسیسه خود ندارد.

الله، الله! اثر علّت قویه چسان مساوی اثر علّت ضعیفه می‌شود؟ تنگی دائره خباثت عوام بدطینت کج‌اندیش و ضیق[۵] مجال ضلالت آن نیست مگر از عدم وسائل و فقدان آلات خائنی که قوانین و قواعد امم و ملل را نداند و سبیل اختلاسها[۶] و تزویرها را نشناسد و به طرق جعل و اختراع و تبدیل و تحریف و حذف و اضافه و جمع و خرج پی نبرده باشد، خیانت آن چه خواهد بود. گمراهی که اگر در طریقه آن قدحی و جرحی شود عاجز بماند، تبدیل افکار دیگران را چسان خواهد نمود؟

بالجمله، اکهوری بدطینت است و سخیف‌العقل و سخیف‌العقل بدطینت را تعلیم و تربیت سود ندهد، بلکه باعث ازدیاد شرارت و فساد آن خواهد شد. می‌دانم که هم در ثبوت مقدمه اولی شک داری و هم در تحقیق مقدمه ثانیه!، لهذا هر دو را به عبارت واضحه بیان می‌کنم و براهین عقلیه طبیعیّه اقامه می‌نمایم، گوش داشته باش و به‌خوبی تأمل نما که مطلب بسیار دقیق است. اگر قومی و یا امتی دیده شود که در تحت اداره واحدهٔ می‌باشد و جمیع طبقات آن چون اعضاء مختلفه شخص واحد در معاونت و معاضدت[۷] یکدیگر است و روح حیات و قوهٔ محرکه مجموع اصناف آن یکی است و آمر[۸] و مأمور[۹] و آخذ[۱۰] و معطی[۱۱] و واضع[۱۲] و رافع[۱۳] از خود او می‌باشد و سالک

---

۱. گم‌کننده
۲. دهنده
۳. یاور ـ کمک
۴. برآوردن و حاصل‌کردن
۵. تنگی
۶. ربودن
۷. پشتیبانی
۸. فرمانده
۹. فرمانبردار
۱۰. گیرنده
۱۱. دهنده
۱۲. وضع‌کننده مثل واضع قانون
۱۳. بردارنده و محوکننده مثل ناسخین قانون و احکام

حرکات افراد آن مانند انصاف [۱] اقطار دائره واحده به یک نقطه که سعادت کل باشد منتهی می‌شود و از محیط قومیت خارج نمی‌گردد و چون دو شخصی که هریکی به‌جهتی از محیط دائره حرکت کند، آحاد او در خواهشهای خود در عین مخالفت جویای مؤالفت [۲] اند و در عین تباعد [۳] خواهان تقاربند [۴] و اصناف [۵] او در عین تدافع [۶] آراء در تجاذبند [۷] چنانکه دو متساوی‌القوه‌ای که در حالت مجاذبه هریکی طرفی از رَسَن راگرفته و حین تدافع جذبه دیگری در تحاذی است.

البته از طرف هر عاقلی بر توافق افکار و نیات طبقات آن قوم و یا آن امت و تناسب حاسات [۸] معنویه انفعالات [۹] نفسانیه اصناف آن حکم خواهد نمود. هیچکس در تلائم [۱۰] رغبتها و رهبتها [۱۱] و نفرتهای افراد آن قوم ذکر نخواهدکرد، چونکه افعال و اعمال افراد انسان و کیفیت معاشرات و طرز اجتماعات و وضع زیست و نوع معیشت و نهج اداره ایشان همگی معلولهای افکار عقلیه و حاسات معنویه و صفات نفسانیه ایشان می‌باشد و اگر تلائم و تناسب در علل نبوده باشد، هرگز توافق در میانه معلولات آنها واقع نمی‌شود. تناسب افکار و صفات آنوقت حاصل می‌شود که مقوّم و معدّل بوده باشد، زیرا آنکه صفات رذیله و اخلاق فاسده و افکار سخیفه را اگرچه با یکدیگر توافق اسمی هم بوده باشد، ولکن فی‌الواقع درمیانه آنها تضاد تام و تبائن کامل است چونکه ماهیت هر فردی از افراد آنها مقتضی عدم توآلف [۱۲] است با فرد دیگر، چه هردو از یک صنف بوده باشد و یا از دو صنف و جهت توجه هر یکی مخالف جهت دیگری است، مثل متدابرینی [۱۳] که بر روی خط مستقیمی یکی مشرقاً و دیگری مغرباً، حرکت کند. از این است که هرگز توافق و مرافقت [۱۴] درمیانه احمقها و حسودها و بخیلها و طماعها و متکبرها و خائن واقع نمی‌شود.

---

۱. انصاف نیم قطرها که از مرکز دائره شروع شده منتهی به محیط گردند و همه برابر یکدیگر باشند.
۲. الفت و موافقت ۳. دوری ۴. نزدیک‌شدن به یکدیگر
۵. صنف‌ها و قسم‌ها ٦. از خود دورکردن دو کس باهم
۷. به‌طرف خود کشیدن دوکس باهم ۸. کیفیات حسیات باطنیه
۹. تأثرهای نفسانی ۱۰. توافق ۱۱. ترس‌ها ۱۲. باهم الفت گرفتن
۱۳. کسانیکه پشت به یکدیگر کرده باشند ۱۴. همراهی و رفاقت‌کردن

پس افکار معدّله و صفات مقومّه همان افکار و همان صفاتی است که باعث توافق و تلائم باشد و جهت توجه آنها، نقطه سعادت همه بوده باشد و اینگونه صفات را انسانها **اخلاق فاضله** نامیده‌اند و این چنین افکار را، افکار عالیه. بنابراین هر وقتی که در تلائم افکار و توافق صفات آن قوم وهنی[۱] حاصل شود البته در وحدت اداره و تعاضد و روح‌الحیات ایشان خلل به‌ظهور خواهد رسید، جهات حرکات افراد مختلف خواهد شد و درمیانه آمر و مأمور، آخذ و معطی و واضع و رافع، تنافر روی خواهد داد. چون تدریجاً رفته‌رفته تلائم افکار به تبائن مبدل شود و توافق صفات به تضاد متحول گردد، یعنی صفات ذمیمه و اخلاق رذیله و افکار دنیّه و خیالات باطله غلبه نماید و اخلاق فاضله و افکار مستقیمه زائل شود و کج‌اندیشی خیالات معوّجه و حسد و بخل و بغض و ضغینه[۲] و منافقی[۳] و ریا و دروغ‌گوئی و شهوت‌پرستی و خودستائی و تکبر بیجا و عُجب[۴] بی‌معنی و کاهلی و رشوت‌خواری و خیانت شعاری و تدلیس[۵] و تذویر و حماقت و بلادت و بلاهت و حرص و طمع و شره و سفلگی و نذالت[۶] و لؤم[۷] و بی‌غیرتی و قلت ناموس و خودغرضی و نمّامی[۸] و غمّازی و بهتان‌زنی و افتراء و غیبت و ذمّامی و تعدّی و ظلم و جور و حق‌ناشناسی و اهانت و قسوت[۹] و غفلت و جبانت[۱۰] و ذلت نفس و طیش[۱۱] و وقاحت و غباوت و بی‌تدبیری و بی‌وفائی و مماطله[۱۲] و خلف وعده و کسالت و گران‌جانی و دون‌همتی و تملق و تبصبص[۱۳] کلبی و اغواء و اضلال و اغراء[۱۴] فاش گردد، بلاشک تعاضد مفقود و روح‌الحیات و قوه محرکه وحدانّیه معدوم و جهت حرکت هر فردی از افراد آن قوم مخالف جهت حرکت دیگری خواهد شد چونکه زوال علّت لامحاله مستلزم زوال معلول است. و به‌سبب تنافی اراده تخالف سجایا و تغایر اهویه[۱۵] نفوس و تباعد طبایع و تضارب آراء و تدافع افکار و تضاد صفات و تباغض[۱۶] قلوب و تبائن[۱۷] اخلاقی که

---

۱. سستی
۲. کینه و عداوت قلبی
۳. دوروئی
۴. خودپرستی
۵. نمودارکردن چیزی بخلاف واقع
۶. فرومایگی
۷. ناکسی
۸. سخن‌چینی
۹. سنگدلی
۱۰. ترس
۱۱. رفتن عقل
۱۲. تأخیر در وعده
۱۳. دم جنبانیدن
۱۴. تشویق‌کردن ـ وادارکردن
۱۵. خواهشها
۱۶. دشمنی
۱۷. دوری

طبقات و آحاد آن قوم را در آن هنگام حاصل می‌شود اجتماع و ائتلافی که قوام بشر و مایه زیست و موجب بقاء نوع اوست از برای ایشان ممتنع خواهد بود، مگر به‌سبب قاسر[۱] خارجی و قاهر اجنبی و حِیات و بودان کم‌خردان فاسدالاخلاق و تباه‌کاران دشمن جان خود، ممکن نباشد مگر در تحت اداره دیگری.

این است حکمت تبدل ادارات در عالم وجود.

این چنین اشخاصی که این‌گونه بوده باشند، حال آنها با نفوس و عقول دیگران چون حال وبا و طاعون[۲] و جذام[۳] و دیگر امراض ساریه است، با ابدان. پس اگر به مملکتی روند که مزاج نفوس و عقول آن مستعد بوده باشد، جزء اخیر علّت تامه فساد عمومی شده در زمان قلیلی بدان مملکت آن کنند که با خود کرده بودند، خصوصاً اگر در مرکز که محل اجتماع خلق است، جاگیرند چنانکه شأن امراض ساریه است و اگر نفوس و عقول را استعدادی نباشد، لامحاله تخم فساد را کاشته موجب سوء اداره و وهن در اعمال خواهند شد و این سموم قتاله بالمرّه بی‌اثر نخواهد بود، پس هر کسی را واجب است که به این گونه مردم، آن معامله کند که با مجذومین[۴] می‌کنند.

خطاب به عقل است، اشتباه مکن!

این مقدمه فلسفیه فراموش نشود تا آنکه مقدمه دیگری را بیان کنم: پس از آن استنتاج[۵] نتیجه نمایم: استقامت افکار امم و اعتدال اخلاق ایشان نه از جمله اموری است که در ماهها و سالها حاصل شود، بلکه اگر چندین قرن تعلیم و تربیت در امتی مستمر بماند و بطناً بعد بطن، در تقویم افکار و تعدیل اخلاق سعی و کوشش شود. البته ممکن است که در آن هنگام اشخاصی در آن امت یافت شوند که به استقامت و اعتدال موصوف گردند. افکار مستقیمه و خیالات عالیه دیگران را یادگرفتن شخصی موجب آن نمی‌شود که خود او صاحب افکار عالیه شود، بلکه اگر کسی خود صاحب افکار عالیه نبوده باشد، کنه افکار دیگران را نخواهد فهمید و به موارد و متعلقات آنها پی نخواهد برد و روابط و مناسبات آن افکار بر او پوشیده خواهد ماند و بر استنباط لوازم آنها، از ملزومات و ملزومات آنها از لوازم، قادر نخواهند شد.

---

۱. دورکننده ۲. مرگ عام ۳. خوره ۴. مبتلایان به خوره
۵. برآوردن نتیجه

کور مادرزاد از شنیدن کیفیات الوان، نه ماهیات آنها را خواهد فهمید و نه بر لوازم و خواص آنها حکم تواند کرد و از دانستن اخلاق فاضله و آثار حسنه آنها و اخلاق رذیله و مضار آنها، کسی طاهرالنفس و مهذب‌الاخلاق نمی‌شود. محض شناختن مرض و دانستن دواء آن موجب رفع مرض و حصول صحت نخواهد شد. دانستن مضار حوامض[1] و منافع حلویات[2] باعث نفرت صفراوی مزاج از آن و رغبت بدین نمی‌تواند شد، اگر علم سبب تغییر میول[3] و حاسات نفسانیّه می‌شد و یا آنکه آثار خارجیه و نتایج ظاهره آنها را منع می‌کرد، می‌باید کسی بر فوت عزیزان محزون[4] نشود و اگر محزون شود، آه و زاری ننماید، چونکه هرکسی را معلوم است که فوت شده برنمی‌گردد و حزن و آه و زاری و گریه کردن لغو و بی‌فایده است. معده چون طعامی را قبول نکند علم به منفعت مانع از قی نمی‌شود. اگر اخلاق به علم نیکو می‌شد، می‌بایست که یک اکهوری هم در عالم انسان بشود؟

و بالجمله هرکسی از خواندن کتب سیاست و معاشرت سیاسین و عقلاء بسمارک نمی‌شود! ـ چرا نمی‌شود؟ به‌جهت آنکه وضع دماغ بنوعی دیگر است. تغییر وضع دماغها قرون متعدده می‌خواهد با تعلیم و تربیت مستمره. شجاع از شنیدن قصص جبناء[5] جبون نمی‌گردد، بلکه ثبات و اقدامش افزون می‌شود. خائن از استماع فضائل امانت امین نخواهد شد. دزدها شناعت سرقت را نمی‌دانند و خیانت‌کاران ذمائم اختلاس و تزویر و رشوت‌خواری را نشنیده‌اند؟ می‌دانند و شنیده‌اند ولکن آن انفعال نفسی که از ملاحظه این امور ارباب نفوس مطهّره را حاصل می‌شود، ایشان را حاصل نمی‌شود، چونکه بودن نفس بدین کیفیت که از ملاحظه امثال این امور منفعل شود، بجز از توارث، به نهج دیگر صورت‌پذیر نیست. وقیح[6] را هرگز انفعال نفسی که عبارت از حیاء است، در ارتکاب امور شنیعه دست نمی‌دهد، اگرچه کتابها در فضایل خصلت حیا خوانده باشد. این مطلب بسیار دقیق است و تو بسیار غبی[7] لهذا ثانیاً بیان می‌کنم شاید بفهمی:

---

۱. ترشی‌جات
۲. چیزهای شیرین
۳. جمع میل یعنی خواهشها
۴. مغموم ـ رنجیده و اندوهگین
۵. جمع جبون به معنی بزدل
۶. بیحیا و بی‌شرم
۷. کند ذهن

افکار مستقیمه و اخلاق معتدله آثار قوائی است جسمانیه که مانند قوای بذرها و تخمها در کمون[1] محالّ معیّنه و مواضع مخصوصه کالبد انسانها نهاده شده است و آن قوای جسمانیّه و محالّ آنها، اندک‌اندک بسبب تعلیم و تربیت روی به ازدیاد و افزونی می‌نهد و نمو می‌نماید، چنانچه بذرها و قوای آنها به‌سبب زراعت و رعایت قانون فلاحت، با موافقت هوا و زمین، کم‌کم افزونی می‌پذیرد، و ممکن نیست که آن قُوی محال آنها در اولاد وحشیین و احفاد[2] آنهائی که پس از مدنیت به نهایت فساد رسیده باشند، در یک طبقه به‌سبب حسن تعلیم و تربیت به کمال نمو رسیده مصدر افکار عالیه مستقیمه و منشأ اخلاق حسنه فاضله گردد، زیرا آنکه نمو قوای جسمانیه مطلقاً تدریجی است، خصوصاً اینگونه قوی و طفره در هرجا محال و ممتنع است.

تخمی که از اقلیمی به اقلیم دیگر نقل می‌شود، از برای حرکت قوه آن بسوی کمال و یا بسوی نقص، مدتها باید. اگر چندین‌بار تبدیل صورت نکند و از اجمال[3] بتفصیل و از کمون[4] به بروز[5] منتقل نگردد، هرگز به نهایت کمال و یا بغایت نقص نخواهد رسید، با وجود آنکه هوا و زمین را تأثیری است بسیار قوی و حرکت نمو نباتات سریع است و حرکت قوه در سرعت و بطؤ، تابع محل آن است. و در این شکی نیست که حرکت نمو انسان بطئ‌است و تأثیر تعلیم و تربیت تأثیری است روحانی و تأثیر روحانی أضعف است از تأثیر جسمانی، پس معلوم است که استمرار تعلیم و تربیت در دوسه بطن، متسلسلا کافی از برای کمال نمو قوای انسانیه نخواهد بود. اگر متعلّم از نسل وحشیان و یا از اولاد مقذوفان[6] مدنیت و انسانیت بوده باشد. بلی اگر تعلیم و تربیت چندین قرن در یک سلسله مستمر بماند البته به‌سبب توارد تأثیرات بر آن قوای کامنه[7] و تأثیرات متتالیهٔ آنها، در حلقات آن سلسله اشخاصی یافت خواهند شد که قوای ایشان به تربیت و تأدیب به کمال نمو رسیده، منشأ همه کمالات و فضائل خواهد شد.

و بالجمله: تغییر وضع دماغ و تحوّل صور مواضع قوای فعاله و منفعله و تبدیل خون بی‌مرور قرون و دوام علّت مؤثره، صورت نبندد. اگر یک میلیون از اولاد زنگیها

---

۱. باطن، درون ۲. فرزندان ۳. درهم پیچیده ۴. پوشیدگی
۵. آشکار ۶. یعنی کسانی‌که از مدنیت بسیار دور باشند یعنی بربریها و جنگلیها و وحشیها
۷. از کمون پوشیده

و احفاد مقذوفان انسانیت و مدنیت در پاریس به تعلیم علوم و آداب مشغول شوند، هرگز قبول مکن که ازکیاء و اخیار آن جماعت به درجه اغبیا و اشرار جنس فرانس توانند رسید! چگونه می‌رسند با نقص در اصل سرشت؟ کور را دوربین چه فائده می‌دهد؟ حیوان گوشت‌خوار از گوشت چگونه صبر کند؟ بلکه باید دانست که احفاد مقذوفان انسانیت و اولاد وحشیان، چون تعلیم یابند صورت شر و فساد خود را تغییر داده دائره آنرا وسیع خواهند نمود و اثر کمی که بواسطه تعلیم و تربیت در اصل قوای ایشان حاصل می‌شود در کمون مانده، در نسل آنها بطناً بعد بطن، اگر سلسله تربیت و تعلیم منقطع گردد، ظاهر خواهد گردید مثل آنکه بعضی از هیئت و اخلاق و شمامات[1] و امراض اجداد در احفاد ظهور و بروز نموده در اولاد که آلت ایصال و معبر است، در کمون می‌ماند. شر و فسادی که به تربیت و تعلیم آنها مترتب می‌شود با آن اثر خیر آن چنان است که زرعی[2] آتش گرفته بسوزد و زمین را به‌جهت زراعت آینده قوتی حاصل شود.

چون کیفیت نمو قوا را دانستی، باید بدانی که انحطاط آنها نیز بر سبیل تدریج است. دلیل همان دلیل است و مثال همان مثال. این‌مقدمه را هم چون مقدمه اولی در خاطر داشته باش و در هر دو، تأمل نما و غور کن! تا آنکه قادر گردی بر تطبیق کلیات بر جزئیات و توانا شوی بر استنتاج نتایج.

البته بعد از این براهین فلسفیه و ادله طبیعیه بخوبی فهمیدی که در روی زمین قومی یافت نمی‌شود که در کم‌خردی و فساد اخلاق به پایهٔ اکهوریان رسیده باشد، چونکه این گروه به‌سبب تباهی سجایا[3] و سخافت[4] و قلت دانش آنچنان سلسلهٔ انتظام و رشته هیئت اجتماعیه راگسیختند که خود به قاسر پناه بردند و در پیش قاهر سر نیاز بر زمین نهاده و استغاثه نمودند که از شر یکدیگر محفوظ مانده جانی به سلامت برند و خانه خود را بلامنازعه و بلاجبر و جور به دیگری واگذاشته به مهتری وسائسی[5] و کناسی راضی شدند. و ایشان را اینقدر هم عقل نشد که از برای استحصال این رتب شریفه!

---

۱. مایتشمم من‌الارواح‌الطیبه، یعنی آثار ارواح طیبه ۲. کشت و زراعت ۳. عادات و خوها
۴. سبکی ۵. جلودار

معاهده‌نامهٔ بگیرند، لهذا پس از تسلیم و قبول وداد و گرفت از این مراتب سنّیه![۱] هم محروم شدند و حق این بود که محروم شوند، چونکه ایشان را اینقدر هم قابلیت نیست.

اکنون تو خود اندازه کن که از چند قرن جراثیم[۲] قوای عقلیّه و نفسیّه ایشان به‌غایت روی به انحطاط نهاده است ـ و میزان[۳] حرکت به‌سوی اسفل را فراموش مکن. قاعدهٔ کلیه عطالت «ساکن متحرک نمی‌شود و متحرک ساکن نمی‌شود، مگر بسببی» را از دست مده. گمان مکن که نهایت حرکت اکهوریان نقطه توحش و تبربر[۴] خواهد بود و پس از رسیدن بدان نقطه چون سایر جنگلیان خواهند شد.

آب راکد[۵] هرقدر متعفن و گندیده شود، به پایه آب جاری که بر قاذورات[۶] و جیفه‌ها[۷] و زبلها[۸] می‌گذرد، نخواهد رسید. آیا مبتلا به جذام و آتشک اولادش چون اولاد سالم‌المزاج است؟ آیا زمینهائی که به‌سبب سوء تصرف شوره‌زار شده است، در صلاحیت زراعت، مانند اراضی صالحه حرّه است؟ سعهٔ دائره فساد و شرارت و خباثت جنگلیان چه قدر خواهد بود. جنگلی مکر و جعل و تزویر و تدلیس[۹] و ریاکاری و منافقی از کجا می‌داند؟ عقل وحشی اگر چه پست است ولکن از مرتبه جهل بسیط بیرون نرفته. جهل مرکب را که با جهل بسیط برابر دانسته؟ پس اگر اکهوریان به مدرسه روند، با این طینت و جبلت و با این عقل و ادراک، بغیر از طرق جمع رذائل و طرح[۱۰] فضائل و تفریق کلمه امت و کسر ناموس[۱۱] انسانیت چه خواهند آموخت؟. و فطرت لئیمه خسیسه ایشان را بجز از سبیل[۱۲] برانداختن و پایمال نمودن خویشان به‌جهت جبر[۱۳] خاطر بیگانگان به‌چه دعوت خواهد کرد؟

نظر کن بر افعال و اعمال و حرکات و سکنات ایشان تا آنکه همه این امور را به چشم مشاهده کنی ـ لئیمان را شنیده بودی ولکن ندیده بودی ـ چشم را باز کن و اکهوریان بنگر، تا آنکه لئیمان خالص غیر مشوب را ببینی.

---

۱. بلند
۲. مواد
۳. یعنی یاد آر که حرکت به‌سوی اسفل از حرکت به‌سوی بالا سریعتر است
۴. وحشیگری
۵. ایستاده یعنی ساکن غیرمتحرک
۶. پلیدیها
۷. مردارها
۸. سرگین‌ها
۹. حیله
۱۰. یعنی ترک‌کردن
۱۱. قانون
۱۲. راه
۱۳. خلاف الکسر، یعنی پیونددادن

اکهوریان بعد از تعلیم و تعلّم اگر یکی از اهل ملت خود را ببینند فی‌الحال باد قولنج[۱] کبریاء ایشان را چنان می‌گیرد که جمع اعضاء و جوارح حتی جفون[۲] هم از حرکت باز می‌ایستد. بلی گاه‌گاهی بسبب تشنجی[۳] که لازم قولنج است، دستها را حرکت داده ببروتها می‌رسانند گویا که هند را فتح کرده‌اند! و اگر یکی از بیگانگان را بنگرند فوراً ایشان را بیماری رعشه ذل! حاصل می‌شود و هریک از اعضاء و جوارح آنها در تسابق[۴] عرض عبودیت به‌جنبش آمده عجیبه حرکات مختلفه، غریبه اختلاجات[۵] متنوعه از آنها به‌ظهور می‌رسد.

اگر این لئوم نیست پس چیست ـ تو اسمش را بگو؟ لئوم اکهوریان را بجائی رسانیده است که با غایت تکبر ارادهٔ ایشان به‌سبب نهایت ذل در پیش ارادهٔ بیگانگان لباس هستی پوشیدن نتواند. با وجود این اخلاق رذیله و این اوصاف ذمیمهٔ جای شگفت این است که گاه‌گاهی مقاله‌ای در بیان فضائل سجایای پسندیده! و مساوی صفات ناستوده و ذمائم کبر و عجب و ریاکاری و تکلفات ظاهریه از دیگران دزدیده مشهور می‌سازند، از این غافل که قبیح‌الوجه کریه‌الصورة را بهتر آنست که آئینه در خانه نباشد و مشوّه‌الخلقه[٦] زشت روی را نمی‌زیبد که فتگراف خود را بگیرد. شخص بدسیرت اگر سخنی از اخلاق فاضله بگوید، گویا مردم را بر قبح سیرت خود آگاه می‌گرداند و زبانها را به ذم خویش گویا می‌کند. اینجا جای خنده است هر چه می‌خواهی بخند ـ؟ ـ سبحان‌الله! سبحان‌الله!. عاقل اکهوری باید همینطور باشد. اخلاق رذیله این اکهوریان را چون کسی نظر کند، ابتداء چنان گمان می‌کند که اینها مانند اخلاق رذیله دیگران ملکاتی است بسیطه، ولی چون به‌تحلیل کیمیاوی اخلاقی می‌نگرد، می‌بیند که هریک از خلق ذمیم ایشان راکه بسیط خیال می‌کرد، مرکب است از اخلاق ذمیمهٔ چند. مثلاً خلق تکبر ایشان که به‌حسب ظاهر بسیط به‌نظر می‌آید چون تحلیل[۷] شود، ظاهر می‌شود که مؤلف می‌باشد از اِصل خلق تکبر و خودپسندی و خودنمائی و تقلید بیگانگان و سدّ ابواب مساعی جمیله و کتمان جهالت و اظهار

---

۱. مرضی است معدی که بسیار دردناک می‌باشد
۲. پرده چشم از اعلی و اسفل
۳. لرزش
۴. پیشی‌گرفتن
۵. بریدن عضو و جستن اندام
٦. ناقص‌الخلقه یا گوش و بینی بریده
۷. اجزاء چیزی را جداکردن تا به‌حد بساطت برسد

خلاف واقع (یعنی افکار بسیار عالیه در پیش دارند) و ارهاب[۱] مساکین و لئوم، چونکه بدین پیرایه جلوه نمی‌کنند مگر با اضعفاء و مسخرگی به جهت آنکه طبیعت سفله را با این وصف ملائمت نیست و تکلف بسیار، زیرا آنکه اوباشان[۲] را چنانچه باید از لوازم تکبر اطلاعی نیست و حرکات بشعه[۳] مستهجنه غیرمنتظمه، چونکه نومتبکران بخوبی ارکان این صفت را نمی‌دانند و آواز غلیظ منکر و سخن‌گفتن بیجا و جواب ندادن در محل و کلمات مهمله با آه و تأسف و روی گردانیدن از آشنا در وقت مقابله و مواجهه و پشت‌کردن در هنگام مکالمه با هزّ رأس[۴] و نصیحت باتعیس[۵] و شتم[۶] و تبسم مستهزآنه، حقیقتاً نومتکبرا! باید به‌همین گونه باشد انصاف باید داد و همچنین است حال سایر اخلاق اکهوریان اگر تحلیل کرده شود.

بسیار تعجب است از تو که باز می‌گوئی اکهوری! اکهوری؟ هنوز اکهوری را نفهمیدی؟ تو را عادت این است که چشم خود را تکذیب می‌کنی و عقل و هوش خویش را یک‌طرف نهاده به‌گوش خود ایمان می‌آوری. افعال و حرکات این گروه را ملاحظه نمی‌کنی و می‌گوئی که ایشان می‌گویند که ما روح در کالبدها می‌دمیم و مرده‌ها را زنده می‌کنیم! بسیار خوب، گیرم که شما به غیر از گوش، به چیز دیگر ایمان نمی‌آورید. آیا آن آوازی که از (لئامتکده) برخاست، به‌گوش تو نرسید؟ عجیب! آن آواز به همه گوشها رسید، تو چگونه نشنیدی؟ به‌شرف نفس و علوّ همت مسلمانان سابق سوگند است که اگر در این آواز غور نکنی و در مقصد صاحب آواز تأمل ننمائی، اسم تو را هم مانند ساده بچه در دفتر اکهوریان خواهم نوشت؟

جهت حرکت اکهوریان و مقصد ایشان از اول معلوم بود، ولی به زبان نمی‌آوردند، بلکه به‌جهت اغراء[۷] ساده‌لوحان و اغوای[۸] احمقان، عکس مقصود را همیشه ذکر می‌کردند و از برای اشتباهکاری و پرده‌پوشی مجمعها و محفلها مقاله‌ها القاء می‌کردند، تا آنکه در این روزها (ناستوده مرگ خان) صبر ننموده خیرخواهی را تفسیر کرد و به مقصد حقیقی همقطاران خود تصریح نمود و پرده از روی کار

---

۱. ترسانیدن ۲. ناکسان ۳. ننگین ـ شرم‌آور ۴. جنبانیدن سر
۵. ترشروئی ۶. دشنام ۷. به جنگ برانگیختن و بر اغالیدن
۸. گمراه کردن

برداشت و حل معمّی نمود. حقیقت حقیقة، همان یادگاری که یونانیان از برای دیوجانس ساخته بودند، باید از برای همین خیرخواه نیز ساخته شود. چه معنی دارد سگ از برای استحصال استخوانی تملّق می‌کند و دمی حرکت می‌دهد و سر بر پای معطی نهاده چه خودی باشد چه بیگانه، به‌جهت اظهار خلوص نیت آوازها در می‌دهد. انسان از سگ هم کمتر است. لاحول ولا!

انسان را چنان می‌زیبد که در تملّق و خضوع هزار مرحله بر سگها پیشی گیرد و اگر دم ندارد، ریش هم کم از آن نیست (ناستوده مرگ خان) همین نکته را فهمیده از آن بود که آواز برآورد و ریشی حرکت داد و نان‌های خورده را حلال کرد. خداکند که این شکر سبب مزید نعمت گردد.

چه تعجب کنم! چه تعجب کنم!، تعجب عبارت است از کیفیتی که در حالت ادراک امور غریبه انسان را حاصل می‌شود. و چون اکهوریان از برای شکم‌پرستی بدین راه قدم زده‌اند و می‌زنند و خواهند زد، دیگر چه غرابت و چه تعجب؟ بلی آنچه جای تعجب است این است که دیگران افعال اکهوریان را نفهمیده توجیه و تأویل می‌نمایند، با وجود آنکه مقاصد دنیّه ایشان از سخافت و رکاکت آرائشان آشکارتر است. جمیع مرده‌های هزارساله و دوهزارساله و همهٔ استخوانهای پوسیده قرون خالیه، در این روزها سر از قبرها و دخمه‌ها[1] برآورده به آوازهای بسیار بلند ندای: الحیاة الحیاة، البعث البعث، النشور النشور، می‌زنند! اما اکهوریان خیرخواه به‌قوت تمام: الموت الموت، الهلاک الهلاک، الفنا الفنا، آواز می‌نمایند. بر حال قومی که خیرخواه آن اکهوری است، باید گریست. بیچاره مرده‌هائی که در ظلمتکده قبور و تنگنای گورها برهنه و عریان و گرسنه و عطشان انزوا[2] گزیده‌اند و هر ساعتی از دیدن صور هائله[3] نکیرها و منکرها لرزان و ترسانند و از پی ساز و سامانی نالان و گریانند و تذکار لذائذ زندگانی ایشان را بر آتش حسرت نشانده است و زنده‌ها حقوق آنها را به تمامها غصب نموده، ایشان را به بدترین صورتی و قبیح‌ترین وجهی از بساط زندگانی رانده است و بغیر از خاک، که آن‌هم با شک شورمزه آمیخته شده، چیز دیگری از

---

۱. گورها ۲. گوشه‌نشینی ۳. خوفناک

برای خوردن آنها نمانده است، گاهگاهی به امید رجعت[۱] و به رجای بعث[۲] دلهای خود را تسلی می‌دهند و شعله‌های این عذابهای الیم را به تذکار حشر و نشر فرو می‌نشانند! و ممکن است که این آمال اجساد ایشان‌را حفظ کند و از تلاشی و تفرق بازدارد و می‌شود که این آرزوها این بیچاره مردگان را بر این دارد که خیالات خود را حرکت داده درصدد[۳] استحصال اسباب نجات برآیند و جائز است چون این خواهشها در ایشان قوّت بگیرد، با یکدیگر مخابرت نموده و مشورت کرده به‌هیئت مجموعه، اگرچه در نهایت ضعف و ناتوانی بوده باشند. بعضی از حقوق خود را از زنده‌ها طلب نمایند و البته اگر زنده‌ها هیئت مجموعه ایشان را بینند، ایشان را بالمّره محروم نخواهند نمود.

اکهوریان نه تنها قطع رجاء بعث و نشور مرده‌ها را نموده اقامه برهان بر استحاله و امتناع[۴] آن می‌نمایند، بلکه جمیع بیماران و ضعیف‌الجثه‌ها و ناتوان را دعوت به مرگ می‌کنند و بر استحسان موت دلیلهای قطعی می‌آورند، چنان بیان می‌کنند که راه نجات اینگونه مردم بغیر از مرگ نیست و مداوات کردن را بی‌فایده می‌شمارند. با وجود این خیرخواهند! خیر خواهند ـ راست باید گفت این یکی را خوب فهمیده‌اند. زندگی بسیار دردسر دارد. زندگی را همتی باید بس عالی و عقلی باید بسیار بزرگ و تجلدی[۵] فوق‌الغایه و دلی چون خارا و قوت املی بسیار محکم و عزمی در نهایت ثبات. مخنث[۶] سخیف‌العقل را اینگونه صفات چگونه حاصل می‌شود؟ اصل طبیعت آن، مضادّ این صفات است ـ ای ضعیف جسمان و ای نحیفان و ای بیماران همگی به مرگ تن دردهید. برهان (ناستوده مرگ خان) بسیار قوی است، منهم قبول نمودم! اگر برهان ایشان باطل هم باشد، باز همگی لباس حیات را از خودها دور کنید. محض از برای (ناستوده مرگ‌خان) و یاران ایشان، از این زندگی درگذرید. چون اگر شما این کار را نکنید، ایشان را ضرر و زیان بسیار خواهد شد و از مزد و اجر این جانفشانیها محروم

---

۱. بازگشت و از این حیات بعد ممات مراد است
۲. برانگیختن بعد موت اولی
۳. نزدیکی و مقابله و برابری و مجازاً به‌معنی قصد و درپی چیزی شدن
۴. محال و ممتنع‌بودن
۵. جلادت یعنی شدت و قوّت
۶. مردم کوچه‌گرد و بی‌سروپا

می‌گردد. اگر شما را تنگی قبر و وضع بود و باش آنجا از مرگ منع می‌کند (ناستوده مرگ خان) از برای شما راه بسیار خوبی نشان می‌دهد و نهج روش و کنش اموات سابقین چون اهل قدیم[1] فلسطین و باشندگان پارینه اسطخر[2] را به‌طریق واضح بیان می‌کند، تا آنکه دستورالعملی بوده باشد از برای شما در مقابر.

دیگر سبب تأخیر چیست؟ اینک (بوم شوم) بر دیوار (لثامتکده) نشسته هر وقت به‌خرابی و تباهی و ویرانی و هلاک و اضمحلال و فنا و موت ندا در می‌دهد، نه بی‌حیائی این گروه را حدّاست و نه بی‌عقلی و بی‌ادراکی این جماعت را اندازه است. این روش اهل فلسطین و این کنش اسطخریان که می‌بینی بقایای حیات قدیم و آثار زندگانی دیرینه است، نه آنکه پس مردن این مسلک را اتخاذ نمودند. (دهیر) و (مانک) چرا مانند ایشان نمی‌شوند؟ البته نمی‌شوند چون هیچوقت زنده نبوده‌اند، زندگی است که همم اقوام را به‌سوی کمالات برمی‌انگیزاند. زندگی است که مردم را بر تعلّم علوم و صنایع و تجارت دعوت می‌کند. اگر قومی مرده را روشی و کنشی و دانشی و بینشی از پیش نبوده باشد، ممکن است که بغیر نفخ[3] روح‌الحیات او را رستگاری در امور حاصل شود، چونکه دشواری استحصال اسباب رستگاری و چون دشواری استحصال اسباب حیات است، اگر آن‌چنان همتی داشته باشد چرا زنده نشود؟ (ترجیح بلامرجح در هرجا محال است) بلی اگر پیش از مردن اسباب رستگاری او را بوده باشد، می‌شود که زمانهای دراز پس از موت باقی ماند.

* * *

به اصل کلام برگردیم: این وقیح اکهوری، به‌جهت اکتساب غایات خود که شکم پرکردن باشد، عجیبه مغالطه‌ها می‌کند و غریبه مثالها می‌آورد. اگر کسی ملاحظه کند که اهل اسطخر و فلسطین در زمان حیات خود چه بودند، آیا می‌تواند که اکنون اسم

---

۱. مراد یهودند

۲. معرب اسطخر که به معنی تالاب است چون در شهر استخر که قلعه‌ای است در فارس تالاب وجود دارد. از اهل قدیم اسطخر پارسی‌ها مراد هستند.

۳. دمیدن

آنها را درمیان امم ذکر کند و بگوید که الان اسطخریان چنینند و اهل فلسطین چنانند؟ بنابر رأی این وقیح، البته اکنون دارای بزرگ به جمشیدی[۱] جی باتلی و اولاد اولاد آن می‌نازد. و سلیمان به روتشل[۲] و سلاله[۳] او فخر می‌کند. خاک بر چشم هر که بی‌شرم است، اهل اسطخر و فلسطین نیستند در این زمان مگر عبارت از مشتی استخوان پوسیده‌ای که هر روز اجزاء آن متلاشی[۴] و متناثر[۵] می‌گردد، زمانی نخواهد گذشت که اسم آنها محو خواهد شد. عجیبه ترغیبی و غریبه تشویقی! ـ حقیقتاً راست گفته بودند که کار دیوها همیشه برعکس و واژگونه است.

آیا راست نگفتم که نشاید اکهوری را در مجامع و محافل راه داد؟ ایشان با این فساد اخلاق و تباهی افکار در هر امریکه درآیند و در هر جمعیت و ادارهٔ که شریک شوند. لامحاله موجب فساد و زیان و بربادی خواهند شد ـ اگر براهین عقلیّه و ادلّه طبیعیّه گذشته را ادراک نمی‌کنی، صبر کن تا آنکه به‌چشم خویش مشاهده نمائی.

و علی کل حال، از این اکهوری ممنون شدم که پایان کار را نشان داد!. بعد از قول اکهوری دگر هیچکس را عذری نماند که بگوید مقصد را نمی‌دانستم و غایت[۶] را نمی‌فهمیدم. چه‌قدر اصرار می‌کنی و چه‌قدر درازی سخن را دوست می‌داری. این تمنع[۷] را حمل بر تعزز[۸] مکن، بر نادان تعزز نمودن از نادانی است. جمیل‌الوجه[۹] را چه حق است که بر کور ناز کند؟ ناز خوب صورت بر بیناست، چونکه حسن را می‌داند و مزایای[۱۰] آن را درک می‌کند، ولی کلام را سودی نیست، چرا بگویم و برای که بگویم؟ چه فائده دارد و ثمره آن چه خواهد بود؟ کسی که فرق در میانه آسیا و آفریقا نکند و سبطی[۱۱] را از قبطی[۱۲] نشناسد و تاتار را از فارس نداند و کیخسرو خردمند را با افراسیاب نادان یکی داند و به تبائن[۱۳] مترادفات[۱۴] حکم نماید و

---

۱. اسم پارسی ۲. اسم یهودی ۳. اولاد ۴. متفرق
۵. پراکنده ۶. نتیجه ـ سرانجام ۷. یعنی بازماندن مرا محمول بر دشواری مکن.
۸. خود را عزیز شمردن ـ خویشتن را عزیز خواستن ۹. خوبروی ۱۰. فضایل
۱۱. اهالی مصر قدیم ۱۲. اسباط یعقوب یعنی بنی‌اسرائیل
۱۳. سخت از یکدیگر دوربودن
۱۴. چیزهائی که باهم یکی باشند یا دو کلمه که به یک معنی باشند یا دو چیز که از یک قبیل باشند.

متبائنات را مترادف انگارد و نفع را ضرر و سود را زیان پندارد، با آن، سخن گفتن چه فایدهٔ خواهد بخشید؟ در نزد کور چه زشت چه زیبا! در پیش نادان چه مغالطه چه برهان، در نزد اخشم[1] چه پشک[2] چه مشک! در پیش دیوانه چه مجنون چه فرزانه! در نزد احمق چه دوست چه دشمن! سگ چون دیوانه شود، چه صاحب آن، چه بیگانه! پس اگر معذورم داری منتی بر دوشم نهادهٔ ـ سبحان‌الله، اصرار تو از حد تجاوز کرد. جان من شرح حال اکهوریان با شوکت و شأن را کتابها باید، نه این چند ورق ـ.

---

۱. کسی که شامه او مختل باشد.

۲. سرگین شتر و گوسفند و آهو و موش





دربارهٔ

دین و فلسفه

۱. اسباب صیانت حقوق

۲. فضائل دِین اسلام

۳. فوائد فلسفه



اسباب صیانت حقوق

هر فردی از افراد انسان را به‌حسب سرشت و خلقت، شهوتها و خواهشهائی است که به‌ازاء آنها مشتهیاتی و ملائماتی گذاشته شده است و آن شهوات، به ذاتها چنان اقتضاء می‌کنند که انسان حرکت نموده و سعی کرده آن مشتهیات را استحصال نماید و بدانها معالجه خواهشهای خویش کند، سورت نفس را بشکند، چه تحصیلها بـه‌نهج حق بوده باشد و یا به نهج باطل و چه به‌دست آوردن آنها موجب فتنه و سفک دماء و غصب حقوق شود و یا آنکه بدون این مفاسد، او را دستیاب گردد.

و این مقتضیات قویّه و بواعث فعاله را از تأثیرات غیرمعتدله بازداشـتن و انسـان صاحب آن شهوات مؤثره را، به‌حق خود راضی‌کردن و از تعدیات و اجحافات منع نمودن، به‌یکی از چهار چیز میسور می‌شود:

یا آنکه هر صاحب حقی شمشیری در دست‌گرفته و سپری بر دوش انداخته و یک پا در پیش و یک پا در عقب نهاده و شب و روز در صیانت حق خود بکوشد. و یا شرافت نفس، چنانچه ارباب اهواء ادعا می‌کنند و یا حکومت و یا اعتقاد بر اینکه عالم را صانعی است دانا و عمل خیر و شر را پس از این حیات جزائی است معین، یـعنی: دین.

اما وجه اول موجب آن می‌شود که از برای صیانت حِقوق و دفع تعدیات سیل‌های خون جاری گردد، تلال و اودیه، به دماء افراد انسانی مخضب شود و هر قوی، ضعیفی را طحن و سحق نماید تا اینکه آخرالامر این نوع منقرض شده، اسم او از لوح وجود محو گردد.

و اما وجه ثانی، پس باید دانست که شرافت نفس، آن صفتی است که صاحب آن

از اعمال ذمیمه و افعال قبیحه در نزد عشیره و قبیله خود اجتناب خواهد نمود و خسّت نفس آن است که دارای آن از دنایای امور پرهیز نمی‌نماید و از تقبیح و تشنیع متأثر نمی‌گردد. و هرکسی را واضح است که این صفت را، یعنی شرف نفس را، ماهیت و حقیقت معینه‌ئی در نزد امم نیست که بتوان بدو شهوات را به‌حد اعتدال آورد و هر شخصی را به‌حق خود راضی ساخته پایه انتظام را محکم نمود. آیا ملاحظه نمی‌کنی بسا اموریست که ارتکاب آنها پیش امتی خست و دنائت شمرده می‌شود و همان امور در نزد امتی دیگر، از آثار شرف و کمال نفس و از موجبات مدح و ستایش است و حال آنکه در حقیقت، عین جور و ظلم و غدر است، چنانچه نهب و غارت و دزدی و راهزنی و قتل نفس، پیش قبائل جبال و بوادی غایت کمال و نهایت شرافت نفس است! و اما اهل مُدن، همه آنها را علامت خست و دنائت می‌دانند و همچنین حیله‌بازی و مکاری و منافقی، در نزد قومی خست و قومی دیگر این امور را عقل و کاردانی و کمال می‌شمارند!

و دیگر آنکه غور کنی در این امر که هر حادثی را علتی است و علت غائی افعال اختیاری انسان نفس او است، به‌خوبی خواهی دریافت که طلب اتصاف به شرافت نفس و سعی در استحصال او و خوف از خسّت و دنائت آن به‌جهت رغبت و میل انسان است به‌توسیع طرق معیشت و حذر اوست از تنگی مسالک زندگانی، چونکه می‌داند از اتصاف به‌شرافت نفس، موثوق به خواهد گردید و به امانت و صداقت مشهور شده اعوان و انصار او بسیار خواهند شد. و با یاران بسیار، راهها و اسباب معیشت فراوان خواهد گردید، به‌خلاف اتصاف به‌خست و دنائت نفس، که موجب تنفر قلوب و باعث قلّت یاران گردیده، ابواب معیشت را مسدود خواهد ساخت. پس مقدار طلب شرافت نفس و قوت و ضعف و تمکن و عدم تمکّن آن صفت و درجات و مراتب او و تأثیرات آن در کبح ارباب شهوات از تعدیات برحَسَب معیشت‌های طبقات مردم می‌باشد. یعنی طبقات ناس آن‌قدر در تحصیل آن صفت خواهند کوشید که معیشت ایشان را نافع باشد و از ضرر و گزند محفوظ مانند، بلکه هر طبقه‌ئی شرافت نفس را آن صفتی می‌شمارد که بدان صیانت رتبه و معیشت توان شد و آنچه زیاده بر

این باشد، هرگز فقدان او را نقص و دنائت نمی‌انگارد، اگرچه در نزد طبقات دیگر، نقص و خسّت شمرده شود و در استحصال آن سعی بکار نمی‌برد.

نظرکن در غالب سلاطین و امراء، چگونه با اعتقاد شرافت نفس، از عهدشکنی پروا نمی‌کنند. خصوصاً با آنانکه از خود در جلالت و عظمت، پست‌ترند و از جور و ظلم و سایر افعال زشت اجتناب نمی‌نمایند و هیچیک از این امور را خسّت و دنائت نمی‌شمارند. و حال آنکه اگر یکی از اینها از آحاد رعیّت سر می‌زد، خسیس و دنّی‌النفس شمرده شده، بدین‌جهت در امر معیشت او خلل حاصل می‌شد، حتی سایر طبقات هم این امور را در حق سلاطین و امراء خود، از خست و دنائت نمی‌دانند، بلکه به محامل دیگر حمل می‌کنند. و همچنین است حال جمیع طبقات عالیه با طبقات سافله، طبقةً بعد طبقة، و سبب این امر آن است که طبقات عالیه، خود را از ضرر آن افعال شنیعه مصون و محفوظ می‌دانند.

پس اگر مدار انتظام عالم همین شرافت نفس باشد، هر طبقه عالیهٔ دست تعدی به‌طبقه سافله گشوده، درهای شر و فساد به روی این بیچاره انسان باز خواهد گردید.

علاوه بر این، چون غرض از اتصاف بدین صفت توسیع طرق معیشت و تحذّر از تنگی مسالک زندگانی است، چنانچه معلوم شد، پس هرگز این خصلت مانع نمی‌شود انسان را از تعدیات باطنیّه و خیانت‌های مخفیّه و رشوت‌خواریها در زوایای محاکم. زیرا آنکه انسان طالب سعهٔ عیش، می‌داند که بدین خبائث مخفیّه به‌مقصد اصلی خود خواهد رسید، بدون آنکه مشهور به‌دنائت گردد، چنانکه می‌بینی که داعیان بر شرف نفس، چگونه اعمال در زوایای محاکم از آن‌ها به‌نظر می‌رسد. پس نشاید کسی را که شرف نفس را میزان عدل قرار داده گمان کند که می‌توان بدین صفت هر کسی را به‌حق خود راضی کرده منع جمیع تعدیات و اجحافات ظاهریه و باطنیه را نماید.

و اگر کسی بگوید یکی از اسباب طلب شرافت نفس، حب مَحْمِدت است، پس می‌شود که هر شخصی به‌جهت استحصال محمدت، خود را به اعلی درجه شرافت نفس متصف ساخته خویشتن را از جمیع رذائل و دنایا و تعدیات و اجحافات، دور نماید!

جواب می‌گویم: اولاً کمتر شخصی یافت می‌شود که مدح و ثنا را بر لذائذ و

شهوت بدنیّه تقدیم نماید و اگر به‌طبقات مردم نظر شود، این به‌خوبی ظاهر و هویدا خواهد شد.

و ثانیاً چونکه موجب اول از برای مدح و ثناء این انسان‌های حیوان‌منش و باعث نخستین به‌جهت ستایش، این مورخین و مزوّرین و شعرای کاذبین غنا و ثروت و جاه و جلال و شوکت است، اگرچه استحصال اینها از طُرُق غیرلائقه شده باشد و در اکتساب این چیزها، هزارها تعدیات و اجحافات سرزده باشد.

لهذا غالب نفوس در این امر سعی خواهند کرد که خود را اصحاب غنا و ثروت و خداوندان جاه و جلال نمایند، اگرچه به‌طریق غدر و ظلم و خیانت بوده باشد، تا آنکه لذائذ بدنیّه را به‌دست آرند و هم ممدوح این مدلسّین گردند و کمتر شخصی یافت می‌شود که طالب مَحْمِدت حقّه بوده از راه حق و فضیلت و شرافت نفس ثناً و ستایش حق اکتساب کند و از آنچه گفته شد، ظاهر گردید که خصلت شرافت نفس، به‌هیچ‌وجه از برای تعدیل شهوات و منع تعدیات و انتظام عالم، کافی نیست، بلی اگر مستند به‌دینی بوده و در آن دین ماهیت آن مستقر و متعین گردیده باشد، به‌جهت آن منشاء و مبنا موجب انتظام سلسله معاملات خواهد شد، نه به نفس خود، چنانچه در بیان حیا بدین اشاره رفت.

و اما وجه ثالث، مخفی نماند که قدرت حکومت را مقصور است بر دفع ظلم‌ها و جورهای ظاهری، اما اختلاسات و تزویرها و بهتانها و فسادها و تعدیّات باطنیهٔ خداوندان شهوات را چگونه منع تواند کرد و به کدام طور به‌حیله‌ها و دسیسه‌ها و ستمهای پنهانی مطلع می‌شود، تا به‌رفع آنها بکوشد.

علاوه بر این، حاکم و اعوان او، همه اصحاب شهوتند. و کدام چیز آن دارایان قدرت را از مقتضیات شهوات فعاله منع خواهد نمود و رعیّت‌های ضعیف بیچاره را چه امر از دست شره و حرص و آز آنها خلاصی خواهد بخشید؟ و چون هیچ رادع و زاجری آنها را نباشد، البته آن حاکم خفیةً رئیس سُرّاق و جهراً رأس قطاع‌الطریق گشته، اتباع و اعوان او همه آلات ظلم و جور و غدر و ادوات شرّ و فساد و افزارهای اختلاس آن خواهند گردید و در ابطال حقوق بندگان خدا و هتک اعراض و نهب

اموال آنها، خواهند کوشید و عطش شهوات خود را از خون بیچارگان تسکین خواهند داد و قصرهای خویش را به دماء بینوایان مزین خواهند ساخت. و بالجمله، در هلاك عباد و دمار بلاد کوششها و سعی‌ها بکار خواهند برد.

پس سبب دیگری از برای کف ارباب شهوت از تعدیات و اجحافات باقی نماند مگر وجه رابع، یعنی ایمان بر اینکه عالم را صانعی است دانا و توانا و اعتقاد به‌دین که از برای عمل خیر و شرّ پس از این جهان، جزائی است معین و الحق این دو اعتقاد معاً، پایدارترین اساسی است از برای کبح شهوات و رفع تعدیات ظاهریّه و باطنیّه و محکمترین رکنی است به‌جهت برانداختن حیله‌ها و تزویرها و تدلیس‌ها و نیکوترین باعثی است برای احقاق حقوق و اوست سبب امنیت و رفاهیت تامه و بدون این دو عقیده، هرگز هیئت اجتماعیّه صورت وقوع نپذیرد و مدنیّت لباس هستی نپوشد و مایه معاملات استوار نگردد و مصاحبات و معاشرات بی‌غل و غش نشود.

و اگر کسی را این دو اعتقاد نباشد، به‌هیچ‌وجه او را داعئی به‌سوی فضائل و زاجری از رذائل نخواهد بود، به‌هیچ چیز او را از خیانت و دروغگوئی و منافقی و مزوّری منع نخواهد نمود، به‌جهت آنکه علت غائیه جمیع ملکات مکتسبه و افعال اختیاریه، چنانچه گفته شد، نفس انسان است. و چون کسی را اعتقاد به‌ثواب و عقاب نباشد، کدام چیز دیگر او را از این صفات زشت منع نموده و به اخلاق حسنه دعوت خواهند نمود؟ خصوصاً در وقتیکه معلوم شود انسان راکه نه از اتصاف بدانها ضرری در دنیا برو مترتب خواهد شد. و نه از تخلّق بدینها او را فایده‌ئی خواهد رسید و کدام امر او را بر معاونت و مناصرت و مرحمت و مروّت و جوانمردی و دیگر اموری‌که هیئت اجتماعی را از آنها گریزی نیست، الزام خواهد کرد؟

پس، از همه آنچه بیان کردیم، به نهج اوضح ظاهر شد که دین اگرچه باطل و اخسّ ادیان بوده باشد، به‌جهت آن دو رکن رکین، یعنی اعتقاد به صانع و ایمان به ثواب و عقاب و به‌سبب سائر اصول ستّه آن که ودائع دینها و کیش‌هاست، از طریقه مادیین، یعنی نیچریها بهتر است در عالم مدنیّت و هیئت اجتماعیه و انتظام امور معاملات، بلکه در جمیع اجتماعات انسانیه و در همه ترقیات بشریه، در این دار دنیا.

و چون معلوم شد که دین مطلقاً مایه نیک‌بختی‌های انسان است، پس اگر بر اساس‌های محکم و پایه‌های متقن گذاشته شده باشد، البته آن دین بر نهج، اتمّ سبب سعادت تامّه و رفاهیت کامله خواهد گردید و به‌طریق اولی موجب ترقیات صوریه و معنویه شده، عَلَم مدنیت را درمیان پیروان خود خواهد برافراخت.

بلکه متدینین را به‌تمامی کمالات عقلیّه و نفسّیه فائز خواهد گردانید و ایشان را به نیک‌بختی دو جهان خواهد رسانید.

فضائل دین اسلام

اگر غور نمائیم در ادیان، هیچ دینی نخواهیم دید که مانند دین اسلام براساس محکم متقن نهاده شده باشد. زیراکه عروج امم بر مدارج کمالات و صعود شعوب بر معارج معارف و ارتقاء قبائل بر مراقی فضائل و اطلاع طوائف انسان‌ها بر دقائق حقائق و استحصال آنها سعادت تامّه حقیقیّه را در دار دنیا و آخرت، موقوف است بر اموری چند:

اول آنکه باید لوح عقول امم و قبائل از کدورات خرافات و زنگ‌های عقاید باطله همیشه پاک بوده باشد، زیرا آنکه عقیده خرافیّه، حجابی است کثیف که علی‌الدوام حائل می‌شود درمیانه صاحب آن عقیده و میانه حقیقت و واقع و او را بازمی‌دارد از کشف نفس‌الامر، بلکه چون خرافی را قبول کرد، عقل او را وقوف حاصل شد و از حرکات فکری سرباز زد، پس از آن حمل مثل بر مثل کرده، تمام خرافات و اوهام را قبول خواهد نمود و این موجب آن می‌شود که از کمالات حقّه دورافتد و حقائق اکوان بر او پوشیده ماند، بلکه سبب خواهد شد که تمام عمر خود را به اوهام و وحشت و دهشت و خوف و بیم بگذارد و از حرکت طیور و جنبش بهائم، در لرزه افتد و از هبوب ریاح و آواز رعد و درخشیدن برق مضطرب گردد و به‌واسطه تطیّرات و تشئمّات، از غالب اسباب سعادت خود، بَازماند و هر حیله‌باز و مکّار و دجّالی راگردن نهد.

و کدام شقا و بدبختی و سوءعیش از این‌گونه زندگی بدتر خواهد بود؟ و دین اسلام، اول رکن او این است که عقول را به‌صیقل توحید و تنزیه، از زنگ خرافات و کدر اوهام و آلایش و همیّات، پاک سازد.

و نخستین تعلیم او این است که انسان را نشاید که انسان دیگر و یا یکی از جمادات علوّیه و سفلیّه را خالق و متصرّف و قاهر و معطی و مانع و معزّ و مذّل و شافی و مهلک، بداند.

و یا که اعتقاد کند که مبدأ اول، به لباس بشری برای اصلاح و یا افساد ظهور نموده است و یا خواهد نمود و یا آنکه آن ذات منزّه به‌جهت بعضی از مصالح، در کسوت انسانیت چه بسیار آلام و اسقام را متحمل گردیده است و غیر از اینها، از آن خرافاتی که هریک به انفراد، برای کوری عقل کافی است و غالب ادیان موجوده، از این اوهام و خرافات خالی نیست، اینک دیانت نصرانیه، دیانت برهما و دیانت زردشت!

دوم آنکه نفوس آنها باید متصف بوده باشد به‌نهایت شرافت، یعنی هر واحدی از امم، خود را به‌غیر از رتبه نبوت که رتبه‌ای است الهیه، سزاوار و لایق جمیع پایه‌ها و رتبه‌های افراد انسانیه بداند و درخور نقص و انحطاط و عدم قابلیتی تصور نکند.

و دین اسلام درهای شرافت را به روی نفوس گشوده و حق هر نفسی را در هر فضیلت و کمالی، اثبات می‌کند و امتیاز شرافت جنسیت و صنفیّت را از میانه برمی‌دارد. و مزّیت افراد انسانیه را فقط بر کمال عقلی و نفسی قرار می‌دهد که کمتر دینی یافت می‌شود که این مزیت در او بوده باشد.

سیم آنکه باید هر امتی از امم عقائد خود راکه اول نقشهٔ الواح عقولست بر براهین متقنه و ادلّه محکمه مؤسس سازند و از اتبّاع ظنون در عقاید دوری گزینند.

و به‌مجرد تقلید آباء و اجداد خویشتن، قانع نشوند و دین اسلام آن یگانه دینی است که ذمّ اعتقاد بلادلیل و اتّباع ظنون را می‌کند و سرزنش پیروی از روی کوری را می‌نماید و مطالبهٔ برهان را در امور به متدینین نشان می‌دهد و در هرجا، خطاب به‌عقل می‌کند و جمیع سعادات را نتیجه خرد و بینش می‌شمارد و ضلالت را به بی‌عقلی و عدم بصیرت نسبت می‌دهد و از برای هریک از اصول عقاید به نهجی که عموم را سودمند افتد، اقامه حجت می‌نماید.

بلکه غالب احکام را با حکم و فوائد آنها ذکر می‌کند (به قران شریف رجوع شود)

و هیچ دینی نیست که این فضیلت در او بوده باشد. و چنان گمان می‌کنم که غیرمسلمین نیز بدین مزیت اعتراف خواهند کرد.

چهارم آنکه باید در هر امتی از امم، جماعتی به‌تعلیم سائرین مشغول بوده باشند و در تحلیه عقول آنها به معارف حقه کوتاهی نورزند و در تعلیم طرق سعادت، تقصیر ننمایند و گروهی دیگر همیشه در تقویم و تعدیل نفوس بکوشند و اوصاف فاضله را بیان و فوائد آنها را شرح و اخلاق رذیله را توضیح و مساوی و مضّار آنها را تبیین کنند.

و از امر به‌معروف و نهی از منکر غافل نشوند و دین اسلام، اعظم فروض و واجبات آن این دو امر، یعنی تعلیم و امر به‌معروف و نهی از منکر است و در سایر ادیان، آنقدر اهتمامی در این دو امر نشده است.

اگر کسی بگوید: چون دیانت اسلامیّه چنین است، پس چرا مسلمانان بدینحالت محزنه می‌باشند؟ جواب می‌گویم: چون مسلمانان بودند، چنانچه بودند و عالم هم به‌فضل آنها شهادت می‌دهد... و اما الان؟ پس بدین قول شریف اکتفاء خواهیم کرد! «انّ‌الله لایُغیّر مابقوم حتّی یغیّروا ما بأنفسهم» *

---

* این بحث، خلاصه‌ای از آخرین بخش رساله «نیچریه» است، ولی چون در مجموعه مقالات سید، چاپ هند، بطور جداگانه هم چاپ شده است، به نقل مجدد آن اقدام شد.

فوائد فلسفه

«الحکمة تنادی العلماء بأعلی صوتها و تطالبهم بحقّها فی محکمة العقل[1]»

فلسفه، یعنی حکمت، چه هست و غایت و فایده آن چیست؟ و سبب حقیقی حصول آن در عالم انسانی کدام چیز تواند بود؟ و موجب اصلی انتشار آن در مسلمانان چه بوده باشد؟ و نسخه جامعه و گرامی نامه‌اش کدام است و پایان و نهایتش کجاست؟ آیا به تألیفات **فارابی** و **ابن‌سینا** و تصنیفات **ابن ماجه** و **ابن‌رشد** و کتب **شهاب‌الدین مقتول** و **میرباقر** و **ملاصدرا** و سائر رسائل و تعلیقاتی‌که متعلق است به فلسفه، کفایت حاصل می‌شود یا نه؟ اگرچه پیشینیان فلسفه را به‌عبارات شیرین و چست و چسبان، تعریفها و تحدیدها نموده‌اند، ولکن آن تعریفات به‌سبب اصطلاحات عجیبه و صعوبت[2] ترکیب و غرابت وضع و به‌جهت ارتیاح[3] نفوس، به امور بدیعه، الفاظ آنها مقصود بالاصاله معلمین و مطلوب بالذات متعلّمین و محطّ[4] آراء متفلسفین[5] و مجال افکار متمنطقین[6] گردیده است و معانی و مفاهیمشان، چنان متروک و مهجور شده که گویا معرّفین را هرگز مقصد و مرادی از تعریفات خود بجز بحث جامعیت و مانعیّت[7] و ذکر جنسی[8] شامل و فصلی[9] مانع نبوده است.

---

۱. حکمت ندا می‌کند علما را به آواز بلند خود و طلب می‌کند از ایشان حق خود را در محکمهٔ عقل.

۲. دشواری ۳. شادشدن ۴. جای انداختن فکرها و اندیشه‌ها

۵. علمای فلسفه ٦. کسانی‌که مدعی دانستن منطق هستند.

۷. مانعیت در اینجا مقصود اصطلاح اهل منطق است که گویند «تعریف» باید «مانع» باشد یعنی غیر افراد معرف در آن داخل نشود.

۸. جنس، کلی است که داخل هیئت ولکن از نوع، عام‌تر باشد.

۹. فصل، کلی است که داخل هیئت و مخصص جنس باشد.

لهذا، چشم از آنها پوشیده و قید عادت را اگرچه بر نفوس دشوار باشد، برداشته می‌گویم: فلسفه خروج از مضیق[۱] مدارک حیوانیت است به‌سوی فضای واسع مشاعر انسانیت و ازالهٔ ظلمات اوهام بهیمیّه است، به انوار خرد غریزی[۲] و تبدیل عمی و عمش است[۳] به بصیرت و بینائی و نجات است از توّحش و تبربر جهل و نادانی، به‌دخول در مدینه فاضله دانش و کاردانی و بالجمله صیرورت انسان است. انسان و حیات اوست به‌حیات مقدّسه عقلیه و غایت آن، کمال انسانی است در عقل و نفس و معیشت و کمال در معیشت و رفاهیت در زیست، شرط اعظم است کمال عقلی و نفسی را و نخستین سبب است از برای حرکات عقلیه انسان و خروج آن از دائره حیوانات و بزرگ‌ترین موجبی است به‌جهت انتقال قبائل و امم، از حالت بداوت و توحش به‌حضارت[۴] و مدنیت و اوست علّت اولای انشاء معارف و ایجاد علوم و اختراع صنایع و ابداع حِرف، زیرا آنکه انسان در کمال معیشت خویش محتاج است به زراعت و غرس[۵] اشجار و حراست اثمار و اقتنای[۶] حیوانات و صیانت انهار و انباط[۷] میاه و حفر[۸] انهار و جسور[۹] و قناطر[۱۰] و غزل[۱۱] و نسج[۱۲]، به‌طوریکه شایان و دلپذیر بوده باشد و بناء عمارات بر نهجی که زیست انسانی را شاید و حفظ صحت خویشتن و معالجه امراض طاریه بر بدن خود و مجموع اینها حاصل نمی‌شود مگر به‌قلع[۱۳] و قطع[۱۴] و کسر[۱۵] و نحت[۱۶] و تثقیب[۱۷] و رفع[۱۸] و حمل و نقل و تسویه[۱۹] و تعدیل و موازنه و به‌معرفت فصول و ازمنه و حوادث جوّیه و شناختن طبایع اراضی و خواص اقالیم و تأثیرات اهویه و دانستن امزجه مرکبات و فعل و انفعال بسائط و کیفیت تحلیل و ترکیب و ادوات آن. و چون قیام شخص واحد بدین امور متکثره متعسر و یا متعذر است، البته تعاون و تبادل در عمل که که آنرا معامله می‌گویند، ناگزیر خواهد بود.

---

۱. تنگنا ۲. جبلی و طبیعی ۳. نابینائی
۴. بداوت: بدوی، بیابانی. حضارت: شهرنشینی، تمدن... . ۵. کاشتن
۶. حاصل‌کردن و بدست‌آوردن ۷. استخراج چشمه‌ها ۸. کندن نهرها
۹. پلها ۱۰. پل ۱۱. رشتن ۱۲. بافتن
۱۳. برکندن ۱۴. برکشیدن ۱۵. شکستن ۱۶. تراشیدن
۱۷. سوراخ‌کردن ۱۸. برداشتن ۱۹. برابرکردن بدون کم و زیاد و بالسویه قسمت‌کردن

پس کمال انسانی در معیشت، محتاج شد به جزئیات متکثّره‌ای که حدّ و پایان ندارد، لهذا واجب شد بر انسان که جمع نماید آن جزئیات را در تحت قواعدی کلیّه و قوانینی عامّه و چون قواعد کلیّه در نزد او بسیار شد، آن‌ها را برحسب تناسب و تلائم[۱] افراز[۲] نموده به‌تأسیس علوم و تبویت[۳] فنون اشتغال ورزید، چون فن فلاحت و نباتات و علم حیوانات و بیطره[۴] و علم هندسه و مثلثات و مساحت و علم حساب و جبر و مقابله و علم طب و جراحت و تشریح و فیسیولوجیا و خواص ادویه و کیفیت ترکیب آن‌ها و علم فلک و جغرافیه و اسطرلاب و قطع بحار و علم معادن و طبقات‌الارض و علم طبیعت و جراثقال و احوال میاه و حوادث جوّیه و علم کیمیا که عبارت است از علم تحلیل مرکبات و ترکیب بسائط و خواص آنها و علم تدبیر منزل و فن قوانین مدنیّه و نظامات بلدیّه و سیاست دولیّه و چون مقصود اصلی از این فنون اعمال اشغال بود سعی بلیغ نمود در تطبیق و توفیق میانه علم و عمل و هر قدر که افراد انسان تزاید پذیرفت و حاجات در معیشت افزونی یافت، این فنون را ترقی حاصل شده مسائلش روی به ازدیاد و کثرت نهاد، این بود که گفتم علت اولای جُلّ علوم و معارف و صنائع کمال در معیشت است و انسان را پس از آسایش اندکی در معیشت، نظر توجه به‌جانب نفس خویش افتاده دانست که کمال معیشت با فساد اخلاق و تمامی اسباب راحت بدنیه با سوء ملکات باطنیه، عین نقصان است، چون‌که جَبون مضطرب از حوادث و کوارث[۵] متوّهمه و شره[۶] مستسقی مبتلا به‌جوع‌البقر[۷] و حسود محزون از نعم غیر و غضوب[۸] ملتهب[۹] از زلّات[۱۰] حقیره و بخیل محروم از لذائذ را اگر همه اسباب معیشت حاضر بوده باشد، چه راحت و رفاهیت دست خواهد داد؟ و لهذا به‌قوه فلسفه، اخلاق فاضله را از ملکات رذیله تمیز داده تا آنکه به تجلیه[۱۱] و تخلیه[۱۲] او را کمال نفسانی

---

۱. توافق ۲. جداکردن چیزی از چیزی
۳. جای‌کردن و کسی را جای‌دادن و کسی را به‌جائی فرود آوردن ۴. معالجه‌نمودن چهارپایان
۵. شدائد ۶. مغلوب‌الحرص
۷. کنایه از شکم‌پرستی است که از خوردن سیری نداشته باشد.
۸. خشمگین و سخت در خشم و غضب‌شدن ۹. برافروخته‌شدن از التهاب
۱۰. لرزیدن و لغزش‌یافتن
۱۱. تجلیه زینت‌دادن و در اینجا مقصود زینت‌دادن خویش به اخلاق فاضله است.

حاصل گردد و از برای مراقبه نفس خویش و محافظت ملکات مقدّسه بر آن، فن تهذیب‌الاخلاق اختراع نمود و چون عقل از صلاح بدن و معیشت آن و تعدیل و تقویم اخلاق نفس پرداخت، عطف عنان فکر را به‌جانب خویش نموده، جویای کمال منتظر و حیات حقیقیّه و سعادت ابدیّه و لذائذ معنویّه خود گردید و به هدایت حکمت، بحث از پیدایش و حقیقت خویش نموده و اسباب مشاعر[۱۳] و علل[۱۴] مدارک و ارتباط آنها را به‌حاسّات بدنیّه طالب و نتائج معلولات هریکی را جویا و دواعی[۱۵] صلاح و فساد هر واحدی را خواهان گردیده و در فهمیدن علاقه عقول به ابدان و ارواح به اجساد سعی‌های بلیغ بجا آورده و باعث اختلاف اخلاق امم و علت حصول هر خلقی را جداگانه دریافت نموده و مقتضی عروج و هبوط ملل را در مدنیت و علوم و معارف و صنایع موضوع بحث قرار داده و علل شرائع و بواعث تشریع را جویاگردید و عالم را محطّ فکر و نظر خود ساخته و در مبدأ و منشاء و اصل و ماده و عوارض و حوادث و علل و معلولات او به‌نهج عموم و خصوص تدبرها و تعمقها نموده و اسباب تجاذب و تدافع و تقارب و تباعد و فعل و انفعال اجزاء عالم را تحقیق کرده و حرکات و بواعث آنها را استکشاف و موجب تکوّن جراثیم نباتات و حیوانات و مقتضی تبدل آنها به هیئت منتظمه و اشکال متقنه محکمه و غایت وجود آنها را آنقدر که حکمت مساعدت نموده است، فهمیده و در بقا و سعادت خویشتن افکار دقیقه بکار برده، پس از آن از برای جمع قوانین کلّیه و ضبط جزئیات متکثّره‌ای که متعلق بدین امور است فنونی چند وضع نموده است، چون: فن فلسفه عقلیه و فن فلسفه اخلاق، و فن فلسفه تاریخ و فن فلسفه شرائع و قوانین و فن فلسفه اولی و حکمت علیا.

و چون غایت حکمت معلوم گردید، ظاهر و هویدا شد که سبب اوّلی و باعث حقیقی پیدایش آن در عالم انسانی اولاً حاجت و دشوارَی راههای معیشت انسان است و صعوبت زیست اوست، چون سائر حیوانات و ثانیاً عقل فطری و خرد غریزی

---

۱۲. تخلیه ترک رذایل است.

۱۳. دانستن

۱۴. علتها

۱۵. مقتضی و مقتضیات

است، زیرا آنکه قوام و حیات او به ادراک اسباب و علل و لذت و مسرت آن در کشف مجهولات و دانستن خبایای[۱] عالم هستی می‌باشد و اما موجب انتشار آن در مسلمانان، پس باید دانست که افکار عالیه هر قومی، بلکه هر شخصی، برحسب ادراکات کلّیه ابتدائیه آن قوم و یا خود آن شخص، می‌باشد و ادراکات کلیه ابتدائیه، به‌مقدار معلومات جزئیه و معلومات جزئیه، به‌اندازه ضروریات معیشت و وضع زندگانی ایشان خواهد بود و این مطلب از مقایسه طفل دهقانی، با بچه شهری به‌وضوح خواهد پیوست.

بنابراین، امتی که متوّغل[۲] در بداوت و غریق در توّحش بوده، به‌صلابت و درشتی و خشونت و تقشّف[۳] در ملبس و مأکل و مسکن و مبیت خو کرده باشد، لامحاله لوازم معیشت و ضروریات حیات و سامان زندگانی آن، در نهایت قلّت و زیست و معیشت آن قوم، قریب به عیش و زندگانی حیوانات خواهد بود و چون بر این رتبه خسیسه بوده باشد و در این دائره ضیّقه[۴] حرکت و جولان نماید، البته ادراکات جزئیه‌اش بدان نسبت اندک خواهد بود و در وقتی‌که ادراکات جزئیه که منشاء انتزاع است، در نهایت کمی بوده باشد، هرگز ادراکات کلیه ابتدائیه منتزعه او، به‌درجه کثرت نخواهد رسید و هیچوقت آن قوم صاحب افکار عالیه نخواهد گردید، بلکه در ادراکات نیز نزدیک به‌درجه حیوانات خواهد بود و هرکسی راکه اندک المامی[۵] به فن تاریخ بوده باشد، خواهد دانست که در قرون ماضیه و ازمان سالفه، هیچ امتی یافت نمی‌شد که أبعد از مدنیت و أغرق در بداوت و أمکن در توحش بوده باشد از امّت عربیه و لهذا این امت را در ازمان غابره[۶] به غیر اشعار چندی، که بنای آنها بر تخیلات است، معارف دیگری نبود و از حرکات فکریه عالیه و ادراکات کلیّه عقلیه و فنون حکمیّه جلیله، بالمرّه محروم بود، تا آن زمانی که مبدأ اول و حق مطلق، به واسطه گزیده پیغمبر خود، گرامی نامه‌ای فرستاد و در آن گرامی نامه، بعد از دعوت به وحدانیت و سپس طلب اعتراف به انبیاء که مهابط[۷] حکمند، جهل و غباوت و عمی و

---

۱. چیزهای پوشیده
۲. مبالغه کننده و فرورونده
۳. کثافت و ضیق و تنگی
۴. تنگ
۵. وقوف و آگاهی
۶. گذشته
۷. جمع مهبط، جای فرود آمدن.

عمش و اتّباع ظنون و اوهام و پیروی تقالید را در مواضعی چند به ذمائم شنیعه ذّم و علم و حکمت و معرفت و تدبر و تفکر و بصیرت را به‌مدائح بلیغه، در مواقع بسیاری مدح نمود و مفاسد اخلاق رذیله را به آیات شافیه بیان و منافع ملکات فاضله را به‌عبارات محکمه آشکارا ساخت و شرح اقوال امم سابقه را داده و در تلو آن جزای دنیوی استقامت و اعتدال و سزای عاجل اعوجاج و انحراف هریکی را از برای عبرت‌گرفتن، ذکر فرمود و اساس قوانین کلیه معاملات منزلیّه و مدنّیه را چنانچه موجب سعادت مطلقه گردد، تبیین و مضرات ظلم و تعدی که نتیجه توحش و تبربر است، توضیح کرد و گفت انسان را که آنچه در زمین است از برای تو خلق شد، پس ترهّب مکن و از لذائذ آن بر نهج عدل، بهره خویشتن بگیر و خود را از زینتی که عطای الهی است، محروم مساز و کمّلین[1] در عقل و نفس را که عبارت از صالحین بوده باشد، به‌سلطنت همه روی زمین نوید داد.[2]

و بالجمله: در آن گرامی‌نامه، به آیات محکمه اصول[3] فنون حکمیه را در نفوس مطهره نهاد و راه انسان‌شدن را به انسان وانمود و چون امت عربیه بر آن گرامی‌نامه ایمان آورد، از عالم جهل به‌علم و از عمی به بصیرت و از توحش به‌مدنیت و از بداوت به‌حضارت منتقل گردید و احتیاجات خود را در کمال عقلی و نفسی و در معیشت فهمید و آن جراثیم وارومها[4] اندک‌اندک بالیدن[5] گرفت و افکار در تزاید شد و عقلها در دوائر وسیعه عالم، از برای اکتساب کمالات در جولان آمد، تا آنکه جماعتی در زمان منصور دوانقی ملاحظه نمودند که قطع این مراحل و طی این منازل بی‌پایان، بدون استعانت به افکار مشارکین در نوع، خالی از صعوبت و دشواری نخواهد بود و دانستند که تکبرنمودن در تعلّم، به‌جهل راضی‌شدن است، لهذا در عین شوکت و سطوت و عزت اسلام و مسلمین، به‌جهت شرف و رفعت علم و علوّ مقام آن به پیش رعایای خود که نصاری و یهود و مجوس بوده باشد، سر فرود آورده اظهار فروتنی نمودند، تا آنکه به‌واسطه آنها فنون حکمیه را از فارسی و سریانی و یونانی به

---

۱. جمع‌الجمع کامل. ۲. اشاره به آیه شریفه: ان الارض یرثها عبادی الصالحون.
۳. ریشه‌های فنون و حکمتها ۴. اصل و بیخ ۵. نموکردن

عربی ترجمه کردند و از این معلوم شد که آن گرامی نامه نخستین معلم حکمت بود مسلمانان را ـ و نسخه جامعه فلسفه این عالم کبیر است، که هر شخصی در او حرفی و هر نوعی کلمهٔ و هر جنسی سطری و هر عالم صغیری صفحهٔ و هر حرکتی و تغییری شرحی و حاشیهٔ از برای او می‌باشد و این کتاب کبیر را پایانی پیدا نیست و حروف و کلمات و سطور و صفحات آن بشمار بشر درنیاید و در هر کلمهٔ بلکه در هر حرفی از آن، آنقدر رموز و اسرار مضمر است که اگر جمیع حکمای گذشته و موجوده را عمر نوح بودی و هریکی در هر روز هزار رمز را حل و هزار سرّ را کشف نمودی، با وجود این از اکتناه آن عاجز ماندندی و بر قصور خویش اعتراف کردندی. پس اگر کسی دعوی آن کند که به دوسه ورق پارینه که در دست دارد احاطه تامه به عالم نموده! و همگی اسرار آنرا فهمیده است، البته آن مبتلا به‌جهل مرکب و یا مالیخولیا خواهد بود و این اخیر أقرب است.

بلی! هرکس هرچه نوشته است، برحسب قوّت و ضعف ادراك و حدّت و انفلال بصیرت خویش، از روی کتاب عالم نوشته است و چون کمال انسان در عقل و در معیشت به اندازه علم اوست به‌کتاب عالم و حال او ظاهر شد، پس کمال انسانی را حدی و نهایتی نخواهد بود و لهذا واجب است بر هر شخصی به‌انفراده و بر هر امتی به هیئت مجموعه، که آن نسخه جامعه را از برای عروج به مدارج کمال عقلی و کمال در معیشت پیشنهاد خود کرده و در او به‌نظر بصیرت غور نموده هر روزه بهرهٔ تازه و حظّی جدید استحصال نماید.

و چون این مطلب آشکارا شد، پس هرکس را ظاهر و هویدا گردید که فلسفه را حدّی و پایانی نیست و اندازهٔ ندارد و به‌هر درجهٔ از درجات آن اگر فی حد ذاتها ملاحظه شود، کمال است و چون به‌درجه عالیتر نظر افتد، نقص شمرده می‌شود. وقوف در درجهٔ از درجات آن، یا ناشی[1] است از غفلت و ذهول[2] و یا از کوری و جهل مرکب و یا از دون‌همتی و خسّت فطرت و تألیفات حکمای اسلامیه را به‌قطع نظر از عدم کفایت اضعاف اضعاف آنها، از برای حصول کمال انسانی، از چندین وجه نقص و ناتمامی می‌باشد.

---

۱. پیداشونده

۲. غافل‌شدن و فراموش‌کردن

وجه اول آنست که مطالب مندرجه در آن کتب، چنانچه فی نفس‌الامر و الواقع و در نزد حکمای **یونان** بود، بر ما آشکار نگردید. بلکه حکمای مسلمین، آن‌ها را به زیور کمال و حلّیه عصمت از خطا به ما جلوه دادند و ابواب چون و چرا را به روی اذهان صافیه بستند! و سببش این بود که آنها اعتقاد نمودند بر اینکه فلاسفه **اغریقیین**[۱] و **رومانیین**، همگی صاحب عقل مطلق و ارباب ملکات مقدسه و خداوندان قوای قدسیّه و مکاشفات حقّه می‌باشند. و اُفق مشاعر و مدارک آنها فوق افق مشاعر سائر انسانها است و **لهذا** اقوال آنها را مانند **وحی آسمانی** قبول نموده! تقلید نمودند ایشان را، در حجج و ادله، چنانچه عوام تقلید می‌کنند پیشوایان خود را در مطالب و مقاصد! حتی **ابن سینا** با جلالت قدرش، در وقتی‌که خواست مخالفت نماید، مرشد خود **ارسطوی** اغریقی را در مسئله **نفوس فلکیه**، این امر را بسیار بزرگ شمرده وحشت و دهشت بر او غلبه کرد و خوف و خشیت او را فراگرفت و به‌جهت این اولا باکلّ انفعال و تأثر اشاره خفیفهٔ به رأی جدید خودکرده، پس از آن در جای دیگر با غایت عجز و اضطراب، آن را بیان نموده و ملاصدرا را قوت اعتقاد بدان قوم، بر آن داشت که کفر و زندقه و الحاد[۲] را در حق آنها محال شمرده، درصدد محامات[۳] از **ذیمقراطیس** و **تالیس** و **انباز قلس** و **ابیقور** و غیره برآمد و هریک از اقوال ایشان را که صریح در انکار صانع بود، **تأویل** نموده عذرهای سست از طرف آنها آوردن گرفت! و **شهاب‌الدین** مقتول، دائره تقلید را وسعت داده اقوال **زردشت** را نیز به اعتماد تام، بلابینّه حقّه و حجج صدقه، پذیرائی نمود و قول به نور و ظلمت را رونقی تازه داد و این حسن اعتقاد **حکمای مسلمانان** را از آن دست داد که گمان کردند آن فلاسفه اقدمین، هریکی در فلسفه فنون چندی را با غایت اتقان و نهایت احکام بدون مساعده[۴] افکار دیگران اختراع نموده، با غموضت[۵] مسائل و صعوبت مطالب آنها و از این غافل شدند که **علوم فلسفه**، چون سائر فنون و صنایع به‌تلاحق[۶] افکار و تتابع[۷] آراء بدان پایه رسیده است و اول پیدایش اساس جمیع آن فنون، **هندوستان** و از آنجا

---

۱. اغریقی منسوب به اغریقیه اسم بلادی از یونان است. اغریقی‌ها: یونانی‌ها.
۲. از حق برگشتن و در حرم کعبه قتال‌کردن
۳. حمایت‌کردن
۴. یاری‌کردن
۵. مشکل و مبهم
۶. پیوستن و ملحق‌شدن
۷. به دنبال هم

به بابل و از بابل به مصر انتقال کرد و از مصر به بلاد اغریق و روما رفت. و در هر انتقالی، هیئت جدیدهٔ اکتساب و در هر رحلتی پیرایهٔ نوی استحصال نموده از حالتی به‌حالت دیگر منتقل گردید، چنانچه جراثیم نباتات و حیوانات از حالت نقص به کمال متحوّل[1] می‌شود و حکمای اغریق و روما را در آن فنون به‌غیر از چند آراء زهیده و اقوال محدوده، چیز دیگری نبود ولکن چون آن‌ها اسامی اساتده خود را مصرّحاً ذکر نکردند، حکمای اسلام را چنان گمان شد که این فنون را از کتم[2] عدم بلاسابقه به عالم وجود آورده‌اند! و به‌منصّه شهود جلوه داده‌اند و بعضی از حکمای اسلام در همان دائره ضیّقه تقلید به‌هزار مسرت، اشکالی چند از مناقشات مموّهه[3] و مباحثات مزوّقه[4] بر صفحات نقش نموده، به‌جهت قافیه حکمت یونانیه آنها را حکمت یمانیّه نام نهادند.

وجه ثانی، مخلوط‌بودن مسائل فلسفیه آن کتب است غالباً به مطالب کلامیه صائبین و سبب آن این است که اغریقیین و رومانیین، صائبی‌المذهب بودند و به افلاک و کواکب ایمان و به آلههٔ متعدده اعتقاد داشتند. لهذا معتقدات خویش را به ادّله مموّهه و به کلمات مزوّقه و به اقوال مزیّنه و به بیانات محسّنه و به خطابیات شیرین و اقناعیّات[5] دلپذیر، درج الواح فلسفه نمودند و آنها را مسائل حقّه! حکمت انگاشتند، چون: قول به مُثُل افلاطونیه[6] و ارباب انواع، که عبارت از آلهه ایشان بوده باشد. و چون حکم به عدم جواز خرق و التیام بر افلاک و بودن آنها از عنصر خامس و اثبات عقول و نفوس کلیه از برای آنها و جلّ مسائلی که متعلق به افلاک است و حکمای مسلمانان بر این نکته ملتفت نشده جمیع آن مسائل را ثقة به قائلها[7] قبول نموده و در مؤلفات خود ثبت کردند و اگر منصفی اندک غوری به نور بصیرت در آن مطالب نماید، بر او ظاهر خواهد شد که یک برهان هم از برای اثبات آنها ذکر

---

۱. از حالی به‌حالی منتقل شدن
۲. پوشیدگی
۳. ظاهر آراسته
۴. یعنی زینت‌داده شده
۵. منسوب به اقناع به‌معنی خوش‌کردن مثل اقناعیات شعراء و بلغاء.
٦. مثل افلاطونی عبارت از عقول مجرد است که چون افلاطون در فلسفه خود اسمی از آن برده به‌نام خود وی معروف شده است.
۷. اعتماد بگوینده آن

نکرده‌اند، بلکه عقائد خود را چنانچه عادت متکلمین هر دین است، به بعضی از مموّهات از برای سامعین جلوه داده‌اند.

وجه ثالث آن است که مسائلی که در آن کتب مندرج است، فی حدّ ذاتها أبتر[1] و اقطع[2] می‌باشد، اما مسائل جبر و مقابله و مسائل هیئت به‌جهت آنکه خود مؤلفین در کتابهای خود به ناتمامی آنها حکم کرده‌اند. اینک خلاصة‌الحساب و تذکره طوسی. حتی طوسی پس از آنکه به قوه فکر خود مساعده سابقین را نموده، از برای اتمام مسائل هیئت چندین افلاک نو از نهانخانه خیال خود به عالم سموات عطا فرموده است! باز در بعضی جاها اعتراف به عجز خود می‌کند.

و اما مسائل طبیعیات، باید دانست که تمامی مسئله ترکّب جسم از هیولی و صورت و متعلقات آن موقوف است بر اینکه لازم جسم بر فرض بساطت[3] اتصال ذراعی و لازم مقدار ذراعیت بوده باشد. مثلاً تا آنکه لازم آید از وقوع انفصال[4] انعدام[5] آن بالمرّه و وجود دو چیز از عدم بحت[6] و اجتماع اتصال و انفصال در شیئی واحد. و در اینجا مؤلفین به‌سرعت درگذشته‌اند، بلکه در جای دیگر، به ضد مبنای این مسئله تصریح نموده گفتند که قابل انفصال بالذّات مقدار است فقط! پس از آن، آگاه شده تحکماً حکم نمودند به فرق میانه انفصال تقدیری و انفصال انفکاکی و حال آنکه ثانی، فرع اول است. و بیان کردند که واسطه درمیان قوّه و فعل نیست و حرکت به معنی‌القطع وجود ندارد، بلکه موجود «حرکت» به‌معنی التوسّط است و آن دفعیّه می‌باشد. پس از آن حکم کردند که حرکت، خروج شیئی است از قوه به عالم فعل تدریجاً و این عین ناتمامی کلام است و تصریح نمودند که زمان موجود است و آن مقدار حرکت است. سپس آن تقریر کردند که به‌غیر از آن سیّال، چیز دیگری موجود نیست! و آن غیر زمان است و می‌گویند طبیعت مقداریه، چیزیست ممتّد و مقدار بُعدی است عرضی متّصف به امتداد و استنکاف می‌نمایند از بُعد مجرد و حال آنکه محذور[7] متوّهم در وجود بُعد مجرد به ادنی تغییری در هریک از صورت جسمیّه و مقدار جاری می‌گردد.

و اعجب از این آنست که انکار وجود بُعد مجرد را می‌نمایند پس از آن کیفیت

---

۱. دم‌بریده ۲. پاره و بریده‌شده ۳. سادگی یعنی چیزیکه از اجزای مختلف مرکب نباشد.
۴. جدابودن ۵. نیست‌شدن ۶. خالص
۷. ترسیده‌شده و از کسی چاره و پناه خواستن

وقوع حرکت انیّه[۱] را بیان نمی‌کنند و آب و باد و خاک و آتش را بسیط می‌شمارند و عجز خود را بر تحلیل[۲] آنها، دلیل قرار می‌دهند و انحصار عناصر را به تردید ناقصی ذکر می‌کنند. گویا ممکن نبوده که تردید دیگری بر آن تردید افزوده گفته شود: هریک از آنها یا قابل اشتعال است یا نه و هریک از آنها یا قابل طَرْق است یا نه و هکذا و هیچ شکی نیست اگر این نکته ملاحظه می‌شد عدد عناصر از زمان ارسطو تاکنون به‌چهار منحصر نمی‌شد و در استحاله[۳] عناصر به‌مجرد ظنون اکتفاکرده‌اند و در بعضی مسائل کائنات جوّ، چون قوس قزح منصفین آنها اقرار به عجز کرده و غیر منصفین اقوال مضطربه بیان نموده‌اند و در بعضی دیگر، چون رعد و برق و شُهب[۴] و ریاح[۵] غالباً اتّباع اوهام خود کرده، هیچ دلیلی در دست ندارند و بعضی آنرا با اعصار[۶] و ذوابع بالمره ترک کرده‌اند و در معادن و زلازل[۷] به تخیلات[۸] خورسند گشته‌اند و در نباتات و حیوانات سخنان ناتمام گفته‌اند. از اسباب نمو و حیات و علل اختلاف اشکال و هیئت واقف نگشته‌اند و سخنان شافی که مبنی بر برهان و یا بر تجربه صادقه بوده باشد، در حواس باطنه نرانده‌اند و در ابصار توّهم خود را بلادلیل ذکر کرده‌اند و در الوان و طعوم و روائح متحیر مانده‌اند و در مجره[۹] و عظم و صغر ثوابت سکوت ورزیده‌اند. و در حرارت آفتاب و موادی که در ماه است و الوان مختلفه‌ای که در سیارات است، سرگشتگی اظهار نموده‌اند و حکم نمودند بر اینکه قوای حالّه در جسم[۱۰] معانی جزئیه‌ای راکه جزئیتش عبارت از مجرد اضافه است و خطوط شخصیه‌ای که به نقاط منتهی می‌شود و ملتقای خطوط را ادراک می‌کند.

پس از آن به‌سبب ادراک معقولات بسیطه‌ای که در اذهان جز از معانی حاکیه و صُور کاشفه چیز دیگری نیست، بر تجرد نفس ذاهب شدند و این جای عجب است و ارتباط نفس را به‌بدن و کیفیت نفس ذاهب شدند و این جای عجب است و ارتباط نفس را به بدن و کیفیت تأثیرش را به کلام مبهمی بیان کردند و تجویز نمودند. بودن

---

۱. حرکت مکانی و این کلمه از اصطلاحات فلسفی است.
۲. اجزاء هر چیزی را جداکردن تا به‌حد بساطت برسد.
۳. حالی‌به‌حالی‌شدن
۴. آتش درخشنده
۵. بادها
۶. اعصار و ذوابع هر دو به‌معنی گردباد است.
۷. زلزله‌ها
۸. خیالات و همیه
۹. کهکشان
۱۰. قوه‌ای که به‌چیزی تعلق گرفته یعنی در آن آمده باشد.

ماده[1] را محلّ از برای اسکان[2] نفس ناطقه در أزل‌الآزال!. و پس از ارتباط نفس به بدن و حصول علاقه تامه استنکاف نمودند که قابل فساد نفس بوده باشد، بر فرض آنکه فساد چون عوارض خواهان محلی بوده باشد ـ و حال آنکه فساد به‌معنی انعدام و نابودشدن است ـ

اما **مسائل الهیات** دانسته باد که آنها حکم کردند اولاً به‌وجوب سنخیّت و مناسبت تامّه در میانه علت و معلول (به محاکمات رجوع شود) پس از آن گفتند که خدای تعالی، **علت است از برای جمیع ممکنات**، بعضی را بلاواسطه و بعضی را بالواسطه و از بیان سنخیّت[3] و مناسبت میانه واجب تعالی و ممکنات، سکوت ورزیدند و در سعادت و شقای نفس به اقوال شعریه قناعت کردند و بالجمله غالب مسائل آن کتب، ناتمام است.

و اما کتب متأخرین همهٔ آنها مشحون است از ابحاث بسمله و حمدله و صلعمه[4] و منازعات و مناقشات و خلط مباحث علوم به یکدیگر و هیچ شبههٔ در این نیست که کتب متقدمین حکمای مسلمین، با همه نقص به جمیع وجوه، بهتر است از تألیفات متأخرین، چنانچه مسلمانان پیش، در هر چیز بهتر بودند از مسلمانان این زمان.

و چون فلسفه و غایت و کتاب آن و حال کتب فلاسفه مسلمانان، معلوم گردید اکنون علما و فضلای **هندوستان** را مخاطب ساخته می‌گویم: ای اصحاب قرائح زکیه! و ای ارباب غرائز طیبه طاهره! و ای خداوندان اذهان ثاقبه! و ای دارایان افکار واسعه! چرا انظار خود را یکبار از آن کتب ناقصه برنمی‌دارید و بدین عالم وسیع نظر نمی‌افکنید و در حوادث و علل آن پی حجاب آن مؤلفات تدّبر و تفکّر بکار نمی‌برید؟ و چرا آن عقول عالیه را همیشه در این مسائل جزئیه استعمال می‌کنید که آیا علم از جملهٔ **بدیهیات** مستغنی از تعریف و یا **نظری**، محتاج به تعریف است؟ ـ و آیا علم از **مقوله فعل** است و یا از مقوله **انفعال** است؟ و یا از **مقوله اضافه** است؟ و یا از **مقوله کیف**؟ و موضوع منطق **معقولات ثانویه** و یا **تصوّرات و تصدیقات بدیهیه**؟

---

۱. عناصر اربعه　　۲. آرمیدن　　۳. جنسیت

۴. بسم‌الله گفتن و الحمدالله گفتن و صلوات فرستادن و این سه کلمه مصدرهای جعلی هستند.

والاّ ممکن فی‌الذهن و الخارج، کلیّت او چگونه تصور می‌شود؟ ـ و کلی اعم از جنس است و جنس اعم از کلی ـ پس چه چاره باید گزید؟ ـ و چه فرق است میان جنس و ماده ـ و تصدیق بسیط است یا مرکب؟ و متعلق تصدیق چیست؟ و جعل مرکب است یا بسیط؟ و هیچ صرف فکر نمی‌کنید در این امر کلی مهم لازم بر هر عاقلی که آیا سبب **فقر و فاقه و بیچارگی و پریشان حالی مسلمانان چیست و این حادثه عظمی و بلیّه کبری را علاجی هست یا نه؟ و آیا مبدأ اوّل و حق مطلق از برای اصلاح آنان سببی و مقتضئی و موجبی قرارداده است یا نه؟ و آیا نفس اصلاح این امّت ممکن است یا محال و اگر ممکن است آیا وقوع می‌تواند پذیرفت و یا ممتنع بالغیر است؟ و اگر ممکن‌الوقوع است آیا اسباب و شرائط و معدّات آن چه باشد و علّت مادّیه و صوریّه آن کدام است؟ ـ و موجد آن چه و جزء اخیر علت تامه آنرا چه نام است؟.**

و هیچ شکی و ریبی نیست که اگر کسی صرف عمر خود را در این مسئله جلیله نکند و این حادثه محزنه را محطّ فکر خود قرار ندهد، عمر خویش را ضایع و تباه ساخته است و نشاید آن را حکیم یعنی عارف به احوال اعیان موجودات نامید:

ولوکان هذاالعین تبکی صبابة علی غیر لیلی فهودمع مضیّع[1]

دوباره ندا درداده می‌گویم: ای علمای هندوستان! ای ینابیع انظار دقیقه! و ای معادن آراء سدیده و ای منابع افکار عمیقه و ای اصحاب تألیف و تصانیف کثیره! و ای ارباب رسائل و تعلیقات انیقه!، آیا طینت طاهره و فطرت مقدسه الهیه شما واقعاً بر این راضی و خشنود می‌شود که اذهان وقادّه خود را در این مباحث صرف نمائید که آیا در وقت تصور، تصدیق اتحاد مختلفین لازم می‌آید یا نه؟ و اگر زید بگوید آنچه فردا بگویم، کذب خواهد بود و چون فردا شود، بگوید آنچه دیروز گفتم کذب است!، آیاکذب آن مستلزم صدق و صدقش مستلزم کذب خواهد بود یا نه؟! چون ممتنع در خارج ممتنع است در ذهن، پس حکم به امتناع ممتنعات چگونه خواهد بود؟

و هرگز یکبار هم بر اسلاک تلغرافیه‌ای که ممتد است به‌جمیع ارجاء هندوستان نظر نکنید و از اسباب آن سؤال ننمائید؟ و کهربا راکه منشاء اعمال عجیبه و افعال غریبه

---

۱. و اگر این چشم گریان باشد به‌سبب عشق بر غیر لیلی، پس آن اشک ضایع و برباد است!

است، جولانگاه فکر خود نسازید و هر روزه تقریر کنید که رؤیت بـه‌خروج شـعاع است! و این فنگرافی که اکنون منتشر است در همگی بلاد، اذهان شما را تـحریک ندهد و به‌هیچ‌وجه عطف عنان فکر را به‌طرف او نکنید و از قوت بخاری‌که احمال و اثقال را به‌سرعت تمام بر روی قضبان آهن حـرکت داده، از مـلکی بـه مـلکی نـقل می‌کند، پرسش ننمائید و آلات حافظةالصوت و نقالةالصور و نظاره ارصدیه و نظاره معظمه و امثال آنها را محل و موضوع بحث قرار ندهید؟[۱] و آیا جایز است که شما بحث در این امور جدیده را ترک نمائید به‌جهت آنکه در **شفای ابن‌سینا** و **حکمت اشراق شهاب‌الدین** مذکور نیست؟!.

و آیا نه واجب است بر شما که خدمت کنید آیندگان را بـه افکـار عـالیه خـود، چنانچه سابقین گرام از برای شما خدمت کردند؟ ـ آیا نه لازم است بر حکیم، بلکه بر هر عاقلی که به جهل راضی نشود و به غفلت خورسند نگردد؟ آیا نقص نیست انسان را که فکرش از برای طلب اسباب حرکت نکند؟ آیا عیب نمی‌باشد از برای عالم دانا و حکیم بینا، که جمیع عالم را فنون جدیده و اختراعات نو و انشاآت تازه فـراگـرفته باشد، با وجود این، او را از علل و بواعث آنها هیچ‌گونه خبری نباشد و عالم از حالی به حالی دیگر متحوّل شده باشد و او سر از خواب غفلت بـرندارد؟ و آیـا لایـق است محقق را که سخنها در **مجهول مطلق** براند و **معلوم مطلق** را ندانـد؟ و در مـاهیات موهومه موشکافیها کند و از معرفت امور ظاهره بازماند؟

و این است مجمل آنچه می‌خواستم در این معنی بیان کنم و انشاءالله بـاز بـدین موضوع رجوع کرده مفصلاً سخن خواهم راند و امیدوارم از علمای اعلام هندوستان که بر این مقاله نظر دقت فرمایند و البته بعد از نظر صحیح، خلوص نیتم بر آن‌ها ظاهر و هویدا خواهد گردید والسلام ـ.

---

۱. اشاره به تلغراف و فنوگراف و کهربا و حافظةالصوت! و... در زمانی بـوده کـه خبری از کـامپیوتر، مـوبایل، ماهواره، اشعه لیزر و هزار و یک اختراع دیگر دنیای جدید، در میان نبود...





مسائلی دربارهٔ

تعلیم و تربیت

۱. تعلیم و تربیت

۲. تعلیم و تعلّم

۳. فلسفهٔ تربیت



تعلیم و تربیت

أيّة أُمة دانت لسلطان العلم، فقد استوت علی عرش السعادة[1]

انسان با جلالت قدر و عظم شان و قوّت ادراک و حدّت ذهن وجودت قریحه و سعهٔ عقل و صنایع بدیعه و اختراعات عجیبه‌ای که با خارق عادات سر مبارات و مجارات دارد و تیزی فکری که از ارضیات گذشته، ید تطاول در آسمانها دراز کرده است. عجیب و غریب حالتی و حیرت‌افزا خلقت و پیدایشی است. زیرا آن که، انسان چون متولد می‌شود و از کمون[2] به روز و از غیب به‌شهود جلوه می‌کند و قدم بر عرصهٔ وجود می‌نهد، از همهٔ حیوانات پست‌تر و عاجزتر و نادان‌تر می‌باشد. هر حیوانی که زائیده می‌شود، به یارائی فطرت و الهام الهی، جمیع مضار و منافع خود را می‌داند و دشمن جان خویش را می‌شناسد و در مأکل[3] و مشرب[4] و مبیت[5] محتاج به معلّم نیست و در دفع و جلب و تقارب و تنافر و صیانت وجود، استاد نمی‌خواهد و اما انسان، چون بدین عالم پا می‌نهد، لوحی است ساده و کتابی است نانوشته و زمینی است بائر و بجز فطرت بسیطه و قوهٔ محضه و طبیعت صرفه، چیز دیگری در او نیست. زهر را از تریاق تمیز نمی‌دهد و قریب را از بعید فرق نمی‌کند، توانا بر ادراک مصالح و مفاسد و منجیات و مهلکات، نیست و قدرت بر دفع منافرات و اکتساب لائمات ندارد و ضروریات معیشت و لوازم حیات را نمی‌داند. و از أکل و شرب یومیه عاجز است و او را یارای ایستادن و حرکت‌کردن نمی‌باشد، نه صفات حسنه را در او اثری و نه خصلتهای ناستوده دامن عصمتش را آلوده نموده است.

---

۱. هر قومی که نزدیک شد به سلطان علم بر عرش نیکبختی جای گرفت.
۲. پوشیدنی
۳. جایگاه خوردن
۴. جای آشامیدن
۵. جای خواب

و بالجمله، انسان در حین تولد هیولائی است بلاصور و ماده‌ای است بدون نقش و اثر، و پدر و مادر و خویش و اقارب آنچه در خود دارند، از اخلاق و سجایا و عادات و افکار، در آن مولود جدید به مرور أزمان ودیعه می‌گذارند و به‌صورتی که آنها را مقبول افتد، او را مصور ساخته و آنچه ایشان را پسند آید، در او نقش می‌کنند و آن را بعد از بی‌رنگی به لون خود رنگ کرده، در جمیع امور مماثل خویشتن می‌سازند و اگر پدر و مادر و خویشاوندان متخلّق به اخلاق فاضله و متصف به آداب پسندیده و دارای افکار عالیه بوده باشند. البته آن مولود جدید را به‌واسطهٔ اکتساب این امور، که بواعث حقیقیه نیکبختی است، سعادت مطلقه دست خواهد داد. اولاً در مهوات[1] شقا و بدبختی و محفرهای[2] اتعاب و رنجها و وادی بلایا و مصائب درافتاده به‌جهت رذائل و آداب ناستوده و افکار خسیسه‌ای که از آنها استحصال نموده است، از سعادت بالکلیّه محروم می‌گردد. و چون به احوال پدران و مادران نظر اندازیم، ظاهر می‌شود که آنها غالباً از خود چیزی نداشته‌اند، بلکه هرچه در ایشان بوده است از نیکی و بدی و استقامت و اعوجاج[3]، همه به نهج ارث و ودیعه بوده است و حلقات این سلسله در آخر به علماء و دانشمندان و پیشوایان آنها منتهی خواهد گردید.

لهذا اگر ما ذرّه‌بین بصیرت و بینائی را بر دیده عقل نهاده، از خبایای عقول هر امتی از امم و از زوایای نفوس هر قومی از اقوام و از مکامن عادات هر عشیرهٔ از عشائر، تفتیش نمائیم، به غیر از افکار علماء و اخلاق دانشمندان و سیرت پیشوایان آنها، هیچ چیز دیگر، چه خرد بوده باشد چه بزرگ، در ایشان نخواهیم دید.

پس فی‌الحقیقه، سائق و قائد و روح حیات و محرک دولاب هر امتی از امم، علماء و پیشوایان آن امت می‌باشند و علمای آن قوم را اگر افکار عالیه و نفوس مهذبه و عادات جملیه بوده باشد، هیئت مجموعهٔ ایشان را آناً فآناً نموّ و ازدیاد و بهجت و نضارتی تازه دست خواهد داد و همگی آحاد آن به نخوت و شمم[4] و عزت نفس و سلامت طویّه و اتحاد کلمه و محبت تامّه و بصیرت و بینائی، متصف خواهند گردید و

---

۱. جوّ و هوا یا فضائی که در آن هوا مملو می‌باشد. ۲. جاهای کنده یعنی غارها و چاهها
۳. کجی‌ها ۴. تکبر محمود

چون مجموع این امور آنها را حاصل گردد، بی‌هیچ زیبی بر مدارج نیکبختی ارتقاء نموده، غنا و ثروت و امنیّت و راحت و علّو شأن دنیوی را استحصال خواهند نمود و به‌سعادت ابدیّه فائز خواهند گشت و اگر پیشوایان آن قوم خود را عالم نامیده، درواقع و نفس‌الامر، از علم حصه‌ای و از افکار عالیه بهره‌ای نداشته باشند و یا اخلاق و عادات خود را تهذیب و تعدیل نکرده باشند، البته پیروان ایشان به چاه ضلالت افتاده آن امّت را فقر و فاقه و شقاق و نفاق فراگرفته، رفته‌رفته اجزای آن که عبارت از آحاد امّت بوده باشد، روی به تلاشی آورده و بالمرّه مضمحل و نابود خواهد گردید.

و چون تأثیرات پیشوایان در اُمم و عظم‌شأن علمای کاملین و مضّار و مفاسد ناقصین عالم‌نما، روشن گردید، پس باید دانست که خسّت و شرف و قوّت و ضعف معلولات، چه در عالم کبیر و چه در عوالم صغیره و چه در افعال اختیاریّه انسان برحسب علل آنهاست و در هیچ عالمی از عوالم ممکن نیست که خسیسی علت شریف و یا خود ضعیفی علت قوی گردد. در اعمال انسانیّه هیچ عملی أشرف و أقوی از اعمال فکر در طُرق سعادت و استعمال نظر در دقائق علوم حقّه و معارف صدقه نمی‌باشد.

و وجه اشرف بودنش به آنچه گفتیم ظاهر شد و اما أقوی بودنش از جمیع اعمال به‌جهت آن است که دشواری و ثقل هر صناعتی از صناعات و گرانی و تعب هر حرفه‌ای از حِرَف، بر عضوی مخصوص و جارحهٔ مخصوصه می‌باشد و سائر اعضا و جوارح را در حین اشتغال بدان صناعت، نوعی راحت و آرامی حاصل است. و بار و گرانی اعمال فکر در علوم بر مجموع عصبی و دماغ می‌باشد و چون مجموع عصبی را کلال و ضعف پدید آید، جمیع اعضاء و جوارح را ناتوانی و سستی و خستگی فراخواهد گرفت و لهذا باید که علّت آن در نهایت شرف و قوّت بوده باشد، تا آنکه او در عالم وجود درآید و صورت هستی پذیرد. پس مجرّد اَحتیاج طبقه ارباب صناعت فکریه، در عالم تعاون و توازر به اعمال سائر طبقات انسان، موجب و علّت صناعت آن طبقه نخواهد شد، چنانچه نفس آن احتیاج در سایر طبقات، علّت و باعث اعمال و حرف می‌شود به جهت آنکه:

اولاً خود احتیاج به اعمال سائر طبقات، اقتضا نمی‌کند مگر عملی راکه معادل سائر اعمال بوده باشد در شرف و قوّت و صعوبت و دشواری، چون‌که مقصود در این هنگام، مجرد مبادله خواهد بود و ما مقدار شرف صناعت فکریه و قوت و دشواری آن را بیان کردیم.

و ثانیاً احتیاجات این طبقه به اعمال طبقات دیگر، فی حد ذاتها بسیار کم است، زیرا آنکه غالب احتیاجات مردم به یک‌دیگر از برای کمال در معیشت و زینت در ملابس و زخرف[1] در مساکن و تأنّق[2] در مآکل و توّغل[3] در شهوات است و ارباب این طبقه را سعه عقل از تلذّذات ملابس موشّحه[4] و مساکن مزخرفه منزّه ساخته و اعمال فکر و استعمال مجموع عصبی موجب فتور[5] سائر اعضاء و جوارح آنها گردیده، ایشان را از تأنّق در مآکل و توّغل در شهوات محروم نموده است، خصوصاً که این جماعت علی‌الدوام سرمایهٔ شهوات و تلذّذات راکه شیبوبیّه و جوانی بوده باشد، در راه طلب علوم و معارف صرف می‌نمایند. پس واجب شد که سببی فعال و باعث دیگری مؤثر به احتیاج این گروه منضم شود، تا آنکه این مجموع علّت صناعت فکریه تواند شد و چون اعمال بدنیّه و افعال نفسانیّه انسان استقراء شود، هیچ عملی فعال و هیچ فعلی مؤثر در آنها یافت نمی‌شود که ضمیمهٔ احتیاج آن فرقه شده متمم علت تامّهٔ اعمال فکریّه گردد و بدارد آن جماعت را بر تحمل بارگران و حمل ثقل این صناعت، مگر مَحْمِدَت حقّه و اعتراف به‌شرف علم و تبجیل و توقیر و تعظیم و تفخیم ارباب آن چنانچه شاید و باید و تجربه نیز بر حقیقت این استنباط دلالت می‌کند، زیرا آنکه مشاهده می‌کنیم که کثرت علوم و معارف و وفور علماء و فضلاء و بسیاری مؤلفات و مصنفات در ممالک به اندازهٔ شرف منزلت و عظم مقدار اهل علم است در نزد اهالی آن ممالک، حتی در بعضی بلاد چون شرف خداوندان معارف به‌درجه‌ای رسیده است که هیچ شرف و عزتی بدان پایه نتواند رسید و جمیع مراتب پیش آن مرتبه جلیله، پست و حقیر گردیده است علم را چنان صعود و عروجی حاصل شده است که پس

---

۱. زینت و زیور ۲. خوبی و تکلیف و نفاست
۳. غلونمودن و در چیزی فرورفتن ۴. زینت‌یافته ۵. سستی

ماندگان عالم انسانی، به‌نظارهٔ رصدیّهٔ خیال هم أدنی پایهٔ او را دیدن نتوانند و تألیفات و تصنیفات آن‌قدر بسیار گردیده است که نادانان حساب و شمارهٔ آنها را هم ندانند.

چون ظاهر شد که اعتراف آحاد امّت به شرف منزلت عالم، موجب حصول علوم حقّه است و حصول علوم حقّه علت وجود سعادت مطلقه است، **اکنون با هزار تأسف و اندوه می‌توان گفت که سبب فقر و فاقه و مسکنت و ذلّ و بدبختی اهالی مشرق زمین از آن است که آن‌ها به‌هیچ‌وجه مقدار علم و عالم را نمی‌دانند و شرف و منزلت دانشمندان را نمی‌شناسند و خداوندان معارف را توقیر و تعظیم نمی‌کنند و چنان خیال می‌کنند که علم صناعتی است فضول و زائد و پیشه‌ای است بی‌فایده و بی‌ثمر و کار و حرفه بیکاران است.** لهذا عدد علماء در آنها آن قدر کم شده است که به انگشت شمار توان کرد و این را ندانستند که جمیع سعادات آباء و اجداد ایشان، بلکه جمیع سعاداتی‌که در عالم یافت شده است، همه نتیجهٔ علم و معرفت بوده است.

و این را درک نکردند که آنها سزاوارترند به تعظیم علم و عالم از دیگران:

اوّلاً از برای اینکه مریض را به طبیب احتیاج بیشتر است از صحیح‌المزاج و ایشان بالبداهه همگی مبتلا می‌باشند به‌مرض مسکنت و ذلت و این بیماری را طبیبی به‌جز عالم عارف، کی خواهد یافت شد؟

و ثانیاً چون نظر کنیم بر اهالی مشرق می‌بینیم که جلّ[1] آنها از اولاد علماء و حکماء و عرفاء و فضلاء و انبیاء گرام و رسل عظام می‌باشند پس آنها احقند به‌تمجید و تکریم و رثهٔ آباء خویشتن از دیگران، که اجداد ایشان همگی وحشی و بربری ـ جنگلی ـ بوده‌اند و اگر اهالی مشرق زمین از این خواب غفلت بیدار نشوند و به‌جهت اصلاح شأن خویش و خلاصی از بیماری ذلّ و بیچارگی به‌تعظیم دانشمندان نکوشند، البته آنها رفته‌رفته **استجیر باللّه**[2] مضمحل و نابود خواهند گردید و شرف آباء و اجداد خود را به عار و ننگ مبدل خواهند ساخت. و عجیب آن است که این بیماران بیچارگی، به‌جای احترام اطبای خود که علماء بوده باشند، سعی می‌کنند در توقیر اغنیاء به خلاء و کوشش می‌نمایند در تعظیم اولاد ظالمان و ستمکاران و جدّ بلیغ

---

۱. کل، همه.
۲. پناه می‌برم به خدا.

به‌جا می‌آورند در تکریم آنان که عظام بالیه[1] مختال[2] و محتالی را بر دوش گرفته باشند! و غافل از این‌که اینها ثروت را احتقان‌الدم[3] و مهلک و راحت را صداع دائمی و سعادت را داء[4] عقام می‌باشد.

افسوس، هزار افسوس از این روش و از این بینش و از این دانش.

و باید دانست که مراد ما از عالِم، آن عالم است که معارف آن گمراهان طریق سعادت را هادی و راهنما باشد و دانشش دلهای مرده را حیات و زندگانی تازه عطا کند و سخنانش بیماران ذل و مسکنت را شفا بخشد و عباراتش چون مقناطیس اجزاء متلاشیهٔ امت را جمع کند و کلماتش، صیقل دهد نفوس را از کدورات بواعث شقا، که عبارت از اخلاق رذیله بوده باشد و علمش تابان آفتابی و درخشان خورشیدی باشد که چون طلوع کند، از مشرق عقل آن عالِم نور و ضیائش بر ساحت نفوس جمیع امت بتابد و همگی آحاد آن را منوّر و بینا گرداند، تا هریک منافع و مضار و مصالح و مفاسد خود را بداند و سعادت دارین را از روی بصیرت استحصال کند، نه آن عالمی که در ظلمتکده وحشتناک اوهام نشسته علی‌الدوام به همهمه و دمدمه! مشغول می‌باشد و افساد را اصلاح گمان می‌کند و خود راه نمی‌داند و راهبری دعوی می‌نماید و نه آن عالمی که در گورستان‌های کهنهٔ پرخوف و خشیت[5] گمانها و ویرانهای سهمناک مسکن گرفته چون بوم، گاه و بیگاه، ندای دهشتناک درمی‌دهد و به‌خرابی و دمار و هلاک مژده می‌رساند! أجار ناالله منهما[6] و این‌گونه اشخاص را فی‌الحقیقة عالم نباید گفت، بلکه علامات ویرانی و نشانهای تباهی و مبشران هلاکت و پیک‌های مصائب و احزان و عالم‌نما باید نامید. این است مجملی از آنچه می‌خواستم در این معنی بیان کنم.

---

۱. استخوانهای پوسیده ۲. فریبنده و متکبر و نازنده ۳. فشارخون.
۴. بیماری سخت. ۵. ترس و لرز. ٦. خداوند ما از آنها نگهدارد.

تعلیم و تعلّم*

[من بسیار تعجب می‌کنم از این پرسنپل[1] که چرا این‌گونه خلاف عهد از ایشان سرزند؟ زیرا آنکه ایشان معلم فلسفه است و فلسفه موجب درستی و تعدیل اخلاق و سبب مدنیت عالم است. پس کسی که معلم فلسفه بوده باشد، لازم است او را که جمیع حدود عالم انسانی را مراعات کند، نه آنکه کارهائی که مخالف قانون انسانیت است، از او سرزند. حقیقتاً این عهدشکنی پرنسپل، مخالف شرف انسانی و منافی رتبهٔ علم و فلسفه است].

می‌توانم مسرت خود را ظاهر بکنم که اینقدر جوانان هندی نژاد، اینجا نشسته‌اند و همه به حلیّه فضل و کمال آراسته و در تحصیل علم جدّ و جهد می‌نمایند. و البته باید که از دیدن این نونهال‌های هند، بسیار خوش حال بشوم، به‌جهت آنکه این‌ها نهال‌های آن هندی هستند که مهد انسانیت و گهواره آدمیت است و انسانیت از هندوستان به‌همه عالم نشر شده است و این جوانان، از همان زمین هستند که «اوّل دائرهٔ معدل‌النهار» در آنجا معین شده است و ایشان، از همان ملک هستند که «منقطة‌البروج» را نخستین‌بار ایشان فهمیدند و غایت بُعد منطقة‌البروج را از معدل‌النهار تعیین کردند. و هرکس را معلوم است که تعیین این دو دائره نمی‌شود تا آنکه در هندسه کمال حاصل نشود. پس می‌توانیم بگوئیم که مخترع علم حساب و هندسه،

---

* این بحث به‌عنوان سخنرانی در تاریخ پنجشنبه ۸ نوامبر ۱۸۷۲ میلادی در «آلبرت هال» کلکته، ایراد شده و نخست در نشریه «ایرانشهر» شماره ۴ سال سوم، منتشر شده است.

۱. پرسنپل مدیر مدرسه و یا مدیر اداره را می‌گویند در اینجا مقصود سید گویا مدیر مدرسه آلبرت هال باشد که معلّم فلسفه هم بوده است، ولی معلوم نیست که چه خلاف عهدی از او سرزده که سید در مقدّمه خطابه مجبور به‌ذکر آن شده است. (در حاشیه نسخه خطی موجود در نزد ما نوشته شده است که: مراد از این پرسنپل، مدیر مدرسه عالیه کلکته بوده که وعده کرده بود مولانا در آن مدرسه عالیه لکچر بدهند ولکن فیما بعد، وفا نکرد). خ.

هندیان بودند. ببین که ارقام هندیه از این جا در عرب رفته و از آنجا در یوروپ منتقل گردیده است و این جوانان، اولاد همان سرزمین هستند که جمیع قوانین و آداب عالم از آنجا گرفته شده است.

اگر کسی به‌خوبی ملاحظه کند، خواهد دید که «کودروما»[1] که مادر همهٔ کودهای فرنگ است، از چهاربید و شاستر[2] گرفته شده است و در افکار ادبیه و در شعرهای رائق و خیالات عالیه، یونانی‌ها شاگرد اینها بودند، یک شاگرد ایشان که فیثاغورس یعنی «پتهاکورس» بوده است، در یونان سبب نشر علوم و معارف شده است. حتی به‌درجهٔ رسید که قول او را «کالوحی المنزل من السماء» قبول می‌نمودند بلادلیل و در افکار فلسفیه به درجه اعلی رسیده بودند. خاک هند همان خاک است و هوا همان هوا، و این جوانانی که اینجا حاضر هستند، ثمرهٔ همان آب و خاک و هوا هستند. پس من بسیار خشنود هستم که ایشان بعد از خواب دراز، متنّبه شده ارث خود را استرجاع می‌نمایند و میوه‌های درخت خود را می‌چینند.

اکنون ما می‌خواهیم که در علم و تعلیم و تعلم سخن برانیم ولیکن چه بسیار مشکل است در علم سخن راندن؟ علم را حد و پایانی نیست و محسّنات علم را اندازه و نهایتی نی! و این افکار که متناهی است نمی‌تواند بر آن غیرمتناهی احاطه نماید. و دیگر آنکه در بیان علم و شرف آن، هزارها فُصحا و هزارها بُلغا و هزارها حُکما، افکار خود را بیان کرده‌اند، پس چه بسیار دشوار است که در اینجا شخصی سخن نوی براند. ولکن با وجود این، طبیعت قبول نمی‌کند که فضیلت او را بیان نکنید، پس می‌گوئیم که اگر کسی غور کند، خواهد دانست که سلطان عالم، علم است و به‌غیر علم، نه پادشاهی بوده است و نه هست و نه خواهد بود. اگر نظر کنیم بر فاتحین کلدانیان، چون سمیرامیس و غیر آن، که تا حدود تاتار و هند رسیده بودند، آن فاتحین کلدانیان نبودند، بلکه فی‌الحقیقة علم و دانش بود و مصریان که ممالک خود را وسعت دادند و رامسیس ثانی از ایشان، که او را سوساستریس می‌گویند، تامیسوپوتامیا (بین‌النهرین) به‌روایتی ـ و تا هند به روایتی دیگر، بسطت ملک خود را داد. آن مصریان نبودند بلکه

---

۱. مجموعهٔ قوانین ملّت روم

۲. چهاربید وداوشاستر = تفسیر کتاب دینی هند می‌باشد.

علم بود. فینقیان که با کشتیهای خردخرد، رفته رفته جزائر بریتش و بلاد هسپانیه و پورتگال[1] و یونان را مستعمرات خود کردند، حقیقتاً آنها فینقیان نبودند، بلکه علم بود که این‌گونه بسط قدرت خود را نموده بود. اسکندر هرگز از یونان به هندوستان نیامد و بر هندیان غلبه نکرد، بلکه آنکه بر هند غلبه کرد، آن علم بود. و این فرنگیها که اکنون به همه جای عالم دست انداخته‌اند و انگلیز خود را به افغانستان رسانیده و فرنگ تونس را به قبضهٔ تصرف خود درآورده، واقعاً این تطاول و این دست‌درازی و این ملک‌گیری، نه از فرنگ بوده است و نه از انگلیز، بلکه علم است که هرجا عظمت و شوکت خود را ظاهر می‌سازد. و جهل در هیچ‌جا چارهٔ ندیده مگر آنکه سر خود را به خاک مذلت در پیشگاه علم مالیده، اعتراف بر عبودیت خود نموده است.

پس حقیقتاً هرگز پادشاهی از خانهٔ علم بدر نرفته است ولکن این پادشاه حقیقی که علم بوده باشد، هر وقتی پایتخت خود را تغییر داده است، گاهی از مشرق به مغرب رفته و گاهی از غرب به شرق رفته ـ از این درگذریم ـ اگر بر غنا و ثروت عالم نظر کنیم، خواهیم دانست که غنا و ثروت نتیجه تجارت و صناعت و زراعت است و زراعت حاصل نمی‌شود مگر به‌علم فلاحت و کمتری (شیمی) نباتات و هندسه. و صناعت حاصل نمی‌شود مگر به علم فزیک و کمتری و جراثقال و هندسه و حساب و تجارت، مبنی بر صناعت و زراعت است.

پس معلوم شد که جمیع ثروت و غنا نتیجهٔ علم است ـ پس غنائی در عالم نیست مگر به علم و غنیّه نیست به‌غیر از علم و بالجمله، جمیع عالم انسانی، عالم صناعی است یعنی عالم، عالم علم است ـ و اگر علم از عالم انسانی برآورده شود، دیگر انسانی در عالم باقی نمی‌ماند ـ و چون بدین‌گونه است علم، یک انسان را چون قوهٔ ده نفر و صدنفر و هزارنفر و ده هزارنفر می‌کند و منافع انسانها از برای خود و برای حکومتها به‌قدر علم آنها است. پس هر حکومتی را لازم است از برای منفعت خود، در تأسیس علوم و نشر معارف بکوشد، چنانچه اگر یک شخص را باغچهٔ بوده باشد، از برای منفعت خود لازم است که در تسطیح ارض و اصلاح اشجار و نباتات آن، به قانون

---

۱. جزائر بریتانیا، اسپانیا، پرتغال...

فلاحت بکوشد. همچنین حکام را لازم است که برای منفعت خویشتن در نشر علوم سعی نمایند و چنانچه اگر صاحب باغچه در اصلاح آن به قانون فلاحت کوتاهی بورزد، زیان آن بر خود او راجع می‌شود، همچنین اگر پادشاهی در نشر علوم میانهٔ رعایای خود کوتاهی کند، ضرر آن بر آن حکومت عاید خواهد شد. چه فایده است پادشاه زولودبرنو را اینکه بر جماعتی عُراة[1] و حُفاة[2] حکم می‌نماید؟ و این‌گونه حکومت را چسان می‌توان که حکومت نامی؟

چون شرف علم اندکی معلوم شد اکنون می‌خواهیم که سخن چند در مراتب علوم و تعلیم و تعلم بگوئیم، پس باید دانست که: هر علمی را موضوعی است خاص و به‌غیر از لوازم و عوارض آن موضوع خاص، در چیزی دیگر بحث نمی‌کند. مثلاً علم فیزیک از خواص اجسام که در عالم خارج موجود است و بر آن کیفیت خاصه خود می‌باشد، بحث می‌کند و بر امور دیگر که در عالم انسانی لازم است، متعرض نمی‌شود. علم کیمیا یعنی کمتری، در خواص اجسام از حیثیت تحلیل و ترکیب سخن می‌راند. و علم نباتات یعنی علم بوتانی، فقط نباتات را موضوع بحث خود قرار می‌دهد و علم حساب از کمّ منفصل و هندسه از کمّ متصل و همچنین سائر علوم... هیچ‌یک از این علوم در امور خارج از موضوع خود بحث نمی‌کند و اگر ما خوب ملاحظه بکنیم، خواهیم دانست که هریک از این علوم که موضوع آن‌ها امری است خاص. به منزله عضوی است از برای شخص علم و هیچ یکی از اینها منفرداً و منفصلاً نمی‌تواند که حفظ وجود خود را نماید و موجب منفعت از برای عالم انسانی بشود. چونکه هریکی از این علوم در جود خود مربوط به علم دیگر است، مانند ارتباط حساب به هندسه و این احتیاج آن علم به علوم دیگر از خود آن علم فهمیده نمی‌شود و از این است که اگر آن علم منفرد بوده باشد، ترقی در او حاصل نمی‌شود و نه پایدار خواهد ماند. پس علمی باید که آن به منزلهٔ روح جامع کلی از برای جمیع علوم بوده باشد، تا آنکه صیانت وجود آنها را نموده هریکی از آنها را به‌موارد خود بکار برد و سبب ترقی هریکی از آن علوم گردد و آن علم که به‌منزلهٔ روح جامع و به پایه قوت حافظه و علت

---

۱. بی‌لباسان ۲. پابرهنگان

مبقیه بوده باشد، آن علم فلسفه، یعنی حکمت است، زیرا آنکه موضوع آن عام است و علم فلسفه است که لوازم انسانی را بر انسان نشان می‌دهد و حاجات به علوم را آشکار می‌سازد و هریک از علوم را به موارد لائقه خود بکار می‌برد و اگر فلسفه در امتّی از امم نبوده باشد و همهٔ آحاد آن امت عالم بوده باشند، به آن علومی که موضوعات آن خاص است، ممکن نیست که آن علوم در آن امت مدت یک قرن، یعنی صدسال، بماند و ممکن نیست که آن امت، بدون روح فلسفه، استنتاج نتائج از آن علوم کند.

دولت عثمانی و خدیویت مصر از مدت شصت سال است که مدارسی برای تعلیم علوم جدیده گشوده‌اند و تا هنوز فائدهٔ از آن علوم حاصل نکرده‌اند و سببش این است که تعلیم علوم فلسفه در آن مدارس نمی‌شود و به‌سبب نبودن روح فلسفه، از این علومی که چون اعضاء می‌باشند ثمرهٔ ایشان را حاصل نیامده است، و بلاشک اگر روح فلسفه در آن مدارس می‌بود، در این مدت شصت سال، از بلاد فرنگ مستغنی شده خود آنها در اصلاح ممالک خویش بر قدم علم سعی می‌نمودند و اولاد خود را هرساله از برای تعلیم به بلاد فرنگ نمی‌فرستادند و استاد از آنجا برای مدارس خود، طلب نمی‌نمودند و می‌توانم بگویم که اگر روح فلسفی در یک امتی یافت بشود، یا آنکه در آن امت علمی از آن علوم که موضوع آنها خاص است نبوده باشد، بلاشک آن روح فلسفی آنها را بر استحصال جمیع علوم دعوت می‌کند.

مسلمانان صدر اول را هیچ علمی نبود، لکن به واسطه دیانت اسلامیّه در آنها یک روح فلسفی پیدا شده بود و به‌واسطهٔ آن روح فلسفی، از امور کلیّه عالم و لوازم انسانی بحث کردن گرفتند و این سبب شد که آنها جمیع آن علوم راکه موضوع آنها خاص بود، در زمان منصور دوانقی از سریانی و پارسی و یونانی به زبان عربی ترجمه نموده در اندک زمانی استحصال نمودند. فلسفه است که انسان را بر انسان می‌فهماند. و شرف انسان را بیان می‌کند و طُرق لائقه را به او نشان می‌دهد هر امتی که روی به تنزل نهاده است، اول نقصی که در آنها حاصل شده است در روح فلسفی حاصل شده است، پس از آن نقص در سائر علوم و آداب و معاشرت آنها سرایت کرده است.

چون مراتب علوم و شرف فلسفه معلوم شد، اکنون می‌خواهیم اندکی سخن در کیفیت تعلیم و تعلم مسلمانان بگوئیم. پس می‌گوئیم: مسلمانان در این زمان، در تعلیم و تعلّم خود هیچ فایدهٔ ملاحظه نمی‌کنند، مثلاً علم نحو می‌خوانند و غرض از علم نحو آن است که کس لغت عربی را استحصال کرده قادر بر گفتن و نوشتن شود و حال آنکه مسلمانان در این زمان، علم نحو را مقصود بالاصاله قرارداده سالهای دراز صرف افکار فیلسوفانه بلافائده در علم نحو می‌کنند! و حال آنکه بعد از فراغت، نه قادر بر تکلم عربی هستند و نه قادر بر نوشتن عربی و نه قادر بر فهمیدن آن. علم معانی و بیان که آن را (لیتریتور)[1] می‌گویند، آن علمی است که بدان انسان منشی و خطیب و شاعر گردد و حال اینکه ما می‌بینیم در این جزو زمان، بعد از تحصیل کردن آن علم، قادر بر تصحیح کلمهٔ یومیهٔ خود هم نمی‌شوند و علم منطق که میزان افکار است، باید هر شخصی که او را استحصال کند، قادر گردد بر تمییز هر حقی از هر باطلی و هر صحیحی از هر فاسدی و حال آنکه ما می‌بینیم که دماغ‌های منطقی‌های ما مسلمانان، پر است از جمیع خرافات و واهیات، بلکه هیچ فرقی درمیان افکار اینها و افکار عوام‌بازاری یافت نمی‌شود. علم حکمت آن علمی است که بحث از احوال موجودات خارجیه می‌کند و علل اسباب و لوازم و ملزومات آنها را بیان می‌کند. و عجیب آنست که علمای ما، صدریٰ و شمس‌البازغه می‌خوانند و از روی فخر خود را حکیم! می‌نامند و با وجود این، دست چپ خود را از دست راست نمی‌شناسند و نمی‌پرسند که ما کیستیم؟ و چیستیم؟ و ما را چه باید و چه شاید؟ و هیچ‌گاه از اسباب این تار برقیها[2] و آگنبوتها[3] و ریل گاریها[4] سؤال نمی‌کنند.

عجب‌تر آنست که یک لمپئی[5] در پیش خود نهاده از اول شب تا صبح شمس‌البازغه را مطالعه می‌کنند و یکبار در این معنی فکر نمی‌کنند که چرا اگر شیشه او را برداریم، دود بسیار از آن حاصل می‌شود و چون شیشه را بگذاریم، هیچ دودی از او پیدا نمی‌شود؟. خاک بر سر اینگونه حکیم و خاک بر سر اینگونه حکمت. حکیم

---

۱. ادبیات.
۲. الکتریک
۳. به‌زبان هندی کشتی بخاری
۴. آهنهائی که واگن‌ها روی آنها راه می‌رود. راه‌آهن.
۵. چراغ نفتی.

آنست که جمیع حوادث و اجزای عالم ذهن او را حرکت بدهد، نه آنکه مانند کورها، در یک راهی راه برود که هیچ نداند که استیشن [1] و پایان آن کجاست!

علم فقه مسلمانان حاوی است مر جمیع حقوق مَنزلیّه و حقوق بَلدیّه و حقوق دُولیّه را، پس می‌باید شخصی که متوّغل در علم فقه شود، لائق آن باشد که صدراعظم ملکی شود، یا سفیرکبیر دولتی گردد و حال آنکه ما فقهای خود را می‌بینیم بعد از تعلیم این علم، از ادارهٔ خانه خود عاجز هستند، بلکه بعضی‌ها بلاهت را فخر خود می‌شمارند.

و علم اصول عبارت است از فلسفه شریعت یعنی (فیلوزوفی آف لاو) [2] که در آن علم حقیقت، صحت و فساد و منفعت و مضرّت و علل تشریح احکام بیان می‌شود و البته یک شخص که این علم را بخواند، می‌بایست که قادر شود بر وضع قوانین و اجرای مدنیّت در عالم. و حال آنکه می‌بینیم که خوانندگان این علم در مسلمانان محروم هستند از دانستن فوائد قوانین و قواعد مدنیت و اصلاح عالم، چون حال این علماءِ معلوم شد، می‌توانیم بگوئیم که علمای ما در این زمان مانند فتیلهٔ بسیار باریکی هستند که بر سر او یک شعلهٔ بسیار خردی بوده باشد که نه اطراف خود را روشنی می‌دهد و نه دیگران را نور می‌بخشد. عالِم حقیقتاً نور است، اگر عالم باشد پس اگر عالم عالم است می‌بایست که بر همه عالَم نور بپاشد و اگر بر همه عالم نور او نرسد اقلاً می‌باید که قطر خود را و یا شهر خود را و یا قریهٔ خود را و یا خانهٔ خود را منوّر سازد. و این چه عالمی است که خانهٔ خود را هم منور نمی‌کند؟ و عجب‌تر از همهٔ اینها آن است که علمای ما در این زمان، علم را بر دو قسم کرده‌اند: یکی را می‌گویند علم مسلمانان! و یکی را می‌گویند علم فرنگ! و از این جهت منع می‌کنند دیگران را از تعلیم بعضی از علوم نافعه و این را نفهمیدند که علم، آن چیز شریفی است که به‌هیچ طایفهٔ نسبت داده نمی‌شود و به‌چیزی دیگر شناخته نمی‌شود، بلکه هرچه شناخته می‌شود به علم شناخته می‌شود و هر طایفه‌ای که معروف می‌گردد، به علم معروف می‌گردد، انسانها را باید به علم نسبت داد نه علم را به انسانها. چه بسیار تعجب است که

---

۱. ایستگاه.

۲. فلسفه حقوق، حکمت قوانین.

مسلمانان آن علومی که به ارسطو منسوب است، آن را به‌غایت رغبت می‌خوانند، گویا که ارسطو یکی از اراکین مسلمانان بوده است! و اما اگر سخنی به کلیلو[1] و نیوتون و کپلر نسبت داده شود، آن راکفر می‌انگارند! پدر و مادر علم برهان است و دلیل، نه ارسطو است و نه کلیلو. حق در آنجاست که برهان در آنجا بوده باشد و آنهاکه منع از علوم و معارف می‌کنند، به زعم خود صیانت دیانت اسلامیه را می‌نمایند، آنها فی‌الحقیقة دشمن دیانت اسلامیه هستند و نزدیک‌ترین دینها به‌علوم و معارف، دیانت اسلامیّه است، و هیچ منافاتی درمیانهٔ علوم و معارف و اساسهای دیانت اسلامیه نیست.

امام غزالی که او را حجت‌الاسلام می‌گویند در کتاب «منقذ من‌الضلال» می‌گوید آن شخصی که می‌گوید دیانت اسلامیه منافی ادّلهٔ هندسیه و براهین فلسفیه و قواعد طبیعیه است، آن شخص دوست جاهل اسلام است و ضرر این دوست جاهل بر اسلام، زیاده است از ضرر زندیق‌ها و دشمن‌های اسلام، چونکه قواعد طبیعیه و براهین هندسیه و ادلهٔ فلسفیه از جمله بدیهیات است، پس کسی که بگوید دین من منافی بدیهیات است، پس لامحاله حکم بر بطلان دین خود کرده است و چون اول تربیتی که برای انسان حاصل می‌شود، تربیت دینی است زیرا آنکه تربیت فلسفی حاصل نمی‌شود، مگر از برای جماعتی که اندکی از علم خوانده قادر بر فهم براهین و ادله بوده باشند و از این جهت می‌توانیم بگوئیم که هرگز اصلاح از برای مسلمانان حاصل نمی‌شود، مگر آنکه رؤسای دین ما اولا اصلاح خود را نمایند و از علوم و معارف خویش ثمرهٔ بردارند. و حقیقتاً چون نظر شود، دانسته می‌شود که این خرابی و تباهی که از برای ما حاصل شده است، این تباهی اولاً در علماء و رؤسای دین ما حاصل شده است، پس از آن در سائر اُمّت سرایت کرده است. اکنون از شما معذرت می‌خواهم به‌جهت آنکه خلف وعدهٔ پرنسپل، موجب آن شدکه این مقاله را به اختصار ادا نمودم. والسلام.

---

۱. گالیله.

فلسفهٔ تربیت

هرگاه با نظر خردمندانه به اجسام زنده نباتی و حیوانی و یا انسانی توجه شود، خواهیم دانست که بنیاد زندگانی آنها بر عناصر داخلی که در اصطکاک کند، می‌باشند و یک برخورد متناسبی باهم دارند، به‌طوری که هیچ‌یک از عناصر بر دیگری غلبه پیدا نمی‌کند. یک برتری که با ظهور خواص و تسلطش بر سایر خصایص باشد نیست و این تناسب، با تن زنده که به‌نام مزاج معتدل، که از روح زندگانی است، بدست می‌آید.

هرگاه یکی از عناصر بر سایر قسمتها برتری یابد و خواص بقیه پاشیده و مزاج منحرف شده و از میزان اعتدال بیرون رود، مرض بر جسم تسلط پیدا می‌کند، چنانچه اختلال و فساد مزاج دراثر غلبه بعضی از عناصر به نسبت یکدیگر پیدا می‌شود و همین قسم دراثر غلبه مزاج نسبت به حوادث خارجی مانند سرمای سخت که حرارت غریزی را از بین برده و یاگرمای سوزان که تولید آتش نموده و رطوبت را از بین برده و بدن را به خشکی می‌کشاند و موجب مرگ و فنا می‌گردد. از این جهت که در علوم نباتی و حیوانات و طب بشری، بحث از همان علوم می‌شود تا حفظ توازن در بسائط بشود که به آن وسیله جسم از آن ترکیب یابد تا حوادث خارجی بر آن تسلط پیداکند و مزاج به‌حالت اعتدال افتد تا آنکه حکمت پروردگار اقتضاء آنرا نماید که عمر به پایان رسد و به حکم حکمت ازلی از اعتدال بیرون شود و تن متلاشی گردد.

نبات‌شناسان اراضی را برای پرورش زراعت مهیا می‌سازند و در موسم‌های مناسبی که هوا معتدل باشد، زمین را تقویت می‌نمایند تا نباتات پرورشی نیرومند یابند، همچنین اطباء از مواد غذائی بحث می‌نمایند که چه چیزی را باید دریافت نمود؟ و از هوای خوب و بد و منافع و زیانش بحث می‌نمایند و در دواهائی که برای مزاج مفید باشد، بتواند آدمی را به تندرستی کشانیده و از انحراف و بیماری دور می‌کند، تجزیه می‌کنند.

طبیب، هنگامی واقعاً طبیب است که به تاریخ علوم طبیعی و علوم نباتی آشنا بوده و بداند خواص و منافع هرکدام چیست؟ و آشنا به‌علل امراض و اسباب باشد و هرگاه آشنا به آنها نشد، نادانی بهتر از علم ناقص اوست. چه طبیب نادان، سفیر عزرائیل خواهد بود و نمی‌داند کدام دوا را در کجا به‌مصرف برساند و بالاخره بیمار را به هلاکت می‌رساند. لازم است که طبیب دانشمند باشد و به درهم و دینار چشم نداشته باشد تا بتواند بیماران را به‌خوبی معالجه نماید و همانطور که روح حیات بدن در اثر برخوردها معتدل و کامل می‌گردد، دراثر غلبه یکی از آنها به دیگری، ترکیب مزاج فساد می‌یابد و روح حیوانی از بین می‌رود و همچنین روح کامل انسانی هم همین قسم است.

هنگامیکه عناصر و روحیات مختلف با یکدیگر اجتماع پیدا نمود، حقیقت فضیلت معتدل که رکن سعادت خانوادگی است، بدست می‌آید. و مدار حیات فاضله به آن خواهد بود و اگر یکی از خلق‌ها به دیگر خلق‌ها برتری یافت، نظام فضیلت فاسد می‌شود و زشتی استوار می‌گردد و به نیستی و فناکشیده خواهد شد.

چنانکه مشاهده می‌نمائید، نفس انسانی دارای خلق جرأت و خلق ترس می‌باشد و این دو با یکدیگر مقاومت معتدلی می‌نمایند و اگر هریک در موقع خود بروز نماید، صفت شجاعت تولید می‌شود و هرگاه دراثر فقدان شجاعت، صفت ترس برتری یابد همه حیوانات به او برتری پیدا می‌کنند و زندگانی در تمام اوقات مورد خطر قرار خواهدگرفت. و اگر صفت جرئت بر صفت ترس غلبه پیداکند، بطوریکه اثرش از بین رود، تهور آشکارمی‌شود که آنگاه خود را به آب و آتش می‌زند و بدون دقت و تدبیر در هلاکت گرفتار می‌شود.

و همچنین ناچار است که صفت امساک و بخشش راکه هردو باهم معارضند، در مرحله اعتدال نگاه دارد. فضیلت بخشش که در مورد استحقاق پیدا می‌شود و هرگاه امساک برضد صفت دیگر غلبه نماید، بطوریکه اضمحلال پیداکند که لوازم ضروری از خوراک و پوشاک را چشم‌پوشی نماید، به تن ضرر می‌رساند و به مخارج زندگانی زن و بچه خود کوتاهی کرده و کدورت تولید می‌کند و به تیرگی می‌کشاند. و هرگاه بخشش از حدگذشت آدمی را به نیستی و فلاکت می‌رساند.

و همچنین تمام ملکات فاضله انسانی واسط مابین دو طرف متضاد هستند که ظهور

هرکدام به نسبت معتدله، اثراتی دارد و هرگاه یکی از آنها بر دیگری غلبه نمود، فضیلت و برتری اختلال پیدا می‌کند و خاندان خوشبختی از هم پاشیده می‌شود، چه این سعادت دنیائی باشد یا اخروی، تفاوتی ندارد و افراط و تفریط اثرات زشتی را دربر دارد.

چنانکه یکی از اضداد بر دیگری در نفس برتری یابد و به واسطه یک امر خارجی بر فضیلت برتری کند، مانند تربیت فاسدی که عنصر فاسد به واسطه آمیزش صفات زشت و غرائز ناقص و انفعالات نفسی و حرکتها و آرامشها و تقلیدها و تقلید به عادات یا به استماع هوا و هوس و تمایل به اغراض فاسد پیدا نمایند که آدمی را به سوء اخلاق و فساد زندگانی می‌کشاند و چنانکه بدن دارای بیماری است، روح هم بیماری‌هائی دارد، از این جهت علوم تربیتی و تهذیب نفس برای فضائل می‌باشد. و اگر علوم تربیتی از روش پرورشی خود منحرف شود، به‌سوی نقص و کجی خواهد رفت، چنانکه طب و لوازم آن برای حفظ تندرستی بدن می‌باشد.

دانشمندان پرکاری به امور تربیت و راهنمائی برخاسته‌اند و بیان مفاسد اخلاق و منافع آن را می‌نمایند تا روان را از حالت نقص به تکامل بکشانند. و همان‌طوری‌که لازمه طبیب است که عالم به تاریخ طبیعی و نباتات و حیوانات و علل امراض و اسباب و درجات آنها باشد، طبیب روحانی هم باید همین قسم باشد. طبیب نفوس و ارواح را که به راهنمائی جامعه برمی‌خیزد سزاوار است که آشنا به تاریخ ملت باشد تا بتواند فرزندان خود را راهنمائی کند و از تاریخ دیگران آشنا شود تا بداند که سرّ تقدم و انحطاط ملل در تمام ادوار تاریخی، در چه عواملی نهفته است. و سیر اخلاق را به روش دانائی بکشاند تا بداند اسباب بیماری جامعه چیست؟ و آشنا به درجات بیماری و دردهای جامعه گردد و بداند که دوای امراض اجتماعی چیست؟

باید به علل و بحث روان‌شناسی اجتماعی آشنا بود و مانند یک پزشک مهربان و دوست بیمار گردید و به پستی و زشتی آن ننگریست و پیشوایان اجتماعی و تربیتی باید پندگویان جامعه بوده و مردم را به‌راه راست و فضیلت رهبری کنند. تا آنانی‌که همت بلند دارند به مقاصد عالیه نایل گردیده و وطن‌فروشی نکرده و برای کالای دنیا و رسیدن به مقام و جاه، نزدیک امیران و بزرگان نشوند، چه هرگاه جامعه چنین رهبران حقیقی را دارا شد، آن جامعه به سعادت و صلاح خواهد رسید.

و هرگاه طبیب نمایانی راهنما باشند و نادانان و بداندیشان پندگو شوند، جامعه به تیره‌بختی و زشتی کشیده خواهد شد. چه راهنمای گمراه و پندگوی نادان، زشتی اخلاق را به اسم فضائل در جامعه نشر داده و فساد را تولید می‌کند. هرگاه مقصد و هدف نیکوئی هم داشته باشد و به‌جز خوبی برای مردم نخواهد، ولی به‌علت نادانی از راه راست و درستی منحرف شده و دور گردد و روان‌ها را به جهل مرکب که بدتر از شرارت ساده است، می‌کشاند، چه این دسته پیشوایان که به‌نام اخلاق و فضیلت خود را شناسائی می‌دهند، به‌جز گمراهی چیزی نمی‌آورند و از هدف عالی دور می‌شوند. گرچه زشتی را می‌پوشانند و مدت زمانی زشتی را سایه‌افکن می‌شوند، نمی‌توانند از آنها عدول نمایند، مگر بعد از سختی و فشار زیادی و شکی نیست که اینگونه پیشوایان، مهربانی و انسانیت را فاقدند و سخنان نیکوئی می‌گویند برای آنکه به اغراض فاسده خود نایل شوند. تا به مطالب و هدف نهائی خود نایل گردند و توجهی نخواهند داشت که افراد جامعه در خوبی یا بدی بسر برند و اخلاق و ادبیات، عالی شده و یا پست گردد؟ چه همه آنها را آلتی بدست اشرار و مردم هوا و هوس می‌دانند که هر وقت بخواهند برای فساد جامعه و ملتی از آن استفاده کرده مردم را به پرتگاه برسانند.

راهنمای جامعه، در دو دسته بیشتر از دیگران است: سخن‌گویان و خطیبان و نویسندگان و مؤلفان که از آن جمله ارباب مطبوعات هستند و هرگاه واجد شرایطی باشند که اشاره نمودیم، سزاوار ستایش و اکرام و بزرگواری هستند و همه باید از صمیم قلب دوستدار آن باشند و اگر خدمت به جامعه و هموطنان خود می‌نمایند، زهی سعادت و خوش‌بختی و اگر از دسته بدان باشند، باید از آنان دوری کرده و از جامعه دورشان ساخت تا آنکه فسادشان به جامعه سرایت ننماید.*

---

* این بحث توسط شیخ محمدعبده از درس استاد جمال‌الدین، تقریر شده و توسط او در جریده «مصر» چاپ اسکندریه، در ۱۱ جمادی‌الثانی ۱۲۹۶ هجری قمری چاپ شده است و سپس در کتاب: تاریخ‌الامام محمدعبده، نقل شده است.

شیخ محمد عبده در مقدمه این بحث می‌نویسد: «شب یکشنبه جلسه درس استاد جمال‌الدین افغانی تشکیل گردید و گروهی از علماء و فضلاء در مجلس درس شرکت نمودند و اینک برای آنکه مردم از بیانات استاد بزرگوار ما بهره‌مند شوند، خلاصه گفتار ایشان را می‌آوریم». و ما ترجمه آن را در این مجموعه آوردیم. و متن عربی آن، در مجموعه مقالات و رسائل سید به عربی، خواهد آمد. (خ)

۵

سعادت و انسان

۱. اسباب حقیقی سعادت و شقاوت انسان

۲. لذائذ نفسیهٔ انسان

۳. قصر سعادت



اسباب حقیقی سعادت
و
شقاوت انسان

ما أُودِعَتْ فیک ایّهاالانسان سَجیّة الاّلأن تجلب بها سعادة،
فَصُنها عن مسلک الهَوی کیلا تجعلها وسیلة الشقا[1]

حکیم نطاسی[2] چون بر این عالم وسیع و فضاء مملّو از شموس و اقمار نظر اندازد و به تلسکوب بصیرت و مکرسکوب تدّبر و تفکر ارتباط هریک از آنها را به دیگری و قوام هر واحدی را فی‌حدّ ذاته ملاحظه نماید، بلاشک بدین قضیه جلیله **(لیس فی الأمکان أبدع ممّا کان)**[3] اعتراف کند و اگر به عقل خرده‌بین خود کیفیت نموّ نباتات و نهج تکوّن حیوانات و أتقان وضع آنها را مشاهده کند، از تسلیم این کلام محکم **(انّ‌العالم قد وضع وضعاً حکیماً لیس فیه أفراط ولاتفریط)**[4] سرنپیچد. و چون ادراکش بدین پایه عروج نماید و بدین مقام واصل گردد، البته بر او منکشف خواهد شد که اتقان و انتظامی که در آن عوالم کلیه به کار رفته است، همان‌ها با لتّمام در اخلاق و سجایا مرعی بوده و آن جراثیم[5] اخلاق که در انسان است، بر وفق حکمت گذاشته شده است، تا بدانها حفظ حیات و اکتساب سعادت مطلقه و استحصال کمال منتظر خود را نماید، ولکن بشرط آنکه بر مقتضیات آنها رفتار نماید و به‌سوء تصرف خود، آن قوای مقدسه را از حد اعتدال و حالت طبیعیه اخراج ننماید و تغییر فطرت الهیه

---

۱. ودیعت گذاشته نشده است در ذات تو ای انسان خلقی و عادتی مگر برای اینکه جلب کنی بدان سعادت را، پس نگهدار آن را از راه هوا و هوس تا آن را وسیله شقاوت و بدبختی نگردانی.

۲. حاذق، باتجربه.

۳. نیست در این مکان بدیعتر از آنچه هست.

۴. به‌درستی‌که عالم وضع شده است به وضع حکیمی که در آن افراط و تفریطی نیست.

۵. تخمها و اصلها

ندهد. و به‌عبارت اخری، حکیمی که کتاب عالم را پیشنهاد خود کرده است و همیشه بر اوراق ابعاد و سطور حوادث و کلمات موالید نظر، البته بر او ظاهر و هویدا خواهد شد که مبدع کون این کواکبِ زاهرات[۱] و مصابیح باهرات را که به‌حساب و شماره بشر درنیاید، به حبایل[۲] قوه جاذبه عمومیه به‌یکدیگر پیوسته و مربوط ساخته است، تا هریک دارای حدی مخصوص بوده دوری نگزیند و به‌قوه طارده[۳] آنها را حافظ مسافات معیّنه و ابعاد محدوده نموده است، تا هر کوکبی در مدار خویش حرکت کند و از تصادم مصون گردد و ثوابت را که به‌نور ذاتی و ضیاء حقیقی جلوه گرند، شموسی درخشنده و مرکز عالمی جداگانه قرار داده است تا آنکه ماده حیات، به واسطه خطوط شعاعیه از آن ینابیع[۴] انوار فرود آمده، اجسام حیویه‌ای که[۵] در سیارات و اقمار آنهاست بهره‌ور شوند و اجزاء ذیمقراطیسیه[۶] آن کروات علویه و سفلیه را، پس از دادن خاصیت فعل و انفعال و تأثیر و تأثر کیمیاویه، به‌قوّه جاذبه به‌یکدیگر ملصق و متصل نموده، تا هریکی، قوام خود را حافظ و بر نظام خویش استوار بماند و روی به تلاشی و اضمحلال نیاورد.

و در سیارات که مقر اجسام حیّویه است، بواعث و لوازم حیات را آن‌قدر که حکمت اقتضا کند، نهاده، چنانچه کره زمین را که مستضیئی[۷] و مستفیض از نور آفتاب و مأوای نباتات و حیوانات است، از جهت تکوّن و بقای آنها مکتنف[۸] و محاط به‌هوای موجب زیست و بقاء و قابل تنفس نموده، تا آنکه حیوانات و نباتات از اجزاء مختلفه آن و مخالط آنها که (اقسیژن) و (نتروجن) و (قاربون) بوده باشد، برحسب مزاج و سرشت بهره یابند و آن کره هوا به‌سبب ثقالت خود، اجسام سائله را که در خلایا[۹] و اوعیه[۱۰] اجساد حیّه می‌باشد از خروج و تفرّق منع نماید و از برای برومندی و شادابی آنها، نهرها و چشمه‌ها که مستمد است[۱۱] از بحر محیط مالح، به واسطه غیوم[۱۲] هطاله در روی زمین اجراء نموده و حرارت مرکزیه را معوان[۱۳] حرارت

---

۱. روشن ۲. ریسمانها ۳. دافعه ۴. چشمه‌ها
۵. جاندار ۶. اجزاء صغیره‌ای که تقسیم نپذیرد. ۷. کسب روشنائی کردن
۸. فراگرفته شده ۹. خلوتها ۱۰. ظرف‌ها ۱۱. مددیابنده
۱۲. ابرهای سیار بارنده ۱۳. از ماده معین و معاون ـ یاری کننده

مکتسبه‌ای که از خورشید بر آن افاضه می‌شود، قرار داده است: **سبحانه من مبدع حارت‌العقول فی صنایعه و تاهت الافهام فی بدایعه**[1] و آن مبدع در گونه‌گونه نباتات، که به بدایع صنع خود آنها را دو صنف کرده، یکی را به ذکورت ممتاز و دیگری را به انوثت مخصوص نموده، از برای حفظ نوع و شخص قوّه مغذیه و ممسکه و مصوّره و مولّده، وضع کرده و گلها و ازهار آنها را به اکمام[2] و بزور و تخمهاشان را به قشور[3] و اغشیه[4] و غمدها[5] و غلافها از حوادث و آفات خارجیه، مصون و محفوظ گردانیده ـ و حیوانات شهدخوار، چون نحل و غیر آن را وسائل و اسباب تلقیح[6] آنها گردانیده، تا ماده لقاح[7] را به‌صنف انثی برساند و در هریکی از آن ازهار، مقداری از شهد نهاده تا آنکه آن حیوانات در خدمت تهاون[8] نورزد و از برای راهنمائی آنها هر گلی را به رائحه‌ای زکّیه و لونی مبهج[9] زینت داده و به‌جهت عدم وقوع قصور در این امر سترگ، بادها را نیز بر این خدمت گماشته است و اوراق اشجار را مانند اکباد[10] حیوانات از برای طرد و دفع اجسام غریبه، وضع نموده و در هریک از حیوانات، آنچه باید و شاید از برای زیست و رسیدن آنها به‌کمال منتظر خود بدائع صنع بکار برده و هر عضو و جارحه‌ای راکه در تعیّش و بقاء آنها لازم است به وضع هندسی و نهج میکانیکی برپاکرده و هریکی از آن اعضاء را برای ادای خدمت آنچه لازم باشد، از قوه و برومندی داده است و کبد ورئه حیوانات ثدیه[11] را از برای تصفیه خون به واسطه تنفّس و دلهای آن‌ها راکه در مریج[12] و اضطراب است به‌جهت فرش و بسط آن به‌جمیع اعضاء و جوارح، بر مقتضای حکمت در نهاده و از برای احساس و ادراک و قبض و بسط و حرکت و سکون، عروق و اعصاب را از طبقات مخ و دماغ، مانند اسلاک[13] تلغراف و اطناب میکانیکی به هرجای بدن کشیده و هر عضوی را از آن بهرهٔ بخشیده است تا آنکه بر ادراک مرغوب و منفور قادر و بر جلب ماینبغی و دفع مالاینبغی[14] تواناگردد.

---

۱. پاک است مبدعی که در صنائع او عقلها حیران و در بدایع او افهام سرگردان است.
۲. جمع کم یعنی غلافها
۳. پوستها
۴. جمع غشاء ـ پرده‌ها
۵. نیام شمشیر و پرده
۶. بارورکردن
۷. یعنی باروری
۸. سستی
۹. شادی‌آورنده
۱۰. جگرها
۱۱. حیوانات پستاندار
۱۲. شوریدن
۱۳. راهها
۱۴. آنچه سزاوار نیست

و حیات حیوان و نبات را به‌یکدیگر بسته و هریکی را وسیله زیست دیگری ساخته! حیوان را بر این داشته که به اجسام خود به افراز[۱] (قاربون) نبات را خدمت نماید! و نبات را بر این گماشته که درمقابل این عطیه عظمی، در تصفیه (اقسیژن) و تخلیص آن، برای تنفس حیوانات بکوشد و در بذل اجساد و ثمار تهاون نورزد و چون این لطائف صنایع و دقایق بدایع، در نظر حکیم جلوه‌گر شود به یقین داند که اصول اخلاق و جراثیم سجایائی‌که[۲] مبدع کون، از روی حکمت بالغه خود در انسان گذاشته است، از برای حفظ حیات و جلب راحت و سعادت می‌باشد، نه از برای آنکه بدانها در مبهوات[۳] تعب و شقا و به‌چاه هلاکت بیفتد و یا دیگری را بیندازد.

پس آن اخلاق و قوی که ودائع الهیه است در این نوع، اگر جالب فساد و مضرت و موجب شقا و هلاکت گردد، باید دانست که آن به‌سبب سوء تصرف خود انسان و به‌کارنبردن آنهاست در موارد لائقه خود، بر مقتضای عقل و حکمت. بیان این به‌نهج اوضح، این است که مبدع کون، چندین گونه قوه در انسان نهاده است و اگر غور شود ظاهر خواهد شد که آن قوه‌ها عبارت است از میل‌ها و خواهش‌های موجب جلب و جذب و تنفرها و کراهتهای باعث دفع و طرد و تحذر[۴]های مستوجب صیانت و حفاظت و تأثرها و انفعالات نفسانیه مستلزم تعاون و توازر و آن میل‌ها و تنفرها و تحذرها و تأثرها، اصول اخلاق و جراثیم سجایای افراد این نوع است و هریکی از آنها، در حفظ حیات شخصیه و صیانت وجود نوعی و استحصال ضروریات معیشت و اکتساب زندگانی به‌نهج اکمل، به‌منزله عضوی و جارحه‌ای می‌باشد و چنانچه فقدان بعضی از جوارح و اعضاء موجب نقص در زندگانی و انعدام برخی، سبب عدم قدرت بر استحصال ضروریات و لوازم حیات و فساد پارهٔ مقتضی هلاک شخص و زوال صنفی باعث اضمحلال نوع خواهد گردید، همچنین است حال آن اصول اخلاق و جراثیم سجایا ولکن به شرطی که علی‌الدوام تحت مراقبت عقل بوده از حدود طبیعیه و مقتضیات فطریه، تجاوز نکند والاّ فوائد آنها به‌مفاسد مبدل شده موجب هلاک شخص و یا تباهی هیئت اجتماعیه و یا ضیق در معیشت و زندگانی خواهد شد.

---

۱. بیرون‌دادن ۲. طبیعت‌ها ۳. جوّ هوا و فضا که در آن هوا مملو باشد.
۴. پرهیزکردن

چنانچه قوه شهویه بهیمیه، یعنی میل و خواهش مآکل و مشارب و مناکح، باعث جلب بدل مایتحلل و موجب توالد و تناسل است و بدون این قوه شریفه، این نوع را پایداری ممکن نباشد ولکن چون به‌سبب سوءتصرف به‌سرحد غلمه[1] و شره[2] برسد، مستلزم فساد مزاج و حصول امراض و در غالب اوقات باعث هلاکت خواهد گردید و بلاریب، اصحاب شره و غلمه، همیشه به‌حقوق دیگران تعدیها خواهند نمود و از برای قضای شهوات خود، انواع مکرها و حیله‌ها و خدعه‌ها بکار خواهند برد و اگر از اصحاب اقتدار بوده باشند، جهاراً[3] از روی قهر و غلبه حقوق ضعفاء و زیردستان را تصرف خواهند کرد و البته چون این صفت شره و غلمه، عمومی شود موجب فساد هیئت اجتماعیه خواهد شد.

میل حیات و حب زندگانی مقتضی بناء قصور و عمارات و داعی بر انشاء مدن و قصبات و قری، که زیب و زیور عالم انسانیت می‌باشد و جمیع صنائع جمیله و بدائع أنیقه[4] و حِرَف نافعه، به‌واسطه همین میل به‌ظهور رسیده است و این میل و محبت حیات است که انسان‌ها را بر این داشت که از خواص معادن و نباتات و حیوانات بحث کنند و آثار ازمان و فصول را دریافت نمایند و طبایع اراضی و اهویه را بفهمند و حرکات کواکب و قرب و بُعد آنها را استنباط کنند. پس بدون این میل، بقاء نوع انسانی متعذر خواهد بود، ولی چون حبّ حیات به‌حد افراط رسد در بعضی اوقات مستوجب هلاکت خواهند گردید. چنانچه لشکریان روباه دل به‌جهت فرط حب زندگانی از میدان حرب گریخته که جانی به سلامت برند، این امر موجب جرأت و اقدام دشمنان شده آنها را به‌زودترین وقتی، به وادی هلاکت می‌رسانند و در بعضی اوقات مستلزم این می‌شود که مفرطین[5] در محبت حیات به ذلّ مسکنت و عبودیت مبتلا گردند و با غایت پریشان‌حالی و فقر و فاقه طوق اسیری بر گردن نهند و این در آن وقتی است که به‌سبب گران‌جانی و محبت زندگانی از قوم و وطن خود، دفاع نکنند.

محبت ذات: محبت ذات موجب آن است که انسان در استحصال منافع خویشتن

---

۱. مغلوبیت از شهوت و غلبه شهوت　　۲. غلبه حرص　　۳. آشکارا
۴. عجیبه و خوب　　۵. افراط کنندگان

بکوشد و به‌قدر طاقت خود، اسباب راحت و رفاهیت زندگانی را اکتساب نماید و خود را به رتب شریفه و مراتب عالیه برساند، ولی اگر محبت ذات از حد تجاوز کند، باعث آن خواهد شدکه صاحب آن صفت منافع خود را به‌واسطه ضرر دیگران بدست آورد و حقوق عبادالله را به باطل‌های خود ابطال کند. و البته اگر متصفین بدین صفت بسیار شوند، امنیت مرتفع شده سلسله انتظام هیئت اجتماعیه منقطع خواهدگردید. میل برتری و طلب تفوّق و کمالات صوریّه و معنویّه دیگران، انسان را بر جدّ و اجتهاد دعوت می‌کند و بدان سعادت و نیک‌بختی در جهان حاصل می‌شود و بدون این میل، هرگز تجملات انسانیه به‌ظهور نخواهد پیوست و اختراعات عجیبه و فنون غریبه، لباس هستی نخواهد پوشید و مزایای جلیله انسانیّه و قوای عظیمه‌ای که در بشر ودیعه گذاشته شده است، به‌منصه شهود جلوه نخواهدکرد، بلکه اگر این میل نباشد، انسانها به اوّل درجه حیوانیت مانده، از عقل و ادراک خود، بهره‌ای نخواهندگرفت. پس این صفت محرک اوّل است به‌سوی اسباب نیکبختی، اگر در نزد ارباب عقول ناقصه به‌تکبر منجر نشود و اصحاب نفوس خسیسه آن را به‌حسد مبدّل نسازند و اگر به‌سرحد تکبر برسد، اوّل مفسده‌ای که بر او مترتب می‌شود، وقوف حرکت انسان است به‌سوی معالی، زیرا آنکه اگر شخصی را معلوم شودکه مزایا و فضایل بشریه را پایانی نیست و کمالات و ترقیات انسانیه را حدی نه، هیچوقت او را به‌سبب فضائل وکمالات و غنی و ثروت و قوّه و غلبه خود، تکبر حاصل نخواهد شد. پس تکبر انسان را در وقتی حاصل می‌شودکه گمان کمال و تمامی در خود نماید و این عین وقوف و سکون است و دوم تباهی‌ای که از او به‌ظهور می‌رسد، قطع روابط عالم انسانی و هدم ارکان قوام انسانیت است، به‌جهت آنکه روابط انسان‌ها با یکدیگر و قوام انسانیت ایشان، عبارت است از أفاده و استفاده و تعاون و توازر و مجاملت با یکدیگر و چون صفت تکبر در کسی متمکن شود، از جمیع این امور دوری گزیده از معاشرت و معارفه[1] دیگران کناره خواهندگرفت. و در این صورت وجود او در عالم انسانی بی‌فایده و بی‌ثمر و کالمعدوم خواهد بود. و اگر این وصف عمومی شود، لامحاله روابط انسانیه منقطع و

---

۱. شناختن یکدیگر

ارکان قوام انسانیت منهدم خواهد گردید. و اگر این صفت به‌حسد منجر[1] شود، بلاریب هرگونه شر و فساد را منتج شده، باعث تباهی هیئت اجتماعیه خواهد شد و طرق فضایل مسالک مزایای حسنه را بر روی طالبان مسدود خواهد نمود، زیرا آنکه حسود، چون در خود قوّه مبارات و یارای مجارات با خداوندان نعمت و ارباب کمالات نمی‌بیند، در ازاله نعمت این و اظهار نقائص آن و افساد اعمال دیگران، می‌کوشد و گونه‌گونه مفاسد از مساعی آن دنّی‌الهمة، در هیئت اجتماعیه به‌ظهور می‌رسد.

حب صیت و میل و خواهش نام‌آوری، موجب آن است که هر انسانی غایت سعی و نهایت جد و اجتهاد خود را در منافع عمومیه بکار برد و این صفت دعوت می‌کند افراد بشر را، بر اینکه صرف فکر نموده از برای فائده خلق علوم نافعه و صناعات عجیبه را اختراع کنند، چونکه نیکنامی به‌غیر از خدمت عموم، دستیاب نخواهد شد و این خواهش نام‌آوریست که از برای صیانت وطن، جان‌فشانی را بر ارباب نفوس کبیر سهل و آسان می‌کند و این حب صیت است که نفوس را از شرارتها و تعدیها و ظلمها منع می‌کند و همه این کتب نافعه و مؤلفات مفیده و اختراعات غریبه و اشعار رائقه و آداب فاضله آثار همین خواهش نام آوریست.

اما نباید این میل را به‌سبب سوءاستعمال به‌جائی رسانید که نفس انسانیه راضی شود بدینکه از راههای حیله و غدر و مکر و دروغ و ریاکاری، استحصال صیت و اکتساب نیکنامی نماید، بی‌آنکه حقیقةً فعلی که قابل نام‌آوریست از او سرزده باشد، مثل اینکه از برای نام‌آوری مؤلفات و اشعار و افکار و صنایع و اختراعات دیگران را به‌خود نسبت بدهد، زیرا آنکه **اولاً**: اینگونه نام‌آوری را بهیچ‌وجه لذت و مسرتی در نفوس نخواهد بود، بلکه به‌جز انفعالات و انقباضات نفسانیه اثر دیگری نخواهد بخشید و **ثانیاً**: اگر استحصال این نوع صیت و نام‌آوری در امتی عمومی شود، البته نفوس از حرکت به‌سوی معالی و اکتساب فضائل باز خواهد ایستاد. اما نفوس آنانکه بدینگونه اکتساب نام‌آوری کرده‌اند، به‌جهت آنکه دیگر ایشان را داعی و مقتضئ باقی نخواهد

---

۱. کشیده‌شده یعنی منتهی

ماند و اما نفوس آن اشخاصی‌که هنوز مشهور به‌نام نیکی نشده‌اند، به‌واسطه آنکه چون ایشان را معلوم شود که حسن صیت از طریق حیله و مکر و ریاکاری نیز حاصل می‌شود، بلاشک نفوس ایشان اِز تحمل رنج و تعب مسالک نام‌آوری حقیقی سرباز زده، طریق اسهل، یعنی راه حیله و مکر و ریاکاری را خواهند پیمود.

میل ستایش ارباب کمال و خدمهٔ عموم افراد انسان و خیرخواهان عالم و خواهش ذمّ و نکوهش اشرار و خلل‌اندازان هیئت اجتماعیه سوق می‌نماید. انسان مجبول[۱] بر طلب مدائح را به‌سوی کمالات و تحریض[۲] می‌کند. بشر مفطور[۳] بر حب ستایش را بر مکارم اخلاق و زجر می‌نماید، مردم را از هبوط. و منع می‌کند از انحطاط و ارتکاب افعال رذیله و چون افراد بشر را معلوم است که میل مدح اخیار و خواهش نکوهش اشرار مرکوز[۴] است در نفوس انسانیه، پس این میل و این خواهش بزرگترین باعثی خواهد بود از برای اینکه مردم منافع عمومیه را بر منفعت شخصیه ترجیح دهند و از شرارت و بدخواهی نوع بشر دوری گزینند و بلاشک اگر مدح و ذم نمی‌شد، در حرکت انسان به‌سوی فضائل، بطاء[۵] حاصل می‌شد و در همت آن فتور روی می‌داد و عملش خالی از قصور نمی‌گشت.

پس مدح و ذم چرخهای گردون ترقیات انسان است و بدون این دو، امر کمال و اعتدال از برای او حاصل نخواهد شد ولکن نباید ستایش‌کننده افراط کرده، ستایش خود را به‌درجه تملّق برساند که ممدوح را مغرور و از اکتناه[۶] احوال خویش کور سازد. و اگر تملّق در قومی شیوع یابد، بلاشبهه فساد اخلاق که بنیان‌کن مدنیت است آن قوم را فراخواهد گرفت، زیرا آنکه چون متملّقین[۷] فضیلت حقیره‌ای چون کوهی در نظر صاحب آن فضیلت جلوه دهند و معایب آن را لباس فضائل بپوشانند، البته آن شخص در نفس خود اشتباه کرده، دیگر در اصلاح نخواهد کوشید و این سبب آن می‌شود که رفته‌رفته فساد اخلاق بر او غلبه کند و چون با هرکسی این‌طریق را بپمایند، فساد عمومی خواهد شد.

---

۱. مخلوق ۲. برانگیزانیدن

۳. فطری چیزی است که در سرشت انسان جای گرفته باشد. ۴. جای گرفته

۵. کندی ۶. دریافتن ۷. چاپلوسان

و همچنین نباید نکوهش‌کننده افراط کرده خود را ذمّام قرار دهد و متعرض هتک اعراض عبادالله شده، افعال قبیحه‌ای که ضرر آنها متعدی نیست از این و از آن نقل نماید و بلاملاحظه منافع عامه، قدح در زید و طعن بر عمرو کند، چون اینگونه روش باعث أثاره[1] فتن و تأسیس اساس عداوت خواهد گردید و اگر این صفت در امتی فاش شود، سلسله انتظام آن امت گسیخته خواهد شد.

میل استکشاف احوال امم و حبّ اطلاع بر تواریخ عالم، موجب آن است که انسان‌ها حوادث ماضیه قبائل و شعوب[2] را به‌منزله آینه قرار داده و در آنها صور احوال آینده خود را ملاحظه کنند و اگر به‌واسطه این میل، اطلاع بر احوال اجیال[3] سابقه حاصل نمی‌شد، انسان را چگونه ممکن بود که این طریق مظلم حیات و این سبیل پرخوف و خشیت[4] زندگانی و این مسلک تنگ سهمناک دنیا را با این عجز و ناتوانی قطع نماید و چه‌سان می‌توانست که مسالک خیر را از مهالک شر تمیز دهد و اگر به‌سبب این میل علم به‌تجربه‌های پیشینیان دستیاب نمی‌گشت، وجود و استحصال اسباب حیات چگونه ممکن بود؟. این میل است که عقول و ادراکات جمیع امم ماضیه را در عقل شخصی واحد جمع می‌کند و این میل است که انسان را به‌جائی می‌رساند که از حواس ظاهره و باطنه گذشتگان، فائده می‌گیرد و به چشم‌های ایشان نظر می‌کند و به گوشهای ایشان می‌شنود و اگر این میل در شخصی نباشد و خواهش اطلاع بر احوال و حوادث امم نداشته باشد، آن بیچاره در این عالم چون کوری خواهد بود بی‌دست و پاکه در بیابان بی‌آب و گیاه وحید و تنها، بی‌زاد و توشه مانده باشد و سوء استعمال این میل این است که انسان تواریخ امم را چون افسانه‌ها شنیده به‌مجرد استماع آنها بی‌غور و بی‌ملاحظه مسرور گردد. چنانچه عادت امراء مشرق است که در وقت غنودن بر روی سریر، افسانه‌گوای را بر این می‌دارند که قصص و حکایات گذشتگان را ذکر کند و ایشان در این امر به غیر از لذت افسانه‌شنیدن، فایدهٔ دیگری ملاحظه نمی‌کنند.

میل معرفت علل و اسباب حوادث و حب دانستن خواص و آثار اشیاء باعث فتح

---

۱. به‌هیجان آوردن و برانگیختن
۲. طایفه و طریقه و قبیله‌ها
۳. طبقه ـ نژاد ـ قرن ـ دوره
۴. دهشت و بیم

ابواب منافع است بر روی انسانها و این میل راهنمائی می‌کند افراد بشر را به‌سوی صنایع عجیبه و اختراعات غریبه و علم طبیعت و علم کیمیا، که عالم را از صورتی به‌صورتی دیگر درآورده است، بلکه جلّ علومی که موجب تکمیل عقول و مقتضی تقویم نفوس و باعث اصلاح شئون ظاهریه و باطنیه انسانها گردیده است، همگی از آثار همین میل و از نتایج همین خواهش است. و این میل است که قوام انسانیت انسان است و بدین، از سائر حیوانات امتیاز یافته است و اعظم سعادت‌ها و نیکبختی‌ها را به‌واسطه این استحصال نموده است.

پس هر انسانی را واجب است که این میل مقدس را از سوءاستعمال مصون و محفوظ دارد و در امور بلافائده آن را به‌کار نبرد، تا آنکه از منافع و فوائد آن خود را و دیگران را محروم نسازد. چنانچه متفلسفین مشرق زمین خود را محروم ساخته‌اند، زیرا آنکه ایشان از قرون متعدده رغبت و میل خود را در مسائلی بکار برده‌اند که نه در آنها منافع دنیویه است و نه منافع اخرویه، چون مسئله هیولی[۱] و صورت[۲] و مسئلهٔ عقول عشره[۳] و نفوس تسعه[۴] و مسئله محددالجهات[۵] و عدم جواز خرق[۶] و التیام بر افلاک و امثال آنها از خزعبلات و خرافات.

میل محامات[۷] از وطن و جنس[۸] و خواهش مدافعه از دین و هم کیش یعنی تعصب وطنی و تعصب جنسی و تعصب دینی برمی‌انگیزاند انسان‌ها را بر مسابقت در میدان فضائل و کمالات و باعث این می‌شود که اصحاب ادیان و ارباب اوطان و قبائل و شعوب در اعلای کلمه خود، بکوشند و موجب این می‌گردد که هریک از آنها در اسباب عزت و شوکت و وسائل قوت و سطوت[۹] سعی و اجتهاد خود را به‌کار برند و این میل است که قبائل و ارباب ادیان را بدین می‌دارد که بر مدارج شرف عروج کنند و

---

۱. ماده قابل‌الصور انسانی و شکل ۲. نفس ظاهر و شکل

۳. عقول عشره بنابر اصطلاح فلسفه شرق موجوداتی هستند مجرد که واسطه میان مبدأ و سایر موجودات باشند.

۴. نفوس تسعه نیز موجودات مجردی هستند که به مواد تعلق یابند و همین فرق میان عقل و نفس است که عقل به‌ماده تعلق نپذیرد، یعنی بدان احتیاج نداشته باشد ولی نفس به ماده تعلق پذیرد و بدون آن کاری از او سر نزند.

۵. محددالجهات فلک نهم را گویند که به‌عقیده حکمای یونان ورای آن چیزی نیست! فضا بدان منتهی می‌شود.

۶. خرق و التیام یعنی پاره‌شدن و بهم پیوستن و به‌عقیده فلاسفه یونان خرق و التیام در اجسام فلکی روا نیست.

۷. حمایت کردن از وطن و قوم خود ۸. نژاد، قومیت. ۹. غلبه

به کوشش تمام، مزایای عالم انسانی را استحصال نمایند و این میل است که آتش غیرت را در نفوس مشتعل می‌گرداند و این میل است که نمی‌گذارد انسان‌ها را که به‌فرومایگی راضی شوند و این میل است که از برای تشیید[1] قصر مجد و شرف جماعات کثیره را متفق می‌گرداند و به صیانت حقوق عمومیه دعوت می‌کند و بر حمایت وطن و مدافعهٔ از شرف دین، برمی‌انگیزاند.

ولی نباید این میل مقدّس را به‌سبب سوءاستعمال به‌حدّی رسانید که با عدالت و حقانیت مضاده[2] نموده، موجب ابطال حقوق و باعث جور و تعدّی بر دیگران گردد و یا آنکه سبب حقدهای بیجا و عداوتهای بی‌فایده شود، چونکه «دل» از برای این خلق نشده است که عداوتکده و بیت‌الضغینه[3] بوده باشد.

چون کلام بدینجا رسید، می‌خواهم با هزار تأسف بگویم که مسلمانان هندوستان میل حمایت دین یعنی تعصب دینی را بسیار به‌نهج بد بکار برده‌اند، زیرا آنکه ایشان تعصب را به‌سبب سوءاستعمال، به‌حدّی رسانیده‌اند که موجب بغض علوم و معارف و سبب تنفّر از صنایع و بدائع گردیده است و چنان گمان کرده‌اند که آنچه منسوب به مخالفین دیانت بوده باشد، باید از روی تعصب دینی آن را مکروه و مبغوض داشت اگرچه علوم و فنون بوده باشد و حال اینکه از روی تعصب دینی بر ایشان واجب چنان بود که هرجا فضیلتی و کمالی و علمی و معرفتی ببینند، خود را أحق و اولی دانسته در استحصال آن سعی‌ها و کوشش‌ها بکار برند و نگذارند که مخالفین دیانت حقهٔ اسلامیه در فضیلتی از فضائل و در کمالی از کمالات بر ایشان سبقت گیرند.

افسوس، هزار افسوس از این سوءاستعمال تعصب دینی که عاقبت آن به تباهی و اضمحلال منجر خواهد شد و می‌ترسم که سوءاستعمال تعصب دینی مسلمانان هند به‌جائی برسد که یکبارگی مسلمانان دست از حیات شسته زندگانی را ترک کنند! به‌جهت آنکه مخالفین دیانت اسلامیه در این عالم زندگانی می‌کنند! لاحول ولاقوة الا بالله العلی العظیم.

میل انتقاد آثار و اعمال ارباب صنائع و اصحاب اختراعات و حبّ خرده‌گیری

---

۱. محکم‌ساختن ۲. مخالف‌نمودن ۳. خانه حقد و کین

در تألیفات و تصنیفات و افکار و خطب حکماء و علماء و خداوندان دانش. عجیبه میلی است و غریبه خواهشی است که مبدع کون، در افراد انسانیه نهاده است. و فائده این میل و ثمره این خواهش در ترقیات از سعی هزارها مربی شفیق و از کوشش هزارها معلم دلسوز بیشتر است. و اگر این میل در افراد این نوع نمی‌شد، تساهل و تسامح و اهمال و تهاون[۱] انسان‌ها را فراگرفته عقول صافیه و قرائح ذکیّه ایشان از خطه نقص و حضیض[۲] ناتمامی، هیچگاهی به اوج کمالات و ذروهٔ[۳] فضائل عروج و صعود نمی‌کرد. و آثار عظیمه و نتایج جلیله خرد و دانش ایشان، صورت هستی نمی‌گرفت و این صنایع بدیعه و حِرَف أنیقه[۴] و علوم دقیقه به‌عالم شهود جلوه‌گر نمی‌شد. و غالب قوای مقدسه انسان‌ها که مخازن اسرار و حکم الهیه است، در نهانخانه کمون، عاطل و باطل مانده بلاثمر و بی‌فائده می‌گردید.

پس این میل انتقاد و این خواهش خرده‌گیری دعوت می‌کند انسان‌ها را به‌تحقیق و تدقیق و ایشان را بر این می‌دارد که در صنایع و حرف و علوم و معارف تعمق و تدبر نمایند و تساهل و تهاون نورزند و بودن این میل در افراد بشریه، بر این دلالت می‌کند که کمالات انسانیه را نهایتی نیست و قدرت بنی‌آدم را اندازهٔ نمی‌باشد و هر اثری که از انسان سرزند، اگرچه در نهایت حسن و غایت اتقان[۵] و احکام بوده باشد، باز نظر به‌قوای فعاله‌ای که در او گذاشته شده است، خالی از نقص و عیب و ناتمامی نخواهد بود و سوءاستعمال این میل، این است که دارای آن به‌واسطه حسدی که از آثار خست نفس است، آنقدر خواهش انتقاد را قوّت بدهد و حب خرده‌گیری را بدان پایه رساند که از سرعت حرکت در عیب‌جوئی، فرصت‌نظر به محاسن او را دستیاب نگردد و به‌غیر عیب و نقص، چیز دیگری در آثار حسنه ارباب دانش و بینش به‌دیده غبارآلود حسدش نیاید و اگر فساد این میل در قومی عمومی گردد، البته فتور همت آن قوم را فراگرفته افکار عالیه و آثار عظیمه و کارهای سترگ از ایشان ظهور نخواهد نمود. چونکه غایت قصوی و مطلب اقصی[۶] و محرک اوّل هرکسی در ارتکاب اعمال شاقه

---

۱. هر چهار کلمه به‌معنی سستی است. ۲. پستی ۳. انتهای بلندی

۴. عجیبه و نیکو ۵. اتقان و احکام مرادف یکدیگر به‌معنی پایداری ۶. دورترین غایات

چه بدنیّه بوده باشد و چه فکریّه، جلب تحسین و استحصال مَحْمِدت است از دیگران و اگر مدح و ثنا و تحسین و ستایش در اعمال و افعال زائل شده به‌غیر از تشنیع و تقبیح، اثر دیگری بر آثار انسانیه مترتب نشود، قوای عقلیه لامحاله از حرکت باز خواهد ماند و قوای بدنیّه را وَهن[1] و سستی فرا خواهد گرفت.

میل بقاأسم بعد از وفات و خواهش پایداری نام پس از مردن انسان را بر این برمی‌انگیزاند که آنچه در او گذاشته شده است، از قوّت و توانائی و طاقت، همه را بلاتهاون و بدون مساهله[2] در استحصال امر سترگی، که فوق طاقت دیگران بوده باشد بکار برد، چونکه تلبس به حالات حیات و حب نام‌آوری و زندگانی، بر این می‌دارد که بقاء نام را پس از مرگ، چون نام‌آوری در حالت زندگانی بداند و به‌قدر توهم امتداد مدّت آن و به اندازه تخیل لذت مساعی خود را بدون سستی در اکتساب اسباب آن بکار برد. و بودن این میل در انسان بر این دلالت می‌کند که این نوع در بقاء و کمال سعادت خود محتاج است به اموری بسیار دشوار و افعالی بسیار شاق که هرگز بر آنها قادر و توانا نخواهد شد، مگر بدینگونه سببی فعال و باعثی مؤثر، که خواهش بقاء نام بوده باشد پس از مرگ.

و اگر میل بقاء اسم در بعضی از نفوس کبیره متمکن نمی‌شد، از کجا این اختراعات عجیبه و این صنائع غریبه و این علوم حکیمه عالیه و این فنون ریاضیه دقیقه‌ای که با خارق عادات، سر مبارات و مجارات دارد، این نوع را دستیاب می‌شد؟ و این عالم جدید را هرکسی به‌نوعی از آن بهره‌ور است، از کجا استحصال می‌نمود؟ ـ و اگر کسی به‌نظر بصیرت غور کند، بر او ظاهر خواهد شد که ترقیات و تنزلات امم، برحسب قوّت و ضعف این میل است در آحاد آنها و سوءاستعمال این میل چون چنگیزخان به‌سبب ریختن خون ملیونها از نفوس مقدّسه انسانیه، اسمی در عالم بگذارد و البته این‌گونه اسم گذاشتن، همیشه با لعن‌ها و نفرین‌ها مقرون خواهد بود و یا آنکه بخواهد چون آن احمق یونانی، که در شب تولد اسکندر، معبدِ زهره را آتش زد، ابقای نامی کند و اسم خود را تا ابد قرین خنده‌ها و قهقهه‌های سامعین و قارئین نماید! و این نوع ابقاء نام را، البته هیچ‌گونه لذتی و مسرتی نبوده باشد.

---

۱. سستی ۲. سهل‌انگاری

بلی! ابقاء نام را آن وقت لذت خواهد بود که انسان مصدر امر سترگی گردد که در او منفعت عموم خلق بوده باشد و چنان گمان نشود که اشخاصی که حاشیه بر حاشیه فلانیّه نوشته‌اند! یا آنکه دیباچه آن حاشیه را شرح کرده‌اند و یا آنکه در زاویه خاموشی نشسته در نزد مغفلین کسب شهرتی نموده‌اند، از جمله اصحاب نفوس کبیره‌ای می‌باشند که بذل جهدی کرده! نام‌های خود را در این عالم باقی گذاشته‌اند!؟ بلکه باید دانست که بقاء نام‌های این‌گونه اشخاص، در لوح عالم، مثل بقاء نام عبید زاکانی و ملا دوپیازه و مثل بقاء نام اپیس[1] مصر است، و انسان عاقل را نشاید که به این‌گونه بقاء نام، خرسند گردد!

۱. یا اپریس پادشاه بزدلی است که به‌سبب خیانت مغضوب خدا شده و بدست بخت‌النصر هلاک شد و در تورات به اسم فرعون عفره ذکر شده است!

لذائذ نفسیه انسان

چه‌قدر دشوار است بر انسان در این چند روزی‌که در این عالم است، لذائذ نفسانیه خود را به‌دست آورد، با این عمی و عمش که اوراست.

این انسان أکمه[1] اگرچه خواهش لذائذ بر طبیعت و غریزه آن نهاده شده است ولکن نمی‌داند که آن لذت در چه چیز است و طیبت[2] عیش در چه یافت می‌شود؟ لهذا می‌بینم با اشتراک همه انسانها، در ماهیت[3] شهیه[4] لذائذ و درحقیقت طلب راحت عیش، هریکی راهی پیش گرفته‌اند و هریکی وسائلی اتخاذ نموده‌اند. این یکی راحت نفس را در جمع اذخار[5] اموال می‌پندارد و آن دیگری در عمارات عالیه و جنائن[6] وسیعه گمان می‌کند و آخری در مناصب رفیعه و رتب سامیه[7] گمشده خود را جستجو می‌نماید و هریکی از این فرق ثلاثه، در رسیدن به مقاصد خود هزارها را در حین سیر خود به حوافر[8] طمع و سنابک[9] شره خود سحق[10] و مزق[11] می‌نماید. و اموال هزارها را از برای جمع دراهم و دنانیر نهب[12] و سلب[13] می‌نماید. و آن بیچاره را با چشم گریان و بدن عریان، بر روی خاک مذلت و بینوائی می‌نشاند و از برای بناء عمارت خویش، خانه هزارها فقیر و مسکین را خراب و دمار[14] می‌سازد ـ و از برای رسیدن به مرتب عالیه هزارها را از مقام خود سرنگون می‌کند. به‌جهت شدت حرص از

---

۱. کور مادرزاد را گویند ۲. گوارائی نیکوئی ۳. حقیقت شیئی
۴. خواهش و آرزوهای نفسانی ۵. ذخیره‌کرده شده و ذخیره‌کردن
۶. باغستانها ۷. رتبه‌ها ۸. گودالها
۹. سم ستوران در اینجا شره را به اسب تشبیه کرده آنگاه برای او سم فرض کرده است.
۱۰. سائیدن ۱۱. پاره‌کردن ۱۲. غارت‌کردن ۱۳. ربودن
۱۴. هلاک ساختن و ویران‌کردن

برای رسیدن به مقصود خود، هیچگونه از برای این عجزها رحم و شفقت نمی‌کند و چون بدانجائی که گمان استحصال لذت و راحت معیشت دارد، می‌رسد مقصد را که لذت و راحت باشد، در آنجا نمی‌یابد، بلکه آلام[۱] و اسقام[۲] و احزان و هموم از هر طرف او را چنان فرامی‌گیرد و دهشت و وحشت بدو چنان احاطه می‌کند که بر حالات گذشتهٔ خود تحسّر[۳] می‌نماید و بر عیش فقرا حسد می‌برد و خود را علی‌الدّوام در آتش سوزانی چون آتش دوزخ می‌انگارد. اینهمه از آنست که انسان جاهل است به لذائذ و از حرص و طمع کور شده است و نمی‌تواند که ببیند راحت او در چیست؟.

اگر انسان غور نماید، خواهد دانست که لذت او در لذت دیگران و راحت او به راحت اهل مملکت او بسته شده است، البته در آنوقت می‌تواند که به‌مقصد اصلی خود فائز گردد. بیان آن این است که بلایائی که از برای انسان می‌آید و این اضطرابها که از برای او حاصل می‌شود، همه ناشی از سائر انسانهاست و سائر انسانها سعی در سلب راحت آن می‌نمایند و هزارها مصائب و بلایا از برای او آماده و مهیا می‌سازند و اینهمه از برای این است که می‌خواست خودش مختص بدان راحت و لذت بشود و اگر در استحصال راحت خود، ملاحظه راحت دیگران را هم می‌کرد، سایر انسانها به‌جای مضّاده، معین او می‌شدند.

البته آن‌کس که خانه عالی از برای خود بسازد، به‌سبب هدم هزارها خانه‌ها، صاحب آن خانه‌ها همیشه اوقات بر عداوت او کمر بسته چه جهراً[۴] و چه خفیةً[۵]، چه به‌حیله چه به‌سرقت، در هدم آن می‌کوشند و عیش را بر صاحب آن عمارت عالیه تلخ نموده هر روز اندوه نوی از برای او مهیا می‌سازند و همچنین آنکه به راههای باطل و سلب اموال دیگران به جمع دراهم و دنانیر سعی می‌کند، چگونه می‌شود که از کید و ضرر آنها ایمن گردد؟ ـ و آنکه به‌سبب انداختن هزارها را از مقامهای خود، به‌پایهٔ رسیده است، چگونه ممکن است که درمیان این دشمن‌های عنید[۶] جان به‌سلامت برد؟ این است که هیچ‌یک از انسانها در راههائی که از برای خود اتخاذ نموده‌اند، مطلوب

---

۱ و ۲. دردها و بیماریها
۳. حسرت بردن
۴. آشکارا
۵. نهانی
۶. بدی‌کننده

حقیقی خود، که راحت خالصه و لذت صرفه باشد، نمی‌رسند و اگر هم فرض کنیم که از کید اعدای خود که بر آنها ظلم نموده است، در امن باشد، باز أنین[۱] و حنین[۲] و زاری آنها که علی‌الدّوام به‌گوش او می‌رسد، مسرت را از او سلب خواهد کرد و شادمانی را از دل او خواهد زدود و هیئت محزنه آنها و لباسهای پاره‌پاره ایشان و صورتهای پراندوه آنها و خانه‌های ویران ایشان، که هر ساعتی و هر آنی در مدّنظر اوست، آتش اندوه و غم در کانون[۳] دل او افروخته خواهد نمود.

چه لذت است در قصر عالئی که در مملکت خرابی واقع شده باشد؟ و چه حسنی از برای آن شهر خواهد بود به‌واسطه آن یک دو عمارات عالیه؟ و چسان از برای صاحب آن قصور شاهقه[۴] لذتی حاصل شود؟ نه، آن بعینه چون وصله اطلس است بر جامه کهنه کرباس. و چه بهجت دست خواهد داد از برای اصحاب رتب عالیه‌ای که در اطراف او به‌جز جماعتی فقرا و صعالیک[۵] و ژنده‌پوشان نباشد؟ چونکه فخر در رتب، درمیان همسران خواهد بود و چه لذتی در دراهم مکنوزه خواهد بود که تمتّعی از آن نتواند گیرد و چگونه آن لقمه گوارا خواهد شد که به‌گوش خورنده أنین هزارها گرسنه در هر آنی برسد؟ بلی راحت و لذت از برای انسان در آن مملکتی حاصل خواهد شد که تناسب تامهٔ درمیانه جمیع طبقات مردم باشد، در همه‌چیز. والسلام

---

۱ و ۲. ناله و فریاد و افغان　　۳. کوره آتش افروخته　　۴. بلند و رفیع

۵. فقراء و مساکین

قصر سعادت

انسانها را از دیرزمان و به‌سبب ادیان، سه اعتقاد و سه خصلت حاصل شده است که هریک از آنها رکنی است رکین، از برای قوام ملل و پایداری هیئت اجتماعی و اساس محکم در مدنیت و ترقیات امم و قبائل و موجبی است فعّال از برای دفع شر و افسادی‌که برباددهندهٔ شعوب است.

نخستین آن عقاید سه‌گانهٔ جلیله، اعتقاد است بر اینکه انسان فرشته‌ای است زمینی و اوست اشرف مخلوقات. دومی یقین است به اینکه امت او اشرف امم است و به‌غیر از امت او، همه بر باطل و گمراهند. و سیمی جزم است بدین‌که انسان در این عالم آمده است از برای دریافت کمالات شایسته‌ای که بدانها منتقل گردد به‌عالمی أفضل و أعلی و پهناورتر و أتم از این‌عالم تنگ‌وتاریک، که در حقیقت اسم «بیت‌الاحزان» را شایان است!

و غفلت نباید ورزید از تأثیرات بزرگ این عقاید سه‌گانه در هیئت اجتماعی و منافع جلیله آنها در مدنیت و فوائد بسیار هریکی، در انتظامات و روابط امم و ثمرات جلیله واحدی از آنها در بقای نوع انسانی و زیست افراد آن با یکدیگر، از راه مسالمت و موادعت و نتائج حسنه هر فردی از آنها در ترقیات ملل در کمالات عقلی و نفسی نمودار می‌شود.

به‌جهت آنکه هر اعتقادی را خواص و لوازمیست که محال است انفکاک آنها، از دو یکی از لوازم اعتقاد انسان بر اینکه نوع او اشرف مخلوقات است، این است که استنکاف و استکبار خواهد کرد از خصلت‌های بهیمیّه و تنفّر خواهد نمود از صفات حیوانی.

و هیچ ریبی نیست که هرقدر این اعتقاد محکم‌تر گردد، آن استنکاف اشتداد خواهد پذیرفت. و هرقدر آن استنکاف قوت گیرد، ترقی آن انسان در عالم عقلی

زیاده خواهد شد. و به‌مقدار ترقی در عالم عقلی، صعود و عروج اوست در مدارج مدنیت، تا آنکه یکی از ارباب «مدنیه فاضله» شده زیست آن با برادران خود که بدین‌پایه رسیده‌اند، براساس محبت و حکمت و عدالت نهاده شود. این غایت مراد حکما است و نهایت سعادت انسانیت در دنیا.

پس این اعتقاد بزرگترین رادعیست انسان را از اینکه زیست کند در جهان چون خران وحشی و گاوان دشتی! و تعیّش نماید در این عالم چون بهائم بیابانها و راضی گردد به زندگانی انعام و چهارپایان، که قدرت بر دفع مضار و آلام و اسقام ندارد و طرق حفظ حیات خود را چنانچه باید، نداند و همه عمر را به‌وحشت و دهشت و خوف گذراند.

و سترگ‌ترین زاجریست افراد انسانی از اینکه یکی دیگری را چون اُسود کاسره و ذآب ضاریه و کلاب عقوره، پاره‌پاره نماید و عظیم‌ترین مانعی است از مشابهت و مماثلت حیوانات در صفات خسیسه دنی و نیکوترین سائقیست به‌سوی حرکات فکریه و استعمال قوای عقلیه و مؤثرترین سببی است از برای تهذیب نفوس از دنس زوائل. غورکن اگر قومی و قبیله‌ای را این‌گونه اعتقاد نباشد، بلکه بالضد، آحاد را چنین عقیده باشد که انسان مثل سایر حیوانات بلکه پست‌تر از آنهاست، چقدر دنایا و ازائل، از آنها سرخواهد زد و چه شرارتها از ایشان به‌ظهور خواهد پیوست و نفوذ آنها چقدر پست و دنی خواهد شد و عقول ایشان را چگونه وقوف حاصل شده از حرکات فکری باز خواهد ماند؟

و یکی از خواص یقین بر اینکه امت او افضل امم است و به‌غیر آن هم بر باطل‌اند، این است که لامحاله صاحب این عقیده، درصدد مبارات و مجارات و همسری سایر امم خواهد برآمد و درمیان فضائل، با آنها مسابقت خواهد نمود، بلکه در جمیع مزایای انسانیت چه مزایای عقلی بوده باشد و چه مزایای نفسی و چه مزایای در معیشت، برتری و فوقیت بر سایر اقوام را طلب خواهد کرد.

و هرگز بر انحطاط وحشت و دنائت و فرومایگی خود و امت خویش راضی نخواهد شد و هیچ شرف و عزت و برومندی و سعادت و رفاهیتی را، از برای قوم بیگانه نخواهد دید، مگر آنکه اعلی و افضل از آن را به‌جهت قوم خود خواهد خواست، چونکه به‌سبب این اعتقاد، خود را و قوم خویش را أحق و ألیق و سزاوارتر

می‌داند به جمیع اموری‌که در عالم انسانی، فضیلت و مزیت و شرف شمرده می‌شود و اگر از قواسر خارجی قوم آن را انحطاطی در یکی از مزایا و فضائل انسانیت دست داده باشد، هرگز قلب او را راحت و آرام حاصل نمی‌شود، بلکه همیشه تا عمر دارد، در علاج آن خواهد کوشید، پس این عقیده افضل‌ترین سبب است از برای سابق امم در مدنیت و بزرگترین علت است به‌جهت طلب علوم و معارف و صنایع و محکمترین موجب است از برای سعی امم در دریافت دواعی علّو کلمه و بواعث شرف.

تدبّر نما! اگر ملتی از ملل را این یقین نباشد، چقدر رخوت حاصل خواهد شد در حرکت آحاد آن به‌سوی فضائل و چقدر فتور در همت آنها پدید خواهد کرد و چه اندازه فرومایگی و بیچارگی آن امت را فراخواهد گرفت و چگونه در عبودیت و ذل و خواری خواهد ماند؟ خصوصاً اگر خود را پست‌تر از سایر ملل بداند، چون قوم «وهیر» و «مانک».

و یکی از محتویات جزم بدین‌که انسان در این عالم آمده است از برای استحصال کمالات، تا آنکه منتقل گردد به عالمی اوسع و اعلی، این است که چون این اعتقاد کسی را دست دهد، به‌نهج ضرورت و لزوم، صاحب آن عقیده هر وقتی سعی خواهد نمود در تزیین و تنویر عقل خود به معارف حقه و علوم صدقه و خود عاطل نخواهد گذاشت.

و آنچه در او ودیعه گذاشته شده باشد، از قوای فعاله و مشاعر عالیه و خواص جلیله، همه را به اجتهاد تمام از کمون به‌عالم بروز برآورده، بر منصه شهود جلوه خواهد داد و در جمیع ازمنه حیات خود، از برای تهذیب نفس خویشتن از صفات رذیله کوشش خواهد نمود و در تعدیل و تقویم ملکات آن، کوتاهی نخواهد ورزید و همیشه اجتهاد خواهد کرد که اموال را از طریق لائق و سزاوار بدست آورد، نه از مسالک دروغگوئی و حیله‌بازی و خیانت و خدعه‌کاری و رشوت‌خواری و تملق‌گوئی و بدان راهی‌که لائق و زیبنده است صرف نماید نه بر باطل.

پس عقیده بهترین داعی‌ای است به‌سوی مدنیتی که اساس آن بر معارف حقه و اخلاق مهذّبه می‌باشد و نیکوترین مقتضی‌ای است از برای قوام هیئت اجتماعیه. عماد آن معرفت هر شخص است، حقوق خود را و سلوک اوست بر صراط مستقیم عدالت و قوی‌ترین حدود معاملات است از روی راستی و صداقت و گزیده‌ترین سبب است از برای مسالمت و موادعت اصناف آنها، به‌جهت آنکه مسالمت، ثمره محبت و عدالت

نتیجه سجایا و اخلاق پسندیده می‌باشد و اوست آن یگانه عقیده‌ای که انسان‌ها را از جمیع شرور بازمی‌دارد و از وادیهای شقا و بدبختی نجات داده در مدینه فاضله بر عرش سعادت می‌نشاند. تصور کن! اگر امتی را این عقیده نباشد، چقدر شقاق و نفاق و دروغگوئی و حیله‌بازی و رشوت‌خواری در میانه آن شیوع خواهد گرفت؟.

و چه اندازه حرص و آز و غدر و اغتیال و ابطال حقوق و مجادله و مقاتله شهرت خواهد پذیرفت. و به‌چه مقدار تهاون در استحصال معارف دست خواهد داد.

و اما آن خصائل ثلثه‌ای که به‌سبب ادیان از دیرزمان در امم و شعوب حاصل شده است، یکی از آنها خصلت حیا است و آن انفعال نفسی است از اتیان فعلی‌که موجب تقبیح و تشنیع بوده باشد.

و تأثر اوست از تلبّس به حالتی‌که در عالم انسانی نقص شمرده شود و باید دانست که تأثیر این خصلت، در انتظام هیئت اجتماعی و منع نفوس از ارتکاب افعال شنیعه و اعمال قبیحه، از صدها قانون و هزارها محتسب و هزارها پولیس بیشتر است، زیرا آنکه چون حیا نباشد و نفس در دایره نذالت و سفلکی قدم نهد، کدام حد و کدام جزا آن را منع تواند کرد؟ از افعالی‌که موجب فساد هیئت اجتماعیه است، سوای قتل! و این هم نشاید که جزاء هر عمل قبیحی، قتل قرار داده شود.

و این صفت ملازم شرف نفس است و انفکاک یکی از دیگری نشاید و شرف نفس، مدار نظام سلسله معاملات است و اساس درستی پیمانها و استواری عمود است و مایه اعتبار انسان است، در قول و عمل و این شیمه، عین شیمه نخوت و غیره است که به‌سبب اختلاف حیثیات بدو اسم نامیده می‌شود.

و نخوت و غیره موجب حقیقی ترقیات امم و شعوب و قبائل است، در علوم و معارف و جاه و شوکت و عظمت و غنی و ثروت. و اگر امتی را غیرت و نخوت نبوده باشد، هیچوقت از برای آن ترقی حاصل نخواهد شد، بلکه همیشه در خست و دنائت و ذلّ و مسکنت و عبودیت خواهد ماند.

و این ملکه، یعنی ملکه حیا، رشته ائتلافات و اجتماعات و معاشرت انسانیت است، چونکه ائتلاف درمیان جمعی صورت نبندد، مگر به‌حفظ حدود و آن هرگز حاصل

نشود، مگر بدین ملکه شریفه و این سجیّه‌ای است که انسان را به آداب حسنه مزین می‌سازد. و از افعال بشعه حیوانات دور می‌نماید و به‌تعدیل و تقویم حرکات و سخنان دعوت می‌کند. و بدو، انسان اِز سایر حیوانات امتیاز یافته یا از دائره بهیمیت بیرون می‌رود و این، آن یگانه خلق است که حث بر همسری ارباب فضائل می‌کند و از نقائص منع می‌نماید و نمی‌گذارد انسانها را که به جهل و نادانی و دنائت و سفلگی راضی شوند. و این همان خله‌ای است که تحقق و پایداری امانت و صداقت بدون او ممکن نشود. و این نخستین وصفی است که معلم و مربی و ناصح، به‌دستیاری آن به مکارم اخلاق و فضائل صوری و معنوی و شرف ظاهری و باطنی، دعوت می‌کند.

آیا ملاحظه نمی‌کنی! هرگاه استاد خواهد که شاگرد خود را به فضیلتی بخواند، او را مخاطب ساخته می‌گوید: شرم و حیا نمی‌کنی از اینکه قرین تو در فضیلت از تو پیشی گرفته است؟ و اگر این خصلت نمی‌شد، نه توبیخ را اثری بود و نه تشنیع را ثمری و نه دعوت را فایده‌!.

پس معلوم شد که این سجیّه، اصل همه خوبیها و اساس همه فضائل و موجب همه ترقیات بوده است و می‌باشد. فکر کن! اگر این صفت در قومی نباشد، چقدر خیانت و دروغگوئی درمیان آحاد آن فاش خواهد شد؟ و چقدر افعال رذیله شنیعه و اعمال بشعه قبیحه، جهراً از آنها سر خواهد زد؟ و چه مقدار سفلگی و دنائت و نذالت و شراست اخلاق، ایشان را فرا خواهد گرفت و چگونه حیوانیت و بهیمیت بر آنها غلبه خواهد کرد؟

و دومی امانت است و معلوم است هر شخصی را که بقاء نوع انسانی و زیست آن در این عالم، بر معاملات و مبادله اعمال است و روح و جان معاملات و مبادله اعمال امانت است و چون امانت در میانه انسانها نباشد، سلسله معاملات از هم گسیخته و رشته مبادله اعمال بریده خواهد گردید. و در وقتیکه نظام معاملات پاره‌پاره شود، هرگز انسان را در این جهان بقا و زیست ممکن نباشد.

و نیز رفاهیت و آسایش امم و شعوب و انتظام معیشت آنها صورت وقوع نمی‌پذیرد مگر به‌یک نوع از انواع حکومت‌ها. چه حکومت جمهوریه باشد و چه حکومت مشروطه و چه حکومت مطلقه.

و حکومت به جمیع انواعش متشکل و متحقق نمی‌گردد و پایدار نمی‌شود مگر به‌جماعتی که به صفت حرّاس منصف شده، در حدود بلاد، منع تعدیات اجانب را نمایند.

و در داخل مملکت در قلع و قمع قتّالین و فعالین و قُطاع طریق و سراف کوشند و به گروهی که به شریعت دانا بوده باشند و قوانین و نظامات دول و امم را بدانند و بر منصه حکم و قضا از برای فصل دعاوی حقوقیه و جنائیه نشسته، رفع خصومات را نمایند.

و به اشخاصی که ضرائب و جبایات را بر وفق قانون حکومت، از عموم اهالی جمع نموده در خزانه حکومت که فی‌الحقیقة خزینه عموم رعایا است، حفظ نمایند.

و به کسانی‌که آن اموال موخّره را بر سبیل اقتصاد در منافع عمومی اهالی، چون بنا و مدارس و مکاتب و انشاء قناطر و طرق و بنیاد دارالشفاها، صرف کنند.

و معاشات مستخدمین ملت را، چه حرّاس بوده باشند و چه قضات و چه غیر آنها، چنانچه مقرر است برسانند و اداکردن این جماعتهای چهارگانه که ارکان اربعه حکومتها می‌باشند، خدمتهای خود را به نوعی‌که فساد براساس حکومت راه نیابد، موقوف است بر خصلت امانت و اگر امانت در آنها نباشد، راحت و امنیت از جمیع آحاد رعیت منسلب گردیده حقوقها بالتّمام باطل خواهد شد و قتل و نهب فائز خواهد گردید و راههای تجارت بسته و ابوابهای فقر و فاقه، بر روی اهالی گشوده و خزانه حکومت خالی و طریق نجات برو بسته خواهد شد.

و البته هر قومی‌که بدینگونه حکومت خائنانه غیر امینه اداره شود یا بالمّره مضمحل خواهدگردید و یا بدست اجانب اسیر افتاده مرارت عبودیت راکه برتر است از مرارت اضمحلال و زوال، خواهد چشید.

و همچنین ظاهر است که سلطه قومی بر سائر اقوام و نفوذکلمه آن، هرگز صورت وقوع نخواهد پذیرفت، مگر آنکه آحاد آن قوم با یکدیگر چنان متحد و ملتسم گردیده باشند که به‌منزله شخص واحد شمرده شوند و اینگونه اتحاد، بدون وصف امانت، از جمله محالات است.

سپس هویداگردید که خصلت امانت قوام بقاء انسان و مقوم اساس حکومت است و راحت و امنیت بدون او حاصل نشود و سلطه و عظمت و علّو کلمه امم به‌غیر او صورت نبندد و روح و جسد عدالت، همین سجیه است و بس.

تبصر نما! اگر امتی را این صفت نباشد، چه مصائب و بلایا و آفات، آحاد آن را فراخواهد گرفت و چه‌سان فقر و فاقه و بیچارگی ایشان را احاطه خواهد کرد و عاقبت چگونه مضمحل و نابود خواهد شد؟

و سیمی از اوصاف، صداقت و راستی است. پوشیده نماند که حاجات انسانیه بسیار، ضرورات معیشت آن بی‌شمار است.

و اشیائی که بدانها رفع حاجتهای خود را می‌نماید و چیزهائی که به‌واسطه آنها ضرورات خویش را دفع می‌سازد، هریکی درجهتی در زیر پرده خفا خزیده و هر واحدی در ناحیه‌ای در پس حجاب مستوری انزواگزیده و پابه‌دامن بی‌نام و نشان کشیده است.

و همچنین مخفی نباشد که هزارها مصائب و هزارها بلایا و هزارها آفات، در هر زاویه‌ای از زوایای عالم کمین گرفته و تیر جانکاه به‌قصد هلاک انسان، در کمال ادوار و حرکات زمانه نهاده است و انسان را به اعانت این حواس خمسه ضعیفه خود، هرگز میسر نشود که بر جمیع موارد منافع مطلع گشته، دفع ضرورات خویش را نماید.

و یا آنکه بر کمینگاههای بلایا آگاهی یافته در صیانت وجود خویش کوشد، لهذا هر انسانی از برای جلب منافع و دفع مضار، محتاج است به استعانت از مشاعر سائر مشارکین در نوع و طلب هدایت‌نمودن از آنها، تا آنکه به‌سبب راه‌بری و دلالت ایشان، بقدر امکان از بعضی از گزیده‌ها رسته مقداری از لوازم معیشت خویش را بدست آرد و این استعانت، هرگز مفید نخواهد افتاد مگر از داشتن صفت صداقت، زیرا آنکه کاذب، قریب را بعید و بعید را قریب وانموده، نافع را به‌صورت مضرّ و مضر را به‌صورت نافع جلوه خواهد داد.

پس صفت صداقت، رکن رکین پایداری نوع انسانیت و عمل متین هیئت اجتماعیه شعوب است. و هیچ اجتماعی بدون او صورت نبندد، چه اجتماعی منزلی بوده باشد و چه اجتماع مدنی.

خوض کن! اگر گروهی را صداقت نباشد، چقدر شقا و بدبختی ایشان را دست خواهد داد؟ و چگونه سلسله انتظام آنها گسیخته خواهد شد؟ و چسان به پریشانی مبتلی خواهند گردید؟ والسلام.

۶

رسالهٔ

طفل رضیع

یا

انسان بیمار!



طفل رضیع[1]

(در عوالم انسانی از زمان کودکی و شیرخوارگی و پاکی فطرت و سوء تربیت و دشمن‌بودن تمام ذرات وجود و اشیاء با او و دشمنی نفس با او در عالم حیات و خواهش و میل انسانی به اقسام ستایش حب مدح و ثنای باطل)

ای رضیع مسکین! ای کودک بیچاره ـ چه‌قدر صورت لطیفی داری و اعضاء و جوارح تو چه بسیار ناعم[2] است. عجب خنده شیرینی داری که به یک لحظه، همه تلخیهای جهان را خوشگوار می‌نماید و اندوه را از دل می‌زداید. و چه خوشایند گریهٔ داری که دلهای چون سنگ خارا را بی‌شائبهٔ کراهت، نرم می‌نماید و قلوب خالیه را پر از شفقت‌ها و مرحمتها می‌کند. عجیبه شکل بدیعی داری که عالمی را به‌سوی خویش جذب می‌نمائی. بیگانه و خویش را به خدمت خود می‌گماری. پادشاهان متکبر را از مقام عز خود تنزل داده دمساز خود می‌کنی. صاحبان وقار از دیدن صورت زیبای تو به یکبارگی لباس سکینه[3] را خلع نموده خود را با تو در عالم صباوت همساز می‌کنند. و حکیمان دانشمند به‌سبب مشاهده تو از عالم حکمت و دانشمندی قدم بیرون نهاده با تو هم‌آواز می‌شوند. عجیبه خلقتی داری که چون به مجلس حاضر شوی، جمیع حضار کارهای ضروری و اشتغال لازمه خود را که سریع‌الفوت است، همه را ترک نموده و به منادمت و ملاعبت با تو خود را دلشاد می‌کنند. در هر انجمنی که پانهی حبائل[4] دلها را از همه‌جا گسیخته به‌خود پیوندی و هر شخصی را به استرضای خاطر خویش، مجبور گردانی. به گریه‌ای همه دلها را به‌حرکت آوری. و به خنده‌ای همه قلوب را مملوّ از سرور نمائی و به حرکتی همه ساکنین محفل را به جنبش درآوری. و

---

۱. کودک شیرخوار ۲. نرم ۳. آرامش ۴. رشته‌ها ـ ریسمانها

از برای تقرب به تو هریک از مجلسیان به‌نوعی از العاب صبیانیّه[1] که مقبول طبع تو افتد، مشغول می‌شوند ـ یکی چشم خود را باز می‌کند! و دیگری زبان خود را بیرون می‌آورد و آخری دستک می‌زند و رابعی برای خوشنودی تو، انواع مسخرگی‌ها می‌کند و آوازها بلند می‌نماید! عجیبه جاذبهٔ داری که بیگانه را به خویش جذب می‌نمائی. عجیبه حالت مؤثرهٔ داری که جمیع عقول و نفوس را در آن واحد تغییر و تبدیل می‌دهی.

ای بیچاره کودک! چه‌قدر نفس پاکی داری و چه‌قدر عقل زکیّتی[2] داری، که هیچ آلودگی و خباثتی در نفس تو نیست و هیچ اعوجاج و کجی در عقل تو یافت نمی‌شود. تو را قابلیت هر فضیلتی و کمالی است و عقل تو را قوای نامتناهیه است، ولی چه فایده که ترا آن قدرت نیست که آن قوی را به عالم وجود آورده از آنها بهرهٔ ببری. و یا آنکه نفس خود را به صفات ستوده بیارائی.

ای بیچاره کودک مسکین! تو اسیر بخت و اتفاقی، تو جز فطرت بسیط و هیولای ساده نیستی، باید دید که بخت تو با تو چه کند؟ و اقارب و معاشرین تو در آن لوح ساده چه نقش زنند و چه صورتی رسم نمایند و تو را به چه شکل درآورند؟ ای بیچاره عاجز! سعادت و شقاوت تو در دست تو نیست، تو از حال خود غافلی اگر بختت مساعدت کند و مصاحبینت نیک اتفاق افتد، فرشتهٔ شوی و اگر طالعت منحوس باشد، از سوء تربیت دیوی گردی.

ای بیچاره کودک! چرا بدین جهان آمدی؟ چرا مهد عدم[3] و مهد أمن و راحت و نیستی را ترک کرده قدم بدین جهان نهادی؟ بدین مجاملات[4] جهانیان مغرور مشو که مدت این قصیر[5] است. این عالم جدید تو، عالمی است پر از فتنه و مملوّ از حوادث و کوارث[6] و سراسر مصیبت و حزن و اندوه است. دگر پس از این راحت مطلب و امنیت مجو! و از این عالم منتظر خیر مباش. تمام ذرات وجود، دشمن تست (ای بیچاره طفل ضعیف) چگونه جرأت کردهٔ به یکبارگی تنها خود را در این میدان و وادی خون‌خوار

---

۱. بازیهای کودکانه ۲. پاک و صاف ۳. مقصود جهان نیستی است.
۴. خوش آمدگوئی ۵. کوتاه ٦. حوادث سخت

درآوردی که از هر طرف که نگاه کنی، دشمنها تیر جانکاه به قصد ریختن خون تو در کمان نهاده‌اند؟

پس از چند روز، پدر شفیق و مادر مهربان از تو بیزاری می‌جویند و تو را بی‌رحمانه به دست حوادث روزگار می‌سپارند. ای طفل بیچاره، این غذائی که بدانها استمداد حیات می‌کنی، همگی سرّاً و خفیةً اسباب و علل هلاک تو را آماده می‌سازند و به یکبارگی از کمین‌گاه آن مواد غذائیّه، هزارها امراض قتّاله، چون مطبقه و محرقه و ذات‌الجنب و سرسام به رصام و جذام از برای برانداختن تو قدم به‌عالم ظهور می‌نهند. و هر آن و هر ساعت، با تو در مصارعت[۱] مداومت نموده تا آنکه تو را به بدترین حالی به روی زمین کشیده، به تنگنای قبرها به سپارد.

ای بیچاره کودک! بادهای وَزنده و سرماهای گزنده و حرارت آفتاب زننده، همیشه این دشمنهای نهانی تو را اعانت می‌کنند. ای بیچاره کودک! شیرها و پلنگها و گرگها و کفتارها دندانها و مخالب[۲] خود را از برای پاره‌پاره کردن این بدن ناعم تو تیز کرده‌اند. مارها و عقربها و سایر هوام[۳] همه در جولانند که فرصتی یافته گزندی به تو برسانند. خارها و خسک‌ها سربرآورده که در پای تو بخلند. دریاها و نهرهای عظیم از برای بلعیدن تو در تماوجند[۴].

ای طفل مسکین! تمام بنی نوع تو که باید بدانها استعانت جوئی، همگی خنجرهای مکر و نیزه‌های غدر و شمشیرهای حیله خودها را از برای ریختن خون تو آماده کرده‌اند. ظالمها و غدّارها و جائرها[۵] از برای هلاک تو کمر بسته‌اند.

ای بیچاره کودک! عجیبه راهی در پیش پای تو می‌باشد، اگر خواهی که لقمهٔ برای زاد راهت بدست آری، باید با هزارها مقاتله و مجادله و سفک دماء[۶] این لقمه آلوده به‌خون را دست آری و آنهائی‌که به تو تقرب جویند و به‌خنده‌روئی و شیرینی کلام با تو موافقت کنند، همگی برای آن است که تو را در تنگنای بیچارگی بدست آورده، پس از نزع[۷] روح تو به گوشت تو تغذیه نمایند.

---

۱. کشتی‌گرفتن ۲. پنجه‌ها ـ چنگالها ۳. حشرات ۴. موج‌زدن
۵. ستمگران ۶. ریختن خونها ۷. کندن

ای بیچاره کودک! وای بی‌یار و معین کودک! باید که پوست پلنگی بر دوش استوار کنی و شمشیر برانی بدست بگیری و علی‌الدوام تا لب گور، مشغول مقاتله و مضاربه بوده آن راه را قطع نمائی. غذایت لخت جگر و شرابت خون دل.

ای بیچاره کودک! چرا بدین عالم پرخوف و هراس آمدی؟ با اینهمه دشمنان که تو راست و اینهمه مصائب و بلایا که تو را در پیش می‌باشد. از برای تو عدّو أَلدّ[۱] دیگری می‌باشد که آن به هزارها مرتبه در خصومت و عداوت از جمیع دشمنهای تو گزندش بیشتر است (و آن نفس تست) آه از این دشمن باطنی.

در عدوات نفس: ای کودک عاجز! این دشمنی که با تست بدتر است به‌مراتب کثیره از آن حاکم قسی‌القلب[۲] جائری‌که در وقت اضطرار تو و کثرت دین و بسیاری شامتین[۳] و غلبه اعدا و بسیاری عیال و اطفالهای عجز و مسدودی راهها و شدت سرما، تو را مجبور می‌کند به واسطه ضرب سیاط[۴]، بر اینکه آن خانه محقر و باغچه خردی که داری، با اثاث‌البیت همه را به عشر[۵] بهای آنها بفروشی و وجه آن را بدان تسلیم نمائی! و خود را در حالت تنگی معیشت و زوال آبرو و اعتبار، هم آوای أُنین و حنین کودکان خردسال گدا و عجوزان پیره زال نمائی.

ای کودک شیرخواره! این دشمن اشرّ است بر تو از آن عاملی که وظیفه خود را که صیانت حقوق رعیت باشد ترک نموده با نهابیّن[۶] و سلاّبین[۷] و قُطّاع‌الطُرق[۸] ساخته هر روز و هر شب به نوعی اموال و املاک تو را نهب و غارت نماید ـ و چون تظلم و شکایت نمائی، درصدد اعانت یاران باطنی خود برآمده، تو را به شکنجه‌های صعب معاقب خواهد نمود و بی‌رحمانه‌ات در زوایای[۹] مظلمه زندانها به سلسله خواهد کشید، تا آنکه دگر مطالبه حقوق خود را ننمائی.

ای طفل بیچاره! این دشمن بدتر است از آن والئی[۱۰] که از مدیونین تو رشوه‌ها گرفته، حقوق مسلّمه تو را ابطال می‌کند و چون کسی از تو به ورقه مزورّه[۱۱] و یا به افتعال و به افترائی از تو دعوی نماید، تو را بر دادن آن مجبور می‌سازد و تو را در هر

---

۱. دشمن سخت ۲. سنگدل ۳. سرزنش‌کنندگان ۴. تازیانه‌ها
۵. ده یک ۶ و ۷. غارتگران ۸.. راهزنان ۹.. گوشهای تاریک
۱۰.. حاکم ۱۱.. ساختگی

امر حقیری و صغیری به واسطه شُرطیها[۱] و جلوازهای غلاظ و شداد خود، در بیم و هراس می‌اندازد و راحت را از تو سلب می‌کند.

ای طفل رضیع! این دشمن أشنع است از آن قاضی مرتشئی[۲] که هزارها حقوق تو را ابطال می‌نماید و دعاوی باطله را بر تو اثبات می‌کند. ای بیچاره کودک! این دشمن أقبح است از آن خویشی که تو را ترک نموده از برای أبادت[۳] و اهلاک تو با دشمنان تو بسازد و در رسوائی تو بکوشد و عیبها و نقائص تو را ظاهر سازد و راههای رستگاری را بر روی تو ببندد.

ای کودک مسکین! این دشمن أبشع[۴] است از آن شخصی که با تو سالهای دراز دوستی بورزد و در نعم تو متنعم گردد، پس از آن قدم در بادیه خیانت نهاده در افساد امور تو بکوشد و اسرار تو را فاش نماید. ای کودک بیچاره! این دشمن، زشت‌تر است از آن دوستی که هزارها بار خود را از برای یاری و اعانت او به تهلکه انداخته باشی و با وجود این در حین شدت ضرورت اگر تو را بدو حاجتی افتد، تو را مأیوس و ناامید گردانند.

ای کودک بیچاره! این دشمن تو، که تو را از او گزیری و چارهٔ نیست مشعبدی[۵] است یکتا و ساحری است، بی‌همتا در هر ساعتی به‌شکلی جلوه می‌کند و در هر آنی به لباسی ظهور می‌نماید و هر وقتی مسلکی[۶] می‌پیماید و هر زمانی خواهشی دارد. رغبتهای او را اسبابی پدید نیست و رهبتهای[۷] آنرا عللی ظاهرنی. نه مسرتش را اساس و نه أحزانش را موجبی. دوستیش هوس است و دشمنیش بلاسبب. در حرکاتش غایتی ملحوظ نیست و در ترتیب مقدماتش طالب نتیجهٔ نی. جودش به بخل آمیخته و جبانش[۸] با شجاعت سرشته است و بلادتش[۹] با فطانت[۱۰] ممزوج است.

ای بیچاره کودک! هیچ اساس بنائی نمی‌نهد که پس از چندی در خراب آن نکوشد ـ و هیچ عقد[۱۱] و عقدهٔ[۱۲] نمی‌نماید که در حل آن سعی ننماید و هیچ راهی

---

۱. پلیسها و مأمورین حکومتی
۲. رشوه گیرنده
۳. هلاک
۴. زشت‌تر
۵. شعبده‌باز
۶. روش
۷. ترسها
۸. ترس ـ بزدلی
۹. کندذهنی
۱۰. هوشیاری
۱۱. بستن
۱۲. گره

نمی‌پیماید که قبل از وصول مقصود روی به جانب مبدأ سیر نکند و مراجعت ننماید. دائماً در حرکات رهویه سرگرم و در طلب محالات در جدّ و اجتهاد است. آمالش همه سراب و مقاصدش جمله ظل سحاب[1] جز اندیشها و بیمها نزاید. و به‌غیر از کراهت و نفرتها از او نتراود. آنی مستریح[2] نگردد و تو را به راحت نگذارد.

ای کودک مسکین! هر ساعتی تو را به بلائی اندازد و بارانهای مصائب بر تو باراند و از برای اهلاک تو همیشه آتشهای فتنه افروخته کند. ای کودک بیچاره! چه‌سان توانی که با اینگونه دشمن نبرد نمائی و چگونه از آن جان به سلامت بری و چسان خود را ازشر آن نجات دهی؟ نه تو را از این دشمن جای فرار است و نه با او امکان سکونت و قرار. ای بیچاره! این مشعبد هزارها بار بر قله جبال شاهقه[3] صعب‌المسلك صورتهای زیبا و پیکرهای دلربا به‌قوت سحر بر تو ظاهر می‌سازد و تو را به وساوس خود بر آن می‌دارد که تحمل مشاق را نموده آن مسالك وَعِره[4] را قطع نمائی و آن لغزشگاهها را بپیمائی و تو را به وعده‌های شیرین می‌فریبد ـ و چنان می‌نماید که اگر تو به آن محبوب دلربا برسی، دیگر تو را مادام‌الحیوة اندیشه غم و اندوهی نباشد و چون پس از اندوه‌ها و غصه‌ها و بیمها و خوفهای راه، بدان قلهٔ کوه رسی به یکبارگی سحر خود را باطل نموده و آن تمثال را به‌صورت حقیقیّه خود، چنانکه هست به تو ظاهر می‌سازد، ناگاه می‌بینی که صورتی است بشع و هیئتی است منکر، و سیمائی است مخوف و جانکاه که دلها از دیدن آن در لرزه افتد و دیده را از دهشت یارای آن نباشد که بدان صورت نگرد و هنوز از اندوه و غم تحمل آن مصائب و گریه و جزع بر آن بلایائی که در قطع مسافت برای تو حاصل شده است، فارغ نشده که صورتی زیباتر و پیکری بهتر در قله[5] جبلی عالی‌تر که معبرش[6] أصعب از معبر اوّل است، به‌نظر تو جلوه می‌نماید و به أدله مموّهه[7] و أقوال مزخرفه[8] و سخنان لطیف تو را بر آن می‌دارد که قصد آن نمائی و آن عقبات را بپیمایی. و درثانی چنان کند با تو، که در اوّل کرده بود.

ای طفل رضیع مسکین! از آن روزی که در این عالم قدم نهادی تا آن وقتی که

---

۱. سایه ابر ۲. آسوده ۳. بلند ۴. سخت
۵. تیغ کوه ۶. راه ۷. خوش ظاهری ـ ساختگی
۸. زراندود

عالم را وداع کنی، هر روزه با تو این نیرنگ خواهد باخت، ای مسکین! این دشمن مکار هر روزه تو را به عملی که به قوت جادو آنرا مزین نموده است، دعوت می‌کند و چون بدان کار پردازی، پرده از روی آن برداشته شناعت[۱] آن را بر تو ظاهر می‌سازد و تا در حیاتی هر روز تو را تعییر[۲] و سرزنش و ملامت می‌کند و آن عمل زشت را هر روز درمقابل چشم تو می‌دارد و باعث شرمندگی و خجالت تو می‌شود.

ای بیچاره کودک! این دشمن غدّار[۳]، عالم وسیع را تنگتر از قبر بر تو می‌گرداند. اگر شخصی را به هزار جد و اجتهاد یافته، دوست از برای خود اختیار کنی، به قوت سحر و جادوی خود هزارها شناعت و عیبها و زشتیها در او ظاهر می‌کند که تو را از آن کراهت و نفرت حاصل شود و از او گسیخته به دیگری بپیوندی. و با آخری آن کند که با نخستین کرد، تا آنکه تو را همیشه اوقات در این عالم تنگدل و محزون و تنها و فرید بگذارد. همه خویشان و اقارب و بستگان تو را که در این تنگنای زندگانی که اعوان[۴] تو می‌باشند به‌صور أعداء الدّاء بر تو می‌نماید و تو را بر مخاصمه آنها بر می‌انگیزاند، تا آنکه همیشه اوقات به عذاب الیم به سر بری. ای عاجز مسکین! حرص و طمع تو را آن قدر می‌افزاید که در تمام زندگانی خود چون تشنگان بادیه بیغوله[۵] حیران و سرگردان در ناکامی و نامرادی اگرچه همه دنیا تو را باشد جان سپاری. ای عاجز! این کاهن[۶] به قوت رقیه[۷] خود هزارها هزار اوهام عاطله و خیالات باطله را به‌صورهای هائله در نزد تو مجسم می‌گرداند که علی‌الدوام اگرچه بر روی سریر پادشاهان بوده باشی در لرز و بیم جانکاه روزگار خود را بگذرانی (در مدح و ستایش باطل نفس انسانی را به‌حدی‌که صفت کبر در او پدید آید).

ای شیرخواره! این دشمن جانکاه هر روزی به عبارات شیرین و کلمات دلپذیر تو را مدحها و ستایشها می‌کند و در ثنای تو انواع مبالغات و اغراقها را به کار می‌برد و راههای مداهنه[۸] و ملق[۹] را بر تو می‌پیماید و جمیع معایب و نقائص تو را به انواع حیله‌ها بر تو مخفی و مستور می‌گرداند و آهسته‌آهسته بر گوش غفلت تو نجوی

---

۱. قباحت ۲. سرزنش‌کردن ـ ننگین‌ساختن ۳. مکار
۴. یاران ۵. بی‌پایان ۶. ساحر ۷. دعا و طلسم
۸. یعنی روغن‌مالیدن کنایه از تملق کردن ۹. تملق‌نمودن

نموده و بر تو ظاهر می‌سازد که تو یگانهٔ زمان و فرید دوران هستی تا آنکه به‌سبب غفلت تو، از نفس خودت که به‌سبب اغوای[۱] این دشمن حاصل شده است، صفتِ کبر و سجیّه عُجب[۲] در تو پدیدار می‌گردد و چنان گمان می‌کنی که مانند تو وجودی نیامده است! و دهر از آوردن مثل تو پس از این، عقیم[۳] خواهد بود.

ای طفل مسکین! چون این خصلت در تو پدیدار می‌گردد، تو را چنان گمان می‌شود که باید جمیع مردمان به واسطه بزرگی وجود تو و سمّو مرتبه تو در عالم انسانی، همگی یک‌باره سر اطاعت در آستانه تو نهند و هر روزه برای عرض خدمتی حضور تو آیند و در تعظیم و تمجید و تبجیل[۴] تو ذرهٔ کوتاهی نورزند و همگی از برای اطاعت تو کمر خدمت بندند و از برای استرضای خاطر تو به‌جان و دل کوشند و همگی در استحسان اعمال و افعال تو رطب‌اللسان گردند و همگی از برای ملاحظه نظرات و لحظات تو سراپا چشم گردند و از برای استماع کلمات تو تمامی گوش، حتی در خلوات خود هیچ‌گاه در عمیقات فکر خویش از تو غافل نگردند.

ای کودک رضیع! چون این خیالات و اوهام باطله در تو راسخ گردد، تو را خواهش عجیبی حاصل شود که باید جمیع مردم، همهٔ حرکات و سکنات و آداب و رسوم و عادات خود را بر وفق میل و خواهش تو قرار دهند و باید به‌هر نوع که باشد ولو به‌نهج[۵] علم غیب، از امیال باطنه تو مطلع گردند.

ای مسکین بیچاره! چون بر این عرش غرور و کرسی زور مستوی و مستقر[۶] گردی به‌یکبار چون به اطراف نگری، جمیع عالم را پر از ناملائمات و منافرات خواهی دید و خویشتن را محاط به جمیع مصائب و بلایا و اکدار و احزان مشاهده خواهی نمود و این عالم وسیع بر تو تنگ خواهد شد، جمیع بنی نوع خود را از برای خود دشمن گمان خواهی نمود و چنان گمان خواهی کرد که هر شخصی، هر آنی تو را به نوعی اهانت و تحقیر می‌نماید و یا آنکه عمداً بر حقوق لازمه تو قیام نمی‌کند و تو پس از آن جمیع عمر خود را به آه و حسرت به‌سر خواهی برد و همیشه اوقات خود

---

۱. گمراه کردن ۲. خودپسندی ۳. نازاء ۴. بسیار تعظیم‌کردن
۵. طریقه ـ روش ۶. جایگیر

را در آتش سوزان غم وهمّ و حسرت نشسته خواهی دید، چونکه هیچ‌کس ترا چنانچه گمان ترا بر آن داشته است، امتثال و اطاعت نخواهد نمود و توقیری که درخور وهم تو بوده باشد، از برای تو به جا نخواهد آورد و هیچ‌گاه مردم عادات و رسوم خود را برحسب خواهش مالیخولیای تو نخواهند کرد و جبههٔ[1] خود را به راستان و هم باطل تو نخواهند سود و این دشمن تو بدین نیرنج[2] ابواب هزارها مصیبت بر تو خواهد گشود.

ای بیچاره مسکین! این دشمن جانکاه به‌جهت اینکه عیشت را تلخ گرداند و تو را مدی‌الحیات در آتش غموم و هموم نشاند، نیرنگ عجیبی به تو به‌کار خواهد برد و به‌قوت رقیه أفسون خود، حقایق اشیاء را تبدیل داده هریکی را به رنگ دگر به تو وامی‌نماید، تا آنکه از نتایج آن همیشه در حزن و کمد[3] بمانی. و چون تو را ناگزیر است از مبادله در اعمال با مشارکین خود در منزل و در مملکت. و ترا یارای زیست نیست مگر به استعانت هزارها از ابناء نوعت به اعانت و استعانت این عدو خونخوار همیشه اوقات اعمال دیگران را درنظر تو خرد و صغیر جلوه می‌دهد و افعال ترا عظیم و بزرگ، تا آنکه همیشه ترا در آن گمان اندازد که جمیع عالم با تو راه خیانت و غدر[4] پیموده‌اند، با آنکه تو هیچ‌گاه در ادای حقوق آنها تقصیری ننموده، بلکه اضعاف[5] مضاعف آنچه بر تو بوده است، به‌جا آورده! و چون خواهی به اعمال خودت نظر افکنی، ذره‌بینی به دیده تو نهاده تا آنکه اعمال حقیر خود را اگرچه به‌قدر خردلهٔ بوده باشد، در نظرت چون کوه دماوند نماید و چون بر اعمال و کارهای دیگران نگاه کنی غشاوه[6] عمشی[7] بر دیده تو کشد، تا آنکه جبال شامخه دیگران را مانند خردلی بینی و علی‌الدوام تو را در مخالفات با دیگران بر منصّه[8] قضا نشانده و از تو در آن واقعه به‌شهادت خودت طلب حکم می‌نمائی او آن سبب ترا بر آن می‌دارد که علی‌الدوام با اهل و اولاد و خدم و أقارب و سایر آشنایان در جنگ و جدال عمر خود را بسر بری و هیچ آنی، لذت مسرت و فرح را نچشی و در آه و زاری جان سپاری.

---

۱. پیشانی ۲. نیرنگ ۳. دلتنگی ۴. مکر
۵. چندبرابر ۶. پرده ۷. کوری ـ شب‌کوری ۸. مسند ـ جایگاه

ای کودک! این دشمن بدخواه و این خصم جانکاه تو را مبتلا می‌سازد بدو بیماری شدیدی که با آن بیماریها ترا هرگز راحتی حاصل نمی‌شود و هیچ‌گاه تو را آرامشی دست نمی‌دهد و جهان در چشم تو تیره و تار می‌گردد و همه ذرات وجود گویا به سبب آن بیماریها قصد هلاک تو می‌نمایند و همهٔ راحتها بر تو دشوار می‌گردد و همه لذائذ درکام تو تلخ است. تشنگی می‌افزاید، غذایت جوع را قوت می‌بخشد، فراهمی اسباب راحتت منتج بیچارگی می‌گردد و بواعث[۱] تسلیه و تعزیتت[۲]، موجب ازدیاد هموم و غموم تو می‌شود و دوستانت به پیرایه دشمنان بر تو ظاهر می‌گردند و ملائمات جهان بر تو به‌صورت منافرات جلوه می‌کنند و محفل انست به عزا مبدل می‌گردد و مونسهای تو بواعث کدر می‌شود.

ای بیچاره مسکین! به واسطه آن بیماریها همیشه حیران و سرگردان از جائی به جائی و از طوری به‌طوری و از شأنی به شأنی منتقل شده، در هیچ‌جا و در هیچ چیز راحتی و آرامشی از برای خود نخواهی یافت و آن بیماری: هوس و سئامت[۳] است. (درگرفتارنمودن بیماری هوس و انواع مصاعب[۴] بواسطه ریا و اخلاق ذمیمه: بخل و طمع و نفاق و حیله و مکر) بدان بیماری. اول آن دشمن هر ساعتی ترا به‌چیزی راغب می‌گرداند و داروئی از برای آرامی و راحت دل تو نشان می‌دهد، گاهی تو را بر تحمل مشاق وکلف اسباب جشن و تهیه محافل عیش و عشرت دعوی می‌نماید وگاهی ترا به صید و قنص[۵] و قطع براری و صعود[۶] جبال باز می‌دارد. و زمانی تو را به تضرج خدود[۷] و ذاوئب[۸] و خصور[۹] مشتاق می‌سازد و وقتی تو را به خلاعت[۱۰] و مجون[۱۱] و مسخرگی و مضحکه‌ها راغب می‌نماید و ساعتی تو را شیفته به بساتین[۱۲] و انهار و ازهار[۱۳] و آواز بلابل[۱۴] و اصوات قماری[۱۵] می‌سازد ـ و طوری تو را به عمارات عالیه و قصور شاهقه[۱۶] و نمارق[۱۷] مصفوفه و غرفهای منقش و لباسهای فاخر و غلامان زرین‌کمر و به اسب‌های تازی و به اطعمه لذیذه و مشروبات مروقه[۱۸] دعوت می‌نماید و

---

۱. علل ـ موجبات ۲. دلداری ۳. دلتنگ‌شدن ۴. مشکلات
۵. شکار ۶. بالارفتن ۷. چهره‌ها ۸. گیسوها
۹. کمر ۱۰. مسخره کردن ۱۱. هرزگی و مسخرگی
۱۲. باغها ۱۳. گلها ۱۴. بلبلها ۱۵. قمریها
۱۶. بلند ۱۷. لباسهای رنگارنگ ۱۸. خوشگوار

گاهی تو را تحریص[۱] می‌کند، بر علوم و معارف و فنون و آداب و جمع کتب و رسائل و معاشرت علماء و مجالست عرفا و مصاحبت ادباء و هنگامی تو را حریص می‌نماید بر جمع دراهم و دنانیر، به انواع القاب و اصناف ذل و مکر و حیله. و زمانی تو را باز می‌دارد بر سیاحت ممالک و تفرج بلاد و مجالست و معاشرت انواع عباد ـ و حینی تراحث[۲] می‌کند بر مبارات ابطال و مجارات رجال و ضرب به سیوف و طعن به رماح و مصارعت شجاعان و پهلوانان و گاهی ترا ترغیب می‌کند بر معاشرت درویشها و فقراء و تشویق می‌کند بر انزوا و اختلا[۳] و تو را از هر شأنی به شأن دیگر منتقل می‌گرداند و از مرکزی به مرکزی و از مقامی به مقام دیگر محول می‌کند، همگی به نوید استحصال راحت و آرامی است، ولی در هیچ مرکزی قدم نمی‌نهی و در هیچ مقامی مستقر نمی‌گردی، مگر آنکه حالاً یک سئامت[۴] عظیمه در دل تو احداث می‌کند، تا آنکه تو را نفرت و کراهیتی حاصل شود، آن مقام را ترک نمائی و تو را بدین‌حالت در تمام عمرت سرگردان نموده و هر روزه از برای تعذیب تو، راه نوی به امید اکتساب راحت، بر تونشان می‌دهد.

ای بیچاره عاجز! این سفاک[۵] از برای تو دو گونه بیماری عجیب و غریب مولم که گوشت را آب می‌کند و استخوانها را تفتیت[۶] می‌نماید، آماده می‌سازد و دل ترا پر از طمع و شره می‌کند و به‌واسطه این حرص و شره، ابواب جمیع مشاق و مصائب عالم را بر تو مفتوح می‌نماید و راههای راحت و امنیت را بر تو مسدود می‌کند، بارها از برای جمع دراهم و دنانیر که نتیجه طمع است، خویشتن را در گردابهای دریاهای ذخار[۷] انداخته تحمل وحشت و دهشت طوفانها و رعدها و برقها را می‌نمائی و در آن ظلمت دریاها و اضطراب کشتیها و ارتفاع و انخفاض[۸] موجها که هر آنی مرگ را به‌صور منکره هائله[۹] بر انسانها نشان می‌دهد، هزارها دفعه توبه‌ها می‌کنی و از کردهٔ خود پشیمان می‌شوی و باز دوباره شره تو بر قطع آن مسلک خونخوار که هزارها هزار ابناء جنس تو را بلعیده است، دعوت می‌کند.

---

۱. برانگیزانیدن ۲. تحریص ۳. گوشه گیری ـ در خلوت‌نشستن
۴. دلگرفتگی ۵. خونریز ٦. خوردخوردکردن ۷. متلاطم ـ طوفانی
۸. پستی ۹. ترسناک

چه بسیار به واسطه تلاطم امواج کشتی تو شکسته و الواح[۱] آن از یکدیگر پراکنده گردید و تو به روی تخته پارهٔ نشسته با مرگ دست به گریبان در آن شبهای ظلمانی که هیچ‌گونه مونسی و معینی ترا دِستیاب نمی‌شود، باز عنایت ازلیّه‌ات به ساحل نجات می‌رساند و این هول و هراس ذرهٔ از حرص تو نمی‌کاهد و چه بسیار وادیهای بی‌آب و گیاه و قلل و جبال مرتفعهٔ هولناک و درهای عمیق و لغزش‌گاههای دهشتناک را از برای استحصال مبلغی زهیده خواهی پیمود و از برای استحصال نفود، چه بسیارها اسیر پنجه دزدان بدسیرت و قطاع‌الطریق غول سریرت خواهی شد و چه بسیار در بیابانها به‌واسطهٔ حرص و طمعت مشرف بر موت شده، باز چون نجات یابی حرصت افزونی می‌یابد و چه بسیار در طلب اموال به بیماریهای سخت گرفتار شده، به خون خود آغشته می‌گردی، هر روزی از برای درهمی با هزارها در مجادله و در مخاصمه‌ها و در محاکمه‌ها عمر خود را به‌سر خواهی برد و از برای استحصال دیناری، هزارگونه حیله‌ها و مکرها به کار خواهی برد و متحمل انواع ذلها و مسکنتها خواهی گردید. گاهی از درت خواهند راند و گاهی از روی حقارت لطمه‌ات خواهند زد و گاهی دشنامت خواهند داد و تو از برای جمع حطام[۲] این دنیای فانی، گاهی از روی ریا به لباس زهاد و عباد جلوه‌گر می‌شوی و گاهی ازبرای اقتنای[۳] فِلسی، از بیچارگی از روی تزویر بساط صدق و محبت و راستی می‌گسترانی و گاهی طریق عداوت و وشایت[۴] و نمّامی را پیش می‌گیری. و گاهی مسلک ذلت و عبودیت را می‌پیمائی و گاهی در روغان[۵] ثعلبی با هزار ترس و لرز خود را بر روی مال یک یتیم و أرامله[۶] انداخته، آن بیچاره‌ها را با چشم گریان در آتش حسرت خواهی نشاند. و زمانی از برای قراضه ذهبی یا فضهٔ، مصدر هزارها عار و ننگ خواهی شد و پرده ناموس انسانی را هتک خواهی کرد و از برای جمع‌آوری مال، طریق نفاق را پیشه خواهی کرد و با هیچ احدی به‌راستی سلوک نخواهی نمود و از برای بدست‌آوردن این جیفهٔ عَفنه، خود را أعوان ظلمه و أنصار جائرین خواهی نمود و هزارها بی‌گناه را

---

۱. تخته‌ها
۲. چیزهای حقیر ـ خس و خاشاک ـ مال دنیا
۳. بدست آوردن ـ تحصیل‌کردن
۴. سخن‌چینی
۵. حیله‌بازی روباه
۶. بیوه‌زن

به شکنجه آن غدارها خواهی انداخت. و خون هزارها بیچاره‌ها را خواهی ریخت.

و چون بدین شقا و بدبختی و رنجها دراهم و دنانیری چند، به‌دست آوری! حالا آن دشمن خونخوار بیماری بخل، که نتائج خوف است، در تو احداث می‌کند و تو را اگرچه دارای هزارها قناطیر مقنطره[1] بوده باشی، چنان از اوهام باطله فقر و فاقه می‌ترساند که دیگر یارای تصرف در آن اموال مکتنزه[2] باقی نمی‌ماند و به‌حالت وشح[3] چنان احاطه می‌کند که تو را هیچ‌گاه یارای آن نخواهد بود که از برای تنعم خویش و یا از برای معیشت اهل و عیال و وابستگان خود، اندکی در آن قناطیر مقنطره، دخل و تصرف نمائی و آنگونه وهم و اندیشه ترا فرامی‌گیرد که گویا اگر درهمی از آن صرف نمائی، روز دیگر از فقر و فاقه و گرسنگی جان خواهی سپرد! و بدین‌جهت تو را با اهل و وابستگان خود جنگها و جدلها خواهد بود! و همیشه عمر خود را به ارتعاش[4] و ترس و لرز و فقر و فاقه، بسر خواهی برد و با آنکه درنهایت غنا و ثروت خواهی بود. ترس دزد از یک‌طرف، بیم حاکم از یک‌طرف، خوف همسایگان از یک‌طرف، خشیت از اهل و خویشان و ملازمان از یک‌طرف.

ای بیچاره بدبخت کودک! تو به واسطه این دو سجیّه[5] و دو خلق، در هر آنی مانند شخصی می‌مانی که در زیر شمشیر جلاّدی منتظر جز[6] رأس خود بوده باشد!، آه از این‌گونه حیات، آه از این‌گونه معیشت، در کنار آب از تشنگی مردن و در حالت وفور نعمت و تیسّر آن ازگرسنگی جان سپردن.

در آرزو با فتور همت و استیلاء حسدی که بر انسان است، رغبت او به‌مدح و ستایش دروغ و بی‌اصل

ای بیچاره! این مکّار و محتال[7] جمیع رتب عالیه و مناصب سامیه و مزیات و فضائل عالم انسانی را درنظر تو جلوه داده، قلب تو را مملّو از امیات آمال خواهد نمود و درکانون[8] فؤادت[9]، آتش آرزوهای گوناگونه خواهد افروخت!، گاهی رغبت

---

۱. پوستهای گاو که پر از طلا باشد.
۲. ذخیره‌شده ـ گنجینه شده
۳. غایت بخل است.
۴. لرزش
۵. صفت
۶. بریدن
۷. حیله‌گر
۸. منقل
۹. قلب

قصور عالیه و عمارات شاهقه و دراهم مکنوزه و ألبسهٔ فاخره خواهی نمود و زمانی طالب تمجید و تکریم خواهی شد و وقتی هوس برتری و تقدم بر سایر اصناف ناس و تصدّر[۱] در محافل بر تو ظهور خواهد نمود و هنگامی شوق علوم علّیه و فنون سامیه[۲] و معارف دقیقه در تو به‌هیجان خواهد آمد و بر سرت سودای آن خواهد افتاد که باید بر همه در همه چیز برتری داشته باشی و خود را در همهٔ فضایل و مراتب انسانیّه مستحق‌تر و اولی خواهی انگاشت. اندک‌اندک، چنان گمان خواهی کرد که هیچ‌یک از پایه‌های انسانی در محل خود واقع نشده است.

چون این امیال و آرزوها در تو اشتداد پذیرد، آن مکّار محتال احداث فتور[۳] در همتت خواهد نمود و عزائم تو را سست خواهد نمود، پس کسالت و فشل[۴] بر تو رو خواهد کرد و خود معلوم است آن درجات رفیعه و مقامات منیعه عالم انسانی چه صوریّه بوده باشد و چه معنویّه، کسی را حاصل نخواهد شد مگر به‌قوت عزم و بلندی همت و نشاط در طبیعت و چون ترا اینها نباشد، از همه آن درجات محروم مانده، به‌واسطه مکر آن دشمن غدار، به بیماری سخت حسد گرفتار و مبتلا خواهی شد و دل تو چون کوه آتش‌فشان که دائماً در دوّی[۵] و غلیان و جوشش خواهد بود و شعله‌های آتشش تا به آسمان مرتفع خواهد گردید و صعود خواهد نمود و دخان‌های غلیظ آن جوّ را مظلم خواهد کرد و مقذوفات عفنه‌اش، اقطار را متعفن و کریه‌الرائحه[۶] خواهد نمود و بدین سجیّه آتش خواهی افروخت که خود را و دیگران را در آن آتش خواهی سوخت از آن درجه شرافت انسانیه منحط گردیده، جمیع دنایا و خسایس افعال از تو سر خواهد زد و با جمیع عبادالله، بدون سبب و بدون موجبی، قدم در دائره خصام[۷] و جدال خواهی گذاشت و نمّامی و فتنه‌انگیزی را پیشه خواهی ساخت و عالمی را به‌واسطه افتراهای ناحق و بهتان‌ها و اقوال ناشایسته و کردارهای ناملایم دشمن خودخواهی نمود و درانظار عالم حقیر خواهی شد و جمیع مردم به‌واسطه شرّ

---

۱. صدرنشینی ۲. بلند ـ مهم ۳. سستی
۴. ناموفق‌بودن ـ کامیاب نبودن
۵. دوی و غلیان آواز همهمه و جوشش‌کردن و تف‌انداختن ۶. بدبو
۷. دشمنی

و فساد تو، از تو دوری خواهند گزید و تو این عمر گرانبهای خود را بلاسبب و بلاجهت، به‌عداوت این و آن بسر خواهی برد.

یکی را به سبب غنایش دشمنی خواهی کرد و دیگری را بسبب علم و فضل و آخری را به‌واسطه رتبه و جایگاهی سرزنش زهاد را نمائی و گاهی عیب‌جوئی دانشمندان راکنی و گاهی خرده گیری بر أمراء نمائی و هر مزیّتی که در هرکس بینی، آتش حقد تو افروخته در تعییب[1] و تأنیب[2] آن خواهی کوشید و همه ایام خود را از برای افساد امور دیگران بسر خواهی برد و در این آتش سوزان در نهایت حزن و کثابت جان خواهی سپرد.

در حب مدح و ثنا و تلبس ریا و نفاق!

ای بیچارهٔ سرگردان! به‌واسطه کید این دشمن جانکاه، غرور تو را دامنگیر خواهد شد و حب ظهور و شوق بروز، بدان درجه در تو اعتلا خواهد پذیرفت که چشم از فضائل و کمالات عالم انسانی پوشیده، همه قوای فکریه خود را صرف شهرت وصیت خواهی نمود و هزارها دام‌های حیله و مکر خواهی گسترانید و به‌واسطه حرص اکتساب ستایش دونان، خود را از جمیع لذائذ روحیّه و بدنیّه محروم خواهی ساخت و اراده و خواهش خود را فانی اراده دیگران خواهی کرد و اساس زیست و بود و باش خود را، بر پای‌های رضای دیگران خواهی نهاد! و از برای خوشنودی اغبیا و اخسّای[3] عالم، خود را مُثله[4] و مُشّوه[5] نموده و به هیئت عجیبه، در لوح وجود جلوه خواهی داد.

از برای استکشاف امیال خفیّه خلق انواع فکر های عمیق به‌کار خواهی برد، تا آنکه افعال و حرکات خود را بر وفق آنها سازی و از منافرات خواهشهای آنها، اجتناب نمائی و از برای آنکه در قلوب مردمان، جای یابی، در وقت شادمانیت گریه و در وقت حزنت، خنده نمائی! و در حین شدت غضب بر خود پیرایه حلم بندی و به‌جهت

---

۱. عیبگوئی ۲. سرزنش‌کردن ـ ملول و خسته‌جان شدن ۳. پست‌فطرتان
۴. گوش و دماغ بریدن ۵. آشفته ـ پریشان

موافقت با معاشرینت، بی‌جا و بی‌سبب اظهار خشم و غضب خواهی نمود. و از برای استحصال اندک ستایشی، از نادانان هزارها هزار ذمائم و نقائص را بر خود گوارا خواهی کرد. و حرص ظهور تو را بر این خواهد داشت که مدحه‌های دروغین و ثناهای بی‌اصل را به‌غایت رغبت أصغا[1] خواهی کرد و خود را اُلعوبه[2] و اُضحوکه[3] محتالان و مکّاران، خواهی نمود و از برای استحصال اُکذوبهٔ[4] چند، جان خود را فدا خواهی کرد و دروغها را به‌قیم[5] عالیه ابتیاع خواهی نمود و رغبت مجد دروغینت تو را به‌جنون مطبّقی مبتلا خواهد ساخت که می‌خواهی در هر فضیلتی، اسمی داشته باشی. محتالان، طبیعت تو را دانسته، ای بیچاره به‌جهت آنکه از تو انتفاعی ببرند، گاهی تو را به شجاعت می‌سرایند و زمانی أزهد زهادت می‌خوانند! و وقتی عالم ربانیت می‌گویند و ساعتی به لقب حاتم و معن‌ابن زائده[6] سرفرازت می‌سازند. یکی از حذق[7] و کیاست و فراستت سخن می‌راند و دیگری از عزم و اقدام و ثباتت بسط کلام می‌کند و اخری زهد و تقی[8] و معارف الهیه و جمیع کمالات نفسانیه را از برای تو اثبات می‌کند.

و رفته‌رفته، ای بیچاره! از خود غافل خواهی گردید و چنان گمان می‌کنی که تو را در عالم انسانی هم مقامی بوده باشد و حال آنکه می‌دانی اینها که درباره تو می‌سرودند، همه کذب و افترا و التذاذ از این اکاذیب تو را بر آن خواهد داشت که اگر مادحی نیابی، خود خود را با نهایت وقاحت و بی‌شرمی به هزارگونه ستایش می‌نمائی و هیچ منفعل نمی‌شوی! و سخت‌روئی و بی‌شرمی تو را بر آن دعوت می‌کند که از برای اثبات آن اکاذیب در نفوس مردم و التباس حقیقت خود کارهائی که از بزرگان عالم انسانی سرزده است، به‌خود نسبت می‌دهی. کرم همسایه‌ات را به‌خود می‌بندی و مردانگی و جوانمردی دوستانت را، طراز جامه دروغین خود می‌نمائی، خیرات و مبرّات که از دیگران سرزده است، زوراً و بهتاناً دعوی می‌نمائی. قصیده شعراء بارعین[9] را سرقت می‌کنی و کلمات حکمای عظام را می‌دزدی، و رسائل و کتب

---

۱. شنیدن ـ گوش گرفتن
۲. بازیچه
۳. ریشخند
۴. دروغ
۵. قیمتها
۶. بخشنده معروف عرب
۷. مهارت
۸. پرهیزکاری
۹. زبردستان

مصنفین را نهب و غارت می‌نمائی و هیچ‌گاه از این فضیلتهای دروغین و مزایای بی‌اصل، دلت منفعل نمی‌گردد! و نفست شرمسار نمی‌شود و آثار عرق حیا در چهره‌ات اثر نمی‌کند و ظهور نمی‌نماید و از برای همین حبّ مجد وصیت[1] راه ریا و منافقی را پیش خواهی گرفت.

در متلبس‌بودن به لباس ریا و نفاق از برای حب مجد و صیت ستایش دونان:

و برخلاف حاسات، قلب خویش را باکراهت نفس خرقه تقوی پوشیده خود را در لیالی و ایام به‌صیام و قیام مشغول خواهی ساخت. و در استدامه اذکار و اوراد، کُلف[2] و مشاق غیر متناهیه را متحمل خواهی گردید. گاهی چشم رابرهم می‌نهی! و گاهی پشت را منحنی[3] می‌سازی! و گاهی چین‌ها برو می‌اندازی و در محافل و مجالس، علی‌الدوام لب‌ها را به‌حرکت و جنبش درآورده! تا آنکه مردم چنان گمان کنند که وجود مبارکت، همیشه به‌ذکر الهی مشغول است! و هیچ‌گاه زبانت را در اذکار و اوراد فتوری حاصل نمی‌شود.

ای بیچاره عاجز! از برای آنکه مردم چنان گمان کنند که تو قطع علایق دنیویه را نمودهٔ و دل به‌خدا بستهٔ، چه بسیار اظهار بلاهتها و بلادتها خواهی نمود و خود را بدان اطوار هجنه‌ات[4] مسخره عالم خواهی ساخت و از برای آنکه قوت دین خود را بر عالم آشکار سازی، تعصب جاهلیت را پیشه خواهی کرد و هزارها را بلاسبب و بلاجهت تفسیق و تعییب و تکفیر خواهی نمود. تا آنکه مردم تو را حامی دین انگارند! و ناصر دین پندارند و روزه‌های دروغین خواهی گرفت و ترک حیوانی خواهی نمود و به لقمه نان خشکی قناعت خواهی کرد و دوری از مردم خواهی گزید و به زاویه‌ها به‌سر خواهی برد و در مقابر اقامهٔ خواهی کرد. اینهمه از برای آنکه ستایش باطلی را استحصال کنی! بر خود و اهل بیت خود تنگ گرفته ارزاق یومیّه خود را بر ملاءعام بر فقرا عطا خواهی نمود و همیشه اعمال خود را در مجالس و محافل تعداد خواهی کرد، به امید آنکه کسی تو را مدح کند و یا آنکه به تو وثوق نماید! و اگر ناگاه عملی از

---

۱. شهرت ۲. سختی ۳. کج ۴. ناپسند

تو سرزند که بدان اطلاع حاصل نشود، به انواع اشارات و به اصناف کنایات او را خواهی فهمانید. و در عین حاجت خویش با کمال میل نفسانی و اضطراب و هیجان قلب در بسیاری از موارد، اظهار استغنا و بی‌نیازی خواهی نمود و خود را از لذائذ حقیقیّه محروم ساخته از اوهام باطله تغذیه خواهی کرد و از برای جلب قلوب أغبیا[1]، کرامتها بر خود خواهی بست و دعوی مقامات عالیه خواهی کرد. گاهی از مکاشفات دم خواهی زد و گاهی از روی دروغ، خوابها از برای عالم نقل خواهی کرد و هنگامی از برای اظهار تقوی در امور زهیده دقتها به‌کار خواهی برد و در طهارت خون بعوضه[2] و نجاست آن، صعوبتها و دشواریها اظهار خواهی کرد! و در استظلال به‌ظلال اشجار و جدران ایتام تصعبها[3] خواهی نمود. و از برای اظهار پرهیزکاری خود، دائره حرمت را آن‌قدر وسعت خواهی داد که در عالم امکان موضعی و محلی از برای حلیّت نخواهی گذاشت!

رفته‌رفته احکام الهی و سنن انبیا را تغییر خواهی داد و از برای تلبیس، اظهار فروتنی نموده بر صف نعال مجالس مقام خواهی گزید. و از برای آنکه حضار را ذهولی[4] واقع نشود و غفلت ننمایند، هر دفعه این جمله را تکرار می‌نمائی که: ما از این عالم درگذشته و قید رسومات را برداشته‌ایم! و با آنکه دلت مملو از کبر و غرور خواهد شد و آرزو خواهی نمود که جمیع عالم تو را قبله وجود دانند و مقتدای امم خوانند و بجز تو، روی دل به‌جانب دیگری ننمایند! باز هروقت این مقال را به‌زبان آورده می‌گوئی من از عالم، عزلت[5] گزیده‌ام و طالب شأن و شوکت نیستم و از معارفه با مردم و معاشرت با آنها دل‌تنگم و از دست خلایق گریزانم، می‌خواهم که در قله کوهی انزوا گزینم که کسی نام و نشان مرا نداند و نام مرا بر زبان نراند! و این اظهار نفرت از مردمان را دام جذب بر آنها قرار می‌دهی و از برای این جنون عالم انسانی، که حب اختصاص به مدح و میل و ستایش باطل بوده باشد، گاهی بانهایت بخالتت، جمیع اموال خود را انفاق می‌کنی و عمر خود را با دلی پردرد و حسرت بر روی حصیری به کلبهٔ به‌سر می‌بری!

---

۱. نادانها ـ کودنها ۲. پشه ۳. اشکال‌تراشیها ۴. غفلتی
۵. گوشه‌گیری

گاهی سر می‌تراشی و گاهی گیسو می‌گذاری و گاهی حواجب و بروت و سبیل می‌تراشی و خود را به پیرایهٔ قلندران جلوه می‌دهی و گاهی بدن خود را به اسم ریاضت به انواع عذابها مبتلا می‌گردانی و گاهی همه موهای بدن را واگذاشته و قلم اظافر را مکروه شمرده! بر روی توده خاکستر مسکن اختیار می‌کنی و با آنکه قلبت پر از خباثت خواهد شد و اعمالت همه ناستوده خواهد گردید، باز از برای آنکه به تلبیس اسمی به‌دست آوری، طریق وعاظ را پیش گرفته جای بر عرشه منبر خواهی گرفت!. و زمانی معتکف مساجد و ملازم محرابها خواهی گردید و چون مدائحی از دیگران به گوش تو رسد، انواع حیله‌های خفیّه از برای افتضاح آنها به کار خواهی برد. و از برای آنکه مقامی در قلوب استحصال نمائی، در عین غنا و ثروت، اظهار آن می‌نمائی که دنیا درنظر من به پشیزی نیرزد! و مراجز توکل بر خداوند، سرمایهٔ نباشد و این اسباب فانیه را که جمع می‌بینی، همگی از برای حفظ شئون دین است ـ و ادله‌ای باطله و مغالطه‌های فاسده از برای این دعوی اقامه می‌نمائی و چون کسی را بر تو فضیلتی بوده باشد، با آنکه قلبت بدو معترف است، از برای آنکه مبادا با تو در طلب صیت مسابقت نماید، طریق مجادله و لجاج را پیش خواهی گرفت و از برای بدنام‌کردن آن، اصناف حیله‌های شیطانی و فکرهای ابلیسی به کار خواهی برد! و افتراها و تهمتها خواهی زد و عَلَم دین را بر دوش گرفته به شمشیر باطل خودت، سر دین را خواهی برید و به لباس حق سر حق را به سنابک باطل خود، خواهی سوخت. و با آنکه سراپا منکری، خود را به هزارها عربده‌ها آمر به معروف قرار خواهی داد! و جمیع منهیات را خفیة مرتکب شده و به لباس ناهی منکر از روی زور و بهتان هتک عرض[1] هزارها از بندگان خدا را خواهی نمود. و از برای ارضای خاطر عوام، شریعت الهیّه را منحرف و مبدل نموده، هزارها بدعت‌های شنیعه را مرتکب خواهی شد و از برای اکتساب نام نیک، به احادیث موضوعه و ضعیفه حکم بر نسخ آیات صریحه خواهی کرد

و با آنکه دلت خالی از ایمان و ایقان است، در احتفالات[2] صوریه دینیه، که مبنای آنها آراء عوام ناس است، اهتمام و اجتهادها خواهی نمود و از برای آنکه مبادا

---

۱. آبرو ۲. کسی را اکرام‌نمودن

دیگری را نام‌آوری حاصل شود، عقد نظام امت خود را پاره خواهی کرد و وطن عزیز خود را خراب و ویران خواهی ساخت و از برای اینکه در دل ملوک راه یابی و با همه خیانتهایت، به‌حسن خدمت و صداقت در نزد ایشان مشهور گردی، چه‌قدر ابریاء[1] و بیچارگان را در هلاکت خواهی انداخت!

در حالت فرعونی، دعوی موسویت خواهی کرد ـ و از طینت افیالسی خود را به لباس تیموستکلیس جلوه می‌دهی و خانه‌های ابناء جنست را به آتش حرص و طمعت خواهی سوزانید، پس از آن، از روی نفاق برای آنکه وطن‌پرستت نامند، بر آنها خواهی گریست! و رفته‌رفته، دشمن هر خیری و طالب هر شری خواهی گردید و در منافقی به درجهٔ خواهی رسید که شیطان از تو استعاذه[2] نماید و از کردار ناشایسته‌ات، خود را در عذاب الیمی خواهی انداخت که همیشه از برای رهائی خویش، طالب موت خواهی گردید، چون لباس ریا و نفاق اگرچه به‌سوزن حیله و مکر دوخته شده باشد، هیچ‌گاه ساتر عورات نخواهد گردید و نقائص را نخواهد پوشانید.

ای بیچاره! همیشه اوقات انسانها به‌واسطه دوربین بصیرت خود دقائق خباثث تو را خواهند استکشاف نمود و روائح عفنه اخلاق شیطانیه تو، به‌مشام آنها خواهد رسید و با آنکه تو از برای استحصال ستایش دیگران، همیشه برخلاف امیال و اغراض خود حرکت خواهی کرد، با وجود این، علی‌الدوام در نزد همه مبغوض و ملعون خواهی بود و زیاده از سرزنشهای باطنی که آلامش از عذاب جهنم بیشتر است، همیشه از دور و نزدیک ذمائم خود را از همه زبانی خواهی شنید **اینک شقاوت ای منافق!**

تمام شد*

---

۱. بی‌گناهان ۲. پناه‌جستن

* اصل نسخه به خط میرزالطف‌الله نوه خواهری سید است که در ۲۰ ربیع‌الثانی ۱۳۱۵ هجری نوشته است و متن خطی آن در نزد نگارنده موجود است. (خ)



رسالهٔ

تفسیر مفسّر

۱. تفسیر جدید

۲. فوائد جریده



تفسیر مفسر *

من لم یرالأشیاء بعین البصیرة یضّل و هو ملوم[1]

انسان انسان است به تربیت. و هیچ‌یک از اقوام بنی‌آدم اگرچه وحشی بوده باشد، بالمرّه از تربیت خالی نمی‌باشد. اگر کسی انسان را در حین تولد به‌نظر اعتبار درآورد، خواهد دانست که زیست او بلاتربیت از جملهٔ محالات عادیّه است و اگر فرض کنیم که بلاتربیت هم زیست، آن ممکن است. (ولی) بلاشک که بود و باش او در این حالت، أشنع و أقبح از بود و باش حیوانات خواهد بود. و تربیت، عبارت است از مجادله و مقاومت با طبیعت و علاج آن، چه آن تربیت در نباتات بوده باشد و چه در حیوانات و چه در انسان. و تربیت اگر نیک بوده باشد، طبیعت را از نقص به کمال و از خسّت به‌شرف می‌رساند و اگر نیک نبوده باشد، البته حالت اصلیهٔ طبیعت را تغییر داده، موجب تنزّل و انحطاط آن خواهد شد و این امر به ارباب فلاحت و مقتنیان[2] حیوانات و مربیان اطفال و ناظمان بلاد و رئیسان ادیان به‌خوبی ظاهر است.

و بالجمله حسن تربیت در این عوالم ثلاثه[3]، باعث همهٔ کمال و همهٔ خوبی‌ها است ـ و سوءتربیت سبب همهٔ نقص‌ها و همهٔ زشتیها ـ و چون این فهمیده شد، باید دانست اگر قومی از اقوام، به تربیت حسنه تربیت شوند، جمیع طبقات و اصناف آن برحسب قانون تناسب طبیعی به‌یکبارگی متفقاً مترعرع[4] شده روی به‌ترقی می‌آورند و هر صنف و طبقهٔ در آن قوم برحسب پایه و مرتبهٔ خویش دَر اکتساب کمالاتی که او را

---

*. در شماره ٦ مجله شرق و شماره ۹ سال ۳ مجله ایرانشهر طبع شده است. (شرح حقیقت تفسیر قران که به تفسیر نیچری شهرت دارد).

۱. یعنی آنکه اشیاء را به‌چشم بصیرت نبیند گمراه می‌شود و سزاوار نکوهش است.

۲. پرورش‌دهندگان

۳. عالم جماد و نبات و حیوان

۴. بالنده و نشو و نما یابنده

درخور است، سعی می‌نماید و آن کمالات را استحصال می‌کند و همیشه اصناف آن قوم، برحسب مراتب خود با یکدیگر در تکافؤ و توازن و تعادل خواهند بود.

یعنی چنانچه به‌سبب حسن تربیت، سلاطین عظیم‌الشأن در آن قوم یافت خواهند شد، همچنین حکماء فاضلین و علماءِ متبحرین و صنّاع عارفین و زرّاع ماهرین و تجّار متمولین و دیگر ارباب حِرف بارعین، نیز به‌وجود خواهند آمد. و اگر آن‌قوم به‌سبب حسن تربیت به‌درجهٔ برسند که سلاطین آنها از سلاطین سائر اقوام ممتاز گردند، به‌یقین باید دانست که جمیع طبقات آن نیز از جمیع اصناف اقوام دیگر ممتاز خواهند بود، چونکه کمال ترقی هر صنفی مربوط است به‌ترقی سائر اصناف. این است قانون کلی و ناموس طبیعت و سنّت الهیه و چون فساد در تربیت آن قوم راه یابد، به‌قدر تطرّق فساد، ضعف از برای جمیع طبقات آن علی‌حَسب مراتبهم، روی خواهد داد. یعنی اگر در سلطنت ایشان وهن حاصل شود، باید دانست که این وهن طبقهٔ حکماء و علماء و صنّاع و زرّاع و تجّار و سائر ارباب حرف آن قوم همگی را فراگرفته است، زیرا آنکه کمال همه اینها معلول تربیت حسنه است و چون در تربیت حسنه، که علّت است، ضعف و خلل و فساد حاصل شود، لامحاله در معلولات آن هم ضعف و خلل حاصل خواهد شد و این‌گونه قومی‌که در حسن تربیت آن فساد راه یافته است، گاه می‌شود که به‌سبب افزونی فساد تربیت و به‌جهت تباهی عادات و اخلاق اصناف و طبقات آن، که باعث قوام و سبب پایداریند، خصوصاً طبقات شریفه تدریجاً مضمحل شده آحاد آن‌قوم بعد از خلع لباس اول و تبدیل اسم، جزء قوم دیگری می‌گردند و به پیرایهٔ جدیدی ظاهر می‌شوند، چون کلدانیان و فنیقیان و قبطیان و اضراب ایشان. و گاه می‌شود که عنایت ازلیه آن‌قوم را دریافته درحین تطرّق فساد اصحاب عقول عالیه و خداوندان نفوس زکّیه چندی در آن ظهور می‌نمایند و ایشان موجب حیات تازه شده آن فسادی را که سبب زوال و اضمحلال بود، ازاله می‌کنند و نفوس و عقول را از امراض طاریهٔ سوءتربیت نجات می‌دهند و آن تربیت حسنه را به‌رونق و بهجت اصلیهٔ خود می‌گردانند و عمری دوباره به‌قوم خود می‌بخشند و عزّ و شرف و ترقی اصناف آن را باز اعاده می‌کنند.

از این جهت است هر قومی‌که روی به انحطاط می‌نهد و ضعف بر طبقات و اصناف آن مستولی می‌گردد، همیشه آحاد آن قوم به‌جهت ترقّب عنایت ازلیه، منتظر این می‌باشند که شاید مجددی خبیر و حکیمی صاحب تدبیر در ایشان یافت شده، به‌سبب تدبیر حکیمانه و مساعی جمیلهٔ خویش، عقول و نفوس ایشان را منور و مطهر سازد و فساد تربیت را زائل کند، تا آنکه به‌برکت تدابیر آن حکیم، باز به‌حالت اولی خود رجوع نمایند.

شکی نیست که در این روزها از هر طرف پریشان‌حالی و بیچارگی و ضعف بر جمیع طبقات و اصناف مسلمانان احاطه نموده است و لهذا هریک از مسلمانان شرقاً و غرباً و جنوباً و شمالاً، گوش فراداشته منتظر و چشم‌به‌راه است که از کدام قطعهٔ از قطعات ارض و از کدام بقعهٔ از بقاع زمین، حکیمی و مجدّدی ظهور خواهد نمود تا آنکه اصلاح عقول و نفوس مسلمانان را نماید و فسادهای طاری‌شده را رفع سازد و دوباره ایشان را بدان تربیت حسنه الهیه تربیت کند، شاید به‌سبب آن تربیت حسنه باز به‌حالت مسرت‌بخش خود رجوع کنند. و من چون به‌یقین می‌دانم که حق مطلق این دیانت صدقه و شریعت حقه را زائل نخواهد کرد، بیش از دیگران منتظر آنم که به‌حکمت حکیمی و تدبیر خبیری، عقول و نفوس مسلمانان به‌زودترین وقتی منوّر و مقوّم گردد. از این جهت همیشه خواهشمند آنم که مقالات و رسائلی که در این روزها از قلم مسلمانان به‌ظهور می‌رسد، مطالعه و بر خیالات نویسندگان آنها احاطه نمایم، شاید در این مطالعات خود، به افکار عالیهٔ حکیمی پی برم که موجب حسن تربیت و صلاح و فلاح مسلمانان بوده باشد، تا آنکه به‌قدر توانائی خویش مساعد افکار عالیهٔ او بوده باشم و در اصلاح قوم خود یار و انباز آن گردم.

و در این عالم بحث و تفتیش از افکار مسلمانان، شنیدم که شخصی از ایشان در حالت کبر سن و کثرت تجربیات، سیاحت ممالک فرنگ را نموده و پس از کدّ و جهد، به‌جهت اصلاح مسلمانان، تفسیری بر قرآن نوشته است، به‌خود گفتم: اینک همانکه می‌خواستی! و چنانچه عادت سامعین امور جدیده است، خیال خود را در جولان آورده تصورات گونه‌گونه در حق آن مفسّر و آن تفسیر نمودم. و گمان کردم

که این مفسّر، بعد از همهٔ این تفاسیر کثیره‌ای که محدثین و فقها و متکلمین و حکماء و صوفیّه و ادباء و نحوییّن و زنادقه ـ چون ابن‌راوندی و امثال آن ـ نوشته‌اند، البته داد سخن را داده و کشف حقیقت را نموده به نکتهٔ مقصود رسیده باشد، چونکه بر افکار شرقیین و غربیین، هر دو پی برده است و اندیشه نمودم که این مفسر، از برای اصلاح قوم خویش حقیقت و ماهیت دین را چنانچه حکمت اقتضاء می‌کند، در مقدمه تفسیر خود بیان نموده و لزوم دین را در عالم انسانی، به براهین عقلیّه اثبات کرده و قاعده کلیهٔ خردپسندی از برای فرق، درمیانهٔ دین حق و دین باطل درنهاده است. و پنداشتم که این مفسر، بلاشک تأثیر هریک از أدیان سالفه و لاحقه را در مدنیّت و هیئت اجتماعیّه و آثار هر واحدی از آنها را، در نفوس و عقول افراد انسانیه توضیح نموده است. و علت اختلاف ادیان را در بعضی از امور به‌اتفاق در بسیاری از احکام و سبب اختصاص هر زمانی را به‌دینی و رسولی، بر نهج حکمت بیان کرده است.

و چون این تفسیر را چنانچه ادعا می‌کند از برای اصلاح قوم نوشته است، یقین کردم که آن سیاسات الهیه و اخلاق قرآنیه‌ای که موجب برتری و برومندی امّت عربیه شد، در جمیع مزایای عالم انسانی همهٔ آنها را در مقدمهٔ کتاب خود به‌طرزی جدید و نهجی تازه، بر وفق حکمت شرح و بسط داده است و آن حکمی راکه سبب اتفاق کلمهٔ عرب و تبدیل افکار و تنویر عقول و تطهیر نفوس ایشان شده بود، با آنکه در غایت شقاق و نهایت توحش و قسوت بودند، یک‌یک استنباط کرده، در سطور آن مقدمه درج کرده است!

چون تفسیر به‌نظرم گذشت، دیدم که به‌هیچ‌وجه این مفسر، از این امور کلمهٔ سخن درمیان نیاورده است و کلامی در سیاست الهیه نرانده است. و به‌هیچ‌گونه متعرض بیان اخلاق قرآنیه نشده است. و هیچ‌یک از آن حِکَم جلیله راکه باعث تنویر عقول عرب و تطهیر نفوس ایشان گردید، ذکر ننموده است. بلکه آن آیاتی که متعلق به سیاست الهیه است و متکفل بیان اخلاق فاضله و عادات حسنه و معدل معاشرات منزلیّه و مدنیّه و سبب تنویر عقول می‌باشد، همه را بلاتفسیر گذاشته است! فقط در ابتدای تفسیر خود، چند سخن در معنی سوره و آیه و حروف مقطعهٔ اوائل سُور، رانده است و پس

از آن همت خود را بر این گماشته است که هر آیه‌ای که در آن ذکری از ملک و جنّ و یا روح‌الامین و یا وحی و یا جنّت و یا نار و یا معجزهٔ از معجزات انبیاء علیهم‌السلام می‌رود، آن آیه را از ظاهر خود برآورده به تأویلات باردهٔ زندیق‌های قرون سابقهٔ مسلمانان، تأویل نماید.

فرق همین است که زنادقهٔ قرون سالفهٔ مسلمانان، علماء بودند و این مفسر بیچاره، بسیار عوام است! لهذا نمی‌تواند که اقوال ایشان را به‌خوبی فراگیرد. «فطرت» را محل بحث قرار داده بدون براهین عقلیه و بلاادلهٔ طبیعیه، چند سخن مبهم و کلمات مهمله در معنی آن ذکر کرده است. گویا ندانسته است که انسان، انسان است به تربیت و جمیع فضائل و آداب او مکتسب است و أقرب انسان‌ها به‌فطرت، آن انسانی است که دورتر بوده باشد از مدنیت و بعیدتر باشد از فضائل و آداب مکتسبه و اگر انسانها آداب شرعیّه و عقلیّه راکه به‌غایت صعوبت و مشقت اکتساب می‌شود، ترک نموده زمام اختیار را به‌دست طبیعت و فطرت خود بدهند، بلاشک از حیوانات پست‌تر خواهند شد.

و عجب‌تر این است که این مفسر، رتبهٔ مقدسهٔ الهیهٔ نبوّت را تنزل داده به پایه «رفارمر»[1] فرود آورده است ـ و انبیاء علیهم‌السلام را چون واشنگتن[2] و ناپلئون[3] و پالمرستن[4] و گاری بالدی[5] و مستر گلادستن[6] و موسیو گامبلتا[7] گمان کرده است! چون این تفسیر را بدین‌گونه دیدم، حیرت مرا فراگرفت و در فکر شدم که این مفسر را از این‌گونه تفسیر چه مقصود باشد؟ و مراد این مفسر، چنانچه خود می‌گوید، اگر اصلاح قوم خویش باشد، پس چرا سعی می‌کند در ازالهٔ اعتقاد مسلمانان از دیانت اسلامیه؟ خصوصاً در این وقتی که سائر ادیان از برای فروبردن این دین، دهن‌ها گشوده

---

۱. اصلاحگر ـ مصلح
۲. مؤسس معروف استقلال آمریکا متولد در ۱۷۳۲ متوفی در ۱۷۹۹م.
۳. امپراطور فاتح معروف فرانسه متولد در ۱۷۶۹م متوفی در ۱۸۲۱م.
۴. سیاسی معروف انگلیس متولد در ۱۷۸۴م متوفی در ۱۸۶۵م.
۵. وطن‌پرست معروف ایتالیائی متولد در ۱۸۰۷م و متوفی در ۱۸۸۲م.
۶. رئیس‌الوزرای معروف انگلیس متولد در ۱۸۰۹م و متوفی در ۱۸۹۸م.
۷. وطن‌پرست معروف فرانسوی متولد در ۱۸۳۸م و متوفی در ۱۸۸۲م.

است؟ ـ آیا نمی‌فهمد که مسلمانان با این ضعف و پریشانی چون به معجزات و نار اعتقاد نکنند و پیغمبر را چون «گلادستون» بدانند، البته به‌زودی از حزب ضعیف مغلوب برآمده خود را به‌غالبِ قوی خواهند پیوست؟ زیرا آنکه در این هنگام، هیچ رادع و زاجری و هیچ خوفی و بیمی باقی نمی‌ماند ـ و مقتضی تبدیل دین از طرف دیگر موجود است، چون‌که همشکل و هم مشرب غالب‌شدن، همه نفوس را پسند است.

پس از این افکار و خیالات، ابتداء چنین به‌خاطرم آمد که البته این مفسر گمان کرده است که سبب انحطاط مسلمانان و موجب پریشان حالی ایشان، همین اعتقادات است و اگر این اعتقادات از ایشان برود، باز عظمت و شرف نخستین خود را استحصال خواهند نمود و لهذا سعی در ازالهٔ این اعتقادات می‌کند و از این جهت معذور باشد! باز تدبر نموده به‌خود گفتم که یهودیان به‌برکت همین اعتقادات از ذلّ عبودیت فراعنه رسته دماغ جبابرهٔ فلسطین را به خاک مالیدند و خود را به اوج سلطنت و مدنیّت رسانیدند. آیا این مفسر این را نشنیده است؟ و عربها از میمنت همین اعتقادات، از اراضی قفرهٔ[1] جزیرةالعرب برآمده، در سلطنت و مدنیّت و علم و صناعت و فلاحت و تجارت سیّد و سرور همهٔ عالم شدند و فرنگان، همین عربهای معتقدین را در خطبه‌ها به آواز بلند، استادهای خود می‌نامند. آیا این خبر به‌سمع این‌مفسر نرسیده‌است؟ ـ البته باید رسیده باشد؟

و بعد از ملاحظهٔ تأثیرات عظیمه این اعتقادات حقه و معتقدین آنها نظر بر معتقدین به عقائد باطله نموده، دیدم که هندوها در آن وقتی در قوانین مدنیت و علوم و معارف و اصناف صنایع ترقی کرده بودند که به‌هزارها «اوثار» و «بهوت» و «دیوتا» و «دراکس» و «هنومان» اعتقاد داشتند. این مفسر جاهل بدین خبر نیست ـ مصریها در آن هنگامی اساس مدنیت و علوم و صنایع را نهادند و استاد یونانیان شدند که بر بتها و گاوها و سگها و گربه‌ها ایمان داشتند ـ این مفسر بلاشک این را می‌داند ـ و کلدانیان در آن زمان پایه‌های رصدخانه‌ها می‌گذاشتند و آلات رصدیّه می‌ساختند و بنای قصور

---

۱. اراضی سنگلاخ لم‌یزرع

عالیه می‌نمودند و در علم فلاحت کتاب‌ها تصنیف می‌کردند که به ستاره‌ها می‌گرویدند ـ بر مفسر پوشیده نباشد ـ و فنیقیین در آن عصر بازار تجارت برّیه و بحریه و صناعت را رواج داده بودند و اراضی بریطیش و اسپانیا و یونان را مستعمرات کرده بودند که بچه‌های خود را به‌جهت قربانی اصنام، تقدیم می‌نمودند ـ این امر بر مفسر آشکار است ـ

یونانیان در آن قرن سلطان عالم بودند و در آن زمان حکمای عظام و فیلسوف‌های گرام از ایشان به‌ظهور می‌رسیدند که به صدها آلهه و هزارها خرافات دل بسته بودند ـ مفسر را این معلوم باشد ـ فارس در آنوقت از نواحی کاشغر تا ضواحی استنبول حکم می‌کرد و در مدنیّت وحید عصر شمرده می‌شد که صدها خز عبلات در لوح دلش ثبت بود ـ مفسر البته این را یاد داشته باشد ـ همین نصارای متأخرین، در همان هنگامی‌که اذعان داشتند به تثلیث[1] و صلیب و قیامت و معمودیه و مطهر و اعتراف و استحاله!. سلطنت‌های خود را قوت دادند و قدم در دائرهٔ علوم و معارف و صنایع نهادند و به اوج مدنیت رسیدند و اکنون هم غالب ایشان با همهٔ علوم و معارف، ره‌سپر همین طریقه می‌باشند ـ و مفسر این را به‌نهج احسن می‌داند ـ

چون این امور را تصور نمودم، دانستم که مفسر را هرگز این چنین خیالی نیست که اعتقاد بدین عقائد حقه، سبب انحطاط مسلمانان گردیده است، زیرا آنکه اعتقادات را چه حقه بوده باشد و چه باطله، به هیچ‌گونه، منافات و مغایرتی با مدنیت و ترقیات دنیویه نیست، مگر اعتقاد به حرمت طلب علوم و کسب معاش و سلوك در مسالك مدنیت صالحه او. باور نمی‌کنم که در دنیا، دینی باشد که از این امور منع کند و این مطلب از آنچه پیش گذشت به‌خوبی ظاهر شد ـ بلکه می‌توانم بگویم که بی‌اعتقادی به‌غیر از خلل و فساد در مدنیت و رفع امنیت، هیچ نتیجهٔ دیگر نداده است ـ اینك نهلیست[2] تأمل نما ـ و اگر بی‌اعتقادی موجب ترقی امم می‌شد، می‌بایست که عربهای زمان جاهلیت، در مدنیت گوی سبقت را ربوده باشند، چونکه ایشان غالباً ره‌سپر

---

۱. مذهب پارهٔ از نصاری است که قائل بر سه اقنوم هستند: اب و ابن و روح‌القدس!

۲. گروه سیاسی مشهور روسیه که به قصد از بین‌بردن حکومت و نظامات سیاسی تشکیل شده بود و بعضی بلشویزم را زائیده افکار همین نیهلیست‌ها می‌دانند. (سکولار).

طریقه دهریه بودند، از این جهت همیشه به آواز بلند می‌گفتند **(أرحام تدفع و ارض تبلع و ما یهلکنا الا الدّهر)** و نیز علی‌الدوام این کلام را به زبان مـی‌آوردند: **«مـن یحیی العظام و هی رمیم»** و حال آنکه ایشان در غایت جهل، چون حیوانات وحشی، بسر می‌بردند.

پس از این همه خیالات و تصورات گوناگون، مرا به‌خوبی معلوم شد که نه ایـن مفسر مصلح است و نه تفسیر آن از برای اصلاحات و تربیت مسلمانان نـوشته شـده است، بلکه این مفسر و این تفسیر، از برای ملّت اسلامیه در این حالت حاضره، مانند همان امراض خبیثه مهلکه است که در حال هرم و ضعف طبیعت انسان را عـارض می‌شود. و مراد از آن جرح و تعدیل سابق، ظاهر شد که مقصود این مفسر از این سعی در ازاله اعتقادات مسلمانان، خدمت دیگران و توطئه طرق دخول در کـیش ایشـان است لاحول ولا.

این چند سطر بر سبیل عجله نوشته شد و فی مابعد، به‌حول خداوند تعالی، مفصلاً سخن در این تفسیر و در مقاصد مفسر خواهیم راند. فقط.[1]

---

۱. مقاله تفسیر مفسر، در نقد تفسیر قرآن مجید، تألیف سرسید احمدخان است. سید با نوع تفسیر او، که کوشش دارد همهٔ امور غیبی را تأویل نماید، مخالف است و آن را نوعی تهی‌کردن مذهب، از حقایق می‌داند...

سید در این نقد، نامی از مفسر نمی‌برد، ولی در آن دوران، همه می‌دانستند که مراد از «مفسر» کیست؟

(خسروشاهی)

فوائد جریده

لاسعادة لأمة لیس لها سائق الی الفضائل ولازاجرعن الرذائل [1]

عجیب است حالت انسان. عجیب است حالت انسان که صراط مستقیم سعادت و راه راست نیکبختی را ترک نموده، در اراضی وَعِره [2] شقا و سنگلاخ‌های بدبختی، جویای رفاه حال و آسایش خویش می‌باشد. اگر کسی صحف تواریخ و کتب سیر را به‌نظر اعتبار مطالعه کند و در مضامین آنها بدیده بصیرت غور نماید، بی‌شبهه بر او ظاهر و روشن خواهد شد که غنی و ثروت و امنیت و راحت و سلطه و سطوت و قوّت و علّو کلمه و عزّت و شأن و شهرت هر اُمتی از امم و هر قبیلهٔ از قبائل، در آن زمانی بوده است که افراد آن امت، متخلق به اخلاق فاضله و متّصف به سجایای پسندیده بوده‌اند و هر طبقهٔ از طبقات آن قوم را بهرهٔ وافر بوده است از بصیرت و بینائی و فقر و فاقه و ذل و مسکنت و ضعف و انحطاط کلمه و حقارت و پریشان‌حالی و گمنامی آن در آن وقتی بوده که جهل و عمش [3] و نابینائی عموم اشخاص آن را فراگرفته و صنف صنف آن گروه به‌سوء طویّت و فساد اخلاق و تباهی افکار مبتلا گردیده بودند.

و بدین سیر و دوران، هرکسی می‌تواند حکم کند که سعادت امم نتیجه بینائی و اخلاق مهذّبه و شقاوت آن‌ها اثر غباوت و سجایای ناستوده است، بلکه اگر کسی تعمق و تدبر نماید در این مسئله که سعادت امتی که بَه اسم واحده نامیده و به سمهٔ [4] واحده شناخته می‌شود، بلکه رفاهیت هر فردی از افراد آن حاصل نمی‌گردد مگر به

---

۱. نیکبختی نیست برای قومی‌که از برای او رانندهٔ بسوی فضائل و منع‌کنندهٔ از رذائل نیست.

۲. سنگلاخ ۳. کوری و نابینائی ۴. علامت

تعاون و توازر، زیرا که بالبداهه[۱] شخص واحد بلکه شرذمه[۲] قلیله‌ای که مآلفه[۳] از آحادی چند بوده باشد، هرگز قیام بر معیشت ضروریه خود نتواند کرد، تا کجا که استحصال سعادت تامه و رفاهیتِ کامله از برای خویش نماید؟ ـ و تعاون و توازر اشخاص متکثره مختلفةالطبیعه، صورت وقوع نخواهد پذیرفت مگر به تکافاء[۴] در اشغال و تناسب در افعال و تعادل در اعمال، بدان‌گونه که آن افراد متعدده را صورت وحدانیه حاصل گردد. و تکافاء و تعادل در عمل در عالم خارج، پیرایه وجود و هستی نخواهد یافت، جز به اعتدال اخلاق باطنیه و قوای نفسانیه و نزاهت[۵] آنها ـ و استقامت اخلاق و اعتدال سجایا هرگز وجود نپذیرد الا به بصیرت و بینائی و تعدیل قوای عقلیه و تقویم و تهذیب ملکات آن. البته آن مدبّر بصیر انّاً[۶] و لمّاً[۷] حکم خواهد کرد که علّت حقیقی و سبب اصلی سعادت تامه هر امتی از امم، عقل و بصیرت و نزاهت و اعتدال اخلاق آن امت است و باعث شقا و موجب پریشان‌حالی آن زوال آن علّت است.

چون این ظاهر شد، پس باید دانست که اخلاق نفسانیه و قُوی و ملکات عقلیه را عجائب جزری و مدّی و قبضی[۸] و بسطی[۹] و ارتفاعی و انخفاضی[۱۰] و ازدیادی و نقصانی و عروجی[۱۱] و هبوطی[۱۲] می‌باشد. حتی اگر امتی از امم غفلت ورزیده زمانه قلیلی از مراقبت و محافظت اخلاق نفسانیه و قوای عقلیه خود چشم بپوشد و در تعدیل[۱۳] و تقویم[۱۴] و ادامه و تثبیت آنها بر مراکز لائقه تساهل کند، آن اخلاق و قُوی اگرچه به‌درجه عالیه رسیده باشد، رفته‌رفته روی به اضمحلال آورده تا آنکه بالمره معدوم و نابود خواهد گردید. و آن امّت نه تنها از سعادت و رفاهیت محروم خواهد شد، بلکه در اندک زمانی از دائره انسانیت بیرون شده به حیوانات وحشیه ملحق خواهد گردید.

پس هر امتی را باید علی‌الدوام از برای صیانت[۱۵] اخلاق و حفاظت ملکات و راهنمائی بسوی سعادت منبهی[۱۶] از غفلت و صائنی از هبوط و سائقی بسوی فضائل و

---

۱. آشکارا
۲. جماعت کمی
۳. مرکب از ترکیب‌شدن
۴. برابرداشتن
۵. پاکی
۶. انا باعتبار انیّت یعنی ثبوت حکم در نفس‌الامر
۷. لما باعتبار لمیّت یعنی علت حکم در نفس‌الامر
۸. گرفتن
۹. گشادگی
۱۰. پستی
۱۱. بالابرآمدن
۱۲. فرودآمدن
۱۳. برابرداشتن
۱۴. راست‌نمودن
۱۵. نگاهداری
۱۶. بیدارکننده

قائدی[1] به جانب کمالات و مانعی از رذائل و زاجری از نقائص و آمری به معروف و ناهئی از منکر بوده باشد. و چون به مسبار[2] بصیرت سیر نمائیم و به‌میزان عقل بسنجیم، هیچ چیزی را در این زمان نمی‌بینیم که متصف به جمیع این اوصاف و دارای همگی این مزایا بوده باشد، مگر جرائد و اخبارنامه‌های یومیه. زیراکه هر صنعت و حرفه‌ای را موضوعی‌است خاص و یا عامی‌که از سوء تصرف، نااهلان را به‌منزله خاص گردیده است و صاحب آن در او مستغرق شده چشم از مشارکین خویش در عالم مدنیت پوشیده و از سود و زیان تقدم و تأخر آنها غفلت ورزیده است، بلکه ضرورات معیشت او را در غالب اوقات از اتقان[3] صنعت خویش بازداشته است.

اما اخبار، آن یگانه صناعت است که موضوع آن عموم احوال و اخلاق امم و غایتش اصلاح شئون خویش و جلب سعادت و رفاهیت و امنیت از برای آن، بلکه از برای جمیع امم می‌باشد:

۱ـ از آنست که جریده (اخبارنامه) مسابقت می‌نماید در نشر فضیلت ارباب فضائل، اولاً از برای مَحْمدت حقه که جزای صاحب فضیلت است و ثانیاً از برای حث[4] دیگران بر اکتساب فضائل.

۲ـ و مبادرت می‌کند بر ذکر رذائلی که ضررهای آنها متعدی است به‌جهت کبح[5] صاحب رذیله و زجر سائر ناس از ارتکاب مثل آن.

۳ـ منافع اخلاق جمیله را به ادله واضحه و بیانات شافیه به‌نهجی که عوام از آن فائده گیرد و خواص نیز بی‌بهره نماند، هر روزه در اعمده[6] خود ادا می‌نماید و مَساوی صفات خسیسه دنیّه را و مضرت آنها را در عالم انسانی به‌عبارات دلپذیر شرح و بسط می‌دهد.

۴ـ فوائد علوم را از برای عموم چنان بیان می‌کند که هر کسی را یقین حاصل می‌شود که سعادت هر امتی و رفاهیت و عزت آن به علوم حقه و معارف حقیقه بوده است، نه بغیر آنها. و خسارت و زیان جهل را به‌طوری تقریر می‌نماید که هر جاهل

---

۱. کشنده
۲. آلتی است که عمق زخم را امتحان کند.
۳. استوارکردن
۴. برانگیختن
۵. کشیدن لگام یعنی بازداشتن.
۶. ستون‌ها

غبّی اعتراف می‌کند که هر بلیّه و مصیبت و گزندی که او را رسیده است، از شآمت جهل بوده است.

۵ ـ درجات شرف علوم را به اندازه منافع آنها در عالم انسانی تعیین می‌نماید و مقدار لوازم هریک را مدلل و مبرهن می‌سازد تا آنکه نادانی به‌جهت فایده زهیده[۱] صرف عمر گرانبها را نکند و از فایده جلیله‌ای که از اشتغال به علم دیگر حاصل می‌شد، محروم نگردد.

٦ـ وجوب صنایع را که نتایج علوم است در عالم مدنیّت تثبیت و بر عدم حصول رفاهیت و سعادت بدون ترقی در صناعات اقامه براهین قاطعه می‌کند.

۷ـ و معارف ضروره‌ای که هر انسان را از برای صدق اسم انسان بر او، دانستنش واجب و لازم است، چه اولیّات جغرافیّه و چه مبادی طبیعیّات و چه انموزج[۲] فلکیات و چه حوادث جویّه و چه لوازم زراعت و چه مقتضیات حرف و چه ضروریات طبیّه و چه ترتیب منزل و چه تنظیف بلاد و چه ترتیب اولاد، بر نوعی که عوام‌الناس از آن بهره‌ور شوند ذکر می‌کند.

۸ ـ تحدید انسان و شرح فضیلت انسان را نموده پس از آن اغنیا و ارباب مِکنت را به‌فضیلت انسانیت دعوت و به انشاء مکاتب عمومیه از برای علوم و معارف و صنایع و بنای دارالشفاها ترغیب و تشویق می‌نماید.

۹ـ و از برای برانگیختن هِمم خامله[۳] و احیای نفوس میّته، ذکر فضائل آبای ماضیه و اجداد سالفه را به‌جهت اولاد و احفاد به‌نهج‌شیرین، گاه‌وبیگاه فریضه‌ذمت‌خود می‌داند.

۱۰ـ احوال و اخبار امم بعیده را در أعمده خود به‌تفصیل نقل می‌کند، تا آنکه صاحبان سیاست نصیب خویش را از آن بردارند و خداوندان تجارت خط و بهره خود را بگیرند و ارباب علوم فوائد علمیه را اکتساب کنند و آحاد امّت بر احوال آنها نظر دقت نموده اگر از اهل سعادتند، اجتهاد نموده اسباب آن را فهمیده، پس از آن همت خود را برانگیخته و عِرق[۴] حمیّت و غیرت خویش را حرکت داده درصدد مبارات[۵] و

---

۱. به‌معنی کم و اندک ۲. آنچه بر صفت چیزی دلالت کند. ۳. افسرده
۴. رگ ۵. معارضه و مقابله

مجارات[1] آنها برآیند و اگر از اهل شقا می‌باشند، از آن عبرت گرفته از بواعث آن اجتناب نمایند.

۱۱ـ و حاکم را بر عدالت دعوت و فواید آن را بیان و وکالت عموم رعیت را نموده شکواهای آنها را به حکومت می‌رساند و دفع ظلم مأمورین و رفع حکام رشوت‌خوار را می‌کند حوادث آتیه را تفرس[2] نموده ارباب حل و عقد را آگاه می‌سازد، تا آنکه قبل از حدوث آن در دفع و علاج آن بکوشند و حکومت و رعیت از ضرر آن محفوظ ماند.

۱۲ـ و اگر شخصی اجنبی امر ناملائمی به قوم آن نسبت بدهد، به ادله و براهین متقنه[3] که برنده‌تر است در نزد دانایان از شمشیرها، دفاع از قوم خود را واجب می‌داند.

۱۳ـ ودائع[4] افکار هر عاقلی را به سائر عقلا می‌رساند و عالمان را به‌یکدیگر آگاهی می‌دهد.

۱۴ـ حکایات لطیفه و نکت ظریفه و اشعار بلیغه را از برای انشراح صدور، گاه‌گاهی به قارئین خود عرضه می‌کند.

۱۵ـ اجزای متلاشیه[5] امت را و اعضاء متفرقه آن را جمع نموده به حیات تازه زنده‌اش می‌گرداند.

۱۶ـ و خوانندگان خود را نشسته به سیر و سیاحت عالم دلشاد می‌کند.

۱۷ـ و بیماران به امراض مزمنه[6] را به اطباء ماهرین، دلالت و جاهلان را به علماء متفنّنین رهبری و فقرا را به مواقع غنا و اکتساب ارشاد می‌نماید.

۱۸ـ دوست امت را از دشمن تمیز می‌دهد و لباس تلبیس را منشق[7] می‌سازد.

۱۹ـ و به کمین‌گاههای شرّ و شقا، از برای احترازکردن، اخبار کرده به شاهراههای سعادت ارشاد می‌کند و از برای جلب منفعت و دفع مضرت حقایق اشیا را چنانچه درواقع است، جلوه داده و آشکار می‌نماید و در هرجا و هر چیزی که منفعتی از برای امت خود دیده، حالاً اعلان می‌کند.

---

۱. رفتن دوکس برابر یکدیگر
۲. دریافت‌نمودن
۳. محکم و استوار
۴. امانتهای خاطر و افکار
۵. پریشان
۶. مرضهای کهنه
۷. چاک و پاره‌شدن

و بالجمله جریده، انسان خواهان سعادت را دوربینی است جهان‌نما و ذره‌بینی است حقیقت پیرا و راهبری است نیک فرجام و صدیقی است سعادت انجام و طبیبی است شفیق و ناصحی است صدیق و معلمی است متواضع و مؤدبی است خاضع و دیده‌بانی است بیدار و حارسی[1] است هوشیار و مربی است کامل از برای عموم و تریاق شافی است به‌جهت جمیع هموم و بهترین منشطی[2] است خاملین را و نیکوترین منبّهی[3] است غافلین را و روح‌بخش است دلهای مرده را و برانگیزنده است افکار افسرده را و در وحدت جلیس است و در وحشت انیس. عالمان راست سرمایه، عارفان راست پیرایه، تاجران را رهبر، و حاکمان را مشیر معدلت گستر، زارعان را قانون فلاحت است، و صانعان را استاد صناعت و جوانان را دبستان و عوام راست ادبستان و ارباب بصیرت راست نوردیده و خداوند سیاست را دستوریست پسندیده و مدنیت را حصنی[4] است حصین[5] ـ و سعادت انسانی را حبلی[6] است متین و شرف و منزلت و رفعت جریده و کثرت آن برحسب ترقی امم است در علوم و معارف و عروج آنهاست به‌مدارج مدنیت، زیراکه عالم عارف حاجات و ضروریات خویش را از جاهل غافل بیشتر می‌داند و در استحصال آنها زیاده سعی مبذول می‌دارد.

پس هر امتی که جویان سعادت و خواهان رفاهیت بوده باشد، باید بداند که به‌غیر از جرائد و اخبارنامه‌های یومیه، به‌مقصود اصلی و مطلوب حقیقی خود نخواهد رسید. پس به‌عبث راههای بیغوله[7] نپاید و اراضی پست و بلند را بیهوده قطع ننماید ولکن بشرط آنکه صاحب جریده،بنده حق بوده باشد، نه عبد دینار و درهم، زیراکه اگر بنده دینار[8] و درهم[9] بوده باشد، حق را باطل و باطل را حق و خائن را امین و امین را خائن و صادق راکاذب وکاذب را صادق و عدّو را صدیق و صدیق را عدّو و قریب را بعید و بعید را قریب و ضعیف را قوی و قوی را ضعیف و منفعت را مضرّت و مضرّت را منفعت و حسن را قبیح و قبیح را حسن و موهوم حقیقی را موجود و

۱. پاسبان و نگهبان ۲. نشاط آورنده ۳. بیدارکننده ۴. قلعه
۵. استوار ٦. ریسمان ۷. گوشه
۸. مطابق مندرجات کتب اسلامیه نه ریال و پنجاه دینار پول حالیه است (۹/۵۰ ریال).
۹. درهم از ده شاهی (بیست و پنج دینار حالیه) کمتر است چونکه دویست دینار ۱۰۵ مثقال شرعی است.

موجود حقیقی را موهوم وامی‌نماید و البته عدم اینگونه جریده، از وجود آن به مراتب غیرمتناهیه بهتر است.

چون فایده اخبارنامه‌ها و مزیت آنها معلوم گردید، اکنون مرا می‌رسد که تأسف خویشتن را اظهار کرده بگویم: هندوستانی که از قدیم زمان معادن علوم و معارف و منبع صنایع و بدایع و ینبوع[1] حِکَم و فلسفه و کانِ قوانین و نظامات و مدنیت بوده است، چرا باید جرائد را در او آن‌قدر که باید و شاید، مقدار و منزلت نباشد؟ و جرائد منطبعه در آن عبارت از معدودی چند باشد و کثرت عدد سکان که به دوصد ملیون (چهارصدکرور) بالغ می‌شود و چرا اهالی آن مملکت را رغبت تامه در خواندن جرائد نباشد؟ با عِظَم فائده و کثرت منافع آن.

و اما آن عذری که بعضی از ارباب وجاهت هند درباب نخواندن جریده تقدیم کرده می‌گویند که جرائد مطبوعه در این ممالک، مطالب نافعه و مقالات مفیده را حاوی نیست! لهذا طبع به قرائت آن رغبت نمی‌نماید، البته آن عذر مقبول نخواهد افتاد، زیراکه معلوم است نزد هر صاحب بصیرتی که اتقان صناعت و احکام حِرَف و تأنّق[2] در اعمال و تحسین افعال برحسب رغبت و میل عموم امت می‌باشد. پس نقص را باید در افکار عمومیّه دانست نه در اخبارنامه‌ها. اگر عموم اهالی را رغبتی کامل و میلی صادق از برای خواندن جرائد حاصل شود، بی‌شبهه صاحبان جرائد صرف افکار نموده، آنچه در خبایای[3] عقول داشته باشند، برای خواهش افراد امّت به منصّه[4] شهود جلوه خواهند داد، بلکه فکر خویش را با افکار دیگران شریک کرده و هر روزی مقاله‌های شیرین، از برای تربیت و تهذیب عموم انشاء خواهند نمود.

این است مجمل آنچه می‌خواستم در فضیلت جرائد بیان کنم. والسلام.

---

۱. چشمه　　۲. از انیق خوبی　　۳. گوشه‌ها

۴. عرصه میدان و محل جلوه و بروز





مقالات کوتاه

۱. عجب و کبر

۲. جهالت و نادانی

۳. شعر و شاعری

۴. مکاشفه یا سرّ!

۵. لزوم نصیحت انسان

٦. حقیقت اشیاء



در عُجب و کبر

عُجب و خودپسندی دعوت می‌کند انسان را بر کبر و کبر باعث آن می‌شود که بر سایر مخلوقها به‌نظر حقارت بنگرد و افعال ناشایسته غیرمطبوعه از آن سرزند، و عُجب از خاصه نفوس صغیره و از لوازم عقولی است که دائره ادراک آنها تنگ شده باشد، زیرا آنکه: اگر ادراک شخصی واسع و افکار آن عالیه باشد، خواهد دانست که مراتب انسانی در هر مزیتی از مزایای آن، چه معنویه باشد چه صوریه، غیرمتناهی است. و چون این امر بر کسی منکشف شود، در هر پایهٔ از پایه‌ها بوده باشد، چون به مافوق خود نظر کند، به غیر از انفعال و خجلت و اعتراف بر قصور خود، چیز دیگری او را حاصل نخواهد شد.

نه علم انسانی را پایانی و نه قوّت و برومندی او را نهایتی و نه غنا و ثروت آن را غایتی پدیدار نیست. و متناهی، هیچ نسبتی با غیرمتناهی ندارد. پس اگر کسی معجب به نفس خود بوده باشد، به واسطه نیل بعضی از رتب انسانی، این نیست مگر از عمی و عمش عقل آن، که پایه خویش را منتهاالیه پایه انسانی گماشته، از آن خود را بر دیگران تفوق می‌دهد و ضعف مزاج و انحطاط نفس آن، باعث بر آن می‌شود که به‌واسطه نیل بعضی از مزایای انسانی او را چنان نشوان[1] و سکر[2] حاصل می‌شود که افعال ناشایسته به عالم انسانی از او سرمی‌زند و سایر ناس را تحقیر و توهین می‌نماید ـ چه بسیار داء[3] عقامی است این بیماری عجب و کبر و چه‌قدر مضرتها و گزندها از آن از برای انسان حاصل می‌شود: اوّل مضرت آن این است که آن را بر مدارج[4] آن کمالات غیرمتناهیه، منع می‌کند و نفس و عقل آن را از طلب معالی[5] بازمی‌دارد و

---

۱. از نشأ مستی و بیخودی
۲. مستی
۳. داء درد و عقام بیماری سخت را گویند.
۴. درجات و پایه‌ها
۵. برتر و بلندتر و عالیتر

آنها به‌واسطه همین دو خصلت، بر وقوف اجبار می‌کند ـ و گزند دیگرش آن است که به واسطه افعال بشعه[۱] و حرکات ناشایسته که نتایج کبر است، تمام مردم را بر عداوت خود دعوت می‌کند و رشته اتحاد و التئامی[۲] که اساس پایداری انسانهاست قطع می‌نماید و آن بیچاره را به‌واسطه همین سجیّه دنیّه، در زاویه وحشت و وحدت مغلول‌الیدین محبوس می‌نماید و این خصلت را اگر هیچ ضرری نباشد جز اینکه جمیع مردم متصف بدان را مکروه و مبغوض می‌دانند، همین کافی است ـ این است مساوی[۳] خصلت کبری که ناشی از مزیت نیل کبری شده باشد.

عجیب آنست که ما در مملکت خود بسیاری از اشخاص را می‌بینیم که از تکبر به عالم نمی‌گنجند: از روی فخر و عظمت بر آسمان و زمین منت می‌نهند، با وجود این، آنها را هیچ‌گونه مزیتی که داعی[۴] بر آن خلّه[۵] باشد، نیست.

نمی‌بینی آنانی راکه در گردونها[٦] بر پشت افتاده و پای بر پای نهاده به‌غایت کبریا، از این کوچه و بازارها عبور می‌نماید؟ هیچ نظر نکردی بر آنانی‌که بر پشت اسب کج نشسته! و کلاه خود را بر یک طرف نهاده، متکبرانه در حین مرور و عبور بر یمین و شمال[۷] نظر می‌اندازند؟ کدام مملکت را فتح کرده است؟ در کدام میدان محاربه داد مردی داده است؟ کدام امر بدیعی[۸] را اختراع نموده است؟ کدام علم جدیدی را ایجاد کرده است؟ کدام عقده[۹] سیاسی را حل کرده است؟ کدام سری از اسرار وجود را کشف کرده است؟

سبحان‌الله! این شخص **مارشال ملتک** است، این **جنرال کرکوا** است، این **جنرال گری‌بالدی** است، این **بسمارک** است، این **پالمرستون** است، این **قورژه‌کف** است، این **نیوتن** است، این **رکفلر** است، این **کالیلو** است؟ اختراع تلغراف از این شخص شده است؟ سکةالحدید[۱۰] را این انشاء نموده است؟ این صنایع بدیعه آثار افکار همین شخص است؟

عجب بیجا، این است تکبر بی‌معنا، خاکش بر سر! اگر اندکی شعور داشتی و یا او را

---

۱. بیمزگی و اطوار زشت را گویند. ۲. پیوستن ۳. بدیها
۴. برانگیزنده ـ خواننده ۵. روش ٦. کالسکه ۷. راست و چپ
۸. تازه و جدید ۹. گره بسته و امر مشکل را گویند. ۱۰. خط آهن

بهرهٔ از عار و ننگ بودی، بایستی از حیا و خجلت آب شود و یا خود را از شرمساری به زاویه گمنامی درآورد. این شیمه[۱] سیّئه و این خصلت ناپسندیده، به‌جز از شرق، در جای دیگری کمتر یافت می‌شود. والسلام ـ

۱. خصلت و عادت

جهالت و نادانی

جاهل به جلفی[1] افتخار می‌کند و به‌خشونت و درشتی می‌نازد و به وقاحت مباهات می‌کند. جاهل دشمن خود و دشمن عالم است. خیر خود را در گزندها می‌جوید و زهر را تریاق گمان می‌کند. و سُبل[2] وَعِره[3] را سهل و آسان می‌انگارد و خارها را در طریق خود پرنیان گمان می‌کند. در دائره واحده حرکات رهویه[4] بجا آورده، چون گاو عصاری گمان می‌کند که قطع مسافت می‌نماید. در جای اقدام احجام[5] کند و چون قصد احجام کند، در پیش روی خود هجوم می‌آورد از مذاق دوستی بی‌خبر است و با دوست آن معامله کند که با أعدأ عدوّ خود معامله می‌نماید. و با اقارب آن کند که با بیگانگان بجا آورد. حقوق طبیعیه را درک نمی‌کند و به‌حقوق شرعیّه اذعان[6] ندارد و آداب و رسوم متداوله را هجو[7] و لغو می‌شمارد. بلاسبب در غضب می‌شود و چون در خشم شود، افتراسش[8] از حیوانات درنده بیش می‌گردد، چونکه سباع[9] حیوانی را نمی‌درند، مگر از برای اقتیات[10].

اما جاهل می‌درد و می‌برد و می‌شکند و می‌سوزاند، بدون اینکه بداند از برای چیست؟ حقیقةً این است داء کلب[11]. بچه شیرخواره را چنان بی‌شفقتانه، بی‌رحمانه سر می‌برد که گویا عاقلی أعدا عدوّ خود را می‌خواهد بکشد! و با زنان آن خشونت و درشتی را بکار برد که با مردان شمشیرزن، دانایان بجا آورند! ـ مروّت را جبانت گمان می‌کند و شفقت را صفات زنان می‌شمارد: صبر و حلم را به‌ضعف نفس حمل می‌کند

---

۱. فرومایگی ـ پستی ۲. راهها ۳. ناهموار
۴. مکان بلند و مکان پست را هم می‌گویند. ۵. پس‌رفتن ۶. اقرار
۷. بیهوده پوچ ۸. درندگی ۹. درندگان ۱۰. غذاخوردن
۱۱. مرض سگ

و صیانت[۱] حقوق را ناشی از نامردی و بزدلی می‌داند. از لذت عفو آگاه نیست و خصلت رقت در لوح نفس آن راه نیافته است. عقلش تاریک و مظلم است و نفسش خبیث و پلید[۲].

چه بسیار دشوار است تربیت جاهل. قادر بر ادراک سخن نیست ـ و نصیحت را نمی‌فهمد و نور برهان قادر بر شق[۳] ظلمت پرده‌های خرد او نمی‌باشد و کلمات هرقدر لطیف باشد، بر لب[۴] چون جلمود[۵] آن نفوذ کردن نتواند! و ازاله آن صفات دنیّه و سجایای خسیسه و اخلاق خشنه و استبدال[۶] آنها به مکارم اخلاق و فضائل صفات و نخبه[۷] سجایا چه بسیار دشوار است و افعال جائرانه[۸] آن را محوّل[۹] به اعمال ستوده کردن چه‌قدر صعب است. راه تبدیل صفات عقل است، چون طریق مسدود باشد، چه چاره باید گزید؟ قسوت[۱۰] را به رقت، لئامت[۱۱] را به مروت، انتقام را به‌عفو، صلابت را به لین[۱۲]، خشم را به حلم و طیش[۱۳] را به انائت[۱۴]، جور را به عدل مبدل‌کردن چه‌قدر دشوار است. ـ حقیقةً این تبدیل ماهیت[۱۵] است و احاله[۱۶] حقیقت.

طبیب بیچاره چگونه می‌تواند که جاهل را مداوا کند و بیماری جهل را زائل[۱۷] نماید؟ ـ بیماری که به‌مرض خود اعتراف[۱۸] نکند و طبیب را مجنون انگارد، دیگر چگونه مداوات شود؟ ـ بیمار قوی و جاهل به بیماری خود و طبیب ضعیف، آن طبیب چگونه خود را از شر بیمار خود محفوظ داشته باشد؟ اگر عون[۱۹] خدائی نباشد، جاهل طبیب خود را کشته و خود در بیماری خود جان خواهد داد. چه بسیار صعب است معامله عقلاً با جهال و چه بسیار صعب است، مداوات جهال. والسلام.

---

۱. نگهداری ۲. ناپاک و کثیف ۳. پاره کردن پرده‌های ظلمت
۴. عقل ۵. سنگ ۶. تبدیل‌کردن ۷. برگزیده
۸. ستم‌کننده ۹. تبدیل‌کردن ۱۰. سخت‌دل و بیرحمی و سنگدلی
۱۱. ناکس و پست‌فطرتی ۱۲. نرمی و ملایمت ۱۳. سختی
۱۴. آرامی و سکون ۱۵. حقیقت هر چیزی را گویند. ۱۶. تبدیل‌کردن
۱۷. به آخر رسیدن و فناگردیدن ۱۸. اقرار و اذعان نمودن
۱۹. یاری

در شعر و شاعر

عجیب قریحهٔ و غریب خاصیتی و ذوقی در بعضی انسانها یافت می‌شود که آن قریحه، قریحهٔ شعر و آن ذوق، ذوق نظم است: اصحاب این قریحه، گاهی معانی بدیعه را به‌عالم ظهور می‌رسانند و اختراع افکار جدیده می‌نمایند که عقول انسانها در او حیران می‌ماند و بعینه در این امر مماثل[1] آنان هستند که خاک‌هائی گرفته و آن را در بودق‌ها[2] آب کرده و از آن جوهری مصفا[3] نموده که نقره باشد و یا مانند غواصانند که به قعر دریا خوض[4] کرده و لؤلؤی لطیف که زیب گوش و نُحور[5] کواعب[6] اتراب[7] می‌گردد و گاهی معانی مبتذله را گرفته آن‌گونه صورتی بر او می‌پوشانند که باعث شگفت می‌گردد و در این حالت مماثل آن نحّاتانی[8] هستند که پارچه سنگی نتراشیده و بر هیئتی غیرمنظم را گرفته و به‌قوت صناعت خود، او را به هیکل صنمی دلربا و یا شجاعی نامور و یا مَلِکی معدلت‌گستر! جلوه می‌دهند.

عجیب ذوقی است و گرانبها قریحهٔ که به کلمات مهیجه[9] خود شجاعت و بهادری را در نفوس جُبناء[10] نقش می‌کنند و آنها را بر اقدام و جلادت دعوت می‌کنند. اخلاق خشنه و صفات ناپسندیده را ابثقال[11] معانی لطیفه خود از لوح نفوس می‌زدایند و مکارم اخلاق را به کلمات دلفریب خویش به وحشی خصلتان بدکردار می‌آموزانند. و این قریحه اوّل طلیعه[12] حکمت و فلسفه بوده است در عالم انسانی و نخستین داعئی[13]

---

۱. مانند ـ نظیر ۲. بوته و امثال آن ۳. پاکیزه

۴. در فکر و اندیشه فرورفتن ۵. گلو ۶. دختران نارپستان

۷. همسالان و در اینجا کنایه از دختران هم‌سن است. ۸. سنگ‌تراشان

۹. به‌حرکت آورنده ۱۰. ترسندگان ۱۱. سخنان متین و پربها

۱۲. جلودار ۱۳. از دعوت خواننده

بوده است از برای هیئت اجتماع انسانیه و ارتقاء[۱] آن به مدارج مدنیت و ارباب این قریحه بدان مشرب عالی که دارند معانی را به‌سبب استعارات[۲] و مجازات و تشبیهات أنیقه، چنان زیب و زینت می‌دهند که مطبوع طبایع جمیع نفوس می‌گردد، حتی نفوس و عقول بلیده و زشتی اخلاق انسان را به‌نهجی بیان می‌کند که حتی صاحب آن خلق هم در نفس خود بر آن اعتراف می‌نماید و ازدیاد ارباب این قریحه، در امم به‌مقدار تقدّم[۳] آنهاست در علوم و معارف.

ولایذهب علیک[۴] که مراد از شعر و شاعر، (فقط) همین مرتبه عالیه است که ما گفتیم، نه، این شویعرهای[۵] ژاژخای[۶] یاوه گو که چند تشبیهات و استعارات رکیکه که از آباء و اجداد آنها برای آنها میراث مانده است هر ساعتی آن‌ها را به لباسی بالی[۷] و جامه خلق[۸] جلوه می‌دهند و به‌مدح زید و ذمّ بکر، عُمر خود را بسر می‌برند. والسلام.

---

۱. بلندی
۲. عاریه‌خواستن و عاریه آوردن به لفظی برای معنای غیرموضوع
۳. پیش‌گرفتن و پیشرفتن
۴. پوشیده نماند
۵. بچه شاعرها ـ شاعرهای کوچک و حقیر
۶. بیهوده گو
۷. پوسیده
۸. کهنه

در سرّ

عجیبه ابرهای سیاهی آفاق را گرفته است؟ چه گردهای عظیم و غبارهای غلیظ و گردبادهای شدید جوّ را پرکرده است؟ دلها در لرزش است، رنگها همه پریده است، این چه آوازهای مهول[1] است، این چه نعره‌های جانکاه است، این چه صیاح‌هائی[2] است که گوشها راکر می‌کند؟ این چه قعصعه[3] است، شمال در زلزله است و جنوب در رجفان[4] و اضطراب. کوه و دشت از آهن و فولاد پرگردیده است. آواز توپها می‌شنوم، شعاع اسلحه در آن تیره هوا مانند برق به‌چشم می‌آید. کسی کسی را نمی‌شناسد. عجیب تلاطم خونهاست، سینه‌ها همه به‌سمّ ستوران سترده شد. ملت‌های مختلفه درهم ریخته و اشکالهای متنوعه بهم آمیخته است، دلها پر از خشم و لبها را از غضب می‌خایند! عفریتها با دیوها در ستیزند. خانه‌ها خراب شده و اموالها به‌نهب و غارت رفته است! عروسها در گریه و زاریند و مادران بر پسرانشان نوحه می‌نمایند. مظلومان منتظر فرج[5]، اللّه اللّه می‌گویند.

چه‌قدر دشوار است جبال و اودیه[6] را قطع‌نمودن، نهرها پر از خون شده است، اجیر شکم خود شده‌اند که جان خود را برباد دهند، اینک مزدور تو خانه برادر خود راگرفته اجنبی را در آن اسکان می‌کند، عقاب با پنجه چشم شیر را می‌کند. جمشید[7] به دماوند گریخته ـ برهما در کوه هیمالایا در وجد و طرب است. بکرماجیت از شوق سر از قبر برآورده زندگی تازه را امیدوار است. هیرمند و أتک حاجت به پل ندارد.

---

۱. خوفناک و دهشتناک
۲. آوازها و صداها
۳. آواز سلاح و اسلحه و آواز رعد
۴. یعنی زلزله شدید
۵. گشایش
۶. جمع وادیست
۷. یکی از پادشاهان بزرگ پیشدادیست که آنرا جم نیز گویند. از کارهای مهم او بنای استخر فارس و تأسیس عید نوروز است.

جثث[1] قتلی[2] نهرها را پرکرده است. آتش عالم را فراگرفته است، تر و خشک را باهم می‌سوزاند. ضعفا روی اقویا را به ناخن می‌خراشند. بیماران را امید صحت شده است و اموات در ارماس[3] خود به امید حیات الواح[4] قبور را حرکت می‌دهند! مراکب و مدّرعات[5] در ظلمت بحار الواح آنها پاره‌پاره شده است، دیگر آواز مدافع از آنها نخواهی شنید. صعالیک به‌تخت ملک نشستند.

گوش دهید، گوش دهید! اینک ملک بر قلّه قاف ایستاده. دست خدا با شمشیر در وسط آسمان ظاهر شد. روشنائی عالم را گرفت. آفتاب طلوع نمود ابرهای مظلم[6] پاره‌پاره گردید، غبارها فرونشست، صور دمیده شد، خشمها فرونشست. هر که از هر راه آمده است بدان راه برگشت. مالک ملک خود را تصرف نمود. خارها خشک شد گلها و ریاحین دمیدن گرفت. تمام عالم را ازهار[7] و انوار[8] فراگرفت ـ چه بهجت و مسرتی است ـ دیو بدرود شد. شیطان هلاک گردید ـ عالم در أمن و امان است. عدل پادشاه شده است. ضحاک درکوه دماوند به سلسله درآمد. عالم به‌یکبارگی بهشت شد. حکم، حکم خداست و بنده بنده آن. ملک فریاد می‌کند:

گوش دهید، گوش دهید، پس از این مرگ نخواهد بود به حیات ابدی زیست نمائید. و دیگر مرارت بیماری را نخواهید چشید. هر قومی در حظیره[9] خود به امن و امان زیست نماید. و هر طایفهٔ به حیطه[10] خودبود و باش کند. دست تعدی کوتاه و بازوی ظلم شکسته شد والسلام[11].

---

۱. جثه‌ها ـ جسدها ۲. کشته‌شده ۳. قبرها و دفن‌گاهها ۴. لوح‌ها و سنگهای قبور
۵. زره‌پوش‌ها ۶. سیاه و تاریک
۷. گلها ۸. نور و روشنائی ۹. بقعه جاه و مکان
۱۰. از حائط و محوطه در تصرف داشتن چیزی را
۱۱. در حاشیه مقاله (سر) به‌خط میرزا لطف‌الله این شرح نوشته شده است: «ماه ربیع‌الاول ۱۳۰۴ هجری در طهران خانه حاجی محمدحسن امین‌الضرب بیان فرمودند عربی آن را حاجی محمدحسین آقا پسر جناب معظم‌الیه نوشتند.»
ـ و نیز در پایان مقاله تاریخ استنساخ آن را چنین نگاشته‌اند:
«در مریوان شب چهارشنبه هفتم صفر ۱۳۰۵ هجری نوشته شد.
مقاله مزبور را سید در مسافرت اولیه ـ ۱۳۰۴ ـ خود به ایران در طهران انشاء فرموده‌اند که میرزا لطف‌الله در خدمت‌شان بوده است.»

در اواسط جنگ بین‌المللی که قشون دول متحارب ـ روس ـ انگلیس ـ ترکیه و آلمان ـ هریک برغم یکدیگر
←

→

برای پیشرفت مقاصد سیاسی خود وارد مملکت ایران شد ۱۳۳۵-۱۳۳۷ هـ. و از رشت و انزلی الی خانقین منطقه جنگ قشون آنها شده بود این جنگ خونین عالم‌گیر بود و می‌توان گفت سید در این مقال طلوع آزادی و استقلال ملل را بشارت داده است.

صفات‌الله جمالی

در لزوم نصیحت انسان و وجوب مشورت

هر انسانی که در این عالم قدم می‌نهد و پای در عالم وجود مـی‌گذارد، چـه از اصحاب رتب عالیه و چه از ارباب مراتب دانیه و چه از دودمـان شـریف و چـه از خاندان خسیس، هریک از آنها در اناء لیل و اطراف نهار، در سعی و اجتهاد است که خویشتن را در این چند روزه که بر روی بسیط زمین قدم می‌زند، از شقا و بدبختی دور نماید و اسباب نیکبختی خود را استحصال کند و با وجود این، هیچیک از آحاد این طبقات مختلفه و مراتب متبائنه قدمی بر آستانه سعادت و نیکبختی ننهاده‌اند. و پیش از رسیدن بدان چشمه زندگانی، از تشنگی جان داده‌اند! چه بسیار عجیب است!!

آیا سعادتی در این دار دنیا از برای انسان نیست؟ پس این آرزو از کجا در انسان یافت شده است؟ و این أمل چرا در او نهاده شده است و این حِرص از کجاست؟

نه آنکه مبدع کون هیچ چیزی را عبث و بلافایده ایجاد نـنموده است. پس اگـر وصول به‌سعادت و نیکبختی در این داردنیا محال بود، مبدأ اوّل، میل نیل او را در دلها نمی‌گذاشت، پس به‌یقین انسان‌ها، راه وصول بدان ذروه عالیه راگم کرده‌اند و در بادیه گمراهی و سرگردانی، به امید وصول بدان مقصد رفیع، بی‌فایده و بلاثمر مانند کوران قدم می‌زنند.

(ناتمام)

حقیقت اشیاء

انسان را میلی است طبیعی و حالتی است غریزی که طلب می‌کند حقائق اشیاء را، بی‌آنکه ملاحظه منفعت جسمانیه در او بنماید. می‌بینیم که انسان گاهی از حقیقت آفتاب سخن می‌گوید و می‌خواهد که ماهیت و کُنه[1] آن را بداند ـ و به‌یقین می‌داند که هرگاه کشف آن حقیقت را بداند و از برای او بشود، هیچ‌گونه فایدهٔ در این عالم عنصری بدو نمی‌رسد. و گاهی از منشأ و مبدأ امم و ملل تفتیش می‌نماید! و زمانی از اخلاق و عادات و سیر مردم سخن می‌راند و حال آنکه هیچ‌یک از اینها از برای او لذت جسمانی نمی‌بخشد. از این می‌توان فهمید که غذای عقل انسانی و حیات و بقای آن به کشف مجهولات و معرفت حقائق اشیاء است.

ولی بسیار عجیب است که انسانها را در ثبوت حقائق اشیاء، چه بسیار اختلافهای عظیم واقع شده است ـ گروهی از یونانیان بر این رفته بودند که هیچ حقیقت ثابته، در این عالم نیست، بلکه آن چیزهائی را که انسان حقیقت ثابته می‌انگارد، نیست آنها مگر ظنون[2] خود آن اشخاص و این فرقه در آنها مشهور شده‌اند به سوفسطائیه[3] و اینها بعضی به درجهٔ رسیده بودند که حتی در محسوسات[4] عینیّه[5] شک می‌کردند و برخی از آنها، اگرچه در محسوسات عینیه شبهه نمی‌کردند، ولی در سائر حقایق شبهه می‌نمودند و حسن و قبح اشیاء را تابع اعتقاد معتقدین می‌دانستند و مثلاً می‌گفتند که اگر از برای شوگران[6] حقیقت ثابته سمیّه بوده باشد، اگر هر جانداری از آن اقتیات[7] نماید، باید هلاک بشود و حال آنکه ما می‌بینیم که شوگران، انسانها را می‌کشد و بزها

---

۱. باطن
۲. گمانها
۳. ارباب حکم موهه طایفهٔ که عالم را خیال می‌پندارند
۴. آنچه در عالم سفلی با حسیات دریافت شود.
۵. ثابت مشهود ـ غیرقابل انکار
۶. علف مسموم
۷. غذاخوردن

را فربه می‌نماید و از برای اثبات همین مطلب خود می‌گفتند اندکی از شراب! ذهن را جِدّت می‌دهد! و معده را قوّت می‌بخشد! و کثیر آن، باعث بلادت و موجب تهوّع می‌شود. پس اگر حقیقت ثابته بود، می‌بایست از قطره شراب همان تأثیر آید که از قنطار[1] اوا. و می‌گفتند که اگر اشیاء را حسن و قبح ذاتی عقلی بوده باشد، می‌بایست تمام امم برحسن و قبح متفق بوده باشند و حال آنکه ما می‌بینیم که بسا چیزها در قومی مستحسن و در قومی دیگر منکر است.

یونانیان از نکاح محارم اجتناب[2] می‌کنند و آن را منکرترین هر چیزی می‌انگارند و حال آنکه بعضی اقوام، با خواهرهای خود و دخترهای خود مزاوجت می‌کنند. و در بعضی از بلاد، دزدی را فخر می‌شمارند و کمال! حساب می‌کنند و در جای دیگر آن را نقیصه و دزد را مجازات می‌کنند. و اگر ما ملاحظه نمائیم، هیچ مفهومی از مفاهیم که مدرک[3] ماست، لامحاله یا حکم وجودی یا حکم عدمی، باید بر او بشود، همینقدر برای ما کافی می‌شود به اینکه بگوئیم در عالم حقائق ثابتهٔ هست و اتفاق انسانهای مختلفة‌الطباع و الهیئه، بلکه اتفاق آن اصناف انسانهائی‌که در اقطار[4] شاسعه[5] دنیا متفرقند و بعضی را چنان گمان شده است که اینها از اصل واحد نیستند، اتفاق اینها در محسوسات عینیّه کافی است از برای ردع[6] شبهات سوفسطائیان.

و اما اختلاف آنها در سایر حقایق، این مبنی بر عدم تعمق ایشان است و بر ضعف علوم آنها. چون اگر به تشریح کیمیاوی جسد و معده حیوانات و انسانها را می‌دانستند و فعل انواع زهرها را می‌فهمیدند، البته سبب اختلاف تأثیر شوگران را در انسانها و بزها می‌یافتند و در این شبهه عظمی واقع نمی‌شدند و اگر می‌فهمیدند که اگر اندکی از شراب باعث این می‌شود که یک مقدار قلیلی از خون به دماغ صعود نماید و این باعث سرعت اعصاب ادراکیه می‌گردد و بسیار آن سبب ازدیاد صعود خون می‌شود و ازدیاد خون باعث اضطراب آن اعصاب می‌گردد و از کثرت اضطراب و سرعت حرکت کلل[7] در آنها حاصل می‌شود، این راه غلط را نمی‌پیمودند.

---

۱. مقدار زیاد ۲. دوری‌کردن ۳. ادراک شده
۴. کنارها را گویند جمع قطر کرانه و گوشه ۵. دور ۶. بازداشتن و باززدن
۷. واماندگی

و همچنین اگر ملاحظه می‌کردند که اندکی از شراب در معده باعث ازدیاد حرارت معده می‌شود و از آن سرعت هضم حاصل می‌گردد و مقدار کثیر آن باعث عجز معده می‌شود، از تحلیل خود آن مِشروب و از آن راه تهوّع و قی حاصل می‌شود، البته در این وادی ضلالت قدم نمی‌زدند و چون ما می‌بینیم که حکمای ادوار [۱] در اقطار بعیده، بلا آنکه در میان آنها روابطی بوده باشد، همگی متفقاً مانند اشخاصی که در مکتب ۸واحد درس خوانده باشند، فضائل و رذائل را به نهج تفصیل متفقاً بلا اختلاف بیان کرده‌اند، همینقدر برای ما کافی است از برای آنکه حکم کنیم در حسن و قبح ذاتی اشیاء و اگر در قومی دزدی را فضیلت شمارند! چون تحقیق کنیم، این نیست مگر به‌واسطهٔ ملاحظه آن صفت فضیله اقدام اگر چه در غیر محل خود استعمال شده باشد، نه از برای استحسان نفس سرقت! و اما کیفیات ازدواجات، اینها امری است که می‌آید برحسب تواطؤ مردم یا برحسب وضع شارعی و این موقع استدلال وارد نخواهد شد. (ناتمام است)*

---

۱. جمع دور است

* مقاله (لزوم مشورت ـ حقیقت اشیاء) که متأسفانه ناتمام مانده، هر دو آنها به خط مرحوم میرزا لطف‌الله پدر نگارنده نوشته شده است.

این دو مقاله را سید بزرگوار در مسافرت اولیه ۱۳۰۴ هجری یا مرتبه دوم ۱۳۰۷ـ۱۳۰۸ هجری که پایتخت مملکت ایران را به قدوم خویش زینت دادند، بیان فرموده‌اند و در هردو سفری که سید به تهران نزول اجلال فرموده‌اند، میرزا لطف‌الله در خدمت ایشان بوده و از بسیاری سرگذشت و حالات خصوصی سید آگاه بوده است و پس از آن، تا زمانی که سید جلیل‌القدر در اسلامبول به‌درجهٔ رفیعه شهادت رسید (۱۳۱۴ هجری) به درک حضور او نائل نگردید. از طرز نوشتن مقدمه این دو مقاله که با کمال سرعت نوشته شده و بعضی از عبارات آن هم قلم خورده است، همچو استنباط می‌شود که در موقعی که سید این مقاله را ایراد می‌فرموده‌اند میرزا لطف‌الله نیز به‌نوشتن آن مأموریت داشته است، منتهی به‌مناسبت پیش آمدهای بعد، فرصت پیدا نکرده است که آن را پاک‌نویس نماید و بقیت آن را بنویسد. شاید علت ناتمام‌ماندن این دو مقاله آن بوده است که در پایان مسافرت ۱۳۰۸ که سید از منزل مرحوم حاج محمدحسن امین‌الضرب می‌خواسته به حضرت عبدالعظیم نقل مکان نماید، نوشتن این دو مقاله در آن موقعها بوده و دیگر میرزا لطف‌الله فرصت نیافته و موفق نگردیده است که تمامت آن را استنساخ نماید. و ظن قوی می‌رود که اصل نسخه آن‌ها با سایر آثار گرانبهای سید، جزء کتابخانه مهم سید که در منزل مرحوم حاج محمدحسن امین‌الضرب دوست صمیمی او باقی مانده، موجود باشد. (نقل قول از مرحوم میرزا لطف‌الله) سید موقعی که می‌خواهد از منزل حاج محمدحسن امین‌الضرب به حضرت عبدالعظیم نقل مکان نماید. (برای اینکه مبادا واسطه او دوستانش دچار صدمه و زحمتی بشوند) نخست به میرزا لطف‌الله خواهرزاده خود دستور می‌دهد که کتابهائی که

←

→

همراه داشته (به روایتی ۱۲ صندوق شتری بوده است) کلّیه آنها را در اطاقی از منزل حاج محمدحسن امین‌الضرب به‌عنوان ودیعه بگذارد و شخصاً درب آن را قفل و مهر و موم بنماید. میرزا لطف‌الله به‌دستور خال اعظم اکرم، خود عمل می‌کند و آن کتابها که حتماً مقداری از آثار و تألیفات خود سید هم در جزء آنها خواهد بود، همانطور در آنجا باقی می‌ماند.

از مطالبی که از مأخذ شفاهی میرزا لطف‌الله در خصوص سید شنیده‌ام این است که می‌گفت: موقعی‌که سید در تهران بودند هر وقت اراده می‌کردند مقاله یا خطابهٔ راجع به یک موضوعی انشاء نمایند، چندنفر محرر که یکی از آنها خود من بودم آماده و حاضر می‌شدیم، سید نیز در همان اطاقی که بود، بپای خاسته با کمال وقار و ابهت بنا می‌کرد به قدم‌زدن و در حین قدم‌زدن و بالا و پائین‌آمدن اطاق، با آن طلاقت لسان و فصاحت بیانی که منحصر به‌خود او بود، مسلسل و بدون لکنت مطالبی را که می‌خواست بیان کند ایراد می‌فرمود و محررین به‌سرعت می‌نوشتند.

بنابراین، آنچه از مقالات سید بزرگوار در نزد میرزالطف‌الله بوده که فعلاً در دسترس حقیر است، تمامت آنها ذخیره زمانی است که در خدمت آن نابغه بی‌عدیل و فیلسوف جلیل مفتخر بوده و از محضر سعادت اثرش استفاده و استفاضه نموده است.

اسدآباد ـ **صفات‌الله جمالی** ۱۲ آبانماه ۱۳۱۱ **شمسی** *

*: مجموعه کامل مقالات سید بصورت مخطوط و تجلید شده با جلد چرمی، در سفری به «اسدآباد» همدان به سال ۱۳۳۸، توسط مرحوم «صفات‌الله جمالی» فرزند ارشد مرحوم «میرزا لطف‌الله» به اینجانب اهداء شد و همچنان در بین مجموعه آثار و مقالات و اسناد مرحوم سیدجمال‌الدین اسدآبادی، در کتابخانه حقیر محفوظ است... و در چاپ این مجموعه، از آن نسخه استفاده شد. (خسروشاهی)



٩

فلسفه وحدت جنسیت
و
حقیقت اتحاد لغت

انشاءالله و ماشاءالله



فلسفهٔ وحدة جنسیت
و
حقیقت اتحاد لغت

لاسعادة الا بالجنسیّة ولاجنسیّة الاّ باللّغة ولالغة مالم تکن حاویة لکلّ ماتحتاج الیه طبقات ارباب الصناعات والخطط فی الأفادة و الأستفادة[1]

انسان واحد را اگر کسی ملاحظه کند، خواهد دید که آن انسان واحد، عبارت است از عناصری که تأثیر هریکی از آنها، مضاد تأثیر دیگری است و مؤلف است از اعضاء و جوارحی که اشکال و هیئت هر واحدی از آنها مبائن و مخالف آخریست و روح حیات، آن مختلفات را به‌صورت وحدانیّه درآورده و تأثیرات گونه‌گونه آنها را، از برای استحصال مقصد واحد ـ که مقصد کل است ـ به‌کار برده و هریکی از آن متضادات را، خادم هیئت مجموعه قرارداده، حرکات مختلفه آنها را وحدت نتیجه متحد و ملتئم[2] گردانیده و هر عضوی را به‌خدمتی مخصوص و هر جارحه‌ای را به‌کاری جداگانه داشته و از برای جلب مرغوباتی که باعث پایداری است و دفع منفوراتی که موجب تفرق اتصال است، اعضاء و جوارح ظاهره و باطنه را به‌کار برده است، تا آنکه این واحد به وحدت شخصیه، یعنی این مجموع مختلفاتی که اسم آن انسان واحد است، بتواند زمانی در دائره هستی پایداری کند.

و هرقدر که آن روح‌الحیات در قوت و برومندی خود بوده باشد، التیام و ائتلاف آن متبائنات روی به ازدیاد آورده اتحاد آن حرکات مختلفه، در استحصال نتیجه

---

۱. نیست نیکبختی مگر به‌قومیت و نیست قومیت مگر به‌زبان و زبان را نمی‌توان زبان نامید مادامیکه فرا نگرفته باشد همه آن اموری را که طبقات ارباب صناعات و پیشه‌ها محتاج باشند به آنها در افاده و استفاده.

۲. پیوسته

واحده، افزونی خواهد پذیرفت، بلکه اجزای غیرحیّه خارجیّه نیز، به‌سبب جذب روح حیات، به اجزاء داخلیه متحد شده، در اداء وظائف و اعمال آنها مشارکت و معاونت خواهد ورزید.

و چون روح حیات روی به نقصان آورد، اندک‌اندک آن التیام و ائتلاف تناقض پذیرفته، آن اتحاد به اختلاف مبدل خواهد شد، تا آنکه بعد از مرور زمان قلیلی، بالمرّه آن اجزاء و عناصر متلاشی گردد و آن انسان واحدی که عبارت از هیئت مجموعه است، نیست و نابود شود. این است سبب وحدت شخصیه در عالم انسانی و این است موجب زوال آن.

و پس از این واحد به وحدت شخصیه، واحد به‌وحدت بیتیه است. و روح حیات این خویشی و قرابت قریبه است و بدین‌جهت جامعه اشخاص متعدده با اختلاف طبایع و تبائن[1] اهواءِ اعمال و افعال خود را با یکدیگر موافق نموده در استحصال نتیجه واحده‌ای که مستلزم بقاء کل است، سعی می‌نماید و هریکی خدمت هیئت مجموعه را که فی‌الحقیقه وحدت خود او می‌باشد، از جان و دل به‌جا می‌آورد و چون قرابت و خویشی اندکی دور شود، وحدت بیتیّه از میانه برداشته شده وحدت عشیره‌ای که عبارت از ارتباط بیوتات[2] متعدده و جماعات متکثره است، به‌منصه شهود جلوه‌گر خواهد شد و واحد به وحدت در عشیرهٔ صورت هستی خواهد نمود و روح حیات این هیئت اجتماعیه قرابت مطلقه است و این قرابت مطلقه آن عشیره را که عبارت از جماعات متعدده است، بر این می‌دارد که همه ندّاً[3] واحدة، در استحصال منافع، سعی خود را به‌کار برند و مضار عمومیه را به اتفاق یکدیگر دفع سازند و با سائر عشایر، همسری کنند و در اکتساب جاه و شوکت با آنها مجارات[4] و مبارات نمایند و علی‌الدوام جویای برتری و تفوق باشند.

و سپس این واحد به‌وحدت در عشیره واحد به‌وحدت جنسیت است و این‌وحدت را ماهیت و حقیقت ممتازه و روح حیاتی نیست، مگر اتحاد در لغت. والحق این

---

۱. جدا و مخالف
۲. خانه‌ها
۳. بالکسر به معنی مثل و نظیر ندّاً واحده یعنی یکسان
۴. مقابله و همسری

وحدت لغت، عجیبه رابطه‌ای است و غریبه خویشی و پیوندی است و اوست آن یگانه وحدتی که عشائر مختلفةالأغراض و قبائل متنوعةالمقاصد را در تحت لوای وحدت جنسیت، به‌سوی مقصد واحد سوق می‌کند و قوای متفرقه ایشان را جمع می‌سازد و همه را در جلب منافع عامه و دفع مضار شامله، متفق‌الکلمه می‌نماید ـ و ارکان تکاتف[1] و تظاهر و اساس تعاون و توازر[2] را استوار می‌گرداند ـ و از برای استحصال سعادت عموم و نجات از شقاء و بدبختی، جمع کثیری را یک‌دل و یک‌زبان می‌کند و خلق بسیاری را به حیات تازه که حیات جنسیت بوده باشد، زنده کرده خلعت استقلال در وجود برای آنها می‌پوشاند و در عالم انسانی، رابطه‌ای که دائره آن واسع بوده باشد و جمع کثیری را به‌یکدیگر مربوط سازد، از دو قسم خالی نخواهد بود.

یکی همین وحدت لغت است که از آن به جنسیت و وحدت جنسیت نیز تعبیر می‌شود و دیگری دین. و هیچ شکی در این نیست که وحدت لغت، یعنی جنسیت در بقاء و ثبات در این دار دنیا از وحدت در دین اودم[3] است، زیرا که در زمان قلیلی تغیر و تبدل نمی‌پذیرد، بخلاف ثانی. از این است که می‌بینیم جنس واحد که عبارت از اهل لغت واحده بوده باشد، در ظرف هزار سال، دوسه‌بار دین خود را تغییر و تبدیل می‌کنند، بی‌آنکه در جنسیت ایشان که عبارت از وحدت لغت باشد، خللی حاصل شود، بلکه می‌توان گفت ارتباط و اتحادی که از وحدت لغت حاصل می‌شود، اثرش بیشتر است از ارتباط دینی در غالب امور دنیویه.

از آن است که یونانی نصرانی را می‌زیبد، که به‌سبب وحدت جنسیت به **افلاطون** و **ارسطو** و **بقراط** بت‌پرست افتخار کند، ولکن نصرانی هندی‌الاصل را هرگز شایان نیست که به‌سبب وحدت دین، به **نیوتن** و **کلیلو** نصرانی مباهات نماید! و این وحدت جنسیت، که ماهیت آن وحدت لغت است، اجانب را اندک‌اندک در دائره خود داخل کرده تا آنکه عشائر مختلفه‌ای که بدان وحدت متصفند، قوام پذیرند و منزلت و قدر ایشان در میانه سایر اجناس بنی‌نوع ایشان معلوم و معین گردد و حقوق و واجبات عظیم منزلت و علّو مرتبت ایشان را دیگر قبائل و شعوب اذعان نمایند و چون عشائر

---

۱. معاونت

۲. بار یکدیگر را متحمل‌شدن

۳. بادوام‌تر و مستحکمتر.

متصفه بدان وحدت، بدین پایه برسند به‌واسطه قوای مجتمعه جمیع آن اموری که در دار دنیا سعادات شمرده می‌شود، لامحاله ایشان را دستیاب خواهد گردید.

و این‌همه مزایا بر وحدت جِنس که عین وحدت لغت است، در آن‌وقتی مترتب خواهد شد که لغت آن جنس که نفس وحدت افراد اوست، کافی از برای حفظ و صیانت آن جنس بوده باشد و لغت کافی نخواهد شد از برای صیانت جنس و حفظ افراد آن از تفرق، مگر در آن هنگامی که آن لغت حاوی بوده باشد همه اصطلاحات و تمامی کلماتی را که طبقات آن جنس در افاده و استفاده بدانها محتاجند، چونکه جنسی که مجاور سائر اجناس بوده، اساس معاملات و مبادلات درمیانه ایشان استوار باشد، هرگز نمی‌تواند که جنسیت خود را نگاه داشته، مزایا و حقوق آن را استحصال نماید، مگر آنکه جمیع طبقاتی که ارکان پایداری نوع انسان و اساس مدنیت و حضارتست[۱] در آن جنس بوده باشد.

و آن طبقات عبارت است از طبقه علمائی‌که علوم نافعه در مدنیت را نشر دهند و طبقه فضلا و ارباب اختراعی‌که فنون نافعه در هیئت اجتماعیه را مؤسَس[۲] سازند و طبقه دانایان سیاسی که حفظ حقوق را نمایند و طبقه قوانین‌شناسانی که به عدالت فصل دعاوی کنند و طبقه اندرزگویانی که در تهذیب اخلاق کوشند و طبقه ادباء و شعرائی که به کمالات لطیفه و اشعار دقیقه همم خامله[۳] را برانگیزانند و سجایای آحاد جنس را معدّل[۴] و مقوّم سازند و طبقه صنّاعی که[۵] صناعت نافعه خود را براساس علم گذارند و طبقه زرّاعی که[۶] به مقتضای فن فلاحت، به زراعت اشتغال ورزند و طبقه تجّاری که، راههای تجارت را بر پایه‌های اقتصاد[۷] سیاسی مملکت نهند و اگر این طبقات در آن جنس نباشد، البته ضرورات معیشت و حاجات زندگانی رشته التیام و ائتلاف جنسیت افراد آن را گسسته رفته‌رفته منقرض و نابود خواهد گردید ـ و آحاد آن به اشخاص جنسهای دیگر ملحق شده به لباس جنسیت جدیده‌ای قدم در دائره هستی

---

۱. مرادف مدنیت که آن کیفیت بود و باش است به هیئت اجتماعیه بر نهج عدل و حکمت.
۲. از تأسیس یعنی پایدارکردن
۳. همتهای افسرده
۴. از تعدیل و تقویم یعنی درستی و اصلاح
۵. صنعتگران
۶. کشاورزان
۷. میانه‌روی

خواهندنهاد و تحقق این طبقات و دوام آنها موقوف بر این است که لغت آن جنس دارای جمیع اصطلاحات لازمه و حاوی همه کلمات ضروریه‌ای که صناعات و خطط[1] طبقات را لازم بوده باشد، زیرا آنکه، این صناعات و خطط صورت هستی نپذیرد مگر به افاده کامله و استفاده تامه و افاده و استفاده بدون لغتی که حاوی اصطلاحات لازمه و کلمات ضروریه بوده باشد، از جمله محالات است.

پس اوّل فریضه دانایان نتایج جنسیت، این است که در توسیع لغت جنس خود کوتاهی نورزند و نخستین واجب بر ذمت ایشان این است که برحسب اقتضاء صناعات طبقات، الفاظ را در معانی متعدده با ملاحظه مناسبت معنی حقیقی، استعمال نمایند و گاهی دو لفظ یا سه لفظ را باهم مرکب کرده در محل ضرورت بکار برند و از لغاتی که با لغت خود مناسبت تامه‌ای دارد، کلمات را به مقتضای حاجت گرفته در محاورات خویشتن داخل کنند و چون چاره‌ای نماند به‌مقدار لزوم به لغات اجنبیه صرفه استعانت جویند ولکن به‌شرط آنکه الفاظ مأخوذه را به پیرایه لغت خود درآورند، تا وصف بیگانگی از آنها ظاهر نشود.

و البته اگر عارفان به مزایای جنسیت بدین‌گونه رفتار نمایند، لامحاله پایه صناعات و خطط طبقات جنس محکم و استوار خواهد گردید و چون پایه صناعاتِ طبقات جنس محکم گردد، بلاشک آن جنس به‌اعلی درجه کمال رسیده، افراد آن، جمیع مزایا و همگی سعادات عالم انسانی را استحصال خواهند نمود و از این تقریر، دانایان را معنی «جنسیت» و عارفان را مزایای آن به‌خوبی ظاهر و آشکارا گردید که تعلیم و تعلّم و علوم و معارف و افاده و استفاده فنون و صناعات طبقات جنس، باید به لغت آن جنس بوده باشد، تا آنکه جنسیت قوام پذیرفته ثابت و پایدار گردد و سعادت و نیکبختی که آثار جنسیت است، آحاد آن جنس را دستیاب شود.

و به‌جهت فهمیدن عامه خلق، می‌خواهم این مطلب را به‌عبارت اخری بیان کرده بگویم: چون علوم و معارف و فنون و صناعات به لسان قومی از اقوام و جنسی از اجناس بوده باشد، البته اساس آنها درمیانهٔ ایشان راسخ و ثابت خواهد ماند و سالهای

---

۱. پیشه‌ها

دراز زائل نخواهد گردید ـ و اولاد و احفاد[1] اجیال[2] منقرضه آن جنس، می‌توانند که از کتب و مؤلفات اسلاف خود فائده گرفته دوباره جنس و قوم مرده خود را احیا نمایند و به‌عز و شرف جدیدی خود را زیب و زینت دهند، اگرچه ارباب آن علوم و معارف معدوم شده باشند. بخلاف آنکه علوم و معارف و صنایع در ایشان به‌لسان قومی بیگانه بوده باشد، زیراکه در اندک زمانی و به‌أدنی تغیر و تبدلی زائل و نیست و نابود خواهد گردید.

تدبر کن در حال یونانیان بعد از قرون کثیره و انقراض حکمای ایشان، از کتب پیشینیان خود استفاده می‌کنند و ایرانیان را از آن کتب هیچ بهره‌ای نیست و حال آنکه در زمان اشکانیان تا مدت سه قرن، یعنی سه صدسال، جمیع معارف و آداب ایشان به لسان یونانی بود. حتی فرامین پادشاهی و سکه زر و سیم همه بدان زبان و بدان خط ثبت می‌گردید. و دیگر آنکه علوم و معارف اگر به لسان ابناء جنس بوده باشد، استحصال آنها بر نفوس أسهل و نقوش آن علوم در اذهان، پایدارتر خواهد بود و عقول را بر دقائق آنها زیاده رسائی حاصل خواهد شد و کُنه مسائل، بر طالبان علم بهتر منکشف خواهد گردید. و ازاین جهت عدد علماء و فضلاء ارباب صنایع و خداوندان فنون، افزوده شده درهای سعادت بر روی آحاد آن جنس باز خواهد گردید.

علاوه بر این از برای مؤسس‌شدن مدنیت و محکم‌گردیدن جنسیت و پایداری وحدت قومیت، واجب چنان است که هر طبقه‌ای از طبقات سافله جنس را اندک معرفتی به معلومات طبقات عالیه بوده باشد، تا آنکه ماهیت افاضه و استفاضه صورت هستی پذیرد و حقیقت تعاون و توازر متحقق گردد. چونکه صناعت هر طبقه سالفه را ارتباط تامی است به صناعت طبقه عالیه و اگر صاحب آن صناعت را به‌هیچوجه معرفتی به صناعت طبقه عالیه نبوده باشد، البته صناعت او هرگز به‌کمال نخواهد رسید. و هم‌چنین است حال صناعات طبقات عالیه به صناعات طبقات سافله و چون نقص به‌طبقه‌ای روی دهد، لامحاله نقص در کلّ، که عبارت از جنس باشد، حاصل خواهد شد و هیئت اجتماعیه را تزعزعی[3] دست خواهد داد.

---

۱. فرزندان، نوه‌ها　　۲. نسل‌ها　　۳. جنبش سخت. تزلزل

و بالجمله کمال مدنیت و پایداری جنسیت، موقوف بر آن است که هر طبقهٔ از طبقات ارباب صنائع و علوم و خداوندان خطط و فنون را اندک معرفتی به علوم و فنون طبقات دیگر بوده باشد، تا آنکه صناعت خود را به کمال برساند و این هرگز صورت نخواهد پذیرفت، مگر آنکه علوم و معارف به تمامها، به لسان خود آن طبقات که آحاد آن جنسند، بوده باشد.

و چون مطلب بدین‌جا رسید اکنون می‌توانم که هندوستان را محط [1] نظر خود نمود، بگویم: آنهائی که از اهل هند بر قلهٔ کوه نور بصیرت برآمده‌اند و معنی جنسیت را فهمیده‌اند و مزایای آنرا دانسته‌اند و به دوربین تدبر در أزمان گذشته و آینده نظر انداخته‌اند، به ذره‌بین تعمق دقائق حالات امم و قبائل را ملاحظه کرده‌اند، چرا در این امر سترگ غور نمی‌کنند؟ و بچه سبب است که این کار ضروری را مهمل گذاشته در آن اهتمام نمی‌نمایند؟

آیا نمی‌دانند که بقای جنسیت و اجتناء [2] ثمار آن موقوف بر آنست که تعلیم و تعلّم در مدارس به لغت وطنیه بوده باشد. آیا تعجب نمی‌شود از اینکه علوم جدیده عالم را فراگرفته و فنون بدیعه کره زمین را احاطه نموده است و حال آنکه چیزی از آنها که قابل بوده باشد، به زبان هندی ترجمه نشده است؟ آیا از این نکته غفلت ورزیدند که اگر در لغت جنسی از اجناس بنی‌آدم علوم نافعه در مدنیت نبوده باشد، آن جنس را پایداری نخواهد شد؟ ـ آیا از این ذاهل [3] شدند که اوّل فریضهٔ ذمه عقلاً سعی در توسیع لغت وطن است. پس چرا کوشش نمی‌کنند در ترجمهٔ علوم جدید به لغت وطنیه، خصوصاً به لغت اردو که به منزله لغت عموم است و چرا استمداد نمی‌جویند، از برای توسعه آن لغت به سائر لغات متقاربه بدان چون سنسگریت و مرهتی و بنگالی؟ و چرا در وقت ضرورت، از برای استکمال آن، به لغت انگلیزیه استعانت نمی‌کنند؟

سال‌های دراز است که قوم انگلیز که استادهای علوم نافعه و فنون مفیده می‌باشند، در ممالک هندوستان حکمرانی می‌نمایند، پس از چه جهت است که دانشمندان هند،

---

۱. جای انداختن نظر ۲. چیدن میوه ۳. غافل

از ایشان برای وطن خود، ذخیره‌ای استحصال ننموده‌اند؟ و چگونه می‌توانند که از برای وطن خود ذخیره‌ای از آن علوم جدیده به‌دست آورند، مادامی‌که آنها را به زبان وطنی ترجمه نکنند و چگونه می‌شود که معارف در نزد قومی عمومی شود، بی‌آنکه آن معارف به لسان آن قوم بوده باشد ـ و معارفی که به لسان بیگانه بوده باشد، چگونه پایدار خواهد شد؟ ـ و چه فخر است کسی را که هزارها کتب به لغت بیگانه در کتابخانه خود داشته باشد، بی‌آنکه یک کتاب نافع هم به لسان وطنی در آن بوده باشد؟

آیا هیچ عاقل فخر دیگران را فخر خود می‌شمارد؟ و آیا به‌غیر جنس خود هیچ خردمندی فخر می‌کند و فخر به‌جنس جاهل را هیچ هوشمند بر خود می‌پسندد؟ پس فخر بر جنس است، به‌شرط شرافت و شرافتی نیست مگر به علوم و معارف. و علوم و معارف در آن وقت موجب شرف جنس می‌شود که عمومی بوده باشد و ممکن نیست که علوم و معارف عمومی شود، مگر در آن هنگامی‌که به لغت آن جنس بوده باشد و آیا دانایان هندوستان را معلوم نیست که اگر علوم و معارف به لغت وطنیه بوده باشد، غالب معارف به‌سبب اخبار نامه‌ها و به‌جهت معاشرت با علماء، در اندک زمانی عمومی شده بصیرت و بینائی همه اهل وطن را فراخواهد گرفت.

و از آنچه گفته شد بخوبی ظاهر و هویدا گردید که جمیع طبقات هندیان را چه علماء بوده باشند و چه امراء و چه ارباب تجارت بوده باشند و چه اصحاب فلاحت، واجب چنان است که اتفاق نموده تعلیم و تعلم مدارس کلیه[1] و غیرکلیه[2] خود را به لسان هندی قرار دهند و همهٔ علوم و معارف را کوشش نموده به زبان خود ترجمه نمایند، تا آنکه جنسیت هندیت استوارشده به راحت و رفاهیت مدنیت نایل گردند و از اکتساب فوائد جنسیت و استحصال مزایای آن محروم نمانند و نشاید عقلاء هند را که به‌واسطه بعضی از تخیلات بی‌اصل، خود را مانند طایفه مان بهاو[3] کرده هر خط موهومی را سدّ اسکندر! خیال کنند و به‌واسطهٔ آن، از صراط مستقیم علوم نافعه و راه

---

۱. مدارس عالیه. دانشکده ۲. مدارس ابتدائی

۳. طایفه‌ای است در اطراف دکن که اگر در راه سالکی از ایشان خطی کشیده شود به‌سبب غلبه توهم از آنطرف گذر نخواهد کرد بل کج شده براه دیگر گام خواهد زد.

راست معارف مفیده، روگردان شوند، چونکه هر عالم پرهیزکاری اگر به‌اصل شریعت رجوع کند، خواهد دانست که علوم و معارف معاشیه را بهیچ‌وجه مضاده[1] و مغایرتی با دین نیست، بلکه اگر خوب غور شود، معلوم خواهد شد که این علوم معاشیه سبب قوت دین است، چونکه قوت دین از متدینین است و قوت متدینین نتیجه غنا و ثروت و جاه و شوکت است و این امور، بدون این علوم معاشیه، هرگز صورت وقوع نخواهد پذیرفت.

و اگر یکی از پیاچوها[2] یعنی پهلوان پنبه‌ها، بگوید که مقصود از علوم، منافع آنست چه آن علوم به لسان وطنی بوده باشد و یا به لسان اجنبی و علوم نافعه همه به لغت انگلیزیه موجود است و امت انگلیزیه از دیرزمانی است که حکمران جمیع هندوستان است و مماثلت و متابعت غالب در هر حال لازم است، پس ما هندیان را چنان زیبنده است که به‌جهت استحصال منافع اکتساب فوائد از امت غالبه، لباس هستی خود را خلع نموده و قید تعین جنسیت را برداشته یک‌بارگی فناء فی‌الغالب! شویم و علوم و معارف را به لسان قوم فاتح تعلّم نمائیم و لغت ایشان را در هر چیز، ترجیح داده به‌جای لغت وطنیه استعمال کنیم، بلکه سایر امور را هم!.

یعنی پس باید بدو گفت: اوّلاً اگر این خواهش از غالب سرمی‌زد، باید آن را بر تعالی و استکبار و خروج از حدّ اعتدال حمل نمود و اگر مغلوب چنین امری را به زبان آرد، بلاشک منشأ آن جز تملق چیز دیگری نخواهد بود و البته این‌گونه تملق ظاهر غالب را هم مقبول نخواهد افتاد.

و ثانیاً جنس هندی اگر قلیل‌العدد می‌شد و آحاد آن می‌خواستند که خود را مانند بهروپیه[3] هر زمانی به شکل غالبی ظاهر سازند و هر قرنی به‌هیئت فاتحی جلوه دهند، البته این امر ممکن‌الوقوع بود، اگرچه این روش بربباددهندهٔ نخوت[4] و حمیّت موجب آن می‌شد که همیشه به سفلگی و فرومایگی درمیان امم و قبائل به‌سر برند و از لذائذ ترقیات عظیمه و حظوظ مزایای جلیله عالم انسانی که نتایج جنسیت است، علی‌الدوام

---

۱. مخالفت ۲. بندباز و در اینجا مقصود نیچریهاست.

۳. فرقه‌ای است در هندوستان که افراد آن فرقه خودها را به‌شکل امراء و عظماء ظاهر نموده اهالی هند را به‌فریب می‌آرند و به‌صلهٔ این فریب کسب رزق نموده اوقات خود را خوش و ناخوش بسر می‌برند.

۴. بزرگی و افتخار و غرور

محروم مانند، ولی عدد هندیان دوصد مليون (چهار کرور) می‌شود، اگر کسی سیر طبیعی عالم وجود را که اکثر سنت الهیه است، ملاحظه کند، خواهد دانست که این عدد کثیر را هرگز ممکن نخواهد شد که از خود منسلخ[1] شده به لباس غالبین و فاتحین برآیند و لغت اجنبیه را به‌جای لغت وطنیه بکار برند، بلکه اگر کسی غور کند، خواهد فهمید که این جمع کثیر، صدها اقوام غالبین و فاتحین را فرو برده جزء خود خواهند نمود و به‌غیر از اسمی، آنهم در تاریخ، از آنها باقی نخواهد گذاشت، چنانکه مغول‌ها و دیگران را با وصف غالبیت، هندی کردند و به لباس خود درآوردند.

و چنان گمان نشود که مقصود ما از آنچه ذکر کردیم تشویق بر ترک تعلّم لغت انگلیزیه است، بلکه چنین باید دانست که تعلّم لغت انگلیزیه، از چندین وجوه بر هندیان لازم است.

وجه نخستین آنست که حکومت هندوستان حکومت انگلیزیه است و ارتباط در میان مردم و حاکم و احقاق حقوق طرفین و رفع تعدیات و اجحافات هرگز حاصل نخواهد شد، مگر بدین که رعایا لسان حکام خود را بدانند. وجه دومی آنست که اهل هندوستان به اشدّ احتیاج، محتاجند به جمیع فنون و معارف و صنایعی که در زبان انگلیزیست. پس واجب است بر ایشان که آن زبان را به‌خوبی اتقان نموده علوم و فنون را از آن لغت به لسان وطنی ترجمه نمایند و اساس مدنیّت حقیقیه را که معارف بوده باشد، در وطن عزیز خود استوار سازند.

و سیمی آنست که تسهیل طرق معاملات و تمهید سبل تجارت و اطلاع بر احوال و عادات امم و فهمیدن سجایا و اخلاق قبایل و دانستن تواریخ دول و ممالک، بی‌معرفت لغات آنها متعذر است، لهذا هندیان را باید که لغت انگلیزیه را خصوصاً و سائر لغات را عموماً، تعلّم نمایند تا آن‌که بتوانند راههای تجارات و معاملات را وسعت دهند و ممکن شود ایشان را، که بر احوال جهانیان مطلع شده در اصلاح عقول و نفوس خود بکوشند و از روش دیگران عبرت گرفتهِ خود را محل عبرت عالمیان نگردانند (چنانچه گردانندند).

آنچه پیش ذکر کردم،بالنسبه به‌سوی اهل هندوستان بود. اما بالنسبه به‌سوی امت

---

۱. بیرون شده. جدا شده

انگلیزیه، که امت غالبه است، پس باید دانست: حرص و طمع دول غربیه از حد تجاوز کرده است و تنافس و تحاسد ایشان، از اندازه گذشته است و راهها برّاً و بحراً مفتوح گردیده است. و دولت روسیه یکقدم پیشگاه (مرو) نهاده و یکدست (مقابل دروازه استانبول) داشته است ـ و دولت فرنسا بعد از هضم (تونس) چشم بر (طرابلس) و (مصر) دوخته و دولت نمسه[۱] دل بر (سلانیک) و (قسطنطنیه) بسته و دولت ایطالیا (مصر) و (طرابلس) را مطمع خود ساخته است ـ و دولت جرمن[۲] گاهی به‌جزیره (کریت)[۳] نظر انداخته بر سواحل شام بناء مستعمرات[۴] نهاده است ـ و هریک از آن دول عظام، دولت عظیمه بریطانیا را از روی حسد دیده، آتش حقدش مشتعل می‌شود، خصوصاً در وقتی‌که سلطه او را بر بهترین اراضی عالم و مهد[۵] اجناس بنی‌آدم و کرسی برهما[۶] مؤسس مدنیت، یعنی هندوستان ملاحظه می‌کنند. لهذا انگلیزان را از برای صیانت اقطار هندیه و حراست آن اراضی مقدسه، وسائلی باید بسیار قوی و اسبابی باید بسیار محکم تا آنکه بتوانند بدانها قطع آمال ارباب شَرَه[۷] را نموده، اطمینان قلب، که حقیقت سعادت و غایت مطلوب انسانی است، ایشان را دستیاب شود و این حفاظت تامه، که موجب آرامی دل است، هرگز ایشان را حاصل نخواهد شد، به‌سبب استحکامات جبل طارق و جزیره مالطه و قبرس و باب‌المندب و عدن و جزیره سقوطره و کیپ و دره خیبر و مضیق کرم و درهٔ بلان و شهر قندهار و هر فردی از عقلای انگلیز، اگر غور کنند به یقین خواهند دانست که استحکامات خارجه از برای صیانت امت عظیمه اجنبیه، موجب اطمینان خاطر و آرامی دل نخواهد شد.

بلی حفاظت کامله و حراست تامه و اطمینان خاطر کلی و سکون قلب حقیقی در وقتی ایشان را دستیاب خواهد شد که استحکامات پایداری مملکت خویشتن را در قلوب هندیان استوار نمایند. این بدین‌گونه می‌شود که لغت هندیه را نیز لغت رسمیه دولت قرارداده، در جمیع جلسات متعلّقه به امور هندوستان استعمال کنند، تا آنکه هندیان را معلوم شود که علاقه کلیه و رابطه تامه، درمیان ایشان و امت انگلیزیه حاصل

---

۱. اتریش
۲. آلمان
۳. جزیره‌ای است در اقیانوس اطلس
۴. نو آبادیها
۵. گهواره
۶. یکی از بزرگان مذهب هندوستان است
۷. غلبه حرص

شده است و یک‌نوع جنسیتی صورت وقوع پذیرفته است و امتیازات غالبیت را برداشته، هندیان را در جمیع حقوق حتی در مجلس (پارلمان) با خود شریک سازند، چونکه امتداد مدت اجنبی‌بودن به‌قدر امتداد زمان وصف غالبیت است، و البته انسان دل به اجنبی نخواهد بست.

و دیگر آنکه اعانت نمایند هندیان را در ترجمه علوم و فنون.... از لغت انگلیزیه به زبان هندی و از برای اجرای این عمل جمعیتی تشکیل نمایند و فنون جدیده را در مدارس و مکاتب به لسان وطنی، تعلیم دهند و از برای صناعت و زراعت در ممالک هندیه، مدارس کلیه انشاء نمایند.

بالجمله بر هندیان بدان‌نظر نگاه کنند که بر خود نگاه می‌کنند و همهٔ تفاوتها و امتیازات را از میانه بردارند، چنانچه حقانیت و عدالت و انسانیت اقتضاء می‌کند، و چنانچه مدعیان عدالت از جنس انگلیز، همین امر را از دولی که مساوات تامه در میانه رعایای آنها نیست، خواهش می‌نمایند. و بلاریب چون هندیان از ثمار این مساعی جمیله بهره‌ور شوند، بقاء و سعادت و شقاء و فناء خود را به‌بقاء و سعادت و شقاء و فناء جنس انگلیز مربوط دانسته و چون شخص انگلیزی‌الاصل در صیانت منافع آن جنس خواهند کوشید و در این هنگام بیم و خوف بالمره زائل شده اطمینان کلی، چنانچه باید و شاید دستیاب خواهد شد.

و اگر هندیان اجتناء[۱] اینگونه ثمرات را از امت انگلیزیه نکنند، دلبستگی چگونه حاصل می‌شود و خیرخواهی به کدام نهج[۲] صورت هستی قبول خواهد نمود؟ زیراکه اگر انسان خیر خود را در خیر دیگری نبیند، هرگز از برای صیانت خیر آن جانفشانی نخواهد کرد، و عقل این امر را هرگز باور نخواهد نمود. و من به‌یقین می‌دانم که کوته‌بینان امت غالبه و مغلوبه، هر دو بر این اقوال اخیره به‌نظر تعجب خواهند نگریست ولکن چون زمانه شرح و تفسیر این اقوال را نماید، البته اذکیاءِ و اغبیاْ، همگی بر صحت آنها اتفاق خواهند نمود.

و این است مجمل آنچه می‌خواستم بیان کنم در واجبات لغات بر اهل آنها.

---

۱. چیدن. بهره بردن　　۲. راه. روش

انشاءالله و ماشاءالله؟

چنانچه معلوم است عثمانیان شب جمعه اول ماه رجب را ـ که لیلةالرغائب است و «قندیل گیجه‌سی» می‌خوانند ـ خیلی محترم می‌دارند و در آن شب در خانه‌های بزرگان و پاشایان و مشیران، محافل باشکوه و ضیافتهای مطنطن بسیار صرف می‌شود و آن شب را غالباً تا بامدادان به مسامره می‌گذرانند.

به رسم مألوف و عادت معروف شب جمعه گذشته ۱۳۰۱ هجری را در خانه دولتمآب یوسف‌رضا پاشا کمیسیون مهاجرین که در بشکطاش واقع است ضیافتی نموده جمعی به‌شام مدعو بودند پس از صرف طعام در اثنای مسامره پارهٔ سخنان شیرین و روح‌پرور از زبان مجلسیان مسموع شد که درج آن عبارات را در این اوراق خالی از فایده نیافتم (لعل‌الله یحدث بعد ذالک امراً)

اجزای محفل مزبور عبارت بود از سیدابوالهدی ـ شیخ ظاهر ـ شیخ‌الرئیس ابوالمعالی بهجت‌بیک ـ سیدبرهان‌الدین پسر شیخ سلیمان بلخی صاحب کتاب ینابیع المودة.

پاشای صاحب‌خانه به شیخ‌الرئیس گفتند: دیروز شخصی از اهالی ایران مدیحهٔ مشتمل بر ملقب حضرت رسالت پناهی و دائر به‌مکارم ذات اقدس پادشاهی ساخته به کاغذ نیکو و خط خوب نوشته آورده بود که من تقدیمِ به‌ذات شاهانه نمایم. این شخص می‌گفت تخلص من میرزانصرت و از خواص طایفه ...... هستم، قدری با او صحبت داشتم، سخنان بی‌سروته بسیار می‌گفت آخر یک رساله کوچکی از بغل درآورد که از تصنیفات رئیس ماست و به من تقدیم کرده منهم دیروز و امروز کراراً این رساله را مطالعه نموده‌ام، سرتاپای آن در معنی «انشاءالله» نوشته شده با اینکه شما

می‌دانید سواد عربی و فارسی من خوب است و از این اطلاعات عاری نیستیم و برای منطبقات «شفا» خلاصه نوشته‌ام و «احیاءالعلوم» غزالی و «حکمةالاشراق» سهروردی را وقتی به ترکی ترجمه نمودم، مع‌ذالک هرچه به‌نظر عبرت و دقت خواستم، نتیجهٔ از آن بیرون بیاید هیچ نتیجه بدست نیامد، غیر اینکه مسئله از اول مشکلتر و حیرت بر حیرتم افزود.

یاللعجب، مردم عوام بیچاره ایران که چون ظلمتیان گویا تمام عمر خود را درمیان چاه بسر برده‌اند، گرفتار چه موهومات و دچار چه نوع شماتت هستند؟ اینک این رساله، شما از این چه می‌فهمید؟ برای من توضیح بفرمائید!

جناب شیخ‌الرئیس با آن جزالت بیان که دارند قدری در رساله نظر کرده گفتند: من چند ماه است اعلانی در روزنامه «حکمت» منطبعهٔ مصر در اوصاف این رساله می‌خوانم آخر نسخهٔ آن را از بمبئی خواستم آوردند دیده‌ام. علاوه بر این مطالب این حضرات را هم بسیار شنیده‌ام و به زبانشان آشنا هستم:

مقصود سائل از سؤال این است که با وجود لوح محفوظ که همه چیز در آن ثبت است و با وصف اینکه ذات ازل لایتغیر است، انشاءالله گفتن چه معنی دارد؟ یعنی چه فایده بر گفتن این لفظ مترتب خواهد شد. زیراکه هرچه شدنی است و در علم ازلی گذشته می‌شود، اعم از گفتن انشاءالله یا نگفتن آن و هرچه نباید بشود و علم تعلق به آن نگرفته، نمی‌شود.

روح سخن و خلاصه جواب صاحب رساله در این باب، این است که از برای موجودشدن اشیاء در هر مرتبهٔ علل و اسباب چند است: گفتن انشاءالله هم یکی از آن علل است که متمم وجود شیئی در نشاهٔ عین خواهد و اگر وجود چیزی در علم حق گذشته باشد، البته علل و اسباب آن هم که از آن جمله یکی گفتن انشاءالله است، در علم حق گذشته است. در این صورت گفتن و نگفتن انشاءالله هر دو یکی از نقوش لوح محفوظ می‌باشد. یعنی وقتی‌که بنده انشاءالله گفت و امر بر وفق مطلوب صورت گرفت، کشف می‌کند از اینکه در لوح محفوظ همین‌طور ثبت بوده است و اگر انشاءالله نگوید و امر بر وفق مرام جاری نشود، بازهم معلوم می‌شود که در لوح اینطور

منقوش و مثبوت شده بوده: زیرا لوح محفوظ عبارت است از تمام صور موجودات حتی این لفظ هم.

پاشای مزبور در جواب گفتند: این سخن شما را وقتی قبول می‌کردم و آن را می‌دانستم که این قاعده در همه جا مطرود بود، به این معنی که از برای انجام هرکار به گفتن لفظ انشاءالله اکتفا می‌شد، یا بدون گفتن لفظ انشاءالله هیچ‌کاری صورت نمی‌گرفت.

بر فرض که گفتن انشاءالله هم داخل نقوش لوح محفوظ باشد، آیا سبب گفتن برای انجام مقصود و نگفتن آن از برای نتیجهٔ معکوس، بچه دلیل ثابت می‌شود؟ اگر کسی امری را اجراکردن بخواهد، اسباب حصول آن بطوریکه حکماء می‌گویند خارج از علل اربعه که علت فاعلی و مادی و صوری و غائی باشد نتواند بود، گفتن لفظ انشاءالله داخل در کدام علت است؟ وانگهی بسا انسان بخواهد امر غیرمشروع یا محال را از قوه به فعل بیاورد، مسلم است که اگر هزار انشاءالله بگوید، نه حق تعالی بکار غیرمشروع راضی است و نه مشیت به امر محال تعلق می‌گیرد. از آن طرف اگر کاری مشروع و معقول باشد، از نگفتن انشاءالله به‌قدر ذره ضرر برای انجام آن روی نخواهد نمود.

غالب این فرنگیها، خصوص آنان که مصدر کارهای معظم دنیا می‌باشند، مادی و طبیعی بوده‌اند و ابداً نه قولاً و نه قصداً، لفظ انشاءالله را به زبان و خیال نمی‌آورند و ترجمهٔ آن را به‌خاطر نمی‌گذرانند و با وجود این، آن کارهای بزرگ راکه قریب به محال می‌نمود، در عالم صورت داده و می‌دهند. از آن‌طرف علمای اصفهان هزار ماشاءالله و انشاءالله و لاحول ولا گفتند و با افاغنه جهاد نمودند و آخر شکست خوردند و در حمله اول مقاومت و پایداری نکردند و هیچ‌کاری در هیچ عالمی از پیش نبردند.

پرنس بیسمارک هنگام محاربه با دولت فرانسه گفت: یک ماهه اردوی آلمان را وارد پاریس می‌کنم. یکی گفت بگو اگر خدا بخواهد! پرنس مزبور جواب داد: که اگر خدا بخواهد می‌روم و اگر نخواهد می‌روم. زیراکه من تمام اسباب مادی و صوری را

فراهم آورده‌ام، دیگر چه حاجت به این لفظ دارم؟ با وجود چنین کفری که پرنس مزبور به اعتقاد ماگفت، آخر به مقصود خویش نائل گردید (بر منتهای همت خود گشت کامران).

اما فلان آخوند و فلان مقدس، چون اسباب مادی و صوری و نتایج امور را نمی‌داند! و کارها را به راهش نمی‌گذارد، هزار دور تسبیح از این کلمات را هم می‌گوید و بدبختانه به‌هیچ چیز موفق نمی‌شود.

در ابتدای انشاء شمندوفر در ملک هندوستان با نخستین قطاری که می‌خواست در قطار هند به‌حرکت آید مردی انگلیسی بود، درمقابل جمعی از هندیان ایستاده نطق نمود که: این واگون بدون زحمت و تعب مسافت ده روز راه را در یک روز طی می‌کند.

شخصی از مسلمانان هند که عازم به صوب مقصود بود: از یک طرف فرحناک شده از طرف دیگر این سخن را باور نمی‌کرد، گفت: انشاءالله چنین است، انگلیسی در جواب گفت نی نی! این خود می‌رود دخلی به انشاءالله ندارد.

اوقاتی‌که من در طهران به سفارت رفته بودم، یکی از مترجمین سفارت فرانسه که فارسی تحصیل می‌کرد از میرزاحسینخان شوکت منشی سفارت ما پرسید این شکل (۸۶۴۲) که اهالی ایران روی پاکات می‌نویسند چه معنی دارد؛ منشی جواب داد که این اسم بدوح فرشته‌ای است که مکاتیب را به صاحبانش می‌رساند؛ ترجمان گفت: مگر در ایران پستخانه فراش ندارد، یا امور آنجا منظم نیست که باید فرشته بیچاره زحمت بکشد؟

در ممالک اروپا و آمریکا و غیره ابداً احتیاجی به این ملک بدوح نام نمی‌افتد و هیچ منت او را نمی‌کشیم، زیراکه پستخانه‌ها بسیار منظم است و مأمورین پست در اول وقت کاغذها را به صاحبانش می‌رسانند.

لهذا اهالی آنجا به‌جای گفتن این الفاظ خوش‌آمد و چاپلوسی که خدا را از خود ممنون بکنند! از روی عقل و تدبیر درصدد انجام کارها برمی‌آیند و اسباب اولیه هرکار را فراهم آورده هر چیزی را به راهش می‌گذارند، اهالی ایران خدا را هم مثل

پادشاه و بعضی از شاهزادگان خود فرض می‌کنند که طالب این‌گونه تملقات و چاپلوسی‌های بی‌معنی باشد و دائماً از اینکه بگویند همه کارهای ما در زیر سایه عنایت شما درست می‌شود و خرابی و آبادانی دنیا به‌دست شما است (خواهی عمارتش کن و خواهی خراب کن) و را خوش آمده ممنون شود، دیگر نمی‌دانند که خداوند متعال غنی و بی‌نیاز است از این خوش‌آمدگوئی‌های بندگان و برای هر کاری اسباب قرارداده و سعادت افراد انسان را به‌نیروی مجاهدات شخصی خود او گذاشته است.

این حرفهای بی‌معنی، بی‌نتیجه است که اخلاق مسلمانان به‌خصوص اهالی ایران را فاسد نموده و ضایع و تباه ساخته و عقل طبیعی ایشان را چنان از پای درانداخته که هیچ از پی اصلاح امور خود برنمی‌آیند و اصلاح امور زندگانی خود را از معجزات آسمانی منتظرند! اگر فترتی درکارشان روی دهد می‌گویند: دستی از غیب پیدا شود و اصلاح کند. اگر خانه‌شان کثیف شود، توقع دارند ملائکه بیاید جاروب کند! اسم این‌گونه کسالت و تنبلی‌ها و جهالت را توکل و تفویض نهاده‌اند (تعالی شانه عما یقولون).

به‌جای همهٔ چیز صبح و شام به اوراد و اذکار و دعای جلجلونیه و حرز کفعمی و جوشن کبیر و صغیر و ختم صلوات و لعن چهار ضرب! مداومت نموده و گمان می‌کنند که به‌محض لقلقه لسان، امور زندگانی و معاش انسان درست خواهد شد: زهی سودای بی‌حاصل.

علما و عرفای ایشان دانستن این سخنان لاطایل را که به‌هیچ مناطق و برهانی درست نیست، داخل در فضایل و کمالات انسانیه محسوب می‌دارند و به این چیزها افتخار می‌کنند و کتابهاشان پر است از این قبیل حرفها، که نتیجهٔ جز خرابی عالم و فساد اخلاق بنی‌آدم و تنبلی و کاهلی و رخاوت نفوس و اعتقاد به اموری که خلاف واقع و نفس‌الامر می‌باشد، نداشته و ندارد.

جناب شیخ‌الرئیس گفتند: این سخنان شما مطابق مذهب و عقاید اسلام نیست و اگر کسی دیگر به‌جای من بود، شما را تکفیر می‌کرد.

پاشا خندید و گفت: قاطعترین براهین علمای اسلام در مباحثات تکفیر است و می‌گویند: ایةالسیف تمحوایةالجهل. همین‌طورکه خداوند پیغمبر اسلام را ارزان کرده بودند علمای ایران کفر را ارزان کرده‌اند! شیخ‌الرئیس جواب داد که شما برخلاف نص آیه مبارکه سخن می‌گوئید که: **ولاتقولن لشئی انی فاعل ذالک غداً الا ان یشاءالله.**

* * *

مشاجره به‌طول انجامید و هردو نفر به اتفاق از **سیدجمال‌الدین** محاکمه خواستند و سید مزبور را حَکَم قرارداده خاموش نشستند. لاجرم سکوت عمیقی در آن مجلس دست داد. سید گفت: من از هر دونفر شما بزرگوار خیلی تعجب می‌کنم که چرا باید شما مسئله چنین بدیهی را سؤال کنید و راه به این صافی را در معقبات بیفکنید؟!:

قطع نظر از مسئله خدا و بنده و نسبت خالق و مخلوق، فرض کنید کسی نوکر جناب پاشا است، کسی از او پرسید فردا فلان کار را صورت می‌دهی یا نه و فلان فقره را به‌من قول می‌دهی تمام بکنی یا خیر؟ او مجبور است که در جواب بگوید من از خود استقلال و اختیار تامی ندارم، اگر آقا و متبوع من در این کار موافقت کند و میل او باشد من خواهم کرد و الافلا «ازمةالامور طرّاً بیده»

همچنین هر طفل ابجدخوانی می‌داند که «ازمهٔ امور و اعنه اسباب مصالح جمهور» در قبضه اقتدار ما نیست، لاجرم در هر امر سهل‌الاجرائی اگر کسی بخواهد امنیت حاصل کند که «من اینکار را حتماً به‌جای خواهم آورد» با وجود حوادث کونیه و اطوار انقلابات عالم حاصل نمودن چنین امنیت یاددادن اینگونه تأمین ممکن و معقول نیست، در اینصورت شخص عاقل در هیچکاری بطور قطعیت حکم نمی‌کند و صریحاً تأمین نمی‌دهد که اینکار حکما خواهد شد، یعنی باید به لفظ انشاءالله استثنا نماید و استثنای او برای این نیست که خدا از او ممنون بشود و به‌سعی در انجاح مقصودش نماید و همچنین نگفتن انشاءالله خدا را به‌غضب و لجاج نمی‌آورد. بلکه فقط گفتن انشاءالله برای این است که طرف مقابل اطمینان و امنیت قطعی حاصل نماید و خلاف قول گوینده ظاهر نشود.

بلی این حوادث و انقلابات هرج و مرج اوضاع و اسباب در ایران و بلاد اسلامیهٔ

بیشتر از جاهای دیگر است. در سایر ممالک هر چیزی بجای خودش هست و تا یک درجه امور عالم منظم است و در تحت ترتیب و انتظامات آمده، هرج و مرج کمتر واقع می‌شود و هر کاری را به راهش گذاشته‌اند و اسباب هر چیزی را کشف نموده‌اند. این است که آنجاها کمتر لازم می‌شود انسان لفظ انشاءالله بگوید و درباره امور آتیه می‌تواند به‌مردم تامینات صریحهٔ بدهد. ولی در ایران و سایر بلاد شرق بواسطه حوادث و انقلابات و اغتشاش بسیار و موانع و عوایق بیشمار هیچ‌کاری منظم نشده و از برای هر چیز هزارگونه مخل و عایق آشکار و پنهان می‌باشد و اغلب علل و موانع مخفیه را اهالی به‌واسطه بی‌علمی نمی‌دانند: لذا انشاءالله خیلی لازم می‌شود و ملک بدوح نام بسیار زحمت می‌کشد!

جناب شیخ‌الرئیس گفتند: خیلی محظوظ شدم از این بیانات دلکش شما ولیکن یک نکته دیگر را فراموش نمودید و آن این است که توکل و توسل عبد در افعال و حرکات خود به‌مبدأ حقیقی، البته خالی از تولید و ایجاد یک قوت روحانی فوق‌الطبیعه در نفس او نیست. اگرچه حق سبحانه و تعالی، منزه است از توجه و توسل، ولی برای خود عبد که بالذات محتاج به‌مدد متصل از طرف مبدأ فیاض می‌باشد، این معنی خیلی دخالت دارد. چراکه اتصال به مبدأ وجود یا طبیعت کلی بهر معنی که ملاحظه شود موجب خلق روحی جدید در او خواهد بود.

سید در جواب گفت: چون شریعت ما سمحه سهله است و نمی‌خواهم کار را به مشکلات بیفکنم. در این مسئله داخل نشدم. زیراکه فهمانیدن آن از روی حقیقت شرح و بسطی لازم دارد و گفتن آن بر وجه اختصار مضر به‌عالم انسانیت است. یعنی آن‌وقت مردم عوام شاید چنین گمان کنند که در کارها، به‌جای همه چیز باید توسل و توجه به‌جانب جناب حقتعالی کرد و از سایر تشبثات قطع‌نظر نمود: و حال آنکه هرگونه تشبث و توسل در امور، عین توجه به‌حق است «اینما تولوا فثّم وجه‌الله» چه اگر کسی به حقیقت نظر کند، به‌خوبی می‌داند که جستن اسباب و استکشاف علل امور، عین توجه به مبدأ فیاض است در اصلاح و اجرای آن‌کار، فقط در اینجا یک لطیفه نازکی است که جز آشنایان به‌لسان حکمت، دیگری نخواهد فهمید، اگرچه بیان آن

لزومی ندارد، اما برای آنکه بدانید کِلک ما نیز زبانی و بیانی دارد اشاره به آن می‌کنیم.

چون امور این عالم منقسم می‌شود به امور حقیقیهٔ نفس‌الامریهٔ که جهات وجودی در آن غلبه دارد و امور باطله سرابیه، که جهات عدمی در آنها غلبه دارد و به‌عبارة اخری: منقسم می‌شود به‌شجره طیبه ثابته و شجره خبثیه مجتثه یعنی به‌خیر و شر و نفی و اثبات و نور و ظلمت و ثواب و گناه یا عذب فرات و ملح اجاج!

مسلم است که آنچه هست، اراده حق تعالی بالذات بدان تعلق گرفته و در لوح محفوظ ثبت مشیت همان امور نفس‌الامریه حقیقیه است و اگرچه به‌واسطه بعضی غلطات طبیعت و شعبده‌های عالم کون و فساد، موقتاً مانع و عایقی در آنها روی دهد عاقبت غلبهٔ اصلیه با آنها خواهد بود.

و اما آن امور باطله عدمیه مجتثه هیچوقت بالذات مشیت نیستند و اگر باز وقتی از روی شعبده و شعوزه و سحر طبیعت، جولانی موقتی نمایند، عاقبت ذهاق و زوال یافته حکم دولت مستعجل و سرآب بقیعه خواهند داشت و اینگونه امور ابداً در لوح محفوظ ثبت نشده، بلکه فقط در لوح محو و ازاله آنها ثبت است. لهذا در هر امری که بنده می‌خواهد اجرا نماید، باید اولاً ملاحظه نماید که جهات وجودیه خیریه غلبه دارد یا جهات عدمیه و شریه؟. اگر جهات وجودیه خیریه غلبه دارد، حکماً آن امور موافق با خواست خدا و مثبوت در لوح محفوظ می‌باشد و اگر فوراً صورت نگیرد و عایقی رخ دهد عاقبت غلبه با آن خواهد بود و این امر قطعاً در ضمن انشاءالله افتاده است، باید توکل به‌خدا کرده طریق خیر و صواب را اختیار نمود و درصدد انجام آن کار برآمد که ان‌العاقبة للمتقین والا اگر جهات نشر و عدم در آن غالب باشد از شمار انشاءالله خارج است و در لوح محفوظ ثبت نشده و اگر هم به‌ظاهر صورت بگیرد صورتی است بی‌معنی و سرابی است بی‌حقیقت و نمایشی بی‌اصل ـ این است معنی اصلی گفتن انشاءالله و نگفتن آن.

مار و افعی چندین برابر قوت بدنی و طول عمرش از کرم ابریشم بیشتر است و منشاء آثار فائقه می‌باشد و هزارها از آن حیوان ضعیف کم‌عمر را آکل است، ولی چون جهات وجودی یعنی منافع و خیرات در این یکی غلبه دارد و جهات عدمیه

یعنی شرور و مضرات در آن دیگر غالب است» لهذا این یکی را پس از مردن احیا می‌کنند و آن دیگر را با اینهمه سخت‌جانی اعدام می‌نمایند زیراکه در علم ازلی اثبات این و نفی آن گذشته است اگر معاویه به‌صورت (ظاهر) بر امیرالمؤمنین غلبه نمود، از شعبده و سحر طبیعت بود. ولی خواست خداوند این است که عاقبت غلبه حقیقی با حضرت امیرالمؤمنین شد: زیرا خداوند غلبه اولیای خود را می‌خواست و در لوح محفوظ نیز غلبه اولیاءالله ثبت است نه مغلوبیت آنها.

حضار پس از شنیدن این کلمات حکمت آیات، بر رأی بلند و فطرت ارجمند سید مزبور آفرین بسیار نموده متفق‌القول گفتند: «حد همین است سخندانی و زیبایی را».

جناب پاشای میزبان روی به‌سید برهان‌الدین نموده گفتند: چقدر خوب است اگر شما این سؤال و جواب امشب را به‌زبان پارسی رسالهٔ کوچکی بکنید تا بدهیم طبع نمایند و در ایران نشر بدهیم یا بفرستیم در اختر چاپ کنند شاید بدین‌واسطه قدری تنویر عقول و افکار ملت شده رفع خرافات از میانشان بشود و آن بیچاره مردم ساده‌دل شب و روز چون حیاری و سکاری، مسحور و مفتون این الفاظ بی‌معنی و تحقیقات بی‌نتیجه نشوند و عمر عزیز خود را به‌خیال این موهومات بی‌سروته به هرزه تلف ننمایند: ضعف‌الطالب و المطلوب.

درواقع به‌قول جناب سید درباب این مسئله، من از دهنده جواب آنقدر تعجب نکردم که از کننده سؤال! اینگونه مسائل چه پرسیدن دارد؟ و نتیجهٔ این شرح کشاف چیست؟ حقیقهٔ این مسئله بدیهی چه موقع سؤال‌کردن است؟

و در جواب آن اینهمه لاطایل و ابحاث طویله ضرور نیست! عجب آنکه چنین مسئله غیرمهم را اینطور اهمیت می‌دهند که می‌نویسند: این مسئله یی‌صعب و مستصعب است و تاکنون هیچیک از علما و حکما نتوانسته‌اند آنرا حل نمایند: این اکل از قفا چه ضرور؟

تحقیق مشیت و مشائت و لوح محفوظ زبرجد و لؤلؤ چه مناسبت دارد؟ سخن بدین صافی و سادگی را نباید آنهم در عقدهای پیچ‌پیچ و صبغات هیچ اندر هیچ افکند و ذهن عوام‌الناس بیچاره را مشوب و مغشوش نمود، گویا خواننده باید تنها از فضیلت

صاحب رساله خبردار شود نه از حقیقت امر. لاحول ولاقوةالاباللّه قوت به‌مطلب نمی‌دهد، این زحمات اگر برای این است که چهارنفر عامی جاهل علی‌العمیا سری بجنبانند و به این مزخرفات محو و مات شوند و این اصطلاحات خالی را شنیده از میدان بیرون بروند، تسخیر احمقان به تمسخر و استهزای رندان نمی‌ارزد! کاش بجای اینهمه زحمت، یک مسئله علمی که مفید به اخلاق یا احوال مردم باشد بیان می‌کردند تا هم عوام استفاده کنند هم خواص تمجید نمایند.

اگر شهرت و شرف و قبول عامه و تعظیم خاصه را می‌خواهند، چرا از طریق مستقیم پیش نمی‌روند و در تنویر عقول و ترقی نفوس و اصلاح اخلاق و سعادت عموم نمی‌کوشند که می‌خواهند از غیر راه پاره نظریات و موهومات مضر برای مردم زیاد کرده نفوس مردم مستضعف را حیران و سرگردان بگذارند، تا آن بیچارگان در این میانه کور و کر بمانند و خرسواران روزی چند خر برانند!

می‌گویند ما مربی عقول و ارواح مردم هستیم اشهدکم باللّه آیا از روزی که این بزرگواران پیدا شده‌اند و این حرفها را می‌زنند و کتابهای بسیار در اینخصوص نوشته‌اند، بواسطهٔ این حرفها و کتابها کدام شعبه از امور ملک و ملت ترقی کرده؟ آیا صناعت پیش رفته یا زراعت ترقی نموده یا کار تجارت بالاگرفته یا بواسطه این سخنان مردم متیقظ و بیدار شده؟ نظام و قانون عدلی تأسیس کرده‌اند، یا علوم و معارف پیشرفت نموده است؟

جز اینکه مردم جاهلتر و چشم‌بسته‌تر و ظلماتی‌تر شده‌اند و بر موهومات آنها پارهٔ مزخرفات دیگر افزوده! ظلمات بعضها فوق بعض همه جای عالم را نور علم و معرفت فراگرفته حتی یهودیهای اسپانیول و تامارهای قازان ارمنیهای آماسیه. بیچاره ایرانیها را این حرفها از همه چیز بازداشته و از قافله ترقی دنیا عقب انداخته است دل خودشان را خوش کرده‌اند که ما اهل آخرت شده‌ایم: حساب آنهم با کرام‌الکاتبین است.

دنیا طلبیدند و بجائی نرسیدند | تا خود چه بود آخرت ناطلبیده

کسی که از ترتیب دنیوی خود عاجز بماند البته از کار آخرت به‌نحو اولی عاجز

است، **من لامعاش له لامعاد له**، تا ببینیم معنی آخرت نیز چه چیز است؟ اگر معنی آخرت‌طلبی روی از دنیاتافتن و طلبیدن منافع عمومی وحب ابنای نوع و فداکاری منافع جزئی شخصی خود در راه منفعت عامه باشد، به این معنی اهل آخرت صرف اهالی امریکا و انگلستان و بعد از آن سایر اهالی اروپا هستند و **ویل للمکذبین**، و اما اگر معنی آخرت فقط تحصیل منافع جزئی شخصی خود باشد و ترجیح یکذره منفعت جزئی خود بر ضرر کل کائنات و تنها به حفظ مال و جلب منافع خود اندیشیدن و اصلاً از حال ابناء جنس خود به‌خاطر نگذرانیدن و بد یکدیگر را خواستن و از آنچه از این قبیل است و در هر مورد لفظ «به من چه» را جزء اعظم پیشرفت خود ساختن، در این صورت اهل ایران بنده خاص خدا و اصحاب آخرت هستند! **فطوبی لهم** اگر معنی آخرت موهومات دور و درازبافتن باشد و کسالت و جهل و تنبلی را شعار خود ساختن، در اینصورت عرفای ایران خاک یک جوکی هندی را نتوانند برچید: چه در هر گوشه هندوستان یک هندوی برهمن صدبرابر این نظریات را بهم می‌بافد و عالم وجود را هنوز رؤیای حقتعالی گمان می‌کند. (**کانوا اشد منهم قوة**) وانگهی شریعت ما که سهلهٔ سمحه است اگر بنا شود در یک مسئله انشاالله، انسان دچار اینهمه مشکلات لاینحل بشود، هزار بار رحمت بر پدر بودا و برهمن و جوکیان حشاش هندوستان!.

خلاصه جای تأسف است که علمای روحانی و عرفانی سبحانی اینهمه سخن در موهوم مطلق برانند و معلوم مطلق را ندانند.

اوقاتی که سلطان محمد فاتح اسلامبول را محاصره کرده بودند و هر روز نقبها در شهر می‌زد و روضه‌ها در حصارها می‌افکند، اهالی روم به‌جای مدافعه اینحال هر روز جمعیت نموده با قیصر خود می‌رفتند در جامع ایاصوفیه که آنوقت کلیسای اعظم رومیان بود و بر سر این مسئله سخنان بسیار و مشاجرات بی‌شمار می‌راندند که آیا وقت کوفتن میخ بر بدن مبارک حضرت مسیح که به‌دار آویخته بود، آن میخها تنها به ناسوت آن حضرت خورد یا به لاهوت و ناسوتش هر دو؟!

جمعی می‌گفتند: به ناسوت آن حضرت اصابت نمود و به مرتبهٔ لاهوت ضرر نرسید

(چنانکه شیخیه می‌گویند: بدن اصلی حضرت سیدالشهداء مقتول و شهید نشد) و برخی می‌گویند که هم به‌ناسوت کارگر گشت هم به لاهوت و به این‌واسطه عالم سه روز بی‌خدا ماند!

مشاجره و مباحثه ایشان بر روی این مسئله روحانی هر روز کسب شهرت می‌کرد و ابداً به خیال مباحثه و مهاجمه عثمانیان نبودند بلکه می‌گفتند: اولاً بر ما کشف این مسئله فرض عین است که اصول عقایدمان فاسد و مختل نمانده بعد از آن باید بشناسیم نایب خاصی حضرت مسیح کیست؟ آنوقت به سایر چیزها باید پرداخت و گمان می‌کردند که حضرت عیسی، پاپ اعظم را تایید می‌فرماید و عثمانیان به یک دعای پاپ به زمین فرو می‌روند! خلاصه روزی در این بین که همگی در ایاصوفیه جمع بودند سلطان‌محمد فاتح وارد شهر و سرداران ترک داخل کلیسیای مزبور شده شاه پطریقیها را تماماً گرفته کشته و از دغدغه ناسوت و لاهوت خلاص کردند! اینک حال علمای ایران خصوص عرفا و شیخیه امروز همان نحواست فاعتبروا یا اولی‌الابصار.
مسائل مهمه خیلی معتنی به راکه اصل اساسی اسلام به آنها بسته است نسیا منیسا و مسکوت عنه گذاشته‌اند، از هر گوشه یک عارف نیمچه بیرون می‌آید، به هوای ریاست پاره عرفان پوشیده به قالب می‌زند و خود را نایب خاص امام عصر(ع) می‌خواند و باقی مسلمانان راکافر و ناصبی و مرتد دانسته، تجویز لعن بر آنها می‌نماید، بلکه تبّری از آنها و بغض اخوان دینی را جزء دین قرار می‌دهد. این است ثمره طیبه‌ای که از این سخنان بیرون آمده! تمام معلومات ایشان عبارت از همین چیزها شده و نام آنرا علوم آل محمد(ص) گذارده‌اند (استعیذالله عمایفترون)

عجبتر اینکه در هر علم و فنی خود را داخل می‌کنند و می‌خواهند به مریدان عامی بیچاره مشتبه نمایند که آقا همه علمی را می‌داند! و حال آنکه آن بیچاره از هیچ جا خبر ندارد!

دیگر عجب آنکه آقایان مکرم جغرافیای آسمان را وجب به‌وجب می‌دانند و جمیع کوچه‌ها و خانه‌های شهر جابلقا و جابلسا را نقشه برداشته‌اند، ولی از جغرافیای زمین هیچ خبر ندارند، حتی از شهر و دهات خودشان هم مطلع نیستند! و تاریخ

جان‌بن جان و اسامی ملائکه سموات و ارضین و هرچه در آتی واقع خواهد شد همه را خوب می‌دانند! اما از تاریخ ملت خودشان یا ملل عالم اقلاً به‌گوششان چیزی نرسیده و نمی‌دانند علت ترقی و تنزل ملل دنیا در هر زمان چه بود!؟.

یک‌نفر بچه ارمنی که از مکاتیب فنی بیرون می‌آید، اگر درمقابل او بگذارند که چقدر لسان مختلف می‌دانند و علوم کسب نموده، بیچاره خجل خواهد شد و دیگر ادعا نخواهد کرد! فرنگیان را مذمت می‌کنند که طالب دنیا هستند و هیچ از معاد و آخرت خبر ندارند و حال آنکه دنیاپرستی خودشان صددرصد بیشتر است و از برای تحصیل ریاست و حب جاه و ثروت بهرگونه رذالت و دنائت تن در داده‌اند، اگر اعتقاد داشتند البته به‌فریب‌دادن مردم راضی نمی‌شدند!

گوئیا بـاور نـمی‌دارنـد روز داوری   کاینهمه قلب و دغل در کار داور مـی‌کنند

بیچاره فرنگیان داخل در نظام و آبادی عالم هستند. اینها به‌عکس سعی در خرابی عالم و آدم دارند. فرنگیان در راه منافع ملت و نوع خود دائماً فداکاری می‌کنند! اینان جز خود دیگر کسی را زنده نمی‌خواهند ببینند. فرنگیان دنیا را از راهش طلب مـی‌کنند اینان از بی‌راه، فرنگیان همه محاسن دین اسلام را اتخاذ نموده‌اند، فقط یک اسم خالی از آن باقی مانده است. باکمال تأسف به علمای مسلمانان بشارت مـی‌دهم کـه تـا چندسال دیگر هم اسلامیت را هم از ما خواهند برد و ما را امت مـمسوخه حسـاب خواهند کرد. علما و مشایخ و مرشدهای ما چـنین گـمان مـی‌کنند کـه ایـن ریـاست بلااستحقاق و خرسواری مفت برای ایشان دائماً خواهد بود و همیشه سلطنت لایزال خواهند کرد و اگر در اروپا و آمریکا هم مسلمانی پیدا شود، می‌آید دست ایشان را می‌بوسد و تقلید ایشان را می‌کند: دیگر نمی‌دانند که جهالت دائمی خلاف عدل الهی است.

عنقریب عقلها منور و چشمها روشن و باز خواهد شد و مردم از فریب بیرون آمده این پالانها و بارها را از دوش خواهند افکند و حقیقت و زلال دیانت اسلام بـدون خرافاتی که بر آن افزوده‌اند، به میدان خواهد آمد. علوم و فنون عصریه خرافات را از گوش مردم بیرون می‌کنند و مردم از خیال مریدی و مرشدی مـنصرف مـی‌شوند و

هرکس به‌خیال زندگی و اصلاح امور ملت و نظم مملکت خود می‌افتند، زیراکه این مرید و مرشدبازیها با نظام عالم منافات کلی دارد. ملل فرنگستان تا از زیربار پاتریکها و پاپهای خود بیرون نرفتند به این درجه ترقی نرسیدند اوقاتیکه دچار خرافات و غرق تقلید رؤسای روحانی خود بودند هزاربار از اهالی ایران کارشان خرابتر بود.

بدیهی است هرکس این حرفها را بزند بلاتامل و بدون سؤال و جواب این علمای از همه‌جا بی‌خبر حکم به‌ذندقه و قتل و اعدام او مـی‌کنند کـه ای مـلعون بـه شـریعت استخفاف نمودی. از دین برگشتی! مرتد شدی! کافر هستی! قتلت واجب است! خونت هدر مالت مباح است! زیراکه این حرفها به دکان ما ضرر دارد و چشم و گوش مردم باز می‌شود از زیربار ما می‌روند هرچه این بیچاره دادکند و فریاد بزندکه والله من خدا را یکی می‌دانم پیغمبر خدا و معاد و قیامت و روز جزا و حشر و نشر و ائمه اثناعشر را بهتر از شما اعـتقاد دارم و مـی‌شناسم، مـقصودم از ایـن بـیانات تـرقی مسـلمانان و بیدارشدن علمای اسلام از خواب غفلت است، هیچ به‌خرج نخواهد رفت!

ولی چه چاره باید حرف حق راگفت و شنید و از هیچ‌چیز نترسید: البته ثمر هم خواهد داشت چنانکه گفته و از پیش رفت و ثمر کرد.

ای مومن هوشمند تو که این رساله مختصر را می‌خوانی خواهش دارم خوب دقت کنی و رساله رکن رابع را پیش رویت گذارده! و کلاه نیم‌قازی خود را قاضی قرار دهی و از روی انصاف محاکمه کنی پیش خود و ببینی که آیا از این عبارات ساده و جمله‌های کوتاه و معانی روشن که باکمال وضوح نوشته شده، بیشتر استفاده نمودی یا از آن نغمه‌های طویل و قصه‌های دراز و حرفهای کوسه و ریش پهن کـه سـروبن و مطلع و مقطع و مبتدا و خبرش معلوم نیست!؟ و آخرمطلب و مقصود در طی عبارات گم می‌شود و هرچه علی طولها آن عبارات فاضلانه و اصطلاحات مغلق حکیمانه را می‌خوانی وجدانت به زبان حال می‌گوید:

«کجا بودم اکنون فتادم کجا» نهایت این است که به‌وجدانت جواب می‌دهی که: من عامی هستم این عبارات حکمت‌آمیز را نمی‌فهمم، باید تسلیم شوم تا از اهـل ایـمان باشم! وجدان بیچاره‌ات جواب می‌دهد که:

ای مرد محترم کمال بی‌انصافی است که به‌چیز نفهمیده تصدیق کنی و تسلیم شوی همه چیز را گمان مکن که تو نفهمیدهٔ! آخر شاید گوینده نفهمیده باشد! وانگهی سخن و کلام برای تفهیم و تفهم است، اگر آن مرشد تو منطق و **کلّم‌الناس علی قدر عقولهم** را می‌دانست طوری می‌گفت و می‌نوشت که همه کس بفهمند و استفاده کند! باری گرفتیم که آن رساله یابو تخلص را نفهمیدی این مختصر را با این وضوح عبارات که می‌فهمی!

ملاحظه کن و انصاف بده که با این قلت حجم صدبرابر رساله آن گوشوار عرش خداست! هرچه در آن رساله است روح و جوهر تمام آنها با اجوبه و اعتراضات و مطالب عدیده دیگر در این مختصر گنجیده! اگر مقصود صاحب رساله اینست که تو نفهمیده قبول کنی، مقصود ما اینست که تنها تو بفهمی خواهی قبول کن و خواهی قبول مکن. ما فهمیدن از تو می‌خواهیم نه باورکردن.

نظر به وضوح عبارات و سهولت الفاظ این رساله را تحقیر و استخفاف مکن این الفاظ سهل ممتنع را ببین که عالمی معانی در یک جمله کوچک او منطوی است. و این حجت نورانیّه را مشاهده نماکه اثبات خود را درضمن معانی خود مندرج دارد.

هذا عذب فرات و هذا ملح اجاج (باید هر درختی را از میوه‌اش شناخت)

پایان[1]

---

۱. همانطورکه ملاحظه فرمودید، همهٔ مسائل این رساله (انشاءالله و ماشاءالله) از سیدجمال‌الدین نیست، بلکه بخشی از آن، در پاسخ و توضیح مسئلهٔ از سیدجمال‌الدین است.

طبق نوشته م. وحیدزاده در مجله «ارمغان» شماره ۴ سال ۲۳: در شب جمعه اول رجب سال ۱۳۰۱ ه. ق، ــدرست یکصد و بیست سال و پیش ــ محفلی در منزل یوسف رضا پاشا با حضور جمعی از علما و فضلاء بزرگ ایرانی و عثمانی مانند: شیخ‌ابوالهدی، احمد اسعد افندی، ابوالمقامی بهجت بیک، سید برهان‌الدین (فرزند شیخ سلیمان بلخی مؤلف ینابیع‌الموده ره) و ایرانیانی چون: سید جمال‌الدین اسد آبادی، شیخ‌الرئیس، میرزا آقاخان کرمانی، تشکیل شده بود... آن شب بحث بر سر مسئله «انشاءالله و ماشاءالله» بوده و سید جمال‌الدین بعنوان «داور» مطالبی بیان داشته که میرزا آقاخان کرمانی آن را «صورت مجلس» نموده و بیانات سید را بشکل رساله‌ای مستقل منتشر ساخته است. نسخه‌ای از این رساله بدست آقای وحیدزاده رسیده و او آن را در مجلهٔ «ارمغان» چاپ تهران، سال ۲۳ شماره ۴ و ۵ منتشر ساخته است که اینک برای استفاده عموم، در ضمن مجموعه آثار سید، به نقل آن پرداختیم...

خسروشاهی



۱۰

قصه‌های استاد

شوم و اقبال

شاهزاده عزیز!

دلبر و اژدها

دلربا!



یادآوری

قصه‌های استاد که برای اولین بار در ضمن مجموعه مقالات سید نقل می‌شود، شامل چهار داستان است که بصورت مخطوط در بین مجموعه آثار و مقالات سید، در «کتابخانه مجلس شورای اسلامی» نگهداری می‌شود.

نگارنده در ضمن تحقیق و بررسی این آثار و مجموعه، به این چهار داستان برخوردم و کپی کامل آنها به لطف استاد عبدالحسین حائری رئیس سابق کتابخانه مجلس، در اختیار اینجانب قرار گرفت و هدف آن بود که در ضمن آثار و مقالات سید چاپ شود... اما تأخیر ما در نشر آثار سید، سبب شد که مرحوم ابوالفضل قاسمی این داستانها را که نسخه عکسی آنها در کتابخانه مرکزی دانشگاه تهران نیز موجود است تحت عنوان: «قصه‌های استاد» در سال ۱۳۵۳، منتشر سازد... برای مراعات «حق تقدم» ایشان، مطلبی را که در مقدمه خود نوشته است، نقل می‌کنیم، تا علاوه بر آگاهی از یک دیدگاه، کوشش مرحوم قاسمی را پاس داشته باشیم!.

«ابوالفضل قاسمی» در ضمن مقدمه مشروحی که درباره مبارزات سید نوشته و او را «شهید راه آزادی» نامیده است، درباره این قصه‌ها چنین می‌نویسد:

«... تا بدانجائی که ما سیدجمال‌الدین اسدآبادی را شناخته‌ایم او پیشوای دانشمند و قهرمانی پرتحرک، سیاستمداری ضد استعماری، دینداری واقع‌بین، مجاهدی دور از پیرایه و دارای زندگی ساده بود که با تاکتیکهای متداول و مترقی زمان خود: مقاله‌نویسی، سخنرانی، مصاحبه و میتینگ به جنگ دشمنان می‌رفت، مردم را بیدار و متشکل می‌ساخت. در هر جا از مقالات سنگین و سیاسی و سخنان پراحساس او دشمنان در بیم و هراس بودند. تاکنون مقالات دینی و علمی و سخنرانیهای اجتماعی و سیاسی زیاد از او طبع و نشر گردیده است.

ولی شاید امروز شما با شگفتی زیاد بشنوید که سید در یکی از رشته‌های مهم ادبیات و تبلیغات نیز دست داشته است و برای روشن کردن مردم از این شیوه نیز استفاده نموده است.

آری! اسدآبادی قصه‌نویس و قصه‌گوی زبردستی نیز بوده و در این راه دارای دبستان و شیوه ویژه‌ای بوده است. قصه‌های سید مثل سایر کارهای او خلاق، فیاض و از لحاظ فکری برانگیزنده و از لحاظ اخلاقی آموزنده و از جنبه اجتماعی سازنده است.

قصه‌گوئی در زمانهای گذشته بیشتر جنبه سرگرم‌کننده و تفننی و تفریحی داشته است و خواننده کمتر از آن دریافت فکری و اجتماعی می‌کرده است. اگر هم قصه‌گوئی در شرق با هدفهای اجتماعی و انسانی نوشته شده است چون نویسنده نخواسته با صراحت از آن استنتاج انسانی و اخلاقی نماید، کمتر خواننده متوجه جنبه‌های ویژه این نوع داستانها شده است.

قصه‌گو قصه خود را می‌گوید و در پایان بی‌آنکه نتیجه‌گیری و جهت‌یابی کند خواننده را به حال خود ول می‌کند تا هر کس به قدر فهم و گمان و دانش و احساس خود از آن بهره برگیرد.

ولی نویسنده این قصه که زندگیش از آغاز تا انجام کشش و کوشش، سازندگی و آموزندگی، بیداری و هشیاری مردم و تشکل قوا در جهت محو بدیها و پلیدی‌هاست، در قصه‌های خود خواننده را به حال خود نمی‌گذارد.

سید در پایان قصه‌ها از خواننده‌ها می‌خواهد درباره حوادث و رویدادهای آن قصه بیندیشند، فکر خود را به کار بیاندازند و آنچه از قصه فهمیده‌اند بگویند. سپس خود گفته‌های آنان را اصلاح می‌کند و از داستانها نتایج اجتماعی و دینی و سیاسی می‌گیرد. بنابراین ما در این داستانها دو چیز می‌بینیم: یکی قصه‌گوئی که خود از آغاز و تا انجام زندگی در راه تحقق آرمانهای انسانی کوشا بوده است و دیگری داستانهائی که جنبه آموزندگی اخلاقی و انسانی دارد.

سلطان عبدالحمید در سالهای آخر عمر سید همینکه دید اندیشه‌ها و کردارهای

سید چه موجی از تحول را در همه جا پدید آورده است و بنیاد کاخهای بیدادگری را سست و لرزان ساخته است، به قول خود او را «مشغول تدوین کتاب» می‌کند!

قصه‌های سید در این روزها خلق شده است. عکس خطی این قصه‌ها را نگارنده در کتابخانه دانشگاه تهران جزء اسناد و مقالات تاریخی تحت شماره ۶۳۴۳ گنجینه عکسی یافتم.

در این قصه‌ها شما مختصر تغییرات کلامی و دستوری خواهید دید، با اینکه نگارنده کوشیده است چیزی کم و یا اضافه بر عبارات نشود ولی ناخوانا بودن و یا نارسایی و بعضی ضروریات و ملاحظات موجب گردید کلماتی جانشین و یا تغییر داده شود و این کار بقدری ناچیز است که در حکم هیچ تغییر نیست.»

تهران مرداد ماه ۱۳۵۳[1]

* * *

اشاره به این نکته نیز ضروری است که این قصه‌ها، بخط خود سید نیست... و ظاهراً طبق روش تقریباً همیشگی، سید قصه‌ها را بیان می‌داشته و یکی از شاگردان و یا علاقمندان وی آنها را می‌نوشته است... و با توجه به وضع سید در اواخر عمر، و اشاره به این امر که قصه‌ها محتوائی هماهنگ با اندیشه‌های وی دارد و اینکه تنها نسخه خطی آنها، در بین آثار مخطوط سید پیدا نشده است، می‌توان اطمینان یافت که قصه‌ها از سید و تحریر از دیگران است...

البته در این چاپ، ما علائمی از قبیل «ویرگول، خط تیره، تعجب و گیومه» به تناسب بر آن افزوده‌ایم تا قرائت آن آسانتر و مطالب برای خواننده مفهوم‌تر باشد... والسلام.

۱۳۷۹ ـ تهران: خسروشاهی

---

۱. قصه‌های استاد ـ به کوشش و مقدمه ابوالفضل قاسمی، چاپ تهران ۱۳۵۳، انتشارات توس ـ مقدمه.

شوم و اقبال

در زمان پیش ملکه‌ای بود دو پسر زاد بچهر چون ماه و مهر بودند، یک پریزاد که دوست ملکه بود، خواهش نمود که مادر روحانی آنها باشد! پری به ملکه گفت: پسر بزرگ شما تا بیست و پنج سالگی به زحمت‌های بسیار دچار و به‌دردهای بیشمار گرفتار خواهد شد من او را «شوم» نام می‌گذارم.

از این سخن، ملکه فریاد برآورد و از پری تمنا کرد که این بلا را از او بگرداند.

پری گفت: شما چیزی می‌پرسید که انجام آن را نمی‌دانید، اگر او به درد و غم بسیار و فلاکت بیشمار دچار نباشد بدکار و مردم‌آزار گشته تمیز نیک و بد نخواهد داد، از مصائب روزگار تجربه نکرده و از حال ستمدیدگان خبردار نتواند شد.

ملکه دیگر نتوانست دم درکشد مگر از پری تمنا کرد برای پسر دومش بخت و حالت خوب انتخاب نماید! پری گفت: ای ملکه انتخاب بکن هر آنچه خواهی، اما لازم است هرچه بخواهید من به او اتفاق کنم.

ملکه گفت: می‌خواهم پسرم به آرزوی خود رسد، کارها بر وفق مرام او صورت انجام پذیرد.

پری گفت: عجب آرزوست، ولی فریب خوردید و مغبون شدید.

باری شهزادگان را به دایه‌ها سپردند، روز سوم دایه فرزند بزرگ بیمار و تبدار گشت. به دایه دیگر دادند آنهم از نردبان افتاد پایش شکست، دایه سوم آوردند، شیر این دایه خشکید.

به شهر آوازه درافتاد که دایه‌های شوم، از شومی او هریک به دردی گرفتار شدند، دیگر کس از ترس نتوانست به او نزدیکی نماید، آن کودک فقیر از گرسنگی گریه می‌نمود کس نبود به او شیر دهد.

زن دهقانی که بسیار فرزند داشت و راه گذران از جائی نداشت، عرض حال داد که من دایگی شوم را می‌پذیرم، اگر ماهی پنج هزار غروش مقرر فرمایند بمن برسد.

ملک و ملکه که شوم را دوست نمی‌داشتند گفتند هر چه خواهد بـه زن دهـقان بدهند، تا شوم را به خانه خود ببرند و بپرورد.

پسر دویم را که اقبال می‌نامیدند، به‌خلاف شوم به ناز و نعمت مـی‌پروریدند، و هیچ از پسر بزرگ خود به‌خاطر نیاوردند. زن غدار که شوم را به او داده بودند، بعد از چند روز قنداق حریر و جامه رنگین از تن شوم بیرون کرد به پسر خود که همسن او بود پوشانید، شوم را به قنداق کهنه پیچیده برداشته در میان بیشه برده به گودالی که دو سه بچه شیر در آنجا بود گذاشت تا بچه‌های شیر او را از هم دریده و بخورند.

خداوند مولف‌القلوب محبت او را در دل شیران انداخت که هیچ، از آنها اذیتی نیز به شوم نرسید، بلکه مادر شیر او را چون بچه‌هایش شیر داد. در مدت شش ماه چنان زورمند و توانا گشت که تنها به‌هرسو می‌رفت و می‌دوید.

ملک و ملکه از شنیدن مرگ شوم خرسند شدند.

اما شوم تا دو سال تمام درمیان بیشه با شیربچه‌ها گذرانید، تا آنکه روزی یکی از بزرگان درگاه سلطان که به‌شکار رفته بود، درمیان جنگل شوم را دید تعجب کرد، دلش به‌حال او سوخت او را برداشته به‌خانه خود آورد. این واقعه را به‌شاه عرض کرد. شاه گفت اگر خوب است ما یکنفر برای هم‌مکتبی اقبال می‌خواهیم، او را بیاورید با اقبال همدرس شود.

خلاصه هر دو را به ادیب ماهر سپردند تا به آنها نوشتن و خواندن آموزد، اقبال را نگریاند. اقبال چون این سخن شنید هرگاه استاد به او امر بر خواندن و نوشتن می‌کرد گریه می‌نمود، تا مدت پنج‌سال هیچ نیاموخت به‌خلاف او، شوم ذخیره از خواندن و نوشتن اندوخت چون اهمال اقبال را فهمیدند، خواستند تن به کار دهد، امر بر ادیب کردند هرگاه اقبال در کار خود قصور ورزد، برای ترسانیدن او شوم را بزنند. چون او را استاد می‌زد، اقبال زیاد خوشحال می‌شد و در کارها اهمال می‌کرد تا شوم را بزنند.

خلاصه این همه چوب‌خوردن و رنج‌بردن شوم، او را از کار بازنداشت زیاد همت

بر تحصیل فنون گماشت، قصور اقبال واسطه کمال شوم شد. اقبال به خودسری پرورش یافت پیوسته شوم را آزار می‌داد هرگاه چیزی در دست شوم می‌دید او را می‌ربود، هرگاه شوم می‌خواستِ گفتگو نماید نمی‌گذاشت، هرگاه خاموش می‌شد به گفتن مجبور می‌داشت.

مختصر: بیچاره شوم جفاکش خرد بود که کس به او مرحمت نمی‌نمود. تا دوازده سال بر این برآمد. ملکه از جهالت اقبال پرملال شد به‌خود گفت: پری مرا فریب داد، می‌پنداشتم که پسرم را درمیان اقران و امثال از همه اطفال مردم قابلتر و داناتر کرد و از اینکه تمناکرده بودم از پری که پسرم به‌هرکاری اقبال نماید کمال پذیرد و به‌خلاف، بدتر از جهال گشت. هماندم پری حاضر شد و گفت:

خانم افندی می‌بایستی بخواهی که پسرت دانشمند و خردمند باشد نه اینکه هرچه بخواهد به او میسر شود. همین است می‌خواهد بدکار و مردم‌آزار باشد، چنانکه می‌بینی، پس از گفتن این سخنان پری پشت به ملکه کرد بیرون رفت. ملکه به غایت مکدر به‌سرای اقبال رفت خواست او را سرزنش نماید تا میل به تحصیل کمال کند. اقبال گفت اگر می‌خواهید مرا ملامت و مذمت نمائید، خود را از گرسنگی هلاک خواهم کرد. ملکه ترسید او را به‌بر کشید، سروصورتش را بوسید، نقل و شیرینی به او داد و رخصت آزادی تا هشت روز از استادش خواست تا درس نخواند هرچه خواهد بکند.

ولی شوم به‌خوبی کسب علوم و اخلاق حمیده و اطوار پسندیده کرده مطلوب همه شد و هرجا بر او آفرین می‌گفتند و ثنای او می‌کردند. اقبال به رشک آمد که او را از خود داناتر بیند، نخست به ملازمان خود امر نمود تا او را بزنند و برنجانند بلکه خود شوم به‌ستوه آمده از سرای بیرون رود. شوم دید چندان که رنج می‌دهند صبر و بردباریش افزونتر می‌شود، پیش ملکه آمد و گفت من از شوم بیزار شدم و از رفاقت او چندان دلتنگ گشته‌ام که چشم دیدن او ندارم که در این سرای باشند، دیگر از غصه نان نخواهم خورد. ملکه ترسید، هماندم امر کرد شوم را در آن دل شب از سرای بیرون کردند.

بیچاره شوم آواره و حیران راه به‌جائی نبرد. آنشب زیر درختی بسر برد، امـا از غایت سردی تنش چون یخ بسته بود.

کسی او را به‌خانه خویش راه نمی‌داد چونکه می‌دانستند مطرود و مردود شاه و شهزاده است. شوم اندیشید و به‌خود گفت می‌باید کار کرد و گذران نـمود تـا چـنان بزرگ باشم که قابل خدمت سلطان گردم. چون در خاطر دارم که در تاریخ خواندم بسیاری، از سپاهیگری به سپهسالاری رسیده‌اند، شاید من هم بدان درجه برسم. نه پدر دارم نه مادر، ولی خداوند پدر و مادر حقیقی یتیمهاست و کس و بیکس‌ها، چنانچه در بچگی شیر را به‌دایگی من مقرر فرمود یقین است هیچگاه مرا ترک نخواهد فرمود. این سخنان را گفت و برخاست نماز کرد نیاز به پیشگاه خداوند بی‌نیاز نمود، زیرا که شام و سحر از عبادت خود غفلت نداشت، هرگاه نماز می‌کرد قطع توجه از ماسوی می‌نمود. در این حال دهقانی بر او بگذشت دید جوانی با کمال حـضور قـلب نـماز می‌خواند، به‌خود گفت یقین دارم این پسر راستکار و خجسته سیر خواهد شد، بهتر آنست او را برای خدمت به خانه خویش ببرم، شاید سبب برکت و فزونی نعمت گردد. دهقان صبر کرد تا شوم از نماز فراغت یافت به او گفت: ای جوان می‌خواهید شبانی گله مرا به عهده خود گیری، من هم خوردن و پوشیدن ترا متکفل باشم. شوم جواب داد: این خدمت را می‌پذیرم و هرچه از دستم برآید درخدمت قـصور نـورزم. ایـن مـرد دهقان زمین‌دار بزرگ، مال و منال و ملازمان بسیار داشت کـه هـمه بـه او خـیانت می‌کردند، حتی زن و فرزندان او به‌همدستی ملازمان از مال او می‌دزدیدند.

وقتی‌که شوم را دیدند خورسند شدند که این کودک است، هـرگونه فـریب او را توانیم داد. شوم مشغول شبانی شد. روزی زن دهگان به او گفت: ای فرزند، شوهرم بسیار حریص است هیچ چیز به‌من نمی‌دهد بگذار گوسفندی بـردارم بـفروشم اگـر شوهرم از تو پرسید، بگو گرگ برد و خـورد. شـوم گـفت هـرچـه خـواهـی بـه‌جان می‌پذیرم، ولی دروغ‌گفتن و خیانت به ولی‌نعمت به‌من دشوارتر از مردن است، بلکه مردن هزاربار از آن آسانتر است. زن گفت: تو کودکی هیچ از دست تو برنمی‌آید.

شوم گفت: از خدا می‌ترسم زیـرا کـه خـداونـد دزد و خـیانتکار و دروغگـو را

مجازات می‌کند. چون زن این سخنان را شنید خود را بروی وی انداخت چند طپانچه زد و موهایش را کند. بیچاره شوم گریه سر کرد مرد دهقان شنید از زنش پرسید: چرا این بچه را زدی؟ گفت: البته می‌زنم او رفته همه مسکه‌ها را خورده می‌خواستم آنها را به بازار برده بفروشم و به مصرف خانه برسانم.

مرد گفت: گرسنه چشمی بد است، باید او را خوب چوبکاری کرد تا دیگر از اینکارها نکند، به ملازمان خود امر کرد اورا با چوب کتک بزنند.

آن بیچاره هرچه فریاد می‌کرد: هرگز من مسکه نخورده‌ام، کسی باور نمی‌کرد. باری شوم گوسفندها را برداشته به دشت برد، زن پیش او رفت و گفت: عقلت به‌سرت آمد حال یک گوسفند به من می‌دهی یا نه؟

شوم گفت: هرچه می‌خواهی به‌من بکن ولی به دروغ‌گوئی مجبور نخواهم شد.

چون زن این سخن شنید از او نومید شد، شوم شب و روز در صحرا می‌ماند مختصر نانی به او می‌رسانیدند، ولی سایر ملازمان و خدمتکاران از همه‌گونه نعمت برخوردار بودند.

خلاصه یکسال بدین منوال شوم خدمت دهقان کرد اگر چه همه‌اش را در بیابان گذرانید، بسترش زمین و لحافش آسمان، بالشش سنگ، قوتش غصه و غم و شرنگ بود، ولی چندان تنومند و خردمند شد که با وجود سیزده‌سالگی پانزده ساله‌اش می‌پنداشتند، مصائب دهر او را شیوه صبر و تحمل آموخت، تسلیم و توکل اندوخت، چندان به زحمات خو کرد که هیچ از سخن ناملایم از جا درنمی‌رفت، روزی از مردم شنید که سلطان کشور با پادشاه دیگر آغاز جنگ کرده از افندی خود رخصت طلبید به اردوی شاه رفت، نزد سرتیپی که نصف جیره و مواجب سرباز را خود می‌خورد! به‌خدمت سپاهیگری تا پانزده سال مقید شد.

اهمیتش در پیش آن سرتیپ افزونتر از زحماتی بود که در پیش دهقان کشیده بود. اگرچه بسیاری از سربازان از ستم سرتیپ می‌گریختند، اما شوم به خود می‌گفت من تا به ده سال باید مقید شوم، خدمت نمایم. اگر از سخن خود بازگردم خیانت به پادشاه و خلاف گفتار کرده‌ام و این دور از راستی و عهد درستی است. سرتیپ اگرچه بدرفتاری

چنانچه با دیگران داشت به شوم می‌کرد، ولی چون شوم در ایفای مراسم خدمت جاهد و ساعی بود، احترام او بیش از همه دیگران بود.

چنانچه پول مصارف فوج و خانه خود به دست شوم داده بود.

سرتیپ اگرچه نوشتن و خواندن نمی‌دانست ولی کتابخانه خوبی داشت! از اینکه مردمان که پیش او می‌آیند چنان پندارند که مرد دانا و تاریخدان است! چون شوم از خدمات محوله به خود فراغت می‌یافت، بر آن کتابخانه می‌رفت و مطالعه کتب می‌نمود، ویژه کتب نظام را به‌خوبی خواند، چنانچه شایسته سپهسالاری شد.

باری پادشاه را دشمنی که بود نزدیک آمد سرتیپ مأمور مقابله شد روزی سرتیپ هفت نفر سرباز با شوم برداشت رفت به جنگلی که ملاحظه جای کمینگاه نماید، آن هفت‌نفر فرصت جسته به خود گفتند باید این سرتیپ را کشت، تا از دست او خلاص شویم. شوم به آنها گفت: نباید این کار بد را کرد مأمور پادشاه را کشتن ناموس دولت شکستن است. سخن او نپذیرفتند سهل است گفتند ترا هم با او می‌کشیم اگر با ما در این کار همکار مباشی، هرکدام شمشیر به‌دست گرفته روبه جانب سرتیپ نهادند. شوم چون این را دید خود را به‌روی سرتیپ انداخت و خود را به ضربتهای آنان سپر ساخت، شمشیر کشید با آنها تنها مقابله نمود، چندان کوشید چهارنفر از آنها را کشت باقی دیگر گریختند.

چون سرتیپ این جان‌نثاری و خدمتگذاری را از شوم مشاهده کرد، عذر تقصیرها و بدیهائی که به او کرده بود خواست و سرودست او را بوسید.

گفت: بعد از این زندگانی من از تست. به‌حضور شاه رفته سرگذشت او را عرض کرد. پادشاه شوم را طلبید مورد الطاف قرار داد به‌علاوه منصب سرتیپی وظیفه و مستمری برای او درنظر گرفت... شوم سربازان را چون فرزندان خویش می‌پنداشت بسیار دوست می‌داشت هرکدام بیمار و خسته و زخمدار می‌شد، پرستاری و غمخواری و خدمتگزاری می‌کرد و هریک فقیر و مستمند می‌شد از پول مخصوص خود به آنان دستگیری می‌نمود، با همه خوشرفتاری و نیکوکاری داشت و از احترام هیچکس ذره‌ای فروگذار نمی‌کرد.

باری جنگی بزرگ در این روزها واقع شد که سپهسالار در آن جنگ کشته گشت. لشگر آهنگ گریز کردند، شوم شمشیر به‌دست گرفته به آواز بلند فریاد برآورد: ای مردان بکوشید تا جامه زنان نپوشید! مردن بهتر است از پشت کردن به دشمن.

سربازی که وابسته شوم بود آواز برآورد که همه خواهیم مرد در راه او جان‌بازی خواهیم کرد، هرگز ترا درمیان دشمن نخواهیم گذاشت.

فراریها چون این جسارت را از فوج شوم دیدند، همه بازپس گشتند و به دور شوم صف‌بسته ایستادند، منتظر امر شوم شدند.

شوم دلیرانه شمشیر کشیده خود را بر سپاه دشمن زد، لشکر هم پشت او راگرفتند چندان کوشیدند که سپاه دشمن را از جای برداشتند پسر پادشاه دشمن راگرفتند به‌زنجیر کردند، مظفر و منصور به‌خدمت شاه آمدند.

چون شاه به‌یقین دانست این نیرومندی از شوم است، او را سپهسالار کرد به ملکه و دختر خودش شیرین معرفی نمود...

وقتی شوم دختر شاه را دید مفتون جمال او شد، از عشق او شب و روز قرار و آرام نداشت! به دردمندی می‌گذرانید و سر عشق را به کسی نمی‌گفت ولی پیدا بود.

دردش صدچندان افزود وقتی که شنید اقبال (برادرش) ایلچی بـه خـواستگاری شیرین فرستاده از غصه هر دم می‌مرد و زنده می‌شد. چون شیرین به‌خوبی دانسته و فهمیده بود که اقبال جوان فرومایه‌ای است از پدرش درخواست کـرد عـذر ایـلچی بخواهد که هرگز به همسری اقبال راضی نخواهد شد. پادشاه به ایلچی جواب داد: که شیرین به شوهرکردن راضی نمی‌شود. چون اقبال... از این جواب برآشفت پدرش هم که از او چیزی دریغ نداشت اعلان حرب به پدر شیرین کرد؟ پادشاه از این اعـلان جنگ هرگز دلتنگ نگشته می‌گفت: مثل شوم سپهسالار دارم چه باک از معامله اقبال دارم؟ هماندم فرستاد سپهسالار شوم را آوردند به او گفت تدارک جنگ نماید.

اما شوم خود را به پای شاه انداخت و عرض کرد: قربانت شوم من در مملکت اقبال زاده‌ام، نمی‌توانم به روی شاه وطن خویش شمشیر کشم. پدر شیرین بسیار برآشفت گفت: اگر از فرمان من سرباز زنی ترا خواهم کشت و اگر فرمان بری فتح نمائی دختر

خود شهزاده شیرین را به تو خواهم داد. بیچاره شوم که این سخن شنید، و با اینکه شیرین را بسیار دوست می‌داشت هیچ نگفت از خدمت شاه برخاست و به‌خانه آمد، خانه را با سروسامانی که داشت واگذاشت و گریخت.

از طرف اقبال تدارک لشکر شد خود سپهسالار گشت روبه‌راه نهاد چون پیوسته به ناز و نعمت پرورده شده گاهی سرد و گرم روزگار ندیده بود، بعد از چهار روز سفر بیچاره بیمار شد ایلچی که پیش پادشاه پدر شیرین برگشته بود سرگذشت را می‌گفت در این ضمن گفت: پدر شیرین یک جوانی را از سرای خود راند که دختر خود را به او وعده کرده بود.

اقبال از شنیدن این سخن بهم برآمد همین‌که صحت یافت کوچ کرد رفت جنگ نمود غلبه کرد، اگرچه خودش محاربه نکرد... مردم بسیار در کوه و بیابان برای جستن شوم پراکنده شدند شوم را دست‌بسته گرفته بیاورند...

اقبال از گرفتاری شوم خورسند شد خواست پیش از گرفتن شهر شوم را برده به دشمن بنماید.

روز مولود اقبال بود بزرگان درگاه را خواست اسباب کامرانی گسترده، بزم عیش و شادمانی چیده سربازهای پدر شیرین که در شهر بودند گرفتاری شوم را شنیدند فهمیدند که بعد از چندساعتی او را خواهند کشت، عزم کردند یا همه بمیرند یا او را رها سازند، زیرا خوبیهای او را همه درخاطر داشتند. همگی از شاه رخصت خواستند که بیرون رفته جنگ نمایند.

سربازان بیرون رفتند جنگ بزرگ نموده غلبه کردند چون اقبال برگشته بود در هنگام گریز کشته شد. عسگر منصور شوم را پیدا کرده زنجیر از دست و پایش برداشتند در همان ساعت در هوا دو عرابه از نور درخشید و پدیدار شد پری در یکی از عرابه‌ها بود درمیان دیگری پدر و مادر شوم خوابیده بودند! همینکه عرابه به‌زمین رسید بیدار شدند خود را درمیان لشکر دیده به‌حیرت فروماندند آندم پسری به‌شاه خطاب کرد شوم را به آنها نمود و گفت: بشناسید این قهرمان دلاور پسر بزرگ خود را، زحمتها کشید تا طبیعت خود را ساکن کرد و حدت را از خود دور نمود و اخلاق

خوب کسب کرد شیوهٔ صبر و تحمل را در کارها پیش گرفت، برعکس او اقبال که در مهد عزوناز و جلال پرورده شده و اخلاق او از خوش‌آمدگان فاسد گشت. خدا نخواست بسیار عمر نماید و از او آزار به‌مردم رسد.

پدر شیرین همینکه سرگذشت او را از سرتاپا شنید خورسند شد دختر خود را به او داد مدتی متمادی در کمال فراغت زندگانی و عیش و کامرانی کردند به‌جهت اینکه به‌راستی اتحاد ورزیدند.

عزت‌خانم آهی کشید گفت: آه بسیار خورسند شدم از اینکه شوم به درجه فراغت و آسودگی رسید، همیشه می‌ترسیدم مبادا اقبال او را بکشد.

استاد گفت: خانم افندی‌ها یقین دارم درمیان شما کسی نیست که از کشته‌شدن اقبال خشنود نباشد.

مریم‌خانم گفت: من‌که بسیار خشنودم زیرا اگر کشته نمی‌شد پیوسته آزار او به برادرش می‌رسید.

استاد گفت: خانم افندی‌ها راست می‌گویند؛ اگر من به‌جای پری می‌بودم مادر کودن او را مجازات می‌کردم... اما فرزندان من ببینید تامل نمائید که همه شوم را می‌پسندید و دوست می‌دارید، اقبال را رد می‌کنید از او کراهت دارید. بسیار خوب کنون خیال کنید که همه مردم همچون شما همیشه خوبان را دوست دارند و از بدان دوری می‌جویند. بپرهیزید هرگاه به آدم درستکار آزاری رسید همه مردم غصه و افسوس می‌خورند، حتی کسانی که او را نمی‌شناسند.

فرزندان من این را نگاهدارید و در خاطر ضبط نمائید توانگری به مال و جاه، سرمایه و عزت و اعتبار نیست. مگر راستی و فضیلت به‌چه کار می‌خورد. اگر توانگر باشید زر و سیم اندوخته‌اید. **در دنیا هیچ دولتی بهتر از نیکنامی نیست و هیچ حسنی خوشتر از حسن خلق نمی‌باشد هرگاه دست کرم، زبان خوش، سیرت خوب، حسن خلق نداشته باشید همه از شما نفرت جویند اگرچه پدر و مادر باشند.**

فطرت خانم: دریغ این راست است ای استاد دایه و خدمتکار و پدر و مادر و خواهر من و حتی ملازمان عم من مرا نمی‌توانند ببینند، ولی شما می‌دانید که من می‌خواهم به اصلاح خود بکوشم.

استاد: آری ای عزیز من! اگر پندهای مرا گوش کنید به مقصود خواهی رسید.

فطرت‌خانم: بسیار خوب ای استاد هرچه بفرمائید عمل خواهم کرد.

استاد: خانم افندی! بسیار خوب مثلاً نامه ترا آهسته خواندم، اگر تو دختر خوب می‌بودی بایستی رخصت دهی مرا تا آن را بلند بخوانم، اگرچه می‌دانم شرمسار خواهی شد لیک همین شرمساری ترا از بدکاری منع خواهد کرد.

فطرت‌خانم: استاد اگر می‌دانید که سبب خوب شدن من است، او را به‌جان می‌خواهم.

استاد: آری من این را با شما عهد می‌کنم، وقتی که خواستی به گناه خویش اقرار کنی، خودبه‌خود اندیشه‌ای نمائی که دیگر نمی‌کنم به‌شما سخن می‌دهم که شما آنچه می‌کنید بنویسید تا در حضور خانم‌ها بخوانم البته از ترس اینکه مردم کارهای ترا بشنوند، ترا منع می‌کنند که دیگر آن را نکنی. اکنون کاغذ را ببینم، بیا نزد من! که ترا به‌بر گیرم! زیرا از تو بسیار خشنود شدم که می‌خواهی به آواز بلند بخوانی.

فطرت: نه استاد شرم می‌کنم.

استاد: این نشانه خوبی است که شرمسار می‌شوی ـ بسیار خوب من می‌خوانم.

... ـ امر دایه افندی را نپذیرفتم و گفتم که او بسیار گستاخی کرد که به من امر نمود چونکه او خدمتکار من است و دیگر گفتم آنقدر می‌خواهم ترا به‌حدت آورم که مرا بزنی و پای و دست مرا بشکنی، تا ترا از خانه بیرون کنند.

فطرت‌خانم گریه کنان می‌گوید: آه استاد خانم‌ها نمی‌خواهند من با آنها باشم، زیرا که می‌دانند من بدخویم.

استاد گفت: خانم افندی! بسیار خوب، اما آنها می‌بینند تو چقدر خوبی، کار خویش می‌خواهی. ای فرزندان من گوش کنید کسی نیست بی‌جرم بوده باشد، پیران رستگار هنگام جوانی گناه از ستمکاران زیادتر کرده‌اند، اما به اصلاح حال خود کوشیدند تا از اخلاق ذمیمه رسته به اخلاق حمیده پیوستند.

از این بهتر بگویم: هنگامی که من خرد بودم از شما بدتر بودم، اما یک دایه خوب داشتم که مرا دوست می‌داشت. همت به تربیت من گماشت من هم پندهای او را گوش کردم، در مدت دوماه خیلی تغییر حالت کردم که گوئی آن نبودم به‌شما هرگز...

فطرت‌خانم: خانم افندی گریه مکن ما از دل و جان شما را دوست می‌داریم، من خود یقین دارم دیگر از اینگونه کارها نخواهی کرد.

فطنت گفت: استاد چندی پیش در تاریخ خواندم فیلسوف بزرگی بود که همه مردم به‌سبب خوشرفتاری او به‌جان او را ارجمند می‌کردند به صلاح حال و عفت و درستکاری او اقرار داشتند. (ولی در ابتدا) مردم‌آزار و غماز و دروغگو بود، کسی باور نمی‌کرد، زیراکه عادات بد را به‌خوبی تغییر داده بود.

همچنان عزت‌خانم وقتی که بزرگ خواهد شد، چنان خوشرفتار خواهد شد کسی بدرفتاری او را باور نخواهد کرد.

ـ خانم افندی بسیار خوب اکنون عزیز من! کسی نمی‌تواند بشناسد که تو همان هستی که در خردی بودی، این بسیار عجیب است که در ظرف یک ماه به اصلاح حال خود کوشیده خورده بر دیگران نگیری، اگر با من این‌گونه رفتار نمائی ترا بسیار دوست خواهم داشت. مقبول خاص و عام خواهی شد اکنون رجا می‌کنم به‌من بگو که نام آن فیلسوف چیست؟

استاد گفت: او را سقراط می‌نامند.

مریم گفت: من او را خوب می‌شناسم. دیروز یک حکایت خوب از او به‌من آموختی.

استاد گفت: بسیار خوب خانم افندی آن تاریخ را به خانم افندی‌ها بازگوئید.

مریم گفت: سقراط زن بدخویی داشت که هر روز به دشنام‌های کفرآمیز سقراط را می‌رنجانید. روزی که او را بسیار آزار کرده بود، سقراط از نزد او بیرون رفته تا دشنام‌های او را نشنود. این زن بدسیرت به‌حدت آمد که کسی نبود او را برنجاند و دشنام دهد، یک دیگ پر از آب گرم برداشته به بالای بام رفته به‌سر شوهر خود ریخت.

ـ خانم افندی تو چنین می‌پنداری سقراط خشم گرفت؟ هرگز سقراط خشمناک نشد به یکی از دوستان خود که در آنجا بود گفت: بعد از رعدوبرق همیشه باران می‌آید او قهر زنش را به رعدوبرق تشبیه کرد باران را به آب گرم که به سر او ریخته مثال زد که جامه‌های او را خیسانده بود.

فطنت خانم گفت: یقین دارم خندیدن سقراط بر زنش، بدتر از آزردن زنش بود.

استاد گفت: خانم افندی راست می‌گویند تلافی بدی‌کردن و انتقام‌کشیدن خوب نیست، ولی بهتر آنست بجای بدی نیکوئی نمائی که بدتر از این انتقام نیست، شاید از

کرده خود پشیمان و از عمل خویش شرمسار شده از بدکرداری دست کشیده به‌خوشرفتاری گراید.

اگر کسی به شما دشنام دهد یا بخواهد شما را از قهر برنجاند، خودبه‌خود باید گفت این آدم را نمی‌تواند برنجاند و مکدر سازد و اگر من خود به‌قهر نیایم و حدت ننمایم ولیکن او خود را آزار می‌دهد، یعنی کدورت در درون اوست می‌خواهد مرا برنجاند و حال آنکه خود در رنج است باید بر او رحم کرد.

خداوندا او را به‌راه راست رهبری فرما. او را بخشیدم که می‌خواسته مرا بیازارد.

باری ای فرزندان من! راه انسانیت این است که دشمن را هم می‌باید دوست داشت و از سر تقصیر او باید گذشت تا خداوند ما را بیامرزد به ما لطف فرماید.

استاد گفت: امروز نوبت تاریخ خواندن فطرت‌خانم است. (برمبنای روایت تورات):

وقتی نوح از کشتی بیرون آمد باغی کاشت از آن انگور حاصل می‌شد، چون پیش چنین میوه ندیده و نشنیده بود، خواست مزه آن را بچشد ولی چندان خورد که مست گشت. بدمستی آغاز نمود پسرش حام به‌جای اینکه از دیوانگی پدرش غمگین باشد، بنای خندیدن گذاشت و دوبرادر خود سام و یافث را خواست تا پدر خود را به‌دست انداخته آلت مضحکه سازند. ولی برادرانش به او گفتند ریشخند پدر کردن بسیار بد است، پدر و مادر اگر کاری خلاف عادت نمایند به‌کسی نباید گفت.

وقتی که نوح خوابید و بیدار شد عقل به‌سرش آمد. به حام گفت تو بسیار شیطانی که احترام پدر را بجای نیاوردی ترا نفرین کردم و به برادرانت دعای خیر کردم.

مریم گفت: نفرین چیست که می‌گویند؟

استاد گفت: خانم افندی نفرین دعای بد است یعنی از خدا می‌خواهد که او را به بلا دچار سازد، خداوند به نفرین کرده‌شده بلا می‌فرستد. آری عزیز من همین بلای بزرگی است که کسی به نفرین پدر و مادر گرفتار گردد و هرکه بخلاف پدر و مادر رفتار نماید و یا در بندگی و خدمت غفلت ورزد و از احترام به آنان قصور نماید و یا بی‌رضای آندو ازدواج کند، به بدبختی عظیم دچار خواهد شد.

فطنت گفت: آه این راست است من بسیاری از زنان را می‌شناسم که به‌رضای والدین شوهر نکرده‌اند، بدبخت شده‌اند.

استاد گفت: این به‌درجه یقین است شبهه در آن نیست متوجه باشید پدر و مادر خود را نرنجانید که به‌نفرین آنها گرفتار نگردید دیگر می خوردن چقدر عادت بد است. می عقل را زایل می‌کنِد و دیوانگی می‌آورد و فطنت‌خانم گفت: مگر می خوردن گناه است؟ من می خوردم بیهوش نشدم، می سپید را دوست می‌دارم.

استاد گفت: اکنون باید به‌شما حکایت دیگر نقل نمایم که در بعضی جا او را خوانده‌ام؛ احمد افندی از مادر خود خدیجه‌خانم نقل می‌کند وقتی که مادرش خرد بوده یک دایه دانشمندی داشته که او را رخصت می خوردن نداد، جز از خوردن و آشامیدن نان و آب دایه‌اش به او می‌گفت: عزیز من تا جوانی منوش مگر آب، وقتی که شوهر کردی اگر عادت می‌خواری کنی عقل خود را عیب خواهی کرد.

مونیک که نام او بود هرگز در عمر خود می نچشیده بود تا چهارده سالگی رسید، پدرش با خدمتکار او را پی کاری به مخزن فرستاد در آنجا چندقطره می‌چشد به او خوش نیامد، فردای آنروز باز میل کرد قدری می خورد، اینبار دوسه پیمانه زد به او بسیار خوش آمد و سرور بخشید! عادت به می خوردن گذاشت هرگاه می‌خورد با پیاله‌های بزرگ می‌خورد. روزی با خدمتکار حرفشان شد خدمتکار به او گفت سرخوش، این طعنه او را شرمسار کرده ازکرده خود پشیمان گشت و ترک می‌خواری کرد زیراکه سرخوشی بر زبان عیب است.

ای فرزند دیدید و شنیدید به‌کارهای بد عادت‌کردن انجام ندارد علی‌الخصوص می‌خوردن که انسان را بیهوش می‌کند و شرافت انسانیت از دست می‌رود زیراکه شرافت انسان به عقل و دانش است وقتی که بیهوش شد عقل و دانش می‌رود.

باری مریم خانم تاریخ خود را سرکن.

مریم گفت: وقتی که نوح و سه فرزندش اولاد بسیار آوردند جائی که مقام داشتند بر آنها تنگ نمود خواستند از هم جدا شوند، ولی نخست خواستند قلعه بزرگی بسازند که کسانی که بعد از آنها می‌آیند از درایت آنان یاد نمایند که چنین بنای عالی ساخته‌اند و می‌گفتند اگر خدا بخواهد بار دیگر طوفان سازد، بالای قلعه برویم که آب به آنجا نتواند رسید! ولی خدا به‌خودبینی و دیوانگی ایشان خندید! زیراکه هماندم که گفتگو می‌کردند فراموش کردند و به هریک زبان دیگر داد که هیچکدام زبان

همدیگر نمی‌فهمیدند چنانچه، اگر زبان را فراموش کنیم من به روسی حرف زنم، فطرت خانم فارسی گوید، مریم‌خانم عربی تکلم نماید، در این حال مجبور می‌شویم از هم جدا باشیم زیراکه نمی‌توانیم از همدیگر چیزی بفهمیم.

باری این مردمان حیران ماندند زیراکه یکی می‌گفت خشت بیارید آن یکی آب می‌آورد، دیگری می‌گفت آب بیار گل می‌برد، آن یکی می‌گفت سنگ بده دیگری چوب می‌داد! در این حال مجبور شدند قلعه را واگذاشتند که پیش قدری بلند کرده بودند و **بابل** نامیده بودند از آنجا قصد کردند هریک به‌طرف دیگر بروند.

فرزندان **حام** به‌طرف خاورزمین رفتند، فرزندان **یافث** به‌سوی مغرب زمین شتافتند پسرهای **سام** در بلاد آسوری مسکن گرفتند.

عزت‌خانم گفت: ای استاد این طرف‌هارا من هیچ نمی‌شناسم.

استاد گفت: اکنون در خریطه جغرافیا آنها را به شما نشان می‌دهم، می‌بینید این خریطه طرف بلند را **شمال** می‌نامند آنکه پائین است **جنوب** می‌گویند، طرف راست را مشرق نامند و طرف چپ را **مغرب** خوانند.

مریم گفت: استاد این خریطه برای چه چهار رنگ دارد؟ استاد گفت: از برای اشارت‌کردن زمین و جزء او و برای تمیزدادن پنج قطعه زمین که **اروپا** و **آسیا** و **آفریقا** و **امریکا** و **استرالیا**. اروپا در شمال است آسیا در خاور است آفریقا در جنوب، آمریکا در مشرق و استرالیا در جنوب آسیا است.

آدم در آسیا پیداشده.

فطنت‌خانم گفت: استاد بگو به من پدر من از کدامیک فرزندان **نوح** است؟

جواب: یافث.

مریم: استاد چنین می‌پندارم که دانستن خریطه بسیار سودمند است، مرا بگذارید به او نگاه کنم و بگوئید این خط‌ها چه معنی دارد و چیست؟

استاد گفت: به‌چشم، دانستن خریطه را **جغرافیا** می‌گوَیند. یعنی وصف زمین، هر روز چیزی از آن می‌گویم امروز قدری گفتم کافیست.

فطنت‌خانم گفت: در امثال بسیار چیزهاست که به تاریخ می‌ماند از جمله طوفان و کارهای دیوان و امثال آن.

جواب: هنوز تو خردی اینها را نمی‌فهمی.
ـ آه استاد عقل دارم، رجا می‌کنم این را به‌من بگوئی به‌خوبی یاد خواهم گرفت.
ـ هرچه می‌خواهید می‌گویم بشنوید بعد از طوفان مردمان نوشتن نمی‌دانستند و هیچ کتاب نداشتند.

عزت گفت: چسان تاریخ آدم را دانستیم اگر کتاب و نوشتن نبود؟ استاد گفت: خانم افندی (آدم این تاریخ را به فرزندان خود نقل کرد و فرزندان او به نوح چون از کشتی بیرون آمدند نوح هم به فرزندان خویش گفت ایشان هم به فرزندان خویش تکرار کردند، سام که خوب اطاعت پدر خود می‌کرد حام و یافث چندان اطاعت نکردند. چهار پسر یافث رفتند در یونان سکنی گرفتند، یونانیان امثال و حکایات را دوست می‌داشتند و هرچه واقع می‌شد ضبط می‌کردند و مثل می‌ساختند مثال پدر خود نقل می‌کردند اینست*)

صباح شریف شما بخیر! خانم افندیها! نگاه کنید فطنت‌خانم را چنین می‌پندارم کاری که خلاف عادت و مغایر مرحمت باشد نکرده، زیراکه چهره‌اش روشن و دلش خورسند است.

فطنت‌خانم: استاد خواستم از روی دیوانگی خدمتکار خود را برنجانم و دست بالا برده که دو سه طپانچه بزنم، به‌خاطرم آمد که مردم‌آزاری از خدا بیزاری‌جستن است ترک آن کردم و گفتم:

نرنجانم زخود هرگز دلی را   که می‌ترسم در آن جای تو باشد

استاد گفت: خانم افندی (پیش به‌شما گفتم که تو مستعد نیکوکاری و آماده خوشرفتاری هستی. روزبه‌روز از تو کارهای نیک بروز کرده در ملک سعادت فیروز خواهی شد، زیراکه پندهای مرا آویزه‌گوش و هوش کردی. اکنون برویم قدری چائی بخوریم و نقلی که به‌شما وعده کرده‌ام بگویم.)

نقل:

---

* عبارات داخل پرانتز در نوشته‌ها خط‌خورده است و چون مطلب در اینجا (استاد گفت خانم افندی...) بریده شده بنابراین اگر نوشته نمی‌شد ناقص می‌بود از اینرو ما درضمن نقل مطالب خط‌خورده آن را داخل پرانتز گذاشتیم.

شاهزاده عزیز

در زمان پیش ملکی بود نیک‌اندیش که رعیت او را «شاه‌فرخنده» می‌گفتند و دوست می‌داشتندی. روزی فرخنده‌شاه به شکار رفته بود که ناگاه خرگوش سفیدی از دست سگ شکاری گریخته خود را به‌پای وی انداخت. شاه او را بنواخت و گفت این جانور مادامی که به ما پناه آورده از هر بدی باید در امان باشد و در سایه مرحمت ما آسوده گذران نماید. خرگوش را بنا به اشارت شاه به سرای همایون بردند جای خوب برای او تعیین کرده، علف‌های خوب و غذاهای مرغوب به او دادند، شبی چون پادشاه در شبستان خود تنها شد، دید یک خانمی از سرتاپا جامه‌های سفیدتر از برف پوشیده پیدا شد، تاجی از گل‌های سفید به‌سر نهاده پادشاه تعجب کرد، درها همه بسته این از کجا آمد؟!

خانم گفت: من فرشته‌ام در بیشه‌ها می‌گذرانیدم وقتی که شما شکار می‌کردید آمدم خوبی شما را بدانم و مشاهده نمایم چنانچه مردم می‌گویند راست است یا نه؟ بدین‌سبب به‌صورت خرگوش رفته نخست به‌سگ‌ها جلوه نموده از دست آنها گریخته به‌شما پناه آوردم، زیرا کسی که به جانور رحم نماید با آدم هم خواهد کرد.

اگر رحم به‌من نمی‌کردی می‌دانستم، که شما فرمانروای غدارید. کنون شکر التفات شما می‌کنم و سوگند می‌خورم که پیوسته در دوستی شما ثابت‌قدم باشم، هرچه می‌خواهید به‌من بگوئید که آنچه مراد شما است، حاصل می‌شود.

ملک گفت بسیار از دیدار شما خورسند شدم چونکه شما فرشته‌اید باید بدانید آنچه آرزوی من است، یک پسری دارم که او را بسیار دوست می‌دارم، چون شما می‌خواهید به من محبت نمائید درباره او مقرر فرمائید و دوستدار او باشید. فرشته

گفت: بسیار خوب می‌پذیرم محبت او را؛ ولیک می‌توانم پسرت را برتر از همه شهزاده‌گان باشد یا بسیار توانگر یا خود بسیار تواناتر از سایرین؟ اکنون شما از این سه قسم یکی را اختیار کنید. اگر مِی‌خواهید «برتر و بزرگتر از همه شهزاده‌گان» بزرگ (باشد) به‌چه‌کار می‌آید اگر بدکردار و مردم‌آزار باشد. شما خوب می‌دانید در این صورت کامکار و بختیار نیست و نخواهد بود، زیرا که سعادت جاوید در نیکنامی است.

راستی و فضیلت و عدالت است که سرمایه سعادت و سبب خوشبختی است و... راست می‌گویند تحصیل فضیلت موقوف به کوشیدن خود آدم است. او در دست ما نیست مگر به پند و نصیحت می‌توانم از راه کج بازداشته به راه راست رهبری نمایم.

ملک فرخنده از چنین وعده و پیمان او شادمان گشته بود او چندی بعد مرد. شهزاده عزیز بسیار گریه و زاری نمود چون نهایت او را دوست می‌داشت، پس از سه روز از مرگ پدرش شهزاده عزیز در هنگام خوابیدن فرشته خود را به او نمود و گفت: من به پدرت عهد کرده‌ام که ترا دوست دارم بنابر ایفای عهد به شما هدیه آورده‌ام. انگشتری از طلا پیش شهزاده نهاد گفت: این انگشتری است گرانبهاتر از جواهر و الماس، خوب نگاه دارید هرگاه کار بدخواهی کرد او به انگشت نیش خواهد زد، اگر باز پی آن بروی، دوستی من به دشمنی مبدل شود. فرشته این را گفت ناپدید شد و عزیز به‌حیرت فروماند. مدتی به‌اطوار خردمندی همین خوشرفتاری نمود. از نام عزیزی ترقی نمود او را بختیار نامیدند، چندی از این برآمد. بختیار روزی به‌شکار رفت و آن روز هیچ شکار نکرد بسیار برآشفت راه بدخویی پیش گرفت، انگشتر قدری در انگشت او به‌حرکت آمد، ولی نیش نزد چون به‌سرای همایون بازآمد سگ شکاری برای کسب نوازش به پیش او آمد ملک فرخنده متغیر شد، او را از پیش خود راند سگ که اینگونه کم‌التفاتی را مأمول نداشت، تکرار به‌پای عزیز افتاد دم خود را می‌جنبانید و پایش را می‌لیسید! شاید به او نگاهی بفرمایند که ملک فرخنده به‌قهر آمد به‌پای خود لگد زد و دور انداخت. در این‌حال آن انگشت او را نیش زد، چنانچه یک سوزنی به انگشت او فرو برود. ملک بسیار به‌حیرت فروماند و از کار خویش

شرمسار سر خجلت به‌پیش انداخته در یک گوشه اطاق نشست و خودبه‌خود می‌گفت: چنان می‌پندارم که فرشته مرا دست انداخته مرا اسباب مسخره ساخته؟ چه کرده‌ام به‌جانوری که دردسر می‌داد پایی زده‌ام، به‌چه‌کار می‌خورد قدرت سلطنت اگر نتواند به‌سگ خود تربیت نماید!

به‌جواب افکار عزیز آوازی از گوشه اطاق برآمد که من ترا مسخره نکرده‌ام، تو به‌جای یک گناه سه‌تا کرده به‌سیرت و اخلاق تو فساد پیدا شده، حرف راستان را نمی‌پذیری و فریب دروغگویان می‌خوری چنین می‌پنداری که مردم و جانور برای بندگی تو آفریده شده‌اند! خشم که بدترین کارها است شعار خود ساخته درباره جانور ستم می‌کنی، با اینکه سزاوار نیست. می‌دانم که تو بالای جانور قدرت داری اگر این نکته پسندیده می‌شد که بزرگان به خردان اذیت و آزار نمایند، من که می‌توانم اکنون ترا بکشم و هم بزنم، زیرا که قدرت من بیش از تست. بهره حکمرانی‌کردن به آزارنمودن انجام نگیرد بلکه به نیکی دوام پذیرد.

عزیز اقرار بر قصد خویش کرده عهد کرد دیگر نکند، مگر وفا نکرد زیرا که در دست لله نادان پرورش یافته بزرگ شده بود در هنگام خردی خوی بد گرفته بود، هروقت چیزی می‌خواست گریه می‌کرد و پاهای خود را به زمین می‌زد، دایه او هرچه می‌خواست به او می‌داد. از اینجا عناد در نهاد (او) جاگرفته بود. هر روز صبح و شام به او می‌گفت تو شاه خواهی شد و بختیار، همه مردم به‌تو بنده‌اند، از این‌راه کس نمی‌توانست خیال او را از آنچه می‌خواست بزند وقتی که بزرگ شد خودبینی و کبر و عناد در نهاد او بود، هرچه کوشش می‌نمود بلکه خود را اصلاح نماید ممکن نشد. زیرا از روز نخست خوی بد گرفته بود:

خوی بد در طبیعتی که نشست　　　نرود تا به‌روز مرگ از دست

هر وقت خلافی که از او سرمی‌زد می‌گریست و می‌گفت آه بدبختم از کارهای بد و اسیرم در دست خشم خود اگر در کودکی مرا به کردار خوب و عادات مطلوب تربیت می‌دادند، امروز به این زحمت و بلا دچار نمی‌شدم. اغلب اوقات انگشتر انگشت او را نیش می‌زد موافق کارهائی که می‌کرد اگر سبک بود نیش کم می‌زد و اگر

کاری از اندازه بیرون می‌کرد چندان نیش می‌خورد که از انگشت خون بیرون می‌آمد! نهایت بی‌صبر گشته انگشتر را دور انداخت تا بدون امتیاز نیک وبد، هرچه می‌خواهد بکند. چون از نیش‌های انگشتر فراغت یافت خود را نیکوکار و بختیار پنداشت، بنای اجرای هوای نفس خود گذاشت. به سفاهت مشغول شد، هرچه می‌خواست می‌کرد، چنان شد که رعیت را به ستم‌های او تحمل نماند.

روزی عزیز می‌گشت، دختر مه‌پیکری را دید خواست او را به همسری بپذیرد. دختر که قمر نام داشت چندان که زیبا بود دوچندان دانا بود، ملک می‌پنداشت که آن دختر به‌همسری ملک افتخار کرده خود (را) بختیار خواهد دانست.

(دختر به عزیز) گفت: ای پادشاه من دختر شبانی هستم از مال دنیوی هیچ ندارم با همه این، هرگز همسر شما نخواهم بود.

شاه گفت: مگر تو مرا نمی‌پسندی؟

(ـ) نه ای پادشاه! تو برتر و بهترین سلاطین هستی ولیک بچه کار من می‌خورد (با) زیبائی و توانائی و فرمانروائی تو چه خواهم کرد؟ دولت و جامه‌های زربفت و جواهرهای قیمتی که تو به‌من خواهی داد اگر حرکات بد و سخنان بی‌اعتنائی و رفتار مغرورانه شاهانه ببینم، درمیانه سبب حقارت و نفرت و کدورت دل من شود. ملک خشمناک شده فرمان داد او را به‌زور به سرای همایونی بردند. هرچه شاه (به) دختر نزدیکی می‌کرد او دوری می‌جست. چون او را بسیار دوست می‌داشت آزار نمی‌داد.

ملک درمیان مقربان حضور، یک برادر شیری داشت که محرم اسرار بود در بدذاتی از شیطان گوی سبقت می‌ربود! پیوسته خوش‌آمد کارهای نابجای سلطان می‌نمود... چون عزیز را بسیار مکدر دید سبب غصه او را پرسید. ملک گفت: نمی‌توانم، بی‌اعتنائی این دختر مرا به‌ستوه آورده کاشکی فضیلتی می‌داشتم که مقبول طبع او باشد و می‌خواهم از عادات بد خویش که پسند او نیست، بگذرم.

برادر عزیز گفت: برای یک دختر خرد چرا اینقدر بر خود تنگ گرفته‌اید؟ اگر به‌جای شما می‌شدم به‌زور او را به‌اطاعت خود می‌آوردم. شکوه و سلطنت را درنظر او جلوه بدهید! از حالات شما شرمسار شده درمیان بندگان شما بودن را فخر خواهد داشت.

به زندان انداخته نان و آبش ندهند هرگاه باز راضی به‌همسری شما نشد، به‌چهارمیخ کشیده شکنجه‌های بسیار داده تا بمیرد دیگران هم عبرت گیرند! تا خلاف امر سلطان نکنند. تو رسوا و بدنام می‌شوی اگر دختری فرمان ملک را نپذیرد و رعیت هم که همه برای خدمت و ملازمت ملک در دنیا هستند! از فرمان‌برداری سرباز خواهند زد.

عزیز گفت: مگر بی‌گناهی را کشتن رسوائی ندارد؟ زیرا قمر هیچ گناه ندارد. برادرش گفت: بالاتر از این گناه چه می‌شود که کسی به‌خلاف مراد سلطان رفتار نماید. ستم به‌چنین شخصی که سلطنت را نگاه نمی‌دارد، رواست بلکه عین عدالت است.

عزیز از این سخنان متأثر شد، شاه عزم کرد که شام پیش قمر برود. اگر باز به سلطان اقبال نکند بیازارد. برادرش از مهر عزیز که به قمر داشت، می‌ترسید نکند آنچه می‌گوید چندنفر جوانی بدتر از خودش را جمع کرده شب با عزیز بر سر خوان نشسته می خوردند دل او را پر از کین قمر کردند و خشم او را به حرکت آوردند چنانچه دیوانه‌وار برخاست سوگند خورد که همان شب یا باید قمر را به اطاعت خود آورد، یا فرداصبح مثل اسیران در بازار بفروشد.

عزیز به اطاق قمر رفت او را آنجا نیافت تعجب کرد چونکه کلید اطاق در جیب خود بود، بسیار خشمناک شده سوگند خورد هرکس درگریختن قمر یار باشد و او را راه‌گریز آموخته باشد، بیازارد و به شکنجه برساند بدنهادان که این سخن شنیدند فرصت‌یافته عزم کردند از حرص و غضب شاه بهره بردارند برای هلاک با شبانی که مقرب عزیز بود از بسکه مرد درست و راستگو بود در اظهار حقیقت حال و بیان واقع گستاخ و بی‌باک بود، یعنی از شاه رخصت داشت هرچه قصور از شاه بیند به او بگوید تا از آن بازگردد و او را مثال پسر خود دوست می‌داشت.

نخست شاه ممنون او بود بعد تحمل مخالفت سخن‌های خود نکرد و اندیشید این مرد از غایت هوشمندی که دارد، بر کارهای من خرده می‌گیرد با آنکه دیگران همه تحسین می‌کنند امر کرد (دیگر در سرای دیوان نباشد)* ولی پیوسته درستی او را

---

*. روی این عبارت در نسخه خط کشیده شده است و چون بی آن جمله نارسا بود، آورده شد.

تصدیق می‌کرد. دوست نمی‌داشت لکن بی‌اختیار احترام او می‌کرد. مقربان همیشه می‌ترسیدند باز (خود را) در خدمت سلطان جاکرده تقرب جوید. می‌خواستند او را به‌کلی دور و مهجور از حضورِ سلطان سازند. به پادشاه فهمانیدند سلیمان که نام او بود، قمر راگریزانیده سه نفر دیگر شهادت کردند که از سلیمان شنیده بودند که اینکار را می‌خواست بکند.

عزیز از این سخن بهم برآمد، امر کرد بروند مجرم را زنجیر بدست و پایش بزنند و به زندان بیندازند. عزیز بعد از دادن این امر همین که به اطاق خود رفت خودبه‌خودی دست و پایش می‌لرزید و می‌ترسید، ناگاه فرشته پیدا شد و به آواز سخت گفت: به پدرت وعده کرده بودم ترا نصیحت نمایم اگرنه مجازات کنم. هیچ پیروی از پند من نکردی از انسانیت یک صورتی داری جرم‌های تو ترا به‌صفت حیوان آورده، اکنون می‌باید ترا مجازات کرد چون خوی جانور گرفته، حکم می‌کنم تو شبیه به جانور باشی از اینکه بسیار خشم و حرص داری باید به شیر مانی، در گرسنه‌چشمی به گرگ، در بیوفائی به مار که پرورش‌دهنده خود را می‌زنی. برو به‌صورت این جانورها، بگفت این کلام عزیز سرش مثل سر شیر پایش به‌سان پای گرگ مثل گاو شاخها در سر، دمش مثل سگ شد و خود را در یک بیشه یافت در کنار چشمه. صورت خود را در آن می‌دید، آوازی از هر طرف می‌شنید که نگاهدار این صورت راکه عکس عملهای خود است. روح تو هزاربار بدشکل‌تر از تن توست که اکنون داری.

عزیز آواز فرشته را شناخت از خشمی که داشت خود را به‌روی او انداخت که او را ببلعد، کس ندید باز همان صدا (را) شنید که من ترا بدست انداخته‌ام، تا ضعف و قوت خود دانی. عزیز اندیشه کرد که از این چشمه دوری نماید بلکه به‌درد خود دوایی یابد یا صورت زشت خود نبیند.

به میان بیشه درآمد می‌گشت ناگاه پایش به گودالی رفت که صیادان برای گرفتن خرسها کنده و ساخته بودند و صیادان که در کمین نشسته بودند درآمدند او راگرفته به‌زنجیر زده به‌پای تخت خود بردند. در اثنای راه به‌جای شناختن گناه و توبه کردن از آن، به فرشته نفرین می‌کرد و به دندان، زنجیرهای خود را می‌جوید.

چون به شهر رسید فرحی تازه و مسرت بی‌اندازه از مردم دریافت. صیادان سبب آن را پرسیدند، جواب دادند عزیز که پیوسته درپی اذیت مردم بود در اطاق خود از ضرب یک رعدوبرق زده شد.

چون گمان مردم چنین بود که خداوند ستم او را نسبت به بندگان خود نپسندید او را به مجازات رسانید و زمین را از وجود ناپاک او پاک ساخت.

چهارنفر امیر دراین اثنا می‌خواستند بهره برای خود بردارند و ملک را درمیان قسمت نمایند، اهالی چون آنها را می‌شناختند و می‌دانستند که آنها به‌همان اطوارند که امیر بود. جمعیت کرده تاج را به سلیمان دادند که بدنهادان می‌خواستند او را تلف نمایند. چون سلیمان سزاوار تاج و تخت بود و چون بسیار دانا و عاقل و قابل و عادل است، چنانچه مردم در راحت و وسعت و معیشت به فراغت تمام گذرانند.

عزیز چون این سخنان را می‌شنید آه سرد زدل پردرد می‌کشید. دردش بیش از پیش شد. چون او را به‌سرای خود بردند دید سلیمان به روی تخت نشسته و بزرگان دولت از سه طرف کمر خدمت برمیان جان بسته در حضور او به‌نظام تمام ایستاده‌اند و دعای بقای عمر و دولت و اقبال او را از خداوند ذوالجلال تمنا می‌کردند تا شکستهایی در عهد سلف او به‌بنیان ملک و ملت رسیده، درست نماید.

سلیمان بدست اشارت کرد خاموش باشند و به مردم گفت تاج و تختی را که شما به‌من تقدیم کردید پذیرفتم، او را نگاه دارم برای عزیز. شما گمان نکنید او مرده باشد او زنده است، فرشته او را ربوده و اسیر نموده تا تربیت پذیرد و سیرت انسانیت گیرد، باشد روزی او را خواهید دید فاضل و عادل شده از کرده‌های خود پشیمان گشته و از سر ستمگری گذشته، چنانچه در اوایل سن خود بود.

(سپس) سلیمان آهی کشید چشمش اشکبار شد گفت: وه بیچاره عزیز که خوش‌آمدگویان او را از راه صواب و راستی برگردانید و به‌راه خطا (واداشتند).

من او را خوب می‌شناسم که خداوند او را به‌راستی آفریده ولی کسانی که دوروبر او راگرفته بودند بدخو کردند (که) راه وفا نیست. جفاهای او را از خاطر فراموش کرده همه دعا و رجا کنیم تا خداوند او را به‌ما رساند.

من خود افتخار می‌کردم و خود را بختیار می‌دانستم که پای این تخت را از خون قربانی خویش رنگین نمایم در وقتی که عزیز را ببینم به‌کمال شایستگی و استعداد مکرر به تخت خود نشیند، باشد در صحبت اغیار و خوش‌آمدگویان به روی خود بسته باشد. سخنان سلیمان به‌دل عزیز فرورفته اثر تمام بخشید آنوقت صدق و صفا، مهر و وفای سلیمان را و جفای خود را نسبت به او، شناخت.

همین که این سخنان را شنید و فهمید از جوش و خروش که داشت فروگذاشت به بحر تفکر رفته ستمهایی که در عهد خویش کرده بود به‌خاطر آورد، دید چندان‌که شایسته عقوبت و عذاب است هنوز نشده قدری از شکایت حال اسیری باز ایستاد و خود را تسلی داد چون گوسفند طریق ملایمت پیش گرفت او را برداشتند بردند درمیان سایر جانوران بازداشتند. آنوقت عزیز عزم کرد که اخلاق ذمیمه را به اخلاق حسنه تبدیل نماید و خود را درمقام نیکوکاری و خدمتگزاری به پاسبان جلوه دهد.

پاسبان مرد وحشی بود پیوست اذیت جانورها می‌کرد، روزی که پاسبان خوابیده بود پلنگی زنجیر راگسسته از قید و بند رسته از جای خود جسته خود را به روی او انداخت تا او را ببلعد نخست عزیز بسیار خورسند شد از این حرکت، شاید از دست این ستمگر نجات یابد. بعد همان ساعت از این اندیشه برگشت و آرزو کرد از قید وارهد بجای بد نیکی درباره پاسبان نماید، همین که این تمنا کرد در قفس او گشوده شد و بجانب او رفت. پاسبان که از خواب بیدارشده دید پلنگ می‌خواهد او را ببلعد غایت ترسید و خود راگم کرد، ولی غم و بیم او به جسارت و شادی مبدل شد وقتی که این جانور نیکوکار خود را به روی پلنگ انداخت و او را پاره‌پاره ساخت بعد آمد روی خود به‌پای پاسبان گذاشت پاسبان از این عمل بسیار متأثر شده خواست به‌جای این خدمت به او مهربانی نماید، ولی از هر طرف آوازی می‌شنید که نیکی بی‌مکافات نمی‌ماند.

در اینحال (عزیز خود را) دید بسیار زیبا و خوشگل. عزیز از تبدل صورت خود بسیار خوشوقت شد اظهار عجز و تشکر به پاسبان کرد (پاسبان) او را به میان بازوهای خود گرفته خدمت پادشاه برد و این سرگذشت غریب را نقل کرد. پادشاه او را نگاه داشت. عزیز از تبدل هیأت جدید خود را بختیار می‌دانست...

ملک بسیار او را دوست می‌داشت و نمی‌خواست دیگر به جثه بزرگتر از آن‌که بود باشد. در این‌باب از پزشکان پرسید چه باید کرد؟ جواب دادند که او جز از نان چیز دیگر ندهند، ولی بسیار کم.

بیچاره عزیز از گرسنگی می‌مرد، تا نیمه‌روز قدری نان به او می‌دادند، جز از صبر چاره دیگر نداشت. روزی که وظیفه هر روز را آوردند به او دادند خواست برود درمیان باغچه‌سرا آن را بخورد نان را به‌میان پنجه‌های خود گرفته به‌کنار جویی که پیش دیده و می‌شناخت، رفت آن نهر را نیافت ولی خود را درمیان خانه بزرگی دید که دیوار شعشعه خشت‌های زر و سیم می‌درخشید. و بسیاری از زنان و مردان که جامه‌های رنگین پوشیده آنجا می‌آمدند، می‌خواندند و می‌رقصیدند آنجا بسیار بود. ولی چون از آنجا بیرون می‌شدند، همه افسرده و پژمرده و ناتوان و لاغر و زخم‌خورده و عریان بودند، زیرا از برای لقمه نان که به‌دست می‌آوردند تا از دست یکدیگر بربایند رخت همدیگر را می‌دریدند. بعضی چون مرده می‌افتادند، قوه رفتن نداشتند. دیگری بسیار از آنجا دور می‌شد. بعضی از غایت ناتوانی به زمین خوابیده از گرسنگی می‌میرد. هرکس که به آنجا وارد می‌شد طلب نان می‌کردند و هیچ‌کس به آنها نگاه نمی‌کرد. عزیز یک دختری دید که می‌کوشید از زمین علف کنده بخورد، دلش به‌حال او سوخت خودبه‌خود گفت اگرچه من هم اشتها دارم ولی از گرسنگی نخواهم مرد تا هنگام غذاخوردن من برسد، اگر روزی امروز را به این آفریده خدا بدهم، چنانست که به او جان داده‌ام، نانی که داشت به دست آن دختر نهاد آنهم به‌حرص تمام به‌دهن خود گذاشت. همان ساعت دختر خود را آفریده او پنداشت عزیز از کار خویش از حد بیش فرحی پیدا کرده خواست به‌سرای برگردد.

در این اثنا شورش و غوغائی شنید دوید قمر را به‌دست چهارنفر آدم که او را به‌زور به‌سوی آن‌خانه می‌کشیدند. عزیز آن دم به‌صورت حیوانیت خود تأسف خورد که نمی‌توانست به قمر یاری نماید مگر بنای عوعوکردن گذاشت و پی آنها می‌رفت و به‌ضرب پا او را زدند و راندند و او عزم کرد ترک (او) نکند تا بداند حال قمر به‌کجا خواهد رسید؟ زحمت و مشقت قمر را می‌دید آه سرد از درون دل می‌کشید و

خودبه‌خود می‌گفت: آه بر کسانی که ستم به‌او می‌کنند آیا من آن نیستم که مستوجب چنین ستم بودم؟ در این افکار آوازی از بالای سر خود شنید. و دید که یک پنجره گشوده شد، قمر یک طبق گوشت از آنجا به‌طرف او انداخت که اگر سیر می‌دید گرسنه می‌شد، بعد پنجره بسته شد.

عزیز که دو روز بود چیزی نخورده بود، خواست بهره از آن گوشت بردارد آن دختر جوان که (عزیز) نان خود را به او داده بود، خود را به‌روی او انداخت و گوشت را ربود و گفت: ای سگ کوچک دست به طعام این سرای مزن که این خانه را از هوا ساخته‌اند، هرچه از آنجا بیرون آید زهرناک (است) و سبب هلاک!

در اینحال عزیز صدائی (شنید) که خوبی بی‌مکافات نخواهد بود، همان ساعت عزیز صورت کبوتر سفید پیدا کرد. در آندم بخاطر آورد که این تبدیلات از جانب فرشته است. امیدوار الطاف او شد، در نخستین پرواز خواست به قمر تقرب جوید بر هوا رفته به اطراف خانه می‌پرید و می‌گشت. یک پنجره باز دید به درون رفت به‌هر سو شتافت قمر را نیافت. از آنجا نومید بیرون آمد عزم کرد تا قمر را نیابد، آرام نگیرد چند روزی پرید تا به صحرا رسید در آنجا غاری دید، نزدیک شد قمر را پیش زاهد محترمی یافت که در آنجا ریاضت می‌کشید. عزیز بیخود! بنا کرد به‌دور سر آن پریدن و از جلوه‌های خود اظهار ذوق و مسرت وصال دلدار کردن، غایت لطافت محبت این کبوتر قمر را مفتون ساخت و بدست مرحمت او را می‌نواخت. اگرچه قمر چنان می‌پنداشت که او نخواهد فهمید ولی او به او می‌گفت هدیه خود را به خود او رسیده به‌جان خواهد پذیرفت و همواره او را دوست و منظور نظر محبت اثر خواهد داشت. زاهد گفت ای قمر! چه کردی عهد به ایمان بستی. عزیز صورت طبیعی خود را بگیرد که از آن تبدیل هیئت بسته به رضایت و خوشنودی تو بود و آن هم بر اتحاد ما.

عزیز بر قمر گفت تو وعده کردی پیوسته مرا دوست داری سعادت و کامرانی که به وصال تو حاصل است دایمی باشد والا می‌روم از یاور خود، فرشته نیاز و تمنا کنم که به من صورتی بدهد که به‌شما پسند آید. فرشته که صورت زاهد گرفته بود به‌هیأت نخستین که درنظر ایشان جلوه کرده بود برآمد و گفت: عزیز مترس و پریشان مشو قمر

آندم که ترا دید دوست داشت و بنای محبت گذاشت، ولی کارهای بد و اعمال نابجای تو مانع اقبال وصال او بود و او را می‌ترسانید، اکنون که سیرت و اخلاق نیکو گرفته‌ای او تو را به مقام محبت خواهد آورد. بروید به کمال فراغت کامرانی و در غایت آسوده زندگانی نمائید چون به‌راستی صورت اتحاد و یگانگی پیدا کرده‌اید. عزیز و قمر خود را به پای فرشته انداخته از حق نیکی‌ها و الطاف و احسان او اظهار عجز و امتنان کردند. قمر چون دید عزیز از جرم‌های خود و از کردارهای خویش پشیمان است، چندانکه محبت داشت دوچندان بر او افزود.

فرشته گفت: ای بچه‌های من برخیزید بروید به‌سرای خود و بر مسند شاهی قرار گیرید، همان که این گفت خود را در سرا نزد سلیمان یافتند (سلیمان) از دیدار خداوند رستگار خود بسیار شادمان شده، تخت و تاج را تسلیم وی کرد، عزیز مدتی مدید به کمال عدل و داد حکمرانی نمود چنانچه انگشتری که مکرر گرفت به انگشت خود داشت هرگز او را نیش نزد.

(فطنت خانم گفت:)

آه خانم افندی! چه خوب حکایتی بود اگر من به‌جای فطرت (خانم) می‌بودم هر روز از شما رجا می‌کردم یک نقل بگویند. بگو به من اگر درس خود را خوب بخوانم بار دیگر نقلی می‌گوئی یا نه؟ استاد: بسیار خوب عزیز من و لیک بگو به‌من آنچه در حکایت به‌شما خوش آمد، چه بود؟

فطرت: افندم* همه خوب بود ولی بسیار دوست می‌دارم چنان انگشتری که عزیز را از سفاهت منع می‌کرد (می‌داشتم) استاد راستی را دوست می‌دارم.

(استاد): می‌خواهم شما را چیزی بیاموزم که ما همه، چنین انگشتری داریم.

فطنت: دانستم او دل است، هرچه می‌کنم او به‌ما خبر می‌دهد.

چنین نیست افندی؟

استاد: آری درست گفتی و خوب دریافتی چنین است.

فطرت: شما می‌بینید که این انگشتر من همیشه به من می‌گوید پابه‌زمین زدن بد است

*. افندم ترکیب کامل ترکی عثمانی است یعنی (آقایم، آقای من)

مثل عزیز که در کودکی می‌کرد می‌کنم. دایه من از دایه او کودن‌تر است می‌گوید نگذارید او گریه کند هرچه می‌خواهد به او بدهید. چون من این را می‌دانم روزی سی‌بار گریه می‌کنم، ولی سوگنِد می‌خورم که می‌خواهم ترک این عادت نمایم از ترس اینکه مثل عزیز حیوان نشدم، کسی که بدکار است جانور شاخدار می‌شود.

استاد: نه عزیزان! تن چنانچه هست می‌ماند، ولی جان صورت زشت و در عالم معنی پیدا کرده سبب کراهت دل‌ها می‌شود.

ـ بسیار آرزو دارم نیکوکار باشم ولی بعضی از اوقات در بدخویی بی‌اختیار می‌شوم، وقتی که آنچه می‌خواهم به‌من نمی‌دهند، بی‌خود حدت می‌کنم خدمتکار را می‌زنم و به خواهر خود دشنام می‌دهم. اکنون از شما رجا می‌کنم به‌من بگوئی چه کنم که اصلاح حال خود نمایم.

استاد: عزیز من ما هرگز در بدخویی بی‌اختیار نیستیم، زیرا می‌توانیم خوش‌رفتار باشیم هرگاه اسباب آنرا به‌دست آوریم.

حالا من آن را به‌تو می‌آموزم: نخست می‌باید شام و سحر در وقت نمازکردن از خداوند بخواهی ترا به‌راه راست وادارد. زیرا تا توفیق خدا رفیق نباشد هیچ‌کار از دستت برنمی‌آید، ولی به‌حضور دل از خدا باید خواست لطف فرماید چنانچه هرچه خواهی به پدر و مادر می‌گوئی.

ثانی می‌باید بدخوئی را ترک کرده به خوشخوئی از خدمتکار معذرت‌جویی کن و خواهرانت که رنجانیده‌ای از آنها بخواه تا ترا عفو فرمایند، اگر می‌خواهی رستگار باشی شام و سحر آنچه ناسزا گفته‌ای بنویس و آنچه کرده‌ای بخاطر آور تا از کارهای بد ترا شرمساری حاصل شود. یقین دارم آنوقت خواهید فهمید که آنچه بد کرده‌ای خدادیده و دانسته هرگاه به اصلاح آن نکوشی خداوند در این دنیا و در آن دنیا مجازات خواهد کرد.

فطنت: هرگز پیرو کارهای بد نخواهم شد.

ـ بسیار خوب خانم افندی هرکه در این چیزها اندیشه نماید البته بد نخواهد شد.

ـ باید به شما از کتاب خدا گفت. کلام قدیم‌الهی است به واسطه جبرئیل به پیغمبر

خدا فرستاده او را به‌کمال احترام باید خواند که یگانگی خدا و قدرت او را بشناسید و در آنجا خواهید فهمید نیکی‌کردن به‌همدیگر و ترسیدن از خدا، سرمایه خوش‌بختی است.

خداحافظ خانم افندیها امیدوارم از کارهای شما خشنود خواهم شد.

درس دوم

ـ صباح شریف بخیر!* خانم افندیها، برای چه عزت‌خانم را با خود نیاوردید؟

ـ افندی او نخواست بیاید، زیرا از شنیدن تاریخ و حکایت دلش می‌گیرد!

ـ خانم افندیها، می‌بینید عادات بدکودک را چه می‌کند؟ عزت هر روز خوب بازی کرده هرچه جز بازی است، به او ناگوار است. نادان خواهد شد، عمر خود را در کودکی خواهد گذرانید. اگرچه صاحب مال و اقبال هم باشد.

چون بهره از دانش نداشته باشد، مردم بیخرد خواهند گفت: شما مثل او نباشید یقین دارم فطنت‌خانم هوشیار است، درس خود را روان کرده.

فطنت: افندیم، (استاد من) چهارمرتبه درس خود را خوانده‌ام، یکبار دیگر هم خدمت پدر و مادر تکرار کرده، می‌خواهید خدمت شما عرض کنم.

ـ بسیار خوب دخترخانم بگوئید.

ـ (فقط) خدا بود چندهزار سال پیش از آفرینش زمین و آسمان و انسان و حیوان، یعنی جز از خدا هیچ نبود، زیرا خدا همیشه بوده و هست و خواهد بود. خدا قادر و تواناست. یعنی هرچه می‌خواهد می‌کند. خدا خواست زمین و آسمان، درخت و شکوفه‌ها، مرغ و ماهی بیافرینند به محض اراده، آفریده شد، روز ششم یک مشت خاک از زمین برداشت و از آن آدم ساخت، ولی قالبی بود مثل صورت سنگ که رفتار و گفتار نداشت، خداوند با اراده خود او را جانی داد تا راه رود سخن گوید. او را آدم نامید.

چون خدا دید او از تنهائی دلتنگ است، خدا حوا را بر آدم مستولی کرده، خوابید

* این اصطلاح ترکی عثمانی است که ترجمه «صبح جنابعالی بخیر» یا «صبح شریف بخیر» است.

در هنگام خواب، خدا از پهلوی او زنی آفریده مثل مادرم او را حوا نامید! او را با آدم به بهشت فرستاد که در آنجا هرچه بخواهی هست: میوه‌های خوب، غذاهای مطلوب، آبهای خوشگوار، باغهای لاله‌زار. در آن باغها هرقسم میوه: انگور و خربزه و هندوانه و انجیر و سیب و به و شفتالو و قیسی! هر دو می‌خوردند، عیش می‌کردند در آنجا گندم هم بود، بر آدم و حوا خدا میثاق کرده بود به گندم دست نزنید زیرا هرگاه از او بخورید می‌میرید.

شیطان که رانده درگاه خدا بود، به‌حال آدم و حوا رشک برد، خواست آنها را گمراه سازد و به عذاب خداگرفتار نماید. بصورت مار برآمد به حوا که تنها می‌گشت گفت: چرا از این گندم نمی‌خورید بسیار لذیذ است؟

حوا بجای آنکه از او بپرهیزد و یا بگریزد با او گرم گفتگو شد و گفت میثاق کرده از این گندم نخوریم، اگر بخوریم خواهیم مرد.

شیطان گفت: نباید این حرفها را باور کرد. خدا گفته از این گندم نخورید، چون او می‌داند اگر بخورید مثل او قادر و فاضل و دانشمند خواهید شد!

چون حوا می‌خواست مثل خدا قدرت و دانش داشته باشد و مثل ابلیس کودن و احمق شد، چنانچه پیروی او کرده یکی از آن گندم خورد و یکی هم به آدم داد. چون از آن گندم خوردند، فهمیدند که گناه بزرگی کردند. شرمسار شده در زیر درختان پنهان شدند نمی‌خواستند خدا آنها را ببیند.

خدا به آنها گفت: چرا فرمان من نبردید؟ آدم بجای اینکه اقرار بر قصور خود نماید و طلب عفو کند عذر آورد و گفت زنی که تو بمن داده‌ای! او از این گندم بمن داد خوردم، حوا گفت ماری مرا بخوردن آن واداشت.

خدا گفت: چون هرسه مجرمید، هرسه باید مجازات بکشید، مار ملعون شد. زن عاجز و مطیع شوهر خود و آدم می‌باید بکوشد و به زحمت نان بدست آورده زندگانی نماید.

بعد خدا آدم و حوا را از بهشت راند و فرشته را دربان بهشت کرد که دیگر آنها را نگذارد به بهشت بروند!

- بسیار خوب خانم افندی، ای دختر عزیز من! این تاریخ را مثل یک دختر بزرگ خواندی، ولی بگو بمن تنها تاریخ دانستن بر دانش می‌افزاید یا نه؟

- نمی‌دانم خانم افندی بروید از فطرت خانم بپرسید. آنهائی که تاریخ می‌دانند و می‌خوانند چه ثمره برمی‌دارند؟

فطرت! شما به‌من گفته بودید می‌باید آزمود، کسانی که در زمان پیش در سرگذشت خویش راحت و رحمت بر آنها رسیده، هرچه سبب بدی است از آن حذر باید کرد و هرچه دلیل بر خوبی آنها شده در آن عمل باید کرد.

- بسیار خوب خانم این جواب باصواب است.

خوب فطرت خانم! شما از این تاریخ چه بهره برداشتید.

فطرت: وقتی که قصوری خواهم کرد، عذر نخواهم آورد مگر طلب آمرزش نمایم.

- بسیارخوب! اینهم جواب درستی است.

عزت خانم: هروقت می‌خواهم پی هوا و هوسی بروم، یا بخواهم گناهی مرتکب شوم! خواهم دانست که ابلیس در پهلوی من است. او می‌خواهد راه مرا زند. او را نفرین کرده متوجه خدا خواهم شد.

- خانم افندی تو دختر بسیار خوب هستی و اندیشه خوب داری. نمی‌دانم ماهی خانم دراین باره چه تأمل کرده؟

چنین می‌دانم که حوا بسیار خودبین بوده که می‌خواست چون خدا دانا باشد و «گرسنه چشم» هم بوده که با وجود آنهمه خوردنیها، به گندم دست‌درازی کرد اگر من بجای او می‌بودم، هرگز به گندم اعتنا نمی‌کردم.

- بسیار خوب مطالعه شما در این‌باره نیز عین صواب است.

خانم افندیها، اگر گفتگوی ما چندان دراز نشده می‌خواهَم سرگذشت خُردی بازگویم.

- آه افندی یقین دارم که خانم افندی‌ها از شنیدن آن دلتنگ نشوند، بلکه خوشوقت خواهند شد، رجا می‌کنم بفرمائید.

- چون شوق شنیدن دارید منهم می‌گویم:

گناه حوا یا آدم

روزی یک پادشاهی که در شکار بود راه گم کرد. از ملازمان خود دور ماند. حیران می‌گشت. ناگاه آوازی شنید به آنسو رفته دید یک مرد و یک زن مشغول درخت بریدن بودند و باهم گفتگو می‌نمودند زن می‌گفت:

اقرار می‌کنم که حوا مادر ما بسیار گرسنه چشم بود که گندم خورد، از همه نعمت‌های بهشت محروم ماند، اگر او اطاعت به امر خدا می‌کرد، ما شب و روز چندان به زحمت تلاش معاش دچار نمی‌شدیم مرد گفت:

اگر حوا گرسنه‌چشم بود، آدم هم کودن بود که حرف او را شنید. اگر من بجای او می‌بودم هرگز بحرف او گوش نمی‌دادم.

چون شاه نزدیک آنها رفته گفت: ای فقرا چنین می‌پندارم زحمت بسیار دارید؟ ـ گفتند: آری افندی ـ چون نمی‌دانستند او شاه است ـ مثل خر از صبح تا شام کار می‌کنیم باز از تعیش عاجزیم. پادشاه گفت: با من بیائید بدون تلاش متکفل معاش شما می‌شوم.

در اینحال ملازمان که شاه را می‌جستند، رسیدند بپای شاه افتادن، زن و مرد درمیان حیرت و مسرت فروماندند. چون به‌سرای رفتند پادشاه امر کرد جامه‌های خوب به آنها پوشانیدند. خدمتکار دوازده طبق طعام مرغوب هر روز برای آنها تعیین کردند. چون سفره می‌چیدند درمیان یک مجمعی سرپوشیده بود، نخست زن خواست آن را باز کند، خوانسالار که حاضر بود گفت: شاه امر کرده به آن دست نزنید وقتی که خدمتکارها بیرون رفتند مرد دید زنش چیزی نمی‌خورد و مکدر است پرسید: شما را چه شده؟ جواب داد چیزهائی که در سفره است مرغوب طبع من نیست می‌خواهم ببینم در این طبق سرپوشیده چیست؟

مرد گفت: تو دیوانه‌ای مگر، نشنیدی بما گفتند پادشاه میثاق کرده به آن دست نزنیم. زن گفت ملک بیخرد است، اگر نمی‌خواست ما او را ببینیم یا بخوریم چرا امر کرد به سفره گذارند؟ زن بنای گریه و زاری گذاشت و گفت اگر نگذارید از آن طبق بخورم خود را می‌کشم! مرد چون گریه و زاری او را دید دلش سوخت چون او را

بسیار دوست می‌داشت گفت: حالا که می‌خواهی بازکن ببین چه هست؟ همینکه سرپوش از طبق برداشت یک موش بیرون جهید آنها رفتند آن را بگیرند که به یک سوراخ خُرد رفت.

در این موقع پادشاه درآمد، پرسید موش کجاست؟ مرد گفت ای پادشاه ولینعمت من! زن بمن اذیت کرد تا ببیند در طبق چیست او را گشودیم موش از آنجا برآمد و گریخت و پنهان شد.

(پادشاه گفت): واویلا! تو نمی‌گفتی اگر تو بجای آدم می‌بودی حرف زن را نمی‌شنیدی و او را از گرسنه چشمی ملامت می‌کردی عهد ما و وعده‌های خود را بخاطر بیاور. سپس روبه زن کرده گفت: ای بدسرشت مکار، گرسنه چشم بسیارخوار، مثل حوا از خوردنیها چه کمی داشتی؟ مگر تمام آنها کافی نبود از آن طبقی که منع کرده بودم خوردی.

بروید ای بدبختها باز در جنگل مشغول درخت بریدن باشید و بر آدم و حوا خُرده نگیرید، شما هم کردید آنچه آنها کرده بودند.

عزت: تو این تاریخ را مخصوص برای من گفتی.

ـ نه خانم افندی مکرر این تاریخ را گفته‌ام، ولی راست است بشما مناسبتی تام داشت اکنون برویم چائی بخوریم تا فطنت‌خانم تاریخ خود را بگوید.

فطنت:

بعد از اینکه آدم و حوا از بهشت بیرون شدند، دو پسر از آنها شد که آنها را **قابیل** و **هابیل** نامیدند، قابیل باغبان گشت و هابیل شبان شد، گوسفندها را به چرا می‌برد. آدم عادت داشت یک حصه از مال موجود خود را در راه خدا بدهد، نه اینکه خدا به نان محتاج است، ولی برای آنکه بخاطر آورد که هرچه دارد از خداست و خدا به او داده. قابیل و هابیل در اینکار پیرو پدر و مادر بودند. ولی قابیل از روی دل نمی‌داد هرگاه در باغچه یک امرود[1] خوب به عمل می‌آمد او را برای خوردن خود نگاه می‌داشت میوه‌ای که به کار او نمی‌آمد برای خدا می‌داد.

---

۱. امرود کلمه‌ای ترکی است و به گلابی گفته می‌شود!

هابیل بخلاف او از گوسفندهای خوب و فربه انتخاب کرده بذل خدا می‌کرد، خدا هم او را زیادتر از قابیل دوست می‌داشت.

قابیل رشک برد، حسرت خورد و مکدر شد. روزی خدا به قابیل گفت: چرا مکدری مگر نمی‌دانی اگر خوب کار کنی مکافات بینی و بد کنی مجازات می‌بینی؟ ـ هرچه کنی بخود کنی گر همه نیک و بد کنی! ـ وقتی که در بدکاری غمگین می‌شوی خوبی کن شاد باش.

قابیل بجای آنکه بهره از این گفتگو حاصل نماید به هابیل گفت: می‌خواهید قدری برویم بگردیم؟ هابیل که او را چون خود نیک می‌پنداشت گفت: بسیار خوب برویم. چون قدری دور از نشیمن خود شدند؟ آنوقت قابیل برادرش را کشت و برگشت پیش آدم چون آدم و حوا این نکته را نمی‌دانستند و چون خدا همه‌جا حاضر و ناظر است آدم پرسید برادرت کو؟ گفت نمی‌دانم، او را ندیده‌ام. مگر او را به من سپرده بودی که نگاه دارم؟

چون خدا می‌دانست گفت: ای ملعون تو کشتی برادرت را، برو از اینجا که در این دنیا آسودگی نخواهی یافت. شب و روز عمل خودت را آزار خواهد رسانید. پسرهای دیگر آدم را می‌گویم ترا بکشند.

قابیل با زن خود از آنجا گریخت بجای دیگر، بسیار فرزندان بهم رسانید.

ـ خوب خانم افندی نباید یک واقعه را تکرار کردن ولی بگو ببینم از این سرگذشت چه اندیشیدی؟

عزت: چیزی اندیشه کردم چون بسیار زشت است، آن را نمی‌توانم گفت!

ـ برویم عزیز من دختری به اقرار قصور جسور است به اصطلاح حال خود قابیل است.

عزت: بسیار خوب حالا می‌گویم مثل قابیل من هم رشک می‌برم به‌خواهر بزرگ خود، که پدر و مادرم از من زیاد او را دوست می‌دارند. بگو بمن اگر تو یک مادر می‌شدی و دو دختر می‌داشتی یکی خوب و راست و فرمان‌بردار و کارگذار در درسهای خود و دیگری لجوج و بدزات و بی‌ادب با همه مردم عاصی به استاد خود؛ کدامیک از اینها را زیاد دوست می‌داشتی؟

ـ اولی را زیاد دوست می‌داشتم.

ـ پس حالا نباید از پدر و مادر رنجید از اینکه خواهرت را زیاد دوست دارند. تو از او بهتر باش، یقین دارم مفتون تو می‌شوند.

عزت: همین را می‌خواهم ای استاد من؛ عهد می‌کنم خوب و بد هرچه می‌کنم و می‌گویم هر روز آنها را می‌نویسم به‌نظر شما می‌رسانم.

استاد: منهم به شما وعده می‌دهم که تو محبوب و مطلوب قلوب خواهی شد و عهد می‌کنم که تو از خواهر خود به‌مراتب بهتر و خوشبختتر خواهی شد، زیرا که یقین دارم که کردار بد، دلیل بدبختی است.

عزت: این راست است روز دیگر به دایه خود می‌گفتم که مردن بهتر است از این هرزگی که دارم.

استاد: نور چشم من دل مرا به‌درد آوردی از کردار و گفتار خود. مردن بچه کار آید؟ تا خداوند از تو راضی نباشد بهتر است که خدا عمر دهد. به اصلاح خود بکوش، می‌باید شکر خدا کرد و از روی دل او را دوست می‌باید داشت. خردمندان گفته‌اند: زندگی یک روز بهتر است از هزارسال مردگی.

خداحافظ ای کودکان عزیز من، بکوشید در نیکوکاری که سرمایه بختیاری است. فردا یک تاریخ و یک حکایت خرد خوب داریم.

درس سوم

ـ امروز زود آمدند خانم افندیها.

ما یک چارک[1] سر سفره بودیم یک دقیقه می‌شود از سر سفره برخاستیم.

استاد: ای نور چشمان می‌باید به‌شما عتاب نمایم که هیچ چیز چندان مغایر صحت وجود نیست مگر بشتاب بسیار نان خوردن. برای مجازات شما پیش از چائی‌خوردن هیچ نخواهم گفت. اکنون برویم در باغچه قدری بگردیم.

فطرت‌افندی: اگرچه گشتن را بسیار دوست می‌دارم ولی تاریخ را از آن زیادتر

---

۱. گویا یک ربع ساعت را یک چارک می‌گفتند!.

دوست می‌دارم. این دفعه ما را عفو فرمائید. سوگند بخدا می‌خورم! نمی‌دانستم که غذا را بشتاب خوردن قصور بزرگی است.

ـ خانم افندی‌ها... این را ترک کنید بار دیگر نکنید، نمی‌خواهم مشغول درس شویم زیرا بعد از غذا بلافاصله کوشیدن و کارکردن خوب نیست، به وجود زحمت می‌رساند.

ـ بسیار خوب ما هیچ نخواهیم گفت ولی شما یک چیز بگوئید. شما دیروز وعده کردید یک حکایت خوب امروز بگوئید، اکنون به شنیدن آن نفرت نداریم بلکه رغبت داریم.

ـ خانم افندی‌ها چون می‌بینم دختران خوب هستید، هرچه می‌خواهید باید کرد، من نمی‌توانم چیزی از شما دریغ نمایم. اکنون برویم در باغچه بنشینیم حکایتی که دیروز وعده کرده‌ام به‌شما بگویم.

دلبر و اژدها

وقتی بازرگانی بود بسیار توانگر، شش فرزند داشت سه پسر سه دختر. چون این بازرگان بسیار مرد دانا بود از تربیت کودکان خود چیزی فروگذاشت نکرد و استادهای ادیب و دانشمند برای آنها مقرر کرده بود. دخترهایش بسیار خوشگل بودند. ولی دختر خردتر از همه مقبولیت تام داشت. او را دلبر می‌گفتند. از اینکه نام دلبر به روی او ماند خواهرانش رشک بردند. چون دلبر از هرجهت از آنان بهتر و زیباتر بود و آن دو خواهر بزرگ، به سبب توانگری خویش خودبین بودند. دختران بازرگانهای دیگر که به‌دیدار ایشان می‌آمدند بازدید نمی‌کردند. هیچکس را شایسته دوستی و رفاقت نمی‌دانستند. همه روز تنها به تئاتر و انجمن و به سیر و تماشا می‌رفتند و خرده به خواهر خود می‌گرفتند که به خواندن کتاب‌های خوب وقت می‌گذرانید و چون همه می‌دانستند که اینها بسیار توانگرند از تجار بزرگ به خواستگاری آنها می‌آمدند دو دختر بزرگ جواب می‌دادند که ما کسی را به همسری نمی‌پذیریم مگر یکی باشد شاهزاده.

اما دلبر به کسانی که خواستگار او بودند صادقانه جواب می‌داد که هنوز وقت شوهرکردن من نشده آرزو دارم چندسال دیگر در خدمت پدر باشم. بعد چندی، ناگهان دولت از دست بازرگان رفت و چیزی برای او نماند مگر یک خانه کوچکی که در ده داشت. بازرگان ناراحت به فرزندانش گفت: حال می‌باید به ده رفت و در آنجا دهاتی‌وار بکوشیم، شاید در آنجا بتوانیم زندگانی نمائیم. دو دختر بزرگ گفتند ما شهر را گذاشته به ده نمی‌رویم! چون آنان عشاق بسیار داشتند اگر همسری آنها را می‌پذیرفتند می‌توانستند آسوده عمر را بگذرانند.

باری خانم افندیها، چون آنان فقیر شده بودند، دیگر عشاق به آنها نگاه نمی‌کردند، مردم به‌جهت نخوت دختران از آنها نفرت داشتند و... ولی همه به حال دلبر تأسف می‌خوردند و می‌گفتند این دختر خوب است به فقرا چقدر محبت کرده و با مردم به خوشخوئی لطافت و مهربانی رفتار می‌نماید، از اینرو بسیاری از نجبا و بیگها در این حالت فقر، او را خواستگاری می‌کردند ولی دلبر جواب داد من نمی‌توانم برخود گوارا کنم که پدر خود را در حالت فلاکت ترک کنم، می‌باید در تسلی و دلداری و غمخواری پدر و مادر بکوشم و در کارهای پرزحمت معین باشم.

دلبر نخست از زوال دولت و اقبال غرق ملال بود، ولی خودبه‌خود می‌گفت اگر گریه کنم دولت باز نخواهد گشت بهتر در فقر به‌بهبودی زندگی کوشید تا راحت شویم.

دلبر وقتی به ده و خانه روستایی رسید، مشغول امور دهقانی شد.

دلبر هر روز صبح از خواب برمی‌خاست. جاروب می‌کرد. برای خانمها غذا ترتیب می‌داد. نخست بسیار زحمت داشت. چون عادت به کارکردن و کوشیدن نداشت. ولی بعد از دوماه قوت و قدرت خوب پیدا کرد. تلاش بسیار صحت کاملی به او بخشید دلبر وقتی از کارهای خود فراغت می‌یافت، بازی می‌کرد و کتاب می‌خواند و قانون می‌زد! هنگام ریسیدن به آهنگ خوش می‌خواند. برخلاف دو خواهر بزرگ که از حسادت و دلتنگی می‌مردند. صبح زود که برمی‌خاستند همهٔ روز می‌گشتند و تأسف بر جامه‌های رنگین می‌خوردند و می‌گفتند ببینید دلبر چقدر پست‌فطرت است که به‌بدبختی خویش خشنود است.

لیک بازرگان نیک‌اندیش، به‌خلاف دختران بزرگ خود تصدیق فضیلت و راستی و خدمتگذاری درباب خانه‌داری او می‌کرد. خاصه صبر او را در زحمات تحسین می‌نمود، زیرا که خواهران دلبر همه کارهای خانه را به او واگذاشته و بر او خرده نیز می‌گرفتند. بازرگان در یک کشتی تجارتی کاری دست و پا کرد، به علت شنیدن این خبر، دو دختر بزرگ خوشحال شدند و از پدر خواهش کردند هنگام مراجعت جامه‌های رنگین و گردن‌بند! برای آنها بیاورد، اما دلبر هیچ خواهش نداشت زیرا می‌اندیشید که همه مال تجارت چندان نیست که آنقدر چیز خرید نماید.

پدرش به دلبر گفت تو چرا هیچ چیز نخواستی برای تو بگیرم؟

چون آرزو فرمودی به‌من که چیزی برایم بیاوری، حال یک گل از تو می‌خواهم که برایم بخری بیاوری... این بدان سبب نبود که دلبر از گل خوشش می‌آمد، بلکه نمی‌خواست مثل خواهرانش پدر را به تکلیف بیندازد، ولی هم نخواست خود را ممتاز نماید که هیچ چیز نمی‌خواهم.

بازرگان به سفر رفت در این تجارت غوغائی شد که آخردست بازرگان مجبور به رجعت شد. تا به‌خانه خود سی‌میل راه بود، به‌هوای دیدن فرزندان خود خرسند بود. ولی بایستی از میان بیشه بزرگ بگذرد، به بیشه که رسید برف و باران بسیار بود، چندبار از اسب افتاد و راه را گم کرد. شب رسید، اندیشید که از سرما و گرسنگی خواهد مرد یا گرگها او را خواهند خورد که آواز آنها را می‌شنید.

ناگهان درمیان بیشه یک روشنائی به‌نظر آورد که بسیار دور بود، به‌سوی آن روشنائی رفت و دید که از سرایی بزرگ بیرون می‌آید که همه آن سرای چراغانی بود.

ـ بازرگان سپاس خدا گفت که او را رهبری به چنین جای نمود، چون وارد آن سرای شد، کسی را در آنجا نیافت و بسیار متعجب شد!

در اصطبل باز دید، اسب خود را در آنجا بست و کاه و جو آماده یافت، اسبی که از گرسنگی می‌مرد، به او خوراک داد و خود رفت به‌سرای می‌گشت تا به ایوانی بزرگ رسید آتش افروخته، سفره چیده از هرگونه نعمت، چون برف و باران تا به استخوان او کارکرده بود. خود را گرم و جامه‌ها را خشک نمود و خودبه‌خود گفت نمی‌دانم صاحبخانه و یا خدمتکارانش حرفی خواهند زد اگر قدری از این طعام بخوریم یا نه؟ البته خواهند آمد از دست خود ایشان بگیرم بهتر است که بی‌رخصت داخل خانه شوم و دست به‌مال آنها زنم.

بسیار صبر کرد تا ساعت پانزده کسی ظهور نکرد از گرسنگی طاقتش طاق شد و یک مرغی از سفره برداشت در دو لقمه به‌دهن گذاشت! خود ترسان و لرزان یک پیمانه می هم نوشید! دلیر شد، برخاست همه دایره را گشت بسیار اطاق خوب و مزین و کوشکها از فرش دیبا گسترده شده و همه مخزنها پر از آلات و ظروف زر و سیم.

اتاقی دیگر دید یک رختخواب خوب در بالای سریر گسترده شد و نیمه‌شب بود آنهم خسته و وامانده، در را بست خوابید. بامداد ساعت ده بیدار شد. دید یکدست جامه ممتاز نو بجای جامه‌های کهنه خود که از تن بدر آورده بالای سر گذاشته‌اند، به حیرت رفت و خودبه‌خود گفت یقین است که این سرای از پریان خوبست که به‌حال من رحم کردند. از پنجره نگاه کرد برف ندید، ولی گاهی شکوفه‌ها و گلها در باغها بدیده جلا می‌دهد. رفت به ایوانی که شب طعام خورده بود، دید یک مجموعه‌ای خوب با قدری بیسکویت و قهوه و شیر گرم گذاشته‌اند به آواز بلند گفت:

تشکر می‌کنم پری‌خانم از احسان و انعام و اکرام بیشمار شما درباره من فقیر.

باری بعد از خوردن چایی و قهوه، از آنجا بیرون آمده اسب خود را بدر آورد برود، چون می‌گذشت گلهای خوب دید بخاطرش آمد که دلبر خواهش گل نموده بود، قدری از آنها را چید که هماندم یک آواز سخت و تند شنید و دید یک جانور مهیب می‌آید.

بیچاره آماده مرگ شد، جانور هی زد که بسیار «نان‌کور» هستی من ترا از مرگ رهائی دادم و ترا به این قلعه پذیرفتم، بجای آن، گل‌های مرا می‌دزدی که بسیار دوست می‌دارم و به زحمت آنها را پرورده‌ام. برای این جرم آماده مرگ باش یک چارک* به شما مهلت است که از خدا طلب عفو نمایی.

بازرگان زانو بر زمین گذاشت و پای جانور بوسید و گفت: افندی حضرتلری** مرا بیامرز و از گناه من بگذر نمی‌پنداشتم که شما برنجید، از چیدن یک گل برای دخترم که از من طلب کرده بود.

ـ من افندی حضرتلری نیستم، ولی یک جانورم! مرا ریشخند مکن از خوش‌آمدگوئی خوشم نمی‌آید مگر از حرف راست، چنین نه‌پنداری که از ریشخند مرا فریب دهی، ولی می‌گفتی که دخترهائی دارم ترا مهلت می‌دهم و عفو می‌کنم تا آنکه یکی از دخترهایت به رضای خود بیاید بجای تو مرگ اختیار کند. برو اگر

---

*. یک چارک معنی یک ربع است.

**. این اصطلاح ترکی عثمانی است به‌معنی (حضرت مستطاب عالی!)

دخترهایت مردن در راه ترا دریغ نمودند عهد کن تا سه ماه خود برگردی. بازرگان نمی‌خواست از دخترهایش بجای او قربان جانور شوند.

لیک اندیشید هیچ نباشد برود، بار دیگر صفای دیدار بچه‌های خود را حاصل کند و آنها را ببر گیرد و بدرود نماید، سوگند خورد تا سه ماه برگردد.

جانور به او گفت اکنون که می‌باید بروی باری دست تهی به‌خانه خود مرو، برو به‌سرای، همه چیز در آنجا هست هرچه می‌خواهی از آنجا بردار برای فرزندان خود ارمغان ببر. هماندم جانور رفت.

بازرگان به‌خود گفت: اگر خواهم مرد باری برای فرزندان خود نانی باقی بگذارم.

به‌سرای برگشت در آنجا جواهر گرانبها و جامه‌های زرتار یافت. آنها را در صندوق گذاشت از سرای بیرون آمد. درمیان غم و شادی به راه افتاد. اسب خودبه‌خود راه بیشه گرفت و در ساعت چند به‌خانه رسید. فرزندان بازرگان در پیرامون او گرد آمدند. بازرگان به‌جای دلجوئی و تلطف بر آنها بنای گریه گذاشت.

بازرگان گلی برای دلبر آورده بود به‌دست گرفت به دلبر داد گفت: ای نور چشم بگیر این گل را که بسیار گرانبهاست، یعنی قیمتش جان است. بعد سرگذشت خود را به فامیل‌های خود نقل کرد. در این واقعه دو دختر بزرگ آواز برداشتند و طعنه‌ها و دشنامها بر دلبر گفتند که هیچ ناراحت نشد. و می‌گفتند ببینید این دختر خرد مغرور را به‌جهت امتیاز خود چیزی از پدر خواست که سبب مرگ آن شد.

دلبر گفت: من نخواهم گذاشت پدرم بمیرد چونکه من بجای یکی از دخترها به بیشه می‌روم و قربان پدر می‌شوم چه خشنودی پدر، سرمایه سعادت است.

خواهران گفتند: جائی که ما هستیم قربانی به‌تو نمی‌رسد و یا هرسه می‌رویم یا هلاک می‌شویم و یا آن جانور را می‌کشیم.

بازرگان گفت: ای فرزندان مهربان من، اینرا آرزو نکنید که قدرت آن جانور بیش از قدرت همه ماست ما نمی‌توانیم او را هلاک نمائیم، من از گفتار دلبر خرسند شدم که هلاک خود را در صحت من می‌خواهد، ولی من نمی‌خواهم او بمیرد و من زنده باشم.

بچه‌ها، من پیرم او جوان، از عمر من چیزی نمانده مگر دوسال، اگر کشته نشوم خودم تلف خواهم شد، افسوس از برای شما می‌خورم وگرنه غمی دیگر ندارم.

دلبر گفت: ای پدر مهربان سوگند می‌دهم شما راکه بی من به آن سرای نروید و اینرا هم بدانید مرا نمی‌توانید از همراهی با خود منع نمائی دست از دامنت برنمی‌دارم تا مرا با خود ببری. زندگانی بی تو مرا دشوار و ناگوار است. دوست می‌دارم جانور مرا بخورد غم مردن تو نخورم.

چون رفتن دلبر به‌سرای قرار یافت خواهرانش از اینکار به‌حیرت افتادند و به‌راستی و صداقت او رشک بردند.

بازرگان چنان در غم دلبر دردمند شد، صندوقی که پر از جواهر و اقمشه بود در سرای گذاشت، به اتاق خود رفت موقع خوابیدن دید صندوق در راه باریک اطاق گذاشته‌اند. متعجب شد و می‌خواست به بچه‌های خود بگوید توانگر شده است. زیرا دختران فرصت می‌خواستند که باز به شهر برگردند. ولی این سر را به دلبر فهماند که دو بیگ‌زاده خواهرانش را در غیبت او خواستگاری کرده، پس حالا قدرت داریم آندو را شوهر بدهیم لکن اکنون فرصت اینکار نیست.

دلبر گفت افندی رجا می‌کنم بدهید خواهران را ببرند و آسوده باشند. چون دلبر باهمه بدی خواهرانش، آنها را دوست می‌داشت.

وقتی دلبر و پدرش خواستند بروند دو دختر به چشمهای خود پیاز مالیده! گریه‌آلود نزد آنان آمدند و زارزار می‌گریستند، پدرشان نیز به‌رقت آمده خودداری نتوانست کند، ولی دلبر نمی‌گریست.

باری اسب را بیرون کشیدند و هردو به‌راه افتادند، وقت شام چراغهای سرای را در بیشه از دور دیدند.

بازرگان چون نزدیک شد، اسب به اصطبل برد. بازرگان با دلبر به ایوان بزرگ رفت دید سفره بزرگ چیده‌اند. بازرگان اشتها نداشت ولی دلبر خود را خرسند و شاد می‌نمود با فراغت به‌سر سفره نشست خودبه‌خود می‌گفت این جانور می‌خواهد پیش از خوردن، مرا فربه کند چون دلش گوشت خوب می‌خواهد!

همینکه نان خوردند آواز غوغائی شنیدند، بازرگان گریه‌کنان به دختر خود گفت: خداحافظ، چنان دانست که جانور است می‌آید. دلبر از دیدن آن جانور غریب و عجیب و مهیب نالید، ولی بزودی به‌خود قدرت و جسارت داد.

جانور پرسید: به رضای دل آمده‌ای؟

دلبر ترسان و لرزان گفت: آری.

جانور گفت: شما مردمان درست‌عهد و راست‌پیمان هستید، از شما ممنون هستم به بازرگان گفت: تو فردا به خانه خود برو و دیگر هرگز اینجا میا. سپس جانور رفت. بازرگان گفت: ای دلبر دختر مهربان من، مرا اینجا بگذار تو برو. دختر گفت نمی‌روم ای پدر مهربان شما فردا بروید و مرا به‌خدا واگذارید شاید به‌من یاری فرماید و مرحمت نماید. هر دو رفتند بخوابند و گمان می‌کردند. همه شب هرگز نخواهند توانست به راحتی بخوابند.

ولی همینکه به رختخواب خود رفتند خواب آنها راگرفت. دلبر در خواب دید به او می‌گفتند: مرحبا به صفای تو که جان را در راه پدر میبازی، این خوبیها بی‌مکافات نخواهد شد.

دلبر بیدار شد، خواب خود را به پدر نقل کرد، اگرچه بازرگان از این خواب تسلی یافت، ولی وقتی خواست از دختر خود جدایی نماید فریاد برآورد، گریه و زاری بسیار نمود و به‌راه افتاد.

چون او رفت، دختر در سرای نشست. ابتدا گریه کرد چون بسیار جسارت داشت خود را به خدا واگذاشت. عزم کرد برای یک روز هرگز غصه نخورد، چه جانور شام او را خواهد خورد.

دلبر عزم تماشای سرای کرد. برخاست همه جای سرای راگشت. از صفا و زیبایی که داشت در تعجب و حیرت بود، ولی دری را دید که بر آن نوشته بودند (سرای دلبر) از این نکته زیادتر به حیرت افتاد. آن در را باز کرد چشمش از درخشندگی دیوارهای آن خیره شد، به‌درون رفت یک کتابخانه بزرگ دید بسیار آلات موسیقی در آنجا یافت و یک «قانون» خوب دید گفت: حتماً چون نمی‌خواهند من در اینجا غمگین

باشم و از طرفی اندیشه کرد اگر من یک روز در اینجا ماندنی می‌بودم اینجا اینقدر ذخیره نمی‌آوردند.

این مطالعه دلبر را دلیر کرد کتابخانه را باز کرد کتابی دید و در آن کتاب نامه‌ای از طلا نوشته بودند: هر خواهشی داری بکن و هر امری داری بفرما که تو خانم فرمانروای این سرائی. دلبر گفت: دریغ هیچ آرزوئی در دل جز دیدن پدرم نیست و بدانم اکنون چه می‌کند؟

به مجرد گفتن این، چشمش بر آئینه بزرگی افتاد در آنجا خانه خود را دید که پدرش باکدورت تمام تازه از راه رسیده است خواهرانش او را پیشواز می‌کردند، از ته دل دلبر که خود را سخت غمگین می‌دید شاد شد. بعد از ساعتی چند این‌ها ناپدید شدند. دلبر دانست که همه اینها از جانور است.

نیمروزی باز در ایوان گذراند، سفره چیده یافت از هرگونه خوردنی در آنجا بود خوراک خورد. در هنگام خوردن آواز خواننده‌های خوب و ساز و «قانون» می‌شنید ولی هیچکس نمی‌دید.

اما شام که بر سفره رفت، آواز جانور شنید دلبر از ترس بخود لرزید جانور گفت: خانم افندی می‌خواهی نان خوردن شما را من ببینم یا نه؟ دلبر ترسان و لرزان پاسخ داد: تو خداوند خانه‌ای. جانور گفت اینجا جز تو خداوند و فرمان‌روا نیست، اگر از بودن منهم دلتنگ باشی می‌توانی مرا از اینجا بیرون کنی. جانور گفت: بگو بمن زشت نیستم؟

دلبر گفت: راست است تو زشتی نمی‌توانم دروغ بگویم، ولی چنین می‌دانم که بسیار نیکوکار هستی.

اژدها گفت: راست می‌گوئی من گذشته از زشتی عقل هم ندارم و یک حیوانی هستم نفهم! دلبر گفت کسی که خود بداند عقل ندارد، دارای فهم است نادان هرگز اینرا نمی‌داند.

اژدها گفت افندی حال خوراکتان را بخورید ولیک بدانید هرچه در اینجاست وابسته بشماست. من در خدمت شما هستم ولی خوشحالم که تو شاد هستی، من غمگین خواهم شد وقتی شما شاد نباشید.

دلبر گفت: بسیار لطف می‌فرمائی اقرار می‌کنم که نوازش‌های شما مرا خیلی خرسند می‌کند من وقتی درباره مهر و محبت‌های شما می‌اندیشم، تو بمن زشت نمی‌نمائی.

اژدها گفت: آه ای خانم! من قلب خوب دارم ولی چه باید کرد اژدهایم خداوند مرا جانور آفریده است.

دلبر گفت: مردمانی هستند که از شما زیادتر اژدهایند! من شما را به اینصورت اژدهایی دوست دارم، ولی از آنها بیزارم که مفسد و بددل و حق ناشناسند.

اژدها گفت: من از شما خیلی سپاسگزارم، ولی کودنم و بیش از این نمی‌توانم از شما ممنون باشم.

دلبر با اشتهای تمام غذا خورد، گوئی دیگر ترسی از اژدها نداشت ولی نزدیک بود از ترس بمیرد. زیرا اژدها در این گفتگو به دلبر پیشنهاد کرد: می‌توانید همسر من باشی؟

دلبر سر به جیب تفکر فروبرد، قدری خاموش ماند، می‌ترسید اگر از خواهش اژدها دریغ نماید، حدت او به جوش آید.

بعد از مدتی دلبر ترسان و لرزان گفت: نه. اژدها از این پاسخ آهی سرد از دل پردرد برکشید و ناله برآورد که عکس آن همه‌جا راگرفت بعد با ملالت تمام بدرود دلبر کرد. دلبر از ترس فراغت یافت وقتی که اژدها از سرای بیرون می‌رفت، هر پائی که برمی‌داشت روگردانیده به دلبر نگاه می‌کرد.

چون دلبر تنها ماند فهمید که چه اندازه اژدها محبت زیاد دارد، دلبر خود به‌خود گفت دریغ او چندان که زشت است دوچندان کردار خوب دارد.

دلبر سه ماه به فراغت و آسودگی تمام در آن سرا روزگار گذرانید. هر شام اژدها به زیارت او می‌آمد تا وقت شام خوردن با او صحبت می‌داشت، ولی نه با چنان عقلی که در مردم هست دلبر هر روز از اژدها التفات‌های نو مشاهده می‌کرد. نظرش به‌زشتی او عادت کرد و هیچ وقت از دیدن او نمی‌ترسید. هر روز به ساعت نگاه می‌کرد چه وقت ساعت نه می‌شود؛ چونکه اژدها در آمدن از ساعت تخلف نمی‌کرد!

دلبر از اژدها جز این دلتنگی نداشت که اژدها هر شب هنگام خوابیدن از دلبر می‌پرسید: آیا می‌خواهی همسر من شوی یا نه؟

تا وقتی (نه) می‌گفت برای او درد مؤثری بود.

روزی به اژدها گفت: تو مرا غصه‌دار می‌کنی از این سؤال که هرگز نمی‌توانم همسر تو شوم؛ لیک بدان همیشه دوست شما هستم، بهمین خرسند باشید.

اژدها گفت: چنین باشد... مَن می‌دانم بسیار زشت و بدشکلم، کسی مرا قبول نمی‌کند و نمی‌پسندد. اما بسکه شما را دوست می‌دارم به‌همین خوشنودم که تو اینجا هستی خود را بختیار می‌پندارم. اگر وعده کنی که هرگز مرا ترک نکنی.

از این سخن دلبر درماند چون در آئینه بزرگ دیده بود که پدرش در مفارقت او بیمار است، آرزوی دیدار دلبر دارد.

دلبر گفت می‌توانستم به شما عهد بندم که هرگز ترا ترک نکنم، اما بسیار دلم می‌خواهد که یکبار پدرم را ببینم و اگر تو مرا از دیدار پدر منعَ کنی از این درد خواهم مرد.

اژدها گفت: دلبر من می‌میرم اگر ترا مکدر ببینم، من شما را پیش پدرتان خواهم فرستاد ولی می‌ترسم آنجا بمانی و من در اینجا از مفارقت تو بمیرم.

دلبر گفت: نه، من ترا دوست می‌دارم هرگز سبب مرگ تو نخواهم شد وعده می‌کنم در هشت روز دیگر بازگردم. شما بمن نمودید که خواهرانم شوهر کرده‌اند و برادرانم هم به عسگری[1] رفته‌اند پدرم تنهاست. من یک هفته پیش پدر می‌مانم باز برمی‌گردم.

اژدها گفت: شما فردا بامداد خود را در آنجا خواهی یافت. پدرت را خواهی دید، لیک به‌وعده خود وفا باید کرد وقتی که خواستی بازگردی انگشتر خود را در وقت خوابیدن بالای تخت‌خوابت بگذار. اژدها بنابرعادت خود آهی کشید بدرود کرد.

دلبر پس از رفتن اژدها در بستر غم خوابید، بامداد که بیدار شد خود را نزد پدرش یافت. خدمتکار که دلبر را دید فریاد شادی برآورد بازرگان به این فریاد دوید و از دیدن دخترش کم مانده بود جان از تنش پرواز نماید. یکدیگر را یک چارک ببر گرفتند. دلبر بعد از این حال اندیشید جامه کم دارد. اما خدمتکار به او گفت در اینجا

---

۱. منظور به نظام و سربازی رفته‌اند.

صندوق بزرگی پر از جامه‌های زرین و زربفت و الماس و جواهر هست که اژدها داده است. دلبر از الطاف اژدها تشکر کرد؛ قدری از جامه‌های ساده برداشت بقیه را گفت برای خواهرانش بفرستند. در این موقع صندوقی در آنجا پدیدار شد. پدر دلبر گفت اژدها این صندوق را مخصوص تو داده است...

به خواهرانش خبر دادند با شوهرانش آمدند هر دو خواهرش بسیار بدبخت بودند، خواهر بزرگ به یک بیگ‌زاده خوش‌سیما شوهر کرده بود که عاشق صورت خود که از صبح تا شام به‌خود مشغول بود! و از زن نفرت داشت. خواهر دیگر به مرد باهوشی شوهر کرده بود که کاری نداشت مگر با مردم بجنگد و یا به کارهای مردم ایراد بگیرد و همیشه با زنش منازعه داشت!

خواهرانش چون دلبر را دیدند خوب پوشیده شعشعه جامه‌هایش چشم را خیره می‌کند، از درد درون و از رشک رنج می‌کشیدند زیاد حسرت خوردند. وقتی از راحتی و آسودگی او باخبر شدند.

این دو خواهر از رشک‌دردی که داشتند وقتی دلبر را چنین دیدند بنای ناله را گذاشتند که چرا خواهر خرد ما، اینقدر خوشبخت و ما بدبخت هستیم.

بنابراین هر دو خواهر با هم توطئه کردند که دلبر را زیادتر از مدت معین نگاه دارند. وقتی برمی‌گردد اژدها تغیّر کند و او را تلف نماید.

قرار شد برای اینکار به دلبر بسیار نوازش و مهربانی کنند تا فریب بخورد. خود را به دلبر خیلی مهربان نشان دادند. چون هشت روز گذشت بنای گریستن گذاشتند و چندان بیتابی نشان دادند دلبر مجبور شد هشت روز دیگر نزد آنان بماند.

از دیرکردن دلبر حیوان که از دل و جان او را دوست می‌داشت، دچار غم و درد شد. شب بعد که دلبر نزد پدرش بود در خواب دید در باغچه‌سرا روی علفها خوابیده آماده مردن است، دلبر هراسان از خواب برجست و اشکِ از چشم فروریخت گفت: عجب بیوفایم، درباره کسی که چندان مهربانیها کرده عیب او زشتی و نادانی اوست ولی در رفتار و کردار بهتر از همه است، من چرا همسری او را نپذیرفتم با او بختیار و آسوده‌تر می‌باشم، بهتر از خواهران خود که با شوهر خودشان هستند.

زیبائی و عقل مرد، زن را خشنود نمی‌کند مگر محبت و راستی و اطوار خوش و مهربانی او. اژدها اینهمه صفات را دارد هرچند به او عشق ندارم، لیک با او دوستی و آشنائی دارم. لازم است بروم، نباید او را دچار غم و درد و الم کرد، چه بعدها در تمام عمر سرزنش حق‌شناسی او را خواهم خورد.

دلبر بعد از این سخنان برخاست انگشتر خود را روی تخت گذاشت خوابید. وقتی بامدادان از خواب برخاست خود را در سرا دید. جامه‌های رنگین خود را پوشیده تا به اژدها نمایان شود. چشم به‌راه نشست تا ساعت نه شب اژدها نیامد، دلبر ترسید که اژدها مرده باشد. برخاست ناله‌کنان همه سرا راگشت ناامید بود. در این موقع ناگهان خواب خود را به‌یاد آورد رفت باغچه همانجائی که خواب دیده بود. اژدها را در آنجا به‌زمین افتاده و بیهوش و بیجان یافت. گمان کرد که او مرده. بی‌ترس و واهمه از صورت زشت و مهیب او، بیخود خود را به روی او انداخت ولی دریافت که هنوز جان دارد. کمی آب از جوی برداشت به‌سر و روی او ریخت، اژدها چشم باز کرد دلبر را دید نخست خودبه‌خود گفت:

ای دل این تپیدن چیست مگر زخم کاری داری... سپس به دلبر گفت: وعده خود را فراموش کردی، غم فراق تو مرا از گرسنگی به‌حال مردن انداخت. من مرده بودم بوی وصال تو مرا زنده کرد.

دلبر گفت: نه عزیز من! هرگز تو نمی‌میری تو در همسری من کامرانی و زندگانی خواهی کرد... سوگند می‌خورم که پس از این همیشه با تو باشم. دریغ! چنین می‌پنداشتم که تنها به دوستی شما روزگار بگذرانم. ولی در دل چنین می‌نماید که بی‌دیدار تو گذران عمر برایم دشوار است.

همینکه این سخنان از زبان دلبر گذشت دید همه سرای منورشد و از هرسو چراغها افروخته در و دیوار روشن رشک ساحت گلشن شد. آوازهای عجیب و دلربا از هرسو می‌آمد، رقص و بازی می‌کردند! گویا عید بزرگ پادشاهان است. اما همه این نمایشها دیده دلبر را خیره نکردند، بسوی اژدها نگاه کرد او را ندید؟ مگر به زیر پای شهزاده‌ای خورشیدچهر، زیباتر از مهر یافت که شکرگذاری می‌کرد.

اگرچه این شهزاده شایسته بود که همه افکار بیرونی دلبر را برباید، اما خودداری نتوانست که اژدها کجا رفت.

شهزاده پاسخ داد: به زیر پای خود می‌بینی، یک پری ستمگر مرا دچار قهر خود ساخت بصورت اژدها درآورد، امر کرد خود را دانا ننمایم به اینحال باشم تا دختری خوب به‌همسری من خرسند گردد. او از میان دخترهای دنیا ترا اشارت کرده بود که به اطوار خوش و ملایمت طبیعت و محبت با تو رفتار نمایم تاج و تخت را بـه تـو واگذارم. من اکنون ممنون محبت و التفات او هستم.

دلبر تعجب کرد. شاد گشت دست شهزاده را گرفت برخاست برابر سـرای رفـته و نشست.

دلبر پدر خود و همه خانواده را در آنجا دید که آن زن خوب که در خواب به او جلوه کرده بود آنها را به آن سرا آورده بود در اینحال کم ماند از شادی بمیرد آن زن خوب که خداوند پریها بود، به دلبر گفت: بیا بگیر مکافات انتخاب خوب خود را که راستی را بر زیبائی ترجیح داده بودی. شما شایسته‌اید که همه این صفات پسندیده را در یک شخص دریابی.

شما بروید، امیدوارم که تاج و تخت، دولت و فضیلت شما را خراب نکند. سپس رو کرد به خواهران دلبر گفت: خانم افندیها مـن از دل شـما خـبر مـی‌داشـتم و آن بدکرداریها که در طبیعت شماست، شما به صورت دو سنگ خواهید بود اما عقل و احساس خواهید داشت. هیچ شکنجه در این سرای بدتر از این نیست شاهد آسایش و فراغت و سلطنت خواهر خود باشید. البته به‌حال اول خود خواهید برگشت وقتی که قصور خود را شناختید و پشیمان شدید و اگر شما خواهید همیشه به‌صورت سنگ نمانید ترک خودبینی، و حدّت و گرسنه‌چشمی و تنبلی نمائید. اما بسیار مشکل است خوی بد در طبیعتی که تمکن یافت تبدیل یابد.

در همان ساعت پری اشارت کرد هر چه در آنجا بود به سرای شهزاده نقل کردند. رعیت او را دیدند شاد شدند. دلبر همسر شهزاده شد. مدت بسیار در کمال عـیش و کامرانی زیست کرد چون بافضیلت و راستی پرورش یافته بود خـواهـرانش هـمیشه به‌صورت سنگ ماندند.

* * *

فطنت‌خانم: یک هفته است بی‌دلتنگی ما به شنیدن این حکایت وقت گذراندیم من زیبائی دلبر را دوست می‌دارم، اما گویا اگر من بجای او می‌بودم نمی‌خواستم همسر جانور بدشکل شوم.

فطرت‌خانم: اما اژدهای او چندان نیک بود که اگر تو هم جای دلبر بودی، نمی‌خواستی بگذاری اژدها از غصه بمیرد.

مریم: اگر من بجای دلبر می‌بودم پیوسته در ترس بودم که مبادا اژدها مرا بخورد!

زینت‌خانم: چنین می‌پندارم که اگر من بجای دلبر می‌بودم مثل دلبر به اژدها خو می‌کردم. بخاطر دارم وقتی پدر افندی یک غلام سیاهی خرید به خانه آورد، این غلام چندان بدچهر و زشت‌رو بود که حیوان پیش او زیبا می‌نمود. نخست من از او می‌ترسیدم هروقت او را می‌دیدم می‌گریختم پنهان می‌شدم. رفته‌رفته چشم آشنا شد چنانکه اگر روزی مرا به عرابه سوار می‌کرد برای کشتن می‌برد هیچ فکر بد نمی‌کردم.

ـ خانم افندیها، زینت‌خانم خوب می‌گوید به زشت‌رو خو می‌توان گرفت، اما هرگز با بدخو و بدذات نمی‌توان همخو شد...

آدمی به سیرت است نه به صورت، دیگر بدانید ای فرزندان من، پیوسته مکافات دیده‌اند آنهائی که در بندگی کوشیده‌اند. اگر دلبر در راه پدر جان خود را دریغ نمی‌کرد و حق نعمتهای اژدها را نمی‌شناخت سرانجام تاج و تخت، فراغت و دولت نمی‌یافت، دیگر دیدید مجازات خواهران بد دلبر را.

ای فرزندان من اکنون ساعت سه است تا ساعت چهار وقت دارید تفریح کنید. گردش کنید، بدوید، بجهید لیک در سایه باشید. من پیرم نمی‌توانم راه بروم، فطنت‌خانم هم ناتوان است ما اینجا می‌مانیم.

کمی بعد مریم‌خانم برگشت گفت: استاد ببینید این پروانه زیبا را که من گرفتم می‌خواهم او را در صندوقچه بگذارم و با شکوفه بپرورانم، شاید از خاندان خوب باشند زاد و ولد کند.

ـ بسیار خوب خانم افندی ولی تعجب نخواهی کرد اگر بجای پروانه کرم یافتید.

مریم: اما استاد من کرم به صندوق نمی‌گذارم تاکرم بیابم، این پروانه است چگونه ممکن است چیز دیگر بیابم؟

استاد: عزیز من بی‌گمان نمی‌توانید در این صندوقچه و از این پروانه چیز پروانه بیابید، اما بدانید این پروانه که به‌شما اینقدر زیبا می‌نماید، نخست کرم ضعیفی بود و بسیار زشت، بعد به صورت زیبای پروانه درآمد.

ـ استاد این چون تناسخ است به ما توضیح دهید تناسخ چیست؟ درباره آن حکایات و روایات زیاد شنیده‌ایم.

ـ خانم افندیها فریب خورده‌اید عزیزان من تناسخ در تواریخ است؟ وقتی که بزرگ شدید حقیقت آن را به‌شما بیان خواهم کرد.

فطنت: شما همیشه به‌من می‌گفتی وقتی که بزرگ شوم هرچه از شما بپرسم به من خواهید، گفت می‌دانید اکنون سیزده سال دارم کودک نیستم، اما چرا آنچه می‌پرسم به من جواب نمی‌دهی و به وقت دیگر می‌اندازی.

ـ خانم افندی، بسیار چیز هست می‌بایست نخست آنها را دانست برای بیان نمودن تناسخ، باید تاریخ خواند. بزودی تاریخ می‌خوانید و آن وقت آنچه بخواهید بشما خواهم گفت.

مریم‌خانم: افندی، آیا منهم می‌بایست بزرگ شوم تا بدانم کرم چگونه پروانه می‌شود؟

ـ خانم افندی، نه عزیز من برای جواب شما می‌روم پروانه‌ها می‌گیرم نگاه می‌دارم. آنها تخم خواهند کرد، بعد از تخم‌کردن وقتی که کرم شدند، کرم‌های کوچک بیرون می‌آیند که چون تار عنکبوت رشته به گرد خود می‌بافند و از آن رشته‌ها خانه برای خود می‌سازند. در زمستان در آنجا پنهان شده از سرما خود را نگاه می‌دارند. کیست که آنها را به ریسیدن رشته واداشته است؟

خانم افندی خدایی که آنها را آفرید هرچه را برای تعیش و نگاهداری ضرور است. برایشان می‌دهد آنها در بدن خود مخزنی دارند که از آن برای خود خانه می‌سازند.

ـ افندی شما به این کرم‌های خرد خوردنی می‌دهید، اما وقتی که در خانه می‌مانند کیست که در خانه برایشان خوردنی رساند؟

ـ عزیز من هیچکس! اما آنها احتیاج ندارند، نمی‌خورند تا بزرگ نشوند، وقتی هوا گرم شد از خانه‌های خود بیرون می‌آیند.

بعد چندی می‌خوردند شما ایشان را خواهید دید مزاری برای خود ساخته‌اند جائی که می‌خوابند و می‌زیند. ایندم یک دانه می‌شوند اما بعد چندی، این دانه به هیجان می‌آید یک سر و بدنی و بال و پری از آن بیرون می‌آید یک پروانه زیبائی مثل اینکه خود را از شکوفه می‌پرورد، تا اینکه باز تخم بگذارد و بمیرد.

ـ استاد ما همه اینها را خواهیم دید؟

ـ آری خانم افندی همه اینرا خواهیم دید و بسیار چیزهای خوب دیگر. اگر این تابستان به ییلاق برویم دوازده‌تا پروانه خواهم گرفت و به اتاق خود خواهم گذاشت و هر روز از شکوفه‌های تازه به آنها خواهم داد آنها را خواهیم دید.

برویم چائی بخوریم بعد تاریخ را تکرار نمائیم این دفعه نوبت زیباخانم است.

*

بعد از مردن آدم و حوا فرزندان آنها شیوه بدکاری پیش گرفتند. از دروغ بدتر چیزی نیست دروغ می‌گفتند. گرسنه چشم و خشمناک بودند. هرگز نماز نمی‌خواندند. باری جز از گناه کردن و بدی‌نمودن کاری دیگر نداشتند.

خدا خواست آنها را مجازات نماید، اما درمیان این مردم گناهکار یک نفر مرد پرهیزگار و درستکار بود. خدا بر او امر فرمود که خانه‌ای از درخت بسازد و از هرنوع جانوران نر و ماده آنجا نگاهدارد. این مرد صالح را نوح می‌نامیدند و همین که خانه را ساخت و این خانه راکشتی می‌گفتند با زن و سه فرزند سام و حام و یافث در آنجا رفتند. به امر خدا چندان باران بارید که همه خانه‌ها و درختان و کوهها زیر آب ماند و همه مردم و حیوانات غرق شدند. کشتی نوح بالای آب ماند. چون همه غرق شدند دیگر باران نبارید باد بسیار وزید زمین خشک گردید. آنگاه نوح پنجره کشتی را باز کرد زاغی را پرواز داد، زاغ که خوی زشت مردارخوری سرشت اوست، تن مردگان را

می‌خورد دیگر به سوی کشتی بازنگشت نوح دگربار پنجره کشتی را باز کرد کبوتری پرواز داد. کبوتر رفت یک شاخه درختی به منقار گرفته به کشتی بازآورد. خدا به نوح فرمود از کشتی بیرون رود نوح با خانواده خود خدا را سپاس گفتند هماندم دیدند که چیز بزرگ سرخ و زرد و کبود که او را قوس و قزح می‌نامند، نمودار شد.

خدا به نوح گفت اینرا به شما خواهم داد که در خاطر شما بماند که هیچ دیگر طوفان نخواهد شد.

مریم: افندی کی بود که به نوح و فرزندان و جانورانی که در زمان توفان در کشتی بودند برایشان خوردنی می‌داد.

ـ عزیز من هرچه از خوردنی می‌بایستی، بر کشتی گذاشته بودند...

ـ این درست است استاد، در کشتی که ما سوار بودیم پنجره داشت، ولی هرساعت می‌ترسیدیم که مباداکشتی در آب فرو رود. از کجاست که کشتی بروی آب می‌ایستد و فرو نمی‌رود من وقتی کارد را به آب انداختم، هماندم به‌ته دریا رفت.

ـ چون آب سنگین‌تر از چوب است از این است که کشتی بالای آب می‌ایستد کارد شما سنگین‌تر از آب بود از برای آن به آب فرو رفت.

ـ استاد کشتی از کارد سبکتر است؟

ـ عزیز من، کشتی از کارد سبکتر نیست، اما اگر یک کشتی از آهن بسازیم به آب بیندازیم هماندم غرق می‌شود. بیائید اکنون درمیان باغچه کنار حوض این را امتحان نمائیم، یکپارچه چوب به‌قدر ترب می‌گیرم حال ببینید چوب را انداختم به آب. هرگز فرو نمی‌رود. ترب که بقدر چوب است ببینید فرو رفت چون ترب سنگین‌تر از آب است. این مرغهای خرد که در ساقه‌های کوچک درخت نشسته‌اند ولی ساقه خم نمی‌شود، برای اینکه مرغ سبکتر از ساقه است ولی اگر من روی آن شاخه بنشینم شاخه می‌شکند برای آنکه من سنگین‌تر از شاخه هستم.

استاد: فطرت‌خانم! تاریخی که خوانده شده هیچ برای شما افکاری نیامد...

فطنت: چرا؟ وقتی که نوح سپاس خداوند گفت منهم فراموش نخواهم کرد هر وقت خدا بمن احسان کند، تشکر نمایم.

استاد: خانم افندی خدا بسیار چیزها به شما داده... آنچه خوردنی است خدا به‌شما می‌دهد و هم جامه و آنچه دارید.

ـ استاد عفو بفرمائید آنچه می‌خورم و می‌پوشم مادرم به‌من می‌دهد!

استاد: خانم افندی خوب بیندیشید عزیز من! خدا همه چیز را آفرید و همه چیز از اوست. اگر خدا پول به مادرت نمی‌داد، برای تو جامه و خوردنی و آنچه احتیاج داری نمی‌توانست بخرد. شما هیچ نداشتید.

ـ آه دوست دارم خدا همه چیز به‌من بدهد.

ـ این درست است عزیز من اگر خدا را دوست داری، ترا خشنود خواهد کرد.

آیا مادربزرگ مراکه در ازمیر است خدا آفریده است.

استاد: خانم افندی هرچه در زمین و آسمان است خداوند آفریده.

ای کودکان من می‌پندارم که باران خواهد آمد برویم به اتاق.

فطرت: آه استاد نگاه کنید به آن طرف می‌پندارم همین است شما می‌گفتید قوس و قزح، او چه رنگ‌های خوب دارد.

ـ راست می‌گوئید عزیزم اما وقتی که این را می‌بینید می‌باید شکر خدا گفت که این علامت آسودگی بشر است. هرگز بی‌حمد خدا به قوس و قزح نگاه نباید کرد، چراکه او سبب عفو مردم است.

ـ خانم افندیها ساعت شش است باید رفت.

ـ فطرت‌خانم زود رفت بخوابد.

ـ پس، فردا منتظر شما هستم اما به‌شما باز می‌سپارم به‌عجله غذا نخورید.

فطنت: آهسته خواهم خورد به مکافات اینکار پس از قهوه‌خوردن یک نقلی باید بگوئید.

ـ بسیار خوب آن را وعده می‌دهم.

دلربا*

در زمان پیش، شهزاده‌ای در سیزده‌سالگی پدرش مرد. شاهزاده نخست بسیار از فوت پدر غمگین شد. بعد از چندی سلطنت رنگ کدورت را از آئینه دل او زدود... این شهزاده را دلربا می‌گفتند. اگرچه طبیعت خوبی داشت، ولی در محیط شهزادگی تربیت یافته بود. یعنی به اجرای مراد خویش مصر بود. روشن است. ثمره این عادت خوب نخواهد بود. هرگاه کسی به زیارت او می‌آمد به خدمت می‌آمد در کارهای دولت اغفال و در اجرای هوی و هوس خویش اشتغال داشت، ویژه به‌شکار بسیار مایل بود که اغلب اوقات در کوه و دشت می‌گشت و جانور می‌کشت. چنانچه بعضی از شاهزادگان چنین هستند! معهذا یک خواجه خوبی داشت که در جوانی او را بسیار دوست می‌داشت. چون به تخت نشست خودبه‌خود می‌اندیشید و می‌گفت که خواجه من بسیار مرد بافضیلت و درستکار است در حضور او به بعضی کارها جسارت نتوانم کرد، زیراکه پیوسته پند او به‌من این بود که شهزاده باید به اجرای امور دولت و سلطنت و رعیت مشغول باشد و من دوست دارم خوشگذرانی و عیش و کامرانی را. اگر او بروی من بیارد از دل خشنود نخواهم شد. می‌باید او را دور کرد تا به‌من تنگ نگیرد. فردای آن روز بزرگان دولت را خواست و در آن انجمن مدح و ثنای خواجه خود را بسیار کرد و زیاد از حد خدماتی که خواجه به او کرده بود، بیان نمود و استعداد و کفایت و فضیلت او را ستود و گفت به مکافات این همه خدمات، از حکومت فلان مملکت را به او دادم که بسیار دور از دارالخلافه خود بود.

---

*. در متن اصلی آغاز این قصه با دلربا شروع می‌شود ولی بعد نام قهرمان قصه به دلبر تغییر می‌یابد. گمان می‌رود اشتباه شده باشد. بهرحال در این چاپ نام قهرمان قصه همه‌جا «دلربا» آمده است.

همین‌که خواجه‌اش به‌جای مأموریت خود رفت، ملک به هوی و هوس و شکاررفتن مشغول شد. روزی در شکار میان بیشه بزرگی آهوئی از برف سفیدتر با حلقه طلا درگردن دید، آهو به نزدیکی دلربا آمد ایستاد به او نگاه‌کرد سپس رفت. دلربا فرمان به ملازمان داد که در جای خود بمانند. خود پی آهو گرفت گویا آهو منتظر او بود. هرقدر دلربا به او نزدیک می‌شد او می‌جست و چهارپا می‌دوید. دلربا بسیار راه رفت و تعاقب او کرد چون زیاد از حد شوق گرفتن او داشت، شب سرآمد و آهو از نظر ناپدید گشت.

ملک اندوهگین گشت! چون نمی‌دانست آهو کجا رفت؟ در این موقع آواز موسیقی از جنگل برآمد، ولی دور می‌نمود دلربا پی این آواز خوش و دلنواز را گرفت و رفت تا به یک قلعه رسید که صدای آواز و خواندن از آن می‌آمد. خواست بدرون رود، دربان پرسید چه می‌خواهید؟ دلربا سرگذشت خود را نقل کرد. دربان گفت خوش آمدید و صفا آوردید او چشم به‌راه است تا با تو غذا خورد زیرا که هروقت این آهو از خانه بیرون می‌شود، هنگام بازگشتن با خود یک یار می‌آورد.

هماندم دربان آواز داد، ملازمان بسیار پیدا شدند با مشعل‌های زیاد، او را به‌یک دایره مزین بردند اگرچه خانه بسیار ممتاز نبود، ولی پاک و مصفا بود دیده را روشنی می‌داد. هماندم بانویی پدیدار شد دلربا از دیدن روی زیبای او حیران ماند و بیخود خود را برپای او انداخت! بسکه محو تماشای حال او بود، مجال مقالی نداشت.

آن بانو دست او راگرفت و گفت برخیز ای دلرباکه ترا به درستی می‌پذیرم و تو به‌من دلربا می‌نمائی، چنانچه امیدوارم مهر تو مرا از این گوشه تنهائی رهائی دهد مرا روان گویند که هرگز نمی‌میرم و همیشه هستم از اول دنیا تا به امروز، در این جا منتظر یک شوهرم.

بسیاری از پادشاهان به دیدن من آمدند، اگرچه در وفاداری عهد و پیمان بستند و سوگند خوردند پیوسته با من باشند، ولی برای خاطر دشمنان ستمکار من، پیمان خود شکستند و سلسله دوستی و عهد درستی را از هم گسستند.

دلرباگفت: آه ای بانوی بانوان! آیا می‌شود ترا یکبار ببینند و فراموش کنند؟ سوگند

می‌خورم جز تو کسی را نگزینم، عهد بستم تا هستم با تو هستم. از این پس تو بانوی من هستی. روان گفت منهم ترا به پادشاهی پذیرفتم، ولی هنوز به همسری تو سخن نمی‌دهم. اکنون یک شهزاده در سرای من است به تو می‌نمایم، می‌باید سه سال ترک من کنی در این مدت هرکدام وفادارتر باشد او را به همسری خواهم پذیرفت.

دلربا از این سخنان غمگین شد وقتی که آن شاهزاده راکه روان گفته بود دید و مشاهده کرد او بسیار دانشمند و خوبرو است، ترسید که مبادا روان او را فزونتر از او دوست بدارد.

آن شاهزاده را آزاد می‌گفتند. پادشاه بزرگ بود. ملکی فراخ داشت. هر دو با روان غذا خوردند و غمگین بودند از اینکه فردا هر دو از روان جدا می‌شوند.

بامداد که خواستند بروند روان گفت: تا سه سال منتظر شمایم و هر دو از سرای بیرون شدند و همینکه دویست و سیصد گام در بیشه پیش رفتند، یک قلعه بزرگتر و بهتر از قلعه روان نمودار شد که زر و سیم و مرمر و جواهر و الماس آن قلعه بیننده را خیره می‌کرد! باغی چون فردوس برین بود. آندو به سیر و تماشای آن قلعه رفتند در آنجا روان را یافتند حیران شدند؟ ولی روان جامه تبدیل کرده از سرتا پا لباس زرتار و زربفت مزین به جواهر و الماس پوشیده بود، زلف پریشان دور سر جمع کرده به‌گل‌های گوناگون تاجداری بسته و برتخت زرین دانه‌شان نشسته بود. روان به آنها گفت: دیروز خانه ییلاقی خود را به‌شما نمودم. آن سرای پیش به‌من خوش می‌آمد. ولی اکنون که دو پادشاه دوستدار و خواستگار دارم آن‌خانه سزاوار خود نمی‌دانم. آن را ترک کردم که دیگر در آنجا هرگز ننشینم. در این سرا چشم به‌راه شما خواهم بود. زیرا شهزادگان زیب و زینت خوش دارند. زر و سیم و جواهر برای آنها آفریده شده! وقتی که رعیت خانه شاهان را از جواهر درخشان و تخت ایشان را دانه‌نشان و سرایشان عالی و قصرشان را متعالی بینند تعظیم را زیادتر نمایند همانندم ایشان را به ایوان بزرگ برد و گفت می‌خواهم تصویر دوستان و عاشقان خود را به‌شما بنمایم. یکی این است که اسکندر می‌گفتند همسری او را می‌خواستم ولی جوانمرگ مرد. او باکمی لشکر آسیا را خراب کرد. خداوند آنجا شد. او مفتون من بود بارها خود را به‌خاطر من به مخاطره انداخت.

این یکی را ببینید پیروز نام داشت به آرزوی همسری من سلطنت خود را ترک کرد تا دیگر سلطنتی بگیرد در همه عمر دوید و کوشید آخر زنی یک خشتی به‌سر او زد و مرد و آندیگر فیروز که به جهت من ده‌سال با قیصر جنگید! همه جا راگرفت روم را که به تصرف درآورد او همسر من می‌شد، ولی چون به نصیحت من دشمنان خود را بخشید، آنها فرصت جسته زخم خنجر به او زدند و کشتند.

و دیگر تصویر بسیاری از عاشقان و خواستگاران خود را به آنان نمود و خوانی پر از ظروف و آلات زر و سیم که در آنها طعام‌های گوناگون گذاشته و چیده بود، خوردند پس از آن امر به سیاحت آنان کرد.

چون از سرای بیرون شد آزاد به دلربا گفت: باور دارید که روان‌بانو، امروز از دیروز بهتر بود و هم در جامه‌های رنگین زیباتر می‌نمود و هم دانش و ادراکش افزونتر از دیروز. دلربا گفت نمی‌دانم ولی امروز آرایش بسیار داشت... باری هردو شاهزاده از هم جداشده به سلطنت خود رفتند و عزم کردند کاری کنند که پسندیده معشوق و بانوی خویش باشد.

هنگامی که دلربا به‌سرای خود باز آمد به‌خاطرش آمد ایامی که خرد بود خواجه او بسیار از روان بیان کرده بود بدل گفت بهتر آن است که خواجه خود را بیاورم و از او بپرسم چه باید کرد که پسندیده خاطر او باشد. بریدی برای آوردن او فرستاد، همان که روشن‌ضمیر می‌گفتند رسید هماندم به اتاق خود طلبید و سرگذشت خود را به او نقل کرد او از شادی گریه کرد و به شاه گفت: آه خداوند من! از آمدن خود خورسند شدم که بی من سلطنت از دست می‌رفت. اکنون می‌باید به‌شما بگویم که روان خواهری دارد روان کاذب که در زیبائی چون روان نیست، ولی درمیان زیب و آرایش زشتی خود را می‌پوشاند و او منتظر است هرکه از قلعه روان بیرون آید خود را چون او به ایشان می‌نماید و می‌فریبد ایشان می‌پندارند که برای روان می‌کوشند خود را پی انجام پندهای خواهر او روان کاذب تلف می‌کنند دیدید که همه عاشقان روان کاذب در آرزوی او در بدبختی و فلاکت هلاک شدند... اگر تو می‌خواهی همسر روان شوی باید هرچه می‌گویم به گوش و هوش بشنوی.

روان می‌خواهد همسر ملک جهان باشد! بکوش تا سزاوار او باشی، دلربا به روشن‌ضمیر گفت: تو می‌دانی این نشدنی است زیرا که مردم بزرگترین ولایات من چنان نادان و فرومایه و ترسواند. هرگز نمی‌توانم آنها را به‌جنگ وادارام، از این گذشته شهنشاه‌شدن از جنگ‌کردن بسیار و از تسخیرنمودن ولایات بیشمار نمی‌شود. روشن‌ضمیر پاسخ داد: آه خداوند من باز پندهائی که بر شما داده بودم فراموش کردی. تا شهرها نگیری و رعیت بسیار نداشته باشی شهنشاه نخواهی شد.

برای دوام ملک و آسودگی رعیت دفع ستم و عدل و کرم باید کرد. دولت جاوید چیست: کرم‌داشتن، بر سر دادآمدن، دفع ستم‌داشتن آنهائی که تسخیر ولایات و فتح بلاد... می‌کنند قلعه‌های معمور می‌سازند خانه‌های مرغوب به‌پا می‌دارند. و جامه‌های رنگین و تاج مرصع و کمر زرین می‌گیرند، فریب خواهند خورد و نباید جز روان کاذب که از زیبائی عاری است صورتی دارد زشت و مکروه. تو می‌گوئی رعیت نادان‌اند می‌باید آنان را تربیت داد و هرگونه دانش و فنون به آنان آموخت؛ نادانی و جهل را از ملک خود بیرون کن با هوی و هوس ستیزه کن پادشاهی بزرگ و فیروزمند و برتر از قیصر و سکندر و پیروز و سایر پادشاهان که تصویر ایشان را روان کاذب آنروز به‌شما نمود، خواهی شد.

یکی از خویشان خود را خواست و تمنا کرد که در هنگام غیبت به‌جای او نشیند اداره امور ملک و ملت نماید، خود با خواجه‌اش بیرون شد تا سیاحت همه‌گیتی نماید و آنچه لازمه جهانداری و رعیت‌پروری است بیاموزد. در هر کشوری که یک دانشوری می‌دید به او می‌گفت می‌توانی با من بیایی ترا بسیار پول می‌دهم. هم‌چنین هرجا اهل فن و پیشه و صاحب هنری می‌دید او را با خود می‌آورد. تا جمعی کثیر با خود همراه باشد، خلاصه از هر فنی و علمی بهره برداشته به سلطنت خود مراجعت کرد.

دلربا استادان که همراه آورده بود امر به تربیت رعیت خویش کرد تا در صنعت و زراعت و تجارت، آهنگری، نجاری و بنائی و نقاشی و کفاشی آنچه لازمهٔ مدنیت است به رعیت آموختند، درنتیجه آنکه درویش بود توانگر شد. آنهائی که نادان

بودند دانشمند شدند، جاهائی که ویران بود آباد کردند، به کارهای سودمند برای عموم پرداختند. جوانان علم طب آموختند تا بیماران را تیمار نمایند. امیران درمیان مردم داد می‌کردند به درجه‌ای که همه مردم به راستکاری و دوستی و الفت و یگانگی خو گرفتند. اینها را سعادت می‌دانستند.

دوسال بر این منوال گذشت. ملک به روشن‌ضمیر گفت: باور می‌داری که به این زودی شایسته همسری روان باشم.

روشن‌ضمیر پاسخ داد: ای خداوند هنوز یک کار بزرگ باقیست اگرچه بر نادانی رعیت فیروزمند و بر معموری مملکت و ترقی دولت و فزونی دانش و حکمت و بر هوی و هوس از حد بیش توفیق یافتی، ولی هنوز اسیر خشم و طبیعت حدّت هستی این خود بزرگترین دشمن است، باید بر او غلبه کرد.

(دلربا در این‌راه چنان کوشید) تا خوش‌رفتار و شیرین‌گفتار، صبار و بردبار گشت اخلاق پسندیده یافت تا سه سال به نهایت رسید. ملک به همان بیشه رفت که آهوی سفید را دیده بود. کسی از ملازمان را در رکاب برنداشت مگر روشن‌ضمیر را به رفاقت برداشت. در آن نزدیکی آزاد را در یک گردان مزین با حشم و خدم زیاد دید که در جلو او بسیاری از شهزادگان زنجیر بر دست و پایشان زده و اسیروار می‌بودند! همین‌که آزاد هم دلربا را دید خندید. در هماندم قلعهٔ هر دو خواهر پدیدار شد که چندان از همدیگر دور نبود. دلربا راه قلعه نخستین را گرفت و رفت و آزاد از رفتار دلربا به حیرت فروماند، زیرا که روان گفته بود که به آن قلعه هرگز باز نخواهد گشت.

دلربا به‌سرای روان رفت در سرا رفته و آب پاشیده و روان جامه‌های ساده پوشیده هزاربار بهتر از بار نخستین که دیده بود. روان با کمال عز و ناز به پیشواز دلربا آمد و گفت: آفرین بر تو ای خواجه روشن‌ضمیر که ترا آموخت ترجیح‌دادن مرا بر خواهرم! اکنون شایسته همسری منی. هماندم روشن‌روان فرمان داد به فضلا و درستکاران تا جشن و سرور عروسی او را با دلربا ترتیب دادند. در این اثناکه دلربا مشغول عیش و مسرت همسرشدن روشن‌روان بود آزاد به سرای تیره‌روان رسید که او را به کمال احترام پذیرفت. هماندم امر بر عروسی خویش و آنهم خورسند گشت. ولی همین‌که

بین آزاد و تیره‌روان صحبت و معاشرت شروع شد، آزاد درِکنار خود پیرزنی بدچهر و کریه‌منظر و زشت‌رو دید که آرایش و پیرایش، زیب و زینت زشتیهای او را پوشانده بود و همین‌که تیره‌روان خواست صحبت کند دندان‌های عاریه او از دهنش بیرون دوید! شهزاده آزاد از فریب‌خوردن خود چندان خشمناک شد که برخواست بر او حمله برد. زلفهای سیاه و دراز او را به‌دست گرفت! ولی به حیرت فرو رفت وقتی زلفها را در دست خود یافت و سر تیره‌روان را برهنه مانند! کچلان دید در سرش جز چند موی سفید بیش نبود، او را واگذاشت به‌سرای روشن‌روان شتافت که همسر دلربا شده. روشن‌روان و دلربا به بدبختی او افسوس خوردند.

مریم‌خانم گفت: استاد من این نقل بهتر از دیگران نبود بسیار چیزهاست باید فهمید خواهش دارم آنها را به‌من بیاموزید. می‌دانید که من سیزده‌سال زیادتر ندارم...

استاد گفت: خانم افندیها راست است که تو خردسالی ولی اگر کارکن باشی از این داستانها خیلی چیزها خواهی آموخت. اکنون برویم به‌سر جغرافیا لکن از فطنت‌خانم خواهش دارم پیش از شروع به جغرافیا تاریخی راکه دیروز آموخته امروز بازگو کند.

فطنت‌خانم: ممنونم از فرمایش استاد.

درمیان فرزندان سام بعد از مدتی از ایام طوفان مردی پیدا شد که او را ابراهیم گفتندی. او خدا را دوست می‌داشت و خدا او را. ابراهیم با همسر خود سارا آمد به کنعان و لوط برادرزاده‌اش را خدا امر کرده بود که به آنجا برود و در آنجا خداوند فرزندان بسیار و مردم بیشمار خواهد شد.

ابراهیم که بسیار پیر بود و فرزند نداشت، از این باب هیچ شکایت از خدا نداشت زیراکه خوب می‌دانست خداوند بر همه قادر است. ابراهیم و لوط بسیار توانگر شدند و خداوند چندان گاو و گوسفند شدند که بیرون از شمار بود. روزی میان چاکران ابراهیم و لوط منازعه بزرگی شد ابراهیم به لوط گفت: اِی برادر تو می‌دانی که من جنگ و جدال دوست ندارم اکنون می‌باید از همدیگر جدا شویم. جا بسیار است هرجا را می‌پسندی بمان، من جای دیگر می‌روم.

لوط به‌جای اینکه بگوید ای عم من! هرگز ترا ترک نخواهم و قدغن به خدمتکاران

خود می‌کنم که با ملازمان شما غوغا نکنند، مملکتی که «سودوم» می‌گفتند برای خود اختیار کرد و رفت، ولی مردم آنجا بسیار بد بودند مسافران را می‌رنجانیدند.

روزی لوط بر در خانه خود ایستاده بود سه نفر غریب آمدند، چون از ابراهیم عم خود محبت به مسافر را یادگرفته بود آن سه نفر را به خانه برد با نان خوردنی داد، ولی مردم آنجا که می‌خواستند با مسافرین معامله بد نمایند، به در خانه لوط آمدند، آن مسافرها را خواستند! لوط آنها را نداد، و گفت هرچه می‌خواهید بـه‌من اذیت کنید خورسندم، مهمان خود را به دست شما نمی‌دهم. هماندم مسافرها بـه لوط گفتند: مترسید ما فرشتگانیم آنها نمی‌توانند ما را بکشند ما آمده‌ایم از جانب خدا بـه شما بگوئیم که از میان این قوم بیرون روید که خدا ایشان را مجازات خواهد کرد.

اکنون با زن و فرزند خویش از خانه بیرون شوید و هرگز به پشت خود نگاه نکنید، اگر از این امر سرکشی کنید مجازات خواهید شد. هماندم لوط با زن و فرزند خویش از خانه بیرون شد*

بعد از بیرون‌آمدن آنان از شهر زلزله‌ای آنچنان در سودوم روی داد کـه زمین زیرورو گردید همه مردم بدکار آن شهر از بین رفتند.

* * *

یک خرس بچه‌ای داشت که نوزاد بـود بسیار زشت بـود. در او هـیچ صـورت حیوانی مشاهده نمی‌کرد چونکه غایت بدچهر و مکروه بود. خرس از داشتن چـنین فرزند شرمسار شد. پیش زاغ که با او همسایگی داشت رفت... به او گفت ای یار چه کنم با این بچه می‌خواهم او را تلف نمایم. زاغ گفت: او را خوب نگاه‌دار بسیاری دیگر خرسها دیده‌ام در چنین درد و غصه که تو داری، تو برو بچه خود را بسیار بلیس بزودی خواهی دید او زیبائی پیدا خواهد کرد مایه مسرت تو خواهد شد.

خرس مدتی با حوصله و صبر زیاد مشغول لیسیدن بچه خودشد، کم‌کم زشتی بچه در نظر او کم شد صورت خوب پیدا کرد و در نظر مادر زیبا جلوه نمود.

---

*. در متن اصلی و خطی، در اینجا داستان تاریخی بریده می‌شود از برگ ۴۰ مطلب با موضوع جدی سیاسی آغاز می‌گردد و تازه خود این مطلب نشان می‌دهد دنباله مطالب دیگری است که در این مجموعه نیست و تا برگ ۴۹ و مابعد آن ادامه می‌یابد و آنچه که در این صفحه به دنبال داستان می‌بینید افزایش ما است تا داستان تاریخی بنا به‌مفهوم معروفش نارسا نمانده باشد.

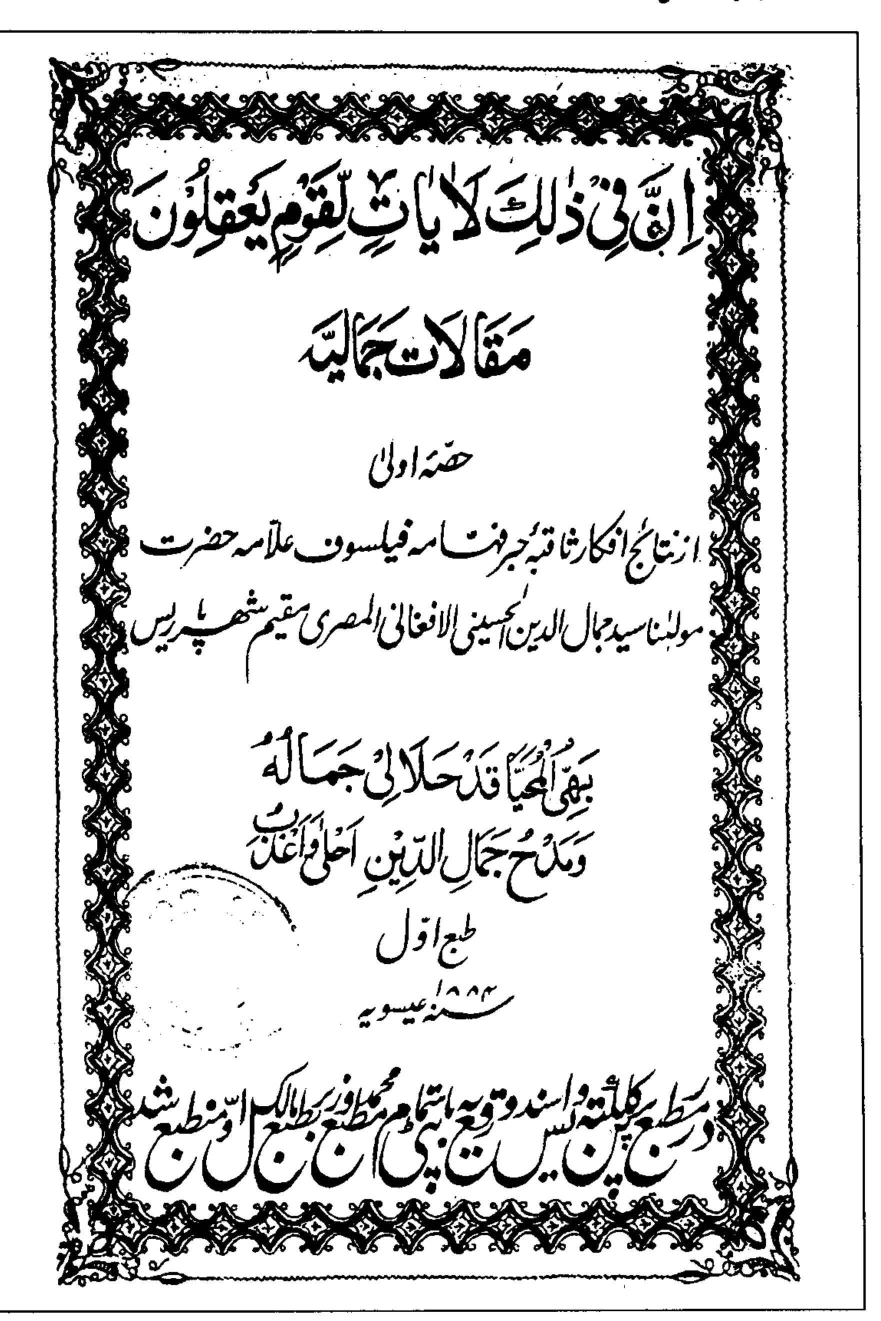
خرس برای شکرگذاری نزد زاغ رفت و گفت: اگر تو در بیقراری من به‌صبرم نمی‌خواندی بچه خود را می‌دریدم و می‌کشتم اکنون صفای زندگانی من با اوست، چه بی‌صبری مانع راحتی و سبب فلاکت و زحمت است.

* * *

روزی زنبوری مگسی نزدیک آشیانه خود دید برآشفته خشم‌آلود با آواز تند گفت: آمدی اینجا چه کنی حقیقت به‌تو می‌سزد با این فرومایگی با سلاطین هوا پیوند داشته باشی و در حضور ایشان جلوه نمائی؟

مگس به سردی گفت: حق به‌جانب شماست! پیوسته مجرمند آنهائی که با بزرگتر از خویشتن نزدیکی نمایند و به ایشان تقرب جویند. زنبور گفت درمیان آفرینش در دانش و بینش از ما نیست تنها مائیم که قانون بشریت و یک جمهوریت منظم داریم. غذاهای ما از شکوفه‌های خوشبوست و کار ما عسل ساختن است. دورشو از حضور من ای مگس زشت و بدسرشت که کار تو (ویزویز) کردن و دردسر افزودن و گذران تو درمیان نجاسات و خوردن کثافات است. مگس گفت: ما به آنچه می‌توانیم زندگی را می‌گذرانیم، فقر و بی‌چیزی گناه و قباحت نیست، ولی خشم و حدت از فقر و بی‌چیزی زشتتر است. شما عسل می‌سازید بسیار شیرین لیکن چه فایده تلخی در طبیعت شماست، در قانون خردمند و هشیارید، لیک در کار و رفتار بد با همه نوش که می‌دهید دشمنان را نیش می‌زنید و دل خود را ریش و سبب مرگ خویش، جمهوریت شما به‌خویش بیش از همه زحمت می‌دهد.

پایان



ان فی ذلک لآیات لقوم یعقلون

مقالات جمالیه

حصه اولی

از نتایج افکار ثاقبهٔ حبر فهامه فیلسوف علامه حضرت
مولنا سید جمال الدین الحسینی الافغانی المصری مقیم شهر پاریس

بهی المحیا قد حلا لی جماله
و مدح جمال الدین احلی و اعذب

طبع اول

سنهٔ ۱۸۸۴ عیسویه

در مطبع کلکته پین پریس واسند وقوع یافته باهتمام محمد وزیر منطبع بطبع الکمال و منطبع شد

صفحه اول مقالات جمالیه ـ چاپ کلکته ـ هند ۱۸۸۴ م ـ

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الجمیل محب الجمال والصلوة علی رسوله المستوی علی عرش الفضیلة والکمال والسلام علی آله واصحابه الجواد مکارم الخصال

۳

اما بعد این مجموعه ایست مسمی به (مقالات جمالیه) حاوی بر مقالات فارسیه حکیم جز فهامه فیلسوف علامه استاذنا مولنا سید جمال الدین الحسینی الافغانی المصری که یکی از اجل علمای مصر و اعز فلاسفة العصر و ماهر السنه مختلفه مثل عربی و فارسی و ترکی و فرنساوی و هندی میباشند و فی الحال در شهر پاریس دار السلطنه فرانس قیام دارند در حین قیام خود بهند القا فرموده بود چون این مقالات در بعض جرائد هندیه طبع شده بود لهذا نخواستیم بغیر اذن از صاحب مقالات در طبع آن بشکل کتاب سعی نمائیم — چنانچه نامه بطلب اذن پیش مولنای مشارالیه فرستادیم — در جواب آن تحریر فرمودند که (اگر سعی شود که مقالات من بشکل کتاب طبع شود خوب است — و شما از طرف من مأذونید — حاجت باذن جدید نیست) پس بنابرین اذن عام اولاً جسارت نمودیم بر طبع حصهٔ اولی که مشتمل است بر مقالات فارسیهٔ ایشان — و اراده داریم که فیما بعد مقالات عربیهٔ ایشان را هم با ترجمه اردوی آن در مجاذات بپیرایهٔ ثانیه طبع نمائیم — والله ولی التوفیق —

کلکته — تالتلا بازار استریت
مورخهٔ ۱۵ اگست ۱۸۸۴ عیسویه

العبد
محمد عبد الغفور شهباز البهاری

صفحه سوم از چاپ مجموعه مقالات سید در هند

بسم الله الرحمن الرحیم

فوائد جریده

لا سعادة لامة لیس لها سائق
الی الفضائل ولا زاجر عن الرذائل

عجیب است حالت انسان عجیب است حالت انسان که صراط مستقیم سعادت در راه راست نیکبختی را ترک نموده در اراضی دعرهٔ شقاوت و سنگلاخهای بدبختی جویای رفاه حال و آسایش خویش میباشد.

اگر کسی صحف تواریخ و کتب سیر را بنظر اعتبار مطالعه کند و در مضامین آنها بدیدهٔ بصیرت غور نماید بی شبهه بر وی ظاهر و روشن خواهد شد که غنی و ثروت و امنیت و راحت و سلطه و سطوت و قوت و علو کلمه و عزت و شان و شهرت هر امتی از امم و هر قبیله از قبائل در آن زمانی بوده است که افراد آن امت متخلق باخلاق فاضله و متصف بسجایای پسندیده بوده اند و هر طبقه از طبقات آن قوم را بهرهٔ وافر بوده است از بصیرت و بینائی.

و فقر و فاقه و ذل و مسکنت و ضعف و انحطاط و حقارت و پریشان حالی و گمنامی آن در آن وقتی بوده که جهل و نابینائی عموم اشخاص آنرا فرا گرفته و صنف صنف آن گروه بسوء طویه و فساد اخلاق و تباهی افکار مبتلا گردیده بودند.

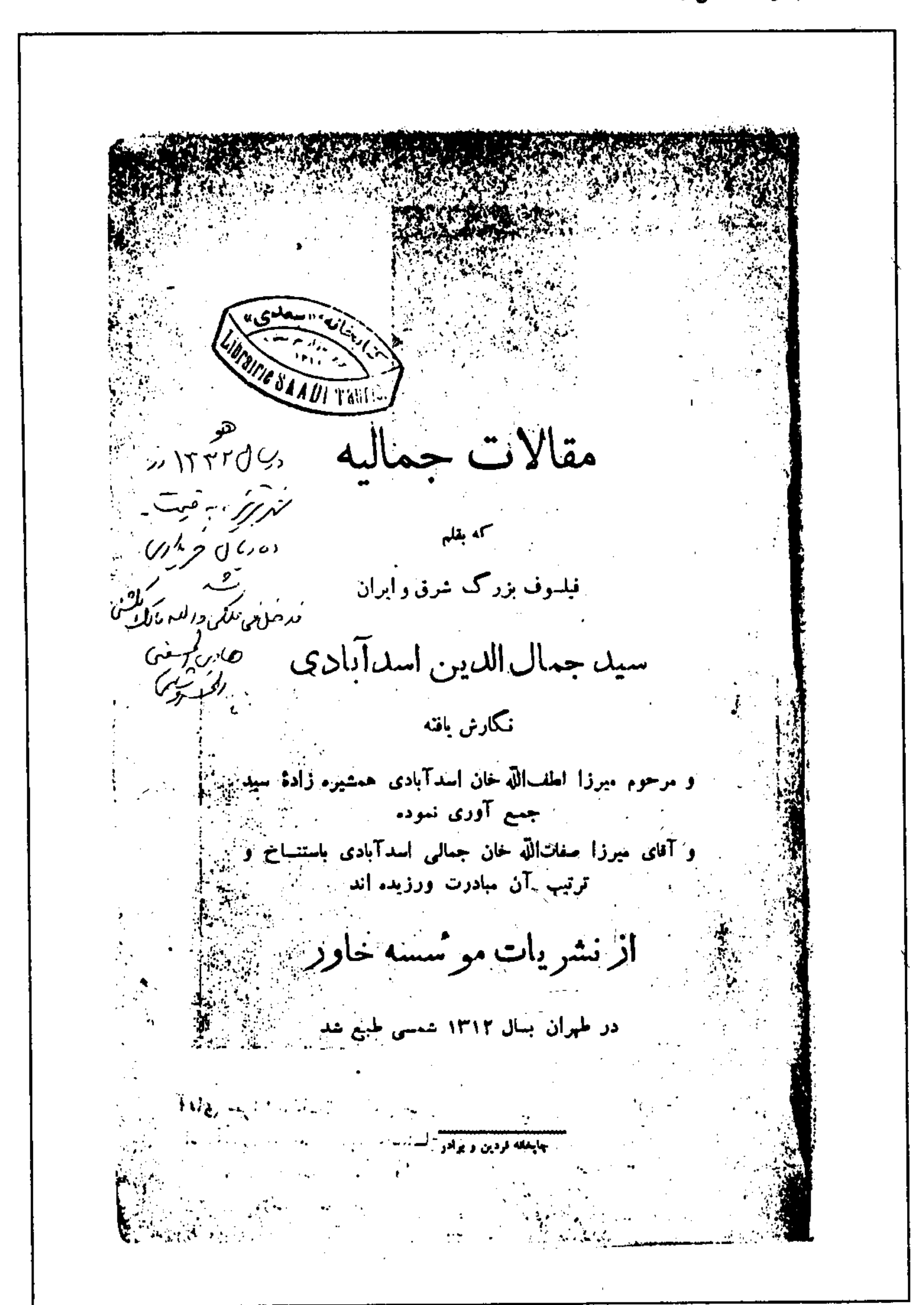
و بدین شبهه در دوران هر کسی میتواند حکم کند که سعادت امم نتیجه بینائی و اخلاق مهذبه و شقاوت آنها اثر غباوت و سجایای ناستوده است بلکه اگر کسی تعمق و تدبر نماید در این مسئله که سعادت امتیکه باسم واحد نامیده و به شیئی واحد شناخته میشود بلکه رفاهیت هر فردی از افراد آن حاصل نمیگردد مگر بتعاون و توازر زیرا که بالبداهه شخص واحد بلکه شرذمه قلیله یعنی آلاف از آحاد چند بوده باشند هرگز قیام بمعیشت ضروریه خود نتوانند کرد تا بجائی که استحصال سعادت تامه و رفاهیت کامله از برای خویش نماید. و تعاون و توازر اشخاص متکثره مختلفة الطبیعه صورت وقوع نخواهد پذیرفت مگر بتکافؤ در اشغال و تناسب در افعال و تعادل در اعمال بدان گونه که آن افراد متعدده را صورت وحدانیه حاصل گردد. و تکافؤ و تعادل در عمل در عالم خارج پیرایه وجود و هستی نخواهد یافت مگر بواسطه اخلاق باطنیه و قوای نفسانیه و تناسب آنها. و استقامت اخلاق و اعتدال سجایا هرگز وجود نپذیرد الا به بصیرت و بینائی و تعلیم

نخستین مطلب چاپ شده در مقالات جمالیه چاپ کلکته

۵۸

و واقع وا در را باز میدارد از کشف نفس الامر بلکه چون خرافی را قبول کرد عقل او را وقوف حاصل شد و از حرکات
فکریه سر باز زد و پس از آن حمل مثل بر مثل کرده جمیع خرافات و اوهام را قبول خواهد نمود و این موجب آن میشود
که از کمالات بازمانده و از حقائق اکوان بر او پوشیده ماند بلکه سبب خواهد شد که جمیع عمر خود را با اوهام و وحشت
و دهشت و خوف و بیم بگذراند و از حرکت طیور و جنبش بهائم ترسناک افتد و از هبوب ریاح و آواز رعد و درخشیدن برق مضطرب
گردد و بواسطه تطیرات و تشئمات از غالب اسباب سعادت خود باز ماند و هر حیله باز و مکار و دجالی افسار گردن نهد و
کدام شقاء و بدبختی و سوء عیش از این گونه زندگی بدتر خواهد بود - و دین اسلام اول رکن او اینست که عقول را بصیقل توحید
و تنزیه از زنگ خرافات و کدر اوهام و آلایش وهمیات پاک سازد و نخستین تعلیم او این است که انسان را نشاید که
انسان دیگر و یا یکی از جمادات علویه و سفلیه را خالق و متصرف قاهر و مسلط و مانع و معز و مذل و شافی و مهلک
بداند و یا که اعتقاد کند که مبدأ اول بلباس بشری برای صلاح و یا افساد ظهور نموده است و یا خواهد نمود و یا آنکه آن ذات
منزه بجهت بعضی از مصالح در کسوت انسانیت چه بسیار آلام را باستقامت متحمل گردیده است و غیر از اینها از آن خرافاتیکه
هریک بانفراده برای کوری عقل کافیست - و غالب ادیان مشوبه از این اوهام و خرافات خالی نیست اینک دیانت
نصرانیه و دیانت بهاد و دیانت زردشت - دوم آنکه نفوس آنها باید متصف بوده باشد بنهایت شرافت یعنی هر واحدی از امم خود را
بغیر از رتبه نبوت که رتبه ایست الهیه سزاوار و لائق جمیع پایه ها و رتبه های افراد انسانیه بداند و در خود نقص و انحطاط و عدم
قابلیتی تصور نکند - و دین اسلام درهای شرافت را بر روی نفوس گشوده حق هر نفسی را در هر فضیلت و کمالی اثبات
میکند و امتیاز شرافت جنسیت و صنفیت را از میانه بر میدارد و مزیت افراد انسانیه را فقط بر کمال عقلی و نفسی قرار میدهد و کم
دینی یافت میشود که این مزیت در او بوده باشد - سیم آنکه باید آحاد هر امتی از امم عقائد خود را که اول نقشه الواح عقول
بر براهین متقنه و ادله محکمه مؤسس سازند و از اتباع ظنون در عقائد دوری گزینند و بمجرد تقلید آباء و اجداد خویشتن قانع
نشوند - و دین اسلام آن یگانه دینیست که ذم اعتقاد بلا دلیل و اتباع ظنون را میکند و سرزنش پیروی از روی کورکورانه
مینماید و مطالبه برهان را در امور بمتدینین نشان میدهد و در هر جا خطاب بعقل میکند و جمیع سعادات را نتائج خرد
و بینش میشمارد و ضلالت را به بیعقلی و عدم بصیرت نسبت میدهد و از برای هر یک از اصول عقائد هیچگاه عموم
را سودمند افتد اقامه حجت مینماید بلکه غالب احکام را با حکم و فوائد آنها ذکر میکند (بقرآن شریف رجوع شود) و هیچ
دینی نیست که این فضیلت در او بوده باشد و چنان گمان میکنم که غیر مسلمین نیز بدین مزیت اعتراف خواهند کرد
چهارم آنکه باید در هر امتی از امم جماعتی بتعلیم سائرین مشغول بوده باشند و در تحلیه عقول آنها بمعارف حقه
کوتاهی نورزند و در تعلیم طرق سعادت تقصیر ننمایند و گروهی دیگر همیشه در تقویم و تعدیل نفوس بکوشند
و اوصاف فاضله را بیان و فوائد آنها را شرح و اخلاق رذیله را توضیح و مساوی و مضرات آنها را تبیین کنند و از امر
بمعروف و نهی از منکر غافل نشوند - و دین اسلام اعظم فروض و واجبات این دو امر (یعنی تعلیم و امر بمعروف و نهی
از منکر) است (بقرآن شریف رجوع شود) و در سائر ادیان این قدر اهتمامی در این دو امر نشده است.
اگر کسی بگوید چون دیانت اسلامیه چنین است پس چرا مسلمانان بدین حالت محزنه میباشند جواب میگویم چون مسلمانان بودند

صفحه آخر مقالات جمالیه چاپ هند ـ کلکته



مقالات جمالیه

که بقلم

فیلسوف بزرگ شرق و ایران

سید جمال الدین اسدآبادی

نگارش یافته

و مرحوم میرزا لطف‌الله خان اسدآبادی همشیره زادهٔ سید
جمع آوری نموده

و آقای میرزا صفات‌الله خان جمالی اسدآبادی باستنساخ و
ترتیب آن مبادرت ورزیده اند

از نشریات موسسه خاور

در طهران بسال ۱۳۱۲ شمسی طبع شد

چاپخانه فردین و برادر

صفحه اول مقالات جمالیه چاپ تهران ۱۳۱۲

صفحهٔ اول و دوم نسخهٔ خطی مقالات جمالیه (نسخهٔ موجود در آرشیو نگارنده)

مجموعه خطی مقالات سید به سال ۱۳۱۱ هـ توسط صفات‌الله جمالی استنساخ شده است. در چاپ این مجموعه، به آن نسخه مراجعه و با آن تطبیق شده است.



کتابخانه شرق

دارای انواع و اقسام کتب متنوعه

بالسنه مختلفه بوده و در هر ماه بطبع یك

یا دو کتاب اقدام مینماید

مؤلفین ونویسندگان میتوانند بواسطهٔ

این کتابخانه بطبع آثار خود بپردازند

و آقایانیکه کتابی لازم داشته باشند میتوانند

بکتابخانه رجوع نموده وکتب خودرا

با ارزانتر قیمتی که ممکن باشد تهیه نمایند

جمال الدین اسد آبادی

(نیچریه)

کتابخانه شرق

صفحه اول و آخر رساله - نیچریه، چاپ تهران ۱۳۰۳



نیچریه
یا
ناتورالیسم

در رد مادیگری و طبیعی گری

بقلم :
سید جمال الدین اسد آبادی
با خلاصهٔ شرح زندگانی و کلمات
حکمت آمیز مؤلف

نشریه شماره (۲) چاپ دوم «با تجدید نظر»
بنگاه دین و دانش
تبریز «خیابان تربیت»

بهاء: با کاغذ اعلا ۱۵ ریال
با کاغذ کاهی ۱۰ ریال

تبریز چاپخانه «شفق»

روی جلد رساله نیچریه، چاپ تبریز ۱۳۲۸

دو صفحه از نسخهٔ اصلی - خطی قصه‌های استاد

فرهنگ اسلامی و نیچریه

«... فرهنگ اولی این مرد ــ **سیدجمال‌الدین** ــ فرهنگ اسلامی است... رفت اروپا و زبانهای اروپایی را به دست آورد و با فرهنگ اروپا آشنا شد، ولی اول شخصیت او در **فرهنگ** اسلامی منعکس شد و نشانهٔ بهره بر شدن از **فرهنگ** اسلامی در آثار ــ مقالات و رساله‌های ــ او است...

یک رساله نوشته به نام نیچریّه که صد سال پیش این رساله نوشته شده، واقعاً عالی است... هیچکس را من ندیدم در ردّ مادیون به این استحکام رساله بنویسد... سید بعضی از مقالات را به زبان فرانسه نوشت و صد سال پیش منتشر شد... **فوق‌العاده عالی و از فرهنگ اسلامی** مایه می‌گیرد...»

شهید مرتضی مطهری

«**مادیگری** در قرن هیجدهم رونق پیدا کرد و در قرن نوزدهم به صورت یک مکتب عرضه شد. اما وقتی دانشمندان حقیقت را با عینک بی‌رنگ مورد بررسی قرار دادند، این «کاخ پنداری» رو به ویرانی نهاد.

فیلسوف بزرگ اسلام مرحوم **سیدجمال‌الدین** اسدآبادی در ایام اقامت در هند، رساله‌ای در ردّ عقاید این گروه به عنوان «**نیچریه**» نوشت... امید است که نسل جوان از این اثر ارزنده بهره‌مند گردد...»

جعفر سبحانی



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.



السيدجمال الدين الحسينى

الرسائل والمقالات

اعدادو تقديم :

سيدهادى خسروشاهى

الاعمال الكاملة

۶

السيدجمال‌الدين الحسينى

الرّسائل و المقالات

الطبعه الاولى

اعداد و تقديم:

سيدهادى خسروشاهى

الاعمال الکامله

۶

جمال الدین اسدآبادی، ۱۲۵٤؟ ـ ۱۳۱٤ ق.

الرسائل و المقالات / جمال الدین الحسینی؛

اعداد و تقدیم هادی خسروشاهی. ـ تهران: کلبه شروق؛ قم: مرکز البحوث الاسلامیه، ۱۳۷۹.

۲۳۲ ص. : نمونه ـ (الاعمال الکامله؛ ۶) ۲۰۰۰۰ ریال: ISBN 964 - 92729 - 8 - 4

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا عربی. کتابنامه به صورت زیرنویس.

۱. جمال الدین اسدآبادی، ۱۲۵٤؟ ـ ۱۳۱٤ ق. ـ ـ مقالهها و خطابهها. ۲. اسلام ـ ـ تجدید حیات فکری. ۳. ایران ـ ـ تاریخ ـ ـ انقلاب مشروطه، ۱۳۲٤ ـ ۱۳۲۷ ق. ٤. اصلاح طلبان. الف. خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷، گردآورنده ب. عنوان.

۵ ر ۸ ج / DSR ۱٤٤۳ ۹۵۵ / ۰۷٤۰۹۲

کتابخانه ملی ایران ۹۶۸۲ ـ ۷۹ م



ناشر: کلبهٔ شروق

مرکز البحوث الاسلامیه

نشانی مرکزی، تهران: مقابل دانشگاه. شماره ۱۳۷۸ (صندوق پستی ۱۹۶۱۵/۴۹۳)

نشانی واحد قم: خیابان صفائیه ساختمان مرکز بررسیهای اسلامی. (صندوق پستی ۳۷۱۸۵/۴۴۳۳)

الرسائل و المقالات

السید جمال الدین الحسینی (الافغانی)

اعداد و تقدیم: سید هادی خسروشاهی

لیتوگرافی، چاپ و صحافی: الهادی ـ قم

چاپ اول: ۱۳۷۹

تعداد: ۲۰۰۰ نسخه

قیمت: ۲۰۰۰ تومان

شابک: ۴ - ۸ - ۹۲۷۲۹ - ۹۶۴

الفهرست

الموضوع الصفحه

رسائل و مقالات

مجموعه «رسائل و مقالات» به زبان عربی، درواقع دومین مجموعه از مقالات و آثار: فکری، فرهنگی، سیاسی و اجتماعی سیدجمال‌الدین حسینی ـ اسدآبادی است که به تناسب زمان و در مکان‌های مختلف از جمله: هند، ایران، مصر، افغانستان، فرانسه و انگلیس، آنها را به رشتهٔ تحریر درآورده که در جرائد و مجلات آن دوران و آن کشورها، به چاپ رسیده است...

مجموعه اول «رسائل و مقالات» که شامل تقریباً تمامی مقالات و رساله‌های بدست آمده سید به زبان فارسی است، چندی پیش تحت همین عنوان: «مجموعه رسائل و مقالات» در ۳۲۰ صفحه و در ضمن همین سلسله: «الاعمال الکامله» ـ مجموعه آثار ـ منتشر گردید و مورد توجه و استقبال اهل علم و فضل و دوستان حق و حقیقت واقع گردید.

اینک و برای نخستین بار مجموعه تقریباً کاملی از مقالات و رساله‌های عربی سید (که هیچکدام از آنها در مجموعه فارسی نیست) در اختیار علاقمندان قرار می‌گیرد و البته این مجموعه عربی، غیر از مجموعهٔ دیگری از چند رساله و بحث سید به عربی است که با توجه به موضوعات فکری ـ فلسفی آنها، تحت عنوان: «رسائل فی‌الفلسفة و العرفان» با تحقیق و مقدمه اینجانب، چندی پیش چاپ و منتشر گردید و در عرض مدت کوتاهی، به چاپ دوم رسید و چاپ دوم آن، با اضافاتی (۳۲ صفحه) شامل دو مقدمه تحلیلی و یک ملحق تحقیقی، یک ماه پیش از سوی «مرکز بررسیهای اسلامی» قم، انتشار یافت.

...البته همانطور که اشاره شد، مقالات این مجموعه ـ رسائل و مقالات ـ تاکنون

بصورت یک کتاب مستقل چاپ نشده است و بلکه بعضی از آنها، برای نخستین بار در سالهای اخیر از زبانهای فرانسه و انگلیسی به عربی ترجمه شده و در بعضی از مجلات عربی چاپ اروپا، منتشر گردیده است که اینک به یاری خدا، مجموعه کامل آنها، یکجا و در این مجموعه، در اختیار عموم قرار می‌گیرد.

در مورد منابع و مأخذ اصلی مقالات این مجموعه، علاوه بر اشاره‌های گذرا در پاورقیها، بزودی درکتاب مربوط به «آثار سید» به تفصیل بحث خواهد شد و اکنون به دلائلی، از ذکر آن منابع، خودداری می‌شود.

***

... هدف نخستین ما از نشر این آثار: «الاعمال الکامله» ـ مجموعه آثار ـ درواقع جمع‌آوری و حفظ مکتوبات و مقالات سیدجمال‌الدین حسینی است که متأسفانه در گذشته، توجهی به‌این امر نشده و در جمع‌آوری و تحقیق‌آنها، کوتاهی بعمل آمده است...

پس از این مرحله، امیدواریم که توفیق نقد و ارزیابی، بررسی و پژوهش این آثار فرار برسد و دانشمندان و فضلای حوزه‌ها، این آثار را ـ «بمثابه ادبیات اسلامی» یک قرن و نیم پیش که موجب حرکتی بزرگ: انقلابی ـ اصلاحی، در اغلب کشورهای شرق و یا مسلمان‌نشین شده است و در واقع نشان دهنده، چگونگی اندیشه‌های یک متفکر بزرگ‌مسلمان است ـ موردتحقیق وتدریس در حوزه‌ها و حلقه‌های درسی، قرار دهند.

استاد محمدرضا حکیمی درباره کتاب «العروة الوثقی» و دیگر آثار سید می‌نویسد: «این کتاب عروهٔ اجتماعی و امثال آن، باید جزو کتب درسی حوزه‌ها قرار گیرد و همینگونه روحانیت اسلام و بویژه طلاب جوان باید درباره سیدجمال‌الدین مطالعات بسیار داشته باشند. چرا باید افکار اجتماعی ـ اسلامی سید جمال‌الدین در حوزه‌های علمیه، درسی نباشد و مورد رسیدگی و تأسی قرار نگیرد؟».

...از خدای بزرگ می‌خواهیم که ما را در این کار خیر یاری دهد و «نیت» ما را «خالص» برای «خود» بدارد. انه سمیع مجیب

قم: مرکز بررسیهای اسلامی
ربیع‌الاول ۱۴۲۱ هـ. سیدهادی خسروشاهی

الرسائل و المقالات

إن مجموعة «الرسائل و المقالات» التي نضعها بين أيديكم باللغة العربية، هي المجموعة الثانية من مقالات و آثار السيدجمال‌الدين الحسينى الافغانى، الفكرية و الثقافية و السياسية والاجتماعية و قد قام السيد بكتابتها فى فترات زمنية مختلفة و أماكن عديدة كالهند و ايران و مصر و افغانستان و فرنسا و بريطانيا و تمت طباعتها و نشرها فى صحف و مجلات ذلك العصر، في البدان المذكورة...

المجموعة الأولىٰ التي تتضمن تقريباً كافة مقالات و رسائل السيد الموجوده باللغة الفارسية، تمّ اصدارها قبل فترة تحت عنوان «مجموعهٔ رسائل و مقالات» في ٣٢٠ صفحة بإطار سلسلة «الأعمال الكاملة» وكانت محط إهتمام و ترحيب اهل العلم و الفضلاء و محبيّ الحق و الحقيقة.

والآن و للمرة الاولىٰ فى ايران، يسرّنا أن نقدم للراغبين بالاطلاع علىٰ أعمال السيد، المجموعة الكاملة تقريباً، لمقالاته و رسائله ـ غير المتوفرة في المجموعة الفارسية ـ و طبعاً تضاف هذه المجموعة، الىٰ مجموعة أخرىٰ من رسائل و أبحاث السيد بالعربية، كُنا سبق و أن نشرناها قبل فتره تحت عنوان: «رسائل في الفلسفة و العرفان» مرفقة بدراسة و مقدمة و خلال فترة و جيزة قام «مركز البحوث الاسلامية ـ قم» بإصدار الطبعة الثانية منها مع إضافة ـ ٣٢ صفحة ـ تضم مقدمتين تكليليتين و ملحق إضافي يتضمن دراسة جديدة حول رسالة «مرآة العارفين» و النسخة الخطيّة الاخرى التى وجدناها فى مركز وثائق الوزارة الخارجية، للجمهورية الاسلامية فى ايران...

و كما أشرنا فإن مقالات هذه المجموعة ـ الرسائل و المقالات ـ لم تصدر، على شكل مجموعة واحدة و بكتاب مستقل، إذ أنّ بعض منها ترجم للمرة الاولىٰ في السنوات الأخيرة، من اللغتين الفرنسية و الانكليزية الىٰ العربية و نشر في بعض

المجلات العربية الصادرة في اوروبا و هانحن بعون الله، نضع الآن المجموعة الكاملة منها، بين يدي القّراء الاعزّاء.

أما المصادر و المراجع الرئيسية لمقالات هذه المجموعة، فقد أشرنا الى بعضها، بصورة عابرة في الهوامش و سنتناولها بالتفصيل في الكتاب الخاص الذى سنصدره حول: «آثار السيد» و قد إمتنعنا عن التطرق الىٰ هذه المصادر، حالياً لأسباب خاصة!...

و في الحقيقة إن هدفنا الأول من إصدار «الأعمال الكاملة» لم يكن سوىٰ جمع و حفظ الآثار و المقالات للسيدجمال‌الدين الحسيني و التى ـ و يا للأسف ـ لم يكترث بها العلماء في السابق و لم يجرى جمعها و دراستها او ترجمتها الى اللغات الأخرى...

بعد هذه المرحلة، يحدونا الأمل بأن الوقت قدحان لنقد و تقييم هذه الآثار فينبرى العلماء و الفضلاء في الحوزات العلمية، بدراستها و ترجمتها و تدريسها في الحلقات الدراسية، لأنها تعتبر بحق بمثابة «الادب الاسلامى الاصيل» الناتج من التثقافة الاسلامية الغنية و التي أدت الىٰ قيام حركة اسلامية ـ اصلاحية كبرىٰ في أغلب بلدان الشرق و البلاد الاسلامية إذ أنها في الحقيقة عصارة أفكار أحد ابرز المفكرين الاسلامين الكبار!...

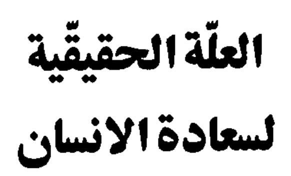
يقول الأستاذ محمدرضا حكيمى حول آثار السيد و «العروة الوثقى»: «إن هذا الكتاب، العروة الإجتماعية و أمثاله، ينبغي أن يُدرّس في الحوزات العلمية كما إن علىٰ رجال الدين المسلمين و خاصة الطلاب الشباب، أن يقوموا بإعداد دراسات كثيرة حول السيدجمال‌الدين... لماذا لا تُدرس الأفكار الإجتماعية و الإسلامية للسيد جمال‌الدين في الحوزات العلمية و لاتكون قدوة و نبراساً للجيل الصاعد؟».

...نسأل الباري عزوجل، أن يأخذ بأيدينا لإنجاز هذا العمل الخيري و ان يجعل «نوايانا»، «خالصة» له جَلّ و علىٰ. إنه سميع مجيب

قم: مركز البحوث الإسلامية

ربيع‌الاول ١٤٢١ هـ. سيدهادي خسروشاهي

١



العلّة الحقيقيّة لسعادة الانسان



العلة الحقيقية لسعادة الانسان

ان الممكن بالامكان الخاص (و هوالذى لا يلزم من وجوده ولامن عدمه محال) يكون وجوده بوجود علّته و عدمه لعدمها، ولاريب فى أن السعادة من الماهيّات الممكنة بالامكان الخاص، و أنّها العلة الغائبة لحركة كل فرد من افراد الأنسان حسّية كانت تلك الحركة او معنوية اذ لولوحظت مساعيه آناءَ الليل و أطراف النهار، و أخْذه بوسائل الحرف من زراعة و صناعة و تجارة، وجده في تحصيل العلوم والفنون، و ارتكابه المصاعب، في نيل المراتب والمناصب، لما وجد لها من باعث أو داع سوى طلب السعادة، مع أنک لاتجد من نالها أو دنامنها، ولو تنقل في مراتب الشئون، و تقلب في درجات التطورات، و ما ذلک إلا لعدم تحقق علتها، فعلينا أن نبحث عن تلک العلة و عن الاسباب التى أوجبت عدم تحققها، حتى يتبين وجه ضلال طُلاَّب السعادة عن أن يصيبوها فنقول:

إذن بين السعادة والصحة شبهاً كليًا، فكما أن صحة الجسم هي نتيجة و معلولة للتناسب الطبيعي بين أعضاء ذلک الجسم و جوارحه وكمال الاعتدال فيما تكونت عنه تلک الأعضاء، و حسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان والمكان و المطعم والمشرب والملبس فيكون زوالها لزوال هذه الأمور كلها أو بعضها ـ كذلک سعادة الانسان هي معلولة للتناسب

الحقيقي في الاجتماعات المنزلية، و قيام كُلٍّ من أركان المنزل بأداء وظيفته، وللتعادل التام في الائتلافات المدنية بأن تكون المدينة فيها من الحرف والصنائع ما يكفيها مُؤنَة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها، مع حسن التعامل بين أرباب تلک الصنائع، و أن تكون أحكامها تحت قانون عدلٍ تساوى فيه الصغير والكبير، والأمير والمأمور، وللارتباطات العادلة بين الدول بأن تقف كل دولة عند حدها، ولا تتعدى على حقوق غيرها، و أن يُمَهَّد سبيل التواصل بينها و بين باقي الدول لكمال التعاون والتوازر بين نوع الانسان وانتفاع كلٍّ من الآخر، فيكون حصولها على السعادة بحصول تلک الأمور و فقدها لفقد جميعها أو بعضها.

و هذه الأمور، و إن كانت ممكنة الحصول، وجد الناس في التماسها ما استطاعوا إلاَّ أن هناک مانعا من الوصول إليها، و هو اعتقاد كلٍّ كمال نفسه و نقص غيره، و نظره إلى أفعاله بعين الرضى و إلى أفعال غيره بعين السخط، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ولا أخَلَّ بشيء من واجباته و شئونه، ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه في العالم الانساني، و يتمحل لاثبات ذلک بما تسوله له نفسه من الحجج والبراهين، و إن أصابه العناء، و نزل به الشقاء، حسبهما من تعاون الغير فيما يلزمه و إهماله ما يجب عليه، مُبَرِّئا نفسه من أسباب ذلک، حتى لو أغفل شأناً من شئونه يزعم أنه قد سدت أبواب الامكان، و تعذر عليه القيام به، ولو انتهک محظورا من محظورات لادعى أنه لااختيار له فيه، وانما الضرورة هي التي ساقته الى ارتكابه، فهو مجبور لامختار، مع أنه لا يلتمس للغير عذرا فيما يفوته أو يقع منه، ولو كان في نفس الأمر مجبورا. و من ثم وقع التضارب في الآراء والتدافع في الأفعال والحركات، و عمل كُلٌّ على نقيض الآخر، فارتفع التناسب، وانعدم التعادل، و ذهب الارتباط.

أنظر إلى حال الآباء مع الأبناء، والسادات مع الخَدَمة، كيف أن كلاً منهم، مع علمه بأن السعادة المنزلية إنما تُحَقَّق بأدائه ما يجب عليه، و جعل حركته من متممات حركات الآخر، يخالفه في أفعاله، و يضاده في آرائه، معتقدا أنه لو لم يقصِّر ذلک الآخر فى أداء الحقوق المفروضة عليه، لاستقرت الراحة المنزلية، وارتفع العناء ـ إلى

حال المشتركين في المدينة فإن كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح إنما يكونان بإحكام الصنعة و تهذيبها و حسن التعامل، و كف يد الشر والخيانة، و ضبط العهود والمواثيق، و اجتناب الكذب والاعتصام، يحبب الصدق والوفاء لا يرى نفسه مُخلاً بشيء من ذلك و إن أخَلَّ بجميعه، و يزعم أن زوال السعادة المدنية إنما جاء من تهاون الآخرين.

و تدبر حال الملوك مع رعاياها ترى كلاً منهما يرمي الآخر بالاغراق و عدم الاعتدال، و يتهمه بانتهاك المحارم والحقوق، و يبريء نفسه من نسبة شيء من ذلك إليها.

فالملوك فضلا عما رسخ في نفوسهم من أن رتبتهم الملوكية، إنما هي رتبة سماوية ساقتها إليهم يد العناية الالهية، بسبب طيب عنصرهم، و طهارة طينتهم، يعتقدون أن لا قوام للرعية بدون وجودهم، و أن لا غنى لها عنهم، إذْهُم يحفظون أموالها، و يحقنون دماءها، و يوفون لكل ذي حق حَقَّه، و ينتقمون للمظلوم في أموال الرعية و دمائها، و أنه يجب عليها طاعتهم، والخضوع لسطوتهم و سلطتهم، و امتثال أوامرهم و اجتناب نواهيهم، و يرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها.

والرعايا يخاطبونهم قائلين: لا مزية لكم علينا كما زعمتم، ولستم أطهر عنصرا، ولا أطيب طينة، بل نراكم أناسا استولى عليكم حب الرئاسة و أسَرَتْكم الشهوة و استعبدكم الهوى، فاستمالكم إلى سلب راحتكم و راحة رعاياكم، حرصا على التغلب، و طمعا في توسيع دائرة السلطة، و كسب الافتخار مَيّناً، و أما اعتقادكم أن لا قوام لنا إلاّ بكم فأنّى لكم صدق هذا الاعتقاد و قد أصبحتم كَلاًّ[1] على كواهلنا: نحن نغرس و نحرث، و نغزل و نَحُوك، و نفصّل و نخيط، و نبني و نشيد، و نخترع الصنائع، و نتفنن في المعارف، و أنتم تأكلون و تشربون، و تلبسون و تسكنون، و تتمتعون بلذة الراحة. و أما ما تعللتم به من حفظ أموالنا و حقن دمائنا إلى آخر ما

---

١. الكل (بفتح الكاف و تشديد اللام: التعب، أو الثقل).

ادعيتم، فذلک إنما نَشَأَ عن العظمة والكبرياء اللذين تَثْبُتُ أصولهما في نفوسكم، أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو مِنَّا، و أن الحافظ والحاقن والمنتقم إنما هوالقانون والشريعة الحقة. و ما أنتم إلاّ منوطون بحفظها، والعمل في الناس بها. فإن قمتم بذلک على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقوم أودكم، فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا، و تعبثوا بدمائنا، و تلقوا بنا في هاوية الشقاوة، ثم تبتغوا طاعتنا و امتثالنا، و ترمونا بالتقصير والتهاون فيما وجب علينا.

وذلک الذى ذكرناه فيما إذالم يكن الملوک من المتغلبين المباينين للرعايا جنسا و مشرباً، و أما المتغلبون من الملوک، والمتغلب عليهم، فكل منهما يزعم فوق ما ذكر أنه الوسيلة لمنفعة الآخر والواسطة لمصلحته، و أن الآخر قَابَلَ حسنته بالسيئة، و منفعته بالمضرة.

مثلا، إن الحكومة الانجليزية المتغلبة على الهنود تخاطبهم بقولها: إني عَمَّرت لكم المدن (كبمباي) و (كلكتا) و (كراجي) و أمثالها، و زينتها بالأبنية الشاهقة، والقصور الشائقة، و وطأت شوارعها، و وسَّعت مسالكها، و رقَّشتها بالاغصان، و زخرفتها بمروج و بساتين، و مهدت لكم سبل التجارة، و سهلت لكم أسباب الزراعة، و فتحت أبواب الثروة بما مددت من الأسلاک البرقية في أرجاء بلادكم، و انشأت من الطرق الحديدية في أنحائها، و حفرت من الترع والأنهار، و وضعت من القناطر، و كذلک أسست لكم المدارس، و رفعت عنكم ظلم النَوَّابين و قهر الراجاوات، و أنتم مع ذلک أبيتم إلاّ الشقاق والنفاق، و نبذ الطاعة و سلب الراحة...

و ان الهنود يجيبونها متظلمين مستغيثين منها قائلين لها: إنک ما عمَّرت تلک المدن إلاَّ بعد أن خربت بلاداً كانت زينة الأرض و فخارالأبناء: (شيو) و (وشنو) و (كهكلي) و (مرشد آباد) و (عظيم آباد) و (أكبر آباد) و (إله آباد) و (دهلي) و (رايبود) و (فيض آباد) و (الكهنو) و (حيدرآباد) و غيرها من البلدان، و إنک ما مددت الأسلاک البرقية، ولا أنشأت الطرق الحديدية، ولا حفرت الترع والأنهار، ولا وضعت القناطر، إلا لنَزْف مادة ثروتنا، و تسهيل سبل التجارة لساكني جزيرة

بريتانيا[١] و توسيع دائرة ثروتهم، و إلاَّ فما بالنا أصبحنا على فقر و فاقة، و قد نفدت أموالنا، و ذهبت ثروتنا، و مات الكثير منا يتضور جوعا؟ فإن زعمتِ أن ذلك لنقص في فطرتنا، و ضيقٍ في مداركنا، فيا للعجب من أبناء (بريتوس)[٢] الذين مضت عليهم أحقاب متطاولة يهيمون في أودية التوحش و التبربر، إذ يعتقدون النقص و عدم الاستعداد في أولاد (برهما) و (مهاديو)[٣] مؤسسي شرائع الانسانية و واضعي قوانين المدنية.

و أما المدارس التي تَمُنِّين علينا بتأسيسها فلم تكن لمصلحة تعود علينا، إذْ لو كانت لذلک لاحتوت على العلوم والفنون والصنائع، مع أنها لم تنشأ إلاّ لتعليم اللغة الانجليزية المتعجرفة الخشنة لأبناء اللغة (السنسكريتية)، اللغة المقدسة السماوية، حتى تستميلهم في إدارة مصالحک في تلک الممالک الشاسعة.

و اما دعواک رفع ظلم النوابين و قهر الراجوات عنا، فممَّا يضحک الثكلى، و يبكي المستيئس الذي جاءته البشرى، فإن الظلم إذ ذاک كان قاصرا على البعض، و ظلمک الآن قد عمَّ وطَمَّ، و إن الثروة والأبهة والجلالة والشأن التي يزدهي بها الآن أهالي بريتانيا كان المتمتع بها وقتئذ أبناء وطننا، إذ النوابون والراجوات وغيرهم من الأمراء و الكبراء، و حاشيتهم، و خاصتهم، كانوا من أبنائنا و مشاركينا في الجنسية. وكنا نتيه بهم فخارا على سائر الممالک والأقطار، فكيف بک أن تمني علينا بما مَنَنْت زوراً و مَيْناً[٤]. و إنَّا لانراک أيتها المتغلبة علينا إلا كالعَلَق[٥] مصصت دماءنا، بل كالسَلاَّخ سلخت جلودنا لتتخذيها أحذية لنعال الريطانيين. على أنک لم تكتفي بهذا و ذاک بل تريدين أن تستعملي عظامنا النخرة لتصفية السكَّر في معاملک.

---

١. المقصود: بريطانيا، و قد يسميها السيد بالجزيره تصغيراً من شأن بريطانيا الكبرى!! كما كانوا يسمونها!

٢. أي البريطانيون.

٣. برهما و مهاديو يشيران الى الهنود في مواجهة البريطانيين.

٤. المين: الكذب.

٥. العلق: نوع من الديدان مصاص للدماء يعيش في الماء الآسن.

و تَبصَّر في شأن الملوک بعضها مع بعض فإن کل واحد منهم يری بـما أقـيم من‌الحجج القاطعة أنه على صراط العدل وحَدٌّ الاستقامة لايُقْدمُ على محاربة، ولا يحجم عنها، ولا يضع غرامة، أو يأخذ من ممالک الآخر شيئا إلاَّ و هو في ذلک محق عادل، مثلاً: ملک‌الروسيين[1] يحتج لحرب العثمانيين بأن أنين النصاری من رعاياهم قد ذهب براحته، و تجافی به عن مضجعه و حرک فيه حاسة الشفقة حتی دعـته الرحمة الانسانية للأخذ بناصرهم و استنقاذهم من أيديهم، و تحريرهم مـن رق عبوديتهم، من... والعثمانيون يدحضون حجته قائلين (أولا) لو کنت ممن تحرکهم الشفقة والرحمة لکان الأحق بنيلها رعاياک المتحدون معک في المذهب من أهالی (لهستان[2])، فما دعواک هذه الا محض الرياء و المواربة. و (ثانياً) إننا لا نعامل رعايانا إلاَّ کمعاملة الآباء للأبناء بدون تفرقة بين مذهب و مـذهب، و جـنس و جنس. و أوضح دليل على ذلک بقاؤهم على مذهبهم، حافظين للغاتهم و جنسيتهم، ولو أننا کنا نفرق بين المذاهب والأجناس کما تدَّعي لحملناهم على رفض مذاهبهم، و تغيير لغاتهم، وکنا قادرين على ذلک في وقت لم يکن لک فيه إسم ولا رسم، بل لم تکن شيئا مذکورا.

و کذلک إمبراطور الفرنساويين بما ثبت عنده من‌البراهين البينة عـلى طـمع الجرمانيين و حرصهم و شرههم يری لنفسه الحق في افتتاح الحـرب عـليهم. و امبراطورالألمانيين بما تحقق لديه من کِبْر الفرنساويين و عُجْبِهم، ومجاوزتهم الحد في أطوارهم، يحسب أن من الواجب عليه أن يضع عليهم غرامة باهظة، و يتسلط على قطعة واسعة من بلادهم لتذليل نفوسهم و إضعاف قوتهم، ليدفع بذلک شـرهم، و يأمن على نفسه و أمته من تعدِّيهم.

و دقِّق النظر في شئون العقلاء و الحکماء، و ذوي الآراء و المـذاهب الذيـن يعتقدون أن الحق واحد في نفس الأمر والواقع، لايتعدد، کيف أنهم بعد إتفاقهم على

---

١. يشير الى قيصر روسيا في حربه مع ترکيا التي اشتعلت عام ١٨٧٧.

٢. بولنده.

أن القواعد المنطقية هي ميزان النظر، و بها يعرف صحيح الفكر من فاسده، قد انتهج كل واحد منهم منهجا و اتخذ مشربا يناقض به الآخر، و يعتقد أن دلائله المؤدية هي المنطبقة على ذلك الميزان و أن لا إنطباق لدلائل غيره عليه.

و أرْجِعْ البصر الى أحوال السارقين والقاتلين و نحوهم من مرتكبي الفواحش والشناعات في العالم الانساني ترى أنه لايصدر عمل من هذه الأعمال المجمع على قبحها من فاعلها إلا بسبب هذه الخُلَّة الذاتية، أعني اعتقاده كمال نفسه والنظر إلى أعماله بعين الرضى ـ ضرورة أن الفعل إنما يكون بعد الارادة، التي لاتكون إلا بعد ترجيح الفعل على الترك و رؤيته خيرا منه، و هو عين الرضى به.

و من غرائب آثار هذه الخلة إبرازها لحقيقة واحدة بصور مختلفة في نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه و شئونه، فإنك ترى زيدا من الناس مثلا و هو في رتبة دانية رؤوفاً بالفقراء، رحيما بالضعفاء، شفيقا على المظلومين، ذاماً للبخل وللشح، مادحا للكرم والسخاء، مهتما بقضاء حوائج ذوي الحاجات، مدعيا للعفة، كارهاً للانكباب على الشهوة، مستهزئاً بذوي التكاثر والتفاخر، مبغضا للكبرياء، متنفِّرا عن الارتشاء، مشمئزاً من الاهمال في المصالح العامة، والتهاون في الواجبات ـ مستهيناً بالمستبدين بآرائهم، المعجبين بأقوالهم و أفعالهم، مستقبحا تقديم المفضول على الفاضل لغرض يعود على ذاته، مستبشعاً لاعطاء المراتب لغير أهلها و حرمان مستحقيها منها، لائما على الغضب و اسراع العقوبة، مستفحشاً للسفاهة والبذاء، محباً للوطن، محاميا عن الحرية، زاعما أنه لو آل الأمر اليه لقام بصلاح العالم. و إذا ارتقى إلى رتبة سامية تجده قسِيَّ القلب على الفقراء، زاعماً أن التكفف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هرباً من عناء الكسب ـ جافيِ الطبع على المظلومين، مستدلا بأن المتظلمين أولو مكر ودهاءٍ (أورياء) يعلنون خلاف مايسرون، و يستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء للتغلب على حقوق غيرهم ـ بخيلا، شحيحا، متمسكا في ذلك بأن من مقتضيات الحَزْم أن تُحْرَز الأموال، و تودع المخازن لوقت

اللزوم أو (إن الكرم والسخاء قبيحان عند السويليين من الافرنج) ـ متوانيا في الأخذ بيدالمحتاجين متعللا بتراكم الأعمال عليه في وظيفته المهمة، وعدم تمكنه من إسعافهم ـ شَرِهاً شهْوياً، محتجاً بأنه بشرهه و انصبابه الى الشهوة يؤدي حق الطبيعة ـ فخورا برتب و شئون ساعده على نيْلها البخت والصدفة، بدون استحقاق. مع أنه ما أدى حقها ساعةً من دهره مُرْضياً نفسه في ذلک بكلمة «العبد العاجز» أو (افتخار أو لمون)[١] متكبرا، يظن أنه وقور من الواجبات، و أن عليه إقامة الحجاب على بابه، والذائدين عن أعتابه، قياما بحَقّ رتبته و لازم شأنه ـ مرتشيا، يقنع نفسه بأن ما يأخذه حَقٌّ تبيح له الشريعة أخذه، إمَّا لأنه جعالة على عمله أو هدية من صديق ـ مهملا في المصالح العامة، متهاونا فيها، معتذرا بأنه من آحاد الناس، ليس في طوعه تقويمها. و ما من مساعد يعاضده عليها. و قد أدى الواجب على شخصه ـ مستبدا برأيه، معتقدا إنه قد بلغ من العقل والدراية الى حد تنحط دونه جميع أفكار العالم، و يقصر عن إدراک غايته مدى أنظارهم، مع أنه أعمى البصر والبصيرة، لايرى ما تحت قدميه ـ مُقَدِّما للمفضول على الفاضل، مستندا إلى سلامة قلب ذلک المفضول ولين عريكته و طلاقة وجهه. أي أنه (يهزُّ له القاوون)، و في رواية (يمسح له جوخ) و أنه (سطري لجنابه العالي) ـ رافعا الى أسنى المراتب من لايليق لأدناها، حاسبا نفسه طبيبا روحانيا خبيرا بأخلاق العالم و طبائعهم، حكيما لاينظر في أعماله إلا الى المصالح العامة ـ غضوبا سريع‌العقوبة يحسبها سياسة و تدبيرا مَدَنياً ـ سفيها بذيئا، يرى أن الناس لايستحقون سوى قبيح فعله و فحش قوله، ولا يدركون مَزِيَّةَ الآداب، ولا يقدرون الأديب حق قدره ـ خائنا لوطنه، ساعيا في خَرابه و إذلال أهله (كأقيا لتيس اليوناني) و يعد نفسه في ذلک مجبورا ملجأ ـ طالبا للاستعباد،

---

١. كان السيد رحمه‌الله يملي. و قلما كتب بيده مقالا. وكان تلاميذه كاللقاني و أديب اسحق يكتبون كل ما يقوله حتى الكلم والأمثال العامية التي يمزج بها الكلام عادة كهذه الجمل في الموضعين، و كانت ذائعة في معاشري الحكام من الترک، ولكن أكبرهم الاستاذ الامام كان يتصرف في‌العبارة و يجيز ذلک السيد (هامش محمدرشيد رضا). أما كلمة «لمون» العامية هذه فهي «ليون» الفصيحة.

متشبثا بأن الحرية لاتليق بالأهالي لعدم استعدادهم لها[١]، بل إنها مما يوجب فسادهم لو نالوها ـ آيسا من صلاح العالم[٢]. إذ يراهم ـ لنقص قريحته ـ ناقصي الاستعداد فاقدي القابلية، يزعم أنه لو كان لهم نوع من التهيؤ للاصلاح لأتَمَّه لهم بسعيه و اجتهاده.

و من أغرب آثارها[٣] أن المتخلق بها، مع كونه متصفا بأرذل الأخلاق و أشنع الخصال، يعمى عن أنه متصف بها ـ مثلاً يكون قَسِيَّ القلب، و يعتقد نفسه رحيما، و متكبرا، و يرى نفسه متواضعا، و هكذا باقي الخصال مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لأدركها وشد عليه النكير فيها، حتى إنك ترى كل واحد «كأنه» قد جعل على إحدى عينيه نظارة معظمة (ميكرسكوب) ليقف على دقائق معايب معاشريه، و على الأخرى نظارة رصدية (تلسكوب) لئلا يفوته أعمال البعداء عنه، و على إحدى أذنيه موصلة الصوت (تليفون)[٤] لاستراق أخبار الناس كيلا يَعْزب عنه شيء من نقائصهم، و على الأخرى حافظة الصوت (فنوكراف) ليستحفظ قبائحهم، لئلا يغيب عنه شيء منها، و يقتدر على استحضارها وقت الحاجة عندما يتحرك دولاب حقده و حسده، مع أن أقرب الأشياء اليه نفسه. و هو لايرى شيئا من معايبها، فهو أعمى حديد البصر و أصم قوي السمع.

فتعسا لها من خلة قضت على نوع الانسان بالاختلال و سوءالحال، و آذنته بالشقاء والعناء، و أوقعت الخبط في الأعمال والخلط في الأقوال، و لَبَّست الحق بالباطل، والزائف بالصافي، والجيد بالرديء، و حسَّنت القبيح و قبَّحت الحسن، و أبرزت المعوجَّ مستقيما والمستقيم معوجا.

---

١. الاشارة هناقد تكون للخديو توفيق الذي صرح بمثل هذا القول.
٢. البشر أو الناس.
٣. الضمير هنا يعود الى تلك الخلة، أو الاعتقاد بكمال النفس، أو ما نسميه: الغرور.
٤. في عام ١٨٧٦ عرض الكساندر جراهام بلْ آلة تطورت فيا بعد إلى التليفون. و يبدو أن الأفغاني كان قد قرأ عن الاختراع في الصحف وقتها، و كذلك الحال مع الفونوغراف.

و من نَظَر بعين الحق و سَبَرَ الحقائق بنور البصيرة لا يجد لهذه الخلة (أعني اعتقاد كُلٍّ كَمالَ نفسه و نظره الى أعماله بعين الرضى) علة و سببا سوى حب الذات، الذي هو غشاوة على عين العقل، تمنعه من استطلاع الحقائق على ما هي عليه، و وقوفه عند حد الصواب في سَيْر الأفكار، بل هو متغلب على جميع الاحساسات النفسانية و حاكم على كُلِّها بالتغيير. بل لا يختص حكمه بها إذ يتعدى الى الاحساسات الطبيعية أيضا فانک ترى مشوه الوجه مختل الخلقة رث الثياب الذي قد تجسدت عليه الأدران و الأقذار إذا نظر إلى صورته بهذه الصفة الرديئة في مرآة مثلا لا يشمئز ولا يستنكر، و اذا وقع بصره على من بلواه في ذلک أخف من بلواه، انفعلت نفسه و استنفر و استبشع.

و هذا الوصف، أعني حب الذات، الذي هو علة الشقاء و العناء من الأوصاف اللازمة لذات الانسان مادام موجودا. فلا ينفک الانسان عنه ولا هو يزايله، فإذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه و نكباته إلا باستعمال الانسان عقله و رجوعه إليه في جميع أموره، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات و رفض أحكامه. و ذلک أن يحكم على نفسه بما يراها عليه في مرآة غيره لا في مرآة نفسه (ما أجملک أيها الانسان المعجب في مرآة نفسک و ما أقبحک في مرآة غيرک).

و هذا الذي ذكرناه هو العلاج الحقيقي والوسيلة العظمى لوقوف كلٍّ عند حده، و سعي كلٍّ لاستكمال نفسه، اللذين هما مدار السعادة.

ولسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه. فإنَّ منه ما قد يعود بسعادة على طائفة من الطوائف، أو أمة من الأمم، و هو حب الذات الداعي الى طلب المحمدة الحقة[1] و هو الذي يرتقي بصاحبه الى توجيه أفكاره و أعماله نحو المصالح العمومية بدون أن يطلب في ذلک شيئا سوى الحمد و خلود الذكر.

والسلام على من اتبع الهدى، و رجَّح العقل على الهوى.

---

۱. الحق مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والمفرد والجمع (هامش رشيد رضا).



المَهديّة
و
المهدى السودانى



المهديّة و المهدي السوداني

فى العام الفائت، كانت جريدة «المتصلب» «L'Intranrigeant» السباقة في تعريف الجمهور الباريسي على احدى الشخصيات الاكثر اهمية واحد اسمى العقول في العالم الشرقي، الشيخ الافغاني جمال الدين، العدو اللدود الذي تلقاه انكلترا في كل مكان، والذي يبدو انه ادى ازاء انكلترا قسم هنيبعل. ولنستعد هنا هـذا الحـدث الذي ذكره مراسلنا «فـوكلان» «E. Vauquelin» فـي «ذكـريات مـن الثـورة المصرية». ذات مساء في مسجد الحسين في القاهرة، وامام اربعة آلاف شخص، القى جمال الدين خطابا حماسيا، فضح خلاله، و بحس عميق، و قبل ثلاث سـنوات، الهدف النهائى للسياسة الانكليزية على ضفاف النيل. بعد يومين، و بناءاً لطـلب القنصل العام لانكلترا، اوقف خطيب مسجد الحسين، و ساقوه في مركب و نقلوه الى جدة على شاطيء الجزيرة العربية. انكفأ جمال الدين حينها الى داخـل مـقاطعة الحجاز، حيث لم يعد يسمع عنه شيء.

منذ بضعة اشهر، وصل الشيخ الافغاني الى بـاريس، واعـطانا مـلاحظات و معلومات عن الوضع في الهند التي مكث فيها عدة سنوات والتي تجول فيها من مدة قريبة، وقد اعجبنا بالفائدة المباشرة التي انطوت عليها هذه المـعلومات (مـقالة الافغاني عن الهند نشرت في الصحيفة نفسها بتاريخ ٤ نيسان (ابـريل) ١٨٨٣).

واليوم شاء الافغاني ان يقدم لنا دراسة عن‌المهدى الذي ثور الاسلام بظهوره في منطقة النيل الابيض، والذي منذ فترة وجيزة كبد الجيش الانكليزي ـ المصري، اشنع هزيمة. هذه الدراسة ننشرها كما هي، و كما وصلت اليناد ون اية اضافة، و دون اي حذف. وليس هناك احد افضل من الشيخ الافغاني المشهور، يستطيع ان يكتبها لأن احدا لايعرف العالم الاسلامي افضل منه، ولأن احدا لا يستطيع التكهن بالتبعات الخطيرة التي يمكن لاحداث السودان ان تلقاها في مصر وفي غيرها. وفيما يلي نص مقالة الافغاني:

المهدي ليس نبيّا

«الشخص الغامض، محمداحمد، الذي برز خلف اسم المهدي منذ عامين في السودان، والذي عبر قضائه شبه التام على الحملة العسكرية التي قادها الجنرال «هيكز» «Hicks» بدأ يشغل الرأي العام في اوروبا، و يستنفر بصورة خاصة الصحافة الانكليزية التي تعكس، في‌الوضع الراهن للامور، المشاعر الحقيقة للامة. هذا الانتصار، الذي زرع الفوضى في وزارة الخارجية، يبدو انه احتفظ للسيد «غلاد ستون» «Gladstone» في وادي النيل بنفس الثمار التي جناها اللورد «بيكونسفيلد» «Beaconsfield» في افغانستان.

و من ناحية اخرى، فتح هذا الانتصار الباب امام مطامع الخديوي السابق اسماعيل باشا، و كذلک امام مطامع حليم باشا: فكل واحد منهما يعمل بنشاط للحصول على عطف انكلترا، ولا يتوانى الواحد منهما ان يعد الانكليز بخنق هذه الانتفاضة على شرط ان يؤكدوا له دعمهم للوصول الى عرش الخديوية. أما بالنسبة لتوفيق فهو في وضع في غاية التعقيد و في حالة تصبح عصيبة، يوما بعد يوم. نرى هذا الامير البائس تحت رحمة احتمالين كلاهما مشؤوم: احتلال الانكليز النهائي لمصر، او وصول المهدي الى القاهرة. و تحت رحمة طموحين: طموح أبيه اسماعيل و طموح عمه حليم.

و اني اقترح أن اقدم في مقال لاحق بعض التقديرات الشخصية للمهدي من وجهة نظر سياسية، و من زاوية مصالح القوى الاستعمارية و مصالح تركيا، وللتحدث عن الانطباع الذي يمكن ان يولده اسم المهدي في العالم الاسلامي، كما سأتحدث عن نوايا انكلترا ازاء هذه المسألة الخطيرة، و عن الربح الذي يأمل بتحقيقه الاشخاص الطامعون بالخديوية. لكنني سأكتفي الآن بتلخيص بعض الاحداث التاريخية التي هي من طبيعة تهم الجمهور و ترشده حول المهدي، حول قوته لدى المسلمين، و حول طرائق المسلمين في الاعتقاد به، الأسباب التي الى هذه المعتقدات والاحداث ذات الطبيعة المشابهة والتي حصلت في الماضي، و أخيرا سأتحدث عما ينتظره الاسلام حاليا من المهدي.

المهدى ـ كلمة عربية معناها: الملهم من الله لاتباع الصراط المستقيم ـ و هو ليس بنبي كما تزعم بعض الصحف؛ ولا يحظى المهدي لدى المسلمين الا باعتباره واحدا من أبناء الرسول العظيم، تقي، ورع، تبعا للصراط الذي رسمه جده محمد، و يلتزم بالمذهب الاسلامي بأمانة. مهمته الالهية تقوم على الغاء البدع، و المناداة بالعدالة، و اقامة المساواة بين كل المؤمنين و بنشر اسم الاسلام، و جعله متصلا في كل انحاء المعمورة. و يعبّر عن المهدي بالعربية بعبارة «قائم آل محمد» و هذا معناه: هو الشخص الذي من بين المنحدرين من النبي الكبير، سوف ينهض لدعم الايمان الاسلامي. والاعتقاد بمجي المهدى منتشر في كل الاصقاع الاسلامية دون اي تمييز بين الفرق. و هذا الاعتقاد راسخ لدى الشعوب الاسلامية الى حد انه مستمر منذ القرن الاول للهجرة.

الطبري وابن الاثير، المؤرخان الاكثر شهرة و احتراما لدى المسلمين ذكرا في كتاباتهما ان المؤمنين خلال منتصف القرن الاول للهجرة كانوا يقولون عن عمر بن عبدالعزيز نسيب النبي واحد خلفاء بني أمية الاكثر عدالة، بأنه اذا لم يكن المهدي المنتظر، فانه لن يكون سوى يسوع ابن مريم الذي سيخرج قبل نهاية العالم. ان

انتظار مجيء المهدي يتزايد كليا عند المسلمين، في كل المرات التي يجدون فيها انفسهم في ضيق، او يرون انهم مهددون في دينهم او واقعون تحت سيطرة قوة اجنبية، و حيث يشبهون رجلا ضالا في ليلة حالكة الظلام وسط صحراء شاسعة، منتظرا بفارغ الصبر ظهور نجمة تقوده.

هذه المعتقدات مبنية على آيات و على احاديث لاتمس و شديدة الاحترام، منسوبة الى النبي الكبير محمد(ص) و قد وردت هذه الاحاديث في اكثر من كتاب، من بينها: المسند، للامام احمد، بن حنبل السني، و مؤسس احد المذاهب الاسلامية الاربعة، والصحيح للسيد علي الترمذي، و مسند «فردان» (كما ورد في النص الفرنسي في الجريدة: Firdano و ابن ماجة الخ...)

كل العلماء المسلمين، باستثناء ابن خلدون في مقدمته و نفر آخر محدود من العلماء اجمعوا على الاعتراف باصالة هذه الاحاديث و صحتها. و يظهر للعيان من خلال هذه الكتب ان النبي العظيم محمد(ص) تكلم عن المهدي في أماكن عديدة، حيث يدعوه حينا بأسم المهدي و حينا بأسم القائم. و قد قال: «لولم يبق من الدنيا الا يوم، لطول الله ذلک اليوم حتى يلي رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي». (كما ورد في صحيح الترمذي، الجزء التاسع ص ٧٤ـ٧٥. وثمة اختلاف بسيط في الترجمة الفرنسية للفقرة الاخيرة). و قال في حديث آخر: «القائم (المهدي) سيكون واحد من ولدي وسيهبكم الخيرات بلا حساب». و في حديث آخر: «سيمنحكم (المهدي) كنوز رومية وستعطيه الارض جم ثرواتها». (يمكن مقاربة هذين الحديثين الاخيرين بالحديث الذي اورده ابن حنبل في مسنده «يكون في امتي المهدي (...) فتنعم أمتي في زمانه نعيما لم ينعموا مثله قط البر منهم والفاجر ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض من نباتها شيئا و يكون المال كدوسا) و في حديث آخر (بحسب ترجمتنا للنص الفرنسي): «اذا امتلأت الارض ظلما و جورا، و اذا اصبح المؤمن (المسلم) اكثر سوءا من عبد، فانتظروا ان يظهر واحدا من صلبي، المهدي».

(هذا الحديث يمكن مقاربته بالحديث الذي أورده ابن جنبل في مسنده: «لتملأن الارض جورا و ظلما فيبعث الله تعالى رجلا مني اسمه اسمي و اسم ابيه اسم ابي...») و قال ايضا: «ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس و زلزال فيملأ الارض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا. و قيل في موضع آخر: «اذا استولى عليكم بنو الاصفر (يلمح النبى هنا الى قدامى الرومان) فانتظروا القائم من اهل بيتي» (لم أجد هذا الحديث بالعربية). و هذا حديث آخر ايضا: المهدي منا، و يكون اسمه اسمي (محمد) و اسم أبيه اسم ابي (عبدالله)، و اسم امه اسم امي (امينة). (لم اجد ايضا هذا الحديث بصورة حرفية).

و هناك عدة احاديث اخرى من النوع نفسه، و تقطع، بطريقة لاتقل بداهة، باليقين بقدوم المهدي. اما بالنسبة للاستشهادات، التي استخدمها العديد من القديسين والتقاة، والتي تزعم انها تلقت الوحي الالهي و التي تثبت بأن المهدي او القائم سوف يظهر في الشرق او من الغرب، من مكّه او من الكوفة، و تحدد هذه الاستشهادات هذه الفترة او تلك موعدا لخروج المهدي، و هي كثيرة و متعددة الى حد انني لم اجد لزاما ضرورة الاسهاب فيها.

كل مسلم ينتظر المهدي

لقد خرج تحت اسم المهدي او القائم مئات الاشخاص في كل القرون و في كل البلدان الاسلامية. و ان كان غالبية هؤلاء لم ينجحوا لكن ذلك لم يمنع بعضهم من تأسيس ممالك حافظ عليها الاتباع طيلة قرون عدة. ابو مسلم الخراساني الذي قضى على خلافة بني امية و شيد خلافة بني العباس، لم ينجح في حشد الجماهير و في بناء جيش مهيب في «مرو» و في غيرها من نواحي خراسان الا بعد ان استعمل لنفسه اسم قائم آل محمد (المهدي). وقد استطاع بهذه الوسيلة ان يلزم الجمهور باعلان ابي العباس السفاح خليفة، و هو اول خليفة من بني العباس وأحد احفاد العباس عمّ النبي الكبير محمد.

ادريس الاكبر، احد احفاد محمد، والذي اقام مملكة الادراسة في زمن هارون‌الرشيد، و بنى مدينة فاس، لم ينجح في ذلک الا خلف اسم قائم آل محمد ـو ايضا عبيدالله جد الخلفاء الفاطميين، فانه بصفة المهدي هذه استطاع هذا الرجل الذي احتل القاهرة و سوريا و الحجاز و اليمن ان يبني ممالک واسعة و ان يشيد مدينة المهدية التي ما زالت تحمل اسمه حتى أيامنا هذه.

محمد، زعيم الموحدين ـ(الذين يعتقدون بوحدانية الله) ـلم يستطع ان يجلب المرابطين الى نصرة قضيته و نشر فتوحاته حتى بلاد الاندلس تاركا لخلفائه مملكة شاسعة، الاعبر ادعائه بأنه المهدي.

بكلمة وجيزة، خلف هذا الاسم (المهدي)، كم من رجالات الاسلام انجزوا اعمالا باهرة و معتبرة، و قادوا الاوضاع الى تغيير جدي في عالم المؤمنين. رغم كل الذين اطلقوا على انفسهم اسم المهدي و تعاقبوا وصولا الى ايامنا الحاضرة، فان المسلمين ما زالوا ينتظرون واحدا جديدا. الشيعة الاثنا عشرية، كالفرس مثلا، والذين يؤمنون باثني عشر اماما منحدرين بتعاقب من محمد، فهم و ان كانوا يتفقون مع السنّة حول الجزم واليقين. بمجيء المهدي، الا انهم يختلفون عنهم في تعيين شخصيته. فهم (الشيعة) يقولون بأن محمد المهدي هو ابن الحسن العسكري، التاسع (بل الحادي عشر) من بني احفاد النبي الكبير، و يقولون بأن محمد المهدي ولد في سامراء (مدينة قرب بغداد)، في عهد الخليفة المتوكل العباسي. و أنه ذات يوم، و خشية من الاجراءات القاسية التي اتخذها الخليفة ضده قرر محمد المهدي و هو في الخامسة من عمره، الاختباء و خلال ستين سنة بقي على اتصال بمناصريه. هذا الاختفاء يدعوه الشيعة: الغيبة الصغرى. و يرى الشيعة ايضا انه بدءا من هذا التاريخ قام بقطع صلاته مع أتباعه الذين يعتبرونه حيا حتى أيامنا. مقدرين مدة وجوده بأكثر من الف سنة.

و تبعا لعقيدتهم، سوف يظهر المهدي هذا بين الركن (وردت خطأ في النص

الفرنسي بعبارة الكك Kick) والمقام، في مكة، و سيجعل من الكوفة (بالقرب من بغداد) مكانا لاقامته، و سينشر سيطرةالاسلام من الشرق الى الغرب. باختصار، مهما تنوعت هذا المعتقدات من ناحية الشكل، فانه لايقل صحة بأن كل مسلم ينتظر المهدي، و مستعد للسير خلفه وللتضحية بحياته و بكل مايملك. المسلمون الهنود خاصة، و نظرا لمعاناتهم اللامحدودة و تحملهم أقسى العذابات و أطولها من جراء السيطرة الانكليزية، فأنهم الاكثر انتظارا للمهدي بفارغ الصبر.

أخيرا، فان سطوة المهدي في أنظار المسلمين تتبع فحسب النجاح النهائي الذي يقوى على تحقيقه، على أي حال، تلك كانت حالة كل الذين سبقوه.

المهدية

(٢)

المقالة الثانية عن المهدي كما نشرت في جريدة «L'Intransigeant» بتاريخ ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٣. و فيما يلي تقديم الصحيفة للمقالة الثانية:

«ننشر هنا تتمة الدراسة القيمة التي شاء الشيخ جمال الدين ان يعطينا اياها حول المهدي والنتائج المحتملة لظهوره المنتصر في السودان، و نجد لزاما علينا التذكير بما سبق و قلناه منذ ثلاثة ايام: ان هذه الدراسة نشرت كما قدمت الينا دون اي تعديل، فالشخص الذي كتبها مسلم، و هذا ما لا يمكن تغافله. هذا الرجل المسلم، يتحدث كابن مؤمن من ابناء الاسلام. ولذا فكرنا ان نحفظ لهذا العمل طابعه الخاص، و ان ندع الكاتب يتكلم بحرية».

فيما يلي نص مقالة الافغاني:

ان الهزيمة التي الحقها محمد احمد ـ بقواه غير المنظمة ـ منذ فترة وجيزة بالجنرال «هيكز» Hiks، اعطت نتيجتها بتبديد الشكوك التي احاطت شخصيته من قبل سكان بعض مناطق السودان. ان انتصار «العبيد» رفع من شأن سطوته في انظارهم الى درجة انهم باتوا يعتبرون ما أنجزه بمثابة معجزة.

اضافة الى ذلك، ولّد هذا الحدث لدى المصريين، الامل بالتخلص من السيطرة

الانكليزية بمساعدة المهدي، و من جهتهم، فان مشايخ جامعة الازهر بدأوا يطلبون المغفرة في اعقاب الفتوى التي تناولت محمد أحمد كدجّال.

ان انتصار «العبيد» الذي كان له دويّ واسع في العالم الاسلامي، ايقظ المشاعر الدينية لدى كل شيوخ الطرق (الاخويات الدينية) مثل القادرية والنقشية (المقصود على الارجح هو النقشبندية) والجلالية والسنوسية والشاذلية الخ... و هذه الاخويات تمارس سلطة كبيرة على اتباعها الكثيرين. هؤلاء الشيوخ لا ينتظرون سوى عمل اضافي باهر يمكن من وضعهم لحساب المهدي، كي يثوروا و يشكلوا قضية واحدة معه. من ناحية اخرى، فان الجنود المصريين نظرا لكونهم مسلمين و يعتقدون تبعا لذلك بالمجيء الاكيد للمهدي، و واثقون ايضا انهم بمقاومة محمد احمد لا يخدمون مصالحهم ولا مصالح بلدهم، و بأن انكلترا فقط هي التي ستستفيد بالطبع من اي خسارة قد يلحقونها به، لذلك لا يرغبون في اي حال من الاحوال بمقاتلة اي وحدة من وحدات المهدي المقاتلة.

قبل انجاز اي مأثرة اخرى ـ و تلك معجزة جديدة ليست غير ممكنة، و نظرا للانتصار الذي حققه النهدي ضد عشرة الآف جندي نظامي، و نظرا للدعوات والنداءات التي اطلقها عن ذكاء الى مشايخ القاهرة و مكة والمدينة ـ و قبل انتشار الهبات الدينية و استعداداتها في الشرق كما في الغرب، فان الاتراك، برأيي، وحدهم قادرون، تحت اسم الخلافة، أن يصبحوا أسياد الموقف، و ان يستبقوا الاضطرابات الخطيرة. لكن القوى الاوروبية التي تنتهج سياسة غامضة النتيجة، و كذلك انكلترا التي لا تخفي مقاصدها، تعارض بقوة اي تدخل تركي.

و اذا حقق محمد أحمد ـ انتصارا أخرا ـ اي اذا احتل الخرطوم او اقترب من تخوم مصر العليا، فانه سينجم عن ذلك هبة عامة لدى كل السكان العرب الواقعين تحت السيطرة العثمانية، وستلقى تركيا صعوبة بالغة، نظرا لضغطها الحالي، في اخماد هذه الهبة.

و بدون شک، ستنشأ حركات اخرى في عدة نقاط من الاقاليم الواقعة تحت السيطرة التركية. سأذكرها هنا بدقة من هـي المـجموعات الاسـلامية الجـاهزة للانتفاض: الشيخ السنوسي و اتباعه، و هم كثيرون في طرابلس و بين البدو العرب القاطنين ساحل الحجاز ـ بنو حرب، و هم يشكلون قبيلة ذات شأن تقيم بين مكة والمدينة؛ ـ العسير، بين الحجاز واليمن، ـ الزيدية في صنعاء وكوكبان: ـ داهي (لقب) الاسماعيليين في نجران من بلاد اليمن؛ ـ محمد ابو (بل ابن) الرشيد في نجد و قبائل عنيزة و شمّر على تخوم بغداد من الموصل حتى سوريا. كل هذه القبائل التي تهب في كل لحظة ضد تركيا بسبب عدم رضائهم عنهم، لن يطلبوا أحسن من انتهاز الفرصة التي يقدمها لهم المهدي في سبيل التخلص من الخليفة (السلطان). حينئذ، سيكون من المستحيل على العثمانيين الذين يعلنون اسم الخليفة ـ الوسيلة الوحيدة التي في حوزتهم لكي يحافظوا على سيطرتهم على مختلف السكان المسلمين ـ قلت سيكون من المستحيل على العثمانيين ان يخنقوا انتفاضة لا يـمكن الاسـتهانة بـنتائجها. فالمسلمون يعتقدون، بالفعل، ان الخلافة، شرعية كانت، أي في يد قريشي ـ واحد من قبيلة محمد ـ ام غير شرعية، اي بين يدي غاز، فانه ينبغي لها ان تزول امام ظهور المهدي، الذي سيكون الخليفة الحقيقي بالنسبة للمؤمنين.

ان مشايخ الاخويات الدينية، القادرية والشاذلية، هم ايضا، لن يعدموا وسيلة في هذه المناسبة كي ينظموا دعاية نشيطة، سوف يسـتصرخـون المشـاعر الديـنية لاتباعهم لجرهم الى الالتزام بالالتفاف حول المهدي هذا، الذي هو بالضبط جزء من هذه الاخويات.

هذه‌الانتفاضة التي ستحدث بدون أدنى شک، و بمجرد حصول انتصار أخـر للمهدي، في كل البلاد العربية الواقعة تحت السيطرة العثمانية ـ و ان كانت تشبع رغبات انكلترا التي تسعى الى اضعاف هيبة الاسلام ولكنها (الانتفاضة) لن تتوانى عن وضع انكلترا في حالة استنفار. ان مقاصد الانكليز الخفية الى هذا الحد او ذاک،

هي الانهاک التدريجي لترکيا من اجل الاستيلاء بالتالي علىاکبر حصة من ممتلکاتها. ان بريطانيا العظمى تغذي النوايا العازمة على تشکيل خلافة صغيرة في مکة، لصالح عشيرة بني عون و حيث ان احد اعضائها هو حاليا شريف مکّه، و ذلک بهدف تمکينه من حيازة وسيلة قوية للسيطرة على کافة المسلمين. ان حصول انتفاضة مشابهة لتلک التي اتوقعها، ستکون حاملة الاذى لانکلترا الى حد انها ستستدعي بالضرورة تدخل القوى الاوروبية ذات المصالح الجدية في الشرق. و عندئذ سيتاح لانکلترا ان ترى کيف ستفقد الحصة الکبيرة التي تطمع بها عبر تقطيع اوصال الفريسة العثمانية. ولن يکون من المستحيل ان يتکون في الشرق ـ على اثر تعقيدات معينة قد تحدث في اوروبا و تمنع القوى المعنية بالامر عن التدخل ـ مرکز خلافة مهمة للعرب. هذان الاحتمالان لايقلان شؤما الواحد من الآخر بالنسبة للانکليز.

ولکن ماذا! هل تأمل انکلترا اذن باجراءاتها المعتادة، اي بالخديعة والمکر، و عبر اعلانها عنالدخول الى کل البلاد، و عبر افصاحها المنافق عن رغبتها بجعل هؤلا السکان سعداء، و بتوفير الامان والرفاهية لهم، و ذلک بعد ان غرست جذور الحقد في قلوب کل المسلمين، حين انتزعت من ايدي الاسلام اوسع و أغنى مملکة في العالم، أي هذه الامبراطورية التيمورية ـ الهندية التي تضم حوالي ٢٥٠ مليون نفس، قلت هل تأمل انکلترا بخنق صوت المهدي، الصوت الاکثر ادهاشا من کل الاصوات لأنه يتجاوز بالقوة حتى صوت الجهاد الذي يخرج من افواه المسلمين کافة.

هل تعتقد انکلترا بقدرتا على خنقه قبل ان يبلغ کل نواحي الشرق، من جبال هملايا الى دولاغهير Dawlaghir، من الشمال حتى الوسط، مخاطبا مسلمي افغانستان، و بلوشستان، والسند و الهند، معلنا بصوت عال مجيء المخلّص الذي ينتظره بفارغ الصبر کل طفل في الاسلام: المهدي، المهدي، المهدي!

و هل عن طريق ترک‌السودان للمهدي، كما تلمح اليه غالبية الصحف الانكليزية، و عبر اتفاق سلام يعقد بين محمد أحمد والحكومة المصرية و حيث الهدف الوحيد من ذلک هو الاستيلاء لاحقا على السودان (كما ذكره بالمناسبة قسم من الصحافة الفرنسية)، هل بهذه الطريقة تأمل انكلترا بأن تنجح في اسكات الصوت المهيب للمهدي؟ سيكون ذلک قطعا من نسج الوهم، لأن الشخص الذي ينهض خلف اسم ديني معلنا نفسه نبيا او المهدي، لن يتوقف اطلاقا في مسيرته، واثق تماما انه اذا تراجع فان الثقة التي منحها له مناصروه سوف تأخذ بالضعف و ستؤول حتما الى الزوال.

ان قسمة المهدي لايمكنها ان تكون الا هذا: الموت او تحقيق الهدف الذي رسمه لنفسه. و هل عن طريق الاستعانة بالفرق العسكرية الفرنسية، و هي بذلک تبرهن عن ضعفها الذي يجهله الشرقيون، تحسب انكلترا بأنها ستخنق صوت المهدي؟ في هذه الحالة سوف تفضح ماضيها بهذه الطريقة، وستعود الى الوضع الذي دمرته ودون ان تشاء، سوف تعطي مصر للمصريين. و هذا ما نرغبه، مع المجازفة برؤية غلادستون البائس و هو يسقط عن عرش السلطة. و حين تيأس انكلترا من التوصل الى اتفاق سلمي مع المهدي، فهل ستقترح عندئذ ان تقوم بجلب الوحدات العسكرية الهندية الاسلامية الى السودان؟ قبل كل شيء، هل هذا ممكن؟ و كيف يمكن للحكومة الانكليزية ان تتصور بأن المسلمين، و في سبيل تمتين سلطة عدوهم الوراثي اي الانكليزي، سيكونون قادرين على‌الدخول في حرب مع الرجل الذي ظهركي يدعم ايمانهم؟

ام ان انكلترا تعتقد بأنها ستتوصل الى مخادعة الهنود في هذه القضية، كما سبق و خدعتهم في قضية «عرابي»، حيث ستجعلهم يعتقدون هذه المرة ايضا، بأنها لاتفعل سوى القيام بمساعدة السلطان من اجل كبح المتمردين؟ لقد بات الهنود على يقين، بعد الذي حصل في مصر، بأن انكلترا مصممة على ان تلعب تجاه تركيا نفس الدور الذي لعبته في الماضي تجاه السلطة التيمورية.

ام ان انكلترا تتصور بأنها ستستدعي جنود السيخ و «الكـوركو» Kourkou؟ لكن تدخل هذه الفئة سوف يؤدي بالنتيجة ليس فقط الى الازدياد الخطير للحقد على الانكليز من قبل المسلمين الهنود، الذين لن يروا بدون عناء و بدون مرارة ذهاب الهندوس الى الحرب ضد منقذهم (المهدي) فاضافة الى ذلك قد ينجم عن هذا الرهان تبعات اخرى لاتقل كارثية عن سابقاتها بالنسبة الى الانكـليز: انـها تهييج السكان المسلمين الهنود الى درجة انهم سيستفيدون بدون شك من غياب جزء من الجيش الانكليزي الموجود في الهند.

المهدية

(٣)

اذا اردنا ان نقيم حسابا دقيقا للمخاوف التـي تـعتري الانكـليز مـن جـراء الانتصارات المتلاحقة لمحمد احمد (المهدي)، فانه لامناص لنا من معرفة وضع الانكليز في الهند، مشاعر السكان الهنود تجاهها، و اخيرا النسب الحقيقية لقوتها العسكرية في هذا البلد.

ان عدد الجنود الاوروبيين الذين يمكن لبريطانيا العظمى ان تجهزهم لا يتجاوز الخمسين الف. والخمسون الف هؤلاء، ينتشرون على كافة نقاط الاقليم الهندي وصولا الى برمانيا. ولا يسع انكلترا بأي طريقة من الطرق ان تعتمد على الجنود المسلمين والهندوس، في حال حصول انتفاضة، لأنه لم يبق في الهندوستان بيت واحد كبير لم يتعرض للهدم او للتشويه، ولم يبق قلب لم ينقبض، دون اقامة اي تمييز بين المسلمين والهندوس. لقد انتزعت انكلترا المملكة التيمورية الواسعة مـن أيـدي الاسلام، كما استولت عنوة على حكم «الميريت» (mirits) الذين يشكلون العدد الاكبر والافتى بين الهندوس. لقد فتنت انكلترا اشراف السند و «راجوات» السيخ في البنجاب. كما قضت على عظماء البنغال ولم توفر ممالك «ميسور» Mysore و «أود» Awed التي افرغتها من السكان بواسطة المجازر. و أخيرا، قامت انكلترا

بتقطيع الاقاليم التابعة لرجاوات جيبور Djeypour، ودجوبتور Djoptour و برودا Brouda حيث استولت على القسم الاكبر منها.

اما الراجوات و كبار النافذين، و عددهم قليل جدا على كل حال، الذين ما زالوا يحتفظون بممالكم، فانهم لايشعرون بالاطمئنان ازاء مشاريع انكلترا في المستقبل؛ و يجهلون اذا كانت انكلترا سوف تستشعر الضرورة لتركهم حائزين على املاكهم، و يتوقعون بين يوم و آخر ان يجدوا أنفسهم و قد انتزع منهم القليل الذي بقي لهم. وليس لديهم أدنى وهم حول المصير الذي تعده لهم المطامع البريطانية. ان الانكليز مقتنعون تماما انه بمجرد حصول فتنة في الهند، فان كافة الجنود المحليين، المسلمين والهندوس على حد سواء، سيؤلفون قضية مشتركة مع الثائرين، و سيتحدون خلف الراية ذاتها، ولكونهم مدعومين من الرجاوات و كبار النافذين الذين يرفضون انتزاع ممتلكاتهم منهم، فان الجنود سيثورون ضد المسيطر عليهم و دون التفتيش عن مبرر لهذه الانتفاضة، و دون اخذ الوقت للتفكير بالفائدة التي سيجنونها، و دون اختبار النتيجة التي قد يصلون اليها.

لا يبدوان محمد أحمد (المهدي) يجهل الوضع الحقيقي للانكليز في الهند و نواياهم المبيّتة بهذا القدر او ذاك من اجل وضع اليد على مكة؛ ولا يخفي المهدي علمه بأن اول مواجهة جدية يخوضها سوف تكون ضد الانكليز في مصر. و لذا فقد ارسل بمبعوثين و بدعوات الى علماء مكة، و بصورة خاصة الى العلماء الذين هاجروا من هندوستان، و من افغانستان و بخارى، والذين استقروا في مكة.

في هذه النداءات، التي سينشر نصها في اقرب فرصة مناسبة، يدعو المهدي المسلمين الى النهوض من أجل تأكيد الايمان الاسلامي و من أجل نصرته في تحقيق مهمته الالهية. و اذا كان هؤلاء العلماء العديدون لم يعلنوا حتى هذه الساعة عن تأييدهم لمحمد أحمد، فاني لا أشك لحظة واحدة، كما سبق و قلت، بأن هؤلاء العلماء سيقفون الى جانبه، و ذلك بمجرد ان يحقق المهدي انتصارا جديدا و جديا والذي بدوره سوف ينجز امر انضوائهم لحسابه.

ان الانسان، بطبيعته، ميّال الى مبالغة كل الاخبار التي تأتيه مـن البـعيد، الى درجة ان العدد واحد المتنقفل من شفة الى شفة والمتضخم بواسطة الهرج العام، لاينني ان يتحول الى الف، و هكذا فاَن الرابية سوف تجري مشاهدتها على انها جبل. و لهذا، فان الاعلان عن ظهور المهدي، سوف يملأ قلوب‌الذين ينتظرون الانعتاق بالوعود الكبيرة و سيفيضون املا و فرحا.

ان اول تململ سوف يحدث على ما يبدو عند مشايخ الطـرق (الاخـويات) المعروفين بالشيشتية El-Chichtia، و هم من عائلة أولران شاه Olran-Shah في بلوشستان، و كذلک عند القادرية في السند، الطـقشندية والقـادرية فـي جـبال افـغانستان بـقيادة ابـن «اهـوندسيوات» Ahoundsiouath، و عـند الوهـابين المجاهدين في افغانستان و في بلوشستان بقيادة أميرهم عبدالله. جميع هـؤلاء سيلقون الدعم من جماعة «الميريت» القاطنة في «بونا» Pouna والتى بلغ عدد افرادها منذ عام اكثر من ٥٠٠ ألف نفس. هذه الجماعة، هي ايضا، تنتظر بـفارغ الصبركي تهب.

ستحظى هذه الحركات المدهشة حتما برد معاكس في الهند، اذ سيحصل نهوض عام، و سيجد الانكليز صعوبة بالغة في الحصول على مبرراته. و في كل الاحوال، و بالتأكيد لن يصل الانكليز الى قمة غايتهم كما حصل في الانتفاضة الاخيرة. ان حدوث انتصار جدي للمهدي ـ والذي سيكون بلا جدال بمثابة معجزة جديدة في انظار المسلمين ـ سيكون له كنتيجة حتمية ليس فقط اندلاع الانتفاضة في بـلاد الاسلام الواقعة تحت السيطرة التركية كما في بلوشستان ايضا و افغانستان والسند و هندوستان و بخاري و خوقند و خيفا ـ بل سيفضي ايـضا الى اضـطرابـات فـي طرابلس و تونس و الجزائر وصولا الى المغرب. لأن كل المسلمين ينتظرون المهدي الذي يعتبرون مجيئه بمثابة ضرورة مطلقة.

العلاج الوحيد، برأيي لأزالة المرض قبل ان ينتشر في كل الجسم، لايقضي، كما

تعتقد بعض الصحف الانكليزية المهمة، بالتخلي عن السودان والتوصل الى اتفاق سلمي يعقد بين المهدي و بين الحكومة المصرية، بل بواسطة التدخل التركي، او بتعاون الفرنسيين مع الانكليز من اجل تفادي حصول كارثة.

غير ان الانكليز بعيدون جدا عن القبول بتدخل فرنسي، ولن يتنازلوا عن ذلك قبل ان ينغرز الخنجر الاسلامي في صميم قلبهم، و عندئذ سيكون العلاج بلافعالية. بالفعل، فان الانكليز لم يدخلوا مصر بمفردهم و ضد اماني الفرنسيين، الا لأنهم رأوا هؤلاء قد استقروا في تونس. و قد فهموا (الانكليز) جيدا بأنه لم يبق امام فرنسا و هى احدى القوى العسكرية الاكثر ادهاشا، لتحقيق الاستيلاء على باب الهند ـ و أعني بذلك مصر ـ سوى السيطرة على طرابلس الواقعة حاليا في الأيدي الغافلة لتركيا.

لماذا لاترغب انكلترا، بصدد هذه القضية، بمجرد الكلام عن تدخل تركي؟ هل لأنها تهاب تركيا، ام لأنها تخشى ان تقفل عليها هذه القوة (تركيا) طريق الهند؟ لاأعتقد بأي واحدة من هاتين الفرضيتين. فتركيا، بالفعل، و حين كانت اقوى مما هي عليه الآن، و قبل شق قناة السويس، الم تدع الجنود الانكليز يعبرون مصر لمحاربة اخوانها في الدين، اي الهنود المسلمون و انتزاع املاكهم و ممتلكاتهم؟ ان مبرر موقف انكلترا لايمكن اذن ان يكون غير الحقد الصريح على المسلمين من قبل الانكليز، و خاصة من قبل السيد غلادستون البروتستانتي المتحمس واللاهوتي المتشدد.

اذا لم تقم فرنسا و انكلترا ببذل كل طاقتهما لاستباق احتمالات معينة، فانه سينجم عن تحرك انكلترا بمفردها في هذه المسألة الخطيرة، كوارث بالغة ستلحق بهاتين القوتين.

اما بالنسبة للرجلين الطامحين الى الخديوية في مصر، اي الخديوي السابق اسماعيل وحليم باشا واللذان يستفيدان من الفرصة التي يمنحها لهما المهدي من اجل

الحصول على عواطف انكلترا الطيبة، فانني سأكتفي، بصدد هما الآن ولكي لا أتعب القاريء، بالتحدث عن واحد منهما، و بأكبر اقتضاب ممكن.

ان صعود حليم باشا الى عَرش الخديوية، سيمنح بدون شک سرورا بالغا لكل الذين يأملون بتوسيع و تقوية السلطة العثمانية. فحليم، بالفعل، واحد من المقربين للسلطان، ويعده باستمرار بوضع حكومة القاهرة تحت الرعاية الكاملة لديـوان الاستانة كما هي حال ولايات سوريا و حلب..الخ..الخ.. لكن ليس لحليم اي حزب في وادي النيل، و هو معروف بصورة قليلة جدا، و النزر اليسير من الناس الذين يعرفونه فانهم يعتبرونه ملحدا.

و ندرک بسهولة ان رجلا متهما بالزندقة من قبل المصريين العميقي التديّن، لن يكون بمقدوره ان يقف وجها لوجه امام محمد احمد الذي يخرج للناس خلف هيبة لقبه الديني اي المهدي. صحيح ان عرابي باشا ذكر اسم حليم باشا، بل و صرح بأنه يقبل به كخديوي؛ ولكن لا ينبغي الاستنتاج من ذلک ان عرابي كان مناصرا لحليم او انه كان لهذا الاخير حزب في مصر.

فقط حين وضع عرابي امام الجدار وارغم على الافصاح عن الرجل الذي يؤيده من بين المتنطعين الى عرش الخديوية، حينذاک و بقصد ان يقوي وضعه في مصر، أعلن عرابي تأييده لحليم.

اما بالنسبة للخديوي السابق اسماعيل، فانني سأكرس له مقالة خاصة أقيّم فيها بالتوازي، النتائج المشؤومة والنتائج الطيبة التي يمكن ان يحظى بها امر اعادته الى عرض الخديوية.



باب مايؤول اليه امر المسلمين
في المستقبل

باب مايؤول اليه امرالمسلمين في المستقبل

اذا نظرنا الى الحالة الراهنة رأينا ان ما آن الاوان للتكلم في مستقبل الاسلام فان انحطاطه في زمن السلطان سليمان المسمى بالمشرع من يوم حصار مدينة ويانه في سنة ١٦٨٧ لم يزل يظهر شيئا فشيئاً حتى بلغ اواخر القرن الاخير اي عهد السطان محمود الثانِي الذي بلغت رجال دولته اعلى درجة في التأخير و تملكت بعد الانكليز و المسكوا و الفرنساوية على كثير من المسلمين و بقى معظم اهالي الاسلام يخبطون في الجهل منتظرين سقوط المملكة التركية تحت صواعق الافلاس و الحروب الباطنية و الحروب الخارجية التي يخشى من حصول النصر فيها فضلاً عن الهزيمة على ان تلك المملكة التركية هي التي ورثت الملك من الخلفاء الذين دانت لهم الارض باجمعها و خضعت لها ممالیک اوربا بصياحها و دموعها و هي الآن حصن غيرمنيع لحفظ شوكة الاسلام و وقاية واهية للتجمع و الالتئام.

فما ظنک الآن بما تؤول اليه امر المسلمين و هي في ظنک من تقلب الاحوال و ضيق من عدم تحقق الآمال، افيخطر ببالک ان يقال انَ هذا الدين يتلاشى و انه اخذ زمنه و مضى، او يخطر ببالک ان فيه الكفاية لتنظيم احواله و يرجع الى قوة منشأه ويكون معينا على نشرالتمدن في جميع اقطار الدنيا. فهاک مسئلتين خاصتين بحال الاسلام و مايؤول امره اليه بالنسبة لانصلاح شؤونه في المستقبل و بالنسبة لسياسة

النصاری الذین تحت حکومة الاسلام وهاتان المسئلتان لهما دخل عظیم في المسئلة الشرقیة التي لاتحول و لاتزول.

فلاوجه للمجاوبة عنهما بوجه الایجاب لان الدلیل الاقوی لتعضید کل منهما لابد من دخوله في مسئلة الادیان. وقال المؤلف فونطه ان الدین قاصر علی الزمن الذی ظهر فیه و ان الادیان سترفع من الارض بعدان تنتشر المرؤة علی وجهها و ان آخر دین اکثر تنقیحاً من باقي الادیان التي تقدمت و ان التنظیمات التي تحصل في الدنیا لابد لها من دین جدید فاذا کان هذا الدین هو دین الاسلام یلزمنا ان نتوقع زمن ظهوره علی الاحوال التي حصلت فی الدنیا و تضاهي قواعده الادیان المتقدمة ثم نبحث في الثمرات التي ملئت منها التواریخ ونطّلع علی اسباب انحطاطه في هذه الایام و اذا تأملنا في الاسباب الموجبه للانحطاط ظهرلنا انها ناشئة من عدم موافقة ذلک الدین للتقدم و التمدن الحاصل في هذا الزمن. فاذا امعنا النظر في درجات تلک المسئلة رأینا الاسلام ظهر بعد النصرانیة بستمائة واثنین و عشرین سنة فکـانت قواعده اعلی و امتن من دین النصرانیة.

و عندنا دلیل آخر و هو ان الدینین ظهرا في ارض واحدة و ان الدین النصراني سقط في بلده یهوذا و لم یظهر باوربا بعدها الا بعد ان قاسی کثیراً من الشدة و اللوعة في اوربا و اما الاسلام فانه أزهر و أثمر و علی شأنه في کل بلدة دخلها و کان عدد المسلمین بعدالهجرة بقرن یبلغ مائة ملیون اکثرهم کان من‌الیهود و النصاری و لم یبق من عبدة الاوثان شئ الا و طمعی علیه سیل الاسلام فاغرقه و کذب یونس حیث قال انه لایبعث نبي في بلده فان محمد صلی‌الله علیه و سلم بعث في بلده و ظهر امره في جزیرةالعرب. و من ادعی ان قوة السیف هي التي نشرت ذلک الدین فقد ضل ضلالاً بعیداً لان العدد القدیم من فرسان الصحابة لم یکن کافیاً في الزام ثلث الدنیا باتباع الاسلام و نشرالمتمدن بین الانام في زمن کانت فیه صولته الرومان و الاروام و کان دین النصرانیة کثیر التشعب و المذاهب و کان الخصام واقعاً بین کثیر

من تلک الشعوب و حصل الاضطراب عند نقص مذهب الارثدوكس فقرتب على ذلک قلقلة الجمعيات و سفک كثير من الدماء و احتيج الى ايجاد مرشد يصلح بين‌الناس و يهديهم الى الطريق المستقيم فکان ظهور الاسلام داعياً لسلامة الجميع و اتفاقهم على وحدانية الاله. فاحرقت معابد الاصنام و اضاء نورالاسلام بلا اله الاالله محمد رسول‌الله و بلغ رسول‌الله صلى‌الله عليه و سلم بهذه الكلمات و محو آثار الاصنام و ازالة اعتقادات الاروام في تعدد الاله. و بعد ان مهدّ الطرق و مكنّ كلمته أباح للعرب ماكان من عوائدهم موافقاً لكلمة التوحيد و اقرّ اليهود على دينهم و النصارى على تعظيم المسيح و أمّه و قال‌ان‌المسيح من‌روح‌الله و ان مريم احصنت فرجها، فما كانت تعتقده الروحانيون في احصان مريم مأخوذ من الاسلام.

و لما رأى ان النصارى تكره بقية الاديان اباح حبها و قال ان اختلافها لم يكن الا بارادة الله و في القرآن: «ولو شاء ربک لجعل الناس امة واحدةً.» و قال تعالى: «ولاتجادلوا اهل‌الكتاب الا بالتي هى احسن و قولوا آمنا بالذي انزل الينا و انزل اليكم و ألهنا و الهكم واحد و نحن له مسلمون و كذلک انزلنا اليک الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون بـه و مـن هـؤلاء مـن يـؤمن بـه و مـا يجـحد بـاياتنا الاالكافرون»، فصح على ذلک ان دين الاسلام يقبل العـوائـد المـتقدمة و يـقبل التأويل لموافقته للعلوم المـتأخرة. فـان الاقـدمين كـانوا يـعتقدون عـدم ادراک امرالروح و ذلک موافق «ليسئلونک عن‌الروح قل الروح من امر ربي» و لم يخل شيئ من احكام الاسلام عن موافقته لحكم عقلية كتحريم النبيذ و بعض اللـحوم و الميسر لثبوت ضررها بالتجربة. و حكم الوضوء هذا امـر صـحي و قـال بـعض المؤلفين الطاغين ان دين الاسلام اشتمل على ما كان في دين النصرانية من الامور الموافقة الشرع و الطبع و كذلک اغلب المؤلفين النصارى سلموا للعرب في التمدن و عظموه على ان التمدن لاينسب للعرب بل للكتاب و السنة و ورد في الحديث: «اطلب العلم ولو بالصين»، وقال ايضاً: «عظّموا من علّمكم كلمة كتعظيم آبائكم». و سئل النبى

صلى‌الله عليه و سلم لمن الحكم، فسكتوا فقال لاعلمكم. فكان هذا الحديث و امثاله موجبا لازديار الرغبة في‌العلم و نشره مع‌التمدن في البلاد المتوحشة حتى ظهرت الالفة بين سائر الناس و ظهرت المعارف في بلاد الاكراد و غرناطه و سبته و القيروان من اعمال كسرى الاندلس ثم بدمشق و العراق و الموصل و بغداد و اصفهان و بخارى و سمرقند و الهرات و قابول و كندهار و دهلى من بلاد الهند و اشرقت شموس العلم بالاسلام في سائر النواحي و كانت بلاد النصرانية وقتئذ من الجهل في ظلمات بعضها فوق بعض و من اطلّع على‌التاريخ علم ان الروم و الرومان ان كانوا قد ابتدئوا في نشرالتمدن فان المسلمين اتموا نشره في عهد المأمون بن هارون‌الرشيد.

و لقد كانت عادة المسلمين انهم اذا ملكوا بلداً بادروا في تعليم اهلها و جعلوا في كل قرية مدرسة، و تلک آثارهم تدل عليهم لانک اذا نظرت الى مسجد من مساجد صدرالاسلام رأيت بجواره مدرسة و سبيلا و شتان بين تعليم تلک الايام و تعليم ايامنا هذه. و من شروط الاسلام المساواة بين‌الصغير والكبير و القوى والحقير فان طفيل ابن عمر أتى النبى صلى‌الله عليه و سلم و قال له اذا اسلمت كيف تكون مرتبتي عندالناس فقال الناس كاسنان المشط أي في الاستواء و قصة حيله ابن الاسهم من ملوک العرب لما اسلم في عهد عمرابن‌الخطاب و حج داس على بردته اعرابى فلطمه حيله فشكاه الاعرابي لعمر فدعى حيله ليقتص منه فقال فكيف يكون ذلک و انا من ملوک العرب و هذا صعلوک فقال قد سوى الاسلام بينكما.

وكانت المناصب في صدر الاسلام بغير مقابل اذكان الامير يعيش من‌الجملة فكان علي صهر النبى صلى‌الله عليه و آله سلم عاملاً و كان عمر يضرب الطوب و يعيش منه و كان السلطان محمود الاول صائغا و محمود الثاني خطاطا يأكل من عمله.

و ناهيك بالعدل فانه كان طبيعة للخلفاء و الملوک لقوله تعالى: «ان الله يأمر بالعدل و الاحسان». و قال سليمان القوة تزيد في اتساع الممالک و العدل يحفظها و اقوى دليل على عدل المسلمين انهم كانوا يحسنون معاملة النصارى من رعاياهم و لما رأى ملوک الروم ملوک المسلمين لايحزجون عن كتاب الله و لاينفذون الاحكام الا بفتوى من شيخ الاسلام صاروا يتحاكمون عندهم في قضاياهم.
وحكي ان السلطان بايزيد الثاني كان حاضراً بالمجلس الشرعي واراد ان يتكلم فمنعه القاضي فينارزاده و قال: انه غير عدل لعدم حضوره في المسجد يوم الجمعة كماهي عادة الخلفاء والملوک. ومن يسب النساء في الاسلام (ويمارس[1]) الاستعباد فقد اخطأ فأن المسلمين يعظمون نساءهم و ان العلوم الاسلامية مروية عن عائشة و فاطمة و خديجة و غيرهن، و في الحديث الشريف «الجنة تحت اقدام الامهات».
و اما تعداد الزوجات فليس حكماً الزامياً لما ورد في الكتاب المجيد «و ان خفتم الاّ تعدلوا فواحدة.» و حقوق النساء عندالمسلمين اكثر مما عند الاورباويين. فان المرأة تبلغ رشدها من تسع سنين و مهرها على زوجها، فان تزوجت لها الترف في متاعها و هي المصدقة بقولها في الشهادة على نفسها و تحريم الخمر و الميسر فيه حفظ للزوجة مع تقي الزوج وقعه.

و نهاية القول فان من ينسب الضعف للاسلام بنسبه مأُخذه فقد اخطأ، لأن الكتاب والسنة ساربهما الاسلام وعلا شأنه في التمدن و التقدم مبلغاً عظيماً من القرون. ولما ان هُجر العلم و حادالمسلمون عن اتباع شريعتهم اخذت دولتهم في الانحطاط. و من المشهور ان مبدأ انحطاط الاسلام كان من عهد السلطان سليمان و تصميمه على عدم تأويل السنة بما يوافق مواقع الاسلام حوال في اوقاتها مع انه سئل النبى صلى الله عليه و آله سلم فيما نقول في المستقبل أَنتبع نص القرآن أم نتبع ما فسر به القرآن و الاحاديث فقال صلى الله عليه و آله سلم: شهادة الرجل حياً خير من

---

١. غير موجودة في النص الاصيلى.

شهادة عشر من‌الاموات. فيفهم من ذلک ان شريعة الاسلام کالثوب المرن تقبل التمدد والتشکل باشکال التمدن و التقدم بخلاف دين‌النصرانية لتحکم النفس و تشديدهم و عدم الاباحة فی التأويل فبقيت غير منتخبة. و أعجب من هذا انهم لقبوا السلطان سليمان بالمشرّع مع انه اغلق باب التفسير بالقوة والاقتدار و جعل معنی القرآن قاصراً علی آخر تفسير أمر به فسقطت بهجة العلوم الاسلاميه، في زمن اخذت أوروبافی اسباب التقدم والمعارف. و نرد علی ذلک عيباً في کيفية الهجا المتبعة فی اللغة الترکية و العربية و الفارسية و هی ان الحرکات لاتعرف الا بالشکل ويستحيل بغيره معرفة عواقد القراءة في تلک اللغات بخلاف الف باء الاورباوية فان حرکاتها تکتب حروفاً اذا تعلمها اي شخص امکنه ان يقرأ بالصحة في أي کتاب ولولم يفهم المعنی. ولاشک ان تقدم العلم مبني علی حسن ترتيب لغته و ان‌النفور يتصاعد اذالم يجد عبارة و جيزة يتکيف بها. هذا ولم يبق للمسلمين الا الايمان والحمية علی اتباع کتاب الله فلايخرج حبه عن قلبهم ابدا. و ان قيل لک ان النصاری لکثرة غواية الفلاسفة لهم وزحزحتهم عن دينهم شيئاً فشيئاً في مدة ثلاثمائة سنة يترکون دينهم ولايبقی له وجود فصدقه و اما اين قيل لک عن المسلمين شيئ من ذلک فلا تصدقه مطلقاً.

و ان امکن الاغارة علی بلدة من بلاد المسلمين فانه لايمکن جبرهم علی ترک دين الاسلام و اتباع دين النصاری ولو عرّضوا للهلاک بل يميلون للحکم علی کره منهم فان لاحت لهم فرصة للتخلص نفروا مهللين بالشهادتين.

والحاصل ان الحمية الاسلامية غنية عن التعبير و ان حُبَّ المسلمين في نبيهم و تفضيله عن باقي الرسل امر لم تقلقله سياسة الدول الی الآن. و حيث ثبت انه من القوة البالغة الحدة و انه لايمکن ازالته فالا ولی موافقته بالعلوم المتأخرة والانتفاع به. وان دول فرنسا و انکليزا[1] والروسيا لم يعتدوا الی الآن بطريقة في حکوماتهم

۱. انجلتره

توافق دين الاسلام، فتراهم يتبعون انفسهم في رد المسلمين عن دينهم فلم يمكنهم ذلک ويستعملون الظلم و القسوة التي لاتفيد شيئاً. و ممايشبه الاوروبا و الممالک المتقدم ذكرهافي معاملةالمسلمين السلطان محمود لانه لماشرع فى التعليمات الحربية الافيركية ادخلها على المسلمين بوجه افهمهم انه شارع في تغيير قواعدالدين فقامت عليه القيامة من الداخل والخارج و تقلبت عليه الاحوال فاهلكته. و اما المرحوم محمد علي باشى[١] فانه احيى مصر بعدالعدم و نشر ذكرها بين الامم فاخذت في اسباب التمدن و اتسقت في الروه(!)

ولا يخفى ان كافة المسلمين ينضرون من الحالة التي هم عليها الآن و يحبون تغييرها بأيّ وجه كان فمن ثم كان قيام اهل العلم و خلع السلطان دليلاً على تيقظ الاسلام وان المسلمين من ابتداء مملكة مراكش الى بلاد الهند قد قربت ان تتحد كلمتهم على نصرالدين و تحسين احوال المسلمين سيما لما بلغهم من الصرب انهم يريدون نصرالصليب. و ان اغلب دول اروبا تساعدهم على ذلک فكان سعيهم من باب البغي والعدوان رحيم المرتع قليل المصرع فياليت المبالغ التي صرفتها الدولة في مشترى السفن المزرخة و الآلات الحربية كانت صرفت في طلب العلم ولو فـي الصين كما في الحديث و كانت الامة الاسلامية تقدمت في المعارف والفنون، لكن نحمل ذلک على الاحتراز من بأس المعتدي ولاضرر فيه و حيث تعين على الدولة ان توافق دول اوربا في اعطاء الضمانات المطلوبة لراحة النصارى فلا بأس في ذلک. انما يجب على الدولة ان تنتهز الفرصة و تلتفت الى تمدن المسلمين و نشرالعلوم والفنون بينهم لأن هذاالزمان مساعد لذلک اذلاوجـود للـماليک والانكشـارية الذين عطلوا السلطان محمود في زمنه سيما للمسلمين الآن رغبة عظيمة في معرفة العلوم الاورباوية فامنا سمعنا مدرسة فتحت مجاناً في محروسة مصر منذ ثلاث سنوات و بلغنا عند افتتاحها ان التلامذة و الراغبين هرعوا اليها و لم يكن يبقى الا

---

١. باشا

ثلاثمائة طالب فوجد عدد الذين دخلوا فيها يومئذ يبلغ سبعمائة و حصل مثل ذلک حيث امرت الحضرة الخديوية بفتح مدرسة للبنات و كانت اول مدرسة فتحت في مصر ماكان يؤمل انها تنجج ففيَ اول يوم بلغ عدد الوارد فيها قدر المطلوب ثلاث مرات فمن نظر الى ذلک بعين التأمل رأى نتيجة عظيمة لاتنال ولابالقتال. فنشر التعليم خصوصاً بين‌النساء لاشک انه يؤول امره الى فصل مشكل المسئلة الشرقية. ولايحتاج الامرفيها قتال ولانزال لان سيف التعليم امضى من سيف المحاربات.

ولنضرب هنا مثلاً بالارض المزروعة يأتيها الشتاء فيستر زرعها بالثلج فترى كالميت و اذا اتى عليها الصيف و ذابت الثلوج اخرجت زخرفها وازينّت. فكذلک الاسلام اذا التفت الى معرفة العلوم والفنون دارک الدرجةالعليا في التـقدم كـان عزمه قوياً و مستقبله مرضياً. ان‌الله على كل شئ قدير.[1]*

---

۱. تمت بخط سيد احمد الحكيم الازهري البحراوي الحنفي. كتبت هذه المقالة في شهر صفر ۱۲ فيه سنة ۱۲۹٤.

* فى سنة ۱۳۵۳ ه‍.ش (الايرانية)، قد أعطانا نسخة من هـذه‌المـقاله للسـيد جمـال‌الديـن الحسـينى، اخـونا السيدحسن محجوب، حيث وجدها، بين‌الاوراق و الوثائق الخطيّة فى مكتبة «مجلس سنا» فى تهران و كان الأخ محجوب مديراً عاما للمكتبة آنذاک... خ



الحكومة الاستبدادّية



الحكومة الاستبدادية

إن طول مكث الشرقين تحت نير استبداد المستبدين، الذين كان اختلاف أهوائهم الناشيء عن تضاد طبائعهم، و سوء تربيتهم، مع عدم وجود رادع يردعهم، و مانع يمنعم، و قوة خارجية تصادمهم في سيرهم، سبباً أوجب التطاول على رعاياهم و سلب حقوقهم، بل اقتضى التصرف في غرائزهم و سجاياهم، والتغير في فطرتهم الانسانية، حتى كادوا أن لا يميزوا بين الحسن والقبيح، والضار و النافع، و أوشكوا أن لايعرفوا أنفسهم، و ما انطوت عليه من القوى المقدسة، والقدرة الكاملة، والسلطة المُطْلقة على عالم الطبيعة والعقل الفعال الذي تخضع لديه البسائط والمركبات، و يطيع أمره النافذ جميع المواليد من الحيوان والنبات. و إن امتداد زمن توغلهم في الخرافات التي تزيل البصيرة، و تستوجب المحو التام والذهول المستغرق، بل تستدعي التنزل الى المرتبة الحيوانية، و مداومتهم من أحقاب متتالية على معارضة العلوم الحَقيقية التي تكشف عن حقيقة الانسان، و تعلمه بواجباته و ما يلزمه في معاشه، و تبين له الأسباب الموجبة للخلل في الهيئة الاجتماعية، و تمكنه من دفعها، والسعي في إطفاء نورها بما ورثوه عن آبائهم من سفه القول و سخف الرأي والجدل في اضمحلال كتبها و

ضياع آثارها و استبدالها بما أوقعهم في ظلمات لايهتدون الى الخروج منها أبدا.[١]

كل هذه الأسباب تمنع القلم عن أن يجري على قرطاس بيد شرقي في البلاد الشرقية بذكر الحكومة الجمهورَية و بيان حقيقتها و مزاياها و سعادة ذويها الفائزين بها. و إن المسوسين بها أعلى شأنا و أرفع مكانة من سائر أفراد الانسان. بل هم‌الذين يليق بهم أن يدخلوا تحت هذا الاسم دون من عداهم، فإن الانسان الحقيقي هوالذي لايحكم عليه إلا القانون الحق المؤسس على دعائم العدل، الذي رضيه لنفسه يحدد به حركاته و سكناته و معاملاته مع غيره، على وجه يصعد به الى أوج السعادة الحقيقية، و تصده عن أن يرقم على صفحات الأوراق ما يكشف عن ماهية الحكومة المقيدة، و يوضح عن فوائدها و ثمراتها، و يبين أن المحكومين بها قد هزتهم الفطرة الانسانية فنبهتهم للخروج من حضيض البهيمية، والترقي إلى أول درجات الكمال، والقاء أوزار ما تكلفهمِ به الحكومة المطلقة، و تطَلُّب مشاركة أولى أمرهم في آرائهم و كبح شَرَه النهمين منهم الطالبين للاستئثار بالسعادة دون غيرهم. ولهذا أضربنا صَفْحاً عن ذكرها، و أردنا أن نذكر في مقالنا هذا الحكومة الاستبدادية بأقسامها، فنقول:

إن الحكومة الاستبدادية باعتبار عناصرها الذاتية، و أقانيمها الحقيقية التي هي عبارة عن أمير أو سلطان، و وزراء، و مأموري إدارة وجباية، تنقسم الى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحكومة القاسية و هي التي تكون أركانها، مع اتسامهم بسمة الامارة والوزارة والادارة والجباية، شبيهة بقطاع الطريق. فكما أن قاطع الطريق يقطع طرق السابلة، و يسلبهم أموالهم و مؤنهم و ثيابهم التي تقيهم الحر و البرد و

---

١. استعمل «استبدل» هنا بما هوالشائع عندالمتأخرين عامة. والذي في القرآن العزيز أن الباء بعد «استبدل» و «تبدل» تدخل على المبدل منه لاعلى البدل. فليتنبه له الكتاب. (هامش المنار)

سائر مواد حياتهم، و يتركهم في البوادي والقفار حفاة عراة جياعا تقطعت بهم حبال الوسائل، ولايلاحظ أن فيهم الهَرِمَ والصغير والعاجز والضعيف الذين لايستطيعون التخلص من المهالك، ولايقتدرون النجاة، ولايبالي بموتهم و هلاكهم عن آخرهم، ولاتأخذه في ذلك الشفقة والرحمة. كذلك هؤلاء الأركان يغتصبون ضياع رعاياهم و عقاراتهم، و يستولون على مساكنهم و بساتينهم، و ينتزعون بالضرب والحبس والكي و غيرها من أنواع العذاب ما بأيديهم من ثمرات اكتسابهم، و يدعونهم في مخالب المصائب، معرضين للأسقام والآلام، و أهدافا لسهام البلايا، التي ترميهم بها عواصف الرياح الزمهريرية والسمومية، ولايخشون اضمحلالهم و ابادتهم بالكلية، و محق حياتهم بالمره[1] بل يستبشرون بذلك كأنما هم أعداؤهم، ولايشعرون أنهم قواد السلطة و أساسها. و من أفراد هذا القسم الحكومة الجنكيزية[2] والتيمورية و غيرهما من حكومات التتر والبرابرة كما تشهد بذلك التواريخ.

القسم الثاني: الحكومة الظالمة. و أولياء هذه الحكومة تماثل الأخساء الذين يستعبدون أناسا خلقوا أحرارا ظلما و اعتداء. فكما أنهم يكلفون عبيدهم بأعمال شاقة و أفعال متعبة، و يجبرونهم على نقر الأحجار، و خوض البحار، و فلق الصخور، و قلع الجبال، و طي المفاوز وجوب البلاد، في صرّه الشتاء و هجيرة الصيف، و يؤلمون أبدانهم بالسياط اذا لجأوا آناً ما إلى الراحة التي تجذبهم الطبيعة اليها، و يحجبونهم بأشغالهم المستغرقة لأيام حياة هؤلاء المظلومين عن مزايا جواهر عقولهم المقدسة، حيث لايجدون فرصة من دهرهم للنظر في الآفاق، و في

---

١. قيل لحاكم شرقي أن رعيتك يموتون في عمل السخرة الفلاني الذي كلفتهم به فلو رفقت بهم فقال: «و هل نحن استلمناهم بالعدد فنخشى ان ينقصوا» (هامش المنار)

٢. وضع رشيد رضا «الحكومة الانكليزية» و حاول أن يشرح ذلك في الهامش (المصدر السابق ص ٥٨٠) و بالرجوع الى الأصل تبين أن الأفغاني يقصد الحكومة الجنكيزية نسبة الى جنكيزخان.

أنفسهم، كي يـرتقوا مـن الاحسـاس البـهيمي إلى عـرش الإدراک الإنسـاني، ويشاركوا أبناء جنسهم في اللذائذ الروحية، و يجتنوا ثمار عقولهم ليؤازروهـم بنتائجها من الصنائع البديعية، والمخترعات الرفيعة، فيسعدوا مع السعداء. و مـع ذلک يحرسون حياتهم، و يحرصون على استبقائها استيفاءً للخدمة منهم بـتقديم قوت من أردأ ما يُقْتاتُ به لسد الرمق، و ثياب خشنة رثة لتحفظهم مـن أظـفار العواصف و براثن القواصف. فلا يكون حالهم مع سـاداتـهم إلاّ کـحال البـهائم والأنعام الأهلية، لايعيشون إلا لغيرهم، ولا يتحركون إلا برضاه، بل بمنزلة آلةٍ غير شاعرة بأيدي مُستعبديهم يستعملونهم كما يشاءون.

كذلک هؤلاء الولاة مع رعاياهم، فإن الرعايا لايزالون يـتحملون المـتاعب والأوصاب، و يكدون أيام سِنِيِّهم، و يسهرون لياليها، مشتغلين بلا فتور بالغرس والحرث، والحصد والدرس، والندف والحلج، والغزل والنسج، مهتمين بالحدادة والنجارة، والملاحة والتجارة، ساعين في حفر الأنهر و إنْـباع المـياه، و إنشـاء الجداول والجسور، متكبدين آلام التغرب في الحر المبيد والبرد المـميت، كـي ينالوا (أي الحكام) أرغد العيش بطيب المطعم والمشرب والملبس والمسكن، و يحوزوا الراحة والرفاهية والحظ والسعادة. و هؤلاء الظلمة لايفترون عن السعي في سلب ما بأيديهم جبراً، و غصب ثمار مكـاسبهم و فـوائـد مـتاعبهم رغـما، ولايدعون لهم مما اكتسبوه بكدِّ يمينهم، و عرق جبينهم، سوى ما تقوم به حياتهم الدنيئة، حتى تراهم بعد اقتحام هذه الأخطار و تحمل تلک المصاعب، لايقتاتون إلاّ بكسرات خبز رديئة ناشفة، يبلونها بـدموعهم المـنسكبة مـن جـور وُلاتِـهم الفاتكين، ولايسترون أبدانهم الا بخرق رثة مرقشة بدمائهم السائلة من سـياط حكامهم الجائرين. ولايسكنون إلا في الأكنَّة المنخفضة، والاخصاص الخسيسة، كأنهم أنعام حرمتهم الطبيعة من المزايا الانسانية، ولايشاهدون الا بوجوه مغبرة مقشرة، و أبدان مقشفة معفرة. و تدوم عليهم هذه الحال الرديئة التي نشأوا عليها، و

المعيشة الدنيئة التي اعتادوها، حتى يقنعوا بها ولا يتعلقوا سواها. بـل يـتنزلون بسوء تصرف هـؤلاء الولاة مـمامنحوه مـن فـضيلة العـقل الى رتـبة البـهيمية، ولايحسون بمعيشة أكمل مما هم فيه ولا يتألمون إلا بالآلام الجسمانية.

و من أقسام هذه الحكومة غالب حكومات الشرقيين فـي الأزمـان الغـابرة والأوقات الحاضرة، و كذلك أكثر حكومات الغربيين في الدهور الماضية، و منها أيضا الحكومةالانكليزية الآن في البلاد الهندية.

القسم الثالث: الحكومة الرحيمة و هي تنقسم الى قسمين: القسم الأول منها الحكومة الجاهلة. و دعائم هذه الحكومة تحاكي الأب الرحيم الجاهل. فكما أنه يحث أبناءه على اقـتناء الأمـوال، و اكـتساب الثـروة، و اسـتحصال السـعادة، والاقتصاد في المعيشة، بدون أن يبين طرقها، و يمهد لهم سبلها، لعدم علمه بها، و يدعوهم رأفةً الى المجاملة و الموادعة، و رفع الشقاق و النزاع من بينهم، بغير أن يحدد لهم الواجبات، و يقدر الحدود اللازمةللادارة المنزلية [١] لقصور إدراكه عنها، فكأنه يدعوهم إلى أمر مجهول مطلق لايهتدون اليه سبيلا.

كذلك حال هؤلاء الدعائم الرحماء الجهلاء يطلبون من رعاياهم السعي في المكاسب والصنائع، والتمسك بالتجارة والفلاحة، والتشبث بالعلوم والمعارف، و يغرونهم على مجاراة الجيران، و مباراة أهل العرفان، والتعلق بأسـباب النـجاح والفلاح، بلا تشييد المدارس المفيدة، و تأسيس المكاتب النافعة، و تسهيل طرق المعاملات، و بث فنون الزراعة، جهلاً منهم. و يريدون من أولئک الرعايا التباعد عن الشقاق والنفاق، والاحتراز عن الاعتداء والاعتصاب، و التجنب عن الفساد و العناد، و الحَيْفِ والميل في الحقوق، والاحتراس عـن كـل مـا يـخل بـالراحـة

١. يستخدم الأفغاني هنا ـ و بعد ذلک ـ مصطلح «الادارة المنزلية» بالمعنى القديم الذي وضعه فلاسفة الاغريق لما يعرف اليوم باسم «الاقتصاد»

العمومية، بلاتقنين ناموس عادل، حافظ للحقوق معين للحدود، فاصل للقضايا، قاطع لما يطرأ من النوازل، جامع لجميع مايحتاج اليه الانسان في اجتماعاته المدنية. و من أفراد هذه الحكومة سلطنة بعض السلاطين المجبولين على الشفقة المطبوعين على الرأفة، الذين كانوا يبكون على سوء أحوال رعيتهم مع جهلهم بما يصلح شأنها. والسِّيَرُ بذلک ناطقة.

القسم الثاني منها: الحكومة العالمة. و هي تنقسم الى قسمين: القسم الأول: الحكومة الأفينة. و أقانيمها تضاهي الأب العالم المأفون[1]. فكما أن شفقة هذا الأب تسوقه الى العناية بأحوال أبنائه، و تقسره عليها، و أن علمه بأسباب الترف والثروة و علل المعيشة الهنيئة المرضية يقوده الى الاهتمام بتأديبهم بأحسن الآداب، و تعليمهم الفنون، و تمرينهم على‌الحرف، و يجبره على أن يبين لهم قوانين العشرة، و يحدد لهم حقوقهم. ولكن بعد ذلک يتركهم و شأنهم، لضعف رأيه، و قصر نظره، وجهله بأن ملازمة الشبان للآداب و اجتنائهم ثمار معارفهم التي اكتسبوها، و اجتهادهم في المكاسب لاتكون الا بقوة حافظة، مالم تحنكهم التجارب لما جُبِلوا عليه من الميل الى الشهوات، والانعكاف على البطالة، والتقاعد عن الفضائل، فيهوون في هاوية التعاسة، و تذهب مساعيه سدى.

كذلک هؤلاءالأقانيم[2] يعمرون بيوت‌العلم، و يشيدون دور المعارف، و ينشئون المعامل، و يوسعون نطاق التجارة، و يواظبون على تشريع سياسة مدنية، تثبيتاً للحقوق، و استتباباً للراحة، على مقتضى ما أحاطوا به من أحوال رعاياهم. ولكنهم، لعدم تدبرهم في‌العواقب، و عدم تبصرهم بأن افتقار انتظام أحوال العباد، و سير أمورهم على نهج العدل، و نيلهم غاية بغيتهم من مساعيهم الى العلة المبقية كافتقارهم الى العلة الموجدة، لايواظبون على أعمالهم هذه، ولاينظرون إليها

---

١. الافين: ناقص‌العقل. والمأفون: ناقص‌العقل أيضا، والاثنان بمعنى واحد.

٢. الاقانيم: الجواهر أو الاصول، و مفردها الاقنوم: الجوهر و الأصل.

نظرةً ثانية بل ينبذونها ظهرياً، و يتركونها نسيا منسيا، فيتطرق إليها الخلل، و يعتريها الفساد، و يسري إليها الانحلال، لما جُبِل عليه الانسان من الحرص والشَرَه، والميل إلى الجور والاعتداء، المستلزمة لمخالفة القانون فيقع كُلٌّ في العطب والنصب والشقاء والعناء، و يستولي عليهم الفقر والفاقة و يصيرون كأرض موظوبه[1]، بتوالي تطاول ايدي جائريهم، و تعاقب اعتساف معتديهم. و يشبه أن تكون حكومة المأمون و بعض سلاجقة ايران من أفراد هذا القسم.

القسم الثاني: الحكومة المتنطسة[2]. و أساطينها الحكماء. تضارع الأب المتدبر المتبصر. لايبرح ساعيا في اعداد الاسباب الموجبة لسعادة أبنائه زمن حياتهم، و تهيئة معداتها القريبة والبعيدة، ولا يتجافى آناً ما عن مواظبة دقائق حركاتهم و سكناتهم، و تفقد شئونهم و استكناه أحوالهم، ولايتقاعد لمحة عن تأييدهم في سيرهم بآرائه السديدة و أفكاره الصائبة، خوفا من التواني والكسل والاهمال والفشل، و خشية من عروض الموانع التي تصدهم عن البلوغ للغاية.

فنجد هؤلاء الحكماء الأساطين يعلمون أن قوام المملكة، و حياة الرعايا، بالزراعة والصناعة و التجارة، و يعرفون أن كمال هذه الأمور واتقانها لايكونان إلا بأمرين، أحدهما و هو في الواقع علتهما الأولى: العلوم الحقيقية النافعة والفنون المفيدة، التي لايمكن حصولها، والفوز بها إلا بمدارس منتظمة، و مدرسين ماهرين، و متخلقين بأخلاق فاضلة، شفوقين على المتعلمين شفقتهم على أبنائهم، و ثانيهما إعداد آلات الزراعة و أدوات الصناعة، و تسهيل طرق التجارة البرية و البحرية. و يفقهون أن حفظ اساس المدنية، و صون نظام المعاملات، و فصل المنازعات، و كَفٌّ أيدي المتعدين، و منع المدلسين، و كبح الأشرار، و ردع الفجار، لايكون إلاّ بالمحاكم الشرعية والسياسية المؤسسة على دعائم العدل والانصاف.

---

١. هي التي رعيت مرارا حتى لم يبق فيها كلأ ولا نبات (هامش المنار)

٢. نطس: استقصى الأمر و دقق فيه النظر، و كذلك: تنطس. والمعنى هنا: حكومة الخبراء.

و إنها لاتتحقق الا بقانون حق، لايغادر صغيرة ولا كبيرة ـ حتى إرش الخدش[١] ـ إلا محفوظا بأمناء يقظين، محروسا بِعُدول نشطين، محفوظًا بعلماء فقهين، معززا بقضاة مُقْسطين، مؤيدا بحكام أعفَّاء و أعوان بررة، يدركون بـبصيرتهم الوقـادة مصالح العباد، و مناهج تعميرالبلاد، و وسائل درء المفاسد الداخلية، و طرق منع النوازل الخارجية، و أن القيام بذلک لايكون الا بضرب ضرائب عـادلة عـليهم يجمعها جُباةُ عدول، تصرف في منافعهم العامة لدى الضرورة بلاحيف و ميل، و انتخاب طائفة من ابطالهم الموصوفين بالصداقة و عزة النفس و علو الهمة لحفظ الأمنية[٢] الداخلية، و دفع الأعداء الخارجية، و يشـعرون بأن اسـتكمال سـعادة المملكة، و صـيانة اسـتقلالها، لايكـونان الا بـارتباطاتها السـياسية و عـلائقها التجارية مع الممالک الأخرى، و إنها لاتتم إلا برجال عارفين، دهاة، متبصرين، محبين لأوطانهم (لا كحسن أفندي فهمي شيخ الاسلام الأسبق في الآستانة[٣] الذي كان يقول لعدو وطنه الجنرال إغناتيف سفيرالروسية فيها: إنک عيني اليمنى، و إن حيدر ابني عيني اليسرى، كما ذكره حضرة مدحت أفندي في كتابه المسمى بأسّ الانقلاب) متدربين محنكين بالسياسة عالمين بالحوادث قبل ظهورها، محيطين بطرق التجارة، فيقومون بواجبات ما اقتضته حكمتهم، و ما أحاطوا به علما، ولا يتهاونون آناً ما عن أداء حقوق رعاياهم، ولايفتدون راحة أنفسهم بسعادة أولئک الضعفاء. وزد على ذلک أنهم يدرون أن غالب أفراد الانسان طبع على الحرص، و فطر على الشر، و جبل على الشهوة، و خلق متهاوناً بواجباته متوانياً عن إصلاح شؤونه، و نشأ على المكر و الحيل، و غرز فيه حب الاعتداء على حقوق الغير و عدم الاكتفاء بما ملكته يداه، و غرس فيه بغض الشرائع والقوانين، حينما يراهـا

---

١. الارش شرعا بدل الدم أو الجناية او هو للاطراف كالدية للنفس (هامش المنار)

٢. الأمنية: الأمن.

٣. قيل ـ و مصدر ذلک هو الأفغاني نفسه ـ ان حسن فهمي هذا كان من أعداء الأفغاني و حساده خلال إقامته في تركيا (١٨٦٩ـ١٨٧١) و أنه تسبب في طرده منها.

سدا يمنعه من سلوك سبيل الغدر، و حاجزا يردعه عن مقتضيات الشره، و غـلاً يكف يديه عن التطاول. و إنهم يفهمون أن كل ما يقع في العـالم الانسـاني مـن المرض والصحة والفقر والغنى والنَصَب[١] والراحة، بـل كـل مـا يـقتضي الشـقاء والسعادة، و يوجب الصلاح والفساد، لابد و أن يكون لارادة الانسان و حركاته الاختيارية فيه دخل تام، و يدركون أن الانسان مادام على هذه السجية والغريزة فهو كمريض تنازعته أمراض خطرة مختلفة، لاينجو منها الا بتمريض طبيب ماهر يعرف العلل والعلاج، و يتفقده آناء الليل و أطراف النهار، فيهتمون حكمةً و شفقة بتتبع أحوال الرعايا مثل ذلک الطبيب الماهر، ولا يبرحون عن موازنة أعمالهم و أفعالهم و حركاتهم، ولا ينفكون عن مقايسة آرائهم و أخلاقهم، ولا يفتُرون عـن تعديل ثروتهم و غنائهم، و تقويم علومهم و معارفهم و تجارتهم و زراعـتهم، و إحصاء عددهم، و تعداد أحيائهم و أمواتهم، ولا يتوانـون عـن مـقابلة الصـادر والوارد في ممالكهم، والمعادلة بين قوة حكومتهم و اقتدارها و اقـتدار الغـير و قوته، لكي يقتدروا على تدارک مصالح البلاد قبل تمكن الفساد، و يقدروا على جبر الكسر و سدالثغر، ورَفْو الخَرْق، و إزالة جراثيم الرزايا والمصائب، و ابـادة أسباب الخلل والمصاعب. و اذا لم يـمكنهم القـيام بـاستقصاء دقـائق التـعديل والتقويم، و جزئيات الموازنة والمقايسة مباشرة، انتخبوا رجالا يقظين عـارفين بأحوال الدول و قواها، متبصرين بشئون الممالک و أسباب سعادتها و شـقائها، عالمين بفنون التجارة والزراعة والصناعة و لوازمها، مهندسين مـحاسبين لأداء هذه المصالح، و تسجيلها في السجلات بغاية الدقة والاتقان، و عـرض كـلياتها على هؤلاء الولاة الحكماء، مع بيان موارد النقص والخلل و ايضاح أسبابها. و غير خاف أن تسجيل المعادلات و حفظ الموازنات للـدول ألزم مـن تـقييد التـاجر معاملاته في دفاتره اليومية، فإنه لايلزم من إهمال في التـقييد والتـثبيت، إلا أن

---

١. النصب ـ بفتح النون و الصاد: التعب والاعياء.

يضيع رأس ماله على جهل منه، و يصبح مفلسا، و هذا ضرر خاص به. و أما إهمال الدول في حفظ المعاملات و تسجيل الموازنات فيوجب خراب البلاد و هلاک العباد و من أجل هذا تجد للدول الغربية عناية تامة بهذا الشأن المسمى عندهم بالاستاتستيک.[۱]

فهاک يا أيها الانسان الشرقي صاحب‌الأمر والنهى حكومة رحيمة حكيمة و عليک بها، والقيام بشأنها، و حفظ واجباتها، و إلاّ فبحياتک التي أفديتها براحة العالم أن تعفونا عن تحمل ثقل تشدقک بالرحمة والعدالة والحكمة والفطنة. أتريد أن تظلمنا و نكافئک بالشكر؟ و تغصب حقوقنا و نجاريک بالثناء؟ أو تظن أنک تقدر أن تَغُرَّ كُلَّ العالم و تعمي بصائرهم؟ و أن تنزل بالملک عندهم منزلة الحق؟ و أن تجلس جورک مجلس العدل؟ و أن تقيم سيئاتک مقام الحسنات؟ و أن تُقْعِدَ رذائلک مقعد الفضائل؟ ولعلک اغتررت بتمجيد المتملقين، و تعظيم المتبصبصين[۲]، و تبجيل المتزلفين أمامک. ويحک، لوكنت تعلم مقامک في النفوس، و منزلتک لدى أرباب البصائر والعقول لودعت هذه الدنيا الخؤون التي ألهتک، و فارقْتَ حياتک العزيزة التي طالما افتديتها بالمروءة والانسانية.

و أما أنتم يا أبناء الشرق، فلا أخاطبكم، ولا أذَكِّركم بواجباتكم، فانكم قد ألفتم الذل، والمسكنة والمعيشة الدنيئة، واستبدلتم القوة بالتأسف والتلهف. صرتم كالعجائز لاتقدرون على الدَرْء والاقدام، والجلب والدفع والرفع. فإنا لله و إنا اليه راجعون.

---

۱. الاستاتستيک: علم‌الاحصاء، و كان علما حديث النشاة في ذلک الوقت. و من الواضح أن الأفغاني نقل الاسم عن الفرنسية.

۲. المتبصبص: الطامع أو الراغب في الملق.



«أحرار» يقتلون الحرية

الخديوى أعار يديه للاحتلال خوفاً على العرش. مصر باب الشرق و فيها لم يخمد العصيان



«احرار» يقتلون الحرية[1]

السيد رئيس التحرير

لقد خان الأحرار الانكليز كل تعهداتهم التي ضمنوها برنامجهم السياسي، الذي بموجبه و صلوا إلى الحكم... و ذلك بتدخلهم في شؤون مصر، و جهودهم التي هم بصدد بذلها في سبيل السيطرة على هذا البلد.

انهم خانوا وعودهم، بسبب تعهدهم أمام ناخبيهم للدفاع عن حق الناس و حرية الأمم، في كل أنحاء المعمورة.

الأحرار فاقوا المحافظين في مجال الفتوحات والحروب الظالمة، التي انتقدوا بفصاحة اللورد بيكونسفيلد و أصدقاءه، بسببها.

و من لا يتذكر غلادستون خلال الانتخابات العامة، الذي لم يتردد في تأييد «الزولو» الذين تخطوا الحدود الانكليزية، والأفغان الذين، بتحالفهم مع الروس وحدهم، قضوا على علاقاتهم الصداقية مع انكلترا.

و هو، غلادستون نفسه، الذي أعلن الحرب على المصريين الذين لم ينتهكوا حدود أحد، وكل ما طلبوه هو أن يعيشوا أحرارا في وطنهم... الذين لم يعطوا

---

١. مجلة *اوراق* العدد السابع (كانون الثاني / يناير ١٩٨٤)

أفضلية، على صعيد التحالف، لأية دولة أوروبية، دون الأخرى. مفضلين العيش بسلام و بصداقة طيبة مع‌الجميع.

أهكذا، إذن، يجري اللعب على قيمة الكلمات بين الأوروبيين، و هل يجب أن نعتقد بأن الذين يزدانون بينهم بلقب الأحرار، في وطنهم، هم أسوأ أعداء الحرية لدى الآخرين.

فضلا عن ذلک، فان فتح انكلترا لمصر قد تم وفق موضة الفتوحات الخاصة بهذه الأمة و المتبعة منذ جيلين، فانكلترا لاتقدم على ذلک، والسلاح باليد. انها تحترس جيدا. و بالعكس، هي تدخل البلد الذي تطمع به، تحت كل الأشكال الأكثر مجاملة، و كل المظاهر الأكثر مودة. هناک، تنحاز أحياناً إلى جانب الأمير ضد الشعب، و احياناً إلى جانب الشعب ضد الأمير. و هي تنحاز مرة لدولة و مرة لأخرى، تبعاً للظروف، و وفقاً لعروض الخدمات الملحة، واضعة تحت تصرفهم أخلص موظفيها و ضباطها الذين، سرعان ما يهيمنون على كامل الادارة. و ليس ما يمنعهم من الظهور بالتجرد من أية غرضية، حيث أنهم لايقصدون إلا انقاذ الأمير من اعدائه الداخليين، و تخليص الشعب من أعدائه الخارجيين.

هذه المسرحيه، المتكررة، لعبتها انكاترا مؤخرا، تارة الى جانب الخديوي توفيق، و طورا إلى جانب الحزب الوطني المصري، حيث لم تعد تعرف، حتى اللحظة، الأخيرة، أيا من الاثنين هو تحت حمايتها نهائياً. بالنسبة للخديوى، حاولت أن تقنعه انها الوحيدة التي تستطيع و تريد دعمه ضد الحزب الوطني، الذي يهدف فقط إلى قلبه، و هذا خطأ. و قالت للحزب الوطني و عرابي بواسطة جواسيسها السريين، انها الدولة الوحيدة التي ترغب في الحكم الذاتي لمصر، و هذا أيضاً خطأ.

واحسرتاه! فلو كان الخديوي اكثر فطنة او أكثر ثقافة، لكان تذكر ما يترتب عادة على الأمراء و الأسر المالكة، الذين يقبلون المساعدة والحماية من انكلترا

ضد مواطنيهم. في الواقع، بدأت انكلترا في تجديد سلطتهم، معلنة انها خـادمتهم الأولى... تلك السلطة الملكية التي وضعتها بريطانيا دائما في المقدمة، وجابهت بسببها الجميع في الداخل والخارج، ولكن شرط أن تتصرف السلطة تلك كـما يحلو لها (أي لانكلترا).

هذا ما يمكن رؤيته في الهند خلال ٨٠ سنة. فانكلترا لديها الصبر ـ الصبر كان فضيلتها السياسية الكبرى ـ أن تظهر بمظهر الصديق المتواضـع، الأكـثر سـعادة والحليفة الأكثر تبجيلا من عائلة تيمور المالكة، رغم انها، منذ اليوم الأول لتدخلها الصداقـي لم تـترك لهـم، فـي التـحديد و فـي الحـقيقة، غـيراللـقلب الشـرفي للشاهنشاهية. ولم تخلع القناع و تظهر على حقيقتها: السيدة الوحيدة والمـطلقة للهند، إلا منذ حوالي ثمانين سنة.

لوكان توفيق أكثر ثقافة، لأدرك ان انكلترا، و هي تسيطر كم فـعلت، بـحجة الدفاع عن البلد، و عن الجيش المصري... ستعامله، و هوالخديوي، تماماً مثلما عامل «النـاباب» فـي «البـنغال» و «لاكـانو» و «كـاماتاك» و غـيرهم مـن «النابابيين» الذين هدرت دمهم وضمت بلادهم، بواسطة الجيش الذي وضع تحت رعايتها حيث أعادت تنظيمه، كما ادعت، من أجل الدفاع عن العرش.

ولو أردت أن أقيم مزيدا من المقارنة والتشابهات، لكنت لاحـظت كـيف ان انكلترا حين استولت على جزيرة قبرص، قد تظاهرت بالقول أنـها لم تسـلخها نهائيا عن‌الامبراطورية العثمانية التي سوف تعيدها اليها. ولكـن حـين سـلخت كالكوتا من آل تيمور، لم تقل الا الشيء نفسه.

حتى خلعها لاسماعيل و استبداله بتوفيق، ليسا شيئا فريدا في سياسة انكلترا الشرقية. ذلك ان الاحتفال الرسمي نفسه، قد جـرى بـرعايتها، يـوم تـم خـلع «الناباب سراج‌الدولة»، و استبداله بمراد جعفر.

باختصار، انكلترا هي بصدد تفكيك الامبراطورية العثمانية من أجل ابـتلاع

الأجزاء المرغوبة منها، الواحد تلو الآخر، تماماً بالطريقة نفسها التي ابتلعت فيها الهند، ببطء، ولكن بلا مخاطر.

غير أنها، لسوء حظها، قد اضطرت الى التخلي عن نهج النفس الطويل في مصر، رغم اخطائه، فان نجاحات الحزب الوطني، الذي لم يقبل باقل من الحكم الاستقلالى للبلد، قد دفعتها الى التفكير الشديد. ان حكم الحزب الوطنى لمصر، كان مناقضا لما حلمت به. ولذلک سرعت الأحداث. والمعروف ان النتيجة المباشرة لتسريع الأحداث: قصف الاسكندرية. إيطال حياد قناة السويس، و معركة التل الكبير، و غيرها.

ولكن الكوارث الماضية الناجمة عن تسريع الأحداث، ليست موضع اهتمامي الآن. ما أريد التوقف عنده هو نوعية و كمية النتائج المتلاحقة التي ستنجم حتماً عن تلک السياسة.

أولى تلک النتائج ان انكلترا، من الآن وصاعدا، لن تتمكن من اخفاء لعبتها.

في شهر حزيران (يونيو) المنصرم، تذرعت انكلترا، لتدخلها في مصر، بمطلب الحزب الوطني أن يكون لمجلس الأعيان حق فحص الميزانية، مع أن المطلب صحيح، و مشروع و منطقى، جدا.

«كلا لا أستطيع الموافقة على ذلک»، أجابت الحكومة الانكليزية باصرار. «أن مثل هذا الادعاء يمس شروط المراقبة الموضوعة عبر اتفاق دولي بين مصر، فرنسا و انكلترا، اتفاق مصادق عليه و معترف به من أوروبا. لاتمسوا شروط اتفاق المراقبة، انها مقدسة».

ان ما كان مقدساً لانكلترا في شهر حزيران (يونيو)، أصبح أقل قداسة بعد القصف في أيلول (سبتمبر)؛ ثم انتهى تماماً الآن. فحتى تصبح سيدة مصر سريعاً، عمدت انكلترا نفسها إلى إلغاء الاتفاق، رغم احتجاج فرنسا الشديد، والقلق القليل الذي أبدته أوروبا، التي تنظر بحيرة إلى ما يجري في هذا المجال بين القوتين الغربيتين الأعظم.

بلاشك، لقد استعملت كلمة غير دقيقة تماماً، بقولي ان انكلترا نفسها هي التي ألغت الاتفاقية، فهي كلفت رسمياً توفيق و وزيره الأول شريف باشا، للقيام بتلك المهمة. ولكن هذا التوكيل لم يغش أحدا، ولم يثبت إلا ان انكلترا، منذ اليوم، صار لها اسمان مصريان مستعاران بدلا من واحد.

بالنسبة لحيرة أوروبا، فهي تفهم على ضوء الأزمة الداخلية التي تجتاح فرنسا، ولكن من المتوقع ان الحيرة ستزول بزوال الأزمة. و انكلترا، عند الحاجة، تتعهد بوضع حد نهائي للأزمة، عبر وقاحتها الخداعة. في الواقع لاأحد يجهل، انها وحدها، منذ شهر أب (اغسطس)، سرقت حق الأمم بأخذها قناة السويس قاعدة لعملياتها الحربية. تحت خطر توقيف تجارة العالم بأسره. و انكلترا نفسها اليوم، ترفع الصوت عاليا في أوروبا، متشكية من الأضرار التي لحقت بتجارتها الخاصة بسبب الحرب المجرمة التي أضرمتها. و في اليوم الذي يتسنى فيه لأوروبا أن ترى كيف يهزأون بها في مصر و يضحكون من سمو مصادقتها، فحينئذ لايكون لها أن تسأل أو تتذكر من هي المتشكية و من أى شيء تتشكى. و عاجلا أم أجلا، فان أوروبا ستستيقظ ذات يوم لتبلغ انكلترا أنها ليست مادة لسخريتها. ولكن ثمة يقظة أخرى سابقة، حيث تكون نتائجها مخيفة للامبراطورية البريطانية، وأقصد بها يقظة الهند.

أنا لاأعتقد اني أبالغ في قولي أن خشونة تدخل انكلترا في مصر قد أفقدتها، في لحظة، كل ما نالته عبر براعة رجال الدولة عندها خلال سنوات طويلة، من ميل وثقة الهنود. لقد أصبحت انكلترا، الآن، موضع بغض عميق من قبل الهنود المسلمين، السنة منهم، والشيعة. و سواء جاء ذلك بالغريزة أو عبر تحذير ممن لهم معرفة بالهند، فالمسلمون الهنود قد اقتنعوا الآن ان هدف الانكليز من الاستيلاء على مصر، هو في الدرجة الأولى للتحضير من أجل فتح الحجاز و مكة. و هم يعتقدون جميعاً ان الانكليز، في حال وضع يدهم على مهد و مركز الاسلامية،

سيتوفر لهم عامل قوي من أجل القضاء على هذا الدين. ذلک انه من المعروف ان لدى عامة الهنود فكرة عن انكلترا مختلفة عن فكرتهم ازاء فرنسا أو روسيا مثلا، و هي ان الأولى تطلب منهم اضافة إلى الاتاوات و الضرائب حيث تحاول استمالتهم إلى الديانة المسيحية. والذي يعرف الشرقيين، واهتمامهم القلق، عندما يهددون باعتقادهم الديني... يتوقع حدوث كل شيء.

لقد سافرت إلى الهند خلال الحملة العسكرية الأخيرة لمصر. هناک، لم ألتق مسلماً واحدا، إلا و كلمني عن هذه الأحداث بقلق و ألم عميقين. الجميع قالوا لي: «يجب أن نتضرع الآن حتى تسرع روسيا في أخذ الهند من الانكليز، و تقلب هنا حكومتهم الشرهة... حيث، بخلاف ذلک، ستلاقي الاسلامية، قريباً، بينهم من هم أكثر المضطهدين المبغضين. ان ارسالياتهم تريد أن تعمل منا مسيحيين، بأي ثمن».

يجب الاعتراف ان ما تنشره في تلك الحقبة جريدة «الأخبار» الهندية في لاهور، ليس بمقدوره أن يهدىء من تلك التصورات. كانت الأخبار تنشر، من دون تعليقات، بعض المقالات نقلا عن الجرائد الانكليزية شبه الرسمية، مثل قولها: «انه يجب على حكومة صاحبة الجلالة أن تقرر، بسرعة، فرض المسيحية على مسلمي الهند، حيث، دون ذلک، لن تصل إلى شيء، لأن المخالفين لها دينياً، هم مخالفون سياسيا، ولا يرون فى الهيمنة البريطانية إلا هيمنة غير شرعية و زائلة، حيث لايجب أن تكون أطاعتها إلا في‌الحد الأدنى، اضافة إلى عدم الثقة بها. و عليه، فلاريب انه من الضروري أن تتصرف انكلترا كما تصرف الفاتحون المسلمون، حيث تفرض بدورها دينها على الشعوب المغلوبة».

اني لا أقدر هذه الألفاظ حق قدرها، بالنظر إلى الاحتمال الديني الحديث. أما بالنظر إلى التدبير السياسي المألوف، فمما لاخلاف فيه، ان العبارات تلك تدعو إلى عجب الكتاب الذين لم ينسوا أن ثورة عام ۱۸۷۵ نشأت عن خوف و تهديد

أقل وضوحاً من هذا التغيير في الدين. و اني أعلم يقيناً أن هذا الخوف قد استولى الآن على كل أفغانستان و بلوخستان، حيث جاؤوها بطريق سمرقند و أشكاباد من أملاك روسيا. و ليس من الخطأ أن تتنبأ بأنه سيتم حصد مثل هذا الزرع حين تحل روسيا في « مرو »، مما لايطول أمد انتظاره. لأن حلم الانكليز المتعلق بدعم ألمانيا والنمسا ضد روسيا في أوروبا، بما يحولها عن الهند، هو حلم و همي.

هاك في آسيا النتائج القريبة والأكيدة تقريبا، في مذهبي، لضلال أحرار الانكليز في المسألة المصرية. أما في أوروبا، فمن الممكن أن لاتكون هذه النتائج في ساعة ما مخيفة. و مهما كانت تأكيدات وزارة الخارجية مطمئنة و ضاحكة، بالنسبة لأفكار أوروبا الحالية في هذا الشأن، فان أمرا واحدا متغلب على كل ذلك، و هو أن أوروبا لايمكنها أن تنسى أن مصر كانت في مدة أجيال عديدة أرضا حرة مفتوحة لكل الأوروبيين، الذين كانوا يتمتعون فيها بمنفعة خاصة، فكانوا يتجرون فيها و يربحون بحرية. و كيفما ننظر الآن في المسألة نرى ان هذا الحق نقص و مس بالتداخل الانكليزي، الذي تتألم منه الآن النمسا و ايطاليا، و بالأخص فرنسا التي لم يصادف نفوذها المخصب في تلك الجهات فشلا إلى تاريخ هذا التداخل، فان مصر كانت ولا زالت على الدوام باب الشرق، ولكل أمة أوروبية عظيمة أو صغيرة مصالح و علاقات في الشرق. فاذا كان في نية انكلترا أن تحفظ لنفسها وحدها هذا الباب و تضع مفاتيحه في جيبها، فكل الأمم على اختلاف أجناسها تجد بذلك إهانة و احتقارا لها، و تدفع بقوة الحوادث رغم المغايرات والمخاصمات التي تفصلها عن بعضها في جهات أخرى من الأرض، إلى تأليف عصبة واحدة ضد انكلترا في الأرض المصرية، و هذه هي النتائج التالية المتوقعة لسياسة وزارة غلادستون المصرية.

بقي علي أن أظهر ان هذه السياسة الانكليزية المصرية لاتصادف في أرض مصر نفسها أخطارا قليلة، لأن الأفكار بعيدة فيها عن السكون. والعصيان لم يخمد

فيها بمطامعه الشرعية و غيرته الوطنية. والخديوي توفيق، باعارته مـداخـلات الانكليز أذنا صاغية، بأمل انقاذ عرشه و بقائه بعيدا عن بعض الأخطار الناجمة من رعاياه، مما أدى الى استدعائهم لمساعدته و فتحه أبواب البلاد لهم. غير انه عندما يتضح له ان المدعين لحمايته ليسوا الاعبارة عن سجانين، و عندما يعرف حقيقة هدفهم، التي ليست تعمير مصر، بل السيطرة عليها و استثمارها... في ذلک اليوم، لانشک انه يرفض أن يكون أداة بأيديهم، و سيخجل من كونه قـد أعـار يـديه للأجانب الذين احتلوا بلاده.

عندئذ، سيفعل ما فعله ملک الأفغان الشاه سودجاه. لأن توفيق ليس أقل ديانة من الملک الأفغاني، بل انه يعادله بالوطنية والشجاعة ذلک ان توفيق يـجب أن يكون ابنا جديرا بأبوه محمدعلى.

اذن، مثل شاه سودجاه، سوف يصرخ اطرد وا الانكليز، ولو اقتضى ذلک أن تدوسوا على جثتى.

عندها، سيجد توفيق والمصريون فى أوروبا حكومة مفعمة بعواطف الشجاعة والشهامة. تمد لهم يدالمساعدة.

«جوستيس»

٢٧ اذار ـ مارس ١٨٨٣



بابیّـه



بابيّـه

دين ظهر في بلاد االعجم نحو سنة ١٨٦٣ بدعوة رجل من اهل شـيراز يُـعرف بالسيد علي محمد و كان تلميذا لبعض تلامذة الشيخ احمد زين‌الديـن الاحسـائي الذي مزج‌التصوُّف والفلسفة بالشريعة و جمـع بـين اعـتقادات الشـيعة الامـامية والاصول الفلسفية على طرز جديد و قـال ان المـهدي الغـائب المـنتظر ظـهورهُ عندالشيعة هو الآن من سكان عالم روحاني غير هذا العالم الجسماني سماهُ بجابلقا و جابرسا وان اجسام سكان ذلک العالم الروحاني كاجسام الجن والملائكة المسماة بالاجسام الهورقليائية و هي من اصطلاحات الكيميا القديمة و قد قفاهُ على هـذا الاثر تلامذتهُ و قاموا في مقام التعليم على هذه الطريقة و كان من امر السيد علي محمد المذكور بعد ان حج، الى مكة ان ادعى انهُ باب المهدى و اقام على تقرير هذه الدعوى مدةً و اسس ذلک الدين من عناصر اسلامية و نصرانية و يهودية و وثنية و لقب نفسهُ باب‌الدين ثم ترک هذااللقب و لقب نفسهُ النقطة او خالق الحق مدعياً انهُ ليس نبيًّاً بسيطاً بل هو مشخص للالهة و منح احدَ اتباعِه لقب الباب وارسـل دعاةً الى جهات مختلفه. ثم بناء على قول مقتداهُ الشيخ احمد المذكور في امر المهدي ادعى ثانيةً انهُ المهدى بعينه و ان ذاک الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هـذا الجسم الكثيف المادّي و لما كانت الرجعة اي رجوع بعض الايمة السابقين و تابعيهم

من الاصول الثابتة في مذهب الامامية والتناسخ من اعتقادات طائفة الباطنية الذين تسلطوا في بلاد العجم مدة طويلة كان لهُ بقايا في النفوس فقام جماعة من اتباع هذا الرجل اعني السيد عليًا و ادَّعى بعضهم انهُ الحسن و بعضهم انهُ الحسين و بعضهم انهُ غيرهما من الايمة و تابعيهم و ايَّد هذه الدعاوى عندهم رأي رآهُ هذا الرجل نفسهُ و هو ان شخصية الشخص التي باعتبارها يمتاز عن غيره و ينال اسماً خاصا به كحسن او حسين مثلاً انما هي صفاتهُ و اخلاقُه التي يكون عليها فمن وجدت فيه صفات شخص و اخلاقهُ و احوالهُ على وجهٍ تامّ فهو هو في اي زمان كان. و لقرب هذه الاعتقادات من مشرب‌الطائفة الشيخية من الشيعة و هم اتباع الشيخ احمد زين‌الدين المذكور آنفاً لبى دعوة هذا الرجل كثير من اهالي بلاد العجم المتمذهبين بذلک المذهب الجديد. فلما رأى اقبال الناس عليه و اجابتهم دعوتهُ ترفَّع في دعواهُ فقال انهُ هو النبيُّ و ان‌الله قد انزل عليه كتاباً يسمَّى بالبيان و انهُ المشاراليه بقولِه تعالى خلق‌الانسان علَّمهُ‌البيان. والانسان هو محمد والبيان هو هذاالكتاب المنزل على السيد على. و كتابهُ هذا يحتوي على كثير من العربي المسجَّع و بعض الفارسي الاَّ ان‌العربي منهُ كان ملحوناً فلما سئل عن سبب وقوع اللحن في هذا الكتاب المنزل مع ان اللحن نقص اجاب بان الحروف والكلمات كانت قد عصمت و اقترقت خطيئة فى الزمن الاوَّل فعوقبت على خطيئنها بان قيدت بسلاسل الاعراب و حيث ان بعثتنا جاءت رحمةً للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والخطئين حتى الحروف والكلمات فاطلقت من قيدها تذهب الى حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط. و مما ينسب اليهِ انهُ كان سريع القلم في الكتابة حتى كانت سرعة قلمهِ تحسَب من جملة معجزاتهِ. و قد لقب نفسهُ بالذِكْر و زعم انهُ المراد من الآية انَّا نحن نزّلنا الذكر و انَّا لهُ لحافظون. و من قولِه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون و امثال ذلک من الايات القرآنية و اخذ يدعوالناس الى دينه ولم يعلم من يجيب دعوتُه فتبعهُ جمعُ كثير من اهالي بلاد العجم و استفحل امرهُ و علقت

بقلوب الناس دعوتهُ و اوقع تابعوهُ في قلوب الناس رعباً و خوفاً اذكانوا يقفون على سرائر الناس و خباياهم فمن كان يومئُ بطعن في معتقدهم لم يلبثوا ان يقتلوهُ و فشا منهم التعدي والغدر حتى كانوا يتشكلون باشكال متعددة كالسائلين و نحوهم ليتمكنوا من الفتک بمن ظنوا به او توهموا فيه انهُ يشير بسوء الى مذهبهم فسفكوا بذلک دماء كثيرة و كانوا شبه الناس بالفداوية الذين اشتهر امرهم على عهد الفاطميين (راجع اسماعيلية) ثم انهم لم يقفوا على هذا الحد بل تجاوزوهُ الى ان اثاروا الفتنة على الحكومة في ثلثة مواضع و ابرزوا من الجسارة ما لم يسمع بمثله حتى كان الرجل منهم يتزر بازار و يأخذ سيفهُ و يهجم على الالوف من العساكر عرياناً ليس عليه سوى الازار و كانوا يعتقدون ان من يموت منهم في المحاربات يقوم بعد اربعين يوماً فاشتدَّ على الحكومة خطبهم و حاولت كبحهم فقاوموها و ثبتوا امامها الى ان قبض على هذا الرجل اعني السيدعلى‌محمدو قُتل بالرصاص على فتوى العلماء في تبريز و ذلک سنة ١٨٥٠ بعد ان بقي في السجن ١٨ شهراً و قذف بجثته في خندقها و ذلک فی عهد الشاه الحالي في السنة الثانية من جلوسه على كرسي المملكة و يزعم اتباعهُ ان جثتهُ قد صعدت الى السماء اما غير اتباعه من الاعجام فيقولون ان جثتهُ قد اكلتها الكلاب. و بعد مضي سنة من قتلهِ حلول ثلثةُ من اتباعه قتل الشاه فرموهُ بالرصاص الاَّ انهُ اخطأهُ فنشأَ عن ذلک اضطهاد شديد فقتل جماهير من اتباع الباب في طهران و عذبوا بعذابات تقشعر لها الابدان و من جملتهم قرةالعين الاتي ذكرها و كان ذلک باعثاً على زيادة امتداد الباقية في العجم والهند و قسم من تركيا.

ثم ان هذا الرجل كان قد اوماً في بعض رسائله الى ان الذي يخلفهُ بعد موته شاب من تلامذتِه يسمى يحيى و يلقب بصبح ازل فلما وقع تشديد الشاه عليهم و تعقبهم بالقتل في جميع الاماكن هرب كثير منهم الى بغداد من بلاد الدولة العلية. و ممن خرج منهم يحيى صبح ازل و اخوهُ الاكبر المسمى بميرزا حسين علي الملقب ببهاء. فاختفى صبح ازل عن اعين الناس بامر اخيهِ و ادّعى اخوهُ انهُ حاضر بين‌الناس الا انهم

لايرونهُ اذ ليست الابصار بقابلة لان تنالَه. ولما وقع الاتفاق بين‌الدولة العلية و دولة الشاه على اخراجهم من بغداد و نقلتهم الدولة الى ادرنه تنفس صبح ازل و اسفر على الناس قائماً بامر الخلافةِ داعياً الى دين استاذهِ السيد علي فحسدهُ اخوهُ و انكرهُ و ادَّعى انهُ دجال فوقع الشقاق بينهما و افترق التابعون فئتين فئَة اقتدت بصبح ازل و اخرى ببهاء والاولى تسمى ازلية والاخرى بهائية والبابية اسم لهما عامٌّ. و بعد مدة احست الدولة العلية منهم سوءَ المقاصد و او جست منهم شرًّا فنفت صبح ازل الى جزيرة قبرس فمات فيها و نفت بهاءَ الى عكاء و هو الان فيها مع جمع من اتباعه.

و اما ديانة الباب فتثبت مبدأً واحداً كسائر الاديان على مايتراءَى من قول اتباعِه و تحكم بصدق جميع المرسلين السابقين و تقرب من قول النصارى بحلول اللاهوت في الناسوت و تنبئُ عن ثواب و عقاب للارواح بعد مفارقة الابدان لكن على وجه يشبه الخيال فتلتذُّ النفوس الطيبة باخلاقها و معلوماتها و تتألَم النفوس الخبيثة بملكاتها الرديئَة و جهالاتها الى ان تزول هذه الملكات عنها فتعود الى عالم الاجسام مرة ثانية و هو ضرب من القول بالتناسخ و تأمر بالصلاة وجوباً و هي ركعتان فقط وقت الصباح. وقد اتخذ مسجداً كبيراً في شيراز و جعلهُ كعبة تولى الوجوه اليها في الصلاة و تفسد الصلاة بالانحراف عنها. ثم انهُ جعل الشهر تسعة عشر يوماً لان هذا العدد عندهم مقدس لان اصل وحدة اللاهوت مؤلفة على زعمهم من ۱۹ اقنوماً و رئيسهم الباب فهو عندهم اعظم من محمد كما محمدا اعظم من عيسى و فرض الصوم شهراً من اخرالحوت بحيث يوافق عيد فطرهم يوم النيروز و هو اول الحمل. و من احكامِه انهُ يجب تخريب جميع البقاع المقدسة كمكة و بيت‌المقدس و قبور الانبياء و الاولياء عند حصول اول سلطة لاحد ممن تبع دينهُ و يحرم شرب‌الخمر و كذا الدخان على عهده و حللهُ اتباعهُ من بعده و يندب شرب‌الشايِ ندباً مؤكداً حتى ان من شربهُ ينال جزيل الثواب و منها انهُ يجوز العقد

على اثنتين فقط والشراء والمتعة بغير حصر و على ما يقال انهُ يجوز نكاح الاخت. و منها ان من كذب في قول او نادى شخصاً من خلفهِ فقد اساءَ و كفّارتهُ اعطاءُ ثلثة مثاقيل من الياقوت فان لم يجد فصيام يومين. و منها ان شهداءهم الذين قـتلوا في طهران و غيرها يجب ان يبنى لهم مشاهد مكللة بانواع الجواهر و انهُ يجب على اي سلطان يكون منهم ان يضع سيفهُ في العالم فاماالدين او الموت ولا يجوز اخذ الجزية. و انهُ يجب على كل واحد منهم ان يكون عندهُ كأس من الفضة و ثوب نظيف نقي اما الكأس فيتناول بها الماء القراح الصافي و اما التوب فيتجمل به عندالفراغ و انهُ يجوز ان يظهر بعدهُ كامل اخر لكن بعد ان يمضي من السنين عدد حروف المستغاث يعني الفي سنة و كسوراً. و يحظر في مذهبهم اتخاذ السراري والطلاق و استعمال النسـاء للنقاب و يصح ان يقال ان دينهم الى الان لم يقرَّ علي نظام واحد بل هو كالرمال السيالة تحدث بسيرها تلاً في محل ثم تنتقل و تحدث تلاًّ اخر بشكل اخر في محل اخر.

و كان من جملة دعاتهِ امرأة فتية بارعة الجمال متوقدة الجنان فاضلة عالمة تسمى باسم سلمة من بنات احد المجتهدين في العجم و كانت متزوجة بمجتهد اخر طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعةالاسلام و آمنت بذلك الرجل عن غيب و كانت تكاتبهُ و يكاتبها فكان يخاطبها في مكاتباتهِ بقرةالعين فـلُقبت بـذلك و كانت تناظرالعلماءَ والفضلاء مكشوفة الوجه بدون حجاب ثم لما وقعت المحاربة بين البابيين و عساكرالدولة في مازندران جيشت جيشاً و قادتهُ مكشـوفة الوجـه و سارت امامهُ طالبة اعانتهم و في اثناء الطريق قـامت في النـاس خـطيبةً و قـالت ايهاالناس ان احكام الشريعة الاولى اعني المحمدية قد نسخت و ان احكام الشريعة الثانية لم تصل الينا فنحن الان في زمن لاتكليف فيهِ بشيء فوقع الهرج والمرج و فعل كل من الناس ما كان يشتهيه من القبائح ثم قبض عليها و أَلبست البرقع جبراً و حكم عليها بان تحرق حيةً ولكن الجلاد خنقها قبل ان العب النار بالحطب الذي أُعدَّ لاحراقها و من احكام هذاالدين انهُ لايجوز ان يضرب المعلم تلميذهُ اصـلاً و ان

الزکوات والصدقات لایجوز اعطاؤُها لغیر البابیین فان فقد فقیر في البابیین فتصرف علی من بقي علی مذهب الشیخ احمد زین‌الدین الاحسائی.

و اما نسبتهم الی الاباحیةُ (الکمون) بهذا من لوازم مذهبهم حیث ان کل من خالفهم في معتقدهم فدمهُ و مالهُ هدر. و اما تشارکهم في الاموال فهو من مقتضیات کل دین او مذهب جدید اذیتعاون اهلُهُ ببذل جمیع ما بایدیهم و یرتفع الحجر و الحرج من بینهم. فهذا ما رواهُ عنهم السید جمال‌الدین الافغاني المشهور و غیرهُ.[۱]

---

۱. دائرةالمعارف، قاموس عام لکل فن و مطلب، تالیف: المعلم بطرس البستانی، ج ۵ ـ دارالمعرفة، بیروت ص ۲۸ـ۲٦.



دائرة المعارف



رسالة

من أديب اسحق إلى جمال الدين الأفغاني

سيدي الأستاذ الأعظم

لئن كان لأدوار الزمان قضاء نافذ في الناس، فلقد حال الكمال أنفس آحاد الرجال عنه فما تنفعل بالحادثات ولاتؤثر فيها التقلبات، بل هي في مقام التجرد الذي تستوي فيه مظاهر عبث الأيام بأبناء الزمان. والسيد[1] لازال حجة هذا القول، ما ترك فضيلة ولاقعد عن مكرمة ولاضن بمنفعة، ولكن قضاء الزمان الذي لم يؤثر فيه قد كان نافذاً في مريديه فما أطاقوا الخير معروضا من جانبه ولا ذادوا الشر طارئا من جانب الأحداث و هكذا وقع من بعضهم[2] الاهمال في مكاتبة من راسلهم عن السيد من أمراء الهند، فانقطعت أخباره عن سائرهم إلى هذه الأيام فعسى أن يعوضهم المستقبل مما أضاعوه خيراً فيجد الأستاذ تحت سماء الحرية[3] مستقراً طيباً أميناً، فلا تحتجب بعد ذلك أنوار أفكاره عن البصائر و ان احتجب ضياء وجهه عن

---

١. اي الافغاني، و كان يوقع بكلمة «السيد» بعض مقالاته.

٢. ربما يقصد بعض تلامذته من المصريين، الذين انقلبوا عليه بعد أن طردته السلطات البريطانية من مصر، ونفته إلى الهند.

٣. اي باريس، حيث كان يقيم الافغاني حين كتب اديب اسحق رسالته.

الأبصار وقد حمل البصير[١] إلينا مفتتح مقالة السيد في الشرق و الشرقيين[٢] فكانت مقدمتها غذاء للألباب و ما يليها مهمازاً للعزائم ولاتزال الأنفس مشتاقة إلى البقية اشتياق الظماء الى بارد الماء فالمسئول من كرم السيد أن يرسل إلي ما طبع منها و من سواها في البصير و غيرها من جرائد لندرة و باريس جملة فتلك أمنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر أو بالأثر ولست أذكر للاستاذ شيئاً مما لدي من أخبار مصر العمومية فانها تصل باريس قبل ورودها إلينا بل قبل شيوعها في مصر ولكني أحسبه مشتاقاً إلى الأخبار الخصوصية عن بعض الأصدقاء فهذه أعرف منها أن عبد السلام بک[٣] على أحسن حال من السلامة والعافية على انه منقطع في منزله اجتناباً للشبهات إلا عن بعض الأخصاء و ان سليم أفندي النقاش[٤] سار إلى مصر باذن حكومتها على أن يصرف أموره و أشغاله ثم يعود فهو الآن هناک يستمنح رجال تلک الحكومة عوضاً ماليا مما لحق به من الخسارة بسبب تعطيل مطبعته و جريدته بلا موجب معلوم[٥] و ان سعيد البستاني عزل اثر الفتنة ثم اعيد إلى الخدمة بمثل الراتب الذي كان له من قبل و هو الآن على حد قول القائل: و خمول ذكرک في الحياة سلامة. أما أبو تراب[٦] فقد أبلغت إليه وعد السيد باستقدامه إلى باريس عن قريب فكاد يطير بذلک سروراً و هو مقيم هاهنا على الدعة والراحة يترصد معنا الأخبار و يعد الأيام و يستبطيء البرد فعسى أن تجيئنا كتب

---

١. جريدة البصير لصاحبها خليل غانم، و هو وطني لبناني لجأ إلى باريس هرباً من السلطان العثماني عبدالحميد، و كتب هناک في كبريات الصحف الفرنسية امثال «الديبا».

٢. نشر المقال في «اوراق» (العدد الثالث) نقلا عن جريدة «ابونضاره». و كان قد نشر في حينه في جريدة «البصير» و في جريدة يعقوب صنوع، في آن، كما هو حال مقالات المشاهير من الكتاب.

٣. عبدالسلام المويلحي، و هو أحد تلامذة الافغاني.

٤. لبناني وطني اصدر في مصر جريدتي «التجارة» و «والعصر الجديد» حيث حرر فيهما اسحق، و كان صديقاً للافغاني.

٥. إشارة إلى التدابير القاسية التي اتخذت بحقه و بسائر أبناء بلاد الشام، الذين كانوا يصدروزن دوريات في مصر. من قبل حكومة عرابي باشا الثورية.

٦. خادم الافغاني، الذي لازمه طوال حياته.

السيد بما نتوقع ولابأس في تعليلنا بالأماني فما الحياة إلا الأمل وله في تحقيقه رأيه العالي المؤيد و أمره الكريم المطاع و مني على حضرته السلام بالاجلال والاعظام.

الخادم

أديب اسحاق

بيروت في ١٥ آذار ١٨٨٣

كتاب «دائرة المعارف»

«ان اللسان يقصر عن تقديم فريضة الشكر والثناء لقطب العلماء و سيد الفصحاء، الحكيم الذي ذاع صيته في كل مكان، و حدث بفضله الركبان، القابض على عنان روح العصر، المفيض من طيب فضله في كل مصر، السيد السعيد الكريم الأصل، العميم الفضل، زبدة العلم و الأدب، أمام كل من كتب و خطب، جمال الدين الأفغاني وفقه الله إلى نوال كل مراد. و نفع به الناس في كل صقع و ناد. كيف لا تتشنف الأسماع بذكراه، و هو ينبوع الفضل و مبدأه. و كم له يداً تشهد بزاهر تلك الأفضال، و بياض ما له من الأعمال، و هو صائغ هذا العقد من ألفاظه الدرية، ومفرغ أبلغ المعاني في هذه القوالب العسجدية. هذا و اننا لنشكر حضرة الأدباء أصحاب الجرائد الوطنية في الديار المصرية، و هي جريدة «الأهرام» و «مصر» و «مرآةالشرق»، بنشرهم شهادة ذلك العلامة لدائرة المعارف بين الخلق. و نسأله سبحانه و تعالى أن يمن علينا بحسن النهاية. كما وفقنا إلى محاسن البداية».

بطرس البستاني

قال السيد جمالالدين الافغاني:

«ان الانسان باعتبار أقنوميه المتجاذبين المتدافعين و هما جوهره العقلي النوراني و هيكله الهيولاني الظلماني يقسم إلى قسمين أحدهما و هو القسم الأعظم سواداً

الأكثر أفراداً و هو الذي تنقلب فيه جنبته البهيمية الظلمانية على أصله العقلي الذي به قوام انسانيته فتستعمله لقضاء أوطارها من جلب الملاذ الحسية الجسدانية و تمهيد طرق الشهوات الخسيسة الحيوانية فلا يهتم إلا بالمأكل والمشارب والتفنن فيها ولايسعى إلا لتزيين الملابس و تشييد المساكن لايدرك اللذائذ العقلية ولايتطلبها ولا يسعى في تحصيلها بل ينكرها ويسخر و يهزأ بمن يجتهد لنيلها والوصول إليها ولايعقل الفضائل الحقيقية فيميل إلى التحلي بها ولايفقه الرذائل فيجنح عنها ولا يشتاق إلى المحامد الحسنة فينزع إليها.

و هذا القسم و ان كان على صورة الانسان إلا انه في الحقيقة من البهم والعجماوات بل أحط منها منزلة فان حيواناً ما من الحيوانات لم يهمل شيئاً مما أودع الله فيه من الخواص التي تنادي به إلى كماله الواجب له بخلاف هذا القسم من الانسان فانه قد أهمل أشرف خواصه و هي خاصة العقل التي بها يمتاز عن غيره من أصناف الحيوانات و قد ذهب عليه ان المأكل والمشرب والمسكن انما هي مقاصد بالتبع لا بالذات يرام نيلها لاستبقاء الحياة كي يكتسب بها المعارف العقلية والملكات الفاضلة.

والقسم الثاني هوالذي يبتغي لذة أخرى فوق اللذائذ الجسمانية بل كثيراً ما يكف نفسه عن اللذائذ الحسية و يغادرها رغبة في استحصال تلك اللذة و هو ينقسم إلى قسمين أحدهما السلاطين والأمراء و ذوو المناصب والرتب. فمن هؤلاء من يتقشف في معيشته مأكلاً و مشرباً و ملبساً و يصرف فكرته أثناء الليل و أطراف النهار و يتجافى عن مهاد الراحة والدعة إلى وهاد التعب والمشقة و يتباعد عن السكون والطمأنينة إلى الاضطراب والحركة. بل قد يقتصر من لوازم حياته على الضروريات التي لايمكن التعيش إلا بها ولا يبالي بفقد ما عداها من الحاجيات والكماليات فهو بالحقيقة معذب الجسم مؤلم البدن يحمل نفسه على تحمل كل ذلك سعياً في توسيع الممالك و فتح البلدان و قهر السلاطين و استحصال المراتب العالية

والمناصب السامية ليمكن بذلك هيبته من القلوب و عظمته في النفوس و ينال من الناس محمدة و ثناء و يكون ذلك غاية لذاته و منتهى مطلوبه ولا يعد ما سواه لذة.

و هؤلاء و ان طلبوا لذة روحانية إلا انهم راموها من غير وجهها و أتوها من غير بابها فان أعمالهم هذه لاتوجب توقيرهم من النفوس ولاانطلاق الألسنة بالثناء عليهم خصوصاً عند ذوي العقول والبصائر لما انه لم يترتب عليها فائدة في العالم الانساني و مع ذلك قد أخطأوا المرمى لأنهم قد اتخذوا لمقصدهم هذا وسائل القتل والنهب والقهر والسلب و احقاق الباطل و ابطال الحق و تخريب البلاد و تدمير العباد و هذه الوسائل المشؤومة قد انتزعت محبتهم من القلوب و اسكنتها الضغائن والأحقاد عليهم و نفرت منهم الطباع و بدلت التعظم بالتحقر والمدح بالذم والثناء بالثلب لدى العارف والعامي والعالم والجاهل و ها هي كتب التواريخ مشحونة بمثالبهم و معايبهم و أطلال القرى و رسوم المدن المخضبة بدماء ساكنيها تشهد بشناعة أعمالهم و قبح مساعيهم و خروجهم عن حد الانسانية إلى خطة السبعية والافتراس حتى نرى أن أفضلهم و أنزههم لايوصف إلا بعدم الظلم والجور والارتشاء و غير ذلك وليس بخاف ان هذه الاعدام لاتعد مدائح إذ ليس لهم حق في التعدي حتى يمدحوا بالكف عنه على أن مادحيهم بهذه الاعدام لم يأتوا ذلك الا رياء و نفاقاً و قلبهم ينكر عليهم و ما مدحهم بذلك الا كمدح بعض الاحاد بأنه ليس بسارق ولا مختلس مثلا.

الثاني الحكماء المصنفون والعلماء المؤلفون والعرفاء المخترعون و هؤلاء هم الذين رفضوا مقتضيات الجنبة البهيمية و نزهوا أنفسهم عن الصفات الخبيثة السبعية و بذلوا راحتهم و صرفوا نفيس عمرهم في تحلية عقولهم بأنوار العلوم الحقيقية والمعارف العقلية و نفوسهم بالصفات والاخلاق كاملة بل أبت نفوسهم الشريفة و هممهم العلية أن تقف بهم عند هذا الحد من الكمال أعني تحصيل الفضائل القاصرة على دواتهم بل بذلوا الوسع و أجهدوا النفس في نشر العلوم والآداب و وضع

القوانين العادلة و اختراع الصنائع النافعة والفنون العالية و غير ذلک مما لا يقوم للنوع الانساني قائم إلا به لا يختصون بذلک جنساً دون جنس ولا وطناً دون وطن ولا يبتغون بذلک سوى لذة الکمال العقلي و استحصال المحمدة الحقة بما قلدوا به أعناق أفراد النوع البشري من نتائج أفکارهم و آثار أعمالهم فصار توقيرهم في النفوس و تعظيمهم في الأفئدة فرضاً على کل شخص من النوع الانسانى بالطبع ان أنکره لسانه شهدت به جوارحه و جنانه بل حازوا السلطنة الحقيقية في المملکة الانسانية لا يعزلون عنها بموتهم ولا تزول سلطتهم المعنوية الحقيقية ما دامت السموات. انظر إلى سلاطين اليونان و الرومان و الفرس و الکلدان قد محيت أسماؤهم من صفحات الأذهان لا يطلع عليها إلا المتوغلون في قراءة التواريخ و سير الأمم و اما فيثاغورس و سقراط و أرسطو و أفلاطون و بزرجمهر و جاماسب فلا تزال الأنفس رطبة بذکراهم ناطقة بفضائلهم و مزاياهم والنفوس معترفة بعوارفهم و مذعنة بعظمتهم و ان هؤلاء العظماء الفضلاء من الشرقيين والغربيين في الأزمان الغابرة والأوقات الحاضرة يحتلون جميعهم من الشرف مکانا عليا و استحقاقهم للمحمدة الحقة والثناء الخالص يتفاوتون فيهما على حسب تفاوتهم فيما حازوه من الفضائل و ما ترتب على مؤلفاتهم و مصنفاتهم و مخترعاتهم من الآثار والفوائد فمن کان منهم في المعارف أوسع دائرة و بالآثار أعم فائدة و أتى من الأعمال ما يقيم نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر کان أحق بالمدح و أجدر بالثناء فيجب على کل من وضع قدمه في أول درجات الانسانية أن يقدم له الشکر والثناء على قدر طاقته قياماً بأداء الحق و استنهاضاً للنفوس الخاملة لأن تنال ذاک المقام الأسمى والشرف الأعلى.

و لهذا رأيت من الفرض علي اداء الشکر أصالة عن نفسي و نيابة عن کل عارف باللغة العربية الشريفة أن أنشر عطر الثناء على حضرة العالم الفاضل المتبحر بطرس أفندي البستاني بما أودعه في مؤلفه «دائرة المعارف» من الفوائد الجليلة والمنافع

العميمة التي قلد بمنتها أعناقنا قائلا ان هذا المؤلف الفاضل فضلا عن سائر مؤلفاته كمحيط المحيط و قطر المحيط و غيرهما قد أتى لنا بكتاب دائرة المعارف محيطاً بجميع ما يحتاج إليه الانسان في معاشه و معاده إذ قد حوى جميع التواريخ من سير الأمم والسلاطين و أخبار الأنبياء والحكماء والقديسين و جغرافية البلاد و علوم الطبيعة والكيميا والنباتات والحيوانات والحساب والجبر والهندسة والفلك و غير ذلك من الفنون الجلية فمن وهبه الله أدنى عقل غريزي و كان له أقل إلمام بمبادىء العلوم فله أن يستغني بهذا المؤلف عن تجشم الجلوس بين أيدي الأساتذة لأن صعوبة العلوم بصعوبة الوقوف على اصطلاحاتها و هذا الكتاب قد كشف حجاب الخفاء عن جميع الاصطلاحات بأوضح بيان وألطف عبارة وأرق اشارة غير انني مع ذلك لا أتمالك ان أظهر أسفي من أن هذا المؤلف لم يبرز بتمامه في عالم الوجود ولست أتوهم انه من فتور في همة المؤلف الفاضل ولكنه لقصور في رغبة الشرقيين فنوجه إليهم الخطاب قائلين يا أبناء الشرق أفلا تعلمون ان سلطة الغربيين و سيادتهم عليكم انما كانت بارتفاع درجتهم في العلوم والمعارف و انحطاطكم فيها فلم لا تتقد أحشاؤكم بنيران الشوق لهذا المؤلف البديع و أمثاله حتى يبرز بمعدات رغبتكم و كمال شوقكم من عالم القوة إلى الفعل هل رضيتم بعدما كان لكم ذروة الشرف بواسطة العلوم والمعارف ان تدوم لكم تلك الحالة الوخيمة التي أوصلتكم إليها الجهالات والضلالات حتى عادت ترق لكم قلوب الأعداء فضلا عن الأصدقاء فهلموا لاقتناء المؤلفات و اقتناص صيدالمعارف واعتصموا بعرى الاجتهاد في نيل العلوم واستضيئوا بسنا الحق لتسترجعوا مجدكم و تنالوا حقيقة استقلالكم فتفوزوا مع الفائزين».

بيروت فى ١٥ اذار ٨٤م

سيدى الاستاذ الاعظم

لئن كان لادوار الزمان قضاء نافذ فى الناس فلقد صان الكمال انفس آحاد الرجال عنه
فما تنفعل بالحادثات ولا تؤثر فيها التقلبات بل هى فى مقام التجرد الذى تستوى فيه مظاهر
عبث الايام بابناء الزمان والسيد لازال حجة هذا القول ما ترك فضيلة ولا قعد عن
مكرمة ولا ضن بمنفعة ولكن قضاء الزمان الذى لم يؤثر فيه قد كان نافذاً فى مريديه
فما لاقوا الخير معروضاً من جانبه ولا ذاقوا الشر طارئاً من جانب الاحداث وهكذا
وقع من بعضهم الاهمال فى مكاتبة من ارسلهم عن السيد من امراء الهند فانقطعت انباء
من سائرهم الى هذه الايام فعسى ان يعوضهم المستقبل مما اضاعوه خيراً فيجد الاستاذ
تحت سماء الحرية مستقراً طيباً امينا فلا تحتجب بعد ذلك انوار افكاره عن البصائر
وان احتجب ضياء وجهه عن الابصار وقد حمل البصير الينا مفتتح مقالة السيد
فى الشرق والشرقيين فكانت مقدمتها غذاءً للالباب وما بعدها مهمازاً للعزائم
ولا تزال الانفس مشتاقة الى البقية اشتياق الظماء الى بارد الماء فالمسئول من
كرم السيد ان يرسل اليّ ما طبع منها ومن سواها فى البصير وغيرها من جرائد لندرة
وباريس جملة فتلك امنية للعاجز فيها شركاء كثيرون ممن عرفوا السيد بالخبر
او بالاثر ولست اذكر للاستاذ شيئاً مما لدىّ من اخبار مصر العمومية فانها
تصل باريس قبل ورودها الينا بل قبل شيوعها فى مصر ولكنى احسبه مشتاقاً الى
الاخبار الخصوصية عن بعض الاصدقاء فهذه اعرف منها ان عبد السلام بك على
احسن حال من السلامة والعافية على انه منقطع فى منزله اجتناباً للشبهات

الصفحة الاولى من رسالة اديب اسحاق الى السيد الحسينى

الآن عن بعض الأخصاء وان سليم افندي النقاش سار الى مصر باذن حكومتها على ان
يصرف اموره واشغاله ثم يعود فهو الان هناك يستمنح حيال تلك الحكومة عوضاً مالياً
بما لحقه به من خسارة بسبب تعطيل مطبعته وجريدته بلا موجب معلوم وان سعيداً البستاني
عُزل اثر الفتنة ثم اعيد الى الخدمة بمثل الراتب الذي كان له من قبل وهو الان على حد قول
القائل : وجود ذكره في الحياة سلامة . اما ابو تراب فقد ابلغت اليه وعد السيد باستقدامه
الى باريس عن قريب فكاد يطير بذلك سروراً وهو مقيم ههنا على الدعة والراحة يترصد
منا هو غفله وبعد الايام ويستبطئ البرد فعسى ان يجيئنا كتاب السيد بالشروع ولا
بأس في تعليقنا بالاماني فما الحياة الا الامل وله في تحقيقه رأيه العالي المؤيد وامره
الكريم المطاع ومني على حضرته السلام بالاجلال والاعظام ،

[illegible]
اديب اسحق

صورة عن الصفحة الاخيرة من رسالة اديب اسحق إلى الافغاني





خطبة بالاسكندرية

(زيزينيا)



خطبة بالاسكندرية

(زيزينيا)

يا أيها السادة و يا أيتها السيدات.

أرى من الواجب أولا أن أثني على الجراثيم الشريفة الشرقية التي مضت عليها الدهور و مرت العصور، و هي في حالة الكمون، لمنع الموانع الخارجية و قسر القواسر الداخلية. و مع ذلک لم تفقد مزاياها العالية، و لم تَـتَقَدُّم سـجاياها السـامية، بـل برزت و نمت، فرأينا أصولها الشريفة سادة شرفوا هذا المحضر، لاعلاء كلمة العلوم و رفع منار المعارف، و تأييد أمر الفضل اعتقاداً أن العلم سلطان عادل حكيم، إذا حل ببلد قوم تبعه الغنى و الثروة لأنهما لايحصلان إلا بالتجارة و الزراعة التى لاتحصل إلا بالعلم، و لزمه الطمأنينة و الراحة لأنه يعين الحدود و يُبين الحقوق، فيكون لكل من الناس خط لا يتخطاه، وحد لايتعداه، ووليته الحرية لأنه يُبيِّن للانسان مقدار نفسه، فيعرف بذلک قدر غيره، ولا يخضع لمن يتوهم فيه السيادة خضوعا أصم، و لايطيع لمن يعتقد به الرئاسة طاعة عمياء، فلا يـؤخذ إلاّ بـالقانون ولا يـدين إلاّ للشريعة، و تلته الشفقة لأنها لاتحصل إلا بأن يدرک الانسان مـا أَلَمَّ بـغيره مـن المصائب إدراكاً يجسِّم ذلک في خياله، حتى كأنه يشعر بألمه. و هذا الادراک هو عين

العلم، و علماً بأن الجهل سلطان غشوم جاهل يتبعه الفقر و الفاقة، و يواليه الارتباک و الاضطراب، و يألفه الذل و العبودية، و تَلْزَمُه القسوة و الشراسة. ولذلک فإنى أقدم الشكر للأفاضل الكرام الأرومات، الشرفاء الأصول، الذين اجتمعوا في هذا المقام لاحياء العلم الموجب لتلک المزايا، و دفع الجهل الداعي لهذه المعاني.

و ثانيا، إنه لمعلوم أن الأمة المؤلفة من طبقات الناس تماثل الشخص الواحد المؤلف من الأعضاء و الجوارح. فكما أن قوام الأعضاء و نموها يكون بالقوة الحيوية، تقوى بازديادها و تضعف بضعفها على نسبة واحدة، كذلک جسم الامة لاتحصل لطبقاته القوة إلا بروحه‌الحيوية التي هي عبارة عن الميل إلى المعالي و الشوق الى الكمالات. و ليس بخاف عنكم ما ألَّم بروح الجنسية في الأمم الشرقية من الضعف و الوهن المستلزم لضعف سائر الطبقات، فلاتؤاخذوا من قام فيكم خطيبا، إن رأيتم في صوته تهدجا وفي عباراته قلقا، و في معانيه اضطرابا، فما الخطباء إلاَّ من طبقات الأمة التي ألم بها الضعف بروحها الكلي فسرى الى طبقاتها وأعضائها. و لهذا فاذا رأيتم في خطابتي نقصا، فلابد من التجاوز عنه لكوني رجلا شرقيا.

و إذ تقرر لي ذلک فإني أشرع في بيان المطلب، فأقول: لاأريد أيها السادة أن أذكركم بمجد آبائكم الكرام، و إنكم إمَّا أن تكونوا من أبناء المصريين أو من حفدة الفينقيين، أو من سلالة الكلدانيين. و إن المصريين قد بلغوا من الهندسة ذروتها، ومن الحساب غايته، و من المساحة قاصيتها و من فن جرِّ الأثقال منتهاه، و علَّموا اليونان الحكمة و الفلسفة. بل إن شخصا واحداً منهم قد بعث في اليونان روح المعرفة و علمهم فنَّ تدبير المنزل على حين كانوا همجا متوحشين، و أبان لهم كيفية الزراعة و الصناعة على حين كانوا يتعيشون بالصيد و القنص، و ان جل علمائهم و معظم حكمائهم لم ينالوا الفلسفة إلا بما تعلموا في مدرسة مصر العظيمة.

ولا أذكركم بالفينيقيين و أنهم وضعوا أصول الصناعة، و خاضوا عباب البحار.

و كانت انجلترا و اليونان من مستعمراتهم. ولاتزال أسماء بلاد أسبانيا و سلافينا شاهدة بأنهم رفعوا على تلك الأقطار ألوية تمدنهم، و أن أهلها كانوا لايعرفون الصناعة و لا التجارة. بل كانوا يقدمون لجدودكم كنوز الطبيعة، و معادنها الثمينة، ليأخذوا منهم الأقمشة و الآلات و سائر ما يحتاجون اليه، و أنهم علموا اليونان الخط. و كان أعظم حكمائهم منسوبا اليهم و هو تاليس[١] الصوري.

و لا أعيد ذكر الكلدانيين جدودكم الأول الذين أنشأوا صناعة النحت، وقسموا الفلك بالدوائر، و عرفوا معدل الأنهار و منطقة البروج و دائرة نصف النهار، و وضعوا الاسطرلاب و عرفوا القطب واخترعوا الكرة ذات الحلقتين.

لا أذكركم بجميع ذلك لأنكم تعلمونه علم اليقين، ولا تخافون فيه منكرا أو معترضا، فإن الهرمين، و المسلات، و أعمدة الكرنك، تفقأ بأصابعها الدهرية أعين المعترضين الذين يرمون الشرقيين بالهمجية و النقص في الفطرة، و إن تلول نينوى، و أطلال صور و بعلبك و منفيس و ثيبة[٢]، ما بقيت إلا لتثير الغبار على أبصار المنكرين الذين ينظرون الينا بعين الاستخفاف و الاحتقار، و انما أريد أن أعطف نظركم الى حالتنا الحاضرة، فإنكم تعلمون بما حصل لنا من الانحطاط، وما حاق بنا مِنَ الذل و الهوان، و ان النوائب قد خفضت منارنا و الأجانب اقتسمت ديارنا. ولا شك أن هذا حادث من الحوادث فلا بد له من علة يوجد بها. و يعدم بعدمها. وبعبارة ثانية إنه قدوضع في دائرة الوجود عوالم متعددة، و لكل منها مركز يكون بمنزلة شمس تجذب توابعها بحبال الجذبات اللستيكية التي تدفع تارة وتجذب أخرى،ن و ترسل إليها رسل الأشعة حاملة عناصر الحياة، و إنه قد وضع في كل نبات و في كل حيوان من التغذية ما هو حافظ لنفسه، و من التوليد ما هو حافظ لنوعه. و لاشك أن ما وضع فينا من قوى الادراك لم يكن الالننال مرادنا من

١. طاليس الفيلسوف الاغريقي، و ينسب الى صور في لبنان.
٢. ثيبة هي طيبة المدينة المصرية القديمة.

السعادة. فلابد أن يكون لحرماننا من تلك الأمنية مانع. و اذا سبرنا الموجودات سَبْراً فلسفياً فلا نجد لتأخرنا غير سببين أصليين، و هما التعصب و الاستبداد.

فأما الأول فهو عبارة عن سوء استعمال الدين. فإنّا اذا نظرنا بعين التأمل البصير الى الشارعين من عهد (مهادبو) الى زرودشت الى موسى، الى عيسى، الى محمد (صلعم) لانجد في شرائعهم إلا الدعوة لمعرفة مبدأ الحق، و هو الله، و الحث على الفضائل، و فعل الخير، و الزجر عن الرذائل و الشرور. و بعبارة ثانية لانلق بها الا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لكنا إذا نظرنا الى الكثير من الذين تبعوهم، فإنا نراهم قد استعملوا تلك الشرائع للشقاق و النفاق، و اتخذوها و سائط لاضرام الفتن و وسائل لالقاء الإحَن حتى أمكن للشاعر العربي أن يقول:

إن الديانات ألقت بيننا إحَناً.. و أودعتنا أفانين العداوات.

و ما مثل هؤلاء إلا كمثل رجل قلد السيف لقتل الأعداء فاستعمله في قتل الأحباء. فبئس ماكانوا يفعلون.

و أما ألاستبداد فهو أن تكون أمة من الأمم مقيدة بسلسلة رأي واحد من الناس لاتتحرك الابارادته و لاتفعل إلا لرضاه. فإذا كانت الأمة على هذه الصورة لزمها لامحالة أن يصرف كل منها ما أودع فيه من العقل و الذكاء لمرضاة شخص واحد فيكون الكل فانياً فيه. و من المعلوم أن الرجل الواحد، ولو انفرد في العقل و الذكاء والهمة وعلو النفس، لا يستطيع جلب السعادة لنفسه فضلا عن جلبها لأمة كبيرة. وهاهنا يمكن لي أن أبشركم بأن قد زال عناهذا المانع بما نلناه من الحكومة الشوروية. فلم يبق إلا أن تسعوا في صيانتها و تأييدها. و لاتكتفوا بمجرد حصولها اذلا يخفى عنكم أن الحكومة هى كسائر الأجسام الطبيعية و الاجتماعية. بمايطرأ عليها من التحليل.

و حيث أنا شعرنا بالألم، و علمنا بسقوطنا في هذه المهواة، و أن أنفسنا تميل الى الخروج منها، فلابد لنا من البحث عن الدواء الحقيقي لهذا الداء الحادث، فإذا رجعنا

إلى بصيرتنا النورانية و فطرتنا الأصلية علمنا بأنه لايمكن الخروج عن هذه الخطة إلا بالسبب. فان المتحرك لا يسكن و الساكن لا يتحرك إلا بالعلة. ولا أرى لخروجنا من علة سوى الغيرة. فهي الحركة للنفوس الداعية الى المجاراة و المباراة، والباعثة على الاهتمام و الاقدار، و على قدرها تأتي العزيمة و ترتفع القيمة. و على حسب تأصلها في الأنفس و ضعفها يكون صعود الأمم الى معارج العز و الثروة، و هبوطها الى دركات الذل و الفاقة.

ولاشك أن الغيرة لاتحصل إلا بحزب من الوطنيين يعلمون أن لاشرف لهم إلا بجنسهم، و لاقوة إلاّ بأمتهم، و لافخر إلاّ بوطنهم، و أنهم إذا أرادوا تحصيل الشرف بالانتماء الى غيرهم يكونون بمنزلة الرقعة في الثوب الجديد، أو بمنزلة العبد الذي يفتخر بسيده. و لهذا أرجو منكم يا أيها السادة ان تقيموا حزباً يصون لوطنكم حقوقه و يحفظ عليه بهاءه. على أني لا ألومكم على انتماء بعضكم الى الأجنبيين، فان ذلك لم يكن الافرار من الظلم و حرصا على الحقوق الانسانية و المدنية. و لكني أومل منكم ان تؤيدوا أمر الوطن و تشيدوا فيه الحكومة الشورية ليستقيم به أمر العدل و الانصاف، فلا يعود بكم من حاجة الى حماية الاجنبي، بل تمزقوا أوراق الانتماء، و تذاكر الحمايات، حتى يكون شرفكم منكم واليكم، و حمايتكم في ظل قوانينكم، ولا تكونوا رقعة بالية في ثوب الاجنبي الجديد.

و لاشك أنكم تعلمون أن الحزب الوطني لاتحصل له القوة، و لايكون له البقاء، ما لم يكن لأهل الوطن لغة جامعة، مهذبة التراكيب، جيدة الأساليب. فان لم يكن لهم ذلك لاتستقر فيهم المعارف ولا تقيم بأحيائهم العلوم، و ان ذهب جماعة كثيرة منهم الى أوروبا و تعلموا اللسان الأجنبي، فإن معارفهم المكتسبة تكون سريعة الزوال، و وطنهم يكون كالبلد الذي لاماء فيه، يجلب لأهله الماء من ضواحيه، فهو عرضة للظمأ و سوء الحال، و أهله على شفا الاضمحلال.

فإن سأل سائل: كيف يمكن بث الغيرة و انشاء الحزب الوطني و احياء اللغة؟ قلنا

إن أعظم الأسباب الموجبة لحصول هذه المزايا هو إنشاء قاعة للخطابة يقوم فيها الخطباء الألباء، و ينطقون عن الغيرة و الحمية بمايبين لنا الحقوق و يعين الواجبات، و يذكرنا بمجد آبائنا و ذل أبنائنا، ويريناحالة الأجنبيين، و ماهم عليه من القوة والثروة و المجد و السطوة، فنعلم أسباب السقوط و وسائل الهبوط، و يتبع ذلك إنشاء الجرائد الحرة القائمة بأمر الوطن الآخذة بأطراف الحق، فإنها تقرّب الأقصى باللفظ الموجز، وتنبيء بأخبار السلف، و تبين لنا أحوال جيراننا، فترينا المصالح و المفاسد لنجتلب تلك ونجتنب هذه. و لاشک أنه لابد في عالم المدنية من كل منهما، و لايمكن البلوغ إلى غاية السعادة إلا بهما. و لا فرق بينهما إلا أن الخطابة تحرک الدم بحركة الخطيب وقوة المشافهة، و أن الجرائد تثبت المطالب في الأذهان باعادة النظر الى مالا أثبت في الصحائف.

ولكني أجلكم يا أيها السادت عن أن تحسبوا أنكم تنالون مزايا المدنية، و تحوزون المعارف و العلوم، و تستكملون أسباب التقدم والسعادة، و تبلغون ذروة المجد و الشرف، إن كان العلم فيكم مقصوراً على الرجال. بل أعيذكم من أن تجهلوا أنه لايمكن لنا الخروج من خطة الخسف و الجهل، و من محبس الذل و الفاقة، و من ورطة الضعف و الخمول، مادامت النساء محرومات من الحقوق، و غير عالمات بالواجبات، فإنهن الأمهات اللواتي تصدر عنهن التربية الابتدائية و الأخلاق الأولية. و لاشک أن أول ما ينقش في لوح ذهن الانسان يكون ثابتا صعب الزوال. و قد قيل: العلم فی صغر كالنقش في الحجر. و أقول إن هذا النقش هو السبب الأصلي في اختلاف المذاهب، و تنوع المشارب، فإن وجدت فيه الكدوره، فلا صفاء في الذهن و لاسلامة في المشرب، ولكن اذا كانت الأمهات عالمات، عارفات بحقوق الانسانية، متأدبات على ما تقتضيه أحكام الشرف و المدنية، فلا شک أن أولادهن يتخلقون بأخلاقهن، و يكتسبون منهن تلک المزايا الفاضلة. و عندي أنه إذا حصل التساهل في تربية المرأة، و كانت رجال الأمة جميعاً راسخين في العلم و

المعارف، مترقين في درجات الكمال، فلا يمكن بقاء الأمة على تلك الحال المكتسبة إلا مدة بقاء أولئك الرجال. فاذا انقرضوا، و خلفهم الأبناء المتخلقون بأخلاق أمهاتهم على مابهن من النقص في الكمالات العلمية، رجعت أمتهم الى ماكانت عليه من الخسف وسوء الحال.

أقول هذا و في يقيني أن حِلْمكَم يقيني الملام، و أن تلطفكم يضمن لي حسن الختام.



٩

السياسة الانجليزية
في الممالك الشرقية



السياسة الانجليزية في الممالک الشرقية

بلغنا أن الحكومة الانجليزية قد عرضت لائحة في المسئلة المصرية على الدولة العثمانية تسكينا لروعها، و تطمينا لبالها، تذكر فيها أنها ما قصدت الاستيلاء على مصر، و لاتود وضع اليد عليها، و لكن سوف تبق العساكر الانجليزية في البلاد النيلية الى مدة زوال القلاقل، و حصول الراحة، و تشكيل المجالس و المحاكم. ولاتود الدولة البريطانية أن تمس حقوق الحضرة السلطانية بداخلتها في مصر.

نعم. هذه هي السياسة الانجليزية في جميع البلاد الشرقية، عملت بها في الممالک التي أرادت الاستيلاء عليها، و قد حذقت فيها و جربتها مرات عديدة، حتى إذا خاض العاقل فيها رأى أن لاسياسة للانجليز سواها كأنها عرفت عقول الشرقيين، و علمت ما فطروا عليه من السذاجة و شدة الاعتقاد بمواعيد عرقوب، فتأخذهم على غرة و تستلب بلادهم، و هم في أمن منها يثقون بعهودها، ولايعرفون أن هذه الحكومة إنما تقتنص بأوهاق الايمان[1] ولاتسلک في فتوحاتها إلاّ مسلک الوداد، حتى إنها قل ما تملکت بلداً بالقوة القاهرة. و إن الشر لا يأتي إلاّ من معاهداتها.

---

١. الوهق، محرک و يسکن، الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان. الجمع أوهاق (هامش المنار)

أليست هي التي أزالت السلطنة التيمورية التي كانت منبثة في جميع أرجاء الهند بمداخلتها الودادية و مواعيدها المؤكدة؟ أليست هي التي نقضت الحكومة النظامية في بنغالة بعساكرها التي وضعتها للمحافظة على تلك البلاد؟ أليست هي التي أزاحت السلطنة الكهنورية بنفس جنودها الذين أقامتهم لتوطيد الراحة فيها؟ أين ذهبت حكومات أمراء الكرناتک و مدراس التي كانت مطمئنة بالعساكر الانجليزية و معتمدة على معاهداتها؟ أين حكومة بنجاب و ممالک أمراء السند؟ أين حكومة المراتيين في بونه؟ ذهبت كلها لاعتماد أهلها على وعود الانجليز وحماية عساكر الملكة. و ما أبادهم، لعمري، سوى تلک العساكر نفسها التي وضعت لصيانتها من الفساد الداخلي، فاحذروا يا أهل الديار النيلية من أن يحل ببلادكم ما حل بغيرها. ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده.

وقد بلغنا منذ قدمنا لوندن[۱] أن معظم الأوامر التي يجريها الخديو تكتب أولا في الوزارة الخارجية بلوندرة، ثم ترسل الى المندوب الانجليزي بمصر، والمذكور يقدمها لحضرة الخديو ليجريها كأنها صادرة عن أمره باختياره، و لاأمر له فيها ولا اختيار، وربما هذا كان الباعث على استقالة رياض باشا من الوزارة.

هذه هي السياسة الانجليزية التى كشفت عنها غطاءها التجارب، و بهذه السياسة جالت في ميدان جميع فتوحاتها، فلا أظن أنها تتمكن بعد الآن من احتلال عقول الشرقيين بهذه المواعيد[۲]. و ما أظن أن السلطان و رجال دولته بعد ما علموا نبأ معاهدات الانجليز في الهند أن يعتمدوا عليها، و يثقوا بأصحابها، ولاريب أنهم قد

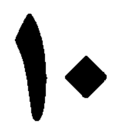
---

۱. كذا في الأصل المطبوع. و هي لندن.

۲. إن أمير مكة حسين بن علي و أولاده قد خيبوا آمال السيد جمال الدين فانخدعوا بالوعود الانكليزية على قول الذين يحسنون الظن فيهم بغباوتهم، و الذين يدافعون عنهم ـ ويرى آخرون انهم خائنون لامتهم لامخدوعون، فإنهم يطلبون الملک، و لم تسم هممهم الى طلبه إلا من طريق الانكليز، فساعدوهم على اخذ البلاد العربية ليشتركوا معهم وتحت ظلهم في التمتع بحكمها (هامش المنار)

اطلعوا على المعاهدات الانجليزية التي طبعت في أربعة مجلدات بمطبعة (نول كشور) في بلدة لكناهور. و منها علموا كيف يستولى الانجليز على البـلاد بحـرفة العـهود الفارغة و المواثيق الباطلة، و فيما قلناه عبرة لمن يعتبر، و سوف نعود إلى الخوض في هذا الموضوع متصلا.





اسباب الحرب
بمصر



اسباب الحرب بمصر

لقد ذهب الناس مذاهب شتى في أسباب الحرب التي قَدَحَتْ الانجليز زنـادها على المصريين، فمنهم من زعم ان الطمع في الاستيلاء على البلاد النيلية الخصيبة كان الباعث على ذلک، و منهم من اعتقد أن مصالح بريطانيا في خليج السويس حملت الانجليز على فعل ما فعلوا، وظن قوم أنهم اندفعوا الى تجشم تلک الخسائر الباهظة غيرة على حفظ نفوذهم السياسي و التجاري بالديار المـصرية، و التأمـين عـلى استيفاء ديونهم، و هلم جرا.

تلک، لعمري، تعليلات سارت بها الجرائد رجماً بالغيب أو تمويهاً عـلى عـيون الناس.

أما أسباب الحرب الحقيقية فهي ما كان ثبت في عقول الانجليز و الفرنسيس من أن جلالة السلطان عبدالحميد قد سعى منذ تولي الخلافة و المـلک في جمـع كـلمة المسلمين المنتشرين في أقطار الهند و أفريقية و سورية و العراق و اليمن و الحجاز و مصر، و غيرها من البلاد لكي يجعلهم عصبة مستمسكة بعروة الخلافة الوثق، و أمة تتساند بعضها إلى بعض كالبنيان المرصوص، و أن يكـون السـواد الأعـظم مـن المسلمين في يد أمير المؤمنين يستنجدهم في المُلِمّات لمقاومة دول أوروبا إذا طمعوا في سلب بلاد المسلمين. فكان الفرنساويون يـقاومون نـفوذ السـلطان و خـلافته في

مسلمي الجزائر و تونس، مخافة أن يكون ذلک و بالاً عليهم، و كانت الانجليز تحاذر من إنقياد مسلمي الهند الى دعوى الخلافة و من الانضمام الى العصبية الاسلامية. وكانت تلک الدولة القيصرية قد بلغها أن الحضرة السلطانية بعثت برجال الدين الى المسلمين ليدعوا اخوانهم الى طاعة أميرالمؤمنين، و ينشروا بينهم رسائل تولد في عقولهم فروض الانقياد الى الراية النبوية إذا نشرها السلطان و دعاهم إلى التشمير عن ساق الجد لنصرته و الجهاد في سبيل الملک والدين.

وما زاد في طنبور الانجليز نغمة إلاّ النشرات التي كان السيد (نصرت علي) ينشرها في دهلى بايعاز السلطان، فلما أخذت مشروعات السلطان و مندوبيه تضرم نار الغيرة الدينية، و تثير الحمية الاسلامية في نفوس بعض من الهنود، اضطرت الحكومة الانجليزية بالهند إلى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع سريان تلک العدوى. و عثرت في أثناء ذلک على رسائل منتشرة بين المسلمين كانت قد طبعت في القسطنطينية بدار الطباعة الشاهانية، و أرسلت إلى الأقطار الهندية لانهاض همة المسلمين، فألقت القبض على كثيرين من الذين وجدت عندهم من تلک الرسائل و حاكمتهم، و من ذلک الوقت شرعت انجلترة تتوجس في تلک المقدمات نتائج وخيمة في ممالكها الهندية، فكمنت بالمرصاد تترقب الفرصة الملائمة لتزيق شمل تلک العصبية الاسلامية التي يصفها الافرنجيون باسم (بانسلاميزم[1]) و فيما كانت تضرب أخماسا في أسداس، و تقدم رجلا و تؤخر أخرى، بلغها أن الحضرة السلطانية قد باشرت تنفيذ مشروعاتها بالديار المصرية، و ضم مسلمي تلک البلاد أيضا الى العصبية الاسلامية، بواسطة الشيخ محمد ظافر، والسيد أحمد سعد المدني، و بسيم بک، وراتب بک، و أحمد عرابي و أحزابه، فأصدرت الدولة البريطانية أمرها الى مندوبها بمصر بأن يستقصي حقيقة الخبر.

أما ذلک المندوب فكان بادي بدء يعتقد أن الحرب الأهلية عبارة عن عصبية

---

۱. Pan Islamism: الجامعة الاسلامية.

عسكرية جُلُّ سعيها في اصلاح شؤونها و طـرد الضـباط الشركس مـن مـصاف الجهادية المصرية، و لكن خيل اليه بعد ذلك أن الحضرة السلطانية قد اغتنمت من ثروة العساكر المصرية، و اتخذت عرابي باشا آلة لقضاء أغراضها، و توطيد نفوذها في القطر المصري وضم المصريين الى العصبية الاسلامية، فرفع المندوب الانجليزي تلك الأخبار الى لورد جرانفيل، و أثبت وجود عصبية دينية قـد تـردت بـرداء عصبية سياسية وطنية، تدعي تحرير الفلاحين من ربقة المرابين و الأجـانب. و في الحقيقة ليست سوى عصبية اسلامية ديـنية تحت قـيادة السـلطان أمـيرالمـؤمنين غرضها الوحيد مقاومة دول أوروبا و انهاض همة المسلمين في الهـند و الجـزائـر وتونس و بلاد العرب، فتداركت انجلترا العواقب، و صـممت عـلى إذلال تـلك العصبية الاسلامية قبل أن يستفحل أمرها، لأن الانجليز تعتقد أن مصر باب الهند وخليج السويس دهليزها فإن استفحل أمر عرابي باشا و حزبه لحق بهم المصريون على اختلاف أجناسهم، و تبعهم السوريون و العرب، و أنشأوا أمة عظيمة الشأن شديدة البأس تضر الانجليز و مستعمراتهم في الهند. فرسخ في عقول رجال السياسة البريطانية أن منع إفشاء الوباء خير من علاجه بعد انتشاره، و صمموا على إخراج عرابي باشا و أحزابه من الديار المصرية، إما بالحسنى و إما بالاكراه، طمعاً في إطفاء نار الفتنة، و تمزيق شمل العصبية الاسلامية المتظاهرة بشعار الوطنية، فلما آيسوا من إخراجهم بالحسنى، عولوا على إذلالهم بالأساطيل المدرعة، و المدافـع المـثمنة، و الجنود البحرية و البرية، و ما انثنوا حتى فتكوا بهم في ملحمة التل الكبير، و كانت القاضية على عرابي باشا و أحزابه، و قد ثبت في عقول كثيرين أن إذلال عرابي و أنصاره قد أذل العصبية الاسلامية إذلالاً لاعز بعده ماتوالى الفرقدان.





الحق و الباطل

أو نتائج سياسة الانجليز في مصر



الحق و الباطل

ما اختلف رأيان في أمر إلا كان أحدهما حقاً و الآخر باطلا. إن الحق أوسع الاشياء تواصفاً، و أجلاها برهاناً، و أوضحها بيانا. و لقد صنف الحكماء فيه كتبا، وبينوا سننه، وذكروا شواهده، و قسموه الى أقسامه من حقوق الملل و الدول و الرعاة و الرعايا، و شرحوا في مصنفاتهم أن الحق قوام الاجتماعات الانسانية، منزلية كانت أو مدنية، و أن مدة دوام الاجتماعاتت الانسانية، منزلية كانت أو مدنية، و أن مدة دوام الاجتماعات و بقاء الدول بمقدار دوام الحق فيها و بقائه، لأن بالحق يحصل التكافؤ بين القوى المجتمعة لاكتساب الأمنية و السعادة اللتين هما غاية سير الأمم في حياتهم.

فاذا حصل الانحراف عنه زال التكافؤ فاضمحل الاجتماع، و وقفت الأمم دون بلوغ غايتها.

ولو تأمل البصير في زوال الأمم الغابرة لايرى له سببا سوى الحيدان عن الحق.
و ان الحق مهما كان لديه من الظهور و البروز، وسعة المجال في التواصف، أضيق الأشياء تناصفا و تعاملا، و أخفى الأمور عمن أراد أن يسلك مسالكه، ويزن بميزانه أعماله و أفعاله، لأن الحق يكون للانسان و عليه. فاذا كان عليه فحينئذ يشاب إدراكه المتبجس من محض عقله بالحاسات الطبيعية، و يمتزج بالأوهام

الناشئة عن عاداته، فيخفى عليه محجته، و يسلك مدحض الباطل، ظنا منه أنه على الحق، غيرحائد عنه، و هذا هوالسبب لاختلاف الأمـم في آرائـهم و مسـالكهم. ولايعرف الحق بنفسه إلاّ من انقادت طبيعته لعقله، و أزال ناشئة العادات عن لوح ضميره، فصار عقلاً صِرْفاً، يخضع لحكمه و يهتدي بنوره، لايجد الباطل فيه سبيلا، ولا يضل عن رشده أبداً.

و قليل من يتحقق في الانسان بهذه الصفة و ان كانت حماة الحق كثيرة.

أنظر الى الحزب الحر[1] فى الحكومة الانكليزية كيف كانوا يحامون عـن حـرية الأمم، و يحثون الدول على إطلاق ربق العبودية عن الشعوب، ويـدافـعون عـن الأيرلنديين، و يجاهرون بذمائهم الحزب المحـافظ، ويـذكرون شـنائع أعـمالهم في حرصهم على الفتوحات عند اعتزالهم عن الحكم. و كانوا يندّدون على دزرائيلي في إقدامه على حرب الأفغانيين، قائلين له إن شيرعلي خان[2] حر في بلاده، له أن يقبل سفير الروس و يرفض سفير الانكليز، و ليس لأحد أن يعارضه في أمره هذا، مع أنه كان لدزرائيلي أن يقيم الحجة عليهم قائلا إن رفض شير علي لسـفير الانكـليز و اقتباله لسفير الروس ـ و قد كان مصادقا لنا و معاهدا إيانا ـ دليل على اتفاقه مع الروسية، ومحالفته لها، فيجب علينا أن نتدارک هذا الامر قبل ظهور نتائجه الوخيمة كي لا نجلب بأيدينا مضرة على‌البلاد الهندية. و لما آل الأمر إليهم، و أخذوا زمام الحكم بأيديهم، ماحرروابلادا، و لا أعتقوا عباداً ولا أطلقوا رقابا، بل صاروا على الأمم‌أشد من‌الحزب المحافظ،و زادوا في‌التحريج والتضييق وأحكموا حلق العبودية، و شددوا ربق الرقبة، و ضيقوا المجال على النفوس التي تهوى الحرية و تميل اليها.

وها هو صراخ الأيرلنديين ينبئک عن سيرهم في ساحة سياستهم، و سلوكهم في مذهب إدارتهم.

---

١. المقصود هو حزب الأحرار الذي تزعمه في ذلک الوقت غلادستون.

٢. امير افغانستان.

و أعجب من كل هذا أن المصريين بأجمعهم، ولا أستثني منهم أحداً، أرادوا أن يضعوا في بلادهم أساس الحرية، بتشكيل مجلس النواب، تملصا من ربقة الاستبداد الذى يستجلب الوبال على المستبد و من استبد عليه كليهما، و خروجا من مضيق العبودية التي نشأت من الأيثار و الاستيثار بلا ملاحظة المنافع و المضار، و طلبا للانخراط في سلک الأمم المتمدنة، رجاء أن يحظوا من السعادة بما حظيت به الأمم، واتفق معهم خديوهم لمَّا أن رأى صدق نياتهم و إصابة رأيهم، و أن حكومته لاتقوى إلاّ باتفاق كلمة الأمة، وهو نتيجة المجلس الذي تسعى الأمة في تشكيله.

و لما رأى الحزب الحر في الحكومة الانكليزية ميل المصريين الى الحرية، و سيرهم اليها، و سعيهم في طلب اسبابها، ماوَنَوا أن جبهوهم بالرد، و عارضوهم بالعنف، ودافعوهم عن الوصول اليها، و أوجبوا الشقاق بين الراعي والراعية، علما منهم أن اتفاق كلمة المصريين لاصلاح بلادهم بالادارة الشوروية[1] يصد الحكومة الانكليزية عن نجاحها في مقاصدها المُشِطَّة، و يمنعها عن استملاک تلک الاقطار بمداخلتها الودادية، كما فعلت من قبل بالممالک الهندية. و ألقوا في روع الخديو، ودسيسة منهم، أن هذه المساعي ليست لتأسيس الحرية و نصب دعامة المدنية، و انما هي لتغيير الحكومة و استبدالها. و ساعدهم على ذلک بعض وزرائه الذى جلب إليه الجهلُ العُجْبَ بنفسه، و الاستبداد برأيه. و الخديو، لسلامة قلبه، ظن أن هؤلاء لايريدون إلا تشييد حكومته، و لايبتغون إلاّ تأسيس مباني إمارته بمقاومة المعارضين، و مصادمة المقاومين من أهل الوطن، فأصغى اليهم، و اعتمد بكلِّه عليهم، و جاهر أعوانه الذين كانوا يسعون في اصلاح البلاد، و نجاح العباد، وصون حكومته عن دخل الأجانب بالمقاطعة و المناوأة، فاضطر أعونه لمَّا أن رأوا حيدانه عنهم و ميله إلى الذين لا يريدون إلاّ خَتْل المملكة، واختلاسها من أيدي مالكيها، أن يقابلوه بما قابلهم به.

---

۱. الصواب هو الشورية من الشورى، و لكن صحف ذلک العهد كانت ترسم الكلمة على هذا النحو مع كثير غيرها.

و بعد أن خلبوا قلب الخديو بموارباتهم، لاحظوا ما للأمة الفرنساوية من الحقوق في تلك الأقطار، فعلموا أن نجاحهم في مقاصدهم لايكون إلاً باتفاقها معهم في الرأي دون العمل، فوجدوا منه مفتحا، بذل جهده في إمالة آراء الأمة اليهم، بلا تَرَوٍّ، في أن حالتها الحاضرة تمنعها من مشاركتهم في الأعمال.

ثم لمّا علم الحزب الحرُّ في الحكومة الانكليزية أن سهام موالستهم قد أصابت، جندوا الجنود، وألّبوا العساكر، و ساقوهم لفتح الديار المصرية، متظاهرين بأن الغرض تأييد الخديو في حكومته، و دَفْعُ المفسدين الذين يريدون خلعه، و كأنهم أرادوا بسيرهم هذا أن يجعلوا جزيرة قبرس في البلاد العثمانية بمنزلة كلكتا، و خلع اسماعيل باشا و نصب توفيق باشا كخلع سراج الدولة من البنجالة و نصب مير جعفر، فيفعلوا في هذا فعلهم في البلاد الهندية. و لاغرو في ذلك فإنه قد سبقهم الى مثله أسلافهم من قبل. و إنما العَجَب أن يصدر هذا الفعل من الذين رفعوا لواء الحرية، و نادوا بأعلى صوتهم بفك رقاب الأمم عن العبودية، كأنهم عن إنعزالهم ماكانوا يحامون عن حرية الأمم، إلاّ لأن يأخذوا زمام الحكومة بأيديهم، فجعلوا المحاماة عن الحق آلة للوصول إلى باطلهم، أو عموا عن معرفته بعدما استقروا على منصة الحكم، و استبدوا بالأمر، كما هو دَأْبُ كل من لم يخلص عقله عن شوب الهوى و اتباع العادات. بل يمكن أن يقال إن هؤلاء في حرصهم على استلاب حقوق الأمم مع دعوى حماية الحرية عجزوا أن يلبسوا باطلهم بلباس الحق، و أن يقيموا دليلا سفسطيا على مداخلتهم في القطر المصري، حتى وقعوا في المتناقضات و أتوا بالمتضادات. فإنهم رأوا وجوب الحرية على المصريين لطلبهم عرض ميزانية المراقبين على مجلس النواب، مستدلين بأن هذا إجحاف بحقوق المراقبين و نقض للعهود المبرمة بين الحكومة الخديوية و بين الحكومتين الفرنساوية و الانكليزية في أمر المراقبة. ثم إنهم حرصا على استملاك مصر رفعوا المراقبين بلااستشارة من الحكومة الفرنسوية ولاموافقة منها، و تشبثوا فيه بأمر الخديو، و طلب شريف باشا. و لاشك أنهما لم ينطقا إلاّ بمالقنوهما مما يؤسسون عليه أساس تملكهم.

متى كانت الحكومة الانكليزية تصغى الى الخديو و تأتمر بأوامر شريف باشا، حتى يظن أن رفع المراقبين كان مبنيا على مجرد الامتثال و الائتمار لاغير؟ فياله من برهان ما أدحضه، و من دليل ما أضعفه، و من عذر ما أنكره! ثم إنهم هم الذين هتكوا حقوق الأمم، و أوجبوا العطلة في تجارتها بإقامة الحرب في ترعة السويس. و الآن، إغفالاً للدول، و تسكيناً لجأشها، تراهم يشكون من وقوع الخلل في التجارة أيام الحرب لشَغْلهم الترعة بسفنهم الحربية، بأمر الخديو على حسب دعواهم، فكأنهم يشكون من أنفسهم، و يسخرون بأقوالهم هذه من عقول الأمم، و يتلاعبون بالخديو و رجاله لاستلاب ملكه.

و ليت أن صدرهذا الاجحاف بحقوق المصريين عموما، و حقوق الخديو خصوصا، من الحزب المحافظ، حتى لايقال أنه لايوجد في الانكليز حزب يحامي عن الحرية، و يدافع عن حقوق الأمم. و ما تظاهر بعض رجالها بهذا الاسم إلاّ رياءً، وسمعة أو مكيدة منهم، حتى ينتهزوا الفرصة، و يستلبوا البلاد على حين غرة من أهلها. ودع الآن دعوى محاماة هؤلاء المجازفين عن الحرية بالباطل، حتى نتكلم في النتائج التي ترتبت على مداخلة الانكليز في مصر، و ما يمكن أن يترتب عليها، فنقول إن مداخلة الحكومة الانكليزية في القطر المصري أوجبت نفور مسلمي الهند عنها قاطبة، سنيين كانوا أو شيعيين أو وهّابيين. و قد انتشر بينهم، وَقُرّ في أذهانهم إمّا من استنباط انفسهم أو بدسائس الدول التي لها مآرب في الهند، أن غرض الحكومة الانكليزية و بغيتها الحقيقية من الاستيلاء على مصر أن تجعل هذا الاستيلاء مَدْرَجَة لوضع اليد على الحجاز و إدخال مكة المكرمة في حوزتها. و إذا استتب لها الأمر في تلك البلاد التي هي محتد الديانة الاسلامية، و مغرس شريعة المسلمين، و ركن دينهم، فحينئذ تهتم في إزالة هذه الديانة عن وجه الأرض. و اعتقدوا بعد دخول العساكر الانكليزية في مصر أن هذه الحكومة في فتوحاتها لاتقنع بالضرائب والجبايات التي تقتنيها من الذين تستعبدهم كالحكومة الروسية،

بل تحرص على تبديل الديانات و تَكِدُّ في تغيير الشرائع فحصل لهم قلق و اضطراب شديد، كما هي عادة الشرقيين في الحرص على صيانة ديانتهم، و الخوف من وقوع الخلل فيها، و كل ينتظر نجاة، و يطلب خلاصاً، ويرى أن بقاء دينه مصوناً عن الفساد لايكون إلاَّ بيد أجنبية. و كنت عند استمرار الحرب في مصر، و أنا أسوح في الهند، لا أرى رجلا من مسلمي هذه البلاد إلاَّ قداستولى عليه الحزن و الأسف و أيقن أن غرض الانكليز وضع اليد على الأراضي الحجازية.

و لقد أحكم هذه العقيدة في نفوسهم ما كتبه أثناء الحرب صاحب جريدة «**أخبار عام**»[۱] بلاهور نقلا عن جريدة انكليزية طلب محررها أن تسعى في احالة الديار الاسلامية الى النصرانية، قائلا إن مسلمي الهند ما داموا على ديانتهم لايثقون بالحكومة الانكليزية، و يحسبونها حكومة أجنبية غير شرعية، لا يجب طاعتها و لا الاستسلام لها، فإذن يجب عليها أن تعطف نظرها الى هذه الديانة، وتسرع لرسوخ أساسها الى معالجة ما أوجب هذه العقيدة. و بالجملة فان الحكومة الانكليزية بمداخلتها في مصر قد ضيعت ما اكتسبته المدد الطويلة بحسن سياسة رجالها من ميل قلوب مسلمي الهند اليها وثقتهم بها، حتى لاترى أحدا منهم في هذه الأوقات إلاّ قد أصَرَّ أذنيه نحو مَرْو وهراة، و شخص بصره الى **عشق آباد** يظن أن ديانته لاتصان من الخلل و الفساد بالروسيين الذين بغيتهم مصادمة هذه الحكومة. ولايخفى على المتدربين في سياسة الشرق من الانكليز ما يمكن أن يترتب على هذه الخيالات الجائلة في مخيلة مسلمي الهند. و أظن أنهم مانسوا النتائج السيئة التي نشأت في سنة ۱۸۵۷ من هذه الأوهام الدينية. و هذه الظنون، على ما علمت، تمكنت من قلوب الأفغانيين و البلوجيين أيضا، ولا أدري أسَرَتْ اليهم من الهند أو فشت منهم فيها. والظاهر أن هذه الأقاويل قد انبعثت من سمرقند و عشق‌آباد، و طافت بالأفغانستان و البلوجستان، ثم ملأت أرجاء الهند، و تمكنت من قلوب

---

۱. إحدى صحف الهند في ذلک الوقت، كانت تصدر بمدينة لاهور.

أهلها. و إن أثرها إنما يظهر عندما يتخذ الروس بلدة مرومعسكراً لهم، و ليس هذا ببعيد. و عند ذلک فلا علاج. و أما مايُمَنّىٰ به الانكليز أنفسهم من قهر الجرمانيين الروسية (روسيا) باتفاق مع النمسة فتسلم الهند من مهاجمتها، فوا أضْغاثُ أحلام، لأن النمسة (النمسا) أحلم و أحزم من أن تصير سبباً لضعف دولة يستلزم ضعفها زوال نفسها كلية.

هذا مايمكن أن يكون من المضرة على الحكومة الانكليزية في آسيا. و أما في أوروبا فلا يرتاب أحد في أن أرض مصركانت بمنزلة حق مشاع بين جميع الافرنج، يرتعون فيها و يتنعمون بنعمها. فمداخلة الانكليز تغيظ الكل، لأنهم يعدونها اجحافا بحقوقهم، خصوصا الأمة الفرنسوية التي لها في مصر من الحقوق مالا يمكن أن تنساه.

و إن مصر باب للشرق، و لكل دولة من الدول الغربية مأرب فيها، فإذا وضعت الحكومة الانكليزية يدها على مصر، فقد اخذت بمَخْنَق الكل، وضيقت عليها في تجاراتها و فتوحاتها. فالدول مع ما بينها من المنافسات و الضغائن لايستبعد اتفاقها، صونا لمصالحها، على معارضة هذه الحكومة في مداخلتها في أرض مصر.

وبعد هذا و ذاک، إن النفوس في مصر ما قرَّت، و إن هيجان القلوب ما همد، و الفتنة ما أطفئت، و الخديو ما استظهر بالحكومة الانكليزية ـ لمَّا تمكن في باله من الوساوس التي ألقاها في روعه أهل الدسائس لنيل أغراضهم، إلاّ لأن يستقل بالأمر، و يصان منصبه من آفات يمكن أن تطرأ عليه من الحزب الوطني. و أما الآن، و قد انكشفت له حقيقة مظاهرة الانكليز، و ظهر لديه أن كل هذه الوساوس كانت دسائس منهم للمداخلة في القطر، و تملکه باسم المراقبة و المحافظة، فلاشک أنه لايرضى أن يصير هو السبب لمداخلة الأجانب في وطنه، و أن يجعله الانكليز آلة للتصرف في مصر فيفعل كما فعل شاه شجاع الأفغاني، لمَّا رأى أن الانكليز يريدون أن يتخذوه وسيلة لاستملاک الأفغانستان، فطلب عظماء الأفغانيين سرا،و قال لهم

إن الانكليز قد أنشبوا أظفارهم في بلادكم، ولست أنا إلاَّ آلة في أيـديهم فأنـقذوا بلادكم، و إن كان فيه هلاكي. و توفيق باشا ليس أضعف منه دينا، و لا أقل حمية، فمن الواجب أن يقتدي به. و حينئذ لا يعدم المصريون دولة تقوم بمساعدتهم، لأنه قد أزيحت اللبسة، و ارتفعت الشبهة، و ظهرت مقاصد الحكومة الانكليزية لدى كل الدول.



شباب الاسكندرية



شباب الإسكندرية

كثيراً ما كنت أجيل أفكارى، وأردد خواطر اعتبارى فى أحوال الشرقيين الذين هم آلى و بنو آبائى، و سعادتى بسعادتهم، و شقائى بشقائهم، و ما وصلوا إليه من رداءة الأحوال و غاية الانحطاط، و التردى فى مهاوى الشقاء، و انفتاح أفواه طمع الغربيين لالتقامهم، و التهام ما بأيديهم، و امتداد سلطتهم فى بلادهم، وكنت في حيرة أطلب الوسائل لخلاص أهالى تلك البلاد مما هم فيه و الارتفاع بهم من تلك الدركات إلى أعلى الدرجات، فكانت تعيينى الحيل، و تنقطع بين يدى الأسباب، و كان أسفى يزداد عندما أنظر ذاك المجد القديم الذى كانت تلك البلاد متوجة به، و تيجانها مكللة بفخره، وكان يأسى يغالب رجائى، و قنوطى يغالب أملى، و الأولان يغلبان، إلى أن اتفق لى السفر إلى مدينة الإسكندرية من بضعة أيام، فلما وردت إليها و جدت شبانها على غاية من الفضل و الكمال و كرم الأخلاق، و لطف السجايا، و شدة الشوق إلى المعالى. والتولى إلى نبيل المجد الحقيق، و فى أسمى درجات الشغف بإحياء الوطن، و إعلاء كلمة الأمة، ورفع لواء مجدها و فخرها مع ما هم فيه من الغنى و الثروة و توفر دواعى الترف و الانغماس فى النعيم و غير ذلك من الأسباب التى لو اجتمعت لشيخ عمر ألف سنة لاجتذبته إلى اعتناقها، و ألهته عن النزوع لسواها فضلا عن فتيان هم فى عنفوان شبابهم، فقد غضوا أبصارهم عن جميع ما

يملكون من القصور المشيدة، و الجواهر الثمينة و الأموال الوافرة،و ولوا وجوههم نحو اكتساب الشرف و بقاء الذكر الجميل، و تعالت هممهم عن أن تميل إلى اللذات الفانية، و الزخارف البالية، و أخص من بينهم شبان آل بيت منشة، و آل بيت الكونت زغيب، و آل بيت المخلع، و آل بيت قطة، و آل بيت سرسق، و هم من قد بلغوا من المجد ذراه، و من الفخار و الفضل قصاراه، و من حسن التربية أعلى درجاتها، و من الهمم العلية أقصى غاياتها، فعند ذلک استظهر رجائى على يأسى، وأملى على قنوطى، و ظننت بل أيقنت أن سيكون للأمة الشرقية شأن فى أقرب زمان، فليستبشر الوطن و بنوه بالظهور بعد الخمول و الصعود بعد الهبوط، و بالسعادة بعد الشقاء، بل بالبعثة بعد الفناء، و لا أشک أن الشرقيين بما ينالون من نتائج مساعيهم، و ما يجتنون من ثمرات جدهم و اجتهادهم، سيقيمون لهم تماثيل عل أطلال مدينة منفيس بمصر و ربوات صور و تدمر، و على هضاب نينوى و بابل تخليداً لأسمائهم، و تذكاراً لآثارهم و مجد آبائهم و أسلافهم.

ورجاؤنا أن يقتدى سائر الشباب الشرقين بهؤلاء العظماء الفضلاء و أن يتخذوهم قدوة لأنفسهم كى يفوزوا مع الفائزين.

* * *

تعليق:

نشرت جريدة «مرآة الشرق» فى العدد رقم (٢٧) مايأتى:

إن ضيق المقام فى العدد الماضي من المرآة فوّت عليها أمراً عظيما و هو أن تشفع نبذة أستاذنا و مولانا الأجل «السيد جمال الدين» فيما شاهده من شبان الإسكندرية من علو الهمة بما يناسب المقام من الثناء على أولئک الشبان خصوصاً من خص بالذكر منهم، فإنهم أولى بثناء الجرائد الأهلية، بل أخلق بأن تشكرهم الإنسانية و بنوها على تلک الهمة التى صرفوها فى تحسين أحوال و طنهم، و تخليص بنيه من

ورطة الانحطاط شأن الأعاظم الذين علموا معنى الوطن و ما هى محبته، فقاموا بما وجب عليهم له، و لقد كان فى نشر ما شاهده أستاذنا منهم باعثاً بعث فى أبناء المحروسة من الغيرة التى هى أساس الأعمال ما حملهم على أن يجاروهم، و يحذوا حذوهم... جزا اللّه أولئك الشبان عن الإنسانية أحسن الجزاء، فإنهم و فوا بحث رعايته، و قاموا بغرض خدمتها، فنثنى عليهم ثناء، كما أثنت عليهم هممهم العالية.





المخاطبة بين الانسان والهرّة



المخاطبة بين الانسان و الهرّة

إنَّ هرة خطفة حمامة لانسان و أكلتها. فغضب الانسان غضبا شديدا، فأخذ عصاوهجم عليها، و ضربها ضرباً أليماً و قال:

الانسان: يا أيها الحيوان الخسيس الدنى الخائن.

الهرة: يا أيها الانسان، هل يليق بک أن تذكرني و تنادينى بهذه الأوصاف القبيحة، إلاّ أن تكون متصفاً بضدّها. فانه لايذم شخص غيره بشيءإلا اذا كان طاهرا منه، و تاركا له تماما و متصفا. و أين أمانتک و شرفک؟ و أي آثار ترتبت عليک حتى لاتكون شريفا غير خسيس ولادنيء؟

الانسان: العجب من وقاحتک. ألا تنظرين إلى عِظَمِ الانسان كيف بإنارته قد عَمَّر الدنيا، و تسلط عليها، و أدخل جميع الحيوانات تحت رق عبوديته؟

الهرة: يا أيها الانسان. إنک لم تبين ما هو الشرف، و إنما افتخرت، و تمدَّحت بحرصک و طمعک و ظلمک و عددک، و أنا سألتک عن الفضائل الحقيقية والصفات الجميلة.

الانسان: أيتها الهرة، أفلا تنظرين الى الانسان كيف اخترع العلوم و دوَّنها، والصنائع و أتقنها. و إنَّ في تفصيل ذلک من الأمور الدقائق ما يعجز الحيوان عن الاتيان بأصغر منه. أوليس هذا من قوة إدراكه و علو شأنه على جميع الحيوانات؟

الهرة: إعلم أيها الانسان أن مهندس الكون العظيم و منظمه قد خلق الهرَّة و الحيوانات غنية عن الانسان و غير مفتقرة، بأن وضع فيها جميع ما تحتاج إليه في تحصيل سعادتها مدة حياتها. و ألهمها من الادراك ما تميز به ضارها و نفعها، و من الجلود ماتتقي به الحر و البرد، و من الآلات البدنية كالنياب و المخالب ما تدفع به عدوها و نحو ذلک. و أما أنت فخلقت محتاجا «فقيرا» من جميع الوجوه، فاحتجت إلى الاستعانة بالعلوم و الصنائع على تحصيل الراحة في حياتک مثل أدنى حيوان. ومع ذلک لم تصل بعد إلى الراحة المطلوبة.

الانسان: أفلا تنظرين إلى الانسان كيف وضع القوانين والنظامات، و أقام المحافظين على الحقوق لتحصيل الأمن عليها، و تنفيذ أحكام القانون، حتى يتم بذلک اطمئنان كل أحدٍ على جميع نفسه و حقوقه. فهل يوجد في طائفة الحيوانات مثل هذه النظامات؟

الهرة: أيها الانسان، ان بيانک هذا قد دلَّني على أنكم أشرار قد جُبلتم على الخيانة والظلم والغدر والعدوان والشقاق والنفاق و جميع الشرور. من أجل هذا احتجتم الى وضع الحدود والقوانين والقيام بتنفيذها لدفع شر بعضكم عن بعض، حتى يكون لكم نوع ما من الاصلاح. و مع ذلک أين الاصلاح؟ أَجِبْني؟

الانسان: أيهاالحيوان. أنظر الى حكمة الانسان. كيف أحكم الارتباط بين أفراده، حيث جعل الملوک العظام والوزراء والولاة المدبرين والرؤساء المتصرفين حتى يكون كل واحد منهم بمنزلة عقدة سلسلة لاجتماع الانسانية، حتى ينال السعادة بالتعاون. و يكون النوع كجسد واحد يشد بعضه بعضا بخلاف بقية الحيوانات فإنهم فُرُطُ لا رابط لهم.

الهرة: أيها الانسان المشاغب المغالط السوفسطائي. إن بيانک قد أفاد أنكم أخسَّاء أدنياء، طبعتم على حب العبودية والرق. فإن الحُرَّ يستنكف أن يكون خاضعا لشخص واحد. و أنتم قد اجتهدتم لأن تصيروا عبيدالعبيد. و مع ذلک، إن كباركم

هؤلاء قد تسلطوا على نفوسكم و أرواحكم يبيعونها إلى الحروب والمقاتلات، تقاسي من الاتعاب والمشقات ما لايوصف حتى تموت في حضيض شقائها. كل ذلك في تحصيل شهوة سلطان أو فخر كبير. و تسلطوا على أموالكم التي تتحملون فيها المصاعب حتى تحصلوها، فيأخذونها منكم قهراً عنكم ليصرفوها في قضاء شهوتهم و تحصيل أغراضهم، فإن أبى أحدكم أو عجز لايجد رَقَّة ولا رحمة. ولكن يعامل بأشد العذاب والعقاب، حتى إنهم يجردونكم من جميع ثمرات أتعابكم. فإن أبقوا لكم نعمة فما ذاك إلا لتأكلوا و تسمنوا لتصيروا أقوياء، حتى يستعملوكم في خدمتهم و يتسلطوا على أعراضكم... فيهتكون حرمتها إن شاءوا. أفبهذا تفتخر؟ بئس الافتخار!

الانسان: أيتها الهرة، أفما سمعت أن مدبِّر الكون قد شَرَّف الانسان بالأنبياء والرسل الكرام العظماء الذين هم فخر الوجود بأسره؟ أيليق الجدال بعد ذلك في شرفه على جميع الأنواع؟

الهرة: آمنت و صدقت بشرفه و عُلَوِّ مقامه. ولكن يا أيها الأشقياء، أين إيمانكم بهؤلاء العظماء؟ و أين إتِّباعُكُم لشرائعهم و اقتداؤكم بهم في مزاياهم و فضائلهم؟ إنهم بعد ما جاءوكم لم تزدادوا إلا طغيانا و فسقا و عدوانا. و قد نبذتم ما أتَوْا به من الحق وراء ظهوركم، ولم تشكروا نعمة الله عليكم ببعثة هؤلاء العظماء المقدسين فيكم لكي يرشدوكم الى طرق خيركم. مع هذا إنك تعلم أن صحيح المزاج لايحتاج إلى الطبيب. فاحتياجكم الى المرشد هو دليل على تمكن المرض من نفوسكم. فكأنكم فُطِرْتُم على المرض، إلاّ أنكم لاتحسون بألمه. فكيف العلاج؟ فمالك لا تقيم دليلا إلا و يكون مفضحا لك؟

الانسان: أيتها المتمشدقة الخسيسة، إنك بهذه الشَقشقة قد أخرجتني عن الموضوع. أنتِ لِمَ خطفت حمامتي، و بأي وجه خنتيني في مالي؟

الهرة: أيها الانسان المُعْجب المتكبر الجهول. أقول لك أولا إنه لايليق بك، ولا

بنوعک، أن تنسبني الى الخيانة، مع أن مدبِّر الكون قد أباح لي أن آخذ من العالم ما يسد رمقي، و يدفع حاجتي بأي طريق كان. أمَّا أنتم فكل واحد منكم ينتهز الفرصة لأخذ ما بيدالآخر. وكلٌّ قوي مَنكم يسلب أموال الضعيف. و ينفقها في القصور المشيدة والألبسة الفاخرة والأطعمة الشهية، و ما يشبه ذلک من اللذات التي لا حاجة به إليها، و إنمَّا يحصِّلها بَطَراً وازدراء. و اَنَّ أحدكم لايكتفي بقرينته التي اختص بها. بل يطلب امرأة جاره و صديقه، و يخونه فيها. و قد اتخذتم الكذب والنفاق آلة لتحصيل مآربكم، حتى إنَّ الوالد يخون ولده والولد يخون أباه، والأخ يخون أخاه. و تظهرون المحبة والصفاء، و تعلنون الوفاء والأمانة، و تضمرون الغدر والخيانة، تحلفون و تحنثون، و تعاهدون و تنقضون، و تعدون و تخلفون، لايرى أحدكم راحة من أخيه لمحة. بل على توالي اللحظات يحذر سوء أخوانه، و يتوقع منهم الشر. و ثانيا قد نُسِبْتُ الى الخسة والدناءة، مع أنني و من يشاركني في نوعي جُبِلْنا على عزة النفس والشرف و ارتفاع الهمَّة. لايرضى أحدنا أن يدخلَ تحت الرقِّ، و أن يحني الظهر الى العبودية. ألا ترى أن أضعفنا لو هجمت عليه الألوف بالسيوف، وراموا إذلاله و خذله، و حصروه، و سدوا عليه طرق الفرار، و تقطعت أسباب خلاصه، ولم يبق له الاَّ سبيل الموت فإنه يجمع قوته، و يصول صولة الأسود والنمور. و مع صغر جسمه و ضعف قوته يهجم على عدوه فيضرب هذا و يعض ذاک، إلى أن يموت بعزَّة و شرف، و يختار الموت الشريف على الحياة الدنية. و أما أنت أيها الانسان، و من يشارکک في نوعک، فقد طبعتم على الذل و على الانكسار، و جُبِلْتُم على الحقارة والهوان. فإني أرى أن رجلاً واحداً منكم يظلم صالحكم، و عالمكم، و جاهلكم، و غنيكم، و فقيركم، و ضعيفكم، و جبانكم، و شريفكم، و وضيعكم، و ذليلكم، و غبيكم، و زارعكم، و صانعكم، و تجاركم، و عمالكم، و أرباب سيفكم، و أصحاب قلمكم، و يستصغرهم، و يستحقرهم، و يضيع حقوقهم، و يهتک أعراضهم، و يسلب أموالهم، و يتصرف في أرواحهم و أبدانهم، و

يستخدمهم شهورا و أعواما، و لا يعطيهم مالاً يحفظون به حياتهم من القوت الضروري واللباس الكافي، و ما يتعلق بذلک. بل تراهم في أدنى الضروريات، مع أن الانسان اذا كان عنده ثور أو «حمار» يقضي عليه عمله، لايجد مفراً من أن يطعمه و يسقيه و يأتي اليه بجميع لوازمه. و أنتم عند ذاک الرجل أدنى و أحقر من الحيوانات، لاينظر اليكم نظرة راضٍ، ولايكافىء أعمالكم الشاقة و أتعابكم الدائمة بشيء، حتى إنه لا يراضيكم بكلمة معروف ولا حمد ولا شكر. ولا يلاقيكم بالترحاب والبشاشة، ولا يقطب جروح آمالكم بإظهار الممنونية.

و مع ذلک لا تزدادون الا خضوعاً له و طاعة لأمره، و وقوفاً بين يدي إرادته. أفلا تنظر يا أيها الانسان الغشوم الى الأماكن التي خصصت لمنفاكم، سيبيريا أرض الزمهرير كيف جعلها محلا لنفي أبريائكم الذين لاجناية لهم؟ أولا تنظر الى الالوف منكم و قد سيقت لجزرة الرجال بآسيا و أوروبا و ماتت بالظمأ. أولا تنظر ما فعله الصينيون بصلحائكم و أتقيائكم بأرض كاشغره؟ فيم إذاً نفعتكم علومكم أيها العلماء، و أفادتكم آدابكم أيها الأدباء؟ و ماذا صنعتم بتدبيركم و تفكيركم أيها الحكماء؟ و ما الذي عاد عليكم من قوتكم و شجاعتكم أيها الأقوياء؟ و أي شيء دفعته عنكم سيوفكم و خيولكم أيها الفرسان والمدربون على الحروب والمتعودون على غوائلها، الذين قد أعددتم أنفسكم لمصارعة الموت و تهيأتم لمعاناته، فتعسا لكم من نوع خسيس دنىء ذليل رذيل!

إن حياته عناء، و سعادته شقاء، و حريته عبودية، و عزته ذلة، و رفعته حطة، وعلوه خسة و دناءة، و شجاعته جبن، و جرأته خوف، و فخاره مسكنة (فخرس الانسان الكاتب).

و لما رأيت حجةالهرة رميت القلم و كسرته، و طرحت المحبرة، و قطعت العهد منها، و قلت مادام الانسان بهذه الحالة الردية، فهو أردأ وأسوأ حالا من جميع الحيوانات.



١٤

منافع الوفاق
و
مضار الشقاق



منافع الوفاق و مضار الشقاق

إن للأمم صعودا و نزولاً. و إنها في ارتفاعها و انخفاضها تتناوبها السعادة والشقاوة، و تعتورها العزة والمسكنة. ما يطمح بصرها إلى ذرى المجد الاَّ وترى نفسها في حضيض المذلة، و ما تشيم سيوف القهر إلاَّ و تجندل بها، و ما تمديدها لفتح الممالک إلا وتنهب دورها، و تغصب بلادها، و تستعبد رجالها. إن الفارس (فارس) الأولى تقلص ظلها بعد بسطة الملک بفتوحات اسكندر اليوناني، وانقرضت السلطنة اليونانية الفسيحة بأيدي الرومانيين، و أباد العرب المملكة الساسانية الراسخة، وجدَعوا أنف الروم. واستولى محمود الغزنوي على البلاد الهندية الواسعة بهجماته المتتالية، و جعل كلمة الاسلام عالية بقهر الوثنيين، و إزالة دولة برهما، وجَتَّ هلاكوخان شجرة الخلافة العربية التي وشجت عروقها، و امتدت فروعها شرقا و غربا. و فتح العثمانيون مدينة قسطنطنية، و أخنوا على الروم واليونان، و دوخوا بلادهم. وقام بعد هؤلاء أقوام تفتح البلاد، و تقهر العباد. ولقد كانت أسماؤها مطوية في طومار الدهر من قبل. أليس لهذه التبديلاتَ من عِلَلْ؟ أفلا توجد لهذه الحوادث مقتضيات؟ أفلا تكون لمقتضياتها معدات؟ بلى. إن الحوادث في عدمها تفتقر الى علل افتقارها اليها في وجودها، و إن عللها مسببة عن مقتضياتٍ تعدها للوجود، و تجعلها أن تستتبع معلولاتها.

و ليست أسباب هبوط الأمم، و عروجها، طلوع نجم، و أفول كوكب كما ذهب اليه البعض. وليس جَزْرُ قوتها. ومد سلطتها مسببين عن الأسباب الطبيعية، لأننا نرى أمما كثيرة شبت بعدما شابت، و بعثت بعدما ماتت، و صارت عظاما نخرة. والأسباب الطبيعية لاتحيد عن سننها ولا تقف عن سيرها، ولا تعتريها التبديلات، ولا يصدها عن مسالكها اختلاف الحركات. هاهي الأمة الايطاليانية أمامک فأنظر إليها يظهر لک صدق مقالي. ولا تغض النظر عن أسبانيا متدبرا فيما كانت عليه، معتبرا فيما آلت اليه. و إن الأمم، ما صعدت إلاّ بنفسها، و ما هبطت إلاّ من نفسها، وفيها سعادتها و منها شقاوتها. و إنها هي السبب الموجب لضعف قوتها، و رفع سلطتها و خراب بلادها. و إنها هي التي تجعل نفسها بنفسها عبيدا أذلاء للأجانب، يحكمون فيها كيفما شاءوا، و يستعملونها في منافعهم بما أرادوا. إن الانسان بجبلته لا يسعى إلاّ إلى سعادته، ولا يدأب إلا لجلب الخير الى نفسه، و دفع الشر عنها، حيث أنه المتصرف في عالمه، و بيده سعادته و شقاوته، فما الذي يهوى به الى مهواة الشقاء و يقوده الى الهلاک؟ و ما الذي يعوقه عن النجاة، و يمنعه من الخروج من الورطات، ولو نسبنا شقاوة انسان الى القوة القاسرة، و عزونا حرمانه الى المزاحمات التي قلما يخلو عنها الانسان في سيره في مسالک سعادته، فما الذي يمكننا أن نقيمه دليلا على انحطاط أمة قاومت الدول القديمة و غالبت الأمم العظيمة، وفتحت البلاد، و قهرت العباد؟ و ما السبب الذي يوجب ترعرع أمة، و هي لقلة العَدَد فاقدة العِدَد، و يجعل لها يدا عالية و قوة قاهرة،؟ هنا يلزم السَّبْرُ والدوران.

إن الأمة العربية (في) صدر الاسلام ماكان عددها يزيد عن المليونين. و إنها مع الفقر المدقع وقتئذ، وخلوها عن العلوم والصنائع قد أرغمت الأكاسرة و دمغت القياصرة. و الآن بلغ عددها ۳۰ مليونا و هي قاصرة عن إدارة نفسها عاجزة عن صيانة بلادها.

إن العثمانيين، مع قلة العدد، قد أرعدوا الدول الغربية، و أذلوا الجبابرة. و تراهم من نصف قرن، مع سعة بلادهم، و كثرة رجالهم، يسترحمون ملوك الافرنج، ويحتمون بهم، و يزعمون أن لاحياة لهم على البسيطة إلا بهم.

و إذا رجع البصير الى نور بصيرته، أفما يحكم بأن هاتين الأمتين قد فقدتا الآن أمراكان هو السبب لعلو شأنهما و بسطة سلطتهما و رفيع منزلتهما؟ فيجب علينا أن نسبر حركاتهما الفكرية و أخلاقهما النفسانية، حتى نقدر أن نجد الأسباب الحقيقية التي أوجب وجودها جلب علو كلمتهما و انعدامها أوجب انحطاطهما، فنقول:

لايمكن أن تنال أمة من الأمم سعادة ما إلاّ بالتئام آحادها التئام أعضاء الجسد بعضها ببعض. ولا يحصل لها علو الكلمة، و بسطة الملك إلا أن تصير مسالك حركات أفرادها كأنصاف الدائرة منتهية إلى نقطة سعادة الكل، غير خارجة عن محيط الجنسية، و أن يلاحظ كل منها منفعة الكل أولا و بالذات، و ينظر الى منفعة نفسه ثانيا و بالعرض، حتى يكون خير الكل كينبوع تتشعَّب منه جداول خيرات الآحاد. و حينئذ يجذب كُلٌّ الآخر عند دفعه إياه، و يقبل عليه عند إعراضه عنه، فيرتفع الشقاق و يزول النفاق و تعتدل الاخلاق، لأن كلا يعلم إذ ذاك أن الآخر لايسعى إلا له ولا يدأب إلا في إيصال المنفعة اليه. وليس له أن ينال الخير إلا به، فهو بمنزلة نفسه، و منه سعادته، و به يذود الشر، فيحبه محبة ذاته و يعامله معاملة نفسه. وإذا بلغ كُلٌّ مع الآخر إلى هذه المنزلة من الالتئام، فلا يمكن أن يتحقق في الأمة فساد الأخلاق، لأن منشأ الأخلاق الرذيلة المزاحمة في المنَافع، والمنازعة فيها. فمن ذا الذي يوالس الساعي في خيراته، و من يغش الباعث على سعادته، و من يخون قوام حياته؟ و لهذا تلتئم الأفكار، و تتحد الآراء، و تأتلف الأهواء، و تترادف الأيدي، و تتناصر السيوف، و تجتمع القوى، فتصير الأمة التي حازت هذه الدرجة من

الوحدة مقومة في نفسها، متمكنة من صيانة حوزتها، قديرة على قهر الأمم التي تغالبها، كما وقع للعثمانيين و للأمة العربية من قبل.

و كَوْنُ كل من أحاد هذه الأمة المتلبسة بالوحدة ناظراً الى ما يجلب الخير والسعادة الى الكل، يبعث كلا على الأفعال الشريفة التي يستفيد من نتائجها مجموع الأمة فتكثر بينها الصنائع النافعة، و تنتشر العلوم الحقيقية والمعارف الصادقة، وترتقي بها إلى ذروة المدنية، و أوج المجد، متمتعة بثروتها، متنعمة بثمار مساعيها، يحف بها الأمن و تكتنفها الرفاهية، و هي تسود ولا تساد، ولا تضرب دون نفاذ مقاصدها الأسداد، كالأمة العربية في الأزمان السابقة.

و لما ظهر أن علة صعود الأمم هي اتفاق الكلمة والاتحاد التام بين أفرادها، عُلِم أن سبب النزول (هو) التَفرُّقُ و عدم الاتحاد، و عن تفرق الكلمة ينظر كل إلى نفسه، و يسعى لمنفعة شخصه، فتختلف جهات حركات الآحاد، و تتغاير مسالك المنافع فيكثر النفاق، و يزيد الشقاق، و يروج سوق الخيانة والكذب والافتراء، و تتمكن العداوة و البغضاء، و تتشتت الآراء، و تتنافر القلوب، و تتفلق الآحاد، و يستولى الكسل، و تغلب الجبانة و تحصل الوحشة فتضعف الهمم و تقنط النفوس. و حينئذ تندثر العلوم، و تندرس المعارف، و تنطمس مسالك النجاة، و تخفى محجة الحق، فتهبط الأمة عن ذروتها و تتناثر طبقاتها، و تتلاشى أعضاؤها، و تنحل عقدتها، فلا يمكنها أن تسوس نفسها، ولا تقدر أن تذود عن حوزتها. فتصبح مملوكة، بعد ما كانت مالكة، تخضع لكل قاهر، و تنقاد لكل أمر.

ولقد أوجب هذا التفرق انقسام السلطنة العربية أولا و اضمحلالها ثانيا. و قد كانت ممتدة الى جبال بريني[1] و شعاب هيمالايا. والسلطنة التيمورية العظيمة في الهند ما زالت إلاَّ بهذا السبب بعينه. و إن ضعف العثمانيين في هذه الأيام ما نشأ إلا عن

---

١. جبال بريني: جبال البرانس في شمال اسبانيا و جنوب فرنسا.

تزعزع أركان الاتفاق الحقيق بينهم. نعم، إن الله لايغير ما بقوم حتى يـغيروا مـا بأنفسهم.

و نحن نكتب فيما بعد مقالة نبين فيها الأسباب التي يمكـن بهـا إيجـاد الاتـفاق وإعادته بعد زواله و نشرع الباعث على حصول الخلل منه والموجب لاضمحلاله. لعل الله يهدي بها من يشاء من عباده.



١٥

الانجليز في الهند و مصر



الانجليز في الهند و مصر

إن من تتبع حركات الانكليز في السنين الأخيرة رأى أنهم يهتمون مزيد الاهتمام بالاستيلاء على جميع الطرق المؤدية الى البلاد الهندية. فقد حاولوا منذ مدة أن يضبطوا مضايق أفغانستان و بلوجستان. و هم الآن يريدون البقاء في مصر والتسلط عليها.

و سبب إتباعهم هذه السياسة حرصهم على ممالكهم الهندية، و خوفهم أن تنتزع من أيديهم في زمن ربما كان قريبا. و ماوقع في روعهم من هذا الخوف بعثهم على نهج مسلك يصادمون فيه أمما أخر، والتمسک بمقاصد و مطامع تذهل رجال السياسة و تهيج الغيرة في صدور الدول.

و ان الانكليز يعلمون لامحالة أن سكان الهند على اختلاف أجناسهم، و تباين مذاهبهم، و تفاوت مراتبهم، يكرهون ظلمهم كرها شديدا، و إن صوت مدفع قريب في إحدى جهات سواحلهم، أو في بعض أنحاء تخومهم يكفي لاثارة حرب عمومية تمتد نارها من سيلان الى أحصنة هملايا.

و إنهم لايجهلون ضعف سلطتهم و وهن قوتهم، وقد تحققوا عدوان رعيتهم الهندية، و تأكدوا من عدم كفاءة عساكرهم في أوقات الحاجة، و لذلک صاروا يريدون إفراد الهند، و عزلها عن سائر العالم، بأن يضربوا حولها شبه سور من الموانع

التي يلقونها في سبيل السياح من أي أمة كانوا، مخافة أن يكشف الأجانب سر ضعفهم المحجوب بستار قوة ظاهرية. و مع أن جهدهم مبذول في حفظ ملكهم المترجرج، لم يتخذوا من الوسائل السديدة ما يقوي شوكتهم، ويوطد دولتهم، اذ ليس من عادتهم أن يوالوا الأمم و يستميلوا الشعوب، بل دأبهم غيظها والاساءة اليها، والاعتداء على حقوقها والاستخفاف بمصالحها. ألا ترى أنهم ملكوا الهند منذ مائة سنة ونيف، و أن الهنود صاروا من ثَمَّ عبيدا محرومين من حقوق الانسانية، لاينالون مرتبة حربية ولا منصبا سياسيا. وقد فقدوا حرية الضمير، و هي أشرف الحريات و أقدسها. و كان الواجب على الانكليز أن يخففوا الضرائب، و يقللوا المكوس، كي يبق للأهالي بعد أداء الرسوم شيء من ثمرة أتعابهم ينفقونه في حاجاتهم و تحسين أقواتهم اليومية، فما التفتوا الى ذلك، بل عطلوا تجارة الهند و شلوا صناعتها، بما يقذفون اليها من مصنوعاتهم الأوربية، و قطعوا الاتصاليات بينها و بين جيرانها الأفغان، بحرب جائرة شهروها عليهم بغيا و عدوانا، فكسبوا منها وبالاً و خسرانا.

وقد نشأ عن هذه الحرب التي ركب فيها المعتدون متن الشطط والغواية أن الأفغان صاروا أعداء ألداء للانكليز، و حالفوا الدولة الروسية على التناصر و التآزر حين تجيء الساعة.

و إذ حبط سعيهم في أفغانستان، و أخذهم الحسد الشديد من حلول الفرنسيين في تونس، و شعروا بتفاقم كره الهنديين لهم و ميلهم الى اعانة أي دولة تريد مغالبتهم على أجمل أملاكهم الأسيوية، وقع في قلوبهم خوف شديد أعمى بصائرهم عن الهدى فارتكبوا غلطا جديدا ترتبت عليه نتيجتان لابد أن تضراهم في الاستقبال.

و أما الغلط فهو تداخلهم في مصر بالمكر والاحتيال وهما سلاحهم القوي في جميع الأحوال، و اضمارهم مد سلطتهم الى عبر البحر الأحمر وانشاب أظافرهم في ولايتي اليمن و الحجاز.

والنتيجة الأولى التي جرَّها تدخلهم في مصر أنهم غاظوا كثيرا من الأمم الأوربية، ولا سيا فرنسا. فإن لها في وادي النيل مصالح لاريب في أهميتها، ولا خلاف في سابقيتها. ولو تبصروا لعلموا، مع ماهم عليه من الاغترار بقوتهم، أنَّ صداقة الأمة الفرنسوية ضرورية لهم في ما عسى أن يطرأ على الشرق من الحوادث الجسيمة، والانقلابات الفعلية، حال كون فرنسا تستغني عن ودادهم ولا تفتقر الى ولائهم، فلا جرم أن الاساءة اليها غلطة من أعظم الغلطات التي وقع بها كبير وزرائهم.

والنتيجة الثانية التي تضر بانكلترا أيضا هي أن تداخلها الشنيع في مصر أوجب مزيد الغضب للمسلمين عموما، ولمسلمي الهند خصوصا. ولا يخفى أن مسلمي الهند يحترمون سلطان العثمانيين، و يغارون على ممالكه، و يدعون له في جوامعهم. فلما دخل الانكليز البلاد المصرية حدثت ثورة خفيفة في ميريت فأخمدوها بما أشاعوا من أنهم لم يتصدوا لقتال عرابي إلاَّ لعصيانه، ولا دخلوا مصر إلاَّ طاعة لأوامر السلطان.

ولولا هذا الخداع لانتشرت الثورة في جميع الهند الاسلامية غير أن الرجوع إلى مثله في الاستقبال يكون خاليا من الفائدة، عاريا عن النفع، خصوصا إذا تأكد الترک أن انكلترا تريد استملاک مصر، و هي أهم أملاكهم الافريقية، بقصد أن تستولى فيما بعد على الحجاز واليمن. و ذلک لأن حصول مثل هذا اليقين في أذهان العثمانيين، مع اعتقادهم ميل مسلمي الهند إليهم يبعثهم على تأييد سياسة الدولة العظيمة الطامحة الى الأقطار الهندية، و إن لم يكن لهم فيه منفعة حقيقية، لأن قلوبهم تتشق من غيظها بكبح أمة تحاول تقسيم بلادهم. و محافل السياسة في انكلترا تعلم أن التمادي في الاعتداء على حقوق السلطان يسوقه الى مظاهرة خصومهم في الهند. و حسبه في ذلک أن يغري علماء مكة المكرمة بالحَثِّ على مناوأتهم والخروج عن طاعتهم، أو أن يبث الى الهنديين رسلا يدعونهم الى نبذ نيرهم والتخلص من ربقهم.

ولو صرفنا النظر عما عسى أن ينهج الترک في الاستقبال من المسالک السياسية، لوجدنا مجرد حلول الانكليز في مصر، مع ما أضمروا من بسط سلطتهم على الحجاز واليمن، مهد الاسلام و حصنه الحَصين، سببا كافيا لحمل المسلمين في الهند على إعانة كل دولة قصدت بلادهم محاربة الانكليز.

و من الخطأ المبين أن يتكل الانكليز على مساعدة الطوائف غير الاسلامية، لأن مظالمهم شملت سكان الهند جميعا. فإذا جاء يوم المحاسبة، وحان وقت المطالبة، يشترک الكل في العمل اشتراكهم في الذل المضروب عليهم، و يتفقون على فک سلاسل أسْرهم اتفاقهم على بغض ظلمهم. و شواهد ذلک كثيرة أجتزىء منها بأن ناناَ صاحب[1]، و هو من غيرالمسلمين، جاهر الانكليز سنة ۱۸۵۷، بعداوة شديدة أشد من العداوة التي لقوها من فيروز شاه و بكم صاحب.[2]

و ربما شک قوم في ائتلاف الطوائف الهندية، و ميلها الى التعاون والتضافر لجهلهم سير الانكليز في حكم الهند و معاملة أهلها و سلب ثروتها. و لذلک سأكتب مقالات يزول بها الريب، و يحصل اليقين.

---

۱. أحد أمراء الهند و قواد ثورتها على الانكليز سنة ۱۸۵۷.

۲. من زعماء حركة العصيان الهندي ضد الانكليز.

١٦

المسألة الهندية



المسألة الهندية

اكسبني الاطلاع على جريدتكم، علماً برغبتكم في البحث عن دقائق السياسة في البلاد الشرقية و إقدامكم على نشر ماتقفون عليه منها، خدمة لأوطانكم و تأييداً لاعتدال سيركم و هذا ما بعثني أن أكتب اليكم بعض ما وصل إليّ في مسألة من أهم المسائل المنظور فيها لهذا الوقت و هي المسألة الهندية، و ربما ترون من المفيد نشر ما أقدم لكم من ذلك.

كأني بالحال في بلاد الهند و قد اشبهت الحال في كثير من البلاد الشرقية عندما تضطرب راسياتها، و تهتز ثوابتها، وتتنفس صوامتها، اعداداً لزلزال يوجب الانقلاب فيها، غير أن المألوف في تلك الاحوال أن تكون متالف الانقلاب و مضاره مهلكة للشرقي لتساهله و سوء تصرفه، و فوائده و ثمراته غنيمة للأوربي لحزمه و تجويد الرأي فيما يفعله. و المنتظر في الهند على خلاف المألوف فقد تسقط بتبدل الاحوال فيه دولة من أعظم الدول الاوربية. و أحذقها في السياسة الخارجية، و تنهض دولة أو دول شرقية تعضدها دولة أوربية، هذا ما تفترق به هذه المسألة عن سائر المسائل.

لايفوتكم العلم بأن البلاد الهندية على سعتها تسكنها طوائف مختلفة تتباين في العقائد و الاخلاق حتى يخيل للناظر في أطوارها أنها اجناس متباينة، غير أن هذا

الاختلاف قلما كان يظهر أثره في الروابط السياسية اذا تـولت طـائفة مـنهم أمـر الحكومة في باقيها مادامت خصائص الطوائف محفوظة. و لمادالت الدولة للانكليز فيهم سكنوا اليها زمناً ثم نبذتها طباعهم فهموا بالتملص منها فلم يمنعهم الاختلاف الفكري والديني من الاجتماع تحت لواء الجنسية العامة و حملوا بغارة واحدة على الانكليز في سنة ١٨٥٧ غير أنهم لم يوفقوا للنجاح فيما هموا به، بل ظفرت بهم الدولة الحاكمة.

و من ذلک الوقت أخذت الدولة الانكليزية حذرها فرفعت بناء سياستها على أساسين الأول توليد الشقاق بين الطوائف و إيغار صدور كل طائفة من الاخرى وآلتها في ذلک أصل الخلاف الموجود بينهم و أدركت بعض النجاح في سعيها هذا وظهر بعض أثره في بلاد البنجالة بين الوثنيين و بين المسلمين، و في أواسط الهند بين الطوائف الوثنية بعضها مع بعض. و الاساس الثاني سد نوافذ الاخبار عن الهنديين قاطبة حتى لايقفوا على المشاكل السياسية و الورطات الحربية التي تقع فيها انكلترا، و لا تكون بينهم و بين الأوربيين صلة سياسية يلجأون اليها اذا هموا بمثل عملهم السابق، و لايطرق آذانهم صيحة من صيحات الحوادث التي تنبههم لطلب حـال خير مماهم فيه. قطعتهم عن العالم فهم بمعزل عن معرفة شيء من أحواله ليستمر بهم الاذعان بأن لاقوة إلا بانكلترا، و لا ملجأ منها إلا اليها، و لا حيلة في الادبار عنها إلا الاقبال عليها، و لا شفيع من جورها إلا جبروتها الأعلى. و هذه أحكم سياسة يقوم بها سلطان الغالب على المغلوب، و ليس في نـظر العـقلاء أجـود مـنها لولا تصاريف القدرة الالهية مما لايطاوله بناء، ولا يعاجله دهاء.

وي انتقض الأساس الثاني فانصدع له ركن عظيم من قوة الدولة. لم يكـن في حسبان أحد من حكام الهند ان يزحف جيش الروس على حدود الافغان، بل كانوا في غرة الأمن من وقوع مثله، فاذا الحادث فاجأهم فطار طائر الأخبار بغتة حتى جثم على قمم حبال الهند، و صاح بالخبر المفزع فلم يبق هندي إلا و بلغ منه الخبر

حد اليقين، فذلک قد أعجل الدولة عن التدبير فی کتمانه. فتراجعت العقول من غيبتها، و انطلقت الآمال من محابسها، و خيل للنفوس أن المعارک أصبحت على حدود بلاد الهند.

علم ذوو الرأي من أهل الهند أن دولة أوربية شديدة البأس سامية القوة ستصبح جارة لهم و لها من المصلحة في بلادهم مايضارع مصلحة الدولة الحاكمة. فلو تقربوا منها شبراً لتقربت منهم ذراعاً. و مذاهب المتغلبين في السيادة على المغلوبين و إن كانت مشابهة الا ان من أحكام العادة أن يكون في سيرة الجديد لين الى أمد حتى يتمكن من السلطة، و يكون من أحوال البلاد على خبرة، فلهم في تقليب الحال متنفس. بل تعالت أفكارهم الى أسمى من ذلک فظنوا أن لاطاقة للروسية لو تقدمت إلى الهند أن تضبطها بقوة السلاح دفعة واحدة، فمن المحتوم عليها أول العمل أن تعيد الملک لطلابه من أهالي البلاد و تمدهم بالمعونة على سالبه منهم لتكون البلاد عوناً لها على بلوغ غايتها من فتح أبواب التجارة الهندية لأبناء جلدتها، ثم إن شاءت بعد ذلک غالبتهم، و في هذا متاع من الاستقلال الى حين، و فسحة من الزمان ربما تمكنهم من صون ما يصل اليهم. هذا مايرتفع اليه الخبال في رؤس الهنديين على اختلاف طوائفهم و لا أظنهم يخطئون فيما يظنون، و لا تجد طائفة منهم عوناً على ماتؤمل إلا في الاتحاد مع الأخرى.

وقد ضعف الأساس الاول فيوشک أن يتضعضع البناء. همدت نيران الضغائن التي كان يسعرها الحكام في البنجالة بين المسلمين و الوثنيين، و بعد أن كانوا متدابرين يذهب كل منهم الى حيث لايلتقي مع الآخر أبد الابدين، انعطف كل في سيره الى مايقارب الآخر فلا يمضى كثير من الزمن إلا و قد عادوا متقابلين.

لايفتر الحكام عن امداد اللهيب بوقود الفتن كأنهم خلفاء الفرس الاقدمين في عبادة النار إلا أن الآمال المقبلة تصب عليها ماء باردا فلا تلبث أن تصير برداً وسلاماً. قبائل (المرتة) في أواسط الهند هزت مناكبها نحو مطلوبها القديم هذه من

أقوى قبائل الهند و أشدها تمسكا بعوائدها و أحرصها على الاستقلال. أرغموا من زمن على الدخول تحت السلطة الانكليزية، و لكنهم لم يؤدوا من رسوم الطاعة شيئاً سوى الخراج، فقد تحالفت هذه القبائل على و فرة عددها أن لاترفع من أمرها شيئاً جزئياً كان أو كلياً الى حاكم انكليزي، و اتفقت على أن يكون تدبير شؤنها مفوضاً لرجال منها ينتخبون بالاقتراع، و ما كان عاماً من شؤونها خصته بمجلس عام يشبه مجالس النواب في البلاد المتمدنة، و ما كان خاصاً كالفصل في الخصومات جنائية كانت أو قضائية ناطته بقضاة منها لاينازع في حكمهم، و لا يدافعون في قضائهم، ولو أن مرتباً رفع أمره في خصومة الى القاضي الانكليزي لأعدموه حياته و ذهب دمه هدراً لايطالب به أحد. كل ذلک و لا يستطيع حاكم من حكام الانكليز أن يقف على شيء من أحوالهم الداخلية. بل حرموا على أنفسهم الانتفاع بشيء من مصنوعات أوروبا و ثبتوا على صنائعهم و روجوها بينهم، و بذلوا الجهد في ترقيتها حتى صار لهم من الصنائع ما يشبه صنائع الاوربيين في كل نوع، ولا يوجد في بيت واحد منهم أو على بدنه مصنوع إلا من عمل أيديهم.

فهذه القبائل الرفيعة الهمة الأبية النفس أخذت الاهبة في هذه الأيام لما أعده لها استعدادها. و لست بالواهم إن قلت بتواتر رسلها و كتبها الى الحدود الشمالية لتجاذب حبال الصلة بينها و بين رؤساء المنفذين في زعمها.

حكومة حيدرآباد ملت سيطرة الانكليز عليها، و نظرت الى قوتها العسكرية و اجتماع رعاياها على بغض المتحكمين في شأنها، الآخذين على يديها، و جاءها خبرالزحف الروسي، فشدد عزيمتها، وزاد فی حرصها على الخلاص من عنف السيطرة الانكليزية، و قبائل (السيک) فی بنجاب من شمال الهند شمروا للخوض في لجج الفتنة متى اشتبكت حرب في بلاد الأفغان، ليعيدوا مجدهم الأول، و يأخذوا بالحق لأنفسهم ممن أباح دماءهم، و فتک بأشرافهم. و لم يمض على ذلک الزمن الطويل فينسى، و لم يأتهم عوض عما فقدوا فيتسلوا عنه.

أحست حكومة الهند بمبادىء الاضطراب، فأخذت الطرق على كل سائر إلى جهة الشمال، منعاً للمواصلات بين الهنديين و الروس، و منعت تجار الأفغانيين من الجولان في البلاد الهندية، و صدَّت كل عربي يدخل إلى الهند من الشخوص إلى حيدرآباد لكثرة أبناء العرب فيها، و اشتدَّت في التضييق على كل طارق غريب يرد إلى أرض الهند، و على كل وطني يصل إلى الحدود الشمالية، و أخرست الجرائد عن التكلم في حوادث التقدم الروسي، و أنطقتها قهراً بما يغشي وجه الحقيقة، و يصرف الأفكار عما شغلت به من أعداد العدد و تحويل مراكز الجند، وحشد الجيوش، و توفير الذخائر في مواقع المخافة، و أرسلت عيونها على موارد البريد، و رسمت بفتح المغلقات، و أخذت بكل احتياط. و مع هذا كله ضاقت سلطة الحكومة عن سد أبواب الهند المفتوحة، و قطع طرقها الواسعة، وتسوير حدودها الممتدة. فالأخبار بين أمراء الهند و بين الروسية متواصلة، و قد علم رجال الحكومة أن الحال في هذه الأزمان الأخيرة غيرها في سنة ١٨٥٧[1] حيث أمكن للحكام في تلك الأوقات كتمان سر الفتنة عند اشتباكهم في الحرب مع دولة ايران، وكتمان خبر الحرب عن رؤساء الفتنة، حتى تمَّ الأمر لحكومة انكلترا في اهماد الثورة و إنهاء الحرب على شروط توافقها. أما الآن فليس يخفى على الروسية أدنى حركة تكون فى الهند، ولايخفى على الهنديين أقل عمل يكون من الروسية.

و إن الأخبار الخصوصية الواردة من الهند تفيد أن الأمر في تلك الأقطار أشد مما تدل عليه أخبار الجرائد. أما مازعموا من أن بعض النوابين و الرجوات عرضوا أنفسهم و جيوشهم لمساعدة انكلترا عندما طاش ميزانها مع الروسية، فذلک مما يعجب خبره! و يضحک معجبه. فان رجالا من الانكليز سعوا عند بعض الضعفاء من الأمراء و أغروهم أن يتقدموا بعرض أنفسهم لمساعدة الحكومة لتوهم بذلك أنها معضدة من رعاياها، ففعلوا على أن ينالوا أجراً على فعلهم ثم خابت آمالهم

---

١. يعني سنة ثورة الهند

فانقلبوا على أعقابهم. ولوفرض صحة مازعموا فهو كثير الوقوع في كثير من البلاد عند بداية الحوادث يظهر الضعيف أنه نصير القوي، فاذا حم الصدام كان أول خاذل له، خصوصاً اذا أحسَّ بل توهمَ الانقلاب بالهزيمة

بق شيء في مجمل خبرنا نذكره تتميما للبحث و هو: أن للدولة العثمانية شأناً في المسألة الهندية لايسوغ إنكاره، فان لها عدَّة كافية، و قوة وافية، يمكنها أن تستخدمها لآرائها السياسية متى شاءت، و يسهل عليها أن تستفيد منها اذا أقبلت عليها بشيء من التدبير. تلك قوة خمسة و اربعين مليوناً من المسلمين أهل السنة يعتقدون أنها دولة الخلافة، و أنها مرمى آمالهم في تخليصهم من أيدي الأجانب، ومكانتها من قلوبهم أعلى من مكانة حاكميهم، و أوصال أعمالهم معقودة بأوامرها. ولو أن لدولة أخرى قوة مثل هذه القوة لرأينا جوادهاالمجلي في هذه المجاراة. و لكن مما يوجب الأسف أن هذه العدَّة ربما تتبدد، و تلك القوة تضمحل، و لا يكسب رجال الدولة من إهمالها إلا مايكسبه باذل ماله لعدوه و فقهم اللّه للسداد في آرائهم، و الصلاح في أعمالهم.

يقول رشيد رضا: لم نعثر للاستاذ رحمه اللّه تعالى على مقالة في جريدة مصرية بعد عودته من باريس الى سورية و ترک جريدة «العروة الوثق» الاهذه المقالة، و هي تشبه مقالات العروة الوثق السياسية التي كانت من نفثات السيد جمال الدين في قلم الاستاذ. و كان الحكيمان يرجوان من تحرش الروسية بالهند فى تلک السنين أن يفضي الى ترک الانكليز لمصر و السودان فلذلک كانا يعظمان شأن ذلک التحرش.



الشرق والشرقيين



الشرق و الشرقيين[1]

الانسان انسان بعقله و بنفسه. و لولا العقل و النفس لكان الانسان أخس جميع الحيوانات و أشقاها. لأنه في مبوته (غير مفهومة و المرجح انها حيوته أي حياته) أضيق مسلكاً و أصعب مجازاً و أوعر طريقاً منها قد حفت به المكاره و أحاطت به المشاق و اكتنفت به الآلام. لا يمكنه بمعاشه، و هو منعزل عن أبناء نوعه. و لا يطيق الحر. و لا يتحمل ألم البرد. و لايقدر على الذود عن نفسه. و ليس له من الآلات الطبيعية ما يثقف به معيشته. و هو محتاج في ضروريات حيوته (حياته)، و مفتقر في الكمال فيها إلى الصناعة. و لا يمكن الحصول عليها، إلا باجالة الفكرة و التعاون بمن يشاركه في العقل من النوع البشري.

و العقل ما به تستنبط المسببات من أسبابها، و يستدل بالعلل على معلولاتها، وينتقل من الملزومات الى لوازمها، و تستكشف الآثار حين ملاحظة موثراتها، وتعرف العواقب ضارها و نافعها، و تقدر الأفعال بمقاديرها، على حسب ما يمكن أن يطرأ عليها من الفوائد و الخسائر في عاجلها و آجلها، ويتميز الحق من الباطل في

---

١. هكذا وردت كلمة «الشرقيين» في عنوان المقال المنشور في جريدة «أبو نظارة زرقا»، و كان يجب أن تكون الشرقيون. و لكن ربما يعود ذلك إلى أن ناقل المقال بخط يده، الذي هو صاحب الجريدة اليهودي المصري يعقوب صنوع، كان يحرر معظم مقالاته بالعامية المصرية.

الأعمال الانسانية نظراً إلى مهيع السعادة و منهج الأمن و الراحة. لا يضل من استرشد و لا يغوى من استهداه. و لا يحوم الشق حول من ركن إليه. و لا يعثر في المداحض من اعتمد عليه.

ولا يلتبس الحق بالباطل على من استنار بنوره ـ و ان الخير كله به. و ليس الشر إلا بالحيدان عن صراطه القويم. من فقده فاتته السعادة لامحالة، ولو أخرجت له الأرض أفلاذها، و أسبغت عليه الدنيا نعيمها ـ و ان الأمم ما سادت إلا بهدايته. وما ذلت بعد رفيع مقامها وعظم منزلتها إلا بعد أن أعرضت عن خالص نصحه. وتوغلت في بيداء غوايتها. و استعملته في مسالك ضلالتها.

و استخدمته لقضاء أوطار طبائعها الخسيسة التي تجلب عليها الشنار، و توجب المعرة و الصغار ـ و النفس هي منشأ أخلاق كريمة و أوصاف عقيلة (أي عاقلة) هي قوام الاجتماعات المدنية و المنزلية، و أساس التعادل في المعاملات، و ميزان التكافوء في المؤازرات، و مقياس التوافق في المعاونات، و لا يمكن التألف بين القوى المتفرقة، لاقتناء ما يقوم به حيوة (أي حياة) الانسان، إلا بها. و لا تلتئم أهوية النفوس المختلفة، لاكتساب ضروريات معاشها، إلا بسببها. و هي التي تجعل الأفراد الانسانية، مع تضاد طبائعها، بمنزلة شخص واحد يسعى بأعضائه، المتخالفة في أشكاله وجوارحه، المتباينة في هيئتاتها، إلى مقصد واحد لايمكن الوصول إليه إلا باستعمالها، بحركات قد اختلفت مع وحدة جهتها أو ضلعها ـ و سيادة الأمم الغابرة والحاضرة، هي من أخص نتائجها. لأنها لايمكن حصولها إلا باتفاق كلمة احادها، و اجتماع آراء افرادها. و لاتتفق الكلمة عن بعد (أي عندما، كما يرجح) تجتمع الآراء، إلا بالتكافوء في المساعي، و التوازن في تحمل المشاق، و الاشتراك في المنافع، و المساواة في الحقوق، و التعادل في التمتع بثمرات الأعمال بلا تفاضل و لا استيثار (استئثار). و كل هذه، في وجودها و بقائها، تحتاج إلى الأخلاق الكريمة والأوصاف العقيلة، التي بها يعرف الانسان حقه و يقف عنده ـ و لا تشتتت أمة ..

ولا ذل قوم .. و لا اضمحلت سلطنة .. ولا تفرقت جمعية .. إلا بفساد أخلاقها، وتطرق الخلل في سجاياها.. لأنها بفسادها، و تطرق الخلل فيها، توجب تخالف الأيدي، و تباعد الأهواء، و تضارب الآراء، و تبائن (أي تباين) الأفكار، فيستحيل حينئذ الاجتماع، و يمتنع الاتفاق ـ و إذا أمعن البصير في حقيقة الأخلاق الرذيلة، يعلم، انها بذاتها، تبعث على التفرق و الاختلاف، و تمنع عن الاجتماع والايتلاف (الائتلاف). و ما ينشأ عن ذات الشيء، لا يمكن زواله، و ما دامت ذاته باقية. فاذا تمكنت الأخلاق الرذيلة من أمة، فلا يرجى لها نجاح، و لا يحصل لها فلاح، مالم تسع في مديلها (غير مفهومة، يرجح انها تعديلها)، ولم تدأب في تقويمها ـ و يمكن أن يقال أن بين كمال العقل، و طهارة النفس، و تخلقها بالأخلاق الفاضلة، تلازماً. لأن العقل إذا بلغ كماله يقهر الطبيعة. فحينئذ تسلم النفس عن سوراتها، وتخلص من عكر مذماتها، فتنقاد للعقل مستسلمة له، خاضعة لحكمه. و يستعملها العقل على نهج الحق و العدل ـ و ليست الأخلاق الفاضلة، إلا أن تزن النفس أعمالها بميزان العدل، و لاتحيد في هواها عن صراط الحق.

و بعد هذه المقدمة، يمكن لنا أن نقول أن الشرق، بعد ما كان له من الجل الرفيع، والمقام المنيع، و السلطنة العظيمة، و بسطة الملك، و عظيم الشوكة، و كثرة الصنائع والبدائع، ووفور الأمتعة و البضائع، و رواج سوق التجارة، و ذياع العلوم و المعارف، و شيوع الأدب و الفنون.. ما هبط عن جليل مرتبته، و ما سقط عن رفيع منزلته، ولا استولى الفقر و الفاقة على ساكنيه، و لا غلب الذل و الاستكانة على عامريه، ولا تسلطت عليه الأجانب، و لا استعبدت أهله لأباعد، لاعراض الشرقيين عن الاستنارة بنور عقولهم، و تطرق الفساد في أخلاقهم، فانك تراهم في سيرهم كالبهائم لايتدبرون أمراً، ولا يتقون في أفعالهم شراً، و لا يكدون لجلب النافع، ولايجتنبون عن الضار.. طرأ على عقولهم السبات، و وقفت افكارهم عن الاجالة في إصلاح شئونهم، و عميت بصائرهم عن ادراك النوازل التي أحاطت

بهم.. يقتحمون المهالك، و يمشون المداحض و يسرعون في ظلمات أهوية نفوسهم التي نشئت عن أوهامهم المضلة، و يتبعون في مسالكهم ظنوناً قادهم إليها فساد طبائعهم.. لا يحسون المصائب قبل أن تمس أجسادهم. وينسونها كالبهيمة بعد زوال آلامها و اندمال جراحها. ولا يشعرون لاستيلاء الغباوة على عقولهم، واكفهرار ظلمات غشاوة الجهل على بصائرهم. اللذائذ التي خص الانسان بها من حب الفخار و طلب المجد و العز و حسن الصيت و بقاء الذكر، بل لاستيلاء الغفلة على عقولهم. يحسبون أن يومهم دهرهم. و التقمقم كالسارحة شأنهم لا يدرون عواقبهم، و لا يدركون مآل أمرهم، و لا يتداركون ما فاتهم، و لا يحذرون ما يتربصهم من أمامهم و من خلفهم. و لا يفقهون ما أكمن لهم الدهر من الشدائد والمصاعب. و لذا تراهم قدرئموا (أي راموا) الذل و ألفوا الصغار و أنسوا الهوان، وانقادوا للعبودية، ونسوا ما كان لهم من المجد المؤثل و المقام الأمثل ـ و بعد انحدارهم عن ذروة العقل، الذي لا كرامة للانسان إلا به، غلبت عليهم الخسة والنذالة. ورانت على قلوبهم، الجفاء و القسوة. و تمكن من نفوسهم الظلم و الجور. واستولى عليهم العجب، لا عن جاه يدعو إليه، و لا عن فضيلة تبعث عليه. وتظاهروا مع الذل المتمكن من قلوبهم بالكبر و العظمة، و فشا بينهم الشقاق والنفاق. و تلبسوا بالغدر و الخيانة. و استشعروا الحسد و النميمة و تسربلوا بالحرص و الشره. و تجاهروا بالوقاحة و الشراسة. واتسموا بالخشية و الجبانة. وانهمكوا في الشهوات الدنية. و خاضوا في اللذات البدنية و تخلقوا بالأخلاق البهيمية، متوسدين الكسالة و الفشل. و اتصفوا بصفات الحيوانات الضارية يفترس قويهم ضئيلهم. ويستعبد عزيزهم ذليلهم. يخونون أوطانهم. و يظلمون جارهم. و يستلبون أموال ضعفائهم. و يخوسون (ربما المقصود يحنثون) بعهودهم. و يسعون في خراب بلادهم. و يمكنون الاجانب من ديارهم لا يدفعون ذمارا. ولا يخشون عارا. عالمهم جاهل. و أميرهم ظالم. و قاضيهم خائن. ليس لهم هاد، فيرشدهم إلى سبيل نجاتهم، و لا زاجر، فيكفهم عن

التمادي في غيهم. و لا وازع، يقدع (اي يمنع) الجائرين عن نهش عظام فقرائهم ـ و صاروا جميعاً، بسخافة عقولهم، و فساد أخلاقهم، عرضة للهلاك، و أشرفوا على الزوال ـ تأمل فيما أقص عليك من أعمال الشرقيين من قبل، حتى تعلم انهم هم الذين، بحيدانهم عن سنة العقل، قد أوقعوا أنفسهم في الذل الدائم، وجلبوا، بعدم تدبرهم في عواقب أمورهم، الخراب و الدمار إلى بلادهم، و اضعفوا، بسوء سياستهم، سلطنتهم القوية. و مكنوا أعداءهم من بلادهم، جهلا منهم بنتائج أعمالهم ـ و ها هو ذا ـ.

ان العثمانيين قد اتفقوا مع الروس على مقاسمة البلاد الايرانية حينما تغلب الأفغانيون على أصفهان أيام شاه سلطان حسين. ولو نظروا بنظارة التدبر إلى الأمة الروسية، و ما لها من العلاقات مع اليونانيين و الرومانيين و السربيين و البلغاريين وغيرهم من رعايا السلطنة العثمانية، و ما يمكنها أن تحوزه في مستقبل أمرها من القوة و البسطة، لما اختلجت ببالهم محالفتها.. و لا خطرت في أذهانهم مؤامرتها ـ بل كانوا يسعون في قلع أسها قبل استحكامه، و قطع شجرتها قبل أن تشج عروقها. وانهم جاهروا الايرانيين بالحرب من طريق بايزيد. و قد كان عباس مرزا بجيوشه يقاومون الروسية و يدفعونها عن بلادهم. فوهنت قوتهم. و ضعفت مريرتهم (عزيمتهم) و استملك الروس، بسبب هذا الاقتحام، أكثر بلاد أذربيجان. ولو استشار العثمانيون عقولهم و فتتذ لأشارت عليهم بأن ضعف الايرانيين و قوة الروس هما معا علة لتزعزع أركان السلطنة التركية. و لكنهم اتبعوا خطرات أنفسهم. و تزينت لهم أوهامهم. و ظنوا انهم يحسنون صنعاً. فأسرعوا في هلاك أنفسهم، و هم لا يشعرون. و كان عليهم، اهتداء بنور العقل، و سلوكاً في مسلك السياسة الحقة، أن يلاحظوا الجامعة القوية التي بينهم و بين السلطنة الايرانية.. فيتفقوا معها على كبح شره الروسية، و إضعاف قوتها، أمناً من غوائلها، و حذراً من آفات مطامعها ـ و انهم، أي العثمانيين، جبهوا سفير (تبو سلطان) سلطان (ميسور)

بالرد، حين عرض عليهم من طرف سيده، استبدال (البصرة) ببعض البلاد الهندية التي كانت في حوزته. فامتعضوا من هذا الطلب، وردوا السفير خائباً ـ و كان غرض (تبو سلطان) من طلبه هذا، أن يكسر سورة الانكليز، ببسط السلطة العثمانية في الهند و تمكنها منها. و ذهل العثمانيون تهاونـ(الحرف الأخير محذوف و المرجح انها تهاوناً) منهم عن العلاقات التامة التي بينهم و بين الهنديين. و ان سلطنتهم لو امتدت إلى تلك الممالك لذهل جميع حكامها بلا معارضة تحت لوائهم. و قدروا حينئذ على قدع الحكومة الانكليزية عن تطاولاتها في الهند و سدوا عليها طرق فتوحاتها في المشرق. و ما شعروا تساهلا في السياسة، و تغافلا عن منهج العقل، ان بسطة الحكومة الانكليزية في الآسيا، توجب تحكمها في بلادهم، و طمعها في الاستيلاء عليها، كما وقع الآن.. حتى مكنوا عساكرها مدة طويلة من شق الأراضي المصرية، ذاهبة إلى أقاصي الشرق للتغلب عليها ـ و ان شاه ايران (فتحعلى شاه)، ارضاء للانكليز، هدد الأفغانيين بالحرب، وقتما أرادوا أن يزحفوا إلى الهند لانتزاعها من أيدي الانكليز. ولو استنار الايرانيون وقتئذ بنور عقولهم، لانكشف لهم، ان قوة الانكليز في الهند، إذلال لهم، و خطر على بلادهم. و لعلموا انهم و الأفغانيين، أغصان شجرة الايران قد تشعبوا من أصل واحد. و نشأوا في أرض واحدة تجمعهم وحدة الجنسية. و تؤلفهم الأخوة الحقيقية. لأنهم متساهمون في العز و الشرف. ومتشاركون في الذل و الهوان. و ما فرقت كلمتهم إلا أوهام واهية نشئت (أي نشأت) عن الظنون الدينية. و ليس منها في شيء. ولو راجع كل عقله لرأى وجوب اتفاقهم تحت راية الوحدة استرجاعاً لمجدهم السابق، و تداركاً لما فاتهم بسبب الشقاق من الشرف و الفخار و علو الكلمة بين الأمم ـ و أن الأمير (دوست محمد خان) أمير الأفغان قد جعل بلاده تعام منه (أي تكرهه) عرضة لهجمات الانكليز. فانه بعد المحالفة مع (رنجيت سنک) و معاهدته على مقاومة الانكليز، قد تركه، اغترارأ بالمواعيد الانكليزية، في ميدان الحرب وحيداً. و تقهقر بعساكره فانهزمت

جيوش (رنجيت سنك). و تغلب الانكليز على جميع أراضي البنجاب المتاخمة للأفغانستان. ولو استهدى الأمير (دوست محمد خان) إذ ذاك عقله، و سلك في سياسته سلوك بصير (الأصح سلوكاً بصيراً) يتدبر نتائج افعاله، قبل أن يشرع فيها .. لتحقق لديه، أن صيانة بلاده عن هجمات الانكليز، انما تكون ببقاء الحكومة البنجابية حريزة، حتى تكون سداً مانعاً بين أفغانستان و بين الحكومة الانكليزية. فكان يدافع عنها كما يدافع عن حكومته ـ و أن نواب البنجالة، و نواب الكرناتك، قد مهدا للانكليز سبل دخولهم في الأراضي الهندية ـ و أن نواب لكهنو (اسم مقاطعة) مقاصدهم في إذلال السلطنة التيمورية ـ و أن نواب دكن قد أعانهم على ابادة حكومة (تيبو سلطان) و اذلال كراجة (برودة) و قهر الذين قاموا سنة ١٨٥٧ لانقاذ بلادهم و دفع شر المتغلبين عليها من الانكليز. و كل هئلاء (هؤلاء) جهلا منهم بمنافعهم، و عمى عن نتائج أفعالهم المضرة، مكنوا الحكومة الانكليزية ثقة بمواعيدها من الأراضي الهندية. وجعلوا على أعناقهم نير العبودية. و ما عقلوا، ان قوام كل بالآخر. وان بقائه (بقاءه) قد نيط ببقائه. و ان كلا للآخر بمنزلة العضو من الجسد. فاذا تمكن الداء من عضو، سرى في الجميع. ولزم منه انحلال البدن كلية ـ و الآن ترى الانكليز، بعد استعبادهم، و سلب أموالهم، ونزع أيديهم عن الملك، تعارضهم في ديانتهم. و تزاحمهم في تجارتهم. و تعاقبهم على نياتهم. و تعاتبهم على اعمال آبائهم ـ و ان أهل بخارا فرحوا بتسلط الروسية على قوقند و التركمان تبجحوا من غلبتها على بخارا و الأفغان و الفارس قد سرا (المقصود سروا) من استيلائها على التركمان. و كل هذا غفلة منهم عن المضار التي تنشأ عن قوة الروسية و بسطة سلطتها في تلك الأراضي و قد ألقاه (هي ألقاهم) جهلهم بمصالح أنفسهم، و اغضائهم عن الاستنارة بأنوار عقولهم في التهلكة و أشرفوا كلهم، بغرورهم، على الزوال و الاضمحلال ـ وان مدحت باشا[١] و أعوانه، لو نظروا ببصيرتهم إلى أركان

١. كان مدحت في منصب الصدر الأعظم، ثم عين والياً على بغداد ثم على سورية، في أواخر السبعينات من القرن

سلطنتهم المتداعية إلى السقوط .. و شعروا بهداية عقولهم، ان دعائم حكومتهم كادت أن تنهد، بما ألم بها من المصائب.. و علموا بتدبرهم ان البلايا تترصدهم من جوانبهم.. لما تقحموا غروراً وَ ضلالة في خلع عبد العزيز وقتله، وقتما تترقب الأعداء سقطاتهم، و تغتنم هفواتهم. و لكنهم، اعتماداً على واهي آرائهم، و اغتراراً بدسائس الحكومة الانكليزية، قد جلبوا الهلاک و الاضمحلال على أمتهم .. و يظنون انهم هم المصلحون ـ و ان اسمعيل باشا[١] حبا بالاستقلال، و عمى عن نتائج أفعاله السيئة التي نشئت (نشأت) عن حرصه باسم الملک، قد ألقم الافرنج جميع أموال مصر، و ما استدانه من صرافي الأوربا بالأرباح الباهظة. ثم سعى الافرنج في خلعه عن الملک، ونفيه عن الديار المصرية ارادة استملاكها، و وضع اليد عليها ـ ولو تروى في حالة الشرقيين، و تأمل فيما أصابهم من الذل و الصغار لأجل تفرق كلمتهم، لازداد خضوعاً لسلطانه. وسعى، صيانة لنفسه، في تشييد مباني سلطنته، ونزع عن قلبه حب الاستقلال. و علم، ان الذين لا يفترون عن السعي في فتح الممالک، لا يمكن أن يساعدوه في مقاصده ـ و ان وزراء توفيق باشا، جهلا بمقدار أنفسهم، و عجباً بآرائهم الفاسدة، و اثباتاً لأوهامهم الباطلة، قد جلبوا الانكليز بغاية جهدهم إلى القطر المصري، و ملكوهم إياه. و هم يظنون انهم يستظهرون بهم على أعداء الخديو. فلو تدبروا في سياسة الحكومة الانكليزية و رأوا أطماعها في أرض مصر، لما جلبوا هذا المصيبة على أنفسهم، و على خديوهم، و على سلطانهم، ولما ألقوا أنفسهم فى فم الأسد، خوفاً من وعوعة الكلب.

فقد ظهر، من كل ما ذكرته من سير الشرقيين قدماً في حالاتهم، انهم ماسلكوا في

← الماضي. بعد ذلک أعفي من منصبه و استدعي إلى الآستانة. وإثر الاعفاء، اتهم مدحت بمحاولة قتل السلطان عبدالعزيز، فحوكم و حكم عليه بالاعدام.

١. اسماعيل باشا كان خديوي مصر، في اوائل الربع الأخير من القرن الماضي. و قد اشتهر اثناء بناء الأوبرا المصرية، حيث دعا ملوک أوروبا و أمراءها إلى حفل الافتتاح، و أنفق في سبيل ذلک مبالغ باهظة.

سياستهم سبيل الرشد و الهدى، و ما استفادوا من عقولهم شيئاً، و لا تدبروا في عواقب أفعالهم و نتائج أعمالهم، و لا نظروا بنور البصيرة في حالهم و مآلهم. بل تاهوا جهلاً منهم بمنافعهم في بيداء الغواية. و صاروا عمى عن غاية مسيرهم في تيه الضلالة. حتى خربوا بأيديهم ديارهم. و أبادوا بسوء تصرفهم بلادهم. و مكنوا الأجانب بمساعيهم الفاسدة من رقابهم ـ و كان الواجب على أحفادهم الذين احترقوا بنارهم، و تدنسوا بعارهم، أن يعتبروا بالمصائب التي جلبتها إليهم غفلات أسلافهم.. و أن يتقوا البليات التي قادتها الغباوة إلى آبائهم.. و ان يسعوا في جمع الكلمة .. و أن يتحذروا من الشتات و التفرقة.. و يجتنبوا الأغراض الشخصية .. ويعرضوا عن دواعي الخطرات الوهمية .. و يتنحوا عن مضال الاستبداد و الاستئثار. و لكن تراهم،لسبات عقولهم، يقتفون آثارهم، و يتبعون أغلاطهم، معرضين عن العقل و ارشاده، جاحدين للحق و آياته، ارتفعت عنهم الأمانة.. و فشت بينهم الخيانة .. و انقطعت بينهم عرى الوداد.. و انحلت عقدة الجنسية. كل ينظر إلى نفسه و يسعى لنفعة شخصه، جهلا منه أن سعادته منبثة في جميع آحاد الأمة.. و لا يمكنه أن يفوز بهاالا بسعادة الكل. و لذلك قد صاروا، بعد العبودية، فقراء لايملكون شيئاً.. حائرين في معاشهم.. ضالين عن رشدهم في مبدأهم و معادهم. و كاد أن يقضى عليهم بذل أبدي، و موت دائمي، بتلاشي جنسيتهم و تناثر جمعيتهم ـ و مع كل هذا، ما فاتهم أوان التدارك، و لا ضاق عليهم زمان، و لا سدت عليهم الأبواب، و لا انقطعت دونهم الأسباب. و لكن قد تمكن منهم القنوط، و غلب عليهم اليأس، و فترت هممهم، و ضعفت عزائمهم، و استكت (بمعنى اغلقت) آذانهم عن استماع النصائح، و عميت أبصارهم من رؤية الحق، و قست قلوبهم عن الاذعان له. فتراهم، امتداداً في غيهم، يريقون دماء هداتهم.. و يتبعون المرء غواتهم. فلا حول و لا قوة إلا بالله.

عن جريدة «أبونظارة زرقا»
العدد الثاني ـ ٩ شباط ـ فبراير ١٨٨٣ باريس

السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

جريدة - ابو نظارة زرقا - المتضمنة مقال الافغاني

١٨

العُجب



العجب

ان العجب يدعو الناس الى الكبر. و الكبر يصير سبباً للنظر الى سائر النـاس بالحقارة و يعمل افعالاً غير مطبوعة. و العجب من خواص (الا نفوس الصـغيرة. ومن لوازم عقول ضاق دائرة ادراكها. لان من يكون ادراكه واسعاً و افكاره عالية يعلم ان ستون مراتب الانسان في كل مزية من المزايا معنوية كامنت او صورية غير متناهية. و لما انكشف هذا الامر على احد في كل مرتبة كان لما ينظر الى مافوقه لم يحصل له الا القصور و الاعتراف على انفعاله. ان الانسان لم يكن لعلمه اعتماداً ولا لقوته نهاية و لا لغنائه و ثروته غاية ثم ان يكن احد بقى مـعجلاً بـنفسه لتسـيل (لتصِل) الى بعض من المراتب لم يكن سببه الاعمابه شيئاً و عمشه لانه (غير مفهوم) يزعم ستون عقله فوق جميع العقول فلهذا يفوق نفسه على غيره. و ضعف مزاجه و انحطاط نفسه يصير سبباً الى نيله ببعض من المزايا الانسانية و يحصل له النشـوان (النشوة) و السكر بحيث يفعل اعمالاً غير مستحسنة و يحقر و يوهن سائر النـاس مادام بمقام هذا العجب و الكبر. و مايحصل للانسان بسببه المضرة ان اول مضرته انه يمنع الانسان من وصوله الى مدارج كمالات غير متناهية ويزر النفوس والعقول من طلب المعالي. و متى يوجد في الانسان هذين (هاتين) الخصلتين يجـبره عـلى الوقوف. و مضرة اخرى انه يدعو جميع الناس لى على العدواة و (غير مفهوم) يقطع

سلسلة (غير مفهوم) هي اسالى حياته. و هو بواسطة هذه السجية الدنيا في زاوية الوحشة و الوهشة مغلول اليدين يحبس. و العجب اننانرى في بلدنا كثيراً من الناس من التكبر لايمكنهم القيام في عالم و يَمّن (يمّنون) من الفجر و العظمة على السماء والارض. و مع هذا لايوجد فيهم مزية داعي (تدعو) الى هذه الخله.

الاتنظر الى هؤلاء الجالسين في الكروان واضعين رجلهم على رجلهم يتجاوزون من الأَزِّقَة و السوق. و الاتنظر الى الذين يركبون على الفرس و وضعوا قلنسوتهم على رأسهم عوجاً و ينظرون متبكراً (متكبرين) في حين العبور على اليمين و اليسار. لأي سبب يفعلون هذا هل فتحوا مملكة و هل اخترعوا امراً بديعاً و هل اوجدوا علماً جديداً.

و هل كشف سراً من الاسرار سبحان‌الله. هل هو ماريشال ملك و هل هو (كروكرام) ام هل هو كريبالدى ام هو بسمارک ام هل هو (بال ملستان) ام هو عرژ كف اونيطى ام هو كفلرا و الجليلو (غاليله) ام لايل اخترع سلک البرق او انشأ السكة الحديد يدهٔ؟ هذا العجب و هذا التكبر الذى لااصل له. و ان كان للانسان شعورا او كان له غيرة يثوب (يذوب) في الخجلة و اما يخفي نفسه في زاوية حتى لايعرفه غيره و هذه السجية السيئة يوجد قليلاً الا في الشرق.

١٩

نبذة من مناظرة خياليّه



نبذة من مناظرة خيالية

إنكم قد ضللتم عن رشدكم، و تهتم في بيداء غوايتكم، و ما يقوم لكم دليل في تقاعسكم عن الذود عن أوطانكم، و لقد غلب عليكم الجبن، و استولى عليكم الضعف، و أضعف جنانكم الخوف و الخشية، ألاترون أن كل أمر صعب عند الشروع فيه؟ أفلا تشعرون أن صعوبة المسالک بمقدار عظم المقاصد؟ و أن الراحة محفوفة بالمشاق، و أن أفضل الأعمال أحمزها؟ أفترضون بالعبودية للأجانب، والاستكانة للأباعد، و إن موت المرء خير من بقائه في هذه الدنيا مع قلة مدتها وسرعة زوالها، رِقًّالا يملك من الأمر شيئا؟ أتظنون أن هذا التعلل يدفع عنكم غضب رب الجنود؟ لا وحقه. إنكم إن لم تدافعوا عن أوطانكم بنفوسكم و أموالكم لا تنالون منزلة لديه، و لاتجدون مخلصا من سخطه، و تبقون في ذل العبودية ما دامت الأرض باقية، و كل عذاب دونه لحقير، فتشجعوا و ثبّتوا أقدامكم، و سكّنوا روعكم، و إعلموا أن الظفر مقرون بالصبر، و أيقنوا أن الراحة و السعادة في أثر المشقة، و أن سنة الله قد جرت من الأزل، أن لاينال الانسان مرغوبه إلاّ بعد التعب، فلا تقدموا هذه الحجج الداحضة، و لا تظهروا الفشل في طلب حقوقكم، ولاتتسربلوا بالجبن فإن كل جبان محروم، فاسعوا في اتفاق كلمتكم، و إجعلوا

صدوركم مِجَنّاً لسهام أعدائكم، مجدين في خلاص بلادكم، و إعلموا أن الأمم الغابرة و الحاضرة ما نكست رقابها، و لاكسرت أطواق العبودية، إلا بتحمل المشاق و الخوض في غمرات الموت.



الرد على رينان



الرّد على رينان[1]

يندر أن نجد مقالة لا تتعدى كلماتها الألفين و خمسمئة كـلمة حـققّت الشهرّة الواسعة و اللغط الشديد مثل مقالة جمال‌الدين الأفغاني التي حملت عنوان: «**الرد على رينان**» و المنشورة بـالفرنسية عـلى أعـمدة جـريدة «**جورنال دي ديبا**» في الثامن عشر من أيار عام ۱۸۸۳ م.

إن هذه المقالة ـ الرد أثارت، ولا تزال تثير بعد مرور ما يناهز القرن على نشرها، جدلاً ولغطاً كبيرين في أوساط المثقفين العرب و المسلمين؛ و لعل ما ضاعف من الجدل و اللغط أن الأصل العربي للنص اختفى منذ أن دخل إلى مكاتب الـ «جورنال دي ديبا»، و لاتزال ترجمته الفـرنسية (التي جـاءت مشوهة و محرَّفة في كثير من المواقع حسب بعض الباحثين المعاصرين) هي النص المعتمد من قبل الكثيرين، وبل من قبل الجميع، حيث أن الحكم على آراء الأفغاني و أفكاره يتم من خلالها.

إن «الرد على رينان» الذي كتبه الأفغاني بالعربية حيث أنه لم يـتقن الفرنسية (و قدنُشر في الصحيفة الفـرنسية بـنفس العـنوان "Répose à Renan") جاء، في ترجمته الفرنسية، و كأنّ كاتبه يؤيدا أرنست رينان في تلك الآراء و المواقف التي ضمّنها محضرته في السوربون و تمحورت حول علاقة الدين الاسلامي و المسلمين بالعلوم و الفسلفة. و إذا كـنا نـدرک

---

۱. هذه الدراسة و المقدمه، للاستاذ سمير أبو حمدان، و ترجمة النص ـ للرّد ـ هي للدكتور و على شلش. (غ)

جميعاً أن معنى الرد، أي رد، إنما ينطوي على موقف سلبي و مضاد تجاه رأي أو قضية مطروحة... فكيف صار رد الأفغاني، في نصّه الفرنسي، متوافقاً مع محاضرة أرنست رينان في العديد من وجهات النظر! ثم لماذا ضاع النص العربي للرد و هو القول الفصل في هذه المسألة؟ و لماذا لم يُسمح للأفغاني، و ربما بإيحاء من الحكومة الفرنسية، بكتابة مقال آخر في الـ«جورنال دي ديبا» بعدما بلغه أن أقواله في الرد على رينان قد شوّهت؟ و أخيراً لماذا قطع جمال الدين علاقته بالجريدة المذكورة و راح ينشر مقالاته في صحيفة فرنسية أخرى هي الـ«انتر انزيجان»؟

الظرُوف المُحِيطة بالرَّد

هذه الأسئلة تقودنا إلى معرفة الظروف و المعطيات التي تحيط برد الأفغاني و كذلك بمحاضرة رينان. إذ أن معرفة هذه الظروف و المعطيات ربما أفضت بنا إلى معرفة حقيقة الرد و مضمونه الصحيح و هما شيئان يتناقضان مع ما كُتب عنهما حتى الآن.

سوف ننطلق، هنا، من البداية و تحديداً من المرحلة الهندية الثانية في حياة الأفغاني و هي التي تمتد من عام ١٨٧٩ و إلى عام ١٨٨٢ م. ففي هذه المرحلة، و قد كانت منفى اضطرارياً، قضى الرجل أيامه متنقلاً من مدينة هندية الى أخرى هادياً و مرشداً المسلمين إلى حقيقة الدين الإسلامي. ويصف بعض الباحثين هذه المرحلة بأنها من أخصب مراحل حياته حيث صرف معظم أوقاته في الكتابة و الخطابة و النقاش. و بالرغم من ذلك فإن الأفغاني في هذه المرحلة آلمه شيئان: رقابة الإنكليزله، و الشعور العميق بالغربة. و من أجل ذلك قرّر الخروج من الهند بعد أن سمح له الإنكليز بذلك و توجه إلى باريس. و قد اختار العاصمة الفرنسية مقراً جديداً له لأسباب عدة بينها الخلاف الذي كان ناشباً و تتذاكى بين لندن و باريس حول سياسة كل منهما في الشرق، و بينها ابتعاد باريس من سلطة الأتراك و تدخلاتهم عكس ما هو حاصل في لندن، و بينها أيضاً أن باريس كانت في ذلك الوقت تحتضن عدداً من زملاء الأفغاني المناهضين للسياسة البريطانية مثل

يعقوب صنّوع (١٨٣٩ ـ ١٩١٢ م) و خليل غانم (١٨٤٦ ـ ١٩٠٣ م)، و هذا الأخير عرف بعدائه غير المحدود للعثمانيين «وكان الأفغاني قد عرف صنوع في القاهرة، و ربما عرف خليل غانم في الاستانة أو القاهرة. و كان صنوع قد غادر مصر غير مرغوب فيه عام ١٨٧٨ م. و أعاد في باريس إصدار صحيفته «أبو نظارة». و كان الآخر عمل مترجماً في بيروت و دمشق و الاستانة ثم اختير نائباً عن سورية في أول برلمان عثماني عام ١٨٧٦ م. فلما ألغى السلطان عبدالحميد البرلمان بعد قليل، هرب غانم، بعد مطارته إلى مصر، حيث أصدر أول كتاب في العربية عن الاقتصاد السياسي عام ١٨٧٩م. و لكن سرعان ما شدَّ رحاله إلى باريس حيث أقام و تجنَّس بالجنسية الفرنسية، و أصدر صحيفة «البصير»عام ١٨٨١ م بتشجيع الحكومة الفرنسية و دعمها. و لما توقفت هذه الصحيفة المعادية للعثمانيين والانكليز عام ١٨٨٣ م، ساهم غانم في بعض الصحف الفرنسية الأخرى وأهمها «جورنال دي ديبا» (Journal des débats) أي «صحيفة المناظرات» التي نشرت رد الأفغاني على رينان»[٢].

وثمة مَن يرجح من الذين ترجموا لحياة الأفغاني أنه كان على اتصال مستمر مع هذين الرجلين، خلال وجوده في الهند، و قد أقنعهما بتسهيل وصوله إلى باريس و الاستحصال له على تأشيرة دخول و ذلك لأجل متابعة حملته، و بالتعاون معهما، على الانكليز و العثمانيين. هذا شيء، أما الشيء الآخر الذي كان وراء طموحه للاستقرار في باريس فهو أن العاصمة الفرنسية كانت على صلة بأهل الشرق عموماً و الشرق العربي الإسلامي على وجه الخصوص. و قد وجَّه الأفغاني، و هو في طريقه إلى باريس، رسالة إلى رئيس وزراء مصر مصطفى باشا يتّضح لنا فيها مقدار المعاناة التي كان ينوء تحتها الأفغاني. و مما جاء في الرسالة: «... فلما رأيت أن المصائب كل يوم تكشّر عليَّ عن أنيابها، و أن البلايا تفتح كل ساعة بابها، تفكَّرت بالرزايا التي جلَبَتها عليّ الغباوة و القسوة و تروَّيت في أمري. و علمت أني لو أذهب

---

٢. الأزمنة، المجلد الأول، العدد ٦، دراسة بعنوان «جمال الدين الأفغاني في رده على أرنست رينان»، علي شلش، أيلول /تشرين الأول، ١٩٨٧ م، ص ٥٠.

إلی بلدي و في العين قذی، و في الحلق شجی، و في الكبد أوار، و في القلب نار، مما أصابني، لا أجد بين أهله (...) مَن إذا قصصتُ قصتي و كشفت عن عمتي يئن عليَّ و يتوجع لي و يأسف علی مصابي (...) فعزمت أن أذهب، وإن كنت صفر اليدين خالي الراحتين، إلی بلاد فيها عقول صافية و آذان واعية و قلوب شفيقة و أفئدة رفيقة، حتی أقص عليهم ما يجري علی ابن آدم في الشرق، و أخمد النار الملتهبة في قلبي من هذه البلايا، وأضع حملَ هذه الهموم التي أنقضت ظهري... و هذا هو سبب ذهابي إلی بلاد الإفرنج»[٣].

تاريخ هذه الرسالة هو كانون الأول ١٨٨٢ م. و قد كتبها علی متن السفينة التي أقلّته إلی باريس لدی رسوّها في ميناء القاهرة، و قدسلمها باليد إلی أحد تلاميذه المصريين الذي عرف بقدوم الأفغاني علی متن سفينة قادمة من الهند و جاء لتحيته. و طلب الأفغاني من تلميذه أن يبلغها سراً إلی مصطفی باشا. و أبحرت السفينة إلی لندن حيث مكث الإفغاني فترة تمكن في خلالها أن يستحصل علی تأشيرة دخول إلی باريس التي بلغها في حدود العاشر من كانون الثاني ١٨٨٣ م. و كان أول المرحبين به يعقوب صنوع الذي استضافه في منزله لأيام عدة و قال في جريدته «أبو نظارة» و هو يزف خبر قدوم الأفغاني و ذلک في التاسع عشر من كانون الثاني ١٨٨٣ م: «أيها الأخوة، وصل إلی باريس جمال الدين و العلم، معلمنا و أستاذنا الأفغاني». أما ثاني المرحبين فكان خليل غانم الذي نشر في جريدته «البصير» (٢٥ كانون الثاني ١٨٨٣ م) خبر قدوم الأفغاني علی النحو التالي: «قدم باريس في الأسبوع الماضي حضرة العلاّمة العامل و الفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الذي طار صيته في الآفاق، فعرفه القاصي والداني و شهرة اسمه تغنيان عن وصف علمه. و لكنّا نقول أن بمثله يحق للشرق أن يتيه افتخاراً و ينافس الغرب علناً و جهاراً. كان حَرَس اللّه كماله في الهند يجوب بلدانها و يستطلع أحوال أهلها ويلاحظ عاداتهم و يدرس تاريخهم و يجتلي

---

٣. راجع في هذا المجال، بالفارسية، «إسناد و مدارک چاپ نشده درباره سيد جمال الدين» مطبوعات جامعة طهران، ١٩٦٣ م، ص ٣٧. و قد حقق هذه الرسالة إلی مصطفی باشا، علي شلش و نشرها في كتابه «الأفغاني و تلاميذه»، المركز العربي للإعلام و النشر، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص ٢٩ ـ ٥١.

معارفهم». و يضيف الخبر: «ثم خرج منها قاصداً لوندرة (لندن) لزيارة بعض أصدقائه فيها. و بعد أن أقام بها أياماً قليلة، أتى إلى باريس على جناح اليُمن و الإقبال، و المظنون أنه يبقى فيها مدة غير قصيرة».

و لم يقتصر الترحيب بالأفغاني على هاتين الصحيفتين العربيتين و إنما شمل أيضاً الصحف الفرنسية، فقد رحبت به صحيفة اليسار الفرنسي في ذلك الوقت الـ«الانترانزيجان» (L'intransigeant) واصفة إياه بأنه أحد «أشهر شخصيات الشرق». كما لصحيفة يسارية أخرى كلمة في قدومه. فقد تحدثت عنه «لاجستيس» (La Justice) واصفة إياه بالشيخ الورع المتزهد الذي يقطن شقة متواضعة في شارع دوسيز و يشغل نفسه بتعلم الفرنسية[٤].

إن الأشهر الأولى من وجوده في باريس صرفها جمال الدين في الكتابة و الاطلاع على تاريخ فرنسا و الغرب وصب اهتماماً خاصاً على إتقان الفرنسية من أجل تأهيل نفسه، مثلما فعل في مصر و الهند و الآستانة من قبل، على الانخراط في الوسط الثقافي الفرنسي. و في كل ذلك كان صديقاه يعقوب صنوع و خليل غانم خير معيْنين له، بالإضافة إلى صديق آخر هو أرنست فوكيلان الذي تعرَّف إليه الأفغاني في مصر و قد عاد فوكيلان إلى موطنه باريس بعد فشل الثورة العرابية و سيطرة الانكليز على مصر.

و مما يذكر أن خليل غانم صاحب جريدة «البصير» أسهم بشكل فعال في تعريف الأفغاني إلى عددٍ من الشخصيات الثقافية و الاعلامية الفرنسية. فقد عرَّفه إلى المستشرق ديولافوا و إلى المؤرخ أرنست رينان الذي كانت بينه و بين الأفغاني، فيما بعد، مناظرة غاية في الأهمية على صفحات الـ «جورنال دي ديبا».

وقد تعرَّف الأفغاني في باريس أيضاً إلى الشاعر الفرنسي الشهير ڤيكتور هوغو. و تمَّ هذا التعارف من طريقَ صديق مشترك هو الصحافي جان مير. كما عرَّفه صديقه الفرنسي فوكيلان إلى روشفور مسؤول التحرير

---

٤. على شلش، استناداً إلى:

Homa Pakdaman, Djamal ed-Din Assad Abadi, Paris, Maisonneuve et Larose, 1969, PP. 77-78.

في جريدة الـ«الانترانزيجان». أما جورج كليمنصو الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء فرنسا، و قد نشأت بينه و بين الأفغاني علاقة من الود و الاحترام، فلا نعرف حتى الآن من قدَّم الأفغاني إليه، و الجدير بالذكر إن كليمنصو كان مديراً لتحرير «لاجستيس». و قد «كانت لقاءات الأفغاني بهؤلاء مؤثرة إلى حد بعيد و تركت انطباعات قوية لدى بعضهم، مثل روشفور و رينان، وجعلت روشفور و كليمنصو يستكتبانه في صحيفتيهما»[5].

و على الرغم من أن جمال الدين كتب العديد من المقالات الهامة في الصحف العربية («أبونظارة» و «البصير») و الفرنسية («لاجستيس» و «انترانزيجان»)، غير أن مقالته الأهم و التي تحققت شهرتُه الباريسية على أساسها فهي التي تمثلت في رده على محاضرة رينان... فما هي هذه المحاضرة؟ و ما هو هذا الرد؟

مُحاضَرة رِينَان

يذهب بعض المؤرخين للفكر الفرنسي في القرن التاسع عشر إلى أن أرنست رينان (۱۸۲۳ ـ ۱۸۹۲ م) واحد من أهم كتّاب عصره. فهو أكثرهم إثارةً و قد كان ميّالاً لخوض المعارك الفلسفية و الفكرية مع عدد من المثقفين و الكتاب الفرنسيين. و إذ بدأ حياته الفكرية بدراسة اللاهوت، تحول فيما بعد من اللاهوت إلى الفلسفة، و تحديداً عندما أدرك أن المسيحية لا تستطيع أن تلبي طموحاته، كما أن اللاهوت ليس بإمكانه استيعاب طاقته المتفجرة. و قد خرجت من بين يدي رينان ثلاثة من الكتب الهامة التي عرفتها الحياة الثقافية الفرنسية في القرن التاسع عشر، و هي: «تاريخ أصول المسيحية» و هو يقع في سبعة أجزاء و «تاريخ بني إسرائيل» و «ابن رشد و مذهبه».

و قد صرف رينان حيزاً مهماً من دراساته للبحث في طبيعة العلاقة بين الدين و العلم. فكان لقاؤه بالأفغاني الذي يصفه رينان بـ«الملحوظ الذكاء»

---

۵. المصدر السابق، ص ۷۹ ـ ۸۰.

و «الآسيوي المستنير»، فرصة لمناقشته في أمر محدد و هو علاقة الاسلام بالعلم. و كانت هذه العلاقة محور المحاضرة التي ألقاها رينان في السوربون في التاسع و العشرين من آذار ١٨٨٣ م.

و حتى الآن لاأحد يعرف متى تمَّ اللقاء بين الأفغاني و رينان على وجه التحديد. فلا الأفغاني تحدَّث عنه و لا رينان حسم لنا زمان و مكان اللقاء، بل إن الأخير يخبرنا بأنه تمَّ على يد صديقهما المشترك خليل غانم، و أن جمال‌الدين، مثلما يدَّعي رينان، هو من أوعز إليه بإلقاء محاضرة في السوربون يكون محورها الاسلام و العلم. و أقصى مانستطيع قوله عن تاريخ هذا اللقاء أنه تمَّ في بداية أو منتصف شهر آذار من عام ١٨٨٣ م و هو الشهر الذي ألقى فيه رينان محاضرته الشهيرة.

و يبدو أن شخصية الأفغاني أحدثت تأثيراً كبيراً في نفس رينان حيث تخيَّله واحداً من (الملاحدة الكبار)! و أنه ابن سينا أو ابن رشد و قد بُعث حياً من جديد! يقول رينان: «قليلون هم الذين تركوا في نفسي انطباعاً أقوى مما تركه هو. و قد ساقني حديثي معه إلى اتخاذ قرار باختيار الصلة بين الروح العلمية و الاسلام موضوعاً لمحاضرتي في السوربون. فالشيخ جمال الدين الأفغاني متحرر، إلى أبعد درجة، من «الأهواء» الإسلامية (!!!) و ينتمي إلى تلك الأجناس الإيرانية (!!) النشطة التي تعيش قرب الهند حيث ماتزال الروح الآرية[٦] متقدة تحت القشرة المصطنعة للاسلام الرسمي، و هو يشكل أفضل برهان على صحة البَدَهية العظيمة التي طالما نادينا بها و هي أن الأديان تقيَّم بالأجناس التي تعتنقها. و قد جعلني تحرُّر تفكيره و شخصيته النبيلة الوفية أتمثله، و أنا أتحدث إليه، واحداً من معارفي القدامى و قد عادت إليه الحياة مثل ابن سينا أو ابن رشد أو سواهما من أولئك الملاحدة[٧] الكبار الذين قاموا بتمثيل تقاليد العقل البشري على مدى خمسة

---

٦. هذه العبارة تشير، و بما لايرقى إليه الشك، إلى اتجاه عرقي عند رينان للتمييز بين الأجناس، و تفضيل جنس على آخر حيث يحط هنا من شأن الجنس السامي مقابل إعلاء الجنس الآري.

٧. لانعرف بالتحديد ماذا عَنَى رينان بكلمة ملاحدة؟ فلا ابن سينا و لاابن رشد في القرون البعيدة و لا الأفغاني ←

قرون. و يالها من مفارقة شديدة حين رحت أقارن بين ظهوره المثير هذا و مايدور في‌البلاد الاءِسلامية الواقعة على ذلك الجانب من بلاد فارس، حيث يندر وجود الفضول العلمي و الفلسفي (!). فالشيخ جمال الدين إنما يشكل أبلغ حالات الاحتجاج العرقي ـ التي يمكن التنويه بها ـ على الفتوحات القائمه على الدين».

***

على أي حال فنحن نعمل، هنا على تسليط الضوء مرةً أخرى على ماقاله رينان في محاضرته. لقد ألقيت المحاضرة، مثلما نوهنا قبل قليل، على منبر السوربون في التاسع و العشرين من آذار ١٨٨٣ م، و في ذات اليوم نشرت في صحيفة الـ«جورنال دي ديبا».

يدشن رينان محاضرته بالكلام على أحوال الأقطار الاءِسلامية فيلاحظ أنها تعيش في العصر الحديث خواءً فكرياً و ثقافياً. و هذا عائد إلى الحكم الإِسلامي في هذه الأقطار. فالمسلمون مقتنعون، منذ الصغر، بأنهم مكتفون ذاتياً من ناحية العلوم و المعارف «حتى أن الطفل المسلم ينشأ على التعصب معتقداً أنه وصل إلى الحقيقة المطلقة، سعيداً بذلک كأن نقْصَه و تخلفه امتيازٌ يُرتجى. و هذا الغرور الجنوني هو العيب الجوهري للمسلم. فالبساطة الظاهرة في دينه توحي إليه باحتقار الأديان الأخرى، و بذلک يحتقر الثقافة و العلم و كل ما يتعلق بأوروبا»[8].

و يطرح رينان تساؤلاً في وجه الذين كانوا يصيخون السمع إليه فيقول: هل هناک ما يمكن أن نطلق عليه علماً إسلامياً، و إلى أي مدى يمكن أن

←

في العصر الحديث أدلوا برأى أو بموقف فكري قد نستشف منه دليلاً على اءِلالحاد. و الأرجح أن رينان يقصد بالملحدين، الفلاسفة. و الكلمة هنا تحمل معنى مجازياً. و قد انطلق رينان من مقولة أن الفسلفة تتعارض في كثير من المواقف مع الدين. و هو في هذا تحديداً ينطلق من تجربة الفلسلفة الأوروبية التي لاقت الأمرين على يد الكنيسة.

٨. جمال الدين الأفغاني في رده على أرنست رينان، الأزمنة، مصدر مذكور سابقاً، و ذلک نقلاً عن نص المحاضرة التي نشرتها الـ«جورنال دي ديبا» في كراس خاص من ٢٤ صفحة بعنوان:

L'islamisme et la science, Paris, C. Levy, 1883.

يسمح الاسلام بهذا العلم و يتسامح معه؟ و إذا عمل على الإجابة عن تساؤله عاد إلى التاريخ الاسلامي ليقرَّ بأن بلاد المسلمين لم تخلُ يوماً من أبرز العلماء و الفلاسفة. و قد حدَّد تاريخاً يقع بين القرن الثامن و الثالث عشر إذ في هذه الفترة الواقعة بين هذين التاريخيْن شهد العالم الاسلامي نهضة علمية و فكرية متقدمة، كما أن العالم الاسلامي، في تلك الفترة، تفوق حضارياً على العالم المسيحي. بل إن العالم الاسلامي، إبان تلك الفترة، لم يكن في سائر أرجاء المعمورة ما يناظره و يماثله في نهضته الفلسفية و العلمية.

غير أن هذه النهضة العلمية و الفلسفية، كما يلاحظ رينان، سرعان ما ذهبت أدراج الرياح، فأصبحت كلمة فلسفة ترادف كلمة زندقة، و أن لقب فيلسوف يعرّض صاحبه للملاحقة و الاضطهاد. و لم يبقَ هذا السقوط الحضاري منحصراً في الشرق الاسلامي بل تعدّاه إلى الأندلس حيث أصيبت نهضتها المماثلة بالسقوط و الاندثار.

و لكن رينان ينصف العرب المسلمين قليلاً إذ يعقّب على هذا السقوط الحضاري بالقول: «ومع ذلک ما كانت أوروبا لتعرف شيئاً عن العلم و الفلسفة عند الاغريق لولا الترجمات العربية. و ما كان الغرب ليعرف شيئاً عن اليونان لولا ابن رشد الذي مات حزيناً مهجوراً فی الغرب»[٩].

و لَفَت رينان نظر المستمعين إلى محاضرته أن الفلسفة لاقت الاضطهاد في البلدان التي تدين بدين الإسلام إلى درجة أنه تمَّ منعها في العام ١٢٠٠ م. و سرعان ما برز الأتراک على المسرح حيث طمسوا كل ما يتعلق بالفلسفة والعلم.

و هنا يصل رينان إلى طرح سؤال آخر، و هو إن دلَّ على شيء فانّما يدل على أن هذا الرجل كان يضمر موقفاً مسبقاً، سلبياً في جوهره و مضمونه، إزاء العرب و حضارتهم. فهو يتساءل: «هلَ العلم العربي، عربيٌّ بالفعل؟».

و الجواب الذي قدمه رينان ينطوي على كثير من المغالطات، إذ أنه يقول في الشق الأول من جوابه بأن الفتوحات الإسلامية فرضت (!) اللغة العربية

---

٩. المصدر السابق، ص ٥٣.

على البلدان المفتوحة. أما الشق الثاني من الجواب فينكر فيه على فلاسفةٍ من مثل ابن رشد و ابن سينا أن يكونوا عرباً، و ذلک على الرغم من أنهم كتبوا بلغة العرب. و على هذا فإن اللغة التي يستخدمها الفيلسوف أو العالم في كتاباته لا تكفي لنسبته إلى جنسية معينة. فأساسُ هذه النسبة هي الجنس و الموطن الأصلي و يذهب رينان إلى اعتبار الكندي هوالوحيد الذي يمكن أن نطلق عليه لقب «الفيلسوف العربي» على حين أن ما تبق من أولئک الفلاسفة المنسوبين، خطأ، إلى العرب، إما من فارس أو من آسيا الوسطى أو من إسپانيا «و هؤلاء لم يكونوا عرباً في دمهم و لا كانوا عرباً في روحهم، بل إن اللغة العربية لم تصلح للميتافيزيقيا، و كان فلاسفة العرب عموماً، كتاباً غير لامعي الأسلوب في العربية»[۱۰].

و انطلاقاً من موقفه المسبق إزاء العرب و المسلمين يتساءل ما إذا كان هذا العلم إسلامياً بعد أن (أكد) على عدم عروبته (ولكن دون أن يقنع أحداً و حتى من الفرنسيين أنفسهم كما سنرى بعد حين). و جواب رينان، في هذا الاطار، يمكن أن نلخصه على الوجه التالي: فالإسلام، بما هو روحيّ و زمنيّ، فرض سلطته على العلوم و الفلسفة، و كانت الاثنتان مضطهدتيْن في ظله. لكنه يميز بين فترتين في تاريخ الإسلام: تمتد الأولى منذ ظهور الدعوة الاِسلامية و حتى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي. و قد شهدت هذه الفترة ازدهاراً على صعيد الفلسفة و العلوم و المعارف الأخرى. لكن هذا الازدهار جاء على يد الفرق و الشَيع المختلفة، و أيضاً على يد المعتزلة الذين كانوا يمثلون في ذلک الوقت نزعة إصلاحية (پروتستنتية).

أما الفترة الثانية فتمتد من بداية القرن الثالث عشر حتى الوقت الحاضر (أي منتصف القرن التاسع عشر) حيث ساد الحكم المطلق للاسلام فطمس ما عداه انطلاقاً من أنه يمثل في المجتمعات التي دانَت به كلاً من السلطتين الروحية و الزمنية. و هذه الفقرة من حديثه يختمها رينان بالقول: «... وحكم العقيدة الجامدة (!) هو أثقل قيد عرفته البشرية»[۱۱].

و لعل هذا التمييز الذي لاحظه رينان في تاريخ الإسلام حيث انْتَصَفَه إلى

---

۱۰. المصدر السابق، ص ۵۳.

۱۱. المصدر السابق، ص ۵۳.

نصفين، نصف مؤيد للعلوم و الفلسفة و نصفٍ آخر مضطهِدٍ لهما، إن هذا التمييز لجهة التاريخ يُتبعه بتمييز آخر يتعلق بالاسلام نفسه. فالاسلام إبان عصوره الأولى كان ضعيفاً و غير متماسک، و من أجل ذلک فقد أبدى تسامحاً إزاء المعارف المختلفة و من بينها العلم و الفسلفة. هذا ما كان في العصور الوسطى و ما قبلها. أما عندما اشتد ساعده و أصبح متماسكاً في بُنيته و في دولته، فقد لجأ إلى اضطهاد هذه المعارف و الحد من نشاطها.

***

هذا موجزُ ما قاله رينان في محاضرته، بل أهم ما قاله. و لعل نظرة ممعنة في مضمون هذه المحاضرة تجعلنا وجهاً لوجه مع عدد من الحقائق. أولى هذه الحقائق أن أرنست رينان يعتبر رمزاً لتيارٍ فكريّ انتشر في فرنسا و الغرب إبان القرن الماضي. أما مضمون هذا التيار فهو التمييز بين الأمم و الشعوب على أساس عرقيّ. و هذا ما يبدو واضحاً في تمييزه بين الفرس (الآريين) القادرين على أن ينهضوا بأمور العلم و الفلسفة، و بين العرب (الساميين) الذين لم يمنّ عليهم اللّه بهذه النعمة!

ثاني هذه الحقائق أن رينان يطلق لقب الملاحدة على أناس لاينطبق عليهم في أي حال من الأحوال. و على الرغم من المعنى المجازي لهذه الكلمة فإن أرنست رينان تسرّع كثيراً في استخدامها لأنها تشير إلى أناسٍ يحملون أفكاراً تتناقض مع الدين الأمر الذي لاينطبق لا على ابن رشد و لا على ابن سينا أو الأفغاني. و هذا دليل، من بين أدلة أخرى، على أن رينان غير مطّلع بما فيه الكفاية على الفكر الفلسفي لكلٍّ من هؤلاء، علماً أن هؤلاء الثلاثة انطلقوا في عملية التفلسف من الخلفية التي أمّنها لهم الدين الإسلامي. و لابد أن نذكر في هذا المجال المجهود الفذ الذي بذله ابن رشد للتوفيق فيما بين الدين و الفلسفة و البرهنة على عدم تعارضهما، و ذلک في دراسته الشهيرة بعنوان: «فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة مَن اتصال»[12]. و لعلنا لانغلو في القول أن التيار الذي أسَّس له ابن رشد، و هو تيار التوفيق بين الدين و

١٢. راجع هذا الكتاب و الدراسة المرفقة به للدكتور محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م، ١٠٢ صفحة.

الفلسفة أوبين الحكمة و الشريعة، لايزال مفعوله سارياً إلى الآن في بعض الأدبيات الفلسفية المعاصرة.

ثالث هذه الحقائق أن اضطهاد الفلسفة و العلم في البقعة العربية الإسلامية لم يأتِ نتيجة علةٍ في الإسلام نفسه، مثما صوَّرها لنا أرنست رينان (و هو ينطلق هنا من رأيٍ جاهزٍ و مسبق و معادٍ لأي دين بوصفه خصماً ومنكِّلاً بالفلسفة، و ذلكً انطلاقاً مما حل بالفلسفة الأوروبية على يد الكنيسة) و إنما في السلطة السياسية، في فترات تاريخية معينة؛ و هي التي نكَّلت بالفلسفة و العلم حفاظاً على مصالحها لاعلى مصالح الاسلام. و هنا لابدَّ من رؤية خلَلٍ آخر في محاضرة رينان. فهو لم يرجع إلى النصوص الإسلامية الرسمية (من قرآنٍ و حديث) لمعرفة ما إذا كانت تحض على العلم و حرية التفكير أم لا. بل إن رينان استسهل الأمر و بنى حديثه على فترات في التاريخ الاسلامي شهدت ضموراً في الخطاب العلمي و الفلسفي، و على هذا فقد تناسى الأساسي و الثابت وركَّز على المتغير و المتحول.

رابع هذه الحقائق أن أرنست رينان اعتبر في محاضرته أن العلم في تاريخ المسلمين لم يزدهر إلاّ على يد الفرق و الشيع (و على يد النزعة البروتستنتية المتمثلة بالمعتزلة). و كأنَّا به يريد أن يقول بأن مثل هذه الأمور، من فلسفة ومعارف و إصلاح ديني، يعود الفضل فيها إلى تلك الفرق التي ظهرت وعاشت في كنف الاسلام. و هي، مثلما نعرف، فرقٌ ذات جذور و خلفيات غير عربية. و هذا تأكيد مرة أخرى على نظرته العرقية و ذلك في تمييزه بين العرق السامي و العرق الآري.

رَدّ الأفغَاني علَى رينَان

على أي حال فإن الصدى الذي أحدثته محاضرة أرنست رينان عن «الإسلام و العلم» كان كبيراً جداً سواء وسط المثقفين الفرنسيين أم بين الكتاب و المثقفين العرب و المسلمين المتواجدين، آنذاك، في العاصمة الفرنسية. والحقيقة أن الأفغاني لم يعلم بأمر المحاضرة إلاّ بعد أيام عديدة. فقد لَفَت انتباهه مقال في جريدة «البصير» كتبه أحد الفرنسيين الجزائريين

وفيه ردّ عنيف على رينان. و هذا الردّ الذي يقول الأفغاني عن كاتبه بأنه «أحد أفاضل الفرنسيس الجزائريين» و قد كتبه حرصاً على المصالح الفرنسية في الجزائر، حمل جمال الدين على الرد عليه في مقال نشرته «البصير». و حمل المقال نفس العنوان الذي اختاره رينان لمحاضرته و هو «الاسلام و العلم»، و قد افتتحه بالآية القرآنية الكريمة: (**فاعتبروا يا أولي الألباب**).

قال الأفغاني في مطلع مقاله: «إن رينان الفيلسوف قد ألق في باريس، كرسي الحرية، خطاباً (محاضرة) جعل موضوعه الاسلام و العلم، و أظهر فيه أفكاره التي ذهبت به إليها الشواهد التاريخية. و ما حادَ في خطابه عن سنَّة الأدب، و ما تجاوز حدود الكمال الذي يقضي به وجوب احترام الأمم في ما تنتحله ديناً».

بعد هذه الكلمات المجامِلة دخل الافغاني صلب الموضوع مبيّناً أن «عظماء الأمة الفرنسوية» ممتعضون جداً من (الخطاب) الذي ألقاه رينان في السوربون. و يبدو أن مقالة الشخص الفرنسي الجزائري في جريدة «البصير» ـ و هي التي لفتت انتباهه إلى محاضرة رينان ـ قد أثلجت صدره إذ استطاع أن يفنّد هفوات رينان «و أقام الأدلة على سقطاته، وذاد عن الديانة الإسلامية، و دافع عن المسلمين، و أبانَ ماكانوا عليه من الدرجة الرفيعة في الآداب و الفلسفة، ما دعاه إلى مقالته هذه إلاّ فضيلة مراعاة الأمم في أديانها و حسن السياسة».

و في هذا المقال إلى جريدة البصير (عدد ٣ أيار ١٨٨٣ م) عقد الأفغاني نوعاً من المقارنة بين الفرنسيين أصحاب السياسة الدينية المتسامحة، و بين الإنكليز الدين يتحكمون برقاب خمسين مليوناً من المسلمين و قد أفلتوا عليهم القسس البروتستانت دون أن يمكّنوهم من الدفاع عن دينهم.

و إذ لم تكن لغته الفرنسية تسعفه على قراءة محاضرة رينان و فهم مصطلحاتها الفلسفية و الدينية طالب جمالالدين بترجمتها. و بعد أن تحقق له ذلک و اطّلع على المحاضرة بنصها العربي كتب رداً مسهباً مفنّداً فيه مزاعم رينان و مبيّناً أخطاءه التاريخية و الدينية، و هي أخطاء لاتعد. لكن الأقدار السوداء كانت تتربص بالأفغاني مرةً أخرى. فقد أقنعه صديقه

خليل غانم، مدير تحرير الـ «جورنال دي ديبا» (وكان أرنست رينان واحداً من كتابها)، بنشر الرد في جريدته. و هكذا اضطر جمال الدين لدفعه إلى الترجمة و بيد خليل غانم نفسه. لكن النص الفرنسي للرد جاء غريباً ومختلفاً كلياً عن النص العربي، بل جاء و كأنه يؤيد ـ و هذا ليس من طبيعة الرد، أي رد ـ أقوال رينان و مزاعمه. علماً أن النص العربي للرد اختفى في أدراج الـ «جورنال دي ديبا» ولايزال مختفياً إلى الآن.

و على هذا الأساس فنحن لانملك اليوم سوى النص الفرنسي المنشور في الـ«جورنال دي ديبا» بتاريخ ١٨ أيار ١٨٨٣ م، و هو النص الذي كان سبباً لحملة واسعة من التجني على جمال الدين الأفغاني. و قبل أن نورد عدداً من ردود الفعل على هذه المقالة / الرد، في العالم الإسلامي، و قبل أن نبين بعض مواطن الخلل فيها نرى أن نقتطف أبرز ماجاء فيها:

رَدّ الأفغاني عَلَى رينَان

«الإسلام و العِلم»

[سيدي[1]،

طالعت في عـدد ٢٩ آذار (مـارس) المـاضي مـن جـريدتكم الغـراء خـطاباً (محاضرة) عن الإسلام و العلم ألقاه في السوربون، على جمع من الفـضلاء، أكـبر فيلسوف في زماننا مسيو رينان الذائع الصيت الذي طبّقت شهرته أرجاء الغرب و نفذت إلى أقصى أصقاع الشرق.

و لما كان هذا الخطاب قد أوحى إلي ببعض الملاحظات، فقد أجزْت لنفسي أن أصوغها في هذه الرسالة التي يشرفني أن أوجهها إليكم، راجياً التكرم بإدراجها في أعمدة جريدتكم.

لقد أراد مسيو رينان أن يجلو نقطة ظلت مغمورة حتى اليوم في تاريخ العـرب، وأن يلقي ضوءاً ساطعاً على ماضيهم قد يزعج أولئك الذين يحملون إعجاباً خالصاً لهذه الأمة التي لايمكن الزعم أنها اغتصبت ماسبق أن احتلته في العالم من مكانة و

---

١. آخر ترجمة لرد الأفغاني على رينان عن الأصل الفرنسي أنجزها الدكتور علي شلش. و قد اعتمدناها هنا ظناً منا أنها الترجمة الأدق؟!

رتبة. بل إن مسيو رينان لم يَسْعَ قيد شعرة، في اعتقادنا، إلى هدم مجد العرب الذي لايُهدم، و إنما اجتهد في اكتشاف الحقيقة التاريخية و التعريف بها لمن يجهلها، وكذلك لمن يدرس أثر الأديان في تاريخ الأمم، خصوصاً ماهو متعلق بالمدينة.

و أسارع فأعترف بأن مسيو رينان أبلى أروع البلاء في هذه المهمة الشاقة حين أورد بعض الحقائق التي لم يفطن لها أحد حتى اليوم. وأجد في خطابه ملاحظات رائعة ولمحات جديدة و سحراً لايوصف. و مع ذلک فليس أمامي سوى ترجمة أمينة تقريباً لهذا الخطاب. ولوكنت أملک أن أطالعه في نصه الفرنسي، لاستطعت سبر أغوار أفكار هذا الفيلسوف الكبير على نحو أفضل. فإليه أزف تحيتي المتواضعة علامة الاءِجلال الذي هو أهله، و تعبيراً خالصاً عن إعجابي. و أقول له في مثل هذه الأحوال، في النهاية، ماقاله المتنبي، الشاعر الذي كان يهوى الفلسفة، في شخصية رفيعة المقام، مادحاً أعمالها قبل قرون:

خُذْمن ثنايَ عليک ما أستطيعهُ   لاتــلزمني في الثناء الواجـبا[1]

لقد اشتمل خطاب مسيو رينان على نقطتين أساسيتين. فقد اجتهد الفيلسوف الأشهر في بيان أن الديانة الإسلامية معادية في جوهرها لتطور العلم، و أن الأمة العربية لاتميل بطبيعتها إلى علم ماوراء الطبيعة ولا إلى الفلسفة. و لعل مسيو رينان يريد أن يقول أن هذا الغرس النفيس قد ذوى على يدها، كأنما صوّحه هبوب الريح في الصحراء. لكن المرء لا يملک، بعد مطالعة هذا الخطاب إلاّ أن يتساءل: هل صدرت هذه العوائق عن الديانة الاسلامية ذاتها فانفردت بها، أم عن الطريقة التي انتشرت بها في العالم؟ هل صدرت عن طابع الامم التي اعتنقت هذه الديانة و أخلاقها و استعداداتها، أم عن الأمم التي أُكرِهت على اعتناقها[2]؟

---

۱. هذا البيت من قصيدة للمتنبي يمدح فيها علي بن منصور الحاجب، و يقول مطلعها:

بأبي الشموس الجانحات غواربـا   اللابسات من الحرير جلاببا

۲. لعل هذه العبارة الواقعة في الشق الأخير من السؤال تقوم دليلاً على أن رد الأفغاني على رينان قد نُشر في ←

لاشك أن ضيق الوقت هو الذي حالَ بين مسيو رينان و بين توضيح هذه النقاط. لكن الضرر هنا ليس بالكثير. و إذا كان من الصعب تحديد العلل (الأسباب) بطريقة دقيقة و براهين لاتقبل الجدل، فمن الأصعب أيضاً الإشارة إلى الدواء.

أما في ما يتعلق بالنقطة الأولى، فأقول أنه لا توجد أمة قادرة، عند نشأتها، على الاهتداء بالعقل الخالص. فالأمة التي في مثل هذا الطور تنتابها مخاوف لاتستطيع الفكاك منها، فتعجز عن تمييز الخير من الشر و معرفة ما يكون سبب سعادتها مما قد يكون المصدر الثابت لتعاستها وشقائها، و بذلك لاتدري باختصار كيف تكشف عن العلل (الأسباب) أو تفطن إلى المعلولات (النتائج).

والوقوع في هذه الهوة يعني أنه لا يمكن إنقاذ الضحية بالإكراه أو بالإقناع، ومساعدتها على ممارسة الأعمال التي قد تفيدها أو تفادي ما يضرها. و من ثمة كان لابد للبشر من أن يبحثوا خارج حدودهم عن ملاذ أوركنٍ هادىء يهجع إليه ضميرهم المعذب. و هذا ما استوجب ظهور معلم أو أشبه لم يكن يملك ـ كما ذكرت آنفاً ـ السلطة اللازمة لإكراههم على اتباع وحي العقل، فقذفهم داخل المجهول، وفتح لهم آفاقاً شاسعة سَعُد بها خيالهم، ووجدوا فيها على الأقل أرضاً غير محدودة لتطلعاتهم إن لم يكونوا قد وجدوا الإشباع الكامل لرغباتهم. و لما كان البشر، عند نشأتهم، لايدركون علل الحوادث التي تقع تحت أبصارهم، و كذلك أسرار الأمور، فقد انقادوا بحكم الظروف إلى اتباع نصح معلميهم و تنفيذ أوامرهم. و تم فرض هذه الطاعة باسم الكائن الأسمى الذي نَسَبَ إليه المعلمون جميع الحوادث دون أن يسمحوا للناس بمناقشة نفعها أو أذاها. و هذه بالنسبة للإنسان، أثقل و أذل عبوديةً في ما أعرف. لكني لا أستطيع إنكار أن جميع الأمم ما خرجت من حال الهمجية إلاّ بهذه التربية الدينية، سواء أكانت إسلامية أو مسيحيةِ أو وثنية، و ما زحفت نحو مدنيةٍ أكثر تقدماً إلاّ بها.

←

الفرنسية مشوهاً إذ لايُعقل أن تكون هذه العبارة قد صدرت عن مفكر من وزن الأفغاني الذي يعرف أن أحد أهم المباديء التي انتشر الاسلام على أساسها هو أن (لاإكراه في الدين).

و إذا صحَّ أن الديانة الاسلامية تشكل عقبة أمام تطور العلوم، فهل يمكن الجزم بأن هذه العقبة لن تزول يوماً ما؟ بِمَ تختلف الديانة الإسلامية في هذه النقطة عن بقية الديانات؟ إن جميع الديانات لاتخلو من التعصب[۱]، و لكلٍ منها طريقتها الخاصة في ذلک. فالديانة المسيحية، أعني الجماعة التي تتبع أفكارها و تعاليمها الموحاة وتتشكل على صورتها، خرجت من الطور الأول الذي ألمَعْت إليه قبل قليل، وصارت حرة و مستقلة، تخطو بسرعة على طريق التقدم و العلوم. في حين أن الجماعة الإسلامية لم تتخلص بعد من وصاية الدين. و مع ذلک إذا تذكرنا أن الديانة المسيحية سبقت الديانة الإسلامية في العالم بقرون عدة، فإني لا أنفک أرجو أن تنجح الجماعة المحمدية يوماً ما في تحطيم قيودها(!) و السير بعزم على طريق المدنية، مقتفية خطى الجماعة الغربية التي لم تشكل لها العقيدة المسيحية أي عقبة كؤود على الإطلاق على رغم مما في هذه العقيدة من ألوان القسوة و التعصب (...) و لم ينزع رؤساء الكنيسة الكاثوليكية الموقرون أسلحتهم بعد في ما أعلم. فما برحوا يحاربون بلا هوادة ما يسمّونه روح الضلال و الخطأ. و إني لمدركٌ جميع الصعاب التي سيكون على المسلمين تخطيها في سبيل تحقيق الدرجة نفسها من المدنية، و التوصل إلى الحقيقة بمساعدة الأدوات والطرائق الفلسفية و العلمية.

(...) و أعرف أيضاً أن ذلک الطفل المسلم و العربي الذي يرسم مسيو رينان صورته بكلمات نابضة و الذي يصبح في وقت لاحق، كما يقول، «متعصباً مزهواً بحيازة ما يعتقد أنه الحقيقة الكاملة»، إنما ينتمي إلى جنس ترک آثار خطاه في الدنيا، لابالنار والدم و حدهما، و لكن بأعمال فذة و خصبة تدل على تذوقه للعلوم، كل العلوم، بما فيها الفلسفة التي يجب أن أعترف بأنه عجز طويلاً عن تدبير شؤونها.

---

۱. هذا رأي لا علاقة للأفغاني به كما نعتقد، إذ أن المطّلع الجيد على أفكاره يعرف أنه يقف ضداً لهذا الرأي جملة وتفصيلاً. فهو ينبذ التعصب و يعتبره آفة كبيرة. كما أن الديانات كافة عنده براءٌ من آفة التعصب. و نرجح أن الأفغاني أراد أن ينعت بالتعصب أصحاب هذه الديانات لا الديانات نفسها.

عند هذا الحد أصل إلى الحديث عن النقطة الثانية التي تـناولها مسـيو ريـنان. فلاأحد ينكر أن الأمة العربية هرعت إلى طريق التقدم الفكري و العلمي بسرعة لا تعادلها إلاَّ سرعة فتوحاتها. فعلى مدى قرن من الزمن اكتسبت واستوعبت معظم العلوم التي كانت عند الإغريق و الفرس، و التي طوروها تدريجاً خلال قرون على أراضيهم في الوقت الذي مدَّت (هذهالأمة) سيطرتها على شبه الجزيرة العربية إلى جبال الهملايا وقمة جبال البرانيس.

لعلي أقول إن العلوم، خلال تلك الفترة كلها، حققت بغيرشک، تقدماً مدهشاً عند العرب، في جميع الأقطار الواقعة تحت سيطرتهم. و كانت روما و بيزنطية عند ذاک مقر علوم اللاهوت و الفلسفة و المركز المشرق الوهاج للمعارف البشرية كلها. و كان الإغريق و الرومان سلكوا سبيل المـدنية طـوال قـرون و سـاروا واثـقين مطمئنين على أرض العلم و الفلسفة الشاسعة. و مع ذلک جاء عليهم حين من الدهر أُهمِلت فيه بحوثهم و قُطعت دراساتهم و سقطت آثارهم التي أقاموها شاهداً على العلم، و طوى النسيان مؤلفاتهم القيمة. لكن العرب تبنوا ما أهملته الأمم المتمدنة وأضرموا، من جديد، نار العلوم المطفأة و طوروها و أضفوا عليها تألقاً لم تتمتع به من قبل. أَوَليس هذا علامةً و برهاناً على حبهم الفطري للعلوم؟ صحيح أن العرب أخذو عن الإغريق فلسفتهم مثلما جردوا الفرس مما اشتُهروا به خـلال العـصور القديمة. لكن هذه العلوم (...) تطورت على أيديهم و توسَّعت و توضحت و كملت واكتملت و تناسقت بذوق سليم و بدقةٍ و ضبطٍ نادَرين.

أما الباقون، مثل الانكليز و الألمان، فلم يكونوا بعيدين عن روما و بـيزنطية بمقدار بُعد العرب عنهما يوم كانت حاضرة هؤلاء بغداد. و كان من الأيـسر عـلى أولئک (الأوروبيين)، و الحال هذه، أن يستغلوا الكنوزَ العلمية التي دُفنت في هاتين المدينتين العظيمتين[1]. بيد أنهم لم يبذلوا أي جهد في هذا الاتجاه، حتى جاءت المدنية

---

[1]. فاتَ المترجم لنص الأفغاني أن روما و بيزنطية ليستا مدينتين. فنحن نقرّه بأن الأولى كانت بالفعل مـدينة ←

العربية فأضاءت بأنوارها ذرى جبال البرانـيس، و صـبت عـلى الغـرب سـناها وغناها. و رحب الأوروبيون بأرسطو الذي كان قد هاجر و صار عربياً، لكنهم لم يفكروا فيه على الإطلاق يوم كان يونانياً و جاراً لهم. أوَليس هذا برهاناً آخر لا يقل نصوعاً، على التفوق الفكري عند العرب و ارتباطهم الفطري بالفلسفة؟

و الحق أنه بعد سقوط المملكة العربية في المشرق و المغرب سقطت الأقطار التي كانت قد صارت مراكز كبيرة للعلم، مثل العراق و الأندلس، فريسة للجهل مـرةً أخرى، و أصبحت مراكز للتعصب الديني. لكن المرء لايمكن أن يستخلص من هذه الصورة المحزنة سوى أن التقدم العلمي و الفلسفي في العصور الوسطى كان مصدره الأمة العربية التي سادت في ذلك الزمن.

إن مسيو رينان ينصف العرب في هذا. فهو يعترف بأنهم حافظوا على مشـعل العلم و صانوه طوال قرون. فيا لها من رسالة نبيلة لأمة من الأمم. غير أنه في الوقت الذي يسلِّم بأن الأقطار الإسلامية شهدت علماء و مفكرين نابهين للغاية منذ العام ۷۷۵ تقريباً حتى قبيل منتصف القرن الثالث عشر، أي خلال نحو ۵۰۰ سنة، و يسلِّم أيضاً بأن العالم الإسلامي كان خلال تلك الفترة متفوقاً في الثقافة العقلية على العالم المسيحى، إذا به يقول أن فلاسفة القرون الأولى من تاريخ الإسلام، و كذلك رجال الدولة، كانوا في معظمهم من حران و الأندلس و إيران. و لقد كان من بينهم أيضاً رجالٌ من أبناء ماوراءالنهر (أي كازخستان و تركستان)، و أحبار مـن نـصارى الشام. ولست أبغي أن أغمط علماء الفرس حقهم من السجايا العظيمة، و لا أن أقلِّل من الدور الذي لعبوه في العالم العربي. و لكن لابد من أن أقول أن الحرانيين كانوا عرباً، و أن العرب لم يفقدوا جنسيتهم (قوميتهم) حين احتلوا إسبانيا و الأندلس بال

على حين كانت الثانية (أي بيزنطية) إمبراطورية عاصمتها القسطنطينية. و إذا كان قد فات المترجم هذا الأمر فنحن نستبعد أن يفوت الأفغاني. و هذا دليل آخر على خلل الترجمة.

ظلوا عرباً. و قد كانت العربية لغة الحرانيين قبل قرون من ظهور الاسلام. أما كونهم احتفظوا بديانتهم السابقة، و هي الصابئية، فلا يعني أن نعدهم غرباء عن الجنسية العربية، بل إن أحبار الشام أيضاً كانوا، في معظمهم، عرباً غساسنة اعتنقوا المسيحية.

و أما فيما يتعلق بابن ماجة و ابن رشد و ابن طفيل فلا يمكن القول أنهم أقل عروبةً من الكندي لأنهم لم يولدوا في الجزيرة العربية، ولا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن الأجناس البشرية لاتتميز بلغاتها، و أنه إذا اختفى هذا التمييز فلن يطول الزمن بالأمم حتى تنسى أصولها المتعددة. فالعرب الذين تكاتفوا في خدمة الديانة الاسلامية، و كانوا في الوقت ذاته من المقاتلين و الصحابة، لم يفرضوا لغتهم على المغلوبين، و إنما حافظوا عليها لأنفسهم، و فعلوا ذلك بعنايةٍ غيور في كل مكان حلوا به وثبتوا أقدامهم فيه. ولاشك أن الاسلام غرس لغته و أخلاقه و مذهبه في الأقطار التي تغلغل فيها بالفتح ذي العنف المعروف. و منذ ذلك الحين لم تستطع هذه الأقطار أن تتقي أثره. و إيران مثال على مانقول. و لكن إذا عدنا إلى القرون التي سبقت ظهور الاسلام، لأمكن أن نجد اللغة العربية غير مجهولة تماماً عند العلماء الفرس. و الحق أن توسع الاسلام أتاح لها مجالاً جديداً ورأى العلماء الفرس الذين اعتنقوا العقيدة المحمدية الشرف في أن يؤلفوا كتبهم بلغة القرآن.

ولاشك أن العرب لايستطيعون أن يدعوا لأنفسهم المجد الذي جعل هؤلاء الكتاب لامعين. لكننا نعتقد أنهم ليسوا في حاجة إلى مثل هذا الادعاء. فعندهم مايكفيهم من العلماء و الأدباء المشهورين. و ماذا يحدث لوعدنا إلى العهود الأولى للسيطرة العربية و تتبعنا، خطوة فخطوة، أول مجموعة شكلت هذه الأمة الفاتحة التي بسطت سلطانها على الدنيا، و استبعدنا كل ما هو غريب عن هذه المجموعة أو المتحدرين منها، و لم نضع في حسباننا الأثر الذي أحدثته في العقول و لا الحافز الذي أتاحته للعلوم؟ ألا يؤدي بنا هذا، إذاً، إلى عدم الاعتراف للأمم الفاتحة بسجايا و مزايا غير تلك التي تنشأ عن الحقيقة المادية المتمثلة في الفتح؟ لو اتبعنا

هذه الطريقة لاستعادت جميع الأمم المغلوبة استقلالها المعنوي الذاتي، و نسبت إلى نفسها كل المجد، و لم يبقَ للقوة التي احتضنت بذوره و طوَّرتها حق شرعي في ادعاء أي نتفةٍ منه.

بهذا المنطق ستقول إيطاليا لفرنسا أنه لامازاران و لا بونابرت[1] ينتميان إليها، وسوف تطالب ألمانيا أو إنكلترا، بدورهما، بالعلماء الذين رحلوا عنهما إلى فرنسا وجعلوا كراسي الأستاذية فيها لامعة و زادوا تألق شهرتها العلمية. و سوف يطالب الفرنسيون، من جانبهم، بمجد أبناء تلك الأسر الشهيرة التي هاجرت إلى جميع أنحاء أوروبا عقب صدور مرسوم «نانت»[2]. و إذا أمكن الادعاء بأن الأوروبيين جميعاً ينتمون إلى سلالة واحدة لأمكن الادعاء، عن عدل، بأن الحرانيين و الشاميين ـ و هم ساميون ـ ينتمون، على قدم المساواة، إلى الأسرة العربية الكبيرة.

غير أنه يحق للمرء أن يتساءل عن سر اندثار المدنّية العربّية فجأة بعد أن ألقت نوراً باهراً كهذا على الدنيا، و كيف لم تُضَأْ هذه الشعلة منذ ذلك اليوم، و لماذا يعيش العالم العربي مدفوناً على الدوام في ظلمات حالكة؟

و هنا تتجلى مسؤولية الديانة الاسلامية كاملة (!). فمن الواضح أنه حيثما استقر لها الأمر سعت إلى طمس العلوم. ويروي السيوطي أن الخليفة الهادي[3] أمر بقتل خمسة آلاف فيلسوف (!) في بغداد حتى يستأصل بذرة العلوم في الأقطار الاسلامية. و إذا سلّمنا بأن هذا المؤرخ بالغ في تقدير عدد الضحايا، فحكمه على

---

١. يقصد الأفغاني جيل مازاران (١٦٠٢ ـ ١٦٦١ م) و قد كان كاردينالاً إيطالياً عينه لويس الرابع عشر وزيراً له و كان الحاكم الفعلي، في فرنسا على مدى فترة طويلة.

و نابليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) إمبراطور فرنسا، و هو من أصل إيطالي و من كورسيكا بالتحديد.

٢. هو المرسوم الصادر في العام ١٥٩٨ م. و قد أصدره في ذلك العام هنري الرابع ملك فرنسا و سمح من خلاله بحرية العبادة للبروتستانت في فرنسا. و بعد قرابة التسعين عاماً أي في العام ١٦٨٥ م عدَّل الملك لويس الرابع عشر هذا المرسوم، الشيء الذي حمل عشرات الألوف من الفرنسيين البروتستانت على الهرب إلى خارج البلاد و خاصة إلى إنكلترا.

٣. هل الخليفه الهادي و امثاله فى التاريخ الاسلامى هو «الديانة الاسلاميه كاملة»؟

وقوع الاضطهاد يبقى صحيحاً على الأقل. و هذه وصمة ملطخة بالدم في تاريخ الديانة و تاريخ الأمة سواء بسواء (!) و أستطيع أن أجد في ماضي الديانة المسيحية حقائق مشابهة. فالديانات كلها متشابهة، أياً كان الاسم الذي تُعَرف به. وليس من الممكن تحقيق الاتفاق و لا المصالحة بين هذه الديانات و الفلسفة. فالديانة (تفرض) على الانسان تحريراً عقيدتها و اعتقادها، في حين أن الفلسفة تحرره من ذلک کاملاً أو جزئياً. فكيف إذاً يرجو المرء أن يحل الاتفاق بينهما؟

حين دخلت الديانة المسيحية، في أشد صورها تواضعاً و إغواءً، أثينا والإسكندرية اللتين كانتا كما يعرف الجميع، المركزين الأساسيين للعلم و الفلسفة، وبعد ما ثبتت قدميها في هاتين المدينتين، كان همها الأول أن تقصي العلم و الفلسفة الحقيقيين. فسعت إلى خنق هذا و تلک تحت الأشجار التي أظلّت المناقشات اللاهوتية، من أجل تفسير الأسرار التي لايمكن تفسيرها في ما يتعلق بالتثليث و التجسد و الاستحالة[1]. و هكذا الحال دائماً. فكلما كانت اليد العليا للديانة، انقرضت الفلسفة. و يحدث العكس حين تحكم الفسلفة و تسود.

و ما بقي البشر على قيد الحياة فلن يتوقف الصراع بين الجمود (!) و البحث الحر. و هو صراع بائس أخشى ألايكون النصر فيه للفكر الحر لأن العامّة تكره العقل الذي لايفقه تعاليمه إلاّ بعض الأذكياء من الخاصة، و لأن العلم أيضاً، بالرغم من جماله، لايُدخِل الاشباع الكامل على البشر الذين يتعطّشون إلى المثل العليا و ينزعون إلى الغرْس في المناطق المظلمة النائية... و هذه لايملك الفلاسفة و العلماء أن يدركوها و لا أن يرتادوها.][2]

---

١. التثليث، لدى المسيحيين، هو الاعتقاد أن اللّه واحد ذو أقانيم ثلاثة: الأب والابن و الروح القدس. و التجسد هو اتحاد الطبيعتين الإلهية و الإنسانية في يسوع المسيح. و الاستحالة هي تحوُّل الخبز و الخمر في المناولة إلى جسد المسيح و دمه (انظر: علي شلش، مصدر مذكور، ص ٦٦).

٢. ترجمة مغرضة:

→

۲. ترجمة مغرضَة:

إن نظرةً متأنية إلى رد الإفغاني على رينان تحملنا على الاقتناع بأن ثمة مكيدةً أخرى تعرَّض لها الرجل في باريس (كرسي الحرية). و لسنا نستبعد بأن تكون إدارة التحرير في صحيفة الـ «جورنال دي ديبا» هي وراء المكيدة. و إلاّ لماذا لم يُسمح للأفغاني بتوضيح موقفه بعد نشر الرد محرّفاً و مشوهاً و قد تعرض للحذف و الاضافة و هما الشيئان اللذان كان الأفغاني يشكو منهما الأمر الذي حمل جريدة الـ «انترانزيجان» ـ و هي الجريدة التي انتقل الأفغاني للكتابة فيها بعد امتعاضه مما حصل له مع الـ «جورنال دي ديبا» ـ... مما حملها على تصدير مقالته المسلسلة حول المهدي (بتاريخ ۸ و ۱۱ و ۱۷ كانون الأول ۱۸۸۳ م) بالقول أنها «تنشر هذه الدراسة كما هي دون إضافة أوحذف»؟!

ولعل الشيء الذي يجعلنا على قناعة تامة بأن جمال الدين، و نظراً إلى تأثيره المتفاقم في البلدان الاسلامية وصوته المسموع داخل الحركات السياسية في هذه البلدان، كانت تتربص به الأقدار السوداء في باريس مثلما تربصت به في مصر و إيران و الهند و الآستانة. فالمطلوب إزالة هذا الرجل، كوجود سياسي و معنوي، و ذلك لايتم إلاّ بتسويد صفحته بين المسلمين. و جمال الدين، صاحب التاريخ السياسي المبني على الأيديولوجيا الاسلامية و قد ذهب إلى باريس لُقربها من الشرق و كيا يساهم في نهضة المسلمين و يقظتهم ... إن رجلاً هذا شأنه لايمكن أن يوافق أرنست رينان في رأيه عن الإسلام و موقفه من العلم. و قد رأينا كيف تحدث عن هذا الموضوع في مقالته القصيرة المنشورة في جريدة «البصير» عن امتعاض و غضب «عظماء الأمة الفرنسوية» مما جاء على لسان رينان بخصوص الإسلام... فكيف عن امتعاضه و غضبه هو بنفسه!.

إن الأفغاني، و هو الذي عُرِف بطيبته و نبله و ثقته بالآخرين، وضع النص العربي للرد في عهدة (صديقه) خليل غانم، فكأن أن حُذِفت أشياء و أُضيفت أشياء و حُرِّفت أشياء و أشياء. و كل ذلك من أجل قطع الصلة بين الأفغاني و بين المسلمين و هو الذي اصبح ـ بعد الرد على رينان ـ متهماً بأنه طعن بالإسلام الذي خنق الفلسفة و العلم.

و لعل قراءة نقدية واعية لرد الأفغاني على رينان، بنصه الفرنسي، ربما أخرجت الكثيرين من الحيرة التي تخبطوا فيها طويلاً. فالأفغاني يتساءل في مطلع رده على رينان قائلاً: «هل صدرت هذه العوائق (المعادية للعلم بنظر رينان) عن الديانة الاسلامية ذاتها فانفردت بها أم عن الطريقة التي انتشرت بها في العالم؟ هل صدرت عن طابع الأمم التي اعتنقتها و أخلاقها و استعداداتها أم عن الأمم التي أكرهت على اعتناقها؟

إن الملفت في هذا التساؤل و قد طرحه رينان و لم يُجب عليه من أجل تعميق الشك في النفوس، هو أن الأفغاني أيضاً طرحه في سياق تفنيد أقوال رينان و مزاعمه لكنه أيضاً، لم يقدم جواباً. فكيف يكون الرد إذن و ما عسى يكون معناه مالم يقدم أجوبة عن الأسئلة المطروحة علماً بأن الأفغاني كان بإمكانه، و استناداً إلى النصوص الإسلامية الرسمية من قرآنٍ و حديث، تقديم جواب كافٍ و وافٍ و بالشكل الذي يدحض مزاعم رينان. و نحن هنا أمام احتمالين لاثالث لهما: فإما أن الأفغاني لم يطرح هذا التساؤل إطلاقاً في النص العربي (و إلا لكان أجاب عنه) .... و قد أُضيف إلى الترجمة الفرنسية، و إما أن يكون قد أجاب عنه، لكن الجواب حُذِف!

ولو افترضنا جدلاً أن الأفغاني طرح هذا التساؤل دون أن يجيب عنه مثلما فعل رينان، و هذا أمر مستبعد، فإنه يوضح لنا نظرة الأفغاني لهذه المشكلة، أي مشكلة الاسلام و العلم. فالأفغاني يفصل بين الإسلام و بين المسلمين، أو بين الديانة و بين معتنقيها. فليست الديانة (الدين) هي التي عوّقت العلم و الفلسفة و منعت ازدهارهما بل إن السبب يعود إلى معتنق هذه الديانة. أما بالنسبة للبقعة العربية الإسلامية فليست الديانة هي التي عرقلت مسيرة العلم و إنما هم المسلمون أو بعضهم. أما سبب ذلك فهو ليس دينياً بقدرما هو سياسي محض

يتصل بتكريس السلطة السياسية و بترسيخ أقدامها.

و لدينا من الوقائع ما يجعل الترجمة الفرنسية للرد موضع شبهة. فالأفغاني بعد أن نُشر رده مترجماً عرف من طريق أحد المتضلّعين في هذه اللغة ما أصاب مقاله من تحريف و تشويه و ما تضمنه من أخطاء. و يبدو أنه عرف أيضاً بأن إدارة الـ «جورنال دي ديبا» أدارات له ظهر المجن و هي، بالتعاون مع أطراف معينة داخل باريس وخارجها، ترمي إلى تشويه صورته في العالم الإسلامي. و من أجل ذلك أسرع الأفغاني و بعث بنسختين من العدد المنشور فيه ردّه و المؤرخ في ١٨ آيار ١٨٨٣ م إلى تلميذه محمد عبده. و قد أرفق هاتين النسختين برسالة بخط يده يوضح فيها أن الرد على رينان أصابه تشويه كبير و تضمن أخطاء كثيرة. و ظن محمد عبده أن ما يتحدث عنه استاذه من تشويه و أخطاء إنما يتعلق باللغة و بأخطاء مطبعية و هي شيء مألوف في الصحافة، فأوكل ترجمة الرد إلى العربية إلى صديقه حسن بيهم. و بعد أن أنهى هذا الأخير المهمة الموكولة إليه عرف محمد عبده إلى مَ رمى إليه استاذه لجهة التشويه و الأخطاء؟ فَحَمد اللّه لأن الرد لم يقع في أيدٍ أخرى و لأنه أوكل الترجمة إلى حسن بيهم صاحب اللسان الدافىء ... و هكذا اندفع المكروه![1] ...

... لقد أخذ محمد رشيد رضا على الحاضر في مقالةٍ له نشرتها «الأهرام» أنه لم يتمكن من تقديم أفكار رينان أو أفكار الأفغاني. كما أنه ارتكز في حديثه عن الأفغاني على ترجمة عربية مأخوذة في الوقت عينه عن ترجمة المانية لرد الأفغاني على رينان. و قد تساءل محمد رشيد رضا ما إذا كان مضمون رد الأفغاني قد حافظ على حاله بعد كثرة النقل من لغة إلى لغة.

واستناداً إلى الشيخ محمد عبده الذي يعرف فكر الافغاني كما لا يعرفه أحد مثله تحدث رضا عن رأي الأخير في الاسلام و علاقته بالعلم، و ذلك في مقال آخر و مطول نشره في مجلة «المنار». و مما قاله: «إن الاسلام دين العقل و الحكمة و الفلسفة الصحيحة، و أنه لولا تأثير هدايته لما انتقل العرب من الأمية إلى أعلى مما كان عليه جميع البشر في كل علم و كل فن و كل نظام و كل عمران، في مدة جيل واحد، حتى سادوا الفرس و الروم والأوروبيين و غيرهم. و هل يعقل أن تلك الشراذم التي خرجت من جزيرة العرب حفاة عراة، لايعرفون من العلم شيئاً غير القرآن، و لم يكن كل واحد منهم يحفظه كله، يمكن أن تدوّخ كل هذه الأمم و تسودها و تسوسها، من ساحل المحيط الأطلسي إلى الشرق الأقصى، و تخضعها لدينها و لغتها بالسيف»!

و نقلاً عن الشيخ محمد عبده فيما رواه له عن موقف الأفغاني، يستطرد رضا: «لكن المسلمين ابتدعوا في الاسلام بدعاً كثيرة، لم يمكن تداركها بسبب فساد نظام الخلافة و إخراجها عن أصلها الذي يُشترط فيه العِلم الاستقلالي و العدالة. و بهذا الابتداع الذي صار إسلام القرآن فيه غير إسلام المنتمين إليه، أضاعوا العلم به، ثم عادوا كل علم، حتى صاروا إلى ما كان يسعى السيد (جمال الدين) لتلافيه و تداركه. فكأنه يقول لرينان: كلُّ ما ذكرت من عداوة الاسلام للعلم، مما تكثر الشواهد عليه في التاريخ و إن كانت قليلة في عهد الإسلام بالنسبة إلى غيره من الأديان، فهو الإسلام الذي فهمه خطأً أولئك الذين عادوا العلم و العقل و الحضارة، لا إسلام القرآن الذي يخاطب العقل و يرفع شأن ا لعلم في آيات كثيرة، و يبيّن أن للّه سنناً في الكون قام بها نظامه، و أن هذه السنن لا تبديل لها و لا تحويل»[2].

و عمل رضا على الربط بين ما جاء في (الرد) و بين كتاباته السابقة سواء في «العروة الوثق» أو في غيرها ليجد أن ثمة تناقضاً كبيراً فيما بين الاثنين. و يذكر نقلاً عن محمد عبده أن جمال الدين لطالما ردَّد في مجالسه الخاصة بالقاهرة أن «الاسلام الممزوج بالبدع هو ذلك الذي اضطهد بعضُ أهلِه رجالَ العلم». و إذ اعتبر رضا أن الرد

---

١. الأزمنة، مصدر مذكور، ص ٦٢.

٢. مجلة «المنار» ج ٤، ص ٢٠٦.

يكون تفنيداً لا تأييداً مثلما درجت العادة أكد على أن الأفغاني نبّه رينان إلى «أن المسلمين قد وُجِد منهم كغيرهم في نشأة الاسلام الأعجمية في النصف الثاني من حياته ما خنق الحركة العلمية. فكل ما أسنده إلى الاسلام موافقاً لرينان يُرادُ به الاسلام الأعجمي المشوه بالبدع، لا الاسلام العربي المنصوص في القرآن و السنن، و إلّا كان كلامه متناقضاً»[۳].

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن الأمير شكيب أرسلان (۱۸٦۹ ـ ۱۹٤٦ م) و هو الذي عرف الأفغاني في أواخر حياته بادر إلى الادلاء بدلوه، فوجه رسالة إلى رشيد رضا مؤرخة في ۱۲ أيار ۱۹۲٤ م يشرح فيها موقفه من هذه المسألة. و مما قاله ارسلان: «... و الذي أظنه هو أن السيد جمال الدين حرر رده على رينان بالعربية، ثم دفعه إلى مترجم مثل أنيس شحادة أو غيره (تبين فيا بعد أن مترجم الرد هو خليل غانم نفسه) لأجل أن يضعه في قالب فرنسي. فالمترجم، الذي لا أقدر أن أعرف من هو، ترجم بعض كلمات جمال الدين بغير ما يجب أن يترجمها به، و تصرف في التعبير. و ربما كان المترجم هو نفسه متشيعاً بفكرة رينان، غير مقتنع بكلام جمال الدين، فلم يتقيد بالمتن الجمالي التقيُّد الكافي، و لا أدى الأمانة في النقل حقها. فوقعت هناك ألفاظ لو فهم السيد جمال الدين حقيقة مرماها لأنكرها و غيّرها في حينها... فلا عجب أن تكون الترجمة الفرنسية التي صدرت تحت إمضاء جمال الدين تفيد أشياء لم يُرِدْها هو. و من تأمل في كون هذه المقالة ظهرت في جريدة «الديبا»، وكان يعلم دأب هذه الجريدة من دس السم في كل ما يتعلق بالإسلام، قلّ عجبه مما يكون قد ورد في مقالة جمال الدين مما لا يطابق ما سمعناه منه»[٤].

* * *

سوف نحجم هنا ـ ولكي لا نُثقل على النص و على القارىء معاً ـ عن الإسراف في جَرْد كل أو أغلب الأصوات التي جاهرت بالدفاع عن جمال الدين الأفغاني. يكفي أن نضيف إلى محمد رشيد رضا و شكيب أرسلان، و هما رمزان كبيران من رموز النهضة في القرن التاسع عشر و أوائل هذا القرن، أحمد أمين الذي كتب سلسلة من المقالات في مجلة «الثقافة» ضمّنها دفاعاً موضوعياً، مدّعماً بالحجج و القرائن، عن الأفغاني[٥]. و نستطيع أن نضيف أيضاً محمد حامد اللّه الذي كتب مقالة هامة عام ۱۹٥۸ م بالانكليزية عنوانها: «أرنست رينان و جمال الدين الأفغاني: ممثلان رئيسيان لثقافتين» حيث حاول البرهنة على أن رينان (اختلق) رد الأفغاني عليه. و قد انطلق حامد اللّه في محاولته تلك من أن ثمة مقتطفات و عبارات في ما سمي بـ «رد الأفغاني» يستحيل أن تصدر عنه...[٦]

---

۳. المصدر السابق، ص ۳۱٥.

٤. أمير البيان شكيب أرسلان، أحمد الشرباصي، مطابع الكتاب العربي، القاهرة، ۱۹٦۳ م، ص ٦٥٤.

٥. انظر: أحمد أمين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ۱۹٦٥ م، ص ٥۹ ـ ۱۲۰.

٦. سمير ابو حمدان: جمال الدين الأفغاني و فلسفة الجامعة الاسلامية، ص ۱٥۷ ـ ۱۷۰.



الاسلام و العلم

فاعتبروا يا أولي الأبصار



الاسلام و العلم

فاعتبروا يا أولي الأبصار

إن رنان الفيلسوف قد ألق في باريس، كرسي الحرية، خطابا جعل موضوعه الاسلام و العلم، و أظهر فيه أفكاره التي ذهبت به إليها الشواهد التاريخية. و ما حاد في خطابه عن سنة الأدب، و ما تجاوز حدود الكمال الذي يقضي بها وجوب احترام الأمم في ما تنتحله دينا.

و مع ذلک فقد امتعض كثير من عظماء الأمة الفرنسوية و تجهموا من مقاله، وحسبوه خروجا عن النصفة، و مروقا عن محيط العدل في الحكم، و تعديا على حقوق من يجب رعايته عليهم من المسلمين عموما، و سكان الجزائر و تونس خصوصا، حتى قام من هذه الأمة الشريفة من له الكلمة العالية في الحكومة، و كتب مقالة تذمَّر فيها من خطاب رنان، و بيَّن هفواته، و أقام الأدلة على سقطاته، وذاد عن الديانة الاسلامية، و دافع عن المسلمين، و أبان ماكانوا عليه من الدرجة الرفيعة في الآداب و الفلسفة. و ما دعاه الى مقالته هذه إلا فضيلة مراعاة الأمم في أديانها، و حسن السياسة. و ما يقدر هذا الكمال أحد حق قدره إلا إذا نظر إلى الأمَّة الانكليزية، و تتبع معاملاتها مع المسلمين في الهند. إن الانكليز تحكم خمسين مليونا

من المسلمين. و لاترى لهم على نفسها حقا، و لا يختلج ببالها و جوب مراعاتهم، و لا احترام ديانتهم. إن قسس الأبروتستانت المغرورين يقومون في شوارع البلاد الهندية على سوقهم، و يطعنون في الديانة الاسلامية طعنا تقشعر منه الأبدان، و يفتعلون من الأراجيف ماتصطك منه الآذان، و يختلقون أقوالا يستبشعها الأوباش، و ينسبون الى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في رسائلهم من الشنائع و الفظائع ما تنبو عنه الطباع. و كل هذه بمرأى من الحكومة، و مسمع من الأمة الانكليزية. و ما تسمع من أحد منها إنكارا، ولاترى في وجوهها من هذه التعديات اغبرارا.

و ميزان الحق، والمسيح الدجّال[1]، و غيرهما من الرسائل المحشوة بالسب و الشتم و القذف في شارع الديانة الاسلامية تنبئك عن كيفية معاملة الإنكليز مع مسلمي الهند، و نهج مراعاتهم. و إذا قام أحد من علماء المسلمين لأن يعارض هؤلاء القسس* بكتب رسالة، أو إلقاء مقالة يُلق عليه القبض بدعوى إثارة الفتنة، و يرسل بلا محاكمة الى جزائر أندمان[2]. إن المولوي رحمة الله الهندي ماهرب إلى مكة المكرمة إلا بهذه التهمة التي تسببت عن المباحثات الواقعة بينه و بين القس فندرك الأبروتستانتي. و إن جواد الساباط ما فرَّ ليلا من الهند إلى جاوة إلا لتأليف البراهين السباطية ردا عن دينه وردا لأراجيف القسس الانكليزية.**

فأنظر أيها البصير الى التفاوت الكائن بين هاتين الأمتين، و أنصف.

---

۱. ميزان الحق و المسيح الدجال عنوانا كتابين فى التبشير المسيحي في الهند في ذلك الوقت.

* المراد: القساوسة ـ كما هو الدارج اليوم.

۲. كانت هذه الجزر النائية في المحيط الهادي مكانا ينفى إليه الأحرار الهنود و زعماء المسلمين.

** ظهرت هذه المقاله للسيدجمال‌الدين الحسيني. بجريدة «البصير» فى ۳ مايو ۱۸۸۳ م.

٢٢

وثـائق

نصوص غير منشورة بالعربية لجمال الدين الافغاني

نقدم في الصفحات الآتية، الترجمة العربية لواحدة من مقالات ثلاث منسوبة الى جمال الدين الافغاني احدى ابرز شخصيات القرن الفائت والمؤسس الحقيقي لاحقا لـ الإسلام السياسي، واحدى الشخصيات التي لعبت دورا نكاد لا نجد له مثيلاً في تلك الفترة الصاخبة والمعقدة من حياة العالم الإسلامي في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر.... المقالات الثلاث نشرت بالفرنسية، حاملة توقيع الشيخ الافغاني على ثلاث حلقات في جريدة «المتصلب» L'Intransigeant التي كانت تصدر في باريس باشراف وادارة اللبناني خليل غانم. وقد خرجت هذه المقالات في الفترة ما بين ٨ و١٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٨٣، اي بعد عام ونيف من بدء الاحتلال الانكليزي لمصر.

سنكتفي في تقديمنا لهذه المقالات ببعض الملاحظات ذات الطابع المنهجي والتقني. فعلى امتداد الصفحات القادمة سوف يعالج الافغاني الابعاد التاريخية - الدينية لظاهرة المهدي، عبر ابراز المحطات التاريخية واللحظات السوسيولوجية - الدينية التي تبلور فيها مفهوم المهدي كما ترسّخ في وعي المسلمين وتنوّع تبعاً للجغرافيا السياسية - الدينية ولمساهمات المذاهب وتبايناتها. كما يقدم الافغاني توقعاته السياسية المباشرة لنتائج ظهور المهدي، ولن يخلو العرض من تضخيم ومبالغة مقصودين بالنسبة لقدرة المهدي على استقطاب وجذب الحركة التاريخية - الدينية لشعوب العالم الاسلامي خلال مقاومتها للاستعمار. ويبدو ان الافغاني الذي امتلك صلات معينة مع المهدي حاول في كتاباته ان يضيف عمقاً تاريخياً ورسالياً على الارباك الذي عاشته الادارة الانكليزية في وادي النيل.

ويهمنا هنا، ان نلفت نظر القارىء الى امر قد يبدو تعبيرا عن مفارقة. فرغم حرصنا على نشر هذه المقالات التي تحتوي، الى حد كبير، على روحية الافغاني في ادبياته وعلى [illegible] اسلوبه الذي [illegible] كما [illegible] على صفحات [illegible] في باريس مع [illegible] محمد عبده. رغم ذلك فاننا [illegible] نجاه اي مقالة او تصريح او موقف نشر بلغة اجنبية ونسب الى الافغاني أو حتى الى محمد عبده. وهذا لا يعني على الاطلاق انه ينبغي عدم اعتبار ما نشر باللغة الاجنبية، بل عدم تناوله كبداهة مقالية. وهذا يستدعي بالطبع ضرورة التنقيب والمقارنة والتمحيص.. ففي تلك الفترة بالذات بدأت تسود براغماتية الدولة العقلانية مترافقة مع الصعود الملتهب للفكر الوضعي والمفاهيم التطورية الداروينية التي صاحبت على مستوى الوعي اسس المركزية الأوروبية والتي نهلت من معطيات العلم واكتشافاته سلسلة من المفاهيم ذات الطابع العقلاني والعلمي لبس اقلها مفاهيم العرق والأمة والجنس واللون. اردنا القول ان هذا الاطار التاريخي - المعرفي لم يجد عناء او قلقاً اخلاقياً اذا ما اقتضت حاجات التمدين والتوسع عملية تلفيق او تشويه، او تعديل لفكر هذه الشخصية الاسلامية او تلك. نضيف الى ذلك بالتشديد على الشرخ الدلالي الذي احدثته التأويلات المتسرعة وغير الدقيقة في بنية المفاهيم الاسلامية وقد ابدت الترجمات وقلبة المشاعر السلبية او الايجابية، قسطها في هذا الموضوع. فعلى سبيل المثال، نذكر هنا بأن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، الذي استعاد ايمانه المسيحي في اطلاق بحثه المسهب حول المتصوف المقتول «الحلاج»، اتهم ارنست رينان بتلفيق نص الرسالة التي استشهد بها خلال محاضرته الشهيرة في السوربون حول «الاسلام والعلم»، والتي تفيد بأن قاضياً مسلماً من الموصل ارسل برسالة الى احد ملوك فرنسا انطوت على ملاحظات ذات علاقة بالموضوع الذي تناوله المستشرق الملتبس رينان. ويجزم ماسينيون ان هذه الرسالة لا وجود لها على الاطلاق. ويذهب محمد حميد الله احد الاختصاصيين المعروفين في الدراسات الاسلامية الى ان رد الافغاني على رينان الذي نشر بالفرنسية هو ايضاً ملفق.

ونود ان نشير الى انه من الواضح، ان النص الذي قمنا بتعريبه مترجم عن العربية، لانه انطوى على مغالطات واخطاء كان من المستحيل على الافغاني ان يرتكبها، ناهيك بأن جمال الدين لم يكن يحسن الفرنسية. اضافة الى ذلك، لا شيء يثبت اذا كان الامر يتعلق بنص مكتوب بالعربية قامت الصحيفة بترجمته أم انه حصيلة حديث مع الافغاني حول موضوع المهدي.

واخيراً، نعتذر من القارىء عن الفارق الذي «سيجده» بين لغة التعريب الحديثة التي اعتمدناها، وبين لغة اهل القرن الفائت كما عرفناها. كما نعتذر لاضطرارنا خلال عملية استخراج الاحاديث النبوية، الى اثبات الحديث الاكثر قرباً من الحديث كما ورد بالفرنسية، لاننا لم نجد اغلب هذه الاحاديث بصورتها الحرفية، ربما سبب ذلك هو الترجمة الفرنسية التي لا تخلو من الركاكة على اي حال.

المقالة الاولى

هذه المقالة مؤرخة في ٨ كانون الاول ١٨٨٣. وفيها يلي المقدمة التي صاغتها الصحيفة ويليها نص الافغاني.

في العام الفائت، كانت جريدة «المتصلب» L'Intransigeant السبّاقة في تعريف الجمهور الباريسي على احدى الشخصيات الاكثر اهمية واحد اسـ[illegible] العقول في العالم الشرقي، الشيخ الافغاني جمال الدين، العدو اللدود الذي تلقاه انكلترا في كل مكان، والذي يبدو انه ادى لزاء انكلترا خدمة منيعة، ولنستعد هنا هذا الحدث الذي ذكره مراسلنا لوكاكان E. Vauquelin في ذكريات من الثورة المصرية: ذات مساء في مسجد الحسن (الأرجح انه مسجد سيدنا الحسين) في القاهرة، وامام اربعة آلاف شخص، القى جمال الدين خطاباً حماسياً، فشرح خلاله، وبحسّ عميق، وقبل ثلاث سنوات، الهدف النهائي للسياسة الانكليزية على ضفاف النيل. بعد يومين، وبناء لطلب القنصل العام لانكلترا، اوقف خطيب مسجد الحسن (الحسين)، وساقوه في مركب ونقلوه الى جدّة على شاطىء الجزيرة العربية. انتقل جمال الدين حينها الى داخل مقاطعة الحجاز. حيث لم يعد يُسمع عنه شيء.

منذ بضعة اشهر، وصل الشيخ الافغاني الى باريس، واعطانا ملاحظات ومعلومات عن الوضع في الهند التي مكث فيها عدة سنين والتي تجول فيها من مدة قريبة. وقد اعجبتنا بالفائدة المباشرة التي انطوت عليها هذه المعلومات (مقالة الافغاني عن الهند نشرت في الصحيفة نفسها بتاريخ ٢٤ نيسان/ابريل ١٨٨٣). واليوم، شاء الافغاني ان يقدم لنا دراسة عن المهدي الذي ثوّر الاسلام بظهوره في منطقة النيل الأبيض، والذي منذ فترة وجيزة كبّد الجيش الانكليزي - المصري اشنع هزيمة. هذه الدراسة ننشرها كما هي، وكما وصلت الينا دون اية اضافة، ودون اي حذف. وليس هناك احد افضل من الشيخ الافغاني الشهير يستطيع ان يكتبها لأن احداً لا يعرف العالم الاسلامي افضل منه ولأن احداً لا يستطيع التكهن بالتبعات الخطيرة التي يمكن لاحداث السودان ان تلقاها في مصر وفي غيرها. وفيما يلي نص مقالة الافغاني.

«الشخص الغامض، محمد احمد، الذي برز خلف اسم المهدي منذ عامين في السودان، والذي عبر قضائه شبه التام على الحملة العسكرية التي قادها الجنرال هيكز Hicks بدا يشغل الرأي العام في اوروبا، ويستثير بصورة خاصة الصحافة الانكليزية التي تعكس في الوضع الراهن للأمور المشاعر الحقيقية للأمة. هذا الانتصار، الذي زرع الفوضى في وزارة الخارجية، يبدو انه احتفظ للسيد غلادستون Gladstone في وادي النيل بنفس الثمار التي جناها اللورد «بيكونسفيلد» Beaconsfield في افغانستان. من ناحية اخرى، فتح هذا الانتصار الباب امام مطامع الخديوي السابق اسماعيل باشا وكذلك امام مطامع حليم باشا: فكل واحد منهما يعمل بنشاط للحصول على عطف انكلترا، ولا يتوانى الواحد منهم ان يعد الانكليز بخنق هذه الانتفاضة على شرط ان يؤكدوا له دعمهم للوصول الى عرش الخديوية. اما بالنسبة لتوفيق فهو في وضع في غاية التعقيد وفي حالة تصبح عصبية، يوماً بعد يوم. نرى هذا الأمير البائس تحت رحمة احتمالين كلاهما مشؤوم: احتلال الانكليز النهائي لمصر، او وصول المهدي الى القاهرة. وتحت رحمة طموحين: طموح ابيه اسماعيل وطموح عمه لأبيه حليم.

وانني اقترح ان اقدم في مقال لاحق بعض التفسيرات الشخصية المهدي من وجهة نظر سياسية، ومن زاوية مصالح القوى الاستعمارية ومصالح تركيا، واتحدث عن الانطباع الذي يمكن ان يولده اسم المهدي في العالم الاسلامي، كما سأتحدث عن نوايا انكلترا ازاء هذه المسألة الخطيرة، وعن الربح الذي يأمل بتحقيقه الاشخاص الطامعون بالخديوية. لكنني سأكتفي الآن بتلخيص بعض الاحداث التاريخية التي هي من طبيعة تهمّ الجمهور وترشده حول المهدي، حول قوته لدى المسلمين، وحول طرائق المسلمين في الاعتقاد به، الاسباب التي أدت الى هذه المعتقدات والاحداث ذات الطبيعة المشابهة والتي حصلت في الماضي، واخيراً سأتحدث عما ينتظره الاسلام حالياً من المهدي.

المهدي - كلمة عربية معناها: الملهم من الله لاتباع الصراط المستقيم - وهو ليس نبي كما تزعم بعض الصحف؛ ولا يعطى المهدي لدى المسلمين الا باعتباره واحداً من ابناء الرسول العظيم، النبيّ، ص.ع، تهيأ الصراط الذي رسمه جده محمد، ويلتزم بالمذهب الاسلامي بأمانة. مهمته الالهية تقوم على القضاء على البدع، والمناداة بالعدالة، واقامة المساواة بين كل المؤمنين وينشر اسم الاسلام، ويجعله متصلاً في كل انحاء المعمورة.

الصفحة الاولى، من مقال السيدجمال‌الدين، حول المهدى

مجلة «اليوم السابع» باريس ١٩٨٥ م

باب ما يؤول اليه امر المسلمين في المستقبل

اذا نظرنا الى الحالة الراهنة رأينا انه آن الاوان للتكلم في مستقبل الاسلام فان انحطاطه
في زمن السلطان سليمان المسمى بالمشرع من يوم حصار فيينه ويانه في سنة ١٦٨٧ لم يزل يظهر
شيئاً فشيئاً حتى بلغ اواخر القرن الاخير اي عهد السلطان محمود الثاني الذي بلغت رجال
دولته اعلى درجة في التأخير وتملكت بعد الانكليز والمسكوا والفرنساويه على كثير من
المسلمين وبقي معظم اهالي الاسلام يخبطون في الجهل منتظرين سقوط المملكة التركية تحت
صواعق الافلاس والحروب الباطنية والحروب الخارجية التي تخشى من حصول النظر فيها
فضلاً عن الهزيمة على ان تلك المملكة التركية هي التي ورثت الملك من الخلفاء الذين دانت
لهم الارض باجمعها وخضعت لها ممالك اوربا بصياحها ودموعها وهي الآن حصن غير
منيع لحفظ شوكة الاسلام ووقاية واهية للتجمع والالتئام
فاطلب الآن بما تؤول اليه امر المسلمين وهي في ظلمات من تقلب الاحوال وخيف من عدم
تحقق الآمال افيخطر ببالك ان يقال ان هذا الدين يتلاشى وانه اخذ زمن مضى او يخطر
ببالك ان فيه الكفاية لتنظيم احوال المؤمنين الى قوة منشأه ويكون معيناً على نشر التمدن
في جميع اقطار الدنيا فهناك مسألتين خاصتين بحال الاسلام وما يؤول امره اليه بالنسبة
لاصلاح شؤونه في المستقبل وبالنسبة لسائر النصارى الذين تحت حكومة الاسلام وهاتان
المسألتان لهما دخل عظيم في المسألة الشرقية التي لا تحول ولا تزول
فلا وجه للمجاوبة عنهما بوجه الايجاب لان الدليل الاقوى لتعضيد كل منهما لا بد من
دخوله في مسألة الاديان وقال المؤلف فولطير ان الدين قاصر على الزمن الذي ظهر فيه
وان الاديان سترفع من الارض بعد ان تنتشر المروءة على وجهها وان آخر دين اكثر تنقيحاً
من باقي الاديان التي تقدمت وان التنظيمات التي تحصل في الدنيا لا بد لها من دين جديد
فاذا كان هذا الدين هو دين الاسلام يلزمنا ان نتوقع زمن ظهوره على الاحوال التي
حصلت في الدنيا وتضاهي قواعده بقواعد الاديان المتقدمة ثم نبحث في الثمرات التي حملتها
التواريخ ونطلع على اسباب انحطاطه في هذه الايام واذا تأملنا في الاسباب الموجبة للانحطاط
ظهر لنا انها ناشئة من عدم موافقة ذلك الدين للتقدم والتمدن الحاصل في هذا الزمن فاذا
امعنا النظر في درجات تلك المسألة رأينا الاسلام ظهر بعد النصرانية بستمائة واثنين وعشرين
سنة فكانت قواعده اعلى درجة من دين النصرانية
وعندنا دليل آخر وهو ان الدينين ظهرا في ارض واحدة وان الدين النصراني سقط في بلده

الصفحة الاولى من مقال: باب مايؤول اليه امر المسلمين

لان بهذا الزمن ما ساعد لذلك اذ لا وجود للماليك والانكشارية الذين
عطلوا السلطان محمود فى زمنه سيما المسلمين الآن رغبة عظيمة فى معرفة العلوم
الاوروباوية فاما مصر فانما مدرسة فتحت مجانا فى محروسة مصر منذ ثلاث سنة
وبلغنا عند افتتاحها ان التلامذة والراغبين هرعوا اليها ولم يمكن بقى الا
ثلاثمائة طالب فوجد عدد الذين دخلوا فيها يوميا يبلغ سبعمائة وحصل
مثل ذلك حيث امرت الحضرة الخديوية بفتح مدرسة للبنات وكانت
اول مدرسة فتحت فى مصر وما كان يؤمل انها تنجح ففى اول يوم بلغ عدد
الوارد فيها قدر المطلوب ثلاث مرات فمن نظر الى ذلك بعين التأمل
رأى نتيجة عظيمة لا بالمال ولا بالقتال فنشر التعليم خصوصا بين
النساء لا شك انه يؤول امره الى فصل مشكل المسألة الشرقية
ولا يحتاج الامر فيها الى قتال ولا نزال لان سيف التعليم امضى من
سيف المحاربات   ولنضرب هنا مثلا بالارض المزروعة
بانها الشتاء فيستر زرعها بالثلج فترى كالميت واذا اتى عليها الصيف
وذابت الثلوج اخرجت زخرفها وازينت فكذلك الاسلام اذا
التفت الى معرفة العلوم والفنون وادرك الدرجة العليا فى التقدم
كان عزمه قويا ومستقبله مرضيا   ان الله على كل شيء قدير

تمت بخط احمد الحكيم
الانهري البحراوي
الحنفى
الحنفى
كتبت هذه المقاله
فى شهر صفر الخير
سنة ۱۲۹۴

نسخه فتوکپی از این مقاله سید
جمال الدین اسدآبادی به لطف
آقای حسن محجوب مدیر کتابخانه مجلس سنا
اخذ شد. این سند در بین اوراق خطی
کتابخانه مجلس سنا بدست آمده است
(۱) ۱۳۵۲/۲/۵ - تهران
خسروشاهی

الصفحة الاخيرة من: باب مايؤول...

۱. نسخه فتوکپی از این مقاله سیدجمال‌الدین اسدآبادی، به لطف آقای حسن محجوب مدیر کتابخانه مجلس سنا اخذ شد. این سند در بین اوراق خطی کتابخانه مجلس سنا به‌دست آمده است. ۱۳۵۲/۲/۵ تهران: خسروشاهی

«أحرار» يقتلون الحرية

الخديوي أعار يديه للاحتلال خوفا على العرش

مصر باب الشرق وفيها لم يخمد العصيان

السيد رئيس التحرير

لقد خان الاحرار الانكليز كل تعهداتهم التي ضمنوها برنامجهم السياسي . الذي بموجبه وصلوا إلى الحكم .. وذلك بتدخلهم في شؤون مصر . وجهودهم التي دم بصدد بذلها في سبيل السيطرة على هذا البلد .

انهم خانوا وعودهم . بسبب تعهدهم امام ناخبيهم الدفاع عن حق الناس وحرية الامم . في كل انحاء المعمورة .

الاحرار فاقوا المحافظين في مجال الفتوحات والحروب القاتلة التي تقدموا بصناعة اللورد بيكونسفيلد واصدقاء . بسببها .

ومن لا يتذكر غلادستون خلال الانتخابات العامة . الذي لم يزهد في تأييد « الزولو » الذين تحدوا الجنود الانكليزية . والافغان الذين . بتحالفهم مع الروس وحدهم . انقضوا على علاقاتهم الصداقية مع انكلترا .

وهو . غلادستون نفسه . الذي اعلن الحرب على المصريين الذين لم ينتهكوا حدود احد . وكل ما طلبوه هو ان يصبحوا احرارا في وطنهم .. الذين لم يعطوا أهمية . على صعيد التحالف . لاية دولة اوروبية . دون الاخرى . مفضلين العيش بسلام وبصداقة طيبة مع الجميع .

اهكذا . إذن . يجري اللعب على قيمة الكلمات بين الاوروبيين . وهل يجب ان نعتقد بأن الذين ينادون بينهم بلقب الاحرار . في وطنهم . هم اسوأ اعداء الحرية لدى الآخرين .

فضلا عن ذلك . فإن فتح انكلترا لمصر قد تم وفق موضة الفتوحات الخاصة بهذه الامة والمتبعة منذ جيلين . فانكلترا لا تقدم على ذلك . والسلاح باليد . انها تحترس جيدا . وبالعكس . هي تدخل البلد الذي تطمع به . تحت كل الاشكال الاكثر مجاملة . وكل المظاهر الاكثر مودة . هناك . تنحاز احيانا إلى جانب الامير ضد الشعب . واحيانا إلى جانب الشعب ضد الامير . وهي تنحاز مرة لدولة ومرة لاخرى . تبعا للظروف . ووفقا لعروض الخدمات الملحة . واضعة تحت تصرفهم لخلص موظفيها وضباطها الذين . سرعان ما يهيمنون على كامل الادارة . وليس ما يمنعهم من الظهور بالتجرد من اية غرضية . حيث انهم لا يقصدون إلا انقاذ الامير من اعدائه الداخليين . وتخليص الشعب من اعدائه الخارجيين .

هذه المسرحية . المتكررة . لعبتها انكلترا مؤخرا . تارة إلى جانب الخديوي توفيق . وطورا إلى جانب الحزب الوطني المصري . حيث لم تعد تعرف . حتى اللحظة . الاخيرة . ايا من الاثنين هو تحت حمايتها نهائيا . بالنسبة للخديوي . حاولت ان تقنعه انها الوحيدة التي تستطيع وتريد دعمه ضد الحزب الوطني . الذي يهدف فقط إلى قلبه . وهذا خطأ . وقالت للحزب الوطني وعرابي بواسطة جواسيسها السريين . انها الدولة الوحيدة التي ترغب في الحكم الذاتي لمصر . وهذا ايضا خطأ .

واحسرتاه ! فلو كان الخديوي اكثر فطنة او اكثر ثقافة . لكان تذكر ما يترتب عادة على الامراء والاسر المالكة . الذين يقبلون المساعدة والحماية من انكلترا ضد مواطنيهم . في الواقع . بدأت انكلترا في تحديد سلطتهم . معلنة انها خادمتهم الاولى .. تلك السلطة الملكية التي وضعتها بريطانيا دائما في المقدمة . وجابهت بسببها الجميع في الداخل والخارج . ولكن شرط ان تتصرف السلطة تلك كما يحلو لها (اي لانكلترا) .

هذا ما يمكن رؤيته في الهند خلال ٨٠ سنة . فانكلترا لديها الصبر ـ الصبر كان فضيلتها السياسية الكبرى ـ ان تظهر بمظهر الصديق المتواضع . الاكثر سعادة والخليفة الاكثر تبجيلا من عائلة تيمور المالكة . رغم انها . منذ اليوم الاول لتدخلها الصداقي لم تترك لهم . في التحديد وفي الحقيقة . غير اللقب الشرفي الشاهنشاهية . ولم تخلع القناع وتظهر على حقيقتها : السيدة الوحيدة والمطلقة الهند . إلا منذ حوالي ثمانين سنة .

لو كان توفيق اكثر ثقافة . لادرك ان انكلترا . وهي تسيطر كما فعلت . بحجة الدفاع عن البلد . وعن الجيش المصري .. ستعامله . وهو الخديوي . تماما مثلما عاملت « النابوب » في « البنغال » و« الاكانو » و« كاماتاك » وغيرهم من « النابابين » الذين هدرت دمهم وضمت بلادهم . بواسطة الجيش الذي وضع تحت رعايتها حيث اعادت تنظيمه . كما ادعت . من اجل الدفاع عن العرش .

ولو اردت ان اقيم مزيدا من المقارنة والتشابهات . لكنت لاحظت كيف ان انكلترا حين استولت على جزيرة قبرص . قد تظاهرت بالقول انها لم تسلخها نهائيا عن الامبراطورية العثمانية التي سوف تعيدها إليها . ولكن حين سلخت كالكوتا من آل تيمور . لم تقل إلا الشيء نفسه .

حتى خلعها لاسماعيل واستبداله بتوفيق . ليس شيئا فريدا في سياسة انكلترا الشرقية . ذلك ان الاحتلال الوشمي نفسه . قد جرى برعايتها . يوم تم خلع « النابوب سراج الدولة » . واستبداله بمراد جعفر .

باختصار . انكلترا هي بصدد تفكيك الامبراطورية العثمانية من اجل ابتلاع الاجزاء المرغوبة منها . الواحد تلو الآخر . تماما بالطريقة نفسها التي ابتلعت فيها الهند . ببطء . ولكن بلا مخاطر .

غير انها . لسوء حظها . قد اضطرت إلى التخلي عن نهج النفس الطويل في مصر . رغم الحالة . فإن نجاحات الحزب الوطني . الذي لم يقبل بأقل من الحكم الاستقلالي البلد . قد دفعتها إلى التفكير الشديد . ان حكم الحزب الوطني لمصر . كان مناقضا لما حلمت به . ولذلك سرعت الاحداث . والمعروف ان النتيجة المباشرة للتسريع

الصفحة الاولى من مقال: احرار يقتلون الحريه... مجلة «اوراق»

بابية[1]

دين ظهر في بلاد العجم نحو سنة ١٨٦٢ بدعوة
رجل من اهل شيراز يُعرف بالسيد علي محمد وكان
تلميذاً لبعض تلامذة الشيخ احمد زين الدين الاحسائي
الذي مزج التصوّف والفلسفة بالشريعة وجمع بين
اعتقادات الشيعة الامامية والاصول الفلسفية على طرز
جديد وقال ان المهدي الغائب المنتظر ظهورهُ عند الشيعة
هو الآن من سكان عالم روحاني غير هذا العالم الجسماني
سمّاهُ جابلقا وجابرسا ولكن اجسام سكان ذلك العالم
الروحاني كاجسام الجن والملائكة المسماة بالاجسام
الهورقليائية وهي من اصطلاحات الكيميا القديمة وقد قفاهُ
على هذا الاثر تلامذته وقاموا في مقام التعليم على منهج
الطريقة وكان من امر السيد علي محمد المذكور بعد ان حجّ
الى مكة ان ادّعى انه باب المهدي واقام على تقرير هذه الدعوى
مدةً واسس ذلك الدين من عناصر اسلامية ونصرانية
ويهودية ووثنية ولقب نفسه باب الدين ثم ترك هذا اللقب
ولقب نفسه النقطة او خالق الحق مدعياً انه ليس نبياً بسيطاً
بل هو مخصص للالهة ولقب احد اتباعه لقب الباب وارسل
دعاةً الى جهات مختلفة. ثم بناء على قول مقتداهُ الشيخ
احمد المذكور في امر المهدي ادّعى ثانيةً انه المهدي بعينه
ولكن ذاك الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هذا الجسم
الكثيف المادّي ولما كانت الرجعة اي رجوع بعض الائمة
السابقين وتابعيهم من الاصول الثابتة في مذهب الامامية
والتناسخ من اعتقادات طائفة الباطنية الذين تسلطوا في
بلاد العجم مدة طويلة كان له بقايا في النفوس فقام جماعة
من اتباع هذا الرجل اعني السيد عليّاً وادّعى بعضهم انه
الحسن وبعضهم انه الحسين وبعضهم انه غيرهما من الائمة
وتابعيهم وايّد هذه الدعاوي عدم رأيٍ رآهُ هذا
الرجل نفسه وهو ان شخصية الشخص التي باعتبارها يمتاز
عن غيره وينال اسماً خاصاً يوكحسن او حسين مثلاً انما
هي صفاته واخلاقه التي يكون عليها فمن وجدت فيه
صفات شخص واخلاقه واحواله على وجهٍ تامٍ فهو هو في
اي زمان كان. ولقرب هذه الاعتقادات من مشرب الطائفة
الشيخية من الشيعة وهم اتباع الشيخ احمد زين الدين
المذكور آنفاً لبّى دعوة هذا الرجل كثير من اهالي بلاد
العجم المتمذهبين بذلك المذهب الجديد. فلما رأى اقبال
الناس عليه واجابتهم دعوته ترقّى في دعواهُ فقال انه هو
النبيّ ولكن الله قد انزل عليه كتاباً يسمّى بالبيان وانه
المشار اليه بقوله تعالى خلق الانسان علّمه البيان. والانسان
هو محمد والبيان هو هذا الكتاب المنزل على السيد علي.
وكتابه هذا يحتوي على كثير من العربي المسجّع وبعض
الفارسي الا ان العربي منه كان ملحوناً فلما سئل عن سبب
وقوع اللحن في هذا الكتاب المنزل مع ان اللحن نقصٌ
اجاب بان الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت
خطيئة في الزمن الاوّل فعوقبت على خطيئتها بان قيدت
بسلاسل الاعراب وحيث ان بعثتنا جاءت رحمةً للعالمين
فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والخاطئين حتى
الحروف والكلمات فاطلقت من قيدها تذهب الى حيث
شاءت من وجوه اللحن والغلط. وما ينسب اليه انه كان

الصفحة الاولى لمقال البابية. (قسمت اول مقاله دربارهٔ بابيگرى)

1. Babisme

الباب فهو عندهم اعظم من محمد كما ان محمداً اعظم من عيسى وفرض الصوم شهراً من اخر الحوت بحيث يوافق عيد فطرهم يوم النيروز وهو اول الحمل . ومن احكامهم انه يجب تخريب جميع البقاع المقدسة كمكة وبيت المقدس وقبور الانبياء والاولياء عند حصول اول سلطة لاحد ممن تبع دينه ويحرم شرب الخمر وكذا الدخان على جهة وحلله اتباعه من بعده ويندب شرب الشاي ندباً مؤكداً حتى ان من شربه ينال جزيل الثواب ومنها انه يجوز العقد على اثنتين فقط والشراء والمتعة بغير حصر وعلى ما يقال انه يجوز نكاح الاخت . ومنها ان من كذب في قول او نادى شخصاً من خلفه فقد اساء وكفارته اعطاء ثلثة مثاقيل من الياقوت فان لم يجد فصيام يومين . ومنها ان شهداءهم الذين قتلوا في طهران وغيرها يجب ان يبنى لهم مشاهد مكللة بانواع الجواهر وانه يجب على اي سلطان يكون منهم ان يضع سيفاً في العالم فاما الدين او الموت ولا يجوز اخذ الجزية . وانه يجب على كل واحد منهم ان يكون عنده كأس من الفضة وثوب نظيف نقي اما الكأس فيتناول بها الماء القراح الصافي واما الثوب فيجمل به عند الفراغ وانه يجوز ان يظهر بعده كامل اخر لكن بعد ان يمضي من السنين عدد حروف المستغاث يعني الفي سنة وكسوراً . ويحظر في مذهبهم اتخاذ السراري والطلاق واستعمال النساء للنقاب ويصح ان يقال ان دينهم الى الان لم يقرّ على نظام واحد بل هو كالرمال السيالة تحدث بسيرها تلاً في محل ثم تنتقل وتحدث تلاً اخر بشكل اخر في محل اخر

وكان من جملة دعاته امرأة فتية بارعة الجمال متوقدة الجنان فاضلة عالمة تسمى باسم سلمة من بنات احد المجتهدين في العجم وكانت متزوجة بمجتهد اخر طلقت نفسها من زوجها على خلاف حكم شريعة الاسلام وآمنت بذلك الرجل عن حب وكانت تكاتبه ويكاتبها فكان يخاطبها في مكاتباته بقرة العين فلقبت بذلك وكانت تناظر العلماء والفضلاء مكشوفة الوجه بدون حجاب ثم لما وقعت المحاربة بين البابيين وعساكر الدولة في مازندران جيشت جيشاً وقادته مكشوفة الوجه وسارت امامه طالبة اعانتهم وفي اثناء الطريق قامت في الناس خطيبة وقالت ايها الناس ان احكام الشريعة الاولى اعني المحمدية قد نسخت وان احكام الشريعة الثانية لم تصل الينا فنحن الان في زمن لا تكليف فيه بشيء فوقع الهرج والمرج وفعل كل من الناس ما كان يشتهيه من القبائح ثم قبض عليها وأُلبست البرقع جبراً وحكم عليها بان تحرق حية ولكن الجلاد خنقها قبل ان الهب النار بالحطب الذي أُعدّ لاحراقها

ومن احكام هذا الدين انه لا يجوز ان يضرب المعلم تلميذه اصلاً وان الزكوات والصدقات لا يجوز اعطاؤها لغير البابيين فان فقد فقير في البابيين فتصرف على من بقي على مذهب الشيخ احمد زين الدين الاحسائي

واما نسبتهم الى الاباحية (الكمون) فهذا من لوازم مذهبهم حيث ان كل من خالفهم في معتقدهم فدمه وماله هدر . واما تشاركهم في الاموال فهو من مقتضيات كل دين او مذهب جديد اذ يتعاون اهله ببذل جميع ما بايديهم و يرتفع الحجر والحرج من بينهم . فهذا ما رواه عنهم السيد جمال الدين الافغاني المشهور وغيره

(قسمت آخر مقاله سید درباره بابیگری)

دائرةالمعارف، قاموس عام لكل فن و مطلب، تأليف: المعلم بطرس البستاني، ج ۵ ـ دارالمعرفه، بيروت صص ۲۸ـ۲۶

جريدة - ابو نظارة زرقا - المتضمنة مقال الافغاني

الصفحة الاولى من مقال السيد، المنشور فى فصلية «اوراق» و فيها الصورة الاصلية لجريدة «ابونظاره الزرقا» المتضمنة للمقال

هذه مقالة عربية عن العجب

ان العجب من عوام الناس الى الكبر والكبر يصير سببا للنظر الى سائر الناس بالحقارة وبعد الى انهما
غير مطبوعة والعجب في عوام النفوس الصغيرة ومن لوازم عقول ضائقة دائرة ادراكها
لان من يكون ادراكه وسيعا وافكاره عالية يعلم ان للكون مراتب الا ان [illegible] وكل مرتبة من
المزايا معنوية كانت او صورية غير متناهية ولما انكشف هذا الامر على احد في كل مرتبة
كان ما ينظر اليه ما وقفه لم يحصل له الا القصور والاعتراف على نفسه بان للانسان
لم يحصل لعلمه اعتمادا والقوة نهاية والغاية وثروة غاية ثم ان تمكن احد بعجب
معللا نفسه ليتبل الى بعض من المراتب لم يمكن بسببه الا [illegible] وتعمية لانه يعتبر
يزعم بسبب ان عقله فوق جميع العقول فلهذا التفوق نفسه على غيره وضعف من اصحاب
والخطأ طائفة يصير سببا الى ثنية ببعض من المزايا يريد للانسان هذه ويحصل له النشوان والسكر
بحيث يفعل اعمالا غير مستحسنة ويحقر ويؤذي بين سائر الناس ما دام في مقام هذا العجب والكبر
وما يحصل للانسان بسببه مضرة ان اول مضرته انه يمنع للانسان من وصوله الى هذا ارتقي
كمالات غير متناهية ويرد النفوس والعقول من طلب المعالي ومن ثم يوصي في للانسان ان هذا من [illegible]
يجبره على الوقوف ومضرته الاخرى انه يبعث جميع الناس على العداوة ولا يقطع سلسلة [illegible]
هذا اساس [illegible] وهل [illegible] هذه [illegible] في زاوية الوحشة والدهشة معزول [illegible]
يحبس والعجب انما نرى في بلادنا لكثرة الناس من التكبر لا يمكنهم القيام في عالم ومن
على [illegible] التجبر والعظمة على [illegible] مع هذا الا [illegible]
فيهم مزية داعية الى هذه [illegible] الا الانتظار الى هذا [illegible] في [illegible] والصعاليك
[illegible]
[illegible]
[illegible]

العُجب ـ مقال بخط السيد...

و بها كشف عن سرائر الاسرار [illegible] ان امة [illegible] مبارك [illegible] ل ملك وامة [illegible] لكل ام [illegible]

[illegible] ام هو مبارك ام هو بالبستان او عز لك او نبطي ام هو الفكر

او كليلوا ام لابد اصبح سلك البرق او [illegible] او ان السكة [illegible] هذا العجب

وهذا التكبر الذي لا حد له وان كان الانسان شعورًا، او لكل شيء غيره يتوثب

في المخيلة واما الحق نفسه في زاوية من لا يعرف غيره وهذه الصفة السيئة يوجد قليلاً

الا في الشرق

القسم الاخير عن مقال السيد حول «العُجب»



الفهارس

الآيات، الاماكن، الاعلام

فهرس الآيات

الاعلام

الاماكن

بانی نهضت بازگشت به اسلام

... «سیدجمال» فریاد می‌زند تا مسلمانانی که در تمام آسیا و آفریقا بردهٔ چهار تا کلنل انگلیسی و فرانسوی و پرتقالی و ایتالیایی و اسپانیایی هستند، آزاد بشوند و رهایی یافته، به اسلام و قرآن بازگردند.

فریاد می‌کشد به اسلام جهاد بازگردیم تا از این ذلت و بدبختی بیرون بیاییم. قرآن را دوباره بگشایید و بخوانید و استعمار را بکوبید. «او» مثل روح ملتهب و مجروح در **هند**، **اروپا**، **ایران** و **ترکیه** می‌چرخد و فریاد می‌کشد و خوابها را می‌آشوبد! **مصر** خواب‌آلودی را که در زیر بار بردگی و استعمار و ذلت به مرگ نشسته بود چنان بیدار می‌کند که **انگلستان** در یک روز چند بار کابینه تشکیل می‌دهد.

«سیدجمال» نه تنها به عنوان یک مصلح اسلامی، بلکه در چهرهٔ یک انقلابی ضداستعماری در دنیای اسیر برخاست و فریاد بر آورد و اولین کسی است که **نهضت بازگشت به اسلام نخستین** و شعار رنسانس اسلامی در عصر جدید و در سطح تمدن واندیشهٔ این زمان و این نسل، مطرح کرد و اولین کسی است که با تکیه بر مذهب اسلام جنبش ضداستعماری و آزادی‌خواهی و نهضت رهایی بخش دنیای اسلام را آغاز کرد و این افتخار و پیروزی بزرگی بود...

«سیدجمال»، مردی که با استعمار غربی که در اروپا اسلام را لجن‌مال کرده با استعمار فرهنگی و فکری مذهب را در دنیا نابود کرده با دانشمندان وابسته به کلیسا که علیه پیغمبر اسلام به فحاشی و سمپاشی دائمی مشغولند و با مادّیونی که اصولاً ریشهٔ خداپرستی را می‌زنند، یک تنه وارد مبارزه‌ای بی‌امان می‌گردد و بزرگ‌ترین مدافع اسلام می‌شود، اما از پشت خنجر می‌خورد و مطرود و تنها می‌شود... دشمن با حربهٔ فحش و تهمت به میدان می‌آید، معلوم می‌شود که خلع سلاح شده است. اما ۴۰ سال بعد فریادش اوج می‌گیرد و در تمام کشورهای اسلامی نهضتهایی پدید می‌آورد که هرگز فرو نمی‌نشیند...»

دکتر علی شریعتی



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.



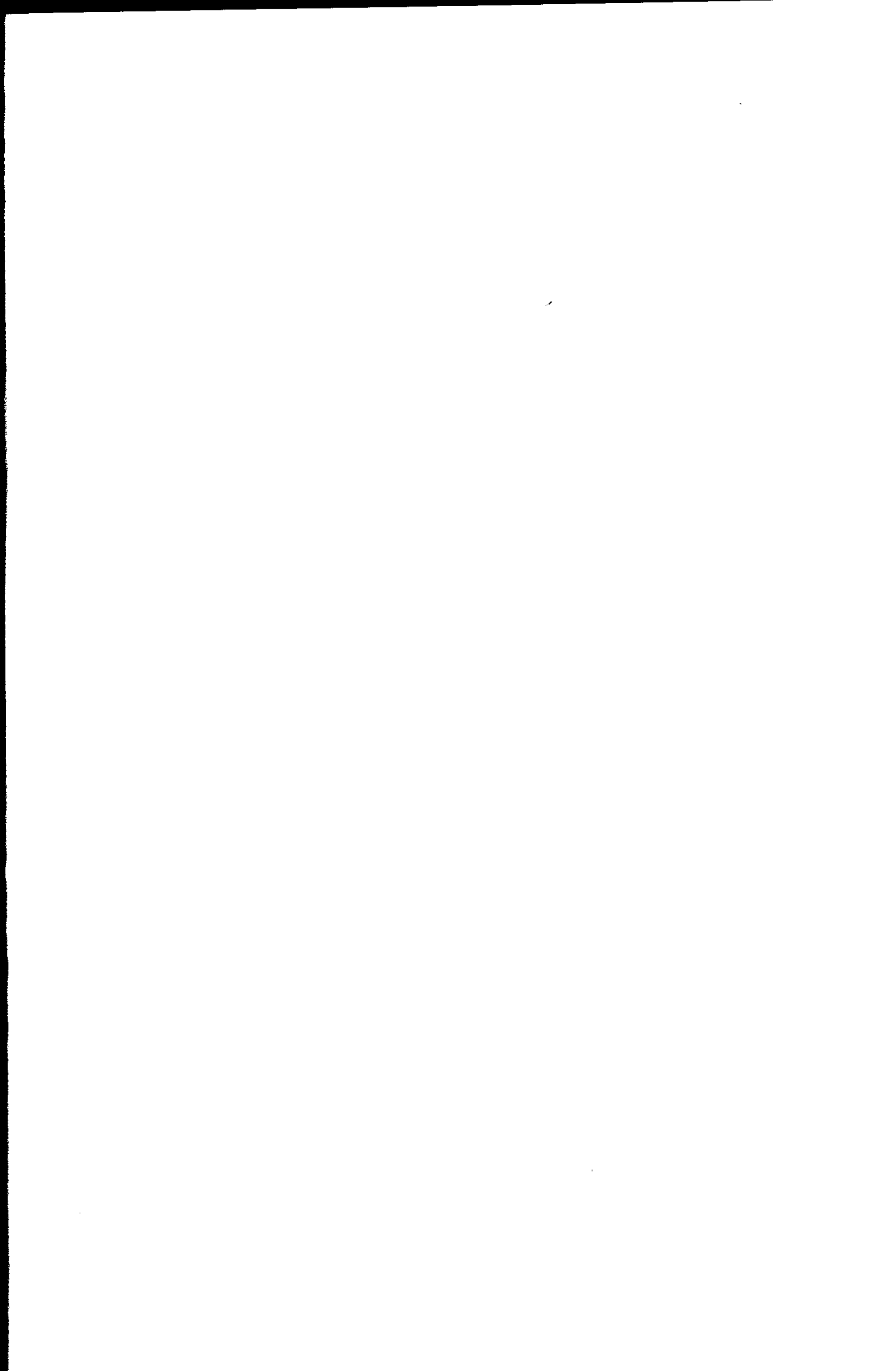
السيدجمال الدين الحسينى

تاريخ ايران و تاريخ الافغان

اعدادو تقديم :

سيدهادى خسروشاهى

بسم الله الرحمن الرحیم



مجموعۀ آثار سید
۷

السید جمال الدین الحسینی

تاریخ اجمالی ایران

و:

تتمة البیان فی تاریخ الافغان

و:

البیان فی الانجلیز و الافغان

اعداد و تقدیم:

سید هادی خسروشاهی



جمال الدين اسد آبادی، ۱۲۵۴ ؟ - ۱۳۱۴ ق.
تاریخ اجمالی ایران. و؛ تتمه البیان فی تاریخ الافغان. و: البیان فی الانجلیز و الافغان / جمال الدین الحسینی؛ اعداد و تقدیم هادی خسروشاهی. ـ تهران: کلبهٔ شروق؛ قم: مرکز بررسیهای اسلامی، ۱۳۷۹.
۲۲۸ ص. (۴ کتاب در یک کتاب): نمونه. ـ (مجموعه آثار سید؛ ۷)
۲۰۰۰۰ ریال : - ISBN 964 - 92729
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.
کتاب " تاریخ اجمالی ایران" توسط نصیر فرصت الدوله شیرازی تقریر شده است.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. ایران -- تاریخ. ۲. افغانستان .
الف. خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷ ـ ، گردآورنده و مقدمه نویس. ب. فرصت شیرازی، محمد نصیر بن جعفر،
۱۲۷۱ ـ ۱۳۳۹ ق. ج. مرکز بررسی‌های اسلامی. د. عنوان. هـ عنوان: تتمه البیان فی تاریخ الافغان. و. عنوان: البیان فی الانجلیز و الافغان.
۹۵۵ DSR ۲ ت ۸ ج / ۱۰۷
کتابخانه ملی ایران ۱۴۴۰۹ ـ ۷۹ م



کلبهٔ شروق



مرکز بررسی‌های اسلامی

تاریخ ایران و تتمة‌البیان

تألیف: جمال‌الدین الحسینی
اعداد و تقدیم: سیدهادی خسروشاهی
حروفچینی و صفحه‌آرایی: مرکز بررسیهای اسلامی
چاپ قم: چاپخانه الهادی
تعداد: ۵۰۰۰ نسخه
قیمت: ۲۰۰۰ تومان

شابک: ـ ۲ ـ ۷۷۲۵۵ ـ ۹۶۴

نشانی دفتر مرکزی، تهران: مقابل دانشگاه، شمارهٔ ۱۳۷۸ (صندوق پستی ۱۹۶۱۵/۴۹۳)
دفتر قم: خیابان صفائیه ـ ساختمان مرکز بررسیهای اسلامی (صندوق پستی ۳۷۱۸۵/۲۴۳۳)

فهرست

مقدمه

یکی از مزیّت‌های سیدجمال‌الدین حسینی که در واقع یکی دیگر از تخصّص‌های وی بود، «تاریخ‌شناسی» و معلومات گسترده او درباره تاریخ «ملل و نحل» جهان است. سید به دلیل مطالعات زیاد و سفرهای مکرر به کشورهای مختلف، با تاریخ آن کشورها بخوبی و از نزدیک آشنایی پیداکرده است. و در پاره‌ای موارد، بخشی از معلومات خود را با بیان و یا قلم، در اختیار عموم قرار داده است.

برای اثبات صحت این امر، می‌توان به دو نمونه از آثار «تاریخ‌شناسی» وی در بیان «تاریخ اجمالی ایران» و شرح تحلیلی «تاریخ افغان»، اشاره کرد.

۱. تاریخ اجمالی ایران

سید «تاریخ اجمالی ایران» را فهرست‌وار بیان کرده و فرصت‌الدوله شیرازی آن را در بوشهر تقریر نموده و سپس در مقدمه «دیوان» خود به چاپ رسانده است.

متأسفانه تاکنون اغلب نویسندگان شرح حال سید و پژوهشگران آثار و مقالات وی، حتی اشاره‌ای هم به این بحث تحقیق نکرده‌اند و فقط سیدحسن تقی‌زاده در مجله «کاوه» ضمن‌اعتراف‌به «وسعت اطلاعات تاریخی» سید،به این‌موضوع اشاره‌ای دارد.

البته سید در این نقل «فهرست‌گونه» تاریخ ایران، مشکل اساسی و علة‌العلل گرفتاریهای مردم ایران را که استبداد است، مورد نقد و بررسی قرار می‌دهد و خوشبختانه «فرصت‌الدوله» بطور تفصیل این مسئله را در مقدمه بحث اصلی خود، تحریر و تقریر می‌کند:* «... استبداد مانع از ترقی ملت است و نمی‌گذارد احدی به مدارج عالیه ارتقا جوید، استبداد ترقی را واژگون و سرنگون می‌سازد. بلکه می توانیم بگوییم

---

*. مقدمه مبسوط «فرصة‌الدولة» را پس از این مقدمه کوتاه، نقل کرده‌ایم.

ملت را از درجه انسانیت به حیوانیت برمی‌گرداند و از بلندی به پستی میل می‌دهد».

و: «... مستبد همیشه می‌خواهد رعیت در تاریکی جهل بماند و هرگز به نور علم منور نگردد... مستبد همواره از علم هراسان است و نمی‌خواهد در مملکتی رواج گیرد...».

و اصلاً شاید هدف سید از این بازگویی تاریخ ایران و اشاره به نام شاهان و سلسله‌ها!، بیان همین مشکل اساسی، یعنی: «استبداد» است که متأسفانه در کشور ما همه سلاطین و حاکمیت‌ها، همواره دچار آن بوده‌اند!.

بهرحال: «میرزاآقا فرصت» یا میرزا محمدنصیرالحسینی شیرازی در مدت کوتاهی که سید را در بوشهر می‌بیند، این بیانات تاریخی سید را تقریر و تحریر می‌کند و در مقدمه کتاب خود: «دیوان دبستان الفرصة» چاپ هند، بمبئی، چاپخانه مظفری، به سال ۱۳۳۳ هـ. ق، آن را منتشر می‌سازد... و سپس این دیوان در تهران نیز تجدید چاپ می‌شود و ما متن کامل مقدمه وی و بیانات سید را در این کتاب می‌آوریم.

البته باید اشاره کرد که «فرصت‌الدوله» یک شخصیت برجسته علمی و فلسفی در عصر خود بوده که از عناوین مندرج در صفحه اول دیوان وی، چاپ بمبئی به آن اشاره شده و چنین آمده است:«هو. دبستان‌الفرصة دیوان بلاغت بنیان، حسّان سحبان، نشان فلاطون، لقمان بیان، دانشمند فرزانه، فیلسوف یگانه، نحریر بصیر آقای میرزا محمدنصیر الحسینی شیرازی (فرصت‌الدوله) در دارالعلم شیراز مرقوم و در بندر معموره بمبئ در مطبع سپهر مطلع مظفری، بحلیه طبع آراسته گردید فی شهر جمادی‌الثانیة سنهٔ یکهزار و سیصد و سی‌وسه هجری علی‌ها جرها الف ثنا: ۱۳۳۳.».

۲. تتمة البیان فی تاریخ الافغان

این کتاب در سال ۱۳۱۸ هـ.ق ــ بیش از یک قرن پیش ــ بصورت کتابی مستقل در مصر چاپ شده که در روی جلد آن چنین آمده است: «اعتنی بتصحیحه و طبعه علی نفقته: علی یوسف الکریدلی صاحب و محرر جریدة العَلَم العثمانی».

در مقدمه این کتاب، کردیلی شرحی به قلم خود درباره امیر عبدالرحمن خان آورده

و او را مورد تمجید قرار داده، و سپس می‌نویسد:

«رابطه ما با مردم مسلمان افغانستان که حدود شش میلیون نفوس دارد، رابطه دینی است و همواره این ملت دارای فضائل امت محمدی بوده است، اما متأسفانه تاریخ روشنی از آن در دسترس نبود تا اینکه به یک کتاب پرارزشی در این زمینه بنام «تتمة البیان في تاریخ الافغان» برخورد نمودم که از تألیفات: **مهبط اسرار الحکمة، فیلسوف الاسلام و المسلمین، السید جمال‌الدین الافغانی الشهیر**، رحمه الله رحمة واسعة، بود... و من تصمیم گرفتم که برای خدمت به فرهنگ و علوم و نشان دادن فضائل این امت اسلامی بزرگ و برای جاودانه ساختن نام مؤلف بزرگوار ــ أسکنه الله فرادیس الجنان بالفضل و الرحمة ــ آن را چاپ و در اختیا عموم قرار دهم».

کریدلی در این مقدمه خود، تصریح دارد: «نسخه‌ای از کتاب سید را بدست آوردم که قبلاً یکبار به چاپ رسیده ولی نسخه‌های آن کمیاب و یا نایاب شده است.».

علاوه بر این مقدمه ناشر چاپ دوم کتاب، استاد سیدمحمد رشیدرضا که به جمع‌آوری و چاپ و نشر آثار و مقالات ــ شیخ محمد عبده و جمال‌الدین حسینی ــ همت گماشته بود، در شماره ۳۸ روزنامه «مصر» ــ مورخ ۹ ینایر ۱۸۷۹ میلادی، صفحه ۳ ــ ضمن وعده نشر مستقل کتاب سید درباره تاریخ افغان، می‌نویسد: «کتاب شامل تاریخ و احوال افغانی‌هاست و این بحث در چند بخش بدست ما رسیده که شامل یک مقدمه و چند فصل است و درواقع مجموعهٔ آن یک کتاب می‌گردد و ما هم‌اکنون، چاپ مستقل آن را آغاز نموده‌ایم و امیدواریم که بزودی در شکل زیبایی، در نزدیک به یک صد صفحه، منتشر گردد».

این خبر، بخوبی نشان می‌دهد که کتاب یکبار در زمان حیات خود سید و شاید در همان ایام اقامت وی در مصر، به چاپ رسیده و سپس نسخ آن به تدریج کمیاب شده و نسخه‌ای که به دست کریدلی رسیده، با حذف یکی دو مقاله، ــ که در آنها سید به شدت به سیاست انگلیس در افغانستان حمله نموده است ــ مجدداً در قاهره تجدید چاپ شده است.

خوشبختانه نسخه‌ای از چاپ اول آن، که فاقد صفحات اولیه و بخش دوم «البیان...» است، و صفحاتی از نسخهٔ خطی آن، در میان «اسناد و مدارک سید» در کتابخانه مجلس شورای اسلامی تهران، نگهداری می‌شود. و البته نسخه‌ای که ما به دست چاپ می‌سپاریم، شاملَ بخش حذف شده آن ــ البیان فی الانجلیز و الافغان ــ نیز می‌باشد.

اشاره به این نکته نیز بی‌مناسبت نیست که این کتاب، توسط «محمدامین خوکیانی» به فارسی نیز ترجمه شده و تحت عنوان «تتمهٔ بیان در تاریخ افغان» در سال ۱۳۱۸ ه. ش، در کابل به چاپ رسیده است.

۳. البیان فی الانجلیز و الافغان

این بحث همانطور که اشاره شد، ظاهراً تکمله‌ای بر کتاب «تتمه البیان فی تاریخ الافغان» بوده است، اما چون نشر آن در روزنامه «مصر» ــ در تاریخ اکتبر ۱۸۷۸ م ــ در اسکندریه، و سپس ترجمه و نشر آن در لندن،[۱] موجب مناقشات و تنش‌هایی گردید، ناشر دوم، از چاپ آن در آخر کتاب سید خودداری نموده است. بهمین دلیل هم مجلّه «النحله»، در همان وقت نقدی بر این مقال سید نوشت که «رد علی رد» سید، در پاسخ آن است و در نوامبر ۱۸۷۸ م، در نشریه «مصر» درج شده است.

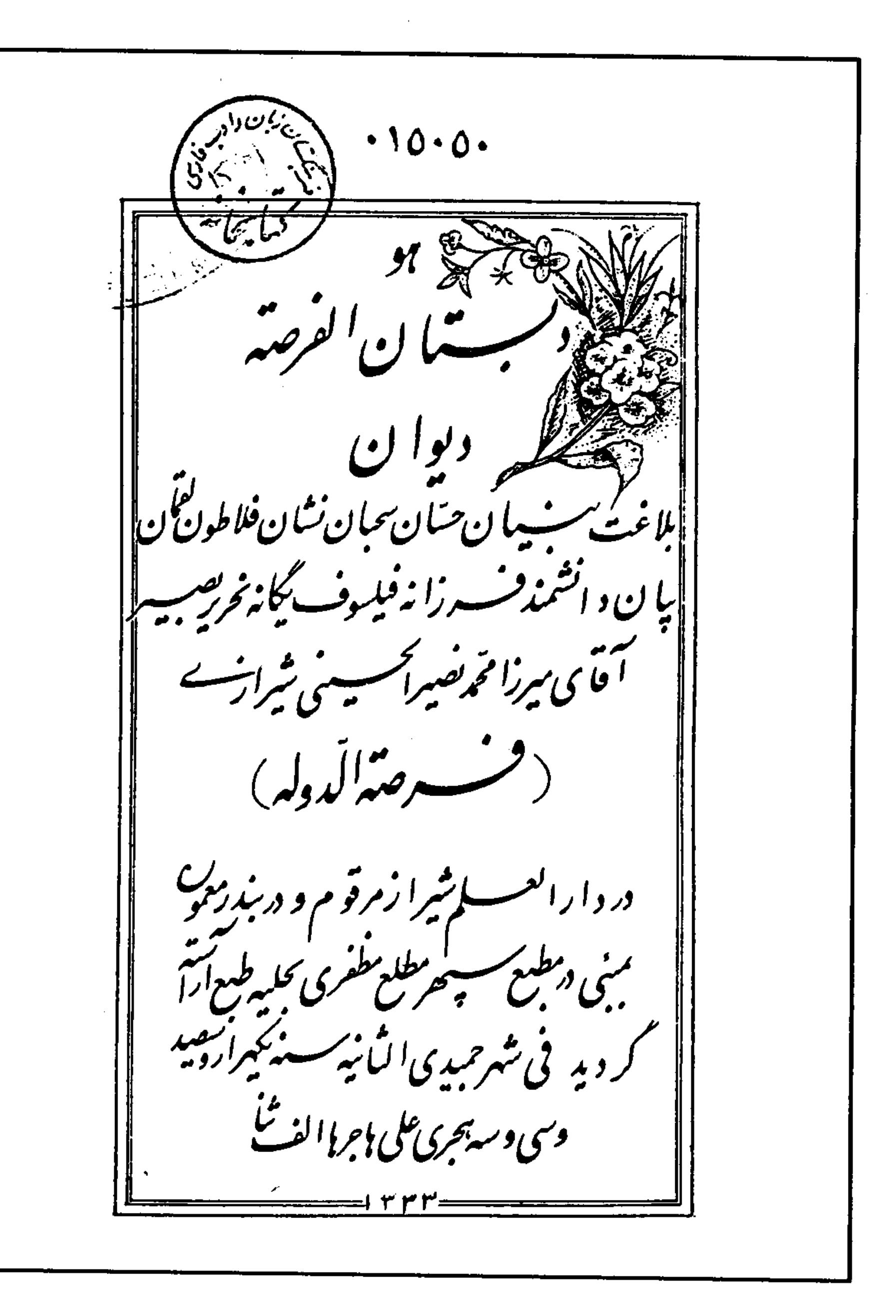
خوشبختانه در این مجموعه، کتاب: تتمه البیان و دو مقال مورد اشاره، همراه با: تاریخ اجمالی ایران، یکجا در اختیار علاقمندان قرار می‌گیرد. امید که مورد استفاده عموم واقع گردد.

تهران ـ مهرماه ۱۳۷۹ ـ رجب ۱۴۲۱ ه

سیدهادی خسروشاهی

---

۱. مقاله را کشیش «جورج پرسی بادجر» ترجمه نموده و در نشریه: The Homeward Mail در تاریخ ۳۰ نوامبر ۱۸۷۸ م، در لندن چاپ شده است... متأسفانه متن اصلی ـ عربی مقاله مندرج در روزنامه «مصر» به دست نیامده و مرحوم دکتر علی شلش آن را از روی ترجمه انگلیسی، به عربی برگردانده و در کتاب «الاعمال المجهولة» چاپ لندن، آورده است.



هو

دبستان الفرصة

دیوان

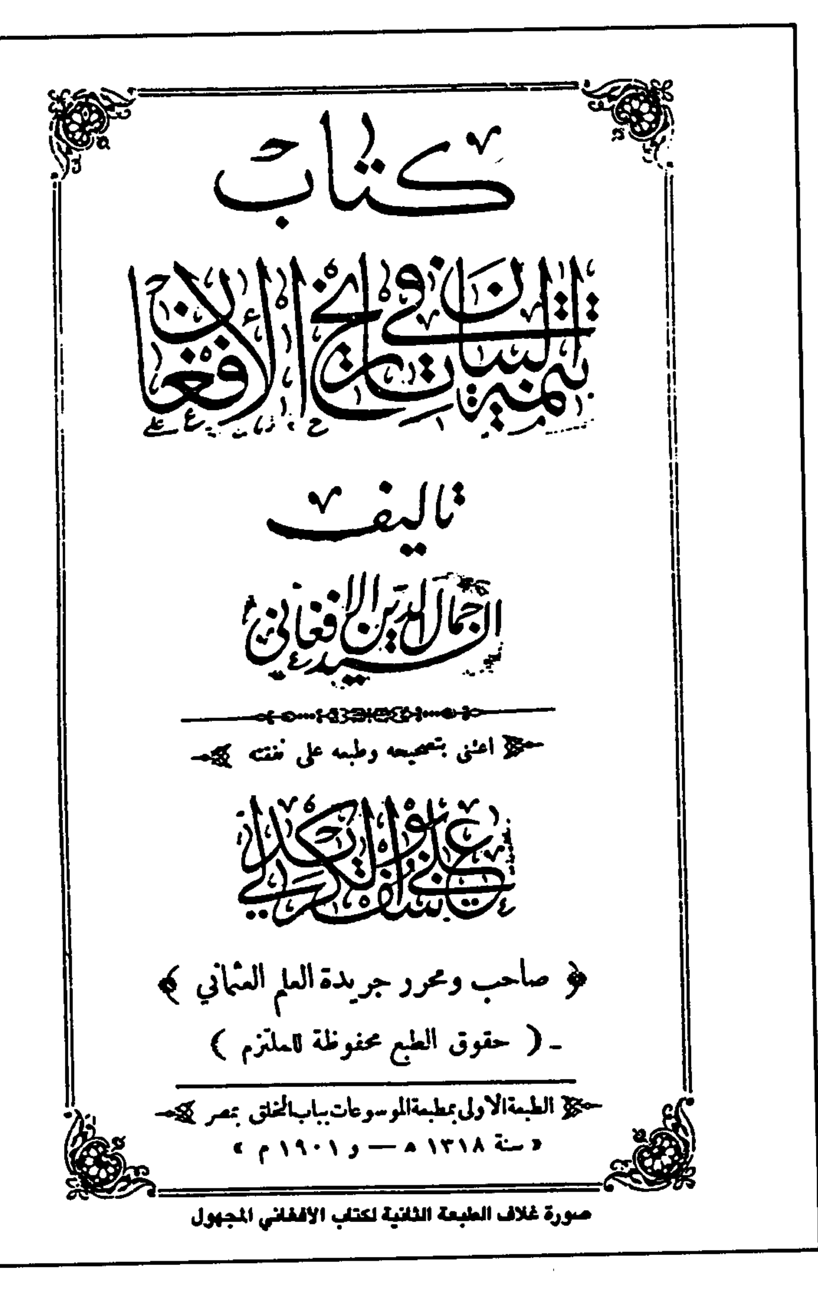
بلاغت بنیان حسان سحبان نشان فلاطون لقمان
پایان دانشمند فرزانه فیلسوف یگانه نحریر بصیر
آقای میرزا محمد نصیر الحسینی شیرازی

(فرصة الدوله)

در دار العلم شیراز مرقوم و در بندر معموره
بمبئی در مطبع سپهر مطلع مظفری بحلیه طبع آراسته
گردید فی شهر جمیدی الثانیه سنه یکهزار و سیصد
و سی و سه هجری علی هاجرها الف ثنا

۱۳۳۳

دبستان الفرصة چاپ بمبئی ۱۳۳۳ هـ ق


كتاب
تتمة البيان في تاريخ الأفغان
تأليف
السيد جمال الدين الأفغاني
اعتنى بتصحيحه وطبعه على نفقته
علي يوسف الكريدلي
صاحب ومحرر جريدة العلم العثماني
(حقوق الطبع محفوظة للملتزم)
الطبعة الاولى بمطبعة الموسوعات بباب الخلق بمصر
« سنة ۱۳۱۸ هـ — و ۱۹۰۱ م »

صورة غلاف الطبعة الثانية لكتاب الأفغاني المجهول

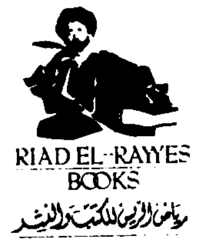
روی جلد تتمه البیان... چاپ مصر ـ ۱۳۱۸ هـ. ق

صفحه از نسخه خطی «تتمه البیان فی تاریخ الافغان» موجود در کتابخانه مجلس شورای اسلامی

سلسلة الأعمال المجهولة

جمال الدين الأفغاني

تحقيق وتقديم الدكتور علي شلش



4, Sloane Street, London SW1X9LA

صفحه‌اول کتاب «دکتر شلش»، چاپ لندن، که شامل مقالاتی از سید است و «تتمة‌البیان فی تاریخ الافغان» نیز از روی متن چاپ قاهره، در آن آورده شده است...

فرصت‌الدوله شیرازی

مقدمه

چگونگی تقریر تاریخ ایران



دیدار و آشنایی با
سیدجمال‌الدین اسدآبادی

ـ چگونگی تقریرِ «تاریخ ایران» توسط: فرصت‌الدوله شیرازی ـ

... در سال یکهزار و سیصدوسه هجری که عمرم به سی و دو سال رسیده بود، به عتبات عالیات مشرف شدم... مرحوم پدرم در زمان حیات با یکی از اشراف خلطه و آمیزشی داشت که مراوده با او را گاهی فرو نمی‌گذاشت، من هم بـا پسـر او سـمت همدرسی و دوستی داشتم... از شیراز دامن برچیدم، نیمه‌شبی به سمت «کازرون» فارس حرکت کردم. در باغ‌نظر که از مشاهیر بساتین ایران است و درختهای نارنجش مشهور جهان، وارد شده بار گشاده رحل اقامت افکنده بیاسودم و تا هفته‌ئی در آن بسـتان خلد نشان ببودم...

در آن باغ که بودم یکی از تجار شیرازی ساکن بوشهر از خراسان آمده بدانـجا می‌رفت، مرا دیده رفیق راهی جسته مرغباتی چیده که تا «بوشهر» به روم قولش را پسندیده روانه شدم و در هر منزلی که می‌رسیدم نقشه آن منزل را برداشته و جغرافی آن را می‌نوشتم که مسافرت نامه مختصری شد و من شرح این مسافرت را در کتاب «آثار عجم» مرقوم داشته‌ام.

اوقاتی که در بوشهر بودم یک‌روز وارد شدم به منزل «حاجی احمدخان» که چندی وزیر «مسقط» بود و از اعیان آنجا بلکه ایران، در صفت جود حاتم عصر خویش بود، «میرزا محمدعلی خان سدیدالسلطنه» که «عاری» تخلص دارد، فرزند اوست. شرح حال آن پدر و این پسر، در «آثار عجم» نوشته شده است.

دیدار سیدجمال‌الدین اسدآبادی

زمان ورود دیدم سیدی جلیل و ایدی نبیل عمامهٔ سبز کوچکی بر سر دارد و قبای سفید عربی در بر، عبایی روی قبا پوشیده روی صندلی نشسته و جمعی به دورش حلقه بسته سیگارت می‌کشید. پرسیدم از شخصی که این بزرگوار کیست؟ و نام مبارکش چیست؟ این تفصیل را بیان کرد:

نامش جمال‌الدین است مولدش اسدآباد همدان در سنه یک‌هزار و دویست‌وپنجاه و چهار هجری متولد شده و در افواه معروف بـه افـغانی است بـه جـهت آنکـه در افغانستان چندی وزارت کرده بود به تفصیلی که بیاید. بهر حال به هشت سالگی از خواندن و نوشتن فارغ شده پس به مدرسه «همدان» پارهٔی تحصیل نمود، به «اصفهان» آمده نیز محصل بوده، بهرحال مدت ده سال علم تفسیر و حدیث و فقه و اصول و کلام و علوم عقلیه از منطق و حکمت الهیه و طبیعیه و ریاضی و علم طب و تشریح را تماماً کامل نموده وحید دهر و فرید عصر گردیده.

پس به هیجده سالگی به هندوستان مسافرت کرد، یک سال و چند ماه ریاضی جدید را تحصیل نموده پس بسوی «حجاز» سفری کرده و سفر را به حج بیت‌الله اختتام داده پس به کابل قدم گذارده با امیر کابل مصاحب و ندیم بوده و بعد از آن به تقلبات زمان به افغانستان رفته محمد اعظم‌خان را که امیر افغانستان بود، وزیر شـده پس از فوت او سید ثانیاً به حج بیت‌الله مشرف شده و این در سنه یک‌هـزار و دویست و هشتاد و پنج بود، سپس به هندوستان معاودت کرده بعد از آن به سویس رفته و از آنجا به مصر.

چندی در مصر متوقف و حوزه درسی برپا کرده، جماعتی در مدرسش استفاضه و استفاده می‌نمودند. در آن اوان کشیشی را ملاقات کرده و با او صحبتها داشته و به دین اسلامش مشرف ساخته به واسطه اسلام آن کشیش، جماعتی از ارامنه به شرف دین اسلام مشرف شدند. در میان سایر ارامنه هیاهو برخاسته و خـودشان‌را بـه اسـلحه آراسته با مسلمانان درانداختند! مسلمانان نیز بر آنهـا تـاختند، چـندنفری مـقتول و بسیاری مجروح گردیدند خدیو مصر برای اطفاء این نایره فتنه و فساد حکم به اخراج

آن سید غیور نمود. از آنجا به اسلامبول شتافته با عالی‌پاشا صدراعظم آشنا شده، مشارالیه فریفته فضائل سید گردیده تمام وزراء و اعیان و اشراف را به قوه جذابه به سوی خود نموده و سمت عضویت «انجمن معارف» را دارا شده، به واسطه سعایت بعضی که رشک می‌بردند و خطابه‌هایی که در ترویج صناعات و غیرها بر منبر نطق نموده و از فصاحت مردم را مبهوت داشته بنای نمّامی را گذارده اسباب توحش سلطان شدند.

از آنجا به مصر رفته به تدریس علوم معقوله و منقوله مشغول شده و خواست اوضاع پلتیکی و نفوذ انگلیسها را از آنجا کم کند. انگلیسها به مدافعه برآمده سید از آنجا باز به هند و از آنجا به اروپا و فرنگستان رفته، مدتی در لندن و پاریس توقف داشته از علوم نظامی بهره‌ها برده و به اهالی آنجا همانها را درس فرموده پس به نجد رفته. ناصرالدین شاه ملاقات سید را با کمال رغبت تلگرافاً تقاضا نمود. از راه اصفهان به طهران رفته، شاه او را خیلی عزیز و محترم می‌داشت و وعده صدارت به او می‌داد و منزلش مجمع فضلا و علما بود. شاه کم‌کم به سوء تفاهم از او کراهت پیدا نمود، سید فهمیده به ممالک روسیه رفت در پطرزبورغ درآمد. سیاسیون آنجا به حرکت و هیجان آمده از آنجا به پاریس شتافت باز ناصرالدین‌شاه او را ملاقات کرد، به ایرانش دعوت نموده و عذر ما سلف را خواسته.. و اکنون می‌خواهد از اینجا به طهران تشریف برد شرح حالش مفصل است.

مختصر اینکه به نقد از داراخلافه طهران او را خواسته‌اند که ایران را نظمی دهد یعنی تمدن و سیاسی را شایع سازد و ایران را از وحشت براندازد ــ دستخطی هم از طرف شاه ایران مجدداً در احضارش رسیده و این جناب چندین زبان می‌داند: ترکی همدانی و اسلامبولی، انگلیسی، فرانسوی، روسی، افغانی، از همه بهتر عربی حجازی و پلتیک‌دان غریبی است. در این بندر به واسطه کسالت مزاج، چند روزی می‌خواهد توقف نماید. سپس از راه شیراز و اصفهان برود بدارالخلافه طهران.

این بیانات را که آن شخص نمود من بسیار فریفته شدم و به مصاحبتش شیفته، لختی به سخنانش گوش داده دیدم چنان نطق می‌نماید که انسان متحیر می‌ماند، گفتم

سبحان الله این چه اعجوبه‌ای است؟ زمانی گذشت و مجلس کم‌کم خلوت شد صاحب منزل او را گفت که مهم شما را ایشان شاید انجام بدهند (و اشاره به من کرد):

آشنایی با سید

سید فرمود خیلی ممنون می‌شوم من عرض کردم آن مهم چیست؟ فرمود من دو کره دارم همیشه همراه خود به سفر می‌برم یکی کره زمین و دیگر کره آسمان، کره آسمان قطعهٔ از آن خراب شده قدری از خطوط و اشکالش ضایع گردیده. عرض نمودم بنده این خدمت را به جان منت پذیرم و خدمات دیگر را نیز جدیر ولی عدم اسباب مانع از انجام این کار است و اسباب خجلت از روی آن بزرگوار ـــ میزبان فرمود می‌فرستیم از بصره آنچه لازم است بیاورند و کره‌ها را از صندوق بیرون آوردند، ملاحظه کردم هر کدام تقریباً نیم ذرع قطر داشتند، از کره آسمانی پاره‌ئی از خطوط آن مثل دوایر صغیره‌اش ناچیز شده بود و از اشکال شمالیش، مانند دُبّ اکبر و اصغر نابود گردیده، نوشتم قلمی چند و قدری رنگ از هر قبیل و شیشه روغن که بکار آید طلب نمایند. فوراً تلگراف کرده خواستند بعد از دو روز با جهاز وارد شد مشغول شده آن را اصلاح کردم که هیچ معلوم نبود، و سید بزرگوار گویا مترصد بود که حین نگارش خطوط و اشکال از او سؤال خواهم کرد و به دستور او تشکیل خواهم داد، وقتی آمد و دید متعجب شده فرمود مگر تو از هیأت اطلاعی داری؟!، عرض کردم بلی، سه سال در اینکار رنج کشیده‌ام. فرمود هیأت قدیم؟!، عرض کردم بلی! فرمود افسوس که رنجهای تو تمام به هدر رفته، امروز عقلاء عالم هیأت قدیم را عاطل و باطل می‌دانند و هیأت جدید را به برهان ثابت می‌دارند.

از این سخن وحشت نمودم عرض کردم: مگر این مرمّت و اشکال روی کره به غلط شده؟ فرمود خیر، در این اشکال میان قدما و متاخرین خلافی نیست و در پارهٔ از مطالب دیگر هم اختلافی نه، عرض کردم پس در چه خلاف و اختلاف است؟ فرمود در هیأت قدیم زمین را ساکن می‌دانستند و در هیأت جدید متحرک می‌دانند به چند حرکت، حرکتی وضعیه که بدور خود حرکت می‌کند، و حرکت آیینه که به حول شمس

متحرک است و حرکت دیگر هم دارد، از این سخن برآشفتم و به تندی گفتم پس آنچه شنیده و دیده و خوانده‌ام باطل است و تمام غلط و عاطل؟!

فرمود بلی! آتش خشم در کانون دماغم مشتعل شد، در مقام پرخاش برآمدم چنانچه عادت زشت اکثر طلاب است! سید بزرگوار سکوت فرموده و من یک‌مرتبه به خود آمده و حال تنبّهی برایم دست داد، نفس خود را مخاطب کرده گفتم: ای بی‌انصاف سراپا خلاف و ای بی‌کردار ناهنجار، ای ابله وحشی گول، و ای احمق نادان نامعقول، ای کسی که تمام عمر به وحشت دچار بوده و به تقلید عوام گرفتار، خود را متکلم وحده می‌دانستی، هر چه از هر کس داشتی آن را وحی منزل پنداشتی، بتو گفتند فلانی خوب است و فلانی بد، بدون اینکه خوبیهای وی را یا بدیهای دیگری را به‌پرسی و برسی قبول کردی، بر آن تمجید و بر این لعن نمودی اگر غور می‌کردی و لعن می‌نمودی بر تو گناهی نبود، چراکه اقلاً اجتهاد کرده بودی، ولی بدون فکر و بدون رویه بر آن رحمت می‌فرستی و بر این لعنت غافل از اینکه درود و رحمت از روی عدم بصیرت بدتر از لعنت است و لعنت از روی بصیرت به از رحمت، آخر تا کی باید درجهل مرکب بمانی، در جهل هم که انسان باشد خوبست جهل بسیط باشد باز بهتر از جهل مرکب خواهد بود چهار کلمه رطب و یا بسی که خواندهٔ خیال می‌کنی که علوم اولین و آخرین را دارا هستی؟ ای خاک بر سر تو و این فعل ناقصت! لختی از این گفتگوها که با نفس امارهٔ خود کردم، پس روی به آن بزرگوار کرده عرض نمودم: استدعا دارم قدری از معتقدات قائلین به حرکت ارض بیان فرمائید. فرمود: من از آنجا که تو را بالطبع دوست داشتم علاوه خدمت به من کردهٔ تو را از آن اعتقادات مطلع می‌سازم (اما به‌دو شرط) اولاً اینکه خود را بری و عاری از آنچه خوانده یا شنیدهٔ به نمایی، مثل کسی باشی که هیچ تحصیل نکرده و سراپا گوش باشی، ثانیاً مثل آدمهایی مباش که ابداً گوش بحرف طرف مقابل نمی‌دهند و تمام در فکر اینکه حرف که تمام می‌شود، خواه حق بوده یا ناحق آن را رد نمایند و تمام در خیال اینکه چطور رد آن کلام را برسانند. متصل در فکر که دلیلی و لواینکه ناصواب باشد اقامه سازند و حریف را از میدان بغیرالحق براندازند، زهی بی‌انصافی ـ خهی بی‌مروتی، که کسی دارای این حال باشد و تمام درصدد مشاجره و جدال.

بلی، وقتی حریف مقابل سخنی می‌گوید اگر به نظرش ناصحیح آمد صبر کند، سخن که تمام شد اگر بتواند به ملایمت و نرمی آن را رد کند، باز هم انصاف را از دست ندهد تا رفع اشکال شود.

استفادهٔ علمی از سید

اینها را که فرمود عرض کردم: عزم را جزم نموده‌ام که این فرمایش را اطاعت کنم. شروع نمود به صحبت و آنچه می‌فرمود تمام با برهان حسی و همه را درست می‌دیدم که شایبهٔ از برایم باقی نماند. عرض نمودم: همه درست و صحیح است ولی دلم می‌سوزد از اینکه آنچه در این فن تحصیل نموده‌ام یکباره باید به دوش بریزم. فرمود غم مدار مدتی که در اینجا اقامت دارم یکدوره هیأت بتو درس می‌گویم اگر چه مختصر باشد. اظهار شکرگذاری نمودم و عرض کردم مولانا اگر زمین را متحرک دانستم با افلاک جزئیه چه کنم؟ مثل فلک جوزهره و مثل و مدیر و غیرذلک که می‌گویند در ثخن افلاک کلی هستند، خدا کند که آن‌ها از میان نروند. سید خنده فرموده (خنده کلان) و فرمود چون معتقد شدی بحرکت زمین، کلفت و زحمت آن افلاک از سر شما رفع می‌شود و محتاج به آنها هرگز نیستید و اعتقاد بوجودشان دیگر پیدا نخواهید کرد (خلاصه) سیدبواسطه سوءمزاج و علتی که داشت تا چند ماه نتوانست از بوشهر حرکت فرماید و بنده در خدمتشان بودم یکدوره هیأت جدید از کتاب انگلیسی مرا درس می‌داد و من به فارسی آن را می‌نوشتم، گذشته از هیأت مطالب دیگر نیز از آن بحر محیط و حبر بسیط استفاده می‌نمودم (که بود ساقی و این باده از کجا آورد؟!) بکلی منقلبم ساخت نمی‌دانم این‌که بود و از کجا آمد و چه گفت و چه اثری در کلام مبارکش خدای تعالی نهاده بود!

شرح این هجران و این خون جگر   این زمان بگذار تا وقت دگر

(از سخنان اوست).

موعظت سید

یک روز در محضرش جماعتی حاضر بودند وقتی وارد شدم باواسط سخنش رسیدم که

می‌فرمود: «علم پرتوی است از نورالهی و از آن ظاهر می‌شود حرارتی در وجود انسان همچنین غیرتی و تعصبی که نیک را از بد و بد را از نیک درمی‌یابد و هیچ وقت زیر بار ظلم و استبداد نمی‌رود، و مستبد همیشه می‌خواهد رعیت در تاریکی جهل بماند و هرگز بنور علم منور نگردد. بلی اگر کسی را عالم دید و دانست که همه چیز را می‌فهمد بلقمه‌ئی چند دهانش را فرو می‌بندد، مقصود ما از آن علم حکمت نظری است و مراد علم حقوق و سیاسی و مدن است که از آن علم عقلها وسیع می‌شود، مستبد همواره از این علم هراسان است و نمی‌خواهد در مملکتی رواج گیرد، ولی شخص متمدن می‌خواهد متصل علوم مذکوره و امثال آن در انتشار باشد، مستبد دایم می‌خواهد آن نور را خاموش سازد عوام کالانعام بیچاره در این میان در کشاکش‌اند و متصل ترسناک و همین عوام بسا که آلت دست و کارکن مستبدین‌اند و همین عوام که اضل از انعام خوانده شده‌اند خود به دست خود تیشه بریشهٔ خود می‌زنند و این به سبب همان ترس و خوفی است که از جهل ناشی شده سراپا تسلیم صرف‌اند، ای بسا که افتخار دارند باینکه ریسمان ستم و جور مستبد بگردن آنها باشد و به هر طرف که میل دارد بگرداند این حال معلوم است که از روی جهل ناشی می‌گردد، اگر چنانچه علم حقوق را دارا باشند ومعنی عزت‌نفس و شرف آن را بدانند و وظیفه خود را در حریت و آزادی بشناسند و به مقتضای حقوق خود عمل نمایند البته زنجیر اسیری را خواهند گسلانید و رشته عبودیت استبداد را به گردن نخواهند نهاد».

روز دیگر مردی در محضر آن جناب حاضر شده شکایت می‌نمود از اینکه در یکی از بنادر پسری داشتم خراج باغ او را دیوان هر ساله زیاده از آنچه مرسوم اوست گرفتند آن پسر به هر کس دادخواهی کرد سودی نبخشید و دادرسی ندید لذا خود را مسموم ساخت سید فرمود

«... بیچاره چه کند البته مرگ را بر زندگانی ترجیح داده، بلی همیشه بزرگان و دانشمندان زندگی با ذلت و خواری را رها کرده خود را تلف نموده‌اند، ساعتی در زیر لوای عدل به سر بردن افضل است از اینکه شخص مالک تمام روی زمین باشد و زندگانی سوء نماید، از این بدتر زندگانی چیست که مستبد ستمکار رعیت را مثل دواب

از این باب به آن باب کشد و بهر سوئی که خواهد ببرد در مأکل و مشرب آنها را اختیار ندهد، سیر کردن یا گرسنه داشتن بفرمان او باشد، بند نمودن و رها کردن نیز به صواب و صلاح او و پای بند ظلم بر آنها نهاده بر میخ استبداد بسته دارد. یا اینکه مثل پر کاهی که باد آن را به هر سوی خواهد افکند نه نظامی در زندگانی داشته باشند و نه اراده‌ئی از خود، ماحصل سخن ما این است که آفت استبداد از آفت حریق وحشتناک‌تر است، بدا به حال ملتی که مبتلا به این آفت خانه‌برانداز جان‌گداز شوند و بدبخت خردمندانی که در آن میان به دست ستیز دارند و نه پای گریز، و خوشبخت‌ترین مردم کسانی هستند که اجلشان برسد تا از آن مهلکه برهند، این است که شخص عاقل در این مهالک مرگ را بر حیاتی که بدین سختی می‌گذرد ترجیح می‌دهد...».

باز شبی جمعی در محضر آن جناب حاضر بودند هر کسی سؤالی می‌نمود و جوابی شافی می‌شنود ناگاه شخصی کاغذی برآورده ارائه داد که به من نوشته‌اند شاه معدودی از سربازانرا به واسطه دادخواهی که کرده بودند، از نرسیدن مواجب و بجهة هیاهوی ایشان، شکم‌پاره نموده یا طناب انداخته و قوه غضبش چنان بوده که مبالغی را تلف کند، و زیرش رسیده توسط کرده تا در گذشته. فرمود:

«... بدیهی است استبداد اخلاق را نخست ضعیف و سپس فاسد می‌سازد بسابجایی می‌رسد که فرزند عزیر دلبند خود را باندک خلافی چشم برمی‌کند، گمان مکنید که این استبداد فقط در سلطان چنین کارها کند بلکه در هر فردی از افراد که یافت شود دارای اخلاق فاسده می‌گردد، مثل‌اینکه آقایی نوکری دارد زشت‌رو، کاسهٔ یا کوزهٔ، آفتابهٔ یا قاقوزهٔ میشکند بچوبش بسته ناخنش را برمی‌آورد و حال اینکه شاید مستخدمی دیگر داشته باشد که مطمح نظر اوست چاردوازده شاخه‌اش را که بشکند تغیر باو نمی‌نماید! باری استبداد در شخص مستبد بسا که آن محبت و میلی را که به کسی دارد بکلی قطع می‌کند و دوستی که با رفقای خود داشت اختلال می‌پذیرد، ای بسا که راضی می‌شود دوست خود را بقتل برساند برای امر جزئی، و استبداد اکثر فکر را مختل می‌سازد و شعور را مسلوب می‌نماید تا بجایی می‌رسد که فرق میان خیر و شر و تمیز میان نیک و بد را نمی‌دهد، مقصری را که بیند اگر در حالتی خوش باشد (اگرچه آن

مقصر قاتل باشد) بفحشی که بدهد قانع شده از او می‌گذرد، و اگر سوءحالی داشته باشد (اگرچه مقصر چراغی دزدیده باشد) حکم بقتلش می‌دهد!» باز روزی دیگر به مناسبتی می‌فرمود: «... در زمان استبداد هیچگونه ترقی از برای افراد ملت و هیچ طور تربیت از برای احدی ممکن نیست، حال افراد حال درختهای طبیعی است که از تندباد تشوش آراء مستبدین بهر سوی متمایل می‌شود بسا که از تندباد غضبی از جای برکنده می‌شود و شاخهایش به دست جور و ستم جمعی خونخوار شکسته می‌گردد سهل است که هیزم‌شکن استبداد با تیشه ظلم ریشه‌اش را برمی‌کند. یا اینکه اگر احیاناً از این حوادث محفوظ و مصون بماند معلوم نیست که راست بار آید یا کج و ثمری بدهد یا نه؟ اما بخلاف، سلطنتی که قانونی دارد همان قانون به منزله باغبانی خواهد بود که درختهای طبیعی را به ترتیب عدل به راستی و خرمی نگاه می‌دارد. آبیاری و پیراستن آنها را برحسب طبایعشان متحمل شده باندک زمانی با قوت و صاحب ثمر خواهند شد».

روز دیگر شخصی آمده بود که خیال وصلتی داریم بفلان خانواده، فرمود: «وصلت خوبست و سنت سنیه پیغمبر ماست، ولی افسوس که در عهد استبداد نه وصلت بلکه کارهای دیگر مآلش خوب نخواهد بود». پس فرمود: «بدانکه تربیتی که از پدران بفرزندان می‌رسد یا علومی که معلمین به متعلمین می‌آموزند یا مثلاً مالی که متمولین بعمری اندوخته نمایند و قس علی هذا تمام در زیر پای استبداد لگدکوب خواهد شد، در مقام زن و شوهری نیز چون پای قانون در مملکت نیست دست تعدی شوهر به زن یا به عکس دراز می‌شود، مملکتی که قانون ندارد هیچ ندارد».

یک روز شخصی بر سبیل تفنن خواند شعری را و پرسید که معنی این شعر چگونه است، و آن شعر این بود:

بنی‌آدم اعضای یکدیگرند — که در آفرینش زیک گوهرند

فرمود: «از سهلترین شعری سؤال می‌نمایی هر چه در این ماده سخن بگوییم توضیح واضحات کرده‌ایم آخر نمی‌بینی در هر فردی از افراد ملتی هر چه واقع شود در مجموع اثر کند، مثلاً یک فرد که دارای ترقی شود اثر آن ترقی در همه ملت ظاهر می‌شود

و بروز می‌نماید، (مثالی از برایت بزنم) هرگاه در کفه ترازویی سنگی بگذاری البته آن کفه بر کفه دیگر چربش دارد و همچنین اگر بجای آن سنگ مگسی در آن کفه بنشیند نیز می‌چربد اگرچه محسوس تو نباشد یعنی در نفس الامر از آن مگس چربشی در آن کفه هست نهایت تو نمی‌فهمی. همچنین است اثر ترقی در هر فردی از افراد که سرایت به دیگران می‌نماید، و به عکس نیز هرگاه مثلاً در فردی نقصی پیدا شود اثرش در مجموع ظاهر می‌گردد اگرچه باز محسوس تو نیست. در اینجا مناسب است که بگوییم استبداد مانع از ترقی ملت است و نمی‌گذارد احدی به مدارج عالیه ارتقاء جوید، استبداد ترقی را واژگون و سرنگون می‌سازد، بلکه می‌توانیم بگوییم ملت را از درجه انسانیت بحیوانیت برمی‌گرداند و از بلندی به پستی میل می‌دهد، گاه باشد که استبداد جسم ملت را بی‌روح می‌کند به حسب صورت جسمی صحیح و سالم می‌نماید، اما بیجان است، معاینه مگسی که عنکبوت آن را مکیده و روح آن را برده صورتی بیجان به‌جای مانده!»

یکی از حاضرین عرض کرد حالا چه باید کرد و صلاح چیست؟ ـــ فرمود: «بر خردمندانست و بر آنهایی که شعله غیرت و حمیت دارند اینکه سعی نمایند تا اشکنجهٔ استبداد بر عقول مردم فشار ندهد تا بنموی که دارد حرکت کند و ادراک علم حقوق را بنماید الان عقول شما در خمول است و هیچ حرکتی برای شما و آثار ترقی در شما نیست، اما دیگران در هر کجای عالم که ملاحظه نمایید منازلی طی نموده‌اند ولی شما خیلی عقب مانده‌اید، این فروتنی شما را در چنگ استبداد نگاه داشته و نمی‌گذارد بر اوج رفعت و مدارج عالیه برآیید، آیا شما مگر غیرت ندارید، حمیت ندارید؟! مثل اینست که بخواب سنگین رفته‌اید! اینکه شماها دارید زندگی نیست بدبختی است، این آسایش موهوم است، به تنگی معیشت ساخته‌اید و می‌گویید ما قناعت داریم، در کارها سست و تنبل شده‌اید و آن را توکل نامیده‌اید، در مهالک خود را انداخته‌اید اسمش را قضای الهی گذارده‌اید، زهی بدبختی که شماها دارید، زهی بدبختی که دچار شما شده. (باز فرمود که) خدای جهان شما را آزاد خلق فرموده خودتان خود را مقید ساخته‌اید سلسله قهر مستبدین را بدست خویش بر گردن نهاده‌اید، اگر بخواهند کوهی را بر پشت شما

بگذارند فوراً خم می‌شوید و تحمل آن بار گران‌را می‌نمایید، و اگر مثل استر بر شما بخواهند وارد شوند فوراً تسلیم می‌نمایید! سبحان الله ملاحظه نمایید که چهارپایان از عدم قیام گویا کراهت دارند و می‌خواهند راست بایستند، اما شما مثل آنها میل دارید پشت خم نموده مانند خودی را سجده برید باین فروتنی عادت و خو کرده‌اید و به حکم ستمکاران تن در داده‌اید، حالا خوبست شما ملت چندی از حال یکدیگر جستجو نمایید و در سختیها مواسات کنید و بحکم «انما المؤمنون اخوة» مساوی باشید و بکلمه واحده تمام به مساوات جمع آیید و مقداری از مال خود را در راه وطن صرف کرده دریغ ننمایید، تأسیس مدارس و تشکیل مریض‌خانه‌ها دهید، چرا که شرط انسانیت انسان اینست که نفعش به برادران دینی برسد، اگر معنی برادری عمومی را خوب بفهمید بدانچه گفتم عمل خواهید نمود».

لزوم وجود قانون

«... در حقوق میان طبقات مساوات قرار خواهید داد و هنوز شما لذت مشروطیت را نبرده و نمی‌دانید چیست، آدم کور چه می‌داند که عمارت زیبا و دلکش یا مناظر عالیه منقش چه طور است بلکه تصورش را هم نمی‌تواند بنماید، شما هم در زمین استبداد متولد شده‌اید و بدان خو نموده‌اید یعنی مثل آدم افیون‌خوار که عادت را نمی‌تواند از خود دور کند و بدین زهر ناگوار تلخ خوش دارد همین‌طور بظلم و جور مستبدین عادت و خو نموده‌اید، یک روز اگر بر سرتان نکوبند یا حرفی بد نگویند آرام ندارید، غافل از اینکه ترقی کلی میان ملت در این است که اصول سلطنت منظم باشد و سدی محکم از مشروطیت در مقابل استبداد بسته گردد و قانونی در میان ملت قرار داده شود که زمان محاکمه شاه با گدا یکسان باشند (همچنانکه در محکمه‌الهیه نیز همین‌طور است). قانون که در میان ملتی نهاده نشود مسلم است که تمام گمراه خواهند شد و همان گمراهی سبب می‌شود که از اجرای قانون نفرت پیدا کنند و التفاتی درست در آن ننمایند، ای ملت قلوب شما همه بیمار شده است از آن طرف هم قوای دولت چندین هزارساله ایران بکلی رفته و ضعف و ناتوانی سخت بر آن مستولی شده و علاجش خیلی مشکل گردیده حالا

باز هم می‌توان فکری کرد (و این فکر تمام سیاسیون است) که اصلاح ضعف و ناتوانی مذکور به تأسیس قانونی است که داده گردد و مساوات حقوقیه به تمام از هر صنف اتیان شود.

بدانید و آگاه باشید که این وزراء دزد و دغل هر چه می‌گویند از راه حیلت است تمام فریب است می‌خواهند عراده خود را راه بیندازند والا دلشان هرگز بحال ملت بیچاره نسوخته، اینها کسانی هستند که شرف از دولت و ملت هر دو برده‌اند هر چه توانسته‌اند شرف را باسبهای یراق طلا و سراهای عالی نیکوبنا نهاده‌اند...».

خلاصه، از این کلمات سید حاضرین بسیار متألم شدند و بعضی چشمشان نمناک گردید بلکه اشکشان روان، شبی دیگر شخصی از مملکت خارجه سؤال می‌نمود در جوابش تقریراتی فرمود. از جمله اینکه

و شاورهم فی الامر

«... دستورالعمل خارجه قانون است که باقتضای وقت گاهی مواد قوانین را تغییر و تبدیل می‌دهند و بطبع می‌رسانند و در میان افراد ملت توزیع می‌نمایند در این صورت هر کسی تکلیف و حد خود را می‌داند ــ اما ایرانیان گویا قانون را مضر به حال خود می‌دانند و رجال دولت هم به مقتضای اراده و میل خود هر چه بخواهند می‌کنند و تمناهای خویش را برآورده می‌نمایند بدانید که تا دولت قانونی را مؤسس نشود محال است که این رجال بدفعال چشم از منافع خود بپوشند و تا بحکم محکم «وشاورهم فی‌الامر ــ و امرهم شوری بینهم» از روی حقیقت دارالشورایی تأسیس ندهند کار ایران درست نمی‌شود، البته لازم است که احکام عادلانه در مساوات حقوق و حریت جاری گردد تا این ملت بیچاره در زیر لوای امنیت و آسایش بتوانند زندگانی کنند».

کلام را که آنجناب بدینجا رسانید شخصی سبیل چیده فضول، گردن کشیده گفت: جناب آقا قانون منافی با دین اسلام هست یا نه؟! سید متغیر شده فرمود

«قسم بذات پاک حضرت احدیت که وضع قانون هرگز منافی مذهب اسلام و آیین

حضرت خیرالانام نبوده و نخواهد بود بلکه بـه واسـطه اجـرای قـانون و تأسـیس دارالشوری آیین حقه اسلام را قوتی صحیح پیدا می‌شود و اهـل اسـلام بـفوائـدی مخصوصه نائل می‌گردند و در انظار اجانب ببزرگی و عظمت زندگانی می‌نمایند و از عوالم وحشت می‌رهند، بخلاف اکنون می‌بینید که تمام روی زمین از دول متمدنه اطوار و آداب دولت ایران را بوحشیگری و نادانی و بی‌دانشی نسبت می‌دهند و سایرین را به تربیت و مدنیت در شمار می‌آورند (و حال اینکه از چندین کرور اروپایی ثلث آن عالم و دانشمند هستند و باقی جاهل بلکه اکثری وحشیگری دارند)، بلی چون آنها در حفظ شرف یکدیگر متحد و معاون‌اند از این جهت به تمدن و تربیت معروف شده‌اند اما در ایران نه یکدیگر را معاونت می‌نمایند و نه شرف و ناموس هـمدیگر را مـی‌خواهـند بوحشیگری موصوف گشته‌اند به طوری که بسیاری برآنند که الان ایران وحشتش بیشتر از افریقاست باوجودی که افریقا خیلی وحشی است. پس بر دولت ایران واجب است که در حفظ خود ساعی باشد و آن را در تحت قانون در آورد والا همسایگان او و هر دولتی و هر کسی که باشد به واسطه اغراضی که دارند و بجهة همچشمی با یکـدیگر ایران را بسخت‌ترین حالتی خواهند افکند و آنچه را که نمی‌خواهم بگویم خواهند کرد پس دولت ایران محتاج می‌شود به اینکه خود را در مهلکه انداز».

بنده فقیر روی به سید کرده عرض کـردم: بـاید دولت تأسـیس دارالشـورایـی (پارلمانی) بدهد و در نشر معارف و آزادی و مساوات در حقوق و بنای مدارس جدّ بلیغ و سیع منیع نماید و بدوائر دولتی و دیوانخانه‌های عدلیه نظمی داده شود و افـراد ملت را بدون توفیر و ملاحظه در حقوق دادخـواهـی نـماید. رفـته رفـته بـه ایجـاد کارخانه‌ها و کشیدن خطوط آهن (اگر بشود از مکنت خود اهالی وطن) دین متقن حضرت خیرالانام افزوده خواهد شد». ــ عرض کردم در ضـمن ایـن فـرمایشات فرمودید که دولت باید بنشر معارف و آزادی و چه و چه و چه بـپردازد مـقصود از آزادی چیست!؟. ــ فرمود: «عجب سؤالی نمودی و خوب شد که پرسش کردی زیرا دانسته‌ام که از بسیاری از عوام کالانعام معنی آزادی و حریت را اینطور دانسته‌اند که باید هر کس هر کاری می‌خواهد بکند از محرمات و غیرها هر خلافی که می‌تواند بنماید و

خودسر و خودکام باشد (حاشا و کلا) من معنی آزادی را برای تو می‌گویم:
بدان که هر کس دارای ادب و شرف است او را آزاد می‌گویند یعنی آنکه متدین و متمدن و پاک‌اعتقاد باشد و از آنچه عقلاء محترز از آن هستند او نیز احتراز کند و معاونت بنی‌نوع را در اقوال و افعال مراعات نماید، این چنین آدم با شرف مؤدب‌صفت آزادی در اوست و غیر از این هر کس هر چه بگوید غلط محض و اشتباه است».

باز شبی جماعتی حاضر بودند سخن از اصالت ایران در میان بود و استفسار از آن می‌نمودند جناب سید تفصیلی بیان فرمودند که خلاصه‌اش این است که مرقوم می‌دارم، فرمود: «این اساس سلطنت ایران و زمان بروز و ظهورش بنابر آنچه تاریخ اهل اروپا و غیرهم گواهی می‌دهد و آثار قدیمه و خطوط منقوره بر احجار عمارات سلاطین شاهد بر آن است اینست که بشما می‌گویم و خوبست این فهرست را بر لوحه خاطرتان بسپارید، تاریخ جلوس هریک از سلاطین را یا طبقه آنها را نیز بشما خواهم گفت... پس فرمود:[۱]

***

... جناب سید چون توقفش در بندر بوشهر به واسطه کسالت بدرازا کشیده و هوا هم روی بگرمی نهاده بود «لذا» تصمیم شیراز فرمود که از آنجا خود را بطهران برساند پس در بوشهر یکدیگر را وداع کرده ایشان به طرف مقصود و منهم به سمت عربستان حرکت کردیم مدت مدیدی در اماکن مشرفه بسر بردم، مکرر به خدمت ذی شرافت حضرت آیةالله فی الانام حاج میرزا محمدحسن شیرازی قدس الله سره مشرف شدم مرحمتهای شایان دیدم دو قطعه نقشه از نقشه‌های اماکن مشرفه که خود برداشته بودم تقدیم کردم و در آن اوان ضمناً کاری پیش آمد یعنی از یکی از صاحبان انگلیس اشاره شد که در بغداد شرح مختصری از بعض بناهای آنجا جغرافیا مانند بنویسم و هم خودم می‌خواستم از «طاق کسری» نقشه بردارم و مساحت آنجا را مسطور دارم بهرحال مقاصد خود را انجام دادم که شرح آنها را (و این مسافرت را) در کتاب «آثار

---

۱. تقریر درس استاد دربارهٔ تاریخ اجمالی ایران، توسط مرحوم فرصت به عمل آمده که چون مفصل است، متن آن بعد از این مقدمه به چاپ خواهد رسید.

عجم» بتفصیل نوشته‌ام هر کس بخواهد رجوع به آن نماید. پیش از این گفتم این مسافرت در سنه ۱۳۰۳ هجری واقع شد در حالتی که از عمرم سی و دو سال سپری شده بود. از سفر مذکور به شیراز که وطن مألوفم بود مراجعت نمودم، از حال جناب سید سؤال کردم مذکور داشتند که چندی در شیراز اقامت پس به جانب طهران روان شد.

یکی اطباء جز علم طب دارای علوم دیگر هم بود و این شخص خود را معلم اول و اول معلم و حکیم دنیا می‌دانست و بنهایت خویش را می‌ستود، از او پرسیدم سید را چه طوری دیدی؟ جواب داد ـــ با قسمهای مغلظه ـــ که روح ارسطو را در این شخص ـــ یعنی در سید جمال‌الدین ـــ دیدم که گویا حلول کرده!.

باز شنیده شد که با یکی از علماء اصول ـــ یا اخبار ـــ که در تشاجر ضرب‌المثل بود و دارای علمی بی‌پایان، با سید طرف شده به همان مشرب با او صحبت می‌داشته پس از انقضاء مجلس، آن عالم برخاسته که برود باهل مجلس می‌گوید و الله هذا ملا «مولی»!

طبیبی دیگر که لقب رئیسی داشت نقل کرد که روزی بدیدن سید رفتم. با خود گفتم این مرد فلسفه را خوب می‌داند و ادبیه و سیاسیه را نیز خبیر است. پس بهتر که از طب با او صحبت بدارم تا بر او غالب آیم، بنای صحبت که شد از در طب داخل شدم، دیدم کلماتی در این ماده می‌فرماید که گاهی به گوشم نرسیده بود. تمام متین و محکم استدعا نمودم که کلماترا مرقوم دارید و به من مرحمت نمایید نوشت و داد ـــ در بیاضی نوشته بود نشانم داد ـــ با حکمای الهی نیز در محضری که اکثر علماء آن فن حاضر بودند نطقها کرده و همه را مات و متحیر نموده بود. حکیمی در آن عرصه چشمها را گشاده و رگهای گردن را کلفت و صورت را برافروخته و صدا را مهیب کرده بود، سید بر او تحمیق می‌کند و نصیحت می‌نماید که در مباحثه اینطور حال مذموم است و به تبسم و ملایمت او را هم مذعن و هم خجل می‌سازد.

شرح حال سید را بسیاری نوشته‌اند اجمال اینکه وارد دارالخلافه شد مقدم شریف او را مغتنم داشته و دانسته جماعتی کثیر باو گرویدند پادشاه نخست زمام انتظام لشگر را بدو تفویض فرمود سید می‌گفت القاب و مناصب باید بزحمت و به پاداش خدمت و

تحصیل علم باشد نه به وراثت، و درصدد بود که بی‌هنران را که لقب و منصب عارضی داشتند معزول کند. این گفتگو اسباب وحشت برای رجال شد از آن طرف وزیر آن وقت «امین‌السلطان» بسیار وحشتناک گردید، همچنین کامران میرزا نایب‌السلطنه پسر ناصرالدین شاه اسبابَ گرفتاری سید شد و به تخریب کار او اقدام کرد نزد شاهش خائن قلم دادند و شاه را از وجود او ترسانیدند و قصد آزارش نمودند، سید به حضرت عبدالعظیم پناه برد اعتنا نکرده محصلین غلاظ تعیین کرده در آن مکان شریف بر او حمله آوردند.

پس از فحش و شتم و طعن و ضرب و اذیت و آزار بسیار بر استری یا حماری سوارش کرده تبعیدش نمودند.

سید چندی در بصره و بغداد بود بعد از آن رجوع به بوشهر کرده در جهازی سوار شده برای لندن، یکی از تجار شیرازی را وقت دخول به جهاز ملاقات کرده پیغام داده بود که چون به شیراز برسی سه نفر را «فرصت و فلان و بهمان» را از من سلام برسان و بگو ما را یکی از وزراء لندن که دوست قدیمی است، دعوت کرده اکنون می‌رویم به آنجا.

و بعدها شنیده شد که چون وارد به لندن می‌شود از رجال آنجا استدعا می‌نماید که روز تولّد ملکه در مجلسی که تمام اعیان و اشراف ملت حاضرند اذن دهند که سید نطق بنماید. اذن دادند نطق مفصل کرد. تمام حیران شده و حالت حزن پیدا کردند. شخصی از اهالی لندن برای خود من تعریف کرد، که جماعتی یکمرتبه گریان شدند. به هر حال نطقهای او را حسب‌الحکم نوشتند و به السنهٔ مختلف ترجمه کرده و به طبع رساندند و من ندانستم این چه نطق بود که جمعی را گریانیده؟!

وقتی از اوقات «گراهم» نامی که قونسول انگلیس در شیراز بود و با من نهایت دوستی را داشت «صاحبی»[1] از لندن آمده بود برای تحصیل علم عروض در حالتی که حکمت الهی ایرانی و منطق و معانی و بیان را خوب می‌دانست. قونسول مذکور از من خواهش کرد که هفته‌ای یک دو روز علم عروض را به او بیاموزم. در بین آموختن به

---

۱. در آن اوقات، بافراد انگلیسی اصطلاحاً «صاحب!» می‌گفتند و البته این کلمه در هندوستان آن روز رایج بود.

واسطهٔ اتحادی که در میان ما پیدا شده بود، یک روز گفت میل داری نطق سید جمال‌الدین را به تو ارائه بدهم؟! اظهار امتنان کردم. رساله‌ای آورد و گفت ملاحظه نما، ولی بشرطی که نه از اینجا بیرون ببری و نه با کسی از مطالب آن مذاکره کنی. قبول کردم و یک دو روز به دقت، اوقات صرف مطالعه آن نمودم منهم گریان شدم. سخنانی که رقت قلب می‌آورد و در آن نطق هر کجا اسم خود را می‌برد شیخ خطاب می‌کرد. می‌گفت من که شیخ جمال‌الدین هستم و اولاد پیغمبر چنین و چنان، باری در آن لایحه شرح حال خود را از ورود به طهران الی تبعید آن همه را بیان کرده بود.*

برگردیم به شرح حال و گزارش سید ــ سلطان عثمانی تلگرافی به لندن نمود و به سید چنین خطاب فرمود که حقیقت حیف از شما که در حوزهٔ اسلام به سرنبری. خوب است چندی در اینجا تشریف بیاوری و روزگاری با هم زندگی کنیم. سید اول امتناع از حرکت نمود. آخر به اصرار جمعی مثل «پرنس ملکم» و غیره پی سپار راه اسلامبول شد. «خلاصهٔ کلام» تمام عنان اختیار مملکت را بدو تفویض نمود. می توان گفت دارای صدارت عظمی بود. ماهی دویست لیره برای مخارج به او می‌داد اسب و کالسکه خودش را می‌گفت سوار شود و شام و ناهار از مطبخ خاصهٔ سلطانی برای او می‌بردند و خانهٔ بسیار عالی به او داده بودند. در آن اوقات «میرزا رضای کرمانی» که چندین سال زیر شکنجه نایب‌السلطنه بود و از فدویان سید محسوب می‌شد به اسلامبول رفته به خدمت سید مشرف گردید. صدمات و لطمات خود را برای سید نقل کرده و ظلمهایی که بر او رفته بود همه را می‌گوید. سید در جواب می‌فرماید که می‌خواستی تو هم تلافی بنمایی. «چنانکه زمان استنطاق، میرزا رضا پس از قتل ناصرالدین‌شاه همین را گفت، وقتی که از او سؤال کردند که آیا در اسلامبول که شرح حال خود را به سید جمال‌الدین گفتی ایشان چه جواب فرمودند؟ میرزا رضا گفت که فرمودند: این ظلمها که تو نقل می‌کنی به تو وارد آمده، خوب بود تلافی کنی».

سؤال از میرزا رضا کردند که با وجودی که ظلم‌کننده به شما نایب‌السلطنه بود، چرا او را نکشتی و شاه را کشتی؟!

*. متن این خطابه در «مجموعه اسناد و نامه‌های سیاسی ـ تاریخی سید» اخیراً چاپ شده است. مراجعه شود.

جواب داد که اگر او را می‌کشتم شاه هزار نفر را بازای او می‌کشت، با خود گفتم پس باید اصل شجر ظلم را قطع کرد نه شاخ و برگش را.

نطق‌های دیگر که میرزا رضا کرمانی کرده درحین‌استنطاق پس‌از قتل‌شاه این‌است:

«سالها بود که سیلاب ظلم بر عامه رعیت جاری بود. آخر مگر این سید جمال‌الدین ذریهٔ رسول و مرد بزرگوار چه کرده بود که به آن افتضاح او را از حرم حضرت عبدالعظیم کشیدند زیر جامه‌اش را پاره‌پاره کردند. آن آخوند چلاق شیرازی که از جانب یکی از مجتهدین شیرازی شخصی از رجال شیراز را تکفیر می‌کرد چه قابل بود که بیایند توی انبار اول خفه‌اش کنند بعد سرش را ببرند من خودم آن وقت در انبار بودم دیدم که با او چه کردند، آیا خدا به اینها راضی است؟ آیا اینها ظلم نیست؟ آیا اینها تعدی نیست؟ اگر دیده بصیرت باشد ملتفت می‌شویم که در همان نقطه که سید را کشیدند اذیت کردند در همان نقطه گلوله به شاه خورد. مگر این مردم بیچاره و این یک مشت اهالی ایران ودایع خدا نیستند؟ قدری پایتان را از خاک ایران بیرون بگذارید در عراق عرب و بلاد قفقاز و عشق‌آباد و اوایل خاک روسیه هزار هزار رعیت بیچارهٔ ایرانی را می‌بینید که از وطن عزیز خود از دست تعدی و ظلم فرار کرده کثیف‌ترین کسب را از ناچاری پیش گرفته‌اند. هرچه کناس و حمال و الاغچی و مزدور در آن نقاط است همه ایرانی هستند. آخر این گله‌های گوسفند شما مرتع لازم دارند که چرا کنند شیرشان زیاد شود که هم به بچه‌های خود بدهند و هم شما بدوشید نه اینکه تا شیر دارند بدوشید و وقتی که ندارند گوش بدنشان را بکلاشید، گوسفندهای شما همه رفتند نتیجهٔ ظلم همین است که می‌بینید ظلم و تعدی از این بالاتر چه می‌شود که گوشت بدن رعیت را بکنند و بخورد جره باز شکاری خود بدهند صد هزار تومان از فلان بی‌مروت می‌گیرند قبالهٔ جان و مال و عرض و ناموس یک شهر را به دست او می‌دهند رعیت فقیر و اسیر بیچاره را در زیر بار تعدیات مجبور می‌کنند که یک مرد زن خود را که منحصر به فرد است از اضطرار طلاق بدهد و خودشان صدصد زن بگیرند و سالی یک کرور پول که به این خونخواری و بی‌رحمی از مردم می‌گیرند

خرج «عزیزالسلطان»[1] نمایند که نه برای دولت مصرف دارد و نه برای ملت و نه برای حظ نفس شخصی. حالا که به حکم قضا و قدر این اتفاق بزرگ به دست من جاری شد بار سنگینی از تمام قلوب برداشته شده دلها منتظرند که پادشاه حالیه «حضرت ولیعهد» چه خواهند کرد، به عدالت و رأفت جبر قلوب شکسته خواهند کرد یا خیر. اگر بنای سلطنت را بر عدل و انصاف قرار بدهند البته تمام خلق فدوی ایشان می‌شوند و سلطنتشان قوام خواهد گرفت و نام نیکشان در صفحهٔ روزگار باقی خواهد ماند، اما اگر ایشان هم همان مسلک و شیوه را پیش گیرند این بار کج به منزل نخواهد رسید.»
«این بود مقالات میرزا رضای کرمانی».

***

... برگردیم به ذکر حالات سید جمال‌الدین ــ وقتی در اسلامبول بود با آن جلالت شأن یک روز سلطان او را در قصر «یلدوز» دعوت کرد در آنجا صحبت‌ها داشتند سید تعهد کرد که عنقریب تمام دول اسلامیه را متحد کند و همه را به طرف خلافت جلب کند سلطان آن روز صورت سید را بوسید و سید به علمای شیعهٔ کربلا و نجف و تمام بلاد ایران در مکاتبه را باز کرد و به وعده و نوید و استدلالات عقلیه بر آنها مدلل داشت که اگر ملل اسلامیه متحد بشوند تمام روی زمین نمی‌توانند به آنها دست بیابند.

در اثناء این خیالات و این اقدامات چند نفر از نزدیکان سلطان «مثل ابوالهدی و غیره» بنای مذبذبی را گذاردند و سلطان را در حق سید بدگمان کردند «مثلاً» گفتند که سید از خدیو مصر دیدن کرده و می‌خواهد او را خلیفه کند (از این قبیل سخنان) سلطان هم متوهم شد پلیسها گماشت که مراقب سید باشند و از او رنجش حاصل نمود. سید اول خواست به طور قهر برود لندن، او را استمالت کردند و نگذاردند و می‌گفت که این سلطان دیوانه است، مالیخولیا دارد والا تمام ملل اسلام را برای او مسلم می‌کردم، خلاصهٔ کلام: چیزی به سید خورانیدند که کام و دهانش مجروح شد و طبیبی را نیز سپردند که دواهای سمی گاه معالجه، بکار برد کم‌کم حنجره و فک اسفل سید فاسد شد. استخوانی از آنجا بیرون آوردند و بالاخره کشتندش.

---

۱. مقصود عزیزالسلطان مسمی به منیژه یا ملیجک! است که پسری کریه‌المنظر ولی طرف میل ناصرالدین‌شاه بود.

این بود سرگذشت سیدجمال‌الدین و او به عمر شصت و یک سال در سنهٔ ۱۳۱۶ درگذشت.

معلوم نمودیم که زمان آمدن سید به طهران ـــ بلکه ایران ـــ تخمی از مشروطه بر زمین افشاند و مردم را بیدار کَرد و آنها را متنبه ساخت تا زمان سلطنت مظفرالدین شاه آن تخم بنای روییدن را گذارد و نمو کرد. جماعتی بی‌غرض درصدد آبیاری آن برآمدند که تقویت در نمو آن دهند که بلکه شاخه و بری دهد، زمره دیگر با غرض در فکر آن شدند که آب به آن نرسانند بلکه خشک شود و بی‌ثمر بماند! این قصه بماند تا به جای خود.

شیراز: ۱۳۳۳: هـ.ق

اقل‌السادات، نصیر فرصت‌الدوله شیرازی

۱

سید جمال‌الدین حسینی

ــ اسدآبادی ــ

تاریخ اجمالی ایران

تقریر:

فرصت‌الدوله شیرازی

به کوشش:

سیدهادی خسروشاهی



شبی جماعتی حاضر بودند سخن از اصالت ایـران در مـیان بـود واستفسار از آن می‌نمودند، جناب سید تفصیلی بیان فرمودند، خلاصه‌اش اینست که مرقوم می‌دارم، فرمود: «اُسّ أساس سلطنت ایران وزمان بروز وظهورش بنابر آنچه تاریخ اهل اروپا وغیرهم گواهی می‌دهد وآثار قدیمه وخطوط منقوره بر احجار عمارات سلاطین، شاهد بر آن است، اینست که به شما می‌گویم وخوبست این فهرست را بر لوحه خاطرتان بسپارید، تاریخ جلوس هر یك از سلاطین را یا طبقه آنها را نیز به شما خواهم گفت ... پس فرمود:

تاریخ اجمالی ایران

استیاژ ـ آخرین سلاطین ماد بود، پانصدونود وپنج سال پیش از مسیح، وسلاطین پیش از این استیاژ را مختلف نـام بـردهانـد، بـعضی آنهـا را غـیر از پیشدادیان می‌دانند، برخی می‌گویند اینها همان پیشدادیان هستند، مثل کیومرث وهوشنك وغیرهما، نهایت اسماء آنها تغییر دارد وسلسله هخامنشی به سـلاطین ماد پوزش می‌نمودند. سـلسلهٔ هـخامنشی مـثل کـوروش (کـیخسرو وکـامبوز وداریوش وغیر ذلك می‌باشند) بنابراین که اطاعت این سلسله را به سلاطین ماد نسبت می‌دهند باید سلاطین ماد بعد از پیشدادیان باشند، (بهر صورت) خـیلی اختلاف در اعتقادات اهل تاریخ دیده‌ام، پاره‌ای از مورخین نـامی از ایـزدیان ویزدانیان وآبادیان وهوشیان وانـوشکان وآذریـان وآذرهـوشنگیان مـی‌برند وآنها را قبل از هبوط حضرت آدم می‌دانند وبعضی بعد از هبوط باز به اختلاف. جماعتی دیگر اسمی از مه آبادیان برده وآنها را یك طبقه از سلاطین شمرده‌اند، بعد از آن «جـــیان» از آن بـه بـعد «شـائیان» بـعد از آن «یـاسانیان» از آن بـعد «گلشاهیان» واین طبقات را قبل از هبوط دانسته‌اند ودر بعضی تواریخ است که گلشاه کیومرس است وچون مردم را متفرق ساخت، یعنی از او پراکنده شدند لهذا اورا «ابو البشر» خواندند. بهر صورت حقیقت تاریخ را دانستن خیلی مشکل است بواسطهٔ اختلافاتی که در اقلام اهل تاریخ است، چه بسا تاریخی که در حین ترجمه از زبانی بزبان دیگر بر مترجم اشتباهی دست داده وچه بسیار مطالبی یا کلماتی از

قلمشان در اول وهله افتاده وچه بسا اشخاصی که لغرض بعض مطالب را ترك وبرخی را جعل نموده وبسا مورخی که متملقاً به سلطان العصر، دروغهائی نوشته باشد، چه بسیار که تاریخ نگاری به تعصب مذهبی تحریف یا ترکی یا زیادی در نگارش داده وبسا که در ترجمه نفهمیده هزار ماه را هزار سال نوشته، یا اسم طبقه‌ئی را به شخص واحد نسبت داده، این اختلافات را که می‌گویم در اول بلا اول نوشتن تاریخ است، بعد دیگران تاریخها را از روی نگارش یکدیگر نوشته‌اند، همه مثل هم شده وما مقصودمان تاریخ نگاری نیست، می‌خواهیم فقط در ضمن، اخلاق هر سلسله از سلاطین را بیان نمائیم (علی ای حال می‌گوئیم) :

کیومرس ـ (کیومرز) مؤسس اساس شهریاری وسلطنت بوده باعث آبادی عالم گردید.

هوشنك ـ یا پسر کیومرس یا پسر زاده آن است آنرا عادل دانند وپارسیان پیغمبرش خوانند.

تهمورس ـ به آئین کسی کاری نداشت، چندی قحط در بلادش شد فرمود اغنیا به غذای شب قناعت کنند وروز را به فقیران دهند مثل اینکه روزه بگیرند.

جمشید ـ پادشاهی عادل، بسیاری از صنایع نیز در زمان او اختراع شد واینکه بعضی بکلی منکر وجود این پادشاه هستند وآنرا «رب النوع آفتاب» می‌دانند، زیرا که ابداً آثاری از آن در دنیا نیست ؟ نه سکهٔ دارد، نه بنائی. تخت جمشید هم از سلاطین دیگر است که به غلط به اسم او معروف شده، ما کار به این‌حرفها نداریم، می‌گویند وجودی داشته می‌گوئیم داشته ! از بود ونبود او به نقد، برای ما سودی نخواهد بود واز ضروریات مذهب ما نیست که اعتقاد به وجود یا عدم وجود او بنمائیم !

ضحاك ـ پادشاهی بود خونریز وخونخوار ـ یا پادشاهانی بودند وطبقه‌ئی ـ چون عرب بودند گیسوانی داشتند تابیده وبردوششان افتاده، آنان را

«ماردوش» می‌خواندند، بواسطه آن گیسوهای تابیده، کار به این نداریم که نوشته‌اند دو مار بر دوش او بوده ومغز سر آدمی به آنها می‌خورانیدند وچه قدر آدم کشته الی آخر، همین قدر می‌دانیم این طبقه وسلسله مردمان بدی بودند، ظالمانه ومستبدانه حرکت می‌نمودند.

فریدون ـ پادشاهی فرزانه ودانشمند ودادگر بود، قصه‌اش در تواریخ مسطور است واز تصوف ومرتاضین چله نشین وخیالات متصوفانه بدش می‌آمد، مردم را از اینکار منصرف می‌داشت واز تنبلی وترك دنیا ودرویشی منع می‌کرد.

نودر ـ دال بی نقطه ـ پسر منوچهرش دانند، جور وستم به رعیت بسیار می‌نمود ومستبد بود.

زاب وگرشاسب ـ دو شاهزاده بودند، آخرین سلاطین پیشدادیان. مدت سلطنت پیشدادیان را سه هزار سال می‌نویسند ـ پیش از این اشاره به این مطلب نمودم، باز هم می‌گویم که جمعی از اهل تحقیق مذکور داشته‌اند که بعض از سلاطین را که می‌گویند مثلا هزار سال سلطنت کرد یا کمتر یا بیشتر، مراد یك طبقه از آنهاست. در اینصورت می‌توان گفت مقصود همین سال دوازده ماه است که هر ماهی سی روز باشد. جماعتی دیگر می‌گویند به اصطلاح قرون قدیمه یك ماه را که سی روز باشد سال می‌نامیدند، پس فلان پادشاه که گفتند پنجاه سال سلطنت کرده است به آن اصطلاح، یعنی پنجاه ماه حالیه، در این مطالب خیلی خلط مبحث شده است.

سلسلهٔ کیان

کیغباد ـ «آریاس» از فرزند زادگان منوچهر است، چهل وسه سال پادشاهی نمود ودر عهد او ایران رو به ترقي نهاد، اما نه چندان، وقوت سلطنتش هفتصد وشصت سال قبل از میلاد بود، بقولي ـ وبرخي از مورخین کیغباد را طبقه‌ای دانسته ومدت سلطنت آنهارا نامعلوم گذارده‌اند. اللّٰه اعلم وبعد از کیغباد یا آن طبقه «توس» پادشاه شد.

توس ـ را «دژرس» می‌گفتند سلطنت او مستقل بوده، ولي به عدالت می‌گرویده وبه عرایض افراد رسیدگی می‌نموده وتأسیس قانون هم گذارد ومتجاوز از پنجاه سال سلطنت داشت.

فریبرز ـ پسر توس است آنرا «فرا ارت» می‌گفتند بعد از پدر شهر اکباتان را پایتخت نمود واین پادشاه با آسور دیلیلی که بخت النصر باشد، جنك کرد واین جنك ششصد وسی وشش سال قبل از میلاد بود وآخر کشته شد. پس از آن کیکاوس بر تخت نشست.

کیکاوس ـ اسم آن زمان اورا مختلف می‌نویسند «کی آرش»، «سیاگزار»، «کیاسکار» گویند پسر کیغباد است، بعضی پسر زاده‌اش دانند. جمعی را اعتقاد اینست یکی از نمرود هاست. در عهد او ایران به درجه عالي مرتقی شد وسپاه در عهد او بسیار منظم بود. فوتش قبل از میلاد به پانصد ونود وپنجسال است.

کیخسرو ـ «سیرس»، «کورس» پانصد وشصت سال قبل از میلاد مسیح بر تخت نشست و او پسر سیاوش بود یا پسرزاده‌اش. شصت سال سلطنت نمود پادشاهی بزرگوار ویزدان‌پرست بود. در زمان او وسعت کلی در تمدن ایران پیدا شد وتا آسیای غربی وسطی وافریقای شمالی نفوذ پیدا کرد واین کیخسرو را کبیر می‌خواندند. بعضی نوشته‌اند که قبل از این کیخسرو کبیر، کیخسروی دیگر هم بوده، بالجمله بعد از کیخسرو کبیر کیکاوسی دیگر پادشاه شد.

کیکاوس ـ اورا «کامبوزیا» می‌گفتند. این کامبوزیا در سفرهای کیخسرو نایب السلطنه بود، چون کیخسرو درگذشت، پادشاه شد وپس از این کیکاوس مذکور چند نفر به دروغی خواستند پادشاهی نمایند.

داریوش ـ «دارا»، «اسفندیار» که او پسر گشتاسب بود، اما نه گشتاسب پسر لهراسب، واین داریوش اسفندیار لقب داشت وداماد کیخسرو کبیر بود. از آن جهت اسفندیارش می‌خواندند که چون با جمعی قرار دادند که هر کس اسبش زودتر شیهه داد، او پادشاه شود! اسب داریوش زودتر شیهه داد، او را پادشاه کردند وچون به اعتقاد آنها «اسپند» نام ملك موکل اسب است ودارا این پادشاهی را از سعادت اسب یافت، اسپند یارش خواندند واین همان اسپندیاری است که گویند روئین تن بود. بالجمله این اسفندیار «دارا» در سلطنت وبزرگواری اول پادشاهش توان گفت شرح حال خود را بر کتیبه‌های بیستون نقش بر سنگ نموده، هزارها شهر مسخر کرده. وفاتش چهارصد وهشتاد وپنجسال قبل از میلاد بوده. شصت وپنجسال عمر نموده وسی وشش سال سلطنت. رعیت‌پرور وملت دوست بود.

لهراسب ـ «هیستاب»، «هیزتاب» برادر زاده کیکاوس است، در سلطنتش با دیگران در تواریخ تقدیم وتأخیری دارد، بهر حال بدخو، کینه جو، ظالم بوده ومستبدانه حرکت می‌نمود.

گشتاسب ـ «وشتاسپا» گویند پسر لهراسب است، قصه او که به زردشت

گروید، معروف است. اینکه گویند پسر خود اسفندیار را به جنك رستم فرستاد، اسفندیار پسر این گشتاسب نبود پسر گشتاسب دیگر است، به تفصیلی که قبلا مذکور شد (بنام داریوش) خلاصه این گشتاسب بیضاء فارس را بنانهاد. گویند اخلاق خوبي نداشته .

بهمن ـ نوشته‌اند پسر اسفندیار است، ولي آنچه به تحقیق پیوسته پسر «زریر» است که در آن وقت کزرسس یا بزرگسیس می‌نامیدند وزریر هم پادشاه بوده وبهمن پسر کوچك اواست واورا اردشیر دراز دست نیز خوانده‌اند (ارتاکزرسس) پسر بزرگ زریر گشتاسب نام داشت ودر باختر حکومت می‌نمود، این بود که بهمن جای پدر بتخت برآمد. ایران را خراب کرد، بسیاری از شاهزادگان را بکشت، بالاخره بد آدمی بود کار خوبش این بود که در گوارفارس بندی محکم بسته، چهل سال پادشاهی کرد .

همای ـ دختر بهمن سی سال پادشاهی نمود. در استخر عماراتی ساخت و برخی منکر سلطنت اوهستند .

داراب ـ پسر بهمن است در سلطنت ایران استقلال یافت. اکثر پادشاهان مطیع او بودند، حتی پادشاه «یونان» و او خود را دارای ثانی خواند ودارای اکبرش نیز خوانند وپسرش را دارای اصغر ـ «چاپارخانه» وچاپاری را او اختراع کرد. جلوس او بر تخت چهار صد وبیست وسه سال قبل از میلاد ومدت سلطنتش نوزده سال. وی پادشاهی جبّار وقتّال، نهایت بد اخلاقی را داشت .

اردشیر ثانی ـ «ارزاس» پسر بزرگ داراب بود وبعد از پدر به تخت سلطنت نشست، جنگها کرد. گویند زیرك ودانا بود، پس از نود وچهار سال که از سنش گذشت وچهل وسه سال سلطنت کرده بود، بهَ درود جهان گفت. سیصد وشصت و یکسال قبل از میلاد بود .

اردشیر ثالث ـ «اکوس» به تخت سلطنت بر نشست. پادشاهی شق النفس و بد افعال بوده وظلمهای فاحش می‌نمود وسیصد ودر سی وهشت سال

قبل از میلاد کشته شد .

دارا ـ «داریوش» می‌گویند پسر داراب است، ولي معلوم نیست، بهر حال خود را «دارای سیم» خِواند. پادشاهی عادل وحقگذار بود. به عرایض مردم رسیدگی می‌نمود، منازعه او با اسکندر معروف است. چهارده سال سلطنت نمود. وحشمت وثروت او را هیچ پادشاهی در ایران نداشته. گفته‌اند متجاوز از چهار صد نفر طباخ وسفره‌چی وساقی او بوده. چون زخم برداشت اسکندر به بالینش آمد وچند وصیت به اسکندر نمود. روشنك دخترش را اسکندر پس از وی به زنی گرفت واین آخر «سلسلهٔ کیان» است که تقریباً پنجهزار ودویست سال بعد از هبوط آدم بوده‌اند ـ دارا سیصد وسی سال قبل از میلاد ـ وپنجاه سال عمر نموده بود .

اسکندر ـ یونانی پسر فلیپ مشهور به فیلقوس، بر دارای اصغر غلبه کرد. ایران را متصرف گردید، سیزده سال پادشاهی نمود. ترکستان وافغانستان را مسخر نمود. در هندوستان نیز رفته تا پنجاب را به تصرف درآورد واستخر را آتش زده خراب نمود، در زمان سلطنت اسکندر ایران خیلی خراب شد ومدتهای مدید رو به انحطاط نهاده بود. عاقبت کار به ملوك الطوایف کشید. بنام «اشکانیان» واسکندر در سن سی ودو سالگی تب کرد وبمرد ! در شهر بابل و او را به اسکندریه بردند ودفن کردند. نهصد وچهل وپنج سال قبل از هجرت .

سلاطین سلفکیان واشکانیان

بعد از فوت اسکندر تا بیست و دو سال، میان سرداران وأمرا جنك وخونریزی بود برای ضبط ممالك، آخر در سال نهصد وبیست وسه قبل از هجرت تقسیم شد . سلفکوس نامی ایران وشامات را متصرف گردید، دویست وسی وهفت سال مدت دولت آنها بود .

اما اشکانیان در سال هشتصد وهفتاد و دو قبل از هجرت از طرف بلخ ظهور نمودند ودر قسمت سلفکوس هم مستولی شدند، بعضی گویند «اشك» دامغان را پایتخت نمود. از نهر فرات تا هند وبخارا را متصرف بودند وگویند قریب چهار صد سال (بعضی زیاده از این) مدت سلطنت آنها بوده. آنقدر اختلاف در تواریخ است که شخص نمی‌داند به کدام یك اعتماد نماید ؟ در مدت سلطنت آنها اختلاف کلی است. در پایتخت آنها نیز اختلاف حتی در اسامی آنها. هر طایفه آنها را به نامی خواند، اروپائیها به قسمیَ ضبط نموده‌اند ـ ایرانیها به قسمی دیگر ـ رومیها بطوری دیگر، در عداد آنها هم اختلاف است، بعضی بیست وهشت نفر از اشکانیان را ضبط کرده، برخی سی وشش، موافق تاریخ اروپائیها این است :

عدد ترتیبی	اسامی	تاریخ جلوس	مدت سلطنت
۱-	اشك(ارزاس)	۲۵٦ قبل از میلاد	
۲-	تیرداد(ارزاس)	۲۵۳	۳٦
۳-	اردوان(اَرتیان)	۲۱۷	۲۰
٤-	فریباد (فریاپاتیوس)	۱۹۷	۱۵
۵-	فرهاد(فراهات)	۱۸۲	۹
٦-	مهرداد(میتریدات)	۱۷۳	۳۷
۷-	فرهاد(فراهات)	۱۳٦	۸
۸-	اردوان کبیر	۱۲٤	۳۷
۹-	منوچهر(مناسکیرس)	۸۷	۱۰
۱۰-	سینا تروکس	۷۷	۸
۱۱-	فراهات	این شاه به واسطه کبر سنّ پدرش (سیناتروکس) با پدر مشارکت داشت.	
۱۲-	میتریدات(مهرداد)	٦۹	۱۵
۱۳-	اُرُد(هرمزد)	۵٤	۱۷
۱٤-	فرهاد(فراهات)	۳۷	۳۳
۱۵-	وونوس(ونداد)	٦ بعد از میلاد طولی نکشید او را خلع کردند وبه جای او، باردوان نامی منتقل ساختند واین انتقال ۱۵ سال بعد از میلاد بود.	
۱٦-	کوتارزس(گودرز)	٤٤	۷
۱۷-	وونوس ثانی	۱۵ طولی نکشید پسرش به جای او نشست ـ در حیات پدر ـ واین پسر هم چندی سلطنت کرد ودر سال نود مسیحی مرد. گویند بعد از او پلاش ثانی هم پادشاه شد.	
۱۸-	باکور	۹۰	۱۷

عدد ترتیبی	اسامی	تاریخ جلوس	مدت سلطنت
۱۹ـ	خسرو	۱۰۷	۲۷
۲۰ـ	پلاش ثانی	۱۳٤	٥٤
۲۱ـ	اردوان	۱۸۸	معلوم نیست
۲۲ـ	فیروز		
۲۳ـ	خسرو		
۲٤ـ	اکشداد		
۲۵ـ	پلاش سیم		
۲٦ـ	پلاش چهارم		
۲۷ـ	پلاش پنجم		
۲۸ـ	پلاش ششم		

ودو نفر دیگر بعد از او سلطنت کردند گاهی منصوب گاهی معزول که درست معلوم نیست مدت استقلال آنها، ودر بعض تواریخ از شش نفر پلاش نام می‌برند. این پلاشها نیز گاهی غالب، گاهی مغلوب، گاه منصوب، گاه معزول بودند ! ممالك به یکدیگر قسمت می‌کردند وبعد از آنها، اردوانی را ذکر می‌کنند که او در سال دویست وچهارده به تخت نشست. چندی بود که اردشیر بابکان پیدا شد، در آنوقت هم این سلسله منقرض نشدند، بعض شعبه‌ها پیدا می‌شدند تا سال دویست وبیست وشش میلادی که به کلی منقرض شدند، از بس هرج ومرج در این سلسله بود، اخلاق آنها درست تمیز داده نمی‌شد. اگر چه بعضی عدالتی به خرج می‌دادند، برخی شقاوت ! ومتصل در زد وخورد بودند. در دوره آنها آثار ترقی مثل پیشتر از آنها نبود، ولی حسنی که داشت سَلطنت آنها مشروطه بود .

طبقه ساسانیان

اردشیر بابکان ـ در سال دویست وبیست وشش میلادی جـلوس بـه تخت سلطنت نمود وپادشاهی را از چنگ اشکانیان بیرون آورد ودر این هنگام تا آخر ساسانیان ایران اندك ترقیش بیشتر شد. اردشیر استخر را تختگاه نمود. در روزگارش فقیر ودرویشی نبود. قرب چهارده سال شاهی کرد!

شاپور ـ پسر اردشیر جلوسش (۲٤۰) بود ووفاتش (۲۷۱) میلادی از جمله وصیتهائی که اردشیر به شاپور کرد، این بود که «فرزند، در هنگام سـختی پردل باش ودر زمان آسودگی از روی عقل رفتار کن وهـیچوقت عـدل را از دست مده که رعایا بعد از ما، ذکر خیر ما را بنمایند وبرای ما طلب مغفرت کنند، چراکه این رعایا را خداوند عالم به ما سپرده».

هرمز ـ «هرمیسداس» یك سال شاهی کـرد جـلوسش (۲۷۱) فـوتش (۲۷۲) «مانی» در زمان او ظهور کرد.

بهرام اول ـ سه سال شاهی نمود. جلوسش (۲۷۲) فوتش (۲۷۵). مانی را او کشت.

بهرام دویم ـ هفده سال سلطنت کرد. جلوس او(۲۷۵) وفات او(۲۹۲) اول بدکار بود، بعد دادگر شد.

بهرام سیم ـ چهار ماه شاهی نمود. جلوس او(۲۹۲) فوت او(۲۹۳) خوئی ملایم داشت.

نرسی ـ چهار سال سلطنت کرد. جلوسش (۲۹۳) وفاتش معلوم نیست، سال چهارم از شاهی استعفا داد.

هرمز ـ پسر کوچکش سه چهار سال دخالت کرد وبعضی دیگر نیز ادعا نمودند. هرج ومرجی روی داد. آخر الامر پادشاهی به او مستقل شد. استقلالش تا (۳۰۱) فوتش (۳۰۹). هشت سال پادشاه بود.

شاپور دویم ـ هفتاد سال پادشاه بود. جلوس او(۳۰۹) فوت او(۳۷۹) «ذو الاکتاف» لقب داشت. از اعراب خیلی کشت وشانه‌های آنها را سوراخ کرده ریسمان در آن می‌کشید! از این جهت به ذو الاکتاف ملقب گردید، دولت ساسانی را سربلند کرد.

اردشیر دویم ـ چهار سال پادشاه بود. جلوس (۳۷۹) فوتش (۳۸۳) بزرگان را می‌کشت.

شاپور سیم ـ پنج سال شاه بود. جلوسش (۳۸۳) وفاتش (۳۸۸) بیدادگر بود.

بهرام چهارم ـ یازده سال پادشاه بود. جلوس (۳۸۸) قتلش (۳۹۹) ظلم می‌کرد. او را کشتند. کرمانشاهان از بناهای اوست.

یزدگرد ـ پسر بهرام بود، یا برادرش. بیست سال شاه بود جلوسش (۳۹۹) فوتش (٤۱۹). خیلی ظالم وجابر بود.

بهرام گور ـ بیست سال شاهی کرد. جلوس او(٤۲۰) فقدانش (٤٤۰) این پادشاه به عیش وعشرت وطرب وشکار میل مفرطی داشت، ولی از رعیت پروری غفلت نمی‌ورزید وبسیار سیرت دوست بود.

یزدگرد دویم ـ پسر بهرام گور، هفده سال سلطنت داشت. جلوس (٤٤۰) قتلش (٤۵۷) با عزم وکفایت بوده.

هرمز سیم ـ پسر یزدگرد، دوسال پادشاهی نمود. جلوسش (٤۵۷) فوتش (٤۵۹) مردی فرزانه بود.

فیروز ـ پسر یزدگرد، ایضا بیست وچهار سال سلطنت کرد. جلوس او(۴۵۹) قتلش (۴۸۳) دادگر وعادل بوده .

بلاش ـ برادر فیروز چهار سال شاهی کرد. جلوسش (۴۸۳) فوتش (۴۸۷) ارمنستان را آزادی داد .

غباد ـ ابتدا یازده سال پادشاهی کرد. جلوس او(۴۸۷) عزلش (۴۹۸). چرا که به دین مزدك ایمان آورد. مؤبد آن را خوش نیامد، از سلطنت معزولش کردند و برادرش جاماسب سه سال شاهی کرد .

غباد ـ به معاونت هیاطله دوباره خروج کرد واز دین مزدك هم دست کشید، دو باره به سلطنت جلوس کرد (۵۰۱) وفاتش (۵۳۱) دفعه ثانی سی سال شاهی نمود !

انوشیروان ـ پسر غباد چهل وهشت سال شاه بود. جلوس (۵۳۱) فوتش (۵۷۹) امور دولت را به أعلی درجه رسانید وحضرت ختمی مرتبت (ص) در عهد او متولد شدند ابو زر جمهر وزیر او بود واین پادشاه قانونی در مملکت خود وضع کرده بود که بـه رعایای او ظلم وتعدی نشود وتشکیل مدرسه‌ها داد به علاوهٔ عدالت سیاستی بسزا داشت .

هرمز چهارم ـ یازده سال شاهی کرد. جلوس (۵۷۹) وفاتش (۵۹۰) قتّال و خونریز بود .

خسروپرویز ـ سی وهشت سال پادشاه بود. جلوس وی (۵۹۰) قتلش (۶۲۸) پادشاهی بود عیاش وکامجو وخوش گذران داستان او باشیرین (سیرا) معروف است وبه کثرت گنج ومال موصوف. در اواخر سلطنت بنای بد رفتاری را با رعیت گذارد بر او شوریده نخست حبس بعد از آن او را کشتند .

شیرویه ـ چند ماهی سلطنت کرد. جلوسش (۶۲۸) میلادی سال ششم هجری فوتش (۷هجری). برادران خود را کشت .

اردشیر سیم ـ(اورز) ششماه شاه بوده جلوس او(سال ۷ هجری) قتل او

همان سال «شهر آزاد» سردار او را کشت.

شهرازاد ـ چهل روز شاه شد. جلوس او وقتل او به دست لشکریان در سال هشتم هجری بود.

پوراندخت ـ خواهر شیرویه ششماه سلطنت کرد. عادلانه حرکت می‌کرده و دادگر بوده.

(سخن که بدینجا رسید سید فرمود ای وای (چه مردی بود کز زنی کم بود) ....آه، آه.)

آذرمیدخت ـ خواهر پوراندخت دختر پرویز چهار ماه پادشاهی کرد آخر کشته شد.

فرخزاد ـ بسری از خسروپرویز بود، یا پسری از فیروز، یك ماه فرمانروا گردید بعد مسموم شد.

یزدگرد سیم ـ نه سال سلطنت کرد وچند بار از اعراب شکست خورد. آواره ولایات شد. آخر بدست آسیابانی مقتول گردید واین قضیة در سال ششصد و پنجاه ویك میلادی وبیست ونه هجری بود. دولت ساسانی منقرض شد در مدت سلطنت این طبقه ساسانی دولت ایران روبه ترقی نهاده بود، اما نه بطور سابق زیرا که بعض از آن سلاطین، مشغول به لهو ولعب وخوش گذرانی بودند وپارهٔ دیگر به خیالات واهیه، از قبیل پرستش ستاره یا ارباب انواع، یا جبنه سائی بر مخلوقاتی پست‌تر از آدمی افتاده بودند، از این جهت مملکتشان آنطوری که باید وشاید، ترقی نکرد ومنقرض شد وبناهای استبدادیه آنها را، سیل‌ریشه کن عظیمی که از عربستان برخاست، همه را خراب کرد. قریب پانصد سال این طبقه سلطنت نمودند.

ظهور پیغمبر اسلام

نور عدل وداد الهی از وجود مبارك حضرت نبوی (ص) بر جهانی ساطع گردید و تخمی از عدل وداد بر زمین افشاند وآن درختی شد که شاخهایش بهر سوی متفرق ومنشعب گردید ودانه‌هائی از آن، بر زمینهای متعدده افتاده وهـر کدام نیز درختی گردید وخس وخاشاکی درپای هر درختی نیز روئـید. شـاخ وبرگ وخس وخاشاك همه در هم وبرهم شد اثمار متفرقه وازهار متشتته از آنها بظهور آمد. هر کس به خیالی متمسك به شجری یا متشبث به ثمری شد. گاه عدل وداد بود، گاه ظلم و عناد. گاه حریت بود، گاه استبداد، تاریخ اموی وعباسی را البته خوانده‌اید، حاجت به تفصیل زیاد نیست واین را می‌دانیم که مؤسس اساس این دین مطهر و شرع انور، حضرت خیر البشر (ص) بودند که در سنه پـانصد وهفتاد ودو میلادی، تولد یافتند ودر سال ششصد وده که از عمر مبارکشان چهل ویکسال کمتر می‌گذشت، مبعوث پیغمبری شدند وسیزده سال بعد از آن به مدینه هجرت فرمودند. مبدء تاریخ هـجری همـان است ودر سـال یـازدهم هـجری حضرت خاتم النبیین (ص) از این دار فانی رحلت فرمودند. پس از آن بزرگوار، ابو بکر وعمر و عثمان خلافت عربستان را دارا شدند.

أبو بکر ـ پس از دوسال واندی خلافت، در سال (۱۳) هجری درگذشت. به عمر شصت وسه سالگی.

عمر ـ در زمان خلافتش شهرها را مفتوح کرد. پس از ده سال وپـنجاه

خلافت، در سنه بییست وسه هجری درگذشت، عمر او را نیز شصت وسه بعضی پنجاه وچهار گویند.

عثمان ـ پس از عمر خلافت یافت. پس از دوازده سال تقریباً خلافت، بر او هجوم آوردند و او را کشتند. یعنی بر او شوریدند در سنه سی وپنج هجری.

علی بن ابیطالب ـ امیر المؤمنین علیه السلام به حقیقت بر مسند خـلافت متمکن شدند وبا معاویة جنگها نمودند که در تواریخ مسطور است. در سال چهلم هجرت حضرت را به عمر شصت وسه سالگی یا افزونتر، شهید کردند به تفصیلی که می‌دانید. پس از علی بن ابیطالب علیه السلام، امر خلافت با اولاد امجادش بود.

حسن بن علی ـ علیهما السّلام، با اوبیعت کردند. پس از ششماه آن حضرت به مصلحتی خلافت را به معاویة واگذار نمود. یعنی در سنه (٤١) هجری. بالاخره به عمر چهل وهفت سالگی او را به سمی قاتل، شهید ساختند وتاریخ خلافت به حق یك یك ائمه را تا حضرت حجت علیهم السلام، تمام در کتب تواریخ ملاحظه کرده‌اید.

سلطنت بنی امیه

معاوية بن ابي سفيان ـ جلوسش ٤١ ـ مدت ١٩ سال وسه ماه، وفاتش ٦٠ هجری ـ افعال مردوده‌اش بر همه معلوم است.

يزيد بن معاويه ـ جلوس ٦٠ ـ مدت سلطنت سه سال وهشت ماه، مردنش ٦٤ هجری ذمایم اعمالش محتاج به تبيين نيست.

معاوية بن يزيد ـ جلوس ٦٤ ـ مدت خلافت ٤٠ روز. پس از آن از خلافت استعفا داد وبر پدر لعن نمود.

مروان بن حکم ـ جلوس ٦٤ ـ مدت حکومت ٩ ماه ـ در سنه ٦٥ هجری کشته شد.

عبدالملك بن مروان ـ جلوس ٦٥ ـ مدت سلطنت ٢١ سال ونيم ـ وفاتش ٨٦ هجری.

وليد بن عبدالملك ـ جلوس ٨٦ ـ مدت حکومت ٩ سال وهشت ماه ـ وفاتش ٩٦ هجری.

سليمان بن عبدالملك ـ جلوس ٩٦ ـ مدت سلطنت ٢ سال وهشت ماه ـ وفاتش ٩٩ هجری.

عمر بن عبدالعزيز ـ جلوس ٩٩ ـ مدت خلافت ٢ سال وپنجماه ـ وفاتش ١٠١ هجری ـ از تمام خلفای بنی امیه از حيث بزرگواری امتياز داشت.

يزيد بن عبدالملك ـ جلوس ١٠١ ـ مدت سلطنت ٤ سال ويك ماه. وفاتش

۱۰۵ هجری .

هشام بن عبدالملك ـ جلوس ۱۰۵ ـ مدت خلافت ۱۹ سال وهشت ماه ـ وفاتش ۱۲۵ هجری .

ولید بن یزید ـ جلوس ۱۲۵ ـ مدت سلطنت یك سال ودو ماه، در سنه ۱۲٦ کشته شد .

یزید بن ولید ـ جلوس ۱۲٦ ـ مدت حکومت قریب شش ماه ـ وفاتش ۱۲۹ هجری .

ابراهیم بن ولید ـ جلوس ۱۲٦ ـ مدت خلافت ۲ ماه، در سنه ۱۲۷ هجری بقتل رسید .

مروان بن محمد معروف به حمار[1] ـ جلوس ۱۲۷ ـ مدت خلافت پنجسال ویك ماه، در سنهٔ ۱۳۲ کشته وخلافت آنها ختم شد .

مدت سلطنت وخلافت بنی امیه نود ویك سال بود. سپس بنی عباس در کار آمدند، به شرح وبسطی که در تواریخ مسطور ومرقوم است. «اجمالا» :

---

۱ ـ اعراب، هر صد سال را «سنة الحمار» گویند .

سلسله بنی عباس

سفاح بن عباس ـ جلوس ۱۳۲ ـ مدت سلطنت ٤ سال ونه ماه، وفاتش ۱۳٦ هجری.

منصور دوانیق برادر سفاح ـ جلوس ۱۳٦ ـ مدت حکومت ۲۱ سال ونه ماه ـ وفاتش ۱۵۸ هجری.

مهدی بن جعفر ـ جلوس ۱۵۸ ـ مدت خلافت ده سال ویك ماه. وفاتش ۱٦۹ هجری.

هادی بن مهدی ـ جلوس ۱٦۹ ـ مدت حکومت یك سال وسه ماه ـ وفاتش ۱۷۰ هجری.

هارون الرشید بن مهدی ـ جلوس ۱۷۰ ـ مدت سلطنت ۲۳ سال ودوماه ـ وفاتش ۱۹۳ ـ هارون الرشید «برامکه» را استقلال داد وبعد غضب کرد واز امپراطورها باج و خراج گرفت ودر عهد اوعلوم وصنایع ترویج یافت.

محمد امین بن هارون ـ جلوس ۱۹۳ ـ مدت خلافت ٤ سال ونه ماه در سنه ۱۹۸ مقتول گردید.

مأمون الرشید بن هارون الرشید ـ جلوس ۱۹۸ ـ مدت سلطنت ۲۰ سال وپنج ماه ـ وفاتش ۲۱۸ ـ حضرت رضا علیه السلام را ولیعهد خود نمود وبه ترویج علوم میپرداخت، و او دارای عفو وکرم بود وبه علویین محبّت می‌نمود! ودر زمان او بسیاری از کتب یونانی ترجمه وتوزیع شد.

معتصم بن هارون ـ جلوس ۲۱۸ ـ مدت خلافت ۸ سال و۸ ماه، وفاتش ۲۲۷ هجری.

واثق بن معتصم ـ جلوس ۲۲۷ ـ مدت خلافت پنج سال ونه ماه، وفات او ۲۳۲

متوکل بن معتصم ـ جلوس ۲۳۲ مدت خلافت ١٤ سال ونه ماه ـ در سنه ٢٤٧ کشته شد.

منتصر بن متوکل ـ جلوس ٢٤٧ ـ مدت حکومت ٦ ماه ـ وفاتش ٢٤٨ هجری.

مستعین بن معتصم ـ جلوس ٢٤٨ ـ مدت سلطنت سه سال ونه ماه در سنه ۲۵۲ معزول ومقتول گردید.

معتز بن متوکل ـ جلوس ۲۵۲ ـ مدت حکومت سه سال و٦ ماه ـ در سنه ۲۵۵ محبوس شد ومرد.

مهتدی بن واثق ـ جلوس ۲۵۵ ـ مدت خلافت یازده ماه ـ وفات ٢٥٦ هجری.

معتمد بن متوکل ـ جلوس ٢٥٦ ـ مدت خلافت ۲۳ سال ـ وفات سنه ۲۷۹ هجری.

معتضد بن موفق ـ جلوس ۲۷۹ ـ مدت خلافت ۹ سال و۹ ماه ـ وفات ۲۸۹ هجری.

مکتفی بن معتضد ـ جلوس ۲۸۹ ـ مدت خلافت ٦ سال و۷ ماه ـ وفات ۲۹۵ هجری.

مقتدر بن معتضد ـ جلوس ۲۹۵ ـ مدت خلافت ٢٤ سال ـ در سنه ۳۲۰ کشته شد.

قاهر بن معتضد ـ جلوس ۳۲۰ ـ مدت سلطنت یکسال وپنج ماه ـ در سال ۳۲۲ معزول وکورش کردند.

راضی بن مقتدر ـ جلوس ۳۲۲ ـ مدت خلافت ٦ سال و دو ماه ـ وفاتش ۳۲۹ هجری.

متق بن مقتدر ـ جلوس ۳۲۹ ـ مدت سلطنت ۳ سال ویازده ماه ـ در سنه ۳۳۳ کور ومعزولش کردند.

مستکفی بن مکتفی ـ جلوس ۳۳۳ ـ مدت سلطنت یکسال وچهار ماه، در سال ۳۳٤ معزول وکورش کردند.

مطیع بن مقتدر ـ جلوس ۳۳٤ ـ مدت سلطنت ۲۹ سال وچهار ماه ـ در سنه ۳٦۳ منعزل گردید.

طائع بن مطیع ـ جلوس ۳٦۳ ـ مدت حکومت ۱۷ سال ونه ماه ـ در سال ۳۸۱ محبوس شد ودرگذشت.

قادر بن اسحق ـ جلوس ۳۸۱ ـ مدت محکومت ٤۱ سال وچهار ماه ـ فوتش ٤۲۲ هجری.

قائم بن قادر ـ جلوس ٤۲۲ ـ مدت خلافت ٤٤ سال و۸ ماه وفاتش ٤٦۷ هجری.

مقتدی نبیره قائم ـ جلوس ٤٦۷ ـ مدت خلافت ۱۹ سال وپنج ماه وفاتش ٤۸۷ هجری.

مستظهر بن مقتدی ـ جلوس ٤۸۷ ـ مدت خلافت ۲۵ سال وسه ماه ـ وفاتش ۵۱۲ هجری.

مسترشد بن مستظهر ـ جلوس ۵۱۲ ـ مدت سلطنت ۱۷ سال و دو ماه ـ در سال ۵۲۹ بقتل رسید.

راشد بن مسترشد ـ جلوس ۵۲۹ ـ مدت سلطنت کمتر از یکسال ـ در سنه ۵۲۹ معزول ومقتول گردید.

مقتفی بن مستظهر ـ جلوس ۵۳۰ ـ مدت خلافت ۲٤ سال ویازده ماه ـ

وفاتش ۵۵۰ هجری .

مستنجد بن مقتفی ـ جلوس ۵۵۰ ـ مدت خلافت یازده سال ـ وفاتش ٥٦٦ هجری.

مستضیئ بن مستنجد ـ جلوس پانصد وشصت وشش ـ مدت حکومت نه سال ـ وفاتش ٥٧٥ هجری.

ناصر بن مستضیئ ـ جلوس ٥٧٥ ـ مدت حکومت ٤٦ سال ویازده ماه، وفاتش ٦٢٢ هجری.

ظاهر بن ناصر ـ جلوس ٦٢٢ ـ مدت خلافت ۹ ماه ـ وفاتش ٦٢٣ هجری.

مستنصر بن طاهر ـ جلوس ٦٢٣ ـ مدت خلافت ١٦ سال ویازده ماه ـ وفاتش ٦٤٠ هجری.

مستعصم بن مستنصر ـ جلوس ٦٤٠ ـ مدت سلطنت پانزده سال ـ در سنه ٦٥٥ کشته شد .

تفصیل آنکه «هلاکو» بغداد را گرفت ودولت عباسیین منقرض شد. مدت خلافت وسلطنت آنها پانصد وبیست وچهار سال بود. از ابتدای سنه ۱۳۲ الی ٦٥٦ هجری ـ اما اینها گاهی ذلیل ترك ودیالمه می‌شدند وگاهی استقلال پیدا می‌کردند .

سلسله صفاری وسامانی

یعقوب بن لیث سردار لشگر طاهریان ـ(که از جانب خلفاء در خراسان بودند) کارش بالا گرفت، با لشگری به خراسان وکرمان وفارس آمد وسلطنت کرد، در سنه دویست وپنجاه وسه ـمدت سلطنتش دوازده سال وسنه وفاتش در دویست و شصت وپنج اتفاق افتاد.

عمرو بن لیث ـجلوس آن (۲٦۵) قتلش (۲۸۷) مدت سلطنت او(۲۲) در بغداد. او را کشتند.

طاهر بن محمد ـ جلوسش (۲۸۷) عزلش (۲۹۵) مدت سلطنتش هشت سال ـاین سلسله منقضی شد.

سلسله سامانی

سامان نامی از اولاد «بهرام چوبینه» چوپانی می‌کرده، نواده‌های او از جانب مأمون کار گذار بودند.

اسمعیل ـ جلوسش (۲۷۹) مدت سلطنتش (۱٦) وفاتش (۲۹۵) بسیار دانشمند بود.

احمد بن اسمعیل ـ جلوس او(۲۹۵) مدت پادشاهی او(٦) سال ـ قتلش (۳۰۱) حسن اخلاق داشته.

نصر ـ جلوس سلطنتش (۳۰۱) مدت شاهی او(۳۰) وفاتش ۳۳۱ عادل بود. «رودکی» در عصر اوبود.

نوح ـ آغاز شاهی (۳۳۱) مدت سلطنت (۱۲) ـ فوت او(۳٤۳) در عراق نفوذ داشت.

عبدالملك ـ جلوس او(۳٤۳) مدت پادشاهی او(۷) ـ وفات او(۳۵۰) از اسب افتاد ومرد.

منصور ـ پادشاهی (۳۵۰) مدت سلطانی او(۱٦) ـ وفات او(۳٦٦) برادر عبدالملك است.

نوح دویم ـ جلوسش (۳٦٦) مدت سلطنتش (۲۱) ـ فوت او(۳۸۷) «دقیق» در عهد او بود.

منصور دویم ـ جلوس او(۳۸۷) مدت پادشاهیش (۲) خلع او(۳۸۹).

معزول و کورش کردند .

عبدالملك دویم ـ جلوس او(۳۸۹) مـدت سـلطنت او(۸مـاه) ـ وفـاتش (۳۸۹) «محمود غزنوی» او را شکست داد .

مدت دولت آنها یکصد سال بود، تا منقضی شد. این سلاطین همه دادگر و عادل بودند .

سلسله آل زیار وشمگیر

این سلسله را اهل تاریخ با «دیالمه» مخلوط کرده‌اند وما می‌توانیم اینها را دیالمه هم بگوئیم که دیلمی هستند ودیالمه که بعد می آید، اصلا دیلمی نیستند، ولی معروف به دیلمی شده‌اند چرا که ساکن در بلاد دیلم بوده‌اند.

وقتی یکی از بزرگان طبرستان بر قومی شوریده داعیه داشت و او را ملازمی بود «مرداویج» نام ـ پسر زیار ـ به مولای خود مخالفت نمود غالب شد وبر طبرستان مستولی گردید. بعد به عراق عجم ودر اصفهان اقامت نمود.

مرداویج ـ جلوسش (۳۱٦) ـ مدت سلطنت (۷) ـ قتل او۳۲۳. بـه دست غلام خود کشته شد.

وشمگیر ـ جلوس او(۳۲۳) ـ مدت شاهی او(۳۳) ـ وفـات او(۳٥٦). بـا رکن الدوله جنگ داشت.

بیستون ـ جلوس او(۳٥٦) ـ مدت سلطانی او(۱۰) ـ فوت او(۳٦٦). بـا رکن الدوله صلح نمود.

شمس المعالی قابوس ـ جلوس او(۳٦٦) ـ مدت شاهی او(۳۷) ـ فـوتش (٤۰۳). عاقل وفصیح وخوش خط بود.

فلك المعالی منوچهر ـ جلوس او(٤۰۳) ـ مدت پادشاهی او(۱۷) وفاتش (٤۲۰). تملق از محمود غزنوی می‌گفت.

انوشیروان ـ در سنه ٤۲۰ جلوس نمود وچون استعدادی نداشت، از جنك

سلطان مسعود غزنوی گریخت ـ وبعد دم از متابعت سلاجقه می‌زد.

کیکاوس وگیلان شاه ـ نیز ادعای سلطنت می‌داشتند، ولی سلطنت آنها چندان دوامی نداشت وقابل ذکر نیست چنان که مورخین هم حالات آنها را درست ننوشته‌اند.

سلسله آل بویه ومعروف به دیالمه

«بویه» صیادی بوده از اهل دیلم ـ گیلان ـ سه پسر داشت. علی وحسن واحمد به خدمت مرد اویج (آل زیار) مذکور آمدند ومرجع کار شدند «علی» رفته رفته پادشاه وملقب به عماد الدوله گردید وسر سلسله دیالمه شد.

عماد الدوله ـ جلوس او (٣٢٢) مدت پادشاهیش (١٦) ـ فوتش (٣٣٨) «قاهر» خلیفه را مغلوب نمود .

رکن الدوله حسن ـ حکمرانی او (٣٢٣) از جانب برادر در عراق بود سی سال زدوخورد به شاهان سامانی داشت . پس از عماد الدوله استقلال یافت. پادشاهی او (٤٣) ـ فوتش (٣٦٦) عادل وکریم بود.

معز الدوله احمد ـ حکمران کرمان شد، از جانب عماد الدوله برادرش در سنه (٣٢٤) به بغداد رفت ومستکفی را خلع وکور کرد ومطیع را به جای او خلیفه نمود، ولی مطیع هم آلت دست او بود. مدت سلطنت این پادشاه (٣٢) سال بود ودر سنه (٣٥٦) درگذشت.

عز الدوله ـ جلوسش (٣٥٦) ـ مدت شاهیش (١١) ـ قتل او (٣٦٧). بسیار بی کفایت بود.

عضد الدوله ـ پسر رکن الدوله است، عماد الدوله او را در سنه (٣٣٨) ولیعهد خود نمود، بغداد را تصرف کرد، عز الدوله را دستگیر وبه قتل رسانید فارس وکرمان وعراقین وغیرها همه به تصرف او بود، در عدل وداد نظیر نداشت

ورعیت پرور بود. در فارس آثار بسیار دارد. «بند امیر» وآب انبار استخر را او ساخته. با امپراطور قسطنطنیه رابطه داشته. مدت سلطنت او (٣٤) سال ـ وفاتش سنه (٣٧٢). شیعی مذهب بود، مثل سایر دیالمه.

مؤید الدوله ـ جلوس او (٣٦٦) مدت سلطنتش (٦) سال ـ فوتش (٣٧٣). همراهی با عضد الدوله داشت.

فخرالدوله ـ جلوس او (٣٧٤) مدت پادشاهی او (١٤) ـ وفاتش (٣٧٨). «صاحب بن عباد» وزیر او بود وسابق هم وزیر مؤید بود. «صاحب» از وزرای عالم وفاضل بسیار بزرگ است.

شرف الدوله ـ جلوس او (٣٧٢) ـ پادشاهی او (٧) سال فوتش (٣٧٩). پس از عضد الدوله در فارس بود.

صمصام الدوله ـ در بغداد امیر بود به فارس آمد کشته شد. سنه (٣٨٨) بعد از صمصام الدوله. بهاء الدوله فارس را بـه تـصرف درآورد «طـائع» را خـلع «قاهر» را خلیفه نمود فوتش (٤٠٣).

«مجد الدوله» و«سلطان الدوله» و«ابوکالنجار» و«جلال الدوله» و«مـلك رحیم» و«فولاد ستون» اینها غالب در فارس بـودند، ولی اکـثرشان در زمـان حیات یك دیگر ادعای سلطنت می‌نمودند. هر کدام در جائی. یعنی پس از عضد الدوله ابناء او باهم نفاق داشتند وطلوع سلطنت «سلطان محمود» هم شده بـود. اینها در «خسف» بودند که اکثر آنها را دستگیر می‌کرد. بالجمله ایـران در تحت تصرف «غزنویها» درآمد.

سلسله غزنویها

ناصر الدین سبکتکین ـ جلوس او (٣٦٦) ـ مدت سلطنت او (١٩) سال ـ فوت او (٣٨٧). تا هند هم رفت.

اسمعیل ـ پسر او جلوسش (٣٨٧) مدت شاهیش (٧ماه). فوتش (معلوم نیست).

محمود ـ پسر بزرگ ناصر الدین است، نگذارد که اسمعیل زندگانی کند خود بر تخت سلطنت نشست وهمانوقت هم «منصور بن نوح سامانی» در خراسان بر سریر سلطنت جلوس نمود. محمود آخر بر او غالب گردید. القادر بالله خلعتی برایش فرستاد «یمین الدوله»اش لقب داد در هندوستان فتوحاتی کرد، خیلی از هند را گرفت ترویج علم ونظم را می‌نمود. «قصه فردوسی» با او معروف است. جلوس او (٣٨٧) مدت پادشاهی او (٤١) وفاتش (٤٢١). پسر کوچك خود «محمد» را به جای خود گذاشت.

محمد ـ جلوسش (٤٢١) مدت شاهیش (٨ماه) «مسعود» که برادر بزرگتر بود او را گرفته کور کرد وخود پادشاه شد! ناگاه «سلاجقه» بر خراسان استیلا یافتند، مسعود به هند گریخت. محمد را دوباره پادشاهَ کردند (٤٣٢). هجري . احمد پسر محمد مسعود را کشت (٤٣٢). محمد سه ماه دیگر سلطنت کرد «مودود بن مسعود» او را کشت (٤٣٢).

مودود ـ جلوس او (٤٣٢) ایران را از دست داد چون که تاب حرب با

سلاجقه را نداشت در هندوستان نفوذی پیدا کرد، وفاتش (٤٤١) هجری بـود. پس از مودود جمعی دیگر بودند، چونکه در ایران دستی نداشتند وبـا سـلاجقه معاصر ودر جنگ بودند وکاری از پیش نمی‌بردند. مثل «علی» و«عبدالرشـید» و«فرخزاد» و«ابراهـیم» و«مسـعود» و«ارسـلان» و«بهـرامشـاه» و«خـسرو» و«خسرو ملك» که آخر همه بود. فوتش (۵۸۳).

بهرامشاه مذکور قدری با اسم ورسم تر بوده کتاب «کلیله ودمنه» و«مخزن الاسرار نظامی» بنام او نوشته شده جلوس او (۵۱۲) بود ومدت سلطنت او (۳۵) فوتش (٥٤٧). اما اینرا هم بگویم که غزنویها سلاطین اوائل آنها خیلی بر جلالت وشأن ایران افزودند وآنرا ترقی دادند وتا هند را مسخر نمودند ومی‌توان گفت که «سلجوقیان» بـیشتر ایـران را تـرقی داده ودر عـلوم وصـنایع . در ایـن دوره سلجوقیها بر اکثر روی زمین فائق بودند.

سلسله سلجوقیان

«سلاجقه» از قبیله ترك بوده‌انـد. در زمـان سـلطان محـمود غـزنوی در خراسان اقامت داشتند. پس از فوت محمود به حرکت آمدند. سلطان مسعود هم نتوانست حریف آنها بشود.

طغرل بیك ـ جلوس او (٤٣٢) مدت سلطنتش (٢٣) فوتش (٤٥٥). با عقل وکریم بود.

الب ارسلان ـ برادر زاده طغرل بیك جلوس او (٤٥٥) پـاشاهی او (١٠) سال ـ قتل او (٤٦٥) «خواجه نظام الملك» وزیر او بود.

ملکشاه ـ پسر الب ارسلان جلوس (٤٦٥) پادشاهی او (٢٠) سال فوت او (٤٨٥) از این جلال‌الدین مـلکشاه مـذکور، بـنیاد کـاروانسـراهـا و مـدارس عـالیه وابنیه خیریه بسیار باشد. فضلا را محترم می‌داشت. «تاریخ ملکشاهی در تقویم» به اسم اوست «امیر معزی» شاعر در عصر او بود و«خواجه نظام الملك» را در عصر او کشتند.

برکیارق بن ملکشاه ـ جلوس او (٤٨٥) ـ مدت سلطنت او (١٣) سـال. وفات او (٤٩٨).

محمد بن ملکشاه ـ جلوسش (٤٩٨) ـ مدت پادشاهیش (١٣) سال فوتش (٥١١)، هجری است.

محمود ـ پسر محمد خواست سلطنت نماید «سنجر» عمّ او او را مقهور نمود،

پسران دیگر محمد نیز مخذول[1] شدند.

سلطان سنجر بن ملکشاه ـ جلوس او (۵۱۱) مدت پادشاهی او (٤۱) سال فوتش (۵۵۲). فتوحات بسیار نمود آخر از ترکان «غز» شکست خورد واسیر شد وفرار کرد. «انوری» و«ادیب صابر» و«عبدالواسع» در عصر او بودند «محمود» پسر دیگر «محمد» با سلاطین دیگر که «طغرل ثانی» و«مسعود» و«ملکشاه ثانی» و«محمد ثانی» و«سلیمان» و«ارسلان ثانی» و«طغرل ثالث» باشد، دعوی سلطنت داشتند. وجلوس این طغرل در (۵۷۱) بود وفوتش (۵۹۰). تمام این هشت نفر، مدت قلیلی سلطنت کردند ومتصل در زد وخورد بودند. هرج ومرج غریبی بود وخلفا این سلجوقیان را به بغداد راه ندادند وغالب آنها به عدل واحسان ودانش موصوف بودند. پیش از این گفتیم که ایران را خیلی ترقی دادند، واز سلجوقیان دو طبقه دیگر بودند، طبقهٔ در «کرمان» وطبقهٔ در «روم» سلطنت می‌کردند.

---

۱ ـ لغت عربی است، بمعنی سرافکنده وبی نصیب (کسیکه از یاری کردن باو خودداری کنند) ـ جمع آن «مخاذیل» است .

سلسله خوارزمشاهیان

«قطب الدین» ابتدا از جانب سلطان سنجر حاکم خـوارزم بـود، آخـر «خوارزمشاه» لقب یافت وسلطنت مآب شد. جلوس او (٤٩١) فوتش (٥٢١) گویند خیلی دانشمند بود.

آتسز ـ جلوس او (٥٢١) وفات او (٥٥١) در میان او وسنجر مکرر جنگ می‌شد، «رشید وطواط» مداح او بوده وآتسز پسر قطب الدین محمد است.

ایل ارسلان ـ جلوس او (٥٥٢) ـ وفات (٥٦٨) این پسر اتسز مذکور است.

سلطانشاه ـ جلوس او (٥٦٨) فوتش (٥٨٩) بابرادر خود «عـلاءالدیـن تکش» نزاعها کرد.

علاء الدین ـ جلوسش (٥٨٩) ـ وفاتش (٥٩٦). خوارزم را صاحب شد وبرادرش خراسان را.

سلطان محمد ـ جلوس (٥٩٦) وفات (٦١٧) ترکستان وهند را مسخر کرد، آخر مغلوب چنگیز شد.

سلطان رکن الدین ـ وسلطان غیاث الدین ـ وسلطان جلال الدین هر سه پسران سلطان محمد هستند، آنکه قابل ذکر است «جلال الدین» است که جلوس او (٦١٧) بود فقدان او (٦٢٨). جلال الدین مکرر چنگیز را شکست داده آخر مغلوب شد به هند رفت، آنجا فتوحات نمود. باز بـه ایـران مـراجـعت کـرد. عـراق وآذربـایجان را وگرجستان را مسخر نمود، آنگاه به باده پیمائی دست زده «مغول» بر او تاختند، گریخت وناپدید شد! صد وچهل سال این طبقه پادشاه بودند تا منقرض شدند.

سلسله اسماعیلیه

در اخر سلطنت جلال الدین ملکشاه سلجوقی، ایـن طـایفه پـیدا شـدند «حسن صباح» که به توسط خواجه نظام الملك در خدمت ملکشاه بود، بسـیار جاه طلب ومزوّر بود ومروج مذهب اسمعیلیه ـ که تا حضرت صادق را اطاعت دارند ـ مردم را به این مذهب دعوت می‌کرد. جمعی را دور خود جمع نمود. پس از ملکشاه کار حسن واتباعش قوت گرفت. حسن دو پسر خود را به جهت تمرد از او در دین، مقتول ساخت وزهد وورعی به خود می‌بست! برای فـریب مـردم! سلاجقه می‌خواستند آنها را قلع وقمع نمایند، نتوانستند تا وقتی «هلاکو» آمد، آنها را منقرض نمود این بازی از سنه ٤٨٣ الی ٦٥٥ هجری ادامه داشت.

کیابزرك امید ـ جلوس او ((٥١٨) فوت او (٥٣٢) جانشین اولی حسـن صباح بود. محمد پسر او جلوسش (٥٣٢) وفاتش (٥٥٧) هجری.

حسن بن محمد، ومحمد بن حسن، وجلال الدین، وعلاءالدین، وخورشاه، که جلوس «خورشاه» در سنه (٦٥٣) بود فوتش (٦٥٥) اینها هم منقرض شدند.

سلسله اتابکان

سلاطین سلجوقی اولاد خود را به امراء می‌سپردند برای تـربیت، وآن امرا را «اتابك» می‌خواندند، یعنی «پدربزرك» واین اتابکان در کـار حکـومت بودند و به پادشاهی رسیدند. طـایفه‌ئی در آذربـایجان، وطـایفه‌ئی در فـارس، طایفه‌ئی هم در لرستان که مطیع «مغولها» بودند.

(اتابکان آذربایجان) ٦ نفرند، هفتاد سال سلطنت داشتند:

ایلدگز ـ محمد ـ قزل ارسلان ـ ابو بکر ـ قتلغ ـ مظفر الدین ـ آخر همه بود که در سنه (٦٢٢) وفات نمود. قـزل ارسـلان مـذکور ممـدوح «ظـهیر فـاریابی» و«خاقانی» است. اتابکان فارس یا سلغری ـ «سلغر» در خدمت سلاجقه بـود وحاکم فارس، کار سلجوقیان که اختلال به مزد. یکی از اولاد سلغر بر فارس استیلا یافت وپادشاه شد (نه نفرند) سلطنت آنها صدوبیست سـال بـوده وتمـام عادل وپرهیزکار. به آبادی وعمارات می‌پرداختند.

سنقر ـ جلوس او (٥٤٣) وفاتش (٥٥٦) ایـن اول سـلسله است کـه در فارس استیلا داشت.

مظفر الدین زنگی بن مودود ـ جلوس (٥٥٦) فوتش (٥٧١) شجاع وسخی بوده است.

تکله ـ جلوس او (٥٧١) وفات او «٥٩٠» وتکله اولش مضموم است.

طغرل ـ جلوس وی (٥٩٠) فوتش (٥٩٩٠) طغرل بکسر حرف سیم است

ومعرب تغرل.

سعد زنگی ـ جلوس او (٥٩٩) فوتش (٦٢٨) سعد بن زنگی به اصفهان و ری رفته وبا سلطان محمد خوارزمشاه جدال کرده، بناهای او در فارس وغیره بسیار است.

ابو بکر بن سعد ـ جلوس (٦٢٨) وفات او (٦٥٨) این پادشاه بسیاری از جزایر وسواحل وبحرین را تصرف وضمیمهٔ ممالك خود نمود وبا چنگیزخان وهلاکوخان خصوصیت واظهار خاشعیت وفروتنی داشت. بالجمله «شیخ سعدی»[1] در عصر این پسر وآن پدر، که ابو بکر وسعد باشد، بود. در عدل وداد نظیر نداشتند. در تمام فارس بناهای عالی دارند.

محمد بن سعد بن ابو بکر ـ جلوسش (٦٥٨) وفاتش (٦٦٠).

محمد شاه ـ جلوس (٦٦١) وفات (٦٦١).

سلجوقشاه ـ جلوس (٦٦١) فوتش (٦٦٣). اینها در آخر مقهور هلاکو شدند.

---

۱ ـ سعدی شیرازی در مقدمهٔ کتاب «گلستان» خود «ذکر محامد پادشاه اسلام اتابك ابو بکر بن سعد غفرالله له» به این معنی اشارت کرده است.

استیلای مغول (چنگیزیان)

طایفه چند صحرا نشین، در نواحی شرقی آسیا سکـونت داشـتند بـه اسم «مغول» و«تاتار». گاهی به اطراف حرکت کرده اسباب انقلاب می‌شدند. حتی در اروپا می‌رفتند و به روم آشوب می‌کردند. «چنگیز» یکی از خـانزاده‌هـای مغول بوده صاحب ریاست شد وبسیاری را مطیع خود نمود.

چنگیز ـ جلوس او (٥٩٩) فوتش (٦٢٤) هجری بود واین پادشاه چین وترکستان را گرفت خاکش با خاك «سلطان محمد خوارزمشاه» پیوسته شد وبا هم عهد مودت بستند خوارزمشاه بعض از تجار مـغول را کشت. چـنگیزخـان رسولی به سوی او فرستاد و از او شکایت وگله کرد، خوارزمشاه رسول را هم کشت چنگیز متغیر شده رو به ایران نهاد. در سنه (٦١٥) خوارزمشاه فرار کرد. لشگر مغول اول «بخارا» را گرفته شهر را آتش زدند. به خراسان رو آورده بلخ وهرات ومرو ونیشابور را خراب کردند وچندین کرور را کشتند. این فتنه آتشی بود که دودش دیده‌ها را خیره کرده بود وبه کلی بازار علم وادب کاسد، صنایع وهنرها همه فاسد شد. بعضی نوشته‌اند چهارده میلیون که بیست وهشت کـرور باشد، از نفوس به قتل رسانیدند ـ وهر کروری در ایران پانصد هزار است ـ که پنج «لك» هندی باشد.

:(در اینجا شخصی از سید سوال نمود که «کرور هند» فرقی با «کرور ایران» دارد؟، فرمود بلی، کرور هندی بیست کرور ایران است که یکصد «لك» باشد).

بعد سید ادامه داد:

چنگیز خان که در سال ششصد وبیست وچهار وفات کرد، ممالك بسیار به دست سه پسر ویك نوه او افتاد وآنها بر ممالك پدر افزودند. از «اسلامبول» تا پایتخت چین واز فارس تا سیبری را متصرف شدند.

اما سه پسر «جغتای» و«اکتای» و«تولی» نام داشتند اما نوه او «باتو» نام که پسر «جوجی» بود وجوجی پسر چنگیز در حیات چنگیز مرده بود، آنهم برای شاهی دست وپا میزد.

اکتای قاآن ـ از همه کوچکتر بود وبر همه برتری وریاست داشت جلوسش «٦٢٦» وفاتش «٦٣٩» وتولی خان نیز ایران مدار شد ودر سنه «٦٢٨» تولی وفات نمود. دو پسر از او ماند «منکو قاآن» و«هلاکوخان».

منکوقاآن ـ بریاست مغول برقرار شد در سنه (٦٤٨) وهلاکو را به ایران فرستاد. وفات منکوقاآن «٦٥٥» هجری.

هلاکو ـ جلوسش «٦٥١» ولی از جانب برادر، مدت حکومتش ١٢ سال ووفاتش در «٦٦٣» واقع شد «مراغه» دار الحکومه او بود. قلاع «اسمعیلیه» را خراب کرد. «خواجه نصیر الدین طوسی» ندیم او بود. به بغداد رفته خلیفه «مستعصم» راکشت وقتل عام کرد «موصل وشام» را هم گرفت.

آباقاخان ـ پسر هلاکو، جلوسش «٦٦٣» سال فوتش «٦٨٠».

نیکودار، دیگر ارغون خان، که «قاضی بیضاوی» صاحب تفسیر معروف، معاصر او بوده، در «٦٨٣» جلوس کرده ودر «٦٩٠» وفات یافت.

«کیخاتو» و«بایدوخان» و«غازان خان» پسران ونوادههای آباقاخان هستند وسلطنت داشتند. «میرزا عبدالله وصاف» تاریخ را برای غازان خان شروع نموده است.

الجایتو (محمد خدا بنده) ـ معروف است شیعی مذهب بوده. شهر «سلطانیه» از بناهای اوست. وپایتخت او همانجا بوده. جلوس او (٧٠٣)، مدت سلطنتش ١٣

فوتش «۷۱٦». «گنبد سلطانیه» بنای اوست.

«سلطان ابوسعید» و«ارپاخان» نیز سلطنت کردند وارپا خان کشته شد. این آخر پادشاه چنگیزیان بود. پس از وی پادشاهی با اقتدار نبود وهر روز کسی پادشاه می‌شد.

از جمله اشخاصی که ادعای سلطنت نمودند، دو نفر امیر بودند. هر دو «شیخ حسن» نام. «شیخ حسن ایلکانی» و«شیخ حسن چوپانی». مدتی با هم زدوخورد داشتند. از اولی خواجه حافظ نام برده[1].

شیخ ایلکانی در سنه «۷۵۷» وفات نمود. پسر او «سلطان اویس» به سلطنت رسید. یعنی در سنه مذکور. وپس از بیست سال، در سنه «۷۷٦» درگذشت.

شیخ چوپانی ـ در سنهٔ «۷٤٤» به فشردن خصیه! به درود جهان گفت.

وطایفه دیگر از اینجو به اسم امیر شاه محمود در کرمان وعراق وفارس سلطنتی داشته‌اند.

امیر شاه محمود ـ در سنهٔ «۷۳٤» بوده. پس از ارتحال او هرج ومرج غریبی دست داد. ابو سعید بهادر خان، که از سلسلهٔ چنگیز خان بود آنهم از جهان درگذشت. بر اغتشاش ایران افزود.

امیر مسعود ـ ارشد اولاد شاه محمود اینجوروی توجه به شیراز نهاد و به سلطنت مستقل شد.

امیر شیخ ابو اسحق ـ پسر کوچکتر شاه محمود نیز پادشاهی کرد. در حدود سنه ۷٤۸ کرمان وفارس وعراق را مسخر داشت، ولی آخر الامر از دست آل مظفر فراری شد ودر حدود «۷۵۸» مقتول گردید.

---

۱ ـ اشاره به این غزل خواجه است:

احمد الله علی معدلة السلطان	احمد شیخ اویس حسن ایلخانی
خان بن خان وشهنشاه شهنشاه نژاد	آنکه می‌زیبد اگر جان جهانش خوانی...

سلسلهٔ آل مظفر

این طایفه در فارس وکرمان وغیرهما، استقلالی بهم رسانیدند، چرا که سلطنت چنگیزیان مختل شده بود.

امیر مبارز الدین محمد بن مظفر ـ جلوسش (۷٤۱) وفاتش (۷٦۵) با شیخ ابو اسحق جنگها کرد.

شاه شجاع ـ جلوسش (۷٦۰) فوتش (۷۸٦) ـ خواجه حافظ نامش را برده وکلمه «حیف از شاه شجاع» تاریخ اوست.

شاه محمود ـ جلوس پادشاهی او در سال «۷٦۰» وفوتش «۷۷٦». این هم زد وخورد نموده.

سلطان زین العابدین بن شاه شجاع ـ جلوس او به پادشاهی «۷۸٦» وفات او «۷۹۰» هجری بوده.

«شاه منصور» و«سلطان احمد» و«شاه یحیی» اینها نیز سلطنتی نموده‌اند وشاه یحیی برادر زاده شاه شجاع بود، در سنه «۷۹۵» وفات نمود وعاقبت به واسطه امیر تیمور این سلسله هم منقرض شد.

سلسله گورکانیها (تیموریان)

امیر تیمور ـ در بلاد ترکستان حکومت داشت کم کم جنبشی کرده در سال «۷۷۱» هجری نام پادشاهی بر خود نهاد. بنای تسخیر بلاد را گذارد. خوارزم وترکستان را مسخر نموده به ایران آمد. تمام ایران وعراق عرب وآسیای صغیر وکردستان وگرجستان را متصرف گردید. روسیه را نیز غارت کرد. تا مسکو هم رفت. هندوستان را هم قدری گرفت. شام ومصر را ایضاً به تصرف درآورد. در «۸۰۷» به واسطه اکثار در عرق مریض شد ووفات نمود وایران در عصر این پادشاه خراب شد، زیرا که حکمت وادب وعلم به کلی از میان رفت. ولی علوم قشریه ترقی کرد. این پادشاه هرجا را می‌گرفت، خراب می‌کرد وبسیار خونخوار بود.

شاهرخ ـ پسر امیر تیمور جلوس او «۸۰۷» مدت پادشاهی او «۴۳» وفاتش «۸۵۰». بر همه تیموریها غالب شد وبه عکس پدرش جنگی به کسی نکرد، مگر باطاغیان مفسد وخرابیهای پدر را آباد نمود وملت را دوست می‌داشت ورعایا را نوازش می‌کرد. کریم وبا دانش بود. خط ثلث را پس از یاقوت احدی مثل او ننوشته در شیراز خطوطش بر احجار هنوز باقی است وگوهر شاد دختر شاهرخ میرزا، مسجدی را در مشهد مقدس ساخته ومعروف‌است[1].

---

۱ ـ مسجد گوهر شاد در مشهد، از نفیس ترین وباشکوه ترین بناهای اسلامی است که به همت گوهرشاد آغا،

←

الغ بیك ـ پسر شاهرخ جلوسش «۸۵۰» مدت سلطنتش «۳» قتل او «۸۵۳» بسیار فاضل بود مخصوص ریاضی را خوب می‌دانست. زیجی که به سته معروف است (در سمرقند) جمعی با او مخالف بودند. پسرش را اغوا کردند تا پدر را مقتول ساخت وبعد آن پسر را که عبداللطیف بود اتباع او کشتند، قصاص پدر را دید.

بابر ـ وسلطان ابوسعید ـ وسلطان حسین میرزا ـ وبدیع الزمان میرزا ـ از محمد خان شیبانی شکست خورده، در سنه «۹۲۰» وفات کرد.

چند نفر دیگر هم در این ازمنه قلیل سلطنتی نمودند. مثل «امیر حسن بیك» و«سلطان خلیل» و«یعقوب بیك» وغیرهم که از تراکمه«آق قوینلو» بوده‌اند. قبل از صفویه در صفحات آذربایجان وغیره.

مخفی نماناد که در بعضی از ازمنه مذکوره، بسیاری از علوم وصنایع وتمدن ایران ما به اقالیم دیگر پی‌سپار شد ورفت به جاهای دیگر، قرار گرفت وآنجا تکمیل شده مردمان جز ایرانیها همه بیدار شدند وایرانیها به خواب رفتند، اما پس از تیموری‌ها کم کم ایران رو به ترقی نهاد.

→ زوجه شاهرخ بن تیمور بین سالهای ۸۱۰ ـ ۸۲۰ هجری قمری بنیان گردیده وگوهر شاد آغا، املاك ومستغلات فراوانی از اموال خویش وقف بر آن نمود. طول مسجد ۵۷ متر وعرض آن ۵۲ متر ودارای چهار ایوان در چهار جبهه است. کاشی‌های معرق آن بسیار گرانبهاست. پر از اره‌ها ومناره‌ها ودور گنبد آن با خطوط بی‌نظیر کوفی ونسخ وثلث، آیات آسمانی واسماء الله ونام ائمه اطهار نوشته شده وزیباتر ونفیس تر از همه، خط بایسنقر بن شاهرخ بن امیر تیمور (۸۲۱ هجری) نیز در آنها نمایانست.

سلسله صفویه

تأسیس ایـن دولت از «شاه اسمعیل» است از اولاد واحـفاد «شـیخ صـفی الدین» اردبیلی که از بزرگان اهل تصوف بوده، پدر شاه اسمعیل «سلطان حیدر» در نزاع با «شیروانشاه» کشته شد.

شاه اسمعیل ـ پسر وی که رشید بود، با مریدان به طلب خون پـدر رفت وشیروانشاه را در سنهٔ «۹۰۶» مغلوب نمود وآذربایجان را تسخیر کرد. در تبریز به سلطنت قرار گرفت، در سنه «۹۰۸» بر تمام عراق عجم مستولی گردید. فارس و اصفهان را نیز متصرف شد. بغداد نـیز گـرفت . خـراسـان را بـه دست آورد ویکدفعه از سلطان عثمانی شکست خورد، ولی باز تدارك نمود واو را شکست داد ودر ترویج مذهب اثنی عشریه که نهایت تعصب را داشت، بسیار کوشید. مدت سلطنت او « ۲٤» وفاتش « ۹۳۰» هجری بوده.

شاه طهماسب ـ پسر او، جلوسش «۹۳۰» مدت سـلطنت « ٥٤» فـوتش « ۹۸٤» قزوین را پای تخت نمود. دست اندازیهای ازبکان را به خراسان دفع نمود، با «سلطان سلیمان عثمانی» پس از جنك صلح نمود. شیروان وگرجستان را تسخیر کرد.

شاه اسماعیل ثانی ـ پسر شاه طهماسب جلوس او « ۹۸٤» مدت پادشاهی «یکسال ونیم» فوت او « ۹۸٥» شاهزادگان صفوی را بی جرم وگناه می‌کشت وبه سبب افراط در مسکرات، هلاك شد.

شاه محمد برادر اسمعیل ثانی ـ جلوس او «۹۸۵» مدت سلطنت او «۱۰» وفات او «۱۰۰۳». این شاه بی کفایت بود، مملکت را دچار اغتشاش کرد. عباس میرزا که «شاه عباس بزرگ» باشد، از خراسان به قزوین آمد، سلطنت را درربود. شاه محمد بر کنار رفت. یعنی شاه محمد در سنه «۹۹۵» به دست خود تاج برسر پسر گذارد!

شاه عباس ـ جلوس او «۹۹٦» مطابق عدد «ظل اللّه» ! مدت سلطنتش «٤۲» وفاتش «۱۰۳۸» هجری مطابق عدد «ظل حق». این پادشاه اصفهان را پایتخت قرارداد واعظم سلاطین صفویه است. فرنگیها او را «شاه عباس کبیر» می‌گویند ونظیر داریوش او را می‌دانند وتالی انوشیروان. در سنه «۱۰۱٤» به عثمانی شکست فاحشی داد. جزیره هرمز را قرنی بود که پرتغالیها گرفته مرکز تجارت قرار داده بودند، شاه عباس آن جزیره را به گرفت وانگلیسها در این موقع با او همراهی کردند، پس بندری که در مقابل جزیره هرمز است، در ساحل لار ساخت که الان «بندر عباس» خوانده می‌شود.

باری، نمی‌گذاشت احدی تعدی به رعایای او بنماید. در مذهب تشیع این هم تعصبی به کمال داشت.

باری پای پیاده از اصفهان به زیارت «مشهد مقدس» رفت وبا دول فرنك رابطه پیدا کرد. با اینحال وعقیدت ودادگری ! عجب می‌نماید که صفی میرزای پسرش را کشت ودو پسر دیگرش را نابینا نمود ! خلاصه در اصفهان عمارت «چهل ستون» و«مسجد شاه» و«میدان نقش جهان» و«عالی قاپو» و«مسجد شیخ لطف اللّه» و«چهار بازار» و«پل خواجو» ودیگر بناها، همه از اوست کاروانسراهای بی‌حد وحساب در راهای ساخته که اکثر دیده‌اید. اروپائیها می‌گویند شاه عباس کبیر به مملکت خود از حیث علم وفضل وصنعت وتجارت، بسیار خیر رسانید.

شاه صفی ـ نواده شاه عباس، جلوس او «۱۰۳۸» مدت سلطنتش «۱٤»

وفاتش «۱۰۵۲» افعال واعمال قبیح داشت. جمعی از شاه زادگان خانواده خود را بکشت وبغداد را از دست داد.

شاه عباس ثانی ـ ابتدا مردم را از خوردن شراب منع می‌نمود، بعد واعظ غیر متعظ شد. جلوس این پادشاه «۱۰۵۲» مدت سلطنت او «۲٦» وفات او «۱۰۷۸» هجری بود.

شاه سلیمان ـ جلوس او ۱۰۷۸ مدت پادشاهی او بیست وهشت، فوتش در ۱۱۰٦ واقع شد. این پادشاه ابداً لایق سلطنت نبود. معلوماتی در او دیده نشد. در زمانش «تراکمه» غارتها کردند.

شاه سلطان حسین ـ پسر ارشد شاه سلیمان بود در سفاهت این پادشاه محل تردید نیست، جلوس این شاه ابله ۱۱۰٦ مدت سلطنت او ۲۹ قتل او ۱۱٤۰. «میرویس افغان» در زمان او به اصفهان آمد، وضع او را دید که ابلهانه حرکت می‌کند. به این طور که رجال دولت او را به صحبت علماء وفقهائی که از کار ملك بي خبر بودند، مشغول می‌داشتند که به فراغت هر هرچه می‌خواهند ببرند وبکنند! عجب این بود که پادشاه به مصاحبت صلحاء می‌پرداخت وبه نسوان هم معاشرتی ومباشرتی تام داشت، بالجمله میر ویس مذکور که سفاهت او را دید، از حال او به کسان خود اطلاع داد، پسر میرویس «محمود افغان» به اصفهان آمد. او را مغلوب ساخت. سلطان حسین به ادعیه وتعویذ[1] خواست دفع آن شر عظیم را بنماید، خدا نخواست. از این گذشته منجمین را گفته بود ساعت تعیین نمایند برای حرکت لشگر! وجلوگیری از افغان! این دست بدست کردن سفیهانه نیز اسباب بدبختی او شد.

باری، آخر الامر کار به جائی کشید که شاه خود از اصفهان بیرون آمده

---

۱ ـ پناه دادن، پناه آوردن، حفظ کردن، ودر اینجا بمعنی دعاهائی است که بر کاغذ می‌نویسند وبرگردن یا بازو می‌بندند به منظور رفع بلا وآفت ـ لغت عربی است، جمع آن «تعاویذ».

نزد محمود رفت وتاج خودرا به دست خود به او تسلیم نمود! و این واقعه در سنه ۱۱۳۵ هجری بود، آخر هم او را کشتند.

شاه طهماسب ـ جلوس او «۱۱٤۰» مدت سلطنت او ۹ سال، وفاتش «۱۱٤۹» هجری. این پادشاه زمانی که افغان اصفهان را محاصره کرد، گریخت ورفت از امپراطور روس امداد خواست که به عوض این مدد، بسیاری از ممالك ایران را به او دهد! وعثمانی هم که در صدد این بود که مجالی بدست آورد واز ایران هرچه بتواند ببرد.

لهذا با روس همدست شده مبالغی از شهرها را بردند که در تاریخ مسطور است آخر الامر ندرقلی یا «نادرشاه»، نزد طهماسب آمد وخدمت او را خواست وخراسان را به اسم او گرفت، در آنحال محمود افغان از میان رفته بوده «اشرف» به جای او بود«ندرقلی» او را قلع وقمع نمود وشاه طهماسب را از پادشاهی خلع کرد واسم سلطنت را بر سر «عباس میرزا» پسر او که شیرخواره بود، گذارد وشاه طهماسب را هم کشتند.

شاه عباس ثالث ـ جلوس او اسماً «۱۱٤۹» مدت سلطنت او نیز اسماً بود ورسماً با ندرقلی. فوتش «۱۱۵۵». دولت وسلطنت صفویه در اینجا منقرض شد وعلت این انقراض را عقلای اهل تاریخ بدینجهت یافته‌اند که چون مغرضینی چند در مملکت بودند، همیشه برای اغراض شخصی نمی‌گذاردند حکومت آنها بر قاعده وقانون مشورت وشوری بگذرد. این بود که آخر بدست مشتی افغان گرفتار شدند. می‌گویند افغانها یك میلیون نفوس را تلف کردند واین را اول دورهٔ استبداد خوانده‌اند.

افاغنه

محمود افغان ـ پیش از این گفتیم که اصفهان را مسخر کرد، تاج و تخت را تصاحب نمود سنهٔ «۱۱۳۵» بنای خوش سلوکی را با رعیت گذارد و آخر الامر بنای بدرفتاری وظلم را نهاد. رفته رفته کار به نهب وقتل رسید جماعتی از علما وحکماء وبزرگان وشاهزادگان صفویه را بکشت! شرح قتّالی او را همه نوشته‌اند، در اثناء آن حال مخبط گردیده دیوانه شد.

اشرف ـ پسر عم محمود، حال محمود را که دید او را تلف کرد وخود حکمران گردید . سنهٔ ۱۱۳۷ عثمانی‌ها را شکست داد وبا او مصالحه کردند و در سنهٔ ۱۱٤۲ از هیمنهٔ نادری به افغانستان گریخت! برادر محمود به خونخواهی برادر، او را کشت وفتنهٔ افاغنه تمام شد، تسلط آنها هفت سال بود.

سلطنت نادر شاه افشار

«نادر» مسمی به «ندرقلی» پسر یکی از ترکمانان از ایلات افشار بود، به واسطهٔ دلیری‌ها که داشت، یکی از ضابطین ابیوردی[1] دخترش را به او داد. فی الجمله ترقی کرده نزد «ملك محمود سیستانی» رفت ومستخدم او بود. آخر الامر بر او تسلط یافت در بعض از بلاد خراسان حکومت یافت. در سال ۱۱۳۸ نزد شاه طهماسب آمده مورد مرحمت شد وندر قلی را ملقب به لقب «طهماسب قلی» کرد. او مامور شد به جنگ ملك محمود سیستانی وتسخیر مشهد مقدس. چون کار را به انجام رسانید، شاه طهماسب تمام عنان اختیار را به دست طهماسب قلی، یا ندر قلی داد. نادر هم هرات را از افاغنه گرفت وخراسان را خیلی منظم کرد واشرف افغان را مغلوب کرد ـ بتفصیلی که سابق گفته آمد ـ وندر قلی به شیراز آمده باز اشرف را دنبال کرده شکست داد که او از این شکست گریخت ورفت که مذکور داشتیم، بعد ندرقلی به خوزستان ولرستان شتافت. اغتشاش آنجا را خوابانید وآن وقت خود حکمران مستقل مازندران وخراسان وقندهار وکرمان گردید. از جانب شاه طهماسب بعد از آن به آذربایجان رفته آنجا را از عثمانیها گرفت وگیلان را از روسها، از آن طرف طهماسب با دولت عثمانی صلحی کرده وعهدی منعقد

---

۱ ـ ابیورد نام شهری بوده در خراسان نزدیك عشق آباد، اوحد الدین محمد (انوری) شاعر ومنجم معروف معاصر سلطان سنجر سلجوقی (متوفی در حدود ۵۸۷ هجری قمری) از مردم ابیورد بوده است.

نمود.

ندر قلی که شنید، متغیر شده گفت : این عقد صحیح نیست وبه اصفهان رفته پادشاه را در اردوی خود دعوت کرد، اسباب عیشی فراهم آورد ! شاه طهماسب چون سرگرم باده شد حرفهای لغو می‌زد، ندرقلی رجال را گفت آیا چنین آدمی لایق سلطنت است ؟! همه گفتند نیست ! ورأی به خلع او دادند، لهذا خلعش نموده به خراسان فرستاده محبوسش داشتند «عباس میرزا» را به جای او سلطان نمود. ـ این تفصیل را در پیش اشاره داشتیم ـ ندرقلی به بغداد رفته آنجا را نیز مسخر نمود. بعد شیروان وداغستان را گرفت وبعد گنجه وتفلیس وایروان را به تصرف در آورد . آنوقت که اینهمه خدمت به ملت ایران کرد (بطوریکه مورخین مغرب زمین، نادرشاه را ناپلئون مشرق می‌خوانند) تمام سرکردگان وبزرگان را در «صحرای مغان» از اعمال آذربایجان احضار نمود به روزی معین آنجا انجمنی تشکیل داده خطابهٔ خواند وخدمات خود را نمود وبیان کرد وگفت : حالا ایران مصفی شد، دیگر احتیاجی به من ندارید، هر کس را می‌خواهید بر خود پادشاه کنید، خواه از خانواده صفویه یا غیر آن، یك مرتبه تمام گفتند: ما تو را می‌خواهیم، امروز پادشاهی را تو لایق، اول که قبول نمی‌کرد ـ بطور ظاهر ـ بعد گفت اگر می‌خواهید من بر شما پادشاه باشم، باید حرف مرا بشنوید، این سنی بازی وشیعه‌گری را از میان بردارید، اسباب نفاق میان مسلمین فراهم نیاورید، شیعه وسنی باید باهم نزدیك شوند وشما خود را اهل سنت قرار دهید، اما در فروع دین پیرو حضرت صادق علیه السلام باشید ومذهب جعفری داشته باشید که این مذهب خامس مذاهب اربعه تسنن باشد، همه قبول کردند. آنوقت بر تخت سلطنت جلوس نمود.

نادرشاه ـ جلوسش (۱۱٤۸) هجری بود، پس به اصفهان آمده قبائل بختیاری را منقاد نموده به تسخیر افغانستان رفت وکابل را هم متصرف گردید وقندهار وبلخ را گرفت، از جیحون هم گذشت ازبکان را مقهور ساخت، پس از

آن برای هندوستان حرکت کرد. در سنه (۱۱۵۱) کشمیر وپنجاب ولاهور را در تحت اطاعت درآورد وبه دهلی درآمد ومحمد شاه هندی را مغلوب نمود. این پادشاه هند ناچار تخت وتاج را به او تسلیم کرد، ولی نادرشاه دوباره سلطنت آنجا را به خود محمد شاه بخشید. محمد شاه هم هرچه جواهر در خزینه داشت پیشکش نمود. معادل سیصد کرور تومان ایران می‌شد وبعضی بیشتر می‌گویند. مقصود نادرشاه اظهار قدرت وکسب شرافت بود که بدانند که کارهای اسکندری را می‌تواند بکند واکنون در ایران، یعنی در طهران تخت طاوس ودریای نور از جمله آن جواهرات است که به دست قاجاریه افتاده.

بعد بطرف سند آمده واز آنجا به ترکستان رفته خود را به بخارا رسانید پادشاه آنجا نیز تسلیم کرده وترکستان را نیز به او بخشید! و رود جیحون را سر حد ایران قرار دادند. پس به خوارزم رفته آنجا را تسخیر کرد. پس به قلعه کلات که مقر قدیم او بود رفت، بعد به مشهد مقدس آمد، طایفه لگزی داغستان را که خود سری می‌کردند، گوشمال داد. در مراجعت در جنگل مازندران تیری به او انداختند شست دست چپ او را برد. نسبتش را به رضاقلی میرزای پسر او دادند. او را کور کرد! در آخریها این پادشاه عاقل، ظالمی دیوانه شد. بنای خونخواری را گذارد، مردم به ستوه آمدند، با علی قلیخان برادرزاده او، همدست شده در فتح آباد خبوشان در شب، سرش را بریدند. سنه (۱۱٦۰).

علی شاه ـ علی قلیخان برادرزاده نادر بود، پس از نادر به تخت نشست وتمام اولاد نادر را کشت. یك سال بیش نگذشت که ابراهیم خان برادر علی شاه ادعای شاهی کرد، علی شاه را کور نمود. به تخت نشست. بعد از آن شاهرخ میرزا پسر رضاقلی میرزای بن نادر به تخت جلوس نمود. او را هم سید محمد نامی از اولاد صفویه نابینا کرد. این در سنه (۱۱٦٤) هجری بود واین سید خود را به اسم «شاه سلیمان» خواند! یك نفر دیگر به اسم «شاه اسماعیل» ثالث پیدا شد. همچنین «نادر میرزا پسر شاهرخ بن رضاقلی میرزا» در خراسان چندی شاهی کرد وبعد

مفقود شد. ولی این سلطنتها دوامی نداشت ومدعیانی چند پیدا شدند. «محمد حسنخان قاجار» پسر فتحعلی خان سردارشاه طهماسب. بسر ولایت مازندران وگیلان، استیلا یافت.

«آزادخان افغان» از سرکردهها نادر شاه، آذربایجان را به تصرف درآورد ـ و«کریمخان زند» و«علیمرادخان» از طایفه بختیاری ولایات جنوبی را متصرف شدند، ولی کریمخان بر علی مرادخان غلبه کرد ومقتول شد. در سنه (۱۱٦۷) آزادخان ومحمد حسنخان را هم شکست داده ومقتول شدند و«آغا محمد خان قاجار» راکه از اولاد محمد حسنخان بود، نزد کریمخان بردند. به او بسیار مهربانی وملاطفت نمود.

سلطنت زندیه

کریمخان وکیل زند ـ اسم پادشاهی برخود نمی‌گذارد وخود را وکیل الرعایا می‌خواند، از پادشاهان بسیار خوب عادل دادگر ایران محسوب می‌شود. جلوس او (۱۱٦۳) ولی استقلالش بعد از غلبه بر محمد حسنخان در سنه (۱۱۷۲) بود وفوتش در سنه (۱۱۹۳) هجری. در زمان سلطنت او عموم مردم به آسایش وعشرت بودند، عمارات او در شیراز منحصر است ـ مازندران وگیلان وآذربایجان را ضمیمه عراق وفارس کرد. بصره را هم گرفت دیگر اجل او را مهلت نداد که پیشتر برود. وقتی یکی از بزرگان گفت کریمخان شاه نبود، بلکه پیغمبری بود مبعوث به بنائی از بس بناهای او محکم وتعریفی است. ابتدا قلعه شهر شیراز را از آجر پخته وگچ بنانهاد که آن را آغا محمد خان خراب نمود، سپس ارگ حرم سرای را ساخت وبعد سایر ابنیه که در شیراز است. گویند دوازده هزار عمله به ولایت محروسه خود داشت، جماعتی از اهل طرب وسرناچیان را گماشته بود که در چندین جا مشغول سازندگی باشند تا کارکنان به تردماغی!کار کنند، اگر کسی صفات واخلاق وسلوك ووضع معاش این پادشاه را بداند که چگونه بوده، او را یکی از اولیاء اللّٰه خواهد دانست. رحمة اللّٰه تعالی علی سریرته.

باری، پایتخت او شیراز بوده. شرح عدالت ومملکت داری وملت دوستی این پادشاه بزرگ، نه به طوریست که به حیّز تحریر درآید. اگر کسی تاریخ صحیح

او را ملاحظه نماید، میداند که چنین عادلی کمتر به عرصه ظهور آمده، افسوس که سلسله قاجار عناداً نگذاردند تاریخش درست نوشته شود.

ابو الفتح خان پسر کریمخان ـ ومحمد علیخان (ایضاً) ـ وزکیخان ـ وصادقخان برادران وکیل ـ وعلیمرادخان ـ وجعفرخان ـ ولطفعلی خان پسرزادهٔ برادر وکیل، بعد از وکیل، چند سالی قلیل شاهی کردند، تاجلوس آغا محمد خان قاجار، بعض عقلاء بر آنند که دولت زندیه، اگر چه قاعده وقانونی درست نداشته وتشکیلات علمی در آن دولت نبوده، اما طور بوده که دولت مشروطه‌اش می‌توان خواند. دو سه تاریخ از زندیه دیده شده، یکی از آنها از «میرزا صادق» نامی است که در زمان خود او نگاشته آمده.

سلسله قاجاریه

آغا محمد خان قاجار ـ کریمخان وکیل او را به عنوان گروی به شیراز برد وبه مصاحبت خود برگزید، پس از فوت کریم خان وزدوخوردهائی بـازندیه، سنه (۱۲۰۹)، مملکت مدار تمام ایران شد، مگر خراسان. والا تاج گذاری او در سنه ۱۲۰۰ هجری بود ودر سنه (۱۲۱۱) قلعه شوشی را متصرف شد ودر اینجا گفته بود که سه نفر از ملازمان خود را بکشد، آنها زبردستی کرده او را مـقتول ساختند! و قتل او در سنه (۱۲۱۱) هجری واقع شد. این پـادشاه بسـیار قـهّار وخونخوار بود وعادلشاه (علی نقی خان) افشار او را مقطوع النسل کـرده بـود، ولدی نداشت ! لهذا برادرزادهٔ خود «فتحعلی خان» را ولیعهد قرارداد که ذکرش بیاید. وآغا محمد خان اگر چه مملکت را از اغتشاش وهرج ومرج بیرون آورد، ولی خیلی سخت گیر بود وامساك در مال داشت (سید بزرگوار که سخن بدینجا رسانید، بنده عرض کردم : میرزا محمد کلانتر قدیم شیراز شرح حال این شاه را (آغا محمد خان) در تاریخی نوشته ومن دیده‌ام، صفات او را خوب بیان کرده ؟) باز سید فرمود: زمان قتل آغا محمد خان ولیعهدش شیراز بود، خبر شد به طهران آمد، یعنی فتحعلی شاه.

فتحعلی شاه قاجار ـ جلوسش «۱۲۱۲» ودر اوایل سلطنت به دفع بعض از سرکشان پرداخته، تا پنج شش سال بعد سلطنت شوکتی به هم رسـانیده در آن اثناء نزاع ایران با روس درگرفت وروسها تجاوز از حد خود نمودند. شرح این

داستان را بسیاری مرقوم داشته‌اند، همه قسم، از روی حقیقت یا بطور اغراق یا به قصور؟ دیگر حاجت به ذکر ما نیست. ومأمور شدن «شاهزاده عباس میرزا» فرزند دویم پادشاه که ولیعهد بود به جنگ روس فرستادن، همه را مسطور نموده‌اند ونقشه‌هائی که ناپلئون اول فرانسه در تسخیر هندوستان کشیده بود، که از راه ایران عبور نماید وبدین جهت باخاقان مغفور طرح دوستی افکنده وعهد بسته بود که چه کارها کند ودر ازاء آن ایران قطع رابطه را با انگلیسها بنماید وخاقان شرایط عهد را به عمل آورده وناپلئون شرطی که کرده بود، ایالات ما وراء خزر را پس بگیرد، پس نگرفت وایران از او مأیوس شد ـ اینها را نیز تمام خوانده‌اید یا شنیده‌اید ـ همچنین پس از یأس از ناپلئون، دولت انگلیس بنای دوستی گذاردن وسفیر انگلیس واسطه مصالحه روس وایران شدن وممالکی را روس از ایران تصرف کردن ـ همه را ایضا دانسته‌اید ـ. سفری که خاقان مغفور، به خراسان رفت نیز می‌دانید وشکست عثمانیها هم گوشزد شماها شده وصلحی هم که نمودند اصغا نموده‌اید؟

* * *

واین از بدیهیات اولیه است که تیشه نفاق، ریشه کن مملکت وسلطنت است از نفاق که بزرگان آذربایجان نمودند وروسها را در گرفتن تبریز ترغیب کردند، روسها به تبریز وارد شدند وسردار را گروهی از مردم شهر استقبال، اسباب زحمتی این گروه از مردم منافق، برای سلطنت فراهم آوردند. آخر کار به مصالحه کشید وچقدر خسارت وارد آمد وزحمات عباس میرزای ولیعهد را البته می‌دانید در ایندوره چقدر بوده ؟ آخر الامر در سنه (۱۲۴۹) به مرض کلیه در مشهد مقدس وفات یافت. خاقان مغفور، پسر ولیعهد مرحوم راه «محمد میرزا» به طور ارث ! باز ولیعهد نمود، بلکه نظر به خدمات پدرش او را جانشین خود قرار داد وخود پادشاه به اصفهان آمده در آنجا رحلت نمود در سنه (۱۲۵۰). سی وهشت

سال سلطنت نمود. فرزندان این پادشاه بلاواسطه دویست وشصت نفر بودند!

محمد شاه ـ جلوسش (۱۲۵۰) اول میرزا ابوالقاسم قایم مقام فراهانی را وزیر قرار داد. سال دوم «حاجی میرزا آقاسی ایروانی» که سابقا معلم شاه بود. در سنه (۱۲۵۳) به سمت هرات رفته آنجا را محاصره نمود، ولی بواسطه سعایت وخصومت انگلیسها که راضی به این فتح نبودند، دست برداشته به طهران برگشت. عثمانی‌ها «محمره» را خراب کردند ودر کربلای معلی بسیاری از مردم ایران را کشتند. بعدها تعهداتی نموده عهد نامه بستند ودر زمان این پادشاه، رابطه فرنگیها با ایران زیاد تر از زمان فتحعلی شاه شد وعهدنامه‌های تجارتی نیز به خارجه بسته آمد.

این پادشاه علیل المزاج بود و«نقرس[1]» داشت، امورات! داخله را حاجی میرزا آقاسی می‌گذرانید، اما درست ربطی به عمل دیوانی وپلتیك آن نداشت، به قول دانشمندی خوب بود وزیر فلاحت بشود! در امور ملکی خبط بسیار می‌کرد، فتنه خراسان را البته خوانده‌اید؟ به هر حال محمد شاه سنه «۱۲٦٤» وفات نمود.

سلطنتش چهارده سال بود وناصر الدین میرزا پسرش، ولیعهد بود در تبریز ـ از اول جلوس آغا محمد خان تا وفات محمد شاه ـ اگر چه در اوایل اساس وبنیان سلطنت ایران روی شالوده محکم نهاده شد، ولی کم کم بواسطه بی علمی وبی مبالاتی وبی‌قانونی وعدم رعایت قواعد مملکتی، امراض صعب وسخت اعضای ایران را فراگرفت واین ایران مریض، متصل حال بحال می‌شد! . گاهی به حالت کسالت، زمانی به حال غشیه، وقتی بیهوشی، نوبتی هم مست ولا یعقل، در این اثناء یکدفعه هم شفا می‌یافت وتندرست می‌شد! در اینحالت ملت آسوده

---

۱ ـ (بکسر نون و را) لغت عربی است، وآن عبارت از ورم وآماس ودرد شدیدیست که درپاوبند انگشتان واغلب در «شست» پا، بروز می‌کند!

بودند وبه راحت زندگانی می‌کردند وفارغ البال بودند ـ بقول عوام الناس که می‌گویند زمان خاقان مغفور وشاه مبرور! چقدر به مردم خوش گذشت! ـ. اما چه عرض کنم؟ که همان راحت، عین زحمت بود، چراکه در آن اوان، آن مریض بی چاره که گفتم، هر ساعتی حالی می‌داشت، اگر چه گاهی برایش بحران بود، ولیکن قطعاتی از بدنش را می‌بریدند، از هر طرف عضوی از اعضایش مقطوع می‌شد، هر کس بصیرتی در پلتیك[1] دارد، می‌داند چه عرض کردم.

ناصرالدین شاه ـ جلوسش «۱۲٦٤» . «میرزا تقی خان امیر نظام اتابك اعظم» را وزیر خود قرار داده «سلطان مراد میرزا حسام السلطنه» را با قشونی به خراسان فرستاد. فتنه وآشوب آنجا را رفع نمود، در سنه «۱۲٦٦» خساراتی که حاجی میرزا آقاسی وارد آورده بود وخزانه را به خرج بیهوده زیاد خالی نموده بود واختلالی در مالیات پیدا شده بود، امیر نظام جبران کرد وولایات را منظم نمود. جور وستم را از میان برانداخت به عدل وداد گرائید. علوم وصنایع را ترویج داد. عادات زشت را از ملت دور کرد. ترغیب به صفات حسنه نمود. ایجاد روزنامه وبنای مدارس گذارد. مرحوم میرزا محمد حسین ذکاء الملك در تاریخ ایران که خود نوشته، نقل می‌کند که تاریخ قاجاریه به زبان انگلیسی که سیاحی نوشته، ترجمه‌اش این است :

«آنها که امثال قیصر وشارلمان وناپلئون را وسایلی می‌دانند که خداوند آنها را برای ارائه طریق می‌فرستد. درباره امیر نظام نمی‌دانم چه خواهند گفت که به این زودی حکم تقدیر در هلاك او صادر شد ونگذاشت مقاصد خود را انجام دهد وحال آنکه یقیناً از همان قبیل اشخاص مذکور محسوب می‌شود وملتی را آسوده وخوش بخت ومرفه می‌نمود»!.

باری بعد از سه سال صدارت، او را به حکم شاه کشتند. بعد صدارت را به

---

۱ ـ politique ـ سیاست ـ فن تمشیت امور داخلی وخارجی مملکت .

میرزا آقا خان نوری دادند وآنهم معزول شد واز میان رفت. در سلطنت این شاه، حسام السلطنه سلطان مراد میرزا «هرات»[1] را تسخیر کرد. انگلیسها که راضی نبودند، قشون به خلیج فارس فِرستادند. جنگی شد. بوشهر را گرفتند. محمره را کذلك . «فرخ خان امین الملك کاشی» با سفیر انگلیس عهد ومصالحه نمود که لشکر انگلیس از ایران برود وعسکر ایران از هرات، یعنی هرات را تسلیم نمایند، تا آنها از بوشهر در گذردند.

دیگر در عهد این شاه وقایع ترکمان‌ها بود که به ایران تاخت وتاز می‌نمودند ومردم را اسیر کرده می‌بردند. «حمزه میرزای حشمت الدوله» باوزارت «میرزا محمد قوام الدوله» مأمور شدند به دفع شر آنها. رفتند وشکست خوردند واین نبود مگر از اثر نفاق که در میان بزرگان وسران سپاه بود.

باری، یك چند هم «میرزا محمد خان سپهسالار» صدارت یافت. ایامی هم «حاجی میرزا حسینخان مشیرالدوله» صدراعظم شد. ترتیب و قاعده در مواجب ومستمریها نهاد تعدی حکام وولات را رفع نمود ورشوه را منسوخ ساخت وشاه را به فرنگستان برد تا به رأی العین، اساس عدل وداد را به بیند بلکه متنبه شود وآسایش عباد را مؤسس گردد. در ۱۲۹۰ شاه به فرنك رفت ودر مراجعت وزرای سوء منافق ورجال حیله باز ناموافق، که دانستند این وزیر شاه را برای چه به فرنك برده واز ترس اینکه مبادا شاه را ترغیب نماید به تشکیل قانونی ودست ایشان از دغل بازی بریده شود، پای فشرده واسباب عزل حاجی وزیر را فراهم آوردند ـ باردیگر کارش قوت پیدا کرد وبه ترغیب او سفر دیگری به فرنك رفت وفتنه شیخ عبیداللّٰه راکه شنیدید، همین حاجی میرزا حسینخان رفته وآتش فتنه را خاموش ساخت. بعد از آن وزیر مذکور، میرزا یوسف آشتیانی

---

۱ ـ از شهرهای معتبر خراسان قدیم وکانون نشر تمدن بوده واکنون جزو خاك کشورافغانستان، یعنی همسایه شرقی ایران، درکنار «هریرود» واقع شده. اکنون جمعیت آن در حدود هشتاد هزار نفر است.

«مستوفی الممالك» وزیر شد. در سنه «۱۳۰۱» نیك ذاتی وحسن عقیدت او بر همه واضح است، ولی افسوس که اکثر اوقات خود را صرف درویشهای بوقی! می‌کرد وبه صحبت مرشد ومریدی وکیمیاگری، دل خوش داشت!

اوضاع قاجار

بعدها وزارت به «میرزا علی اصغر خان[1]» رسید که الان صدر اعظم است ! و از کارهای او کماً وکیفاً اطلاع دارید والان که سنه ۱۳۰۳ هجری است، این پادشاه مانند انگشتری در دست اوست. هرچه بگوید بشنود، هرچه بخواهد بکند! اما حال خود شاه، آنچه از روی تحقیق دانسته‌ام، اینست که به واسطه مراوده با اروپائیان، شخصا علمی از سیاست حاصل نموده ومی‌داند که در مملکت باید قانون باشد، می‌داند که در مملکت باید پارلمان باشد، می‌داند که باید قلمها آزاد گردد، می‌داند که باید ابواب مدارس مفتوح گردد، می‌داند که اداره‌جات ملتی باید دایر گردد، می‌داند که ترقی وتمدن وثروت، تمام بسته به علم است، همه را می‌داند، اما ابداً مایل نیست ونمی‌خواهد اینها را افشانماید، بلکه نمی‌خواهد آشکارا بشود نمی‌خواهد چشم وگوش مردم باز شود نمی‌خواهد احدی نام قانون بر زبان جاری کند. همینقدر میل دارد اختراعات علمیه جدیده صنایع به قدر ما یحتاج، تشکیل یابد، همین اندازه را مایل است وبس. بیش از این نمی‌خواهد ملت بیدار شوند. بلی گاهی امور ملکی را به عهده وزرائی چند موکول می‌نماید. مثل وزارت داخله، وزارت خارجه، وزارت عدلیه، وزارت مالیه،

---

۱ ـ رجوع شود به شرح زندگی فرصت، داستان روی کار آمدن مجدد میرزا علی اصغر خان وقتل او در کتاب «دبستان الفرصة».

وزارت جنك، اما كجا بكجا ؟ !

این است حال پادشاه وهمین سبب شده است برای اینکه ملت بیچاره ایران، دچار ظلم وتعدی گردیده واینهم طبیعی آنها شده، چنانکه پیش از این گفتیم، اگر وقتی دست ظلم از دامان این ملت بدبخت کوتاهی کند، بدبختانه متألم می‌شوند! چرا که به استبداد خو نموده‌اند از آنطرف همسایگان ما برقوت خود افزوده‌اند وما را ضعیف نموده‌اند. از ما کاسته وترقی خود را خواسته‌اند. با اینکه اطبائی چند حاضرند ودوا هم آماده، موقوف به اقدامی است که بی‌غرضانه بشود واین بیمار در تاب وتب وباضطراب وتعب را، به آن دوا بهبودی دهند.

عقیده من که الان نزد شما هستم، این است که تاسیس حکومت منتظمه ووضع قانون وتعمیم معارف وتشکیل مدارس دفع این علل را از این بیمار بنماید، حالا که جان در ترقوه بیمار است، علاج همین است که گفتیم، چرا که این دم واپسین است، دیگر کار از دست می‌رود باید کار کرد واز راه کار برآمد. گوش به حرف این سفیهان حکیم نما نباید نمود. فلسفه بافان را نباید اعتنا کرد، آنان را که به اسم پیشوائی ملت!بر مسند قضاوت نشسته‌اند ورشو ه می‌گیرند وحکم بناحق می‌کنند نباید پوزش نمود ودست بوسی کرد وعلمای حق گو وحق‌شناس را باید سپاس گفت، امروز روزی نیست که کسی گول بخورد . بساطهای طراری بکلی برچیده وفرشهای معرفت گسترده شده، علوم جدیده طلسمات عدیده را شکسته، اوهام قدیمه از میان رخت بسته.

اما چه باید کرد؟ که بسیاری از شما چنان خفته‌اید مثل اینکه مرده باشید! پنبه غفلت در گوش، خبر از هیچ جا ندارید. أی مردم بیهوش، همسایگان شماها کلاه از سر شما می‌برند، ملتفت نمی‌شوید. کدام علم بوده که از ایران نبرده ونیاموخته‌اند؟ وبه تکمیلش نپرداخته‌اند؟ بسیاری از صنایع را علمای شما، یعنی حکمای اعصار شما می‌دانستند، اگر بخواهید به شماها بگویم ومدلل بدارم واسم ببرم، ذره بین ـ دوربین ـ تلفن ونحوها، کی اختراع شد وکی اختراع آنها را کرد؟

اگر سخن بدرازا نمی‌کشید، یك یك را عرض می‌کردم. نمی‌گویم که آنها کار نکردند، خوب هم کار کردند، می‌گویم بسیاری از صنایع شما را برده تکمیل نمودند. ومی‌گویم که چرا شما خودتان تکمیل نمی‌کنید؟ مگر آنها شش انگشت دارند؟ . (ای وای ندانستم چه میگویم) شما جواب می‌توانید بدهید که بلی! رشته استبداد دست وپای ما را بسته بود که نمی‌توانستیم باینکارها بپردازیم. باری، ای مردم شما دولتی داشتید قوی ترین تمام دول، به واسطه غفلتی که ورزیدید، قوتش بدل به ضعف شد. این همان ایرانست که چشم وچراغ روی زمین بود، چه شد که اینگونه تیره وتاریك شده ـ بی علمی شما ـ بی قانونی شما آن را بدین صورت کرد ـ چه قدر بگویم خسته شدم ـ با وجود خسته شدن، باز می‌گویم. از برای اینکه به عزت وسعادت زندگانی کنید وبر مکنت وثروت وترقی وصنعت شما بیفزاید ودین مبین شما از شوائب مصون باشد، باید باسرعت هرچه تمامتر وعزمی جزم، به تمدن کار کنید وقانون صحیح که در میان دارید «قرآن» در معرض اجرا درآورید ورفع استبداد بی‌بنیاد را بنمائید از خود. والسلام. (تا اینجا کلام سید بزرگوار بود).

* * *

جناب سید چون توقفش در «بندر بوشهر» به واسطه کسالت به درازا کشیده وهوا هم روی به گرمی نهاده بود، لذا تصمیم شیراز فرمود که از آنجا خود را به طهران برساند. پس در «بوشهر» یکدیگر را وداع کرده ایشان به طرف مقصود ومنهم به سمت عربستان حرکت کردیم. مدت مدیدی در اماکن مشرفه بسر بردم. مکرر به خدمت ذیشرافت حضرت آیة اللّٰه في الانام حاج میرزا محمد حسن شیرازی قدس اللّٰه سره مشرف شدم. مرحمتهای شایان دیدم، دو قطعه نقشه از نقشه‌های اماکن مشرفه که خود برداشته بودم، تقدیم کردم.

در آن اوان ضمناً کاری پیش آمد، یعنی از یکی از صاحبان انگلیس اشاره شد که در بغداد شرح مختصری از بعض بناهای آنجا، جغرافیا مانند، بنویسم وهم

خودم می‌خواستم از «طاق کسری» نقشه بردارم ومساحت آنجا را مسطور دارم. بهر حال مقاصد خود را انجام دادم که شرح آنها را (واین مسافرت را) در کتاب «آثار عجم» به تفصیل نوشته‌ام هر کس بخواهد رجوع به آن نماید.

* * *

پیش از این گفتم این مسافرت در سنه ۱۳۰۳ هجری واقع شد، در حالتی که از عمرم سی ودو سال سپری شده بود، از سفر مذکور به شیراز که وطن مألوفم بود، مراجعت نمودم، از حال جناب سید سؤال کردم، مذکور داشتند که چندی در شیراز اقامت پس به جانب طهران روان شد.

اقل السادات: نصیر فرصة الدولة شیرازی
شیراز: ۱۳۰۳ هـ ق



السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني



تتمة البيان
في
تاريخ الأفغان

اعداد:
سيد هادي خسرو شاهي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لَهَجَتْ الجرائد في هذه الأيام بذكر أحوال الأمة الأفغانية المعروفة بعزّة النفس وشدّة البأس وعلو الهمة، التي لم تسمح نفوسها بأن تستظل بظل العجز، ظل المكر والحيل والخداع القاضي على المستظلين به بالذل والهوان، ولم ترض الدخول تحت حماية الحضجر المبتلي بجوع البقر والاستسقاء الذي لم يشبعه ابتلاع مائتي مليون من الناس، ولم ترْوِه مياه التمس والقنج، بل فغرفاه ليبتلع بقية العالم ويجرع مياه النيل ونهر جيحون [1]. وقادها شرف النفس لاختيار الموت الفاضل على الحياة الدنيئة، تحت سطوة أجنبيين، وإن إقترنت برغد العيش وطيب المطعم والمشرب، فقام أميرها مستشيراً وزراءَه الذين هم على أخلاقه، فاجتمعت آراؤهم على إرغامها

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله بقوله هذا الى دولة انكلترا التي لم تصل إلى ما وصلت إليه من القوة الهائلةوالمكانة الرفيعة إلا بجد رجالها واجتهادهم وخدمتهم لها بكل أمانة وإخلاص وحبذا لو نهض رجال الحكومات الإسلامية الجليلة وفقهم الله جميعاً إلى ما فيه الخير والصواب من رقدة الكسل والخمول، واستيقضوا من نومهم، وخدموا أمتهم . وبلادهم، بجد واجتهاد وصدق وأمانة واخلاص حقيقي (كما يفعل الانكليز وغيرهم من رجال الحكومات الغربية) لتسود أمتهم ويرتفع شأن بلادهم . حقق الله الآمال ووفق أمراء الاسلام وملوكهم إلى صالح الأعمال . (هامش ناشر الطبعة الثانية)

برد سفارتها لما عهد فيها من نقض العهود والمواثيق والتهاون برعاية الذمم، كما أرغمها أباؤهم في الأزمنة الخالية، حيث فتكوا برجالها وصرعوهم بحد سيوفهم . وهاهي مصارعهم تشهد بذلك إلى الآن، فحدا بنا ذلك إلى ذكر مجمل أحوالها السابقة واللاحقة، وعاداتها، وأخلاقها، ونمط حكومتها وطرز بلادها . وذلك في فصول .

الفصل الأول

في إسم هذه الأمة

إن الفارسيين يسمونهم بأفغان ويعللون ذلك بأنهم حينما أسرهم (بخت نصر) كان لهم أنين وحنين . والأنين يسمى بالفارسية «أفغان»، فأطلق عليهم هذا الإسم من ذلك الوقت، وقيل إن أفغان اسم الحفيد (شاؤول) وهو جدّ الأفغانيين، فسموا باسم جدّهم، وعوام الفرس يطلقون عليهم أسم «أوغان»، وهو قريب من الأول . والهنود يسمونهم «بتان»، وبعض قبائل الأفغانيين كالمقيمين «بقندهار» و«قزن» يسمون أنفسهم (بشتو) و(بشتان) بالباء الفارسية فيها، وبعضهم كساكني «خورست» و«كورم» و«باجور» يسمون أنفسهم (بغتو) و(بغتان) بالباء الفارسية فيهما. ومن دقق النظر في تقارب هذه الألفاظ يعلم أنها من أصل واحد، وأن لفظ «بغتان» و«أوغان» و«بتان» محرّف عن (بغتان)، و«بغتان»، و«بشتان» يصح أن يكونا مأخوذين من «باشتان» وهي قرية من قرى (نيسابور)، أو يكونا مأخوذين من «بشت» اسم مدينة من مدن خراسان، ثم ركب مع الألف والنون الدالتين على الجمع في لغة فارس، على احتمال أن كان لهم بها إقامة ثم استمر الاطلاق بعد مبارحتها . والواو في (بشتو) و(بغتو) المحرّف عنه للدلالة على النسبة كالياء في لغة العرب، وحذفت مع الجمع تخفيفاً، ويحتمل أن يكونا مأخوذين من (بشسيت) اسم قرية من قرى فلسطين، على احتمال كونهم من بني أسرائيل كما سنشير إليه .

الفصل الثاني

في نسب هذه الأمة

تتألف هذه الأمة من قبائل متعددة (كغلجاني) و(عبدل) و(كاكر) و(دَرْبرى) و(يوسف زاني) و(مهند) و(أفريدي) و(بنكش) وغيرها من القبائل التي تسمت بأسماء أماكنها (كخوستي) و(كرمي) (باجوري). وكل قبيلة تحتوي علىٰ عمائر [(١)] مختلفة، فمثلاً (الغلجاني) تشتمل على (هتك) و(توخي) و(سليمان خيل) و(أوربا خيل) وغيرها، و(عبدل) تتركب من (بار كزاني) و(علي كوزاني) و(علي زاني) و(باميزاني)، وكل عمارة من هذه العمائر تتضمن بطوناً. وبطونها تتضمن أفخاذاً. ولسنا الآن بصدد بيان أسماء البطون والأفخاذ وما يختص بكل منها لضيق المقام. وتجتمع هذه الفروع في أصلٍ واحدٍ يسمى (بشتو) أو «بشتان» وقد اختلف أرباب التواريخ في منبت هذا الأصل. فقال بعضهم إنهم من طائفة الخزر كانوا يسكنون بسواحل بحر (كاسبتان) وفي (باب الأبواب) و(الشروانات) وكانوا يغيرون على بلاد ايران وينهبون ممالكهم. ثم نقلهم بعض الملوك الى شرقي بلاد خراسان في زمن غير معلوم. ونسبه بعض من لا خبرة له بالتواريخ إلى الأمير (تيمور الكوركان). وضعفه ظاهر إذ الأفغانيون في أماكنهم هذه من قبل زمان تيمور بقرون. وقال بعضهم إنهم من أولاد الضحاك الذي اشتهر عنه في (ميثولوجيا) فارس بأنه كان له

---

(١) عشائر.

سَلْعتان بكتفيه يوهم أنهما ثعبانان . وقال بعضهم أنهم من الأشوريين الكلدانيين حتى إن بعض سياح الأفرنج إدعى أنه يوجد في اللغة الأفغانية بعض من الألفاظ الكلدانية . وقال بعضهم إن هذه الطائفة التي ملأت الجبال الواقعة بين نهر (أتك) و(خراسان) أعني طائفة الأفغان من نسل الأقباط المصريين الذين كانوا مع (سوزستريس) حين افتتاحه البلاد الهندية . وقال بعضهم إنهم من أسباط بنيْ إسرائيل وإن (بخت نصر) أسكنهم بعد قتل كثير منهم في الجبال المسماة (قوهستان غور) أو (غور) فقط . وقال إنهم سَمَّوا مسكنهم الجديد بهذا الأسم تذكاراً للوادي الكائن بأرض الشام المسمى بغور، وسموا ببغتو الذي هو محرف عن (بختو) نسبةً إلى بخت نصر . فإن الواو في الفارسية كياء النسبة في العربية، كما أشرنا إليه سالفاً . ثم تكاثر عددهم فتسلطوا على تلك الجهات . وكان بينهم وبين يهود البلاد العربية مراسلات . ولما دخلت يهود العرب في دين الاسلام بعثوا برجل منهم يسمى خالداً إلى بلاد الأفغان يدعونهم إلى الدخول في دين الإسلام، فأرسل الأفغانيون جماعة من أمرائهم . وكان فيما بينهم رجلٌ يسمى قيساً، يتصل نسبهُ إلى أسباط بني اسرائيل بسبع وأربعين واسطة، وإلى ابراهيم بخمس وخمسين واسطة، فقدمهم خالد إلى الرسول (صلى اللّٰه عليه وسلم)، وصاروا مشمولين بعنايته . وخصّ قيساً بعواطفه الخاصة وسماه عبدالرشيد. ولقبه بالأمير . وقال (صلى اللّٰه عليه وسلم) انه حقيق بهذا اللقب لأنه من نسل سلاطين بني اسرائيل . وهؤلاء المرسلون قد وافقوا النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم) في فتح مكة وظهرت عليهم آثار الجلادة في تلك الواقعة . ثم رجع قيس إلى بلاده مصحوباً برفقائه بعد أن دعا النبيّ (عليه الصلاة والسلام) له بالخير والبركة، وأصحبه أيضاً بجماعة من أهل المدينة لتأييده في ترويج أمر الإسلام وإقامة مراسم الدين الحقيقي في جبال (غور) الواقعة في خراسان . وبعد وصول قيس إلى تلك الجهات أفرغ جهده في جلب قلوب أتباعه إلى دين الإسلام . وقد نال مقصده بدخولهم جميعاً في هذا الدين . وتوفي قيس في سنة ٤٠ من الهجرة عن سبع وثمانين سنة، وخلّف ثلاثة أولاد ذكور، وذهب بعضهم إلى أن نسبه يتصل إلى

شاؤول. وله جميل ذكر إلى هذا الوقت في بلاد الأفغان، حتى إن أمراءهم يجتهدون في إيصال نسبهم اليه . وللأفغانيين شجرة أنساب يعتمدونها إلى هذا العهد تؤيد هذا الأصل، أعني أنهم من نسل أَسباط بني اسرائيل، إلا أنه لا يوجد أدنى مشابهة بين لسان (بشتو) وهو لسان الأفغانيين وبين اللسان العبري أصلاً . نعم، إن اعتقادهم بكونهم من هذا الأصل مع بعد المسافة بين أراضيهم ومقر الاسرائيليين ووجود محل يسمى (بخيبر) في بلادهم ربما يوجب ظن البعض بصحة هذه الرواية . وقال بعضهم إنهم طائفة من الأرامنة كانوا ساكنين في (شروان) التي كانت تسمى سابقاً (البان) بالباء الفارسية ويؤيد ذلك أنّ الكنائس الواقعة في (قراباغ) المتاخمة لشيروان تسمىٰ إلى هذا العهد (بقندسار) ويقال لكبير تلك الجهات (أغوانج) ومعنىٰ أغوانج في لغتهم كبير الأغوان . وإن الأرامنة الساكنين في (كنجة) و(روان) و(نخجوان) و(كيلان) يفتخرون بهذا الإسم، أعني (أغوان) ويدعون الأغوانية . فيحتمل أن يكون لفظ أفغان محرّفاً عن أغوان أو ألبان، وأن يكون رئيس القندسار بعد انتقاله إلى مقامهم الآنيّ وإقامتهم بخطة قَنْدِهار سماها بهذا الإسم، أعني قندسار ثم حرّف إلى قندهار. ويظهر من أطوارهم أنهم حين مهاجرتهم من أوطانهم الأصلية إلى مستوطناتهم الحالية كانوا متدينين بالديانة النصرانية، ثم أسلموا فيما بعد . وقد يوجد فيهم إلى الآن آثار بعض عادات جدودهم كوضعهم ما يشبه شكل الصليب على أقراص خبزهم .

قول هذا البعض وإن لم يكن خالياً عن الصحة بالمرة، إلا أن تجويزه كون قندهار محرّفاً عن قندسار يدل على قلة بضاعته في فن التأريخ، لأن قندهار من المدن القديمة الشهيرة المذكورة في (مهابران) كتاب ميثولوجيا الهنود . وقال بعضهم إن هذه الطائفة كانت موجودة بتلك الجبال من عهد قديم على امتيازها على غيرها من الطوائف حتى قال إنّها هي التي حاربت مع اسكندر الرومي بل كانت في زمن (كشتاسب) وكانت تابعة لولاية (سجستان) تحت حكم رستم المشهور . وكانت تدفع له في كل عام عشرة جلود من جلد البقر باسم الخراج، ثم جاهرته بالعصيان،

وامتنعت عن دفع هذا الخراج الجسيم، إلا أنه استظهر عليها، وأرجعها إلى طاعته . والحق أن هذه الأمة من أصل ايراني وأن لسانها مأخوذ من لسان (زندواستا) وهو اللسان الفارسي القديم، وله مشابهة تامة بالفارسية المستعملة الآن . وان متأخري المؤرخين كفرنسيس لنورمان وغيره يؤيدون هذا الرأي .

الفصل الثالث

في ابتداء سلطنتهم
وقيام زعيم منهم بأمر الملك

نشأت هذه الأمة على الجلادة والاقدام. فكانت أمة حربية لا تدين لسلطة الأجنبي عليها، حتى أنه في زمن محمود الغزنوي وجنكيز خان التتري وتيمور الكوركان، الذين تمّت لهم السلطة عليها، لم تكن تبعيتها لهم خالية من الخطر. وكذلك في عهد انقسام ممالكها بين سلاطين الهند وفارس. إذ كانت تتربص بملوكها الشر دائماً وتترقب الفرص لايقاد نار الفتنة. وقد تطاولت أيدي طائفة (الغلجائي) على معسكر محمود الغزنوي ونهبوه، وقد تسلطوا على مدينة (قزنة) زمناً وشكلت طائفة منهم سلطنة في (دهلي) أيضاً. ولما استولى شاه عباس الكبير على بلدة «قندهار» دخلت طائفة الغلجائي و «العبدل» تحت طاعته. ثم جار عليهم الحاكم المتولي من طرفه وعاملهم بالظلم، أرسلوا من طائفة العبدل رجلاً يسمى (سدو) ليرفع الشكاية من الحاكم لحضرة الشاه. فلما وصل، وعرض الشكاية عليه تعجب الشاه من فصاحته. ولاسترضائه عزل ذلك الحاكم وولاه بدله، فأقام في منصبه بالعدالة وحسن السلوك، حتى جلب قلوب الأفغانيين إليه بحيث رأوا أنه من الواجب أن تكوّن حكومة الأفغان دائماً من ذرية هذا الشخص. وبلغ منهم حسن الاعتقاد فيه الى حد لو قتل أحد من ذريته أحداً منهم لا يقاصونه. ولو سلّ أحد سيفاً على أحد من نسله كان عقابه القتل. وقد تكون من نسله فصيلة تسمى

(سدوزائي) ومنها أحمد شاه على ما سنبيّنه . وفي زمن شاه سلطان حسين الذي هو آخر سلاطين الصفوية الايرانية، وقد جلس على كرسي الملك في سنة ١١٠٦، حصل العصيان من قبيلة (الغلجائي) القاطنة في مدينة (قندهار) وما يليها . وكلما اجتهدت رجال دولة الشاه في قمعهم لم تزدد نيران الفتنة إلا اشتعالاً . فلما أعيتهم الحيل في أمر العصاة أرسلوا اليهم (جرجين خان الكرجي) الذي كان حاكماً من طرف الشاه على (كرجستان) وكان قد أظهر العصيان على الشاه إلا أن دولة الشاه استظهرت عليه وقهرته . وبعد وقوعه في قبضتها لم يجد كفّارة لذنوبه سوى خلعه للدين المسيحي، ودخوله في الدين المحمدي . وكان معروفاً بحسن التدبير وقوة الحزم وثبات الجأش . وجعلوه حاكماً على قندهار .

ولما ظن الشاه أن لسلاطين الهند التيموريين يداً في إيقاد الفتنة أرسل مع جرجين المذكور نحو عشرين ألفاً من العساكر الايرانية وجماعة من الأبطال وذوي الدراية والدربة من أهالي كرجستان احتياطاً لكف شر المداخلات الخارجية . فلما وصل هذا الخان بعساكره إلى ضواحي قندهار خرج العصاة وأظهروا الطاعة والانقياد إلا أنه رأى من الواجب عليه إظهار القساوة ومعاملتهم بالخشونة، ليذلل بذلك نفوسهم، فلم يرَ من عزيز إلا وأذلّه، ولا من قوي إلا وأضعفه، ولا من أمير إلا وأسره، حتىٰ ضاقت صدور القوم عن كتم ما أودعها هذا الوالي من الضجر والغضاضة . فبعثوا رسلاً وسفراء إلى أصفهان كرسي دولة الشاه ليعرضوا أحوال الأهالي على مسامعه . وحين وصولهم إلى أصفهان بذلوا مجهودهم لنيل ملاقاة الشاه لعرض شكواهم . وبعد أن أعيتهم الحيل لكثرة الحجاب والمناع (الذي هو أساس الظلم في البلاد الشرقية حيث يوجب تطاول أيدي الولاة والمأمورين على حقوق الرعايا كما هو مشاهد الآن في جميع أقطار الشرق) حظوا بملاقاته مرة واحدة، وعرضوا عليه مظالمهم، وكان بمعيته بعض أحباء جرجين خان فألقى إليه أن شكوى هؤلاء العصاة شكوى الزور والبهتان يرومون التخلص من واليهم صاحب الضبط والربط ليعودوا الى مثل ما كانوا عليه . فلم يسمعوا من السلطان سوى العتاب

فرجعوا الى بلادهم مصحوبين بالخيبة وبثوا خبر الواقعة في أقوامهم . وكان للوالي اطلاع على هذا الأمر بواسطة رقبائه، فأضمر السوء، وأخذ ينتهز الفرص للايقاع بمن كان له مَدخلية في هذا التظلّم، خصوصاً (ميرويس) المشهور بجـلالة النسب، ومكانة الحسب، الذي كان أميراً لقبيلة كبيرة، محافظاً على بلدة قندهار، ومعروفاً بين الناس بسعة الاخلاق، وفصاحة اللسان، ولين الجانب، وجودة القريحة . وكان ذا وقع في النفوس وتمكن في القلوب . فمد الوالي عليه يد التعدي بعد زمن وأرسله مسلسلاً الى مدينة أصفهان . وكـتب الى أوليـاء الدولة أن الراحـة والطـمأنينة لا تستقران في البلاد إلا بحبس هذا الرجل، ومنعه من الرجوع الى قندهار، لأنه مصدر الفساد ومنشأ الفتن . وقد أخطأ جرجين خان في إرسال ميرويس الى أصفهان مع علمه بأن الامراء الشرقيين توطنت نفوسهم على الارتشاء، وأن بلوغ المقاصد ونيل المرام موقوفان على وجود الرشوة وعدمها على عدمها . فانه بإرساله هذا قد مكّنه من إعطاء الرشوة لاولياء الدولة لينال منهم مرامه . فلم تمض مـدة مـن وصـول ميرويس الى أصفهان حتى اطلع على هيئة الحكومة وضعف عـقل الشـاه ونـفاق أركان الدولة، وأولياء الأمور . وتودد الى كثير من أعداء جرجين خان، واستمال قلوبهم اليه، حتى ساعدته الفرصة على مقابلة الشاه فبث اليه تفاصيل ما عنده من المطالب، وتمكن بحذقه وعذوبة منطقه من استمالة قلب الشاه اليه وتوسل بالرشوة الى جذب قلوب الامراء والكبراء . ولم يلبث أن انتظم في سلك أولياء الامـور في دولة الشاه .

وكان يمكنه إذ ذاك الرجوع الى قندهار إلا أنه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال امورها تمكن من نفسه فكرٌ أعلى من هذا، وهو أنه يمكن أن يخلص بلاد الأفغان بتمامها ويفصل حكومتها عن حكومة الشاه . وعلم أن مثل هذا الامر العظيم لا يصح الاستعجال فيه، فطلب من الشاه أن يرخص له في السفر للحج . فلما وصل إلى مكة المكرمة رأى من المناسب أن يأخذ بعض الفتاوى من علماء أهـل السُنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة

شيعية، ويجمع كلمتهم على ذلك. فتحصّل على بعض فتاوى بذلك، وبعد قضاء فريضة الحج رجع إلى أصفهان مُخفياً أمره مُظهراً للشاه غاية الاخلاص.

ومن غرائب الإتفاق أن وقعت في ذلك الوقت واقعة كانت من أحسن الوسائل لتنفيذ مقاصده. وهي أن رجلاً مجهول النسب من الأرامنة عالماً ببعض الألسن الشرقية تقدمت له خدمات للدولة الروسية في الممالك العثمانية فتوسل إلى أمبراطور الروس (بطرس الأكبر) في أن يجعله سفيراً لدى الشاه. فَلِحُسْن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الأمبراطور إلى إيران سفيراً. وزاد في مكافأته أن أعفى جميع الأموال التجارية المتعلقة بهذا الرجل من رسوم الجمرك. فجمع هذا السفير كثيراً من تجار الأرمن، وتوجه بهم إلى إيران. ولما قرب من حدودها شهر نفسه بأنه من أولاد سلاطين الأرمن. فاتخذ ميرويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية أحسن وسيلة لنيل مقاصده. وذلك أنه أخذ يتكلم في المجامع والمحافل سراً وعلانيةً، بأن النصارى يريدون أن ينزعوا كرجستان وأرمنستنان من أيدي دولة الشاه. ولابد أن يكون جرجين خان حاكم قندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك. ولقرب عهد جرجين خان بالإسلام أخذ هذا الكلام من النفوس موقعاً، وغلب على ظن أولياء الدولة صدقه، فراموا قهر جرجين خان، إلّا أنه لقوة عضده وتمكنه في قندهار، تخوفوا من عصيانه عليهم، فأرجعوا ميرويس إلى بلاده حتى إذا تحرك وجرجين خان للعصيان قاومه للعدواة السابقة بينهما (أنظر إلى ضعف الرأي واضطراب فكر الشرقين إلى يومنا هذا).

ولما رجع ميرويس إلى قندهار اشتد غضب جرجين خان وأراد أن يتخذ وسيلة لهلاكه فأرسل اليه يتحكم عليه في أن يبعث بإبنته إلى ابنه. وإذ رأى ميرويس أن هذا الطلب على وجه قهريّ وأن إذعانه له يحط من قدره جَمَعَ الأفغانيين، وحدثهم القصة، فاغتاظوا لذلك وحثوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلأ لذلك سروراً، لكنه أمرهم بالصبر والتأني، وقال: «الأولىٰ أن نقتل الأسد في النوم إلا أنه يلزمكم الثبات على ما أنتم عليه واعتمدوا عليّ فاني سأنتقم

من العدو» فاطمأنوا وحلفوا له بالخبز والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا: «ومن رجع عن ذلك فزوجته طالق بالثلاث».

وكان من خادمات ميرويس المتربيات في بيته بنتٌ جميلة أرسلها إلى جرجين خان ليتزوجها إينه باسم انها بنته. وأظهر غاية السرور والبشاشة وأنه غير حاقد على جرجين خان. فمحا بذلك ما في قلب جرجين، وأزال أحقاده حتى حصل عنده كمال الإعتماد عليه. وبعد زمن هيأ ميرويس مأدبة فاخرة بحديقة خارج البلد دعا إليها جرجين خان وأتباعه. وكان شراب الجميع بتلك المأدبة كأس الموت وساقيه ميرويس (هكذا لا يليق بالأمراء والسلاطين إذا غدروا بشخص أو ظلموه أو أضاعوا حقه أن يصافوه ويعتمدوا عليه خصوصاً في مهمات أمورهم. فان الحقد والعداوة إذا قرعت قلباً قلّ ما زايلته). ولبس ميرويس لباس جرجين خان وتبعته من الأفغان ألسة تبعته، ودخلوا البلد بعد المغرب، وهجموا على مستحفظي القلعة على حين غفلة، ولحق بهم جماعة من الأفغانيين كان قد أعدهم كميناً قرب المدينة وإنضم إليه أيضاً سائر الأفغانيين الساكنين فيها فاستأصلوا جميع المحافظين إلّا من فرّ. واستولوا على القلعة ونادوا: «من لم يأو جندياً من جند جرجين فهو في أمان». وكان هناك ستمائة جنديّ أرسلهم جرجين لتأديب بعض القبائل في بعض نواحي الولاية فقدموا إلى قندهار بالغنائم الوافرة بعد تلك الواقعة فقوبلوا بالمدافع والبنادق وشجعان الأفغانيين فاطلعوا على حقيقة الأمر، وقاوموا مهاجميهم، فخرج إليهم ميرويس بخمسة آلاف، وثبتت أقدامهم أمام عساكره ثلاثة أيام أظهروا فيها من الجلادة والبسالة ما استوجب الثناء عليهم، ثم انهزموا، إلّا أنهم خلصوا أنفسهم، ونجوا إلى أرض خراسان، فأخبروا بالواقعة، فازدادت بذلك دهشة الإيرانيين من الأفغانيين.

ولما خلا جوّ قندهار من المعارضين بعث ميرويس إلى رؤساء القبائل الأفغانية، فحضروا، ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرّية ومزاياها، وشدائد العبودية وبلاياها، ثم قال: «إن وازرتموني واتفقتم معي، فسنخلص اعناقنا من غلّ

الذلّ، وننشر أعلام العز والحرّية، ونتملص من سلطة الإيرنيين الشيعيين» ثم أبرز ما عنده من الفتاوي الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق أخذها من علماء مكة. وأذن فيهم قائلاً: «إلّا من رجع جانب الإيرانيين، واختار أن يكون في ربقة عبوديتهم فليقطع الأمل عن أن يساكننا في ديارنا. إذ لا يمكن له معاشرتنا ويستحيل أن ينال مودّتنا ومصافاتنا» فوافقه جميع الأمراء. وأكدوا الموافقة بالإيمان (هكذا، هكذا، أولو الفضيلة والحزم، يفدون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم لتحرير أمتهم، وتخليصها من ربقة الأسر والذلّ، ولا يطلبون لذلك جزاءً سوى تخليد الذكر الجميل، بخلاف أرباب النفوس الدنيئة والهمم المنحطة المنهمكين في الشهوات فإنهم يبيعون أممهم وأوطانهم للأجانب بأبخس الأثمان).

ولما بلغ خبر إتفاق الأفغانيين كرسي دولة الشاه، فعوضاً عن أن يرسل عسكراً جرّاراً لتأديب العصاة وتقرير السلم، أرسل (محمد جامي خان) لتهديد ميرويس ومن اتفق معه، فلما وصل هذا السفير إلى قندهار أخذ يبين عظمة دولة إيران وقوتها وقدرتها التامة على تذليل من ناوأها وينذر ميرويس بسوء عاقبة عمله هذا. فأجابه ميرويس قائلاً: «هل تظن أنه لا يوجد العقل إلّا في رؤوس المترفين وأرباب النعم ولا يوجد في أهالي جبال الأفغانستان؟ ولو أن في إمكان سلطانك قهري وغلبتي ما كان له من حاجة لإرسالك لتتكلم بهذه الكلمات التي لا طائل تحتها» ثم أمر بحبسه. ومع ذلك لم تنته دولة الشاه من نوم الغفلة، حيث بعثت بسفير آخر يسمى (محمد خان) حاكم هرات بعد ما بلغها حبس السفير الأول وقد كان السفير الثاني من أحباء ميرويس ومصاحبه في سفر الحج. ولما وصل إلى قندهار قال له ميرويس: «لولا سابق المحبة والصحبة لعاقبتك عقاب المذنبين. ولكن لابدّ أن تعلم أن الرجال الأفغانيين لا يعودون إلى تحمل نير العبودية، بعدما تخصلوا منه وأن الأسود التي قطعت السلاسل لا تقيد بها، وأن السيوف المسلولة لا تغمد، وأن ملككم سينكب ويغلب ودولتكم ستنهب وتسلب» ثم أمر بقيده.

ولما رأى أولياء الدولة أن لا فائدة في إرسال الرسل، ولا مفرّ من المحاربة،

وجّهوا الأوامر لحكام خراسان أن يجيّشوا جيوشهم، ويهجموا على الأفغانيين. وبعد إنهزامات متتالية للعساكر الإيرانيين تحقق لديهم أن عساكر خراسان وحدها لا تكفي لقمع الأفغانيين، فأعدوا جيشاً كبيراً وجعلوا قيادته بيد (خسرو خان) ابن أخ جرجين خان الذي لم يكن في الجلادة والرشد أقل من عمه. وإنما فوّضوا قيادته إليه ليكون حب الإنتقام لعمه موجباً لزيادة إقدامه وتحمسه (هكذا لا تفيد المماطلة والإهمال سوى الوقوع في الشقاء وعسر التخلص منه).

فتقابل خسرو خان مع ميرويس واشتعلت نيران الحرب بينهما، فانهزم ميرويس، وحاصر خسرو خان مدينة قندهار فطلب محافظوها الأفغانيون من خسرو خان أن يسلموا له المدينة على شرط أن يؤمنهم على حياتهم فلم يرض بهذا الشرط. فلما علموا أن لا مفرّ من الموت أخذوا أهبة الدفاع. وكانوا كل يوم يهاجمون محاصريهم، وميرويس بعد جمع عساكره المتفرقة شرع في الهجوم عليهم من الخارج، حتى نفدت ذخائر ميرويس خان فاضطر لترك المحاصرة والإشتغال بمدافعة ميرويس، إلى أن قتل. ولم ينجُ من عساكره الإيرانية التي كان مقدارها خمسة وعشرين ألفاً سوىٰ خمسمائة شخص (تلك عاقبة العُجْب والغرور).

ثم أرسل الشاه جيشاً آخر يقوده (محمد رستم خان) فانهزم أيضاً وتمت السلطة لميرويس على ولاية قندهار بلا مزاحمٍ ولا مخاصمٍ. ثم توفي ميرويس عن ولدين لا يزيد سن أكبرهما عن ثماني عشرة سنة. ولهذا اختار الأفغانيون أن يخلفه في الحكومة أخوه (مير عبدالله) وكان لهذا الخليفة ميلٌ للصلح مع سلطنة إيران، إلاّ أن أراء الأفغانيين كانت لا تساعده على هذا الميل، بل عارضوه، وقالوا: «إن لم تستطع أن تحذو حذوَ أخيك في المهاجمة فلا أقل من أن تهمل في أمر المصالحة». ومع ذلك لم يسمع مقالتهم، بل تشاور مع بعض أصحابه، واستقر الرأي بينهم على أن يرسلوا معتمدين إلى دولة الشاه لعقد المصالحة بشروط ثلاثة: الأول أن تعفى ولاية قندهار من الخراج السلطاني، الثاني أن لا يكون للدولة عساكر في تلك الولاية، والثالث أن تكون الإمارة وراثة في ذرية مير عبدالله المذكور.

فلما أطلع على ذلك الأمراء من الأفغانيين اشتد غيظهم منه وانحرفت قلوبهم عنه وحقد أكبر ولدي ميرويس المسمى (محمود) الذي كان يظهر من ناصيته علائم النجابة والشهامة على عمه حيث تعدّى على حقه . فاتفق مع اربعين شخصاً من الأفغانيين، ودخل بيت على حين غفلة، وذبحه . وباطلاع الأفغانيين على ذلك، أقاموه حاكماً على أنفسهم ولقبوه بشاه قندهار .

وفي تلك الأوقات بعينها قام (إزاد خان العبدالي) من الأفغانيين واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الإستقلال، واتفق مع بعض طوائف الازبك على نهب بلاد خراسان الداخلة تحت حكومة إيران . فبعثت حكومة الشاه بثلاثين ألفاً من العساكر تحت إمرة (صفي قلي خان) لتأديب إزاد خان فاستقبلهم بجيوشه، واقتتلوا من أول النهار إلى زوال الشمس . ولهول الواقعة إختلط الأمر على طُبْجية[1] الإيرانيين . فلم يميزوا بين جيوش الأفغان وجيوشهم فأخذوا يطلقون المدافع على عساكرهم الخيالة، فظنت جيوش إيران أن هذه خدعة حربية . إذ كانوا يعلمون أن الأفغانيين لا توجد عندهم المدافع فانفصلت العساكر بعضهم عن بعض، فاتخذ الأفغانيون ذلك فرصة للهجوم فهجموا، وشتتوا شمل العساكر الإيرانية، وبدّدوها وقتل صفي قلي خان مع ابنه وثمانية آلاف من العساكر الإيرانية، وتركوا جميع الأثاثات والأدوات العسكرية، وعشرين مدفعاً وتمت بذلك السلطة لأزاد خان في ولاية هرات، واستقرّت بها الحكومة البدالية، كما استقرّت الحكومة الغلجائية في مدينة قندهار .

وفي أثناء هذه الفتن هجم الأكراد السنيون للنهب والغارة على بلاد إيران، وتوغلوا فيها حتى وصلوا الى جدران أصفهان كرسي المملكة . وثارت أعراب مسقط، واستولت على جزائر خليج فارس، وعلى الفُرَض[2] الواقعة بساحل ذاك

---

(١) طبجية أو طوبجية : ضاربوا المدافع .

(٢) فرض ـ بضم الفاء وفتح الراء ـ جمع فرض : مشرب الماء من النهر أو البحر .

الخليج . فلما رأى محمود شاه قندهار إختلال أحوال السلطنة الإيرانية وضعف عقول أمرائها وتفرّق كلمتهم وتمكن النفاق من قلوبهم (كما هو الواقع الآن في أمراء الشرق) طمع في سلطنة الشاه، وساق عساكره لحربه من طريق (كرمان) مع عدم وجود المياه والكلأ بذلك الطريق . فلما وصل إلى كرمان، ولم يكن أهلها على إستعدادٍ حيث هاجمهم على غفلةٍ منهم، سلموا له المدينة بدون حربٍ ولا منازعة . وحصل من عساكره أن أطالوا يد الظلم على الأهالي كما هو عادة المتغلبين من الأمم الشرقية بل الغربية . ثم صدر الأمر من شاه إيران إلى (لطف علي خان) الذي كان والياً في بندر عباس بمحاربة الأفغانيين وطردهم، فتوجه إليهم، ونازلهم . فلم تكن إلّا واقعة واحدة طرد فيها الأفغانيين من كرمان، بحيث لم يستطيعوا الوقوف في نقطة من النقط حتى رجعوا إلى قندهار، إلّا أن أهالي كرمان صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، حيث نالهم من يد عساكر الشاه ما أوقع الإشتباه عندهم . (هل مصائب تغلب الأفغانيين أشدّ وأفظع أو مصائب مساعدة دولتهم ؟) .

ولما علم لطف علي خان أن مير محمود سيعود كرة ثانية شرع في حشد العساكر وجمع الذخائر، وأخذ أهبة الإحتياط في (شيراز) . ولدواع اقتضاها الحال إما لعدم الإنتظام أو حكم الزمان قد نشأ عن هذا وقوع الظلم بالرعية . إذ كانوا يصادرونهم في أموالهم، ويسخرون دوابهم في الأعمال اللازمة وغير ذلك . فاتخذ أعداء لطف علي خان هذا الإختلال وسيلة للسعي في عزله، فسعوا لدى الشاه فعزله عن رئاسة العساكر، فتفرقوا، وذهبوا من حيث جاءا (أنظر إلى الأدنياء الأخِسّاء خائني الوطن والأمة، كيف أنهم لبعض أغراض شخصية وعداوات جزئية، وللتشفي من شخص واحد، قد تسببوا في تفريق العساكر التي كانت وقاية للأمة وحفاظاً للوطن، وترتب على تفريقهم ما ترتب كما سنبينه) .

وفي تلك الأوقات قد أغار العبدالية من الأفغانيين على غالب بلاد خراسان حتى كادوا يفتحون مدينة (مشهد) وهي طوس القديمة . وفي أثناء هذه الفتن والقلاقل وقعت زلزلة شديدة في مدينة (تبريز) وأصبح ثمانون ألفاً من الناس تحت

التراب، وحصل في الجوّ تكاثف حتى حجب ضياء الشمس، فكانت لا تُرى إلّا كنقطة من نحاس أحمر، فوقع في أوهام العامة أن هذه آثار الغضب الإلهي، ومقدمات نزول البلاء السماوي. وأخذوا يتحيلون لدفع القضاء بطرد الفاجرات وإزالة كثير من المنكرات. والمشايخ كانوا يطوفون في الأزقة ويدعون الناس للإستغفار. والمنجمون قد حكموا حكماً باتاً أنّ هذا علامة لخراب أصفهان. فوقعت العقول في وحشةٍ، والنفوس في حيرةٍ، وضعفت القلوب، وتدانت لهم حتى كانت هذه الأمة الكبيرة واقفة على قدم الإستعداد للموت. وانقطعت آمالها من الحياة والنجاة. (تفطن وأنظر إلى مضار الإعتقادات الخرافية، وما ينشأ عنها من ضعف النفس وسقوط الهمة وارتباط الأيدي عن العمل).

وفي سنة ١١٣٥ من الهجرة عاد مير محمود كرة ثانية من طريق كجستان إلى كرمان مع خمسة وعشرين ألفاً من عساكر الأفغان والبلوج[1] واستولى على كرمان بدون تعب إلا القلعة التي هي مقر الحكومة فإنه لم يتمكن من أخذها وتركها لمحافظيها على أن يأخذ منهم ألفين وخمسمائة تومان (كل تومان يساوي نصف جنيه انجليزي). وقد أيقن الأهالي، وتجسم في مخيلتهم، أن محموداً هذا هو غضب اللّه النازل على دولة إيران الموجب لخراب أصفهان، كما أخبر به العلماء والمنجمون. ثم عطف محمود عنانه إلى مدينة (يزد) يريد افتتاحها، فلم يقدر، فتركها، وتوجه على خط مستقيم إلى مدينة أصفهان كرسي مملكة الشاه. فلما صار على مقربة من أصفهان أرسل إليه الشاه رسولين يرجوانه في كفّ يد الإغارة والعودة إلى بلاده في نظير أن يعطيه خمسة عشر ألف تومان. فكانت هذه الرسالة دليلاً عند محمود على استيلاء الضعف على الإيرانيين وتمكن الرعب من قلوبهم فلم يعبأ بهما وذهب إلى (كلتاد) «قرية على فرسخين من أصفهان» وعسكر عندها، وحفر حول عساكره خندقاً لعلمه بأن ستقع هناك محاربة بينه وبين عساكر الشاه. والتحق بعساكر محمود

(١) البلوج أو البلوش نسبة إلى بلوشستان.

كثير من المجوس الذين على دين (زرتشت)[١] رجاء أن تسلط محمود يكون سبباً لتخليصهم من جور الشيعة . ولتسلط الوهم على الشاه جمع الأمراء والوزراء يشاورهم في الأمر فقال محمد قلي خان الذي كان وزيراً : «إن الأفغانيين وإن كان لهم جلادة وثبات في الميدان إلّا أن ليس لهم قدرة على فتح القلاع . فالرأي أن نجعل عساكرنا في قلاع أصفهان وندافع عنها فإذا عجزوا عن فتحها تركوها ورجعوا إلى بلادهم كما فعلوا في كرمان ويزد» واستحسن الشاه هذا الرأي، فقام والي عربستان (خان أهواز) وتكلم بالحمية والحماسة قائلاً : «هذه غاية الجبن والضعف . كيف نرضى أن محموداً يحاصر مدينة أصفهان بشرذمة قليلة من الأفغانيين وهي كرسي دولة شاه إيران ؟ فالرأي أن نبرز إليهم ونحاربهم حيث هم معسكرون» فتحرك عِرْق حمية الشاه، وبعث بخمسين ألفاً مع عشرين مدفعاً لملاقاة محمود . ولما تلاقى الجمعان عند قرية كلتاد رتب كلّ ميمنته، وميسرته، وقلبه، وركب محمود على فيل وأخذ يدور حول عساكره ويجول فيما بينهم ويذكرهم بالفخر والمجد اللذين اكتسبوهما في الحروب السابقة، ويقول : «إن غلبتم عدوكم فمدينة أصفهان جزاء أتعابكم . وإن انهزمتم فلا مفرّ من الموت لبعد الشقة بينكم وبين بلادكم، فتتجرعون سمّ الأجل بالذّل والفضيحة» . (وكان بين معسكرهم ومدينة قندهار خمسون مرحلة مع انقطاع المواصلات بينهم وبين هذه المدينة وقتئذ) .

ولم يكن عند الأفغانيين مدافع، ولكن كان معهم مائة زنبورك (وهو شيء يشبه المدفع يحمل على الجمل ويطلق وهو فوقه) فأناخ الأفغانيون جمال الزنبورك وراء معسكرهم، ثم ابتدأ الإيرانيون بالقتال فهجمت ميسرتهم على ميسرة الأفغانيين، فتقهقر الأفغانيون منكسرين فغنمت منهم بعض الغنائم . ثم هجمت ميمنة الإيرانيين على ميمنة الأفغانيين، فتقهقرت ميمنة الأفغانيين، بخدعة حربية، فأغارت خيالة الإيران على عسكرهم . فلما دخلت الخيالة في المعسكر انشق

(١) زرتشت هو نفسه زرادشت نبي الفرس القديم .

عسكر الأفغان إلى فرقتين، وأطلق الزنبورك على الخيالة، فتساقطوا تساقط ورق الشجر في فصل الخريف . وهجم وقتئذ (أمان اللّٰه خان) الأفغاني على مؤخرة العساكر الإيرانيين فقتل الطبجية، وأخذ المدافع، وأمر بإطلاقها على عساكر الشاه . فلم يمض إلّا قليل زمن، حتى انهزموا وتفرقوا، وتركوا جميع لوازمهم غنيمة للأفغانيين . فلما وصل خبر الهزيمة إلى أصفهان اهتزت له القلوب، واضطرب الشاه، وجمع وزراءه للإستشارة . وقال «إن من الرأي أن نترك أصفهان، ونأخذ الخزينة معنا ونشتغل بجمع العساكر الشاهانية، ثم نهاجم الأفغانيين من خلفهم ونستأصلهم».

فقبل هذا الرأي عند محمد قلي خان الوزير، ولم يقبله والي عربستان المذكور لأمر سنشير إليه . وقال : «لا يليق بالسلطان أن يترك كرسي مملكته لهزيمة واحدة فإن هذا آية الضعف، وموجب لنفرة قلوب الأهالي منه» . فأخذوا في تهيئة لوازم الدفاع والاستعداد للمحاصرة . وكان محمود وقتئذ متردداً في أمره حتى جاءه بواسطة جواسيسه (أتباع والي عربستان) خبر استيلاء الرعب على قلوب الإيرانيين . فاطمأن وساق عسكره إلى (فرح آباد) واستولى عليها بلا محاربة لعدم وجود العسكر فيها . وبعد استيلائه عليها توجه للهجوم على محلة (جلغا) مسكن الأرامنة في أصفهان فاستولى عليها أيضاً . ونشأ عن استيلائه خسارة جسيمة لساكنيها .

ثم هجم على برج من أبراج مدينة أصفهان فدفع عنه بقوة البنادق والمدافع فتقهقر ووقع في نفسه أن هذا التقهقر ربما يوجب زوال الرعب من قلوب أهالي المدينة فيصعب الأمر في فتحها . فهجم في اليوم الثاني مع الأبطال الأفغانيين على بعض الإستحكامات، وأظهروا جلادة وشدة، حتى كانت المدينة تفتح لولا مقاومة أحمد أغا أحد أغاوات الحريم . فإنه قاوم ببسالة . وجبر الأفغانيين على التقهقر، فوقع الرعب في قلب محمود، وأرسل يطلب المصالحة، على شرط أن تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثة في ذريته، وأن يزوجه السلطان بابنته، ويعطيه

خمسين ألف تومان. ولكن لم تقبل هذه المطالب عند الشاه.

ولما سمع والي عربستان بذلك أرسل سراً إلى محمود رسولا يلومه على طلب المصالحة، ويوصيه بالثبات، ويعده بالظفر. وقال في رسالته: «إنني منكم مذهباً فاثبتوا ولا تخافوا». ولما أحاط محمود علماً بفحوى الرسالة انتعش مرة ثانية، ودبر تدابير أخرى، وهي أن يخرب القرى والقصبات التي هي حول أصفهان ويجمع الذخائر منها لعساكره ويحرق ما بقي. وقد فعل. ففرّ أهالي القرى إلى المدينة لعدم وجود الأقوات عندهم. وكان الأمراء لجهلهم بحقيقة الحال يقبلونهم بكل مسرة لظنهم أنهم يزيدون في عدد المدافعين. ولم يخافوا من حصول القحط في المدينة لأنها لم تكن محصورة إلّا من جهةٍ واحدة. ثم هجم الأفغانيون من الجهة الأخرى، واستولوا على أحد الاستحكامات فيها. وكان محافظو هذا الإستحكام من الكرج المنهمكين في شرب الخمر. ثم تجاوز الأفغانيون من قنطرة كانت هناك، واستولوا علىٰ بعض نواحي المدينة. وفي ذلك الوقت سمع الأفغانيون بقدوم قوم إيرانيين ببعض ذخائر إلى المدينة فعارضوهم وانتهبوها منهم. وقبل أن يصلوا إلى معسكرهم خرج إليهم قوم من قرية صغيرة يقال لها (أصفهانك) واسترجعوها منهم، وأسروا عم محمود وأخاه وابن عمه، وقتلوهم. وكان الشاه أمر بعدم قتلهم لطلب محمود ذلك منه إلّا أن أمره لم يصل إلّا بعد القتل. فقتل محمود جميع من عنده من الأسراء الايرانيين عندما سمع بذلك، وأخذ يتشبث باتمام لوازم الحصار، وقطع طرق المواصلات. وفي تلك الحالة ألحّ بعض أولياء الدولة على الشاه أن يسلم إله قيادة المدافعين. وتكفل بدفع الأفغانيين، وطردهم من ضواحي أصفهان إلّا أن والي عربستان (خان أهواز) منع الشاهع من هذا بتمويهات وتدليسات ألقاها إليه.

ولما طالت مدة المحاصرة أخذت الأسعار ترتفع شيئاً فشيئاً. وظهرت علائم القحط في المدينة. ولم يجد الشاه وسيلة سوى أن أرسل ولده (شاه طهماسب) ولي العهد سراً إلى سائر البلاد الإيرانية، ليدعو الناس إلى حرب الأفغانيين وتخليص كرسي المملكة من أيديهم. فلم يتمكن من جمع كلمة الأهالي على القيام بتخليص

أبيه. وكان كل يوم يشتدّ الكرب على أهل المدينة ويذهبون إلى الشاه ويلحون عليه في أن يخرج معهم للمحاربة، كي يخلصوا أنفسهم من غائلة الجوع والقحط، وخصوصاً حين ما سمعوا أنه سيردّ إليهم ذخيرة. فإنهم اجتمعوا حول السراي السلطاني، ونادوا على الشاه بالخروج إلى الحرب خوفاً من أن تقع هذه الذخيرة في أيدي الأفغانيين، ويموت أهل البلد جوعاً. فأرسل إليهم الشاه يعدهم بالجواب في غدٍ. فلم ينصرفوا، وأدمنوا على الطلب، حتى أطلق عليهم بعض مستخدمي الحرم البنادق ليرهبهم. فانزجرت نفوس الأهالي من هذا العمل، وتكدّرت خواطرهم. وكادوا أن يهجموا على السراي لولا خروج أحمد أغا السابق الذكر إليهم وإرضائه لهم. وبعد إنصرافهم جمع جماعة من أبطال العساكر وهجم بهم على الافغانيين، واشتدّت حملته عليهم حتى إستخلص بعض الإستحكامات من أيديهم، إلّا أن عساكر العرب الذين كانوا تحت إمرة والي عربستان (خان أهواز) تقهقروا تعمداً، فغضب أحمد أغا لذلك، وأمر بإطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره. فلما وقع النزاع بين العساكر، واشتغل بعضهم ببعضٍ هجم الأفغانيون، وهزموهم، فذهب أحمد أغا إلى الشاه، وقال له «إن خان أهواز هو الذي أوْجَب إنهزامنا في جميع المواقع، لاتحاده مع محمود في المذهب. ولولا وجوده في معسكرنا لدفعنا الأفغانيين وهزمناهم من أول وقعة». ولكن خان أهواز ألق إلى الشاه مازيّن له عزل أحمد أغا عن رئاسة المحافظين للقلعة فعزله فتناول السم ومات. وبموت أحمد أغا فرح الأفغانيون جداً ووقع الإضطراب والوجل في أهالي أصفهان، فاضطر الشاه لأن يرسل رسولاً إلى محمود يطلب منه المصالحة على الشروط السابقة، فأجاب محمود «بأن الشاه لا يملك الآن شيئاً حتى يعطيني إياه بل جميع ما في قبضته قد أصبح تحت يدي».

وفي أثناء هذه الواقعة تحرّك الملك محمود حاكم سجستان بعشرة آلاف جندي لتخليص أصفهان. ولما بلغ هذا الخبر أهالي أصفهان قويت قلوبهم، وتعلقوا بحبل الرجاء. وعند شعور مير محمود الأفغاني بذلك أرسل إليه «أن إرجع عن

عزيمتك هذه، ولك بلاد خراسان وسجستان تحكمها أنت وذريتك على سبيل الإستقلال» . فصارت هذه الرشوة عَمىً في بصر مروءته، فعاد للإستيلاء على الممالك التي وعده بها محمود، وانقطع الرجاء بعد ذلك من مدينة أصفهان وسدت طرق النجاة على أهلها وإزداد الغلاء شيئاً فشيئاً، حتى وقع القحط، وأخذ الناس في أكل الحيوانات غير مأكولة اللحم، كالبغال والحمير ثم القطط والكلاب ثم الموتى من الآدميين . ثم كان الناس يموتون في الطرق والأزقة من الجوع وامتلأ نهر (زاينده رود) من جثث الموتى حتى تغيرت مياهه . ولم يكن يستطيع أحد أن يشرب منه . فلما بلغ الحال إلى هذا الحدّ وذلك في حادي وعشرين اكتوبر سنة ١٧٢٢ عيسوية[١] المقارنة لسنة ١١٥٣ هجرية خرج شاه سلطان حسين من الحرم لابساً لباس الحداد. مع جميع أمرائه . وأخذ يدور في أزقة أصفهان، وهو يبكي من المصائب التي نزلت في أيام دولته على العباد والبلاد ويقول : «إن كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين» . ويبين للناس أنه يريد أن يتنازل عن الملك والتاج للأفغانيين . ولما شاهد الناس منه ذلك نسوا مصائبهم ومصائبه، وأجروا سيل الدموع من أعينهم (هذا جزاء الغفلة وعدم التيقظ والإنهماك في الشهوات وإستخدام المخالفين في الجنس والمقاصد في المصالح المهمة خصوصاً في زمن الحرب) . وفي اليوم الثاني رقموا قرار التسليم وختم عليه جميع الأمراء والكبراء .

وفي الثالث والعشرين من الشهر المذكور خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلاثمائة من خيالة إيران وذهبوا إلى محمود في فرح آباد فلما دخلوا عليه في قصرها لم يتحرك من مجلسه إلى أن وصلوا وسط الديوان . ثم إن الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود «يا ابني إن اللّٰه تعالى لم يرد أن أكون على كرسي إيران أزيد مما كنته وأنت الآن أحق به» فأجابه محمود : «إن اللّٰه يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء» فغرز الريشة في عمامته، ثم تصافيا وزوجه الشاه ببنته في ذلك

---

(١) عيسوية : ميلادية .

المجلس . وفي اليوم الثاني دخل محمود مدينة أصفهان، وأجرى السلام العام، فقابله الشاه وجميع الأمراء وسلموا عليه بالسلطنة . ولما استولى محمود على كرسي أصفهان اجتهد في تخليص الناس من جهد البلاء والقحط الذي حاق بهم، وفي جبر الخواطر المنكسرة فمال الناس إليه وأبقى كل ذي منصب على منصبه، إلّا أنه جعل كل واحد رجلاً أفغانياً ليتمرن الأفغانيون على الأعمال الدولية[1] ويحصل له الإطمئنان والثقة بالأعمال . وعاقب بالقتل كل من خان الشاه ودلّس عليه في الحرب إلّا والي عربستان (خان أهواز) فإنه سلب جميع أمواله، وفضحه أشنع فضيحة ولم يقتله كأنه عاهده على إبقاء روحه .

ثم أرسل أمان اللّٰه خان بستة آلاف جندي لفتح مدينة قزوين فسار إليها . وفي أثناء الطريق فتح مدينة (قاشان) و(قم) ودخل بعد ذلك مدينة قزوين بلا معارض، ولا ممانع، إلّا أن أهل قزوين كانوا أولي بأس وقوة ونفوس تأبى الضيم خصوصاً من مخالفهم في المذهب . فلما رأوا بعض تعدٍّ من الأفغانيين، تجمعوا، وهجموا على الأفغانيين من الأطراف . وعند وصولهم إلى أمام القلعة التي بها الحاكم خرج أمان اللّٰه خان لتسكين الثورة فجرح، وانتهى الأمر بغلبة الأهالي، وطرد الأفغانيين بعد قتل ألف شخص منهم وذلك في سنة ١١٣٦ . وفي أثناء سير الأفغانيين المنهزمين انفصل أشرف بن عم محمود عن أمان اللّٰه خان بثلاث مئة أفغاني، وأخذ طريق قندهار . وبعد واقعة قزوين قام أهالي خنسار وسائر البلدان وعملوا بالأفغانيين مثل ما عمل أهل قزوين . واجتمع جميع الأفغانيين في أصفهان . ولما رأى مير محمود ذلك غلب عليه الجبن والخوف، وتوهم أن أهالي أصفهان ربما يفعلون معه مثل ما فعل غيرهم بقومه فَتَحَيَّل لقتل جميع المستخدمين في الحكومة من الأمراء وبقايا العساكر المحافظين للقلاع والعساكر الذين بمعية شاه سلطان حسين، وطرد جميع الرجال من المدينة، حتى صارت مدينة أصفهان خراباً يباباً . ولما رأى

---

(١) يقصد أعمال إدارة الدولة .

أن سلطنته لا يصح قصرها على البنيان جلب إليها بعضاً من الأكراد السنين كانوا مقيمين في (درجزين) . ولما اجتمع الاكراد وجاءه إمدادٌ من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح (جلبايكان) و(خنسار) و(قاشان) ففتحوها . وأرسل نصر اللّه المجوسيّ الذي لحق به في كرمان لفتح مدينة شيراز وسائر المدن الواقعة على سواحل خليج فارس . ففتح جميع تلك البلاد إلّا شيراز فإنه جرح في محاصرتها ومات بذلك الجرح فأحيلت قيادة العساكر على (زبردست خان) الأفغاني . وبعد محاصرة مات الناس فيها من الجوع فتح البلد عنوة ودخلها، وأمر بقتل جميع من كان محتكراً لأقوات في المدينة حتى أنه أتى ببعض المحتكرين وعلقه في مخزن بره[1] إلى أن مات جوعاً . ولما فتحت شيراز تجدّد لمحمود عزمٌ ونشأت فيه قوة فجمع ثلاثين ألفاً وتوجه بها إلى جانب (كوه كيلويه) الواقعة على نحو ثلاث درجات في جنوب أصفهان فتعرّضت له القبائل الحالة بطريقه إلى تلك البلاد، وأخذوا ينهبون عساكره ويفتكون. واتفق أن وقع الموت في جيوشه لإختلاف الهواء ورداءة المناخ . فانفعلت لذلك نفسه، ورجع إلى أصفهان خائباً، ودخلها ليلاً . وكذلك وقعت له هزيمة عظمى في مدينة (كز) قتل فيها من عساكره جمعٌ كثيرٌ فتسبب عن هذه الحوادث نفور قلوب الأفغانيين منه، فأجبوره على إرجاع أشرف من قندهار وجعله وليّ العهد . ثم غلب الوسواس على مير محمود فطلب العزلة والإشتغال بالرياضة، وتصفية الباطن، والإستمداد من عالم الغيب (وهذه عادة الشرقيين عند وقوعهم في الإرتباكات لخطيئآتهم يعدلون عن الأسباب الظاهرة التي أعدّها اللّه لنيل الغايات إلى الاستمداد من الأسرار الباطنية، بترك اللحوم والإنزواء والإنعزال، وهي عادة هندية وثنية فشت بين المسلمين في القرن الثاني عشر من الهجرة) .

ولما رجع من عالم الغيب الظاهر، وخرج من الخلوة إلى الجلوس إزداد فيه الوسواس وسوء الظن، حتى أنه لخبرٍ لا أصل له أمر بقتل تسعة وثلاثين من أولاد

---

(١) بره : قمحه .

السلاطين الصفوية . وما زال به الوسواس حتى أورثه خبلاً وجنوناً . وقال (مُلّا على حزين) إنه بلغ به الجنون إلى درجة أن كان ينهش لحم نفسه بأسنانه . وفي أثناء جنونه سمع الأفغانيون بحركة شاه طهماسب وتهيئه للإغارة فاضطروا أن يُجْلسوا أشرف على كرسي السلطنة في حياة محمود . فأبى قبول السلطنة ما لم يقتلوا محموداً قصاصاً، لأنه هو الذي قتل أباه مير عبداللّه، فقطعوا رأس محمود في سنة ١١٣٨ من الهجرة، وقدّموها إليه، فقبل السلطنة وأخذ بزمامها . وكان موت محمود عن سبع وعشرين سنة . وكانت مدة سلطنته ثلاث سنين .

ثم إن أشرف أخذَ يستقبح أعمال محمود التي صدرت منه في آخر عمره، ويبث التشنيع عليها في الملأ العام . ولتطييب نفوس الأهالي، وإستمالة قلوبهم، أخذ تاج الملك ووضعه على رِجْل شاه سلطان حسين وألحّ عليه في لبسه . فلم يرض الشاه بذلك، ورفَع التاج بيده، ووضعه على رأس أشرف وقال : «إني أخترت العزلة على العزة» وزوجه ببنته الثانية . ثم أراد أشرف أن يخدع شاه طهماسب فكاتبه يدعوه للملاقاة مبيناً له «أنه قد وقع الهرج في بلاد إيران، وتطاولت إليها يد الأعداء والأجنبيين فلنجتمع لنصلح ذات بيننا ونتعاضد على دفع العدو من البلاد» . وإذْ علم بذلك بعض الأمراء الإيرانيين الذين كانوا في خدمة أشرف كتبوا إلى طهماسب محذِّرين إياه من الإجتماع والإعتماد على قول أشرف . ولما استشعر أشرف بهذا أمَرَ بقتل بقية الأمراء الإيرانيين الذين تخلصوا من سيف مير محمود متعللاً بأنهم يراسلون عدوّه . وقبل موت مير محمود بقليل كان سلطان العثمانيين قد عقد معاهدة مع إمبراطور الروسية (بطرس الاكبر) على تقسيم الممالك الإيرانية التي لم تدخل في حوزة الأفغانيين، وطرد الأفغانيين من البلاد التي حازوها، وتسليمها ليد طهماسب، إن وافق على هذه المعاهدة . ولما أخذ أشرف بزمام السلطنة أرسل سفيراً إلى قسطنطينية فتفاوض مع علمائها في هذا الشأن وقال : «لا يليق بالسلطان أن يعاهد ملكاً نصرانياً على إقتلاع ملك مسلم سنّي» . فوافقه العلماء على ذلك إلّا أن الوزراء حاجُّوا العلماء وحجوهم حيث قالوا : «إن السلطان العثماني هو أمير المؤمنين

وخليفة رسول رب العالمين، وظلّ اللّه في الأرضين . ومن لم يكن له مطيعاً لأمره، ولم يخطب بإسمه ولم يعط الخراج، فهو عدوّ للدين . والجهاد فيه أفضل من الجهاد في النصارى» . فسكت العلماء لهذا البرهان الناشيء عن هوى الأنفس، ورجع السفير خائباً . وصدر الأمر لأحمد باشا الذي كان متسلطاً على (مراغة) و(قزوين) بسَوْق العساكر إلى أصفهان . ولما سمع أشرف بذلك أمر بحرق القرى . وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى أولا مع ألفين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من أصفهان، فقتلهم عن آخرهم، فوقع الرّعب في قلوب الأتراك لهذا الخبر . وأمر أحمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم . أما أشرف فقد بعث بأناس سراً ليسعوا في جمع قلوب الأكراد على ولائه وليذيعوا في المعسكر العثماني أن هذه الحرب مضادة للدين الحنيفي . وبعث بآخرين من العلماء جهراً إلى أحمد باشا ليستميلوا فؤاده إلى السلم ويبينوا له أن الصلح خيرٌ . فلم يسمع مقالتهم، بل أمر بسوق العساكر، وكانت ستين ألفاً يصحبها سبعون مدفعاً . ولم يكن مع أشرف سوى عشرين ألفاً يصحبها أربعون (زنبورك) . فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شر هزيمة بعد أن قتل منهم عشر ألفاً، وتركوا جميع أسلابهم وأدواتهم، وفرّ أحمد باشا إلى (كرمان شاهان) . وخوفاً من أن يتعقبه أشرف لم يقم فيه بل ذهب إلى بغداد، فاتخذ أشرف من ذلك فرصةً لاستمالة أفئدة العثمانيين، فكتب إلى أحمد باشا «إنني لا أحب التصرف في أموال المسلمين فأرسل أميناً من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الآلات الحربية» . وأطلق أسراء العثمانيين فأوجب ذلك إشتهاره عند العثمانيين بحسن السيرة . فالتزموا أن يصالحوه على أن يعترفوا له بكونه شاه إيران، وأن يعترف هو من سلطان قلبه بكون السلطان العثماني هو ظل اللّه في الأرضيين .

وأثر ذلك وقعت عدة مشاكل أحدها كون أخي[1] محمود نزع إلى الإستقلال في قندهار فتسبب عنه الشقاق في طائفة الغلجائي، وانقطاع المدد عن الشاه أشرف .

---

(١) يقصد شقيق محمود .

وثانيها كون الملك محمود السجستاني سمى نفسه شاهاً، وتغلب على غالب ممالك خراسان. وثالثها كون نادر المعروف بالشجاعة والعزم والشهامة قد إنضم إلى الشاه طهماسب وصار أميراً على عساكره في مدينة (استرآباد). وفي خلال هذه المشاكل سار شاه أشرف لفتح مدينة (يزد) فوفق لفتحها. وأرسل سفيراً بعد ذلك إلى الدولة العثمانية فقابله رجالها بكل تبجيل وتعظيم، فعدّ ذلك شاه أشرف فاتحة الإقبال. ولكن لم يطل زمن سروره، حتى بلغه أن نادراً جيَّش جيشاً من طرف طهماسب لإستخلاص مشهد وهرات من أيدي الأفغانيين العبدالية. فكان من الأمر أن تم له ذلك أستخلصهما واستفحل أمره في تلك البلاد، فاضطرب لذلك شاه أشرف، وأخذ يحشد العساكر، فجمع ثلاثين ألفاً، وسار بهم إلى بلاد خراسان، وتلاقى مع عساكر نادر بقرب دامغان، فهاجمها مرات متعددة، إلّا أن عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر نادر فانهزم ورجع إلى أصفهان. وأمر بجمع الأفغانيين، وعسكر في شمال المدينة بقرب (مودجه خوار) وحفر خنادق وأقام إستحكامات، فتوجه إليه نادر وكان في كل نقطة من سيره يزيد عساكره من الإيرانيين إلى أن وصل إلى معسكر أشرف فوجده في غاية المناعة. ومع ذلك أمر بالهجوم عليه وأظهر الأفغانيون غاية الجلادة والثبات. لكن لما كانت عساكر العدوّ أكثر عدداً، وأوفر عِدَداً، ظفرت بهم، وقتل من أبطال الأفغان أربعة آلاف، وتقهقروا إلى أصفهان. وعلموا علم اليقين أن لا مقام بها فباتوا ليلتهم يتأهبون للرحيل. وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة سالكين طريق شيراز. ويقال إن أشرف قبل خروجه من المدينة أرسل شاه سلطان حسين السيء البخت إلى وادي العدم. وبعد أشهر ساق نادر الجيش بأمر طهماسب إلى شيراز، فتلاقى هناك مع الأفغانيين المنكسري الخاطر، المجتمعين حول اصطخر. وبعد محاربة هينة تفرّقوا. وتقهقر أشرف إلى مدينة شيراز. ولما علم أن لا خلاص له خرج مع مائتي خيَّال قاصداً مدينة قندهار. وتفرّقت جموع الأفغانيين مع أمرائهم. وكان عددهم يبلغ عشرين ألفاً. وفي مسيرهم إلى بلادهم كانوا يكابدون المشاق من قلة الزاد ومعارضة الإيرانيين وسائر القبائل لهم بالقتل والنهب، حتى تلف

غالبهم، ولم ينجُ إلى بلادهم إلّا القليل .

وأما شاه أشرف فكان يقاتل مع القبائل إلى أن وصل إلى بلوجستان . فقابله أهلها بالقتل والسلب حتى لم يبق معه إلّا شخصان . ثم تلاقى معه ابن عبدالله خان بلوج، وعرفه، فقتله وبعث برأسه مع قطعة من الماس كانت معه إلى شاه طهماسب، وكان ذلك في سنة ١١٤٢ . وكان أشرف طيب السريرة، حسن السيرة، واسع الأخلاق، حميد الأوصاف عند الأفغانيين . وكان الإيرانيون أيضاً يفضلونه على محمود . وقد طالت سلطنة الأفغانيين في إيران سبع سنين، وقُتل فيها من الإيرانيين بمحارباتهم مليونان من النفوس . وبعد ما نال نادر السلطنة الإيرانية، ونزعها من أيدي الصوفية، جهز ثمانين ألفاً لفتح قندهار . ولما وصل إليها وجدها منيعة، لوقوعها إذ ذاك في إبط جبل يقال له (كوه قيطول) وكان محيطاً بها على هيئة نصف دائرة . وكان في الجهة التي لم يحطها الجبل أبراج منيعة . فارتأى نادر أن يبني مدينة بجانبها ليتمكن من الحصار . وبعد أن حاصرها سنة كاملة ولم يفز بالإفتتاح لوفور الذخيرة عند الأفغانيين أخذ سبيل المهاجمة . واستولى على بعض الأبراج، بعد كرّات عديدةٍ، ووضع عليه الأهوان[1] والمدافع، وسلّطها على المدينة فتماطرت الكلل عليها . فلم يجد أهل المدينة سبيلاً للسلامة سوى التسليم، ففتحوا الأبواب، ودخلت عساكر نادر في المدينة . ولم يحدث من دخولهم أدنى ضرر بالأهالي، لأن نادراً كان قد أعلن العفو عن الأفغانيين، تقريراً لما التزمه عند نيل السلطنة من دفع الرّفض، وتقرير الترضي، عن الصحابة . فإنه عندما طلب منه الإيرانيون أن يكون هو السلطان والشاه أبى ذلك وقال : «لا أقبل السلطنة حتى ترفضوا الرّفض وتترضوا عن الصحابة» فأظهروا له الرضاء وواثقوه على ذلك فقبل تاج الملك . ثم كاتب الدولة العثمانية «بأن الإيرانيين قد عدلوا عن سب الصحابة واطمأنوا للترضي عنهم . ولكن المذهب الجعفري من المذاهب المعتبرة عند أهل السنة فنؤمل أن تأذن

(١) الأهوان، جمع هاوُن، تقال للمدافع .

الدولة باقامة إمام للجعفريين في مكة المكرمة كما لسائر المذاهب» فامتنع شيخ الإسلام عن ذلك، وأغرى الدولة بعدم القبول.

وقد بقي الأفغانيون تحت سلطة الإيرانيين من زمن موت شاه أشرف إلى موت نادر شاه. ولما مات نادر شاه في سنة ١١٦١ قام أحمد خان العبدالي السدوزاي الذي كان في معسكر نادر شاه مع جموع من الأغانيين والأزبك، وهاجم الإيرانيين ونازلهم منازلة عنيفة ثم انعطف بغاية السرعة إلى قندهار واستولى عليها. ووضع يده على الأموال الخراجية التي كانت تحمل من كابل وبلاد السند إلى نادر شاه عند مرورها بقندهار. وبذلك قوي إقتداره فادعى الإستقلال، ولقب نفسه شاه أفغان، وسمى القبيلة العبدالية (دراني). ثم وجّه عساكره إلى هرات ومشهد وسجستان، وغيرها من بلاد خراسان، وافتتح الجميع. وكان في مكنته أن يفتح جميع بلاد إيران في ذلك الوقت. غير أنه رأى اشمئزاز نفوس الأهالي من الأفغانيين لما سبق لهم من الإساءات إليهم، وأن تغيير المذهب الذي حدث فيهم بواسطة نادر شاه لم يكن متمكناً منهم. فعلم أن إفتتاح تلك البلاد لا يعود بعظيم فائدة. واشتغل أولاً بتدبير داخليته، واكتفى بتخليص أمته وترك بعضاً من بلاد خراسان لإبن نادر شاه، قياماً بواجب حق أبيه عليه وتكفل له بحفظه. ثم لما رسخت قدمه في الملك ودان له جميع الأفغانيين ساق عساكره ست مرات إلى الأقطار الهندية. ونال الظفر في كل مرة خصوصاً في الواقعة التي وقعت بصحراء بني بتان (بالباء الفارسية فيهما) الواقعة بقرب مدينة دهلي. وكانت تلك الواقعة مع المراتيين من عبدة الأوثان الذين أعجزوا أعاظم السلاطين التيمورية في الهند. إذ كانوا يرومون نزع السلطة من أيدي المسلمين وعساكرُهُم. في تلك الواقعة كانت ثمانين ألفاً وعساكر أحمد شاه كانت ستين ألفاً نصفها من الأفغان. ولم يكن إعتماد أحمد شاه إلّا عليهم. فهزم بهم عساكر المراتيين شر هزيمة، ونكّل بهم تنكيلاً، حتى صارت هذه الواقعة سدّاً لسبيل فتوحاتهم. وانتشر له بهذه الواقعة أحسن ذكر بالبلاد الهندية. وكان ذلك مؤيداً له في فتوحاته الهندية فافتتح بلاداً كثيرة كبنجاب وكشمير وسِنْد وما يتاخمها من

البلدان . ثم فتح بلوجستان ومكران وبلخ وغيرها . وخضع له بعد ذلك سائر الأمراء الكبراء الذين كانوا على مقربة من بلاده، وصار بتدبيره وحكمته متسلطاً على مملكة عظيمة. وكان رجال مملكته من الغنى والثروة بمكان، إلّا أن مالية الحكومة كانت فقيرة، فإن خراج أقطار كابل وقندهار قد وهبه لأمراءِ القبائل الأفغانية، ولم يكن يطلب منهم على ذلك عوضاً سوى الطاعة والإنتظام في سلك العسكرية .

وكان هذا السلطان العظيم الشأن من قبيلة (السدوزاي) على ما تقدم، وهي القبيلة التي كان الأفغانيون يجلّونها، وينظرون إليها بعين الإعتقاد . وكان مع ذلك شجاعاً ذا عزمٍ وحزمٍ، وتدبير محكمٍ، وسداد رأيٍ، وعلمٍ وحكمةٍ، وسعة أخلاقٍ، وطيب نَفْسٍ، وعدلٍ وإنصافٍ، ورحمةٍ بالضعفاء، وعنايةٍ بشأن الرعية وإصلاحها . ومن أجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عموماً مع إختلافهم في الأجناس والمشارب، ومن قلوب الأفغانيين خصوصاً، حتى أنهم كانوا يعتقدونه من المقرّبين إلى اللّٰه، ويعدونه أباً لعموم الأفغانيين، ومن ثم لقبوه بـابا وهـو إلى الآن يُعرف عندهم بهذا اللقب، إذ يدعونه أحمد شاه بابا . استقرّ عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن، ولكن لما كانت العلة الحقيقية لثبات الملك والسلطنة هي حكمته وتدبيره، ولم يكن في عقبه من يكون على مثل حاله وقعت المملكة بعد موته في إرتباك واضطراب . وكان وفاته سنة ١١٨٥ وقيل سنة ١١٨٧ بعد ما قضى من العمر خمسين سنة .

وكان وقتئذٍ ولده تيمور في مدينة (هرات) فلما سمع خبر الوفاة جمع العلماء والرؤساء وقواد العساكر وخاطبهم قائلاً : «إن أبي وهو في حال حياته قد جعلني وليّ عهده . غير أن وزيره أغراه وهو في الإختضار بخلعي من ولاية العهد، وتولية أخي سليمان، بدلاً عني . وهو الآن تُضرب له طبول السلطنة في قندهار، وقد وضع يده على خزانة والدي، وعظمت بذلك قوّته، واشتدّ بأسه، فهل فيكم من يؤازرني على استرداد حقي المغتصب ؟» . فصرخوا خافضين له جناح الخضوع، وقالوا

بأجمعهم: «إن السواد الأعظم معك وكلنا بين يديك وعلى أهبة لتنفيذ أغراضك». ثم اجتمعوا في مزار «خواجة عبدالله الأنصاري» وقام الشيخ يحيى العالم المشهور إذ ذاك، وقلده سيف السلطنة. وخضع له جميع الأفغانيين، واستعان بهم على أخيه حتى ظفر به وسجنه في قفصٍ، ولبث في السجن زمن سلطنة تيمور إلى أن مات فيه. وكانت وفاته سنة ١٢٣٣. ثم قتل وزير أبيه الذي كان قد سعى في خلعه. ثم ساق الجيش إلى هندستان وكشمير ولاهور وألجأ من نبذ طاعة الأفغانيين إلى الدخول في طاعتهم. وبعد ذلك ببضع سنين قلد ولده الثاني (محمود) ولاية هرات، ونقل كرسي السلطنة من قندهار إلى كابل، وجعل المتصرّف فيها ولده الثالث (زمان) وقد كان هذا الولد على جانب عظيم من مكارم الأخلاق. واتفق في تلك الأيام أن شاه مراد بك أمير بخاري أغار على مدينة مرو فدّمرها، وأسر جميع أهلها، وكانوا على مذهب الشيعة، فاستغاثوا بتيمور شاه فهمّ لإستنقاذهم. ولكن حال بينه وبين ذلك فيض الله أحد القضاة حيث أفتى بأنه لا يجوز لسنيّ أن يسعى في خلاص شيعيّ. (فاعتبروا يا أولي الألباب). وتوفي تيمور بكابل ليلة الثامن من شوال سنة ١٢٠٧ وماتت راحة الأفغانيين بموته. وكان حسن السيرة، لين العريكة، محباً للسلم. ومن أجل ذلك قد نبذ طاعته بعض أمراء البلدان. وكان له من النساء ثلاثمائة من الحلائل، ليس فيهن أفغانية. وخلف أثنين وثلاثين ولداً.

ولما سمع همايون، وهو في قندهار، خبر وفاة والده، قام في قومه برسم السلطنة، وحشد الجنود، وتوجه بها إلى كابل، ليستولي عليها. فبلغ ذلك أخاه زمان فخرج لمقابلته بجيش جرّار فتلاقيا، واحتدم القتال بينهما في (كلات الغلجاي). غير أن همايون لم يثبت أمام أخيه، بل فرّ إلى هرات، والتجأ بأخيه الآخر محمود، والتمس منه أن يعينه على زمان فلم يجبه. ولما آيس منه ترك هرات، وسلك طريق قندهار، واتخذ له مقاماً بين المدينتين. فاتفق أن قافلة كانت تأتي من قندهار إلى هرات فاعترضها همايون وقتل رجالها، وسلب أموالها، واستعان بها على حشد جيش، ليعاود قتال أخيه زمان. فبلغ ذلك حيدر ابن زمان، فخرج لصدّه، فلم يقوَ عليه، بل

انهزم . ودخل همايون مدينة قندهار، وعامل أهلها بالخشونة، وعـذّب تجـارها، ونهب أموالهم، وَجَيَّش بها الجيوش . ولما سمع بذلك زمان شاه ساق جـيشه نحـو قندهار، وأخذ في الحملة على همايون . وكانت الدائـرة عـليه، فَـفرَّ إلى (مـلتان) وقاومه واليها حتى هزمه، وقتل ولده، وأخذه أسيراً، وبعث به إلى زمان شاه فأمر بسَمْل عينيه . وبالجملة إن زمان شاه بمعونة القاضي فـيض اللّـه وبـاينده خـان، وبمساعدة البخت، قد خلص له الملك بعد أبيه، واتخذ رحمة اللّه خان وزيراً له، مع أن الأمراء نصحوه بعدم توليته هذا المنصب، فلم يسمع نصائحهم، ولزم من إقامته فيه فسادٌ على ما نبينه . وقد نفذت سلطة زمان شاهن في البلاد التي كانت تحت سلطة آبائه كسند، وكشمير، وملتان، وديره، وشكار بـود، وبـلخ . ثم سـار بـنفسه إلى قندهار. وفي أثناء ذلك قام أخوه محمود في هرات، وادعـى الإسـتقلال، وحشـد العساكر، وسيّرها نحو قندهار . فلما أحسّ بذلك زمان شاه خرج مـنها، وتـوجه لمقابلته، فتلاقيا بين كرشك وزمين داود . فطلب زمان شاه أولاً المصالحة من أخيه محمود، فأبى إتكالاً على قوته، فاشتعلت نيران الوغي بـين العسكـرين، وانجـلت بهزيمة محمود ، ففرّ إلى هرات . ووقع كثيرٌ من أمرائه في الأسر، وخزينته في قبضة عساكر أخيه . وبعد هذه الواقعة وقعت المصالحة بينهما على شرط أن تكون هرات وفره تحت إمرة محمود، وأن تقرأ الخطبة، وتضرب السكة فيهما بإسم شاه زمان، ثم توجه الشاه إلى كابل . ومن كابل إلى لاهور . وتسلط عليها وعلى الممالك القريبة منها . وعادت تلك النصرات على عساكره بالثروة والغنى .

وبينما هو في نواحي لاهور إذ بلغه أن محموداً نقض المـعاهدة، ويـريد فـتح قندهار، فأسرع بالرجوع إليها . ومنها توجه إلى هرات . فلما سمع بذلك محمود جمع عساكره، وخرج من هرات لمقابلته إلاّ أنه بلغه أن الأمراء الذين تركهم في مدينة هرات قد أثاروا الفتنة فيها، ونزعوا لتسليمها بغْضاً في وزيره لكوْنه شيعياً فاضطر للرجوع . ولما دخل المدينة قام عليه (قلج خان) الذي كان رئيس أويمق (طائفة من الترك) مع فرقة من عساكره، وأظهروا العصيان . فأرسل وزيره الشيعيّ ليستميلهم،

فحبسوه أَبَوْا إلّا العدوان . وفي هذه الحالة سمع أن قيصر ابن شاه زمان قرب من المدينة، فلم يجد محيصاً من الهرب فخرج مع إبنه كامران وفرّ إلى بلاد العجم . والتجأ إلى فتح علي شاه جد هذا الشاه الموجود الآن[١] . فدخل قيصر مدينة هرات بلا ممانع، ثم حلّ بها شاه زمان أبوه، وجعله والياً فيها . وبعد مدة رجع محمود إلى نواحي هرات، وجمع بعضاً من العساكر لفتحها، إلّا أنه لم ينجح، بل انهزم . وحيث لم تطب نفسه بالرجوع إلى فتح علي شاه ذهب إلى أمير بخاري (شاه مراد) وبعد أن لبث عنده ثمانية أشهر إستأذن منه في الذهاب إلى خوارزم ثم توجه من خوارزم قاصداً فتح علي شاه سلطان إيران مرة ثانية . وبعد ما قضى مدة من الزمن عنده إستعان به على تجهيز جيش جرّار وساقه إلى قندهار فدخلها بدون ممانعة . ثم إتصل به فيها فتح محمد خان ابن باينده خان، وساق معه الجيوش إلى كابل . فلما سمع بذلك شاه زمان خرج لملاقاتها . ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة، أريقت فيها دماء غزيرة من الطرفين، وانتهت بهزيمة شاه زمان، ووقوعه أسيراً بيد أخيه شاه محمود، فأمر بسمل عينيه، وقبض على وزيره رحمة اللّٰه خان الخائن، الذي قد كان لطمعه في السلطنة أغرى شاه زمان بقتل جميع الأمراء، وفيهم باينده خان أبو فتح محمد خان الذي اتصل بمحمود . فأمر محمود بتجريد هذا الوزير الشرير من ثيابه وإلباسه ثوباً من حصير، وإشهاره في المدينة على حمار، ثم بقتله بعد ذلك .

ولما لم يقوَ قيصر ابن شاه زمان على مقاومة عمه، ترك مدينة هرات لفيروز الدين شقيق محمود، والتجأ إلى شاه إيران فتمت السلطة لمحمود وتسلط على كرسي كابل . ولما كان محمود يميل إلى مذهب الشيعة نفرت منه قلوب السنيين فتحرّك عرق حميتهم وثاروا عليه ثم خذله الشيعيون أيضاً . وأَجْمَعَ أمر الجميع على إعناته فألقوا القبض عليه، وحبسوه في (بالاحصار) وأخرجوا شاه زمان الأعمى من الحبس ليحكم فيهم إلى أن يصل إليهم شاه شجاع . وبعد خمسة أيام قدم شاه شجاع من

---

(١) أي جد ناصر الدين شاه والد جلالة مظفر الدين شاه إيران الحالي (هامش ناشر الطبعة الثانية) .

البنجاب، فأخرجوا محموداً من السجن، وقدّموه إلى شاه زمان ليقتص منه، فعفا عنه رحمة به، وأمر بردّه ليحبس في بالاحصار. وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرّار إلى كشمير لتأديب واليها عطا محمد خان ابن شير محمد خان، حيث بلغه عصيانه. فلما وصل إلى مدينة مظفر آباد بقرب كشمير، وافاه سفير من قبل عطا محمد ليعتذر للملك عن عصيانه، ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهده. وبينما هو في الطريق إذ بلغه أن محموداً ومن كان معه من الأمراء في الحبس ذبحوا حرس القلعة، وفرُّوا، والتحقوا بفتح خان، الذي كان مسجوناً في قندهار وتخلص من سجنها، واتصل بكامران ابن محمود وهو وقتئذٍ في نواحي الأراضي الأفغانية، وأنه قد وقع لذلك اضطرابٌ شديد في مدينة كابل. فلما ورد شاه شجاع المدينة وشاهد القلق المستولي على أهاليها تأسف بذلك أسفاً عظيماً. وبعد إجتماع محمود وإبنه وفتح خان ذهبوا إلى هرات ليستعينوا بالأمير فيروز الدين السابق ذكره، وإلى تلك المدينة، فقابلهم بكل احترام، وقدّم إليهم هدايا وألبسة فاخرة، إلاّ أنه لم يأذن لهم بدخول المدينة، وأبى مساعدتهم. وأبدى لهم عن ذلك أعذاراً فانقلبوا راجعين. وفي أثناء رجوعهم صادفوا قافلة آتية من هرات إلى قندهار وأخرى من قندهار إلى هرات فأجمعوا أمرهم على أن يقطعوا سبيل هاتين القافلتين، ويسلبوهما، وقد فعلوا. وبعد أن تمت لهم الغنيمة جهزوا أربعة آلاف خَيّال لفتح قندهار. فلما اقتربوا منها برز إليهم واليها عالم خان بعساكره. وكانت مقتلة عنيفة انتهت بأسر عالم خان. وبعد مدة يسيرة افتتحوا المدينة، واستولوا عليها. ثم بعد مضي زمن جهزوا مائة ألف، وساروا بها لمحاربة شاه شجاع فالتقى الجمعان في قزنه. وبعد ملحمة مهولة تقهقر شاه شجاع، وفرّ إلى كابل. وحيث لم يكن على ثقة من الأهالي، ولم يركن إليهم فبارح المدينة متوجهاً إلى بيشاور، بعد أن ترك فيها الأمير حَيْدَر ابن شاه زمان. وبذلك تمّ الظفر لمحمود فدخل، واستولى على عرش الملك، وأبدى لرعيته علائم الشفقة والرحمة، وقلد فتح خان منصب الوزارة، وفوَّض إليه مهام أعمال السلطنة، وأطلق له التصرف ونصب إبنه كامران

والياً على قندهار. ثم إن فتح خان أقام جميع إخوته ولاة في الممالك الأفغانية.

وفي خلال تلك الوقائع قتل كامران قيصر الذي أسلفنا خبر هربه إلى إيران. وكان عَوْده لما سمع أن عمه شاه شجاع صار سلطاناً. وبعد مدة طرد شاه شجاع من بيشاور فراسل عطا محمد والي كشمير يطلب منه أن يمدّه بالدنانير والدراهم. فأجابه عطا محمد «بأنك إن بعثت ما لديك من الجواهر رهناً أرسلت اليك ثلاثين لَكْ روبية» (كل لَكْ منها يساوي عشرة آلاف جنيهاً) ولم يكن عند الشاه من الجواهر سوى جوهرة كبيرة تسمى (درباي نور) أي بحر النور فقدّمها لعطا محمد فأرسل إليه خمسة عشر لكاً. ووعده بارسال الباقي. فجهز شاه شجاع جيشاً، ورجع به إلى بيشاور ليسير منها إلى مدينة كابل. فلما بلغ محموداً خبره أخرج شاه زمان من السجن وخاطبه قائلاً له: «إن المملكة قد حاق بها الضرر، وآلت إلى الخراب، وأريقت دماء المسلمين هدراً. فهلموا بنا نستبدل الشقاق بالإتفاق، ونشتغل فيما يعود على المملكة بحسن العاقبة وعليّ أن أقوم بجميع واجباتكم وإنزال كل واحد منكم منزلة لائقة به، وأطلق جميع الأمراء المحبوسين من قيودهم وعليكم أن تراعوا مكانتي نظراً لكوني ابناً بكراً لأبينا».

ولما سمع شاه زمان هذا الخطاب بعث يخبر به أخاه شاه شجاع. فلما وصل إليه الكتاب اتخذه وسيلة لتهديد عطا محمد إذ كتب إليه: «إن لم تعني بالمال والرجال لأتفق مع أخي على قلع أساسك» فاهتم لذلك عطا محمد، وجهز خمسة آلاف وسار بها إلى بيشاور. ففرح لذلك شاه شجاع ظناً منه أن عطا محمد قادمٌ لإمداده. ولكنه أضمر غدراً، وفاجأ الشاه بتلك المدينة، وقبض عليه، وأخذه أسيراً في قفص إلى كشمير، واجتهد في تحصينها، وكاتب حكومة الانكليز في الهند للإتفاق معه على أن يجهزْ جيشاً لحرب رنجيت سنك الوثني[1] الذي اغتصب في أثناء تلك المناوشات

---

(١) هو من أتباع بابا نانك الذي نبغ في الزمن الأخير بين عبدة الأوثان، ووضع كتاباً منتخباً من مؤلف جارويد الكتاب السماويّ المقدس مسمياً إيّاه «كريت». وهذا الانسان قد جوّز أكل اللحوم خلافاً لغيره من عبدة

الأهلية بعض البانجاب من بلاد الأفغانيين، وتخليص البلاد التي استولى عليها، وتركها بقبضة الانكليز بشرط أن تعضده إن قصده محمود بسوء . فوقعت المكاتبة بيد جواسيس رنجيت سنك وقدّموها له فبعث بها إلى محمود طالباً منه أن يتحد معه في الهجوم على عطا محمد فجهز كلٌّ منهما جيشاً وفاجآه فأخذاه أسيراً . إلّا أن محموداً قد عفا عنه، وخلص شاه شجاع من الأسر، أقام فتح خان الوزير أخاه عظيم خان ولياً على كشمير . واستصحب رنجيت سنك شاه شجاعاً، وذهبا إلى مدينة لاهور .

ثم بعد مضي سنتين شرهت نفس رنجيت سنك للإستيلاء على كشمير، فُجهز ثمانين ألفاً من عبدة الأوثان البابانا كيين، وسار بها إلى تلك المدينة . ولم يكن عند عظيم خان سوى عشرة آلاف من المسلمين، فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي، فأحدقت بهم العساكر الكامنة من الجهات الأربع، وأوقعوا بهم قتلاً وأسراً. فكان عدد من قتل وأسر أربعين ألفاً وفرّ باقي العساكر إلى بلادهم، ناجين بأنفسهم من العناء والمشقة، فانفعل لذلك رنجيت سنك، وكتب يستعطف محموداً ويعتذر إليه مما فعل قائلاً : «إن الذي أغراه على ما فعل إنما هو شاه شجاع» . ولما استشعر بذلك الشاه همّ بمفارقة لاهور فطمع رنجيت سنك في مجوهراته، فأبى أن يسلمها إليه على وجه الملكية بل أعطاه إياها على سبيل الأمانة . وكان من جملتها درباي نور (وأظن أنها هي التي أصبحت الآن درّة تاج بريطانيا) . ثم فرّ ليلاً والتجأ الى الحكومة الانكليزية، فتأسف رنجيت سنك لذلك، وكتب إليه يستميله إلى الرجوع . فلم يطب به نفساً، فردّ عليه مجوهراته . وأما الانكليز فانهم عدُّوا التجاء الشاه إليهم من أسباب حظهم فأكرموا وفده .

وفي تلك الأوقات تحركت عزيمة شاه زمان الأعمى، الذي كان موقراً عند العلماء والأمراء للسفر إلى بلخ قاصداً زيارة قبر هناك مشهور بأنه قبر سيدنا علي

الأوثان، ونهى عن وضع الأصنام بمعابدهم، مشيراً إلى وجوب الاعتياض عنها بكتابه المذكور . (أهـ . المؤلف) .

(رضه) فبلغها، وسافر منها إلى بخارى، فقابله أميرها «مير حيدر» بالتعظيم والإجلال، وتزوج بابنة الشاه. ثم سافر من بخارى إلى طهران، فأكرمه فتح على شاه مزيد الإكرام، وزوّده. ثم شخص إلى بغداد، وكان واليها إذ ذاك داود باشا المشهور، ومنها قصد الحج، فمات في الأقطار الحجازية.

وفي خلال تلك الحوادث سنة ١٢٢٢ من الهجرة أزمع حاجي فيروز الدين الذي كان والياً في هرات من طرف أخيه محمود أن يفتح خراسان معتمداً على همة (صوفي الإسلام) البخاري الذي هو من الصوفية الجهرية، وقد كان ترك بلاده خوفاً من «بيك بان الأزبك» وكان أيضاً يزعم أن الوحي ينزل عليه وأنه يقدر على خرق العادات طامعاً أن يرتقي بأنفاسه الباطنية إلى عرش السلطنة. فجهز خمسين ألفاً من قبائل هرات وقندهار واندخود وكندز وميمنة وفارياب، وسار بها إلى قلعة شكيبان. فلما أحسَّ بذلك نائب خراسان محمد خان فاجار جهز جيشاً لمقابلته. فلما تقابل الجيشان على بُعد سبعة فراسخ من هرات اشتعلت نيران الحرب بينهما، حتى فني كثير من الحزبين، وقتل صوفي الإسلام المذكور، وكان في قلب المعسكر داخل هودج مزركش محاطاً بثلاثمائة وستة وستين من خُلَّص أتباعه بعد ما قتلوا جميعاً. فعند ذلك تقهقرت عساكر فيروز الدين إلى هرات. وأما عساكر محمد خان، فقد أحرقوا جثة صوفي الإسلام، وأرسلوا جلدة رأسه بعد سلخها، وحشوها تبناً إلى فتح علي شاه. (هذا جزاء من أوقع الفتنة بين طائفتين من المسلمين حتى سفك بعضهم دم بعض، حيث غرّهم وأوهمهم بمشيخته وتمويهاته وإدعائه الكاذب أنه ممن ينتهي إليهم زمام التصرّف في عالم الكائنات، بما ينطوي عليه من القوة الآلهية والأسرار الربانية).

وبعد إنهزام فيروز الدين اضطر إلى أن يرسل إلى الشاه هدايا فاخرة، استمالةً لقلبه وإتقاءً لضرره، بكف عساكره عنه. وقد تعهد أيضاً أن يقدم إلى سدّة الشاه كل سنة جزءاً وافراً من الخراج. وكان فيروز بعد هذه المصالحة مع الإيرانيين بين إقدامٍ وإحجامٍ، ومحاربةٍ ومصالحةٍ، وتسننٍ وتشيعٍ، إلى أن اشتدّت المنافسة بينه وبينٍ

حسن علي ميرزا ابن فتح علي شاه والي خراسان. وخاف من إغارته على بلاده فأرسل سفيراً إلى أخيه شاه محمود يستمد منه، فعدّ ذلك محمود وسيلة للإستيلاء على مدينة هرات فأرسل وزيره فتح محمد خان بجيش جرّارٍ. ولما وصل إلى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل أمره أن يتوجه لأخذ غوريان من يد الإيرانيين، إلّا أن فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده بدخول مدينة هرات فلم يَرَ بدّاً من إعمال الحيلة لأخذها، فأرسل إلى فيروز يطلب منه القدوم إلى المعسكر ليستشيره. فلما خرج إليه قبض عليه وأرسله مع أهله أسيراً إلى قندهار ودخل المدينة وأقام بها، وجهز أخاه كهندل خان لتسخير غوريان، ونشر مكاتيب في بلاد خراسان يدعو بها رؤساء القبائل للإتحاد معه على محاربة الإيرانيين.

ولما سمع بذلك حسن علي ميرزا أرسل جيشاً لمحافظة تلك البلدة. ولما حصل التقاوم بين المدافعين والمهاجمين جهز فتح خان جيشاً كبيراً من أهالي قندهار وهرات وبلوجستان وسجستان وقبائل جمشيدي وهزاره وفيروز كوهي، وسار به مصحوباً بالمدافع والزنبورك لتسخيرها وسائر بلاد خراسان الباقية تحت سلطة الإيرانيين. وعند وصوله إلى كوسيه بلغه أن حسن علي ميرزا وصل بعساكره إلى «كافر قلعة» لمقاومته. وكان بينهما إذ ذاك فرسخان. فأرسل إليه سفيراً يطلب منه تسليم غوريان، ويهدّده بالحرب قائلاً: «من ذا الذي يدري عاقبة الحرب أهي لك أو عليك؟ وربما أوقعك كبرك وإشمئزازك الناشئان عن رؤيتك نفسك ابن سلطان في أمرٍ يوجب تزلزل سلطنة أبيك» فأجاب حسن علي ميرزا على لسان سفيره: «بأن سيدك محموداً المتربي بنعمة الشاه لا يليق به أن يتكلم بمثل هذا الكلام، فضلاً عن خائنٍ مثلك قد حارب ساداته السدوزائية».

فلما رجع السفير خائباً ساق فتح خان عساكره إلى كافر قلعة، ووقعت بين العسكرين محاربة مهولة، قُتل فيها جمٌّ غفيرٌ من الفريقين، حتى إذا كاد أن ينهزم العساكر الإيرانيون أصيب فتح خان برصاصة في فمه، فتقهقر إلى هرات، فاضطرب شاه محمود وولده كامران اللذان كانا وقتئذٍ في المدينة. فأرسل ملّا شمس مفتي

هرات وخان ملاخان (أي شيخ الإسلام) إلى فتح علي شاه ليخبراه أن هذه الجراءة من فتح خان، ولم تكن بعلم من محمود، وليستعطفا قلبه إليه. ولما أطلع الشاه على فحوى السفارة خاطب السفراء قائلاً: «إني لا أرضى من شاه محمود إلّا أن يبعث إليّ فتح خان أو يسمل عينيه». ولما أحاط كمران بذلك علماً حمله الجبن وضعف النفس وقلة العقل على سمل عيني هذا البطل الشجاع الذي أقعد أباه على كرسي السلطنة وحبسه مع أخيه «شيردل خان» وفرّ (دل خان) أخوه الثاني من هرات إلى قرية «نادر علي»، وتحزّب مع جماعة من الغلجائي على كامران ليخلص أخويه. وعند سماع كامران هذا التَحزُّب أمر بإطلاقهما، جبناً منه وضعفاً.

ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل إلى مسامع أخيه الثالث الشديد البأس «عظيم خان» والي كشمير، أرسل أثنين من إخوته، وهما «دوست محمد خان» و«يار محمد خان» إلى بيشاور لطلب شاه زاده أيوب أخي محمود ليقلداه السلطنة، وقد فعلا، ونادبا باسمه، ودخلا في حدود «جلال أباد» وهجم دوست محمد خان على كابل، وافتتحها، وأرسل أيضاً أخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع الذي كان مُقيماً في البلاد الهندية التي كانت تحت سلطة الانكليز. فجاء شاه شجاع المذكور وحارب «سمندر خان» والي دره، وغلبه. وبالجملة فقد قام إخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً، واتحد كل واحد منهم بواحد من أبناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً، وداروا بهم في البلاد الأفغانية شرقاً وغرباً، وقلعوا أساس ملك محمود ولم يبق في يده سوى قندهار وهرات، ثم انتزعوا الملك من أبناء تيمور، واستقل كل واحد في ولايةٍ من ولايات أفغانستان. كل ذلك أخذاً بثأر عيني أخيهم.

ثم بعد زمن قليل استولوا على قندهار ونزعوها من يد محمود أيضاً فانحصرت سلطة محمود على هرات ونواحيها. وفي سنة ١٢٤١ ساء ظن محمود بابنه وتفرّس منه العصيان وخاف منه أن يقبض عليه فخرج من هرات، وجمع بعضاً من قبائل «فراه» وتوجه لمحاربته، فاضطر إبنه للإلتجاء بحسن علي ميرزا، والاستغاثة

به، فأغاثه فغلب أباه وهزمه . وأعدّ كامران أي الإبن المذكور بعد هذه الواقعة مأدبة فاخرة في هرات دعى إليها حسن علي ميرزا وسلمه مفاتيح خزائنه .

وفي أثناء هذه الفتن استفحل أمر رنجيت سنك الوثني الذي سبق ذكره حتى استولى على ولاية كشمير على غيبة من محمد عظيم خان واليها، حيث ذهب إلى كابل لزيارة أخيه دوست محمد خان . وفي سنة ١٢٤٥ أرسل كامران سفيراً إلى الشاه ليستعين به على أبيه محمود ثانياً، فصادف وصول السفير إلى إيران وفاة أبيه بمرض الوباء . وتلاقى هذا السفير مع فيروز الدين الذي ذكرنا أنه حبس في قندهار، وكان قد هرب منها إلى إيران في فتنة فتح خان، فاتفق معه على خلع كامران وإجلاسه على كرسي هرات، وأغراه بأن يستعين بالشاه على ذلك . وبعد ما أبرما أمرهما، وجهزا بعضاً من الجيوش، وقفلا إلى هرات، وقعت في أثناء الطريق منازعة بين خدم فيروز وبعض الإيرانيين، فخرج لمساعدة خدمه فقتله الإيرانيون على غير علم منهم .

وفي سنة ١٢٤٨ عزم عباس ميرزا على أن يفتح هرات فأرسل إبنه محمد ميرزا مع عسكر جرّار، اليها . ووقعت محاربات شديدة آلت إلى محاصرتها . وكان سفير الانكليز (مستر كميل) وقتئذٍ قد سعى سعياً بليغاً لمنع هذه المحاربة، ولكن خاب مسعاه . وبينما كان محمد ميرزا محاصراً لتلك المدينة إذ بلغه موت أبيه، فرأى من المصلحة أن يطلب المصالحة مع كامران، فوقع هذا الطلب عند كامران موقع القبول، وحوّل أمر المصالحة على وزيره (يار محمد) الذي كان إذ ذاك محبوساً عند الإيرانيين في مشهد . فعقدت المصالحة على أن تضرب السكة في هرات باسم فتح علي شاه، وأن يدفع له كامران في كل سنة خمسة عشر ألف تومان .

ولما علم الانكليز أن دخول الممالك الأفغانية في حوزة الإيرانيين يستعقب زوال سلطتهم في الهند جهزوا شاه شجاع، وأيدوه بعساكر من لدنهم، وأوعزوا إلى رنجيت سنك الوثني وأمير السند «مير غلام علي خان» بتأييد شاه شجاع فَلَبّيا دعوتهم، وإن لم يكونا تحت سلطتهم، فأيداه وعزّزاه بالعساكر، حتى تمّ له من

العساكر نحو ثلاثين ألفاً وتقدم بهم إلى قندهار من طريق بنجاب، فقابله كهندل خان وإخوته وقاتلوه، فهزموه شر هزيمة، وفرّ إلى هرات، واستنجد ابن أخيه كامران، فأبى. وبعد معاناة مشاق كثيرة وصل إلى بلوج ومنها إلى الهند. (والحاصل أن شره تيمور شاه وإنهماكه في الشهوات، وحرصه على اللذات، وكثرة أولاده من أمهاتٍ مختلفةٍ، أوجب سلب الراحة، وزوال الأمنية عن الأهالي، وسفك دماء ألوف من الناس، وحرص كل من أبنائه على الملك تسبب عنه حرمان الجميع).

وفي سنة ١٢٥٠ عزم كامران على فتح سجستان. فالتجأ أميرها إلى محمد شاه ابن عباس ميرزا فاتخذ الشاه ذلك وسيلة إلى فتح هرات فجهز جيشاً وسار إليها، وحاصرها زمناً طويلاً. وكان الأفغانيون يخرجون من الحصار، ويهاجمون عساكر الشاه ببسالة غريبة. ولما اشتدّ الأمر على كامران أرسل إبنه نادر ميرزا إلى «ميمنة» و«شبر فان» ليدعو الأزبك وهزاره، فأجابوه دعوته، وجهزوا جيشاً عظيماً، وساقوه، إلى هرات لرفع الحصار عنها، ووقعت بينهم وبين عساكر الشاه محاربات كثيرة قتل فيها جمعٌ كثير من الطرفين، ثم استظهرت عساكر الشاه عليهم فاضطرب لذلك كامران. واستشار وزيره في أمره، فانحطّ رأيهما على المناداة بالحرب الدينية. فتوسلا بمُلّا عبدالحق أحد علماء هرات العظام، فقام يوم الجمعة، وأذَّن في الناس بالجهاد الديني، فلباه أهل المدينة وسكان القرى القريبة منها. فأغتسلوا غسل الجمعة وقصوا أظافرهم، ولبسوا أكفانهم، وخرجوا يهجمون على اعدائهم، وأوقعوا بهم، وقتلوا كثيراً من أعيان الإيرانيين إلّا أنهم لم يقدروا على إجلائهم فرجعوا إلى البلد.

وبعد أن طال زمن الحصار توجه سفير الانكليز (مكنيل) من طهران الى المعسكر. وبعد أن تقابل مع الشاه، ورأي أن إفتتاح المدينة قد قرب، وفي علمه أن ذلك يوجب إنقياد الأفغانيين وإتحادهم معه، وفيه من المضرّة بسلطتهم في الهند ما لا ينكر، قال للشاه: «دعني أدخل المدينة، وأرضي كامران بالتسليم» فأذن له الشاه ظناً منه أنه صادق فيما يدعي. فلما دخل المدينة، ولاقي كامران أخذ في تشجيعه

وتثبيته، وقال : «لا يصح لك أن تسلم أصلاً وإنك إن تَثَبَّتت قدماك زمناً ما نرسل لك المدافع والبنادق والذخائر» وأوثقه على ذلك، ثم خرج، وقال للشاه : «إنني كلما هدّدته هو وعساكره أو رغَّبتهم، لم ينجع مقالي فيهم، ولم يرهبوا لتهديدي، ولم يطمعوا لترغيبي ...» . وبعد ذلك أمر الشاه بجمع النحاس الموجود في المعسكر، فعملوا منه مدفعاً كبيراً هائلاً، ورفعوه على تلٍ عالٍ، وسلّطوه على المدينة، وأخذوا في إطلاقه فاشتد البلاء على من فيها مع شدّة القحط والغلاء، حتى أنهم أخرجوا من الضعفاء والفقراء نحو أربعة عشر ألفاً، فأرسل كامران سفيراً لعرض التسليم . ولما إستشعر بذلك سفير الإنكليز اضطرب، وأرسل إلى كامران سرّاً يطلب منه التثبت، ويعده بأنه سيرفع هذا البلاء عنه، ثم ذهب إلى الشاه وقال له : «إن بين انكلترا ودولتكم مودّة، وإن فتح هرات يستوجب ثوران الفتنة في الهند، فأرجو منكم أن تكفوا عنه». فلم يقبل رجاءَه .

ولما سئم الشاه من طول المحاصرة، ركب جواده، وتقدم أمام العساكر، ونادى فيهم بالهجوم على المدينة، فهجمت العساكر دفعة واحدة، واطلقت المدافع عليها، فتهدّم كثير من أسوارها، وكادت تفتح، لولا أن السفير الانكليزي تقدم إلى الشاه وقال : «إننى أتوسل إليكم أن تأذنوا لي في الذهاب إلى المدينة ثلاثة أيام حتى آتي بكامران ووزيره وأسلمها لكم بدون سفك دماء وسلب أموال . ولمجد انكلترا لا تردّوا رجائي هذا» . فأذن له الشاه بذلك لمجد انكلترا . ولما اتصل بكامران وشيعته أعطى لهم خمسة آلاف جنيهاً، وقال : «إن الحرب قد وضعت أوزارها ثلاثة أيام فأقيموا ما انهدم من الأسوار وتثبتوا إلى أن تأتي مراكبنا من خليج فارس» ولما اطلع الشاه على ذلك طرده من المعسكر . وبعد ذلك احتدّ الشاه واضطرمت نيران غضبه وأعاد الهجوم على المدينة . وحمى وطيس الحرب، وثبت الأفغانيون في المدافعة . وبلغ من أمر الإيرانيين أن كانوا يصعدون إلى رأس القلعة والأفغانيون كانوا يدافعونهم عنها وكثرت القتلى بين الطرفين .

وفي أثناء تلك الملحمة جاءت مراكب الانكليز في خليج فارس، واستولت

على جزيرة خارق، فلما بلغ الخبر مسامع الشاه، رأى من الأولى به أن يترك المحاصرة، ويشتغل بمدافعة الأنكليز عن بلاده. وكان سائر مأموري الانكليز مدة المحاصرة يحثون أمراء كابل وقندهار على حرب الإيرانيين، ويحملون العلماء بالدراهم والدنانير على المناداة بالحرب الدينية، ولكنهم لم ينجحوا في مساعيهم. ولقد طالت مدة هذه المحاصرة عشرين شهراً، وكان ذلك سنة ١٢٥٥.

ولما علم الانكليز من أمراء الأفغانيين الميل إلى الإيرانيين، إذ كان (دوست محمد خان) أمير كابل و(كهندل خان) والي قندهار وسائر إخوتهما الذين نالوا الملك بعد تفرّق كلمة أبناء تيمور يراسلون الشاه في خلال محاصرته لمدينة هرات، ويوادّونه، ويرسلون السفراء إليه، توجسسوا من ذلك شرّاً خيفة إتفاقهم الذي يوجب تقلص ظلهم من بلاد الهند. فأخذوا إذ ذاك يترقبون فرصة لإستيلائهم على بلاد الأفغان. فلما أحسوا من الأفغانيين النفور والإشمئزاز من أمرائهم الجدد، رأوا إذ عَنَّت لهم الفرصة أن يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوسلون بها إلى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد. فجهزوه في جيشٍ جرارٍ مؤلف من جنودٍ منتظمةٍ وغير منتظمة تقودهم المهرة والأمراء ذوو المراتب السامية والمناصب الرفيعة من الانكليز. فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان إلى قندهار، وكان قد تقدم هذا الجيش رجال يدعون الأفغانيين إلى شاه شجاع، ويذكرونهم بأنه الوارث الحقيقي للملك، وهو أحق بالسلطنة، ويحثونهم على التخلص من سلطة هؤلاء المتغلبين عليهم، ولما وصل الشاه إلى قندهار رأى واليها كهندل خان أن لا طاقة له على مقاومته لقلة جيوشه وشدّة ميل أهل المدينة إلى الشاه فخرج هو وعائلته في خمسمائة من خيالته، وقصد طهران فأكرم محمد شاه مثواه وقلده ولاية (شهر بابك) من بلاد فارس.

ثم إن شاه شجاع جعل (تاو) الانكليزي والياً على ولاية قندهار. وبعد ذلك سار بجيشه إلى كابل، وفتح في مسيره مدينة قزنه. وبعد وصوله إلى كابل لم يجد دوست محمد خان أميرها من نفسه قوة على المقاومة، ولا إقتداراً على المصادمة

فاضطر إلى الخروج منها، وقصد بخاري ليستعين بأميرها، فلم ينجح قصده، ورأى منه عدم الاحتفال به، بل الإهانة والتحقير، فانقلب راجعاً وسلم نفسه إلى الانكليز، فأخذوه أسيراً، وبعثوا به إلى كلكوتا . أما شه شجاع فقد جعل (ميجر باتنجر) من أعيان الإنكليز والياً على كابل، ثم استولى على جلال آباد بدون منازع ولا ممانع . وبعد هذا أرسل الانكليز (بنت جركه) في عشرين خيالاً من الانكليز مع ثلاثمائة ألف جنيه إلى كامران ليعطيه إياها، ويدعوه إلى إجابة دعوة شاه شجاع، فقبلها وأبق الرسول الانكليزي، ومن معه عنده، حتى أنفق ذلك المبلغ في تحصين القلاع والاستحكامات وجمع الذخائر، ثم طردهم جميعاً، وبعث اثر ذلك إلى محمد شاه يعتذر له عما فرط منه في حقه، وقبل أن يخطب، ويضرب السكة باسمه . وكان ذلك سنة ١٢٥٧ . وعلى كل حال قد استتب الأمر وتوطدت السلطنة في غالب أنحاء البلاد الأفغانية لشاه شجاع، لكن صورةً، وللإنكليز معنىً، حتى أيقن الإنكليز كافةً أن البلاد الأفغانية آلت إليهم، وصارت جزءاً من ممالكهم، يستحيل تملصها من أيديهم، وقد لبثوا فيها ثلاث سنين وبضع شهور .

ثم شهر جماد الثانية سنة ١٢٥٨ أرسل شاه سجاع أشخاصاً يحصلون أموال الجباية من بعض القبائل، فأبوا دفعها، واستعصوا، وتمرّدوا ووقعت بينهما مناوشة جزئية . فلما بلغ شاه شجاعاً خبر تمرّدهم أرسل جماعة من العساكر لكبحهم . وتأديبهم، فلما رأى المتمرّدون من أنفسهم عدم الإقتدار تبدّدوا في قلل[1] الجبال . وفي غرّة رجب خرج من مدينة كابل ثلاثة من خوانين (جمع خان) الغلجائي، وانضمّ إليهم جماعة من القبائل، وأخذوا في شن الغارة وقطع الطريق، ينهبون، ويسلبون، واتخذوا لهم إستحكاماً في موضع على مسافة ثلاثة فراسخ من كابل . وصار الطريق منها إلى الهند مقطوعاً .

وفي أثناء ذلك اتفق أن محمد أكبر خان الذي كان بعد أسر أبيه دوست محمد

(١) قلل الجبال : قممها وأعاليها .

خان يجوب المدن ويجول في البلاد وَرَدَ مع جماعة من رجاله على مدينة باميان، فاجتمع به هؤلاء وانضمّ إلى الجميع أيضاً جماعة من طائفة الغلجائي الذين كانوا قد فرض لهم الانكليز راتباً ثم قطعه عنهم حكمدار الانكليز في الهند ضناً وشحاً، فاشتّدت الفتنة وعظم الخطب فبادر الانكليز بارسال (مكننكتن) و(منتس) مع جماعة من العساكر لتدارك الأمر وكف شر هذه الفتنة. ولما زايلوا كابل، وصاروا على مسيرة ثلاثة فراسخ منها خرجت عليهم شرذمة من طائفة الغلجائي، وصادروهم، وقتلوا منهم نفراً، فوقف الجيش عن المسير، ثم لحق بهم الجنرال سيل، مع أفواجٍ من العساكر، بقصد مبارزة محمد أكبر خان، ولكن كانوا في غاية الرهبة والخوف من إغارة الأفغانيين. وفي ليلة عشرين من رجب بعثوا يطلبون مدداً من العساكر أيضاً فوصلهم المدد وقصدوا مكمن محمد أكبر خان ووقعت بينهم وبين الأفغانيين، وفي أثناء الطريق، محاربة استمرت يومين، ولم يظفروا به. وفي خلال ذلك كان شاه شجاع قد سجن شخصاً اسمه حمزة خان الغلجائي فهاجمت خواطر الغلجائيين، وثار منهم ثلاثة آلاف، وسدّوا طريق كابل من سائر أطرافها، فخرج ميجر كريفس خارج المدينة، ووقع القتال بينه وبينهم، وقتل جماعة من أكابر الانكليز.

وفي غرّة شعبان هاج أهل المدينة وغَلَّقوا حوانيتهم، وهجموا على منزل اسكندر برنس، وفتكوا به، وصلبوه على قارعة الطريق، ثم انصبوا على خزينة الحكومة فنهبوها، وكانت الخزينة إذ ذاك تحت نظارة جانسن. ولما سمع شاه شجاع وهو في (بالاحصار) بما كان من الأمر أرسل إبنه في رجال من الجند، ومعهم مدفعان، لكن لم يجد ذلك في إطفاء نار الفتنة نفعاً.

ثم هجم الأفغانيون في الرابع من شعبان فاستولوا على (باغشاه) وقلعة (محمد شريف)، ووضعوا حامية لقطع المواصلة بين القلعة التي احتكر فيه الأنكليز ذخائرهم وبين إستحكاماتهم، وكانت عبارة عن رصيف يبلغ ألف ذراع طولاً وستمائة ذراع عرضاً. وعمدوا بعد ذلك إلى قلعتهم المذكورة فحاصروها، وكان بها

(أنسن وارن) مع فوج من الهنود وطائفة من الحرس، لكنهم لم يستطيعوا فك حصار الأفغانيين عنها، حتى رضي الانكليز بترك القلعة لهم، وإنما أرسلوا (كابتان سوين) مع طائفة من العساكر لإستخلاصِ أنسن وارن وإنقاذه من أيديهم، لكن الأفغانيين أوقعوا بهم إيقاعاً، فقتل كابتان سوين وكثير ممن كانوا معه ورجع الباقي منهزمين إلى المعسكر . ثم أرسلوا (أنسن كارون) مع جماعةٍ أيضاً من العساكر لإنقاذه، فلاقوا ما لاقاه الجيش الأول .

ثم ذهب (كابتان بويد) عند سردار عموم العساكر وقال : «لو سلمت القلعة إلى العدو فإنه فضلاً عن أننا نخسر نحواً من خمسين ألف جنيه قيمة ما فيها من الذخائر لم يبق لدينا من القوت ما يكفينا سوى يومين . فماذا نصنع وليس بالسهل جلب الأقوات والذخائر لبعد الشقة ؟» . ولما وعى السردار ما قاله له كابتان بويد أرسل إلى أنسن وارن ليثبته، ويأمره بأن يقاوم ما استطاع، وأن يحذر من تسليم القلعة، ويعده بأنه سيدركه عما قليل بالمدد . فأجابه أنسن وارن بأنه : «إذا لم يدركنا المدد هذه الليلة فلا نجاة، ولا مخلص لنا من يد العدو، إذ أخذ ينقب علينا أحد أبراج القلعة حتى اشتدّ الخوف، وتمكنت الرّهبة من قلوب رجالنا، وحتى أن بعض الحامية ألقى بنفسه من القلعة رهبةً ووجلاً، فإن لم تدركونا الليلة بتنا في قبضة عدونا» . ولما وصل هذا الجواب جمع السردار رؤساء الجيش وأمراءه، وتفاوض معهم، مستمداً من رئيسهم حيلة يتوصل بها إلى تخليص القلعة ونجاة حاميتها من بلاء العدو، فأجمعوا أمرهم على إرسال المدد في ليلتهم، إعتماداً منهم على أن الأفغانيين يجهلون وجوب الحراسة، ولوزم التيقظ والإنتباه، لكن رأوا من الإحتياط أن يبثوا الجواسيس أولاً ليأتوهم بحقيقة أمرهم . فأرسلوا كابتان جان، فلم يلبث أن غدا عليهم بما آيسهم من إمكان إيصال المدد . إذ رأى الأفغانيين على يقظة يتشاورون في أمر الاستيلاء على القلعة في تلك الليلة، فأضربوا عن إرسال المدد . وعند الفجر زحف الأفغانيون على القلعة ببأسٍ وإقدامٍ شديدين، وأحرقوا بابها، فخرجت حاميتها من الباب الآخر، وهربوا إلى معسكرهم . فاستشاط الانكليز من ذلك

غيظاً ودعتهم خشية العار ومخافة الجوع إلى أن يبعثوا بجيش إلى قلعة محمد شريف ليستولي عليها تحت قيادة ميجر . فأخذ ذلك القائد حين ما شرع الجيش في المسير يروغ حيناً ويتوارى حيناً آخر . فلما رأى الانكليز منه ذلك أجلوا مسيره . وفي الغد جهزوا جيشاً تحت قيادة (كريفتس) وسار، فاستولى على قلعة محمد شريف، وعلى نصف باغشاه، بعد حرب قتل فيها عبدالله خان . وقاتله كان كابتان اندرس، ثم داخل الأفغانيين الحماسة، وأظهروا البسالة، حتى استردُّوا ما أخذ من باغشاه وفتكوا بالانكليز، وقتلوا منهم عدداً كثيراً . وفي اليوم الثامن من شعبان انضمّ «قزل باشا» كابل إلى الأفغانيين، وأخذوا في ثغر قلعة محمد شريف، فغلب الخوف على الانكليز، واستولى عليهم من الطيش والدهشة ما لا مزيد عليه . وفي خلال ذلك مرض سردار عموم العساكر الانكليزية، فرأى الوزير المختار الانكليزي (أي الحاكم العمومي أو القنصل) وكان اسمه «سير وليم» أن يقيم مقام هذا السردار أحداً سواه . فاستدعى لذلك «بريك دير مشيل تان» فأجابه . وجمع من كان في بالاحصار من عساكر الانكليز وعساكر شاه شجاع، وقادهم إلى الاستحكامات . وعند وصوله فبدلاً من أن يشجعهم ويثبت أقدامهم، قام في المعسكر وقال : «إعلموا أن لا طاقة لنا على مقاومة الأفغانيين . ولو ثبتنا لاستأصلوا آخرنا فالأجدر بنا أن ننجلي عن هذا المكان، ونلحق بجلال آباد، ونتحصن فيها» فأجابه السردار قائلاً : «إنا لن نبرح من هاهنا . بل لا نزال ندافع عن أنفسنا ما استطعنا . فإن خروجنا، ومقابلتنا الأفغانيين بالبادية ما هو إلّا أن نلقي بأنفسنا في أفواه الآساد» فزاد اختلاف الكلمة بينهم خوفهم وضاعف وجلهم . وكان من أمر الأفغانيين في هذه الأثناء أن استولوا على المرتفعات المشرفة على المعسكر شرقاً وغرباً، وعلى برج (ريكاباش)، وأخذوا يمطرون على الانكليز كرّات المدافع، ويصبون على رجالهم رصاص البنادق . فبادر الوزير المختار إلى استنهاض (شلتان)، وأمره في الحال بالحملة على قلعة (ريكاباش) فتأهبت العساكر، وهمت بالخروج من الجانب الشرقي، فضل (كبتان بلو) الطريق بمن قادهم، وخرج من جانب آخر . ففاجأه

الأفغانيون، فارتعدت فرائصه، ونزل به ما تمنى الموت دون لقياه، فأوقعوا به، وقتلوا من رجاله مقتلةً عظيمة. فهمّ «كولونيل مكرلان» و«ليفتنانت برت» بأفواجهما لاستنجاد (كابتان بلو) فحال الأفغانيون بينهما وبينه، ووضعوا السيف في العسكرين جميعاً. وإذ رأى شلتان هذا الهول دبت فيه الحمية، فأمر الجيش عموماً بالحملة على الأفغانيين، فهاجموهم دفعة، فصُدّوا ثم عاودوا الهجوم، فرُدّوا، ثم استأنفوا الهجوم. وفي هذه الكرّة لم يبق منهم في قيد الحياة إلّا (ليفتنانت برت) ورجل آخر. ولم تخسر الأفغانيون في تلك الواقعة الهائلة إلّا ثلاثين فارساً. ووفق الانكليز بخلال كرّهم وفرّهم في هذه الواقعة أن استولوا على قلعتي (ريكاباش) و(ذي الفقار)، وأصابوا فيها مقداراً من الحنطة فأخذوا أن يجمعوه ويذهبوا به إلى معسكرهم. ولكن لم يلبثوا أن أقبل الليل، وهاجمهم فيه الأفغانيون وثغروا هاتين القلعتين عليهم، وتمّ استردادهما ليلاً وأجلوهم عنها منهزمين.

وفي الثالث عشر من شعبان قامت طائفة من الأفاغنة، ووضعت ثلاثة مدافع على رابيةٍ مشرفة على المعسكر الانكليزي من الجانب الغربي وأطلقوها عليهم. فالوزير المختار أمر (شلتان) أن يخرج إليهم (ميجار شتوين) فخرج في فريقٍ من العساكر، حتى صار على مسافة اثنتي عشرة ذراعاً من مشاة الأفغان، فوقع القتال بينهما، وثبت الأفغان يومهما، وأبلوا بلاءً حسناً. لكن لما حمي الوطيس، عاد فرسانهم، فاضطرت مشاتهم إلى الرجوع، فاستولى الانكليز على الرابية، وكسروا عجلة أحد المدافع الثلاثة، وأخذوا الأثنين الباقيين إلى المعسكر، فارتاحت لذلك خواطر الانكليز بعض الارتياح. وكاد أن يعاودهم بعض ما فقدوا من النشاط، لولا أن جاءهم من قِبَل الجنرال (سيل) الذي كان مقيماً في جلال آباد خبر بأن ليس في طاقته أن يمدّهم قبل مضيّ فصل الشتاء، فقنطوا. لكن رأوا حرصاً على الحياة أن يتحيّلوا لأخذ إستحكام محمد خان إذ كان هو المانع من وصول الذخائر إليهم من بالاحصار. فأقعدهم عنه (استورث) المهندس بقوله: «لا طاقة لعساكر الانكليز على المقاومة بعدُ» فعدلوا إلى رأي آخر، وهو أن يستولوا على قرية

(بيجارو) التي كانوا يتداركون منها أقواتهم. فأرسلوا (ميجار شتوين) مع عددٍ وافرٍ من العساكر، فوجد الأفغانيين قد سبقوهم إلى الاستيلاء عليها، فاقتتلوا هناك حثيثاً. وكانت الدائرة على الانكليز، فنكصوا على أعقابهم خائبين وقد جُرح كثير من ضباطهم.

وفي الثامن والعشرين من شعبان قدم محمد أكبر خان من باميان إلى كابل، وتواطأ مع الأفاغنة على كلمة واحدة. وفي ذلك اليوم بعينه أجمع الانكليز رأياً على الاستيلاء على قلعة بيجاور فأمر الوزير المختار شلتان بالمسير إليها فسار هو وميجار شتوين وميجار قارش في أفواجٍ من العساكر حتى بلغوا محلاً مشرفاً على تلك القلعة، وكان معهم مدفعٌ واحدٌ ليسَ غير، ولم يكن في القلعة سوى أربعين رجلاً. ثم إن شلتان ندب ميجار شتوين، غير مسلوك، فأوقع بهم هناك حتى قُتل منهم جماعةٌ وجُرح ميجار شتوين. وإذ رأى شلتان تلك النازلة أمر ميجار قارش ومئة من المهندسين أن يسارعوا إلى وضع استحكام يقيهم من بلاء العدو، فقبل أن يتمموا وضعه، أبصروا عشرة آلاف رجل من أهل كابل على جبلٍ مشرفٍ عليهم بحيث يصلهم رصاصهم. ففي الحال أمر «كولونيل أوليور» أن تتأهبَ تلك العساكر، وتنتظم على شكل قلعةٍ وتصطف الخيالة من خلفهم، ويهجم الجميع بهذا الانتظام على الأفغانيين المذكورين. فعاجلتهم خيالة الأفاغنة بالهجوم على ميمنتهم وحاصروا (ليفتننت واكر) وجُرح من الأفغانيين أحد عظمائهم، ثم عمموا الهجوم عليهم من ثلاثة جوانب فضايقوهم، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً، فطلبوا إلى الفرار سبيلاً، إذ أن خيالتهم قد جُبنوا عن الهجوم حينما أمرهم به القائد، ورجعوا القهقري، فاستولى الأفغانيون على مدفعهم وذخائرهم، واختاروا العود إلى البلد نظراً لكون أحد عظمائهم المذكور أصبح جريحاً. فاختلس الانكليز هذه الفرصة، وأسرعوا إلى الجبل، فاسترجعوا مدفعهم، وأطلقوه على ظهور الأفغانيين فانقلبوا عليهم وهاجموا مهاجمة الغيظ والحنق، فتبدّد شمل الانكليز، وتفرّقوا، وولّى من بقي منهم الأدبار فرداً فرداً. وما برح الأفغانيون يطاردونهم حتى أوصلوهم معسكرهم العمومي، ولم

يصدّهم عنهم إلّا جدران الإستحكام . ولما اشتدّ على الانكليز الكرب، وعظم بهم الخطب، جنحوا للسلم فأرسل الوزير المختار إلى الأفغانيين رسولاً يدعوهم مستعطفاً إلى المسالمة فقالوا : «نجيبكم على شرط أن لا يلبث في بلادنا من جنس الانكليز ولا واحد» ثم اقترحوا عليهم أيضاً أموراً لم يجد الوزير المختار سبيلاً إلى قبولها وكبر عليه الرضاءُ بها . فقام من مجلس رسُل الأفغانيين وهو يقول : «إن يوم القيامة لقريبٌ . وسيجمعنا الميعاد، ويتبين الظالم من المظلوم ويتميز الحق من الباطل» ثم بعد ذلك وقعت بينهم مناوشات استردَّ الأفغانيون فيها قلعة محمد شريف في السادس من رمضان . فضاقت الانكليز ذرعاً . ورأت أن لا محيص من المسالمة طوعاً أو كرهاً فكتب الوزير المختار سجلاً ينطوي على معاهدةٍ بينه وبين الأفغان ووقع عليه هو و(شيلتان) و(دنيكتل) و(جميرنر) .

وفي الحادي عشر من رمضان خرج هذا الوزير مع (كابتان لارنس) و(ترذر) و(مكنيزي) وعدد من رجاله إلى قرب جبل (سياه سنك) وعقد هناك مجلساً مع جماعة من أكابر الأفغانيين، ثم قام فيهم خطيباً، وقال مستميلاً عواطفهم إليه : «إنا معشر الانكليز طالما عزّزنا الأمير دوست محمد خان، ورفعنا شأنه وأكرمنا مثواه في كل مكان» ثم أبرز السجل، وعرضه على المجلس وكان مضمونه : «على الانكليز أن تخلي قندهار وقزنه وكابل وجلاد آباد وسائر البلاد الأفغانية على شرط أن يعطيها الأفغانيون رجلاً من أكابرهم رهناً حتى تخرج من تلك البلاد بسلام، وإذا وصلت العساكر الانكليزية إلى الهند بادروا بإرسال الأمير دوست محمد خان . وعلى الأفغانيين أن يرتبوا للشاه شجاع (لَكْ روبية) يأخذها سنوياً أينما كان سواء أقام في أفغانستان أو خرج منها . وعلى الانكليز أن لا تدخل عساكرهم في بلاد الأفغان إلّا برضى أهلها» .

ولما رُفع هذا السجل إلى محمد أكبر خان، فبعد الجرح والتعديل فيه، قررّ أنه يجب على الانكليز أن تخلي سائر البلاد والقلاع في مدّة ثلاثة أيام، وهو يجري عليهم فيها الميرة والمؤونة . فشرعت الانكليز على عجل بنقل العساكر من بالاحصار

وإخلاء القلاع، مع ذلّ ومسكنة لا مزيد عليها . على أن محمد أكبر خان لم يوف بوعده متعللاً بأنه لا تطيب نفسه بإجراء المؤونة عليهم ما لم يخلوا القلاع بالمرة .

وفي الثامن عشر من رمضان نزل الثلج عليهم فتضاعفت مصيبتهم فاضطروا لإخلاء قزنه، واستحضار عساكرهم .

وفي العشرين منه عقد الوزير المختار مجلساً مع الأفغانيين لحسم الأمر، فطلبوا منه أن يعطيهم نصف ما مع العساكر الانكليزية من المدافع والجبخانة فدان لطلبهم رغماً، ورضي به عجزاً، بل زاده أنه سلمهم (كابتان كيلي) و(كابتان ابري) رهناً على وفائه بما طلب منه .

وفي الثاني والعشرين منه جاء (مستر اسكنير) الذي كان أسيراً عند محمد أكبر خان إلى الوزير المختار . وأخبره أن محمد أكبر خان يبتغي منه أمراً عسيراً فارتبك وانعقد لسانه ثم قال : «وهو أنه يريد أن تسير إليه أنت، ووجوه ضباط العساكر ليفصم معكم الأمر مرّة واحدة» فلما وعى ما سمع لم يجد بدأً من الطاعة لكنه خشي عاقبة الغدر، فنادي في العساكر بالتأهب والإستعداد خراج الإستحكام . ثم سار هو ورؤساء العساكر إلى تلّ، حيث ينتظرون قدوم محمد أكبر خان، فلم يلبث أن حضر مع بعض من خوانين الأفغان، وأخذ يفاوض الوزير المختار . وكل من الخوانين كان يفاوض رئيساً ممن معه من ضباط العساكر . ثم أخذت خيالة الأفغان تتوارد عليهم فرادى فرادى، ومثنى مثنى، وعما قليل صرح محمد أكبر خان على قومه بأن يبطش كلّ منهم بمن يفاوضه ففعلوا . أما الوزير المختار فقد قطعت يده وجرّ وهو يستجير ويستغيث ويصيح : «وا ويلاه وا غوثاه» . ثم جزّوا رأسه وطافوا به في أزقة كابل وصلبوا (تروار) على قارعة طريقها . وأما (لفتننت ابري) وهو الذي روى خبر هذه الواقعة وأبان فيما كتب سخافة عقول الانكليز وجبن قلوب أمرائها وضعف آرائهم فقد وقع أسيراً في يد محيى الدين الأفغاني ثم هو مثّله بين يدي محمد أكبر، فنظر إليه بعين يتقاطر منها الغضب وخاطبه بقوله : «أكنتم طامعين أيها الانكليز فى بلادنا ؟ أرأيتم ما حلّ بكم جزاءً عقاباً ؟ لكني عفوت عنك

فليس لي بقتلك حاجة» . ثم وكل أمر حفظه إلى مُلّا مؤمن .

ثم إن (ميجر بتنجر) الذي خلف الوزير المختار المسمى (سير وليم) همّ بافتتاح أمر الصلح ثانياً مع الأفغانيين فقالوا : «نجيبك على شروط»، الأول أن تترك العساكر لنا مدافهم ولا يبق لهم سوى ستة، الثاني أن تسلم لنا الأموال والأدوات والأثقال المتعلقة بالخزينة، الثالث أن تعطينا جماعة من كبراء الانكليز بأولادهم وزوجاتهم رهناً، الرابع أن توفي بما كان الوزير المختار وعدنا به من إعطائنا أربعة عشر لَكاً من الروبية، فلما سمع هذه الشروط ورأى أن المقام مقام لا تروج فيه الحيل الثعلبية التي تعوّدها الانكليز، بل هو مقام الطعن والضرب، ومجال السيف والرُّمح، لم يجد له محيصاً من قبولها، وإن كانت شاقة ولا ترضى بها نفس حرّة. نعم، إن الجنرال (الفستون) أراد أن يظهر الشمم والحماسة، فانتفخ انتفاخ الهرّة، لكن انتفاخه لم يؤثر في دم الانكليز من الحرارة أثراً، بل تواطأ أمراء العساكر في التاسع والعشرين من رمضان على إعطاء (كابتان درمند) و(كابتان وانسن) و(كابتان واربرتن) و(كابتان دب) مع نسائهم وأولادهم رهناً . ثم جعلوا المجروحين في منزل أحد الأفغانيين، وتركوا معهم بعض الأطباء . وسلموا الأفغانيين خمسة من المدافع السلطانية .

وفي اليوم السادس من شوّال تجهزوا للرحيل، وساروا بتسعة مدافع واثني عشر ألفل جمل تحملهم رجالاً ونساءً وأطفالاً، وفي خلفهم العساكر المشاة يسيرون على أرجلهم، فوصلوا إلى نهر يلزمهم إجتياز، وليس عليه سوى قنطرة، فبعد أهوال وأوحال وموت كثير منهم إجتازوه، وقطعوا مسافة ما إلى أن وصلوا إلى (بكران) . على أن الأفغانيين لم يتركوهم وبلاءهم . بل اقتفوا أثرهم كالذئاب الجائعة ينهبونهم ويسلبونهم حتى أخذوا منهم مدفعاً آخر، وقدّموه إلى محمد أكبر خان . ثم إن محمد أكبر خان عاد، وشرط عليهم أن يسلموه ستة أشخاص أيضاً من كبرائهم، فأجابوه وعاهدوه على أن لا يطلقوا بندقية واحدة، ولا يشهروا سلاحاً على أفغانيّ بشرط أن لا يتدرّضوا إليهم بالإيذاء ولا إلى أقواتهم بالنهب والسلب، ووصلوا بعد زمن

قصير مصحوبين بهذه الذلة والمسكنة إلى (بث خاك).

وفي اليوم الثامن من شوّال أعاد الأفغانيون إطلاق الرصاص عليهم فهمّ (ميجر شتوين) بأن يدافع فلم يقوَ. ثم طلب محمد أكبر خان منهم جماعة أُخرى رهناً فوق مَن أخذهم فسلموا، حتى سلموا، ووصلوا إلى الطريق الموصل إلى (خورد كابل)، وهو عبارة عن شِعْب يمتدّ بضعة أميال طولاً، والمسلك الذي يجب إجتيازه هناك واقع في سفح جبل يكتنفه من أحد جانبيه نهرٌ ينحط عنه بستين ذراعاً وقمة الجبل من الجانب الآخر. فأدركهم هناك الأفغانيين وحاصروهم وأخذوا منهم مدفعاً ولم يصلوا إلى قرية خورد كابل، حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف شخص وسلبوا جلّ ذخائرهم.

وفي اليوم التاسع من شوّال الذي كانت الأحياء فيه تحسد الأموات، جاءهم وهم يريدون الرحيل خبر من عند محمد أكبر خان وهو أنه التزم صيانة النساء والأطفال والجرحى فداخلهم بعض الإطمئنان من هذا الخبر.

وفي اليوم العاشر منه فاجأهم الأفغانيون وهم على أهبة المسير، وأحاطوا بهم فسدّوا عليهم المسالك، ووضعوا فيهم السيف. ولم تستطع الانكليز حراكاً بل كانت عساكرهم الهندية تلقي بأسلحتها وتطلب الفرار. ولكن لا تجد سبيلاً ولا منقذاً من دائرة المنايا. ولم ينته بهم السير إلى (قبر جبار) إلّا وقد إستأصلهم السيف وسلبت أمتعتهم وأموالهم وذخائرهم، ولم يبق مع من بقي منهم سوى مدفع واحد، وقد غص معبر (هفت كتل) بجثث القتلى.

وبالجملة فقد قتل من عساكرهم المنتظمة خاصة من يوم خروجهم إلى يوم وصولهم إلى (كترسنك) اثني عشر ألفاً. أما عدد من قتل من العساكر غير المنتظمة فعلمه عند اللّه. وفي ليلة بلوغهم إلى (كترسنك) أُسرتَ جماعة منهم، وسلب المدفع الذي كان باقياً معهم.

وفي اليوم الحادي عشر منه خرجوا من (كترسنك) إلى (جكدلي) فوصلوها وقت العصر. وإذ ذاك قاموا على تلّ، واصطفوا عليه وأظهروا الجلادة إرهاباً

للأفغانيين . فغضب من ذلك الأفغانيون، وأشرفوا على مرتفعات هناك، وأطلقوا عليهم المدافع والبنادق . ثم إن محمد أكبر خان طلب (اسكينز) وقال له : «لابدّ لكم أن تعطوني أيضاً شيلتان وجانِ سن رهناً» وفي أثناء المكالمة أطلقت على اسكينز رصاصة من حيث لا يعلم فمات . فلما رأى الانكليز ذلك بادروا بالمسير قاصدين (جلال آباد) فابتدرهم الأفغانيون بالسيوف من سائر الأطراف . وكان عدد القتلى في هذا الموقع أكثر مما هو في (خورد كابل) .

وفي صبيحة الثالث عشر من شوّال رأي الأفغانيون أن قد قلّ عدد رجال الانكليز، فطافوا بهم فقتلوا بعضاً، وأسروا بعضاً آخر، ولم ينجُ من يد الأفغان إلّا (دكتر بريدون) ففرّ، ولحق بجلال آباد، وأخبر رأساً الانكليز بالواقعة . (كأن الأفغانيين علموا أن لوث حيل المحتال، ودرن مكره، وأوساخ خداعه لا يطهرها إلّا دمه المهراق، وأن عين الطامعين لا يملأها إلّا تراب القبور، فأراقوا دماء الانكليز، وجعلوا شعاب جبالهم قبوراً لقتلاهم، وأذاقوهم مرارة نقض العهود) .

وعاد محمد أكبر خان بالأسراء من الضباط والنساء والأطفال والجرحى إلى كابل . وهذا ما انتهى إليه حالِ جيش كابل الأَنكليزي . وأما الجيش الإِنكليزي الذي كان في مدينة قزنه، فقد أُصيب بما أصيب به الجيش الأول فهلك بعض من الجوع والبرد، وقتل بعض بحدّ سيف الأفغانيين، وأُسر الباقي، ومكثوا في الأسر شهوراً. ثم أُسلوا إلى كابل، فاستقبلهم محمد أكبر خان وأكرم مثواهم واجتمعوا هناك بميجر بتنجر . وبعد هذه الواقعة ردّ محمد أكبر خان للضباط سيوفهم ومنحهم بعضاً من الدنانير . وكان يتعطف على النساء، ويتلطف بالأولاد . ثم اتفق أنه قتل (شجاع الدولة خان الباركزاي) شاه شجاعاً، فحصل الهرجِ والمرج بين الأفغانيين وتحزّبوا أحزاباً، وتفرّقت كلمتهم، وتنازعوا الملك، وتقاسمه أُمراؤهم . فعسكر محمد أكبر خان خرج المدينة وانضمّ اليه (فتى جنك) ابن شاه شجاع .

وفي أثناء هذه الفتن قدم الجيش الانكليزي الذي كان متحصناً زمن الشتاء في قندهار، إلى كابل، وانضمّ إليه بعض من المدد، ووقع بينه وبين محمد أكبر خان

بعض مناوشات . وآل الأمر بعدها إلى المسالمة، وأطلق سبيل أسرى الانكليز . وتعهد الجنرال (بولوك) بإرسال الأمير دوست محمد خان وعائلته إلى أفغان . ولما رأت العساكر الانكليزية تفرّق كلمة الأفغانيين وتشتتهم وعدم وجود من يضارعهم في المقاومة والمغالبة تطاولوا على البلاد وأحرقوا «جهارته» (السوق الشهيرة الموجودة من عهد أورنك زيب التيموري سلطان الهند وكانت من أبدع الأبنية . وفيها عقود متتالية، يبلغ طولها ستمائة قدم، وعرضها ثلاثين قدماً . وكان على جدرانها النقوش المزخرفة والتصاوير الأنيقة . وقد علّق الأفغانيون فيها جثة الوزير المختار سير وليم) وزحفوا على قرية استالف، وقتلوا من بها من الرجال والنساء صغيراً وكبيراً صحيحاً وجريحاً . واعتصم محمد أكبر خان وأهل مدينة كابل بالجبال وقتئذٍ . ولما انتقمت العساكر الإنكليزية من الأفغانيين على زعمهم، قفلوا إلى الهند مسرعين فراراً مما عساه أن ينزل بهم . (وبالجملة إن طمع الشاه شجاع في السلطنة قد ساقه إلى البحث عن حتفه بظلفه . وإن حرص انكلترا على تملك بلاد الأفغان وشغفها بها أوجب أن تكون مساكنها فيها قبور أجسامها . وإن صيانة الأفغانيين لجرحى الانكليز ونسائهم وأولادهم، وإن قتل الانكليز لنساء قرية استالف وأولادها ومرضاها قد أبان للعالم السجايا الشريفة الغير المكتسبة التي لم يدنسها طول المكث في الجبال والأودية والطبائة الخسيسة التي لم تهذّبها العلوم والمعارف ولم يطهرها زلال التربية) .

ثم أطلقت الانكليز الأمير دوست محمد خان من الأسر، فرجع إلى كابل، واستولى عليها وعلى جلال آباد وما يجاورها من البلاد . وأما كهندل خان أخو دوست محمد خان الذي بيّنا سابقاً أنه قد التجأ مع إخوته إلى شاه إيران فإنه لما سمع أن العساكر الانكليزية قد أخلت مدينة قندهار، جهز جيشاً صغيراً بإعانة الشاه، وسار به إلى قندهار . وبعد مناوشات يسيرةٍ وقعت بينه وبين بعضٍ من السدوزائية دخلها، وتمّ نفوذه في أقطارها . وقد وقع بينه وبين الأمير دوست محمد خان محاربات كانت الغلبة فيها للأمير وساق أيضاً عساكره إلى هرات ولكن رجع

خائباً.

وبعد بضع سنين من إمارة الأمير هجم رنجيت سنك بعساكره على مدينة بيشاور. وكانت الحرب بينهما سجالاً. ولما كان زمن المحاربة وقُتل من الطرفين عددٌ كثيرٌ، ورأت الانكليز أن دخول بيشاور التي هي مفتاح بنجانب تحت سلطة الأفغانيين، يوجب إستفحال أمر الأمير ويورث الخلل في المالك الهندية الانكليزية أسرعت إلى المصالحة بينهما على شرط أن تكون تلك المدينة بيد رنجيت سنك الوثني. فكأن أمة الانكليز بفعلها هذا لم تقصد سد طرق الخلل عن بلادها فقط، بل أرادت أن تهييء سبل استيلائها عليها علماً منها بأن الإمارة السيكية التي شكلها رنجيت سنك واهية الأساس. وقد تمّ لها ما أرادت حيث استولت عليها بعد المصالحة بزمن يسير. وإثر هذه الوقائع اتفق موت كهندل خان المذكور، ووقعت المنازعة بين إخوته وأبنائه في الملك وآل الأمر إلى المقاتلة وسفك الدماء، ووقع الهرج والمرج في المدينة، فاتفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان حكماً بينهم. فسار بعسكره إلى قندهار حين بلغه ذلك، واستولى عليها، وعين لكل من المحكمين مرتباً شهرياً، سداً لشرههم، وكفاً لشرّهم. وتمت له بذلك السلطة في غالب البلاد الأفغانية. وكان قد أرسل إبنه (محمد أكرم) إلى الأقطار البلخية التي نبذ أهلها طاعة الأفغانيين عند إستيلاءِ الانكليز على البلاد، واستقلوا بأمرهم فأدخلهم تحت الطاعة. ولم يبق تحت سلطة غيره من المدن الأفغانية الأصلية إلّا مدينة هرات التي بيّنا سابقاً كونها في قبضة كامران ذلك البطل الذي قاوم العساكر الإيرانيين بغاية الثبات والحزم عشرين شهراً مع قلة عدده وعدده. ثم غلبت عليه الشهوة، واستولى عليه الهوى، وانهمك في السكر حتى نفرت منه قلوب الناس، ولعب به وزيره (يار محمد خان البامي زائي) وخنقه في قريةٍ خارج المدينة، واستولى على الملك، وانقرض بموت هذا سلطة العائلة السدوزائية من البلاد الأفغانية (وبالجملة، إن ما اكتسبه أحمد شاه السدوزائي من المالك الواسعة والسلطة التامة بسبب الشجاعة والتدبير والعدالة والإقتصاد في المعيشة قد أضاعه أبناؤه وأحفاده، بالجبن

والسفه والجور والترف والإنهماك في الشهوات). وكان هذا الوزير على الدوام يرسل إلى شاه إيران ويحتمي بحمايته صيانة لبلاده من سلطة سائر الأمراء الأفغانيين. وخلفه بعد موته إبنه (صيد محمد خان) بإعانة الشاه. وكان هذا الخَلَف سفيهاً سيىء الخلق قسيّ القلب ظالماً جائراً. فامتلأت قلوب الأهالي منه غيظاً، وأثاروا الفتنة عليه فطلبوا (شاه زاده يوسف السدوزائي) الذي كان وقتئذ في مدينة مشهد، والتمسوا من الشاه أن يجهزه، ويرسله ففعل، ودخل مدينة هرات بجيشٍ من الإيرانيين بلا ممانع وأهلك صيد محمد خان.

ثم وقع في هرات بعض من الفتن فاغتنم ناصر الدين شاه فرصة الإستيلاء عليها، فأرسل جيشاً جرّاراً سنة ١٢٧٤ تحت رئاسة سلطان مراد ميرزا إليها. وبعد محاصرتها أياماً تمّ له فتحها. ودخل قطر هرات تحت حكم إيران. فاستشاطت الانكليز من هذا الفتح غيظاً علماً منها أن مدينة هرات مفتاح الأقطار الهندية، وبابها فأرسلت مراكبها بدون مهلة إلى خليج فارس، واستولت على بندر (أبو شهر) وجزيرة (خارق) وبلدة (محمده) إرهاباً للشاه، وسداً للخلل المزمع وقوعه، وتسكيناً للثورة التي فشت في الهند عندما شاع فيها توجه العساكر الإيرانية نحو البلاد الأفغانية. بعد مضي سنة من هذه الواقعة وقعت المصالحة بينهما وتركت الانكليز الفرض الإيرانية على شرط أن يخصص الشاه رجلاً أفغانياً ليكون حاكماً على هرات، ويسحب عساكره منها. فعين الشاه سلطان أحمد خان ابن عم الأمير وصهره والياً على هرات باستصواب الانكليز، وشرط عليه أن يضرب السكة ويقرأ الخطبة بإسمه. ومع ذلك ما سكن روع الانكليز بل أغرت الأمير دوست محمد خان بعد بضع سنين بأخذ مدينة هرات، وتعهدت بأن تعطي له ولمن يخلفه مرتباً معلوماً سنوياً كافياً لتجنيد العساكر، وتحصين القلاع لتكون الإمارة الأفغانية سدّاً منيعاً بين الهند وبين الممالك الروسية في آسيا الوسطى وإيران. فجنّد الأمير جيشاً وسار به إلى هرات، وحاصرها زمناً طويلاً، وكانت عساكر الطرفين بين مهاجمة ومدافعة. وقد اتفق موت سلطان أحمد داخل القلعة، وبعد موته بزمن يسير مات

الأمير أيضاً في معسكره . ثم أمر رؤساء العساكر المحاصرين بالهجوم . وبعد هجمات متعدّدة سنة ١٢٨٠ فتحت عنوة وكان الأمير دوست محمد خان هذا عاقلاً ذا دهاء لين العريكة غير مائل إلى الظلم والجور . وقد استمال بحسن سلوكه قلوب إخوته حتى خضعوا له مع أن منهم من كان أكبر سناً وأسس بحكمته وتدبيره ملكاً . وكان له أبناء متعدّدة. وقد جعل أرشدهم وأعقلهم محمد أكبر خان الذي خلص البلاد الأفغانية من مخالب طمع الانكليز وليّ العهد . وحيث توفي في زمن حياته ولىّ شقيقه شير علي خان تلك الرتبة (ولقد راعى الأمير حقوق محمد أكبر الذي له منة عليه خصوصاً، وعلى الأفغانيين عموماً، بإيثار شقيقه . غير أنه لم يراع حقوق سائر الناس، ولم يلاحظ ما يترتب على ذلك من المضار، فإن بعض إخوة شير علي خان كانوا أكبر منه سناً فلم يرضوا بالخضوع له فأثاروا الفتن ولزم منه إراقة الدماء وخراب البلاد ونهب الأموال) . وقد جعل على كل ولاية من ولايات الأفغان واحداً من أبنائه (ولقد أخطأ الأمير خطأً آخر بتولية أولاده على البلاد، لأن البلاد الأفغانية ليست بلاداً قانونية، فكأنه بفعله هذا قد مكنهم من الفتن والعصيان) .

ولما توفي الأمير حين محاصرته لهرات كما ذكرنا كان في المعسكر من أبنائه شير علي خان وليّ العهد ومحمد أعظم خان ومحمد أمين ومحمد أسلم خان . وكان لشير علي وزير خائن يسمى محمد رفيق من طائفة الغلجائي قد أشار عليه بالقبض على إخوته قائلاً : «لا تتمّ لك السلطة ما داموا ولاة مطلقي التصرّف خصوصاً الذين هم أكبر منك سناً» . فشاع هذا الخبر وبلغ مسامع من كان منهم في المعسكر، فهرب كل منهم ليلاً وبادر إلى البلاد التي كان والياً عليها في زمن أبيه .

وأما شير علي خان فبعد ما علم بهروبهم عجل في تنظيم مدينة هرات، وجعل ابنه محمد يعقوب خان والياً عليها، وأخذ طريق بلخ من دون أن يتعرّض للبلاد التي استولى عليها إخوته الذين هربوا من المعسكر، أو يظهر لهم غضباً، قصد أن يخدع أخاه الأكبر محمد أفضل خان، الذي كان ذا وجاهة عند الناس، وكانت قوته العسكرية أشدّ من سائر الأخوة ويقبض عليه . فلما وصل إلى حدود بلخ

أرسل رقيماً[١] يذكر فيه مخاطباً إياه : «إنك أنت الأخ الأكبر فيجب عليك أن تجتهد في إصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الأخوة . وأما أنا فأتعهد أن لا أنبذ أمرك وأن لا أخالف نصائحك وأن لا أخرج من ربقة طاعتك» . ولما أطلع محمد أفضل على مضمون ذلك الرقيم انخدع وسار بنفسه اليه فلما تمكن من شير علي قبض عليه وهرب ابنه عبدالرحمن خان وقتئذٍ إلى بخاري . ودخلت ولاية بلخ تحت قبضته فجعل أحد إخوته المسمى بفيض محمد خان والياً عليها ورجع إلى كابل . ثم جند عسكراً وأرسله إلى كرُم تحت رئاسة وزيره محمد رفيق لمحاربة محمد أعظم فانهزم محمد أعظم شقيق محمد أفضل من أول وقعة، وفرّ إلى الهند .

وبعد أن فرغ من أمرهما جعل ابنه ابراهيم خان الضعيف الرأي حاكماً على مدينة كابل وذهب بنفسه إلى قندهار لكي يقبض على شقيقه محمد أمين خان . وعند وصوله إلى كرات الغلجاني استقبله هناك شقيقه بعساكره فوقعت مناضلة بينهما قُتل فيها ابنه محمد علي وشقيقه محمد أمين المذكور . وأثر هذه الواقعة استولت الوساوس على شير علي، وغلبت عليه الهموم والغموم، فترك أشغال الحكومة وإدارة العساكر، وانزوى في مدينة قندهار . ولما بلغ مسامع عبدالرحمن خان تغُّير حاله، وانزاؤه تحرّك من بخاري إلى البلاد البلخية واستولى عليها بعد مناوشات جريئة بإعانة فيض محمد خان . وكان محمد أعظم خان المذكور الذي ترك البلاد الهندية لسوء معاملة الانكليز قد انضمّ إلى عبدالرحمن في بلخ فاستفحل أمرهما وجمعا جيشاً جرّاراً، وزحفا به إلى مدينة كابل . وقبل الوصول إليها وقعت محاربة بين عساكرهما وعساكر ابراهيم خان ابن شير علي خان في (باج كاه) فانهزمت عساكره، فترك كابل خوفاً وجبناً وفرّ إلى قندهار . وكان وقتئذٍ وزير شير علي خان «محمد رفيق خان» في كابل فخرج يستقبلهما بغاية البشاشة فدخلوا المدينة آمنين مستبشرين . ثم أرسل سرية إلى جلال آباد فافتتحوها . ولما اشتدّ الخطب، وعظم الأمر تنبه شير

(١) الرقيم : الخطاب .

علي خان من نوم الغفلة، وأفاق من غشية الحزن، فجند جيوشه، وسار بها إلى كابل. وعندما اجتاز قزنه قابله محمد أعظم وعبدالرحمن بعسكر جرّارٍ في شيخ آباد، فاشتعلت نيران الحرب بينهما. وكانت الغلبة لمحمد أعظم فانهزم شير علي ورجع إلى قندهار. ودخل محمد أعظم مدينة قزنه. وكان شقيقه محمد أفضل المشار إليه سابقاً محبوساً فيها فأطلقه وسلم عليه هو وجميع العساكر بالأمارة. ولما تمت هذه الغلبة، وقفلوا إلى كابل رأى محمد أعظم أن محمد رفيق خان يسعى في إثارة الفتن وإلقاء الشقاق بين الخوانين والأمراء فأمر بخنقه جزاءً لفتنته السابقة وخيانته لسيده، وتركه له، وسعيه في الفساد أخيراً.

ثم جمع محمد أعظم عساكره، وسار بها إلى قندهار، فتلاقى مع الأمير شير علي خان في كلات الغلجائي فتصادم الجيشان، وتقاتلا، وأظهر شير علي خان في تلك الواقعة غاية البسالة والشجاعة. غير أن قوة قلبه ما استوجبت ثبات أقدام عساكره الذين غلب عليهم الجبن والخوف بسبب الإنهزامات المتتالية، فاضطرب إلى ترك قندهار والذهاب إلى هرات. وبعد بضعة أشهر ذهب بفرقةٍ من الخيالة إلى بلخ. وجمع كثيراً من مقاتلي الأزبك والأفغانيين وزحف إلى كابل من طريق قوهستان الوعرة مصحوباً بفيض محمد خان فقابله عبدالرحمن خان في «بنج شير» فتقاتل الجيشان فقُتل فيض محمد خان (كأن إقباله وإدباره ووفاقه ونفاقه كانت دواعي الموت وسكراته). وانهزم شير علي تاركاً مدافعه فوق الجبال، وأسرع إلى بلخ، ومنها إلى هرات، علماً منه بأن عبدالرحمن سيتبعه بعساكره وقنع بها. وتوفي أثر هذه الواقعة محمد أفضل خان في كابل. وكان رجلاً محباً للعلم والعلماء كارهاً للظلم والجور فخلفه شقيقه محمد أعظم خان.

وبعد ان استقرّ على منصة الأمارة أرسل ابن أخيه المتوفي عبدالرحمن خان إلى بلخ وجعله والياً عليها وعزَّزه باسماعيل خان ابن محمد أمين خان المقتول ليقدر على إطفاء الفتن التي حصلت هناك بين الأزبك والأفغانيين. ونصب ابنه محمد سرور خان والياً على قندهار، وجعل ابنه الآخر المسمى بعبدالعزيز خان الذي كان

عمره إذ ذاك ستة عشر عاماً رئيساً على العساكر الموجودة فيها . وهذا الرئيس الشاب قد ساقه الغرور وحب الظهور إلى جمع العساكر وسَوْقها إلى هرات من دون علم أبيه . وعند وصوله إلى قرية كرشك صادمه محمد يعقوب خان ابن شير علي بعساكره، فهجم الشاب الرئيس دفعة واحدة بمائتين من المشاة على قلب عسكر الخصم واستولى على مدفع، وجلس عليه بعد أن قتل طبجيه . فلما نظر جيش محمد يعقوب عدم وصول المدد له أحاطوا به، وأخذوه أسيراً فتشتتت عساكره وانهزمت كما هي عادة الشرقيين عند فقد رئيسهم . فأسرع محمد يعقوب بعساكره إلى مدينة قندهار واستولى عليها بحيث لم يجد من يُدافع عنها، فقوي قلب شير علي خان لهذه الغلبة، وجدّ فيه العزم والإرادة . وقصد تلك المدينة بخيالة «الجمشيدي» و«فيروز كوهي» وجمع منها العساكر المتفرّقة وأسرع مع إبنه إلى كابل، فتقابل مع محمد أعظم خان في وادي مكر على بُعد ستة فراسخ من قزنه، وأنشأ كلٌّ من العسكرين إستحكامات وحفروا خنادق . وكان محمد أعظم عند سماعه بزحف شير علي قد أرسل إلى بلخ يطلب اسماعيل خان الخائن علماً منه بأنه الخصم الألدّ لشير علي، لأنه قتل أباه وأهانه غاية الاهانة . فجاء بعسكر بلخ، وتوقف في قوهستان إلى أن تقابل العسكران في مكر، فهجم على مدينة كابل وفتحها ونادى فيها باسم شير علي خان ظناً منه بأنه سيجعله مكان أبيه والياً على قندهار . وعند وصول هذا الخبر إلى عساكر محمد أعظم غلب اليأس عليهم، وحصل فيهم الفتور، وتفرّقت كلمتهم وتشتتت آراؤهم، لأنهم قدم رأوا أنفسهم بين عسكرين، وعلموا أنه لا يمكن وصول الزاد إليهم . فعلم محمد أعظم أنه لا يجوز الإعتماد على هؤلاءِ العساكر الذين غلب عليهم الجبن، واستولى عليهم الفتور والخوف، خصوصاً لما رأى جراءة خيّالة الجمشيدي وهجومهم على أطراف المعسكر على الدوام . ففرّ إلى بلخ واجتمع بابن أخيه عبدالرحمن . ودخل شير علي خان مدينة كابل بعد أن فارقها زماناً طويلاً، واستقبله أهلها بكل بشاشةٍ وسرورٍ، لأنه كان محبوباً لدى الناس لسماحة أخلاقه وعدم ميله إلى الظلم بالطبع . ثم إن محمد أعظم وعبدالرحمن بذلا غاية الجهد في جمع

العساكر من الأزبك والأفغان، وذهبا إلى قزنه عن طريق هزاره فبارزهما شير علي. وبعد مقاتلاتٍ شديدة انهزمت عساكر محمد أعظم وعبدالرحمن، وهربا إلى مدينة مشهد من بلاد إيران . وانفصل عبدالرحمن من عمه في تلك المدينة وذهب إلى بخاري وأقام بمدينة سمرقند وهو الآن بها . وتوفي محمد أعظم بمدينة نيسابور حين ذهابه إلى طهران . وكان عاقلاً مدبراً محباً للعدل، ولكن أحوجته الضرورات والحوادث الكونية إلى الجور والظلم . وأما إيثاره ولده الشاب الذي كان في الحقيقة سبباً لخيبته، وزوال ملكه بجعله إياه رئيساً لجيوش قندهار، فقد كان لعدم اعتماده على سرداري الأفغان وخوانينهم، لأنه قد تمكن منهم سوء الأخلاق بحيث أنهم ما كانوا يعدّون الخيانة رذيلة، ولا يستنكفون من إرتكاب العار، لأن غالبهم في خلال هذه الفتن قد انتمى لكلٍّ من الحزبين المتحاربين أزيد من عشرين مرّة، وكان متمذهباً بمذهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود . وبالجملة لما تمت السلطة في سنة ١٢٨٥ للأمير شير علي خان بلا منازع، ولا ممانع، ذهب إلى مدينة أنباله إجابة لدعوة الحكومة الانكليزية، فأيدت انكلترًا معاهدته العرقوبية السابقة التي وقعت بينها وبين أبيه دوست محمد خان بمواثيق أُخرى هي في الحقيقة عبارة عن تمويهات ومخاتلات . ولما رجع نفى اسماعيل خان الخائن وإخوته إلى الهند، ثم خلع ابنه البطل محمد يعقوب خان من ولاية العهد وجعل أخاه عبدالله خان وليّ عهده مع صغر سنه محبةً لأُمه (ولبئست الشهوة التي تعمي البصائر وتضلّ العقول عن الرشاد) . وأما محمد يعقوب خان فقد ذهب إلى هرات وأظهر العصيان بها ولكن لم تمتدّ مدّة هذه العصيان فإنه مع غلبته على عساكر أبيه لبّى دعوته حينما دعاه إلى كابل . والأمير بدلاً عن أن يجامله أودعه الحبس . ومع هذا كله لم ينل الأمير بغيته، لأن الموت قد أسرع بوليّ عهده الجديد . وفي سنة ١٢٩٥ غلبت الوساوس والأوهام على رجال الانكليز حينما رأوا وفود السفارة الروسية على الأمير فجهزوا سفارةً مؤلفة من عدّة مهندسين وألف خيّال وأرسلوها إلى الأمارة الأفغانية فأبى الأمير إلّا منعها لقطعهم المرتّب الذي تعهدوا بدفعه كل شهر من مدة سنين بلا سبب . فاستشاطت الانكليز غيظاً وساقت العساكر إلى البلاد الأفغانية ظُلماً وجوراً .

الفصل الرابع

«في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في»
«الأقطار المعبر عنها باسم أفغانستان»
«وأخلاقهم وعاداتهم ومذاهبهم»
«وفي إيضاح كيفية الحكومة في تلك البلاد»

إن أعظم الشعوب المستوطنة لتلك الأقطار وأكثرها عدداً هو الجنس الأفغاني، ومقرّه جنوب البلاد والشرق الجنوبي منها. والخُلُق الغالب في هذا الجنس هو الحقد والضغينة والتشوق للإنتقام، وإقتحام المحاربات، والتهوّر في المخاصمات والمنازعات لأدنى الأسباب، وإنَّ صورهم الظاهرة تحكي عن خليقتهم هذه، وتنبيء عنها. فإن وجوههم على الدوام عابسة. وقلما يوجد بينهم البشوش، وإن كان يظهر في بعض معاملاتهم الحلم والتوؤدة، وكذلك خشونة لغتهم، وغلظ أصواتهم، يدلان على هذه الخليفة، وعلى الفظاظة وغلظ الطباع. ولهم ميلٌ عظيمٌ للنهب والسلب، وشنّ الغارات، وإثارة الفتن. وبما ارتكز في طباعهم من الشجاعة والإقدام والميل الطبيعي إلى المحاربة أرشدتهم الطبيعة من قرونٍ إلى ترتيب نظامهم العسكري على هيئة تقرب من النظام الموجود في هذه الأزمان. وذلك أنهم كانوا يصفون الصفوف، ويحكمون ترتيبها ويقيمون الضباط أرباب الرتب العالية وأرباب الرتب الدنية. وعند سَوْق الجيوش للمحاربة كانت الضباط تتقدم العساكر لتقودهم، حتى إذا اشتعلت نيران الحرب تأخرت الضباط وتقدّمتهم العساكر للنزال

والصدام، واشتغلت الضباط بالأوامر والنواهي، والنظر فيا يجب إجراؤه مم الإقدام والإحجام، والتيامن والتياسر، والسير والتوقف، وغير ذلك . وكان من عادتهم أنه إذا ولَّى أحد العساكر فراراً حكموا عليه بالقتل . ومن ذلك ما وقع في واقعة أصفهان. وهو أن ضابطاً همّ بقتل أحد العساكر عندما رآه متقهقراً، فأراه العسكري يده اليمنى مقطوعة تخلصاً من العقاب القانوني، فعافاه الضابط من القتل، إلّا أنه لم يخلص من عتابه، ولم يرضه هربه وتقهقره، بل أرجعه إلى المعسكر قائلاً : «يا مخنث، ألم تكن يدك اليسرى موجودة فإن قُطعت أيضاً فعندك أسنان تنهش بها أعداءك، فاذهب، وقاتل الأعداء إلى آخر رمق في حياتك» . ومن وظائف الضباط زيادة عن الأوامر والنواهي المتعلقة بترتيب العساكر وحفظ نظامهم، تفقُّد من يموت من العساكر في الميدان ليأتوا به من ساحة القتال ويدفنوه كي لا تقع جثته تحت إهانة أيدي الأعداء، إلّا مَن قُتل منهزماً فإنهم لا يجوّزون دفنه أصلاً . ولأفراد العساكر الأفغانية من الطاعة والانقياد لرؤسائهم ما لا يوجد في عساكر ملك من ملوك البلاد المتمدنة، حتى إنهم عند تفرُّقهم في البادية، وتشتتهم بحيث لا يكون فردٌ منهم مع الآخر لو سمعوا نداء منادٍ يدعوهم إلى ضابطٍ أو رئيس من رؤسائهم، هُرِعوا مهرولين جميعاً لإجابته، والإجتماع حيث يأمرهم، ولو نالوا طعاماً في المخمصة لتركوه ملبّين داعيهم . ولحسن طاعتهم إذا فتحوا بلداً، وأمرهم أُمراؤهم بعدم التعرّض لأهاليها، لا يقع منهم أدنى شيءٍ يخلّ بالرّاحة، حتى لو مرَّت عليهم النساء مكللات بأكاليل الذهب لا يلتفتون إليهنّ . واتفق أنه وقع النزاع في أصفهان بين طائفتين من الأفغانيين في أول جلوس أشرف على كرسي السلطنة، وعظم الخلاف بينهما حتى اقتتلتا فقفل أرباب الحوانيت حوانيتهم خوفاً من حصول الهرج والمرج، فجاء الأمر مِنْ أشرف بفتح الحوانيت مُعلناً «إن مَن يصيبه خسارة فأنا الكفيل بتعويضها» وامتدّ القتال في المدينة أياماً ولم يحصل أدنى ضرر للأهالي من المقاتلين . ولجميع رجالهم تدرّب تام في الطعن بالرّماح والضرب بالسيوف . ولهم خفة ونشاط في ركوب الخيل . وفي الأزمنة الأخيرة صارت لهم الدربة في إطلاق

الرصاص أيضاً . ومن زمن الأمير دوست محمد خان شرعوا في ترتيب العسكرية على النظامات الجديدة . وقد برعوا فيها عملاً لا علماً، وبلغ عدد عساكرهم المنتظمة ستين ألفاً .

وإن كثيراً منهم وإن كانوا قد مالوا إلى الإقامة في المدن والقرى كأهالي قندهار وقزنه وجلال آباد وغيرها، إلّا أنهم كبقية إخوانهم الذين لم يزالوا في الخشونة حيث لم يأخذوا جانب الترف والرّفاهية، بل يسلكون في تعيشهم طرق التخشن والتقشف، ويقنعون من اللذات بالسير حتى إنهم يأكلون الضأن بجلده . فإنهم بعد ما يذبحونه يحرقون صوفه ثم يجففونه ويدّخرونه للأكل . ولا يتناولون الأطعمة بالملاعق، ولا يضعون أواني الطعام على الخوان، بل يأكلون على الأرض بأيديهم . وليس لهم عناية بتنظيف ألبستهم وأبدانهم، ولا يهتمون بنظافة مساكنهم وحجراتهم، وتطهير مدنهم من الأوساخ . ولذلك ترى المدن المسكونة بالكثير منهم لا تخلو من الأوساخ والقاذورات . وكثيراً ما تكون جيف الحيوانات في معسكرهم، ولا يعتنون بإبعادها من بينهم . وغالب الجبلِيّين، وأهل القرى منهم، إذا أكل لا يغسل يديه بل يمسحها في لحيته أو مداسه . وبعض منهم إذا لبس لباساً جديداً يلطخ بعضه بالسمن خصوصاً عاتقيْه إظهاراً لتأصله في الغنى وعدم مبالاته بالجديد، وإراءة لسمنه. وجميعهم سواءٌ كانوا من سكان الأخبية أو البوادي يلبسون من الألبسة خشنها. فأرباب البادية يصنعون ثيابهم من نوع اللباد على هيئة غريبةٍ بكمين طويلين يشبهان خرطوم الفيل، يصلان إلى الأرض . ويسمى عندهم «كوسي». ولهم أيضاً ثوب آخر من هذا النوع يصل إلى الفخذين بكمين قصيرين يسمى «صدرية» . وهؤلاء قلما يبدلون ثيابهم قبل البلاء . وسكان المدن يصنعون ثيابهم من الجوخ الغليظ المعروف عندهم ببركر، فيتخذون منه جُبّباً ضيقة الأكمام قصيرتها ويَتَقَبَّون بأقبية من القماش الملوَّن المعروف بالشيت، وثيابهم في زمن الشتاء من جلود الحمل، يبالغون في دبغها، حتى تصير في اللين والنعومة كالحرير، ويصبغونها بلون أصفر بهي، ويرقشونها بطراز الحريم، ثم يُفَصِّلون منها جبباً

يتخذها العَمَلَة(١) قصيرة تنتهي إلى الرّكبتين بكمين إلى المرفق وتسمى (بوستين جه) وأرباب الصنائع والأواسط من الناس يتخذونها طويلة تبلغ الكعبين، كسائر ألبستهم بكمين طويلين، وتسمى بوستين . وقد يتخذ الأمراء من شيلان الكشمير جبباً ومن السمور والسنجاب فراءً (كرك) . وغالب الأفغانيين يَعْتَمُّون بعمامة زرقاء . وأما السردارون والعظماء فغلباً يعتمون بشيلان الكشمير ألواناً . وسكان البلاد الحارّة يحتذون النعال، ويتخذون صدريات ويلبسون أقمصة تنتهي إلى نصف الساق واسعة الأكمام. وغالبهم يتحزم بأحزمة عريضة تشغل ما تحت الصدر إلى الفخذين . وغالب القبائل لا يحلقون رؤوسهم، وبعضهم يتخذون ضفيرة طويلة من شعورهم .

وأما نساؤهم فإنهنّ يلبسن ألبسة طويلة، ويتمنطقنَ بمناطق تقرب من الثدي حتى يُرى بارزاً . وغالب نساء القبائل الساكنة في الجبال يقطعن شعور أذناب الخيول ويَصِلْنَها بشعورهنَّ . ونساء قبيلة الغلجائي يحبكن شعور نواصيهنَّ، ويشكلنها بشكل قرص، ثم يسدلنه على الجبهة، فيمتدّ إلى الصدغين في العرض، ويستر الأنف طولاً، كأنّما هو برقع مستدير . ويعلّقنَ في آذانهنَّ حلقات غليظة ثقيلة من الفضة والحديد والنحاس والبلور .

وأمراء الأفغان لا يجلسون على المنصات والكراسي، بل يفرشون مجالسهم بالأنماط والنمارق الفارسية، وليس لهم من الأبهة والعظمة ما لغيرهم من الأُمراء، ولا يستنكفون من تناول الطعام مع خدمهم والأصاغر من الناس .

والجبليون منهم، وأهل البادية، يحترفون رعي المواشي والأنعام، ويتعيشون منها، وقليل من الزراعة، وقلما يوجد منهم التاجر إلّا في قبيلة «لوهاني» من الجبليين. فإن غالب هذه القبيلة من التجار . ونشاطهم في التجارة على نمط غريب إذ يبلغون بأمتعتهم محمولة على الجمال إلى قُرب الصين وبلاد سيبيريا، ويجيئون بها إلى

---

(١) العملة ـ بفتح العين والميم واللام : الفعلة أو العمال .

بلاد الأناضول، ويطوفون الأقطار الهندية . وهذه القبيلة تمتاز عن سائر القبائل بألبستها. فإن عمائمهم ذات زوايا أربع متقابلة، وأقبيتهم تُشبه أقبية الأرناؤد وسكان أزربيجان، بأنها ضيقة الأعالي، واسعة الذيول، كيرة التكاميش من الوسط.

وأما سكان المدن والقرى فيشتغلون بالزراعة وغرس الأشجار وإنشاء البساتين والرّياض . وقلّما يوجد فيهم أرباب الصناعة كالحدادة والنجارة والحياكة وما يشبهها. ولا يشتغل منهم بالتجارة غالباً إلّا أهالي قندهار، فإن لهم حرصاً على التجارة، وغالب تجارهم من طلبة العلم .

وليس للأفغانيين دراية كافية بكيفية إدارة الحكومة، وضبط الدفاتر، وما يشبه ذلك . ولهذا تجد جميع هذه الأمور بأيدي طائفة «قزل باش» الذين هم بقايا عساكر نادر شاه . ولا يجوّزون بيع الأُسراء، وإن كانوا غير مسلمين، ويكرمون الغرباء، وأبناء السبيل، ويستقبحون غالباً السرقة، وإن كانوا يتفاخرون بالنهب والغارة، وغير خاف أن الفرق بين السرقة والنهب هو الفرق بين القوة والضعف . والمنكرات التي هي نتائج الترف والترفه قليلة الوجود فيهم لتمكن أخلاق البداوة منهم، ولا يخلو غالبهم من خلّة الطمع لتسلط الفقر عليهم . وإن نساء الأفغانيين الساكنات في المدن يسترنَ وجوههنَّ بخلاف نساء القرى والبوادي، فانهن مكشوفات الوجوه، ويختلطن مع الرجال، وتأخذ كل منهنَّ يد رجل، ويرقصن في الأفراح على هيئة دائرة . وتارةً يرقص الرجال منفردين على هذه الهيئة في الأعياد والأفراح . ويسمى هذا الرقص لديهم (عتن) .

ومن عادة سكان القرى والبوادي من الأفغانيين في أفراحهم أن يدعو والد العروس أقاربه وأحبابه وجيرانه في نهار الزفاف، ويعرض عليهم الثياب التي عليه عادةً أن يعدها للعروس وزوجها، ثم يستدعي الزوجَ في هذا الحفل، ويلبسه على ملأ الحاضرين ما أعدَّ له بعد قراءة الفاتحة . والنسوة يفعلن ذلك بالعروس، ثم يزفونها إلى محل بعلها، مصحوبة بالأغاني والطبول . وعند وصولها واستقرارها في الحجلة التي أُعدت لها، تأتي الفتيات بأنواع الفواكه والنقل، وينثرنَ على رأس

العروس، ويأخذ المدعوّون والمدعوّات في التفكه بالفواكه والتنقل بها . وتلبث العروس عاكفة في محل زوجها لا تظهر في الناس أياماً . فإذا مضت تلك الأيام أتت إليها بنات محلّتها يعزفن بالدفوف، وعلى رأس كل منهنّ جرّة، ويأخذنها ومعها جرّة مثلهن، ويذهبنَ جميعاً على هذه الهيئة مغنيات عازفات إلى أن يصلن نهراً أو عين ماء . فيملأن تلك الجرات، ويرجعن كذلك . وللعروس بعد ذلك ترك العزلة ومعاشرة الناس . وتختص قبيلة (منكل) و(داوور) دون القبائل بكون أبوي العروسين يجب عليهما الرقص في العرس . ولهاتين القبيلتين عادة غريبة : وهي أن شُبَّانهم في أيام المواسم والأعياد يحلقون أحد حاجبيهم وأحد جانبي شاربهم من خلاف، ويكحلون عيناً بالسواد وعيناً بالحمرة . ومن له لحية منهم يلحق جانباً منها ويترك الآخر، ويقضون أيام عادتهم هذه باللعب بالسيوف، حتى يُخيل للناظر أنهم يحاولون الفتك ببعضهم . وأبناء هاتين القبيلتين ممن يستفزهم حسن الصورة ويشغفهم الجمال أينما تجلّى، بل هم يتنافسون في إظهار صدق المحبة وخلوصها، بتقديم الذبائح، حتى تغالى بعضهم بقديم أبيه ذبيحة .

ومن عادة قبيلة (ختك) أن نساءَها في المأتم يصبغن وجوههنّ ويعفرنها، ويثبن لاطمات صائحات، ويخمشن وجوههنّ بأظافرهنّ .

ومن عادة جميع الأفغانيين إطعام المعزّين ثلاثة أيام إلّا أنهم يختلفون عادة في مَن يقوم بنفقة الأطعمة . ففي غالب القبائل يقوم بها صاحب المأتم . وفي بعضها يقوم بها جيرانه وأهالي القرى القريبة منه . أما هو فلا يصنع شيئاً .

ومن أهالي القرى من يعلّم الأولاد الذكور الرقص ويلبسهم ثياباً تشبه فساتين نساء الإفرنج، ويجعل عليها شراريب من جميع أطرافها، لأجل الرقص في الأفراح . وإذا وُلد لأهل القرى والبوادي منهم مولود تصعد القابلة ولو في نصف الليل على سطح البيت، أو على محل مرتفع، وتنادي بأعلى الصوت ثلاث مرات إخباراً بالمولود، وتأدية لشكر هذه النعمة للّه .

وجميع الأفغانيين سنّيون متمذهبون بمذهب أبي حنيفة، لا يتساهلون رجالاً

ونساءً، وحضريين وبدويين، في الصلاة والصوم سوى طائفة (نوري) فإنهم متوغلون في التشيّع، ولهم محاربات شديدة مع جيرانهم السنيين، ولا يبالون بالصلاة والصوم، وإنما يهتمون بأمر مأتم الحسين (رضي) في العشر الأول من محرّم ويضربون ظهورهم وأكتافهم بالسلاسل مكشوفة، ويوجد في بعض قبائل (كاكر) بقايا من الطريقة المزدكية، وإن كانوا على دين الإسلام.

ومزدك هذا كان رجلاً في زمن (قباذ) من أكاسرة فارس. وقد ادعى النبّوة، وتبعه قباذ وأربعون ألفاً من الفارسيين. وكان من أُصول دينه الإشتراك في الأموال والنساء. وكان يعلل ذلك بأن المنازعات والمقاتلات لا تحصل إلّا لأجلهما فلو حصل الاشتراك فيها لارتفع الشقاق واستتبت الرّاحة. ولما مات قباذ وجلس ابنه أنو شروان المعروف بالعادل علىٰ منصة الملك، احتال لإبادة هذه الشريعة المبتدعة. فطلب الشارع، وقابله بالبشر والبشاشة، وأظهر له رضاه وقال له: «إني قد اخترت هذه الشريعة البديعة، واستحسنتها، ولكن لا أقدر أن أتظاهر بها خوفاً ووجلاً ما لم أر الذين اتبعوك. وأعلم أن فيهم كفاءة لدفع شر المنكرين» فعرض الشارع أتباعه عليه في محلٍ أعدّه أنو شروان لذلك، فصار الجميع طعمة للسيوف. وما هرب منهم إلّا ثلاثة أشخاص منهم زوجة مزدك. ولم يصدر عنه هذا الفعل إلّا بمشورة وزيره بزرجمهر، حيث قال له «إن هذا الشارع لا يريد بشريعته هذه إلّا إستئصال السلطنة عن وجه الأرض، لأن السلطنة لا تكون إلّا بالمال والنسب، فإذا تأسس الإشتراك في الأموال والنساء فلا سلطنة» وقال خواجة (نظام الملك) في تأريخه إن الإباحيين الموجودين في إيران من أتباع مزدك. وقد توارثوا هذه الطريقة عن الذين نجوا من حدّ سيف أنوشروان. وكذلك يُرى في أهالي خست وكرم بعض عادات الخوارج والنواصب فإنهم يصوّرون هيكلاً في غرّة محرم، ويدفنَونه، ثم إنهم يخرجونه في يوم عاشورا، ويكسرون عنقه متهللين مستبشرين. وهؤلاء يستقبحون الختان أيضاً.

والأفغانيون مع شدّة تعصبهم للدين، والمذهب، والجنس، لا يعارضون غيرهم في حقوقهم، ولا يتحاشون عن أن يروا شيعياً، أو غير مسلم، يقيم مراسم

دينه، ولا يمنعون المستحقين منهما من نيل المراتب العالية في حكومتهم. فإنك ترى أرباب المناصب في البلاد الأفغانية من الشيعيين (القزل باش). وكل أفغاني يزعم أنه أشرف الناس لكونه أفغانياً، ولو كان فقيراً. وإنه لا يوجد الإيمان الكامل والإسلام الخالص إلّا في جنس الأفغان والعرب. وكل قبيلة إذا أرادت أن تبرم أمراً فلابد أن يجتمع أمراؤها للمشورة. وتسمى هذه الجمعية عندهم بجركه. وإذا قتل أحدٌ من قبيلةٍ أحداً من قبيلة أخرى فكل فرد من أفراد قبيلة المقتول يرى أنه من الواجب عليه أن يجتهد لأخذ الثأر بقتل رجل من قبيلة القاتل، ولا يقتنعون بقصاص الحاكم، ولا يتجاوزون عن ذلك، ولو مضت عليه أعوام إلّا أن يستجير بهم القاتل. وهكذا تكون الحال إذا قتل احدٌ من عائلةٍ أحداً من أخرى.

والأفغانيون يحمون الدخيل، ويعينون الملتجيء إليهم بدمائهم وأموالهم. وأهل الحضارة والبداوة منهم يتسلحون غالباً بسيوف صغيرة تسمى «سيلاوة» و«نوره» وبخناجر مستقيمة، وبآلات نارية كالبنادق، والطبنجات، وغالب بنادق أهل الجبال بالفتيل. ولا تنقطع المحارَبات بين القبائل والعائلات. وقد وقع كثيراً أن الإبن قتل أباه، والأخ قتل أخاه، ولا ينعقد الصلح بين القبيلتين المتحاربتين إلّا بالمصاهرة. وغالب سكان الجبال والأودية لا ينقادون للأمير إلّا بقوة جبرية، وينتهزون الفرصة دائماً لرفع الضرائب الأميرية عن عواتقهم.

ومن القبائل مَن يقتات بالذرة، ومنهم من يقتات بالدخن، ومنهم من يقتات بالشعير، ومنهم من يقتات بالبر. وغالب أُدمهم الأقط واللحم، وفي زمن الشتاء يصنعون منهما طبيخاً، ويخبزون خبزهم غالباً بالصباح. وفي الأسفار يخبزونه بمصبأ محماة يضعونها في قطعة من الخمير، ويملأونها ناراً حتى تستوي ويسمون هذا الخبز «كاك». وقلما يوجد البصل عند بعض القبائل كقبيلة «يوسف زائي» و«أجيك زائي» فتجدهم إذا رأوا أجنبياً يتملقون ويتذللون له قائلين «عندنا مريض فنرجوك أن تتفضل عليه ببصلة عسى أن يكون شفاؤه فيها». وإن قبيلة أجيك زائي كثيراً ما يتعرَّضون للقوافل إرادة النهب، ويسدّون طريقها، ويقابلونها بالأسلحة

النارية والآلات الحادّة، فإذا لم يمكنهم الغلبة عليها صالحوها بأُقة أو أُقتين من البصل . واتفق أن محمد أعظم خان بعد ما ترك البلاد الهندية وفد على قبيلة يوسف زائي، ونزل في خيمة خانها فقام الخان مسرعاً وعلى وجهه لوائح الفرح وإذا به قدّم للأمير بصلة .

وكل الأفغانيين يعتقدون بقبور الأولياء، ويذهبون لزيارتها، ويذبحون الذبائح لديها . وبعضهم تغالى في اعتقاده بها، حتى إن رجلاً من قبيلة الأفزيدي المشهورة بالسلب والنهب لقي شخصاً فأراد أن يسلبه . فاستجار بالله وبالرسول، فلم يتركه ثم استجار بتربة شيخ يسمى «منلايار محمد» فاضطرب ذلك الرجل خوفاً وقال «جلّ جلاله أوقعتني في الكفر» وترك سبيله . وغالب القبائل وسكان الأودية والقرى يميلون إلى اللعب والطرب . وفي الأزمنة الخالية عن الشغل يجتمعون على هيئة دائرة ويرقصون الرقص الموصوف سابقاً . ويلعبون بالخيل والسيوف . وساكنو الجبال الباردة منهم «كخست» و«كرم» أغلبهم أبيض اللون، والساكنون في البلاد الحارّة كقندهار وجلال آباد سمر الألوان .

ومن العوائد الدينية الجارية عندهم أنه إذا مات أحد منهم يخرجون دراهم ودنانير من ماله يعطونها للفقراء والمساكين من العلماء بإسم إسقاط الصلاة . ومن أهل القرى والمدن من له شغفٌ عظيم بتعلم العلوم كالصرف والنحو، والمعاني والبيان، والفقه والأُصول، والتفسير والحديث، والمنطق والفلسفة، والهيئة والهندسة، والحساب . ويتعلم بعض منهم العلوم الطبية . وبعض من أهل القرى يكتفون بتعلم الفقه بدون استحصال العلوم العربية . والعامة يتكلفون بأرزاق الطلبة مدة الطلب بطيب نفس فيخصص كل واحد قسماً لطلبة العلم مما هيأه لغدائه أو عشائه ثم يطوف بعض صغار الطلبة على الدور لجمع ما أُعدّ لهم . وأهل بعض الجهات لا يجوّزون تناول ما خصص للطالبين إذا غفل الموكل بالجمع عن أخذه . وللعلماء في تلك البلاد شأنٌ عظيمٌ وسلطةٌ تامةٌ ونفوذ كلمة بين الأهالي، بحيث يخشاهم الكبراء والعظماء والأُمراء حيث إن قلوب العوام في قبضتهم . ولهم أن يثيروا الشعب على

أي أمير أو كبير متى شاءوا . والكثير منهم يستنكف من ملاقات الأُمراء ويتنزه عن قبول هداياهم وإن كان يقبل هدايا غيرهم من الناس . ويستكبر عن زيارة رجال الحكومة حتى إن أمير البلد لو زار أحدهم لا يرى من نفسه أن يتنازل لمقابلة زيارته بزيارة مثلها . وبسبب سلطتهم هذه قد يصدر عنهم أعمال مضرّة يأباها الشرع والعقل . إذ يحكمون بكفر بعض الأشخاص أو بفسقه إذا رأوا منه ما يخالف أهواءَهم. بل قد يكفر بعضهم بعضاً حبّاً للإنفراد بالرئاسة، خصوصاً في هذه الأزمان الأخيرة بعد ما انتشر مذهب الوهابية في الهند فإن من كان أنقذ سلطة إذا رأى نجاحاً لمن هو دونه يحكم بأنه وهابي، حتى يسيء إلى اسمه . ويُلزمون الحاكم بإجراء العقوبات الفظيعة على مَن حكموا عليه . ومن ذلك ما وقع في قندهار . وهو إن أحد كبار العلماء حكم بكفر الشيعة فثارت عليهم قلوب الأهالي، وقامت الحرب بينهم، وسفك فيها عزيز الدماء، ونُهبت البيوت والدكاكين. وكذلك ما وقع في كابل وهو : إن بعض علمائها حكم بكفر الشيعة، ووقعت بسببه حرْب امتدّت أشهراً بين السنيين والشيعة (القزل باش) . والبعض منهم يتسم بسمة الطريقة، ويتوسد وسادة الإرشاد . وهؤلاء يتخذون مساكن، ورباطات للزائرين وغيرهم، ويقدّمون لهم الأطعمة في أوقاتها . ووجاهتهم ونفوذ كلمتهم، وسعة نفقاتهم، بحسب ما يأخذونه من الذين يلوذون بهم بإسم الهدايا والنذور . ومنهم من يتمكن بحسن سلوكه وظاهر صلاحه من قلوب العامة، ويحصل له الكلمة العليا والنفوذ التام، ويقصده ألوف من الناس من كل فج، فيقدّم لهم الموائد مدّة إقامتهم لديه، ولا يخلو رباطه في جميع الأوقات من مئين من الأطعمة والأشربة والألبسة . ومنهم من يتفرّد بالحكم في بعض أضلاع البلاد الأفغانية، ويتمتع بضلعه، ويحامي عن حوزته، ويدفع من يهاجمه من جيرانه، ويهجم في بعض الأوقات عليهم محتجاً في كل ذلك بالأدلة الدينية . ومن هؤلاء عبدالغفور المشهور (بأخند صوات) الذي كان متسلطاً على (صوات) و(بنير) . وكان معقداً في جميع البلاد الأفغانية على العموم بل وفي بلاد الهند وبخارى . وكان فقيهاً، زهداً، متقشفاً، مخشوشناً في معيشته، يتعيش من الذرة

والدخن الجبليين، وألبان معز لا ترعى إلّا أعشاباً جبلية . وكان عنده على الدوام عدد وافر من المريدين . وكثيراً ما شنّ الغارة على الإنكليز، وانتصر عليهم . وكان ينشر في البلاد منشورات يدعو بها أهلها إلى الجهاد فيجتمع إليه ألوف من الناس . وكان يؤيده ويساعده على هذا جماعة من الوهابية من الهنود أصحاب السيد أحمد الوهابي الذين هاجروا من الأقطار الهندية خوفاً من المسلمين السنيين وتوطنوا في صوات وبنير .

وهذا الشيخ «أخند صوات» كان إذا وفد إليه الزائرون وأبناء السبيل يقرّبهم على حسب أحوالهم، وما منحهم اللّٰه في بلادهم من جاه وثروةٍ أو ضعةٍ وفقر . وكان يقدّم إلى الأمير ما يليق به، وإلى الفقير الرائب والبصل والخبز اليابس وكان إذا سمع ان شيخاً قد ارتفع صيته في البلاد . أو جلس مجلس الأرشاد بادر بالحكم عليه بالتوهب، حتى تنفر منه القلوب، وتنزل درجته من إعتبار العامة . وقد قتل بعض المشايخ بسبب حكمه هذا، وأشهر بعضهم على أشنع هيئة وأقبح صورة .

وجميع علماء الأفغان يحرمون شرب التبغ بجميع أنواعه كعلماء بخاري، ولكنهم لا يتعرّضون لمنع العامة عنه إلّا «أخند صوات» فإنه كان يرسل من لدنه الرسل والمبعوثين إلى البلاد الأفغانية ليمنعوا الناس من شرب الدخان، ويكسروا الشُّبُقات والأرجيلات إذا ظفروا بها، ويحرمون أكل ذبيحة الشيعيين، مع أنهم يحللون أكل ذبائح اليهود والنصارى، زاعمين أن الشيعة قد ارتدّوا . والمرتد لا تؤكل ذبيحته بخلاف أهل الكتاب . وجميعهم يحمل على عاتقه حِراماً غليظاً أو رقيقاً على حسب الفصول لإجل الصلاة . بل ذلك عادة غالب الأفغانيين . وجميعهم يظهرون التعصب للدين، ويبدون الغيرة على الأحكام الشرعية والاعتقادات، إلّا من كان منهم على منصة الإرشاد فإنه قد يوجد فيهم التساهل في الأمور الدينية . ولطلبة العلم لِما يرون من احترام العامة لهم بعض تعدٍّ على الناس حتى إن طلاب (نكنهار) يتحزّبون، ويتسلحون بالقرابينات، ويهجمون على أهل القرى، إذا رأوا أدنى إهانة منهم لأحدهم، ولا ينتهون عن التطاول، إلّا أن يقدّم الأهالي كفارة عما

فرطوا في جانبهم ـ لأكثير من ب تلك النواحي لا يبالون بالصلاة والصوم، ولهم احتفالات في بعض أيام السنة يدعون إليها من الطلبة وغيرهم ما يزيد عن ألف شخص، ويلزمون أهل القرى بتهيئة مأدبة فاخرة، ثم يأتون بأمرد جميل، ويلبسونه برقعاً وأساور، ويجلسونه على كرسي ويلقبونه السلطان فيكون له الحكم مدّة هذا الإحتفال يأمر بضرب من يشاء ويغرم من يشاء. وحين ما يريدون الإنفضاض يجييء المسمى بالوزير منهم بين يدي المجعول سلطاناً، ويقول له «إن الجند قد تمردوا على السلطان نظراً لإنقطاع الراتب عنهم» فيسفر ذلك الأمرد عن وجهه، ويضع جانباً من النشوق في راحته، ويبسطها، فيتوارد أهل الإحتفال عليه، وكلّ يتناول شيئاً من هذا النشوق، وبهذا ينفضّ الملعب. واللغة الأفغانية في غاية الخشونة. وحروفها الهجائية أكثر عدداً من حروف اللغة الفارسية. وأحسن من يتكلم بها أهل مدينة قندهار. وتوجد مؤلفات قليلة بهذه اللغة نظماً ونثراً.

ومن الشعوب الموجودة في البلاد الأفغانية شعب يقال له (تاجيك) ومنه غالب سكان مدينة هرات وضواحيها، ومدينة كابل والقرى الواقعة بينها وبين بلخ، وكذلك أهل مدينة قزنه وبعض القرى المجاورة لها، ولقمان وقصبة لقمان، وبعض قرى قندهار. ومنه أيضاً غالب سكان المدن البلخية. وهذا الشعب ذو حدّ واجتهاد وله حرص على تعاطي الحرف والصنائع كالحياكة والنجارة والحدادة والبناء، وغيرها، وعلى معرفة فن الزراعة وتربية الأشجار والكروم، وله عناية بالتجارة والساكنون منه في قوهستان كابل قد طبعوا على الشر والفساد وحب القتال وسفك الدماء، فترى الحرب قائمة فيما بينهم أبداً لا تخلو منها قرية مع أُخرى، ولا بيت مع آخر. ومن ثم تجد رجالهم غالباً قد اتخذوا لهم بروجاً يقيمون بها بأسلحتهم خوفاً من الغارات.

وبالجملة إن هذا الشعب أحسن حالاً من الأفغانيين. فإنه أدرى منهم بالإدارة المنزلية، وأنظم في زيه وملبسه. ويمتاز عنهم بمراعاة النظافة، بل يفوقهم درايةً وإدراكاً، وفهماً وذكاءً. غير أنه قلّما يوجد فيه عالم أو مَن يميل إلى تحصيل

العلوم على خلاف الأفغانيين . ومما اشتهر به سكان القرى من هذا الشعب إصابة المرمى . فهيهات أن تخطيء رصاصة أحدهم الغرض . ولهم صنف من طوال الخناجر يتقلدونها . وجلّ هذا الشعب سني على مذهب أبي حنيفة . ولا يوجد في هذا الشعب عصبية كما لا يوجد فيه أُمراء . وغالبهم بيض الوجوه، ويعتمون بعمامة الأفغانيين نوعاً .

ومن الشعوب أيضاً شعب (هزاره) ويسكن هذا الشعب في الجبال الواقعة في شمال قزنه الممتدّة إلى شمال هرات . وأصله من الجنس المغولي كما يؤخذ من سيمائهم . فإن بعيونهم ضيقاً مع ميل لحاظها نحو الرأس . ولحاهم غالباً ليست إلّا بعض شعرات نابتة في أذقانهم . وبالجملة فإن تركيب وجوههم تركيب وجوه الصينيين والتتر الأصليين . وقد قال بعض المؤرخين إن هذه القبيلة من بقايا عسكر جنكيز خان . بل ادعى إنها كانت منذ ثلاث مئة سنة تتكلم اللغة المغولية . لكن مَن وقف على تمكنها من اللغة الفارسية، وعدم مزجها إياها بشيء من اللغة المغولية، مع مجاورتها للتركمان، وجنس الأزبك من الترك، يجزم بأنها استوطنت مواطنها هذه من قبل جنكيز خان بمدد مديدة . وهذه القبيلة لم تزل على الخشونة والتوحش، عريقة في البداوة إلى الغاية، على أنها تحسن صنع صنف من الجوخ يقال له (برك) وهو أجود أصنافه . وقلّما يصنع نظيره في أوربا . وجميعها ما عدا عمارة جمشيدي يلبسون قباءً مشقوقاً ويتمنطقون عليه . لكن إذا كان القباء من برك فيجعلون أكمامه إلى المرفق، ومنها إلى الزند، ويتخذونها من أقمشة أُخرى كالحرير وغيره . وفي فصل الشتاء يتخذون قلنسوة من القماش . وأما نساؤهم فيعتممن دائماً، ويلبسنَ كالرجال قباء على الشكل المار ذكره . وأما الجمشيدي فلباسهم يشبه لباس مجاوريهم من التركمان والأويمق، وهو جبة تضرب إلى الكعبين ضيقة الأكمام قصيرتها، وقلنسوة من الفراء تسمى (باباق) بالباء الفارسية . وهذه العمارة معروفة بالفروسية ومطبوعة على النهب والسلب وشنّ الغارة كجيرانها ومشهورة بالشجاعة والإقدام، وإصابة الغرض في المرمى كسائر أخواتها من قبيلة هزاره .

وهذه القبيلة على مذهب الشيعة إلّا فصيلة «شيخ علي» و«الجمشيدي»، لكنها ليست على شيء من هذا المذهب إلّا بغض الخلفاء، ومحبة علي، وإقامة مأتمه في عاشوراء، بضرب السلاسل على الصدور والظهور. ولا يتقي آحاد هذه القبيلة إظهار مذهبهم، مع أن التقية من واجبات مذهب الشيعة، حتى لو سئل أحدهم عن مذهبه لقال بغلوّ بدون مبالاة «إني عبد علي» ولهم زيادة اعتصام بمذهبهم هذا.

ومما يحسن سرده هنا أن سنيًا عرض التسنن على جارية منهم كانت عنده فأبت فعزّزها وزجرها وألح عليها، فاستشاطت غيظاً، وقالت: «أهون عليّ أن أكون كلبة ولا أكون سنية». ومن شأنهم أنهم يلقنون أمواتهم أثر دفنهم بكلمات معناها: «إذا جاءك ناكر ومنكر فلا تخف فإن مولاك عليًا سيحضر عندك ويطردهما عنك». ومن عاداتهم أن أهل الميت يشق كلّ منهم قلنسوته بعد دفنه ويتركها على قبره. وقلّما يوجد عند هذه القبيلة نقود، وغالب معاملاتهم بالمقايضة، وتأخذ منهم الحكومة بدل النقود على حسب حال كل شخص عدداً مخصوصاً من صنف المعز، فإن تأخر أحدهم في إداء الضرائب حتى تراكمت عليه وعجز عن أدائها يُقدم بنته بدلاً، فيتخذها العامل أو الحاكم كجارية. وأغلبهم يستعمل أطعمتهم بلا ملح لندرة وجوده، ويعظمون الشرفاء (أي أولاد علي ابن أبي طالب رضي اللّه عنه) غاية التعظيم. ويتميز الشريف عندهم عن غيره بالأنفة والعظمة وعدم التحية عند قدومه على مجلس من المجالس واستعمال الشتائم في مخاطبته للعامة. ويعللون هذا بأن الشرفاء سلاطين، فلا ينبغي لهم أن يعاملوا الناس إلّا بهذه الطريقة.

ومن العادات الغريبة عندهم أنه إذا حصلت منازعة بين امرأتين تقيم كل منهما نائبة عنها من النسوة أمام الأُخرى، فتبتديء إحداهما بالشتم محركة يديها ورجليها، وحاجبيها بحركات مختلفة فتجيبها الأُخرى بشتم أفظع على ذلك النحو من الحركات. وهكذا تتناوبان الشتائم حتى تأتي إحداهما بشتم يبلغ الغاية في الفظاعة بحيث لا تقدر الأُخرى أن يأتي بمثله فتنفصل الدعوى، وتكون الدائرة على

التي صارت نائبتها عاجزة عن المقابلة . فإن انقضى النهار، وما حصلت الغلبة لإحداهما تأتي كل واحدة منها بقفَّة تكفأها قائلة «الميعاد غداً» . ومن الشعوب قبيلتا أزبك وتركمان، وهما من أصل تتري يتكلمون الآن باللغة التركية . والقبيلة الأُولى تسكن في أقطار بلخ، والثانية في الأراضي الواقعة بين مدينتي ميمنة وهرات، وكلهم سنيون على مذهب أبي حنيفة . وإن الأزبكيين (الذين ينسبون إلى أحد حفدة جنكيز خان) يشتغلون غالباً بالحرث، وتربية الكروم والأشجار، واقتناء المواشي، ويعتمون بعمائم صغيرة يسدلون عذبتها على آذانهم، ويلبسون جُبَباً من الحرير وغيره، مبطنة بقماش غليظ، وشيء من القطن، وتحاكي الحفة الصغيرة . وبعضهم يلبس ثلاثاً أو أربعاً من هذه الجبب بعضها فوق بعض . ولهم حذق في الفروسية والطعن بالرماح . وإذا ذهب أحد منهم لزيارة آخر يرفع يديه إلى السماء، ويقرأ سورة الفاتحة، وبعد ذلك يقدّم له المزور قطعة خبز فيأخذها ويقبلها بكل احترام، ويضعها في جيبه . ولهم رغبة تامة في شرب الشاي ولا يستنكفون من أكل لحم الفَرَس . ويوجد فيهم بعض من العلماء .

وأما التركمان فيلبسون جبباً من البرك، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة من الفراء تسمى باباق بالباء الفارسية كما ذكرنا، ولهم إهتمام تام بتربية الخيول . وخيولهم متولدة من الخيول العربية التي جلبها نادر شاه من نجد . وغالب هذه القبيلة المتوحشة المتبربرة يتعيشون من السلب والنهب ويغيرون على بلاد إيران وأطراف هرات، يأسرون الرجال والنساء، ويبيعونهم باسم العبيد والإماء، مستدلين بأن أسراءَهم من الشيعيين يجوز بيعهم لخروجهم عن الديانة الإسلامية . وكثيراً ما يأسرون أشخاصاً من السنيين، ويجبرونهم بالضرب والكي على أن يعترفوا أمام الناس بالتشيع، كي لا يمتنع أتقياء بخارى عن شرائهم . واتفق أن بعضاً منهم أسر عالماً من علماء أهل السنة من نواحي هرات، فكبله بالسلاسل خوف الهرب . ومع ذلك كان إذا حضر وقت الصلاة أطلقه ليؤمَّ الجماعة . وكان بعد تمام الصلاة يقيده ثانياً . ولما رأى العالم منه ذلك قال له «أنت تعلم أني رجل سني، فبأي

وجه تجوّز أسري وتحلل بيعي ؟» فأجابه بقوله : «إنك لست بأشرف من القرآن الكريم، فكما يجوز لي هبة القرآن كذلك يجوز لي أيضاً هبتك . وأما البيع فحاشا» . وبالجملة إن هاتين القبيلتين موصوفتان بالظلم والشر خصوصاً الأخيرة . غير أن عددها قليل في البلاد الأفغانية .

ومن الطوائف الموجودة في البلاد الأفغانية طائفة الشرفاء (أولاد علي ابن أبي طالب رضي اللّه عنه) ويلقبون في تلك البلاد بالسيد . وبعض من هذه الطائفة يسكن في «بشنك» من نواحي قندهار، وبعض منها يسكن في ولاية «كنر» الواقعة قرب جلال آباد . ولم يخل شرفاء كنر من الكبراء والعظماء من عهد «بابرشاه» إلى يومنا هذا . وللأفغانيين عموماً مزيد اعتقاد بهذه الطائفة . وأما عاداتهم وملابسهم فتماثل عادات الأفغانيين وأخلاقهم وملابسهم .

ومن سكان بلاد الأفغان أيضاً طائفة «قزل باش» وهو لفظ تركي، ومعناه أحمر الرأس . وقد لقب بهذا اللقب جميع العساكر الصفوية الشيعين، لأنهم كانوا يعتمون بأمر السلاطين الصفوية بعمائم حمراء، وجلُّها يسكن في كابل، والباقي منها يستوطن في قزنه وقندهار . وأصل هذه الطائفة من البلاد الإيرانية . وقد أتى بهم نادر شاه إلى هذه البلاد . ولهم حذق في الآداب والصنائع والأعمال الديوانية . ومن أجل هذا ترى أن المتوظفين في الإدارة الملكية الأفغانية منهم . وغالب الأُمراء يختارونهم لتربية أولادهم، ولتعليمهم الأدب والشعر . ويمتازون بالذكاء والفطنة والنظافة عن بقية سكان البلاد الأفغانية، ويتصفون بالشجاعة والإقدام . وكلهم على مذهب الشيعة، يقيمون مآتم للحسين ابن علي ابن أبي طالب في الشهر الأول من شهر محرم .

ويوجد في جنوب قندهار قرب «بشنك» بعض من طائفة البلوج . وهذه الطائفة من أصل فارسي . ومن عاداتهم أنهم يرسلون شعورهم ويدهنونها ويحتذون بالنعال، ويضعون نجاد سيوفهم حمائل على عواتقهم . وهم موصوفون بالقوة، ومشهورون بالسرقة والغارة، ومعروفون بالكرم، ولا يعرفون من الإسلام

إلّا إسم اللّٰه تعالى، واسم محمد صلى اللّٰه عليه وسلم . وبعضهم يعرفون علي رضي اللّٰه عنه . وإذا قيل لأحد منهم : ياأيها البلوجي هل تصوم ؟» يجيب قائلاً : «إني ما سرقت معز النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بل إن خالنا (أي أميرنا) قد سرقها فمنعه النبي (عليه الصلاة والسلام) من الأكل ثلاثين يوماً، زجراً . وهكذا إذا سئل عن الصلاة يقول : «إن الخان هو الذي يصلي» وإذا لَقِي أحدٌ منهم أحداً سواء كان منهم أو أجنبياً عنهم يبتدره بالسؤال عن الخان ثم يحييه بتحيات متتالية تستغرق زماناً، ويختمها بقوله : «وبالجملة فهذه الطائفة في غاية الجهل والتوحش والتبربر وغلظة القلب حتى إن فصيلة منها تسمى (مرى) تغير على القوافل، وتأبى إلّا قتل رجالها زعماً منها أن الأموال لا تحل ما دام أربابها في قيد الحياة .

ويوجد في البلاد الأفغانية كثير من عبدة الأوثان الهنديين، ولهم بها معابد تسمى «درمسال» ولهم خارج مدينة كابل محرقة يحرقون فيها جثث أمواتهم على مقتضى ديانتهم . وغالباً يحفظون رمادها ويرسلونه إلى نهر القنج . وجلهم على مذهب بابانانك الذي أشرنا إليه سابقاً ويشتغلون غالباً بالتجارة والصيرفة ويجتنبون غاية الإجتناب مس غير المتدين بدينهم، ويتحاشون عن تعاطي طعامه وشرابه .

وأما كيفية حكومة الأفغانيين : فالحكومة الأفغانية حكومة استبدادية مطلقة، ولكن لها نوع مشابهة بالحكومة الشوروية[1] لأنها لا يمكن إبرام أمر مهم فيها إلّا بمشاورة رؤساء القبائل . وهي مؤلفة من أمير، وهو سلطان البلاد، ووزير، وهو بمنزلة الصدر الأعظم، و«مستوفي الممالك»، وهو بمثابة ناظر المالية والداخلية معاً في سائر الحكومات، و«خازندار» وهو الذي يناط به حفظ النقود الأميرية، و«إيشيك أغاسي باشي» وهو الذي ترفع إليه عرائض المشتكين ويفصل الدعاوي بين المتخاصمين بأمر الأمير، وولاة . وغالب هؤلاء الولاة من العائلة السلطانية

(١) هكذا في الأصل، والصواب الشورية .

ويلقبون بالسردار، وجنرالات وهم رؤساء العساكر . وبعض هؤلاء من السردارين، وكتوالين وهم الشحنة، أي ضباط البلد . ويوجد في كل بلد مستوف نائب عن «مستوفي الممالك» وهو لضرب الضرائب وجمع الأموال الأميرية، ومأمورون، وجباة .

وأمير الأفغان ليس له أُبهة ملوك الشرقيين وجلالتهم، بل يجلس في ديوان الحكومة المسمى عندهم «دربار» على النمارق الفارسية، مع أعيان الحكومة، ولا يتميز عنهم إلّا بمتكأ يوضع بجانبه، ولا يمنع الحاجب والبواب أحداً من الدخول عليه حتى أسافل الناس . ولكل واحد من أهالي البلدان أن يرفع شكواه إليه مكلماً إياه مشافهة، رافعاً صوته بدون خجلٍ ولا مبالاةٍ . وهكذا سائر الولاة مع الرعية في الولايات . نعم، إنه يقف أمام الأمير كثير من الخدم متسلحين بالسيوف والخناجر مهيئين لإجراء الأوامر والنواهي، ويركب في محفة تحملها أعناق الرجال تارةً وفي هودج محمول على الأفيال أُخرى . ويجلس مع الأمير في ديوان الحكومة (خان منلا) وهو قاضي القضاة لفصل الدعاوي الشرعية . ويجلس أيضاً مع كل والٍ قاضٍ. ولا يجوز للأمير ولا لأحدٍ من الولاة أن يتداخل في الأُمور الشرعية . ولا يوجد للحكومة الأفغانية قانون سياسي، وإنما الحل والعقد، وفصل القضايا، وتعيين الجزاء، وتحديد العقاب، وضرب الجزية (أي الجزاء النقدي)، والحبس، والضرب، والطرد، موكول برأي الأمير . وسائر الولاة يفعلون على ما حسب ما يتراءى لهم (ولا شك أن هذه الطريقة لا تخلو من الغدر والظلم في كثير من الأحيان) غير أن العقاب بالمثلة، وقطع اليد والرِجْل، قلّما يقع في تلك البلاد . وأما القتل سياسة فلا يقدم عليه الأمير جهاراً إلّا إذا اتفقت معه آراء كبراء قبيلة مَن أراد الأمير قتله خوف الفساد وخشية التعصب وإثارة الفتنة . نعم، إن الأمير كثيراً ما يفعل بعظماء عائلته أفعالاً شنيعة كالقتل والسمل، وغيرهما من الفظائع لعدم من يقوم بناصرهم، ويأخذ بثأرهم . وكثيراً ما يصادر الأمير أموال الوزراء إذا غضب عليهم، أو أحسّ منهم بسوء . وهكذا يفعل الولاة من العائلة السلطانية مع المستخدمين في الولايات

للسبب عينه. ولا ينجو أرباب الغنى من التجار والزرّاع من هذه البلية. وللأمير أن يتصرف في الخزينة الأميرية كتصرفه في مطلق ماله كيفما شاء. وليس لأحد حق المنع والرّدع بل لا يخطر ببال شخص ما أن الأموال الأميرية ليست من ممتلكات شخص الأمير، وأنه لا يجوز لأمير ما أن يتصرف فيها إلاّ بالمقدار الذي يجوّزه القانون، وترضى به الأمة

ولعدم معرفة الحكومة الأفغانية بواجباتها وعدم وجود قانون يجبرها على موجبات الإصلاح تراها غير مهتمة بتأمين السبيل وإصلاح الطرق ومنع قطاع الطرق وحفظ القوافل ووقاية السابلة. حتى إن القافلة إذا أرادت أن تذهب من بلدٍ إلى بلدٍ فلا يمكنها ما لم تكن مؤلفة من مئتين متسلحين بالسيوف والبنادق، كأنهم جيوش حربية مستعدون للطعن والنزال، لا للبيع والشراء. ولأجل هذا قلت التجارة في تلك البلاد وصار سوقها كاسداً. ويوجد في بعض البلاد الأفغانية محتسب لدفع الموبقات وإن الحكومة الأفغانية تشبه أن تكون حكومة عسكرية لأن جميع أرباب المناصب الملكية والعلمية وكل المستخدمين من الوزير إلى الكاتب المسمى عندهم «ميرزا» ومن قاضي القضاة إلى أدنى نائبه تقيد أسماؤهم في الدفاتر العسكريَة، وتكون مرتباتهم الشهرية على حسب ما يوجبون عليهم إحضاره في المحاربة من الفرسان للمقاتلة والمناضلة: مثلاً يقرِّر لقاضي القضاة مرتب مائة خيال، فيجب عليه أن يحضر في جميع المحاربات مصحوباً بما فرض عليه من الفرسان متسلحين بأسلحتهم. وإن الحكومة تلزم مشايخ القرى والقصبات بجمع عساكر النظام من أرباب العقارات والضياع، فيقدم المشايخ رجالاً على حسب ما يتراءى لهم من غير قانون ولا ضرب قرعة. وليس لمدة العسكرية حد معين. وإذا كان العسكري تحت السلاح فراتبه الشهري ست روبيات، بلا تعيينات يومية. وقد يحصل التأخير في أدائه. ولها أن تجمع في أوقات المحاربة من سكان البوادي، وأهل القرى على حسب كثرتهم وقلتهم مشاة تسمى عندهم «خاصه‌دار» وفرساناً تسمى أوبره سوار «بالباء الفارسية» وهي التي تقوم بمؤونتهم مدة المحاربة. وغالب

هؤلاء الفرسان من الجمشيدي والأزبك . والأَمارة الأفغانية وراثية، ولكن لا يشترط أن يكون الوارث أكبر أولاد الأمير فله أن يجعل من يشاء من أولاده ولي عهده . ومع ذلك لا تخلو الإمارة الأفغانية من التقلقل لشدة حرص الطامعين، وكثرة شره المفسدين، الذين لا يألون جهداً في السعي للتغلب عليها . ولا توجد معاهدة دولية بين هذه الإمارة وسائر الحكومات وإنما تقرر بعضاً من الشروط بينها وبين الحكومة الهندية الانكليزية في الزمان السابق .

والأموال الأميرية في تلك البلاد قسمان : قسم يؤخذ من أرباب الزراعة وأصحاب البساتين ومقتني المواشي . وهذا القسم يشبه أن يكون زكاة شرعية . وقسم يؤخذ من أرباب الدكاكين والصنائع، ومن كل ذكر من طائفة الغلجائي يكون عمره خمس عشرة سنة (ضربت على كل ذكر من طائفة الغلجائي روبية جزية عليهم وإذلالاً لهم تؤخذ منه كل سنة منذ انتقلت السلطنة منهم إلى العبدل قبيلة الأمير الحالي) ومن أرباب الجنايات جريمة، ومن البضائع الواردة الى البلاد الأفغانية باسم «الجمرك» والرسم الذي يؤخذ بهذا الاسم لا يتقيد بحدود البلاد، بل يؤخذ في كل مدينة وقصبة . ولما كان سكان الجبال غالب الأوقات في حال التمرد والعصيان، فلا يمكن استحصال الأموال منهم إلّا بالقوة الجبرية وإرسال الكتائب من العسكرين . ولتوالي الفتن في البلاد الأفغانية واستمرار عصيان القبائل فلا يمكن بيان المعدل الحقيقي للأموال الأميرية، ويظن أنها لا تزيد عن مليون ونصف من الجنيهات، ولا تنقص عن مليون وربع . وهذا المبلغ يصرف في مرتبات العائلة السلطانية . واللغة الرسمية عند الحكومة هي اللغة الفارسية . ومن عادات الأمراء الأفغانيين أن يخرجوا يوم عيدي الأضحى والفطر في موكب عظيم للصلاة خارج البلد . وبعد أدائها تضرب المدافع والبنادق ويتسابق أمامهم الفرسان على الخيول الجياد . ثم بعد عودهم يجلسون في الديوان وتمد الموائد وترد عليهم الناس أفواجاً للمعايدة .

خاتمة الكتاب
(في ذكر أحوال البلاد الأفغانية إجمالاً)
(من حيث الأهوية والأبنية والمزارع)
(والصناعة والتجارة والمعادن)

إن البلاد الأفغانية، لاختلاف أبعادها عن خط الاستواء، ووجود الجبال العالية والأودية المنخفضة فيها، تختلف أهويتها حرارة وبرودة على حسب المواقع، وتتغير بتغير الفصول والأزمان، ولكنها جيدة للصحة لخلوها من العفونة والفساد. وقلَّ ما تقع فيها الأمراض الناشئة عن فساد الهواء كالأمراض الوبائية. وبيوت المدن والقرى طبقة واحدة مبنية غالباً باللَّبن، خالية عن الزخرف والزينة إلا مدينة كابل، فإن جل أبنيتها بالأخشاب والأحجار وقد يوجد في بعضها حدائق وجداول وحياض. وشوارعها وأزقتها ضيقة معوجة خلا شوارع مدينة قندهار فإنها واسعة مستقيمة. والجوامع المشيدة المزخرفة التي كانت في تلك البلاد في الأزمنة السالفة صارت بسبب توالي هجمات الأعداء ودوام المحاربات خاوية على عروشها إلا القليل منها. وأما ما يوجد منها الآن فإنها خالية من الإحكام والمتانة، عديمة الزخارف والزينة، وتحيط بالمدن والقصبات أسوار عليها أبراج على الطراز القديم لا تقاوم المدافع وإنما هي سد لهجمات الفرسان. نعم، إن لكل من مدينة هرات ومدينة كابل مناعة فإن الأولى مسورة بسور محصن بأتربة تمنع تأثير أُكر المدافع، والثانية محاطة بجبال عليها أبراج واستحكامات يمكن بها مدافعة العدو زمناً طويلاً.

وأراضي الأفغان قابلة لأنواع المزروعات ترويها أنهر ونهيرات، ولكن لكثرة الفتن وعدم مهارة الأهالي في فنون الزراعة وإحكام الجسور، وحفر الترع، وبناء القناطر، تكون غالب الأراضي معطلة وتذهب الأنهر في الأودية والأراضي المرملة بلا انتفاع يعتدُّ به. ومع ذلك فالأهالي يزرعون البُرَّ والشعير، والأرز والذرة، والدخن والباقلة، والحمص والبقول، والخضروات، وغيرها مما يقوم به معيشتهم، ولا يهملون زرع قليل من القطن والتنباك والأفيون والحشيشة للتجارة، ويسعون بقدر طاقتهم في غرس الأشجار وتربيتها، كالكرم والخوخ، والمشمس والكمثري، والتفاح والسفرجل، والرمان والجوز، واللوز والعناب، والفستق والتوت وغيرها. وأهالي هرات يربون دود القز، ويزرع في جلال آباد قصب السكر، ويوجد في بعض الجبال الأفغانية كثير من الصنوبر والمصطكى والفستق البري والجميز، وكل الفواكه الموجودة في تلك البلاد في غاية الجودة.

والصنائع في تلك البلاد قليلة جداً. وهي ما ورثوه عن آبائهم من غير اهتمام بإجادته وإتقانه. فمنها نسيج الأقمشة الحريرية، وعمل صنف من الكشمير غير الملون المسمى عندهم «بتو» بالبء الفارسية والفراء «الكرك» من جلود الحمل في مدينة كابل، ومنها عمل الأبسطة الملونة الجيدة في هرات، ومنها الجوخ المسمى ببرك كما أشرنا إليه سابقاً في قبيلة هزاره. ويوجد في كابل وقندهار معامل صغيرة لاصطناع المدافع والبنادق والسيوف.

ومعاملات بلاد الأفغان التجارية لم تكن غالباً إلا بينها وبين الهند وبخارى وايران، فالصادر منها الى الهند هو الصوف والقطن والفواكه والنقل بأنواعه تحمل على ظهور الإبل، وإلى إيران البرك والفراء وصنف من النعال وشيلان الكشمير المجلوبة إليها من بلاد كشمير و«عنبرسر»، ويجلب إليها من بخاري والهند الجوخ وأقمشة الكتان والقطن والشاي والسكر والزجاج والخزف الصيني والقرطاس والفولاذ والحديد والنحاس والزئبق ودود القز والعقاقير، وغير ذلك. ومن إيران الأقمشة والأسلحة. ويوجد فيها معادن كثيرة ولكن الأهالي غير قادرين على

استخراجها والانتفاع بها، ومنها معادن الذهب في قندهار، ومعدن الحديد في بلاد «خست وكرم»، ومعدن الياقوت في كابل، ومعدن الحديد والكبريت، والياقوت، واللازورد في بدخشان، وغير هذه توجد معادن كثيرة معطلة. وهذا ما أردنا بيانه في كيفية سلطنة الأفغانيين ووضع بلادهم وطرق تعيشهم وسرد قبائلهم والله ولي التوفيق.



السيد جمال‌الدين الحسيني الأفغاني ٣

البيان
في
الانجليز و الأفغان

اعداد:

سيدهادى خسروشاهى



البيان في الانجليز والأفغان

إن الأمة المؤلفة من أفراد يختلفون في المشارب، وتربطهم روابط الاجتماع والجنس، وتلحمهم وحدة اللغة والأصل والموطن، ويطيعون شريعة واحدة لا تفرق بين الكبير والصغير، وتحكمهم سياسة واحدة وحكومة واحدة ـ هذه الأمة تكون رمزا لسعادة الفرد الواحد، الذي يتألف هو نفسه من عناصر عدة تجمع بينها قوة الجذب المشترك، كما يتألف من أعضاء شتىٰ مختلفة الأشكال في بنيتها العامة، توحد بينها قوة روح محركة واحدة.

وسعادة الاثنين (الأمة والفرد) تنشأ من حركات الجسم ككل، وهي التعبير الظاهر عن الروح الكامنة التي تنشط الانسان، وتحركه نحو التماسك والتروي واليقظة والحزم، وتحثه علىٰ اكتساب العلوم والمعارف، وتوجهه نحو الصنائع والاختراع، وتنقذه من الكوارث، وتحميه من محن الدهر ومن تلك الحركات الجبرية التي لا تتحكم فيها ارادته أو اختياره، مثل الحركات البدنية التي تنشط بارتفاع الأمم وسقوطها، وتشكل السلسلة التي لا نهاية لها، وهي سلسلة تربط ما يقع اليوم بالعلة الأبدية.

والعجز عن تحقيق السعادة، أو فقدان السعادة بعد تحقيقها، بسبب الأمة أو الفرد، يكون نتيجة إهمال ذلك المحرك المتصف بالكمال والمتصل بالحركات المجمعة التي أشرنا إليها، أو نتيجة عدم الاهتمام بأي جزء من هذه الحركات. ولكن إذا حدث أن نتج العجز عن تحقيق السعادة ـ مع ما يترتب عليه من مضاعفات ـ من

غياب أي جزء، فإن الانسان لا يكون، عندئذ، مسؤولا، لأن الأمر يتعدى نطاق تحكمه ومجال إرادته . ومن ثمة، فإن الذي يخسر السعادة، في مثل هذه الحالة، ليس من القبيح أن يلام أو ينتقد، ولا هو يملك مبررا عادلا للندم أو تأنيب الضمير . ولكن إذا نشأ ذلك العجز من داخل مجال إرادته فإن الخاسر يستحق الاستنكار والتقريع . ويجب أن يبدي أسفه علىٰ إهماله لما كان داخل نطاق تصرفه .

هذا المعيار الفلسفي الذي يشير الىٰ تلك القوانين الفطرية للطبيعة يصلح مقياسا لقياس ظروف الأمم وأحوالها في السعادة والشقاء، وكذلك يصلح مقياسا لكيل الثناء والمديح، أو التقريع والانتقاد، لماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها .

ماضي الانكليز

وبناء علىٰ هذا سوف نستخدم ذلك المعيار في استعراض تاريخ الشعب الانجليزى العظيم، الذي يصمم الآن علىٰ خوض حرب مع أفغانستان، حتى يمكن أن نكتشف أسباب سعادته[1] الماضية، ونستطيع أن نحكم علىٰ استمراره أو ركوده في المستقبل. فنقول :

لقد بعث الخطيب المشهور شيشيرون خطابا الىٰ أحد الفاتحين (الرومان) لانجلترا، رجاه فيه ألا يرسل أسيرا الىٰ روما، لأن الانجليز جنس أميّ غير متعلم، لا يعرفون الخلق المهذب، ولا يقبلون علىٰ اكتساب المعارف، ولا سيما الهندسة والموسيقىٰ . وقد درج النورمانديون ايضاً، حين احتلوا الجزيرة (الانجليزية)، علىٰ تكبيل أعناق أهلها بالاغلال، لأنهم أدركوا انحطاطهم وتخلفهم . ومع ذلك فقد لاحظ هؤلاء الأهالي ما أحرزه جيرانهم من تقدم في العلوم والمعارف، وما استمدوه منها من مزايا، وما تحقق لهم ـ نتيجة ذلك ـ من مرتبة عالية، فتأثروا،

---

(١) استخدم المترجم الانجليزي كلمة «رخاء» prosperity بمعنىٰ «سعادة» الذي يقصده الأفغاني . ولكننا نميل الىٰ المعنىٰ الأخير . لأنه تكرر بعد ذلك ـ كما سنرىٰ ـ في كتابات الأفغاني في تلك الفترة . ومع ذلك فالسعادة عند الأفغاني هي الرخاء أيضاً .

ونشطوا، الىٰ حد أن مزاجهم كله أصابه التغير، واعتراه ظمأ عارم لتحصيل العلوم. واتجه هذا الظمأ اول ما اتجه الىٰ الصنائع أساساً، ثم تطور فأصبح نشاطا تجاريا، سرعان ما اتسعت معاملاتهم ـ بسببه ـ اتساعا هائلا. وقد ساعدت علىٰ ذلك القوة القاهرة للظروف، مما ترتب عليه في النهاية تتويج جهودهم بالنجاح الكامل.

ولما اشتد ساعدهم، وبلغوا أوجهم، ووقفوا بقوة علىٰ أقدامهم، راحوا يتأملون في أحوال جيرانهم، الأسبان والبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين، الذين فتحوا مختلف البلاد والأصقاع، واكتشفوا الجزر، وأسسوا المستعمرات، وأرسلوا أيضاً بعثات الىٰ جميع أركان المعمورة، وأطلقوا السفن في المحيطات الشاسعة شرقاً وغربا. ثم قادهم هذا التأمل الىٰ العزم علىٰ التنافس والتباري مع أولئك الجيران. ومع ذلك كان عليهم أن يتغلبوا علىٰ عقبة كبيرة، وهي قلّة الرجال. ولعلاج ذلك اتخذوا سياسة قوامها «التغرير والتلبيس، ونصْب فخ المواربة وشرك المخاتلة»(١) وبهذه السياسة حققوا أهدافهم، وتفوقوا علىٰ سائر الأمم الأخرىٰ، الىٰ حد أن المتأمل في جلافة نحوهم، وبرود جِبْلَتِهم، قد يتساءل: كيف تأتّى لهم تحقيق النجاح بهذه الوسائل الماكرة، والثبات علىٰ نجاحهم، وحماية وضعهم عن طريقها؟

غير أنهم استغلوا هذه الوسائل كسلاح يهاجمون به الأمم والممالك. وأثبت السلاح في أيديهم مضاءه في اثارة الفتن في مختلف الامارات، وتقليب الواحدة علىٰ الأخرىٰ، وخلق المنازعات بين الحكام ورعاياهم.

وعلىٰ أساس هذا المبدأ سلكوا، حين طمعوا في محطة في البحر الأبيض المتوسط،(٢) ورغبوا في سلخها من الممتلكات العثمانية، كي يؤسسوا بها مستعمرة. كما أرسلوا الرسل الىٰ المرحوم الشاه عباس شاه ايران، كي يحرضوه علىٰ حكومة البلاد، ويغروه علىٰ التحالف معهم في إذلالها. وعلىٰ هذا النحو نجدهم، حين وضعوا

---

(١) هذا نص عبارة الأفغاني في العربية كما ظهر في رده علىٰ ما اثارته مقالته من نقاش.

(٢) يقصد قبرص التي استولىٰ عليها الانجليز من السلطان العثماني في ذلك العام، ١٨٧٨.

أقدامهم علىٰ سواحل الهند، مهد البشرية وينبوع التشريع، يحرضون النوّابين والراجوات[١] الهنود ضد عاهلهم تيمور، ويغرونهم علىٰ التمرد عليه والاستقلال عنه. ثم أخذوا يعينون هذا علىٰ ذاك، ويؤلبون الآباء علىٰ أولادهم، والوزراء علىٰ الأمراء، حتىٰ حققوا غرضهم بتأسيس حكمهم فوق جميع راجوات الهند.

كذلك كان الانجليز هم أيضا الذين وحّدوا أوربا بأسرها ضد بونابرت[٢] حين بدأوا يخشون علىٰ أنفسهم منه، وأدركوا أنه أنشأ علاقات ودية مع تيبو سلطان عاهل مَدْراس. بل إنهم عقدوا معاهدة مع فتح علي شاه، عاهل فارس، تقضي بأن يرسل قوات الىٰ خراسان عندما قرر تيمور شاه الأفغاني أن يزحف بجيش الىٰ الهند. كذلك سعوا إلىٰ مساعدة شاه شجاع[٣]، السلطان الأفغاني المخلوع، عندما سمعوا أن الروسي فيكوفيتش[٤] قد جاء الىٰ أفغانستان، كي يدعو الأمير دوست محمد خان لعقد معاهدة مع شاه فارس. وفي تلك المناسبة سَيّروا جيشهم الىٰ داخل البلاد، تحت قيادة شاه شجاع، ونجحوا في خلع دوست محمد خان، وإحلاله محله. كما اتصلوا بالفرنسيين كي يعاونوهم في معاركهم مع روسيا، عندما أدركوا أن الروس يطمعون في القسطنطينية (الآستانة)، وهم يعرفون جيدا أن روسيا اذا نجحت في تحقيق ذلك الهدف فسوف يُقْطع طريقهم الىٰ الهند عبر أفريقيا عاجلا أو آجلا. وقد أغْري الفرنسيون علىٰ الانضمام اليهم في حرب القرم[٥]، ولكن خسائر الانجليز في الرجال والمال لم تصل الىٰ عُشْر ما خسره الفرنسيون. وكانوا هم أيضاً

---

(١) نوّاب: لقب يطلق علىٰ نائب الأمير أو الحاكم. وأصله عربي دخل الأوردية بمعنىٰ نائب. وراجا: لقب يطلق علىٰ الأمير.

(٢) نابوليون بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) جنرال فرنسا ثم امبراطورها. ويعرف باسم نابوليون الأول.

(٣) ملك أفغانستان الذي تعاون مع الانجليز وخضع لهم.

(٤) صحة اسمه: فيتكيفتش، وقد أرسلته حكومة القيصر الروسي لبحث تحسين العلاقات بين بلاده وأفغانستان. ولكن زيارته هذه تسببت في التدخل الانجليزي العسكري في أفغانستان عام ١٨٣٩.

(٥) اعلنتها فرنسا وانجلترا علىٰ روسيا عام ١٨٥٤ واستمرت نحو عام.

الذي أغروا الأمير دوست محمد خان علىٰ الاستيلاء علىٰ (مدينة) هرات، مفتاح الهند، وكان يحكمها وقتذاك أحد أقرباء شاه ايران، وذلك خوفا منهم أن تَعْقد روسيا معاهدة مع فارس .

والخلاصة : إن من يرجع الىٰ تاريخ الماضي يقتنع، لا محالة، بأن الانجليز لم يكفوا قيد شَعْرة عن اتباع ذات السياسة الثابتة في تحقيق غاياتهم، في الشرق والغرب، وفي العالم القديم والحديث . وبالسير علىٰ هذا المنوال نجحوا في كل مكان، وراحوا يستولون علىٰ الأمم، ويضمون الأراضي، ويوسعون بذلك نفوذهم، إلىٰ حدّ أن ممتلكاتهم تشكل منطقة تصل الىٰ ما يساوي محيط الكرة الارضية . ولو ألقىٰ متفرج نظرة عجلىٰ علىٰ نجاح هذه الاستراتيجية، وعلىٰ جماعة المتعلمين والاداريين البارزين، وعلىٰ عدد هؤلاء القوم ومصادر ثروتهم، لمال الىٰ الشك في امكان اهتزاز أسس مملكة عظيمة كهذه، أو فرار أقل قطعة من الأرض وقعت تحت سيطرتهم . ولكن إذا راجع المتأمل حكمه، ودقق قليلا في الموضوع، لاكتشف أن السياسة الانجليزية تقوم علىٰ أساس هَشّ، وأن قبضتها ضعيفة، وأن القوة الناشئة منها لها ذات الخصائص، بالرغم من أنها تبدو ـ لقصير النظر ـ ضاربة في أعماق التاريخ .

ومع ذلك، يجب أن نضع في ذهننا، أن هذا الضعف وغياب التماسك لا ينشآن من أي حاجة الىٰ العقلاء والحصفاء بين أولئك القوم . فهم يتحركون من خطأ مُستهجن كامن في طبيعتهم، ألا وهو الأنانية التي تعد فيهم من الدرجة الثالثة . وذلك لأن حب الذات له ثلاث درجات مختلفة :

الأولىٰ حين يحب الشخص نفسه ويحب الغير أيضا، بغير دافع المصلحة، وهذه صفة الانسان الكامل . والاخرىٰ هي حب الذات وحب الغير، إذا كان في هؤلاء الغير منفعة، دون إضرار بهم، وهذه صفة الانسان المتوسط الفضائل . والأخيرة هي حب الذات وتحقيق المكاسب حتىٰ علىٰ حساب الاضرار بالعالم كله، وهذه أدنىٰ اشكال تلك الصفة . ومع أن الذي تكون فيه هذه الدرجة الدنيا يُظْهُر حبه لذاته، فهو في الحقيقة عدو لنفسه، لأن أنانيته تودي به الىٰ مسالك خطرة، وتلحق به كثيرا من

الشرور . وذلك لأن من يتميز بهذا الغرور لا يكف عن الاستخفاف بحقوق الغير، ولا يحرص إلّا علىٰ خدمة غاياته . فالغرور يعميه أولا عن الصواب، وبذلك يمنعه من التمييز بين الشر والخير . وهو ـ ثانيا ـ يُغْري مَنْ علىٰ شاكلته بمعارضته، لأن العقل البشري مفطور علىٰ كراهية الذين لا يحترمون حقوقه . ثم هو يؤدي به أخيرا الىٰ الطمع فيما يملكه الغير، والتخطيط لحرمانهم مما يملكون، فيُحْدِث ـ بالطبع ـ العداء والنزاع .

ولا جدال في أن الشعب الانجليزي العظيم مصبوب في هذا القالب .

أنانية الجنس الانجليزي

البرهان التالي يقوم علىٰ استخدام المنطق، من المعلول الىٰ العلة . ويصلح دليلاً لأولئك الذين يبحثون عن العلم . ويجدر بالسائل أن يعتني بملاحظة النتائج التي ترتبت علىٰ الأنانية المفرطة عند الانجليز .

وسوف ننتقل الآن الىٰ بيان بعض هذه النتائج .

أولا ـ سنضرب المثال بالأميركيين الذين ثاروا علىٰ الانجليز . فمع أنهم يشتركون معهم في اللغة والدين، نراهم يظهرون لهم عداوة صريحة، ولا يرجون شيئا أفضل من أن يروا مملكتهم في حكم الزوال . وليس من السهل إدراك مثل هذا المشهد الرهيب إلّا بإرجاعه الىٰ حب الذات المفرط الذي شرحناه، لأننا نرىٰ أن وحدة شعبين في اللغة والعقيدة رباط أقوىٰ من أي رباط آخر بين البشر .

ثانيا ـ منذ نحو عشرين عاما اتحد شعب الهند. سنيين وشيعيين ووثنيين، وتآمروا علىٰ الاطاحة بالاستعباد الانجليزي، وكان أهل السنة بقيادة فيروز شاه، والشيعة بقيادة باجس قدر وأمه البيجوم صاحب، والوثنيون بقيادة نانا راو صاحب . وقد ثار هؤلاء علىٰ الانجليز، وقتلوا وذبحوا الكثيرين منهم، الىٰ حد أن حكمهم للبلاد أوشك علىٰ السقوط . وما زال الشعور بالعداوة والبغضاء قائما، وقد تحققا بدرجة عالية الىٰ حد أنه لا يوجد هندي لا يصلي من أجل زحف الروس الىٰ حدود الهند، ولا ينتظر اقترابهم متلهفا، حتى يتمكنوا من تخليصهم من السيطرة

الانجليزية .

ونعود فنقول أن من الواضح أن هؤلاء القوم، الانجـليز، إذا لم يكـونوا قـد وطّنوا أنفسهم علىٰ الانفراد بالمنافع التي عند الغير، وانحطوا بأنفسهم الىٰ أخذ مـا ليس لهم، لما أمكن ظهور مثل هذا التحالف بين شيع تعتنق آراء شديدة التعارض، وهي شيع كان يمكن، في ظروف غير هذه، أن تـفرح الواحـدة بـالشرب مـن دم الأخرىٰ .

مقارنة بين الانجليز والأمم الأخرىٰ

ما أبعد المسافة بين هذه السياسة وسياسة الروس الذين يـعدهم الانجـليز متخلفين بلا حدود، وجماعة من المتوحشين والهمج ! فحكومة هؤلاء (الروس) لم تحتل بلداً اسلامياً واحداً، ولا تحكمت في قبيلة من قبائله، مثل داغستان، أو قازان، أو القوقاز، أو القرغز، أو طشقند، أو قوقند، أو سمرقند، أو جزخ، أو بني قورفان، أو قَرقُول، أو خيوة، أو عرانجي، حيث لم تنجح في اجتذاب حب الناس، ولكنها قامت بترقية الكثيرين منهم الىٰ المناصب العالية، واختارت من بـينهم قُـواداً وضـباطاً للجيش . أما في الهند فلا تجد أحداً رُقّي الىٰ مثل هذه المناصب، ولا الىٰ وظائف أقل منها، ناهيك عن ضخامة عدد الناس، وتحكم السلطة البريطانية فيهم . ومـن ثمـة فأنت، في البلاد المختلفة التي عددناها، لا تلقَ أحداً ساخطا، ولا أحداً شاكر للحكم الروسي . بل لن تجد فارسيا واحداً لا يميل الىٰ الروس، ويثني عـليهم أكـثر مـن الانجليز، مع أن الروس ارتكبوا أعمالاً شريرة في حق الفرس، في المـاضي، حـين استولوا علىٰ جانب كبير من أراضيهم، في حين لم يرتكب الانجليز شيئاً من ذلك . بل إن الصحف الانجليزية تقول إن الفرس هم الذين هيّجوا الأفغان علىٰ الانجليز .

بل ما أبعد الفرق بين سياسة الانجليز وسياسة الفرنسيين في الجزائر ! فأهل ذلك البلد أكثر رضا وسعادة ـ بغير حدود ـ من أهل الهند . وكيف لا يصح ذلك إذا تأملنا في اختلاف الطريقة التي يعامَلون بها ؟ لقد دعوا هـذا العـام (الفـرنسيون)

مشايخهم الىٰ المعرض(١) وعند وصولهم قدّم لهم كبار مسؤلي الدولة ألوانا بهيجة من الترفيه، وأجلسوهم جميعاً حسب رتبهم ومكانتهم. وأظهروا لهم أيضاً ألوانا أخرىٰ من الاهتمام، فرطّبوا قلوبهم. ثم طلبوا منهم بعد ذلك أن يرسلوا ممثلين لهم في الجمعية الوطنية (البرلمان)، حتىٰ يساهموا في تحقيق المزايا التي تحق لجنسهم.

والحق أن الأمة الفرنسية قد كسبت قلوب الشرقيين باعتدالها في صفة الأنانية، وحبها العام للخير والبر. وبذلك يحق للشرقيين أن يحبوها في المقابل. والحق أن تلك الأمة لم تنفك تظهر عواطفها الكريمة في جميع أنحاء الشرق.

أنظر الىٰ مصر، التي يتخذها الانجليز طريقا الىٰ الهند. هل تجد فيها أي مؤسسة نافعة، وأي آثار تدل علىٰ حب الحرية المنزه عن الهوىٰ من أصل انجليزي؟ كلا، فمهما كان وجود مثل هذه الدلائل فإنما تشير الىٰ الفرنسيين. ولن تجد في مصر مدرسة واحدة للمعارف أو العلوم، منذ عهد المرحوم محمد علي باشا، إلا كان موسسها ومنظمها وناظرها فرنسيا. فتحية إلىٰ الأمة التي تنطق أعمالها بمدحها، والتي يشهد العالم كله علىٰ فضائلها وطهارة ثوبها الذي لم يدنسه تلوث الطمع.

الانجليز في مؤتمر برلين

أذكر أيضا سلوك الانجليز في مؤتمر برلين(٢)، حيث عرضوا للبيع بعض أقاليم تركيا. فقد تعهدوا هناك، فضلاً عن هذا، بخرق المعاهدات، ولا سيما ما يخص منها أهل الشرق، الذين كانوا ـ وقتذاك ـ علىٰ قناعة كاملة بغدرهم. وكانوا حقا من الاقتناع بذلك، الىٰ حدّ أنْ لو جاءهم الآن صوت من السماء معلناً صدق وعودهم، وتمسكهم بكلمتهم لما صدقوه ولا أطاعوه. غير أن هذا هو اسلوب الانجليز الذي لا يتبدل. فهم حين يريدون نوال شيء، أو يفكرون في ضرر، يسعون الىٰ تحقيقه عن

---

(١) معرض باريس الدولي.

(٢) انعقد في ذلك العام، ١٨٧٨، ونتج عنه تسوية مشكلة البلقان وضم قبرص الىٰ بريطانيا. وقد دعا إليه بسمارك بهدف علاج مشكلة الحرب والتمرد في الدولة العثمانية.

طريق المعاهدات، وهي مجرد أدوات التغرير والتدليس، ولا يترددون في نقضها في سبيل خدمة مصالحهم . وهذا ما فعلوه في الهند . ولا سيما مع سلطان لكْنو، الذي قبضوا عليه ونقلوه الىٰ كلكتا .

إن السياسة الضعيفة تنشأ من العقل المضطرب، وتنبت من الشره والطمع، اللذين ينبعان بدورهما من تلك الصفة المستهجنة، ألا وهي الافراط في الأنانية . وقد أثارت هذه الصفة أعداء الانجليز عليهم، وجعلت أصدقاءهم يشعرون نحوهم بالاشمئزاز . فهم ـ علىٰ سبيل المثال ـ رفضوا مذكرة أندراسي[1]، وبذلك أسخطوا عليهم النمساويين الذين وضعوا تلك المذكرة بكل ما لديهم من إخلاص، ثم تمت الموافقة عليها ـ بخط أندراسي ـ من الأباطرة الثلاثة . كما أنهم ـ أي الانجليز ـ رفضوا مذكرة بسمارك[2]، وهو السياسي الذي يجب علىٰ من يرفض رأيه أن يعد نفسه لرأي أشد وطأة بذات المعنىٰ . وبذلك أحنقوه عليهم، ومعه جميع أحزاب ألمانيا. بل انهم أثاروا علىٰ أنفسهم كراهية جميع الوطنيين العثمانيين، عندما منعوا جنودهم في لاميج[3] من تنفيذ الأوامر التي تلقوها، وأغروا أمير تلك البلاد علىٰ التنكر للسلطان . وكذلك الحال حين حرضوا العثمانيين علىٰ رفض المذكرتين، ثم انضموا بعد ذلك الىٰ الدول الأوربية الكبرىٰ الأخرىٰ عند قبولها لمذكرة الآستانة .

وقد حدث هذا نفسه عندما أوحوا للعثمانيين بأنهم سيعينونهم علىٰ أعدائهم اذا هم قاتلوا، ولكنهم تركوهم ـ وهم في أشد الحاجة اليهم ـ بعد أن قادوهم الىٰ الحرب التي يعرف الجميع نتائجها . وكذلك حين عارضوا معاهدة سان ستيفانو[4] ، وجاهدوا في سبيل انعقاد مؤتمر برلين، بالرغم مما عبرت عنه جميع الصحف حين فضلت المعاهدة السابقة للعثمانيين علىٰ المؤتمر من حيث المزايا . ويمكن أن تضيف الىٰ

---

(١) وزير خارجية النمسا .

(٢) مستشار ألمانيا (بروسيا في ذلك الوقت) ومهندس امبراطوريتها (١٨١٥ ـ ١٨٩٨).

(٣) أثناء الحرب بين تركيا والصرب عام ١٨٧٦ .

(٤) عقدها الروس المنتصرون ، عام ١٨٧٨ ، مع تركيا بعد هزيمتها في حربها معهم.

هذا كله أنهم ـ أي الانجليز أيضاً ـ كانوا السبب في مذبحة المسلمين في البوسنة والهرسك .

لقد اكتسبوا، علاوة علىٰ هذا، كراهية مرّة من جانب روسيا التي سوف تثأر لنفسها في القريب العاجل، وذلك بإصرارهم علىٰ دخول سفنهم البوسفور، وحشدهم القوات في مالطه، ومحاولتهم تجاهل معاهدة سان ستيفانو، وإعلانهم عن نيتهم للاستيلاء علىٰ ممرّي بولان وخيبر، واقتراحهم مَدّ سلطتهم علىٰ جزيرة رام هُرْمُزْ، التي تعد أقرب طريق الىٰ ساجستان علىٰ حدود قندهار . وقد أثاروا اشمئزاز اليونانيين أيضاً بعجزهم عن حفظ وعودهم لهم .

أما بالنسبة للفرنسيين فقد زال كل أثر للصداقة من جانبهم نحو الانجليز : أولاً، لأن هؤلاء حرضوهم علىٰ الدخول في حرب مع بروسيا، وغرروا بهم حين كان واجبهم أن يؤيدوهم . وثانيا، لأنهم ـ الانجليز ـ تخلوا عن التوسط بينهم حتىٰ تسببوا في تضحيات جسيمة للفرنسيين كان يمكن توفيرها لو أنهم وقفوا بجانبهم، أو تفاوضوا طبقا للمعاهدة . وثالثاً، لأنهم زعموا سيادتهم علىٰ قبرص التي تعد ذات مركز مهم، كبوابة الىٰ سوريا وآسيا الصغرىٰ ومصر، كما هو معروف عامة . ومن الغريب أن نقول أنهم استولوا علىٰ قبرص بحجة الدفاع عن الأراضي العثمانية في آسيا الصغرىٰ . ولكن ألم يكونوا هم الذين تعهدوا من قبل، مع الدول الكبرىٰ الأخرىٰ، علىٰ سلامة الامبراطورية العثمانية ؟ لماذا إذن تراجعوا أثناء الحرب الأخيرة[1] ؟ هل فسدت تلك المعاهدة الأولىٰ حتىٰ احتاج الأمر الىٰ تدعيمها بمعاهدة أخرىٰ ؟ ولماذا حددوا مسؤوليتهم هذه المرة بحدود آسيا الصغرىٰ ؟ ألم يكن ذلك لأنهم تنبأوا باهتزاز ظلهم فوق الهند، فأسرعوا لضمان بديل في أرض قريبة من بريطانيا ؟ إن الاراضي العثمانية في أوربا ممنوعة عليهم، بل إنهم غير مؤهلين لمناقشة وضعها، ومن ثمة حولوا أبصارهم إلىٰ الأقاليم الشرقية، وتعهدوا بالدفاع عنها .

---

(١) يقصد : الحرب بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٧ .

وعلاوة علىٰ هذا كله، بدأوا ممارسة سياستهم الهندية في تركيا، كما جاء في تصريح منشور لقائد انجليزي . ولكن حين رأوا أن فرنسا وإيطاليا تراقبان تحركاتهم شرعوا في إثارة الخلاف بينهما، حتىٰ يبعدوا أنظارهما عنهم، ويظل الساحل لهم وحدهم . ثم وهبوا تونس لفرنسا، كما جاء في الأنباء، ولكن الفرنسيين من الذكاء بحيث لا تنطلي عليهم الخدعة، ومن الحرص بحيث لا يؤخذوا علىٰ غِرّة . كما أنهم ـ الانجليز ـ أشعلوا غضب الايطاليين، أحفاد الرومان، الذين كانت بريطانيا أشد ما يبغضون من توابعهم، بسبب احتلالهم قبرص التي كانت من قبل إحدىٰ ممتلكات الرومان، ولا تزال آثارهم باقية فيها، وكذلك بسبب تحركاتهم الأخيرة في مصر .

نصيحة إلىٰ الانجليز

والآن، فهذه الأمور التي صنفناها أمامكم تشكل عللاً كثيرة، مباشرة وغير مباشرة، تدل علىٰ سقوط السعادة، وهي بعض ثمار الأنانية الفاضحة .

لا جدال في أن هذه الصفة تحكمها الارادة، ومن ثم فإن من تكون فيه الأنانية فيستخدمها في إيذاء الغير، إنما يكون سلوكه باعثاً علىٰ الاستهجان وموجبا للندم . ولذلك يجدر بحكماء الشعب الانجليزي العظيم أن يتدارسوا الأمر فيما بينهم، وأن يرجعوا فوراً عن طريق الافراط الىٰ طريق الاعتدال، وأن يخلصوا أنفسهم بعد ذلك من فكرة أنهم لا يخطئون في أفكارهم، وأن يكفوا عن خداع أنفسهم حول مبلغ ممتلكاتهم الشاسعة، واستمرارها المطول تحت مظلة نفوذهم .

واأسفاه ! سوف يمضي وقت طويل قبل أن يصحح هؤلاء القوم سلوكهم، إلا اذا شاء اللّٰه غير ذلك . ففي اعتقادنا أن حبهم لذاتهم، وشرهَهَم، وطمعهم، في زيادة مطّردة .

هل يمكن لأحد، حقا، أن يعجز عن ملاحظة هذا الطمع عند الانجليز في اصرارهم علىٰ الاستيلاء علىٰ الممرات الواقعة علىٰ حدود الامارة الأفغانية، وفي تجهيزاتهم القتالية لغزوها، بحجة أنها توشك علىٰ الدخول في حلف مع روسيا،

محاولين ـ في الوقت ذاته ـ إخفاء دهائهم وحيلهم التي لا تخفى علىٰ أحد، مدعين أنهم مجبورون، بالرغم من إرادتهم، حتى يتفادوا العدالة والنزاهة ؟ غير أنهم إنقادوا الىٰ هذه السبيل، بغض النظر عن عواقبها، بفعل غرورهم وسياستهم التي لا تحيد . وسوف نميط اللثام الآن عن ضعف حجتهم هذه، ونوضح بعض القضايا الممكنة لأغراضهم الراهنة، حتىٰ نميز بين الحق والباطل، والعادل والظالم .

أحداث الماضي الأفغاني

منذ نحو اثنين وعشرين عاما جمع ناصر الدين شاه جيشا، وزحف بـه الىٰ هراة(١) فاستولىٰ عليها . وأبدت الحكومة الانجليزية قلقها إزاء ما حدث، وخشيت علىٰ سلامة وضعها في الهند . وقد ترتب علىٰ ذلك أنها أرسلت أسطولا الىٰ الخليج الفارسي، وأعلنت الحرب علىٰ فارس، واحتلت جملة نقاط من أراضيها علىٰ الساحل . وبعد نحو عام تم الصلح بين البلدين، وكان من بين شروطه أن يكون حاكم هراة أفغانيا، وأن تكون حاميتها من الأفغان، بالرغم من أن الاتفاق تم علىٰ أن يظل ضرب العملة باسم الشاه، وأن يستمر ذكر إسمه في الصلاة بالمسجد . وتنفيذا لهذا الاتفاق عين السلطان محمد خان، صهر أمير أفغانستان وابن عمه حاكما علىٰ ذلك الاقليم . ومع ذلك لم يقض هذا علىٰ مخاوف الحكومة الإنجليزية، ولا هدّأها، فكانت خطوتها التالية أن تحرض دوست محمد خان علىٰ الاستيلاء علىٰ هراة، بعد أن وعدته في حالة نجاحه بأن يتلق منها، هو وخلفاؤه من ذات الأسرة، إعانة شهرية قدرها مئة ألف روبية . ثم جند الأمير جيشاً، وبعد قتال مطول توفاه اللّٰه، ولكن الاقليم لم يتم الاستيلاء عليه إلا بعد وفاته، واستمرت الحكومة الانجليزية في ارسال الاعانة المذكورة، بانتظام، كل شهر . وتلا ذلك أن وقع النزاع بين أبناء الأمير الذين علىٰ قيد الحياة : محمد أفضل خان، ومحمد أعظم خان، وشير علي خان ولي العهد، وتطور النزاع في النهاية الىٰ فتنة . وعند ذاك أوقف الانجليز المبلغ

(١) مدينة أفغانية معروفة، تكتب في العربية أحيانا بتاء مفتوحة .

الموعود.

المباحثات الأخيرة مع الأمير

ومع ذلك، حين استقرت سلطة محمد أعظم خان تماما، أحس الانجليز بميل من جانبه نحو روسيا، فدخلوا في مراسلات مع شير علي خان، ووعدوه بتجديد المنحة إليه إذا هو نجح في الوصول الىٰ الحكم، والتزم التوقف عن اتباع سياسة أخيه. وعندما نجح، ونشر سلطته في جميع أنحاء أفغانستان، دعوه الىٰ أمبالا، ورتبوا له استقبالا حافلا، ودفعوا له ما وعدوه به، ثم استمروا في الوفاء بالتزامهم الذي فرضوه علىٰ أنفسهم، حتىٰ أصابتهم ـ مرة أخرىٰ ـ نوبة من الشره والطمع، بسبب تجدد خوفهم وخشيتهم اقتراب الروس من حدودهم، وهو خوف يرجع إلىٰ وعيهم بضآلة ما في أيديهم من حب الهنود، الذين يضمرون لهم الكراهية الدفينة نتيجة ما استحلوه لأنفسهم ـ بغير وجه حق ـ من أمورهم.

ولما كانوا يجهلون الدواء الصحيح لهذا الداء، ألا وهو بذل الجهود المضنية لضمان الود عند الناس، فقد قرروا الاستيلاء علىٰ ممر خيبر، وكذلك ممر بولان، عند تخوم بَلوجستان، وهي قطر كان تحت حماية أفغانستان منذ عهد أحمد شاه، بل وغير هذين من ممرات علىٰ حدودهم، كي يرضوا نزعتهم الىٰ الطمع، متخيلين ـ دون جدوىٰ ـ أنهم بذلك يداوون داءهم العضال، ويهدئون جميع مخاوفهم.

وحتىٰ عند ذاك، حين تخيلوا خطأ أنهم يعملون تحت راية الحق واقنعوا أنفسهم بأنهم لا ينوون أن ينحرفوا قيد خطوة عن طريق الحق، إذا بهم مرة أخرىٰ يعودون الىٰ الحيلة والخديعة، فخاطبوا الأمير، بعد توقف المنحة، بما معناه : «لسنا مقتنعين بما تبديه نحونا من ود واهتمام» وحتىٰ إذا أكدت هذا لنا فلسنا نثق في مقدرتك علىٰ الدفاع عن بلدك ضد الغزاة. فإذا رغبتَ ـ بناء علىٰ هذا ـ في استمرار العلاقات الودية التي بيننا وبينك، وزيادة الاعانة، فلابد أن تُسلّم الممرات لنا» [هل هذه رواية أفغانية لما قامت به بعثة السير لويس بيلي L.pelly، والهدف من إحلال

الحدود «العلمية» محل «الحدود العشوائية»[١] ؟].

وكما كان المتوقع، لم يلق هذا الاقتراح استحسانا عند الأمير، فنشأت ـ بسبب ذلك ـ حالة من البرود بينه وبين الحكومة الانجليزية . وفي ذلك الوقت حدث أن وصلت الىٰ أفغانستان بعثة روسية تحمل المجاملات المعتادة بين الملوك واستُقبلت بالحفاوة المعتادة . ولكن هذه الحادثة ضَخّمت مخاوف الحكومة الانجليزية، فاستغلتها في شن حرب علىٰ الأمير . وأرسلت الىٰ الامارة رسولاً[٢] يحرسه ألف فارس ويصحبه مئة ضابط ومهندس، وذلك بعد أن أصبح من المعلوم أنّ الأمير لا يسره استقبال بعثة كهذه . وقد ساهمت جملة اعتبارات مهمة في توجيه سولكه إزاء هذا الموضوع . فقد فكر في الطابع غير العادي الذي اتخذته البعثة، علىٰ خلاف المعتاد من البعثات بين الدول، حيث لا تزيد علىٰ عشرة أشخاص أو نحو ذلك، واضطر الىٰ منع مرورها ببلده، خشية أن تبدو مسيئة في نظر أهله ، وحتىٰ يخمد فتنة أوشكت علىٰ الاشتعال بسبب ذلك .

واتخذت الحكومة الانجليزية ـ كعادتها وبناء علىٰ تصميمها السابق ـ رفض الأمير ذريعة لانكار المعاهدة، وقطع العلاقات الودية، وشن الحرب، وحشد جيش علىٰ حدود أفغانستان . وفي تلك الأثناء شرعت الصحف الانجليزية في تهديد الأمير بالطرد المهين من أراضيه .

كانت هذه حيلة الانجليز عندما قرروا غزو أفغانستان . ونحن نهيب بجميع مُحبي العدالة، وجميع رجال السياسة، وسائر صحف أوربا، أن تعلن ما إذا كان الأمير مضطرا لاستقباله مثل هذه البعثة مقابل خطر اشتعال فتنة في إمارته، وما إذا كان ثمة

---

(١) ما بين القوسين للمترجم الانجليزي . وتعبير «الحدود العلمية» FrontiersScientific من وضع دزرائيلي (لورد بيكونسفيلد) رئيس الوزراء في ذلك الوقت . وكان يعني به توسيع حدود الأملاك الهندية الىٰ ما وراء مفازة خيبر حتى مدينة كابول، اذا اقتضت الضرورة . أنظر النحلة ١٥ ديسمبر، ١٨٧٨، ص ١٩٥ .

(٢) كان الرسول أو السفير هو جوزيف تشيمبرلين (١٨٣٦ ـ ١٩١٤) السياسي الذي تحول من الاحرار الىٰ المحافظين، وأبو نيفيل رئيس الوزراء من ١٩٣٧ الىٰ ١٩٤٠ .

قانون أو عرف سياسي يجبره علىٰ التخلي عن جزء من أراضيه .

النتائج المحتملة للحرب

يمكن استنباط النتائج المحتملة لخطة الانجليز الراهنة من جملة اعتبارات :

أولا ـ يعلم كل من له علم بأخلاق البشر وسجاياهم أن الأفغان جنس قوي، شجاع، حازم، غيور علىٰ شرفه، متحمس في عقيدته، عازم علىٰ عدم الخضوع لحكم أجنبي طالما أن يديه قادرتان علىٰ حمل السيف . ومن الصعب إدراك أن الانجليز يمكن أن ينسوا المذاق المرّ للنصال الأفغانية، في وقت كانوا هم فيه مسلحين بأكمل البنادق والمسدسات، ولم يكن عند الأفغان أسلحة نارية علىٰ الاطلاق . وكيف يمكن أن ينسوا ذلك حقا، والجبال التي حملت الشهادة علىٰ النزاع سبحت في دم مواطنيهم، وعجّت ووديانها بعظامهم وجماجمهم ؟ ماذا يدعوهم مرة أخرىٰ الىٰ ذلك البلد الذي مروا فيه بتلك التجربة الشنيعة ؟ تقول الصحف الانجليزية : «لكي نؤدّب الأمير ونعاقبه»، ولكنها تقول ذلك متناسية ـ فيما يبدو ـ حقيقة أنه يملك ما يصل الىٰ ٦٠ ألفا من الجنود المنظمين جيداً، المجهزين تجهيزا كاملا بالأسلحة النارية، فضلاً عن ٣٠ ألفا آخرين يوجد بينهم ـ كما أبلغني شخص موثوق به وصل مؤخراً من هناك ـ ضابط ومهندسون روس .

صدقوني أن الانجليز وضعوا أنفسهم في موضع حرج، وهم مندفعون بغير تفكير الىٰ دوامة من المتاعب، يصعب عليهم الخروج منها .

ثانيا ـ ينساق الانجليز الىٰ الحرب دون أن يتأكدوا من أنهم لن يضطروا الىٰ التراجع بجيش منقوص . فما أفدح العواقب إذا حدث ذلك ! سوف تشتعل نار الثورة في الهند، مثلما حدث حين اقترب جيش الشاه من هراة، لا سيما إذا أعلنها شيخ الجبال، أخوند السَواطى[1]، حرباً دينية، ودعا الناس الىٰ الجهاد .

ثالثا ـ بعد المنافسة التي قامت بين الانجليز والروس علىٰ صداقة الأمير،

---

(١) اسم الزعيم الأفغانستاني الديني، نسبة الىٰ بلدة سواط .

ليس من غير المحتمل أن تنتهز روسيا الفرصة، عند انفجار المعارك، فتعقد حلفا سرّيا مع الأمير، وتدخل معه في معاهدة سرية، هجومية ودفاعية، يكون شاه ايران أيضاً طرفاً فيها، وتقضي بأن يساعد كل طرف الآخر علىٰ استئصال حكم الانجليز في الهند، واقتسام أراضيها فيما بينهم. وربما خدعتهم (الانجليز) التصريحات الرسمية للروس، التي قرروا فيها مراراً وتكراراً أنهم لن يمدوا سلطانهم الىٰ أوركانج وخيفا، وأنهم لن يقيموا تحصينات في خِوارزْم، في حين أنهم ـ كما ظهر فيما بعد ـ كانوا يفعلون العكس تماما. وعلاوة علىٰ ذلك، فمن المحتمل جداً أن يكون الأمير قد حقق تفاهماً مع أولئك النَوّاب والراجوات الهنود الذين لا يحرصون إلّا علىٰ انتظار فرصة تمكنهم من قتال الانجليز، ومسح عار العصيان الأخير هناك، عندما دُنّست معابدهم وذُبح زعماؤهم ورؤساؤهم الروحيون، وعندما قتل الانجليز ـ برغم ادعائهم العدالة ـ ستين شخصا، شكاً منهم في أن يكون كلّ من هؤلاء ناناراو صاحب، وحين حولوا القصر الملكي في دلهي الىٰ اسطبل لماشيتهم، ومخزنا لمهماتهم وأدواتهم الحربية، مثلما فعلوا أيضاً مع الكلية المشهورة التي كانت مخصصة للشعراء الدينيين في لَكْنو.

رابعاً ـ ليس من غير المحتمل، فوق هذا كله، أن يقوم الأفغان ـ بدافع من الكراهية والحقد الخالصين ـ بتسليم بلادهم للروس، إذا اضطروا الىٰ ذلك، وعندئذ يجد الانجليز أمامهم شيطانا لا حليفا.

خامسا ـ إذا افترضنا أن ينجح الانجليز في دخول افغانستان أفلا يعبر الروس جبال الأوكسوس، ويحتلون بَلَخ بحجة أنها من أقاليم بخاري، وأن أهلها من الأوزبك، وأن الأفغان ضموها الىٰ بلادهم دون حق، وبذلك يجبرونهم علىٰ تسليمها ؟ وعندئذ سوف تسقط المينا في أيدي الروس، ويحولونها الىٰ معسكر لجندهم الاحتياطي، يرسلون منه قواتهم الىٰ هراة وقندهار ـ لأنه لا يوجد أي عقبات طبيعية في ذلك الطريق ـ ثم يرسلون قوات من فرسان القوزاق للاستيلاء علىٰ ممرات هندكوش، ويسيطرون علىٰ باميان التي تعد مفتاح كابول.

سادسا ـ إذا نجح الانجليز في الاستيلاء علىٰ أفغانستان، فإنهم إمّا أن يظلوا بها أو يضموها الىٰ أراضيهم، وفي الحالتين سوف يشاركون الروس في الحدود، ومن ثمة يعرضون أنفسهم الىٰ نزاعات وأخطار لا نهاية لها. ومن الناحية الأخرىٰ، إذا انسحبوا من البلاد بعد إخضاع الأمير، وطيّه تحت جناحهم، فإن أي حرب تعلن عليه ستكون حربا عليهم. ولكن، إذا هم قنعوا باحتلال الممرات، تاركين الامارة وشأنها، فسوف يكونون في هذه الحالة قد نجحوا في تحويل الأفغان ـ الشعب المحارب، الذي لا يساوم علىٰ كراهيته، المصمم علىٰ القصاص والثأر ـ الىٰ أداة جاهزة في أيدي روسيا لاستخدامها كيفما شاءت ـ ومن ثمة تكون النتيجة إزاء الانجليز أسوأ وأفدح مما لاقوا من قبل.

ولكن إذا اعترض معترض هنا بأن الانجليز سيحمون أراضيهم باحتلال الممرات المؤدية الىٰ الهند، وبعدها لا يقعون في خوف من الروس أو الأفغان، فإننا نجيب أولا: إن الاستيلاء علىٰ الممرات لن يمنع القبائل الأفغانية التي تقطن الجبال المطلة علىٰ الهند من الاغارة المستمرة علىٰ الأراضي البريطانية. ونجيب ثانياً: إذا رغب الروس، في ظل الظروف التي فرضناها، أن يعلنوا الحرب علىٰ الانجليز، فسوف يتحالفون مع الأفغان، ويتجمعون في قندهار، ويزحفون من هناك الىٰ فوشاخ ثم قلعة ناصر دون أن يواجهوا أي اعتراض من شعب بولان، ومن هناك يتحركون نحو السند. أو قد يتخذون طريق جونداوا، أو طريق ساجستان، المؤديتين الىٰ قلعة ناصر، حيث لا توجد أي عقبات. وهنا لا نملك إلا أن نتساءل: ما الذي دفع الانجليز الىٰ التفكير في احتلال جزيرة رام هُرْمُزْ، بغية جعلها محطة ومخزنا لقواتهم ومهماتهم الحربية، ومنها يزحفون ـ عند الاحتياج ـ بجيش يسد الطريق المؤدية الىٰ الطريقين اللتين ذكرناهما نحو جونداوا وساجستان؟ إن هذا التحرك يحمل عداء صريحا نحو الشاه ويدفعه الىٰ التحالف مع روسيا. وفوق هذا وذاك فانه قد لا يفيدهم، لأنه ليس من المرجح ـ في حالة غياب العوائق الطبيعية ـ ان يقدروا علىٰ مواجهة الروس والأفغان مجتمعين. بل يجب أن نضع في أذهاننا أنهم

اذا استولوا علىٰ الممرات، فلابد أن يدعوها تحت حراسة الجنود الهندوس، الذين تنكر للولاء منهم مئة ألف جندي، نتيجة سوء المعاملة من الانجليز زمن العصيان الذي سبقت الاشارة اليه، وأداروا في وجوههم (وجوه الانجليز) الأسلحة التي زودوهم بها لمحاربة أعدائهم.

سابعا ـ سوف يحرم الانجليز أنفسهم، باعلانهم الحرب علىٰ أفغانستان، من كل أمل في صداقتهم من جانب الحكومة العثمانية ورعاياها المسلمين. اذ كيف يتوقعون، في مثل هذه الحال، أن يرتبطوا بالصداقة مع السلطان العثماني، الذي يبايعه المسلمون بلقب الخليفة، وهو مركز ديني، لا يستطيع صاحبه أن يداوم علىٰ عقد علاقات ودية مع أولئك الذين يشنون حربا علىٰ إمارة مسلمة، أكثر ولاء للاسلام من سواها ؟ إن السلطان الآن يسعىٰ الىٰ الحصول علىٰ تأييد المسلمين عامة، ولكنه سوف يفشل في ذلك لامحالة اذا هو امتنع عن الوفاء بواجبات مركزه. وكيف يستطيع الانجليز أن يجازفوا بالاعتماد علىٰ إخلاص رعايا السلطان المسلمين، بعد أن مَرّ هؤلاء بتجربة مرّة معهم، فضلا عما يرونه الآن من إعدادهم لمحاربة إخوانهم المسلمين ؟ إنه لمن الغرابة أن الشعب الانجليزي يصر ـ بالرغم من كل سلوكه هذا ـ علىٰ أن يُعّد نفسه مكلفا بحماية المسلمين والدفاع عنهم، في حين أن المسلمين قاسوا الأمَرَّين علىٰ أيديهم، كما لم يقاسوه من قبل ومن بعد علىٰ أيدي الآخرين. فهم، الانجليز، الذين حرموهم من الهند، تلك البلاد العظيمة الشاسعة، الخصيبة في منتجاتها، التي يصل سكانها الىٰ أكثر من مئتي مليون، منهم ٥٠ مليونا مسلمون. وهم الذين تاقوا ـ فضلاً عن ذلك ـ الىٰ الاستيلاء علىٰ أقاليمها الباقية، الىٰ حد أنهم أعدوا العدة، أخيرا، لانشاب مخالبهم فيها. وكان من الممكن أن يفعلوا ذلك مالم تقم مقصات العدل والنزاهة الفرنسية بتقليم هذه المخالب، وحجب مخططاتها.

أجل، إنهم يقومون بحماية المسلمين، ولكن كما يحمي القصّاب حَمَلاً من الذئاب، حتى يذبح هو الحمل ويسلخه. ومن الغرابة أن ينسى المسلمون هذا كله، ويظنوا أن الروس أفظع أعدائهم، في حين أن هؤلاء لو غزوا بلاد المسلمين مئة سنة

لعجزوا عن أن يستحلوا لأنفسهم هذه الغنائم التي استحلها الانجليز.

إن ما سطّرناه حتى الآن لم ينبع من تعصب ولا من حقد، ولكنه بيان لا زخرف فيه، وشرح لحقيقة حال القضية. وفي نيتنا أن نُتْبع هذه المقالة بأخرىٰ نشرح فيها شخصية الأفغان، وعاداتهم، وأسلوب معيشتهم، وشكل حكومتهم، حسب ما يقتضيه كل من هذه الموضوعات.

رَد علىٰ رد

رد الأفغاني علىٰ رد النحلة وصاحبها. وهذا نصه:

رأينا في جريدة النحلة فصلا لحضرة محررها الفاضل (القس لويس صابونجي) حجة الشرقيين علىٰ الغربيين، وبرهانهم عليهم، خصوصا علىٰ المتصلفين من الانكليز الذين طالما رموا الشرقيين بالتبربر والتوحش معنونا بعنوان (مصر والانكليز وأفغان) ذكر به أنه اطلع علىٰ مقالتنا المدرجه في بعض أعداد «مصر» السابقة المتعلقة بالانكليز والأفغان. وأمعن فيها النظر فحكم بأن الافراط في حب الوطن قد قادنا للتساهل مع اليراع والغلو في مواضع منها مستدلاً بأن بعض ما ذكرناه في شأن أمة الانكليز غير منطبق علىٰ الوقائع التاريخية. ثم ذكر إنه بعد ما رفع فحواها لوزارة الخارجية ترجمها حضرة الفاضل القس (جرجس باجر الفقيه) حرفا بحرف. وبعد ما نشرت في جورنال (فورتنيتلي) واطلع رجال الانكليز علىٰ مضامينها اضطربوا وهاجوا وماجوا، وإن كتابهم لابد أن يشمّروا عن ساعد الجد للرد علىٰ ما ذُكِرَ في تلك المقالة.

وقد رأيت من الواجب أن أعلن لحضرة القس الفاضل المحرر أنني لا أحسب أن حب الوطن بل ولا حب الذات يعدل بي عن سَنَن الحق، ويحول بيني وبين حقيقة الواقع، وأن الأمور التي بيّنتها في أحوال الانكليز إنما هي بنسبة الواحد إلىٰ الألف من أعمالهم ـ ولي علىٰ ذلك براهين واضحة وحجج بينة أقيمها عند الاقتضاء. ومع ذلك لا أنكر علىٰ حضرته أنه عند التطبيق قد رأى مخالفة بين بعض مضامينها وبين

ما أنْبَأ عنه بعض التواريخ، ولكن غير خاف علىٰ ذكائه أن تلك التواريخ من رَقّمَتْها أيدي حب الذات الانكليزي بأقلام العُجْب ومداد الغرور، فلا جَرْمَ أنها لا تحكي الحق، ولا تنبيء عن الواقع . وكيف تطيب نفوسهم بكشف حقيقة أعمالهم، وقد علموا أن السعادة في التغرير والتلبيس، ونَصْب فَخّ المواربة وشَرك المخاتلة .

وإني أقدم واجب الشكر لحضرة القس الفقيه، حيث عُنِيَ بترجمتها لتعلم الأمة الانكليزية أن أحوالها غير خافية علىٰ الأمم الشرقية . وأما ما ذكره من هيجانهم لدىٰ الاطلاع عليها فقد كنا نتحققه لما أن ذلك شأن المريب إذا أحس شعور غيره بما سينطوي عليه . وأما ما سيقيمه كتّابُهم من التمويهات والمغالطات، فلا نراها إلّا حبال السحرة وسيبتلعها عِصيُّ الحق وبرهان الصدق بمقالاتٍ بل برسائل تنشر لكشف حقيقة سيرهم وتبين واقع أمرهم .

جمال الدين



فهرست اعلام

(تاریخ اجمالی ایران)

ی

فهرست اعلام

(تتمة البیان فی تاریخ الأفغان)



الاعلام

الاماكن

الآثار الكاملة

للسيد جمال‌الدين الحسيني ـ الأفغاني ـ
دراسة و تحقيق، إعداد و تقديم:
سيدهادي خسروشاهي

١ ـ العروة الوثقی ـ بالإشتراک مع الشيخ محمد عبده. (منتشر گرديد)
٢ ـ رسائل في الفلسفة و العرفان ـ 〃 〃 〃 (منتشر گرديد)
٣ ـ التعليقات على شرح العقائد العضدية ـ 〃 〃 〃 (زير چاپ)
٤ ـ ضياءالخافقين ـ بالإشتراک مع الآخرين ـ 〃 〃 〃 (منتشر گرديد)
٥ ـ تاريخ مختصر ايران و تتمة البيان في تاريخ الافغان. (منتشر گرديد)
٦ ـ رسائل و مقالات ـ باللغة العربية ـ (منتشر گرديد)
٧ ـ مجموعة مقالات ـ بزبان فارسی ـ 〃 〃 〃 (منتشر گرديد)
٨ ـ نامه‌ها و اسناد سياسی ـ تاريخی سيد. 〃 〃 〃 (منتشر گرديد)
٩ ـ اسلام و علم ـ به ضميمهٔ رسالة قضا و قدر، و چند بحث ديگر.
١٠ ـ مقالات و مكتوبات لم تنشر حتی اليوم.

آثاری درباره سيد

١ ـ زندگی و مبارزات سيدجمال‌الدين اسدآبادی. (منتشر گرديد)
بقلم: لطف الله جمالی، صفات الله جمالی، سيد حسن تقی‌زاده.
٢ ـ ترجمهٔ گزيده اسناد وزارتخارجه انگليس درباره سيد ـ بضميمهٔ متن كامل اسناد ـ (منتشر گرديد)
٣ ـ كتابشناسی توصيفی سيد ـ معرفی يک هزار كتاب و مقاله درباره سيد ـ
٤ ـ ٥ ـ يادواره سيد، مجموعه ٢٥ مقاله درباره سيد (منتشر گرديد).
٦ ـ ٧ ـ مجموعهٔ ٥٠ مقاله تاريخی ـ تحقيقی درباره سيد.
٨ ـ اسناد وزارتخارجه ايران درباره سيد.
٩ ـ اسناد و مقالاتی از تركيه
١٠ ـ يقظة الشرق، مجموعهٔ ٣٠ مقاله بعربی درباره سيد.
١١ ـ سيدجمال‌الدين و بيداری مشرق زمين محيط طباطبايی (منتشر گرديد)
١٢ ـ مفخر شرق سيدجمال‌الدين... سيدغلامرضا سعيدی (منتشر گرديد)

* * *

تمامی كتابهای فوق بكوشش و مقدمه استاد سيدهادی خسروشاهی آماده چاپ و نشر شده است.

كلبهٔ شروق و مركز بررسيهای اسلامی

عدل یا استبداد؟

«... ساعتی در زیر لوای عدل به سر بردن افضل است از اینکه شخص مالک تمام روی زمین باشد... از این بدتر زندگانی چیست که مستبد ستمکار، رعیت را مثل «دوّاب» به هرسوئی که خواهد ببرد. در مأکل و مشرب آنها را اختیار ندهد، سیر کردن یا گرسنه داشتن به‌فرمان او باشد، بند نمودن و رها کردن نیز به صواب و صلاح او، و پای‌بند ظلم بر آنها نهاده، بر میخ استبداد بسته بدارد. نه نظامی در زندگی و نه اراده‌ای از خود؟ ... آفت استبداد از آفت حریق وحشتناک‌تر است. بدا به حال ملتی مبتلا به این آفت. و بدبخت خردمندانی که در آن میانه نه دست ستیز دارند و نه پای گریز!. این است که شخص عاقل در این مهالک مرگ را بر حیاتی بدین سختی، ترجیح می‌دهد...»

سیدجمال‌الدین حسینی (مقدمهٔ تاریخ ایران)

سید و تاریخ‌شناسی

«... سید دشمن انگلیس بود و به‌هر صدمه‌ای که به نفوذ انگلیس می‌توانست برساند، خوشنود بود... در مسئلهٔ امتیاز انحصار دخانیات بر ضد آن کار کرد. سید از دُهات و اشخاص فوق‌العاده بود و در عصر خود منشأ نهضت مهمی در اغلب ممالک اسلامی شد.

زبان عربی و فارسی و ترکی همدانی و ترکی اسلامبولی را خوب می‌دانست. فرانسه را هم به‌قدر کفایت حرف می‌زد و می‌خواند. انگلیسی و روسی اگر می‌دانسته به واسطهٔ اقامتش در لندن و پترزبورگ بود، شاید افغانی و هندی را هم همینطور می‌دانست. کتب عربی و فارسی خیلی می‌خواند وکتب فرانسوی هم مطالعه می‌کرد. در کتاب «تاریخ الافغان» از لنورمان (Lenormand) عالم فرانسوی نقل می‌کند. «تاریخ الافغان» به عربی از آثار باقیهٔ او است.

سید تمام عمر را به‌اعلی درجه و شدیدترین وجهی بر ضد انگلیس مجاهدت کرد و تعصبی فوق‌العاده در این باب داشت و دارای عقیدهٔ افراطی و روح خصومت نسبت به انگلیس بود و در دیباچهٔ کتاب تاریخ‌الافغان خود در سخن از انگلیس این عبارت را دارد: «انگلیس، کفتاری است که بلعیدن دویست میلیون مردم و آشامیدن آبهای رود گنگ و سند او را سیراب نکرده و اکنون می‌خواهد همهٔ دنیا را بخورد! و آبهای نیل و جیحون را نیز بیاشامد!» ... این خصومت افراطی در هند و گاهی در مصر و افغانستان و بعضی ممالک دیگر دیده شده است...

این شخص جهان شهرت ... علم و فضل و اطلاع وسیع بر علوم اسلامی از معقول و منقول و تاریخ و تسلط عظیم در زبان عربی داشت و در واقع او را می‌توان یک نابغه شمرد...»

سید حسن تقی‌زاده



مرکز پخش: کلبهٔ شروق. تهران. خیابان انقلاب. مقابل دانشگاه. شمارهٔ ۱۳۷۸.